يونيه ١٩٨١

الهلال

مجلة الفكر العربي

محمد صلى الله عليه وسلم قاضيًا

محات من تجربة الإمام

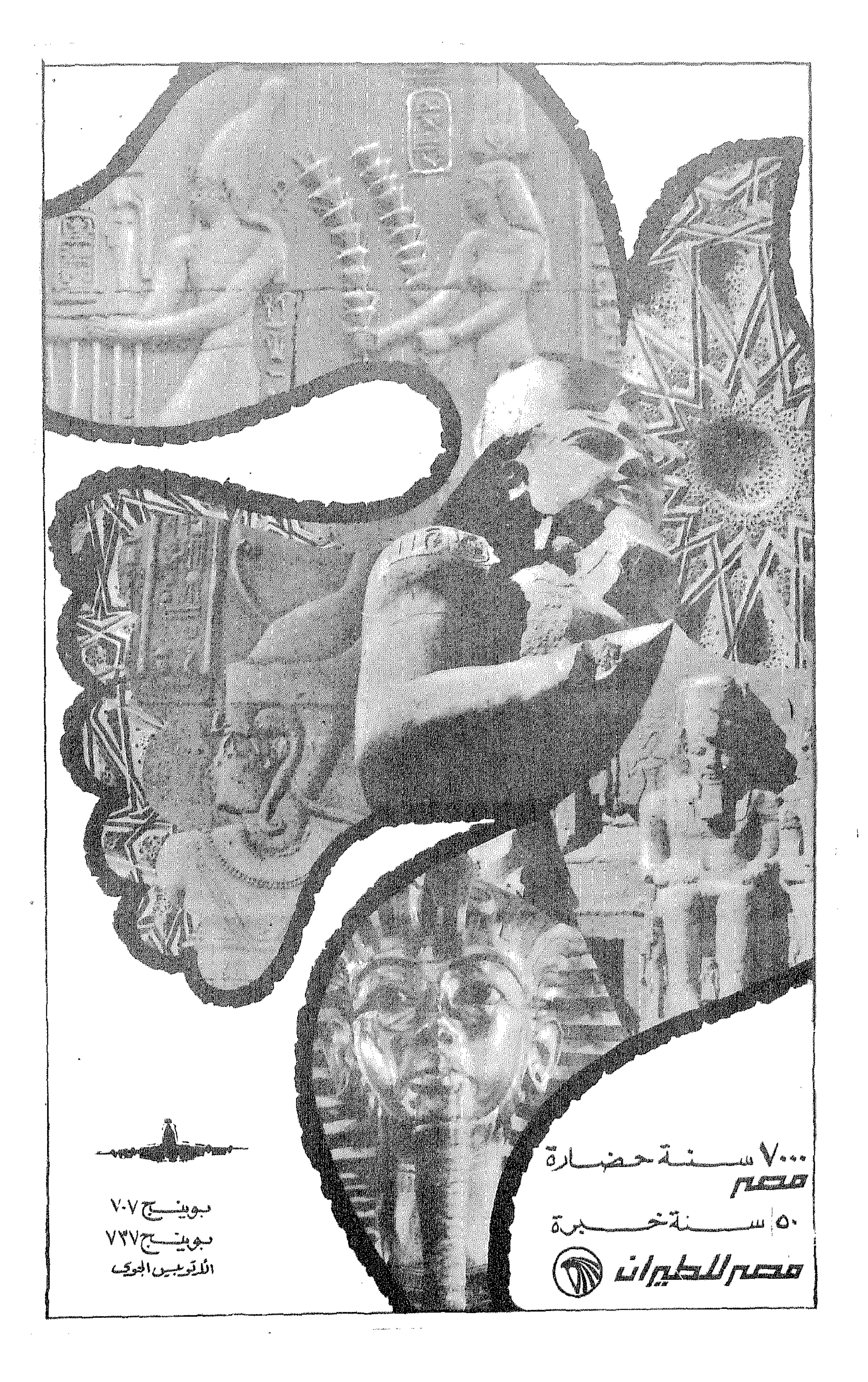
حمد متولى الشعراوى

التعليم والتعريب .. قضية جامعية

التلوث : مسألة حياة أو موت !

أحمد رامى .. عصر من الحب والغزل

آل البيت فى مصر [استطلاع بالألوان]


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

ولا تنسوا الفضل بينكم

مما يؤثر عن الصوفى الصادق بن ابى الخير ان واحدا من مريديه طلب اليه ان يتوسط له لدى احـــد الحكام فصاح : يا مسكين ! تسال المخلوق والخالق اقرب اليك مـن حبل الوريد !

وهذه العبارة نحب ان نرددها فى اخواننا قراء الهلال فى مطلع شـهر رمضان ، لاننا فى الحقيقـة ننصرف فى احيان كثيرة دون ان نذكر اللـه سبحانه وتعالى ، والمسلم الصحيح ينبغى ان يتصرف دائما عـلى انـه يعامل الله سبحانه وتعـالى ، ولا يعـامل النـاس قط ، فـان اللـه سبحانه مطلع على ما نفعل ، ومهما نخفى فى نفوسنا فان الله سـبحانه يعلمه . اذا كنا صادقين فان الله يعلم ، وان كنا كاذبين فهو سبحانه يعلم ، فلماذا نظن اننا نخـدع الله سبحانه فنكذب وننافق ونخـدع ونحن نعلم ان الله سبحانه وتعـالى يعلم ما نظهر وما نبطن ...

لو تعامل الناس على انهم يعاملون الله سبحانه لصلح لهم امر الـدنيا وامر الآخرة ، ولو ذكرنا ان رضى رضى الله هو الغاية الكبـرى لكنـا اسعد مما نحن فيه ولا سـترحنا وارحنا .

ومن كلام الله سبحانه وتعـالى قوله : (ولا تنسوا الفضل بينكم) اى اننا ينبغى ان يتعامل بعضـنا بعضا بالفضل ، وهو ما يزيد عـلى العدل ، فاذا طلب صاحب لك منك عونا فلا ترفض لانه سبق ان قصر فى واجبك ، بل كن انت افضـل وعامله بالفضل ، اى بما يزيد على المطلوب : ساعد من لم يسـاعدك واكرم من لم يكرمك واذكر من لا يذكرك وكن انت دائما افضــل فى معاملتك تكن اقرب الى الله سبحانه وتعالى وتكون اسعد حالا واهدا بالا .

اننا الآن فى رمضان ، ورمضـان شهر عبادة قوية ومغفرة ، ونحن فى رمضان نصلى من كل قلبنا ونصوم من كل نفوسنا ، فماذا لو عاهـدنا الله سبحانه على ان نصدر فى كـل تصرفاتنا على اننا نعامله سـبحانه من دون الناس ، وماذا لو تعاهدنا على ان نتعامل بالفضل بيننا ؟

هذا رجاء وامل ، والله سبحانه من وراء كل خير ومعين على كـل فضيلة وفضل .

وكل عام وانتم بخير ●●

المحرر

كتب وكتاب

شهيد الوطنية المصرية
أمين الرافعى

تأليف : صبرى أبو المجد

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● هذا كتاب يسعدنى أن يكون لى فى نشره نصيب .
ان موضوعه عظيم . انه رجل من اعلام تاريخنا وشخصياته التى تعتبر معالم مضيئة على هذا التاريخ ، انه امين الرافعى مثال المصرى فى أصفى وانبل صوره ، الكاتب فى ارفع مراتبه ، والصحفى فى اشرف مواقفه .

ومن منا لا يتشرف أن يكون له مكان فى ذكره ؟

ومؤلف الكتاب صديق حياة ، وزميل قلم . معا عملنا فى دار الهلال ، وربطتنا روابط القلب والعلم والحب لهذا البلد ، ولكل من احبه وجاهد فى سبيله ،

ولا يزال صبرى أبو المجد مؤرخ الصحفيين المصريين وراصد تاريخ القومية المصرية عامة .

***

رأيت أمين الرافعى مرة واحدة . كنت فى السنة الاولى بالمدرسة الثانوية وكان لنا صاحب من أولى النجدة ، يكبرنا سنا وكان وطنيا متوقد الحماس متجدد النشاط ، ويبدو ان شباب تلك الايام كان كله على هذه الوتيرة حبا لمصر وتفانيا فيها .

كان هذا الشاب يقضى يومه متنقلا بين الزعماء والصحف ، مشاركا فى المظاهرات حيثما كانت ، لا تراه الا



وتحت ابطه صحف مصر كلها ، وكان يحفظ ما يكتبه أمين الرافعي عن ظهر قلب ، فأمين الرافعي كان رمز حبه ومعقد ولائه ومثار اعجابه ٠

وفي ذات يوم أضربنا في المدرسة ، ولم يفلح صاحبنا المتفاني في السياسة في تكوين مظاهرة ، فتبددنا أول الطريق ، وقال لنا : نزور أكبر زعيم في مصر ٠

سألت : سعد باشا ٠٠

ـ لا ٠٠ أمين الرافعي ٠

وذهبنا معا ٠ كنا أربعة ، والمنزل كان في شارع متفرع من درب الجماميز كان دارا صغيرة من دورين ، الاول للتحرير والثاني كان سكنا للاستاذ ٠ وقيل لنا ان الاستاذ موعوك ولكننا نستطيع أن نصعد اليه ٠ وصعدنا يتقدمنا صاحبنا عاشق أمين الرافعي ٠ أذكر ان الغرفة كانت نصف مضيئة ٠ كان هناك باب كبير يؤدي الى بلكون فيما تصورت ٠ وكان هناك مكتب عليه أكوام من الصحف وأكداس من الكتب وكانت هناك كنبة وبعض كراسي ٠

وكان الاستاذ جالسا على سجادة صلاة ٠ كان قد صلى الظهر وجلس يسبح ٠ كان اشيب شاحب اللون خفيض الصوت ، ولكن الله افرغ عليه جلالا ووقارا لم اعرفهما الى ذلك الحين

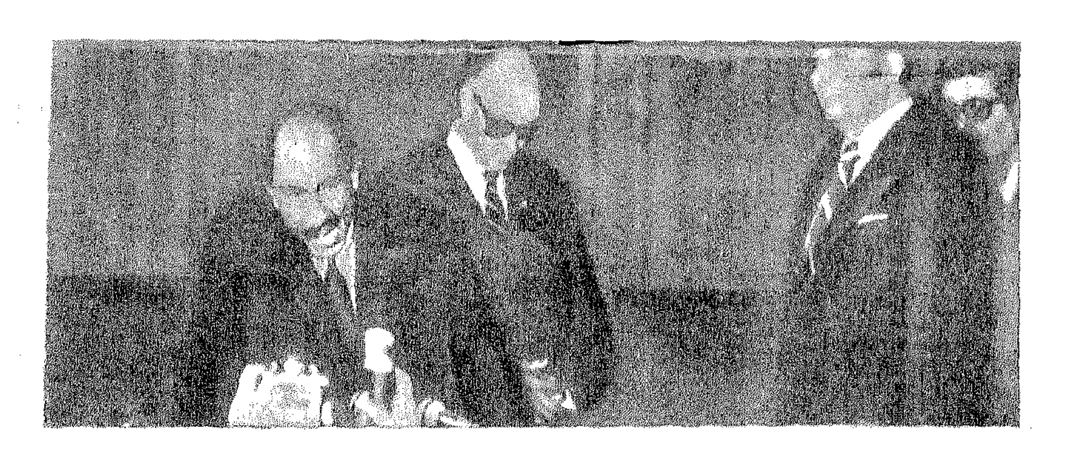
كان يقول ان الباشا يؤذيه ،والباشا كان سعد زغلول ، وحمل صاحبنا الشاب على سعد زغلول ، فرفع الرجل يده وقال : لا يا أخ مختار • نحن لسنا ممن يسب ويتحدى • دعهم يفعلون ما يريدون ، فنحن في طريقنا •وقضية مصر ليست بيد سعد أو عدلي ، بل بيد هذا الشعب ، وما يفعله الله هو الخير ولا يصح الا الصحيح » •

ونهض الرجل فجلس على الكنبة واستند الى الوسائد ، وطلب لنا شايا ودخل ناس كثيرون يحيون الاستاذ ويصافحونه ، وبعضهم يعانقه •

وظل بصرى معلقا بهذا الشيخ المهيب الشاحب الوجه الخفيض الصوت ، ظللت صامتا لانني في حضرة قديس • وكان الحماس قد أخذه فمضي يتدفق بالحديث واختلطت على الاصوات ، لأمر ما احسست بحب شديد نحو هذا الرجل ، وسلم صاحبنا ومضى ، ومضى أناس وأتي أناس ، وأنا جالس شاخص البصر ، أتأمل هذا الوجه السمح الذى كان يحمل آلاما بلا نهاية • وكان لابد ان امضي ، فمضيت الى دارى وفى قلبي فرحة وأسى • الفرحة لانني رأيت بطلا من أبطال مصر والاسى لانني رأيت هذا البطل موعوكا شاحب الوجه شاكيا من الناس •

ثم قصدت دار صاحبي وطلبت منه ان يحدثني عن امين الرافعي ، فتحدث في حماس متدفق ، واخرج ملفا فيه كل ما كتب أمين الرافعي ، ومضى يقرأ لي طرفا من هنا وطرفا من هناك • وعدت يومها الى دارى وانا اشعر باعتزازي بان اكون انا من نفس البلد الذى ينتسب اليه امين الرافعي وسعد زغلول ، على عظيم ما كان بين الرجلين من فوارق وخلافات •

فهذا الرجل الجليل عاش لمصر واحبها في سبيلها ، كما فعل مصطفى كامل ومحمد فريد • وأمين الرافعي يتميز بأنه لم يكن رجل سياسة ، ومن ثم فهو لم يعرف في حياته اساليب السياسة وما تجلبه معها أحيانا من ثيرة من مكاسب وأمجاد • أما أمين الرافعي فقد كان رجلا مستقيما كالسيف : آمن بمصر وتمسك بحقوقها ووهبها نفسه وقلمه ومضى على الطريق طريق الآلام — « أى ايفيا دولوروسا » الى نهايته ، وما كانت أكثر الآلام في حياة هذا الرجل الكريم الاصيل ! ان الناس يدخلون في ميدان الصحافة ليشقوا في البداية ، ثم يسعدوا في النهاية ، أما أمين الرافعي فقد شقى بالصحافة من البداية الى النهاية ، لانه كان رجلا عاشقا لهذا البلد الذى يستحق العشق حقا ، والعاشق الصادق لا يسعد أبدا ، فما بالك ، ومعشوقة أمين الرافعي — مصر — كانت تعاني في أيامه من الآلام ومتاعب الظروف وعدوان الانجليز واستغلال الاسرة الحاكمة وضياعة الصدرها وخسة اساليبها ، ولم يكن الرافعي كما قلنا رجل سياسة ، فلم يكن قط مستعدا لان يساوم على ذرة من حقوق مصر ، فكاثره الاعداء وزادوا آلامه ، فظل يخسر الى النهاية ، حتى المال القليل الذى كان لديه انفقه على جريدة الاخبار ، لا لانها كانت تخسر ، بل لانه عندما اعلنت الحماية البريطانية على مصر اغلق الجريدة حتى لاينتشر الخبر في جريدته ،وكانت السلطة العسكرية الغاشمة قد امرت بان تنشر كل الصحف ذلك الخبر • نعم ، اغلق الجريدة وظل يدفع رواتب المحررين والعمال الى النهاية ، لانه أوقف الجريدة بقرار شخصي منه فلماذا يتحمل المحررون والعمال نتائج هذا القرار ؟



بعد نصف قرن من الجحود كرم الرئيس السادات شهيد الوطنية المصرية امين الرافعى فى حفل عيد الصحفيين ، وسلم الرئيس قلادة النيل لنجل الشهيد م. المهندس محمد عز الدين الرافعى .

هذا هو الرجل الذى يقص صبرى أبو المجد قصته فى هذا الكتاب البديع الذى اسعد بتقديمه الآن ضمن سلسلة كتاب الهلال ، وهو يروى القصة كأحسن ما تروى القصص ، وعلى أصدق مايكتب التاريخ توثيقا وتأييدا بالشواهد حينا ، وبالمحبة حينا ثانيا ، وبالعلم الواسع بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ثالثا ، ولهذا فقد جاء الكتاب ذخرا من ذخائر المكتبة العربية ووثيقة اجلال لمصر وقصيدة حب لها ، وما أكثر ما ينشد صبرى أبو المجد من القصيد فى حب مصر !

الى هنا واضع القلم ، فقد طال التقديم ــ احسب ــ والقارىء ولا شك مشوق الى ان يقرأ امين الرافعى بقلم صبرى ابو المجد .

تحية للكتاب وبطل الكتاب ومؤلف الكتاب .

وتحية لمصر تلك الخالدة التى نقول جميعا ، اننا عشاقها ، ولكن امين الرافعى فى هذا المجال سلطان العاشقين ، ولكن ومعذرة لامين الرافعى ان اصفه هنا بأنه سلطان ــ ولم يكن يحب السلاطين ــ ولكن من حق هذا المصرى العظيم ان يكون سلطانا على قلوبنا عندما نذكر الرافعى امينا .

....

يوما بعد يوم تزداد الصحافة اهمية وتزداد مسئولية الصحفى ثقلا ، لان الصحفى تزداد مهمته كصانع للفكر والراى مع الزمن وقد دخلت صحافتنا العربية ، مع الازمات التى تتزايدداخل الوطن العربى وخارجه خطورة .

لهذا فاننا عندما نقدم هذا الشهر كتابا عن امين الرافعى بقلم صبرى ابو المجد فاننا نقدم للصحفيين ، والمثقفين ، وقراء العربيه جميعا درسا عظيما فى مهنة الصحافة ومسئوليات الصحفى وما ينبغى ان يتصف به من الخصال ، وما لابد له من قوة وطنية وقومية واخلاقية ..

فقد كان الرافعى حقا مثلا اعلا للصحفى كيف ينبغى ان يكون ، كان صادقا مع وطنه ، وكان شديد الاخلاص لقضايا الوطن يضحى بنفسه فعلا فى سبيلها . وكان يحس بمشاكل الوطن احساسا عميقا شاملا لكيانه كله . من هنا فقد احتل فى تاريخ الصحافة العربية مكانا صدرا ...

وقد درس المؤلف صبرى ابو المجد حياة الرافعى كما لم يدرسها احد قبله ، واطلع على وثائق واصول لم تتيسر لغيره وعالجها باستاذية وقدرة معروفة عنه فى كتابة الموضوعات القومية التاريخية .

هذا كتاب عظيم القيمة بموضوعه وبما فيه من دراسة وبما يقدمه من دروس ، ويسعدنا ان نقدمه لقراء الهلال ذخرا جديدا من الذخائر التى تتكون منها سلسلة كتاب الهلال ●

فى هذا العدد

الهلال
مجلة الفكر العرب

شعبان ١٤٠١ هـ
يوليه ١٩٨١ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ — السنة التاسعة والثمانون — اول يوليو سنة ١٩٨١ — ٢٩ من شعبان سنة ١٤٠١ هـ

من الهلال

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها . وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر . ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر

ص

● شعر وشعراء ●

● قضايا ●

● استطلاع بالالوان ●

● سينما ●

● منوعات ●

● شعر ●

● قصص ●

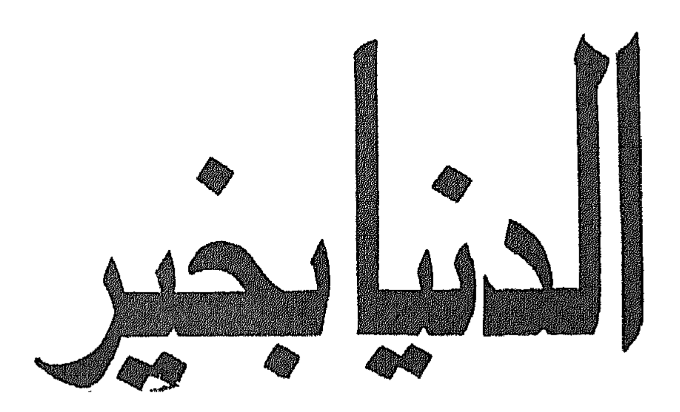
الإشراف الفنى
احمد الوردجى

● صورة الغلاف ●

تبركا بشهر رمضان المبارك الذى يصدر هذا العدد من الهلال فى اوله، نشرنا فيه حديثا سابقا مع الشيخ العلامة الامام محمد متولى الشعراوى، وزينا الغلاف بصورة من اندر صورها وادلها على شخصيته ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراك بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراك بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون ٢٠٦٢٠ . عشرة خطوط .

بمناسبة رمضان المبارك



بقلم : رئيس التحرير

●●

اذا لم تكن الدنيـــا بخير فنحن المســـئولون ، لاننا لا نريدها خيرا أبدا • كل منا لا يفكر الا في نفســـه ، ويتصور ان الله سبحانه خلق هذه الدنيا كلها له وحده دون سواه • ليس فى الدنيا اولاد الا اولاده ..وليس فى مصر من يستحق الخير الا هو .. وكل قانون وكل نظام ينبغي أن يزول لكى يسعد هو .. ولو استـطاع كل منا لانفرد بأوتوبيس وحده يحمله الى عمله ويعود به الى بيته .. أما أن يركب مع الناس بهدوء ونظـــام ويقف فى طابور ينتظر دوره ، فهذا مالا يعمله قط • لاننا انانيون فرديون قصار النظر ، ولاننا لانؤمن بالخير وبالقيم الاخلاقية رغم اننا نصلى ونصوم • ونحن ننسى دائما ان الخير هو نحن ، وان الشر هو نحن • اذا أردنا الدنيا خيرا كانت خيرا ، ونحن اولا واخرا المسئولون

●●

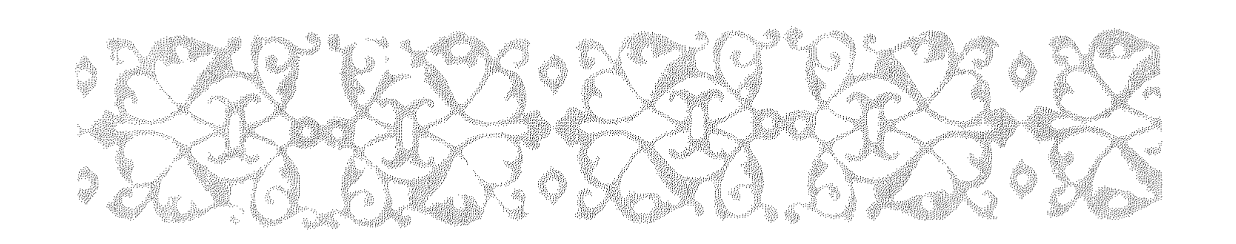
الارض بخير الى ما شاء الله ..
والسماء بخير كما خلقها الله .
ولكن المشكلة تكمن فيما بين السماء والارض : الانسان
الانسان هو الخير اذا أراد
والانسان هو الشر اذا شاء ..
وقد هداه الله النجدين ، اما شاكرا أو كفورا .
أهداه الله الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ، وتركه يختار .
وبلادنا هذه ــ بلاد العروبة والاسلام .. بخير اذا اردناها خيرا وهى بشر اذا أردنا نحن لها الشر ..

فاذا كنا نشكو فمن أنفسنا .
واذا كنا نشقى فبأيدينا .
والناس من حولنا لا يكفون عن الشكوى . لا يكفون عن سؤال الله سبحانه ان يرفع عنهم ما يعانون منه .

ونحن نقول لهم : لا بأس بكم أيها الناس ولا تراعوا فبلادكم بخير والحمد لله ...
وهذا الذى نشكو منه ليس بجديد . فهذه هى الدنيا . كلها تعب وشقاء ولا ينفع فيها الا العمل والصبر والاحتمال وقبل ذلك كله : لابد من الايمان .
الايمان بالله والايمان بالوطن والايمان بالنفس .
ومهما كانت الظروف التى تحيط بنا فلابد أن نخرج منها سالمين منصورين ما دمنا مؤمنين نتصرف تصرف مؤمنين .
أما أن نقول اننا مؤمنون ونتصرف تصرف غير المؤمنين فشىء لا يستقيم ..
وقد سمعت الكثيرين يتحسرون على السنين الخالية . أيام كانت الاسعار راخية والدنيا واسعة ..
أيام كان الناس يشترون بالقرش لا أدرى كم بيضة ، وأيام كانت الدنيا بخير ...

***

واحب أن أطمئنكم واقول لكم : ان الدنيا لم تكن بالامس أسعد مما هى اليوم ، والمشاكل لم تكن بالامس أقل مما هى عليه اليوم .
وكل الفرق هو أن الناس فيما مضى كانوا أوثق ايمانا بدينهم وبوطنهم وأنفسهم .
ولم تكن المطامع والتطلعات تفسد عليهم دنياهم .
ففى الماضى كان الناس يسيرون على مهل ، ويمدون أرجلهم على قدر لحافهم ويجهدون أنفسهم لكى يطول لحافهم ، ويغطى جسدهم كله .. ولم يكونوا قط يشكون ويطالبون الدولة بأن تقدم لكل منهم لحافا بطول رجليه .



أما اليوم فان الناس لا يعرفون القناعة أو الصبر ولا يعرفون حدودا للاطماع والتطلعات ..

فالناس جميعا ــ من يستطيعون ومن لا يستطيعون ــ يريدون أن يكون لديهم تليفزيون ، وبالالوان ! ..

أذكر انني كنت في السنة الثانية الثانوية عندما انتشرت موجة الفونوغراف الموبيليا ..

وكان الناس يشترون الجرامافون ويصنعون له الدولاب عند النجار .

وكان ذلك يتكلف نحو الثلاثين جنيها ..

وكان الناس الذين فوقنا عندهم هذا الفونوغراف ، وكذلك الذين يسكنون امامنا ، ومع ذلك فلم نحس في بيتنا بأننا لابد ان يكون لنا فونوغراف مثل الآخرين . كنا واثقين من اننا سنشترى أحسن فونوغراف في الدنيا ، ولكن عندما يحين الاوان .

وظللنا نسمع الاغاني من الشباك .

وعندما دخلت الجامعة كنت اعمل بعد الظهر في التعليم ، وتيسر لى مال لشراء جهاز راديو ، وكان الراديو قد غطى على الفونوغراف ، وقلت ذلك لوالدى ، فقال :

ـ أنت حر فيما تفعل ، ولكن لو كنت مكانك لانشأت لى غرفة مكتب مناسبة ولصنعت لنفسى ملابس جديدة كافية ، وبعد ذلك أنظر في الراديو .. كل شيء سيأتي ، ولكن كل شيء بأوانه أليس كذلك ؟!

ـ بلى .. هو كذلك !

وفعلت كما قال . وشيئا فشيئا ، ودون عجلة أصبح لدينا ما نريد بجهدنا وعرقنا ، دون شكوى ودون سؤال أحد .

وفي يوم من الايام ، ونحن في المدرسة الثانوية ــ قال لى صديق .

ـ سأشترى سيارة . عندى ١٨٠ جنيها وينقصنى ١٢٠ .

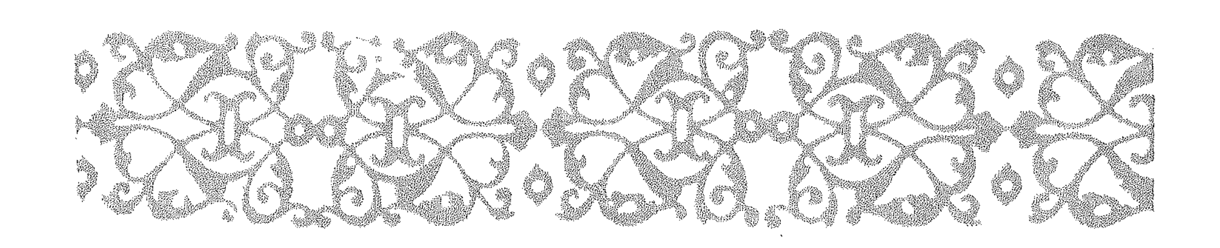
ـ ولماذا لا تنتظر حتى تكتمل الثلاثمائة ؟ .

ـ لا أريد ان انتظر .. كم تستطيع ان تقرضنى ؟ ..

وأقرضته ما تيسر ..

واقترض من غيرى كذلك ، واشترى السيارة .

وبعد ذلك ثقل عليه عبؤها ، وحدث لها حادث ، وعجز عن الانفاق عليها ، فباعها ، وبقيت عليه الديون !



وعلى فكرة ليس صحيحا ما يسمى ابناء هذه الايام من ان القرش من ثلاثين سنة كان يشترى عشر بيضات !

هذا غير صحيح ..

ولم أعرف في حياتي بيضة بمليم !

انما هي تهاويل وتقديرات يسوق اليها الجهل حينا والرغبة في تصوير غلاء الاسعار اليوم في صورة يحسب أصحابها انها تدهش الناس حينا آخر .

واذا كانت البيضة تباع في هذا البلد في يوم من الايام بمليم ، فلماذا كان عندنا دائما ناس لا يملكون ما يشترون به بيضة في اليوم مع علمنا بأن أتعس متسول عندنا لا يمكن أن يقل ايراده اليومي عن قرشين ثلاثة ؟

وقد قرأت لاحد الكتاب ـ ممن يحاولون ان يقولوا ان غلاء الاسعار اليوم لم يسبق له مثيل ـ ان بعض الفلاحين المصريين في الماضي كانوا يعيشون اسبوعا كاملا على خبز الذرة والماء ولا زيادة ..

ومن المؤكد ان هذا غير صحيح ، فأنا أعرف الفلاحين والقرى منذ كنت صبيا ، فما عرفت رجلا في قريتنا ينام على الطوى يوما أو يومين ، فان أهل القرية لا يأذنون في ذلك قط اخلاقياتهم تأباه ، ولا يحتاج أحد منهم الى ما يأكله الا وجده ـ دون مبالغة طبعا ـ فهذا البلد لم يعرف الجوع الا أيام الفاطميين أو أيام المماليك والاتراك ، عندما كان سوء الحكم والظلم وجهل الحكام تؤدى كلها الى الازمات الاقتصادية المعروفة بالمجاعات أو الغلوات ، أما من أوائل هذا القرن فقد كانت الدنيا دائما بخير في هذا البلد ، والناس عندنا طيبون في قرارة نفوسهم . واذكر اننا كنا ذات يوم في القرية عندما فقدت امرأة مسكينة زوجها وابنها الاكبر غرقا في « الرياح » وهو قناة واسعة تمر جنوبي قريتنا خارجة من النيل ، فتكفل أهل القرية جميعا ـ دون اتفاق على بين الناس ـ بالقيام بشئون هذه السيدة يوما بعد يوم ، فكفلنا جميعا طعامها وأولادها على أحسن ما كانت تطعم أيام زوجها ، بل تكفلنا بسكوتها وتعليم ولد وبنت لها وهاهما ابنها وبنتها اليوم في حال طيبة بعد ان تخرجا في الجامعة وتكفلت الدولة بتعليمهم وسار كل شيء وكان هذه السيدة لم تفقد زوجا وولدا ..

والدنيا بخير ..

***

ولكن الذى ليس بخير هو نحن ..

الارض بخير والسماء بخير ، ولكن الذى بينهما ـ وهو الانسان ـ ليس بخير !

وهو ليس بخير لانه لا يفعل الشيء الذى يجعله بخير والشيء الذى يجعله

● ليس فى الدنيا دولة تعمل لشعبها أكثر مما تعمل دولتنا ، ولا توجد دولة على الأرض تنفق ما تنفق دولتنا لتأمين الغذاء للناس ، ولكننا مع ذلك نشكو، لأننا أنانيون لا نعرف الخير ولا الايمان السليم.

بخير هو الايمان والصدق والاخلاص والايمان ليس كلمة تنطقها الشفاه ، ولا هو اداء العبادات فحسب بل التصرف فى كل شىء عن ايمان عميق شامل ..

وما أيسر الايمان لمن أراد أن يلتزم الايمان ..

انه فى رأيى أيسر طريق لمن أراد ان تكون حياته سهلة ذلولا .

لا تفعل الا ما تؤمن به ، ولا يصدر عنك فعل أو قول الا من صميم قلبك .

وصدقنى انك لو التزمت الايمان لكسبت اضعاف ما تطمح اليه نفسك : ويكفى انك تكسب بهذا راحة البال ..

وهل هناك أيسر من الصدق ؟

اننى لا أقصد بذلك ان تصارح الناس برأيك فى كل شىء ، وتقذفهم بما فى نفسك غير مبال ولا هياب . فهذا أمر لا يطالبك به أحد ، وليس من المعقول أن نطالبك بأن تدخل فى معارك أهلية مع الناس كل يوم ، بل المقصود هو أن تكون صادقا مع نفسك فى معاملاتك للناس .

خذ حقك واعط الناس حقهم .

خذ حقك دون تحايل ، دون لؤم ودون خداع ودون أن تصغر نفسك دون داع للوصول الى ذلك .

والاخلاص هو الا يصدر عنك شىء ـ قول أو فعل ـ الا عن قلب خالص . فالعمل لابد ان يكون متقنا ، وتقدير الاتعاب اوالاسعار ينبغى ان يكون عادلا والكلمة التى تعطيها لابد ان تكون كلمة شرف واجبة الوفاء .

اذا فعلت ذلك ـ وأؤكد لك انه ممكن ـ لوجدت ان الدنيا حقا بخير . لانها اذا لم تكن بخير فثق انك أنت المسئول .

لقد بلغ من عدم صدقنا بعضنا مع بعض وعدم اخلاصنا لانفسنا اننا أصبحنا نقول فيما بين بعضنا وبعض ان الاحوال وصلت الى حال من السوء لا يمكن معها علاج ..

وتسأل : اى أحوال ؟

ـ يعنى كل حاجة

وهذه الاجابة تدل على أن المتكلم لا يعرف مم يشكو ، وانما هو « السلام »

وليس معنى ذلك انه يتجنى ، أو ان حياته على احسن حال او انه يفتعل الشكوى افتعالا ، وانما معناه انه لا يعرف كيف يعبر عما فى نفسه ، لانه فى الحقيقة جزء من الشكوى نفسها ، وربما كان هو صميم هذه الشكوى نفسها واضرب لك مثالا تلمسه بيدك .

رجل يشكو من المواصلات فى القاهرة . وكل الناس يشكون من مواصلات القاهرة ..

● الدنيا بخير، لأن الله سبحانه وتعالى أرادها خيرًا، ووهبنا العقل لنختار الطريق الذى نريد ولكننا نحن بأنانيتنا نختار الخير لأنفسنا فقط دون تفكير فى الآخرين، وننسى أن الخير لا يكون خيرًا إلا إذا عمّ الجميع.

ولكن هل السبب قلة الحافلات ؟

بالعكس ، الحافلات أكثر من أن تتحمل شوارع مدينة القاهرة ..

ولكن السبب اننا لا نعرف كيف تستعمل وسائل المواصلات لدينا ، ولو عرفنا كيف نستعملها استرحنا .

فنحن لا نقف طابورا أبدا ..

نحن نتجمع كأننا قطيع ، وكلما وصلت سيارة هجمنا عليها . كلنا نريد أن نركب في نفس الوقت .

وركوب الحافلة أصبح بهذا الشكل معركة .

هل هذا معقول ؟ ..

اننا نذهب الى أوروبا ونرى الناس طوابير فى محطة الاوتوبيس فنقف معهم ونركب دون صعوبة .

ونرجع الى مصر فنتحول الى همج ونهجم جميعا علي الاوتوبيس ، ثم نشكو .

فهل المسئول هنا هو الاتوبيس ، أو مرفق مواصلات القاهرة ؟ ..

المسئول في الحقيقة هم نحن ..

وعندما نشكو من مواصلات القاهرة فنحن فى الحقيقة نشكو من انفسنا ، نحن نتصرف تصرف همج ثم نشكو من الهمجية . نحن نشكو من الفوضى ، والفوضى هى نحن ..

وفى هذه الحالة كيف تكون الدنيا بخير ، ونحن بأنفسنا نمحو منها الخير ونضع الشر .

هل استطعت ان أوضح نفسى ..

هل فهمت ما أريد ان أقول ..

لو وعيت عنى ما أقول لاحسست معى ان الدنيا بخير ..

وان الذى ليس بخير هم نحن ..

وما كان ربك بمهلك القرى وأهلها مصلحون

***

الدنيا بخير ..

اقولها لنفسى صباح مساء ..

وانا اقصد انها بخير اذا اردناها خيرا ..

ولا يمكن ان تكون خيرا ونحن نجعلها سوءا

وقبل ان نشكو من الدنيا ومن اخطاء الدنيا لننظر فى انفسنا ولنسائل هذه الانفس ونحاسبها قبل ان نحاسب الآخرين ..

هنا سنجد ان الدنيا فعلا بخير ..

عرفت فى حياتى جميع صنوف الناس، ولقيت ومازلت القى طبقات الناس جميعا من الوزراء الى عامة الناس ، وقد لاحظت ان المشكلة واحدة عند الجميع .

● لا تنس أنك في كل شيء ينبغي أن تعامل الله لا الناس. إن الله مطلع على كل ما تعمله. وأنت إذا عاملت الله وجدت نفسك أسعد وأقرب إلى الخير.

والى يومنا هذا لم يسدد ديونه ..
ما ضره لو كان انتظر حتى تجيء السيارة فى أوانها ؟ ..
انه كان يفكر بعقلية أبناء اليوم : يريدون كل شيء ، وفى الحال ، وبأى طريق ! ..

أذكر أول طبيب تخرج فى عائلتنا . كان اسمه سامى ، وتخرج سنة ١٩٣٦.
وكان تعيينه فى المحلة الكبرى ..
وهذا الدكتور سامى ترقى فى المناصب وافتتح عيادة في المحلة ، وكسب مالا كثيرا ، وانتقل الى القاهرة عندما جاء موعد انتقاله ، وافتتح هنا عيادة وكسب مالا أكثر ، ووصل الى أعلا المراتب فى عالم الاطباء ..
كل ذلك فى هدوء نفس وثقة فى الله وفى العمل الامين ..

ومن عامين تخرج فى عائلتنا طبيب .
وكان تعيينه فى المنيا .
وقامت الدنيا وقعدت ، لان الطبيب الشاب لا يريد أن يعمل فى المنيا . منازل الاطباء فى الوحدة الطبية لا تعجبه . وقد تعود ـ كما قال ـ على حياة الراحة فى القاهرة ، فكيف يعيش فى الريف وهناك بعوض كثير ، والاجر قليل ..
ـ يا بنى أنت فى مطالع حياتك . والانسان ينبغى أن يبدأ من البداية . واذا لم تذهب أنت الى المنيا التى يذهب اليها واحد مثلك ، فقال فى شيء من الضيق:
ـ لا أستطيع يا عمى ، لا أستطيع .. أنت لا تعرف الاحوال هناك ..
قلت : أما الاحوال هناك فأنا أعرفها جيدا ، ولكن الذى لا أعرفه هى الاحوال هنا ...
ـ ما تعنى ؟
ـ لا شيء ..
والحق أن الدنيا تغيرت كثيرا هنا ، فى مجتمعنا اقصد ..
لا أقصد الغلاء ، فقد كانت هناك دائما مشكلة غلاء الاسعار ،ولا أذكر قط يوما لم يشك الناس فيه من الغلاء ..

حتى فى الايام التى كان الناس يؤجرون فيها الشقة الواسعة بثلاثة جنيهات فهذه الجنيهات الثلاثة لم تكن اذ ذاك فى ميسور الكثيرين . أيامها كان خريج الجامعة يتقاضى ١٢ جنيها فى الشهر .
وحتى فى الايام التى كان القرش فيها يشترى لا أدرى كم بيضة كان الناس يشكون من الغلاء .

● لماذا لا ننتهز فرصة رمضان هذا ونعاهد الله على أن نبدأ حياتنا من جديد . نبدأها على أساس الخير لأنفسنا ولاخواننا ولوطننا . نبدأها على أساس التعاون وتبادل الخير . لنجرب ذلك فربما انفرجت كل أزماتنا وعرفنا معنى الحياة السعيدة.

ولايصدقنى الناس عندما اقول لهم ان شكوى الوزراء اكثر من شكوى غير الوزراء ..

فالوزير عندنا مرهق ، لا من العمل بل من الناس (*)

واذا ترك كل وزير لعمله يؤديه دون تدخل من الناس لفرغ كل وزير من عمله وكان فى بيته قبل الثانية عشرة بعد الظهر ، فلماذا يظلون فى تعب فى مكاتبهم الى الرابعة بعد الظهر ؟

الناس ..

الناس الذين لا يريدون الدنيا أن تكون بخير قط ..

لان الدنيا لكى تكون بخير فينبغى أن تسير على قواعد العدل والاخلاق .

وكل من يقصدون الوزراء برجاء أو التماس اما ان يكونوا يطلبون شيئا غير العدل والقانون والاخلاق (الاستثناءات اقصد) — او يشكون من اشياء غير العدل والقانون والاخلاق لحقت بهم من ناس مثلهم .

وامر الثانية هين ، فللوزراء مكاتب وسكرتاريين يستطيعون تقصى الحقيقة وابلاغ الوزير عن حقيقة الظلم الذى يشكو منه هذا المواطن أو ذاك .

ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى الاول وهى ان الناس يريدون من الوزير ان يخالف العدل والقانون والاخلاق لكى يحقق لهم مصالحهم وحدهم . وهل هذا معقول ؟ ..

موظف عام — هو الوزير — تولى لكى يكون عمادا من أعمدة القانون والعدل والاخلاق ، ونصر نحن على ان يتخطى القانون والعدل والاخلاق ..

فكيف والله نريد مع ذلك أن تكون الدنيا بخير .

اما عامة الناس فأؤكد لك انهم لو أرادوا الدنيا خيرا لكانت خيرا ..

فاذا لم تكن بخير فنحن المسئولون .

***

نحن الآن فى شهر رمضان ، وهو شهر مبارك ..

ونحن نصلى فيه ونصوم نسبح ونسأل الله ان يجعل الدنيا خيرا علينا وعلى قومنا ووطننا .

فماذا لو عاهدنا الله فى هذا الشهر على أن نجعل الدنيا خيرا بانفسنا ، باعمالنا ، بتصرفاتنا ، بنظرتنا الى الحياة ، هذا والله ممكن .

وكما قلت لك :

الارض بخير

والسماء بخير ..

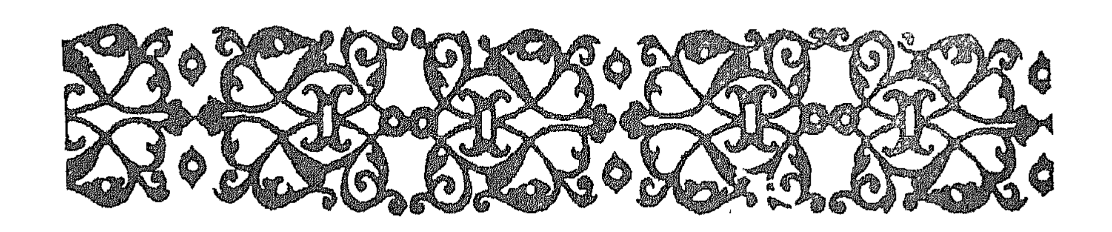
والذى ليس بخير هو ما بين السماء والارض : الانسان .

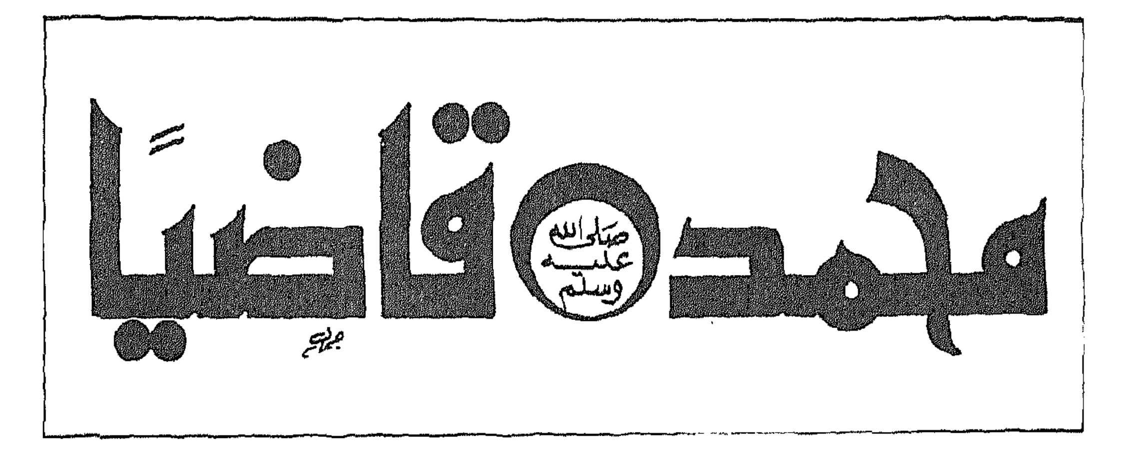
الانسان والذى هو انت اذا اراد أن تكون الدنيا بخير كانت بخير ..

واذا لم يرد فلن تكون بخير قط مهما صلينا ومهما صمنا ومهما تعبدنا .

●●

د . حسين مؤنس





● مصطفى الشهابي ●

● لم يتبع العرب في السياسة يسمح بوجود سلطة قضائية مسلمة تنفى المنازعات بين الافراد ، وانما كان شيخ القبيلة هو قاضيها ، اذ كان بيده السلطان على جميع افرادها ، وكان يحكم بينهم وفق العرف والتقاليد التى كانت تستمد غالبا من تجاربهم أو من معتقداتهم كما كانت تستمد أحيانا ممن جاورهم من الشعوب العريقة كالفرس والروم أو ممن كانوا يحتكون بهم من اليهود والمسيحيين .

وكان هذا العرف يختلف من قبيلة لاخرى ، كما انه لم يكن مدونا ، يضاف الى ذلك أن المتخاصمين لم يكونوا ملزمين بتطبيقه .

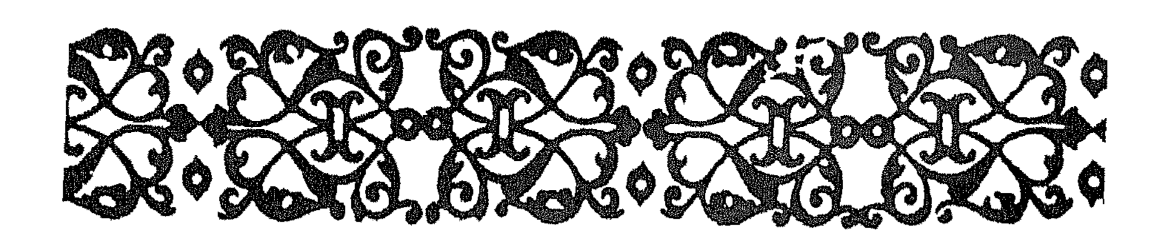
وكانت القضايا الكبرى توكل الى حكم عرف بجودة الرأى وأصالة الحكم مثل أكثم بن صيفى ، أو الى الكاهن كسطيع المعروف بسطيح الكاهن لاعتقادهم انه يستطيع اظهار الحق بمعرفته ، لان له ، كما زعموا تابعا من الجن يوقفه على كل شيء ، أو الى العراف الذى يعرف الامور عن طريق الفراسة والقرائن ..

وكانت منازعات العرب محدودة لاتتعدى الخلاف على المراعى أو موارد الماء أو المنافسة على الرئاسة والشرف ، وكانت الاخيرة تجر الى اشعال نار العداء ، كما حدث بين الاوس والخزرج ، وبين عبس وذبيان ، وبين ربيعة ومضر .. وفي مثل هذه المنازعات لم يكن حكم القاضى ملزما للمتنازعين ، كما لم يكن فاصلا فى النزاع بل كانت القوة هى صاحبة القدح المعلى فى انهاء النزاع .

من ذلك يتضح أن القضاء فى الجاهلية كان مضطربا لعدم وجود قوانين محددة وسلطة عليا تتولى تطبيقها .

غير انه وجدت فى مكة قبيل الاسلام نواة للقانون والقضاء والتنظيم «الحكومي» بفضل قبائل قريش حيث اقيمت دار الندوة للتشاور فى مهام الامور وفض المنازعات .

وقد تولى القضاء في ذلك العهد



كثيرون من بينهم هاشم بن عبد مناف ، وابنه عبد الله وابو طالب بن عبد المطلب والعاص بن وائل ..

ومما تجدر الاشـــارة اليه « حلف الفضول » الذى شهده الرسول صلى الله عليه وسلم فى شبابه ، وكان هدفه رفع الظلم وانصاف المظلوم والضعيف .

وكانت أهم العقوبات فى الجاهلية هى « الدية » لاهل المقتول وقطع يد السارق وقد أقرهما الاسلام .

● قبل البعثة :

عرف محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بالنزاهة وطهارة الذمة حتى لقبه سكان مكة « الامين » ، وهذا اللقب لم يقصد به أمانة يده فى شئون المال وحده ، بل هى الامانة المطلقة فى كل الامور ..

وفى الخامسة والثلاثين من عمره ، وقبل بعثته رسولا ، قضـت الحاجة بتجديد بناء الكعبة ، لتهدم بعض اجزائها ، فلما أجمع اهل مكة على اعادة اقامتها ، ثم بدأ البنيان وبلغ موضع الحجر الاسود ، هنا ثار جدال عنيف حول من يكون له الشرف فى وضـــع الحجر الاسود من قبائل قريش ..

ومكثت قريش يتهدد بعضها البعض ، ولكن شيخاً من أشـياخهم قال لهم : « يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه » ..

واخذ المتخاصمون بهذا الراى ، وما لبثوا حتى راوا شابا قادما ، فلما عرفوه هللوا جميعا وقالوا : « انه الامين » .. رضينا به حكما يقضى بيننا » .

فلما اخبروه الخبر ، طلب منهم ثوبا نشره على الارض ووضـــع عليه الحجر الاسود ثم دعا زعماء كل قبيلة الى أن يأخذ كل منهم بطرف من اطراف الثوب وأن يرفعوه حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده .. وبذلك كان حكمه وحسن تصرفه مرضيا للجميع .

● بعد البعثة والهجرة :

وبعد بعثته وعقب هجرته صـلى الله عليه وسلم الى المدينة ، تـولى سـلطة القضاء وتطبيـق نصـوص التشريع الاسلامى ، مستمدا ذلك من الله سبحانه وتعالى ، اذ يقول « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهـواءهم فيما جاءك من الحق » ، فاذا قام بين النـاس نزاع أو عرض لهم حادث ، ذهبـوا من تلقـاء أنفسهم ليحتكموا الى الرسـول الكريم ، تارة وبأقواله وأفعاله تارة أخرى .. فيحكم بينهم بما ينزل عليه من الوحى

● المساواة بين الخصوم :

وكان عليه السلام لايحابى احدا من الخصـــوم ، ويروى انه قال لمن اذن لهم بالقضاء : « سو بين الخصمين في لحظك ولفظك ، فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضى حتى تسـمع كلام الآخر كما سمعت كلام الاول ، فانه احرى ان يتبين لك وجه القضاء » .

كما نهى عن أن يحكم القـاضى وهو غضبان .

● الحكم بالظاهر :

وكان الرســـول يحكم فى جميـــع المسائل التى تعرض عليه وفق الدليـل

الذى يثبت الدعوى ولو كان ظاهرا على خلاف الواقع ، اذ كان يقول « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » ، فقد جاءه رجلان يختصمان فى مواريث بينهما قد ضاعت معالمها وليس بينهما بينه ، فقال الرسول الكريم :

« ... **انما أنا بشر ، ولعل بعضكم الحن (أى أذكى وأقدر على البيان) بحجته من بعض ، وانما اقضى بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما اقطع له قطعة من النار يأتى بها اسطاما (حديدة عريضة الرأس تحرك بها النار) فى عنقه يوم القيامة .**

فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : « حقى لاخى .. » فقال الرسول الكريم : « أما اذا نقوما فاذهبا فلتقتسما ثم توخيا الحق ، ثم استهما (أى اقترعا) ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » ..

● **عدم اسقاط الحد :**

أراد الرسول الكريم اقامة الحد على امرأة مخزومية سرقت ، فخاطبت قريش اسامة بن زيد ليكلم الرسول فى اسقاط الحد عنها ، فقال صلوات الله عليه : « أتشفع فى حد من حدود الله .. » ثم قام فخطب قائلا : « يا أيا الناس ، انما ضل من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

● **البينة من طرق الاثبات**

وكانت البينة من طرق الاثبات عنده هى مايبين الحق ويظهره » اذ يقول : عليه الصلاة والسلام والبنية فى الشرع « البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه » أما اليمين فكان الحلف بالله ، اذ كانت قريش تحلف بآبائها فقال : « لا تحلفوا بآبائكم » .

● **شهادة الشهود**

وكانت شهادة الشهود من طرق الاثبات كذلك ، وكان صلوات الله عليه يقول : « أكرموا الشهود فان الله تعالى يحيى بهم الحقوق » .

وقد بين الرسول من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته ، قال « لا تجوز شهادة خائن ـ فى الدين أو المال أو الامانة ـ ولا خائنة ولا زان ولا زانية ، **ولا ذى غمر (بكسر الغين ،الحقد والغل) ـ على اخيه ، ولا مجلودا حدا ، ولا مجرب فى شهادة ولا القانع (أى الخادم أو التابع أو الاجير) لاهل البيت ، ولا ظنين (كل من لايوثق به) فى ولاء ولا قرابة»**

ومن ثم أوجب الفقهاء رد كل شهادة أصاب بها الشاهد مغنما (أى نفعا) أو دفعت عنه مغرما (ضررا) .

● **القيافة :**

وكانت القيافة ، قيافة البشر لا قيافة هى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين الاثر (ويقال لها العيافة) وقيافة البشر على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وفى سائر أحوالهما واخلاقهما .

الرسول الكريم دخل عليها وهو مسرور روت عائشة رضى الله عنهما أن وذكر لها أن مجزرا الاسلمى (وهو قائف) دخل فرأى اسامة بن زيد (وكان اسود) وزيدا بن حارثة (وكان أبيض) وعليهما قطيفة غطت رأسيهما وبدت أقدامهما عارية ، فقال : « ان هذه الاقدام بعضها من بعض » . وبذلك زال قدح البعض فى نسب اسامه لكونه أسود وأبوه أبيض ، وكان منشأ سواده من أمه أم أيمن الحبشية .

● **القسامة :**

القسامة (بفتح القاف والسين) وهى ان يقسم خمسون من أولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم اذا وجدوه قتيلا بين قوم ولم يعرف قاتله ، فان لم يكونوا خمسين اقسم الموجودون خمسين يمينا ، على الا يكون فيهم صبى ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد .. أو يقسم بهاالمتهمون على نفى القتل عنهم . فان حلف المدعون

استحقوا الدية وان حلف المتهمـون لم تلزمهم الدية .

● **اهمية الراى العام :**

تجيز الشريعة ان يلجأ المظلـوم الى الحيل المباحة ليتخلص بها مـن اذى غيره وظلمه روى فى عهد الرسول الكريم انه جاء اليه رجل وقال « يارسول الله ان لى جارا يؤذينى » فقال الرسول : « انطلق فاخرج متاعك الى الطريق ».

فانطلق الرجل واخـرج متاعه ، فاجتمع الناس اليه وسالوه ماشانه ، فقال : « ان جارى يوذينى ! فجعلوا يقولون » اللهم العنه ، اخـرجه من رحمتك ! « فبلغ الجار ذلك ، فـاتاه واسترجاه ليعـود الى منزله ، وتعهـد بالايؤذيه ابدا .

فالرسول بارشارته هذه ، دفع الناس الى السؤال عن السـبب فاذا علمـوه لامواالمـؤذى ونصروا المتضرر ، وللرأى هذه قوته الدافعة المانعة .

المبادىء المقررة فى التشريع الامريكى انه « من الافضـل ان يطلـق سراح عشرة مجرمين ، عـلى ان يدان برىء واحد ».

وقد سبق للرسـول الكريم هـذه القاعدة التشريعية بعدة قرون عندمـا قال : « ادراوا الحدود عن المسـلمين ما استطعتم ، فان كان له مخـرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطىء فى العفو خير من ان يخطىء فى العقوبة».

● **القضاء فى الاجزاء البعيدة :**

ولما انتشر الاسـلام فى الجزيرة العربية ، جعل الرسول القضـاء جـزءا من الـولاية يقوم به الوالى ، وكان الرسول يتخذ الولاة من اكفا اصحابه قوة ونشاطا وامانة .

ويروى ان ابا ذر الغافقى ، وكان من اوائل من اسلموا ، كما كان مـن كبار ائمة الحديث ـ قال : « يارسول الله ، الاتستعملنى ؟ » فضرب الرسول بيده على منكبه ثم قال : « يا أبا ذر انك ضـعيف وانها امارة وانهـا يوم القيامة خزى وندامة الامن اخذ بحقها وابدى الذى عليه فيها »

وعندما عين الرسول « معـاذ بـن جبل » واليا على اليمن ، ســاله الرسول عن السنن الذى يسير بمقتضاه فى ولايته ، فاجاب :« بالقرآن» ولما ساله « فاذا لم تجد فيهـا حكما ؟ » قـال : «عندئذ اعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم »

فعاد الرسول يساله مرة اخرى : « فاذا لى تجد فيها حكما ؟ » قال : « اذن ارد الامر الى عقلى »

فرفع الرسول يديه الى الســماء وقال : « الحمد الله الذى يهدى مبعوث رسول الله كما وكيف يشاء »

وكان يوصى الولاة ان يجعلـوا يوم الحسـاب ماثلا امام اعينهم ، وأن يحذروا غضب الله ، وان يحكموا بين الناس بالحق ولايتبعون الهوى ، وأن يكون القانون واحدا للجميع ، والجميع أمام القانون سواء .

● **تنفيذ الاحكام :**

وكان الرسول يقضى وينفذ ما يقضى به اما بنفسه أو بمن ينتدبه للتنفيذ ، ولم يكن للتنفيذ نفر معين لان المسلمين كانوا جميعا جندا ، على كل واحـد منهم ان يقوم بما يكلف به .

وكانت العقوبات تنفذ علنا سواء اكانت قتلا او رجمـا .. الخ وكان النفى من بينها ، وقد ورد ان الرسـول الكريم نفى الحكم ابن ابى العـاص من المدينة الى الطائف .

ولم يكن السجن بمعناه الموجـود اليوم معروفا فى زمن الرسول ولا فى ايام ابى بكر ، بل وجد فى عهد عمر عندما اتسعت الدولة ، وقـد كان الحبس عبارة عـن تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء اكان فى بيت أو مسـجد ، ويعهد به الى الخصم او من ينيبه عنه فيلازمه . ●●

● عالم يفتح باب الاجتهاد ●



● محمد سعاد جلال ●

اختلفت اقوال الفقهاء فى رجم الزانى المحصن فذهب اكثرهم الى اثباته ، وذهب الخوارج و « النظامية من المعتزلة » الى عدم رجمه ونحن معهم ، لانه ليس فى القرآن ثبوت الرجم عليه، اذن فمسالة الرجم هذه مسالة مختلف فيها ، وليست ثابتة بالقرآن ، فهى مسالة اجتهادية ظنية يجوز تبدل الراى فيها للمجتهد باختلاف العصور ـ واما المثبتون لها فمعتمدهم السنة من قبيل خبر الاحاد الظنية ، نعرض لكم الآن ادلتهم ، لنكر عليها بالنقض والابطال ، واليكم مسار الحديث .

الرابع : استدلوا بما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال: « ان الله بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحق وانزل عليه الكتاب ، فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقرأناها وعقلتها ووعيناها ، ورجم رسول الله ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل : لانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله تعالى . فالرجم حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أوكان الحبل اوالاعتراف ـ وقد قرىء بها « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » .. والفقهاء يعدون أن هذا النص كان من القرآن وانه قرآن نسخ لفظه وبقى حكمه ، يعني نسخت قرآنيته ولفظه المتعبد به، وبقي الحكم الشرعي الثابت به وهو ايجاب الرجم على الزاني المحصن .

بهذه الاحاديث استدل اصحاب المذاهب التقليدية على اثبات الرجم ، لم تحيروا فى وجه تعطيل النص القرآنى المقطوع به من تناول الزانى المحصن كما تناول الزاني غير المحصن فانقسموا فى التماس المخرج من هذه الحيرة قسمين :

قال بعضهم : ان هذه الاحاديث مخصصة النص القرآني ، كما اشار لذلك « الزمخشرى » فى تفسيرة .

وقال بعضهم : انها ناسخة له كما صرح بذلك ابن قدامة الحنبلي ـ صاحب

● لم يرد في النص القرآني تحديد رجم الزاني المحصن .. والتحديد أخص خواص النصوص القرآنية.

المثنى .

ولما لاحظ فريق ثالث نبو هذا التفكير وهو تحكيم السنة فى نص القرآن الصريح عن مذاق العقل ، اذ لايجوز تسليط الدليل الاضعف على حكم الدليل الاقوى .

قالوا : ان حد الزانى مجموع الامرين : الجلد اولا ثم الرجم ثانيا ، الجلد بكتاب الله،والرجم بسنة رسول الله كما رايت .

ولما كان هذا القول يحتمل من القسوة والخروج عن المألوس من مسالك التشريع فى العمل على مقدار الحاجة التشريعية لتحقيق ما يتم به الزجر دون ارادة التعذيب للجانى ، وكان معارضا يكون النبى رجم ولم يجلد من باشر حدهم ـ فقد اختفى هذا القول من بين المذاهب التقليدية المعمول بها بين عامة المسلمين ، واستقر القول عند اصحاب هذه المذاهب على ان حد الزانى المحصن انما هو الرجم فقط ، ثم لم يكن لهم فى ذلك حجة الا السنة ، والدعوى بكونها ناسخة أو مخصصة للقران .

● نقض هذه الادلة ●

وكل من المسلكين باطل عندنا من وجوه :

الاول : اننا لا نجد من قبيل صحة البيان وفصاحة القرآن ويسر البلاغ عن الشارع ، ان يرد نص قانونى يفترض فيه التحديد ، والتحديد اخص خواص النصوص القانونية ويكون هذا النص دالا على الحكم فى صورتين بحسب دلالته الوضعية اللغوية القطعية ، ثم نفسره على انه مفيد لمعناه فى احدى الصورتين ، معطل فى الصورة الاخرى ولماذا ؟ اذا لم يستطع الفقهاء المعطلون لعمل النص فى احدى صورتيه الشامل لكليهما وضعا ان يبرزوا لنا حكمة تبرر مجىء النص على هذه الصورة غير المحددة ، فمن حقنا ان تمنع تعطيل حكم النص فى الحالة التى يعمدون هم لتعطيل حكم النص فيها وهى حالة الزانى المحصن ـ موضوع البحث .

لان فى ذلك اعتماد صحة البيان وفصاحة القرآن لكن الفقهاء لم يبينوا لنا فى عدول الاسلوب القرآنى عن التحديد فى هذه المسالة المتعلقة باعدام الانسان ـ حكمة سائغة ـ فلا يلزمنا اذن العمل باقوالهم فيها.

الم يكن من السهل ، وما هو اقرب الطاعة وراحة القلب عند التنفيذ ان يأتى لنص محددا ناصا على الصورة المطلوبة دون غيرها ..

نعود بكم لتذكر « المقدمات » فنقول ان لفظ « الزانى » ـ كما علمتم ـ لفظ « عام » فهو شامل لجميع الافراد الموصوفين بالزنى على جهة القطع فلا يصح ابتداؤه ب « التخصيص » الا ان أن تكون اداة هذا التخصيص دليلا قطعيا يساوى اللفظ العام فى قطعيته دلالته على عامة افراده لان هذا الدليل المرا به تخصيص العام ان لم يكن دليلا قطعيا ، كان دليلا ظنيا والدليل الظنى اضعف من الدليل القطعى ، فهو من جهة هذا الضعف قاصر عن معارضة القطعى فى بعض افراده عاجز عن انتزاعها من تحت حكم العام المسلط عليها يعنى عاجز عن تخصيصه المدعى .

وبناء على ماذكرنا الان وعودا المقدمات ـ نقول أن جميع الاحاديث التى استدل بها مثبتوا الرجم لتكون اداة لتخصيص هذا العام القرانى لاتصلح اداة لتخصيصه لانها جميعا من قبيل

اخبار الاحاد والظنيات وهذا باعترافهم والظنيات لايخصص العموميات القطعيات بالاتفاق . فبقى قوله « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » مستمرا على عمومه موفرا على أصل دلالته مثبتا لحكم الجلد فقط فى الزانى غير المحصن والزانى المحصن على سواء ، لا يعطله عن اثبات عموم حكمه فى كل من الصنفين شىء كما لا يجوز ان يزاد على مقتضاه من الحكم شىء بدليل ظنى ، فيكون مايزاد على مقتضاه من الحكم زيادة على النص بغير دليل معتمد .

والزيادة على النص نسخ عند الحنفية فتكون باطلة أصلا فبطل ماادى اليها وهو تخصيص العام القطعى بخبر ظنى كما يذهب اليه اولئك .

الثالث : فاما الذاهبون الى ان الأحاديث المذكورة ناسخة للنص ــ كما فعل ابن « قدامة » ــ « فى المغنى » فهؤلاء موقفهم اضعف فى الاستشفاع بهذه الاحاديث ممن ارتكزوا فى القول بكونها مخصصة للنص لان الاصل فى نظم القران وحكمه عدم النسخ .. اما التخصيص من العموم فامر تاذن به العادة فى جريان الخطاب عند قيام سببه .

وفى نفس المنهج الذى ابطلنا على سوائه القول بالتخصيص نبطل الان دعوى النسخ فنقول : لا يجوز نسخ القران بالسنة مطلقا سواء كانت سنة « متواترة » او كانت سنة « آحاد » ــ وذلك مذهب الشافعى « ــ رضى الله عنه ــ وهو الراى الصحيح الذى نعول عليه .. لان شرط جواز النسخ المساواة فى قوة الدليلين بين الناسخ والنسوخ والسنة لا ترتفع فى ثبوتها لمستوى قطعية ثبوت القرآن متنا وطريقا .

وعند الحنفية الذين يجوزون نسخ القران بالسنة على ضعف مذهبهم فى ذلك يشترطون فى السنة الناسخة لنص القران ان تبلغ فى قوة ثبوتها حد « التواتر » المفيد لليقين لا الظن ، وما ذكروه من الاحاديث ــ كما تكرر القول ــ هو خبر احاد ظنى الدلالة ، لاينهض لنص القرآن القطعى عند المعارضة له ولا يقوى على نسخة بحال .

واذا كان الامر كذلك فقد بطلت دعوى النسخ على اصحابها كما بطلت دعوى التخصيص من قبل القائلين بها .

الرابع : وقد تنبه بعض العلماء الى ضعف ادلة أصحاب المذاهب التقليدية فى أصل هذه المسالة واقر بأن الاحاديث الواردة فى اثبات حكم الرجم انما هى احاديث « احاد » وانها لا تثبت « الحدود » ــ التى لا تثبت الا بالادلة القطعية ــ على مذهب الحنيفة كما ذكرنا فى « المقدمة الرابعة » فتحيل فى الاستدلال لاثبات المطلوب الى اتخاذ طريق آخر .

قال ان الاحاديث الواردة فى اثبات الرجم هى أخبار احاد ظنية لا تثبت بمفردها حكم الرجم الذى لا يثبت الا بقاطع لكنها تقول ان الاجماع انعقد على العمل بمقتضى هذه الاحاديث والاجماع حجة قطعية فيسند حكم الرجم حينئذ الى دليل الاجماع القطعى لا الى « السنة الظنية » السابقة على الاجماع فان مستند الاجماع يجوز أن يكون ظنيا بينما يكون الاجماع الثابت به قطعيا .

قال : ولا عبرة بمخالفة الخوارج للاجماع .

وكان هذا الكلام خاتمة المطاف فى استدلالات اصحاب المذاهب التقليدية لتاييد حكم الرجم .

قلت : ولست مقتنعا بما ذهب اليه هذا العالم « وذلك لوجهين » احدهما: انه لا عبرة بقوله « لاعبرة بخلاف الخوارج فى ثبوت الاجماع : فان « الخوارج » قسم من الامة التى ينعقد الاجماع بها ولا ينعقد بدونها لانهم لم يزالوا مسلمين ولم ينقلوا عن الاسلام ابدا ، ولا يخرج عن الامة التى ينعقد بها الإجماع الا أصحاب البدع المكفرة المنكرين لشىء من المعلوم ثبوته

● جميع الأحاديث النبوية التى استدل بها مثبتوا الرجم لا تصلح لأنها جميعا من قبيل أخبار الآحاد والظنيات.

عن صاحب الشرع بالضرورة «كالسبابة» القائلين بأن الله حل فى شخص على ابن ابى طالب ــ عليه السلام ــ « والقرامطة » القائلين باسقاط التكاليف الشرعية عن العالم ــ فهؤلاء وهؤلاء وامثالهم فى الكفر هم الخارجون عن مسمى الامة الذين ينعقد اجماع الامة باسقاطهم .

اما « الخوارج » فلم تكن بدعتهم مكفرة لهم اصلا لانهم لم ينكروا معلوما من الدين بالضرورة ،وانما كانوا أصحاب آراء سياسية خالفوا فيها الجمهور وقاتلوا عليها الدولة ، وهذا لا يقتضى عزلهم عن الامة وتصحيح الاجماع بدونهم . فليس يصح ان يتم الاجماع الا بهم وانهم لمسلمون وخلافهم فى صحة اثبات حكم الرجم خلاف معتد به ويجب التعويل عليه بل يجب بأن الخوارج كانوا من اصدق الناس اسلاما

ونشبه هنا الى ان حكمنا على عقيدة « الخوارج » لا يجوز ان يستمد من اقوال معاصريهم فيهم ، من اهل السنة « والشيعة » الذين هم من خصومهم فان هؤلاء وهؤلاء محمولون على قوارب العصبية وارادة التجريح التى تمنع الثقة بهم ــ انما نستمد حكمنا على عقيدة الخوارج من النظر الموضوعى لعقائدهم الثابت نقلها عنهم فى ضوء قواعد الاسلام الاساسية واحكام الشريعة الصحيحة المقررة بعيدا عن تأثرنا بخليط الموروثات التاريخية التى وصلت الينا حاملة رواسب الاحقاد المذهبية .

وباعمال هذا النظر وحده فى عقائد « الخوارج لا يملك أحد القول بأن هذا القسم من المسلمين ، كانوا ــ والعياذ بالله ــ كفارا معزولين من امة الاجماع

الثانى : سلمنا جدلا ، لهذا العالم « بان الاجماع منعقد بلا اعتبار مخالفة الخوارج له ــ لكنا نقول : أن احتياله على تسخير الاجماع لغرضه قد اوقعه فى مغالطة شنيعة بالنسبة له ، ذلك ان الاجماع حين يواجه النص الذى هو قوله تعالى :« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » على جهة المعارضة له ، يعد ناسخا له وقد أجمع « الاصوليون » على ان الاجماع لا يكون ناسخا للنص اصلا لان حصول النسخ لا يكون الا فى حياته ــ عليه الصلاة والسلام ــ والوحى ينزل عليه ولا ينعقد الاجماع مع وجوده ــ عليه الصلاة والسلام ــ لان الراى فى الشرائع مفوض اليه عند وجوده واهل الاجماع مع وجوده تابعون له فى حكمه فلا يتصور الاجماع منهم فى حياته ــ عليه الصلاة والسلام ــ لانفراده بالراى دونهم فوجودهم فى حكم العدم فاذا قبض ــ عليه الصلاة والسلام وانقطع الوحى بموته ــ انقطع النسخ ، ولا ينعقد الاجماع الا بعد موته ، صلى الله عليه وسلم

فحيث يحتمل حصول النسخ ينعدم الاجماع ــ وحيث يحتمل حصول الاجماع ينعدم امكان النسخ .

لايتعين رجم الزاني المحصن حداً في شرع الاسلام

فقد بطل اذن اثبات حد الرجم بطريق الاجماع

قال قائل : فاذا امتنع ان يكون الاجماع ناسخا في هذه الحال فلايمتنع ان يكون مخصصا للعموم ، وقد صرح « الاصوليون » بجواز أن يكون الاجماع مخصصا للنص العام .

والجواب هوان : الاجماع منه ماهو قطعي كالاجماع القولي ، اذا وصل الينا بطريق قطعي ، ومنه ماهو اجماع ظني كالاجماع السكوتي ، او الاجماع الواصل الينا بطريق ظني على ما فصله فخر الاسلام « البزدوي » ـ رضي الله عنه .

نقول فالاجماع الذي يخصص عام الكتاب يتعين ان يكون اجماعا قطعيا تقاوم قطعيته قطعية نص الكتاب العام لا الاجماع الظني الذي يقع من حيث الثبوت موقعا دون هذه المرتبة الثابتة للنص العام من القرآن .

اذا عرفت هذا فان الاجماع المدعى هو اجماع ظني لان مخالفة «الخوارج» « والنظامية» اذا تجاوزنا موطن التحقيق والحق كل التجاوز فقلنا : ان هذه المخالفة من هاتين الفرقتين لا تبطله ابطالا ، فلابد ان تورثه شبهة فادحة تنزله عن درجة القطعية الى درجة الظنية لان الاجماع القطعي هومالايعرف له مخالف من الامة اصلا .

الوجه الخامس : فاما المروي عن عمر بن الخطاب : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله « **على انه قران نسخ لفظه ، وبقي حكمه فهو من ابطل الباطل .**

اولا : لانه يستحيل في حكم الذوق البلاغي ان يكون هذا الكلام من نظم القران على مافيه من سوقية الاداء وركاكة النظم وعدم استواء الوضع في هيئة التركيب : ولو قارنا هذه الجملة من الكلام بآية من القران في مدار البلاغة والجلالة والاشراق لكان الفرق بينهما كالفرق بين نجوم السماء المضيئة وحصى الارض المطرح على قارعة الطريق « افلا تعقلون »

ثانيا : لايثبت كون النظم قرآنا الا بقاطع لانا اشترطنا حصول النقل « المتواتر » في صحة ثبوت وصف القرانية للكلام المدعى قرانية وهذه الجملة المذكورة غير منقولة عن صاحب الوحي بطريق « التواتر » فيمتنع ان تكون في اصلها قرانا .

واما الاسناد الى « عمر » فهو من قبيل خبر الاحاد الظني الذي لا يثبت لها صفة القرانية .

واما نسخ المتن القرانية فلا يثبت الا بقاطع ـ ايضا ـ لان قرانيته تثبت بقاطع ـ ايضا ـ لان قرانيته لا تثبت الا بقاطع مسار له .

ثالثا : منع كثير من المحققين هذا القسم من النسخ : وقالوا ان الحكم تابع اللفظ لانه متضمن له فنسخ اللفظ يتضمن نسخ الحكم التابع له واما نسخ اللفظ م عبقاء الحكم فهو مما لا تظهر فائدته

واذن فقد امتنع في حق هذه الجملة المشوهة ان تكون قرانا اولا وان تكون قرآنا منسوخا ثانيا . وامتنع الاستدلال بها على صحة اثبات الرجم المدعى لهم ثالثا :

الوجه السادس : لو كان الرجم مشروعا مع الجلد ، أو بديلا عن الجلد لوجب على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند تلاوة الاية أن ينبه عليه الصحابة لئلا يعتقدوا عند سماع الاية ان الجلد فقط هو كمال الحد ، ولو حصل ذلك لكان اشتهاره مثل اشتهار الاية ، فلما لم يكن خبر الرجم بهذه المنزلة من الاشتهار الداخل في حد التواتر بل كان وروده من طريق خبر الاحاد ، علم انه غير معتبر ، الا ان يقال ان تمام الحد كان وقت نزول الاية ـ هو الجلد مائة فقط للبكر ، والثيب ، لكن طرأ حكم الرجم بعد ذلك من الزمان من طريق السنة .

● لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن أجاز جلد الزانى المحصن ثم الرجم كما تقول بعض المذاهب التقليدية.

والجواب عندنا على هذا القبل المفترض من طريقين :

أحدهما : ان ذلك لو حدث يكون نسخا للقرآن بسنة غير متواترة وقد بينا مافيه .

وثانيهما : ان ذلك لو توهمنا حصوله لكان منافيا لاسلوب النسخ عند جماعة من العلماء يوجبون كون النسخ انتقالا من الحكم الاشد للحكم الاخف لاالعكس تحقيقا لفائدة النسخ ، ولقوله تعالى : «مامانسنخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها » فلو قلنا بمجيء حكم الرجم متاخرا عن حكم الجلد ناسخا له ، لكان على عكس ماذهب اليه هؤلاء مضعفا بادلتهم .

الوجه السابع : نقل « الفخر الرازى » — فى تفسيره هذا الحديث ان «شيخا وجد على على بطن جارية يفجر بها فى خربه ، فاتى به الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : « اجلدوه مائة » فقيل انه ضعيف على ذلك، فقال « خذوا مثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله » .

ووجه الدلالة بهذا الحديث : ان النبى — عليه الصلاة والسلام — لم يستفصل فى شان هذا الرجل عما اذا كان محصنا او غير محصن وامر بجلده مائة جلدة ، ولو كان الحد يختلف فى صفته بين حال المحصن وغير المحصن لما ترك النبى الاستفصال عنه لانه طريق ايقاع الحد على الوجه الصحيح ، فمن حيث ترك النبى الاستفصال . فى هذه الحال ، فقد دل فعله ذلك ظاهرا على ان الحد الواجب على الزانى انما هو الجلد فقط — لا الرجم — على من كان بكرا ، ومن كان محصنا بلا فرق .

بل يذهب الظن الى ان مثل هذا الشيخ يكون محصنا لان الغالب فى شان من بلغ الشيخوخة ان يسبق له زواج — لاسيما رجل لم تنقطع شهوته مع انتهاء الشيخوخة به لضعف الجسد كما هو مذكور فى الحديث .

الوجه الثامن : قوله — عليه الصلاة والسلام — « ادرؤوا الحدود بالشبهات » : وهو حديث وقع الاجماع على العمل به عند الفقهاء وهو فى نظرنا قطعى الدلالة من حيث معناه ، بمنزلة « المتواتر » وان اختلف عنه بان كان المتواتر يفيد علما ضروريا بمعناه ، وهذا يفيد بمعناه علما استدلاليا .

وانما اعتبرناه كذلك لان معناه متقرر فى ثنايا القرآن فى الآيات التى تفيد نفى العمل بمقتضى الظن ، وان الظن لايغنى من الحق شيئا ، وفى قوله « ولا تقف ماليس لك به علم » . فهذه المعانى الجزئيات فى تلك الآيات المتعددات يجمعها معنى كلى : هو عدم الحكم بشيء تعترضه الشبهة : لانه ظن وقفو ماليس للانسان به علم ، فجاء الحديث المذكور صياغة كلية للمعنى القطعى المتقرر فى القرآن ، فاستمد منه قطعية المعنى الذى أفاده ؟ وهو ملحظ دقيق رائع أصله « الشاطبى » وتابعناه عليه .

● للبحث بقية ●

أحمد رامى
عصر من الحب والغزل

● صالح جودت ●

لعله لم يحب شاعر شاعرا كما احب الشاعر الكبير صالح جودت ، الشاعر احمد رامى ..
ولقد توفر صالح جودت طيلة حياته على دراسه تاريخ وحياة وشعر احمد رامى ، وكانا من اعز الاصدقاء ..
ومن مفارقات القدر ان الدراسة القيمة التى كتبها صالح جودت عن احمد رامى لم يتح لها الظهور حتى الان ، فقد رحل صالح جودت قبل ان يقدمها للنشر ..
واليوم فى موكب الحزن مع رحيل احمدرامى نقدم هذا الفصل الممتع من هذه الدراسة الرائعة تحية الى الشاعرين المحبيبين فى عالم الخلود ..

● ما احببت فى حياتى شاعرا قدر ما احببت رامى .
ولا حاربت فى حياتى شاعرا قدر ما حاربت رامى .
وقصة هذه الحرب انه من ربع قرن ، كان كلما لقينى قال لى :
اهل بالشاعر الذى لم يزجل !

ذلك اننى الى ذلك العهد لم اكن قد مارست فن كتابة الاغنية الدارجة بعد ، وكنت احس ان رامى يفخر بى اذ يقول لى عبارته تلك ... واحس فى الوقت ذاته انه حزين النفس ، اذ اضاع زهرة العمر فى نظم الاغنية الدارجة ، وهى ضرب من الزجل ، حتى عرفه الناس بها اكثر مما عرفوه شاعرا ، على حين ان الله قد خلقه شاعرا واجزل له العطاء فى موهبة الشعر ، ولمع اسمه فى أوائل العشرينات ، حتى خيل للناس الا خليفة لامير الشعراء غيره .

ولكن القدر شاء له ان يلتقى بام كلثوم ، فى منتصف العشرينات واذا هو يضعف امام سحرها وتلين موهبته لالهاماتها ، فينصرف عن الشعر الى نظم الاغنية الدارجة لها ، وتستمرىء عاطفته مرعى ذلك الصوت الخصيب ، حتى يكاد ينسى نفسه وينسى موهبته الاصيلة ، وينسى ما جبل عليه وما خلق له قربانا لوتر ام كلثوم ..

***

ومهما يكن من امر فان رامى فى نزوله من قمة الشعر الى سهول الاغنية الدارجة ، لم يهبط عبثا وانما حمل رسالة ادبية وقومية ضخمة . هى رسالة الوثوب بالاغنية الدارجة من السفوح الى القمم ، فى الكلمة والمعنى معا ، واستطاع ان يطوع الصور

والمعانى الشاعرية العالية للكلمةالعامية وان يرقق عواطف العامة بالشجى والانين والذكريات وغيرها من الكلمات التى تخلق الصور ، والتى لم تعهدها الاغنية الدارجة من قبل، حتى صارت اغنية رامى مميزة على كل اغنية غيرها بشيء جديد هو قربها الى الشعر ، وحتى أصبح رامى زعيم مدرسة فى الغناء ، لم يتاثر بها المؤلفون المحدثون وحدهم ، وانما امتد تاثيرها الى روح اللحن وحنجرة المغنى ايضا !..

اقول : ما حاربت فى حياتى شاعرا قدر ما حاربت رامى ...

ذلك انني عرفته منذ ثلاثين سنة وصاحبته منذ عشرين سنة ، ولازمته ملازمة الظل للظل منذ عشر سنوات، لا يطيب لأحدنا يوم الا اذا سمع صوت الاخر ، ولا تصفو لاحدنا ليلة الا اذا ساهر الآخر .

وفى خلال هذه السنوات العشر ، حرضته على نفسه ليقاومها ، واوغرت صدره على هواه ليقوى عليه ويغلبه ، وغايتى من كل ذلك ان يخلص رامى من الكلمة العامية والاغنية الدارجة ويخلص لوجه الشعر وحده ، ويرتد الى ما جبله الله عليه وخلقه له .

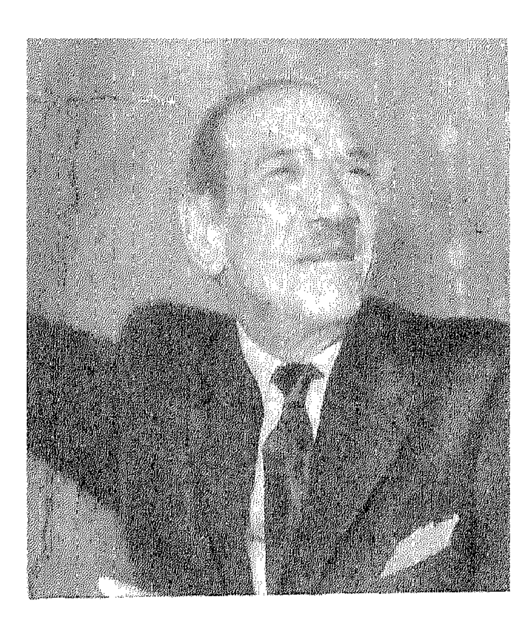
واحسب اننى انتصرت فى هذه الحرب نصرا مطردا بدأ بالقليل وانتهى الى الى الكثير . ولا احسبنى مخطئا اذا قلت ان ما نظمه رامى فى السنوات الاخيرة من الشعر ، يعدل كل ما نظمه فى حياته او يزيد .

وقد لا يزيد فى الكم ، ولكنه يزيد فى الكيف الف مرة ومرة ...

وهكذا ارتد رامى ..

ارتد عن الكلمة الدارجة الى الكلمة الفصحى وما هى بردة ، وانما هى عودة الى الايمان بما خلق من اجله ، وقد خلق ليكون على القمة التى يقف عليها اعلام الشعر العربى فى هذا الجيل ...

ولست اعرف بين سير الشعراء سيرة اكثر شاعرية من سيرة رامى الشاعر الذى انتقل من مروج النرجس



فى جزيرة « طاشيوز » اليونانية الى الحياة بين القبور فى حى الامام ، ثم الى مجامع المتصوفين فى حى الحنفى، ثم الى عشرة الخيام تحت اضواء باريس ، ثم الى الفردوس الذى مدته لخيالة ام كلثوم !!

***

وفى يوم من ايام اغسطس (آب) سنة ١٨٩٢ خرج احمد الى النور فى بيت عريق بحى الناصرية بالقاهرة ، ابوه محمد رامى - لايزال يومئذ طالبا بمدرسة الطب ولد احمد وانغم ملء اذنيه يذكر فيما يذكر من خيالات طفولته الاولى ان جماعة من اهل الفن والطرب كانت تلتقى دائما فى منظرة بيت ابيه وان اباه كان شغوفا بالفن .

فلما تخرج الاب من مدرسة الطب اختاره الخديو عباس ليكون طبيبا لجزيرة طاشيوز وهى جزيرة صغيرة على مقربة من قولة ((مسقط راس محمد على ، وكانت يومئذ من اعمال تركيا ، وهى اليوم من اعمال اليونان

وكانت هذه الجزيرة ملكا خاصا لعباس الثانى والى هذه الجزيرة ذهب احمد مع ابيه ، وقضى عامين كاملين ذهب وسنه السابعة ، وعاد وسنه التاسعة وهذه سنوات التفتح فى براعم الاخيلة . وهكذا تفتح برعم خياله على **غابات اللوز والنقل والفاكهة والبحر**

والموج والشاطيء وكانت ملاعبه هناك بين مروج النرجس الكثيفة ، هذه المروج التى كانت من قبله ملاعب لهومير وغيره من شعراء اليونان الاقدمين .

وعاد رامى من هذه الجنة ليلتحق بالمدرسة . عاد الى القاهرة وقد وعى التركية واليونانية وهما لغتا اهل الجزيرة ولايزال يعى طرفا منهما ويترنم ببعض اهازيجهما الشعبية حتى الآن .

عاد من الجنة الى اليباب ، فقدترك أبويه هناك وأقام عند بعض اهله فى بيت يقع فى حضن القبور بحى الامام الشافعى ، فاستوحشت نفسه وانطوت على هم وحزن عميقين ..

فلما عاد ابوه من طاشيوز ، عادت الاسرة الى بيتها القديم بحى الناصرية بيد ان المقام لم يطل به فى القاهرة اذ التحق بالجيش ، وسافر الى السودان وتركه ابنه فى رعاية جده ، وهو شيخ فى السبعين يسكن حى الحنفى ، فعاودت احمد الوحشة بعد ايناس ، لولا ان خففت حدتها على نفسه نافذة فى غرفته كان يطل منها على تخوم مسجد السلطان الحنفى ليستمع طيلة الليل الى مجامع المتصوفة يتلون اورادهم ويرددون ابتهالاتهم واستغاثاتهم فى نغم جميل .

وكان له قريب من بيت الرافعى ، وهو بيت علم وادب وثقافة ووطنية وكانت لقريبة هذا مكتبة عامرة ، انس اليها احمد فكان يقضى بها جل وقته.

وكان اول كتاب وقع فى يده فقراه واتشبع به وحفظه عن ظهر قلب هو كتاب مسامرة الحبيب فى الغزل والنسيب وكله مختارات من شعر العشاق والغزليين .

هذا هو الكتاب الذى لعب الدور الاول فى حياة رامى فقرر مصير حياته

ثم قرا فى هذه المكتبة كثيرا وكان قد ادرك مرحلة الدراسة الثانوية بالمدرسه الخديوية وتعلقت نفسه بحب الادب ..

وكانت هناك جماعة ادبية على مقربة مما يقيم بحي السيدة زينب أسمها جمعية النشاة الحديثة . وكان بها رواق للادب كل خميس تشهده جماعة من فحول ذلك الجيل منهم لطفى جمعة وامام العبد وصادق عنبر ومحمود أبو العيون وغيرهم .

وتوسم المرحوم صادق عنبر فى احمد الصغير خيرا وسمعه يتلو الشعر تلاوة طيبة فكلفة قراءة بعض المختارات من الشعر القديم فى هذا الرواق الاسبوعي

وواتته فى هذا الرواق فرصة سانحة قرا فيها اول قصيدة من نظمه وهو يومئذ فى الخامسة عشرة . ومن عجب ان اول قصائده لم تكن غزلية ، بل وطنية وهاكم مطلعها :

يامصر انت كنانة الرحمن
فى ارضه من سالف الازمان ..
ساعد بلادك يابن مصر ونيلها
واهتف بها فى السر والاعلان !

وفى سنه ١٩١٠ نشرت له مجلة الروايات الجديدة اول قصيدة منشورة وكان مطلعها :

ايها الطائر المغرد رحماك
فان التغريد قد ابكانى
انت مثلت فى الفناء غريبا
غاب دهرا عن هذه الاوطان

وانجز احمد مرحلة الدراسة الثانوية وهم بدخول مدرسة الحقوق ، لولا أن نفسه كانت قد تعلقت بالادب أيما تعلق فلم يجد مايروى غلته فى هذا المجال الا مدرسة المعلمين العليا ، فتحول اليها ، وتخرج فيها عام الحرب العالمية الاولى سنه ١٩١٤ .

وكان اول همه ان يتصل بشعراء ذلك الجيل ، وعلى راسهم شوقى وحافظ ومطران وعبد الحليم المصرى واحمد نسيم ، وبقية زميلهم فاتصل بهم واحبهم واحبوه .

ومن لطيف ذكرياته اذ كان يعرض شعره الاول على حافظ وكان يقول له اذا لم تعجبه القصيدة : االل

— دى زى السلام عليكم .. كل واحد يقدر يقولها !

فلما نضجت شاعرية احمد كان حافظ فى اوائل المحتشدين لشعره بعد ان جاوز السلام عليكم » الى انيق القصيد !

تخرج احمد فى مدرسة المعلمين العليا ، وعين مدرسا بمدرسة القاهرة الابتدائية بالسيدة زينب . وبعد عامين عين بمدرسة القرية الاميرية ، يدرس الناشئة الانكليزية والجغرافيا والترجمة . وفى هذه الاونة — فى سنة ١٩١٨ صدر ديوانه الاول ، او على الاصح صدرت الطبعة الاولى من ديوانه لان لرامى طريقة فريدة فى نشر شعره ذلك انه يراجع ديوانه فى كل حقبة من عمره فيتخير منه ، وينخل ويضيف ويعيد طبعه من جديد على الصورة التى ترضيه ، دون ان يغير اسم الديوان رامى ، وكان صدور ديوانه حدثا ادبيا فى ذلك العهد ، فقد طالع قراء العربية بلون جديد من الشعر ، اختلفت فيه المدرستان القديمة والحديثة هذه تؤيده وتلك تنحاه .. هذه المعركة التى دامت فى حقل الشعر الحديث الى سنوات قريبة .

وضاق رامى بالتدريس ذرعا فعاد مرة اخرى الى رحاب مدرسة المعلمين العليا حيث عين امينا للمكتبة فاطمانت نفسه وانصرف الى حياة ادبية خالصة وانكب على ما فى المكتبة من اداب العالم الثلاثة العربية والفرنسية والانكليزية .

وهكذا ظل حتى سافر فى بعثة لدراسة اللغات الشرقية وفن المكتبات بباريس سنة ١٩٢٣ .

وهنالك .. فى السوربون ومدرسة اللغات الشرقية قضى عامين هما اسعد ذكريات شبابه ، وكأنه كان على موعد هنالك مع شاعر التاريخ عمر الخيام ..

وعاد رامى بعد العامين الى القاهرة حيث عين فى دار الكتب المصرية وظل يتدرج فى مناصبها حتى اصبح وكيلا لها وقد جاوز الستين .

ومع هذا فانه لايزال يلقب فى المجامع والمنتديات بشاعر الشباب .

وقصة ذلك انه كان فى أوليات لياليه ينشر شعره بمجلة الشباب لصاحبها المرحوم عبد العزيز الصدر ، الذى اطلق عليه لقب شاعر الشباب نسبة الى المجلة .

وبقيت النسبة عالقة برامى حتى اليوم ...

***

مارس رامى ثلاثة الوان من الادب هى الشعر الوجدانى والعاطفى والوطنى ثم ادب المسرح ، فقد زود شاعرنا المسرح المصرى بذخيرة ضخمة تبلغ نحو خمس عشرة مسرحية مترجمة عن شكسبير الخالد ، منها هملت، ويوليوس قيصر، والعاصفة ، وروميو وجولييت ، والنسر الصغير ، وغيرها مما قدمته مسارح يوسف وهبى وفاطمة رشدى فى زمن عزة المسرح .

ثم انتهى الى نظم الاغنيات وبها اشتهر وطار ذكره حتى اوشك الناس ان ينسوا رامى شاعر الفصحى ورامى كاتب المسرح ، ولم يذكروا الا شاعر الاغانى ..

محاولة لتناول القضية في إطارها الملائم

● د . محمد عاطف كشك ●

● الحديث عن استعمال اللغة القومية في التعليم ونشر نتائج العلوم — حديث شائع على السنة الافراد والجماعات والهيئات ... لكنه شائع أيضا أن يتم تناول القضية بشكل قاصر ومنهج غير ملائم وطريقة متسرعة لاتتناسب مع خطورة وأهمية قضية حيوية مثل قضية استعمال اللغة القومية .. لذلك سوف نحاول في هذه الدراسة القصيرة مناقشة عدد من الأبعاد التي تضع قضية تعريب التعليم في الاطار الذى نعتقد انه الاطار الملائم لتناولها .

وفي هذا الاطار يتم تناول تعريب التعليم باعتباره جزءا من قضية أشمل هي قضية استعمال اللغة القومية في كافة المجالات . واستعمال اللغة القومية بدوره جزء من قضية التنمية وبناء الامة ... وسوف نناقش استعمال اللغة القومية باعتباره ليس مجرد دفاع عن النفس بل باعتباره وسيلة ضرورية لاكتشاف الجذور لكى نعرف بالضبط اين نقف حتى يمكن لنا ان نقتحم العالم المعاصر .

لذلك فاننا سوف نحاول في البداية مناقشة بعض التناقضات والمغالطات الشائعة في تناول قضية استعمال اللغة القومية ، ثم نحاول بعد ذلك ربط القضية بابعادها الصحيحة فيما يتعلق بالتنمية والبناء الحضارى للأمة ، وتحقيق الوحدة الثقافية للشعوب ، وتحقيق الارتباط بالوقع ، ونقل العادات والقيم ، ونقل التكنولوجيا ، والتكامل العربى .

وفي عدد من الملاحظات الختامية سوف نشير الى بعض الوسائل التي يمكن بها تحقيق تقدم ملموس في محاولات تعريب التعليم .

أولا : تناقضات ومغالطات :

عند تأمل الابعاد المختلفة لقضية تعريب التعليم الجامعى في وضعها الراهن يمكن اكتشاف عدد من التناقضات والمغالطات التي تحتاج الى وقفة لفحصها ونقدها . ويمكن مناقشة أهم هذه التناقضات والمغالطات في النقاط التالية :

١ — يمكن تقسيم الدول العربية فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية في التعليم والحياة الى مجموعتين : مجموعة الدول التي استطاعت ان تحافظ على استعمال اللغة العربية في معظم مراحل التعليم وفي الحياة والتعاملات الرسمية ، ثم مجموعة الدول التي استطاع المستعمر أن يفرض عليها لغته لدرجة انها وجدت نفسها بعد الاستقلال ومعظم افرادها لا يستطيعون ان يتكلموا أو يفهموا لغتهم القومية ، كما حدث في الجزائر وتونس .

ومن الغريب ان المجموعة الاخيرة تقدر ضرورة بذل جهود مضنيه ومخلصة لاستعادة مكانة اللغة العربية ، في حين ان مجموعة الدول التي حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال هي التي تصاعد فيها بعض الآراء التي تشكك في صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة وقدرتها على التعبير ومتابعة التغيرات العالمية السريعة وخاصة في مجال العلم والتكنولوجيا ..

والتفسير الوحيد الذى نستطيع ان نقدمه لهذا التناقض هو ان الدول التي سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد اتيحت لها الفرصة لان تلاحظ أكثر الاثر الهدام لاهمال اللغة الأم ، وان تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الاجيال الجديدة بواقعها — ما أدى الى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة . في حالة الاستمرار في تجاهل اللغة القومية . والوقوع في مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث فهو شائع على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تمتلكه بالفعل .

٢ — هناك مغالطة شائعة فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية ، يرددها بعض العلماء مؤداها ان اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصلحات العلمية والحضارية التي نشأت في لغات اخرى .

ولن نرد على هذه المغالطة أو هذا الخطأ بترديد ما قيل كثيرا عن خصوبة اللغة العربية

وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث عن طريق البحث فى التراث أو عن طريق الاشتقاق او نحت الفاظ جديدة ··

ولنرد أيضا على هذه المغالطة بالاستشهاد بعدد غير قليل من المحاولات العملية الناجحة سواء التى بذلت بواسطة أفراد أو جماعات أو هيئات (مثل مجامع اللغة العربية) والتى تم فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة الى اللغة العربية · واثبتت هذه المحاولات بالفعل - رغم وجود بعض نواحى النقص فيها - قدرة اللغة العربية ربما اكثر من لغات أخرى كثيرة - على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة ·

كما اننا لن نرد على هذه المغالطة وهذا الخطا بمحاولة تذكير القائلين به بما كان عليه الحال فى عصور ازدهار الحضارة العربية أو الإسلامية ، وازدهار العلم والفلسفة العربية عندما كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة وتمتلك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتأثير سواء فى العلوم التى نشأت فى ظل الحضارة العربية او التى نقلت اليها عن طريق الترجمة وخاصة العلوم والفلسفة الاغريقية ·

كل ذلك ربما كان معروفا تماما للقائلين بعجز اللغة العربية · واذن ربما يكون مفيدا اكثر ان نحاول اكتشاف الاسباب الدافعة للوقوع فى هذا الخطا أو هذه المغالطة · واعتقد ان الاسباب لا تخرج عن احد الاحتمالات الاتية :

(أ) ان يكون القائلين بعجز اللغة العربية لا يفهمون لغتهم الام فهما جيدا ولا يعرفون قدرتها وامكاناتها الهائلة ··· لكنه يجب ان نذكرهم دائما بانه مهما كان تعمقهم وتبحرهم فى اللغات الاجنبية التى يستعملونها فسوف يظلون عاجزين عن معرفة كل اسرارها ، لانها رغم كل شىء ليست لغتهم الام ··

(ب) بعض الذين يحاولون باستمرار التشكيك فى قدرة اللغة العربية ويصرون على استعمال لغات اجنبية - رغم عجزهم الفاضح احيانا فى فهم اسرارها - انما يحاولون اخفاء تفاهة مضمون ما يقدمونه من مادة عن طريق تغريب الشكل الذى يضعونها فيه ·

(ج) الاحتمال الثالث لتفسير هذه الظاهرة هو احتمال الكسل الذى يجعل البعض يقول : مادمنا ناخذ مضمون ومحتويات العلوم من الخارج فلماذا نتعب انفسنا ونبدد وقتنا فى محاولة نقلها الى العربية ؟ وخطر هذا الاتجاه - كما سوف نرى - انه لا يدل فقط على الكسل ولكنه يدل اكثر على تجاهل طبيعة التقدم العلمى وارتباطه الوثيق باللغة ··

٣ - المغالطة الثالثة الشائعة يقول اصحابها ان استعمال اللغة العربية يعزلنا عن العالم المتقدم - المنشىء للعلوم الحديثة - ويجعلنا غير قادرين على الاتصال بهذا العالم والتاثر به او التاثير فيه · وهذه مغالطة من السهل فضحها ، فسوف نرى كيف ان التاثير فى العالم واحتلال مكان بارز فيه لن يكون الا عن طريق بناء الوحدة الثقافية للامة والارتباط بالجذور التاريخية لها · كما ان القائلين بهذا الادعاء انما يخلطون بين استعمال اللغة العربية وتعلم اللغات الاجنبية الحية · فلا اعتقد ان أحدا يمكن ان ينكر فائدة - بل وضرورة - تعليم اللغات الاجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة لكل الاجيال الجديدة ، لكن ذلك شىء واستعمال اللغة القومية شىء اخر والأمثلة امامنا عديدة ، **فمعظم النتائج الهامة للعلم متاحة فى عدد محدود من اللغات الحية ولو ان الاتصال بالعالم المعاصر يحتم ضرورة التعليم بهذه اللغات لراينا التعليم فى معظم بلاد أوروبا يتم بالانجليزية او الفرنسية ، لكن ذلك لا يحدث فى الواقع ···**

والمثل الواضح الذى يمكن ان اسوقه هنا هو هولندا ، فالهولنديون يعرفون أن لغتهم ليست هامة لا يتكلم بها اكثر من خمسة عشر مليونا ، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب لغته الام لغتين او ثلاثا من اللغات الحية · ولكن احدا لا يناقش بالمرة فى ان التعليم فى جميع مراحله يجب ان يكون باللغة الهولندية ·· فما بالك باللغة العربيه وهى لغة اهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها ، وباعتبار تاريخها وتراثها ، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها ···

هذه المغالطة ادت فى الواقع الى معضلة صعبة ، ففى مثل هذا الوضع المتردد والمهتز لا نحن حققنا الاتصال بالعالم ، ولا نحن حافظنا على وحدتنا الثقافية لاننا اهملنا لغتنا القومية ولم نتعمق فى تعلم اللغات الاجنبية الهامة ·· ثم ان هذه المغالطة جعلتنا أيضا نقصر فى محاولات الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية والفاظ الحضارة باعتبار انه لا مبرر لبذل الوقت والمال والجهد فى ذلك فى حين ان كل الدول المتقدمة والتى تعتز بلغاتها القومية تعترف بالترجمة والنقل كوسائل فعالة فى الاتصال والتبادل بين الحضارات واللغات المختلفة ·

٤ - المغالطة الرابعة تتعلق بالادعاء القائل بان التعليم فى المرحلة الجامعية وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا ، لا يمكن ان يتم باللغة العربية ، وهنا تجاهل واضح لنجاح التعليم باللغة العربية فى كل مراحل التعليم قبل الجامعة فى معظم الدول العربية · وخطورة هذه المغالطة انها ترتبط مباشرة بتدهور مستويات التعليم فى كثير من الجامعات ، فكثير من الاساتذة لا يجيدون اللغات الاجنبية التى يعلمون بها ، ومعظم الطلاب يجهلونها جهلا تاما ، وذلك يكون على حساب المادة العلمية والمستوى ويكون على حساب محاولات التاليف فى اللغة العربية ومحاولات الترجمة اليها ، ونحصل فى النهاية على اجيال غير قادرة على مواصلة التعلم ورفع المستوى العلمى وملاحقة تطورات العلم والتكنولوجيا ، لانها لا تستطيع القراءة فى لغات أجنبية ،

ولا تجد أو لا تؤمن بما هو متاح فى اللغة العربية .

● **ثانيا : الابعاد التى ينبغى من خلالها تناول القضية :**

بعد ان ناقشنا بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية تعريب التعليم ، سوف نحاول هنا ربط القضية بالابعاد التى نعتقد ان تناول هذه القضية بدونها يعتبر تناولا قاصرا يجرد هذه القضية الهامة من سياقها الذى يجب دائما ان توضع فيه .

ويمكن تناول هذه الابعاد فى النقاط التالية :

١ - التنمية الحضارية : بعد من ابعاد التنمية الشاملة :

تسود المشاكل المتعلقة باستعمال اللغات القومية فى البلاد الفقيرة المتخلفة ومعظمها كانت محتلة لفترات طويلة وحصلت على استقلالها حديثا جدا ... وجميع هذه الدول تحاول - بدرجات وطرق مختلفة - ان تعبر الفجوة الواسعة بينها وبين الدول المتقدمة عن طريق عمليات التنمية . ويصعب بالتالى تناول قضية استعمال اللغة القومية بمعزل عن قضية التنمية .

وعندما نتكلم عن التنمية فاننا نتكلم عن بناء الامة بشكل شامل . وهذا البناء لا يمكن ان يكون احادى الجانب ، والا فقد التوازن والاستقرار اللازمين لاى بناء ، فعملية التنمية تتطلب تكامل الابعاد العلمية والتكنولوجية والثقافية والجمالية للتنمية . ولذلك فليس **هناك الان فرد او شعب او حكومة على درجة من الوعى يمكن ان تعتبر الثقافة مجرد ترف أو ترفيه وتسلية ، بل يزداد الوعى باهمية الثقافة كخطوة كبرى وضرورية فى بناء الامم ويزداد ادراك اهمية تحديد استراتيجية للتنمية فى الدول النامية باعتبار ان التنمية الفعالة لابد وان تشمل على الاقل اربعة ابعاد اساسية هى : النمو الاقتصادى ، والتناسق مع البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، والبناء الحضارى .**

والوحدة الثقافية هى سبيل بناء الامة حضاريا ، فالوحدة الثقافية هى الوسيلة الاساسية لتدعيم تماسك المجتمعات المستقلة حديثا أو التى مازالت تناضل من أجل استقلالها ، وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة للوقوف امام محاولات التمزيق والتفرقة . ومن المستحيل بناء وحدة ثقافية فى مجتمع يعتبر نفسه مجرد سوق للثقافة وليس أمة . وطريق تحويل الامة من مجرد سوق للتيارات الثقافية الى شريك فعال فى الحوار والتبادل بين الشعوب هو بناء وحدة ثقافية لها .

٢ - الثقافة : احدى الاحتياجات الاساسية للبشر :

ضمن استراتيجيات التنمية التى تجد قبولا عاما واهتماما متزايدا فى العالم كله ، تحتل استراتيجية اشباع الحاجات الاساسية للغالبية العظمى من افراد المجتمع مكانة بارزة . والاحتياجات الاساسية لا تشمل فقط الطعام والملبس والمسكن والعمل وكل وسائل الرخاء المادى ، لكنها تشمل ايضا أو لابد ان تشمل - وجود هدف للحياة ، وهذا بعد ثقافى .

وقد يصاب البعض بالدهشة عندما يرى أو يسمع عن الاحباط واليأس والتعاسة لدى نسبة كبيرة من افراد المجتمعات الصناعية المتقدمة والتى حققت قدرا كبيرا من الرخاء المادى لمعظم افرادها ، ولكنه لا يوجد فى الحقيقة اى مبرر لهذه الدهشة ، حيث ان الرخاء المادى - رغم ضرورة توفر حد ادنى منه - الا انه وحده ليس كافيا لاشباع كل احتياجات الانسان . بل ان مستويات عالية من الرخاء المادى بدون التفات كاف الى ضرورة وجود هدف للحياة يهدد الانسان الفرد وكذلك المجتمعات بفقدان الاتزان ، لانه يخاطب جانبا واحدا منها ويهمل الجانب الاخر الذى لا يقل اهمية عن الجانب المادى .

٣ - الاخلاص للماضى وسيلة التاثير فى الحاضر والمستقبل :

المعضلة التى تواجهها الثقافة العربية اليوم - مثلها فى ذلك مثل بعض الثقافات الاخرى - يمكن صياغتها فى السؤال التالى : اليس هناك أمل فى ان تلعب الثقافة العربية دورها فى العالم المعاصر فى نفس الوقت الذى تظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقيه وقيم البيئة العربية ؟ بمعنى اخر : كيف نظل فيه مخلصين لماضينا وكيف نستطيع ان نعطى من قيمنا للعالم ؟

هذه بالطبع مشكلة عسيرة ، ولا توجد معادلة جاهزة لحلها ، والجدل حولها مستمر ومتصاعد لفترة طويلة . لكننا فى المقام الاول يجب ان نحدد الهدف وراء محاولتنا الاخلاص لماضينا ، فلا يجب ان نفعل ذلك لمجرد بعث ماض قديم أو بدافع من التعصب او الشعور بالنقص او الخوف من التفاعل مع الثقافات العالمية المعاصرة ، بل يجب ان يكون مفهوما اننا حين نخلص لماضينا فذلك لكى نعيش اكثر حرية وأكثر اعتمادا على النفس فى العالم الجديد الذى يتشكل امام انظارنا . ولا يجب ان نظل متفرجين حتى يتشكل العالم لنا ، بل يجب ان نساهم بفعالية فى تشكيل العالم ، وان تكون مساهمتنا - فى الاخذ والعطاء - على قدر عظمة تراثنا وتاريخنا وعلى قدر ما نرجوه لحاضرنا ومستقبلنا من روعه .

الاستمرار التاريخى اذن ليس هدفه مجرد بعث الماضى بل هدفه الاساسى ان يكون لنا دور فى تشكيل الحاضر وصياغة المستقبل . واذا تركنا النظام العالمى الجديد يتشكل تماما بواسطة غيرنا فانه فى هذه الحالة سوف يهمل أو يتجاهل رغباتنا وقيمنا واهدافنا . واذا كان لهذه الرغبات والقيم أولاهداف ان تكون

● أهم تحد يواجه العلم المعاصر اليوم هو كيفية توصيل نتائج العلم واكتشافاته إلى الغالبية العظمى من الناس.

متضمنة وبارزة فى النظام العالمى الجديد فلابد لنا من الاعتراف من تاريخنا وتراثنا ، ولابد لنا من ان نعيد اكتشاف التاريخ ونعيد بناء الاستمرارية التاريخية .

٤ ـ اللغة ونقل العادات والقيم :

نحاول فى كثير من المناسبات ان ننتقد وان نحارب انتشار العادات والقيم التى لا تناسبنا ولا تتفق مع تراثنا وتاريخنا والبيئة التى نعيش فيها . وهناك بعض من يعتقد ان مجرد ذكر جملة « قيم وعادات مستوردة » كفيل باقناع الناس برفض هذه العادات والقيم . وهنا مغالطة اخرى تحاول جعل كلمة « مستوردة » مرادفة لكلمة ضار . وهذا فى الحقيقة اتجاه ـ فضلا عن انه متناقض مع نفسه ـ فهو اتجاه خطر لاننا فى الواقع نستورد اشياء كثيرة نافعة ، ولن نستطيع نغلق ابوابنا وعقولنا عن العالم . لكن اذا اردنا الاتجاه الصحيح لتناول قضية نقل العادات والقيم واختيار ما يلائمنا ورفض ما لا يتفق معنا ، فيجب ان نربط ذلك بقضية استعمال اللغة القومية . فما هو غائب فى معظم المحاولات هو ربط اللغة بقضية انتقال العادات والقيم الاجتماعية وانتشارها .

لكن يجب ان يكون مفهوما أن رفض كثير من نماذج الغرب التى لاتناسبنا ليس معناه رفض لغاتهم ومنجزات علومهم . لكن عندما تكون لغتنا القومية محترمة فاننا فى هذه الحالة يمكن ان نفصل بين اللغة كوعاء وبين ما تحتوية من مضامين ...

٥ ـ علم لا يصل للناس ، علم بلا قيمة :

كيف يمكن توصيل نتائج العلم واكتشافاته وانجازاته الى الغالبية العظمى من الناس ؟ هذا هو اهم تحد يواجه العلم المعاصر فى الوقت الذى ينمو فيه العلم بسرعة خرافية ويزداد فيه التخصص ضيقا بصورة تعجز معظم الناس عن متابعة اهم نتائجه . فالعلم له لغته الخاصة التى يفهمها العلماء ، لكن العالم الاصيل يعتبر ان تبسيط العلم لكى يصل الى اكبر عدد ممكن من الناس هى اخطر واجل مهمة ينبغى عليه ان يقوم بها .

والعقبات فى سبيل قيام العلماء بهذه المهمة كثيرة كثيرة ، وليس من المناسب ان نضيف اليها عقبة جديدة وخطيرة بان نكتب العلم ونعلمه للطلاب بلغة اجنبية بعيدة عن متناول معظم الناس .

٦ ـ اللغة والتكنولوجيا الملائمة :

مصطلح التكنولوجيا الملائمة من اكثر المصطلحات استعمالا فى الوقت الراهن ، لانه ثبت فى مناسبات وحالات عديدة للغاية فشل التكنولوجيا فى حل المشاكل أو مساهمتها ربما فى تكثيف وزيادة حدة المشاكل القائمة ، لانها تكنولوجيا غير ملائمة للظروف التى تستعمل فيها .

فالوسائل والاساليب التكنولوجية التى تم اكتشافها فى ظروف بعينها (طبيعية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية) لا يمكن نقلها نقلا ساذجا واستعمالها فى ظروف مختلفة تماما . لذلك تتصاعد فى العالم كله الدعوة الى ضرورة خلق التكنولوجيا الملائمة ، ويمكن ان يتم ذلك بعدة طرق لابد وان تشمل اعادة اكتشاف وفحص وتنقية الاساليب التقليدية وتطويع الاساليب الحديثة للظروف المحلية وابتكار اساليب جديدة خاصة لتلائم هذه الظروف .

لكن ذلك كله سوف يكون من الصعب جدا انجازه لو اننا لم نبذل جهودا جادة وعميقة فى استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلم لان التكنولوجيا ـ مثل العادات والقيم ـ يمكن ان تنتقل مع اللغة ، ولن نستطيع تطويع المضمون واكتشاف مضامين جديدة ما لم نستعمل اللغة القومية كشكل لهذه المضامين .

كما ان لغتنا سوف تتخلف عن متابعة العصر ما لم ننقل اليها ونعبر بواسطتها عن التقدم العلمى والتكنولوجى حيث يعتبر العلم والتكنولوجيا فى الوقت الراهن من اهم الروافد التى تثرى اللغات وتساهم فى تطويرها وجعلها حية باستمرار ـ واللغة لم تكن أبدا ـ ولن تكون عائقا فى سبيل انتشار العلم والتكنولوجيا بل ان العلم والتكنولوجيا يساهمان فى اثراء اللغة وتطويرها . وما لم نفهم هذه العلاقة جيدا فسوف نظل تابعين ومقصرين فيما يتعلق بنا من عطاء سواء فى العلم أو فى اللغة .

٧ ـ ارتباط العلماء والطلاب بالواقع :

نسمع ونقرأ كثيرا عن ضرورة اهتمام العلم والتعليم بحل مشاكل الواقع والارتباط بالبيئة الطبيعية والحضارية . وأحيانا نسمع ذلك ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون فى الحديث والكتابة

بلغتهم القومية . وأى ادعـاء عن الارتبـاط بالواقع سوف يكون سخيفا واى محاولة لذلك سوف تكون فاشلة مادامت اللغة القومية غير مستعملة فى التعليم وفى كتابة نتائج العلوم ونشر التكنولوجيا . فالعلماء عندما يكتبـون ابحاثهم بلغة اجنبية والاساتذة عندما يعلمون طلابهم بلغة غير لغتهم القومية ، انما يخلقون نوعا من العزلة والتغريب عن المجتمع ويكونون قشرة تطفو فوق سطح الواقع غير متصلة به وغير قادرة على ان تؤثر فيه او ان تتاثر به .

وفى هذه الحالات لا يصح لنا ان نستغرب ميل العلماء والاجيال الجديدة من الخـريجيين الى الهرب من مشـاكل مجتمعـاتهم ، او حتى الهـروب من مجتمعـاتهم نفسها ، او جهلهم الفاضح بمشاكل البيئة التى يعيشـون فيهـا ، او عـدم ربطهم العلم والتكنولوجيا بالابعـاد الانسانية والفلسفية السـائدة فى بيئتهم ، او تعـاليمهم على المجتمع ككل وبحثهم باستمرار عمـا يستطيعون اخـذه بدلا من بحثهم عما يسـتطيعون ـ او ما يجب عليهم من عطـاء للمجتمع الذى اعطاهم بلا حدود . صحيح ان لجميع هذه الاعراض او الامراض اسـباب اخرى كثيرة لكنه يستحيل تماما حلها بمعـزل عن قضية اللغة المستعملة فى العلم والتعليم .

٨ ـ اللغة والتكامل العربى :

الكلام عن تكامل الدول والشعوب العربيـة ايضا كثير جدا وشائع . لكن الانجـازات فى هذا المجال مازالت مخيبة للآمال . والتكامل لن يكون تكاملا حقيقيا بغير ان يتضمن تبادل وتكامل المعـرفة والثقـافة وبخاصة العـلم والتكنولوجيا ، واللغة العربية هى التى يمكن ان تكون القناة المناسبة لهذا التبادل والتكامل وتحقيق الوحدة الثقـافية ليس فقط داخل كل دولة عربية بل بين الدول والشعوب العربية .

● ثالثـا : ملاحظـات ختامية :

لا اعتقـد انه من المنـاسب ان انزلق فى محاولة ساذجة لوصف عدد من التوصيات او الحلول الجاهزة التى يمكن بها علاج المشاكل العديدة المتعلقة بتعريب التعليم الجامعى ، كأن نقول مثلا يجب على الجامعات كذا كذا ويجب على الاساتذة كيت وكيت ... فالقضية كمـا راينا متشعبة متعددة الابعاد عميقة الجذور . ولقد اثبتت خبرة الافـراد والامم ان الحـلول البسيطه عندما يتم اقتراحها لعلاج مثل هـذه المشاكل المعقدة غالبا ما تفشل ، او تسـاهم فى تعقيد المشكلة بدلا من ان تساهم فى حلها .

ومع ذلك فلا استطيع ان اتنصل تماما من المسئولية المفترضة فى الكاتب والمفكر ـ كمـا هى مفترضة فى الطبيب ـ من انه بالاضـافة الى محاولة التشخيص السليم لابد وان يصف العلاج . غير اننى فى الملاحظات التالية سوف اركز على المنهج والاسلوب اكثر من تركيـزى على المقترحات والاجراءات العملية :

١ ـ راينا الارتبـاط الوثيق بين استعمال اللغة القومية والبناء الحضارى للامة باعتباره بعد هام من ابعاد التنمية الشـاملة . واذن فليس مناسبا بالمرة ان يتم تناول قضيةتعريب التعليم او استعمال اللغة القومية باعتبـارها قضية هامشيه قليلة الاهمية بل يجب ان يتاح لها ما هو مطلوب لعلاجهـا من جهـد ووقت واموال على كل المستويات .

٢ ـ راينا ايضا كيف ان القضية معقـدة متعددة الابعاد واذن فان تناولها وعلاجهـا يجب ان يتم بطريقة متانية عميقة تستبعد من حساباتها الحـلول السهلة غير المدروسة . واول خطوة فى هـذه الطـريقه هى الدراسة والتقييم لكل ابعـاد المشكلة واسـبابها ـ الظاهرةوالخفية ـ وانتشارها ومدى تاثيرها .

٣ ـ الجهود التى تبذلها الهيئات العـلمية واللغوية يجب ان تتـاح لها فرصة التناسق والتكامل والتبادل . كما يجب ان تتمتع باكبر قـدر من المـرونة . فالتعصـب والجمود مما اعدى أعداء التقدم فى مجال استعمال اللغات القومية .

٤ ـ التاليف والترجمة والنشر كلها وسائل يجب ان ترتبط ببعضها ارتبـاطا وثيقا ، فلن نستطيع ان نؤلف بدون ترجمه ، ولن نستطيع ان نترجم بدون نشر . والنشر وخاصـة فى مجـال المصطلحات العلمية والتكنولوجية هو الذى يضمن شيوع المصطلح وقبوله بالتدريج ويفقده غرابته على الاذن ويساهم فى مشـاركة الناس وملاحقتهم للتقدم العلمى والتكنولوجى .

وللاسف فان غياب او قصور وسائل النشر هو السبب الرئيسى الذى يقف حتى الان عقبة عسيرة فى وجه بذل جهـود قيمة فى التاليف والترجمة ويحجب نتائج الجهود القيمـه التى بذلت بالفعل .

٥ ـ تعليم اللغات سواء العربية او اللغات الاجنبية الحية بطـريقة جادة وعميقة خطوة أولية واساسية . ولن يمكن التقدم فى هـذا المجال فى ظل القصور والتخبط فى نظم ومناهـج التعليم السـائدة فى معظم انحـاء العـالم العربى .

وبعد . فان القضية اكبر واعقد من قدرتى او قدرة اى فرد اخر على تغطية كل ابعـادها ... وهى فى حاجة الى مواصـلة البحث والجهـد والوقت سـواء على مستوى المفكرين والعلماء الافـراد او الهيئات والجمـاعات . لكنهـا بكل تاكيد فى حاجة ايضـا الى بذل وتنسـيق الجهود على مسـتوى الحكومات والشعوب ..

الى ليلى

مصطفى طيب الاسماء
الخرطوم ـ السودان

الى ليلى وقد شط المزار
ودون لقائها الجدب القفار
والوية من النيران تعلو
بامواج اللظى وبها استعار
وتصطخب السماء بكل رعد
ودون الغيث ينصب الدمار
ذكرتك في العروبة وهي لحن
وانغام بقلبي وادكار
ومجد في دمي واصول عرقي
وصفو في الشمائل واقتدار
ذكرتك والخطوب لها اصطراع
وانات الشعوب لها اوار
حننت اليك ياليلاى لما
رايت على السوري يعلو النفار
وابصرت الدنا ولهت وغامت
على اجوائها الحسن الشرار
اناجي طيفك المحبوب همسا
وجهرا حين يحتلك النهار
وفي ليل الحوادث كنت ضوئي
ونبراسي وانت لي الشعار
عبرت لك العوالم مستقرا
خيالي لاينهنهه انحسار
امني في هواك وتزدهيني
مغان منك يكنفها اخضرار
فلم اظفر بما ابقي ولكن
رجعت اسى وفي قلبي دوار
فياليلاى هل عود حميد
وهل وصل لديك او ازديار
فانت منارة الدنيا سلاما
وامنا حين يعييها الحصار
وانت الجنة الفيحاء فيها
وانت الروح والخلق النضار
بك انطلق الوجود على هداه
ودك القيد وانحسر الاسار
اعيدي الوصل ياليلاى انا
سئمنا الورد واعتكر المزار
واعيتنا المذاهب في خطانا
واردانا التخبط والعثار
وضمي الكون في صدر رحيب
تظلله المباهج والقمار
ويسطع في الوجود سناك قدسا
له في كل منطلق منار
ومالیلاى انسة حصان
ولا وجدي بها ثوب معار
فليلاى المحبة والتداني
وليلاى الاخوة والقرار



وحدة المخلوقات دليل وحدانية الخالق

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

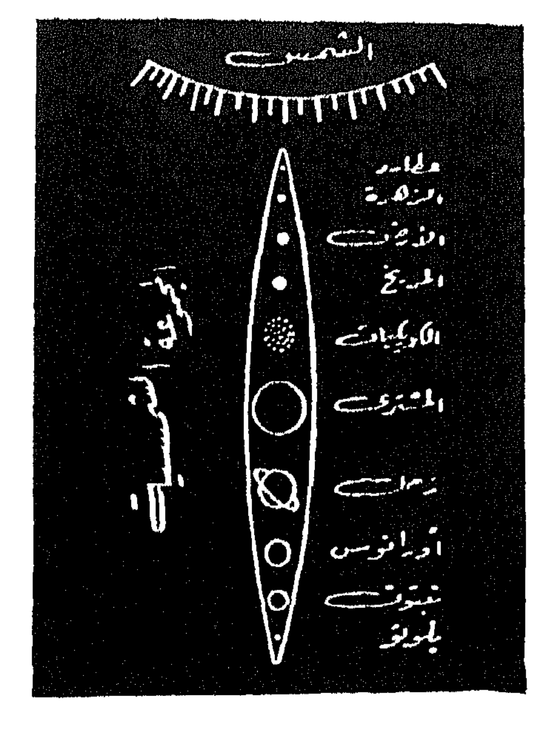
● كل ما خلقــه الله علـى الارض أو في الكون « مــادة » والـمــادة متنـوعة من غازية وسـائلة وصلبة ، ولهـا صـور سـواء لاحياء أو جماد ٠

ولقد دقق أهل الارض فى البحث عن سر المادة منذ الازل ، وتوصلوا الى أن لها « وحدة » تكوين أطلقوا عليها « الذرة » ٠وتعارفوا على أن « الذرة » هى الوحدة التى لم توالى تقسيم المادة فهى المفرد الذى لا يمكن تقسيمه ، ولذلك أطلق عليها القدامى اسم « الجوهر الفرد » ٠

ولقد تعددت هيئات تواجد المادة فى الحيـاة بين نبات يورق وحيوان يسعى وجمـاد أصم ، ولكن انتظم تكوينها كلها فى ذرات مفـردة أو ذرات متعددة ٠ تكونت منها العناصر وامتزجت فكانت المواد ٠

ولقد جد العلماء وتنازعوا ثم استقروا على أن الذرة لها مكونات من داخلها ولكن وسائلهم حتى القرن العشرين لم تكن تستطيع أن تغوص الى اغوار الذرة لتكشف عن هـذه المكونات ، حتى عرفت القرائن والمقياسات وأصبح للذرات أوزان نظمت لها الجداول ، ومكونات أفردت لها الترتيبات ٠ ولقد عرف النـــاس جدول العالم المجتهد « مندليف » منذ عام ١٨٦٩ الذى رتب ذرات عناصر المواد حسب أوزانها الذرية ، فجعل اخفها هو غاز الهيــدروجين الذى رمز لوزنه الـــذرى برقم (١) ٠٠٠ وتدرج حتى اثقلها ٠ وفى عهده لم تكن العنـاصر تتجاوز عدا عن بضع وثمــانين ٠٠٠ واليوم اصبحت العناصر مع توالى الاكتشافات تزيد فى عددها عن المائة عنصر ٠

ونظرة الى مكونات ذرة عنصر الهيدروجين توضح انه يتكون في بساطة من نواة للذرة ، و (كهيرب) او اليكترون واحد يدور حـوله فى مدار دائرى ٠ وتعارف العلماء على توازن شحنات الذرة الواحدة كهربيا وبالتالى كـل المادة لان النواة لها شحنة كهربية موجبة ، اما الاليكترون فله شحنة كهربيـــة سالبة ٠ وتتعادل الشحنتان مقدارا ، فيستطيع الانسان أن يلمس اى مـــادة دون أن تسرى اى مـن



الشحنات اليه ٠

ورغم صغر حجم الذرات حتى عجز الانسان عن ادراك مشاهدتها سواء بالعين المجردة او بالميكروسكوب الاليكترونى الذى يكبر الاشياء ملايين المرات ، فان هنـــاك مسافة تفصل بين نواة الذرة والاليكترون ٠ وهـذا الاليكترون ليس ساكنا بل دائب الحركة على مداره ، فهو يدور من الغرب الى الشرق دورات منتظمـة ، مشدودا بقوى الجاذبية الى نواة ذرته ٠

وتختلف عدد الاليكترونات أو (الكهيربات من مادة لاخـرى ، فهى فى غاز الهيدروجين واحد ، ولكنها فى غاز الهيليوم الذى يليه ثقلا فى جدول الذرات اثنـــان ، وفى غاز الليثيوم توجد ثلاثة اليكترونات ، ولكنها فى معـــدن مثل النحاس تبلغ (٢٩) اليكتـــرونا ، وفى عنصر ثقيل مثل الراديوم أو اليورانيوم تبلـغ عدة مئات من الاليكترونات ٠

ولو تصورنا ما عليه الذرة الواحـــدة من حجم دقيق ، فيمكننا تصور كم يكون عليه حجم الاليكترون الواحد الذى لا يعدو أن يكون جزءا من ألف أو من مليون جـزء من الحجم الكلى للذرة ٠ ومهما تعددت الاليكترونات حول الذرة فان كل منها تتخذ لنفسها مدارا تدور عليــه حول النواة وقد تتعـــدد ببعض الاليكترونات على المدار الواحد كما تتعدد المدارات ، ولـكن مهما بلغ عددها فانها لا تتقاطع وبالتالى فـان الاليكترونات لا تتصـــادم مع بعضها البعض ، مهما تباينت سرعاتها وأحجامها وشحناتها ٠

ولو تصورنا نواة الذرة وحولها هذا العدد من المدارات وعليها تسبح الكهيربات السالبة الشحنة الدقيقه الحجم ، يمكننا ادراك عظمـة الخالق بالتفكر فى أن كلا منها يتحرك بقدر ، ومشحونا كهربيا بقدر ، ومنجذبا الى الاخرين بقدر ٠ وصدق الله العظيم « وانا كـــل شىء

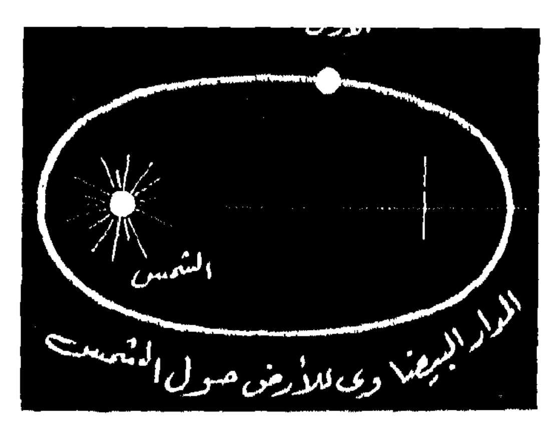
... الذرة الواحدة متوازنة كهربيا ، ومتوازنة حركيا وان كانت تبدو ساكنة للعيان ، وداخلهـا حركة تموج بقوى يعجز العقل عن ادراكها . ولم يدرك الانسان عظم الطـاقة الكامنة داخل نطاقات الذرة الا عندما كشف النقاب عن قوى الجذب المهوله التى تربط هذه الجسيمات الدقيقة ، وكيف تنطلق منهـا قوى التدمير المهولة لو تدخل الانسان فاحدث بها الخلل اخراجا لها عن الناموس الالهى الذى خلقه الله عليها . فعندما تدخل الانسان ، واحدث خللا فى الشحنات الكهربية للذرات ، واجبر بعضا من الاليكترونات على الاخلال بالتوازن الكهربى لكل ذرة تجمعت هذه الاليكترونات الهاربة واحدثت مع تعارف المهندسين على اطلاق اسم « السيال الكهربى » او « التيار الكهربى » عليه . وما هو الا تجمع لكهربيات حرة استطاعت الفكاك من مداراتها ، وبالتالى الهروب بعيدا عن ذراتها تحت ضغط او تدخل خارجى .

ولكن مثل هذا لا يحدث على كل المدارات او لكل الاليكترونات ، بل يحدث لبعضها فقط هى اكثرها بعدا عن النواة التى فى مركز الذرة . كذلك عندما تدخل الانسان لاحداث شرخ فى تكوين الذرة وحاول طعن التماسك والتجاذب الطبيعى الموجود بين مكوناتها ، بقوى الجذب الخفية بين النواة وكل من الكهربيات مهمـا تعددت ، انطلقت الطاقة المدمرة التى تعارفنا على تسميتها قوى التفجير الذرى .

ان قوى التوازن التى خلقها الله فى الذرة ، هى ناموس الوجود الذى انتظمت عليه كل المخلوقات من انسان وحيوان ونبات وجماد ، وهى التى تشكلت على الارض ، وفى الجو ، وفى الفضاء ، وفيما حولنا من عالم خارجى . وعندما امتدت جهود الانسان ، وتجاوزت حدود الارض وخرجت الى نطاق ما فى السماء من اجرام بمحاولات غزو الفضاء ابتدا بالقمر ، ثم ثنى بالكواكب القريبة ثم البعيدة ، راح يبحث عن السر الازلى ، هل من عناصر على هذه الاجرام لا نعرفها على الارض . ومن ثم وجدنا رواد الفضاء الاوائل الذين هبطوا على القمر ، يجمعون بعضا من صخوره ، وبعضا من ترابه ويعودون به الى الارض ليعكف العلماء على تحليله فى معاملهم ، لعلهم يعثرون على عنصر لا ندرى عنه شيئا فيكون هذا كشفا والا على ان مكونات بعض ما فى السماء تختلف عن مكونات عناصرها الارضية .

ولكن اتى هذا الظن مخيبا ، عندما اقتبست سفينة « فايكنج » الامريكية بعضا من صخور كوكب المريخ عام ١٩٧٦ بواسطة ذراع تلسكوبية بعدما حطت على سطحه برفق ثم اودعتها معملا كيماويا خاصا كان على ظهرها واخذ يحلل مواد التربة الى عناصرها الاولية ، فلم يظهر فى التحليل اثر لعنصر جديد . دليلا على ان اصل تكوين هذا الكون كله واحد وتم بصورة واحدة .

وظلت الالهيـة متمثـلة فى تـوازن حكيم فى كل ذرة من ذرات الوجود ، وفى كون



المدار البيضاوى للأرض حول الشمس

كل الدلائل تشير الى ان اصله واحد ، والدليل على ذلك وحدة عناصره ، ولكن امتدت هذه العظمة الى افلاك السماء لتشير الى ان الاجرام حولنا لها نفس الناموس ايضا .

● اين مركز الكون ؟ ●

كان علمـاء القرون الوسطى يظنون ان الارض هى مركز الكون عندما عجزوا عن ادراك حدود للكون الممتد حولنا ، وشاهدوا الشمس ، فظنوها تدور حولنا كذلك ، وتطلعوا الى النجوم فوجدوها تتلالأ فى الليالى الحالكة الظلام ، فحسبوها ثوابت فى اماكنها واسرفوا فى الظن فحددوا فائدتها بانهـا تتلالأ لتبعث بالضياء الى الارض لتهدى المسافرين فى دياجير الظلام .

ولكن مع تقدم الوقت ، وفى عام ١٥٣٠ ميلادية اطاح عالم شجاع هو « نيقولا كوبرنيكس » بكل هذه المعتقدات وقال بانهـا كلها خاطئة . فقد دلل على ان الارض ليست مركزا للكون وانها لا تعدو ان تكون كوكبا سيارا يدور حول الشمس . وان لها اخوات اخرى هى « الكواكب » . ووقتها لم يكونوا يعرفون غير خمسة كواكب فقط تناقلوا اسماءها عن القدامى فى عصور الفراعنة وعن حضارات الرومان والهنود هى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحـل . ولذلك اطلق عليها « كوبرنيكس » اسم السيارات تدليلا على انها تدور كالارض حول الشمس .

واعقبه عالمان اخران عززا ما قاله ودللا عليه بالرصد والقياس هما العالم الدانمركى « تيخوبراهى _ ومساعده « كبلر » . وفى عام ١٦٠١ وضع هذا الاخير ثلاثة اسس لحركة الكواكب السيارة مازالت تتحدى بصحتها علماء كل العصور حتى عصرنا . ومازالت تحكم حركة كل السيارات حتى الصناعية منها والتى اطلقها الانسان فى عصر الفضاء كالاقمار الصناعية وسفن الفضاء .

ويقرر القانون الاول لكبلر ان الارض كوكب سيار يدور حول الشمس وليس الامر بالعكس كما كان الاعتقاد لدى سابقيه . وان ذلك ليس بقاصر على الارض وحدها ولكن يدور مثلها حول الشمس سيارات او كواكب اخرى ، وكل منها له فلكه او مساره الذى يتخذه حولها . وقرر ان هذه الافلاك ليست دائرية بل هى اهليجية اى بيضاوية الشكل تقع الشمس فى

احدى بؤرتها . وعنيت نواميس كيلر الاخرى بتقرير وحساب سرعات هــذه السيارات فى دورانها حول الشمس ، حسب ابعادها عنها .

ولقد حمل لواء الثورة على افكار القدامى من بعد « كبلر » العــالم الفلكى الايطــالى « جاليليو » ، الذى كان له فضــل ابتكار اول منظار فلكى شرعه نحو أجرام السماء فرأى معالم سطوحها مقربة ، وساعده ذلك على تبين تفاصيل سطح القمر . كما اخذ يدرس حــركة الكواكب الاخرى كالزهرة والمريخ وزحــل . وكشف عن ان الزهــرة يتغير وجهه كما يتغير وجه القمر .

ورغم أن هذا العالم البرز وضع امام الناس عديدا من المعلومات التى لم يكونوا يعــرفون عنها شيئا قبل أن يضع بين أيديهم منظــاره المقرب ، الا ان ذلك لم يدفع مجمع الكرادلة فى روما الا الى محاكمته ، والحــكم باحــراق مؤلفاته . وزج به فى السجن حتى كف بصره ، وظل يقاسى آلام الحبسين ، السجن والعمى ، حتى توفى عــام ١٦٤٢ ، ورغمــــا من ذلك لم يتزحزح عن الصراخ باعلى صوته داخل سجنه « ومع ذلك فالارض تدور .. الارض تدور .. الارض تدور » .

والحقــائق العلمية التى توصل اليهـــا « كوبرنيكس » وتيخــوبراهى ، وكيلـــر ثم جاليليو » وردت فى القرآن الكريم قبــل ذلك بنحو الف عام . وصدق الله العظيم :

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقــدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عــاد كالعرجون ، لا الشمس ينبغى لهـــا أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكــل فى فلك يسبحون » .

(سورة يس ٣٧ ــ ٤٠)

وحتى حركة دوران الارض نفســها ، أشار اليها القرآن فى وضوح وجلاء لا يفهمه الا ذوى الالباب :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء ، والله خبير بما تفعلون » .

(سورة النمل ــ ٨٨)

وتعددت الآيات الكونية فى القرآن الكريم ، التى ربطت بين حركة أجرام السماء ، وتعاقب الليل والنهار ، وتدرج منازل القمر . وحــرك الفكر القرآنى أذهان العرب ، ولفت أنظــــار المفكرين الى الظواهر الكونية فى عــديد من الآيات ، فى شمول بالغ يبدأ بالحث على اطلاق العنان للعقل ليمتد الى التفكر فى نشأة الكون وكيف توزعت الاجرام ومنها الارض بقدرة الله فى هذا العالم الذى يحتويها .

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لهــا وللارض ائتيــا طوعا او كرهــا قالتــــا اتينــا طائعين . فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم ».

(سورة فصلت ٩ ــ ١٢)

هــــذه الصورة المبسطه لتسلسل خلق الله للكون ، تحوى كل النظريات العلمية التى انتهى اليها علماء الفلك حتى يومنا هــذا . من أن الكون كان عند بدء الخليقة على هيئة كتــلة غازية ملتهبة تقلصت بالبرودة ، فتكاثفت فى أجزاء منها كتل مائعة القـــوام تحولت بزيادة البــرودة الى كرات صلبة مختلفة الاقطـــار والاحجام ، تكونت منها الكواكب البــاردة ، بينما ظل بعضها متقدا لتكونت منه النجوم .

وتكررت هذه الصورة فى عدة مواقع أخرى من القرآن لتؤكد بتكرارها المبــلاغه القرآنية بايقاع الترديد .

« أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(سورة الانبياء ــ ٣٠)

« وهو الذى خلق الســماوات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء » .

(سورة هود ــ ٧)

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العــرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمــر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » .

(سورة الاعراف ــ ٥٤)

● وكل فى فلك يسبحون ●

للشمس أسرة خاصة بها ، تدور حولها فى مدارات أو أفلاك متفاوتة البعد ، ولذلك تعرف هــــذه الاسرة باسم « المجموعة الشمسية » ، نسبة لارتباط حركتها بالدوران حول الشمس .

وعدد الاعضاء الاساسيين فى هــذه الاسرة تسعة الارض أحدها . وكلها تستمد نورها من الشمس ، شأنها فى ذلك شأن الاولاد يستمدون الحياة من أمهم .

ويسمى كل عضو فى هذه الاسرة ، كوكبــا أو « سيارا » ، لانه يغير وضعه فى الســماء للناظر اليه فيبدو كأنه يسير .

ولذلك فالارض كوكب من كواكب « المجموعة الشمسية » التسعة ، وكلها فى الفضاء القريب منا تدور حول الشمس ، وتنعكس عليها اشعتها فتظهر لنا ليلا مضيئة كالنجـــوم ، وهى فى حقيقتها أجسام باردة غير متوهجة كالارض .

وكشأن كل الاسر ، يتفاوت الاعضاء بعضهم عن بعض ، فمن حيث الحجم منهـــا الكبير ذو القطر الذى يفوق الارض عــدة مرات ،

والصغير ذو القطر القريب من قطر القمر ·

ومن حيث البعد ، منها القريب الدانى من الشمس الى الحد الذى يجعل رؤية تفاصيل سطحه لنا من الارض أمرا صعبا لانعكاس أشعة الشمس عليه ، فيلمع بشدة ، ومنها البعيد الذى يبلغ بعده عدة ملايين من الاميال ·

ومن حيث الوزن ، والكثافة ، والشكل وطبيعة السطح فانها تتفاوت كذلك ، كما سنوضح فى الجداول التالية ·

ولكنها كلها تتحد فى دورانها حول الشمس فى مدارات أو افلاك تختلف سرعاتها ، اى سرعات دورانها · فمنها ما يتم دورته حول الشمس على فلكه الخاص خلال أيام ، ومنها ما يتم هذه الدورة خلال أعوام · ولا شك أن ذلك يتوقف على البعد عن الشمس ·

فالكواكب القريبة من الشمس ذات سرعات عالية · أما الكواكب البعيدة فسرعاتها بطيئة بحكم ضعف قوة انجذابها الى الام ، اى الشمس · وقانون الجاذبية العامة هو الاساس فى ربط أعضاء هذه الاسرة بالشمس ، بحيث لا تستطيع فكاكا عنها ، وتكرر دورتها حولها فى تعاقب منتظم ·

وأعضاء هذه الاسرة ، يحمل كل منها اسما مميزا ، وهى على حسب بعدها عن الشمس :

عطارد ـ الزهرة ـ الارض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو

● مدارات الكواكب ●

وتتميز الكواكب التسع فى دورانها حول الشمس بمزايا خاصة ، تعبر عن نسق منظم للمجموعة كلها ، وهذه الخصائص هى :

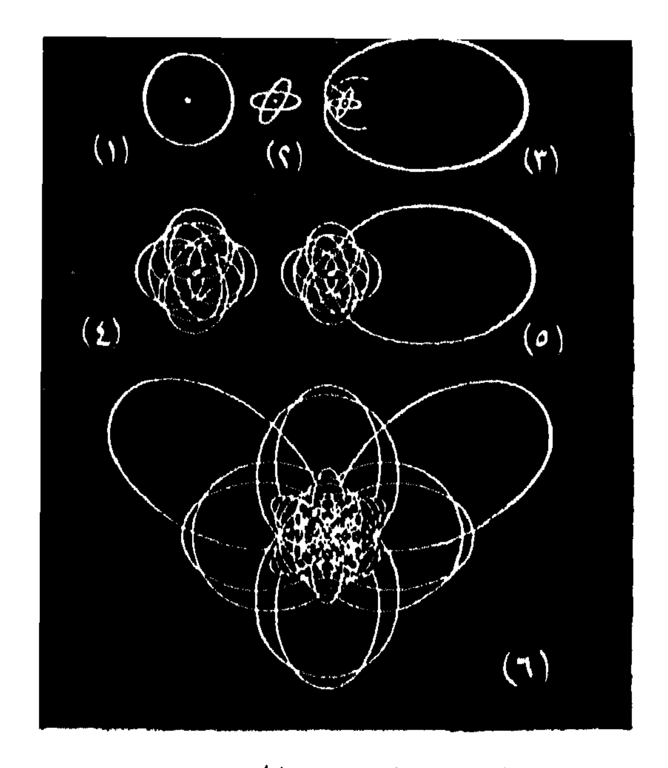
تدور الكواكب حول الشمس فى مدارات بيضاوية ، تماثل الشكل الهندسى المعروف باسم « القطع الناقص » ولكن تفلطح هذه الاشكال البيضاوية ليس كبيرا · وكذلك فهى أقرب ما تكون الى أشكال الدوائر المتمركزة حول الشمس ، ماعدا حالة ابعدها عن الشمس

ومن حيث الوزن ، والكثافة والشكل

وتكاد تقع مستويات مدارات كل الكواكب فى مستوى واحد ، اذ لا يشذ عنها الا مستوى مدار الكوكب « بلوتو » · ولا يزيد شرود هذا الكوكب عن المستوى المشترك لهذه الكواكب عن ٨ درجات ·

ولذلك فان كواكب المجموعة الشمسية فى حركاتها المختلفة تدور فى الفضاء حول « أمها » الشمس فى شريط من الفضاء الكونى ، لا يزيد عرضه عن ٨ درجات حول جانبى المدار الظاهرى للشمس · ولقد اصطلح على تسمية وهو : كوكب « بلوتو » التى تبدو شاذة ·

وتدور كل كواكب المجموعة الشمسية فى اتجاه واحد حول الشمس ، من الغرب الى الشرق ، وهو نفس اتجاه دورانها حول محورها ، وهو كذلك نفس اتجاه دوران الشمس حول محورها الوهمى ، ووفقا لهذه القواعد الثلاث تدور الكواكب التسعة ، مخلصة للنظم الاسرة فى غير شذوذ · اللهم الا حالة بلوتو الذى طوحت به الاقدار بعيدا عن أمه



تكوين ذرات عناصر

١ ـ الهيدروجين ٢ ـ الهيليوم
٣ ـ الليثيوم ٤ ـ النيون
٥ ـ الصوديوم ٦ ـ الراديوم

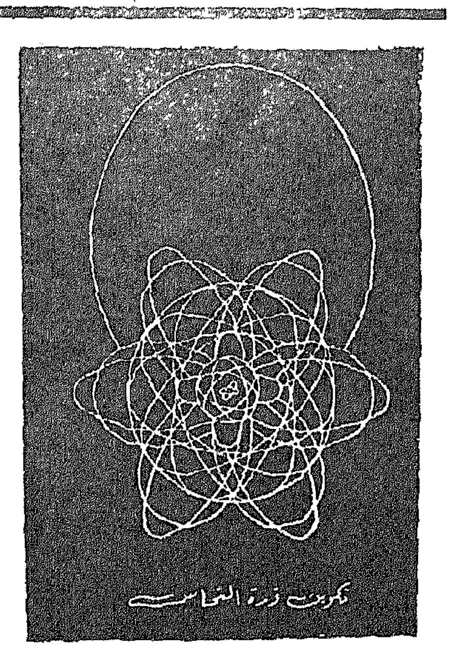
الشمس ، فبدا طريدا للاسرة نأت به المسافة ، فهزل حجمه وشذ فعله · ولذلك فلا عجب أن يتاخر الكشف عنه منذ أوائل القرن السادس عشر عندما عرف المنظار المقرب « التلسكوب » فى عهد جاليليو ، الى القرن العشرين عندما تم الكشف عنه عام ١٩٣٠ ·

وتتفاوت ابعاد الكواكب عن الشمس فى غير انتظام ، ولكنها كلها أبعاد تقاس بملايين الكيلو مترات · فعطارد أقرب هذه الكواكب اليها يبلغ متوسط بعده عنها ٥٧ر٩ مليون كيلو متر ، بينما يبلغ بعد الارض وهى الثالثة فى ترتيب هذه الابعاد ١٤٩ر٥ مليون كيلومتر ، أما بلوتو أبعد الكواكب فيقدر متوسط بعده ٥٨٩٩ مليون كيلو متر ·

لذلك تتفاوت مدارات افلاك هذه الكواكب حول الشمس ، حسب بعدها عنها ومن ثم نجد أن المدد التى تتم فيها دوراتها حولها مددا مختلفة · فبينما يدور عطارد حول الشمس كل ٨٨ يوما من أيامنا الارضية ، نجد أن المريخ يتخذ هذه الدورة خلال سنة و ٣٢٢ يوما والمشترى يتم دورته خلال ١١ سنة و ٣١٣ يوما · وزحل يدورها خلال ٨٤ عاما وسبعة أيام · بينما تتم الارض دورتها حول الشمس خلال ٣٦٥ يوما وربع يوم ·

● توابع الكواكب ●

واغلب كواكب « المنظومة الشمسية لها توابع » اى أقمار أصغر منها حجما وتدين لها هى الاخرى بولاء الجاذبية ، شأنها شأن قمرنا



تكوين ذرة النحاس

الذى يدور حول ارضنا · ولكن ليست كل كواكب المجموعه الشمسية فى مثل قناعة الارض ، فكثير منها يجذب اليه أكثر من قمر ·

بل ان بعضها غني بالاقمار الى حد الاسراف مثل كوكب المشترى الذى يجذب اليه (١٢) قمرا · اثنى عشر قمرا · بينما كوكب المريخ له قمران ، وزحل كان يعرف له (٩) تسعة اقمار ثم تكشف عام ١٩٨٠ انهـا أكثر من (١٥) قمرا ، واورانوس له (٥) خمسة ، ونبتون له قمران · ولم يتبين العلماء الى الان عدد ما حول بلوتو ·

لذلك لو تدبرنا فى مجموع عدد توابع الكواكب نجدها تبلغ (٣٧) قمرا ، كل منها يتخذ لنفسه مدارا حول الكوكب نفسه ويدور فى حركة اخرى مع الكوكب اثناء حركته حول الشمس · كما نجد ان بعض هذه الاقمار تتم دوراتها حول الكوكب خلال بضع ساعات وبعضها الاخر يتم دوراته خلال سنين ·

● حتى المجرات ●

وكواكب المنظومة الشمسيه وتوابعها ليست هى وحدها مكونات اجرام السماء ، بل هى ليست اكثر من أسرة شمس واحدة من الاسر التى فى الكون وتبعد عن شمسنا ملايين الشموس الاخرى التى هى النجوم المتقدة التى نراها تتلألأ كل ليل فى السماء · وهى دون العد احصاء لان منها ما نراه بالعين المجردة ، ومنها ما لا يمكن ان نراه حتى بالمراصد الفلكية نظرا لعظم مسافاتها ·

وجل ما نراه حولنا من نجوم لا يعدو كونه مجرة واحدة ، بينما توجد حولها مجرات أخرى لا تعد بالمئات ، ولكن بالملايين ·

وصدق الله العظيم ··

« فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

(سورة الواقعة ـ ٧٥)

وليس هناك ما يمنع من ان يكون حول كل نجم من هذه الشموس مجموعه كواكب تدور حولها كما هو الحال فى مجموعتنا الشمسية·

ومهما كبر عدد هذه النجوم فاصبحت بالملايين عدا ، ومهما حوتها الاف المجرات فان كلا من الكواكب التى حولها لابد ان تتخذ لنفسها فلكا تدور عليه ، وهكذا ترتسم لنا عظمة الله ما خلق من ملايين الكواكب ، التى لم يصطدم أحدها بالاخر منذ بدء الخليقة حتى الان ·

● هذه العظمة من الذرة حتى المجرة ●

بدءا من الذرة حتى المجرة ··· ناموس واحد ·

بدءا من العدم حتى اللانهاية ··· قانون واحد ·

بدءا من الاول حتى الاخر ··· اصل واحد ·

كل هذه دلائل يمكن ان تطرح على عقولنا عديدا من التساؤلات ·

ـ هل يمكن ان توجد هذه المنظومات صدفة ·· بلا تدبير ؟

ـ هل يمكن أن تحتشد بهذه الروعة وبينها هذه القوى والمسافات بلا عقل منظم ؟

ـ ان كل نظريات الرياضة والاحتمالات ··· تؤكد ضرورة حدوث اصطدام بنسبه لا تقل عن ٥٠٪ لو وجدت هذه الاجسام بمحض الصدفة ·· ولكن حاشا لله !!

ولو كان الامر وليد « صدفة » ، فلماذا لم تعمل « الصدفة » باحتمالاتها على فناء هذا الكون ، بتصادم اجرامه يوما بعد يوم ، وعمره ممتد فى الماضى كفراغة ؟

ان الجواب ، لا يمكن ان يصوغه الا نظرة ايمان بقدرة هائلة ، تسلم بقصور العقل البشر ، وترفع الى مرتبة الخلق خالقا عظيما ، لا نهائى التدبير » ·

« بديع السموات والارض » ·

خلق كل شىء فاحسن خلقه فى مكانه وزمانه·

« انا كل شىء خلقناه بقدر » ·

ولا سبيل الى تحديد قدرته ، ولا عقل يدرك حدود صنعه ·

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » ·

« هو الاول والاخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم » ·

وبلغة العلم يصوغ العلماء ايمانهم ، عن يقين · لتستقر عظمة الخالق لديهم فلا تزحزحهم الى حماة النكران ، الذى هو كفر بواقع بديع ·

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور · ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » ·

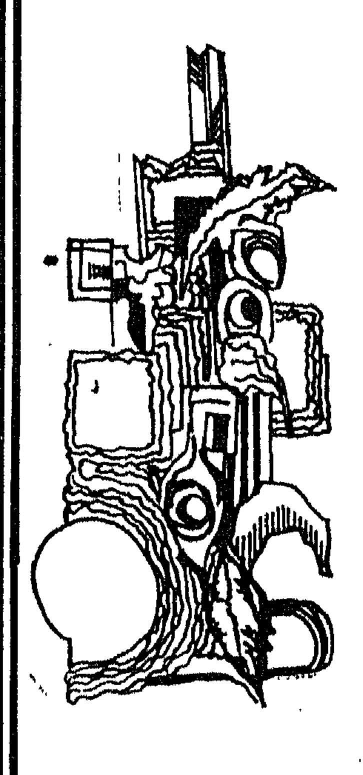
●●



فتنة الشعراء

● د . صلاح عبد ●

مجردُ رؤيتى لكِ يا مدامُ
لها فى النفس آثار جسام !
فوجهُ الصبحِ يبدو لى بديعا
عليهِ بشاشة وله ابتسام !
وأشعرُ بارتياح واغتباط
كأنى قد تحقق لى مرامُ ..
وأنى حينَ أفعلُ أىَّ شيءٍ
سيأتى ما فعلتُ كما يُرامْ !
فما بينى وبين السكون إلاّ
وفاقٌ واتساقٌ وانسجامُ !
ذكاءٌ مثل نور الشمس عالٍ
وحسن كالبدور له تمام ..
إذا ما قيلَ لى وصف قديمٌ
فللذوقِ الرفيع لى احتكام ..
وإحساسٌ لرقته انسكابٌ
كما لدموع رقتك انسجامُ
فُتِنتُ وفتنتى كرمٌ وخيرٌ
وإجلال لذاتكِ واحترام .
وما فى فتنةِ الشعراء ضيرٌ
لأنهمُ ـ وإن شطوا ـ كرامُ !
وليسَ الحسنُ عندِى غير معنى
وبالمعنى افتتانى والغرامُ !..



●●

رؤيـة بلاغيـة

مدخل لدراسة الاسلوب عند الزيـّات

● محمد جاد البنا ●

(١)

أراد احمد حسن الزيات (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨) ان يضع للنثر معايير واطرا ، كما وضع الخليل بن احمد الفراهيدى (٧١٨ ـ ٧٩١) للشعر مقاطع واوزان ... غير ان الزيات كان ابعد حظا من الخليل فى ربطه الذكى المبدع بين التلاؤم من حيث المعنى والفكرة ، والتلاؤم من حيث الشكل والإطار ... بينما توقف الخليل باوزانه ومقاييسه النغمية عند حدود الشكل والموسيقا الخارجية ، ولو انه مضى خطوة جريئة اخرى نحو الموسيقاالداخلية للفن الشعرى لأفاد اكثر ، ولتكاملت نظريته حول الشعر ، ولسد الطريق امام عبد القاهر الجرجانى (ت ١٠٧٨) وجماعة البلاغيين والنقاد ممن اتوا بعده فحاولوا محاولات جادة فى هذا الاتجاه من خلال نظرية النظم او العلاقات عند عبد القاهر ونظرية الاسلوب عند حازم القرطجانى (١٢١١ ـ ١٢٨٥) تلك المحاولات التى كتب لبعضها النفاذ والتاثير الى حد بعيد .

(٢)

على أن الزيات (يرحمه الله) السابق تاريخيا للشيخ امين الخولى صاحب « فن القول » والمسبوق زمنيا بكتاب « الاسلوب » لاحمد الشايب ـ يتفوق بأنه لم يقف بنظريته البلاغية ـ المجهولة الى حد ما ؛ فقد غفل عنها كثير من الدارسين ، وازور عنها البعض ـ عند المصطلحات التنظيرية الجافة والتى تقف عائقا فى كثير من الاحيان أمام سيل الانسياب الابداعى ، وانما وضع هذه المصطلحات البلاغية موضع التطبيق العملى عند بنائه لنظريته حول الاسلوب ، مما جعلهيخلف وراءه مدرسة أسلوبية جمالية ذات سمات وخصائص قل نظيرها ـ تقريبا ـ فى الادب الحديث ... أما الزعم بانها خرجت من جبة المنفلوطى ، او اشتركت مع الاتجاه الذى نهجه مصطفى صادق الرافعى . فزعم مبتور الدلائل يفتقر الى المحجة المؤيدة ...

فالزيات كان بصيرا بضروب القول عليما بفنونه ومسالكه ، مما جعله ـ كما سلفنا ـ يكون قواعده ومصطلحاته ويستل أسسهالنظرية من واقع أسلوبه نفسه ، بعد رصده وتذوقه وتمحيصه لاساليب الاساطين منالقدماء وبعض المعاصرين فى الادبين العربى والفرنسى .

والزيات ـ كما هو معروف ـ ليس ناقدا بالمعنى العلمى ، او الفن الدقيق للنقد ، كما انه لم يكن بلاغيا اكاديميا جافا ، وانما هو أديب منشىء ومبدع يخضع القواعدوالمصطلحات لاسلوبه وليس العكس ، وتلك مزية أخرى يشترك فيها الزيات مع عبد القاهر الاديب البلاغى الناقد المبصر .

(٣)

ومن ثم فمبدأ المشاركة مع عبد القاهر يجعل الزيات متبعا لا مبتدعا فهو لم يستنبت نظريته الاسلوبية البلاغية من فراغ وانما بناها على اصول قديمة نصا واتجاها ... فالواضح انه نظر متأنيا فى كتابات عبد القاهر فافاد منها من الوجهة الفنية والبلاغية والنقدية البحتة ، ثم استند كما استند عبد القاهر نفسه على الاصول النصية للاساليب التراثية بعد ان استفاد الفائدة الجلى من النظر المعمق والحفظ المجود للقرآن الكريم ...

ثم نظر ـ كما اسلفنا ـ فى نتاجه البيانى المميز والذى تكون تلقائيا من واقع الممارسة والتعامل مع عيون المحفوظ والمأثور من جيد التراث الاسلوبى استجابة لمنهج استاذه الشيخ سيد بن على المرصفى حينما كان يدرس الكامل للمبرد مع طه حسين فى حلقته الادبية بالازهر ـ ثم النظر المبكر (اثناء وجوده فى الازهر) فى تراث اللغة الفرنسية وتأثره بمدارس الانطباعيين والاسلوبيين فيها كما سيتضح فيما بعد .

استطاع الزيات اذن ان يخرج بنتائج تجربته البلاغية في مجال الاسلوب ويسجلها حية نابضة متألقة في كتابه الموجز (دفاع عن البلاغة) ولا يخفي أن الايجاز كان سمة من سمات الاسلوب عند الزيات .

(٤)

ولا يكاد يختلف دارسان على ان عبد القاهر هو صاحب الفضل الاول في وضع القواعد العامة لفن النظم ونظريه العلاقات اللغوية ، بل هو كذلك أول من اعتمد الاخذ بالتطبيقات المبنية على جيد الاساليب وعيون الشعر العربي ، وأن جهوده في هذا المجال تعد شيئا نادرا في تاريخ الفنون والاجناس الادبية ...
الا أن الزيات وان ارتكز على بدايات عبد القاهر ، فقد استطاع أن يضيف اضافات جديدة بل ويخالف أستاذه في معايير كثيرة ، فبينما اعتمد عبد القاهر على استخدام وجوه النحو وفروقه المختلفة كقاعدة انطلاقية يخرج منها الى تتبع صور التراكيب وتلمس الاغراض التي توحي بها حين تتغير من صورة الى صورة أخرى ، ومن ثم جعل (النحو) هو المجيز او غير المجيز لسلامة الصورة التركيبية او فسادها ، وذلك من حيث الصحة والسلامة الاعرابية — بينما نرى الزيات يختصر الطريق المؤدى الى منابع التذوق الفني والجمالي فيدخل مباشرة من باب « البلاغة » التي يستعين عليها بمزيد من النظر في علم النفس الجمالي، والذي لا شك افاد منه اثناء دراسته في فرنسا (١٩٢٥) ومن ثم نرى الاسلوب عنده هو « مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية يبرزها للعيان ويصل بينها وبين الاذهان ، وينقل اثرها المضمر الى الاغراض المختلفة والغايات البعيدة »
كذلك فالبلاغة في مفهوم الزيات تخرج عن حيزها المتعارف عليه قديما من حيث هي علاقات بيانية او تنسيقات بديعية او تركيبات نحوية لتتآطر في البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل « اذ ان الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما اصبح الروح نفسا لا تتمثل والجسم جمادا لا يحس »
على أن الزيات — كمعلم — امتهن التدريس ردحا غير قليل من عمره الحياتي والثقافي ، لا يترك الكلام المؤكد دون زيادة تأكيد وشرح وتفصيل — رغم شغفه الواضح بالايجاز وضيقه بالفضول والاطناب — تراه بوضوح العلاقة بين الفكرة والصورة في الاسلوب بجعلهما كل لا يتجزأ ووحدة لا تتعدد ، وليس ادل على اتحادهما من انك اذا غيرت الصورة تغيرت الفكرة ، واذا غيرت في الفكرة تغيرت الصورة ، فقولك (أعنيك) غير قولك (اياك أعني) . وقولك (كل ذلك لم يكن) غير قولك (لم يكن كل ذلك) . وقولك (ما شاعر الا فلان) غير قولك (ما فلان الا شاعر) .
فترتيب الالفاظ في النطق لا يكون الا بترسيب المعاني في الذهن . على انه في هذا



احمد حسن الزيات

نظر الى عبد القاهر في اسرار البلاغة واستشهد به ، اذ أن مزية الالفاظ لدى عبد القاهر : « ليست لك حيث تسمع باذنيك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك » .
معنى ذلك في ايجاز أن البلاغة التي عني الزيات بالتأصيل لها والدفاع عنها هي بلاغة العقل والذوق والفكرة والكلمة والموضوع والشكل ...

(٥)

كذلك فان الوظيفة الاولى للبلاغة — في رؤية الزيات — هي الاقناع عن طريق التأثير والامتاع من طريق التشويق — والشأن الاول ، وهذا مناط نظريته المجهولة في البلاغة هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب « فالمعنى المبتذل او المرذول او التافه قد يتسم بالجمال ويظفر بالخلود اذا جاد سبكه وحسن معرضه » .
اما اداة البلاغة عند الزيات فهي « الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والمراد بالطبع ملكات النفس الاربع التي لابد من وجودها في البليغ ، ولا حيلة في ايجادها لغير الخالق ، وهي الذهن الثاقب والخيال الخصب والعاطفة القوية والاذن الموسيقية » .
وعلى ذلك فلابد لطالب البلاغة — وهذا اقل ما يجب — من درس اللغة والطبيعة والفن « اما اللغة فلانها اداة القول والكتابة » يتضلع في مادتها ويتعمق في فقهها وينشط في ادبها ويحيط بعلومها ويوغل ما استطاع في استبطان اسرارها ، واستقراء اطوارها حتى تكون للسانه وقلمه اطوع من الشمع في يد المثال الماهر » .
واما درس طالب البلاغة للطبيعة فلانها كتاب الفن الجامع ومصوره المعجيب ، منها موضوعه ومادته ، وعنها التماسه ووحيه ، وفيها دليله ومثاله ، وبها اخيلته وصوره ، فيجب ان يطيل بها النظر ويشغل بها

مدخل لدراسة الأسلوب عند الزيات

المفكر »

وأما دراسته للنفس فلانها الينبوع الثر لما يزخر به الشعر والنثر من مختلف الغرائز والعواطف والافكار والاحاسيس ، ومعرفة الينبوع في مصدره وجوهره ومداه شرط في معرفة ما يصدر عنه على حقيقته وطبيعته وأثره »

(٦)

التذوق الجمالي للنص لدى الزيات ومحاولة التعمق في أسرار الالفاظ والكلمات والتراكيب ضروري ، لانه مناط العلاقات الرابطة التي لا مفر من التعامل الفني معها ، والتذوق البلاغي عنده هو أداة الفن كما أن العقل في ـ المنظر الفلسفي ـ هو أداة العلم ، فمن لا يذق لا يدرك الجمال ، كما أن من لا يفقه لا يعرف الحق ٠٠٠ فما هو الذوق عند الزيات ؟

« الذوق حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس او انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر »

وللذوق لديه مصدران هما العقل والعاطفة ، وقاض واحد هو الطبيعة « والفنان كلما دنا من الطبيعة كان انقى وأصدق » ومستقبل البلاغة ـ عند الزيات ـ منوط بتغلب الذوق الطبيعي على الذوق المزيف

(٧)

ويخلص الزيات من مقدماته حول التنظير البلاغي والعلاقة بين الطبع والصنعة ومحاولة وضع حد للبلاغة وآلة لها وعناية ببسط رؤيته الى التذوق الجمالي ، يخلص الى الاسلوب الذي هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام ، بل ان الاسلوب هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها ، لان الاسلوب لدى الزيات ـ كما سلف ـ هو مظهر الهندسة الروحية للملكة النفسية يبرزها للعيان ويصل بينها وبين الاذهان » ، وهو في هذا الجانب يعنى العناية كلها ويحشد كل الطاقات ويسخر كل الامكانيات، مما جعله يأخذ في الطبقة الاولى من « الدفاع » والطبقات التالية حيزا كبيرا بالقياس الى حجم الكتاب (النصف تقريبا من ص ٥٤ الى ١٢٤) مع الاخذ في الاعتبار أن الصفحات الكلية المكونة للكتاب لا تزيد عن ١٦٤ صفحة

وهو ينكر على بعض القدماء ـ مع اتفاق نظرته مع كثير من فهم ـ ينكر على من خلفوا عبد القاهر وأبي هلال وابن الاثير ـ سكوتهم المتعمد عن الاسلوب من حيث هو فكرة وصورة ، بل ان الفنان العبقري عنده « هو وحده الذي يستطيع أن يغلب صفاته الخاصة (في الاسلوب طبعا) عن صفات قومه العامة ، فيتميز طابعه ويستقل أسلوبه ، وهو تآليف من المقلدين حملة الرواسم (جمع روسم وهو « الكليشيه ») وحفظة التعابير حيث تظل أساليبهم نسخا منقولة عن الاصول العامة الموروثة لا يختلف بعضها عن بعض الا بمقدار ما تختلف رسائل التجار وكتب الدواوين »

ويركز تركيزا جيدا على العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ويؤكد على أن الفكرة والصورة في الاسلوب كل لا يتجزأ ، ويحمل على القائلين باستقلال المعنى عن اللفظ ، لانه يرى أن الكتابة لا تخلد بغير الاسلوب ، وأن تجويد الصورة يستلزم تجويد الفكرة وليس العكس ٠٠٠

ويستشهد لرأيه مدعما بأقوال العرب الاقدمين أمثال عبد القاهر وأبي هلال وغيرهما وبآراء الاسلوبيين من الفرنسيين أمثال فلوبير (امام الصناعة في فرنسا) ـ وبوفون (كاتب أسلوبي وعالم طبيعي مكتشف) ٠

ثم هو يحمل على أعداء العناية بالاسلوب ، ويناقش آراءهم مفندا امثال اميل زولا وبلزاك وأستندال ، وسائر الذين رآهم فولتير يعاصرون « معبد الذوق »

وفي هذا الفصل من الكتاب يحشد الزيات معداته وأسلحته ، ولا عجب ، فهو عن نفسه وطريقته ومدرسته ينافح ويدافع ، « ولا عليك أن يقال عنك انه بطيء بكيء ، فان زهيرا لم يعبه أحد بحولياته ، وابن المقفع لم يغض من عبقريته قلة مؤلفاته ٠٠٠ وأبو نواس شهر بالتخبر والتفكر كما شهر ابو العتاهية بالارتجال والاقتضاب فجاء شعره (يقصد ابا نواس) من حر الكلام ومختاره كما جاء شعر الآخر على رأي الاصمعي « كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » وللابروبير كتاب واحد ، ولفلوبير كتابان ، ولو كان لبلزاك كتاب من طراز (الشمائل) وكتابان على أسلوب (مدام بوفاري) و (سلامبو) لما قلت شهرته بهما عن شهرته بمجلداته الخمسين »

ويرى الزيات أن مقياس الجودة في العمل الادبي ، الاتقان لا السرعة ٠٠٠ ويخلص الى أن صفات الاسلوب الجامعة هي الاصالة والوجازة والتلاؤم ، كما يرى أخيرا أن أسلوب البليغ من لوازم القوة لديه ، والقوة لديه عنصر من عناصر الجمال

(٨)

يراد بالاصالة في الاسلوب لدى الزيات بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، كذلك فهي الكلمة الخاصة والعبارة الجيدة ، ويرى رأيا يخالف فيه الكثرة من أصحاب الاتجاهات الاسلوبية والمدارس النقدية من حيث أن خصوصية الكلمة وجدة العبارة تحقق الطبيعة الفطرية في الاسلوب ، وليست الطبيعة أن ترسل الكلام على سجيتك من غير روية ولا تنقيح « انما الطبيعة نتيجة النظر الطويل والجهد المتصل ، فهي على الرغم من اسمها تكتسب ولا توهب ، وشرطها الذي لابد منه أن يختفي فيها الفن كما

تختفى دودة القز فى الشرنقة »

ولابد أن تتميز الاصالة بعدة صفات ، الدقة والصحة والصــدق والطبيعة والوضوح ... ثم هى الصفة الجــوهرية للاسلوب البليغ والسمة المميزة للكاتب الحق .

أما الوجازة فهى امتلاء فى اللفظ وقوة فى الحبك وشدة فى التماسك ، ولا ترى التمييــع والتكلف والانتشار الا حيث ترى الضعف فى شىء من اولئك » كما انها حد البــلاغة لانها وان كانت أصلا فى بلاغة اللغات فهى فى بلاغة العربية أصل وروح وطبع ...

وهو فى هذا الفصل أيضــا يسهب ويطنب على الرغم من انه يتحدث عن الايجاز شعورا خفيا منه أنه يؤهل لمرتكزات اتجاهه ومدرسته وذلك حينما يرى أن للايجاز مزية ظاهرة على الاطناب فهو « يزيد فى دلالة الكلام من طريق الايحاء ، ذلك لانه يترك على أطراف المعانى ظلالا خفية يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع ثم تتشعب الى معان اخر يتحملها اللفظ بالتفسير او التــأويل ، والقرآن الكريم معجــزة الدهر فى هــذا الصدد »

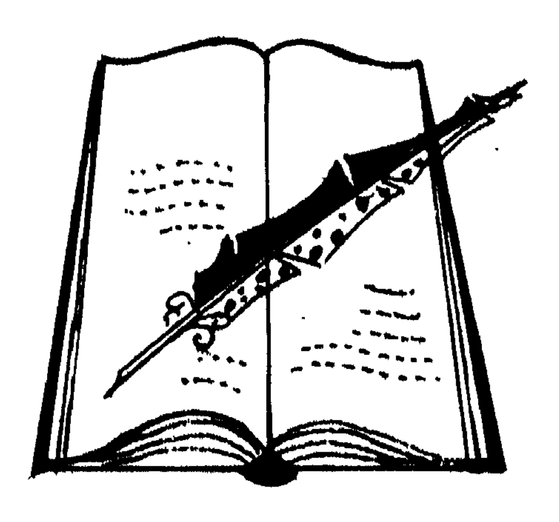
ويدلف بعد ذلك الى التلاؤم او الموسيقية او « الهرمونية » . والتلاؤم كلمــة جامعة لكل وصف لابد منه فى اللفظ ليكون الكلام خفيفــا على اللسان مقبولا فى الاذن موافقا لحركات النفس مطابقا لطبيعــة الفكرة أو الصورة او العاطفــة التى يعبــر عنهــا الكاتب او الشاعر » . ويكون فى الكلمة بائتــلاف الحروف وتوافق الاصوات وحــلاوة الجرس ، ويكون فى الكلام بتناسق النظم وتناسب الفقر وحسن الايقاع ، ومن هنــا تنشا الســلاسة والعذوبة والطلاوة والرخــامة والانســجام التراكيب ومتانة الحبك

على أن الزيات فى هذا الفصل يحمــل فى شجاعة على الذين يدعون الى ان تكتب كمــا نتكلم ، ويرى انهم يزورون حقيقة الفن بنقيصة العجز فيهم ، بدليل انهم يجــدون فى انفسهم حلاوة الرضا أن وقعت فى كلامهم عفوا كلمة انيقة او جملة رشيقة او سجعة محكمة ».

(٩)

أما هؤلاء الذين عابوا على الزيات هندسته الاسلوبية وضــاقوا بقيوده البــلاغية التى استقاها من واقع أسلوبه وأساليب القدماء هم بالطبع امتداد لهــؤلاء الــذين عابوا على عبد القاهر الجرجانى تقنيناته التى بنى عليهــا نظرية العلاقات أو النظم واتهموا منهجــه بالجمود المدرسى أو المنهج الحفرى الجامد

وكلاهما القدماء وغير القدماء ــ مجانب لجادة الصواب ، فكما أن الصورة الادبية الفطــرية المزفرقة وليدة الابتكار الحر ، وكما انها تنفر فى أغلب الاحيان من التقنينات والتعقيــدات والرسوم والمقاييس الهندسية الدقيقة لانهــا

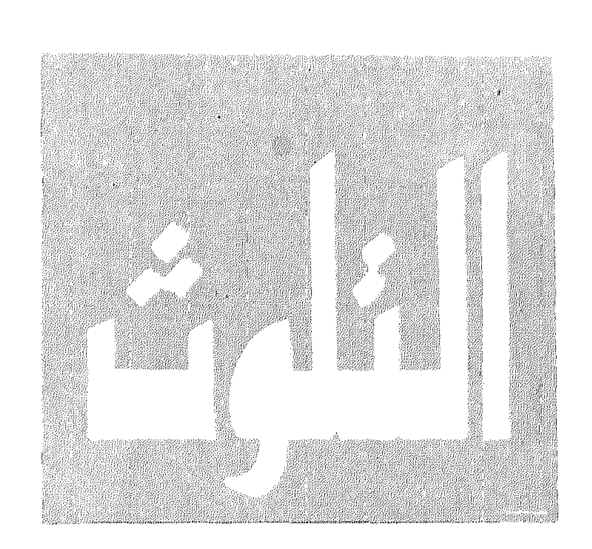


بنت الفطرة التلقائية والطبيعية السوية ، الا انها من جانب آخر ــ وهذا لابد وان يلاحظ ــ تحتاج الى ضوابط ترد الشارد منها الى لغة القرآن ووسمه باعتباره المرجع والمنبع واليــه المآب والاحتكام فى هذا الاتجاه ، والا انفلتت كما هو واقع بالفعل ــ الى تراكيب أعجميــة حسب التعبير الكلاسيكى ، فيها حروف العرب وليس فيها فطــرتهم وتصميمهم التــركيبى المنضبط المنظم .

لقد كان الزيات ومن قبل كان عبد القــاهر ــ بالرغم من أن الاخير لم يكن مبدعا ــ فطريا عفويا ، لم يستنجد كلاهما بغير الذوق مقياسا وحكما بينــه وبين النص الــكلى أو الصور الجزئية . فعبد القاهر ــ كما هو معلوم ــ خرج بالبلاغة العربية من أهاب الفلسفة ، وخلصهــا من مقاييس المنطق التى تورط فيهــا الاعاجم أمثال السكاكى والخطيب القزوينى وغيرهما .

الزيات كان طبيعيا ــ رغم الهجوم المركــز من قبل النقاد عليــه ــ بل يبــدو انه كان مفطورا بأصل الخلقة ، فحياته كلها لمن اقترب منه تمضى على هذا النسق الطبيعى المنظم ، وكلماته لمن استمع اليه متحدثا حتى من خلال احاديثه العادية اليوميــة ، تتسم بالتقسيمات المنسقة والتفريعات المتناســبة والتشبيهات القريبة الى الفهم والذوق .

شىء آخر أهم وأجدى فى مجال الانصاف ــ وليس الدفاع ــ عن محامى البلاغة والمدافع عن « معبــدها » فى العصر الحديث ــ تلك هى رسائله الخاصة والتى غالبا ما يتحرر فيهــا الصديق مع صديقه فيخلع ملابسه الخارجيــة امامه بلا حرج ويخرج من صــوره وأشكاله الهندسية المنمقة بلا كلفة ... كان الزيات فى رسائله ــ وتحت يدى منها ما يربو على عشرين ومائة رسالة كلها بخط يده ــ يترسل فى سلاسة دون ان يخرج عن الهندسية الجمــالية التى هى أبرز سمات أسلوبه الأدبى حتى ولو كانت الرسالة لمتوسطى الثقافة او لمن هم دون ذلك فالزيات هو الزيات





● محمد الحديدى ●

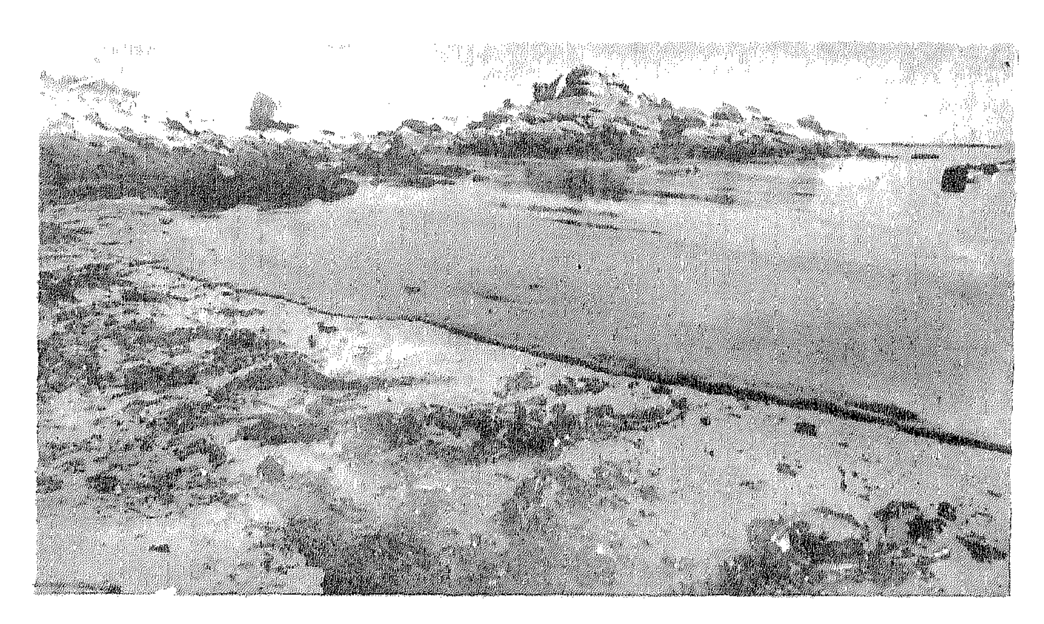
مشكلة الخير ، والشر مشكلة قديمة ، وسوف تظل كذلك .. لان هذه هي طبيعة الحياة الانسانية .. انه حتى الحرب المدمرة التي يهلك فيها الحرث والنسل يرى فيها البعض خيرا .. من الفيلسوف القديم هرقليطس الى نيتشه والنازين الالمان ، نرى الكثيرين ممن يظنون ان الحرب تساعد على هلاك الضعفاء وبقاء الاصلح . حتى المضادات الحيوية التى قضت على العديد من الافات التى عذبت الناس الاف السنين وابرات عللا من نوع الجذام والطاعون ، وحولت ملايين من العميان الى مبصرين ـ حتى هذه وجد الكثيرون فيها شرا كثيرا لانها ساعدت على انماء انواع جديدة من البكتريا تستعصى على كل دواء مما هو لدينا الان ! ..

وموضوعنا هذا ، تلوث البيئة ، هو ايضا ناتج جانبى للتقدم العلمى والتطور التكنولوجى اللذين لا ينكر احد انهما جاءا البشرية بانواع عديدة من الخير والمتعة والرفاهية ، لم يعد هناك حد لثمار العلم والتكنولوجيا ، ويقدر عدد المستحضرات الكيمائية التى تستجد بألف نوع كل سنة ، والمستحضرات المعروفة حتى الان تبلغ حوالى خمسين الف مركب ! .. ثلثها على الاقل خطر على الحياة الانسانية ، فهى ليست كلها مستحضرات تجميل ، وانتاجها يتضمن ضرورة التخلص من نفايات كيمائية فتاكة تفرزها المصانع فى حمى الانتاج والصراع من اجل الثراء العظيم !

ولا يعدم كبار رجال الاعمال فى المجتمع الصناعى وسيلة يسكتون بها اولئك الحمقى الذين يثيرون كل هذه الضجة من اجل الانهار والبحيرات ، بل والمحيطات ! ..

ولا يبدو أن هناك حلا لهذه المشكلة، فالمصانع تعمل والعمل ينتج هذه النفايات ، فماذا نريدهم ان يفعلوا بها؟ فى البحر متسع للجميع .. وقد يتساءل البعض : هل يمكن ان يتلوث البحر ؟ .. الاجابة هى نعم ، فهو مهما كان متسعا وعميقا فهو ايضا يتلقى اقذارا عظيمة من فيض المجارى وسموم الكيمائيات والمبيدات الحشرية ونفايات البواخر وما يتسرب اليه من البترول ومشتقاته عندما تتصادم الناقلات او تغرق او يقع حادث لحفار بترولى او ناقلة، كما حدث اخيرا فى بحر الشمال وعلى ساحل بريتانى فى فرنسا ..

أرقب الموج الرقيق وهو ينساب فى وداعة على الشاطىء فى يوم هادىء



اسوا حادث تلوث بالبترول فى التاريخ ، الباخرة « اماكوكاديز » ، جنحت عند شاطىء نورماندى بفرنسا ولفظت الى الماء ما يقرب من ربع مليون طن من البترول الخام فى ابريل ١٩٦٨ ، ولوثت شواطيء طولها مائتى كيلو متر وتسببت فى خسائر فادحة وقضايا ما زالت امام المحاكم الى الان ،

لطيف ، سوف ترى خيوط الزيت واضحة كالشمس وهى تمتزج بالماء وترسب فى بلادة على الرمال لتكون هذه البقع السوداء من « الوقت المذاب » الذى يعلق بالاصابع والكعوب ، ويجعلك تبحث فى مخلفات المنزل عن وابور جاز تأخذ منه بقايا من الكيروسين تستخدمها كمذيب لهذا الناتج الجانبى للصناعة التى جاءت بك الى المصيف فى القطار المكيف أو الطائرة النفاثة ، واعطتك التليفزيون الملون — (وهذا يكون خيرا او شرا حسب نوع البرنامج الذى يضعه امامك قدرك !)

● **نحن وامنا الارض**

هذه الام الرءوم ، اعطتنا الكثير

كم ارضعتنا وكم الحفتنا فلم تلق منا الا مزيدا من النهم والاستنزاف ، منذ قرون والانسان يعامل البر والبحر والهواء كما لو كانت موارد لاحد لها ولا نهاية ، وهى ليست كذلك ..

لقد نفثنا فى الفضاء ملايين الاطنان من انواع الغبار والغازات السامة ، غبار الاسمنت والمبيدات الحشرية ، ونواتج الاحتراق المتصاعدة من المصانع ومصفاوات البترول ، ولوثنا **معظم الانهار والبحيرات ، ولفظنا من النفايات ما لم يعد لدينا موضع نلقى به فيه وملأنا الدنيا بكيماثيات المبيدات السامة ، واصبحت توجد فى كل شىء نأكله او نشربه ، فى اللحوم والخضروات والفاكهة ، ومركبات الزئبق والرصاص وال . د. د. ت واسترونيوم ٩٠ — كل هذا يتم دورته ليحط فى اجسادنا لناخذه معنا الى الارض عندما تنتهى اجالنا ليبدا دورة جديدة مماثلة .**

اغلبنا لا يستطيعون ، او — على الاقل — كانوا الى عصور قريبة لا يتصورون امكان ان يتلوث البحر ، وكان المثل البلدى يصف التصرف الشين — من قبيل المبالغة — بانه ((ينجس البحر)) لم يعد هذا المثل يعنى شيئا فقد وقع هذا المستحيل وتنجست بحار كثيرة على راسها البحر الابيض المتوسط الذى اصبح يزخر بمنتجات البترول والمجارى ...

امنا الارض ، سفينة فضاء ضخمة قطرها حوالى ثلاثة عشر الف كيلو مترا ... ولكننا نعيش على قشرة رقيقة على سطحها ، وفيما عدا بعض الكائنات الدقيقة فالحياة الارضية تنحصر بين قاع المحيط ، وعمقه حوالى

١١ – ١٢ كيلو مترا ، واقصى ارتفاع تصل اليه الحياة ، سواء على قمم الجبال أو حتى فى الطائرات ، مادامت قد اصبحت شيئا منتظما ، وهذا حوالى عشرة كيلو مترات .

نطاق الحياة على الارض اذن يمتد الى حوالى عشرين كيلو مترا ولو صنعنا للارض نموذجا على هيئة كرة قطرها خمسة سنتيمترات ، فان هذا النطاق لن يزيد سمكه على سمك هذه الصفحة .
الواقع ان نطاقا اصغر من هذا بكثير ، حوالى ثلاثة كيلو مترات فقط يحتوى ٩٥٪ من كل الحياة على هذا الكوكب .

جزء كبير من هذا النطاق يخلو تماما من الحياة ، ٩٠٪ من المحيطات و ٣٠٪ من اليابسة تكاد تكون صفرا منها ، والباقى لابد له أن ينتج ما يكفى جميع الآدميين الذين يعيشون الآن وهم اقل قليلا من اربعة آلاف مليون ، وعند نهاية هذا القرن سوف يصبحون ستة آلاف مليون .

وكل ثانية تمر يولد اربعة اطفال ، ويتفاوت نصيب هؤلاء الاطفال من خيرات الارض ، ففى الولايات المتحدة حيث يولد طفل كل تسع ثوان ، الفرد المتوسط فى المجتمع الصناعى الغربى ، يستهلك ما يلى :

٢٨٠ مليون لتر من الماء ، بما فى ذلك نصيبه من الماء المستهلك فى الزراعة والصناعة الى جانب استهلاكه الشخصى ... ١٨٥٠٠ لتر من البنزين .
٥ ونصف طن من اللحم
٥ ونصف طن من القمح
٩ اطنان من اللبن ومشتقاته
و ... اذا استمر الحال على هذا المنوال ، فهل يستمر ؟

● **ثلاثة انواع رئيسية من التلوث**

● **تلوث الهواء**

المصادر الرئيسية هى : السيارات ، والمصانع ، ومحطات انتاج الطاقة ، والتسخين اللهبى ، واحراق القمامة والفضلات الزراعية .

● **تلوث اليابسة**

على راس الاسباب : القمامة ، وهذه فى زماننا تحوى الوف الاطنان من البلاستيك والالومنيوم والزجاج ، وهذه كلها مواد لا تبلى بسهولة ولا تتأثر بعوامل الطبيعة كما تتاثر بها المواد الزراعية مثلا ، كبقايا الخضروات والفاكهة .

● **تلوث الماء**

وينتج بصفة اساسية عن المجارى ومخلفات الصناعة والمبيدات الحشرية والاسمدة وأعمال المناجم .
ولكن هناك أيضا ما يلى :
– اقتلاع الاشجار والقضاء على الخضرة من أجل الحصول على الاخشاب أو لبناء المدن والطرق السريعة ، يزيد ذلك من تآكل القشرة الارضية ، وينقص من قدرة الارض على استعادة الاكسجين المستهلك والذى تعوضه النباتات الخضراء فى توازن الهى بديع .
– حفر المناجم يشوه الجبال ويغذى السيول الهابطة عليها بالاحماض الفتاكة التى تتلف المزيد من الحرث والنسل
– صحيح أن المفاعلات الذرية لا تلوث الهواء بقدر يعادل ما تحدثه الغازات المحترقة المتصاعدة من محطات التوليد الحرارية ، ولكن المياه المستخدمة فى تبريدها بكميات كبيرة تخسر قدرا كبيرا من الاوكسوجين ، وتتسبب فى الاخلال بالتوازن الاكسوجينى الطبيعى .

– نفايات الزئبق التى تقذفها المصانع فى البحيرات والانهار ، تحولها البكتريا التى تعيش فى الماء الى زئبق ميثيلى ، وهذا بدوره يبدا دورة بيولوجية جديدة بدخوله اجساد الاحياء البحرية والاسماك التى يتغذى عليها الانسان ، وقد وقعت حوادث تسمم شهيرة فى اليابان وغيرها من اكل الاسماك الطيور ينتج عن غير ذلك من مركبات المسمومة » وهناك تاثير مشابه على

— لا تتسبب الطائرات النفاثة فى اكثر من ١٪ من تلوث الهواء ، ولكن محركاتها تفرز قدرا كبيرا من بخار الماء نتيجة لاتحاد الايدروجين فىالوقود الذى تحرقه مع الاكسوجين فى الغلاف الجوى ، يؤدى ذلك الى زيادة حجم الغيوم الجاثمة فى الفضاء ، وعندما يتزايد استخدام الطائرات فوق الصوتية التى تطير علىارتفاعات كبيرة، فان مثل هذه الغيوم قد تبقى معلقة فى الفضاء فترات طويلة جدا ،ليس معروفا بالضبط حتى الآن مدى تاثير مثل هذه الظواهر على اجواء كوكب الارض المفترى عليه ...

— جميع الانهار الكبرى فى البلاد الصناعية تكاد تكون ملوثة تماما ،هذا التلوث يمتد الى مصبات هذه الانهار والشواطىء المحيطة بها ويحدث اثره على الحياة البحرية .

— لا ينكر احد ان الاسمدة الكيمائية قد زادت من الانتاج الزراعى، ولكن رب نافعة ضارة،فالرياح والامطار تحمل هذه الكيمائيات الى الانهار والبرك والمحيطات لتساعد على نمو النباتات الضارة ومختلف انواع البكتريا غير المرغوب فيها .. فيها ..

— الانسان مدنى بالطبع ، الزحف من الريف الى المدن حيث تتكاثر النفايات وتتركز فى مناطق بعينها ولا تصبح مجرد قطرة فىبحر ، انها البحر ذاته ، تزايد « الزبالة » يؤدى الى انشاء محطات الحرق الكبيرة ونفث المزيد من نواتج الحرق فى الهواء الذى نتنفسه ، او الى نقلها الى اماكن بعيدة بوسائل نقل تحدث آثارا شبيهة .

— تزايد وسائل النقل البحرى ينشر القمامة فى البحار ايضا ، وكثيرا ما تسرع الى الشاطىء فى يوم صيفى رائق ، وبدلا من ان تنعم بالسباحة فى هذه الزرقة الحالمة ، تجد نفسك متدثرا بجوال من النايلون المغطى بالشحم تخوض فى بركة مليئة بقشور الخس والقرنبيط ..

● **مياه الآبار**

والآن وقد تلوثت معظم الانهار الكبرى فى العالم الصناعى ، وفى بعض الدول النامية حيث توجد صناعات كيمائية او بتروكيمائية كبيرة ، فان الانسان قد يطمئن لمياه الآبار ، ولكن الواقع ان الخطر يتهدد هذه ايضا ، ففى الولايات المتحدة حيث يعتمد نصف **الشعب الامريكى على الآبار فى الحصول على مياه نزلت الى باطن الارض منذ عشرات السنين من خلال الصخور والرمال لتتجمع فى بحيرات جوفية كبيرة على اعماق تصل الى مئات الامتار وتخلو تماما من كل شائبة كيمائية .**

وتقدر الجهات المختصة ان الشركات الصناعية تقذف كل يوم بحوالى خمسة ملايين متر مكعب من المياه الملوثة الى مجارى جزيرة لونج آيلاند وحدها ، وقد ظهرت اصابات بسرطان الكلى يعزوها الباحثون لتلوث المياه بالبتروكيمائيات .

ومياه الآبار لا تجرى او تتدفق كمياه الانهار ، كما ان حرارة الشمس لا تصل اليها ، فهى تبقى ساكنة راكدة الى ان تمتصها المضخات ويشربها الناس اعتمادا على نقائها الطبيعى ، واذا تلوثت بالكيمائيات فلا سبيل الى تنقيتها باى وسيلة ، بل ان مجرد فحص الماء للكشف عن مدى تلوثه بالبتروكيمائيات عملية معقدة ، ليست فى سهولة الكشف عن البكتريا او الطفيليات او الطمى او غير ذلك من الشوائب .

● **البتروكيمائيات**

ويرى بعض العلماء ان الخطر الاعظم يأتى من حقيقة ان جميع المخلوقات التى عاشت على الارض كانت قادرة على ان تتلاءم تدريجيا مع التغيرات الطبيعية المتوالية لان كلا الامرين ، التغيرات والتطور المواجه لها ، كانا يمضيان بمعدل مناسب ومتناسب

ولكن التلوث الكيميائي يأتي بمعدل أسرع كثيرا من قدرة الانسان على اكتساب المناعة بسبب .

ولا يقف الامر عند ذلك ، فالى جانب سرعة حدوث هذا الاثر هناك نوعيته أيضا، نوعية تأثير البتروكيمائيات على الهواء والتربة والماء ، فقد عمل البتروكيمائيون على توليف جزليسات من مواد الفحم والبترول والغاز الطبيعي بأشكال جديدة والتجسوا مركبات لم تكن توجد من تلقاء ذاتها وان كانت عناصرها والقوانين المتحكمة فيها موجودة بالطبع منذ الخليقة .

هذه المركبات اساسية الآن فى صناعات الدواء والبلاستيك والمواد العازلة والنسيج وبعض أنواع الغذاء ولكنها ، بخلاف الكيمائيات الطبيعية ، لا تتحلل أو تبلى تحت تأثير البكتريا او الشمس او الهواء او الماء وان فعلت فببطء شديد ، والزجاجة المصنوعة من البلاستيك التى تأخذها الى بيتك وتستهلك ما فيها من زيت أو صابون ثم تلقى بها الى القمامة قد تعيش آلاف السنين بعد ذلك ...

قد لا يكون هناك خطر كامن فى مثل هذه الزجاجة ، ولكن هناك مواد بتروكيمائية اخرى يلقى بها فى المهملات بنفس السهولة وهى ليست فى براءة البلاستيك ، اغلبها يحمل اسماء يصعب النطق بها : دايكلوروايثيلين ، دايبراموكلوروميثين ، تتراكلورواثيلين ، وهكذا .. يقال انها تتسبب فى الاصابة بالسرطان وغيره من الافات وان كانت علاقة السبب بالنتيجة غير واضحة او ثابتة تماما .

وليس هناك تسجيل لمواقع او كميات النفايات الكيمائية أو «المقالب» التى تقذف فيها ، وبذلك فهى اخطر من النفايات الذرية ، بل ومن الالغام البرية والبحرية التى تتخلف عن المعارك الحربية ، فهذه تعمل لها خرائط تسجيلية ، وقد يظهر خطر الكيمائيات فى أى وقت ومكان . والكثير من المصانع فى دول الغرب تتخلص منها خفية وبوسائل غير قانونية منها سلوك الطرق الزراعية مع الاستمرار فى بعثرة النفايات تجنبا للاضرار الى تحمل التكلفة التى تنشأ عن القائها بعيدا عن العمران ...

● القمامة ...

عندما تكون نووية ●

ليس هذا كل شيء ، هناك الطاقة النووية . ومرة اخرى ، لا نحن ولا أحد يدعو الى ايقاف تيار التقدم ، او العلم وتطبيقاته ، واذا دعا احد لذلك فانها دعوة فى الهواء ، لان العلم هو التفاعل الحتمى بين قدرات الانسان كما خلق ، والكون كما وجد نفسه فيه . ولا سبيل أبدا لايقاف هذا التفاعل ...

ولكن هناك اخطارا هائلة ، منها مخلفات الوقود النووى ، ونحن هنا لا نتعرض للحوادث من نوع ما وقع فى جزيرة « ثرى مايل » الامريكية ، فهذا موضوع آخر ، نحن نتحدث عن تلوث البيئة دون أن تقع الحوادث . النفايات هى سبب التلوث ، والنفايات يمكن أيضا أن تكون مواد نووية مشعة .

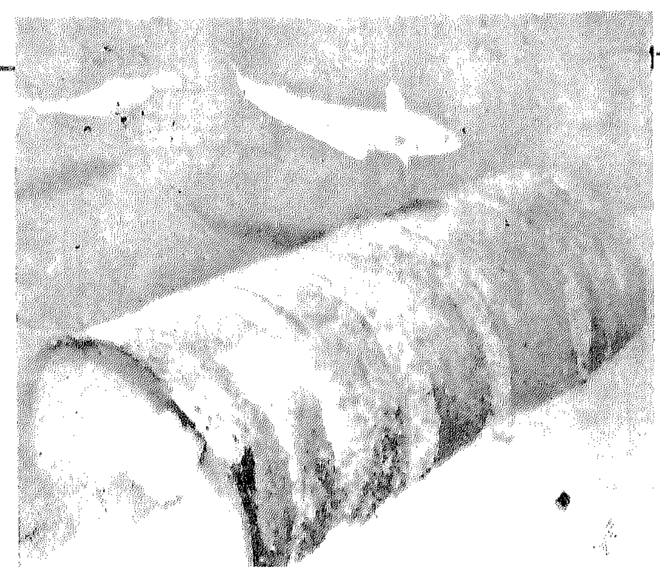
بعض النظائر المشعة ــ مثل اليود ١٣٣ ــ تفتقد قدرتها على الاشعاع فى أيام قلائل ، بينما يستمر بعضها فى الاشعاع ملايين السنين ، من هذه اليود ١٢٩

ويتعرض غذاء الإنسان للاشعاع من مخلفات الوقود الذرى ، نتيجة لان هذا الوقود ــ وهو نظائر مشعة من نوع اليود ١٣١ واسترونيوم ، وعندئذ ينزع من المفاعلات وتظهر هذه المشكلة الكبرى : اين نلقى بهذه القمامة ؟..

انها ليست كالرماد المتخلف عن احتراق الفحم والاخشاب ، وليست كالغازات المتصاعدة من السخانات ومحركات السيارات ، انها تظل قرونا طويلة فى غاية الخطورة على الحياة الادمية والحيوانية ، خاصة عندما تتسرب الى الغذاء او مياه الشرب او الرى او تدخل



براميل تحوى نفايات يلقى بها فى منجم قديم للفحم فى المانيا الغربية ، ادى الى احتجاج السكان الى ابتداع اوان غير معدنية تصنع من السيراميك. وغيره



الاسماك تحوم حول براميل تحوى مواد تظل مشعة لقرون طويلة ، الاشعاع الذرى يتسرب اليها ثم يصطادها الانسان ويتخذها طعاما .

اجسام الاسماك التى يتغذى عليها الناس ، أو تمتزج بالآبار حيث لا يكتشف امرها الا بعد فوات الوقت ..

فكر العلماء فى كل شىء ، بما فى ذلك وضع هذه النواتج فى صواريخ واطلاقها الى الفضاء الخارجى الى حيث تصبح مشكلة « الجيران » ان وجدوا ... تخرج من كوكبنا الى حيث يعلم الله ، الى حيث القت ... نحو الشمس مثلا ، حيث تكون كحفنة من قشر البصل يلقى بها فى جوف فرن من افران الصلب ؟.. فقط ، يا لها من تكلفة !.. من ثمن باهظ للحصول على شىء من الطاقة أو قتل حفنة من الاعداء ... ثم أن مثل هذا الانجاز يتطلب وجود صواريخ لا تسمح بالاشعاع ولا تقع لها حادث ، والا فان الكحل سيؤدى الى العمى كما يقول المثل البلدى !

ماذا عن المنطقة المتجمدة فى القطب الجنوبى ؟ أو اعماق المحيط ؟ فكروا فى كل هذا بالطبع ، ولكن هناك مشاكل دولية ، ثم من يدرى ما يأتى به الزمن ؟ حيثما يوجد الماء يوجد احتمال أن يتدفق الماء حاملا فى طياته بذور الفناء ... وهو ينبوع الحياة .

لماذا لا نجرب الكيمياء على طريقة العرب القدماء ؟ نحول الرصاص الى ذهب ؟ أو بلغة العصر : نطلق سيلا من الذرات النووية على هذه المواد اللعينة فتتحول الى الجمود أو الهمود ؟ فكرة مقبولة نظريا ، فقط لا احد يعرف كيف واين وبكم يمكن تنفيذها !

الحل الوحيد هو تخزين هذه العفاريت فى قمقم ، فى عبوات صلدة مانعة للاشعاع واغراقها أو دفنها فى أعماق تحت الارض تصل الى مئات ويا حبذا آلاف الامتار .

وقد صنعت لهذا الغرض أوعية من السيراميك والزجاج ، ولكن المشكلة لا تنحل نهائيا بهذه الطريقة ، انها فقط تؤجل ، لأنه بعد مدة قرون وربما بعد آلاف السنين يعلم الله ما سيحدث عندما تتهالك الاغلفة وتتكاثر صفائح الزبالة اللعينة وتضيق بها اعماق الارض

والمؤسف هو ان الجزء الاعظم من هذه النفايات يأتى من صناعة الاسلحة النووية ، وهكذا فان الدمار يولد الدمار ... والامر لا يقتصر على المفاعلات التى تعطى طاقة من اجل الحياة. ولكن هذا كله يصبح امرا هينا لو أن البشر اتجهت عقولهم نحو الخير ونحو وقاية النوع الانسانى نحو « ما ينفع الانسان » فهو الذى يمكث فى الارض ..

أزمة الكم والكيف

● امام سالم ●

ظلت الترجمة مصدر اثراء الفكر الانسانى على مر العصور ... ولكن فى الفترة الاخيرة تعرضت للركود ونالت من الجحود والانكار الكثير ، مما يثير التساؤل حول هذه الازمة ، ويبعث على التفكير فى عرض المشكلة والمقترحات لحلها ..

● انشاء مركز علمى للترجمة ●

د / مهدى علام
الامين العام لمجمع اللغة العربية

لابد للانسان المتحضر أن يكون على اتصال بافكار العالم الذى يعيش فيه ولقد ادرك العالم اهمية الاتصال الفكرى عن طريق الترجمة من قديم فليس هناك حضارة من الحضارات الا وقد عنيت بنقل ما حولها من تراث الفكر .. فلا اليونان استغنوا بثورتهم الفكرية العظيمة ، ولا الرومان اكتفوا بما لديهم من علم ومعرفة ـ فهؤلاء وغيرهم سعوا الى نقل التراث العالمى المعروف ..

ومن مظاهر الاهتمام بالاتصال الفكرى اختراع لغة ((الاسبرانتو)) التى رؤى فى وقت من الاوقات أن تكون لغة عالمية يتعلمها كل انسان الى جانب لغته القومية ليسهل عليه التفاهم بها .

ولم ينجح هذا المشروع العظيم فى ايجاد لغة جديدة ، منعا للحساسيات والغيرة التى تسود اذا استقر الرى على اختيار لغة كالفرنسية والانجليزية مثلا ..

واهم ميزة فى لغة الاسبرانتو ، هى السهولة فى الاشتقاق والاطراد فى قواعد النحو ، وما زالت هذه اللغة تحيا بين محبيها ولها جمعياتها ونواديها ، ولكنها لم تنل صفة العموم العالمى . لان تقدم الثقافة ويسر الاتصال وانتشار اللغات الحديثة ، ورقى تكنولوجيا الاعلام .. كل ذلك اغنى عن اللجوء الى هذه اللغة المصطنعة ..

ولقد حاول تشرشل أن يحل الانجليزية محل ((الاسبرانتو)) بتشجيع حركة معروفة باسم ((الانجليزية الاساسية ، كما حاول بعض اللبنانيين بوحي أجنبي تقليد هذه الحركة مع اللغة العربية وعرضوا علينا مشروعهم فى عدة هيئات منها مجمع اللغة

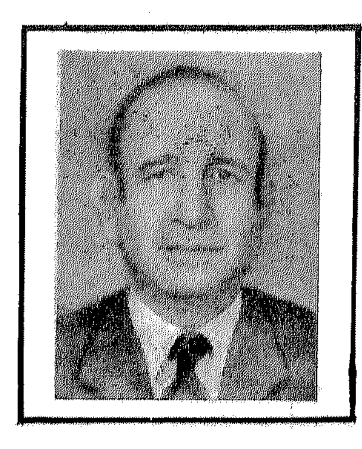




حلمى مراد



حسين القبانى



مهدى علام

العربية ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وكان يعيب هذه الحركة الاخفاق ..

والعلم بقواعد اللغة وبمفرداتها لا يكفى وحده للقدرة على التغييرات الحضارى نطقا وكتابة من وان هذه المعلومات ليست الا مواد البناء التى لا تقيم مبنى الا من طريق الهندسة اللغوية التى تعمم الجملة وتخطط الفكرة وتنسق الفقرة والمقالة وهذا علم هام يحتاج الى مواد البناء السابقة ولكنها لا تقيم لغة بالمعنى الحضارى ..

***

وهنالك فعلا ازمة فى حركة الترجمة ازمة كمية وكيفية .. فالازمة الكمية ترجع الى اننا لم نستطع ان نلاحق الانتاج العالمى فى جميع فروع المعرفة .. فالفكر العالمى يتحرك ، وآلات الطباعة تدور ، وعدد اللغات التى تصدر بها هذه المطبوعات يزداد .. وكنا نعتبر انفسنا سعداء عندما كان يظهر كتاب او كتابان من ترجمات فتحى زغلول عن الفرنسية ومن ترجمة محمد السباعى عن الانجليزية ، وكان من النادر ان نتلقى شيئا عن الالمانية واما الآن فالعدد كبير والانتاج غزير ..

واما من الناحية الكيفية فان الازمة تتمثل فى ضعف بعض الترجمات وهو ضعف يرجع الى عدة اسباب منها ان بعض من يتصدوا الترجمة ليسوا من اهلها ، بل هم ادعياء علم او طلاب رزق وان بعض المترجمين تصعب عليهم دقائق فى اللغة التى ينقلون عنها ..

وتطلع القارىء الى ما هو جديد فى الخارج يحدث رواجا فى الترجمة ويبعث بعض الناس على تقديم مايتلهف السوق على استهلاكه ، فيئول الامر الى رواج بضاعة رديئة فى سوق ليس عليها رقيب .

ويجب ان يتحقق فيمن يتصدى للترجمة شروط ثلاثة : اتقان اللغة المنقولة منها واتقان اللغة المنقول اليها وتخصص فى المادة الترجمة ..

واما فيما يتعلق بانشاء مركز علمى للترجمة ، فارى ان يكون الاقتراح هيئة هى اقرب الى لجنة اتصال بين الاجهزة القائمة الان بنشاط الترجمة بحيث يظل كل جهاز منها حرا فى نشاطه ، على ان يبلغ هذه اللجنة بيانا باعماله لتنسقها مع نشاط الاجهزة الاخرى .

وتتالف لجنة الاتصال من ممثلين للهيئات المختلفة ومن بعض المتخصصين المشتغلين ليدلوا بآرائهم فى موضوع الاولويات التى تقدم للترجمة فى الاجهزة المختلفة ، ولابد طبعا من وضع لائحة تنظيمية لهذه اللجنة

واعجب ما وقع عليه نظرى ترجمات لبعض الكتب وهى ترجمات مطبوعة فى بيروت ، وهى تكاد لا تتصل بالاصول الانجليزية التى تدعى انها ترجمة لها . وبعضها تاليف جديد كانه مقالات مستقلة ..

• ثلاثة الاف كتاب جديرة بالترجمة والاقتنــــاء •

للاستاذ حلمي مراد
رئيس تحرير كتابي

ان كل ما ترجم حتى الان من كتب ومراجع لا غنى عنها لمثقف لايزيد عن واحد في المائة مما ينبغي أن يترجم .. والذى ترجم لا يخضع لتخطيط منهجي ولم يتلاحم وفقا لخطط او دراسات ، وانما ترجم على اقتراحات فردية متناثرة

اقول هذا وامامي مئات من الكتب والدراسات تولت اصدارها اكبــر الجامعات العالمية واشهر الاخصائيين في كل فرع من فروع المعرفة ، تتضمن قوائم تفصيلية بنحو ثلاثة الاف كتاب اتفقت اراء جميع ذوى الشان عــلى جدارتها بالقراءة والاقتناء ..

هذه قائمة يرشحها المفكر الانجليزى الشهير « الدوس هكسلي » ، وهــذه اخرى انتقاها الاديب الالماني « توماس مان » ، وثالثة من وضـــع فيلسوف الصين المعروف « لين يوتانج » ورابعة للكاتب الانجليزى المعاصر « هسكيت بيرسون » ، وخامسة للناقد والمعلق المشهور « ج.ب. بريستلي » وسادسة وعاشرة ، وعشرون .. وضعتهــــا جامعات العالم المختلفة .

وثمة قوائم وضعت حسب التسلسل الزمني تبدأ بكتب اليونان فالرومان فالعصور الوسطى ، فعصر النهضــة فعصر اسرة تيو دور في انجلترا ، فالقرن السابع عشر وماتلاه الى القرن العشرين وقوائم روعي فيها التقسيم النــوعي حسب فروع المعرفة المتشعبة فتخصص فصلا لكل فرع .. كتــب الاديان .. فكتب الاثار ، فالادب ، فالعلوم ، وهذه تنقســم بدورها الى عشرات الابواب والفصول بقدر تعددها ثم الفلســفة فالفنون فالقصص .. الخ .

وهذا نوع آخر من القوائم تعــددت ابوابه بتعدد البلاد والحضارات واللغات فهذه قائمة بالكتب الالمانية في جمــع العصور ، وقوائم اخرى بالكتب الايطالية الفرنسية والانجليزية ، ثم كتب الشرق من عربية وفارسية وهندية وصـينية ويابانية .. وبعض الدراسات تضـــم قوائمها وفقا لالوان الكتابة واساليبهــا وقوالبها الفنية ، وهذه قائمــة للدراما واخرى للرواية ، وثالثة للقصة القصيرة ورابعة لدواوين الشــــعر ، وخامسة للرحلات والسير والمقالات والرســـائل والنقد ..

ثم هذه قائمة ترشيحات لاعظم مائة كتاب في جميع العصور ، وقد ورد فيها بين هذه الكتب المائة . القرآن الكريم ، والتوراة ، والف ليلة وليلة .

واخرى باعظم خمسمائة كتاب كلاسيكي من جميع البلاد واللغات . وثالثة باهم مائة مرجع في شتى فروع المعــرفة . ورابعة باحب كتب العالم الى القراء منذ فجر التاريخ . وخامسة باشــهر كتب القرن العشرين . وسادسة باعظم ستين قصة في جميع العصور . وســـابعة بالكتب التي غيرت وجه التاريـــخ والحضارة .

وتقرر الناقدة الامريكيـــــة (كان رشتر) ان دراسة او تقريرا يعطي القارىء مفتاحا ييسر له الحصول على حصيلة ثقافية قد يتفق عليها شــخص آخر مالا يقل عن ثلاثة الاف دولار اذا تلقاها عن طريق الدراسة في احــدى الجامعات ..

وكبار الادباء عندنا لا يزالون يعرضون عن الترجمة باعتبار انها في رايهم دون التاليف من حيث المكانة الادبيــة التي تحققها لهم ، وهي نظرة متخلفة فندها ودحضها نادى القلم الدولي في اجتماعه الذى عقد في طوكيـــو باليابان منـــذ سنوات قليلة ...

وقد مثل مصر فيه يومئذ المرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، ومثـــل بريطانيا الشاعر (ستيفن سبندر) وحضره الاديب الامريكي (شتاينبك) وقد أجمع المؤتمرون على النقـــاط التالية :

● ان الترجمة فن ينبغي أن يحتل مكانه بين سائر الفنون الاخرى من أدب ونحت وتصوير وموسيقى . والمترجم فنان ينبغي أن يحتل مكانه بين الشاعر والروائي والكاتب المسرحي .

● ان كبار الأدباء ينبغي ان يتجهوا الى الترجمة ، فانهم باحجامهم يتركون هذا الميدان وقفا على تجار الفن والدخلاء عليه ويضرون بمصالح الشعوب ضررا بليغا ...

كما ناقش المؤتمرون اسباب واحجام كبار الكتاب عن اقتحام هذا الميدان ، ولخصوها فيما يلي — : الجهد العظيم الذي تتطلبه ترجمة الاعمال الادبية والفنية وقلة الجزاء الذي يلقاه المترجم واطلق على المترجم لقب الجندي المجهول . واجمعوا على ان فن الترجمة يساهم في زيادة فرص السلام العالمي .

ولا يملك المرء الا ان يتساءل ماذا يمكن ان يكون عليه عالمنا لو لم تترجم الكتب السماوية واعمال هوميروس وسوفو كليس ودانتي وشكسبير وسرفانتس وجوته ، وتعاليم الفلاسفة وقادة الفكر ، والآثار العلمية الى لغات العالم المختلفة ...

واتساءل في مرارة ماذا ترجم حتى الآن الى لغتنا العربية من اعمال هؤلاء الاعلام وماذا ترجم من تعاليم الفلاسفة وآثار قادة الفكر في جميع العصور .. ومتى يترجم من أجل مائة وعشرين مليون عربي الانتاج العالمي المعاصر في كافة ميادين المعرفة ..

متى يترجم التراث الكلاسيكي منذ عصر النهضة وما قبل عصر النهضة . ومتى يترجم التراث الصيني والهندي القديم في الحكمة والفلسفة والفكر والفن !

● العودة الى السلاسل الادبية ومشروع الألف كتاب ●

للاستاذ / حسين القباني

من المعروف ان حركة الترجمة بدأت في منتصف القرن الماضي عندما بدأ رفاعة الطهطاوي هذه الحركة عقب عودته من باريس ، ثم انتكست هذه الحركة بعد دخول الانجليز . وعادت حركة الترجمة الى نشاطها مع بداية عهد الصحوة الوطنية في عهد الزعيم مصطفى كامل ، وظهر وقتذاك من المترجمين الشبان مثل العقاد والمازني ومحمد السباعي وشقيقه طه السباعي .

بجانب هؤلاء كان هناك مترجمون كبار مثل لطفي السيد الذي ترجم عن اليونانية فلسفة ارسطو .

وقد اتسع نطاق الترجمة تدريجيا بمدرسة المعلمين العليا ، وكلية الآداب ، وظهرت مجلات تقوم على الترجمة فقط .

كما انشئت اقسام للترجمة في وزارات التربية والتعليم والثقافة والاعلام في الأربعينات . وقدم الدكتور حسين مؤنس حين كان مديرا عاما للثقافة بوزارة التربية والتعليم مشروع الألف كتاب الذي قفز بحركة الترجمة الدقيقة الرائعة قفزة كبيرة ، وقام المشروع على اختيار وترجمة روائع الكتب الادبية والاجتماعية والفلسفية والعلمية والتربوية من العالم الغربي الى اللغة العربية . وقد اضاف هذا المشروع للمكتبة العربية في عشر سنوات ما لم تقدمه حركة الترجمة لهذه اللغة في مائة عام ...

والركود الادبي والثقافي الذي نعاني منه الآن ، يرجع اساسا الى توقف حركة الترجمة عن الآداب والعلوم والفنون الغربية الى اللغة العربية ...

وعلينا كشعب وحكومة ان نعيد حركة الترجمة الى ما كانت عليه في الخمسينيات ، وان تكرر مشروع الألف كتاب . وان نعيد اصدار السلاسل الأدبية التي تنقل الآداب والعلوم عن الغرب ، وان يكون هناك تفاعل مستمر من الثقافة العربية والثقافة الاوروبية . ●

الشعراء واستلهام التراث

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● هذا الفن الجميل الخلاب ، الذى يناجي المشاعر والعواطف ، والقلوب والعقول ، ويهز الوجدان ويثير أعمق ما تنطوى عليه نفس الانسان ، بلغته الساحرة ، وموسيقاه الباهرة ، وباخيلته وصـــوره الشـــعرية الحالمة ، وبكل ما فيه من أسرار الفن ، ودقائق البلاغة .. هذا الشعر ، الذى نقرؤه نسيجا روحيا تلهمنا به السماء ، وتجارب انسانية وحيوية توحي الينـــا أزمات النفس الانسانية ومعاركها مع العصر والناس والحيـــاة . هو الذى لابد فيه من استلهام التراث ..

والتراث هو كل مأثورات العقل والحضارة والتاريخ والآداب والدين ، وهو نتاج الفكر الانساني خلال أزمنة طويلة تنتهى بنهاية العصر العباسى فى رأى ، وبنهاية العصر المملوكى فى رأى ، وبعام ١٧٩٨ فى رأى ، وبعام ١٨٤٨ فى رأى وبنهاية القرن التاسع عشر فى رأى ، وبعام ١٩٣٠ في رأى من يذهبون الى أن التراث هو ما سقط عنه حق الملكية الادبية ، وهذا الحق المقرر مدته خمسون عاما ، فيصبح كل ما سقط عنه حق الملكية الادبية بعد ذلك تراثا ..

والتراث عند الامم هو كنوز حضارتها وفكرها وتاريخها وبطـــولاتها وأدبها وفنها ، وهو مواريث أجيال طويلة ، وعصـــور مديدة ، وهو الملهم لابنائها ، والموجه لشبابها ، والقائد لنهضاتها ، والرائد لمسيرتها ، والحادى لمواكبها ، والشادى بمفاخرها وبطولات أبطالها .

والتراث لابد من استلهامه فى كل عمل فنى أو أدبى ، وفى الشعر بالذات يصبح استلهام التراث ضرورة ، وأصلا من أصول بناء القصـــيدة ، وسرا من أسرار روعتها وجمالها .

وعندما يكتب شاعر معاصر قصيدة مثل « صوت من التاريخ » (١) ، ويقول فيها :

ايان شـــئت غمـــامتى فلتمطـــرى
بغداد تبســـم للربيـــع الأنضر ...

ايان شـــئت فســـوف ياتينى خرا
جك ، يا غمـــامة ، فانثرى ، ثـم انثرى

(١) ص ٦٧ ديوان نغم من الخلد ـ القاهرة ـ ١٩٧١

دار الســـلام اليـك مبصرة لتجـ
ـنى من ثمــارك كل زهـر مثمـر ...
ويجيئهــا يا ســحب كل زهورك الـ
نضرات ، كـل نشــار فيفن الأبحــر
أنى غدت ، فى الصـين أو فى الهند أو
فـوق الربـا ، وعلى ضــفاف الأنهـر
فلســوف ينبت كل زهــرك حيفلا
بيد الكمى ، ومدفعــا للعســكر
وقــرى لمســكين ، وجامعـة تفيض
بها العلــوم ، ومرصدا للمشــترى
أو معبدا ، أو منجمــا ، أو مصــنعا
أو عين ماء فى الصــعيد المقفــر
أو قلعـة شــماء ، أو طرقا تســير
بها القـوافل ، يا غمـامة ، فامطـرى
وعقــود ريحــان يجيد خـريدة
وشـــذى يضوع بكـل وجه مقمـر
أيـان شـئت يقـولها متبســما
جـذلان وجـه كالهـلال النـير
خوليفة الاســلام هارون الرشـيد
على بســاط ضـم كـل المعشر
وجيوشـه ملء البطـاح كعاصـف
أو مــارد ، متعجـــرف ، متكبـر
وكانمــا التــاريخ يفيس عطــره
من عطـر ذيـاك الجـلال الأشـهر
وكانمـا نـزلت من الفــردوس كـالـ
ـملك المطهـر ، أو مفــالى عبقـر
وصــحائف الأيام نشــدى وهى تذ
كرها ، كما تنـدى زهــور الكـوثر
(هارون) قال و (شارلمان) مصـدق
والشرق بـين مهلـل ومكبـر !

لاشك ان الشاعر كان يستلهم فى قصيدته التراث ، يستلهم رواية رواها التاريخ ، وهى أن هارون الرشيد رأى وهو فى قصره ببغداد سحابة ، فناجاها وقال لها : « أمطرى اين شئت فسوف يأتينى خراجك » ، ولا شك أن هذه الجملة القصيرة ألهمت الشاعر قصيدة طويلة ..

وقد يستلهم الشاعر التراث ، سواء كان التراث تاريخا ، أو أثرا ، أو قصة أو أسطورة ، أو ملحمة . أو فنا ، أو فكرا أو حضارة ، او كتابا .. وقد يكون هذا التراث الملهم صاحب فضل كبير فى ابداع أروع آثار القصيدة .

وعندما ينظم الشاعر عدنان مردم قصيدته (جلنار) ، ويكتب بقلمه الشاعرى الجميل قصة الملك (قطـز) المظفر ، بطل معــركة عين جالوت وهى فى أرض المعركة والذى هزم التتار هزيمة لم يروها من قبل ولا من بعد ، وكانت جلنار مع زوجها السلطان فى أرض المعركة ودافعت عنه والاعداء يحيطـون به من كل جانب ، وردت بنفسها عنه سهم أحد المغوليين ، فقضـت شـهيدة فى أرض

المعركة ، فيصور كل ذلك شاعرنا تصويرا جميلا ، ويقول :

وبعين جالوت ضراغمة
ليست عن الاقدام تمتنع ...
مجد له في المشرقين صدى
ومحدث ، يحكي ، ومستمع ،
يروي غرائب كل خارقة
عن (جلنسار) ، وليس ينقطع
يسخو الكرام و (جلنسار) على
طول المدى تسخو وتبتدع
لم تال جهدا في الكفاح على
مر الكفاح وينذهها وجع
سقت المغول السم من يدها
في عارض للموت يندفع !
وسقت دماها الأرض هازجة
فعلى الثرى من جرحها بقع (٢)

لاشك انه كان يستلهم تراث البطولة فى شخص هذه المجاهدة المناضلة من اجل وطنها العظيم ...

والمسرحيات الشعرية لشوقى وعزيز أباظة وعبد الرحمن الشرقاوى ، وأبى شادى ، وصلاح عبد الصبور ـ أليست استلهاما من التاريخ وتسجيلا للتراث ؟ ..

وما كتب عن شهر زاد أليست استلهاما لاثر رائع من آثا رفكرنا وحضارتنا وهو كتاب « ألف ليلة وليلة » الكتاب الخالد الذى تأثر به كل الادباء فى الشرق والغرب ..

وعندما نظم شوقى القصة على ألسنة الحيوانات ، ألم يكن يستلهم حكايات « لافونتين » ، وقصص ابن المقفع فى كتاب « كليلة ودمنة » على لسان الحيوان ...

وقد ترجم ابن المقفع الكتاب من اللغة الفهلوية الى العربية ، وكان أصل الكتاب مكتوبا باللغة السنسكريتية قبل الميلاد بعدة قرون ، ثم ترجم هذا الاصل الهندى الى الفهلوية فى عهد خسرو أنو شروان في القرن السادس الميلادى ، وكان برزويه طبيب خسرو قد حصل على نسخة من الاصل الهندى فترجمها الى الفهلوية ، وأضاف اليه قصصا أخرى ، وجاء ابن المقفع فترجم الكتاب من الفهلوية الى العربية نحو عام ١٣٠ هـ : ٧٤٨ م . ونسج اخوان الصفاء فى رسائلهم على نمط « كليلة ودمنة » ، حيث نقلوا القصة على لسان الحيوان من المضمون الاجتماعى الى المضمون الفلسفى ونظم ابن الهبارية المتوفى عام ٥٠٤ هـ « كليلة ودمنة » شعرا فى كتابه « نتائج الفطنة » .وحاكى « كليلة ودمنة » فى كتابه الآخر « الصادح والباغم » ..

وقد ترجم كتاب « كليلة ودمنة » العربى الى الفارسية مرة أخرى ترجمه أبو المعالى نصر الله نحو عام ٥٣٨ هـ . ثم ترجمه حسين واعظ سماها « أنوار سهيل » ، وبها تأثر لافونتين ..

وترجم كتاب ابن المقفع الى مختلف اللغات العالمية . فمن كتاب « أنوار سهيل » اقتبس لافونتين فى الجزء الثانى من حكاياته عشرين حكاية نظمها على لسان الحيوان ..

(٢) ديوان لمحات شامية ـ عدنان مردم ـ دمشق ـ عام ١٩٧٩ م.

● أنادى شعراءنا المعاصرين بأن يغنوا تجاربهم الشعرية بالرجوع الى التراث ، والاخذ عنه ، والاغتراف من منهله .

وقد ترجم الشاعر المصرى محمد عثمان جلال (ـ ١٨٩٨ م) أكثر حكايات لافونتين فى كتابه « العيون اليواقظ فى الحكم والامثال والمواعظ » الذى علق عليه الشاعر عامرى بحيرى وطبع فى دار المعارف بالقاهرة .

وحدث عن أثر « ألف ليلة وليلة » فى الشرق والغرب على امتداد العصور .. ـ ولا حرج ..

***

والموشحات العربية بما فيها من موسيقى غنائية شعبية انتقل تأثيرها من الاندلس الى جنوب فرنسا ، ثم الى بقية فرنسا وأوروبا كلها ، وقد تأثر بهـا شعراء التروبادور ، وهم طبقة من شعراء العصور الوسطى عاشوا فى جنوب فرنسا ، وتأثروا بفن الاندلسيين الشعرى ، فأثروا الشـعر الفرنسى ، بل الاوروبى كله ، منذ كانوا أولا فى جنوب فرنسا فى أواخر القرن الحدى عشر الميلادى الى القرن الرابع عشر ، وكانوا يمدحون الملك والامراء ويتحدثون فى الغزل ، وكان منهم أمراء وملوك ، ومنهم جيوم التاسع دوق اكيتانيـا الذى تتلمذ على العـرب فى الاندلس ، وكان أمير بواتييـه (١٠٧١ ـ ١١٢٧ م) واشترك فى الحروب الصليبية ، واتصل بالثقافة العربية فى الاندلس والشرق وهو أول شعراء التروبادور ، وقد ذاع شعره الغنائى العاطفى ..

ويدل على هذا التأثير أن النظم الفنى للقصيدة عند شعراء التروبادور يشبه النظام الفنى للموشحة الاندليسـية والزجل الاندلسى ، من حيث الاجـزاء والاغصان والاقفال والمطلع والخرجة وتعدد القوافى .

والقفل والغصن يسميان بيتا عند بعض من يعرفون نظام الموشحة ، ويسميان كذلك بهذا الاسم عند شعراء التروبادور ، وان كانت هذه التسـمية ليست موجودة عند كل الباحثين فى الموشحات الاندلسية .

وموضوع الموشحات والزجل والتروبادور غالبا هو الغزل العاطفى . وقد انتقل هذا الغزل الحسى فى الموشحات والزجل والتروبادور الى غزل صـوفى على يدى الشاعر الاندلسى الششترى المتوفى عام ٦٨٨ هـ ـ ١٢٨٩ م ، الذى تأثر بابن الفارض (المتوفى عام ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٥ م) ومحيى الدين بن العربى (٦٣٨ هـ ـ ١٢٤١ ورامون لول الشاعر الاسـبانى (المتوفى عام ٧١٤ هـ ـ ١٣١٤ م) ، وكان ملما بالثقافة العربية .

ثم شاع هذا الاتجاه الصوفى فى الغزل فى الشعر الاسبانى ثم الفرنسى ، كما ساد هذا الاتجاه الذى كان سائدا فى الادب العربى بعد ابن الفارض فى الآداب الفارسية والتركية ايضا .

وروح الموسيقى الاندلسية التى أودعها الاندلسيون موشـحاتهم وأزجالهم موجودة فى الشعر التروبادورى .

وقد أثر التروبادوريون فى الشعر الاوروبى تأثيرا فعالا ، فعم نظامه فيه ووجد فيه نوعا من الشعر الغنائى يسمى سونيت ، بناؤه الفنى قريب من الموشـحة الاندلسية .

والسونيت قصيدة مركزة يقصد بها الى التعبير عن فكرة مفـردة أو لحظة شعورية حادة ، ولها تكوين خاص ، فهى تتألف من أربعة عشر بيتا دائما •

ومن حيث الشكل تنقسم الى نوعين : الشكل الايطالى وفيه ينسقم الشعر الى مجموعتين : تنقسم معها الفكرة فى العادة ، والشكل الانجليزى الذى تنقسم فيه القصيدة الى ثلاث مجموعات كل مجموعة تتألف من أربعة أبيات ، ثم يأتى مقطع ختامى تنمو فيه الفكرة المتصلة بموضوع القصيدة نموا أكبر •

***

وهكذا نجد التراث العالمى الادبى والشعرى يؤثر تأثيرا كبيرا فى سير الشعر العالمى فى مختلف أنحاء العالم •• كما كان التراث القومى له تأثيره الكبير فى سير الآداب القومية •ير

ومن التأثرات فى سير الآداب للتراث الفكرى أو الادبى العالمى تأثير « ألف ليلة وليلة » التى ترجمت الى الفرنسية وغيرها من اللغات العالمية منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، وتأثرت بها الآداب العالمية نثرا وشعرا ، مسرحيات وقصصا وفنا ، حتى أصبحت شهر زاد ذات طابع عالمى ، وطارت شهرتها باعتبارها نموذجا أدبيا عاليا فى كل مكان ••

ثم عادت الينا شهر زاد مرة أخرى من الغرب ، حيث ظهرت مسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم ، ولباكثير ، وأحلام شهر زاد لطه حسين ، ومسرحية شهر زاد لعزيز أباظة •

على أن استلهام التراث قد يكون استلهاما خارجيا كما رأينا فى الصور والنماذج والالوان الماضيه ، وقد يكون استلهاما داخليا ، فيتعمق الشاعر تراث أمة أو عصر أو جيل ، ويصبح لهذا التراث قيمة فكرية وفنية عنده ، ويصير ، نسيجه الفنى هو نسيج قصائد هذا الشاعر وهو روحها ووهجها وابداعها وجوهر شاعريتها •

ومن هنا يصبح هذا التراث هو الزاد الروحى أو الفكرى للشاعر يستمد من معينه كل رؤاه الشعرية ، وكل صوره وأخليته وموسيقاه الشعرية لا عن تقليد واحتذاء أو معارضة ، بل عن ابداع حقيقى ، اذ يأخذ من ذلك التراث الفكرى أو الفنى أو الحضارى أو الشعبى روح شعره ومضمونه ، بل روح شكله الفنى حينا كذلك •

فاستلهام التراث ، اذن لا يكون استلهاما خارجيا فحسب ، ولا يكون تقليدا ومعارضة واحتذاء ونأثرا عاما فحسب ، ولا يكون مجاراة للفن الشعرى فى شعره فحسب ، بل قد يكون زادا فنيا يستمد منه الشاعر كل مقومات شعره وخصائصه بل يستمد منه وهج الشاعرية وجمالها وجلالها أيضا •

***

وحين ادعو الى استلهام التراث فى القصيدة المعاصرة ، يمثل استلهام الطبيعة ، أدعو الى القراءة الواسعة لكل الروائع الشعرية فى تراثنا العربى بل لكل الروائع الاسطورية والملحمية والتاريخية والفنية والاثرية المنبثقة من حضارتنا العربية ومن تراثنا الاسلامى واتخاذ ذلك معينا لينبوع الشاعرية المتدفق ، وواحة يلوذ بها الشاعر ويستمد منها كل روائعه وابداعاته واعماله الفنية الشعرية •

أليست قصيدة « النيل » لامير الشعراء أحمد شوقى مثلا عملا فنيا رفيعا ، مستلهما من زاد تراثى عميق له كل تأثيره وسحره وجلاله فى نفس شاعرنا العظيم شوقى ؟

وأليست سينية البحترى مثلا أثرا لزاد تراثى حضارى عالمى تاثر به أبو عمارة الوليد تأثرا عميقا ؟

● استلهام التراث لا يكون تقليدًا أو احتذاء بل زادًا فنيًا يستمد منه الشاعر كل مقومات شعره وخصائصه .

وأليست نونية ابن زيدون فى حبه الخالد لولادة أثرا لوهج تراث فنى شعرى عربى جليل مستمد من روح امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة والعباس بن الاحنف وابن المعتز وغيرهم من شعرائنا العرب الكبار ؟

وأنادى ، وأكرر النداء ، لشعرائنا المعاصرين ، بأن يغنوا تجاربهم الشعرية بالرجوع الى التراث ، والاخذ عنه ، والاغتراف من منهله ، والانتهال من مورده ..

وكما اثرت حطامات البديع والحريرى فى الآداب الفارسية والتركية والاوروبية ، مما كان مظهره قصص الشطار فى الادب الاسبانى ، ومما كان لواقعيتها اثره فى الواقعية فى القصة الاوروبية .. وكما اثرت رسالة الغفران فى دانتى وفى « الكوميديا الالهية » ، وكما أثرت قصة « حى بن يقظان »فى الآداب الاوروبية ، وفى الفكر الاوروبى ، وفى فن الكاتب الاسبانى « بلتاسار جريثان القصصى فى « ربيع الطفولة » وفى « خريف الطفولة » وفى « شتاء الشيخوخة » من حيث الطابع الرمزى والقالب القصصى .

وكما أثر بكاء الاطلال والوقوف عليها فى الشعر العربى فى شعراء الفرس فوقفوا على الاطلال كما وقف عليها امرؤ القيس وطرفة وعنترة ولبيد وزهير وأضرابهم ، حتى رأينا الشاعر منوجهرى المتوفى فى أواخر القرن الخامس الهجرى يقف على الاطلال ويبكى على آثار حضارة الفرس وأطلال مدنياتهم ، ورأينا كذلك الشاعر الفارسى خاقانى فى القرن السادس الهجرى ينظم قصيدة فى ايوان كسرى بالمدائن كما فعل البحترى من قبل ، نرى الشاعر ابراهيم ناجى يبكى أطلال حبه فى قصيدته المشهورة « العودة » بكاء حارا ، فى أسلوب معاصر ،له نصيب كبير من زاد تراثى عميق ، ذى أثر كبير فى شعر الشاعر وشاعريته .

وعندما يبكى الحريرى مدينة « سروج » التى خربتها الحروب الصليبية عام ٤٩٤ هـ ، نرى حميد الدين البلخى الفارسى يبكى فى مقاماته الفارسية مدينة بلخ التى خربت عام ٥٤٨ ، وحميد الدين (المتوفى عام ٥٥٩ هـ ـ ١١٦٤ م) هو أول من كتب المقامة فى الادب الفارسى متأثرا فيها بالبديع (٣٩٨ هـ ـ ١٠٠٨ م) ، وبالحريرى (٥١٦ هـ ـ ١١٢٢ م) ، بل وجدنا تينسون الشاعر الانجليزى المشهور كذلك يبكى الاطلال فى شعره متأثرا بالمقامات العربية ، وبمعلقة امرىء القيس خاصة ، وقد كان السير وليم جونز المستشرق الانجليزى المشهور قد ترجم المعلقات وقدمها الى الشعراء الانجليز نموذجا رفيعا لفن شعرى رفيع .

استلهام التراث ضرورى لشاعرية شعرائنا ، ولعبقريتهم ، ولفنهم وابداعهم الشعرى ، ولخلود شعرهم على مر الايام .

قصـــة

المسحراتى

● د. طه وادى ●

● القرية نائمة ... وحدى أسير فى الطرق الضيقة والليالى المظلمة .
((اصح يا نايم .. وحد الدايم)).
ثلاثون عاما وتسعة . وانا امارس هذه العادة . انا برهان ابو الخير ،سقاء فى النهار . وفى الليل مسحراتى ...

تصوروا يا عباد الله ، وحدى على ان اوقظ كل النائمين فى الليل ، شتاء وصيفا ... لا اكل ولا امل ... اسير من شارع الى شارع ، ((البازة)) فى يدى ، وهى ((بازة)) اثرية ، سطحها من الجلد على نصف دائرة من النحاس الاصفر المزخرف ، بعض الاطفـــال يظنونها مثل الطبلة ، لا ... الطبـلة من الفخار .

اخذت اواصل الضرب على ((البازة)) والغناء فى مدح الرسول :

اول ما نبدى مدحك يا نبى اسـتفتاح
يا من تسلم عليك الشمس كل صـباح

، ورثت هذه المهنة ابا عن جـد ، لكن الولد محمد ابنى رفض منذ صغره أن يعمل سقاء ، أو أن يشاركنى فى الليل مثلما كنت مع أبى وأنا صـغير ... حفظت اقدامى الشـــوارع والحارات والمرتفعات والمنخفضات ... القرية حين تكون نائمة مثل المقبرة . هناك علاقة بين الموت والنـــوم ... سألت الشيخ عمران امام المســجد مرة فقال :

ـ النوم راحة من التعب ، والموت راحة من الحياة !

ـ كل من ينام تعبان ؟

ـ النوم صمت ... والصـــمت نصف موت !

كل ليلة قبيل الفجر اجهد قـدمى المتعبتين لكى أوقظ انصاف الموتى . لكن نومهم ثقيل ! .. الشىء الــذى يملأ قلبى هما وحسرة أننى تعبـت ، كبرت ، ستون سنة ... كـل يوم اطوف بالقرية . السؤال الذى يحيرنى أن القرية اعتادت النوم ، النـــوم الثقيل !.. صحيح كل واحد يتعـب لكى يكسب ... اكل العيش مـر . الناس لا يفكرون الا فى الاكل والشرب .

***

سألت المقدس خليل البقال : لـم تصوم كثيرا يا مقدس ؟

ـ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

الف القرية كلها .. ((يا عباد الله ، وحدوا الله)) ، ثم اذهب الى المسجد فلا أجد سوى صف واحد وراء الشيخ عمران ، مع أنى ألف الشوارع كلها . حتى الخفراء لا أحد منهم فى الدرك !

السؤال الذى يشغلنى أن القـرية بدأت تستغنى عن برهان السقاء لأن المياه النقية أصبحت قريبة من البيوت لكن برهان المسحراتى كبر ، وشـاخ ... فمن الذى سوف يوقظ البلد؟ ، سامحك الله يا ولدى ، فضـلت أن تعمل بناء ولا ترث مهنة أبيك ...

الولد محمد وهو صغير قال :

ـ لم تشغل نفسك بغيرك ؟

ـ غيرى .. كيف يا محمد ؟ مـن يوقظ الناس الصلاة ، للعمـــل ، لاستقبال اليوم الجديد ؟!

ـ الدنيا تغيرت يا ابى ، كل واحـد يبحث عن مصلحته !

ـ بداية الخراب يا محمد ان يبحث كل واحد عن مصلحته فقط !



بعد هذا النقاش مع محمد عضنى كلب شيخ البلد ، فرح فى الولـــد ، وشمتت ام محمد :

ـ يا رجل اعقل .. ارح نفســك الليلة . رجلك مجروحة !

مستحيل ان اسمع كلام زوجتى او ولدها ... كل ليلة ادب واطوف . احب القرية ،اخشى اذا لم الف عليها كل ليلة الا تقوم للصــلاة والا تذهب للعمل . احساس حزين يملأ قلبى انى امر كل ليلة وانادى على النائمين لكن لا شىء يتغير ...

الذين يقومون فى الفجر ، هم هم لا احد زيادة . لا احـد ينقص ... اعتاد الناس على النوم بشكل مخيف ... طيب اذا انا مت فمن يوقظهم؟!

تذكرت انى امر كل ليلة ومع ذلك لا يقومون ، الولد محمد قال مرة :

ـ الدنيا تغيرت .. لم تعد البـلد فى حاجة الى مسحراتى !

ـ لماذا يا ولدى ؟

ـ كل واحـــد يجب ان يكـــون مسحراتى نفســه !

الولد محمد ، اصبحت لا استطيع ان اجاريه فى الكلام !.. ما معنى ان يكون كل واحد مسحراتى نفســه ؟ احترت ، هل الدنيا تغيرت حقيقة... واذا كانت تغيرت فالى اى اتجاه ؟

اين ايام زمان ، ايام الخير والبركة ... حين كنت امر مع والـــدى ، طرقات « بازته » توقظ النائمين .مع الفجر كانت القريه تقوم كلها ، خلية نحل ... حتى النساء كانت تنتهى من الخبز وتنظيف الدار وحلب الماشــيه قبل طلوع الشمس ...

الظلام يلف القرية ، والناس نيــام « اصح يا نايم اصح.. وحد الرزاق» مررت على قهوة المعلم مراد فى حـارة مغلقة .. المكان الوحيد الذى لا ينام الليل ، يلعب فيــه بعض الـــرجال والشباب القمار ويشربون الشــاى وغيره ، حين يسمعون صوت «البازة» وندائى يخرجون لا للصلاة ولا للعمل. ولكن للنوم . كان بينهم شيخ الخفر، حين رآنى ضربنى بعصاه الخيزران ، وشخط فى :

ـ يا رجل بلا وجع دماغ ... اترك الملك للمالك !

الليل اسود ، والقــرية نائمة .. صــمت على نفسى . اول مرة اهان بهذه الطريقة ... خيرا تعمل ، شرا تلقى ... آه يا بلد . لم استطع ان ان اكمل الدورة عدت الى الدار حزينا. لمن اشكو شيخ الخفر ؟!

انتابتنى موجة من تانيب الضمير . اول مرة منذ ثلاثين سنة وتســع لا اكمل الدورة دورة المسحراتى ! .. تناسيت الامى . وعصا شيخ الخفر . لن اكف عن ايقاظ الناس حتى اموت ... الولد محمد قال كل واحد يجب ان يكون مسحراتى نفسه ! .. الليل طويل ، ومظلم ... السماء توشك ان تمطر والناس نيام . كل واحد هــده تعب البحث عن لقمة العيش .

الناس نيام ... الطريق فيه بعض الوحل . الناس نائمون ... لـــكن ساظل ادق على « البازه » . واغنــى للنــاس . انادى عليهــم حتى يقوموا حتى يسيقظوا ، حتى ياتى الفجــر . . .



درس فى الأمانة الصحفية
مأساة الصحفية المزورة
جانيت كوك

هذه المأساة الصحفية سمع عنها جمهـور القراء وخاصة أهـل الصـحافة ، ولكـن أحدا لم يشرحها بتفصيل لكي يعـرف النـاس حقيقتها ومغزاها ،ولهذا رأينا أن بنسطها فى هذه السطور لتكون درسـا للصحافة والصحفيين ولكل من يهمهم أمر الاعلام فى عالمنا العربي .

الموضوع ان محررة زنجية فى جريدة الواشنطون بوست نشرت فى الجـريدة تحقيقا صحفيا مثيرا عن طفل زنجي قالت انه ولد ونشأ مدمنا للمخدرات وراثة عن والديه ، وقالت ان هذا الطفـل يأخـذ يوميا حقنة هيروين وسيظل على ذلك ما بقى له من عمر !

والموضوع فى ذاته مثير ويتناقض مع ما يقوله الاطبـاء من ان الادمـان على المخـدرات لا يـورث .. وقـد كتبت الصحفية الشابة واسمها جانيت كـوك (٢٦ سنة) في اسلوب مؤثر جدا . فقد قالت ان الطفل يسمى جيمى ، ووصفت حياته وتعاسته ومنزله وأحـوال اسرته فى حى الزنوج .. واعطت تفصـيلات مروعة عن توزيع المخدرات بين الفقـراء التعساء ..

ونشر التحقيق فى الواشنطن بوست فى ديسمبر ١٩٨٠ . وقد أثار النـاس فى الولايات المتحـدة واجتمعت لجنـة جائزة بوليتزر لإختيـــار أحسن تحقيق صحفى فى العـالم ، ومنحت الجـائزة الكبيرة للآنسة جانيت كوك ، ولم تكن هذه أول مرة تحصـل فيها الواشنطون بوست على جائزة بوليتزر .

وقد قالت جانيت فى تحقيقها أشياء مروعة منهـا ان أم الطفـل جيمى كانت تسمح لعشيقها بأن يعطي الطفل حقنـة

الهيروين . واثار الموضوع ثائرة رئيس بوليس واشنطون ، فامر رجاله بالبحث عن ذلك الغلام لانقاذه من الموت المحقق .

ولم يجد البوليس أى أثر لغلام زنجى يسمى جيمى ولا لاسرته او المحيط الذى وصفته جانيت جانيت كوك فى سلسلة تحقيقاتها المسماة : « عالم جيمى » ..

وقال رئيس البوليس انه يشك فى القصة كلها ، ويشك بالذات فى ان أما تسمح لمصور بان يصور ابنها الطفل وهو يعطى حقنة هيروين ، لان ذلك يعرضها لعقوبة جسيمة .. واتصل بمدير الواشنطن بوست بنجامين س . برادلى وافضى اليه بذلك ، ورجاه ان يستفسر من جانيت عن الموضوع .

وعندما سئلت جانيت اخذت تتلعثم وتتناقض مع نفسها ، وتسرب الشك الى نفوس المشرفين على الجريدة ، ولكن عز عليهم ان يعترفوا بانهم خدعوا فى موضوع كهذا ، ثم انهم استبعدوا أن تكون جانيت قد اخترعت الحكاية كلها اختراعا ،فمضوا يدافعون عنها،ويؤكدون صحة حكاية « عالم جيمى » . وكان قرار لجنة منح الجائزة قد ظهر ولكن بقيت اجراءات أخرى لحفل التسليم وما الى ذلك ..

***

وكانت جانيت كوك ظاهرة جديدة فى الصحافة الامريكية ، فهى شابة زنجية جميلة رشيقة نشيطة ،وهى اول صحفية زنجية تصل الى درجة المحررين الاول فى واحدة من اكبر صحف امريكا ، كان رئيس تحرير الواشنطون بوست فخورا بها . وكان يقول انها من اكبر اكتشافاته وكانت هى قد تقدمت الى الجريدة بمؤهلات عظيمة ، فقد زعمت فى ملخص

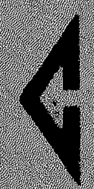


جانيت كوك

حياتها الذى تقدمت به الى الصحيفة انها حاصلة على بكالوريوس الصحافة والاعلام من جامعة فاسار بمدينة الشوف وكذلك على درجة الماجستير من جامعة توليدو بامتياز . وكانت قد عملت فى جريدة « توليدو بليد » ، وعملت لنفسها اسما كبيرا كصحفية نشيطة بارعة الذكاء ذات أسلوب متميز فى الكتابة . ولهذا لم تطالبها جريدة الواشنطون بوست بمسوغات التعيين ، بل اخذت كلامها الذى كتبته بيدها فى طلب العمل على علاته ومضت تعمل ..

وقالت يوما لرئيس التحرير ، وهو ملتون كولمان انها سمعت عن طفل زنجى مدمن للمخدرات ، فقال لها : ان كان ذلك حقا فهو موضوع صفحة أولى ، أمضى وحققيه لنا ..

وبعد أيام قالت انها وجدت الغلام ، وكتبت الحلقة الاولى عن ذلك المسكين المزعوم الذى ولد مدمنا لان اباه وامه مدمنان ، وصفت بيئته وحياته التعيسة وجاءت بصورته وصور أمه وعشيقها . ورحبت الجريدة بذلك ، ونشرت المقالة الاولى دون أن تعطى اسم الغلام الحقيقى



أو اسرته . وذلك أمر معمـول به فى الصحافة : اذا لم يشأ صاحب الشأن أن يعلن عن حقيقة نفسه ، كان له الحق فى الاحتفاظ بالسرية .

والحقيقـة ان مقـالات جانيت فى الموضوع مؤثرة وجاذبة للاهتمام ، فهى تقص حكاية اسرة تعيسـة من الزنـوج تعيش فى مستوى دون مستوى الانسانية الزوجة والزوج يتاجران فى المخـدرات ويتعاطيانها ، وللزوج صديق يعاونه فى تلك التجارة البشعة . والثلاثة يعيشون فى غرفة واحدة مظلمة رطبة ذات نافذة واحدة تطل على زقاق مخيف . والغلام يولد فى هذا الوسط . لا يعرف أحد من أبوه ولكن امه ترعاه بغذاء ضئيل لايغنى ومنذ ميلاده والطفل يتشنج ويتلوى فتعطيه الأم حقنة هيروين صـغيرة لكى ينام وترتاح منه . وشـيئا فشـيئا يصبح الهيروين عادة . ثم تختلف الأم مع زوجهـا فيهـرب من البيت ويبقى العشيق .

حياة اليمة مفزعة طالعها قـراء الواشـنطون بوست باهتمام ، وسر بها بوب وودوارد ، كبير المحررين ، وهو من الصحفيين الامريكيين ، فقد كسبق ان حاز جائـزة بوليتزر مع زميلـه كـارل برنشتاين سنة ١٩٧٣ عن تحقيقهما فى موضوع ووترجيت . وشهادة رجل مثل هذا تغنى عن أى شىء آخر . وفى أمريكا يعطون الاهمية الاولى للعمل لا للشهادات

ولكن رجال البوليس لم يسكتوا .. ان حكاية كهذه تمس عملهم فى الصميم ان اعطاء الهيروين لطفل جريمة يعـاقب عليها القانون ، فكيف تمر حكاية كهذه دون عقاب بل بدون تحقيق ؟ ..

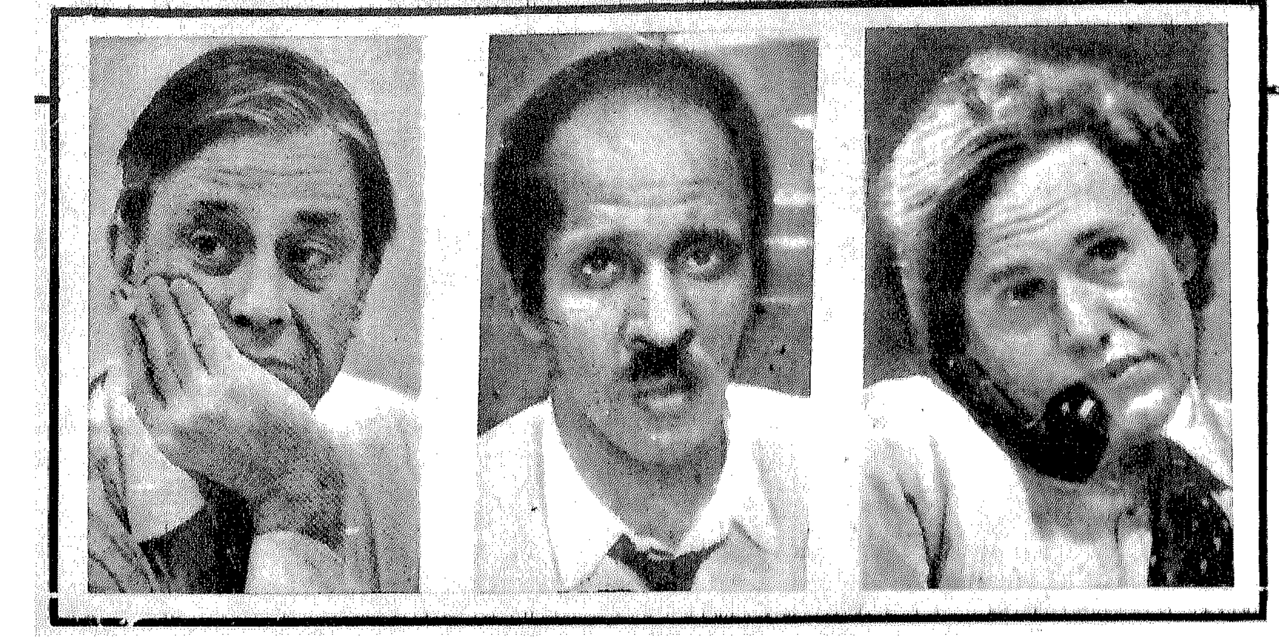
وتلقت الصحف خطابات اتهام لرجال البوليس متهمة اياهم بالتقصير والتعاون فمضوا يبحثون عن الطفل « جيمى » هذا ولم يستطيعوا ارغام جانيت على الافصاح عن سر موضـوعها لان قانون حـرية الصحافة هناك لا يسمح للبـوليس بان يرغم صحفيا على كشف مصادره .ولكن ملتون كولمان كبير المحررين بدأ يشك ، فطلب الى جانيت أن تعلمه شـخصيا بمصادر معلـوماتها ، فرفضت ، فابلغ الامر الى رئيس التحرير بينامين س . برادلى . وداخل الشك قلب الرجلين .

***

واخـيرا وجد كولمـان ــ وهو كبـير المحررين وهو زنجى ان واجبه يقضى عليه أن يتحقق من الامر ، فطلب الى جانيت ان يصـحبها فى زيارة الى بيت جيمى ليرى بعينيه ويطمئن قلبه . فزعمت له انها اكتشـفت ان أم جيمى هـربت به خارج واشنطون خوفا عليه وعلى نفسها ، فقد هـددها رجال المخدرات بالاذى . وهنا بدات شكوك ملتون كولمان تتحول الى حقيقة .

وحان موعد تثبيت منح جائزة بوليتزر لجانيت كوك ــ وكان هناك موضوع آخر مرشح كتبه اثنان من الصـحفيين عن جزيرة سانت هيلانه التى ظهرت على وجه الارض نتيجـة لانفجار بركانى تحت البحر ، وعاشت اشهرا ثم اختفت مـره اخرى نتيجة لحركة ارضية عنيفة .

وطلبت لجنة الجائزة من الواشنطون بوست رسميا أن تؤكد صـحة كـلام محررتها ، وازاء هذا ، وخوفا من التورط فى شهادة كاذبة عقد الثلاثة الكبـار فى الجريدة وهم برادلى وودوارد وكولمـان



الثلاثة الكبـــــار فى الجريدة الكبرى الوشنطن بوست بوب وودوارد وملتون كولمان وبنيامين برادلى .

مجلس تحقيـق لجانيت وعصروها عصرا لمدة سبع ســـاعات • واخيرا ، وأمام تناقضاتها اضـــطرت وهى تبكى الى الاعتراف بانها اختلقت الموضـــوع كله اختلاقا • فليس هناك غلام مدمن يسمى « جيمى » ولا عائلة لهذا الغلام المزعوم ، بل ان الصور التى اتت بها كلها ملفقة !

واكثر من ذلك : اعترفت جانيت بانها كذبت فى صحيفة مؤهلاتها ، فهى ليست حاصلة على ليسانس الصـــحافة ، انما حضرت سنة واحدة فى قسم الصـحافة جامعة فاسار ثم انصرفت وعملت بالصحافة بصفة محررة دون تعيين •

***

وعقب ذلـك اتصل دونالـد جراهام ناشر الواشـنطون بوست بلجنة جائزة بوليتزر وقال لسـكرتيرتها ان جريدته تسحب ترشيح كوك للجائزة لانها بعـد تحقيق تبينت ان القصة ليست سـليمة تماما ، ففيها اشياء كثيرة غير صـحيحة واشياء اخرى اخترعتها جانيت كوك من عندها •

وسحب الموضـــوع فعلا ، ونشرت الواشنطون بوست بعد يومين مقـالا فى صفحتها الاولى بداته بقولها : نحن نعتذر لقد خدعنـا • اننا عندما نقـــدم حكاية صـحيحة نقول انها صحيحة ، ولكنـنـا عندما نتبين انها غير صحيحة نقول انها غير صحيحة •• وحكاية عالم جيمى التى كتبتها جانيت كوك غير صحيحة •ومس كوك نفسها لم تصـدقنا فى المعلومات التى قدمتها لنا عن نفسها ولهذا ، فاننا نسحب طلب ترشيحنا لهذا الموضــوع لجائزة البوليتزر ، ونعلن اننا استغنينا عن خدمات المس كوك • قبلنا الاستقالة التى قدمتها لنا • وكتبنا بالامر كله الى نقابة الصحفيين لتتخذ فيه القرار الذى تريد بشان هذه الصحفية »

***

درس عظيم للصحفيين جميعا • كم من النـــاس يخترعون و « ويفبركون » ولا احد يحقـــق او يراجع ، وحتى عنـدما تكتشف « الفبركة » فقلما يتخذ قرار • ان الصحافة امانة والقـــارىء يثق فى الصحفى وهى عماد الصحيفة نفسها - صحيفته ، وهـــذه الثقة هى راس مال

نـاس وصور وحكايات

درس للأمير

وموضوع يهم الصحفيين

● الامير تشارلس ولى عهد بريطانيا ، شاب صريح طيب القلب ، وهو يقول مافى قلبه دون تكلف . وقد حدث انذار استراليا من ثلاثة شهور ليستطلع شعور الناس نحوه هناك لان حكومته فكرت فى ان تعينه حاكما لاستراليا .

واستراليا عضو فى الكومنولث البريطانى وكل دولة عضو فى هذا الكومنوليت لابد ان يكون على راسها حاكم بريطانى وهو حاكم رمزى يشير الى ان البلد داخل فى دولة التاج البريطانى ، ولكن السلطة الحقيقية كلها فى يد رئيس الوزراء فى كل بلد من بلاد الكومنولث وقد ارادوا تعيينه هناك لان ولى العهد المسكين يسبح فى بحر لاساحل له من الفراغ ، والى ان يريد الله ويصبح ملكا ارادوا ان يشغلوه بهذه الوظيفة الشرفية وسمحوا له بان يذهب الى استراليا ليجس بنفسه نبض الناس قبل ترشيحه رسميا .

وذهب الامير ولم يجد من الناس فى استراليا قبولا . وهذا الامير الذى لايستطيع ان يتكلم مع احد لانه امير وكلامه محسوب عليه ، لم يجد الا خطيبته الانسة ديانا لكى يفتح لها قلبه



الامير تشارلس ولى عهد بريطانيا وعروسه ديانا .

ناس وصور وحكايات

هذه المرة ذهب ريجان فى اعقاب تشارلس وعرف باساليبه الملتوية كيف يركب جهاز سمع على تليفون القصر الذى كان نازلا فيه ، وسجل كل مكالماته مع ليدى ديانا .ومن بين ما سجل راى الامير فى الاستراليين ورئيس وزرائهم وضيقه من الفراغ الذى يعيش فيه وشكواه من مسائل عائلية وخاصة كثيرة .

وقد رفضت الصحف الانجليزية نشر هذا الكلام لان فيه - على الاقل - انتهاكا لحرمة الكلام الخاص بالتليفون ، فذهب الصحفى البريطانى واتفق مع مجلة المانية تسمى ((اكتويل)) على نشر الحديث ، واتصلت نقابة الصحفيين البريطانيين - بمجلة ((اكتويل)) ورجتها عدم النشر ، فقالت المجلة انها دفعت بالفعل ٣٥٫٠٠٠ دولار لريجان ثمنا للشريط . ونفى ريجان ذلك وقال انه لم يتقاض دولارا واحدا من المجلة . وعندما سئل عن الطريقة التى حصل بها على الشريط قال انه اخذه من موظف فى تلفونات استراليا وهذا الموظف معاد للنظام الملكى ولايريد ان تحكم استراليا بامير من الاسرة المالكة البريطانية ، فهو رجل صاحب مبدا لا بائع اشرطة ولا متصنتا لاسرار الناس عندما يتكلمون بالتليفون .

واذن فقد اصبحت المسالة مسالة مبدا وراى وعقيدة، وكيف تقاضى رجلا يعبر عن عقيدته ويبرهن على صحتها باذاعة حديث يدل على سخافة عقل الامير الملكى المرشح ليكون حاكم بلده

واذا لم تكن هناك وسيلة لمعاقبة هذا الصحفى ،فقد افاد من ذلك الامير شارل نفسه وعرف انه من الان فصاعدا ينبغى ان يتحرز وهو يتكلم فى التليفون حتى مع خطيبته

ويقول كل مافى نفسه ..

وفى مكالمة تليفونية مع الليدى ديانا قال تشارلس انه يستثقل دم الاستراليين وان رئيس وزرائهم المستر مالكولم فريزر رجل لايتمتع باى روح فكاهة او دعاية وانه اى تشارلس لايقبل بحال ان يكون حاكما لاستراليا

ولم يدر الامير وهو يقول هذاالكلام ان هناك من يتعقبه وهذا الذى يتعقبه صحفى بريطانى يعمل لحساب نفسه (فرى لانسر) يسمى سيمون ريجان - وهو يكره الامير شارل وقد سبق ان الف كتابا سماه ((شارل الامير المهرج)) وهذا الصحفى ينتهج هذا الطريق لانه يكسب من وراء امثال هذه الكتب . وقد كسب بالفعل الوفا من وراء هذا الكتاب وشجعه هذا على ان يتعقب الامير .

كأنى رأيتك !



• فتحية النميرى •

خيالك كالبرق لاح لعينى
وارخى الظلام جناحا عليه !
وبعد ذكــرى تكاد تلوح ..
كـدرات رمـــل على كتفيه !

***

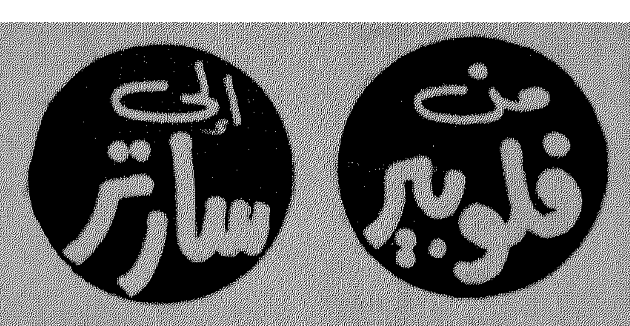
رايتك ، انكرت فيك السمات
ووجهت عينى نحو الفضاء ..
وحـسين بسـطت الى يديك
.. كانى عرفتك ذات مساء !

***

شـــعرت بهذا السراب البعد
وان الهوى قد طواه الوهن !
كانى رايتك عبر الــزحــام
وتاهت خطاك كان لم تكــن
ورحت اســـائل نفسى لعلى
بين الظنون فقدت الاثــر ..

***

فهل مرحقنا على هـــــواك
وهل كان وجهك بين الصور ؟!



• ماهر شفيق فريد •

● موضوع هذه الجولة اديبان فرنسيان هما فلوبير وسارتر ، وذلك من خلال مقالتين ظهرتا في « المجلة الفرنسية » التي تنشرها الرابطةالامريكية لمعلمي اللغة الفرنسية، ومجلة «دراسات فرنسية» وهي دورية تصدر عن جمعية الدراسات الفرنسية بانجلترا .

ففي « المجلة الفرنسية » كتبت اميلي زانتس مقالة عن رواية فلوبير المسماه « غواية القديس انطونيوس » وهي رواية تصور التجارب الروحية للقديس انطونيوس ابي الرهبنة المصرية في معتزله بالصحراء . تقول الكاتبة :

ان كراهية فلوبير للبورجوازية امر معروف وواضح في رواياته ذات المهاد الواقعية المعاصرة : سواء كانت « مدام بوفاري » او « التربية العاطفية » او « قلب بسيط »او « بوفار بيكوشيه» ولئن قرانا رواية « الغواية» مستبقين ذلك في اذهاننا ، فسنجد انها تدين احدى خصائص البورجوازية ، وهي رغبتها في السيطرة على الاخرين . وهذه الرغبة في السيطرة هي الغواية التي يتعين على القديس انطونيوس ان يغالبها .

كانت حياة انطونيوس، قبل انخراطه في سلك الرهبنة ، مليئة بمحاولات الاستحواذ على السلطة . فهو يفكر انه ان اشتغل بالكهنوت ، صار له سلطان في نطاق العائلات . وان اشتغل بعلم النحو او الفلسفة ، تحلق حوله شبيبة الطلاب . فيقرر ان ينصرف عن هذه المغريات . وتعروه هلوسات عن الخطايا السبع المميتة ، فيقارن نفسهبالاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر اللذين سادا البشرية . ويسود الرواية اختلاط في الصور ففي مفتتحها تنبسط الصحراء ممتزجة بالافق . وكما في الرسم الانطباعي ، جنح الحدود الفاصلة بين الارض والهواء الى الانمحاء

والمشكلة الاساسية التي يطرحها فلوبير هي : ايمكن لاحدى الصور او التراكيب ان تصنع مركبا مع صورة اخرى جديدة ومختلفة عنها كيفا ؟ ان غوايات القديس انطونيوس تعبر عن تركيب سيطرة وخضوع . ولكن هذه الغوايات ، اذ تتوالى كالموكب امام اعيننا ، تولد فينا شعوراً بالخدر ، وعزوفا عن الفعل .

ويستخدم فلوبير صورة الكائنات الشائهة خلال هذا العمل ، كما انه يومىء الى العلم كحل . وفي ظل تجارب عصرنا التي تحاول خلق الحياة في انابيب الاختبار ، وحيث يخشى الناس تخليق جنس من الكائنات الشائهة المخيفة في هذه الانابيب ، تلوح رواية فلوبير وكأنها استباق « للقصص العلمي» انه يؤمن بالعلم كوسيلة للهرب من ابنية السيطرة ، وذلك لانه يسوى بين جميع موضوعاته . ان العلم يتطلب ان تتعاون كل الاجزاء معا ، اذا اريد للكل ان يعمل ، وهذا المفهوم يتسق مع نظرة فلوبير العمل الفني حيث تتفاعل كل الاجزاء مولدة اثرا كليا ، عملا ، « صورة » تتجاوز مكوناتها الفردية .

● سارتر و فرويد :

وندع « المجلة الفرنسية » الى « دراسات فرنسية » حيث نجد مقالة

لكرستينا هاوتز عنوانها « ســــارتر وفرويد » ..

تقول الكاتبة : اتسم اتجاه ســارتر ازاء فــرويد ، منذ البداية ، بازدواج وجــداني . فعلى حين يعترف بديــن التحليل النفسي الوجــودي للتحليل النفسي الفرويدى ، يحرص على تأكيد اختلافاتهما من حيث المبدأ والمنهج . وعلى حين يوافق سارتر فرويد على ان كل سلوك بشرى « ذو دلالة » ، يرفض كلية ايحاء فرويد بأن مصدر السلوك الانساني هو اللاشعور ، ومايترتب على ذلك من جبرية نفسية ..

بيد ان سارتر ، منذ ١٩٤٣ ، قــد ازداد اقترابا من فرويد ، دون ان يقر دائما بذلك . ويلوح ان ثمة اســبابا ثلاثة لهذا التغير في موقفه . ففي المحل الاول مرت فكرته عن الحرية الانسانية بتغير ملحوظ . وثانيا ، هو قد عدل — على نحو ذى دلالة — نظرته الباكرة الى الوعي الانساني . وفي المحل الثالث ادت به معرفته بنظريات لا كان الى تفسير نظرية فرويد على ضوء جديد . وكتاب سارتر عن فلوبير ، وهو الكتاب المسمى ((عبيط العائلة)) ، يقدم دليلا واضحا على هذا التقارب مع فرويد .

ان وصف سارتر للتحليل النفسي الوجودي ، كما يرد في كتاب الوجود والعدم ، معروف ولا حاجة بنــا الى تكراره بالتفصيل هنا . حســبنا ان نقول ان التحليل الوجودى قائم على مبدأ مؤداه ان الانسان كل وان كل فعل من افعاله ، بالتالي ، كاشــف : وهدف هذا التحليل هو حل طلاسم معنى سلوكه ، يدعمه في هــذا — فيما يقول سارتر — فهم والانسان الحدسي لذاته . وعنده ان الســلوك والمشروع يضيء كل منهما صاحبه .

ان حديث سارتر عن فرويد في كتاب « الوجود والعدم » تقليدى ، يتجاهل النمو التاريخي لفكر فــرويد فسارتر يعتبر ارجه الشبه بينه وبين فــرويد قائمة على فكرة ان كل تجليات الحياة النفسية متصلة ، رمــزيا ، بالابنية الاساسية للفرد . وكلاهما لا يؤمــن بمعطيات اوليــة : بمعنى انــه لاشيء يسبق الحرية الانسانية عند الوجودى او يسبق التاريخ الشــخصى عند الفرويدى . وكلاهمايعد الكائن الانساني تاريخا مستمرا ، محاولا ان يكشفعن معنى —اتجاه وتحولات هذا التاريخ . كلا التحليلين يســعى الى اكتشــاف اتجاه اساسى سابق للمنطق ، يمكــن اعادة بنائه حسب قوانــين مــركبات معينة فالمركب — عند سارتر — هو ، من هذه الناحية ، المعادل الفــرويدى للشيء الاصلى .

ويقول سارتر انه ، بحسب هاتــين النظرتين ، لايكون الموضوع قادرا على تحليل ذاته . ويدرك سارتر اختلافــه الاساسى مع فرويد حــول وجــود اللاشعور ، ولكنه يؤكد أن فكرته عن اللاشعور تستوعب ماليس بعقلاني . فالشعور اذن ليس بالضرورة معرفة . والتحليل — فرويديا كان او وجــوديا لايستطيع الكشــف عن المركبات او المشروعات الا من وجهة نظر خارجية .

وتحليل سارتر للاختلافات الرئيسية بينه وبين فرويد يشتد في نقد هــذا الاخير ، ولا يخلص دائما لمعنى افــكار فــرويد . فعلى ســبيل المثال ينقد ســارتر — باعتباره فينومينولوجيا — فكرة فرويد عــن الليبدو او الطاقــة الغريزية قائلا انها اختزاليــة دون ان تكون حدا حقيقيا لاسبيل لاختزاله ، وذلك لان فرويد توصل اليها عن طريق الملاحظة التجريبية، لاعن طريق حدس فينومنولوجي ، كما هو الشان مــع الحرية الوجودية . وهذا النقد فلسفي جزئيا ، ولكنه يفضى بســارتر الى اساءة تصوير فرويد فسارتر يتجاهل الحقيقة الماثلة في ان فــرويد برفض صراحة تصــور يونج لليبدو على انه المنبع الشــامل للطاقة النفسية ، ويصر فرويد على ان طبيعته جنسية بصورة متميزة ●

صـورة

هدية

● سعد رضوان ●

وقفت الزوجة امام نافذة احد محلات المجوهرات تتطلع الى معروضاته ، ثم اشارت الى دبوس جميل الصدر له شكل من الاشكال السيريالية الحديثة ، وقد رصع ببضعة احجار الكريمة ...

ثم قالت لزوجها : « هذا دبوس جميل جدا . »

فرد الزوج : « فعلا ... انياتخيله معلقا على صدر جاكت صاحبتك اميمة ... الجاكت البنى المحروق ، المزين بدائر غامق و .. »

ونظرت الزوجة الى زوجها نظرة قاسية وهي تقول :

— وعرفت لون الجاكت وشكل الدائر الذى حوله ؟!

— رايتها مرة تلبسه ، وانت اعجبك الدبوس نتخيلت منظره على الجاكت !

— ومن قال لك انى مجنونةلاشترى دبوسا غاليا كهذا كهدية عيد ميلاد لصاحبتي ؟!

— انت تفرجت عليه ، وقلت انه جميل و ...

— وهل الاعجاب بشيء حرام ؟ ..

لقد خرجنا لأشتري هدية لصديقتي اميمة في عيد ميلادها ، ولكن دبوسا غاليا كهذا لا تحلم هي في حياتها بان تعلق مثله ... انا اذا اعجبني هذا الدبوس واشتريته فلألبسه انا ...

— ولكنه دبوس غالي جدا ، كما ان هذه الاشياء يرخص ثمنها عندبيعها!..

— طبعا هو غالي اذا فكرت ان اشتريه لنفسي .. اما اذا كنت ساشتريه لصاحبتي اميمة فهو لائق ومنسجم على الجاكت البني المحروق الذي ...

— آره يا حبيبتي .. انت تخلقين قصة من لا شيء !.. انا لم اقل انى موافق على أن تشتريه سواء لصاحبتك او لنفسك ...

ورمقت الزوجة زوجها بنظرةقاسية ثم سارت وهو بجوارها الى نافذة محل آخر ووقفت ...

كان محلا للروائح العطرية فاشارت الى زجاجة جميلة المنظر قائلة :

— ما رايك في هذه ؟ ...

واقترب الزوج من النافذة ،وحدق في الزجاجة ، وحاول ان يقرأ نوعها ، ثم قال :

— جميلة، ولكنها لن تعجب صاحبتك اميمه ، لانها رائحة ياسمين ، واميمه تحب رائحة اللافندر ...

— نعم ! .. وكيف عرفت انها تحب اللافندر ؟!..

انا اشم رائحة اللافندر تفوح منها عندما تهل علينا .

— تشم رائحتها ... لن اشترى لها رائحة !

— كما تحبين ...

وانتقلا الى محل آخر .. ونظرت الزوجة الى نافذة المحل ، ثم انتقت حذاءا لطيفا ، وقالت : « ما رايك ؟ »

فاجابها الزوج : « اعتقد انه حذاء جميل يليق بالاقدام الصغيرة كقدمى اميمة ، وان كنت ارجو ان تجد عندهم مقاس رقم ٣٦ فان مقاس حذائها نادر ... »

— وعرفت مقاس حذائها ايضا ؟ !

ـ انت التى اخبريني به يا حبيبتي
وسارت بغضب الى محل آخر يبيع اشياء صغيرة ودخلت ، ثم وقفت تنظر في طاولة البائعة ، وانتقت نوعا غاليا من طلاء الاظافر وسألت زوجها :

ـ اظن هذا الطلاء يناسبها ...

فامسك الزوج بزجاجة الطلاء الحمراء وقلبها وقرأ رقم اللون ثم قال: ((لا اعتقد .))

ونظرت اليه زوجته بتعجب وهى تسأله :

ـ ولماذا تعتقد أن هذا الطلاء لن يعجبها ؟!

فاجاب : لانه رقم ٢٦ وهى تفضل الدرجة الاغمق من اللون اى رقم ٢٨»

وقالت البائعة : « عندى رقم ٢٨ » ومدت يدها لتحضره .. ولكن الزوجة منعتها بغضب قائلة : « لا .. لا اريد طلاء اظافر . »

وسأل الزوج : « ولكن ماذا تشترى لصاحبتك ؟ » .

وتدخلت البائعة قائلة للزوجة : اذا كنت تريدين هدية فقد وصلت حديثا مشابك للشعر رائعة ، من باريس .. سأريها لك » واستدارت لتحضر المشابك من فوق احد الرفوف، ولكن الزوج منعها قائلا :

ـ لا .. ان اميمة لا تحب أن تضع شيئا في شعرها فهو ناعم ، وهى تحب أن تتركه سائبا متهدلا يلعب به الهواء وتهزه حركة رأسها و ...

ولم يكمل كلامه، فقد كانت زوجته خارج المحل وهو خلفها يسأل ماذا حدث ؟ ..

فاجابته بغيظ :

ـ لم يحدث شيء ... فقط باعتبارك خبيرا بصاحبتي اميمة ، تعرف مقاس حذائها ، والرائحة التى تفضلها ،ورقم طلاء الاظافر الذى تستعمله ، وطريقة تصفيفها لشعرها ... هل تخبرني بما اشترى لها ؟ ..

ـ لا ادرى ، انها صاحبتك ، وكل



ما اعرفه عنها ، انت التى اخبرتينى به!

ـ صحيح ... لم اكن اعرف ... سأشترى لها حلويات ، لتحلى به فمها الصغير الدقيق ...

وزمت الزوجة شفتيها ، فاجابها الزوج :

ـ آه ، صحيح ... تذكرت انى اخبرتك بهذا من قبل ...

ووقفت الزوجة تنفخ ، وتحرك قدميها ، ثم استدارت تعطى ظهرها لزوجها فرأت في نافذة محل امامها البسة داخلية للسيدات فاستدارت تسأله :

ـ ما رأيك في مشد الصدر هذا... اظن انه يليق بمقام اميمة ...

لا اعتقد ، فهى تلبس مشدات صدر صغيرة مقاس رقم ٣ وهذه لاتباع الا في ...

● تعرف كل شيء عنها فلماذا لم تتزوجها ؟ » لانه لا يجوز لها ان تتزوج رجلين ..

مهرجان خليل جبران
في جامعة الإسكندرية

بالتعاون مع كلية الآداب جامعة الاسكندرية نظمت القنصلية اللبنانية العامة بالاسكندرية مهرجانا ادبيا كبيرا للاديب الشاعر والفنان العربي اللبناني جبران خليل جبران – في ذكرى مرور خمسين عاما على وفاته ...

اقيم المهرجان بكلية الآداب ،حضره جمع كبير من مفكري الاسكندرية وشعرائها ومن المهتمين بالحركة الادبية والثقافية ... وافتتحه قنصل لبنان الاديب اميل بدران بكلمة جامعة شاملة عن حياة جبران وادبه ، وقال : ان جبران خليل جبران هو واحد من اشهر ادباء وشعراء الطبيعة الحالمة . ولد في بلدة بشرى بجبال الارز ، ثم هاجر الى امريكا واستقر في مدينة بوسطن .وفي عام ١٨٩٧ عاد الى لبنان والتحق بمدرسة الحكمة في بيروت وتفرغ لدراسة اللغة العربية وآدابها . ثم سافر الى باريس حيث حصل على شهادة التفوق من كلية الفنون واصبح عضوا في الجمعية الفنية الفرنسية .

ثم عاد ثانية الى امريكا . حيث اصدر بعض اعماله ومؤلفاته باللغة الانجليزية وخاصة منها كتاب ((النبي)) الذي اكسبه شهرة واسعة ..

وعندما توفي جبران في نيويورك ، نقل جثمانه الى بلدته بشرى في لبنان.

ورغم الظروف الصعبة التي يعيشها الآن لبنان ، الا انه ينسى تكريم ذكرى جبران ، وقد يشمل الاحتفال بذكراه اقامة مسابقات وجوائز قيمة للكتاب والادباء الذين يكتبون عنه ، واقيم اسبوع ثقافي في بلدته في لبنان .

كما اطلقت محافظة الاسكندرية اسم جبران خليل جبران على احد شوارعها تقديرا لرسالته وتكريما لذكراه .

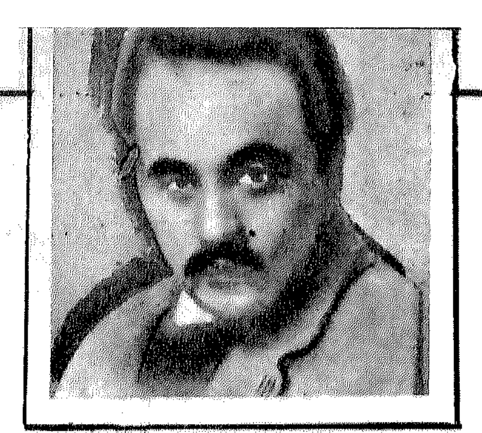
***

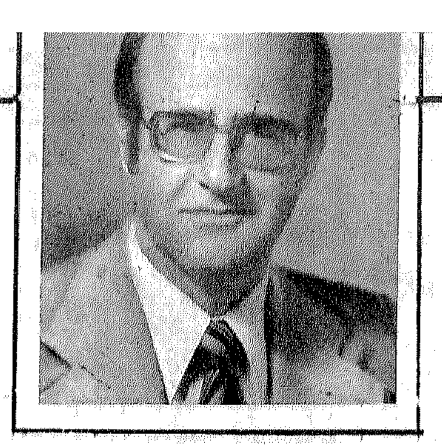
من الآثار الفنية لجبران هناك حوالي ٥٠٠ لوحة زيتية ومائية محفوظة معظمها في متحف معروف باسمه في بلدته بشرى ...

وخلال حياته الفنية الخصبة اقام عدة معارض فنية في كل من امريكا ولندن وباريس ، ورسوم جبران تحمل رموزا تجسد الافكار والآراء الواردة في مؤلفاته ...

وقد كتب جبران والف باللغتين العربية والانجليزية ، وتميزت كتاباته بالشجن والمرارة ... ولجبران خليل جبران آراء فلسفية في الحياة والموت والتناسخ وقد اهتم في كتاباته بالمعنى ولم يخضع كثيرا لسيطرة الالفاظ واللغة التي كان ادباء مطلع القرن العشرين يلتزمونها الى حد كبير . والصورة الكاملة لأدب جبران وافكاره تكتمل في اعماله الادبية التي كتبها باللغة الانجليزية وخاصة كتب « النبي » و « عيسى بن الانسان » ، « حديقة النبي » ...

وهو في كتاب «النبي» يتناول علاقات الناس بعضهم ببعض ويبحث في المبادىء التي يجب ان تبنى عليها هذه العلاقات .


جبران خليل جبران


اميـــــل بدران
قنصل لبنان العام

اما كتاب « عيسى بن الانسان » فهو يتناول موضـــوعا متكاملا تربط بين فصوله وحدة فكرية ونظرة عقلانيـــة محددة ، وقد صاغ جبران جميـــع اعماله الادبية بنظرة ادبية تزخر بثراء المعنى وعمق التفكير وجمال الالفـاظ

وفى كتابه ((حديقة النبى)) كما فى كتابه ((النبى)) كان جبران داعيـــا ومعلما مستمدا حكمتـــه التي عاش فى احضانها ، فاوحت اليـه بالخبـــرة والمعرفة . وفى هذا الكتاب ((حديقـــة النبى)) ينظر جبران الى الحياة نظرة متصوفة زاهدة ، ويعالج علاقةالانسان بالطبيعة انطلاقا من آرائه الفلسفية فى الخلود ، ووحدة الكـــون ، والبعث . ويعبر عن ايمانه بان دورة الانسان فى الحياة شبيهة بدورةالكائنات الطبيعية، فهو مثلما ينبت وينمو وينضج ،يصبح معدا للقطاف . وفى نطاق هذه الدورة يتطور الانسان ويتغير ، الا ان ذاتـــه تبقى خالدة فى ضمير هذا الكون .

وجبران خليـــل جبران في كثير من كتاباته يجرد الناس من أوهامهم ويعود بهم الى حقيقتهم ويربطهم بالطبيعة ، وينظر من خلال ذلك الى خالق الطبيعة وبهذه الطريقة يجمع بالمحبـــة بين الانسان والخالق والطبيعة .

ويؤكد جبران فى احدى رســـائله الى الكاتبة الشهيرة مى زيادة ، انـــه لا يخشى الموت لانه كاس يشربه كل كائن حى فيقول :

« اطمئن يامى انى ما فكـــرت فى الانصراف الذى يسميه الناس موتا ، الا وجدت فى التفكير لذة غريبة ، وشعرت بشوق الى الرحيل، ولكنى اعود فاذكر ان لى كلمة لابد من قولها ..

.. لا ، لم اقل كلمتى بعد ، ولـــم يظهر من هذه الشعلة غير الدخان !.. اقول لك يامى اننى اذا ما انصرفت قبل تهجئة كلمتي ولفظها فانى ســـاعود لاقول الكلمة التى تتمايل الآن كالضباب فى سكينة روحي ... »

ومن دلائل ايمانه بالتصوف ، اعتباره ان المحبة هى الطريق الوحيـــــد الى الوجود .

هذا هو جبران خليـــل جبران ، الاديب المجدد والفنان والفيلســـوف المتصوف - الذى اشتهرت اعماله الادبية باللغتين العربية والانجليزية ظل طوال حياته التي لم تتعد الثامنة والاربعين مهاجرا حزينا كالطائر الذى يتوق شوقا لوطنه واهله ويذوب حنينا للعودة الى بيته وعشيرته ، ويمنى النفس بالاعتصام فى صومعة بجوار قريته بجبال الارز فى لبنان ليشعر بانه والارض متحـــدان فى

وقد تحققت امنية جبران خليـــل جبران ، ولكن بعد رحيله ، فقـــد نقل جسمانه من امريكا واستقر فى صومعة محفورة داخل صخور الارض بقريته، وكان يتساءل حولها فى كتاباته ((مانت ايتها الارض ومن انت ... انت الجمال فى عيني)) والشوق فى قلبى ، والخلود فى روحي ... انت انا ايتها الارض ، فلو لم آكن لما كنت ... »

قصة

إذا لم يكن من الحب بدٌ

● عبد المنعم محمد موسى ●

كلما لقيني صديقي عبد الفتاح في الاسابيع الاخيرة اجده غاضبا ساخطا، فاذا سألته لماذا انت غاضب ساخط، عرفت من اجابته انه يجد صعوبة كبيرة في تعلم اللغة الاجنبيه التي شغل نفسه بتعلمها، والتي هي شرط اساسي للالتحاق باي عمل في اي شركه من شركات الاستثمار التي غزت السوق والتي تعطي مرتبات خياليه، والتي يتوق هو للعمل بها ...

الا العمل الحكومي بعد كل هذه السنوات لم يمنحه اكثر من ستين جنيها شهريا، وهو مبلغ لا يكاد يفي بجزء من حاجيات بيته ..

وكان كلما تعثرت خطواته واصابه الياس من التقدم في دراسة هذه اللغه سألني: لماذا لم يجعل الله للعالم «لسانا» واحدا ؟! الم يكن هذا ادعى لتقارب البشر، بدلا من هذه الفواصل اللغويه التي تباعد بينهم ؟!

وكنت ابتسم لسؤاله موصيا اياه بالصبر والمثابره .

ومع ذلك فقد شغل هذا السؤال الغريب ذهني بعض الوقت .. ولكنني لم البث ان نسيته في غمرة العمل والمشاغل، حتى وقعت لي تجربة غريبة في فترة اجازتي الصيفيه والتي كنت اقضيها على شاطىء المعموره .

وكان مكاني المفضل هذا الجزء من الشاطىء الذي يقع خلفه فهو هادىء وغير مزدحم وكنت انشد الهدوء والبعد عن الصخب ... وقبعت تحت شمسية « البلاج » استقبل نسمات الصباح بسعادة، منصرفا تماما الى الاستمتاع الكامل باللحظة التي اعيشها

ولم يمض وقت طويل حتى اهلت على الشمسية التي امامي حسناء اجنبيه، اقل ما توصف به انها رائعه .. العيون الخضراء والشعر الذهبي، والانف الدقيق، والقوام الملفوف الجميل .

واخذت اتاملها منجذبا بشدة جمالها .. وعندما احست بنظراتي تطلعت الي فابتسمت لها، فلم تغضب ولم تشح بوجهها بعيدا، بل اجابت ابتسامتي بابتسامة مشجعة . وفرحت لاستجابتها السريعه، وقررت ان انهض اليها لاتعرف عليها .. وقبل ان افعل لاحت على مجلس حسناتي احدى صويحباتها، وتبادلا التحيه وشرعتا تتحدثان وتضحكان .

ياالهي ماذا تسمع اذناي !

انهما ايطاليتان اذن .. وهي لغه لا اعرف منها حرفا واحدا .. وحتى الفرنسيه التي هي اقرب لها لا اكاد اعرف منها غير كلمات معدودة لا ازال اتذكرها من ايام الدراسة ..

وتكررت رؤيتي لها في الايام التاليه تحت نفس الشمسيه التي تواجهني .. واحسست ان كل يوم يمر بي يزيد رغبتي في التعرف عليها . لابد اذن مما ليس منه بد .. ان اتعلم لغتها .. مادامت لاتعرف الانجليزيه او الفرنسيه

واصبحت عادة ان يراني اهلي كل صباح اتانق واطيل النظر الى المراه، ثم اخرج ومعي هذا القاموس الحبيب الذي ينقل الكلمات العربيه الى الايطاليه .. ثم اخذ مجلسي المعتاد مستقبلا الصباح البهيج .. حتى يهل القمر ويتخذ مجلسه قبالتي كاننا على ميعاد فابتسم لها وتبتسم لي ويبدا درسي .

لا تعجبوا فعينانا لا تكف عن الحديث معي وان تعطلت «لغه» الكلام .. انظر الي عينيها وافتح القاموس !

ـ ايها القاموس مـاذا تقول عيون حسنائي ؟ ولا يجيب القاموس قبل ان اقلب بعض صفحاته مـرات واعيد واعيد سؤاله ..

ـ هيه ماذا تقولان ؟

فيجيب .. تقول عيناها : صباح جميل ياصديقي « الصامت »

فتقول عيناى لها :

ـ ان وجودك هو صباحي الجميل :

انى لاعجب لصمتك هذا الطويل ..

لاتخش شيئا .. انى اراك لطيفا !

ـ وافرحتاه !

ـ واستملحك ...

ـ يالحسن حظى !

ـ حبذا لو تخلع عنك هذا الجمود ،

ـ الا ترى انك تجاوزت « لباقه » المعجبين !

ولا استطيع ان اتحمل مرارة هـذا العتاب فانهض هاربا ..

ويشرق يوم جديد ويبدأ معه درس جـديد .. العيون تتحاور والقاموس المسكين يترجم لى ..

ـ هذا صباح جديد ولـم نتقدم خطوه !

ـ ترى مايكون رايك فى .. ياحسناء جبان ؟

ـ لست اظن ..

ـ هذا كرم منك وفضل !

ـ انى احذرك .. لن تطول جلستى هذا الصباح !

ـ كيف ؟

ـ اننى على موعد

ـ على موعد ؟

ـ بلى ، مـع بعض صـويحباتى

ـ وتتركينني ؟

ـ الا ترى اننا نضيع وقتنا عبثا !

فاغضب وتقول عيناى

ـ اهكذا تنظرين الى صحبتى .. وقت ضائع لا قيمه له .. حسنا اننى ذاهب اذن !

وانهض منصرفا ..

ثم يوم جديد ودرس جديد وحوار جديد ..

ـ انى عاتبه عليك .. لقد جـرحت شعورى !

ـ انا !!

ـ تركتني وحدي وانصرفت دون نظرة وداع !

ـ لقد هربت قبل ان تطردينى !

ـ جازت عليك الاكذوبة الصـغيرة ياصديقي !

ـ لم تكونى على موعد اذن ..

ـ اردت اثارتك لا غير !

فانادى من اعماق قلبى :

ـ ياحبيبتى !

وتسؤ حالى واضيق بحوار العيون وحديثها .. هذه هى بين يدى على قيد خطوات منى .. بل ورهن اشـارتى ومشيئتى . وانا احترق جوى . لابد من ان احطم هذا « الحاجـز » بيننا وان اواجهها لسانا بلسان !

وانطويت على نفسى ، احـاول ان اعلمها حـديث الايطاليه .. قـرات القاموس من الفلاف الى الفلاف .. وحفظت عن ظهر قلب العديد من الجمل والعبارات ..

واستعنت بالله وذهبت .. وتعمدت ان اتأخر من ميعاد حضورها .. حتى اذا ما اقبلت واتخـذت مكانها اتجهت اليها وحييتها تحية الصباح ..

ونظرت الى بطـرف عينها .. يالى من نظرتها . واجابت : سعد صباحك ياسيدى .. يالى من رنين صوتها .. اية موسيقى . واى سحر !

وكان لابد ان اقول شيئا فهى تنظر الى فى تطلع وانتظار .. واستنجدت بذهنى فاذا كل ما حفظته من عبارات قد طارو وتبخر من ذاكرتى !..

وتصورت صاحبتى ان سكوتى هو من الخجل فرات ان تشجعنى ، وبدات هى الحديث .. يا الهى !

من منكم مارس شعور من يلقى فى دلو من الماء المثلج فى يوم زمهريـر ؟! لقـد تبينت ، بعد كل الجهـود التى بذلتها ، انى كما بدات لا اكاد افهم من لغتها حرفا واحدا .

واثرت ان انسحب قبل ان تفطـن حسنائى الى مصيبتى وشـدة خيبتى .. ووجدتنى اصرخ كما صرخ من قبل صديقى عبد الفتاح :

ايها الاله .. ماضر لوجمعت العالم على لسان واحد ؟!

عبـد المنعم محمـد موسى
مدير عام دار الكتب القومية

حول القصة ..

طويلة .. وقصيرة !

● اماني فريد ●

● ما هي الرؤية الأدبيـــة لك في الرواية وفي القصة القصيرة ؟..

تجيب عن هذا السؤال الأديبـــة لطيفة الزيات الأستاذة بكلية بنـــات جامعة عين شمس فتقول :

تتغير اشكال الأدب الروائي تغيرا مستمرا بتغير الفترة التاريخيـــة الاجتماعية ، وبتغير حساسية المتلقي والقارىء ، وبتغير حساسية الفنان .

ولا احد يملك أن يضع مواصفات للأدب ، وكل ما يستطيعه الناقـد ان يستخلص خصائص فنية وعامـه مـن الأدب المكتوب ..

والقصة القصيرة كنـوع مـن انواع الكتابة اقرب الى الشعر والمسرحية، اى الدراما منها الى الرواية الطـويلة وهى اقرب الى الشعر ، من حيث انها تتطلب التكثيف الشعوري وهى اقرب الى الـــدراما من حيث ان الكاتب لا يستطيع ان يورد فيها الا التفاصيل الشديدة الاهمية والتى لا يمكن بحال الاستغناء عنها ...

وكل وصف فى القصة لابد ان تكون له وظيفة فى بناء القصة القصيـرة ، وفى محاولة ايصال المعنى ، وفى محاولة خلـق الحالة الشعورية المعينة عنـد القارىء التى يحاول الكاتب خلقها .

والقصة القصيرة تكتسـب صـفة الدراما من حيث انها مكثفة، ومن حيث انها وحدة صغيرة او عالم صغير يحتوى صراعا معينا وحلا لهـذا الصراع ، يترتب عليه لحظة اكتشاف ...

والقصة الطويلة تختلف اشـكالها اختلافات كبيرة باختـــلاف العصر وباختلاف شخصية الكاتب ، ولكنها تتسع لرؤية كلية للحياة والأحداث ، وهى الصق بالانسان الاجتماعى منـها بالانسان النفسى بينما القصة القصيرة تهتم فى الأساس باللحظات النفسية .

والرواية الجيدة تهتم بالانسـان فى اطاره الاجتماعى ، وهو يتأثر ويؤثر فى هذا الاطار الاجتماعى ...

***

وعن القصة القصيرة ومستقبلها فى مصر يقول الكاتب الكبير ابراهيـــم الوردانى :

مصر تغير جلدها بطريقة سريعـة ومفاجئة ، فلا يمكن تخيـل ادباء عام الفين .. والقصة منطفئة لانه لا توجد قيادة لامعة ، والفن او الأدب يلمع مع ظهور روح جديدة .. والسطح الادبى للقصـة القصيرة راكد لانه لا يوجـد تحريك من شخصيات تجيد كتـابة القصة واستدراج الجمهـور لقراءتها ،

اسماعيل ولى الدين



ابراهيم الوردانى

خاصة بعد ظهور التليفزيون الـــذى اصبح مثل المغناطيس للناس ...

والاديب الجديد الذى يدخل الحلبة يجب أن يكـــون لديه شيء مختلف مبتكر ، أما اسلوب يستدرج للقراءة، او أفكار جديدةتشد الذهن والمشاعر.

والأديب المصطنع والمزيف ينكشف بسرعة ، ولن يستطيع ان يواجه هذه المرحلة ، وأنا أنصح من يأخذون مهنة الأدب ببساطة « ونهلوة » وسطحية ان يتراجعوا عن هذا الطريق ..

مطلوب من اديب المستقبل الصمود امام التقدم التكنـــولوجى ... اما التكرار مهما كان فيه تجويد فنى ، فلن يقف طويلا على قدميه ، مثلاعدسة الصورة الفوتوغرافيـــة الآن يمكن ان تلتقط لقطة بالتكنولوجيا تفوق الأصـــل اى اللوحة ... اقصد ان العصر يتغير وبطريقة هائلة ، ومن يريد ان تكـــون مهنته الادب يجب أن يـــستعد لحمل صخور رهيبة ... ومحنـــة الأدب المصرى انه فقد القارىء الذواقة ،ومنذ خمسة وعشرين عاما لدينا قمم العالم العربى فى الأدب والقصة وفى الـــرواية وفى الشعر ...

***

والاديب المهندس اسماعيل ولى الدين عن معالجته للرواية والقصة ـ فيقول :

من ناحيتى عندما اعالج كتابة رواية فانى احاول ان اضع يدى على مـــوطن الضعف او العيب او التنـــاقض فى المجتمع الذى نعيش فيه ، وانا اريد ان اؤكد ذاتى او ادبى فى هذه الفتـــرة الحالية التى نعايشها ، ســـواء كنت اكتب من عشر سنوات او استمرارا الى عشر سنوات مقبلة ... انا لا احب ان اعالج موطن ضعف قديم ، فانا لااهرب من الموقف الحالى الى موقف قديم او يمثل ادق فترة سابقة .

ومن رؤيته والمعـــالجة للقصـــة الطويلة فى مصر هامة يقـــول اسماعيل ولى الدين :

ان الرواية الطويلة تعطى فرصة او امكانية للكاتب ان يتناول شريحة كبيرة او مجتمعا صغيرا ، يحاول ان يضع رؤياه الحالية والمستقبلية اذا امكن من خلال هذا المجتمع الصغير ...

مثلا ثلاثية نجيب محفوظ ، لقـــد استطاع فيها ان يأخذ شريحة من البشر والزمن فى وقت واحد ، وهى فتـــرة الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ...

ايضا رواية قنديل امهاشم للكاتب يحيى حقى، يمثل البطل فيهاشخصية الجامعى الذى درس فى موقع شعبى، وسافر الى الخارج وعاد برؤية مختلفة عن حيه او بها نوع من الاغتراب عـــن



د / لطيفة الزيات

موقعه الأصلى ، وهنا نظهر مقـدرة الكاتب فى تصوير المشاعر والأحاسيس، وهذه الرؤية لا يمكن تناولها فى قصة قصيرة ...

وهذا يمكن ان ينسحب على الرواية الاجنبية ، فمثلا قصة « مدام بوفاري» فيها مشاعر امراة ، ومشاعر فياضة لا يمكن أن نحصرها فى قصة قصيرة، لأنها امرأة لها تكوين خاص ولا يسهل شرح وتقييد هذه المشاعر فى صفحات **قليلة ... يمكن اذا ان اقول ان الرواية تفسر تفصيليا قطعة من البشر ، او الذات البشرية التى تعيش فى فترة معينة وتحللها، ويمكن ايضا ان تتناول فترة زمنية معينة بمجموعة من البشر وتغوص فى اعماقهم .**

أما القصة القصيرة فهى مجرد موقف ، يمكن ان يظهر فيه الكاتب رايه ، واعتقد انها تحتاج الى مقدرة كتابية فنية حتى يستطيع ان يوصل الكاتب الفكرة فى مساحة محددة بتركيز شديد سواء كان تداعيا فكريا اوتداعيا للحس والمشاعر فى نفس اللحظة أو الموقف ...

والكاتب فى القصة القصيرة لو اراد ان يعطى رمزا لفكرة داخل نفسه فهو يستطيع ذلك فيها اكثر من الرواية الطويلة ذات الأشخاص الكثيرة والمساحة الكبيرة وتداخل الأحداث ...

والقصة القصيرة رمز مؤكد ومحدد لفكرة داخل الكاتب يريد أن يؤكدها ، مثلا « اوراق شاب عاش الف عام » قصة جمال الغيطاني التى ظهرت فى المجموعة المنشورة بنفس العنوان، فهى رغم انها تحدد فترة زمنية تاريخية سابقة ، الا انها فى نفس الوقت تشير الى بعض مواطن الضعف المعاصرة والرواية حاليا فى الأدب الغربى تتجه الى وحدة المكان أو وحدة الزمن ، والبطل مجموعة من البشر تدور حول المكان الذى تجرى فيه الأحداث ، ويعتبر البطل الحقيقى للقصة فى الواقع هو المكان الذى اختاره الكاتب ...

وقد بدأ الأدب المصرى المعاصر منذ سنوات يتجه هذا الاتجاه ... أنا قمت بهذا فى « حمام الملاطيلى » وفى « الأقمر » بالذات ، وفى « السلخانة» وفى « المدابغ » التى نشرت اخيرا ...

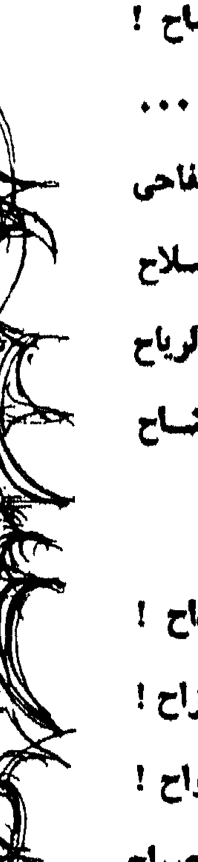
كما قام الكاتب الكبير نجيب محفوظ فى عديد من اعماله الأدبية الأخيرة المميزة بنهج هذا المنهاج رغم انه لم يتخلى كلية عن البطل فى الرواية مثل روايته الأخيرة « عصر الحب » التى جمعت بين المكان والبطل ـ وان كانت قصته الطويلة « الحرافيش » قد ضمت عددا من الأبطال فى مكان معين محدد .

واخرج من هذا ان الرواية او القصة القصيرة فى رايى يجب ان تعالج مشاكل جاده خاصة بالمجتمع المعاصر . ●

قــراءة في فنجان حلبة

• مصطفى رجب •

وحيد في المساء وفي الصباح
اصمـد ما استطار من الجراح
تمزق في الشبـاب وشـاخ قلبي
واعيتني مجـالده الجماح !
تفـاجئني الهموم فلا صفـاء
يخالجني ، ولا طعم ارتياح ...
اطاعن ما استطعت فلا انتصـار
يحالفني ولا يجـدي كفاحي
اطاعن ما استطعت وبي عيـاء
بلا جنـد يعين ولا سـلاح
انا الملاح مجدافي ثقيـل ...
وبحري هـائج عاتي الرياح
فكيف اقاوم الامـواج وحدي
وكيف يطـير مقصوص الجناح



***

وياتيني من الفنجان غوث ...
واصـوات بالسنة فصاح !
تبسم ، فالسفينة سوف ترسو
وتنعـم باللقا بعد انتـزاح !
سيطلع في سمائك الف نجـم
يبشـر بالاياب وبالرواح !
يبـدد ليلك الطـاغي حثيثـا
وياذن بعـد فجـرك بالصباح
وترضى عنـك ليلي بعد هجـر
وتسمح باللقـاء وبالمزاح ...
وتنعـم من عيـون ناعسـات
بتحقيـق آمال فسـاح
وتطفيء في عيونك شوق عمر
من الحـرمان اذن بانداح
فسح في الارض لا تياس وهاجر
فارض اللـه واسعة البراح !

على رأى المثل!

● عزت محمد ابراهيم ●

للامثال دلالة كبرى على معرفة نفسيات الشعوب ومختلف حالاتها ، وما يكون قد طرأ على حياتها من اطوار وما اختلف على تاريخها من احوال ، وما كانت عليه من غنى أو فقر ، وبسطة فى العيش او انقباض ..

ومثلها فى ذلك مثل القصص والاساطير الشعبية فى الدلالة على واكان الشعوب من معتنقات ومعتقدات

والامثال العربية قديمة موغلة فى القدم ، صحبت الناس منذ العصور الاولى ولا زالت حتى اليوم تدور على الالسنة، وتتداول بين العامة والخاصة وان كانت بين العامة اكثر شيوعا واعظم انتشارا . . وهى فى اغلبها تجنح الى اللهجة العامية لسهولة ماخذها وقرب تناولها ، فيكون هذا سببا فى انتشارها بين العوام من الناس حيث لا يجدون وسيلة غيرها يلتمسون بها الاقناع او التعبير عن حالاتهم النفسية ، اذا وجد غيرهم من الخواص وسيلة المنطق والاقناع السديد

ولكل امة امثالها ، كما أن لكل اساطيرها وقصصها التى يتوارثها الناس فتنتقل من السلف الى الخلف لا تكاد تنقطع .

***

وقد فطن الباحثون الى اهمية الامثال فى حياة الامة العربية فاخذوا على عاتقهم جمعها وتدوينها منذ أن كانت الكتابة والتدوين حتى يومنا هذا . وقد بدا جمع الامثال العربية وتدوينها أواخر العصر الاموى وأوائل العصر العباسى ، وقيل ان علاقة الكلابى كان قد جمع امثال الجاهلية وصدر الاسلام ولكنها لم تصل الينا .

ومن الذين اشتغلوا بجمعها عبيد بن شرية وابن الكلبى وابو عبيدة القاسم بن سلام ، حتى يصل بنا الامر الى ابى الفضل احمد الميدانى الذى جمع فى كتابه ((مجمع الامثال)) اعظم قدر منها نيف على ستة آلاف مثل ، لم يهتم فيها بغير مثال الفصحى التى تخضع القواعد اللغة والاعراب ، سواء كانت عربية خالصة او من عمل المولدين الذين اتسعت لهم الحياة العربية فشملتهم ضمن اطارها وتاثرت بهم واثرت فيهم

اما الامثال الشعبية التى تدور على السنة العامة وتصف معيشتهم واحوالهم فلم تحظ باهتمام جاد لجمعها وتدوينها الا فى العصور المتاخرة حيث فشت اللهجات العامية بين الناطقين بالضاد ، وحين اتصل امرها بامور « الفولكلور » والموروثات الشعبية وحين خيف عليها من الضياع والاندثار امام مظاهر الحياة الحديثة التى قضت على الكثير من تقاليد الشعوب وعريق عاداتها ..

وخير من قام به فى هذا المجال هو احمد تيمور فى كتابه «الامثال الشعبية» وهو ــ كما اعتقد ــ نظير كتاب الميدانى فى الفصحى ، كثرة وشمولا واستيعابا واهمية وهو ككتاب الميدانى اصبح مرجعا لكل من اتى بعده باحثا فى ميدانه .

***

اما الامثال العربية فى الاندلس فقد

انتقلت اليها مع ما انتقل من فنون الحضارة العربية ومظاهر لغتها، وشارك الاندلسيون فى جمع هذه الامثال وشرحها فشرح أبو عبيدة البكرى المتوفي بالاندلس عام ٤٨٧ هـ امثال أبي القاسم بن سلام فى كتابه « فصل المقال فى كتاب الامثال » وعقد ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » فصلا مطولا بعنوان « الجوهرة فى الامثال » ضم فيه الى الامثال الفصحى غيرها مما « جرى على السنة العامة » معربة فى صياغة اللغة الفصحى ، وجاء بعدها المؤلف الاندلسى ابن هشام اللخمى فدوت كثيرا من الامثال فى كتابه « محن العامة » .

ومن الذين اشتغلوا بجمع الامثال الشعبية ابن قزمان الذي كان ذا صيت بعيد فى فن الازجال ، وضمن بازجاله كثيرا من امثال العامة مصاغة فى قوالب النظم والقافية :

وتعد مجموعة ابى بكر محمد بن عاصم القيسى من اعلام العصر الغرناطي اهم مجموعة من الامثال الاندلسية الشعبية وقد تجاوزت ثمانمائة مثل ضمنها فصلا من كتابه « حدائق الازاهر فى مستحسن **الاجوبة والحكم والامثال والنوادر » وتعتبر مادة صالحة لدرس المجتمع الاندلسى ونفسية اهل غرناطة واحوالها الاجتماعية على وجه الخصوص ، فمن هذه الامثال نعرف انهم اهل جد وعمل يكرهون البطالة ، ويمقتون الخمول: « الجلوس بلا شغل يحمق » و « بنخالتنا نستغنى عن درمك جارتنا »**

والدرمك بمعنى الدقيق الجيد

وقد اهتم الباحثون بعقد المقارنات بين امثال ابن عاصم ، وبين الامثال الاسبانية الحديثة المتداولة فى اسبانيا حتى الان ، معتمدين فيها على ماجمعه منها الشاعر الاسبانى دى سنتلانا ، وخلصوا من هذه المقارنات الى نتيجة هامة هى أن الامثال العربية ما زالت تحيا حتى اليوم فى اسبانيا بتغيير طفيف أو بغير تغيير على الاطلاق ، ومن هذه الامثال :

● اذا كان المتحدث احمق يكون المستمع عاقل !

وهو مثل شائع فى الوطن العربي كما هو شائع اليوم فى اسبانيا .

منها :

● لا يرى الاحدب حدبته !

ومنها :

● اذا كان الطريق آمن ، لا عليك من بعد

والمثل الاسباني يقول :

● لا باس بالتاخير يحدثه الطريق آمن .

وقريب من ذلك مايدور على السنتنا اليوم من مثل :

● امشي سنة ولا تخطي قنا !

ومنها :

● اذا وقعت البقرة اجتمعت السكاكين .

مع تغيير طفيف فى المثل الاسبانى، وهو مثل شائع منتشر حتى اليوم فى ارجاء الوطن العربى ونقوله نحن اليوم :

● اذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها !

ومنها :

● من زاد عليك بنهار ، زاد عليك بخيار

ونعرف اليوم قريبا منه فى قولنا :

● اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة . !

ومنها :

● فى الوجه ملاسة وفى القفا مكناسة .

ونعرف مثله اليوم فى قولنا :

● فى الوجه مرايه وفى القفا سلاية

ومنها :

● يسرق مع السارق وينوح مع صاحب الدار !

ونقول فى معناه :

● يقتل القتيل ويمشى فى جنازته!

ولا تتشابه الامثال بين امتين هذا التشابه الا لتشابه الحالات فيهما ، وهى بذلك دلالة على تغلغل الثقافة العربية فى حياة الاندلسيين وبقائهما حتى اليوم فى تراثهم وموروثاتهم الشعبية ، شاهدا على ماكان العرب فى تلك البلاد من اثر عميق ، وتاثر بعيد المدى . ●●



هي وهو والحب

● نصري عطا الله ●

— ١ —

شهد المازني الكثير من صور الحب وألوانه في سن مبكرة جدا ، فطن الى ملامح من طبيعة العلاقات بين امه وابيه الذي مات والمازني الصغير في التاسعة من عمره ، وادرك اي حياة يحياها اخوه الاكبر وكان يعيش معهم في نفس الدار الكبيرة ، وكانت هناك ايضا اخته العاقر ، ثم الخادم والخادمة — ولكل من هؤلاء قصة ، وفي كل قصة يتخذ الحب شكلا مباينا .. وحفل ذهن الغلام ومخيلته بصور متباينة للحب ، كان لها أبعد الاثر في شخصيته عامة ، ورايه في الحب والزواج خاصة ..

كان ابوه رجلا مزواجا وكان عمله يضطره الى السفر الى استنبول حيث يقضي شهورا او عاما ، ثم يعود ومعه زوجة ، فاذا ما احتاج الى السفر مرة اخرى يحمل معه الزوجة ويسرحها هناك ويجيء بغيرها..

ولم يهجر الأب زوجه « ام المازني » في سبيل الزوجة الجميلة الجديدة ، ولكنه كان يوزع حبه ووقته بين الزوجتين — وكانت كل منهما تقيم في دار مستقلة — فيقضي ليلة عند هذه وليلة عند تلك .

والاخ الاكبر للمازني كان له هو ايضا زوجتان تقيمان مع الاسرة الكبيرة

أما أخته فقد عانت من اللهفة على البنين الشيء الكثير وصبرت على الحرمان ، ثم راحت تنصح زوجها بأن يتزوج أخرى فلما فعل ورزق طفلا طلق أمه — أو ماتت لا أدري — فتولت هي تربيته ولبنته وتعهدته وأولته ما انطوت عليه نفسها من عطف الأمومة المخنوقة ، وحفظ لها هو ذلك ، فكان ابر الناس بها في حياته ، واحناهم عليها واعمقهم حزنا لما وافاها الأجل .. »

وهناك صورة اخرى للحب في الشيخوخة — بين جد المازني وجدته — وقد ابدع المازني في وصفها !

« لم يكن للحب ذكر في بيتنا ونحن اطفال . ولكنه كان مع هذا موجودا ، بين ابوي على الأرجح ، وان كنت لا ارى دلائله ومظاهره ، وبين جدي وجدتي على التحقيق . وكان جدي قد قارب المائة ، وجدتي قد ناهزت السبعين ، ولكنهما كانا كالطفلين ، ولم يكن أحلى من تناجي هذين القديمين اللذين ردهما الهرم الى مثل حال الطفولة وسذاجتها وطيبتها ، وكانا لا يعبآن شيئا بوجودي ..

« وكان الذي يتناجيان به سهل الفهم ، فقد كان قصصا وحكايات قديمة ، مما وقع لهما وجرباه ، ولكنه الحنو ، وعذوبة الصوت ، والذوبان ، وحلاوة اللمعة في العين التي انطفأ نورها او كاد ، واضطراب الشفتين اذ يقول الشيخ برقة : « هل تذكرين يا حاجة .. » فتهز راسها المصبوغ بالحناء ويفتر ثغرها الادرد ويومض السرور في عينيها ويشرق به وجهها الاحمر — فقد كانت بيضاء حلوة — وتقول « ايه » ممطوطة طويلة ، ولكنها آية الرضى والحمد لله ، والاغتباط بجمال الذكرى ، لا الاسف والاسى ، فقد كان حسب هذين المتهدمين من الدنيا ، انهما معا فيها ، ان غرفة واحدة تجمعهما ، وان لهما بنينا وحفدة ، كلهم احياء وبخير ولله المنة ..

وكان بالدار خادم مخلص وكانت يوم طلب الزواج من خادمة تقوم على خدمة سيدات الدار ، ثم له ما اراد . ولاحظ المازنى الصغير انها حملت نزاد وجهها اشراقا . ولمعت عيناهما بنور البشر والجذل ..

وكان من عادة زوجها ان يشرب « البوظة » كل ليلة .

وحدث ان عاد فى احدى الليالى فالفى حليمة « راقدة ولكن عينيها مفتوحتان والى جانبها شىء مغطى بملاءة ، فوقف عند السرير ونظر اليها مستغربا ابتسامتها ، وكانت عادتها أن تنهض له حين يدخل عليها لتكون فى خدمته حتى ينام ، فلما طال تحديقه فيها ، تحت الملاءة ورفعت ما تحتها على كفيها ليراه فافاق وذهب عنه خمار السكر ، وهوى على ركبتيه وراح يبكى ـ بكاء الفرح لا الحزن ـ فوضعت حليمة طفلها ، وجلست ، ومدت يدها الى راسه لترفعه وتمسح له دموعه ، فتناول كفها ولثم راحتها ! ..

وكان المازنى عميق المشاعر مرهف الاحساس قوى الملاحظة دقيقها فتركت كل هذه المشاعر فى نفسه اثارا عميقة ، ولم يكن حب الخادم والخادمة باقل اثرا من غيره فى نفسه ، بل لعله من اقواها

ـ ٢ ـ

وعندمامات ابوه شهد المازنى اعظم حب فى حياته.. الحب الذى صاغ شخصيته وزودها بانبل واعظم ما فيها من مزايا وملكات .. ذلك هو حب امه له حبا انسانيا عميقا بعيد الافاق ، يمزج الحنان بالحكمة والتضحية ، والتوجيه الملهم البصير بالحزم والثقة والاقناع .. ولا عجب اذا كانت هذه الام العظيمة هى اكبر مكونات شخصية المازنى ، وهو لا يكف عن ذكرها ولايشبع من الاشادة بفضلها عليه .

وكان اول ما راعه منها انها ظلت تلبس الثياب السود اثنين وثلاثين سنة بعد وفاة ابيه « وقد يكون هذا من الاكبار لا الحب ، ومن اجل ما طابت به نفسا فى حياته ، ولكنى اظنهما كانا متحابين ايضا ، فقد كنت اسالها فتبتسم ويطرق استحياء ويضطرم وجهها حتى فى كهولتها الذاوية والح عليها بالسؤال فتنهرنى وتزجرى عما عبثا منى »

وحين مرض مرة وكان يستيقظ فى جوف الليل مضطربا مذعورا ـ وكان فى ذلك الحين متزوجا ـ كان لا يدعو غير امه فتحتضنه وتحيطه بذراعيها ، وكان مجرد لمسها له يشيع فى نفسه السكينة والأم ساهرة .

وقد سهرت امه على تربيته بعد وفاة ابيه تربية رائعة ، عانت اشد انواع الفقر من اجل ان يتم تعليمه وكانت تسدد لخطاه وتبث فى نفسه الشجاعة والامانة والاعتماد على النفس وتقديس الواجب يوما بعد يوم

ـ ٣ ـ

ولابد من وقفة عند الحب الأول للمازنى .

طرق الغرام قلب المازنى صغيرا فقد كان فى الثالثة عشرة وكانت هى فى مثل سنه وتسكن فى المنزل الملاصق لمنزله . وذات يوم وكان المازنى الصغير يلعب كعادته مع غلمان الحارة باحد احياء السيدة زينب حين راعه ما اصاب الفتاة من ذعر وارتياع ، وعرف ان قطتها قد تسلقت شجرة عالية ثم استعصى عليها النزول .. ووقف الغلمان كلهم صامتين الا المازنى الذى راح يتسلق الشجرة فى سرعة وحماس حتى امسك بالقطة التى القى بها فى حجر الفتاة ، وحين هم بالنزول لم يجد الأمر سهلا مثل الصعود فتمزقت ثيابه واصاب وجهه ويده ، وساقيه الكثير من الجروح ، ورات الفتاة فى الغلام بطلا من الابطال فجذبته من يده وادخلته البيت وغسلت له جروحه وهى تلهج بشكر والاعجاب بشهامته ومروءته وبطولته .. !

كان ذلك الحادث بداية العلاقة بينه وبين الفتاة التى ظل يذكرها فى شوق

وحنين حتى اخر ايام حياته ، والمازنى لا يمل الحديث من هذه الفتاة فقد كتب عنها فصلا فى « صندوق الدنيا » الذى نشره عام ١٩٢٩، وفصلا اخر فى مجلة الهلال بعنوان « فتاة لا انساها» . وثالث فى اخبار اليوم ، كما كتب فصلا رابعا فى اخر كتبه « قصة حياة» الذى نشر بعد وفاته .

والصور التى رسمها لنا المازنى عن هذه الفتاة صور مصرية اصيلة وهى لا تدل على قوة عاطفة المازنى وشدة حساسيته فحسب، ولكنها تثبت بجلاء فتنة المازنى بالجسد وحسن تذوقه نواحى الجمال فى المراة ..

— ٤ —

وكل كتابات المازنى تدل على شدة احساسه بمحاسن المراة وفتنة جسدها، ولكنه لم ينس ان المراة روح ايضا فبعد ان يملا عينه من محاسن المراة يروح يفتش عن المعانى التى ينطوى عليها ذلك الحسن ..

ولقد هام المازنى بالكثيرات وعرف من الحسن الوانا وملأ قلبه ووجدانه بكل صور الفتنة مما حدا بصديقه العقاد ان يوجه اليه قصيدته التى يقول فيها:

انت فى مصر دائم التمهيد
بين حب عفا وحب جديد !
بين ماض لم يذبل الحسن منه
وطريف كاليانع الاملود ..
انت كالطير .. ربما سالت الط
ير عن الايك وهو جم الورود :

وعبر المازنى سنوات الصبا ، وكان الى جانب المتعة العاطفية يقضى ساعات طوالا فى القراءة الجادة ، ونضج فكره، وراح يبحث فى طبيعة الحياة والقوانين التى تنظمها ونزعت نفسه الى ان يحرب كل ما قرا من صور الحب والتدله بالمراة ولكن الطبع كان يجمح به ناحية اخرى ، فقد كانت الانفة والاباء واستقلال الذات من ابرز طباعه واكثرها تغلغلا فى نفسه ، مما نأى به عن التلذذ بعبودية الحب بل لعل ذلك لم يكن فى مقدوره اصلا ، اى ان الطبيعة لم تهيئه لذلك ، وقد يكون السبب انه اختار لنفسه من المهام ما يزاحم الحب .. وقد تعجب هو فى لهجة استياء « كيف يذيب الحب النفس ويحيلها كالقميص البالى الذى لا يصلح لشىء او الورقة المبلولة ويقعدها عن اداء مهمتها فى الحياة والنهوض بفرائضها ، ولا يترك لها من عمل سوى البكاء والعويل ، اى التخنث المرذول ..

هل فى هذا نوع من انواع الحرمان؟ «كلا» انا على نقيض ذلك سعيد .. مستريح من وساوس الحب وبلابله وهواجسه ، وتخريفه ، وفى وسعى دائما أن أمتع نفسى بالحسن وانا هادىء الاعصاب مدرك لما انا فائز به بلا اسراف او غمط فى التقدير ، ومن غير ان انغص على نفسى هذه المتع بعد ذلك بالوساوس والخيالات ومالى ذلك مما يكابده المحبون .. واقول لك الحق انى أصبحت لا أصدق من يزعم ان حبه على نحو ما يصف الشعراء»!

كما انه ينحى باللائمة على الحب كما يكابده المحبون فى مصر .. ذلك لانه حب عات طاغ حزين ، والدموع والشكوى فيه لا تجف ولا تنقطع واكثر ما يكون الاعراب عنه بالتفجع كانه مصيبة من المصائب الكبيرة وبلاء من الله ومقت وغضب !

المازنى لا يعترف بهذا اللون من الحب وان كان قد حاول حينا قصيرا ان يصطنعه ويستجيشه فى نفسه وقت ان كان يكتب الشعر ، ولكنه راى بسرعة ان هذا ضلال « وصرت ارى ان الحب يشرح الصدر ويقوى القلب ويجرىء المحب على الحياة ، ويفعم النفس حبورا وابتهاجا ويشعر المرء انه اخف من النسيم، واجرا من الليل او البحر والقدر على ما كان بعده بعيدا او محالا ، وانه لا شىء فيه يدعو الى الاكتئاب والسهوم وشرود الذهن ، ولا الى البكاء والسهد ! ».

والمازنى لا يطيق حياة العزوبة وقد تزوج مرتين تخللتهما فترة تبلغ سبع سنوات تفرغ فيها لتربية ابنه من زوجته الاولى ، وهو يعترف ان الاعزب ينقصه الكثير :

« لو كنت اعزب لعددت نفسى نصف حى الا على المجاز او التسامح ، لانه لا يعد حيا من يجهل المراة ولا يعرفها، فليس يعرف المراة من لا يعرف الزوجة ولو عرف الف امراة غيرها .. »

والزوجة فى رايه ليست تلك التى تهيىء له الطعام وتعد له الثياب وتمهد له الفراش وتعينه على حاجته .. ولو كان الامر كذلك لاستطاع الرجل ان يستغنى عن الزواج بخادم مثلا ولكن مزية الزواج عند المازنى انه سكن » وان الزوجة تفيض على نفس الرجل وتفرغ على قلبه «سكينة» هى السعادة التى يحق للانسان أن يطمع فيها ولا يعجز عن الفوز بها .

ويسارع المازنى بنفى العلاقة بين المراة والوحى الفنى ، وكل ما كان يعترف به هو ان المراة اداة لاراحة اعصاب الرجل من الناحية الجنسية ومتى استراحت الاعصاب وسكنت واعفيت من الاضطراب تيسر التفكير الهادىء المتزن والانتاج فى يسر وبغير اجهاد ، واستطاعت الاعصاب ان تتحمل جهد العمل بلا كلل او ملل - اى ان هذه الراحة وسيلة للانعاش والتنشيط عن المازنى المفكر ؟ ما الذى يراه فى الحب والمراة والزواج عندما يفسيح كل هذه الاشياء على مائدة الفكر .

— ٥ —

فى كتاباته فى الحب اكثر من نوع من الجوع ونحن لا نطلب الطعام للذاته بل للمحافظة على الذات ، والحب ايضا شعور يغرى رجلا بامراة وامراة برجل ، والغاية هى استخدام هذا الشعور لاتصال الرجل بالمراة اتصالا يؤدى الى التناسل اى حفظ النوع » لكن المتهوسين يعكسون القضية ويجعلون الاداة غاية ويطلبون الحب لذاته - على نحو القول بالفن للفن - وينسون او يتناسون الغرض منه ، ويدخلون على انفسهم أوهاما كثيرة ، فيشتد تخليطهم وهراؤهم ويلهجون بالفاظ لا يفهمون لها معنى صحيحا او قل انهم يغالطون انفسهم فى معناها ، مثل الوفاء ، وهل رايت محبا لا يدعى الوفاء او شاعرا لا يبدىء فيه ويعيد ؟.. سوء الحظ - او حسنه . من يدرى - ان الوفاء ليس فى الطباع وانه لا يكون الا من افلاس وعجز »

يستتبع هذا ان المازنى يفضل الحب البصير الذى يحتفظ بصحة الادراك والاتزان وضبط النفس والنظر الى اللب والجوهر ، وفى هذه الحالة العقلية المحضة لا يرى المحب فى حبيبته اكثر من امراة يفضلها هو على سواها .. وينسى المازنى أن « نشوة الشعور» التى وردت فى كلامه حالة نفسية معترف بها ، حالة اندماج بالشعور تكشف للمرء من الحقائق مالا سبيل الى الكشف عنه باية وسيلة اخرى.

والحب العذرى عند المازنى عاطفة عقيمة تاكل نفسها ، وهو فى رايه خرافة وآفة ، والتوحيد فى الحب اكذوبه ضخمة ، وهو شىء لا الرجل يعرفه ولا المراة ، واذا سلك المرء سلوك المخلص وسار سيرة الوفى فليس معنى هذا ان الاخلاص فى قلبه بل هو عدم وجود الفرصة فيجب « التفريق بين السيرة والضمر المطوى فى السريرة »

والمازنى يستهجن التهويل من شان الغريزة الجنسية ويقول « ولست ارى هذه العلاقة الجنسية الا عادية بل لعلها هى وحدها العادية ، وسواها هو الذى منها ونشا عنها وتفرع عنها ، ولا ارى اى موجب لان نجعل لها كل هذا الشان الخاص الذى يميزها ويفردها ويبرزها ويدير

الخواطرعليها ادارة لاتستحقهاولا يحمد اثرها ، لانها تفقد المرء القدرة على الاحتفاظ بالقيم الحقيقية لضروب العلاقات وتمسخ تفكيره وتحول دون استجلاء الحقائق على وجهها وصورتها الصحيحة .

ومن الواضح أن اراء المازنى المفكر تختلف اختلافا بينا من مسلك المازنى الانسان ومعاملته للمراة ولعله فى ارائه كان ينظر الى مشاهداته وتجاربه فى صباه الاول ولعله كتبها فى فترة غلب عليه فيها التشاؤم واعتقد ان الكل باطل » وكان لا ينفك يسال نفسه « ما جدوى كل شىء تحت الشمس ؟ »

وهذه الثنائيةسمة ظاهرة من سمات شخصية المازنى فحين تسيطر عليه مشاعره القوية العميقة يتصرف كانسان يتذوق الجمال فى الفن والطبيعة والمراة ، يؤمن به ويعلى من شانه .. وحين يستبد به الفكر ويتامل الواقع الذى لا يرضى طموحه ومشاعره ومثله يكتب عنه وهو ساخط ، ويستصغر شان الانسان وجهوده القليلة الثمار من اجل تدعيم القيم العليا ، قيم الحب والخير والجمال ، ولكن هذا لا ينفى مطلقا صحة الفكرة التى قضى الانسان الاف السنين كى يدعمها ويخرج بها من نطاق الحيوانية المحضة الى نطاق الانسانية .. وهناك من بلغوا بالحب مرتبة رفيعه وان كانوا قليلى العدد .

— ٦ —

عاش المازنى فى عصر تحول وانتقال وقد بدأ الكتابة « حوالى عام ١٩٠٧ » فالمراة مفروض عليها الحجاب وفرص تعليمها قليلة ، ولم تكن قد خرجت بعد الى ميدان العمل بل كانت تعيش تحت سيطرة الرجل .

وبعض كتابات المراة التى تعالج التطور الاجتماعى المنشود — حينذاك — قد تحقق ما فيها من اهداف ولم يعد لها الا قيمتها التاريخية .. ومن راى المازنى ان من يريد ان يحصل على حق عليه ان يطالب به ويثبت جدارته به ، وقد سمت المراة ونالت ما ارادت من حقوق ، ولكن المازنى ينكر سعيها الى المساواة بالرجل لان الطبيعة قد خلقتهما مختلفين وسيظلا كذلك ابد الدهر .. ان الطبيعة اعدت كلا منهما لعمل فى الحياة ، كما أن هناك اختلافا فى تكوين الجسم نتج عنه اختلاف فى الاستعدادات والكفايات.

والرجل كما يرى المازنى اكثر تمثلا للفردية ، ومكافحته وسعيه وراء الرزق وتعرضه للاخطار عوامل اكدت فيه غريزة حفظ الذات ، اما المراة فتستغرقها الغريزة النوعية ولولا ذلك ما استطاعت ان تقوم بوظيفتها الجنسية وما ينطوى تحتها من المشاق التى تهدف الى بقاء النوع

والفردية تتبعها الانانية ، والنوعية تستتبع الحنان والغيرية ..

كما يختلف الرجل والمراة فى فهم معنى الجمال ، والرجل الجميل عند المراة هو الذى تتوفر فيه الصفات التى تكفل حفظ النوع وان كان قد طرا على رايها شىء من التحوير واصاب احساسها شىء من التنقيح مجاراة لراى الرجل .

وقد يكون الرجل هو الاقوى ولكن المراة تغلبه بالحيلة والغواية ..وهى حين تواجهه بهذين السلاحين تمثل قوة ارادة الحياة كلها وتتغلب عليه

ويرى المازنى ان المراة هى احسن معاجم اللغة واداة المحافظة عليها وتوريثها للاجيال لمن طبيعة المراة الكلام .

— ٧ —

ويرى المازنى ان الرجل يظلم المراة حين يغالى فى قيمتها ويوهمه الحب انها مثال للانسان الكامل المنزه عن الاخطاء : « ان تصور المراة ملكا سماويا نورانيا هو السبيل الى الاقتناع اخر الامر بانها ليست الا شيطانا جهنميا

يبوء بالتبعة عن كل الم ويحمل كل وزر ولو رضينا انفسنا على النقص والمصور لبرزت الحسنات وصارت هي التي لها قيمة ، ولنجت المراة من تهمة الغواية »

ويظلمها الرجل مرة ثانية حين يتوهم ان الحب باق الى الابد وانه لن يعروه فتور ثم يلومها حين تخمد الوقدة كانما ذنبها ان الالفة قد اصابت الحب بالفتور وان الاحساس بجمالها لم يبق على حاله طول العمر

ويظلمها الرجل حين تتصارع الشخصيتان فيحط هو التبعة كلها على راسها الصغير كانه هو منزه عن الاخطاء ..

ويظلمها كل الظلم حين يعدها في مربوله اداة متعة ووسيلة ترفيه ولعبة يتسلى بها وان كان يظهر لها الاحترام والتعظيم والرعاية .. فاذا لم يجدها كما تمنى قال انها خيبت امله وقذفت به من الجنة الى الجحيم !!

— ٨ —

ولعل الصورة لا تتم قبل ان نعرف المازني الاب .. الثاكل فقد رزق المازني بابنتين ، ولكنه فقدهما ، وكان لموتهما في نفسه اثر عميق لا يبلغ الى اثر .. وقد اهدى كتابه « في الطريق » الى ذكرى الاولى منهما — ولم تكن الثانية قد ماتت بعد — والاهداء قطعة من الادب الخالد يضارع ارقى ما كتب الادباء في الرثاء . والمازني يتصور في هذه القطعة ان ابنته معه تلاطفه وتسامره قال :

« في بعض الاحيان اكون جالسا الى مكتبي قبل طلوع الشمس ، وامامي الالة الكاتبة ادق عليها ، وارمي بورقة اثر ورقة والى جانبي فنجان القهوة رشف منه واذهل عنه ، فاحس راحتيك الصغيرتين على كتفي فادير وجهي اليك ، وارفع عيني لاصبح على بستان وجهك ، واستمد من ابتسامة عينيك النجلاوين ، والتراز شعرك النضير ما افتقر اليه من الجلد والشجاعة ، وارفع يدي فاطوقك بذراعي ، واملك في حجري ، واضمك الى صدري ، والثم خدك الصابح ، وامسح خدك المرسل على ظهرك وجانب محياك الوضيء واتملى بحسنك وانشر في كهف صدري المظلم نور البشر والطلاقة ..

« انا انظر اليك و في قلبي سكينة، وجوى من قربك معطر .. والمح شفتيك الرقيقتين تختلجان وعينيك تلمعان فتطيب نفسي بسرورك الصامت ، ثم اسمع ضحتك الفضية ، واراك تغطين وجهك الحلو بالورقة فيستطيرني الفرح ويستخفني الجذل .. وتصافح سمعي من ضحكاتك العذبة موجات ليشة ثم تعتدلين على ساقي وتدفعين ذراعيك فتطوقين بها عنقي وتجذبين وجهي اليك ولكنك تشفقين على رقة شفتيك من خشونة خدي .. وتخرجين بعد ان خلفت في صدري انشراحا ، وفي قلبي رضا ، وفي روحي خفة ، وفي نفسي شغوفا ، وفي عقلي قوة ، وفي املي بسطه واتساعا وفي خيالي نشاطا ، فاضطجع مرتاحا واغمض عيني .. بل افتح العين على جثة صغيرة حملتها بيدي هاتين الى قبرها ، وانزلتها ووسدتها التراب بعد ان سويته لها بكفي ، ورفعت من بينه الحصى الدقاق ثم انكفات الى بيتي جامد العين وعلى شفتي ابتسامة متكلفة .. »

ظل المازني يعيش مع ابنته في الخيال .. لم يعوضه لها شيء في الحياة حتى ابنته من زوجته الثانية التي ما لبث ان فقدها ايضا

المازني الابن البار بامه ..
المازني العاشق ..
المازني الزوج ..
المازني الاب الثاكل الحزين ..
كلها صور حقيقية من الانسانية الناضجة الرفيعة لابد ان نضمها الى المازني المفكر حتى تكتمل الصورة ..

●●

غـــرام الشعـــراء



● د . سليم الاسيوطي ●

● منذ قرابة ستين عاما مضت تقابل عاشقان فى مدينة فرشوتر باى فى جزيرة ويت من اعمال انجلترا ، لقضاء اجازة اسبوع معا .. كان الرجل مدرس موسيقى ، فى التاسعة والثلاثين من العمر ، وهو متزوج واب لاربعة اطفال .. وكانت الفتاة مدرسة من مدينة ((كرويدون)) ، تصغره باربعة عشر عاما ..

وقبيل لقائهما على الجزيرة ، كانت الفتاة قد تعرفت الى شاب مدرس من وسط انجلترا يدعى ((ديفيد هربرت لورنس)) ، قدم حديثا الى لندن ، تداعب خياله احلام طموحه فى ان يكون كاتبا .. وبالمصادفة المحضة ، كان هو ايضا يمضى اجازة على الجزيرة فى ((شانكلف)) بصحبه امه ، بينما بقيت صديقته ((جيزى تشامبرز)) فى دارها فى ((نوتنجهام)) .

وبعد قضاء خمسة ايام مع فى الجزيرة مع الفتاة واسمها هيلين بورك ، عاد مدرس الموسيقى الى بيته . ووضع نهاية لحياته بيديه ..

وكان المدرس الذى عرفته فى ((كرويدون)) باسم د. هـ. لورنس ، قد اصبح كاتبا مشهورا ، اتخذ منها بطلة ، فى روايته الثانية ((الآثم)) ، حيث وصفها بقوله : ((كانت تنتمى الى طبقة النساء الحالمات)) .. ولكن على الرغم من وصفه هذا فقد كانت حتى الخامسة والثمانين قبيل وفاتها يقظة ـ عملية التفكير ..

كانت الفترة فيما بين عامى ١٩٠٨ ، ١٩١٢ ، هى التي ارتبطت فيها هيلين بلورنس ، وكان ابان عملها بالتدريس .

كانت احداث هذه القصة تصف الفجيعة التى حلت بهيلين بموت مدرس الموسيقى « سيجموند » فقد كانت فى هذه الفترة تسجل انطباعاتها عن هذه الكارثة التى نزلت عليها .. وعرف لورنس ماتكتب ، فابدى رغبته فى ان يقرأ بعض ماكتبته . فقدمت له المخطوط الذى أطلق عليه « الشعر المنثور » .

والآن لنتساءل الى اى حد جاءت رواية لورنس « الاثم » معبرة صادقة عن الحادث الفاجع الذى نزل بهيلين لموت سيجموند منتحرا ؟

لاشك أن جزءا منها كان محض خيال ، اما خاتمة القصة فهى من عمل لورنس وابداعه بكل ما أوتى من خصائص الذكاء وسمات الكاتب القدير .

ونعود لنتساءل هل كان ماكتبه لورنس يعطى تفسيرا معقولا ، مقبولا ، صريحا واضحا للاسباب التى دفعت بذلك التعس الى اتخاذ مثل هذا القرار الرهيب بالاقدام على شنق نفسه ، فى بيته بين زوجه واطفاله ؟

فى الحقيقة انه مهما تكن الاسباب والدوافع وراء هذه الفعلة الشنعاء فان لورنس قد بلغ الذروة فى تصويره لبطل المأساة ، وضحية الحب وفريسته ان التعبير قوى والتصوير نابض بالحياة جياش بالحيوية ، يتميز بروعة الصياغة وقوة البناء . كما ان العمل فى مجموعه يتضمن قدرا كبيرا من آراء لورنس ووجهة نظره فى السلوك نفسه ، وموقفه منه . فهو يعطى تفسيرا معقولا ومقبولا لهذا الخطب الجلل .

واذا ماعدنا بالذاكرة الى فترة مابعد الفاجعة التى طاشت بلب هيلين لانتحار سيجموند ، والتى نجمت عن زيارتها لجزيرة « ويت » تبين لنا أنه كان الرجل الفن الذكى ، بعيد النظر ثاقب الفكر ، بالاضافة الى تعاطفه الكبير معها فى محنتها

تحقق للورنس بهذا النصح والتوجيه ، الخروج بها من محنتها ، باختياره لمواد القراءة ، وتعاطفه مع



ديفيد هربرت لورنس

القصة كلها واهتمامه بها .

لقد تأكدت ان اللقاء ثانية بالراحل العزيز ، سيجموند ، لن يكون فى اى مكان آخر . فاصاخت الى الناصح ديفيد ، ومالت اليه وقد اراده صادقا مخلصا أن ياخذ بيدها على الطريق الامثل ، الى مرفأ الخلاص والنجاة .

قرأ لها : « النساء الطراواديات » قرات فيها ماساتها الذاتية فلقد جعل لورنس المأساة الشخصية تلتقى بالمأساة الانسانية . وهكذا نجح فى مواساتها وتضميد جراحاتها .

واثمر كل هذا الجهد المخلص المتفانى ، صداقة وثيقة العرى بين هيلين ولورنس .. ان لورنس فى مؤلفه « ساجا سيجموند » تقمص شخصية البطل وشعر بشعوره ، باسلوبه ، فهو صريع هوى هيلين ، كما فعل سيجموند من قبله ..

ولكنها رفضت هذا الوضع قائلة بانها ليست مستعدة لقبول هذا الحب خاصة وقد راح حبه لها ، بعد كتابة « الساجا » يتجه اتجاها حسنا .

ونتساءل لماذا لم تبادله هذه الاحاسيس والعواطف ، فتجيب هى عن تساؤلاتنا : لقد اسفت لاننا لم نكن نستطيع ان نظل سادرين فى علاقاتنا على هذا النحو من الالفة والود . لقد كان ذلك مستحيلا كما أن الوود لم يكن ليستمر فى زواجنا ، فانى واقعية بطبعى الى ابعد حدود الواقعية وكنت ادرك تمام الادراك معنى زواج يجمع بين اثنين محدودى الدخل ، أو لا موارد ثابتة لهما على الاطلاق ، يعيشان فى ضواحى المدينة .

ادركت هيلين ان بزواجهما ، سوف يقتل احدهما الآخر ، أو سوف يقضى كل منهما على افضل مافى الآخر .. وبالاضافة الى هذا ، او اولا وقبل هذا ، من وجهة نظرها كانثى ، .. فمازالت فى حياته الحبيبة « موريل » « جيزى تشسمبرز » . وهذا يزيد الامور تعقيدا .

كانت « جيزى » متيمة بحبلورنس ولكن هذا الحب لم يكن مجرد ميل حسى نحو رفيق لها ، بل كانت نظرتها اليه اعظم من ذلك بكثير كانت ترى فيه المخلوق البشرى الاسمى ولا ضير عليها فى ذلك ، فلقد كانت قليلة الخبرة محدودة التجربة لم تتعرف على الكثيرين من الرجال . وفى الوقت نفسه كانت تربطهما اواصر صداقة قديمة بعرى وثقى ، مسنعتها الكتب التى كانا يتبادلانها ، لقراءتها والحديث عنها ، على امتداد خمس سنوات ، فكانت الانسانة الوحيدةالتى استطاعت ان تروى غلة اهتماماته الادبية

كان لورنس يطمع فى الافادة منهذا النشاط الادبى لاقامة صلات حسية بعها . ولكن بعقليتها السوية كانت تكرس تفكيرها للحياة الزوجية التى تجمع بينها وبين من تحب ، فى شركة

مقدسة مثالية . ولكن كانت هناك امه التي تعارض علاقاتهما اطلاقا ، وترفض صداقتهما بل حبهما ، شكلا وموضوعا منذ البداية ، للهوة الاجتماعية التي تفصلهما .

تعددت اسماء « جيزى تشمبرز » فهى « جيزى » فى الاصل و « اصلى » فى رواية « الطاؤوس الابيض » ، ثم « ميريادور » فى رواية « أبناء وعشاق» .. واخيرا « موريل » فقد جاء فى مستهل قصة قصيرة له : « بعثت الى « موريل » بعض زهور الربيع . وعلى هذا بقى الاسم لايتغير طوال صحبة اورنس وهيلين ، اذ لم يرد اسم جيزى بينهما بعد ذلك .

كانت « جيزى » فتاة جذابةجميلة فاتنة ، تاسر الالباب وتسبى العقول حتى ان هيلين قالت عنها فى سيرتها الذاتية : انها هامت بهاحبا ولم يهدأ لها بال حتى صارت لها صديقةوحبيبة الامر الذى لم يتحقق قط بينها وبين لورنس ، على الرغم من محاولاته المستميتة المتصلة التى ظل يبذلها طيلة فترة اتصالهما وتواصلهما .

تدهورت العلاقات بين « موريل » ولورنس ، ويرجع هذا للظروف القاسية التى حاقت به بسبب مرض امه بداء السرطان ، وادراكه للحقيقة المؤلمة بانها سوف تودع الحياة فى غضون شهور قليلة ، بالاضافة الى الذكريات المريرة من حياه امه مع ابيه ، ومالاقت منه من خسف وعسف جعلا لورنس يفيض عليها حبا وحنانا، ويبذل نفسه عطفا وشفقة فلا عجب ان حزن او شقى ، وصبغ هذا الحزن وهذا الشقاء شعره فى هذه الفترة ، وترك اثاره وبصماته . ولكى يخففا عنها الامها واوجاعها ، ويسرى عنها احزانها ، استسلم لكل مطالبها ونفذ كل اوامرها ونواهيها وفى مقدمتها قطع صلته بالفتاة «جيزى» ..

ومما ساعد على هذه القطيعة بل وعجل بها ، ان « جيزى » كانت قد قرات مسودة « ابناء وعشاق » وبطلتها « جيزى » باسم « ميريام »، ورضيت عن الصورة التى رسمها لها، ولكن لما عادت وقرات تجارب المطبعة وجدت اختلافا كبيرا فيها عما قرات فى المسودة ، فلم تركن عن صورتها فيها لانها جاءت مناقضة لصورتها فى المسودة . وصدمتها هذه الصورة ، صدمة طاشت بصوابها . فما كان منها الا ان اعادت له خطاباته وقطعت صلتها به .

ولم يكن لورنس ميالا بطبعه الى الذكيات من النساء ، كما لم يكن يرغب فى زوجة مثقفة تكون ندا له وكانت هيلين امراة حالمة ، فلم يرها قط الا وهى مستغرقة فى تاملاتها ، سادرة فى احلامها . وكان هذا احب مايجذبه اليها ..

لم تكن الحياة لتستمر على هذا الفرار ، فلا مندوحة من ان تسوؤن شمس صلاتهما بالمغيب فجاء لقاؤهما الاخير ، عندما ذهب لورنس الى بورتسموث اقضاء فترة نقاهة ، بعد شفائه من مرض الم به وفى طريق عودته مع صديقه ادوارد جارنت كتب اليها مقترحا لقاءها فى فكتوريا لقضاء بعض الوقت معا فلبت رغبته وتم اللقاء ، وتناولا الشاى معا وبعد مرور فترة طيبة جميلة من حلو الحديث غادروا فكتوريا الى « ولدنجهام » حيث نزلت هيلين وتركته ليواصل بقية رحلته ومن على رصيف المحطة لوحت له بيدها مودعة ، وافترقا .

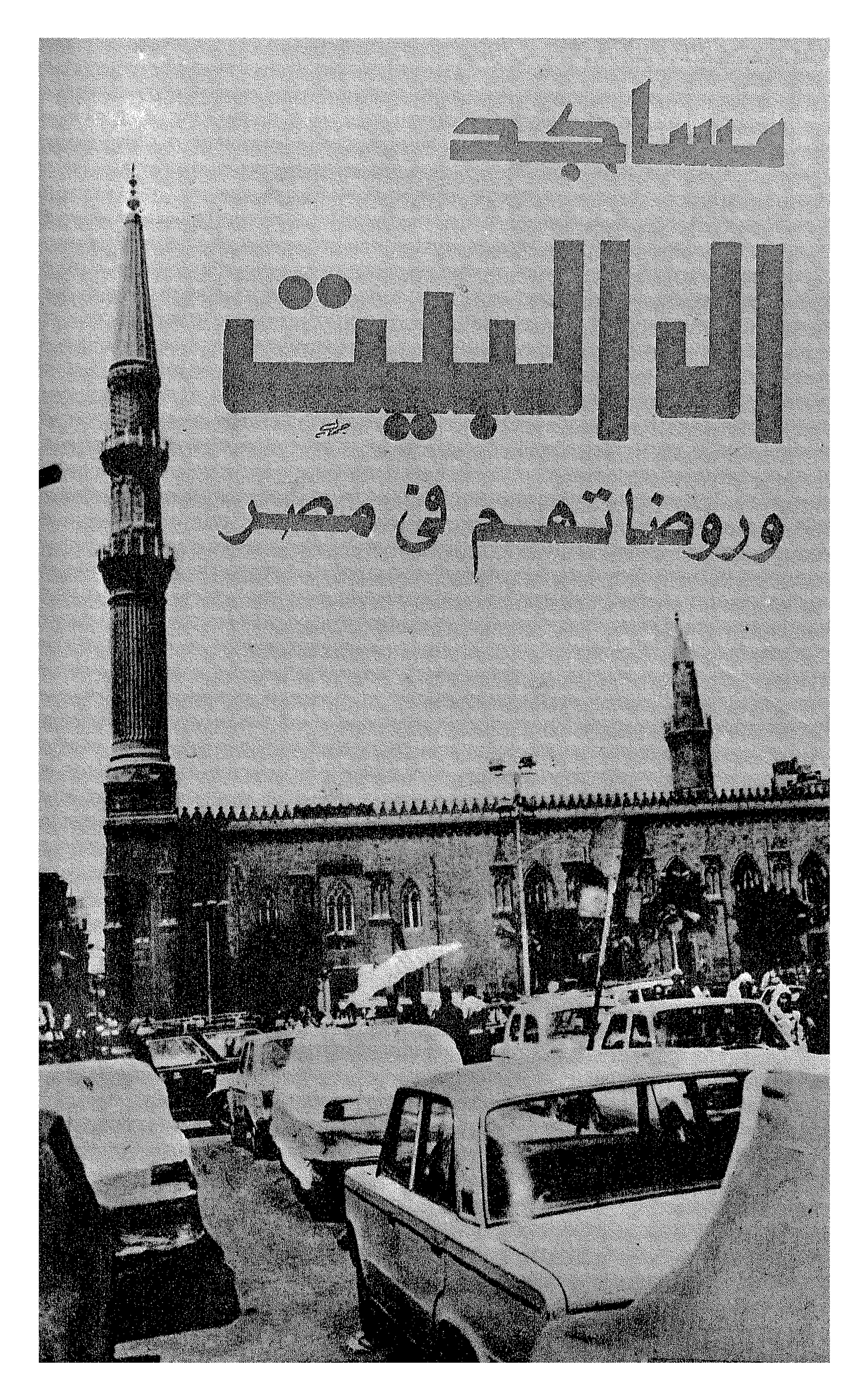
كان هذا الفراق او الافتراق نهاية المطاف حقا ، لانه من بيت صديقه ادورد جارنت الذى كان يعايشه انذاك كتب لورنس الى هيلين يدعوها الى الذهاب اليه والاقامة معهما . ولما لم يكن لهذه الدعوة مايبررها فقد انكرتها واستنكرتها ، وكتبت اليه ترفضها رفضا باتا ، وتلومه عليها اشد اللوم واعنفه .

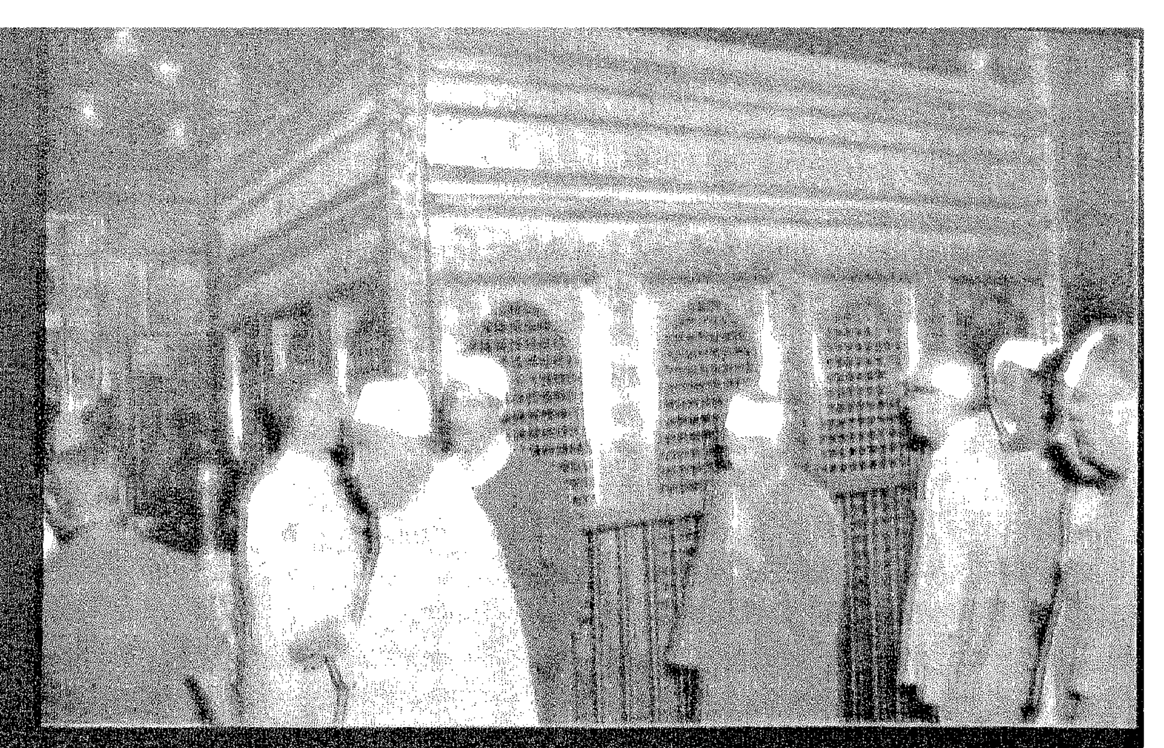
لقد اصبحت « هيلين كورك » ذكرى عطرة مقدسة فى اعمال لورنس فهى حاضرة فى كل صفحة من صفحات كتبه وفى كل بيت من دواوين شعره .

ليس ذنبي !

● محمد حليم حامد غالي ●

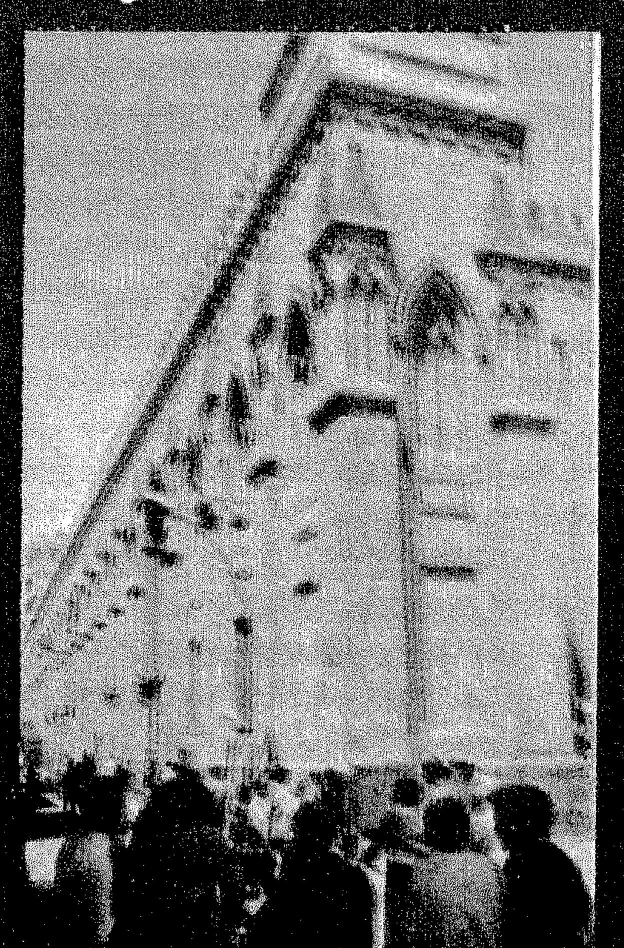
أنا أسرفتُ في هواكَ وحبي
ليس ذنبُ الهوى ولا هو ذنبي
أنت رفرفت كالخيال بعيني
فانتشى الوردُ من مراشف حبي
وتسللت فكرة في ضميري
وتلظَّى على لهيبك جنبي
وكأني أقولُ في صلواتي
رغم طول العذاب : أحب سربي
ما عرفتُ الحياة حتى التقينا
فزرعنا الهوى على كلِّ درب
وهمسنا إلى الوجود بنجوى
فانتشى الكون من مراشيف حبي
كلُّ صبٍّ يعيشُ طيَّ هواهُ
وأنا عشتُ في هوى كلِّ صب
في صلاةِ الجمال .. والخير دعني
وازرعْ الحبَّ والحنانَ بقلبي !
واجعلَ النور حينَ تلمحُ عيني
... فعيناي واحةٌ للحبِّ
واعشق الكونَ فالحياةُ جمال
وجمال الوجودِ صنعةُ ربي ...
لا تعُدْ بي إلى ضجيج الليالي
يا حبيبي .. وخلِّنا لا تعدْ بي !


مساجد
آل البيت
وروضاتهم في مصر



المشهد الحسينى

بنى مسجد الامام الحسين اول الامر على يد الوزير الفاطمى طلائع دزيك سنة ١١٥٤م وجدد مسجد الحسين صلاح الدين الايوبى والبناء الحالى يرجع الى ذلك العصر وخاصة مغارة باب المشهد الحافلة بالزخرفة من كل صنف واعيد بناؤه وتوسيعه على يد السلطان سليمان القانونى وقد تهدم هذا البناء فاعيد سنة ١٨٧٣ وتم البناء سنة ١٨٧٨ واشرف عليه على مبارك باشا وراتب باشا والصور الثلاث المنشورة على هاتين الصفحتين تبين المقصورة والمنبر وجانب من المبنى من الخارج .





مساجد آل البيت وروضاتهم في مصر

لا تضم عاصمة من عواصم الاسلام من مساجد آل البيت رضوان الله عليهم ، ما تضم القاهرة .. فهنا مقام سيدى الحسين ابن علي ، ريحانة اهل الجنة وسيد الشهداء ..

وهنا مقام السيدة الطاهرة زينب بنت الامام جعفر الصادق عالم اهل البيت وخامس الائمة من آل البيت ..

وهنا مقامات السيدة نفيسة والسيدة عائشة والسيدة رقية ، وكلهن من آل البيت النبوى الكريم ، ومقاماتهم بركة اهل مصر والعالم الاسلامى كله ..

وقد كتب المؤرخون كثيرا عن أصالة وجود الاجساد الطاهرة فى مساجدها فى القاهرة ، لان بلادا اسلامية أخرى تقول ان روضات آل البيت هؤلاء عندها ، ولكن كبار مؤرخينا مثل السيوطى فى « حسن المحاضرة » والمقريزى فى « الخطط » وأبى المحاسن بن تغرى بروى فى النجوم الزاهرة - يؤكدون ان الله شرف القاهرة بآل البيت .. ونحن نؤيدهم فى ذلك ، ونؤيد كذلك ما يقال من أن الموجود من آثار سيدنا الحسين فى القاهرة هو رأسه الطاهر وشيء من شعره ، لان العبرة ليست فى الوجود المادى وانما الوجود المعنوى والروحى ، وحتى لو أن الاجساد الطاهرة كانت فى القاهرة حقا فهى الآن ، ومنذ قرون تراب طاهر ، ونحن نتبرك بأهل البيت بمجرد ذكر الاسم ، فما معنى التحقيق التاريخى فى موضوع كله روح وايمان ..

اننا نتبارك بآل البيت جميعا ، حتى الذين لا يوجدون فى مصر ، لانهم آلنا وبركتنا وحمايتنا ، فما بالك بمن هم فى مصر بين ظهرانينا ، ان كل مصر محروسة بهم مباركة بوجودهم فيها . وما من انسان من أهل مصر الا ويحس ان زيارة آل البيت فريضة يفرضها عليه قلبه ، وبركة لابد ان يلتمسها لنفسه وآله وبقية الخلق . ولقد مرت بمصر أزمات ونكبات فما حفظها منها ونجاها من شرورها الا آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد اجتهدنا فى هذا التحقيق ان نقدم لقارىء الهلال فى شهر رمضان صورة مادية ومعنوية لروضات أهل البيت ، وأول ما استوقف نظرنا ان مسجد الحسين رضى الله تعالى عنه فى مبناه الجديد الذى انشىء فيما بين سنتى ١٨٧٣ - ١٨٧٨ يتميز بظاهرة غريبة جدا ، وهى ان عمارته قوطية لا اسلامية ، ويتجلى ذلك فى النوافذ المزدوجة على هيئة حدوة الفرس المدببة ، وهى الهيئة المعمارية المميزة للكنائس القوطية الطراز ، فعقودها ونوافذها أقواس مدببة من الطراز المسمى شوك السمك ، لان العقود تنساب من القمة المدببة كما ينساب شوك السمكة من عمودها الفقرى .

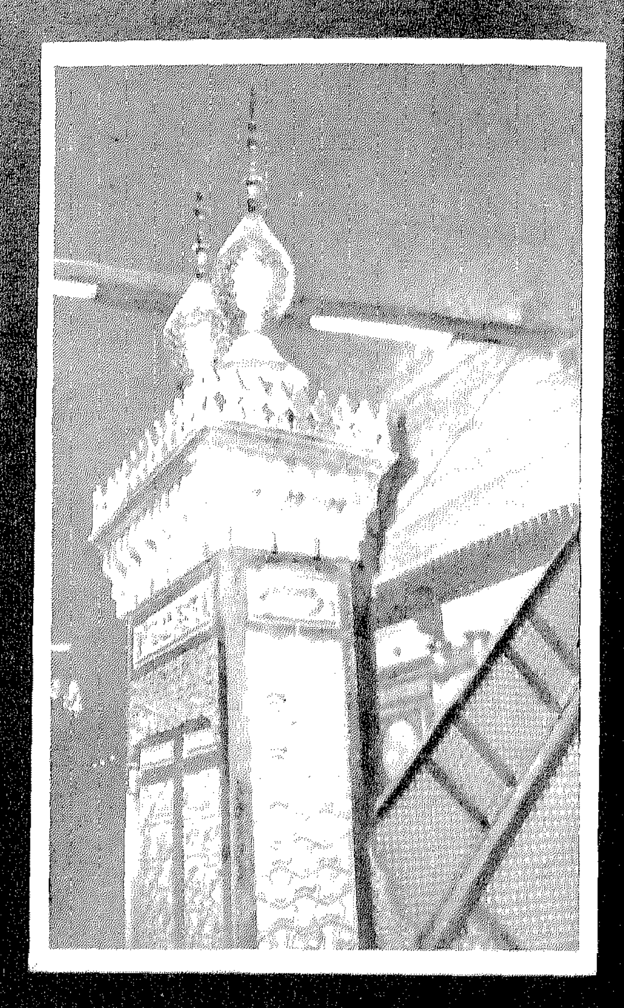
ولم يتنبه الى هذه الظاهرة أحد من المعماريين المصريين الا الاخ الدكتور محمد فريد شافعى وقد تناقشنا فى الموضوع ووجدت ان الفكرة التى عندى عنده ، وقد اطمانت نفسى لذلك لاننى لست معماريا ولا أثريا ولكننى مؤرخ وعاشق للمساجد ،

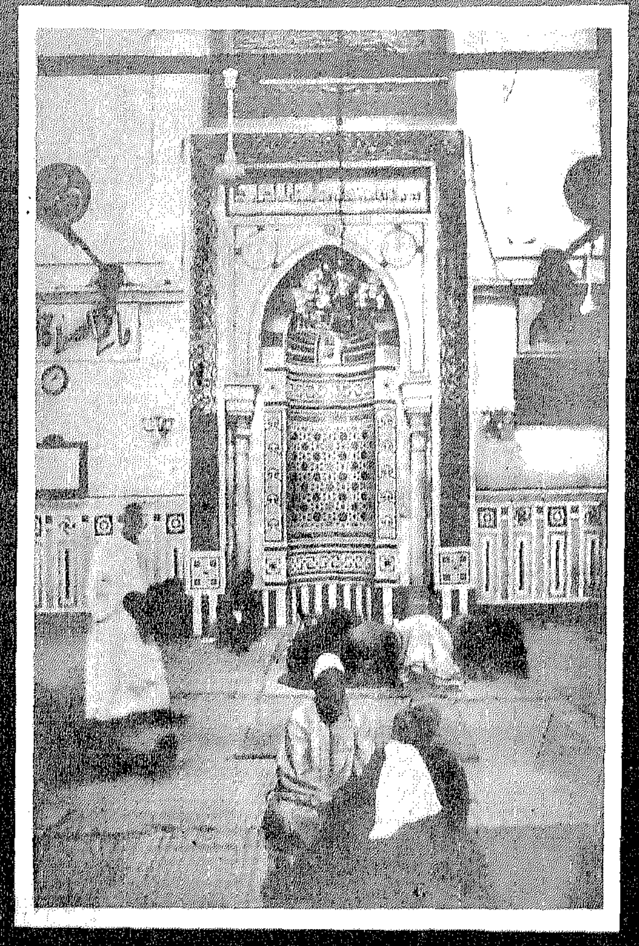
ولقد قرأت ما كتبته الاستاذة الفاضلة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها المبدع عن مساجد القاهرة وأوليائها الصالحين ، وأفدت منه كل الفائدة ، ولم اشأ ان أكرر هنا ما ذكرته من المعلومات التاريخية المعمارية القيمة عن مسجد الحسين رضى الله عنه وأرضاه . فمن شاء أن يعرف عن عمارة المسجد شيئا فالكتاب بين يديه ، ولكن الاستاذة الجليلة لم تشر الى ظاهرة العناصر القوطية فى المسجد ، وحبذا لو سمعنا رأيها فيه .

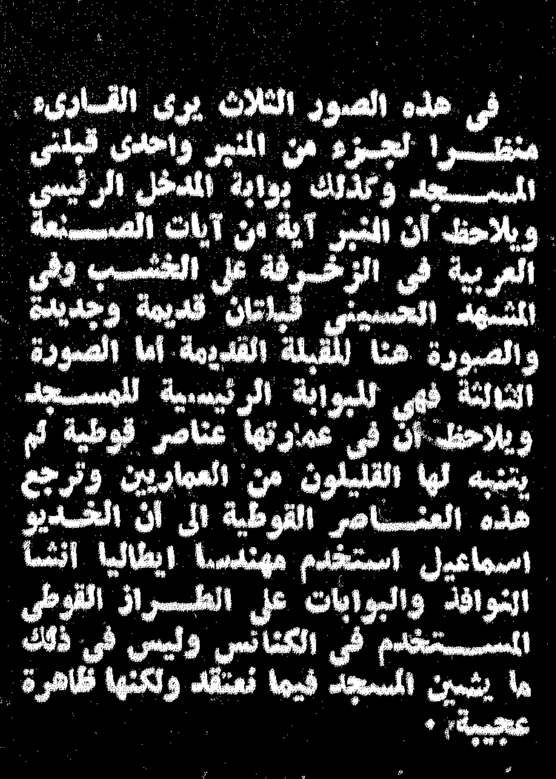
وقد حرصت فى هذا الاستطلاع على ان آتى بصور كثيرة من نوافذ المشهد الحسينى وأبوابه ، وخاصة ما كان منها تحت المئذنة وفى الواجهة المطلة على ميدان المشهد الحسينى لكى يتامله المعماريون ويروا رأيهم فيه ..

والسؤال الان: كيف تطرقت العناصر المعمارية القوطية الى هذا الاثر الاسلامى

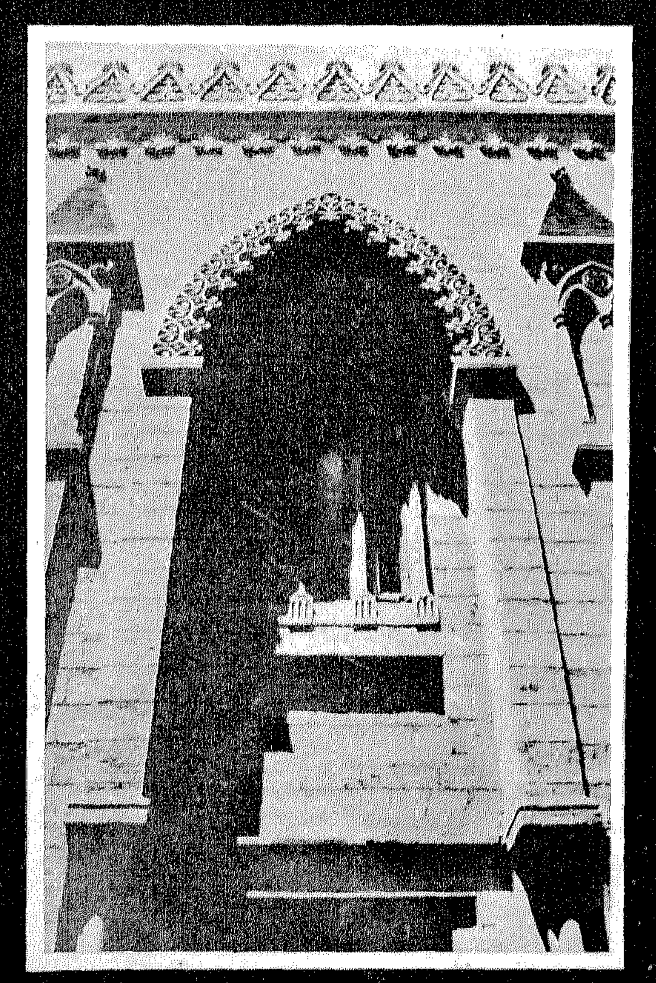
الجواب ان الحكومة المصرية عندما ارادت تجديد مبنى المشهد الحسينى فى

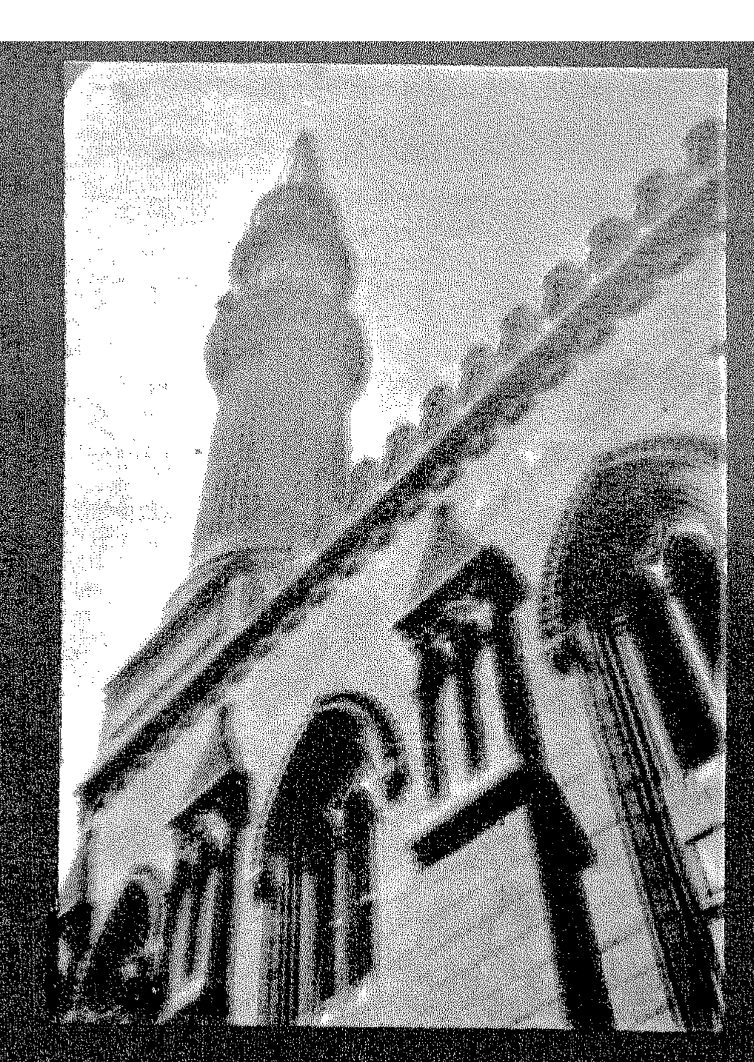






في هذه الصور الثلاث يرى القارىء منظــرا لجزء من المنبر واحدى قبلتي المســجد وكذلك بوابة المدخل الرئيسي ويلاحظ ان المنبر آية من آيات الصــنعة العربية في الزخــرفة على الخشــب وفي المشهد الحسيني قبلتان قديمة وجديدة والصورة هنا للقبلة القديمة اما الصورة الثالثة فهي للبوابة الرئيسية للمســجد ويلاحظ أن في عمارتها عناصر قوطية لم ينتبه لها القليلون من المعماريين وترجع هذه العنــاصر القوطية الى ان الخــديو اسماعيل استخدم مهندسا ايطاليا انشأ النوافذ والبوابات على الطـــراز القوطي المســتخدم في الكنائس وليس في ذلك ما يشين المسجد فيما نعتقد ولكنها ظاهرة عجيبة .

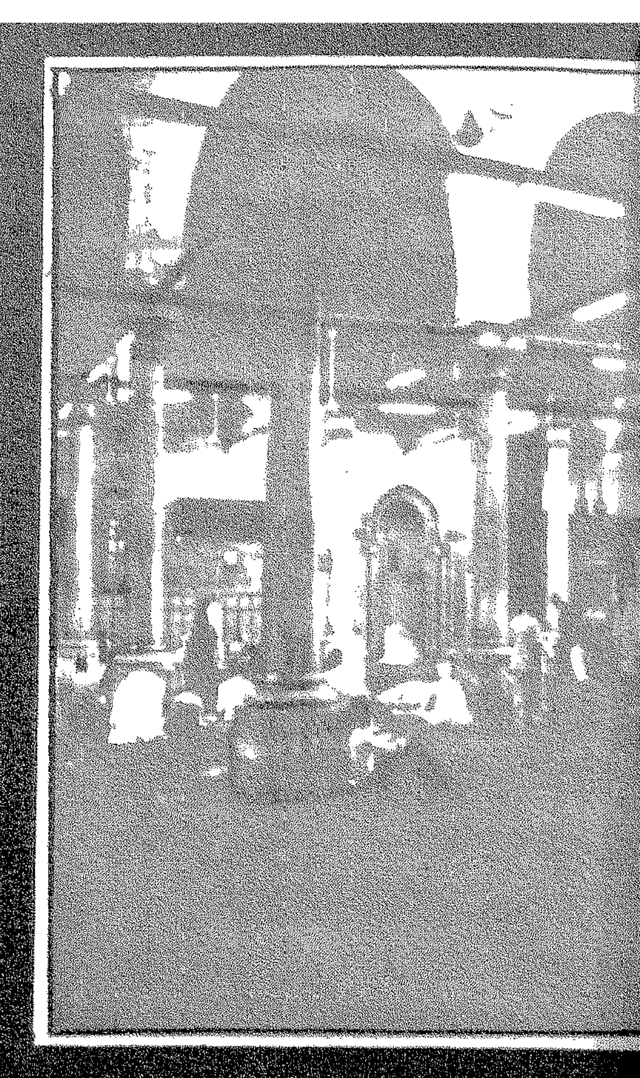


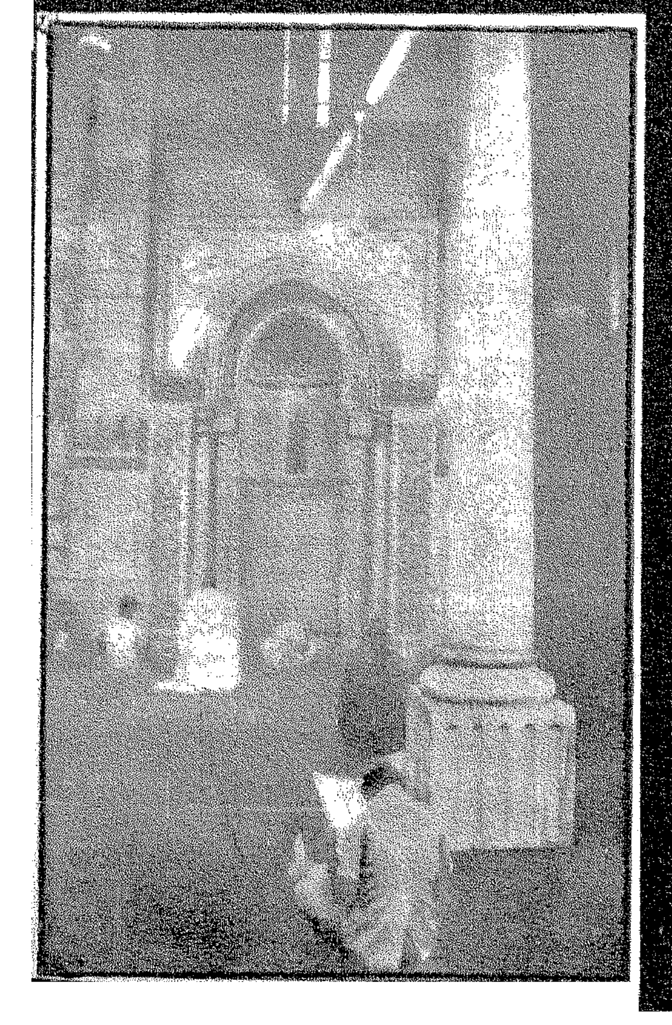


في الصورة التي الى يمين هذا الكلام منظر فريد لجـــزء من واجهة المشهد الحســــيني تحت المئذنة وترى فيهـــا بوضوح العقود والنوافذ القوطية الطراز حتى النوافذ نجدها مقسمة الى عقـود داخلية زخرفية من الحجر المنحوت بغاية الدقة والعناية ، وهذه ظاهرة لم تعرفها العمارة الاســـلامية قط ، وكما قلنا ان ذلك لا يعيب عمارة المسجد فهذا عمـل فني ، والفن الاسلامي اقتبس الكثير من فنون اخرى ، ولكن الجدير بالملاحظة ان المعماري الايطالي عرف كيف يطوع تلك العناصر القوطية لاصــــول العمـــارة الاسلامية ٠

اما الصورة الســفلى فلجزء من بيت الصلاة وترى فيها اعمدته الجميلة ٠



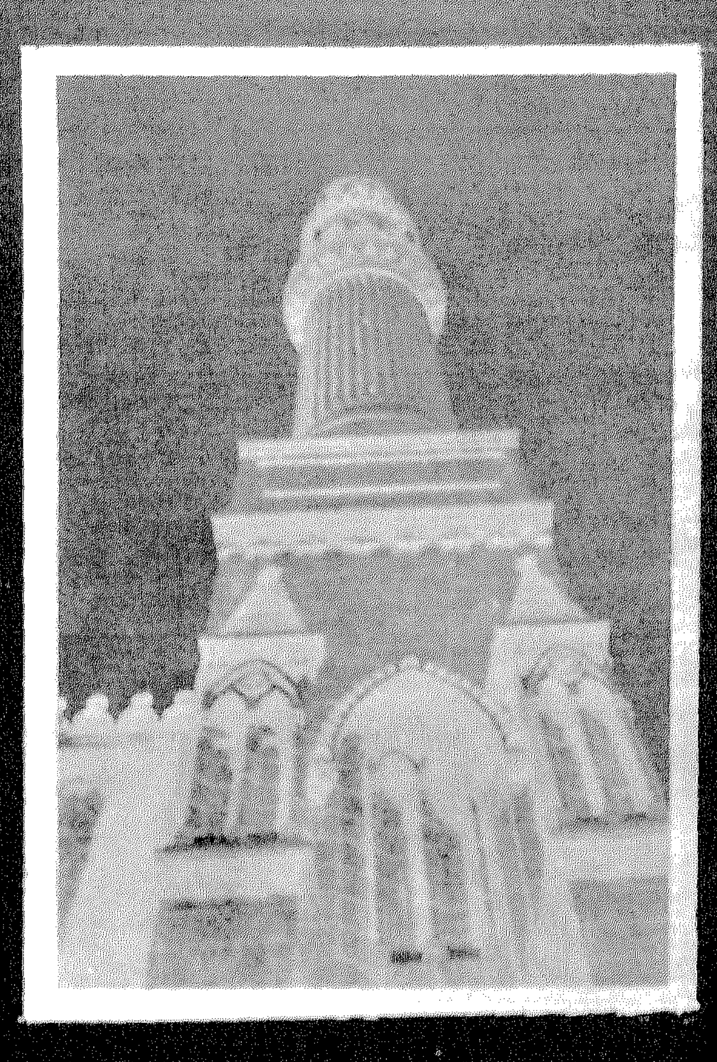






هـذه الصـور الثلاث اخذت داخل بيت الصلاة في المشهد الحسيني والصورة اليمنى تبين جانبا من بيت الصلاة باعمدته الرخامية الجميلة وعقوده المستديرة والصورة الثانية (فوق) للقبلة القديمة في المشهد الحسيني وكذلك المحراب وهو مليس بالرخام الملون وهذه القبلة بقية من انشاء السلطان سليمان القانوني وتبدو واضحة في المبنى الذي انشاه ذلك السلطان العثماني تكريما للامام الحسين رضي الله عنه ومن المعروف ان الامام ليس مدفونا في هذا المسجد بل فيه بعض اجزاء من جسده الطاهر وخاصة راسه الذي اتي به الى مصر في العصر الفاطمي.





●●●

الصورة الكبيرة اليسرى على هاتين الصفحتين تمثل رواق القبلة في المشهد الحسيني في اتجاه المحراب ويتجلى فيها بيت الصلاة للمسجد اما الصورة الثانية التي الى يمين هذا الكلام فقد اخذت الصورة من ناحية جدار القبلة المواجه لباب اخضر لقاعدة المئذنة الجديدة التي بنيت في العصر العثماني واعيد بناؤها على مثل شكلها ١٨٧٣ م في القرن الماضي واشترك فيها كما قلنا مهندس ايطالي ادخل في المسجد بوابات وعقودا ونوافذ على الطراز القوطي وهذا واضح هنا حيث نرى العقود المدببة على هيئة السلاسل النقرية المسمكة وهو طراز من العقود لم يعرف الا في طراز العمارة القوطية .

●●●

اوائل العشرينات لم تجد فيها تقنن معماريا مصريا يقوم بهذه المهمة ، وكانت موضوعات الآثار كلها في أيد فرنسية ، فاستقدم الفرنسيون مهندسين ايطاليين خاصة لكي يقوموا بتلك الاعمال ، ومن اولئك المعماريين ماريو روسى الذى انشا جامع ابى العباس المرسى فى الاسكندرية وبنى عددا عظيما من مساجد مصر فصلنا امرها فى كتابنا عن المساجد الذى استقصينا فيه تاريخ ماريو روسى ،ذلك المعمارى الايطالى الذى عشق الاسلام وفنونه وعمارته واسلم لله تعالى ، وبنى مساجد تحفة من آيات العمارة المساجدية الاسلامية الحديثة مثل مسجد ابى العباس المرسى ومسجد المنتزة وغيرهما .

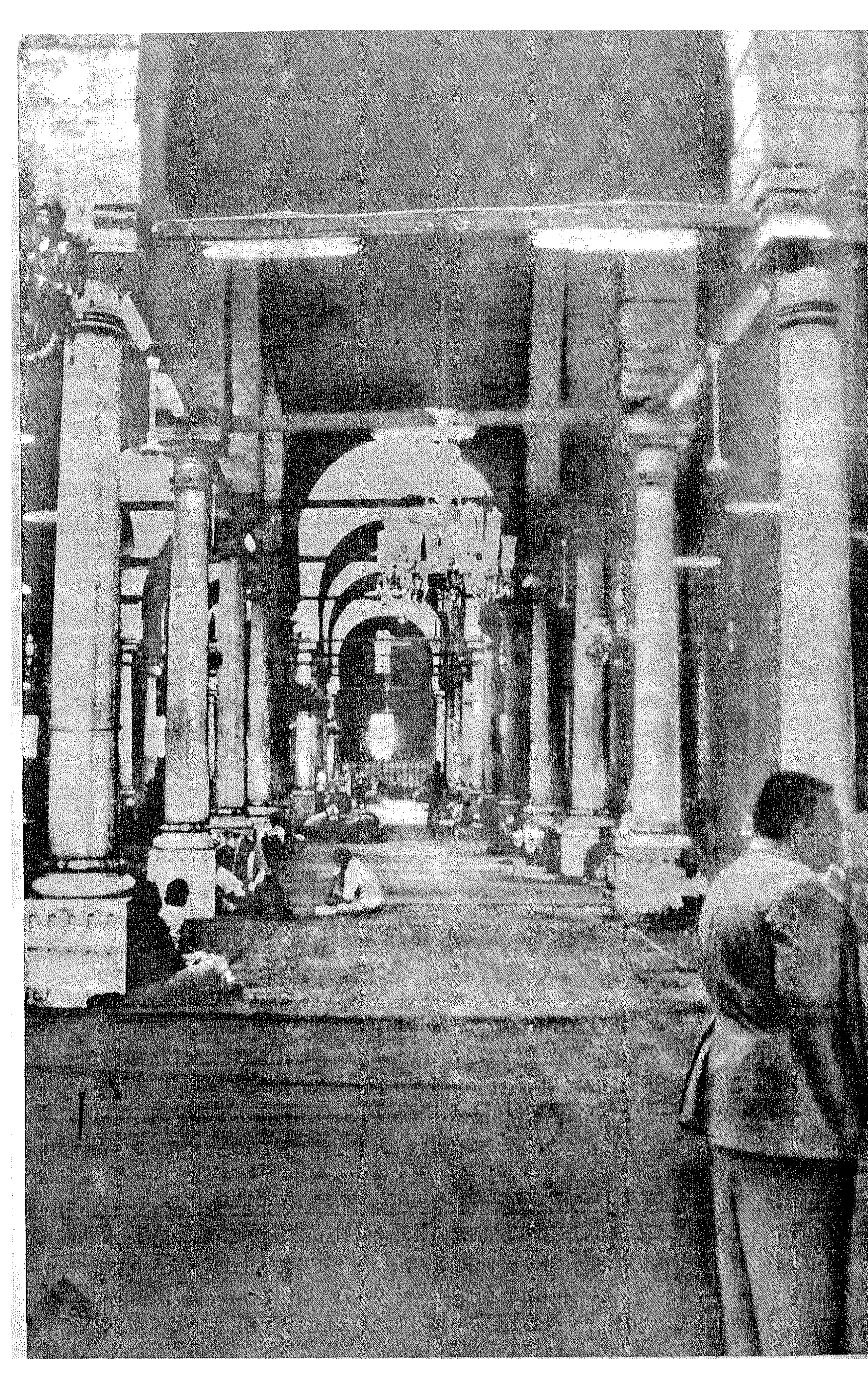
ومن أجل ما صنعه روسى انه جمع كل الوحدات المعمارية الزخرفية التى وجدها فى المساجد رسمها فى لوحات وانشأ بذلك أطلسا كاملا للزخارف والاشكال المعمارية الاسلامية فى مصر ،

وهذا الاطلس لم ينشر ، وهو موجود فى مخازن وزارة الاوقاف .

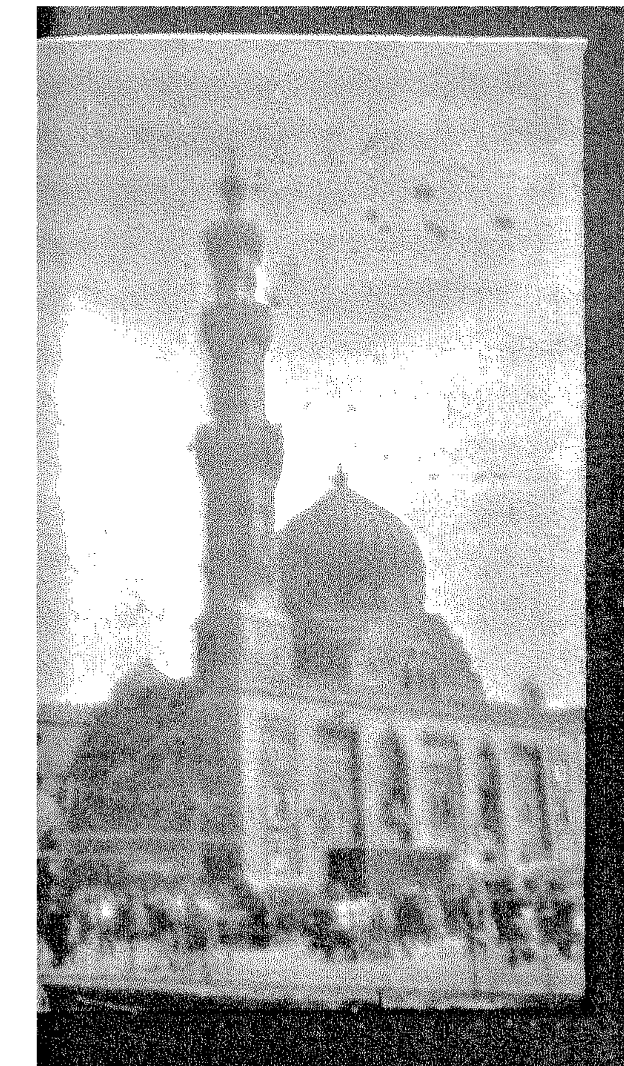
وعندما كان الصديق الاكرم الاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل وزيرا للاوقاف قصدته ورجوته أن يستخرج هذا الذخر لتنشره وزارة الاوقاف ، واهتم العلامة الكبير بالامر ، وبدأ البحث ، ولكنه غادر الوزارة قبل ان يتم ، وارجو الآن ان يعنى الاخ الوزير الجليل العلامة الدكتور زكريا البرى بذلك الموضوع ، فيستخرج هذا الذخر وينشره ،ويكون ذلك مساهمة جليلة من وزارة الاوقاف المصرية فى الاحتفال بدخول القرن الهجرى الخامس عشر .

بقى الآن أن نسأل : هل هذه الاشكال الهندسية القوطية التى توجد فى مبنى المشهد الحسينى من عمل روسى فى أول قدومه مصر ، أى قبل أن يتشرب الفن الاسلامى ويقوم فيه بعمله الجليل ؟

أنا شخصيا لا أظن ذلك ، بل أظن ان

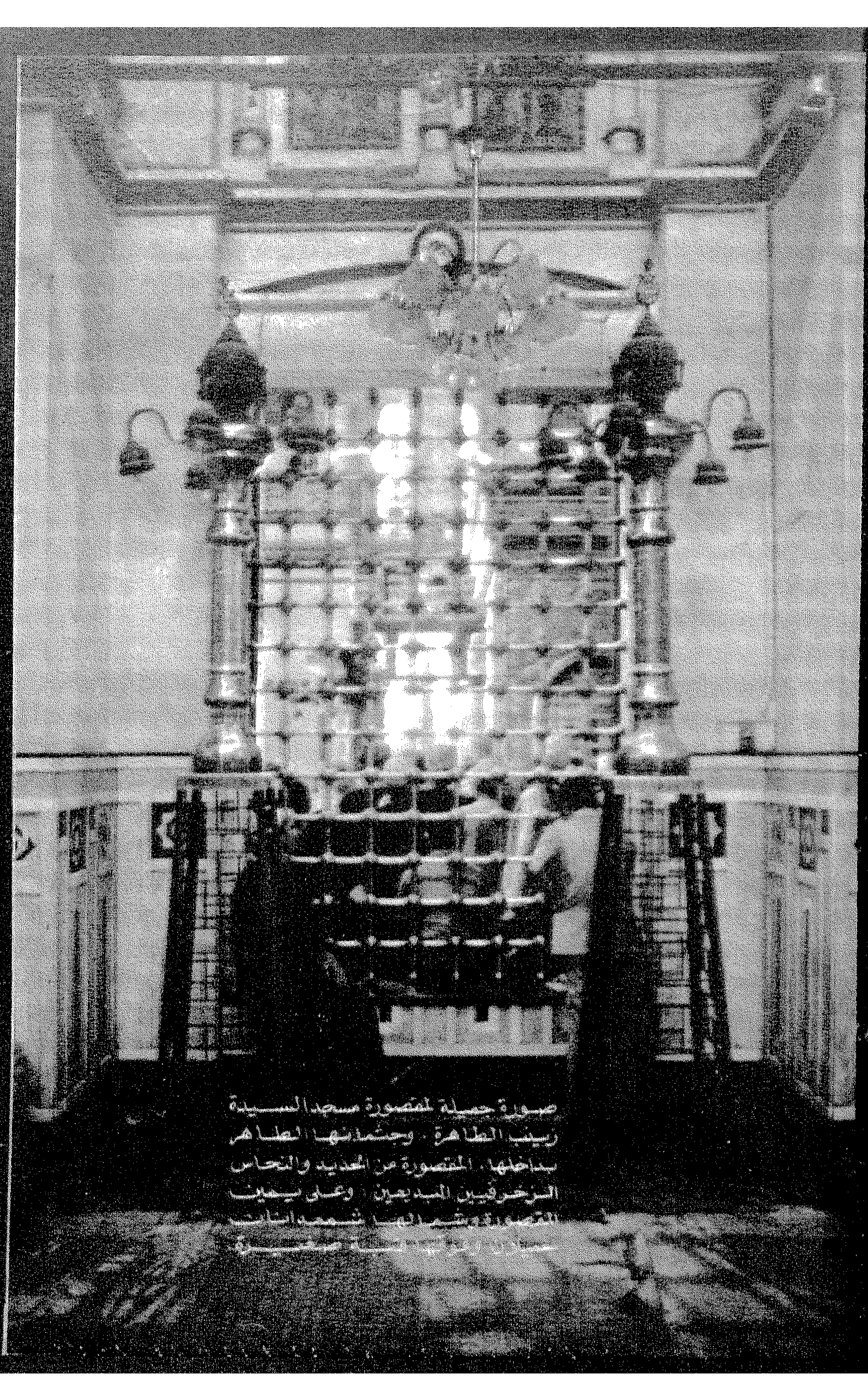


المشهد الزينبي

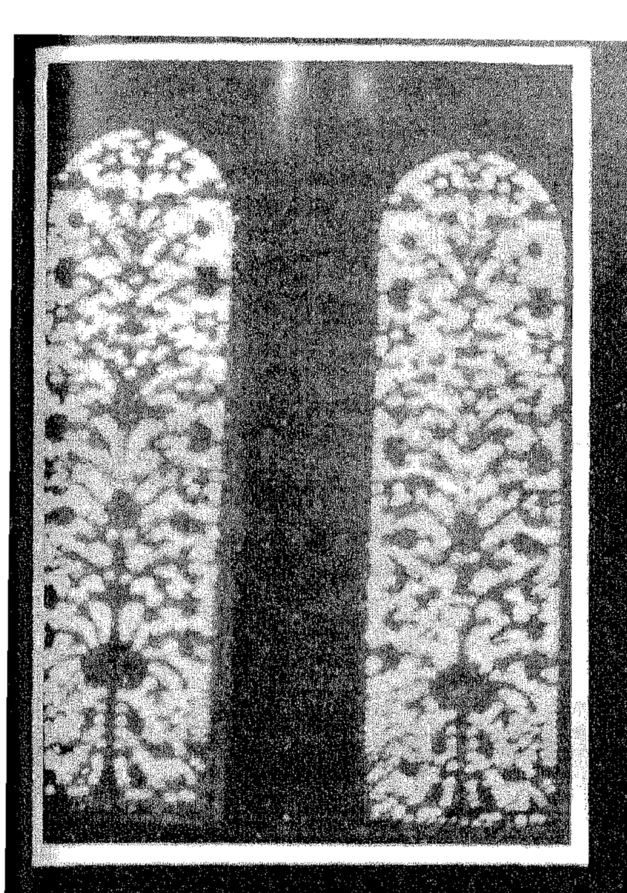




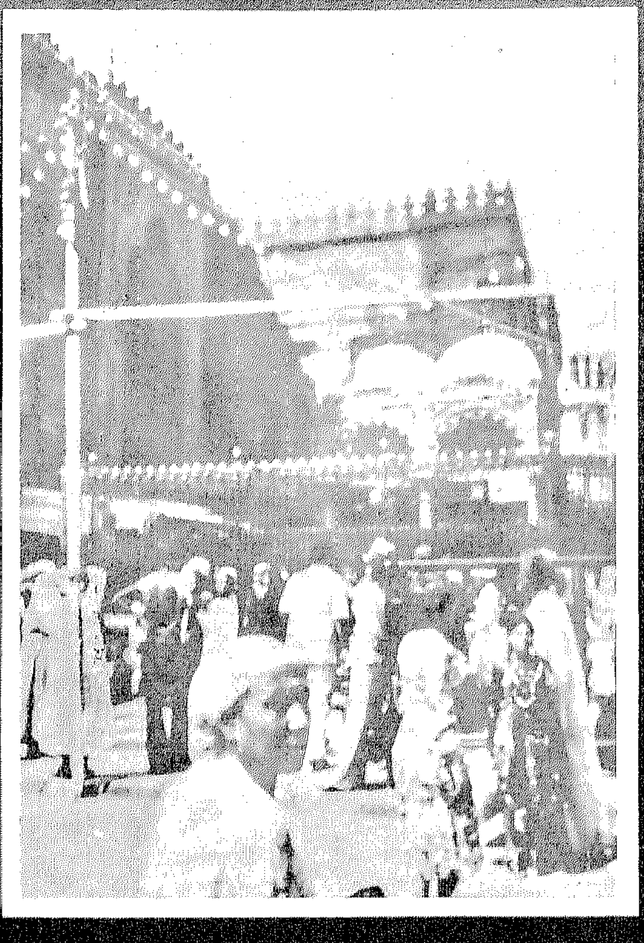
ترجع الهيئة الحالية لمسجد السيدة زينب بنت الامام على بن ابى طالب عقيلة بنى هاشم الى سنة ١٨٩٨ م ففى ذلك الحين تم توسيع المسجد وانشئت وجهته وبواباته الجميلة الباقية الى اليوم وكذلك انشئت مئذنته المملوكية الطراز ويلاحظ من صورة الوجهة وجزء من جدران المسجد الخارجيةفخامة هذا المبنى وجماله ومن اسفنا ان الناس لم يحترموا جلال هذا المسجد العظيم فاستولوا على الكثير من الاراضى الموقوف عليه وانشأوا فيها مساكن لهم ودكاكين مما يشوه جمال المسجد ويعتبر عدوانا عليه . الصورة الثانية اسفل للمسجد من الخارج .

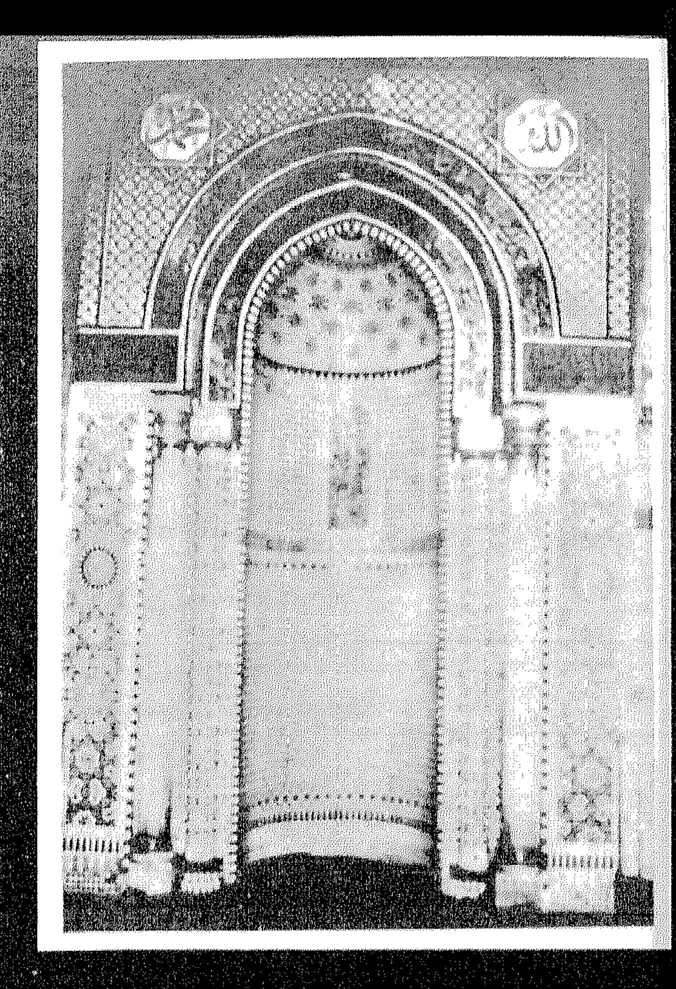


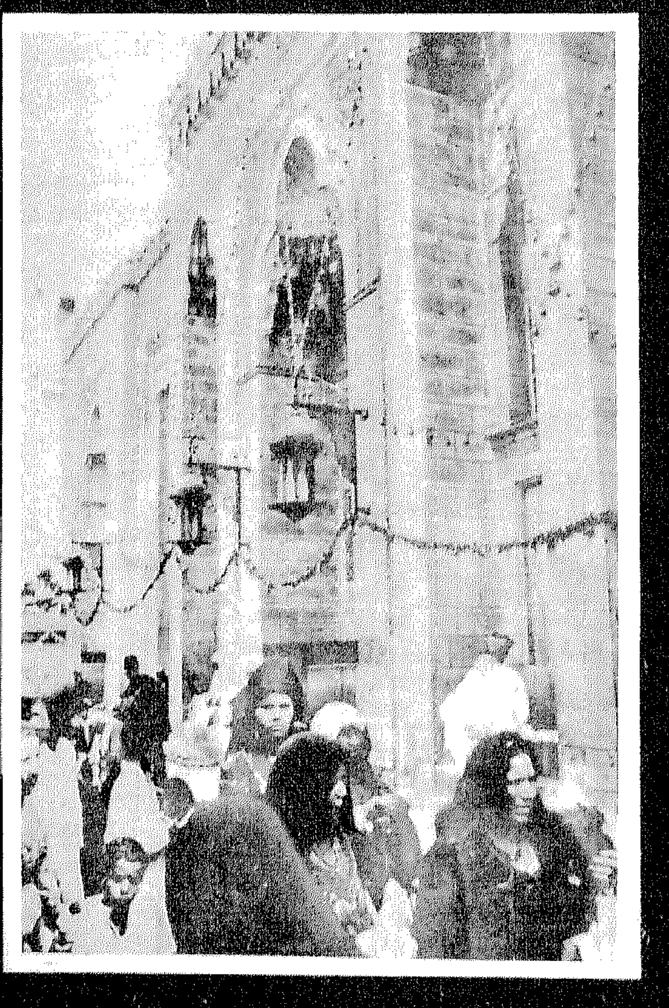
صورة جميلة لمقصورة مسجد السيدة
زينب الطاهرة . وجثمانها الطاهر
بداخلها . المقصورة من الحديد والنحاس
الزخرفيين البديعين . وعلى جانب
[illegible]
[illegible]

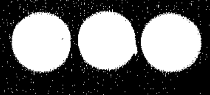


يتميز المشهد الزينبى بجمال باهر لا يشوبه الا وجود طوائف من الناس داخل المسجد بعضهم يتسول وبعضهم يبيع الماء وكل هؤلاء يعتدون على جلال هذا المشهد ففى هذه الصور ترى أحد الشبابيك الجميلة المزينة بالزجاج الملون ومثل هذه الشبابيك لابد من تنظيفها بعناية تامة مستمرة ومن أسف أن الساكنين داخل المسجد يشوهون نظافته ويحولون بين الناس والاستمتاع بجمال ذلك المسجد العظيم أما الصورة الثانية أسفل فهى لكرسى القارىء او قارىء السورة وهو الذى يقرأ القرآن فى صلاة الجمعة وهذا الكرسى احتله عدد كبير من عظماء المقرئين نذكر منهم المرحوم الشيخ محمد رفعت منشىء المدرسة الحديثة فى تلاوة القرآن ثم الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى

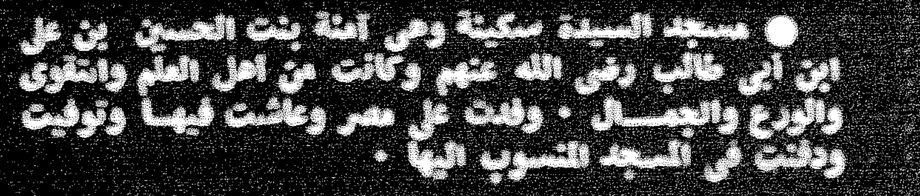








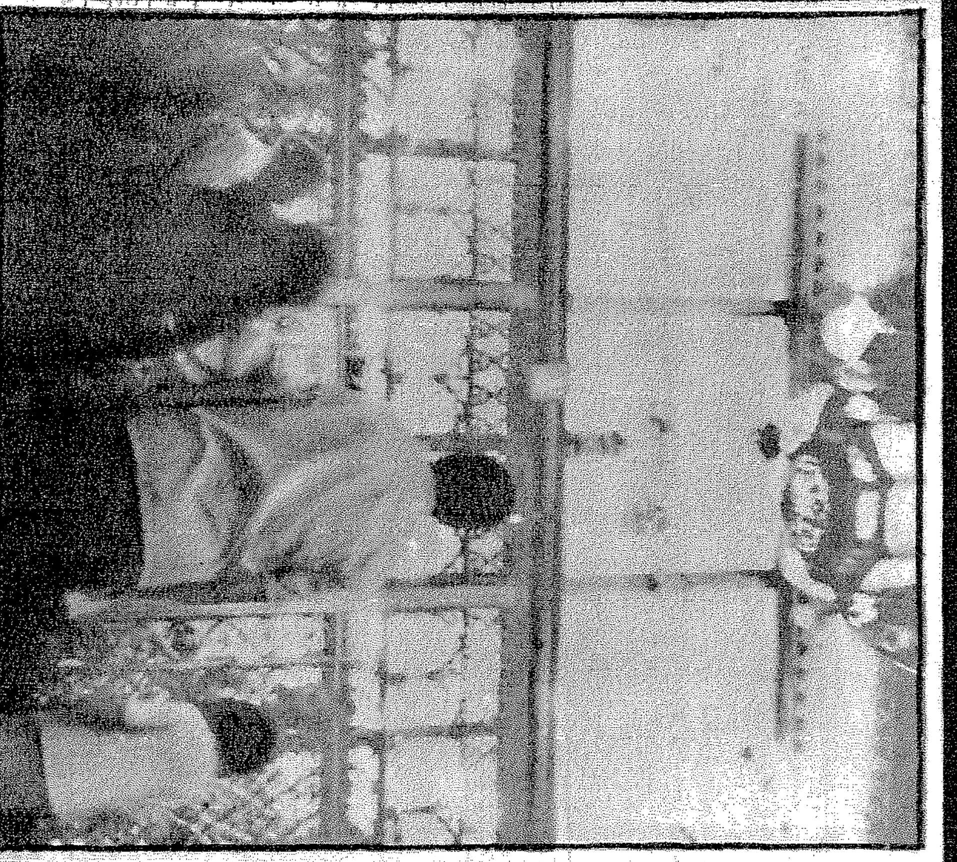
مجموعة من الصور اخذت داخل المشهد الزينبى فى بيت الصلاة وكذلك فى صحن الجامع وفيها نرى صورة كبيرة لقبلة المشهد الزينبى ومحرابه الزينبى من اجمل محاريب المساجد فى القاهرة وفى الصورة الثانية (يسار فوق) نرى بعض مشاهد اولياء الله الذين دفنوا فى صحن المشهد الزينبى وكان من المستحسن الا يدفن فى هذا المسجد اى انسان وكانه مسجد خاص به لاننا نرى ان يكون المشهد الزينبى علما من اعلام العمارة الاسلامية فى مصر وحرام ان تشوبه اى شائبة بل نحن ندعو الى اعادة تصميم وبناء ميدان السيدة زينب كله ليكون المشهد الزينبى مركزه لكى يتجلى جماله .



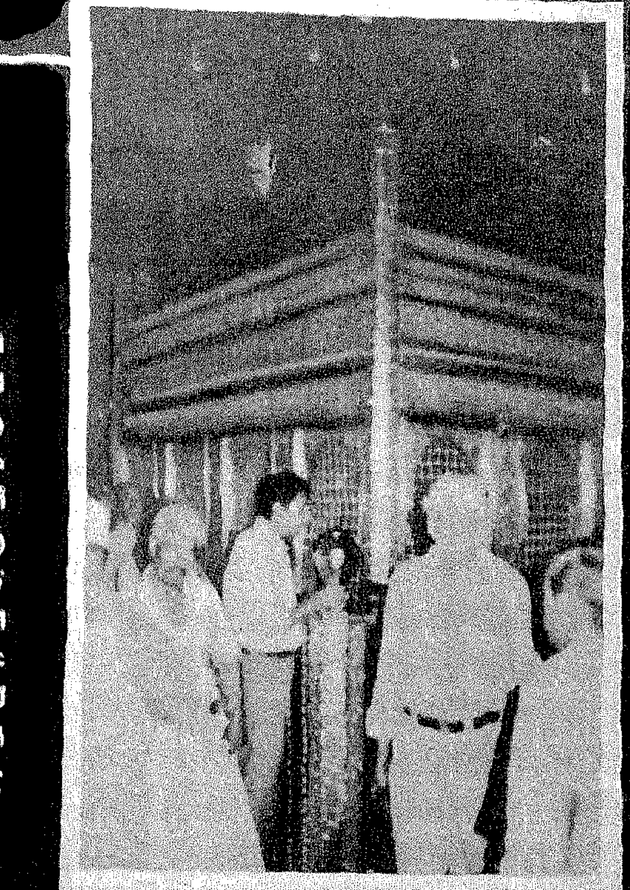
● مسجد السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق خامس الائمة من اهل البيت ، وكانت من العابدات المجتهدات ، وفدت على مصر وعاشت فيها وتوفيت سنة ١٧٦٢ م

● مسجد السيدة سكينة وهي آمنة بنت الحسين بن على ابن ابي طالب رضي الله عنهم وكانت من اهل العلم والتقوى والورع والجمال • وفدت على مصر وعاشت فيها وتوفيت ودفنت في المسجد المنسوب اليها •

● المسجد المنسوب الى السيدة فاطمة النبوية ولا نعرف عن حقيقة أمرها شيئا ولكن مسجدها من المزارات المشهورة في مصر .



● مسجد السيدة نفيسة وهى بنت الامام الحسن الانور ابن زيد الابلج ابن الامام الحسن بن على ابى طالب ولدت فى مكة سنة ١٤٥ هجرية وتوفيت فى مصر سنة ٢٠٨ هجرية .



مجموعة من الصور أخذت فى داخل المشهد الزينبى يتجلى فيهامنظر المقصورة الجميلة التى يعرفها كل من زار مصر والتى يندر ان تجد مصريا او ضيفا على مصر لم يقرأ الفاتحة عندها وهى من اجمل المقصورات مصنوعة من الحديد والنحاس فى زخرفة بديعة وفى الصورة ترى عددا من زوار المسجد يحفون بهذه المقصورة المباركة التى يستجاب الدعاء عندها وفى الصورة السفلى مشهد مألوف لكل زوار المسجد الزينبى حيث ترى الزوار يتجولون فى بيت الصلاة الجميل بين الاعمدة والعقود التماسا للبركة ·

واضع التصميم مهندس اوروبى آخر ، الغالب انه ايطالى ، لان الطراز القوطي الذى نجده فى عقود ذلك المسجدفرنسية الطابع وزجاج النوافذ الملون من نفس الزجاج الملون الفرنسى المستعمل فى الكنائس الفرنسية . وذلك موضوع نطرحه على المعماريين عندنا - وننتظر الجواب ..

***

وننتقل الآن الى المشهد الزينبي ، وهو دون شك من اجمل مساجد القاهرة من الناحية المعمارية ، ولكنه دون مقام السيدة زينب ، فان عمارته متواضعة جدا ، فالبوابة ينقصها الجلال الجديد بمقام السيدة زينب والعقود عادية لاتتميز بشىء وصحن المسجد خال من الجمال تقريبا وبيت الصلاة فى حاجة الى ترميم كثير . وحبذا لو جمعنا امرنا وقررنا ان نعيد النظر فى هذا المقام الجليل ، ونعيد انشاءه كله .

والذى يسوءنا هو ميدان السيدة زينب ، فهذا ليس ميدانا ينسب لمقام جليل مثل مقام السيدة زينب ، وليس من المعقول ان يترك هذا الميدان لكل انسان ليبنى فيه ما يشاء ، والمبانى التى تحيط بهذا الميدان وتواجه مقام السيدة لا تسر ، وهى متنافرة وفقيرة بل الكثير منها حقير ، ولا أدرى لماذا نحب آل البيت هذا الحب ثم يتمسك الواحد منا بعشرة امتار يملكها فى مواجهة المسجد ويبنى فيها بيتاشائها ليؤجره للناس ، فيسيء الى المسجد ويسيء الى نفسه . وأؤكد ان أصحاب البيوت التى تقوم فى هذا الميدان يستطيع واحد منهم فقط أن ينفق من ماله الكثير على اعادة انشاء الميدان كله هذا مع العلم بأن مالهم كله قد كسبوه من السيدة زينب وبركات السيدة زينب ولكننا هكذا نصلى بشفاهنا أما قلوبنا فهى وراء الملاليم .

***

اما بقية روضات اهل البيت فقد سجلناها كما هى ، ولكننا نقول انها كلها فى حاجة الى اعادة بناء ، فلا مسجد السيدة عائشة جدير باسمها . ولا مسجد السيدة رقية مناسبا لها ، ومن حسن الحظ انهم يعيدون بناء مسجد السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها ، والله اعلم كيف سينشئونه .

***

وقبل ان أختم هذا المقال عندى رجاء أتقدم به الى الوزير العالم السيد الصديق الدكتور زكريا البرى .

ما رأيك يا سيدى فى أن تنشأ فى كل حى لجنة من اتقياء أهله وصالحيهم تسمى لجنة المساجد وظيفتها العناية بالمساجد وترميمها والقيام بنظافتها وحمايتها من عدوان الناس .

هذه اللجنة تكون لجنة أهلية تشترك فيها وزارة الاوقاف بأحد رجالها . وعندنا ناس كثيرون اتقياء - من أصحاب المعاشات والحجاج خاصة - مستعدون للعمل فى رعاية المساجد وحمايتها والمحافظة على رونقها بل غسلها بأيديهم .

هل يعلم الناس ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون بغسيل الكعبة بأيديهم ؟ وهل يعلمون ان الظاهر بيبرس غسل الكعبة بيده وسأل الله أن يغفر له ذنوبه ..

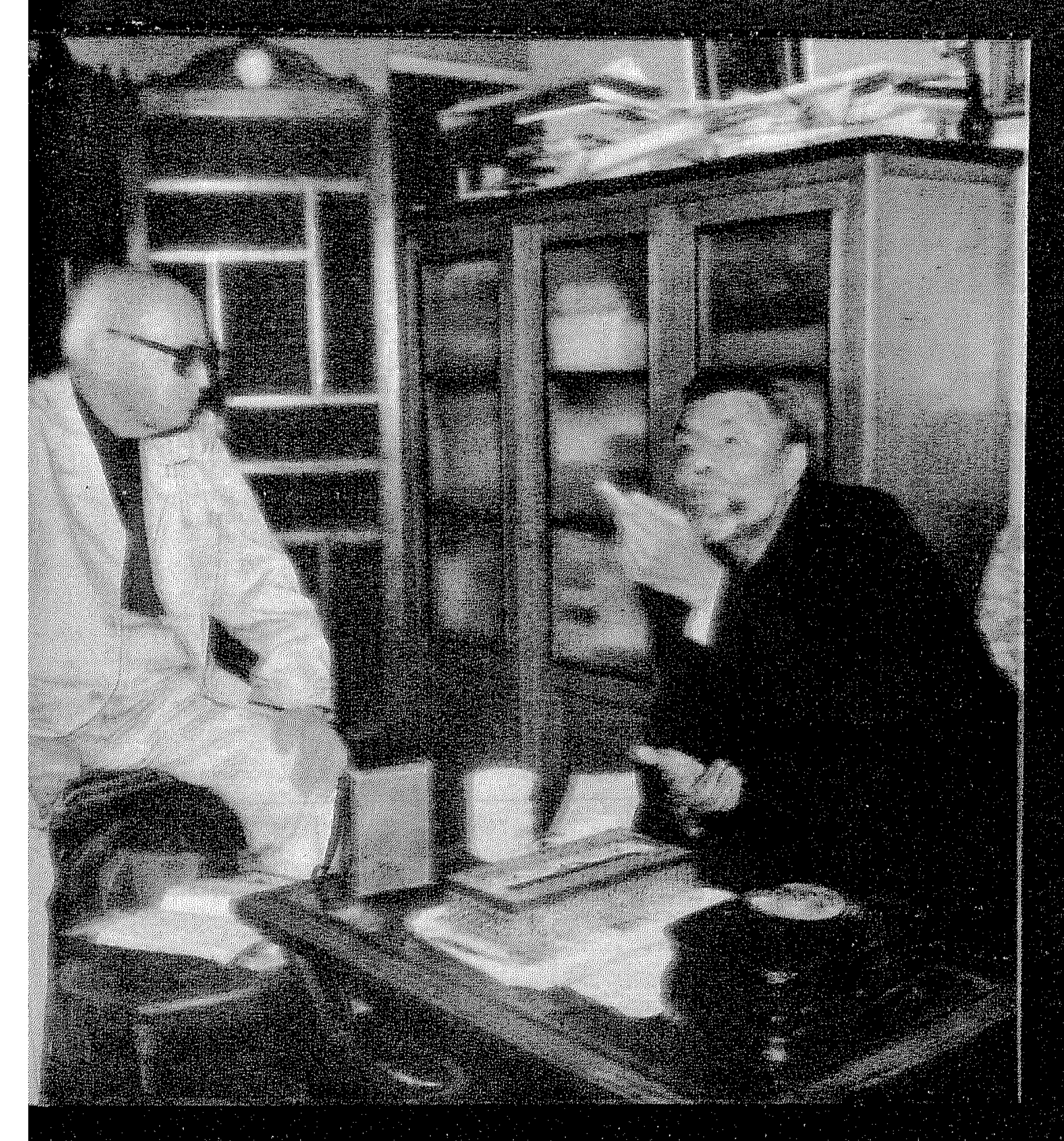
ماذا يمنع ان ننشأ لجان المساجد ويعمل فيها من يريد خشية لله تعالى ، وهل نحن اذا قلنا أن كل من يتقدم بطلب للحج يرفق به خمسة جنيهات للمساجد واحتفظت لجنة كل حى بما يتحصل لها من ذلك المورد .. هل يكون ذلك عسير التحقيق .

الاقتراح بين يدى السيد الوزير وهو رجل مقدام منشىء مجدد الى جانب علمه الغزير الذى يشهد به الجميع .

نفعنا الله سبحانه وتعالى ببركة آل البيت وبركات المساجد جميعا . وكل عام وانتم بخير .

●●

أجمل ماقال الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى فى حوار ممتع مع مجلة الهلال



الامام الشيخ محمد متولى الشعراوى فى أثناء الحوار الطويل الذى جرى بينه وبين الدكتور حسين مؤنس ونشر بتفصيل فى المقال التالى

على طول ثلاث ساعات جرى الحديث بين امام عصرنا الشيخ محمد متولى الشعراوى ورئيس تحرير الهلال ٠٠ تناول الشيخ الامام كل موضــوع وفتح لنا قلبه ، وقال كل ما سأله عنه « الهلال » ، وكل ما يعجب قراء « الهلال » ٠٠

تحدثنا عن تاريخ الشيخ وتجاربه الكثيرة فى الحيــاة ، واشـتغاله بالسياسة ، وما كان له من يد طولى فى الجهاد القومى الى جانب جهـاده الدينى ، فالرجل بطبعه مجاهد فى سبيل الحق ، فى كل موضع يضعه الله سبحانه وتعالى فيه ، وهو متدفق فى حديثه فى ذكاء وسرعة ، وحديث حلو سهل ممتع ، نرجو الله سبحانه ان يبارك له فى هــذه المواهب كلها ٠٠

والحديث جرى فى ظلال ابى الشهداء مولانا الامام الحسين رضى الله عنه ، والشيخ من محبيه ، لا يغادر بيته هذا ليكون الى جواره ليستشرف ببركته ، وهو على الحق ، فقد كنا نتحدث معه وأعيننـا تقــع بين الحين والحين على المسجد المبارك فيحار العقل بين جلال المشهد الحسينى وتدفق العلم الغزير فى كلام الشيخ الامام ٠ ومن اجمل ما تلمسه فى جلوســك مع الشيخ الشعراوى بساطته البالغة وانسانيته الغـامرة ، فهو شــيخ الشيوخ وأشهر علماء العصر فى عالم الاسلام كله ، ومع ذلك فانت لاتحس وانت تتحدث اليه بذلك التكلف الذى تشعر به وأنت تتحدث مع غيره من الشيوخ وخاصة الكبار منهم ، وتلك فى ذاتها دليل علم غزير ، فان العالم المستوثق من نفســه لا يتكلف شيئا ولا يريد ان يرى النــاس فيه الا حقيقته ٠

وحقيقة الشيخ الشعراوى تنطوى على حقائق كثيرة منهـا الشــجاعة والايمان ٠ والصدق ٠ والذكاء اللماح ، وهذه كلها تتجلى فى ذلك الحديث الممتع الذى تفضل به على « الهلال » وقراء « الهلال » والذى نعتقد انه اجمل ما قال الشيخ فى احاديثه غير الدينية ٠

محمد متولى الشعراوى وأجمل ما حدّثنا بـه

● أجرى الحوار : عاطف فرج ●

● السيارة تمرق بنا في شـــارع الازهر ، تهدن الاخريات تارة، وتتلوى كالافعي تارات أخـرى .. القباب من خلف ماذن احى العتيق تظل علينا شامخة • ألف عام ويزيد تمر على هذه الابنية التاريخية .. هذه هى قاهرة المعز لدين الله الفاطمي ..

وهنا يعيش أمام عصرنا الشيخ محمد متولى الشعراوى •

أصوات الباعة تصم آذاننـــا الزحام يجرفنا فى تياره القوى • حبات المسابح التى لاتخلـــو منها يد هنا فقد جلالهـــا لكثرتها ولان الزحام وأصــــوات الناس النلس لا تتفق مع هيبتها • وانعكاسات الشمس فوق مشـــغولات خان الخليلى النحاسية والفضية تخطف منا الابصار • روائح البخــــور تقتحم حواس الشم عندنا • تدافع الصــــبية فى كل اتجـــاه يثبت الحركة كأنهم وقوف على اقدامهم سحر الماضى هنا يضـــيع بعض الشىء وسط جلبة الحاضر وزحامه •

اقدامنا تقودنا الى حيث يقيم شيخنا فضيلة الامام الاكبر الشيخ محمد متولى الشعـــراوى بجوار مولاه ومولانا الامام الحسين بن على رضى الله عنهما •

استقبلنا الرجل وبشاشته المعهـودة تسبقه • مكررا بين الفنية والفنية عبارة اشتهر بها بين احبابه ومريديه « مرحبا بكم » ..

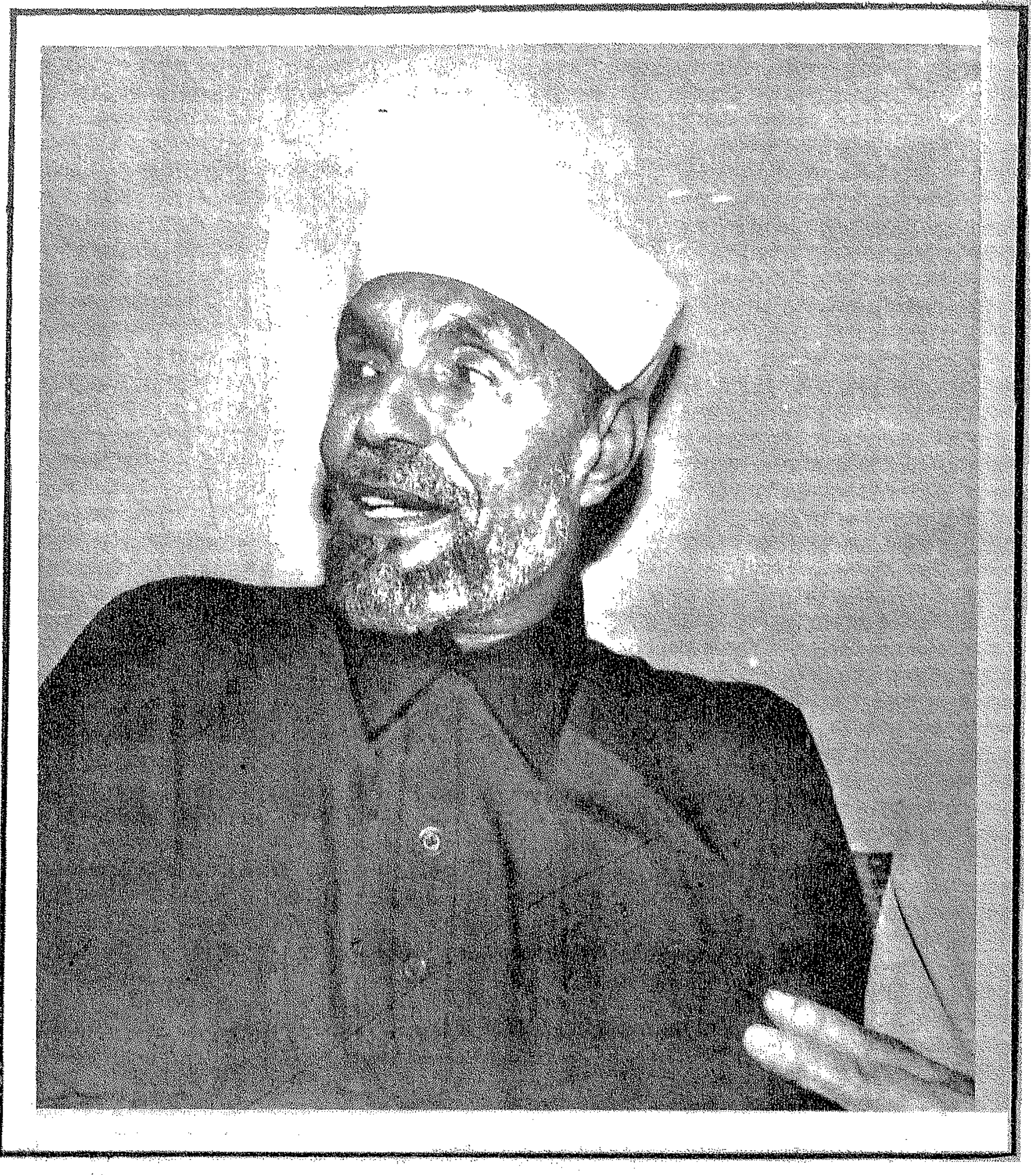
● مرفأ الطفولة ، أول مرافىء الذكريات

سعدنا ترحيب مولانا الشـيخ • دار الحديث بيننا تنساب فيه الذكـريات ، وتتداعى الاحداث كشريط سينمائى يمر أمام أعيننا ونحن نصغى الى الحـــديث الممتع الذى اشتهر به شـــيخنا ، فقـد عرف فى عالم الاسلام كله بأنه صـاحب الحديث الممتع أيا كان الموضـــوع الذى يتحدث فيه •

فمن عام ١٩٨١ نعود القهقرى الى عام ١٩١١ سنة مولد الشـيخ راكبين عجلة الزمن • فى انطلاقتها الميسرة ونقف عند أول مرفأ من مرافىء الذكريات : مـرفأ الطفولة •

وآه لك أيتها الايام، كم فيك من جميل يضيع وسط الزحــام فننســـاه الى أن يذكرنا الغير به لكن كم فى الطفولة من أيام سعيدة ، ولحظات حلوة تظل عالقة بأذهاننا مهما دارت بنا الايام ..

عود على بدء • والعود عام ١٩١١ • فى ذلك الزمـان الذى كانت الحــرب



فضيلة الامام محمد متولى الشعراوى

العالمية الاولى تعلن نذرها الاولى فى اركان الارض الاربعة وتطير اخبارها الى الناس فى كل مكان الانجليز يضعون الايدى الغالية على مصر ، والارجل لهم فى « القصر » معين ، وفى بيوت بعض الباشوات والباكوات نزل مكين ٠٠ بئس تلك الايام ٠٠ التى عانت فيها مصر ٠٠

فى هذا العام عام ١٩١١ ولد محمد متولى الشعراوى فى بلدة « دقادوس » فهذا هو المكان الذى حظى بميلاده ٠

ولانه كان الولد البكر لمتولى الشعراوى ٠وهبه والده للعلم والدراسة فى الازهر الشريف ٠ فلم يكن غير الازهر باب ــ يلجه أبناء الفلاحين الذين يتوسم فيهم أهلهم النجابة ويتوقعون لهم المستقبل الزاهر ــ « بعد ان حفظت القرآن ــ حفظا مجودا ــ هكذا يقول الامام الشيخ ــ وأتممته فى سن الحادية عشرة ٠ التحقت بمعهد الزقازيق الدينى ٠٠ وكان هذا المعهد يخص محافظتى الشرقية والدقهلية فى ذلك الوقت ٠٠

ومضت الدراسة بالفتى المعمم الى أن « حصلت على شهادة الثقافة الازهرية فى سنة ١٩٣٦ انتقلت بعدها الى القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية بالازهر وبعد أن تخرجت عينت بمعهد طنطا الازهرى مدرسا ، ثم فى ١٩٥٠ انتقلت للتدريس

فى المملكة السعودية وتنقلت فى وظائف سلك التدريس حتى وصلت الى الاستاذية ، وقد عدت الى مصر اثناء ذلك مرة بعد أخرى وشغلت وظائف التدريس فى كليات الازهر الى أن عينت وزيرا للاوقاف وبعد الوزارة تفرغت لاهم رسالة فى حياتى وهى الدعوة الى الاسلام

ويضيف الامام نعم ٠٠ الحمد لله ٠٠ نعم ٠٠

● **اول علقة بسبب « عسق »**

من يذكر حكايات عميد الادب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه الرائع « الايام » ٠٠ لاشك أن كل من قرأه يذكر حكاية الولد طه مع العريف ، وكيف كان يقدم له خفية قطع السكر وبعض الطعام ويدسه له فى يده أو للشيخ حتى ينجو من وقع العصا فوق جسده النحيل فماذا عن مثل ذلك ؟ ٠٠

حكاية أسعدته ٠ فضحك ملء شدقيه وهو يتذكرها ٠

« **آه لتلك الايام وقال،جرتنى للكلام عنها ٠٠**

كان من العادة ان نقرا اللوح مصححا قبل حفظه والتصحيح يتم بمساعدة المصحح او العريف مساعد سيدنا الشيخ فى الكتاب ٠٠ واللوح هو ما يجب على الطفل حفظه من آيات القرآن الكريم ، ثم نعاود تسميع ما حفظناه للشيخ ٠٠

« والذى حدث اننا لم نصحح ــ فى احدى المرات ــ ما سوف نحفظه ٠ ثم علم الشيخ بهذه الواقعة ، فانتظر الى اليوم التالى وطلب منى أن أتلو عليه ما حفظت ٠٠ وكنت قد حفظت الآية كما اثبتها فى اللوح بما فيها من الخطأ هكذا « حم عسق » ولم اقرأها مثل نطقها سماعا ٠ وبسبب « عسق » عرف الشيخ اننى لم أصحح قراءة القرآن ، لان قراءته تختلف عن الشكل المكتوب به ٠٠ أنظر الى قوله تعالى فى أول سورة البقرة ا ٠ ل ٠ م وانظر اليها فى سورة « الم نشرح لك صدرك » فهى تختلف فى السورة الاولى عنها فى الثانية رغم أن مكونات « الم » فى كل منهما واحدة ٠٠

وبسبب الخطأ الواضح فى القراءة ٠ حملنى الشيخ الى أعلى والقى بى الى الارض ثم عاود الكرة مرات ومرات ،وأنا أصرخ وأستغيث وليس هناك منقذ ولا مغيث ، الا ارهاقه وتعبه هو نفسه ٠٠

● **ولهذا نزل القرآن مسموعا ٠٠**

لعل هذه « العلقة السخنه » أفادت محمد متولى الشعراوى ٠٠ كيف ؟!

يقول « نعم ٠٠ عرفت فيما بعد أنه لهذا السبب نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم مسموعا ، ولم ينزل مكتوبا ٠ وهذا اعجاز من اعجاز القرآن ٠٠ واعجاز من اعجاز رسول الله بعد أن سمعه وهو الأمى من جبريل عليه السلام ٠ « ان هو الا وحى يوحى » ٠

● **وضعت التراب فى عينى ، ومكرت ٠٠**

أطفال الريف كما يعلم أبناء القرى يجدون أنفسهم بين طريقين احلاهما مر كما يقولون التعليم فى المدرسة الابتدائية هربا من « الغرامة » التى كان يدفعها ولى الامر ــ هكذا كان التعليم أيام زمان ــ وكان حفظ القرآن الكريم على يد « سيدنا الشيخ » فى كتاب القرية عذابا وليس بعده عذاب وعادة ما يكون أحد الطريقين أو كلاهما رغبة الاهل لا ارادة الطفل نفسه ٠٠

فماذا يقول فضيلة الشيخ عن نفسه ٠

« نعم الطفل فى هذه المرحلة ليست له ارادة ولا يبدى رغبة معينة وليس له ادراك يمكنه من تحديد مستقبله ولك أن تتخيل اننى شخصيا كنت أريد أن أكون فلاحا فلقد تعلقت بالحقل والعمل فى الحقل ٠٠ استهوتنى الزراعة ولم يستهونى وتشد الازهر ٠

ولكن الذى حدث اننى بعد أن حفظت القرآن قال والدى رحمة الله عليه : يا محمد قدمت « لك طلبا للالتحاق بمعهد الزقازيق الدينى » وغدا سوف يكشفون عليك طبيا ٠٠

وراعنى الامر فأنا أريد الزراعة لاننى متعلق بها وهو يريدنى أن أكون طالب علم ، فماذا أفعل ؟!

مكرت ٠٠ وفعلت ما يفعله الاطفال فى مثل هذه الظروف ٠ وضعت التراب فى عينى لكي تتورم ويطردونى٠وحاولت

أن أضع فيهما شطة من التي في الحقل ولكنني تراجعت ..

ولم تفلح المسألة وعندما ذهبت الى اللجنة اكتشفت انهم يقبلون المكفوفين ، وهكذا ضاعت أول فرصة للهروب من النجاح الذي لمسته فيما بعد ..

ولكنه لم يستسلم وفكر في شيء آخر ومكر ، والله خير الماكرين ..

يقول في ذلك الشيخ محمد متولى الشعراوى ..

« لابد أن هناك طريقا اخرى ، كان لابد لى من ان الجأ الى طريقة اخرى للخلاص من الدراسة في الازهر كان يمكنني اذا انا جلست أمام الممتحن ان انكر حفظي للقرآن ، واخطىء عامدا في قراءته .. وفعلا لم اقرأ القرآن كما يجب ، بل تناسيت بعض الكلمات .. والعجيب هو اكتشاف الممتحن اللعبة ، لاحظ سلامة النطق عندى لمخارج الالفاظ والحروف وهو ما يفعله كل حافظ لكلام الله .. واستدعى والدى وكان خارج اللجنة ينتظرني ليعود بى الى القرية ، فسأله :

الولد ابنك غير حافظ للقرآن .. قال والدى في ذهول : كيف ؟!

ثم نظر الى نظرة كافية لان تسحق اى رغبة اخرى غير ان اتلو القرآن .. وفعلا اسمعت الممتحن ما طلبه منى ، فضحك وقال .

لقد عرفت من البداية . وحتى لو لم تكن حافظا لانجحتك في الامتحان ..

هكذا جرت الرياح بما لا يشتهى الصغير ، لكنها سارت في طريقها المرسوم لكي تصل العلم بالعلم ، والفقه بالتفقه فماذا لو ظل محمد متولى الشعراوى فلاحا ؟! ولم تأت به المقادير الينا ، ليسعدنا ويثرى قلوبنا بفضل علمه وفقهه وبما يتجلى في كلامه من حب وايمان ..

ثم استرسم الشيخ يقول فى اسلوبه الفريد في بابه .

« كم أتمنى أن يذوق الناس حلاوة الايمان .. والله لو فعلوا لانتموا الى العزة ، ووضعوا ساقا فوق أخرى ، وقالوا اننا أقوياء واعزاء ولن يغلبنا أحد لاننا بالانتماء الى رب العزة سبحانه ، فله منا الشكر والطاعة ولنا منه فيض رحمته .. »

● يحصل على منحة تفوق دراسية مخصصة لفقاء المذهب الحنفي .

ويستطرد معنا الشيخ في ذكرياته فيصف لنا كيف انه لم يكد يمضى في طريق الدرس والعلم حتى أحس بتعليق شديد بالعلم وشغف بالغ بالدراسة فاقبل عليها بكل ما أودعه الله في كيانه من قوة وذكاء وايمان ، وتجلت موهبته ففاز بالمنحة الدراسية التى قررتها هانم ابنة الامير محمد على وقدرها أربعون جنيها عدا ونقدا ، كنت أحصل عليها لتفوقى ، وهى من ريع وقف زينب هانم الذى أوقفته على أتباع المذهب الحنفى ..

اذن مولانا الامام حنفي المذهب ، فماذا عن نشاطه السياسي ؟! وهنا تتاح لنا الفرصة لنكشف عن ناحية من حياة الامام الشعراوى ونشاطه المتعدد النواحى وهى الناحية السياسية فى شبابه يقول الشيخ الشعراوى :

« بعد حادث شهداء الجامعة المصرية ، لم تجرؤ الجامعة على ان تؤبن شهداءها لأن الحكومة منعت حفل تابين الشهداء وكنت رئيسا لاتحاد طلاب الشرقية وطالبا بالمعهد الدينى فى الزقازيق ، فقررنا أن نقيم لشهداء الجامعة حفل تابين في الزقازيق حضره وفد الجامعة المصرية برئاسة الدكتور محجوب ثابت .. وفي مثل هذه الظروف يمنع التصفيق منعا باتا ، وكان مقررا ان يلقى الخطباء كلماتهم بما لا يتجاوز خمس دقائق لكل كلمة ، ووضعوا منبها لذلك ، وكنت اول المتكلمين ، فقلت كلمة نثرية أثارت اعجاب الحاضرين ودق جرس الانتهاء ايذانا بان اودع المنصة ، وهنا قام الدكتور محجوب ثابت ، ووضع يده على جرس المنبة فاسكته . واستاذن الحاضرين في أن يسمحوا لى بالوقت المخصص لبقية كلمات التابين ..

وفى النهاية وكنت المتكلم الوحيد ، قال الدكتور محجوب ثابت : والآن نبيح لكم التصفيق للاعجاب ..

فعل الدكتور محجوب ثابت ذلك مخالفا لما جرت به سنن حفلات التأبين . فالمتحدث رئيس اتحاد طلاب الشرقية وهو ازهرى



قح وهذا الازهرى القح قال مايستوجب المخالفة وما انتزع به التصفيق ، ومن قبل الاعجاب ، وأخذ بالحق والمستحق وقت كل من أعد نفسه لالقاء كلمة حق فى تأبين شهداء الجامعة المصرية ..

قال الشعراوى « شباب مات لتحيا أمته .. وقبر لتنشر رايته ، وقدم روحه للحتف والنكال ، قربانا للحرية ومهرا للاستقلال .. »

ليست فى هذه فقط بل هذه مجرد مقدمة جاءت بعدها كلمات قصيدتى .. التى ألهبت المشاعر ،ولقد نشرتها جريدة الوادى فى ذلك الحين من الزمان ــ قلت فيها :

نداء يا بنى وطنى مجاب
دم الشهداء يذكره الشباب
وهل نسوا الضحايا والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بر من يرفق وادى
رسالته وها هى ذى تجاب !
فلم يجبن ولم يحفل وارغى
وازبد لا تزعزعه الحراب
وقدم روحه للحق مهرا
ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد وجد
لتحيا مصر مركبها مهاب ...
يهون القلب فى تحرير مصر
وعذب فى قضيتها العذاب ! »

هذه بعض أبيات قصيدته قالها فاستحسنوها ، لانها كانت أكبر من سنه . تنبىء عن موهبه مختزنة فى عقل ينوء بحملها جسده النحيل ، فكم كانت عدد السنين التى يحملها الفتى ــ عشرون عاما .. يا لمقدارها الهزيل أمام سنوات من جرت بهم الاعمار ولم تنضج عقولهم سوى ترهات !

« وليس هذا يا صديقى ــ يقول الشيخ الشعراوى ــ فقط ما قلته فى هذه المناسبة .. بل حدث أن اجتمعوا فى بيت الامة بيت سعد زغلول ، من أجل الشهداء . وذهبت أحضر هذا اللقاء ، فقدمونى لكى أتكلم وقد عرفوا فى من قبل حسن اختيار الكلمة ، فقلت قصيدة أخرى جاء فى مطلعها ! ..

شبابك هذا فى بنوته بر
الا فاسلمى فالمجد مجدك يا مصر
شباب أبى لا تلين قناته
فليس يهاب الموت أن حتم الامر
وكيف ونفس الحر ترقص اذ يرى
جلالا مضى فاستعبد البلد الحر
اذا لم يكن محياى غنما لموطنى
فلا كنت يا محيا ولا طلت يا عمر !

لكم هى غزيرة ذكريات الشيخ الامام محمد متولى الشعراوى .. وكم فيها من سحر ينقلك من الحاضر الى الماضى فى يسر وسهولة ، ويعود بك وقد جمعت بين الحسنيين .. ذكرى من الماضى وعبرة من الحاضر ..

فماذا عن الحاضر ؟!

الدين .. تصرف

الحاضر يقول أن الملاحظة جزء من استقراء الواقع ، والملاحظة تقول أن بعض الشباب ــ وليس مجموعهم ــ قد لا يدخل الدين فى تكوين يشكل أساسا لتصرفاتهم ، لان الدين تصرف

لقد فهم البعض خطأ مناهج الدين ، كما أن بعض علماء الدين لا يقدرون على توصيل علمهم للناس ــ هكذا يقول الشيخ الشعراوى ثم يضيف ــ هناك فرق بين مسألة علم الشىء وحمل النفس على تطبيق هذا الشىء .

خذ مثلا . عندما أعلم تلميذا جبرا او هندسة او جغرافيا ، فهى علوم دنيوية ، لا نطلب منه فيها افعل ولا تفعل ، فان

تعينه على مطلوبات حياته ..

انما علوم الدين يلزمها ان تكون علما أولا ، ثم ان تحكم حياته ثانيا ، نقول له افعل هذا ولا تفعل هذا ومن هنا يأتي الاخفاق .. الاخفاق في ماذا ؟! ليس الاخفاق فيما يعلم .. بل في حمل نفسه في تطبيق ما يعلم ، وهنا يأتي دور الجماعة، فكما أوليناه في من يعطيه علما - علينا أن نعطيه مجتمعا يبين له السلوك الواجب .. »

لكن يا مولانا من أين نبدأ ؟! « آه .. هذه القضية كانت لابد أن تثار .. هل نبدأ ممن يعلم أم ممن يتعلم ؟! نبدأ ممن يعلم . من البيت . من الاسرة . ونتدرج الى أن نصل الى أبعد وأكبر .. »

كيف يا شيخنا .. يمكننا الوصول الى هذا الذى تقول به ؟!

« انكم تنسون - يقول الشيخ - ان الطفل . الناشىء الصغير يأخذ السلوك فعليا . قبل أن يفهمه قولا .. فهو يقلد يحذو حذو الآخرين ، ممن يحيطون به، يفهم الفعل قبل أن يفهم القول ، يأكل قبل أن يعرف أكل .. الفعل يا سيدى يسبق القول ..

لذلك - يضيف الشيخ محمد متولى الشعراوى - فان بعض الاشياء يصعب تعريفها . لان واقعها فى الحياة أوضح من تعريفها .. الشمس مثلا مهما قيل فى تعريفها . تكفى نظرة لها تحدد بها ما تريد ..

فالناشىء الصغير قبل أن يتعلم مدلولات الالفاظ يتعلم ما ينم عنه سلوك الآخرين ..

واسأل الشيخ الامام :

اليست الغريزة هى التى تحدد تصرفاتنا وسلوكنا ؟

أوليس التقليد صورة من صور هذه الغريزة ؟!

ويتحمس الشيخ ، وكل انفعال منه تعقبه افاضة فى الحديث ..

● الغرائز ومطلب الرسالة

قال « الحق سبحانه وتعالى عندما أعد الانسان بغرائزه . « أعده بغرائز مطلوبة لرسالته . وهو لذلك لا يريد أن يمحوها بل يعليها ، يجعلها تتسامى .. النوع بشرط ان كل فرد من افراد هذا النوع عندما يأتى ، ويكون له وجود . يكون محسوبا على قطاع من قطاعات المجتمع وقطاع بعينه . يرعاه ، ويرعى مصالحه أمام الناس . **بمعنى ان يكون ابنى قطاع منى أنا ، فأنا أبوه وهذه امه وهؤلاء اخوته ، فأنا مضطر لان احمل هذا القطاع أمام الناس واحمه فى نفس الوقت ..**

فيبقى بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى عندما جعل لنا وفينا مثل هذه الغريزة ، نظمها بحيث تنتج لنا شيئا طاهرا حميدا مقبولا ولهذا شرع الزواج ..

أيضا غريزة اخرى جعلها الله لحفظ الحياة لكنه فى ذات الوقت علاها فالاية الكريمة تقول « اشداء على الكفار رحماء بينهم »

هنا جعل الله فى المسلم شيئين .. الشدة والرحمة .. فلاسلام يريد منا أن نكون أشداء على الكفار ، رحماء فيما بيننا .

أيضا طلب منا أن نكون أعزة وأن نكون اذلة لان هناك موقف يتطلب من المسلم أن يكون عزيزا ، وموقف آخر يتطلب منه أن يكون ذليلا ، أعزة على الكافرين ، أذلة على المؤمنين .. »

● فساد الحياة وصلاحها ..

اختلاف العلماء فى القضية الواحدة يثير بعض الاضطراب عند البعض من الناس .. الذين يتلمسون اجابة شافية قاطعة فى أمور دينهم ودنياهم .. لكن الذى يحدث . أن يقال لهم المالكية قالوا كذا ، والحنفية قالوا كذا ، والشافعية قالوا بالاتفاق أو بالاختلاف ، والحنابلة لهم رأى يؤيد ويعضد أو ينفي ويختلف .

واضاف الشيخ محمدمتولى الشعراوى وهو يؤكد باشارات من يديه ما يقول به لسانه ! .

« العلماء وفقهاء الدين لابد أن يجمعوا على رأى موحد فى كل أقضية الحياة . فلا ندع مجالا لكى نقول هذا هكذا .. وهذا هكذا . فحكم الله الصريح فى آية من الآيات يجب اعماله . أما فى غير هذا فى المسائل التى تتطلب اجتهادا ، فلا يكفر احد احدا . ولا يؤثم أحد قول الآخر .

لان الامر القاطع يريده الله محكما ، وفى غيره عندما يريده محتملا ، لان الحياة لا تفسد بشيء ترك الله فيه بابا بلا اجتهاد ، وتفسد فى شيء قال الله فيه افعل ولا تفعل .. فاذا ترك نصا محتملا للمعنى والاجتهاد ، فالله يعلم انك اذا عملته على هذه الجهة أو الجهة الاخرى لا تفسد به الحياة ..

مثال ذلك ما قال به الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه : « لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة » وأدركهم حلول وقت المغرب .. اختلفوا فى فهم امر الرسول الكريم ، منهم من تعصب للزمان فقال نصلى قبل أن يدركنا المغرب حتى ولو فى غير بنى قريظة .. ومنهم من تعصب للمكان ، وقال بالصلاة فى بنى قريظة ..

واقرهم الرسول كل على رأيه كل فيه صواب ..

● **سبق الفجور .. التقوى**

تقول الآية الكريمة « .. ونفس وما سواها ، الهمها فجورها وتقواها » فلماذا سبق الفجور التقوى ؟! وهل جبل الانسان على المعصية قبل أن يجبل على الطاعة !؟ نعم ، لان « التقوى تتطلب حجز نفسك عن أعمال ، ونفسك تريد أن تكون متحررة تفعل أى شيء ، فسبق الفجور التقوى لهذا السبب .. ايضا لكل انسان فترة من حياته يفعل فيها ولا يسأل ، هذه الفترة هى فترة الطفولة وحتى تصل الى سن التكليف ..

● **وحدة الكون**

وحدة الكون تتجلى ــ كما يقول الشيخ متولى الشعراوى ــ فى الآية الكريمة .. « .. أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الارض كيف سطحت » وكان سؤالى الذى استوضحت الامام فيه : لماذا الابل بالذات ، ولماذا جاءت بعدها فى الاعجاز السماء ، ولم تكن الارض ،مع ان السياق الطبيعى .. أن تكون الاخيرة ..

لذا فان الامام يقول

« ساعة أن تجد الحق سبحانه ينقلك من شيء الى مقابل بعيد ، فاعلم انه يريدك أن تنظر الى الوجود على أنه وحدة متكاملة .. فالكون وحدة واحدة ، ايضا فان راكب الجمل عندما يكون فى الصحراء كما كانت العرب الى أى شيء ينظر ليس حوله الا أن ينظر الى السماء .. ألم تر قول الشاعر ..

اراعى النجم فى سيرى اليك
ويرعاه فى البيدا جوادى

ثم تكمل الآية الكريمة الترتيب فتقول الى الارض .. كيف بسطت ، ثم ما بين السماء والارض .. الجبال ــ فتقول والجبال كيف نصبت .. هذه هى وحدة الوجود .. فليتدبر المتدبرون ..

والمتدبرون يعرفون كيف كان التبرج فى الجاهلية ، والمتسائلون لا يعرفون ، والقرآن يقول « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى .. » كيف كان شكل التبرج هذا ؟

هل ما نشاهده فى عصرنا أم انه يختلف عن ذلك فى قليل أو كثير ؟

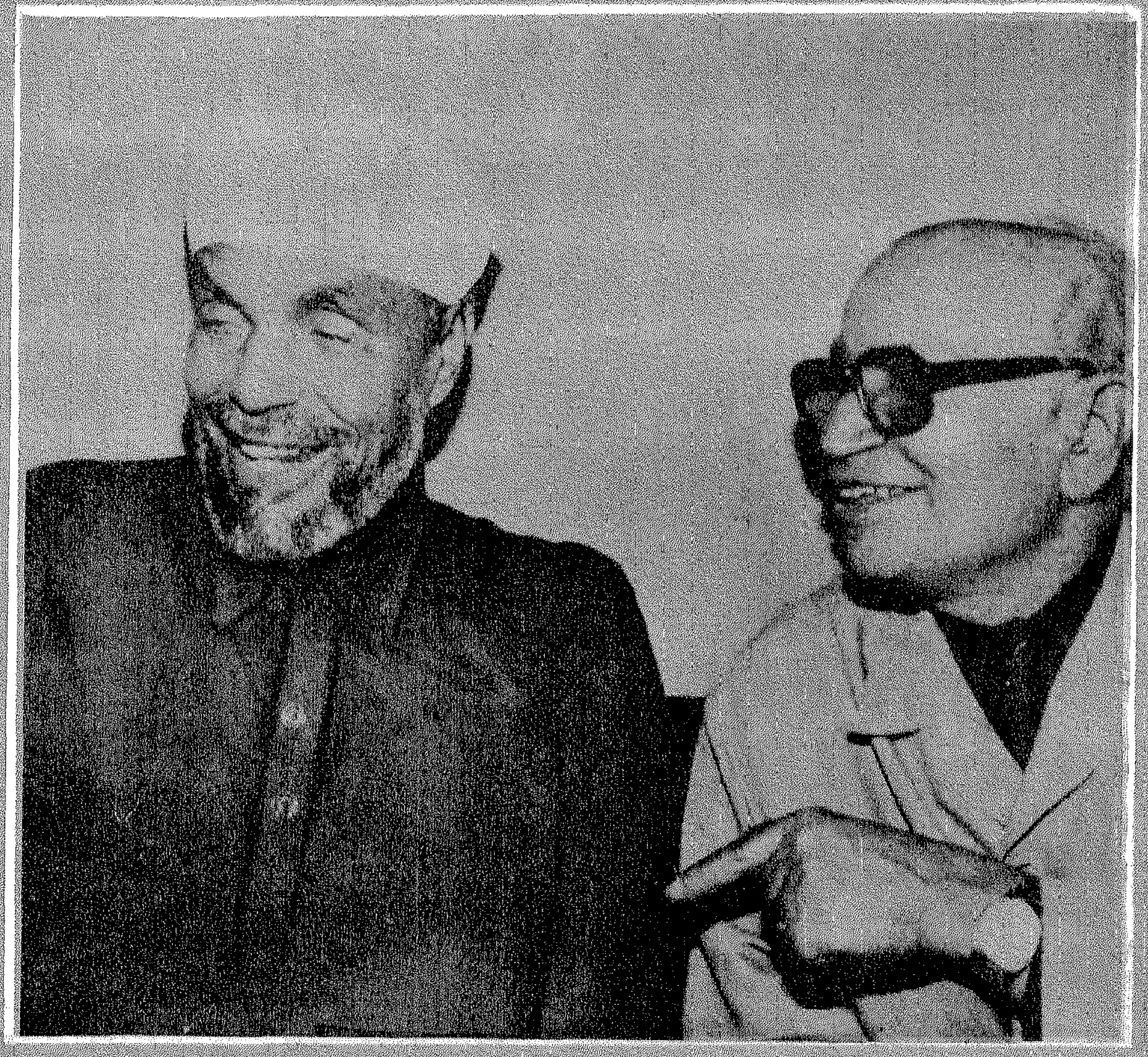
وهل كانت هناك جاهلية ثانية وثالثة حتى نطلق الاولى ..

يقول الامام الشعراوى

« ساعة أن تطلق الاولى ، يراد بها المتقدمة ، فعندما يقول الحق سبحانه وتعالى أنه أهلك عادا الاولى فهو يقصد عادا السابقة أو المتقدمة ولا يقصد ان هناك عاد الثانية او الثالثة .

اما التبرج فمعناه مبالغة المرأة فى زينتها .. مبالغة تستميل بها من لايحل لها ، اما استمالتها لمن يحل لها ، فلا لوم عليها ولا يعد خروجا ، هذا فى بيتها .

اذن التبرج هو المبالغة فى التزين بقصد استمالة من لا يحل .. والجاهلية كانت تنقسم قسمين ، من حيث وضع المرأة .. والحرائر والاماء ..



الشيخ الشعراوى مع رئيس التحرير

الحرائر كانت الواحدة تستنكف هذه العملية ولا ترضاها . ولذلك فان القرآن يسمى الحرائر . المحصنات ـ شأنها شأن المتزوجة .

اذن التبرج فى الجاهلية يقصد به استمالة الرجل ، وهو ما كانت تفعله البغايا من رفع الرايات ونصب الخيام وما الى ذلك من أفعال تفسر بنفسها القصد المبيت ، والنية المعقودة ..

مضى بنا الزمن يجرى دون أن ندرى . طالت جلستنا مع الشيخ الامام وتعددت لم يشعر مضيفنا أننا أثقلنا عليه ، وتزايد شعورنا بأن ننهل المزيد من فيض علمه وفقهه . فالرجل بحر واسع من المعرفة .. شاعرا ، أديبا ، فقيها ، متحدثا . لبقا لغويا .. وقبل هذا وبعده داعية اسلام كبير ..

له منزلة فى قلب كل محب ، ومريد ، وهم كثر ، ينبيك عما تجهله فى أمور دينك ـ وابتسامة رقيقة تتبع كل ماينطق به ـ وما نجله فى أمور ديننا ليس بالقليل اللهم الا من فاز وغنم برضاء الله فاصبح فقيها فى أمور دينه ..

وما أحكم القول القرآنى الكريم رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقوا قولى » .

وكان الامام يستعد للسفر الى مكة المكرمة ، يحضر ما اعتاد عليه « الرجبية » ويستمتع بقضاءاجمل الاوقات فى رحاب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، وكان سفره قبل ليلة الاسراء والمعراج بيوم أو يومين .. فودعناه على أمل اللقاء

في مهرجان "كان" هذا العام..

الأعمال الأدبية: مازالت على القمة!

● ماري غضبان ●

● مازالت الاعمال الادبية ، القصصية تحتل المكانة الاولى فيعالم السينما العالمية ليس فقط فى دنيا الفيلم أو المسرحية ، او الوان الفنون المرئية الاخرى ، وانمـــا فى عالم الجوائز ايضا ..

فالعمل الادبى لما يتضمنه من صـدق وواقعية واسلوب راق ، جدير بأن يحتل هذه المكانة ، فضـــلا عن أن ـ الازمة ـ الكبيرة التى تجتاح عالم ، السينـاريـو ، قد ساعدت على دخول القصة الادبية فى هذا المجال ..

كذلك فان أكبر المخرجين والقائمـين على السينما فى دول العالم المختلفة يرون أن الاعمال الادبية هي الاصـدق تعبيرا عن قضية ما او مشكلة ما وانها تحقق لهم ما لا يستطيع عمل فنى آخر أن يبرزها بالصورة المطلوبة ..

ومن هنا يجيء الفيلم المقتبس عن تلك الروايات قمة فى صدق المعالجة اوايضاح القضـــية .. التى يريد السـينمائيون ابرازها فى الواقع .. ومن هنا ـ ايضا ـ يكون العمل جديرا بارقى الجوائز فى ارقى المهرجانات .

ظهر هذا جليا فى مهرجان ـ كان ـ هذا العام والذى أقيم بعقد المهرجانات عـلى شاطىء الريفيرا فى فرنسا .. فقد كانت معظم الجوائز التى منحت فيه لافلام كلها مقتبسة عن روايات عالمية نالت رواجـــا كبيرا وشهرة واسعة فى عالم الادب ..

من هذه الافلام كان فيلم ـ الشيطان ـ المقتبس عن كتاب بنفس الاسم للكاتـب الالمانى ـ كلاوس مان ـ وهو ابن الكاتب الشهير ـ توماس مان ـ وقد ولد عـام ١٩٠٦ فى مدينة ميونيخ ومات منتحرا عام ١٩٤٩ بعد أن قضى عمره فى الكتابة التى تمتاز كلها بأنها كانت ضـد الفاشـية والنازية .. ومن هذه الاعمـال نذكر ـ السيمفونية الحزينة ١٩٣٥ ـ الشيطان ١٩٣٦ ـ البركان ١٩٣٩ وكانت آخر أعماله ـ نقطة تحول .

وقصة ـ الشيطان ـ اقتبسها المخرج المجرى ـ شتيفان سابو ـ وعمل منها فيلما نال عنه جائزة أحسن سناريو : وهـى جائزة جديدة تمنح لاول مرة هذا العام .

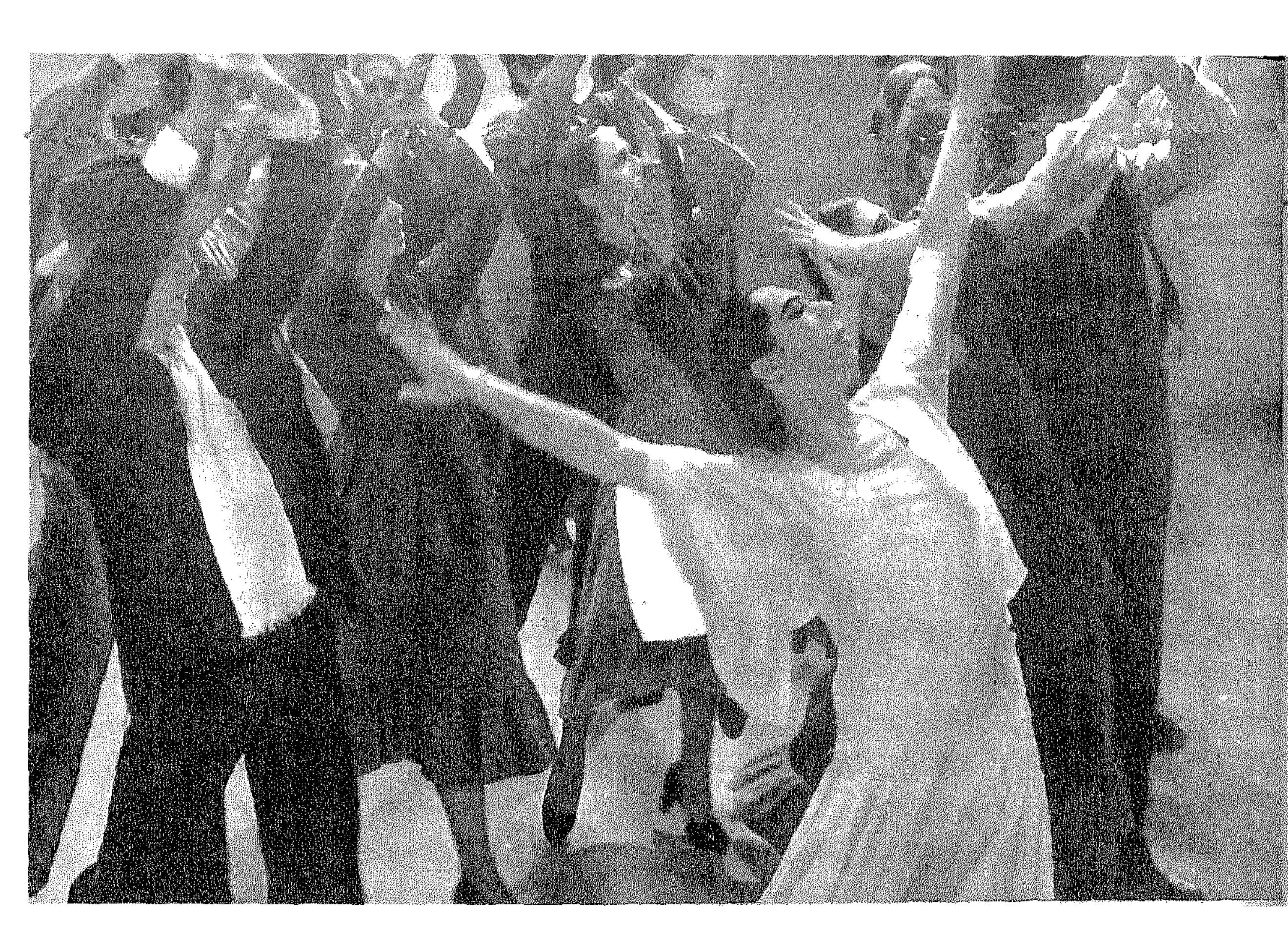
والقصة تحكي عن فنان مسرحي يحاول الوصول الى غايته، لكنه يفعل ذلك بالتملق والنفاق والتسلق على اكتاف الآخرين ، وعلاقاته مع القواد النازيين حتى انه يصبح ـ آلة ـ في ايديهم يحركونها كيفمـــا يشاءون .

والقصة تعالج مشكلة الانسان الذى يبيت نفسه وضميره لاعدائه ، ابتغـاء مصلحة ذاتية بعيدا عن مصلحة الوطن .

***

والفيلم الثاني « سـنوات النور » مقتبس عن كتاب للكـاتب الايرلندى المعروف « دانيال اوديبه » تحت اسم «الطريق المزعج » .. والجدير بالذكر ان دانيال «هوصاحب القصة الشهيرة « سفريات السيد أو فلاهيرتى » رهو كاتب يعبر من مشاكل مجتمعه الـذى نشأ فيه ..

وقد استطاع المخرج « الان تانر » ان ينال بهذا الفيلم جائزة خاصة للجنة التحكيم ، والفيلم يحكى فى بســاطة واسلوب شـاعرى قصة لقاء غريب لرجل عجوز وصبى صغير تنعقد بينهما اواصر الصداقه ويعيشان معا ..لفترة ما ، يرى الصبى خلالها العجـوز وهو يقوم بمحاولات لصنع « آلة » غريبة



مشهد من فيلم عرس الدم لكارلوس ساورا

تشبه ـ في شكلها ـ النسور ـ تطير في الفضاء، لكي تصل الي «سنوات النور» ـ كما يتخيل العجوز ..

ويهرب الصبى الى المدينة ، لكنه سرعان مايعود ليرث افكار العجوز وخيالاته ..

والقصة ، تشبه ـ الى حدما ـ اعمال «سامويل بيكيت» حيث تميل الى الخيال واللامعقول ومحاولة الوصول الى هذا اللامعقول في اسلوب يمزج بين الواقع والخيال ..

والفيلم الثالث «عرس الدم» للمخرج الاسباني «كارلوس ساورا» مقتبس عن مسرحية الكاتب «فيدريكو جارسيا لوركا» وتحمل نفس الاسم .

وتدور حول رجلين وفتاة احدهما يريد زواجها والاخر يحبها ولايريد لهذا «العرس» ان يتم .. وفي يوم الزفاف تنقلب الاوضاع وينتهي الامر الى مشاجره بين الرجلين تنتهي بالدماء

وقد استطاع المخرج أن يمزج بين الرقص الشعبي الاسباني والباليه الكلاسيكي ليعطي لناصورا لفن من الباليه راقص بديع بمناظره .

ـ وقد عرض الفيلم خارج المسابقة لشبهه بالافلام التسجيلية :

***

وغير هذه الافلام كانت هناك أفلام اخرى مقتبسة عن أعمال ادبية نالت عديدا من الجوائز نذكر منها «فرسان المائدة المستديرة» اخراج «جون بورمان» ونال جائزة احسن عمل فني في المهرجان ومقتبس عن اسطورة «الملك ارثر وفرسان المائدة المستديرة»

ثم فيلم «عربات النار» للمخرج هيدج هاديسون ومقتبس عن كتاب الالعاب الاوليمبية عام ١٩٢٤ .

وفيلم «الاربعة» للمخرج جيمس ايفرى .

ثم فيلم «زوج الام» للمخرج الفرنسي «برتراند بليه» المقتبس عن كتاب له .. يحكي قصة حياته قام هو بكتابة السيناريو والاخراج

ويعتبر هذا شيئا فريدا في عالم السينما ان يقوم شخص بكتابه واخراج فيلم عن نفسه في حياته .

●●

انطباعات غير نقدية حول المقهى والعيون

● سعيد سالم ●

● « المقهى والعيون » هي المجموعة القصصية الاولى للاديب نعيم تكلا ، ومعظم قصصها منشورة بالمجلات المصرية والعربية وان لم يذكر نهايات قصصه ...

واول ما يلفت النظر في هذه المجموعة هو التفرد الشديد في المعالجة القصصية لمضمون جاد في معاصرته ، تلمح تجانسا فنيا بينه وبين الشكل الذي عولج به ... هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان هناك ما يشبه الالتحام غير المرئي بين معالجتين متناقضتين للمضامين المعاصرة التي تحتويها هذه المجموعة واقصد بهما المعالجة الواقعية والمعالجة التي تبتعد كثيرا في بعض الاحيان وقليلا احيانا اخرى عن الحدود المتعارف عليها على ارض الواقع ...

ولا يملك المتذوق لهذا النوع الشديد الخصوصية من الكتابة القصصية الا ان يقبل كل ما جاء بها من تجاوزات للواقع الممكن والمحتمل حدوثه عن طيب خاطر ، وان يتبادل مع الكاتب ما بثه من شحنات انفعالية ووجدانية شديدة التأثير ...

ففي « وحدة كل يوم » نجد الانسان المعاصر وقد توحد البطل الذي يمثله مع القلق والفزع والجنون حين لفظت المدينة المعاصرة انسانا ممزقا فقيرا به مس من الخبل الى ارصفة الطرقات العامة يسير بين العربات بلا وعي ، مما اثار فزع البطل الذي اخذت حالة هذا المسكين تنعكس عليه تدريجيا حتى تحول كلية اليه ، بحيث اصبح البطل في النهاية هو نفس الانسان الممزق بعد ان توحد معه بمشاعره واحاسيسه التي تتماثل في حقيقتها وان اختلفت في نوعياتها . « اعتراني الاعياء فجلست على حافة الرصيف ، ومددت ساقي الى اسفلت الطريق غير مبال بالسيارات المسرعة » ! ...

وفي « حصن الطالبات » نجد أن الريف قد ساد الحياة المعاصرة بحيث اصبح المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا ، والغامض جليا والجلي مستترا ، بلا ادنى حدود من الانضباط أو المعقولية ، وبلا ادنى سبب منطقي يبرر هذه الفوضى غير المحتملة ، ... وعلى من يجد في نفسه المقدرة على أن يراقب ما يحدث او أن يحاول فهمه ان يتقدم ، ولن يصاب في النهاية الا بالفزع والاحباط وربما الجنون ...

وفي « زوجتي والأسماك الملونة » تتجسد الصورة المرعبة للمجتمع المعاصر الذي يشبه البحر الهائج ، ياكل فيه السمك الكبير السمك الصغير ، كما لو كانت هذه هي سنة هذا المجتمع وقوانينه السائدة والمتفق عليها بين افراده . فنجد مجموعة من الشباب سيئي الخلق ينتزعون زوجة من زوجها ويغتصبونها بعد ايذائه جسديا ، وتبدو المسالة والمسالة امرا عاديا للذين يكتفون بالاعتراف أن هناك ظلما قد وقع ، كما لو ان الكلمات قد حلت المشكلة ...

والاعجب والاعزب من هذا هو استسلام الزوجة لما حدث وهي تضحك ، لكنه الضحك الذي يدين هذا المجتمع ، اذ يعبر عن تمزق أقدس العلاقات الانسانية ، وعن اندحار القيم ، وعن الاعتراف اليائس بمنطق القوة ، وعن سلبية الجميع امام قانون الغاب الذي اصبح يسود مجتمعهم ! ..

وفي « حادث في الظلام » نلحظ نفس اللامبالاة عند ابطال القصة الذين يقتل امامهم مخلوق فلا يابهون بما حدث ،

ويتكاسلون حتى عن القاء نظــرة على الحادث ، حيث ينصرف الطـالب الى مذاكرته والعاشق الى معشوقته دون ذرة من الاحساس بالزمالة فى الانسانية لمسكين سحقته عربة مجنونة تجـرى فى الظلام...((ونهضوا جميعا يتثاءبون ودخلوا ليواصلوا النوم ، ودخلت أنا ايضا ، فقد كانت عيناى مثقلتان وفى رأسى طنين)) !

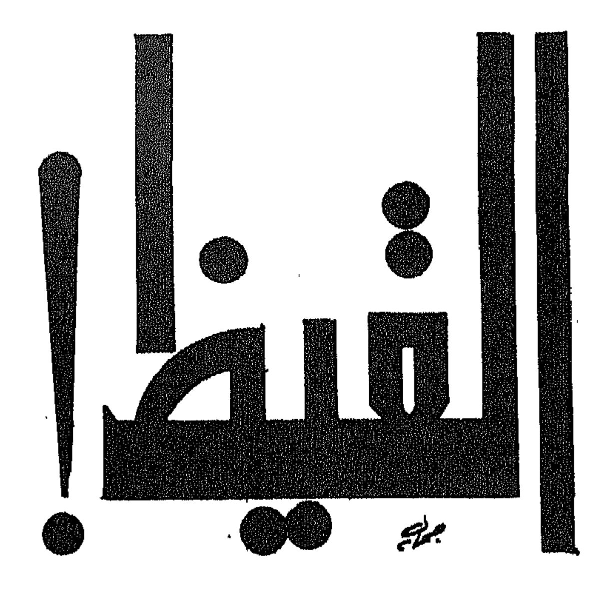
وفى ((المقهى والعيون)) نلمح الثورة الايجابية العارمة لدى البطل الـــذى استفزه تعقب احد المجهولين لحــركاته وسكناته مما افسد عليه حيـــاته ، فاضطر الى قتله — ((عنـــدئذ بكلتـا قبضتى هويت على راسه فســقط ، ووضعت قدمى على رقبته ، واخذت اضغط حتى كتمت انفاسه تماما ، ثم دفعته من أعلى السلم فسقط يتدحرج الى اسفل ...)) ، وبعــــدها عاد يمارس ســعادته مع حبيبته . وانى اتفق مع البطل فى ضرورة اتخاذ مواقف ايجابية تجاه كل من يعطل حركة الحرية الانسانية وان كان القتل ليس بالحــل الوحيد .

وفى « مــوكب الشرطى المنتصر » نسمع جرس انذار شديد الصليل بأن القسوة والتسلط من الانســـان على أخيه الانسان ســوف تنتهى بتــدمير الانسانية جمعاء .. فالمتســلط اليوم متسلط عليه غــدا ، والمتجبر اليوم مقهور غدا ، ولتذكــر بعض الناس ذلك المشهد الذى شاهدوه فى الصــباح ، بل انهم ظنوا انه نفس المشهد » ومن ينكر انه كان نفس المشهد ؟ وكان هذا المشهد يتمثل فى شرطى يقوت ســجينا مكبلا بالقيود يضربه ويمنـــع عنـــه الطعــام والشراب ويسحبه بعنف فى الطريـــق متباهيا بقوته وسلطته امام المارة الذين يكتفون أيضا بالمشاهدة والمراقبة ، واذا بالحال ينعكس ولتوحد الحالة من جديد فى صورة مكســـية ، والناس مازالوا يتفرجون .

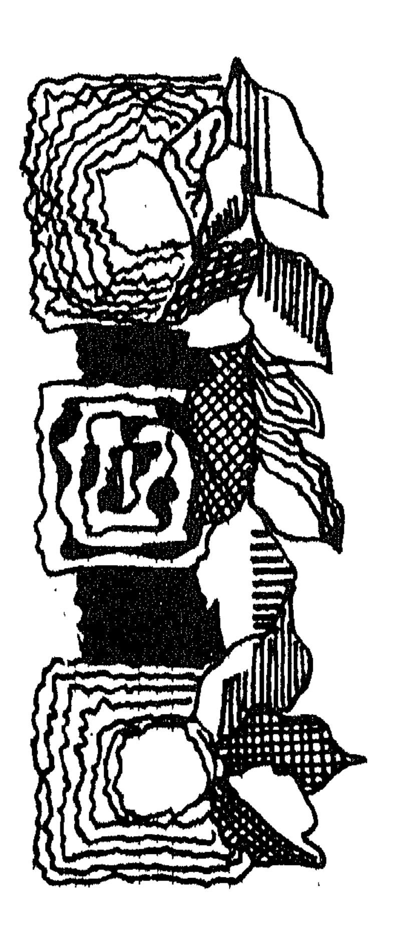
اما بطل قصة « ربع كيلو جرام من اللحم » فقد وصــف نفسه كالاتى: « انا انسان منزعج .. هذا ابسط تشخيص للحال الذى صرت اليه . منزعج نهارا وليلا حتى فى احلام منامى ، ولا أكاد احتمى بلحظات من هدوء وصفاء فى قلب بيتى .. اى جحيم — وهـــذا الوصف فى اعتقادى ينطبق على سائر ابطال قصص نعيم تــكلا ، وربمـــا كان ينطبق ايضا على انعكاس رؤيته الذاتية لمجتمعه المعاصر على نفســـه ، لـــكن قضية البطل تحـــولت فى النهاية الى عجزه عن شراء ربع كيلو من اللحم ، لقتل أولاد الجزار .. وهذا مالم أفهمه ولم استطع التوصل الى مايقصـــده الكاتب تماما بهذا الفعل المتعســـف

وفى ((مصالحة مؤقتة)) نســـمع معزوفة موسيقية جميلة يســـتعرض فيها البطل تعلقه بأجمل مافى الحياة، تعلقه بالفن والادب وكل ماهو حـــق وخير وجمال .. ولعل نعيم تكلا قـــد وضع لنا هذه القصة فى النهاية ليزيد من حسرتنا على افتقاد انسان هـــذا العصر لمتعة الاحساس بالجمال والتلذذ بما فى الدنيا من قيم سامية بعيدا عن قنابل الحروب واضطهاد الانسان لاخيه وسيادة قانون الغاب وهلامية الاشياء وفقدان الامل فى اى شىء وســلبية المجتمع امام افدح الاخطار التى تواجهه ويواجههــا .. ثم لاينسى الـــكاتب فى النهاية ان يفزعنا من جديد — وكأنمـــا يصر على ذلك — بعربة مسرعة يقودها ((رجل ضخم فتح بابالسيارة وجلس خلف عجلة القيادة وضــغط على الة التنبيه ضغطا متواصلا مبددا السكون .. وانتبهــت الى نفسى وانـــا انتفض كالمحموم واساله بصــوت واهن لمـــاذا فـلا يعيرنى التفاتا .. وكانت القطـــة الصغيرة البيضاء مازالت تتقافز امام السيارة . فجاة انطلقت السيارة مارقة كالسهم ، مخلفة على اسفلت الطــريق بقعة صغيرة بيضاء دامية مازالت تختلج بارتعاشات واهنة !))

وهـــكذا ، فبانتهاء قراءتنا لهـــذه المجموعة نجد انفسنا وجها لوجه امام مجتمعنا الانسانى المعاصر فى شـــكله القبيح متعريا من كل عوامــل تزييفه وخداعه ، فلا نملك ســـوى الاسى والالم ولا نجـــد مفرا من المواجهـــــة . . .



● حسين على محمد ●



انتظريني ..
فالشمس الخانقة صباحا
فوق شبابيك مدينتنا المسكينة
تدنيني
من أهوال تملأني رعبا وجراحا ..
تفزع روحي التواقة لاستقرار وطمانينة !

***

احلم بالظل يجمعنا ...
باللحظات الحلوة تدنينا
بدمائي المهراقة من قلبي المطعون تجف
لكن ظهيرة هذا اليوم المحموم تفرقنا
تبعد عن أيدينا ..
طيرا أزغب يحلم بالخضرة في وهج الصيف !

***

ما دمت معي ..
احزان العالم لا تجتاح قلوعي
او تقدر أن تهزمني !
اقتربي مني ..
همساتك تذهب عني جزعي
وتعيد الى ربيعي !

أحزان الكلمات!

● احمد مرتضى عبده ●

من سداها ..
وأغانيها التى عانت خفوقى
فى هواها
وأحاديثى التى زاغت طريقا ،
فاشتراها .
حزن ليل أسود الوجه ذليل
يكتريها للذبول
ثم يرسل لى سواها ! ..
ـ تذكريها
هذه الكلمات ـ أحلامى الحنونه
وهى تشدو فى هواك على عماها
تذكريها
فامسحيها من شريط الذكريات
واتركينى فى انتظارى لضحاها ...
وامنحينى الراحة العذراء كى احيا
وأمرح فى صباها
تذكريها
فارفضيها
انها رفضتك فى يوم تسربل بالشكواك
حين ضقنا بهوانا
وتطلعنا للأحباب سوانا
واذانا ..
قد عرفنا ان ما عشناه كان بلا اوان
واذاها ..
هذه الكلمات خجلى من صداها .
فامسحيها من شريط الذكريات
كل شىء عنك ضاع اليوم ، مات
واتركيها .. وانتظارى للشروق
اسأل الأوراق عن طير جديد
لسماها .. !

مع الفلاسفة الرواد

طاليس الحكيم

● امين سلامة ●

● عاش طاليس الحكيم تسعين عاما ولد فى ميليتـــوس عام ٦٣٩ ق ٠ م ٠ وتوفى فى عام ٥٤٩ ق ٠ م ٠ ٠ كانت بلاد الصور من أهـال الشـــام موطن عائلته ولكن أهله آثروا الانتقال الى ميليتـوس هربا من » الظلم الذى كان يحلـــو لملوك ذلك العصر أن ينزلوه بسائر الناس وبعائلة الفيلسوف خاصة !

ويعتبر طاليس أول من لقب بالحكيم عن جدارة واستحقاق ، وأعظم الفلاسفة الذين أنجبتهم مقاطعة أيونيـا التى ولد فى احد مدنها ٠ تقلد فى شبابه منصب القاضى فقام بواجبه خير قيـام ، ولكن اهتمامه بالبحث عن أسرار الكائنات دفعه الى ترك منصبه والذهاب الى مصر ، معهد العلوم والمعرفة ـ ومكث بها عدة سـنين يعايش علماءها ، فتعلممنهم أصول الدين كما أتقن دراسته لعلم الهندسة والفلك، وأقبل على الفلسفة حتى نسى نفسه فيها واستحوذت على فكره وتفكيره ، فآثر قلة الكلام وأخذ يعتنى بمهام البلاد قبل كل شىء ٠

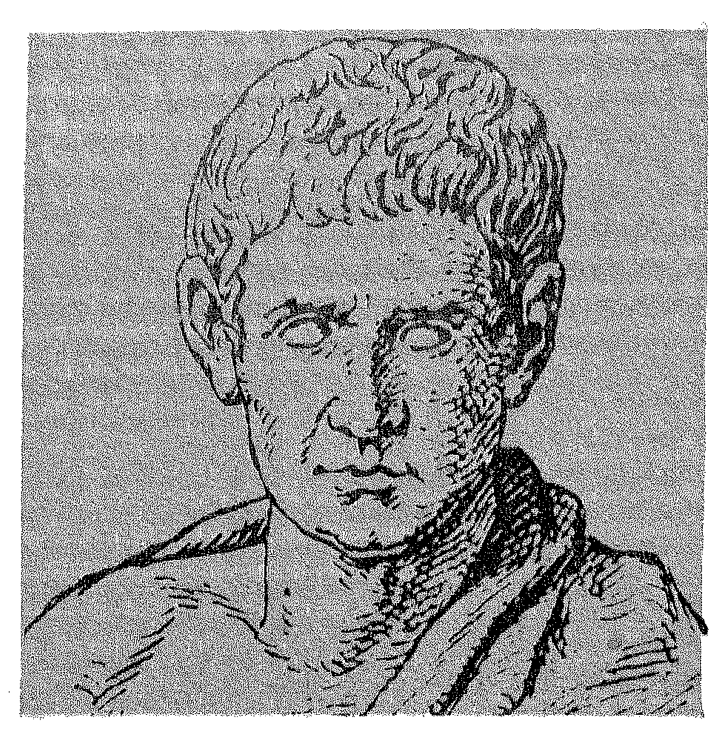
ولما رجع طاليس الى ميليتوس ، زهد فى الناس والدنيا ، وآثر العزلة والوحدة وأشغل فكره بالامور العلوية والسماوية وأقلقه التفكير فى علم النجوم والاجرام السماوية ، وحمله حب الخلوة والحكمة على اختيار الوحدة والعزوف عن الزواج قائلا : « لا يليق بالانسـان أن يتزوج صغيرا » ٠٠ فان كان كبير السـن فات عنده أوان الزواج ! وبين هذين الاجلين لا ينبغى له أن يختار زوجته » ٠

اعتـــرض بعض أهل ميليتـــوس على طاليس وقال : « ان علومه لا تنفع لانها لم تخرج عن حيز الفقـر والفـاقه » ٠ فقال طاليس : «ان أهل العقول لا يحبون جمع المال الكثير ، بل يحتقرون الاغنياء ويميلون الى اكتساب العلوم والمعارف »

***

وكان طاليس يحمـد الله على ثـلاثة أشياء : أن جعله من العقلاء دون البهائم ومن الرجـــال دون النســـاء ، ومن اليونانيين دون البرابرة ٠

وكان يعتقد أن العـالم لا أول له ولا آخر ، وأن الارواح غير فانية بل خالدة سرمدية ٠٠ سأله رجل ذات مرة ـ هل يمكن أن تخفى أسرارنا عن الآله ؟ فقال له : لا تظن هذا أبدا ، لان جميع الاسرار الخفية لا تخفى على الاله العليم ٠



وكان يعتبر المكان أكبر الاشياء فى الدنيا لانه مشتمل على جميع الموجودات يعتبر الحاجة أقوى البواعث لان الانسان يقطع دونها كل مشقة ..

والعقل أسرع الاشياء ، لانه فى لمح البصر يمكنه ان يطوف بالكون كله ..

والزمن أكلم الاشياء ، لانه يظهر جميع الامور الخفية » !

وكثيرا ما كان يقول ان كثرة الكلام ليست من صفات العقلاء ، وانه يجب على الانسان بر والديه واعانته لهما .. وان السعادة الحقيقية هى تمتع الانسان بالعافية وعدم انفاقه العمر فى الجهل والجبن !

وكان يرى أنه لا شىء أصعب على الانسان من معرفة حقيقة نفسه .. وأن الموت والحياة مستويان ..

كان طاليس فضلا عن ذلك ينادى أن الماء هو أصل كل شىء ، ويقول ان الارض ما هى الا ماء وجماد .. والهواء هو ماء ثقيل .. وان جميع الاشياء تتغير دائما من حال الى حال .. وأن سائر ما فى الكون لا يخلو عن احساس ما ، وأنه مملوء بما لا يدركه من المخلوقات وكلها متحركة الطرف ذات أرواح .. وأن الشمس جسم مضىء نفسه جرمها قدر جرم القمر مائة وعشرين مرة ..

***

وكان طاليس أول من ذكر كسوف الشمس وخسوف القمر ، وتكلم عن أصول الهواء والزوابع والصواعق وأسباب البرق والرعد ..

وأول من قال ان السنة ثلاثمائة وستون يوما . ورتب الفصول وحدد كل شهر ثلاثين يوما ، وأضاف فى آخر كل اثنى عشر شهرا خمسة أيام لاجل تمام السنة ..

وهكذا قضى طاليس عمره ، فى عز وجاه ، يستشار دائما فى مهام الامور ، وقد لعب دورا لا يستهان به لما عزم اكريبوس على محاربة بلاد العجم .

ويقولون انه صعد ذات يوم فوق تل مرتفع من التراب ليروح عن نفسه بالنظر الى القتال ، فظمىء ظما شديدا من شدة اللظى فمات لتوه وهو فوق التل ، فحمله اهله وشيعه اهل ميليتوس فى جناز رائع يليق بمكانته السامية وعقله الفذ الجبار ..

هل الحجاب حشمة والنقاب بدعة؟

● ناجية جبر ●

● المقصود بالحجاب الملابس المحتشمة التى ترتديها المراة المسلمة فتغطى بها جسمهابأكمله ما عدا الوجه والكفين فهذه الاجزاء ليست عورة فى المراة وبالتالى فلاحاجة لتغطيتها .

وفى العصر الحديث ، ومنذ ايام قاسم امين ، اعلن الناس على الحجاب ثورة شاملة فأخذ يتلاشى شيئا فشيئا حتى لم يبق له اثر الا وجود شكلى فى بعض طبقات اهل المدن ..

واللفين والقدمين وعدم اظهار راى جزء من أجزاء الجسم .. وهذا التشدد لم يردله نص فى القران الكريم

وهناك فرق بين الحجاب والنقاب فالنقاب هو اسدال غطاء على الوجه ولذلك فهو ليس قاعدة لكى نتبعه وما هو الا بدعة ..

عاد الحجاب الى الظهور عام ١٩٦٧ وكأى ظاهرة جديدةكان مثارالتعليقات فهناك من ايده وهناك من عارضه ولكن صوت المعارضين كان اقوى من صوت المؤيدين . وكانت لهم تعليقاتهم ... منها أنه زى الفاشلات ، وانه نوع من الموضات التى تريد ان تلفت بها المراة نظر الرجال بعد ان استنفذت «الموضات» الاخرى .. وان من ترتدى هذا الزى فى حاجة الى طبيب نفسى ليفك لها عقدها .. وقيل غير ذلك كثيرا اذا اردنا ان نكتبه لاحتجنا لصفحات وصفحات مما لن يتسع له هذا المقام ..

والان لنبحث هذا الحجاب الذىأثار جدلا كثيرا وسيظل يثيره الى الى أمد طويل لانه ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة

لقد مرت المراة بعصور مظلمة كانت تعامل فيها بأنها لمن يدفع المزيد ، ولانها « سلعة » فقد تفنن البائع فى اظهار مفاتنها وتلوينها بالاصباغ لتكون فتنه للناظرين وبالتالى يقبل عليها المشترون ومن لم يكن يظهر مفاتن بضاعته كانت تركد وتبور .

وتوالت العصور وجاء الاسلام فكرم المراة ووضعها فىالاطار اللائق بها وقال ان المراة هى الام والاخت والزوجة والحبيبة فيجب وضعها فى المكاناللائق بها بعيدا عن عبث العابثين ومن تسول له نفسه ان يطمع فيها وانزل سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز كلمات بينات يحض فيها المراة الا تتزين لزوجها واحارمها وفى داخل بيتها وان تلتزم صراطه خارج هذا البيت فلا يطمع فيها الذين فىقلوبهم مرض .

وان تتشبه بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لكى تبلغ معهنالدرجات العلى من الجنة . وجاء الهادى والبشير يحمل كلمات الله سبحانه وتعالى الموجه لازواج النبى وبناته والمؤمنات ونساء المؤمنين فى كلمات صريحة واضحة فى سورة الاحزاب وفى سورة النور .

فى سورة الاحزاب اية ٣١ وما بعدها « بسم الله الرحمن الرحيم » يانساء

النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيخضع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعهن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أن الله كان لطيفا خبيرا »

ثم بعد ذلك فى آية ٥٨ سورة الاحزاب : « يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » صدق الله العظيم .

ثم جاء الحديث موجها الى المؤمنات مباشرة فى سورة النور لكى لا يذهب البعض الى ان الله قد اختص امهات المؤمنين وبناته بالحجاب ، فجاء فى الاية ٣٠ : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظهن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او آباء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن اونسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنين لعلكم تفلحون » . صدق الله العظيم .

فاتبعت نساء كثيرات هذه الدعوة وسرن على ما عدن عليه الرسول الكريم .

ثم مرت السنون والاعوام ورزحنا فى مصر تحت نير الاستعمار المغولى والتركى والأوروبى ، وتغيرت مفاهيم كثيرة ، ولم نعد نعلم من الدين سوى ان هناك صلوات خمس وصيام وحجاب للمراة لا تستطيع خلعه حتى لو ارادت فهو مفروض عليها بالقوة لانه هو الدليل الوحيد على عفتها ...

ومن داخل هذا الحجاب وبسببه تفشت امراض كثيرة ، وكانت هناك خيانات زوجية كثيرة ، وانحرافات ، فنادى الكثيرون بحرية المراة وبالتخلى عن الحجاب ...

وربط كثيرون بين الفساد والحجاب ، والله يعلم أن الحجاب برىء من ذلك ..

***

ربما كانت النكسة ــ عام ١٩٦٧ ــ هى وقفة فى مفترق الطرق هزت المراة من مفرقها الى قدميها فجعلتها تمر بفترة صحو فاحست فيها انها هى وحدها المسئولة عن مصيرها ، وان كان الاعتراض على حرياتها جماعى فمسئوليتها امام الله منفردة :

وقفت المراة فى هذه الفترة تبحث عن طريق للخلاص فوجدته فى كتاب الله وسنة رسوله ، وجدت الكثير مما استعصى عليها فهمه واستيعابه ، فتعلقت باهداب الكتاب والسنة ، واتجهت الى الله مخلصة بقلبها ، واحبت الخير للجميع ، واخذت تبذل من روحها فى سبيل رفعة دينها ، وتعلقت بمبادىء سامية فهل هناك افضل من التعلق بكلمات الله .

ثم بعد ذلك كست هذا البناء المشيد من الداخل والمتماسك برداء طويل محتشم تعلن بهانها لا تحب اثارة اى نوع من الفتن ، وانها تناشد الجميع ان يتركوها تحيا فى سلام .

فان كان بعض الناس لا يرضى عن الحجاب الجديد فان هذا لا يمكن تعميمه فغالبية المحجبات اليوم على عقيدة ، ولسن مقلدات او متظاهرات او باحثات عن شهرة ومجد ، فالشهرة والمجد لهما طريق آخر بل طرق ليس من بينها الحجاب .

واخيرا يقول عز من قائل بسم الله الرحمن الرحيم وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ●

قصة

إنّـه ولـدي!

● مراد صبحي متي ●

.. رغم شدة تعبي واجهادي الزائدين ، استطعت ان انحشر وسط الزحام الرهيب ، وانا على ((اخر نفس)) ، لاجلس على جزء من مقعد في القطار العائد الي بلدتي ، ومستعد تمام الاستعداد لمعاودة ركوب الصعب ، واكمال ماموريتي المصلحية ، التي جئت من اجلها الى ((العاصمة)) في اليوم التالي ، بعد ان لم استطع اقناع نفسي ، ابدا ، بالبقاء حتى انتهاء المامورية ..

وصورة ما دار بقطار الصباح القائم من بلدتي الى العاصمة ، لم تفارق مخيلتي ، اطلاقا بكل حذافيرها ... فبعد أن استغرقت وقتا طويلا في مراجعة اوراقي، ودقائق ماينتظرني من مهام ، وشعرت بأن القطار بدا يهدئ من سرعته في نهاية رحلته ، وقعت انظاري ، فجاة ، على غلام يقبل بصعوبة من اخر العربة المكتظة . دق قلبي . تلاحقت انفاسي . زاغت عيناي اصابني الدوار .. حتى استطعت بجهد جهيد ، أن اتغلب على ضعفي ، لأعاود التحديق في الغلام بعيني الكليلتين ، من خلف نظارتي الملونة السميكة العدسات ، لاتأكد ، تماما انه هو !!

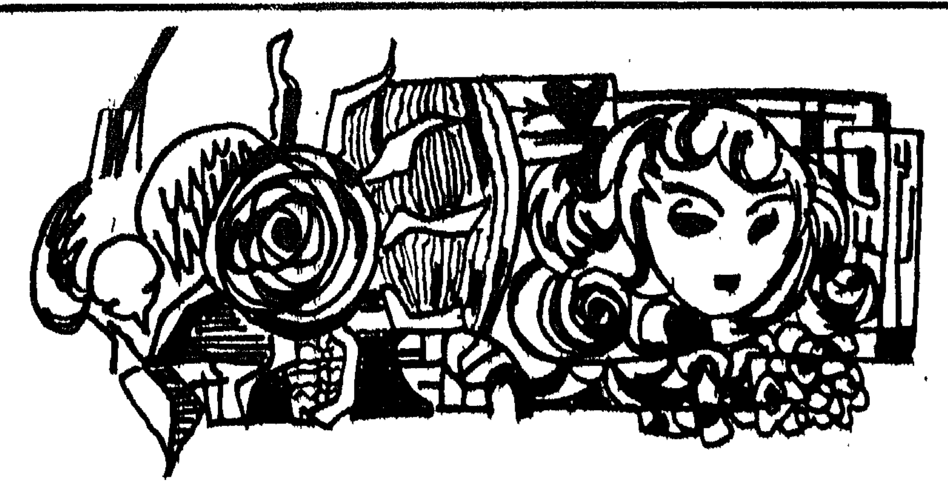
بنفس ملامحه ، وذات هيئته فكيف يمكن هذا !؟.. مستحيل. مستحيل. لكن ها هو المستحيل يتحقق . نعم .

نعم ، انه ابني ، حبيبي ، الغالي .. رغم تذكر اياه نائما ، في فراشه ، بالمنزل ، صباحا ..

على كل ، فهذا الامر غير مستبعد حدوثه من ولدي ، هذا ، المسكين ، الذي ولد متخلفا عقليا ، بلا ذنب جناه ... وقد سبق له ان ((عملها)) وغادر المنزل ، خلسة ، اكثر من مرة ، وكان لا يعود ، بعد طول الغياب ، الا بصحبة بعض ((أولاد الحلال)) ، الذين يدوخون معه في الاستدلال على العنوان ، وهو لا يستطيع ان يدلهم عليه ، بكلماته المتعثرة القليلة أ..

وها هو اليوم ((يعملها)) مرة اخرى ، بصورة أشد خطورة ، من الممكن ان تؤدي به للسقوط تحت عجلات القطار ، لا قدر الله ، او على الاقل يتوه في زحام العاصمة .. حيث لا يقدر له العودة ... هذا اذا ما نجا من مخاطر حوادث العربات ، والسيارات المتزاحمة الرهيبة !! ..

عند هذا الحد من الافكار المتلاحقة السوداء ، لم استطع البقاء .. انتفضت فجاة كالملدوغ . اتجهت نحوه لفوري . لم أهتم بالاقدام او السلال او الحقائب المتلاصقة بممر العربة ، لتتضح لي الرؤية اكثر من ذي قبل ، والركاب من ذوي القلوب الكبيرة ،



يعطون ، ولدي المسكين ما تجود به نفوسهم !...

لم اتمالك عواطفي . تدفقت دموعي . انسحقت روحي ، فهل « حصلت » ايضا ـ ان يتسول ، وانا موجود على ظهر الدنيا ؟!

ازدادت سرعتي تجاه الغلام حتى وقفت امامه وجها لوجه... ففحصته

طويلا من قرب ، عضوا عضوا ، وطولا وعرضا بتدقيق وامعان !.. الحمد لله التقطت انفاسي ، هدات خواطري ، اتضح ـ لي أنه ليس بابني ، رغم التشابه الغريب الملحوظ ...

بصعوبة بالغة منعت نفسي من ضمه الى صدري ، ودموعي تزداد انهمارا ... دون وعي وجدت اصابعي تمتد له من جيبي ببعض النقود ...
التوجه مباشرة ، لقضاء ماموريتي . تشابه الغلام العجيب ، بابني الحبيب، ملأ على كل افكاري : مرة اخرى تمكنني الرغبة الجارفة ، في رؤيته ، ثانية ـ اخذت اتطاول بعنقي بحثا عنه في كل مكان بلهفة وقلق. لكنه كان مثل فص ملح وداب وسط الزحام المتكاثف. ازددت تشبثا لرؤيتـــه . اندفعت بصعوبة شديدة ضد اندفاع حركة تيار الركاب المسرعين نحو باب الخـروج الضيق ـ هذا يصدمني من هنــا ، وذاك يركلني من هنــاك . . تملكني

القلق . خفت الا اعثر عليه في هــذا « المولد » .. اخيرا. هدات .ابتسمت ظفرا ، عندما ابصرته عن بعيد ،يهبط من آخر عربات القطار . اسرعت الخطا نحوه . وجدني الغلام المسكين ،ثانية، اسد عليه الطريق فتاملني دهشة ، ازدادت عندما وجدني اجزل له العطاء واحاول ان اضمه الى صدري في حنان ابوي واجهش في بكائي .. فلم يتمالك الا ان يرفع يديه ناظرا الى السماء ، وهولا يصدر من حلقه الا اصواتا مبهمة « أ. أ. أ. أ. »
ولم تفارق صورته مخيلتي طــوال اليوم ، رغم انشغالي المســتمر في ماموريتي !..
اخيرا ، توقف القطار في بلدتنا . اسرعت الخطا نحو المنزل . ضـغطت جرس الباب ضغطا متواصلا ، فتحت لي زوجتي . دهشت لعودتي العاجلة وهي التي تعلم ببقائي بالعاصمة لبضعة ايام. دخلت حجرة نوم ابنائي للفورى. وجدت ابني الحبيب المسكين،مستغرقا في نومه ، كالملائكة الابرار ... انكفات فوق صدره احتضنه بحرارة ، اقبله طويلا ، ولا استطيع حبس دمــوعي ،المتدفقة الغزيرة ، داعيا من اعمــق اعماقي الى الله ، ان يحفظ ولــدي ، الغالي ، على الدوام في كل خطـوة ، وفي كل لحظة ، بعد ان صنعت كل ما في طوقي ، لعلاجه ، وملاحظتــه ، وتربيته ، مسلما امره للرحمن ، جل جلاله ، فانه ارحم الراحمين ...

انتظار

عبد الجواد طايل

وهرولت شـوقا لذاك اللقاء
وفوق فمى بسـمة حانيه !
اطالع عبر الطـريق .. وجوها
من الناس .. رائحـة ، غادية
افتش فى لهفة عـن مـلاك
وابحث عـن فتنة طـاغيه !
واما لمحت خيالا ، هـرعت
اجـرجـر خلفى خطى واهيه !
وارجـع والـوهم فى خاطرى
يعربد كالموجـة العاتيه !
اسـائل نفسى وكلى ظنون ..
ونفسى تسـائلنى شـاكيه
ترى نسيت .. ام تراها تناست
ولـن نلتقى مـرة ثانيه !
وكيف وبالامس كنا نديمـين
.. نلهو على ربـوة عـاليه
ومـا حيلتى الان والليل امسى
وكاسى لمـاتـزل خـاليه
وهذا هـو الحب نسمو ونسمو
وفى لحظـة نسكن الهاويه ؟

***

وقابلتها .. عاتبا ، بعد حـين
فقالت وقـد ادركت مـابيه ..
دع اللـوم ياشاعرى وابتسم
لنا الان واللحظـة التاليه !
فقلت لها كل شيىء يهـون
سـوى للحظات مضت قاسيه ..
فقالت .. لأعرف قـدرى لديك
فقلت وهـل لهفتى خافيه !
فقالت .. لاسمع شعرا جديدا
فقلت وان عـزت القافيه !
فقلت .. انا الان بين يـديك
وقـد اغمـضت عينها راضيه
ورحنا لندرك مـا فاتنـا ..
من الشـوق فى الليلة الخـاليه

الهروب المستحيل

● احمد مصطفى عفيفى ●

اقتربى منى
لا وقت نضيعه
قد فات زمان نتردد فيه
قتلتنا لحظات الريبة والتيه

***

انسابى فى شريانى
وتخطى كل المنعطفات الى قلبى
فانا لا املك الا ان ..
... افتح ابوابا كانت موصدة منذ زمان
يانبع الحب الدافىء ياحصن امان
ياروعة ايامى .
يا ضوءا يتغلغل فى وجدانى !

***

باسمك افتح كل المنغلقات
اصعد كل جبال العالم
ارفع عينى فى ضوء الشمس الحارق
.. ارفع صوتى فوق الاصوات ،
.. وادخل فى حلبات السبق ،
.. اسابق كل الشعراء

***

اقتربى منى ياملجا روحى
وخذى بين يديك يديا
كل ذئاب الغابة تجرى نحوى
تعوى ، تنهش فى جسدى
هل اهرب ؟ لاجدوى ..
فمخالبها حيث حللت تطاردنى !

***

اقتربى منى ،
فقطار العمر يولى
وانا فى الميدان وحيدا ابحث عنك
وافتش فى كل مكان
فملامح وجهك تقتل فى هروبى
.. ووداعة روحك .
.. بسمتك السكرى
وانا . آه . لا اعرف اين طريقى ،
فهروبى فوق الامكان !



هذا الأدب المجهول !
قراءة فى شعر ضاحك

عبدالله احمد عبدالله

لا يجرؤ زاعم ، على محاولة التاريخ ، بدقة ويقين ، لظهور الشعر الفكاهي .. اين نشأ ؟ متى بدأ ؟ من اول من قاله ؟

كل هذه اسئلة لا جواب لها على تحديد وقطع ويقين . ذلك ان الشعر قديم قديم ، عمره من عمر الشعور والشعور مخلوق منذ آدم ، فان كان اتخذ القالب والموسيقية والتفاعيل ، فهذا ايضا قديم ..

اما الفكاهة وخفة الروح فهى ايضا فطرة قديمة ، وليست خفة الروح وقفا على عصر ولا جيل . الشعر الفكاهي ، الضاحك المضحك ، اذن ، لا يؤرخ له ، الا اذا أرخنا للشعور وللاضحاك ...

حسبنا منه أنه لون من الوان القول المنظوم ، له نفس قواعد وقيود المنظوم الجاد ، وتأتى الفكاهة فى ثناياه ، لفظا أو صورة ، أو معنى .

ولعل أقرب ما وصل الينا من شعر فكاهي ، شعر عصر المماليك ، كقول محمد بن مسلم الشافعى فى تاجر وسيم :

ازدحم النـــاس على تاجـــر ... من غمـــز لحظ طـرفه فاتر
قال علام ازدحمـوا هـــكذا ... قلت على عينيـــك ياتاجـــر !

وكقول ابن دانيال الكحال ـ وكانت صنعته تكحيل العيون :

يا سائلى عن حـرفتى فى الورى ... وضـيعتى فيهم وافـــلاسى
ما حال من درهـــم انفـــاقه ... يأخذه من أعـــين الناس ؟

وكقول أبى الحسن الجزار متغزلا فى « الكنافة » :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر ... وجاد عليها ســـكر دائم الدر
وتبا لاوقات « المخلل » انهـــا ... تمر بلا نفع وتحسب من عمرى!

وفى عهد السلطان فرج بن برقوق ، شكا شاعر خفيف الدم من أمير مستبد ـ فقال :

قـــد بلينـــا بامـــير ... ظلم النـــاس وســـبح
فهـــو كالجزار فيهـم ... يذكر الله ويذبـــح !

وقد يسر لى الحصول على هذه الامثلة الاديب السكندرى ميـــلاد واصف ، واتخذتها مدخلا للحديث عن الشعر الفـــكاهى المعاصر . الذى لا يكتفى برسم الابتسامة حيية تتعثر فى خفرها مترددة ، ولكن يطلق الضحكة مجلجلة ، وقـــد يصحبها دبيب بالاقدام ، وصياح استحسان ، واستلقاء على الاقفيـــة لفـــرط ما تثير الضحك ! ..

موضوعنا هو « الشعر الفكاهي » او « الحلمنتيشي » كما اصطلحنا نحن الذين نعمل في حقله وحقل الصحافة الفكاهية على تسميته ، وصاحب التسمية واحد من الرواد هو أستاذنا حسين شفيق المصرى الذى أسمى بعض أعمـــاله فيه : (المشعلقات) على وزن (المعلقات) ، وقد استهل قصائده باستهلالات المعلقـات السبع الشهيرة ، وعاد فأسماه (المشهورات) حين اتخذ استهلال قصائده ، من استهلالات قصائد مشهورة في الادب العـــربى لعمالقة المتقـــدمين : المتنبى ، والبحترى ، وابى تمام ، وابى نواس ، وأضرابهم ..

واذا كان الشعر الفكاهي المضحك فى العصور الخوالى يتسم بالتحفظ الى حد ، وبسلامة اللغة العربية مبرأ من كل ملحون دخيل ، فان الشعر الفـــكاهى أو « الحلمنتيشى » المعاصر ــ موضوعنا اليوم ــ قد تحرر كثيرا من الالتزام فى بعض الفاظه بالفصحى ، فاتسع للعامية ، واتسع حتى للتعبير بالمصطلحات الاجنبيـــة والمسميات الحديثة بحكم (بحبحة) العصر .

فان عرضنا للشعر « الحلمنتيشى » المعاصر ، برزت لنا أسماء : حسين شفيق المصرى ، وبيرم التونسى ، وعبد السلام شهاب ، ومحمد مصطفى حمـام ، وابو فراج ، وطه حراز ، وناشىء له اسهام ملحوظ فى هذا المجال ، هو محمد هاشم الرفاعى الشاعر الدرعمى .

وهذا لا ينفى ان لهذا اللون من الشعر هواة يجيـدونه كل الاجادة ، كانت تمنعهم من الاسفار عن مواهبهم فيه ، اعتبارات شتى كالوقار ، او تجنب الشهرة فيه باعتباره هزلا فاقعا ،وان كان فنا جميلا ، عصيا الا على الموهوبين ...

ومن هؤلاء المتكتمين كان الشاعر السفير احمد عبد المجيد وله فيه آيات ، لكنه كان يؤثر الا ينتسب اليها ولا تنسب اليه ، ربما لانه كان من رجال الدبلوماسية وللدبلوماسية احكام !

ولا بد من تاكيـــــد القول بان الشـــعر « الحلمنتيشى » ــ بالرغم من « حلمنتيشيته » ! ــ له كل مقتضيات وعناصر الشعر الجاد الرزين ، الوقور ، وحتى المتجهم !

لا بد من الوزن والقافية ، حتى أن التعبير و « زنقة القافية » كانا أحيـــانا يضطر ان أستاذنا حسين شفيق المصرى الى وضع لفظة لا معنى لها .

وفى هامش القصيدة يشير الى أنها لفظة أو كلمة لا معنى لها ، لكن القافيـــة حكمت بها !

ولان حسين شفيق المصرى وهو يحاكى المعلقات السبع الشهيرة «بحلمنتيشيان» فقد كان يستهل نظمه باستهلال المعلقة التى سيحاكيها .

وهكذا فعل فى « المشهورات » كان يأخذ البيت الاول من قصيدة شـــهيرة ، واحيانا يأخذ بيت القصيد فيها ويجعله استهلالا . وقـــد درج على هـــذا النهج بعده ، غيره من الزملاء يستفتحون « الحلمنتيشى » ببيت شهير ثم يتبعونه بنظمهم الخاص ، ولكن ليس هذا حتما وضرورة « للحلمنتيشى » .

ان رائد هذا الشعر ، حسين شفيق المصرى أنتج فى هذا المجال ، شعرا كثيرا متنوع الاهداف ، ومنه هذه الابيات التى أبدعها محاكيا أبا العلاء المصـــرى فى قصيدته الشهيرة :

غير مجد فى ملتى واعتقـــادى ... نـــوح باك ولا ترنم شـــاد

فيقول حسين شفيق المصرى بخفة دم :

خفف الاكل ما اظـــن آديم ... البطن الا مـــن كثرة الازدراد

وطعـــام على بقـــايا طعـــام — من قلوب الخرفان والاكبـــاد !
ولقد تحرق المصـــارين خمـــر — من سبرتو يكوى الفتى فى الفؤاد
واذا تخمـــة وســـكر اصابا — رجلا . يبيع عفشـــه فى المزاد !
ما لمال مـــع السـفيه بقـــاء — ووه هلس وعقله (فيرى باد) !

***

ويقول أستاذنا حسين شفيق المصرى أيضـا محاكيا هـــذه المرة قـــول أبى العتاهية :

ما لســـيدتى مالهـــا — ادلالا ؟ فاحمـــل ادلالها ؟

يقول حسين شفيق المصرى :

اظن الوليـــة زعـــلانة — وما كنت اقصـــد ازعالهـــا
آتى رمضـــان فقـــالت هاتوا لى — زكيبة نقل ... فجبنا لها
ومن قمر الدين جبنـــا ثلاث — لفـــائف تتعب شـــيالها
وجبت صـــفيحة سمن وجبت — لوازم ماغيرها طالهـــا !
فقـــل لى على ايه بنت الـــذين — بتشـــكى الى أهلها حالهـــا ؟

***

ومن نظم الشاعر السفير الاستاذ أحمد عبد المجيد الذى رحل عنا منذ قريب ، قصيدة « حلمنتيشية » يحاكى فيها أغنية بالفصحى ، شهيرة ، فيقول :

احتجت اليـــك فســـلفنى ... اني محتـــاج !
سلفنى ســـوف أرد ديونك بعـــد رواج ...
والود سيفـــمننى عنـــدك ان صـــنت الود
وســـدادى أمر حتمى كصـــداق زواج !
ان كنت صديقى ســـلفنى ، والدين حســـاب
أو كنت نديمى فادفـــع لى ثمن الاكـــواب
المال بجيبـــك يدعـــونى .. وانا مشتاق ...
فلماذا نحجبه والعملة خلقت للانفـــاق ! ...
والفقـــر امامى وورائى ... من غير فـــراق !
يا من صورت لى الدنيا ... كاوائل شـــهر !
وغرست بقلبى أمـــل الشـــارب بعـــد الخمـــر !
انقـــذنى .. انى مـــديون .. حتى أذنى
ان كنت حبيبى ســـلفنى ... الحقنى ياخى !

***

ومن الشاعر الفكاهى السكندرى الاستاذ أبو فراج ، هذه الابيات استهلها ببيت شعر جاد لشاعر آخر لم يسفر عنه ، ثم انطلق :

(طالت الاشواق وازداد العنـــا — وتمادى البين فيمـــا بيننـــا)
آنا فى الثغر الجميـــل الفللى — وحبيبى زاغ منى فى قنـــا !
ولهيب الهجـــر ســـوى مهجتى — ليت قلب الحلو يدرى ماجنى !
يا حبيب القلب كرباج النـــوى — لســـوع القلب وسوى جلدنا !
داونى بالوصل حالا أو فقـــل — يا صفيق الوجه امشى من هنا "

ومن أحدث « الحلمنتيشيات » ما نظمه الاستاذ طه محمد حراز عن السلام وموقف بعض الدول الشقيقة منه ـ يقول :

ريم على القاع بين البان والعلم	أحل سفك دمي في الاشهر الحرم
لا تخشى سفك الدم ان السلام أتى	فافرح به ياأخي وأرقص على النغم
جعنا كثيرا ولكن عاش اخوتنا	في العز والخير والبترول والنعم
هاجوا علينا وماجوا في جرائدهم	يجاهدون بفحش السب والكلم
هل مصر خانت كما قالوا اذا جنحت	نحو السلام بلا حرب وسفك دم
(مابين غمضة عين وانتباهتها	يغير الله ٠٠) من رفعى الى : نعم

***

والاستاذ محمد عبدالله الشرمبابلي واحد من الادباء الذين يعالجون الشعر الحلمنتيشي وهذا نموذج من نظمه :

أسرع قوامك ودني قوامك	نفسي أذوق لحومه بالذات
أصل المدمس دائما في سكتي	ألقاه في روحي وفي غدواتي !
أم الفلافل عبقت دكانها	والفول ماج بأروع السلطات !

***

ومن شباب الشعراء الذين قضوا فى زهرة الشباب ، الشاعر الدرعمى هاشم الرفاعي ، والتفت معى أخى القارىء الى خفة روحه وهو يصف فريقى كرة القدم والسلة فى معهده العلمى :

لنا في « الباسكت » اختاروا فريقا	يحاكى فى ضخامته الجبالا !
وفي الفوتبول أفراد تبدوا	عراضا في ملاعبها طوالا
اذا ما صوبوا كرة يمينا	لخيبة أمرهم راحت شمالا !

***

واقرأ معى أخى القارىء هذه الابيات الساخرة نظمها هاشم الرفاعى فىصديق له اسمه « التابعى » عرف بمغامراته النسائية :

زين الشباب الجامعي	التابعي الالمعي !
الضاحك المرح الطروب	العاطفي ، اللوذعي
يا صاح يا ملك الفكا	هة يا أمير الهمهع !
اصبحت تجتذب القلو	ب بمشية التقمع !
ويشار نحوك ان قرر	ت على الحسان بأصبع
انسيت ماحوت المتو	ن وما رواه الاصمعي
انسيت يوم تخرقت	عيناك في « جخلنجع »
الان تانس بالفتا	ة ولا تقول الرنقعي !
فاذا استطعت خدا	عهن فاننا لم نخدع !

***

وبعد : فكم من قصائد ، هى خرائد وفرائد يحفل بها ديوان الشعر الفكاهي ـ « الحلمنتيشي » المعاصر ٠٠ وكم غرد على افنانه بلابل صادحة بالظرف والايناس والفكاهة الحلوة ٠٠

وكم تعى الذاكرة منه ، وعنه ، الكثير ، فلعل العمر ، والوقت ، والصفحات تتسع لعود اليه باذن الله قريب٠

●●

قصة

افتراق

● درويش الزفتاوي ●

● اخرج المنديل من جيبه .. لم تبلله الدموع . . عـلى اى شيء اذرف الدمع جفف عرق جبهته .

ــ لا تحرميني من رؤية الاولاد .

ــ عجبا ، اتحبهم حقا .. ولماذا بعتهم ؟

ابتلع لعابة ، مرا كالعلقم .

ــ دائما تغالين في الاقوال ، وهذا كان سبب ..

همت ان تثور ، ولكنها تماسكت دعنا من هذا الان . واذا اردت رؤيتهم فليكن في قسم الشرطة .

حاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه : فبدت صفراء مليئة بالغضب والاعتراض .شرطة ؟ نفسية الاولاد ربما يصدمون !

عجبا للرجال ، يذبحون الشاه ، ويخشون عليها من السلخ !.. لابد من صفعه بالحقيقة : ما اكثر ما ينتظر الاولاد من صدمات ! عنيدة ، لاجدوى من الوعظ والارشاد معها فليجرب اسلوبا اخر .. الا تراجعين نفسك ، ونعاود الحياة معا ؟

ــ أعلم انك ستروجين !

ــ هذا حقي ! ..

زفر واجتر ابتسامته الصفراء مرة اخرى .

ــ ما اقسى ماينتظر الاولاد !

ــ لن ينقصهم سوى النفقة ، اذا انت تهاونت في ارسالها ..

كظم غيظه دائما تغالين في الاقوال ، وهذا كان سبب ..

ــ لاداعي للاهانات ، ارجوك ..

جعلت الهزيمة تحيط به من كل جانب :

ــ هكذا تضربين بكل ما بيننا عرض الحائط ؟!

اهتز سلاحها في يدها ، ارتجف جسدها بعد ان زفرت اهات مكبوته في صدرها ، طفحت الدموع في مقلتيها .. تراءت لعينها صور من الماضي عزيزة على قلبها .. اسبلت عينها حتى لا تراها .

ــ لاتتراحم على ذكريات ماتت مختنقة بيدك !

شعر بانها اوقعته في حفرة ملساء الجوانب ، لاسبيل الى الخروج منها . وليس امامه سوى الترفق حتى ينتصر

ــ القانون يمنحك الحق في الاقامة ها هنا .

طفح الكيل بها :

● اتذكر القانون الان . ؟

ـ نعم .. فانا استطيع الاقامة عنـد اقاربى ، او فى فندق .. فهيا عودى الى بيتك ودمك من الوقوف فى الطريق هكذا .. واصعدى ، شقتك فى انتظارك

ـ لا تحاول .. بيت ابى اوسع من هذا القانون !

ـ ابوك قادم ، معه شخص متانق فى ملبسه .

آه فهمت الان ... لعله العريس المرتقب

ـ لازلت تلجأ الى الشك وترتمى فى احضانه .

برقت عيناه بشىء مخيف .

ـ ياله من وغد !.. الا يستطيع ان يصطبر حتى تذهبين اليه ؟ .

ولكننى لن اجعله ينال بغيته . فانت لاتزالين زوجتى ، بحق الشرع والقانون

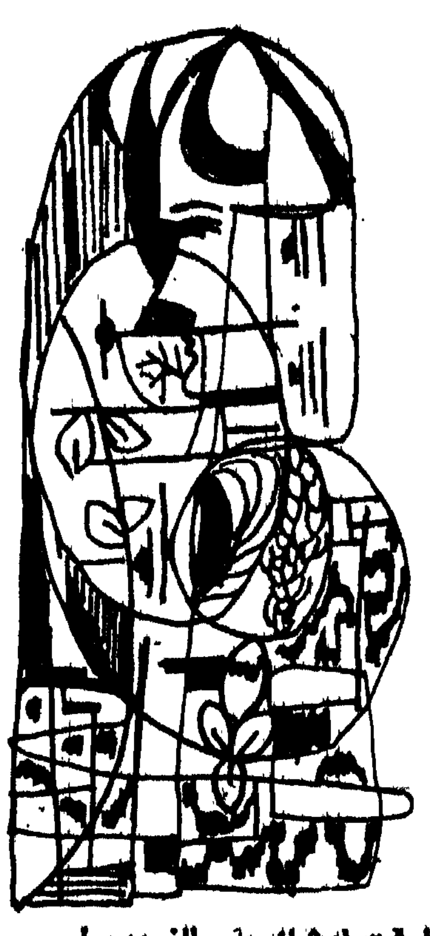
ـ اتعود الان الى احضان القانون ، وانت نسيته منذ زواجنا !

ـ القانون اعطانى الحق فى ارجاعك فانها طلقة اولى . ولا .. ولن اتركك لتتزوجين هذا الشخص .

ـ ولكن ما حدث منك سيتكرر ..

ـ القانون فى صفى ، وبه ستعودين .

ـ ولكن ابى لن يتركك ، فدعنى ..



الوقت اوشك على الغروب !

ـ سافلبه بالقانون .

نظرت الى السماء ، ما اسرع ان حل المساء .. القمر ولد كبيرا والقى بضوئه على شفتها ..

ـ اتريعنى ان اعود معك بالقانون ؟.

ـ نعم .. اخذت بيدى طفليها ، وعادت الى بيتها ، تمتمت وهى فى طريقها : سادخل البيت بالقانون ، وارجو الا يتركنى القانون ويخرج من البيت ، ويدعنى اواجهك وحدى !

روح عن نفسك..

● **اولا : لغز بالشعر : ما هو ؟**

ومستدير تروق العين رؤيته
كأنه فلك نجم الدجى فيه
حروفه اربع قد ركبت فاذا
ما قلت أول حرف تم باقيه

● **ثانيا : عملية حسابية : ضع الرقم المطلوب محل علامة ×**

```
    × × ٥
    ١ × ×
  ---------
  ٢ × × ٥
 ١ ٣ × ٠
 × × ×
  ---------
٤ × ٧ ٧ ×
```

● **ثالثا : اختبر ذكاءك :**

١ ــ اقسم رجل بطلاقه امراته ان أكلت ثمرة كانت فى يدها ، أو رمت بها ، فماذا تفعل المرأة ؟

٢ ــ عندك قطعة قماش طولها ٣٠ مترا ، فاذا قطعت منها يوميا مترا ، ففى كم يوم يكون عدد القطع ٣٠ قطعة؟

٣ ــ اذا كانت دجاجة ونصف دجاجة تضع بيضة ونصف بيضة فى يوم ونصف يوم ، فما عدد البيض الذى تضعه ست دجاجات فى ستة أيام ؟

٤ ــ لمن يحنى جميع الناس رؤوسهم ؟

٥ ــ ما الذى يجوب العالم ولا يبرح مكانه ؟

٦ ــ تصور انك فى غرفة مظلمة وان امامك ١٢ جوربا حمراء و ١٢ جوربا سوداء وتحتاج لزوج من الجوارب من لون واحد فكيف يمكنك الحصول على زوج الجورب المطلوب بأخذ أصغر أو أقل عدد من الجوارب (الفرد) وتخرج به من الغرفة المظلمة الى النور ؟

٧ ــ له عنق كالجمل وطوله طول الجمل ، ويمشى كالجمل ، ولكنه ليس بجمل ، فما هو ؟

٨ ــ لماذا يهرب الوقت ؟

٩ ــ تبين من الاحصاءات أن العربة الاخيرة من كل قطار هى أكثر العربات اصابة بالاكرار فى كل تصادم ، لماذا اقترح البعض فصل العربة الاخيرة من كل قطار قبل ان يبرح المحطة ؟

١٠ ــ اذا وضعت الحروف التالية امام مرآة ، فأيها لا يتغير شكله بالانعكاس : ج ، ل ، ن ، س ، ت ؟

● **رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ أم صواب**

١ ــ الطماطم من الخضروات .

٢ ـ ينام الثعبان وعيناه مفتوحتان.

٣ ـ التمساح يلد

٤ ـ زجاج النوافذ الشفاف العادى تنفذ منه الاشعة البنفسجية .

٥ ـ يتناقص حجم الكرة الارضية بمضى الزمن .

● الاجابة ●

● اولا : لغز بالشعر : الخاتم

● ثانيا : عملية حسابية

```
       ٣ ٢ ٥
       ١ ٤ ٧
    ________
     ٢ ٢ ٧ ٥
   ١ ٣ ٠ ٠
   ٣ ٢ ٥
    ________
   ٤ ٧ ٧ ٧ ٥
```

● ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ تاكل نصف الثمرة وترمى بالنصف الآخر .

٢ ـ تسعة وعشرين يوما ، لأن القطعة الثلاثين ستكون مقطوعة فعلا يوم ٢٩ .

٣ ـ ٢٤ بيضة ، لأنه اذا كانت الدجاجة ونصف الدجاجة تضع بيضة ونصف بيضة فى يوم ونصف ، فان ثلاث دجاجات تضع ثلاث بيضات فى يوم ونصف و ١٢ فى ٣ أيام و ٢٤ فى ٦ أيام .

٤ ـ للحلاق ..

٥ ـ الفكر .

٦ ـ ثلاثة فلابد ان يكون من بينها اثنان من لون واحد .

٧ ـ الزرافة .

٨ ـ لأن كل واحد يريد أن يقتله .

٩ ـ من المستحيل الا تكون فى القطار عربة اخيرة ، لأن كل عربة فى نهايته ستكون الاخيرة .

١٠ ـ النون والتاء .

● **رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ ام صواب**

١ ـ خطأ فالطماطم من الثمار .

٢ ـ صواب ، فعينا الثعبان مفتوحتان على الدوام لأنه ليست لهما جفون .

٣ ـ خطأ ، فالتمساح يبيض .

٤ ـ خطأ ، فهو لا ينفذها ..

٥ ـ صواب ولكن دون تناقص فى الوزن وذلك لانكماشها نتيجة لتناقص درجة حرارتها .

العصفور الشارد

● ابراهيم خليل ابراهيم ●



بغيرك خافقى شردا
فمثلك لم اجد احدا ...
فلا تعتب على قلبى ...
وحبك خالد ابدا !
انا الروح التى مدت
اليك يدا فمد يدا !
وقلب صادح النبض
فلا ضاع انغناه سدى ؟

***

وعينيك التى شربت
من الفردوس حين شدا
رايت الليل بالاشرا
ق والآمال متحدا ...
رايت النجمة الحيرى
تغار وتعرف الحسدا
سمعت الهمسة النشوى
تعانق بلبلا غردا ...
فناديت الذى اهوى
فما رد الفراغ صدى !

***

تعالى اننى تهت
وعصفور الصفا شردا
فبحت بكل هدى
وارضعت الفؤاد هدى
وردت النهر ظمآنا
فعطفا للذى وردا !
احبك بسمة تهدى
الى خد الربيع ندى ...
جعلتك مامنى ، املى
اذا خان الزمان غدا !



.. وأنت
تبحث عن :
تاريخ الصحافة والثقافة
وتاريخ الفكر والاجتماع والسياسة
فى القرنين التاسع عشر والعشرين
دليلك
فى
هذا
كشاف الهلال
خمسة أجزاء
تم طبع الجزء الأول [١٨٩٢-١٩١٤]
ويجرى الآن طبع الأربعة أجزاء التالية
[١٩١٥- ١٩٨٠]
كشاف الهلال : ثمن الجزء ١٠ دولارات
اطلبه من قسم التوزيع (دار الهلال)



الهلال
فبراير ١٩٨٠
١٨٩٢ - ١٩٨٠
بين العدد الاول من الهلال والأخير منه
٨٨ عاما
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها
الهلال
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي
ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
الهلال
يقدم لك ال
والعلم سلاح ال
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر

أغسطس ١٩٨١

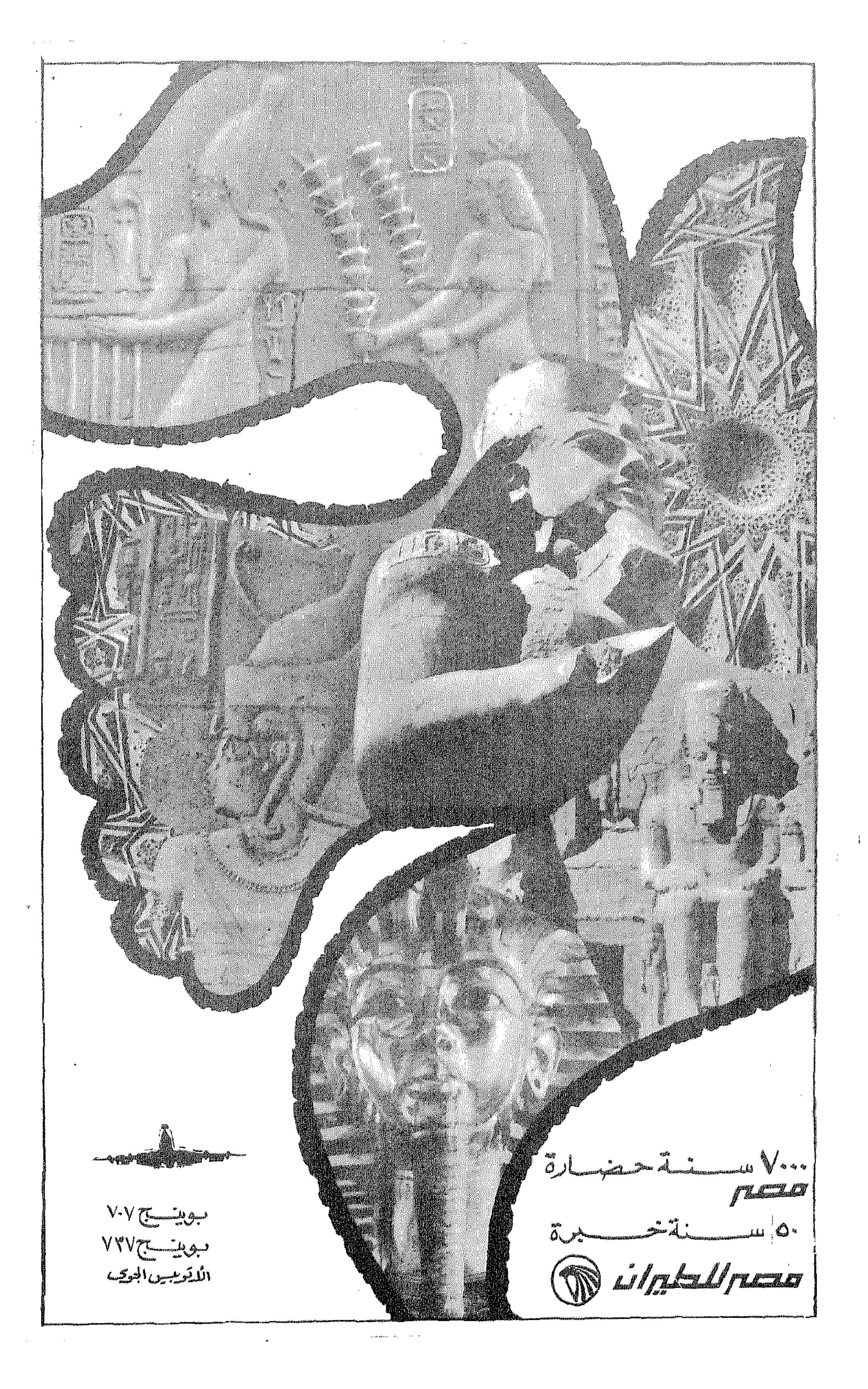
الهلال

مجلة الفكر العربي

أنت و المستقبل

عرس حسناء الزمان

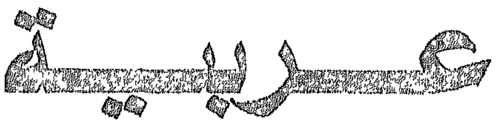
داخل العدد



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

لكى تكون التكنولوجيا



فى موضع على شاطىء الخليج العربى فى الامارات ، انشأوا ميناء جديدا يسمى جبل على • شاهدته اثناء الانشاء وبعد الانشاء انه شىء بديع حقا اتقانا وتقدما وتنظيما •

قالوا لى عندما ابديت بالغ اعجابى بما رايت :

انشاته مجموعة شركات يابانية ، وستديره بعد ان يتم شركة انجليزية بالاشتراك مع شركة عربية ، وستتولى اعمال الصيانة فيه شركة يابانية اخرى وظيفتها الصيانة ، وستقوم باعمال النظافة فيه شركة كورية ، وستضبط اعمال الحسابات ورقابة الموظفين فيه شركة أمريكية •

كل هذا جميل

ولكن ، أين العرب فى ذلك كله ؟

***

وانا لا اعترض على ان تتولى هذه الشركات انشاء الميناء وصيانته وادارته ونظافته ، فالحق ان هذه انواع من الاعمال لم نتعلمها لكى نعرفها ونتدرب عليها ونتقنها •

ولكن الشىء الذى أطالب به هو ان يلحق بكل شركة من هذه ((طقم)) او طقمان •• من شباب العرب الذين نعدهم اعدادا مبدئيا لتولى العمل محل الشركة الاجنبية ، وانا لا اتعجل الامور ، أى اننى لا أتعجل احلال العربى محل غير العربى ، ولكنى اتمسك بان يكون الصف الثانى لكل مجموعة غير عربية عربيا ، وأن ننتظر عليه حتى يتدرب ويتفنن وينتقل اليه الاحساس بالاتقان العلمى والعملى ثم يتسلم العلم مرحلة مرحلة •

هنا فقط أستطيع ان اطمئن على مستقبل هذا الطراز من الاعمال فى البلاد العربية • لا ضير علينا فى ان نعترف اننا لا نعرف الكثير جدا من شئون العصر ولكن الضير فى الا نرسم خطة نرث بها كل هذه التكنولوجيا لنملكها ولنقول حقا اننا دخلنا عصر التكنولوجيا ولم نكتف كما هو الحال بأن نجلس تحت لافتته •

المحرر



مفكرة يوسف إدريس

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● قراءة يوسف ادريس دائما متعة وتعب متعة لانك تقرأ لذهن ملك متألق نفاذ وتعب لانك ـ وانت تقرأ تحس انك تجرى بل تلهث وراءه ، لان ذهن يوسف ادريس متوقد يرسل الفكرة تلو الفكرة في سرعة خاطفة كأنها شهب • وقد تعودت أن أقرأ ما يكتب على مراحل : أقرأ ثلاث صفحات أربع ثم أطوى الكتاب ، وأدع الذهن يستوعب ما انصب فيه من أفكار وآراء على مهل ، لان القراءة عندي متعة أولا ثم عمل ثانيا ، فانا لا اقرأ الا ما يمتعني أولا ـ وهذا هو الجانب الفني من فضائل القراءة ـ ثم ما ينفعني ، لانني لابد ان أتعلم مما اقرأ ، واذا لم تعلمني القراءة شيئا جديدا فلماذا اقرأ ؟

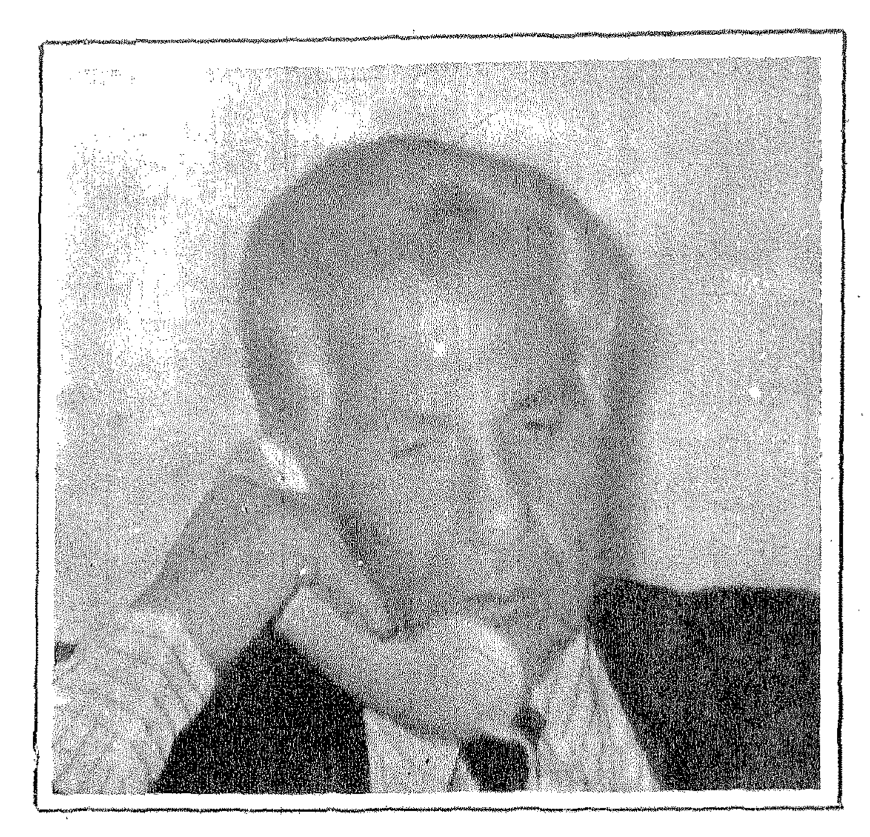
***

هذا كان موقفي ـ أو قل حالي ـ مع « مفكرة يوسف ادريس » التي نشرت أخيرا في كتاب جميل عن دار غريب للطباعة (القاهرة ١٩٨٢) ، والكتاب جميل شكلا وموضوعا ، ، فهو مطبوع طباعة تروق العين ، ومحتوى الكتاب بحر متلاطم من الافكار والآراء صدرت عن ذهن يوسف ادريس المتألق وصيغت في اسلوبه المتدافع الذى تشعر وأنت تقرأه انك أمام الكاتب ومعه ،وهذه من فضائل الكتابة الجيدة انها مرآة نفس الكاتب وصورة نفسه وذهنه ، وليست أبدا أشياء تصدر عنه عفو الخاطر أو سقط اليراع كما يقول القدماء •

***

وقد انفقت قرابة الشهر فى قراءة هذه المفكرة ،أراوح القراءة وأعود اليها صباحا بعد صباح ، واستمع كل مرة الى يوسف ادريس وهو ممسك بخناق الزمان ويحاول جهده أن يستخرج منه أجوبة على أسئلة تحيره وتحيرنا مثل مشكلة العمر أو ما قدر لكل منا من سنوات الحياة التي يناقشها يوسف ادريس فى المقال الاول من هذه المفكرة ، وقد وقفت طويلا عند قوله :

« ودائما ما ندرك ونتيقن ان الجزء الذى يغوص منك فى بئر الزمن المطلق ، العدم قد ازداد ، وان جزاك الباقى فوق



الدكتور يوسف ادريس

سطح الحياة قد نقص، وانتقص غير موزع على أربعة آلاف مليون بشرى . بل ولا أربعة حتى انتقص منك أنت ويخصك كله أو لهذا يرتدع البعض ، وعند حد معين ينجذبون الشطر تماما الى ساعاتهم أو زمنهم الخاص ..) فهذا كلام جميل جدا يدعو الى التفكير العميق ، لانك تشعر أن المتكلم ليس يوسف ادريس بل أنت معه أعنى أنه ينطق بلسانك ، وذلك توفيق جميل من الكاتب: ان يجرك معك ويدخلك فيما يعرض له من قضايا فلا تصبح شخصية بل قضايا انسانية ..

وأسمع اليه يقول وكأنه يتحدث بلسان جيل كامل ممن يحملون اليوم المسئولية عن مصر كلها ويسيرون بها فى فى شقاء بالغ .. (أنا من هؤلاء الذين قضوا طفولة جادة تماما ولم يعرف المرح طريقه اليها رجل رهيب فى ثوب طفل. كل ما أعتقد أننى أريده أحرمه على نفسى بل — أنظر اليه — كأنه خطيئة أرتكبها حيال الآخرين ..

هنا شعرت أن يوسف ادريس يتحدث عنى وعن المئات ممن وضعت الاقدار على اكتافهم مسئولية هذا البلد بل مسئولية العرب ، ودون أن يدروا أو يشاءوا كانوا كهولا وهم أطفال ، وبينما يلعب الاطفال فى البيوت والحوارى ويتسابقون الى شراء الحلوى كنت أنا أجلس فى مكتبة الاطفال فى دار الكتب أقرأ وأتفرج على الآطالس وصور الكتب الانجليزية الجميلة وتلك هى الطفولة التى عرفتها ، وهذا هو اللعب الذى عرفته .

***

واجابة يوسف ادريس عن سؤال لماذا تكتب .. تثير الاشجان فى النفس ، فهو قد بدأ الكتابة دون أن يعرف لماذا يكتب وربما لان الكتابة هى قسمته ونصيبه وهى القدر الذى كتب له ان يحمله من مسئولية الوطن بل الانسانية ، ولهذا فقد نجد عندما سأله موظف عن هذا السؤال ، وهو يصف هذا الموظف وصفا رائعا « خريج جامعة يبدو ، ولكن الزمن والوظيفة من الواضح أنهما تكفلا به

مفكرة

يوسف إدريس



فأحاله الى ذلك الجسد النسجين والقميص الكالح والبنطلون الاكلح »

وهذا المقال حزين وحده جو الاكتئاب والحقيقة ان كل من في يده قلم يكتب به للناس ويشعر في نفس الوقت ان هذا القلم وسيلة في يده لخدمة الناس ولتعذيب نفسه في نفس الوقت يشعر بهذا الاكتئاب فان الكاتب المخلص الصادق يطلب الكثير جدا من نفسه ومن الناس ، فأما نفسه فهو يقدر عليها ويشقيها ، وأما الناس - اولئك المتمردون على كل ما هو جاد ونافع ،فهو لا يملك حيالهم شيئا . انهم يأكلون ويشربون ويضحكون على أسخف نكتة يقولها مهرج يسمي نفسه ممثل ، وبينما هم يضحكون يحترق الكاتب ويكتب ، وهكذا كان دوستويفسكي ، لقد قتله أولئك الذين يعيشون ويضحكون غير مبالين ، وخير ما قرأت في الكلام عنه انه أبدع في رواية الجريمة والعقاب لان حياة الناس كانت في احساسه جريمة وهو وحده الذى تحمل العقاب .

وأجمل ما تحس به وأنت تقرأ هذا الكتاب أن يوسف ادريس ليس واقفا على الشاطيء بل هو دائما في البحر وسط الامواج ، فهو ليس جبران خليل جبران المرتاح ، الانيق الذى لم يعرف الالم في حياته فتخصص في وصف آلام الآخرين بكلام مزوق سطحي ، ولكن يوسف ادريس يعيش مع الالم بل يعيش هو الالم نفسه ، لا لانه شخصيا متعب أو عنده الكثير من دواعي الالم بل هو متألم لان الآخرين متألمين فهو معهم يحس أحساسهم ويشاطرهم احزانهم واقرأ مثلا ما يقوله عن مذبحة الملك حسين للفلسطينيين واستمع الى ما يقوله عن جولته في البلاد العربية فهذا ليس بكلام رجل ذهب ليتفرج بل ذهب ليعيش متاعب العرب ، وهو هنا يتساءل لماذا نحن المصريين غير مفهومين من العرب وغير العرب واجابته ليست اجابة بل هي مجموعة لستة أسئلة ، وهذا هو ما يعجبني في يوسف ادريس : انه يثير ذهنك ويحرك خلفه ولا يريحك قط ، ورحم الله مصطفى لطفي المنفلوطي الذى كان هو نفسه شيئا وسيم الوجه ،مرتاح النفس ، يكتب لامرتاحين أمثاله . ماأعظم الفرق بينه وبين يوسف ادريس الذى يحس دائما انه متحير يتكلم . أحيانا هو ضمير نفسه . أحيانا هو ضمير مصر - وهنا يبلغ يوسف ادريس أعماقا رهيبة - وأحيانا هو ضمير الامة العربية أو ضمير الانسانية .وذلك شيء جميل جدا، انه يتعب الكاتب ولكنه يريح المعنيين بمصير الانسانية فهم يشعرون أن هناك على الاقل انسانا يعنيه الامر وسط بحر زاخر ممن لا يهمهم الامر .. أي أمر .

كتاب بديع حقا قرأته واستمتعت به وادعو غيرى الى أن يقراوه ويستمتعوا به ويتعبوا معه ، فان الراحة في ذاتها لا تساوى شيئا ، بل الراحة هي التعب في سبيل شيء يريح النفس ويريح الآخرين .

د . حسين مؤنس

كتب وكتاب

المناهل

● المناهل مجلة ثقافية تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية بالمغرب .

بين يدى الان العددان التاسع عشر والعشرين من مجلة المناهل ومن محاسن المغرب حرصه على ان يصدر دائما مجلات ثقافية عربية اسلامية على المستوى الرفيع وذلك ان دل على شيء فعلى حرص ذلك البلد العربى الاصيل على خدمة الثقافة العربية الاسلامية والتمسك بالعروبة وخطها السليم فى الفكر والحضارة .

ولهذا فانه يسر مجلة الهلال ان ترسل تحية الى المشرفين على شئون الثقافة فى المغرب وترجى لهم الشكر على تلك العناية بالعروبة وثقافتها .

وليست مجلة المناهل هى اول مجلة ثقافية رفيعة المستوى يصدرها المغرب بل سابقتها وعاصرتها مجلات اخرى ثقافية عربية اسلامية ذات مستوى رفيع .

فكلنا نعرف مجلة ((دعوة الحق)) التى يعتبر كل عدد من اعدادها ذخرا من ذخائر الصحافة العربية الفكرية . فهى مجلة ابحاث ومجلة ادب وشعر وقبل ذلك كله مجلة اسلام وعروبة .

ومن سنوات انشا المرحوم علال الفاسى مجلة البينة وكانت من اقيم المجلات الثقافية الاسلامية التى قراتها ومجموعاتها عندى ذخر من ذخائر المكتبة ومن المؤسف انها اختفت بوفاة منشئها علال الفاسى رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من اعلام الحرية والعروبة والاسلام فى عالم الاسلام كله. وهناك ايضا مجلة ((اللسان العربى)) وهى مجلة جادة تنشر ابحاثا ونصوصا ونقولا عن اللغات الاوروبية ذات قيمة علمية كبرى وهى تصدر عن مركز التعريب التابع للجامعة العربية ويشرف عليها اخونا فى العروبة والاسلام عبد العزيز ابن عبد الله هذا الى جانب مجلة ((البحث العلمى)) التى تصدر عن ادارة الابحاث بجامعة الرباط . ومجلة ((المناهل)) التى نتحدث عنها الان تحولت مع الزمن من مجلة ادب صرف كما يتجلى فى اعدادها الاولى الى مجلة ابحاث ودراسات عربية اسلامية ومغربية فى نفس الوقت ذات قيمة كبرى . فالعدد التاسع عشر الذى نتحدث عنه الان خصصوه القاضى عياض بن موسى اليحصوبى وهو من اعلام الفكر الاسلامى فى القرن السادس الهجرى وهو دون شك قطب من اقطاب العروبة والاسلام فى المغرب الاقصى وهو من اهل سبتة وهى بلد اسلامى سليب لان الاسبان استولوا عليه ايام المد المسيحى فى حوض البحر المتوسط ايام شارل الخامس وابنه فيليب الثانى

والعدد الخاص بعياض حافل بالابحاث والدراسات عن ذلك الفقيه العظيم ففيه ابحاث لمحمد بن داود الطنجى وعبد الله كانون والدكتورة عائشة عبد الرحمن ومحمد العربى الخطابى والدكتور عبد الله الطيب وعبد الرحمن الفاسى والدكتورة ابتسام مرغون الصفار . ومحمد بن شريفة وكلهم من اصدقائنا وزملائنا فى عالم الابحاث والدراسات العربية والاسلامية والمغربية منها خاصة . واذا كنا نلاحظ شيئا عن العدد فاننا كنا نستحسن ان يكون الفصل الاول من ذلك العدد تعريفا بحياة القاضى عياض ودوره فى الفكر والسياسة وترجمة حياته مع مراجع وافية حتى يعرفه القارئ معرفة بيوبيبوغرافية . .

وهذا امر اساسى بالنسبة لنا جميعا. ومع اعترافنا بامتياز العدد كله وافادتنا من ابحاثه الا اننا نلاحظ ان احدا لم يشر الى كتاب ((ازهار الرياض فى اخبار عياض)) المقرى وهو مرجعنا الاول عن عياض وعصره وشيوخه وتلاميذه وتاليفه . ● د. حسين مؤنس ●

فى هلالك

هذا الشهر



اغسطس ١٩٨١م
شوال ١٤٠١هـ

معجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ــ السنة التاسعة والثمانون أول اغسطس سنة ١٩٨١ ــ غرة شوال سنة ١٤٠١ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : مونى عبيد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

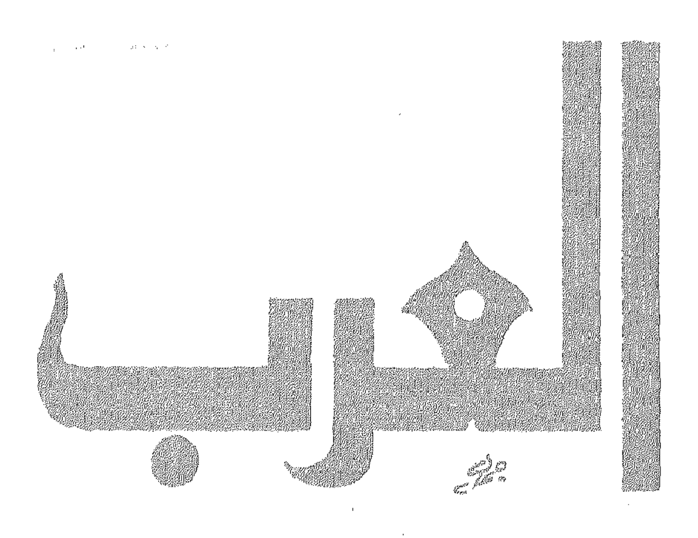
اذا كان الربيع زفاف الطبيعة فان الصيف هو نضجها ووصولها الى ذروة جمالها وغلاف هذا العدد يعبر عن ذلك بصورة جميلة هنا زهور وورود ووجه جميل مشرق ... كل ما هنا ينبض بالحياة

الإشراف الفني

أحمد الورجي

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا او تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .



وصنع المستقبل

بقلم : رئيس التحرير

 عيون العرب جميعا متطلعة الى مسـتقبل احسن من الحاضر الذى يعيشونه ..

ولكن كيف يصنعون هذا المستقبل ؟

لكى يكون هذا المستقبل مستقبلا وجديدا حقا ، لابد أن يصنع من مواد أخرى غير مواد الحـاضر ولابد أن تشكل هذه المواد الجديدة على اسلوب جديد .

اما صنع المستقبل من مواد الماضي والحاضر ،وباسلوب صناعة الماضي والحاضر ، فلا ينشأ عنه الا تاخـر اكثر ومزيد من الآلام والحسرات ..

انقضى الشتاء الماضي والعرب في حال لا يرضي بها عدو فضلا عن الصديق ٠٠ وجاء الصيف فكان انكى علينا وأمر ٠٠ أوغلت اسرائيل فى أرض العرب ، فاصبحت أرض لبنان مرعى لها تجوس خلالها كيف تشاء ٠ وفي يونيو الماضى كانت كارثة المفاعل الذرى العراقى ٠ وهو عدوان بشع يثير فى النفس أشد دواعى الغضب ، ولو كنا عربا عرابا لغضبنا غضبة مضرية ، وكانت مضر اذا غضبت أقامت القيامه ولم يقف فى طريقها احد ٠ ولكن يبدو ان الاوشاج انقطعت بيننا ومضر جملة ٠

وهذه الضربة الاليمة التى وجهها مناحم بيجين الى بلد من أعز بلاد العروبة فأحيا بعمله هذا روح الشر والعدوان والاستهتار بالعرب في نفوس أهل اسرائيل ، ونتيجة لذلك ارتفع من الخمول السياسى الذى كان يغرق فيه شيئا فشيئا ، فكسب مقاعد فى انتخاباتهم ما كان يحلم بها ٠٠ وتشجع فتحدى وجعجع وبعبع ، وأسرع يؤلف حكومة جديدة قبل الاوان لانه رجل جرىء درج على العدوان والاقتحام ،ومثل هذا الرجل لو تلقى من العرب ضربة واحدة لانكسرت نفسه وظهره فى آن واحد معا ٠٠

ولكن أين العرب الذين يوجهون قاصمة الظهر هذه ؟

انهم هناك قاعدون يعدون الاموال ٠ وآخر الاخبار انهم انشأوا شركة استثمار براس مال قدره عشرة بلايين دولار لتعمل فى البلاد النامية على اسس تجارية صرفة ، أى انه بينما يضرب هذا الجرىء الدموى ضربته نفكر نحن فى تثمير أموالنا على حساب الفقراء والمساكين من أهل العالم الثالث ٠٠

وتلك هى مضرية العصر الحديث ٠

مضرية العصر القديم كانت شرفا كلها وأنفة كلها ، وغضبا للحق والكرامة والعروبة ٠

ومضرية اليوم ذهب كلها ، نقود فوق نقود ٠٠ نقود يعبدها أصحابها ولايعنيهم الا تثميرها ودنياهم العربية من حولهم تحترق !

***

لم تكن اسرائيل فى يوم من أيامها السود أسوأ مما هى اليوم ٠٠

يتربع على عرشها متعصب على عينيه غشاوة من دخان دير ياسين والمفاعل العراقى ، وذهنه غارق فى أوهام عظمة هذا الشىء الذى يسميه عودة شعب الله الى أرض جوديا وسماريا ٠ ونصف الاسرائيليين عليه وكل الدنيا تتعجب من أن يكون اسم هذا الرجل فى سجل الحاصلين على جائزة نوبل للسلام ٠ ولكن الذى لا يعرفه الناس أن الجانب الارهابى في مناحم بيجين هو الذى يحببه الى الاسرائيليين ، فهم جميعا معه فى موضوع مثل موضوع تحطيم المفاعل الذرى العراقى ، لانهم جميعا ـ ودون استثناء ـ يحلمون بتحطيم العرب جميعا ٠٠كنا فى الماضى مغفلين لاننا كنا نصارح بكراهتنا لاسرائيل ، وكانت هى من الذكاء بحيث تتحدث عن السلام ،وعندما عرضنا السلام لجأت الى العدوان اذ لا شىء يحطم اسرائيل مثل السلام ٠

وكانت المعركة الانتخابية الاخيرة فى اسرائيل فضيحة ٠ لقد تشاجروا ومزق بعضهم ملابس بعض ، ونشروا على أعين

● بلغت الاعتداءات الأخيرة على أرض العرب وحقوقهم مبلغًا يثير أشد دواعي الغضب ، فلماذا لم يغضب العرب غضبتهم المضرية المشهورة ؟ وإذا لم يغضبوها لضرب المفاعل الذرى العراقي وتلك العربدة المهينة في أراضي لبنان فمتى يغضبون ؟

الناس غسيلهم كله ـ وكله قذر ! ـ واقرأ هذه السطور التى نشرتها مجلة « تايم » في عددها الاخير (٦ يوليو ١٩٨١) عن تلك الانتخابات : « في مناظرة تليفزيونية مع مناحم بيجين اتهم شيمون بيريز رئيس حزب العمل خصمه رئيس الوزراء ، بأنه مسئول عن تزعزع كيان الاقتصاد الاسرائيلى وان كتلة ليكود خاضت معه معركة انتخابات قذرة ، وقال : كانت هناك مؤامرة لقتلى كرجل وكرئيس لحزب العمل ..

ثم أضاف أن هذه المعركة الانتخابية كانت أعنف معركة وأبلغها اهانة للكرامة الانسانية خاضتها اسرائيل .

صبح النوم يا سيد بيريز ..

اليوم تتحدث عن الاخلاق والمؤامرات لقتل الناس معنويا وأنت وقومك جميعا قائمون على جريمة قتل شعب كامل هو شعب فلسطين ، وتتآمرون على قتل شعوب العرب جميعا ، وهل تحطيم المفاعل الذرى العراقى الا طرف من مؤامرة القضاء على الشعب العربى كله ؟ .. انهم يملكون المفاعل الذرى في اسرائيل ولن يسمحوا لعربى بأن يملك مفاعلا ذريا ، لانهم يريدون أن يكون المسدس والرصاص بيدهم وحدهم **والباقى يقفون عزلا وظهرهم للحائط لا يعرفون متى يضغط الاصبع على الزناد ! ..**

ومن المسئول عن ذلك الوضع الحزين ؟

العرب !

وويل للعرب من العرب !

واذكر معى قول الشاعر :

قومى هموا قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى !

***

لقد شهدت الحلقات الاخيرة لمباريات ويمبلدن للتنس رأيت صراع الاسود المرير بين بيورج يورج وماكنرو ... شابان كالجبلين يصارع كل منهما صراع الموت ليحمى اسمه واسم بلده .

الجولات الاخيرة دامت ثلاثا وعشرين ساعة وهذان الشابان يضربان الكرة بقوة قذيفة المدفع دون أن تبدو على احد منهما بادرة تعب أو يأس . وفى لحظة من تلك المعركة الهائلة لم تزد المسافة بينهما عن ثلاثة أمتار . وظلا يتبادلان ارسال القذائف دون أن تكل ذراع أو تزل قدم ! ..

● إن إسرائيل اليوم فى أسوأ حال مرّت بها منذ ماتت الطاغية جولدا ماير ، فكيف لاينتهز العرب هذه الفرصة ويتحدوا ليستفيدوا من الإنقسام الذريع داخل إسرائيل ؟

صدقنى أيها القارىء : لقد شهدت هذه المباراة وأنا لا أفهم فى التنس ولكنى أفهم فى الرجال وأقدار الرجال، والاوطان وأوطان الرجال .. ووجدت نفسى تقول لنفسى : هؤلاء رجال تقوم عليهم أوطان كالجبال ..

فأذكر معى مباراة التصفية الاخيرة لفرق كرة القدم الافريقية والفريق المصرى خائر القوى ، مهتز المركب والشاب منهم لا يكاد يرى الكرة لانه بسلامته لا ينام قبل الهزيع الاخير من الليل ، والباقى خمر ونساء كما تقول أغنية يوهان شتراوس .

ولماذا خمر ونساء ؟

لانهم لا يحبون مصر ..

لانهم لا يشعرون بأنهم يمثلون بلدا عظيما يسمى مصر ترتج لاسمها أركان الدنيا ..

على مثل هؤلاء لا يقوم وطن ولا نصف وطن .

واسرائيل عندما تعربد فى بلاد العرب تعرف ماذا تصنع ، انها تعربد فى أجمة ليس فيها أسود .

وحكمى هذا منصب على العرب دون استثناء ، لاننى أعرفهم فى ماضيهم وحاضرهم كما لم يعرفهم غيرى ، والطينة هنا وهناك واحدة ، والخفافيش لا تولد من صقور ونسور وانما تولد من خفافيش ..

معقول ؟

***

هذه المقارنة التى عقدتها بين لاعبى التنس السويدى والامريكى الايرلندى من ناحية وفريق الكرة المصرى من ناحية أخرى تلخص لك مأساة العرب المعاصرين فان اسرائيل هذه ـ والله يا ناس ليست شيئا . انها ذبابة متطفلة على العرب . قل انها عقرب اندست فى رمال العرب ، وهى لا تحتمل حرب شهر حربا جادة ، فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد أربعة أيام فحسب من القتال رفع موشى ديان يديه الى السماء واستغاث بأمريكا وكلماته كانت : لقد انتهينا ، لن نستطيع مواصلة القتال . أدركونا . وعندما تحدث جمال عبد الناصر مع ماوتسى تونج عن اسرائيل نظر اليه ماو وقال :

ـ وهذه اسرائيل تحيركم ؟

ـ ان وراءها امريكا ..

ـ وهل امريكا تخيفكم ؟ .. انها فيل ضخم عجوز !

● لقد شهدنا المراحل الأخيرة من مباريات ويمبلدون للتنس ورأينا تفانى اللاعبين فى تشريف أنفسهم وتشريف أوطانهم فلماذا نجد لاعبينا متهاونين فى أمر أنفسهم وأمر أوطانهم إلى هذا المستوى المخجل؟ وهل يعلل هذا إلا بضعف الشعور الوطنى ؟

ـ وماذا نعمل مع اسرائيل ؟

ـ ابصقوا عليها فتموت . الا تعرفون كيف تبصقون .. لقد بصقت فيتنام على فرنسا وأمريكا معا وأنت تشكو من اسرائيل .

ولم يكن ماو يشير الى اسرائيل فى أحاديثه الا بلفظ « الحشرة » أو البارازميت (الطفيلية) .

***

ولكن هذه الحشرة أصبحت سبعا فى بلادنا .

والجرثومة الطفيلية تسعى اليوم لقتل الجسد العربى كله ، بالضبط كما تتكاثر ميكروبات التيفود مثلا فى الجسد الضخم (بالنسبة لها) وتنتهى آخر الامر بقتله .

ولن نتجه فى هذا المقال الى لوم العرب على ما فعلوا ويفعلون ، فهذا موضوع قديم ما أكثر ما تحدثنا فيه ، سنحاول معا أن نرى كيف يستطيع العرب التخلص من تلك الحشرة أو الطفيلية أو العقدة التى تسمى اسرائيل لكى يستطيعوا النظر الى المستقبل ، لان اسرائيل تشل تفكيرهم بالفعل ، وتجمد كل مسارهم الحضارى ، لانها أصبحت كسبع يحوم داخل غابة ولا يجرؤ أحد

على ولوجها ، وفى هذه الحالة حتى لو
واضح جدا ان واحدا من أكبر أسباب
الرهبة من اسرائيل هو الجهل بكل
ما يجرى داخلها وبكل صلاتها وخيوطها

مع الخارج . ومع علمى بنفوذ العرب
من الاتصال المباشر مع اسرائيل فاننى
السبع الذى يظن انه هناك .
دخول الغابة أو الاجمة رهبة من ذلك
مات السبع فسيظل الناس يرهبون
لابد أن أقدر أن فتح الباب للاتصالات مع
اسرائيل قد ضاعف معلومات الكثيرين
من الصحفيين ورجال السياسة فى مصر
عن ذلك البلد ، فلم تعد اسرائيل
بالنسبة لهم هذا الوحش الرهيب الذى
يعربد فى الاجمة كما يريد . وأنا
شخصيا لم أتصل باسرائيل ولا وضعت
قدما فيها ، ولا استريح الى أن تكون لى
أى صلة مع أى انسان هناك ما دامت
القدس العربية محتلة ، ولكنى أقرأ
ما يكتبه الذين اتصلوا بالاسرائيليين
واستمع الى حديثهم فأعرف الكثير جدا
عن ذلك البلد بصورة غير مباشرة، وأشعر
أن هذه المعرفة تفيدنى فى التفكير
والكتابة ، وعلى الاقل لم تعد لاسرائيل
فى نفسى أى رهبة .

وأنا واثق من أن رجال العراق لو كانت لهم مثل هذه الاتصالات باسرائيل لما حدثت كارثة المفاعل النووى ، فان كل

● لماذا لم نتعلم من أعدائنا درس العمل فى صمت ؟ لمـــاذا نعلن مشروعاتنا على العالم كله قبل أن ننفذها ؟ ألا نرى كيف نفّذت إسرائيل جريمة العدوان على المفاعـل الذرى العراقى بعد أن ظل رجالها يتدربون على العملية عامًا كاملاً ؟

أصحاب الامر فى اسرائيل كانوا يعرفون ان بلدهم يخطط لضرب المفاعل الذرى العراقى ، بل أن الموضـــــوع نشر فى الصحف ، وقامت القـــوات الجـــوية الاسرائيلية بتجارب على تنفيذ العملية ، ووصلت الطائرات الاسرائيلية مرارا الى **موقع المفاعل لتتــأكد من امكانيـــة ضربه بدقة واحكام ، ودرســـوا الطريق الذى تسير فيه الطائرات دون أن تشـــعر بها طائرات الاواكس اى طائرات الانذار المبكر العاملة فى الســـعودية • ولهـذا تمت العملية بدقة واحكام يدعوان الى العجب**

كل هذا كان يمكن تلافيه واتخـــاذ الحيطة منه لو أن معلـومات العـرب عن داخل اسرائيل كانت أوفر وأدق مما هى الآن •

ولو كانت معلوماتنـــا بتلك الوفـرة والدقة لتغيرت خططنـــا الاســـتراتيجية والتكتيكية حيال اسرائيل ، وابســـط ما كنا سندخله من تعـديلات فى هـذا المجال هو الاجتهاد فى جمـع المعلـومات الصحيحة عن اسرائيل والاقلال من الكلام والتركيز على العمل • فمن المعروف أن ولاة الامر فى العراق صرحـوا أكثر من مرة انهم يســـتعدون لضرب اسرائيـــل بالقنابل الذرية • وقد نشرت مجلة البارى ماتش من اربعة أسابيع مقالا لصـحفية فرنسية صهيونية أحصت فيه تهـديدات أولى الامر فى العراق باستعمال المفاعل الذرى ضـــد اسرائيل واحدا واحدا ، وخرجت من مقالها بأن اسرائيل على حق فى ضرب المفاعل الذرى العـراقى ، لان الموضـــوع ـ كما قالت كان موضـــوع سباق : من يضرب الاول ، وما دام الامر كذلك فلا لوم على اسرائيل فى أن تكون السابقة الى الضرب •

ومن غرائب اصرارنا على عدم المعرفة ان صحف العراق لا زالت تنشر الى اليوم ان العراق سيعيدانشاء محطته النـووية للاخذ بالثأر من اسرائيل • وأنا أقـرأ هذا الكـــلام وأقول : ولماذا تتكلمـــون يا ناس • لماذا تكشـــــفون أوراقـكم لاسرائيل كل مرة ؟الا تستطيعون اغلاق أفواهكم مرة ؟

ومن غرائب تصرفات العرب فى هذا المجال ان العقيد القذافى يصرح بأن على العرب ان يتحدوا ويصنعوا الخطط للقضاء على اسرائيل نوويا • والذى يقول هـذا الكلام رئيس دولة غنيـة عنـــدها كـل الامكانيات على انشاء المفاعلات النـووية واستخدامها فلماذا لم يرسم خطة سرية ويسير فى تنفيذها خطوة خطـوة بتكتم بالغ كما فعل الاسرائيليون ؟ وما معنى قوله ان على العرب ان يعملوا كيت وكيت؟ أليس معناه انه بهذا الفم الكبير المفتوح

● فى رأيي أن أساس مأساة لبنان أن أصحاب الأمر هناك جميعاً يريدون أن تنتهى الحرب دون أن يحدث أى تغيير فى الأوضاع الإقطاعية التى كانت سائدة فى لبنان قبل شبوب الفتنة ، لأنهم لا يستطيعون تصور لبنان إلا فى صورة إقطاعيات خاصة بهم ...!

يخدم اسرائيل ويضر العرب ، فان عيون اسرائيل مفتوحة جدا ورجالها يحومون فوق العالم العربى كالصقور ، ومن الآن اؤكد لك أن الف صقر تحوم فوق ليبيا وتنظر وتصور وتسجل . واذا خطر ببال ليبيا أن تصنع شيئا فستكون اسرائيل اسبق الى تدميره لان رئيس ليبيا نفسه قدم الى اسرائيل المعلومات اللازمة والحجة المعقولة المقبولة .

ومثال آخر من اسلوبنا فى معالجة مشاكلنا العربية هو ما نسير فيه الآن من خطط لايقاف الحرب الاهلية فى لبنان . وكان أفضل من ذلك أن نركز على دراسة أسباب اشتعال نيران الفتنة فى لبنان ، وبدون هذه الدراسة لن تعالج مشكلة لبنان ، ولو استطعنا أن نضع الآن حدا للصراع الدموى الدائرهناك وعدنا بلبنان الى نفس نظامه السابق فمن المؤكد ان النار ستندلع مرة ثانية ، لان ذلك الوضع السابق هو سبب الفتنة ، بل هو الفتنة نفسها .

ذلك ان لبنان قبل الفتنة كان هو لبنان اثناء الفتنة مع فرق واحد : هو ان الصراع والقتل وانعدام سلطان القانون كان مستورا أيام السلام فأصبح معلنا أيام الحرب ، والموضوع يتلخص ـ بحسب فهمى فى أن عددا من البيوت الاقطاعية المسلحة كانت تسيطر على لبنان وتستفيد بكل خيراته ، وهى الآن لا تزال تسيطر عليه ، وتريد أن تنتهى الحرب ويعود الامر الى حالته الاولى والامور كما هى دون تغيير .

فى سبيل ذلك لا تتردد تلك البيوت الاقطاعية فى ارتكاب أى جريمة أو عدوان على الوطن اللبنانى وحقوق الناس فيه . ومن الخطأ أن نتصور أن سعد حداد هو الخائن الوحيد الذى يتعاون مع اسرائيل على لبنان ، لان الحقيقة هى أنهم جميعا سعد حداد ، والذين لا يتعاونون مع اسرائيل علنا يتعاونون معها سرا ، والذين لا يتعاونون معها أصلا يتعاونون مع فرنسا أو أمريكا أو روسيا ، لانهم جميعا متفقون على شىء واحد : ان لبنان وجد ليحمى مصالحهم الاقطاعية والسياسية والطائفية والمالية بصورة خاصة .

وألست ترى معى انه من أعجب ما رأينا فى حياتنا أن هذه الحرب الدائرة هناك لم تؤثر فى الليرة أو قيمتها أو قوتها فى السوق العالمية ! والسبب فى ذلك أن كل المتحاربين رأسماليون أموالهم مغطاة بأرصدة ضخمة من الذهب فى بنوك الدنيا ، ومن ناحية أخرى فان كل أعمالهم وصادراتهم ووارداتهم مستمرة بانتظام ،

● إن أسوأ ما فى الأحوال فى عالم العرب هو أن المواطن العربى لا يفهم مما حوله شيئاً إنهم يتصرفون فى أموره وهو لا يدرى ولا بد أن يعرفوا أنهم لو صارحوه بالحقائق استراح واستراحوا

والتفاح اللبناني يصل الى أسواق الخليج كما كان يصل قبلا ، ولكنه في الحقيقة ليس لبنانيا ، انه يوناني أو ايطالي اشترته رؤوس الاموال اللبنانية وعبأته في صناديق تحمل اسم لبنان لكي يظل سوق التفاح والفواكه في يد اللبنانيين ·

حتى المياه المعدنية لا تزال زجاجاتهم تصل بالصناديق الى بلاد الخليج بنفس الاسلوب فهي تعبأ في اليونان وايطاليا ، وهي ليست مياها معدنية أصلا ، ولكن عملاءها في بلاد الخليج لا يعرفون · وهل يعلم العرب مثلا ان اكثر من نصف الفواكة اللبنانية الآن اسرائيلية ؟ نفس السادة أصحاب رؤوس الاموال - وكل الطوائف المتنازعة ولهم الآن وكالات في اسرائيل ، والتفاح والخضر والفاكهة والمناديل الورقية وزيت الزيتون والجبن تصدر من اسرائيل الى اليونان وايطاليا، ومن هناك تذهب الى بلاد الخليج ·

بل ان لبنان لم تفقد سوق النشر مع تلك الحرب كلها لا يزال ناشروها يواصلون أعمالهم من باريس ولندن وروما ومدريد ويمسكون بسوق الكتب بيد من حديد ويسرقون كل المؤلفات ويطبعونها ويسرعون بها الى الاسواق العربية ··

لهذا لا تتأثر الليرة بل تزيد قيمتها ، لان العمليات المالية فى لبنان لا تزال سائرة فى نفس الطريق القذر المعوج الذى كانت تسير فيه · وكلهم ورغم الصراع متفقون - على أن الامور لا يمكن أن تتغير ، والاقلية المارونية لابد أن تظل - رسميا - أكثرية ، والعدو الوحيد فى نظرهم هم الفلسطينيون لهذا يريدون جميعا اخراج الفلسطينيين من هناك ·

***

هل أنا كشفت بهذا الكلام سرا أو قلت حقيقة لا يعرفها أولو الامر فى عالم العرب كله ؟

لا والله ··

ففى عالم العرب لا أسرار ولا كلام يقال ثم لا يذاع ·

انها مصيبة كبرى ضحيتها المواطن العربى الطيب : مصيبة تتالف من جهل وخوف وخيانة وسوء تصرف وعدم نظر الى العواقب ·

ثم يقولون ان هناك جامعة دول عربية ، وان هذه الجامعة تسعى لانقاذ ما يسمونه بالتضامن العربى !

آنستهم !

وحلال على أصحاب المناصب الالوف بعد الالوف التى تنصب فى الجيوب ، وليس حراما على الاطلاق ما يجرى للمواطن العربى المسكين المغلوب ·

د · حسين مؤنس



دور الإمام محمد عبده في التضامن الاسلامي

● دكتور سيد نوفل ●

● الأمين العام لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية ●

● في الحادي عشر من يوليو لعام ١٩٠٥ م اختار الله الى جواره المغفور له الامام محمد عبده .. وهو احد الرواد الاوائل للحركة العلمية والثورة البناءة في الوطن المصرى الاسلامى العربى ... وقد احتل مركز الصدارة بين المفكرين العظام في النصف الثانى للقرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . شعر بالام شعوبنا الاسلامية والعربية وادرك الاخطار المحيطة بها ، وفكر وعمل في شجاعة وتفان وتضحية للخلاص منها، وظلت اراؤه تعمل عملها في حياته وبعد ان اختاره الله الى جواره .

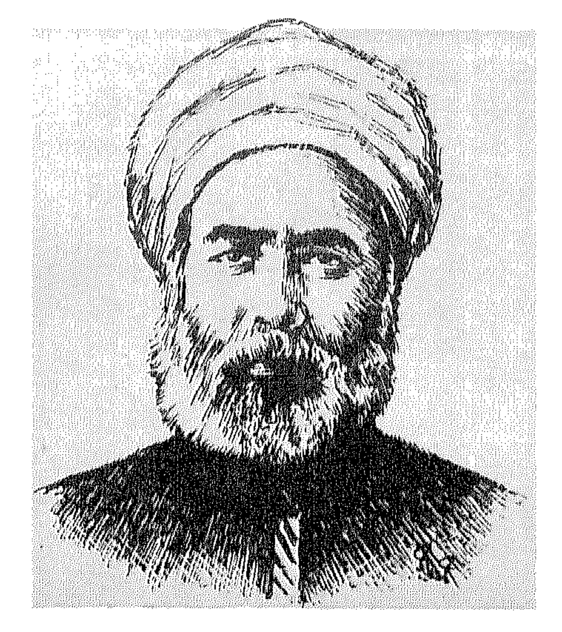
لقد كان محور أعمال الأستاذ الامام الغيرة الصادقة على الاسلام والمسلمين. وفي هذا وهب حياته لاصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها مما علق بها من الخرافات والاوهام. كما ارتفع بالدعوة الى أمرين عظيمين : الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، والثانى : اصلاح اللغة العربية أداة للفكر ووصيلة للبيان ... اما في السياسة وهي الهدف الذى تحراه الاستاذ الامام فقد كان يؤكد على ضرورة التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . وهكذا كرس حياته لاصلاح الدين واللغة والسياسة

وقد اتجه في اصلاحه الدينى الى اصلاح الازهر والنهوض بالتعليم الدينى عن طريقه في جميع الديار الاسلامية .

كما اتجه الى اصلاح العقيدة عن طريق تفسير القرآن الكريم . فقد كان يرى أن اصلاح المسلمين انما يأتى من طريق دينهم لا من طريق التقليد الاوروبى . كما يؤكد في الوقت ذاته على الافادة من معالم التقدم الحديث .

واما اصلاحه اللغوى فقد بدأه باصلاح اسلوبه نفسه . وهو ما ظهر في الوقائع المصرية ، كما ظهر اروع ما يكون في صحيفة « العروة الوثقى » التى انشأها مع الافغانى عام ١٣٠١ هـ وكان محررها الاول ..

وفي المسائل السياسية ، أكد على



الشيخ محمد عبده

ضرورة الاعتماد على النضج السياسى لا على البرامج الحزبية المثيرة .

وهكذا كان برنامج اصلاحه يتحرى:

١ – نشر التعليم الصحيح بين افراد الشعب والتبصير بالحقوق والواجبات

٢ – استخدام الصحافة استخداما قويا فى محاربة المفاسد وتنبيه الوعى القومى .

٣ – كفالة حزم الحكومة وعدلها .

٤ – التدرج فى الحكم النيابى وفى توسيع سلطة المجالس المحلية تبعـــا للوعى القومى .

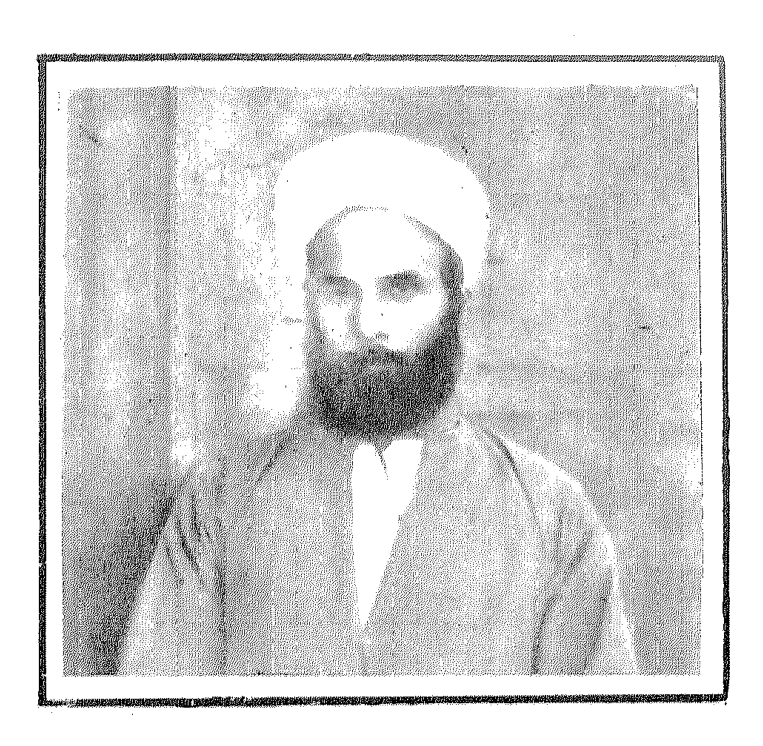
وقد نبه الافكار الى الاصلاح فيما كتب فى الصحف ، وما تحدث به فى المجالس العامة ومع الهيئات المختلفة ، وما قدمه من الاســوة الحسنة التضحية والفداء .

***

والحق ان الامام محمد عبده قــد أيقظ الشعور الدينى . واشـــعر المسلمين انهم يجب أن يهبوا من رقدتهم لاصلاح نفوسهم وتكميل نقصهم ، والا يعتمدوا على الفخر بماضيهم بل على العمل الجاد لبناء حاضرهم . واعلاء مستقبلهم .

وفى هذا المقام دعا الى ان العقــل يجب أن يحكم كما يحـــكم الدين . فالدين عرف بالعقل ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقــل معا حتى نستطيع ان نواجه المسائل الجديدة المدنية الجديدة ونقتبس منهاما يفيدنا . فالمسلمون لا يستطيعون أن يعيشوافى عزلة . ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم .. واكبر سلاح فى الدين هو العلم واكبر عمدة فى الاخــلاق هــو الدين .. ومن حسن حظ المسلمين أن جوهر دينهم يشرح صدورهم للعــلم يحض عليه ، وللعقل يدعو اليــه ، وللمدنية الحديثة يحث على الفاضــل من اخلاقها .

لقد تخلف فى هذه الاراء كلها مدرسة



الشيخ محمد عبده في منفاه

قوية الاثر واضحة المعالم . وحسبنا دليلا على هذا أن أكثر من تصدوا للاصلاح الديني او الاجتماعي أو السياسي بعده كانوا من تلاميذه اومن رواد فكره واتباع مدرسته .

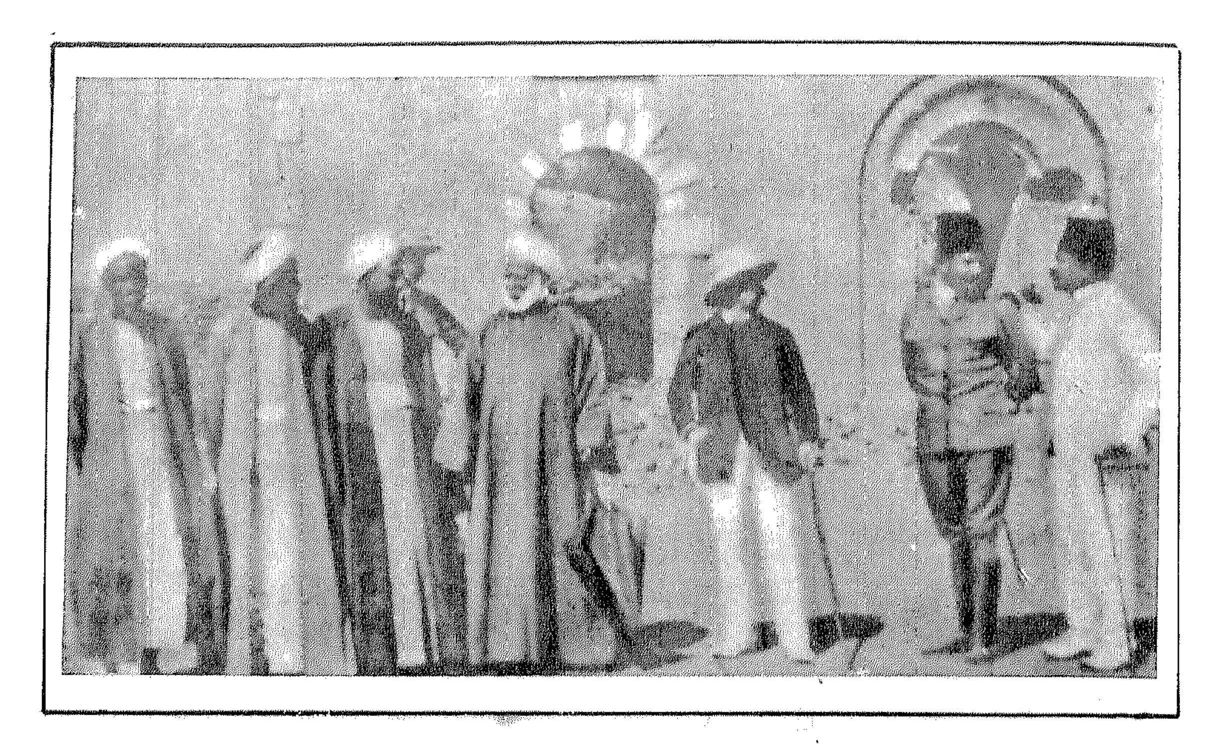
وزاده قوة أثر انه لم يكن يدعو الى الاصلاح نظريا عن طريق التاليف او الخطب والمقالات فقط كما يفعل بعض المصلحين . بل كان يحاول دائما ان يحول اصلاحه الى عمل وممارسة يمكنان من تنفيذ برامج الاصلاح .

ولقد اختص الله الامام محمد عبده بالكثير من المزايا ، واول مزية له انه كان في مقدمة كل من الفريقين اللذين انقسم اليهما الشرقيون في القرن التاسع عشر .

فقد كان علما يهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقهم غيرما جرى عليه المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم العربية واللغوية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للآراء ومديرا للافكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من ابناء عصره الذين راوا ان القديم لا يغني عن الجديد ، وان من لا يتقدم يتاخر ، وان السكون المطلق محال .

***

والمزية الثانية انه كان من ابعد اهل الشرق نظرا في حقائق الامور وعواقبها ، ومن اشدهم غيرة على ارتقاء الامة الاسلامية ، ومن اعظمهم جهدا في انهاضها . فكنت تراه تارة مدرسة يعلم شبابها وتارة شارحا يشرح العلوم لطلبتها وتارة مؤلفا لتنوير الاذهان ، وتارة مديرا ومنظما للمدارس القديمة ، وتارة رئيسا للجمعيات الخيرية الساعية الى اعانة الفقراء وانشاء المدارس لتعليم ابنائهم ،



الشيخ محمد عبده يتحدث مع قاضي القضاه
في السودان ومفتي السودان في ذلك الوقت

وتارة في مقدمة الذين يشيرون على الحكومات بفعل مايصلح أقطارهم وينفع شعوبهم ، وتارة مباحثا ومناقشا لاقناع رفاقه باسلوبه في الاصلاح ، وتارة مجادلا بالحسنى يدافع عن دينه بادلة ماخوذة من علوم المتاخرين التي جرت عليها جمهرة معاصريه ..

وكل ذلك مع قيامه بحقوق وظيفة الأفتاء وادارته لشئونها وقضائه لها على ما بها من المصاعب والمتاعب .

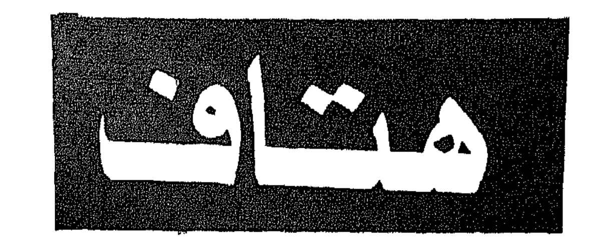
والمزية الثالثة : انه كان في قلب بلاد الشرق ، بلاد الخوف والرهبة ، رجلا جرىء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه . وقد جر عليه ذلك الكثير من الاهوال والمحن .

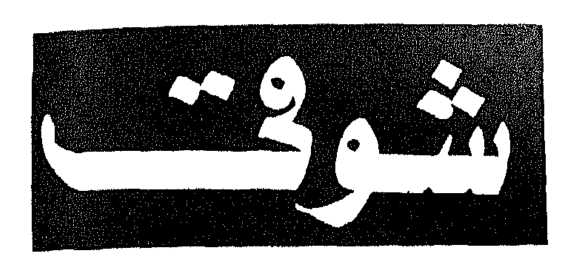
ولكن هذه المزايا اوصلته الى ما وصل اليه من العزة والقوة وزادته التحديات ايمانا وصلابة .

ولعل افضل تحية لذكرى الامام محمد عبده ان نقف جميعا صفا واحدا ، وفي سرعة قبل فوات الاوان ، مواجهين الاخطار التي تهدد اقطارنا وشعوبنا الاسلامية والعربية ، وان نستفيد من التغييرات الهائلة التي طرات على منطقتنا والموارد البشرية والطبيعية الوفيرة التي تهيات لنا . ومن شانها ان تساعد على اقامة نظام دولي جديد يؤمن لنا الحرية والتقدم ، ويكفل السلام العادل والمساواة بين شعوب الارض قاطبة ..

فلتكن ذكرى الاستاذ الامام دافعا للوحدة بين شعوب الامة الاسلامية والعربية وتخليصا من المحن التي اصابتها ، وكفالة لامنها ورخائها ودعما للسلام العالمي العادل والتعاون الدولي الحر المتكافىء .

وماذلك على الله بعزيز .





● د. احمد الحوفى ●

● كان لمصر دستور ومجلس نيابى ألغاهما الاحتـــلال البريطاني ، وأقام مقامهما مجلسين هما كما قال المســـتر لابوشســير صورة كاذبة للحكم الدستورى أجيد رسمها ! ..

ثم حلت الجمعية التشريعية محلهما سنة ١٩١٣ ، ولم تلبث الحرب العـالمية أن نشبت فأجلت الجمعية الى أجل غير مسمى ..

لكن الشعب المصرى كان لا يفتأ يضج من ايثار مصالح الاحتلال على مصـالح مصر ، ومن سيطرة الانجليز على الشئون كلها ، ويرى أن الخير للوطن منـوط بالدستور وبالحكم النيابي . لهذا طالما طالب الشعب بالدستور وقاوم الاحتلال وازدادت مطالبته ومقاومته منذ تصدر الحركة الوطنية مصطفى كامل ، فكتب في جريدة اللواء ، في الخامس من اكتوبر سنة ١٩٠٠ مقالا عنوانه (الحكومة والامة في مصر) ذكر فيه وعد لورد دوفرين باسم حكومته ان يكون لمصر مجلس نيابى وندد فيه باخلاف بريطانيا وعدها كما اخلفت وعودها بالجـــلاء .. ودعا فى خطبة له سنة ١٩٠٢ الى الدستور والحكم النيابى ، لان الدستور هو الذى يلجم الحكومة بلجام من حديد ، ويهب الامة حرية الرأى والفكر وحق المراقبة لاعمال الحكومة وسن القوانين والشرائع ومناقشة الوزارة ..

فلما حمل اللواء من بعده محمد فريد سار فى الدرب نفســـه ، ولم يلبث الشعب ان افاق كله على ثورة ١٩١٩ ، وكان من ثمراتها ان مصر نالت دستورا شبه كامل في ١٩ ابريل سنة ١٩٤٣ ينص على أن الامة مصدر السلطات ..

في هذه البيئة السياسية نشأ شوقى وعاش ، وقد درس فى مصر طـرفا من القانون بمدرسة الحقـــوق ، ثم درس القانون فى فرنســـا ، وعلم أن الحكم الدستورى خير نظم الحكم ، كما عرف من دراسة لتاريخ الاسلام أن الشـورى أساس الحكم الصالح ، وكان على صلة وثيقة بزعماء مصر فى تلك الحقبة وهم مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وكلهم دعاة إلى الدستور ،وكان شوقى يبغض الاحتلال البريطانى قبل نفيه من مصر ، وازداد بغضه له بعد نفيه فتجلى هذا فى بغضته للحكم المطلق ، واشادته بالاحرار الذين تعالوا على عسف الحاكم المستبد ، آثروا الموت على الذل ، كقوله :

ذهب الذين حموا حقيقـــة علمهم   واســـتعذبوا فيها العذاب وبيـــلا



أمير الشعراء أحمد شوقي

في عالم صحب الحياة مقيدا · بالذل مخزوما به مغلولا ...
سقراط أعطى الكاس وهي منية · شفتي محب يشتهي التقبيلا !
ان الشجاعة في القلوب كثيرة · ووجدت شجعان العقول قليلا !

ولما سقطت الخلافة العثمانية تفجع عليها ، وعزا سقوطها الى ثورات الشعوب الى استبداد الفرد ، ونصح بالحكم الشورى دعامة الحكم الصالح :

قل للخلافة قول باك شمسها · بالامس لما آذنت بدلوك
عودي الى ما كنت في فجر الهدى · عمر يسوسك والعتيق يليك
ففي نيوب الليث ثم خدى به · في أى ثوبيه به جاءوك
لا فرق بين مسلط متتوج · ومسلط في غير ثوب مليكا !
اني أرى الشورى التي اعتصموا بها · هي حبل ربك أو زمام نبيك

وكأنما كان شوقي يريد أن يمرن الخديو عباس على الحكم العادل بقوله في سنة ١٨٩٧ م :

ان ملكت النفوس فابغ رضاها · فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاسر · فكيف الخلائق العقلاء ؟
يحسب الظالمون أن سيسودو · ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائز مثلما جا · روا وللدهر مثلهم أهواء !

وهذا يؤكد أن شوقي سبق الاحداث في حملته على بطانة السوء التي تزين الاستبداد للخديو :

يولد السيد المتوج غضا · طهرته في مهدها النعماء
فاذا ما الملقون تولو · ه ، تولى طباعه الخيلاء
وسرى في فؤاده زخرف القو · ل يراه مستعذبا وهو داء
فاذا ابيض الهديل غراب · واذا أبلج الصباح مساء !

وهل ينسى أحد قوله في عصر الملك فؤاد مخاطبا توت عنخ أمون :

زمان الفرد يا فرعون ولى · ودالت دولة المتجبرينا



واصبحت الرعاة بكل أرض على حكم البرية نازليغا

وقوله فى مؤتمر ائتلاف الاحزاب المصرية سنة ١٩٢٦ م لانقاذ الدستور :

الله الف للبلاد صدورها من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة أعلام مؤتمر أسود صباح
يبنون بالدستور حائط ملكهم لا بالصفاح ولا على الارماح
وجواهر التيجان ما لم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح

وأعجبه الانقلاب العثمانى أيام مصطفى كامل ، لانه خلص الاتراك من حكم الفرد المستبد :

قد أباحوا دم أساد الشرى فازدراهم وجرى يحمى العرين
محق الفرد وألغى حكمه ان حكم الفرد مرذول لعين

وطالما حمل شوقى على حكم الفرد المستبد كقوله :

واذا سبى الفرد المسلط مجلسا ألفيت أحرار الرجال عبيدا
ورأيت فى صدر الندى منوما فى عصبة يتحركون رقودا

واذا كان الشعراء قد قاوموا الاستبداد فانهم كثيرا ما ناضلوا الاحتلال وأثاروا قولهم عليه •

استمع الى شوقى ينوه بالثورة العرابية مع أنه كان خصما لها فى أول الامر فى احدى قصائده عن البرلمان ، فيقرن الدستور بموقعة التل الكبير بالمشانق والسجون ، لانه يجد البرلمان بناء اقامه المحاربون والمجاهدون فى الثورة العرابية والتل الكبير بدمائهم وأرواحهم ، ونفيهم وتشريدهم ، وقد وفق فى ذلك أيما توفيق ، لان الثورة العرابية كانت القنبلة الاولى التى ألقاها المجاهدون فى معسكر الاستبداد الداخلى والتدخل الاجنبى ، وفيها توحد الجيش والشعب لتحقيق الحياة الحرة الابية ، وعلى هداها هب الحزب الوطنى هبته ، ثم قامت مصر قومتها العظيمة سنة ١٩١٩ ، ثم ثار جيشها الباسل ثورته الاخيرة فى يوليو سنة ١٩٥٢ ليدك معاقل الفساد والطغيان ، ويشيد صروحا من الاصلاح والعدالة والعزة • قال شوقى :

الحق ابلج والكنانة حرة والعز للدستور والاكبار
الامر شورى لا يعيث مسلط فيه ولا يطغى به جبار
عهد من الشورى الظليلة نضرت آصاله واخضلت الاسحار
تجنى البلاد به ثمار جهودها ولكل جهد فى الحياة ثمار
بنيان آباء مشوا بسلاحهم وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائط ومن المشانق والسجون جدار

وكثيرا ما أنحى على العهود المظلمة التى منيت مصر فيهما بالحكم الاجنبى من

قديم الزمن ، فقد حمل على حكم الهكسوس وعلى حكم الفرس والرومان وعلى حكم نابليون .

استمع اليه يصور مقدم نابليون الى مصر يحدوه الامل أن تكون مركز امبراطوريتين فى الشرق ، كما أمل من قبل قياصرة روما ، ولكنه باء بالخيبة كما باؤا من قبل ، لان مصر بوتقة تصهر من يفتحها ، وتصبغه بصبغتها ، ثم تقهره قهرا ، وتبقى سليمة مرفوعة الرأس .

وقد أشار شوقى الى وقفة نابليون فى سفح الهرم يستحث جنوده بان أربعين قرنا تطل عليهم من قمة الهرم ، وذكر أن الاهرام كانت فى صمتها أبلغ من نابليون فى خطابه ، لانها هزئت به وعلمت أن مصر هى الغالبة :

وأتى النسر ينهب الارض نهبا	حوله قومه النسور ظماء
يشتهى النيل أن يشيد عليه	دولة عرضها الثرى والسماء
حلمت رومة بها فى الليالى	ورآها القياصر الاقوياء
ولو استشهد الفرنسيس روما	لاتتهم من رومة الانباء
علمت كل دولة قد تولت	اننا سمها وانا الوباء
قاهر العصر والمماليك نابليو	ن ولت قواده الكبراء
جاء طيشا وراح طيشا ومن قبل	أطاشت أناسها العلياء
سكتت عنه يوم عيرها الاهـ	ـرام لكن سكوتها استهزاء
فهى توحى اليه أن تلك واتر	لو فاين الجيوش أين اللواء ؟

ولم يغفل شوقى عن التنديد بمن يناصر المستعمرين من المصريين مهما سما مركزه ، فقد امتدح محمد رياض رئيس الوزراة لورد كرومر فى حفلة توديعه التى تهجم فيها على مصر ورجالها فلامه شوقى بقصيدة طويلة منها :

خطبت فكنت خطبا لا خطيبا	أضيف الى مصائبنا الجسام
وهل تركت لك الستون عقلا	لتمييز الحلال من الحرام ؟
اشدت بالاحتلال وما جناه	وجرحك منه لو احسست دام !

ولقد منيت مصر بلورد كرومر من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٩٠٧ م ، وكان يحكم فى عجرفة وغطرسة ويظن أنه باق فى مصر ما أراد ، فلما دوى صوت مصطفى كامل بمظالمه نقلته انجلترا ، فشيعه شوقى بقصيدة حارة ، منها قوله :

لما رحلت عن البلاد تشهدت	فكأنك الداء العياء رحيلا
أنذرتنا رقا يدوم وذلة	تبقى وحالا لا ترى تحويلا
احسبت ان الله دونك قدرة	لا يملك التغيير والتبديلا
فرعون قبلك كان اعظم سطوة	وأعز بين العالمين قبيلا

لزوم مايلزم أن تعرف عن:

عرابى والثورة العرابية

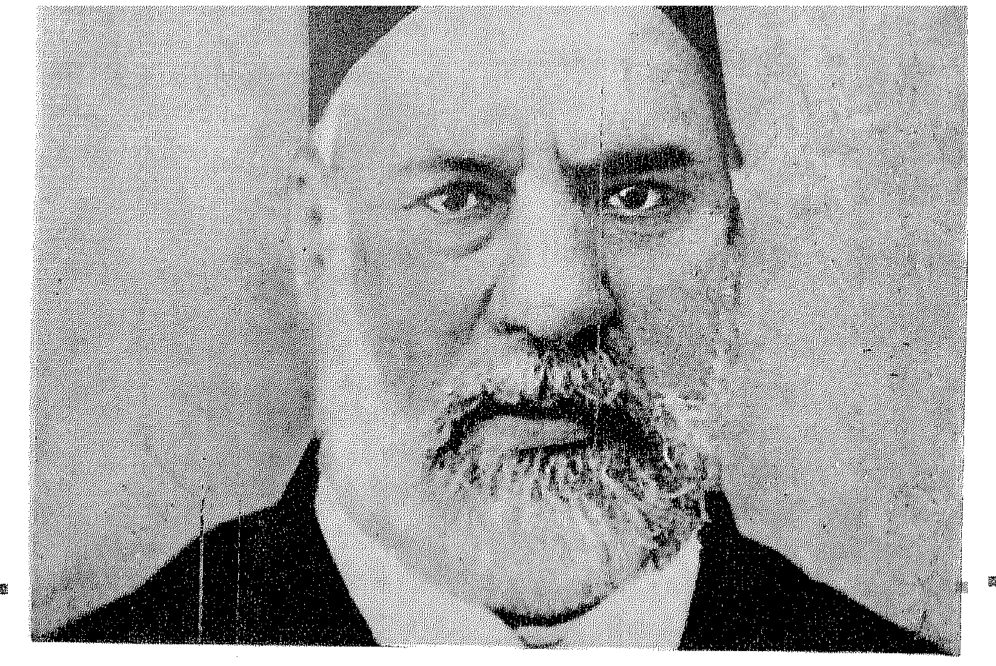
● مصطفى الشهابى ●

لم تقترن ثورة بقسائدها مثلما اقترنت الثورة العرابية بعرابى فى الاسم والشخصية والسيرة ..

لقد كان عرابى اول فلاح مصرى فى مصر الحديثة نجما بين عامة الفلاحين ، ونادى على رأس المنادين بالثورة على الحكم المطلق والتدخل الاجنبى . وعلى الرغم مما افترى عليه من سيئات نسجها الاحتلال واعوانه ، الا ان البعض كتب عن حياته ومنهم انجليز ، وانصفه الى حد كبير . ولكن تبقى فى حيـاة عرابى نواح لايتناولها اغلب الكتاب عادة عندما يتناولون شخصية عرابى ، بينما هى لا تقل اهمية عما يذكرونه عنه ، وفى هذا المقال بعض تلك النواحى .

كان من أعز امانى بسمارك الوزير البروسي « الالمانى » المشـهور ، ان يضم الى بروسيا « المانيا » شعـوب أوروبا الجرمانية باسم المانيا العظمى ، وقد نجح فى ذلك عام ١٨٧١ عندما اعلن وليم الاول ملك بروسيا امبراطورا على المانيـا .. ثم نظر الى الشرق فطمع فى النمسا لانها شاخت وأخذت تتداعى ، ونظر الى الغرب فطمع فى هولندا لانهـا أصغر من ان تحمى نفسها ضد دولـة كالمانيا . ومن ثم رأى أن خير وسيلة لتحقيق ضم هاتين الدولتين هى المساومة على تصفية الدولة العثمانية ، فـاذا شجع روسيا على احتلال الاستـانة « استانبول الان » وكانت العاصمة يومئذ واحتلال مضيقى البسفور والدردنيل وشجع انجلترا على احتلال مصر وقناة السويس أمكنه ان يضم الالمان الأوروبيين دون معارضة روسيا وانجلترا ، امـا فرنسا فمن الممكن السماح لها بضـم بلجيكا ..

ويومئذ يصبح بسمارك قابضـا



الزعيم احمد عرابى

على ميزان الفصل بين جميع الدول الأوروبية ولا تستغنى دولة منها عن مجاملته وخطب وده ! .. غير أن دهاة انجلترا راوغوه دون ان يقنطوه ، حتى تحقق لهم احتلال مصر ، ثم وقفوا حجر عثرة دون تحقيق امانيه ، واخذوا يدسون له لدى الامبراطور ولهلم الثانى حتى اقاله ١٨٩٠ .

● نظام مصر للمصريين ●

اذا كانت مصر قد شقيت بحكم أسرة محمد على ومن استعانت به من اتراك وشركس والبان وغيرهم ، الا أنه من واجبنا الى حد كبير استثناء الوالى سعيد باشا : الذى حكم مصر من يوليو عام ١٨٥٤ حتى يناير عام ١٨٦٣ أى قرابة ثمانية اعوام ونصف عام الذى أعلن فى خطبة له ، بمادبة اقامها للعلماء والرؤساء الروحانيين والامراء وكبار رجال الدولة وضباطها ـ وقد ذكرها عرابى فى مذكراته ، اعلن : « وحيث انى اعتبر نفسى مصريا ، فوجب على ان اربى هذا الشعب واهذبه تهذيبا حتى اجعله صالحا لان يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الاجانب » .

وقد اعتبر عرابى تلك الخطبة اول اساس فى نظام « مصر للمصريين » .

ولسنا ندرى اكان هذا الاتجاه من من قبل سعيد صادرا عن ايمان ويقين ام كان نتيجة مالاقاه من اضطهاد ايام سلفه عباس الاول من اضطهاده على يديه وعلى ايدى كبار الرؤساء ، رغبة فى حرمانه من حقه فى تولى الولاية بعد عباس ، بل بلغت الجراة بهؤلاء الرؤساء انهم حاولوا ، بعد مصرع عباس ، ان يولوا ابنه الهامى حكم مصر ، ولكنهم فشلوا بسبب تدخل قنصلى انجلترا وفرنسا .

المهم ان سعيد اصدر امره ، عقب تولية الحكم ، بانتظام أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك الجيش ؟ التحق عرابى بالجيش جنديا عام ١٨٥٤ وبعد اربعة أعوام رقى الى رتبة ملازم ثانى فى اكتوبر عام ١٨٥٨ وفى يناير عام ١٨٥٩ رقى الى ملازم أول والى يوزباشى « نقيب » فى مارس ١٨٥٩ .

والى صاغ (رائد) فى نوفمبر ١٨٥٩ والى بكباشى مقدم فى مارس ١٨٥٩ ثم الى قائمقام عقيد فى سيتمبر ١٨٦٠ ، اى انه ترقى من رتبه ملازم ثانى الى مقيد فى عامين ، وهذا يدل على تلهف سعيد نحو تمصير الجيش المصرى والنهوض به .

وقد ظل عرابى فى رتبة عقيد من سبتمبر ١٨٦٠ حتى يوليو ١٨٧٩ ، أى قرابة عشرين عاما ، دون ترقية ، وهذا يدل على حرمان المصريين بعدئذ من الترقى الى المراتب القيادية فى الجيش وحصرها فى الاتراك والجركس

مما دعا الضباط المصريين الى التذمر وخاصة عندما رفت بعض كبار الضباط المصريين ونقل البعض الى مناصب بالديوان ـ الوزارة ـ وعين مكانهم ضباطا اخرين من الجركس منهم ضابط بلغ الخامسة والستين !

وكان الخديو توفيق الذى تولى – فى منتصف عام ١٨٧٩ يؤيد هذا الاتجاه بايعاز من انجلترا حتى ينتهى الحال الى الاصطدام بين الخديو والجيش .. وبينما كان الشعب يرجو ان يكون عهد توفيق خيرا من عهد أبيه اسماعيل ، ذلك العهد الذى اتسم بالظلم والقهر وتدخل الأجانب واضطراب الاحوال المالية والاسراف فى فرض الضرائب ، اصبح عهد توفيق استمرارا لعهد ابيه

لذلك كان من الطبيعى أن يتألم الشعب فى ايام اسماعيل ، ومن ثم تكون فى اواخر عهده حزب وطنى ضم بعض الاعيان والعلماء والموظفين والضباط ، وهدفه العمل على انقاذ مصر مما حاق بها ..

وفى نفس الوقت تالف حزب عسكرى كان عرابى من اكبر رجاله ، وهدفه افساح مجال الترقية الى اعلى الرتب بالجيش للضباط المصريين ، ولو من تحت السلاح ، أى من غير خريجى المدارس الحربية ، ورفع مرتبات الجنود وعدم تسخيرهم فى الاعمال العامة .

وتلاقت رغبات الاصلاح بين الجيش والشعب ، وزادها التحاما عدم انعقاد مجلس النواب .

وكان مابلغ عرابى واخوانه ، من الشروع فى استصدار قرار يمنع ترقى الضباط المصريين من تحت السلاح ليكونوا دائما تحت تسلط الاتراك والجركس ، كان ذلك هو الحافز الى تقديم عريضة شكوى الى رياض باشا رئيس النظار الوزراء وفيها طلب عرابى وزملاؤه عزل وزير الحربيه الشركسى وتعيين مصرى مكانه ثم العمل على عقد مجلس النواب وكذلك ابلاغ عدد الجيش الى ١٨٠٠٠ كما هو مقرر .. واخيرا المساواة بين جميع رجال الجيش بصرف النظر عن الجنس والمذهب .

وثارت الحكومة واحتالت القبض على عرابى ومحاكمته ، ولكنها فشلت ، وتطورت الاحداث حتى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ الذى قام فيه عرابى بمظاهرة عسكرية بميدان عابدين ، وقدم للخديو مطالب الامة واهمها عزل الوزارة وعقد مجلس النواب وزيادة عدد الجيش واستجاب الخديو لتلك المطالب ..

وظهر فى الافق عهد جديد ، وبدأ التفكير والعمل لاصلاح الأحوال الداخلية فى شتى النواحى .

● عرابى وانشاء بنك مصرى :

ويومئذ فكر عرابى فى انشاء بنك حكومى وطنى مصرى ، تكون له فروع فى جميع أرجاء القطر ليساعد الفلاحين وايكون « خزينة عمومية للحكومة المصرية » ، وفعلا بدأت حكومة شريف باشا فى وضع اللوائح الخاصة بهذا البنك فى وضع اللوائح الخاصة بهذا البنك فى اوائل عام ١٨٨٢ ، وفى نفس الوقت كتب عرابى وزير الجهادية والبحرية يومئذ الى عبد السلام المويلحى باشا وكان من كبار تجار الحرير بمصر يومئذ » و « شقيق ابراهيم بك المويلحى ة والد محمد المويلحى مؤلف « حديث عيسى بن هشام كتب اليه خطابا يقول فيه :

((لقد كان من الامانى الوطنية وجود شركة مالية اهلية تنقذ اهل الفلاحة من ظلم المرابين وتجعل الحاصلات فى امن من الضياع وكثرة المصاريف وترد ارباح البلاد لاهلها))

ويختم خطابه برجاء ان يمد المويلحى يد المساعدة لهذا المشروع ((بالترغيب فيه والدعوة الى الاقبال عليه .. وأن كلفكم عناء وتعبا وسفرا ، الا ان كل ذلك لا يؤسف له جنب تحصيل المنفعة

للوطن العزيز» .

● **عرابي يشتري غواصة :**

عندما تولى عرابي وزارة الحربية في ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ ، ورأى مدى التدخل السافر الذي قامت به انجلترا وفرنسا واعتمادهما على السفن الحربية في تهديد مصر ، اتصل بأحد الضباط الامريكان بالجيش المصري ، وافهمه انه في امكانه ان يزود البحرية المصرية بغواصة من امريكا ، يمكن شراؤها سرا ، ووافق عرابي بعد ان علم ان الغواصات استعملت في الحرب الامريكية الاهلية « ١٨٦١ - ١٨٦٤ » وان احداها اغرقت سفينة حربية للجنوبيين كانت تحاصر احدى موانى الشمال .

وبعث الضابط الامريكي في شراء الغواصة التي وضعت في صندوق خشبي كبير وشحنت على احدى السفن الامريكية الى الاسكندرية . وعلم الضابط الامريكي بما تم ، وطمأن عرابي .. واخذ الاثنان يترقبان وصولها بفارغ الصبر .

لذلك كان عرابي والضابط الامريكي يبعثان الى مدير الجمرك ، وكان انجليزيا مستفسرين عن وصول طرد كبير باسم احدهما دون ذكر محتوياته ، وكان الجواب دائما بالنفي ! ..

واخيرا ارسل عرابي ضابطا مصريا ليسأل عن الطرد ، ووجد طرودا ليست عليها اسماء من ارسلت اليهم ، وفهم من مدير الجمرك ان هذه الطرود لا يمكن فتحها الا بحضور مندوب الشركة التي شحنتها ..

وغضب عرابي وهدد مدير الجمرك الانجليزي باحتلال الجمرك عسكريا للبحث عن هذا الطرد ..

واثار اهتمام عرابي شكوك مدير الجمرك ، ولذلك انتظر حتى انصرف جميع الموظفين المصريين واستبقى بعض معاونيه الانجليز واخذ الجميع في فتح الطرود التي لا تحمل اسماء لمعرفة محتوياتها ، واخيرا وجدوا صندوقا ضخما ما كادوا يطلعون على محتوياته حتى اعترتهم الدهشة ، وعرفوا سر اهتمام عرابي ، اذ كان الصندوق يحتوي على غواصة كاملة الاجزاء ، من طراز ذلك العصر ! ..

ولما كان مدير الجمرك الانجليزي على يقين من رغبة انجلترا الاكيدة في التدخل لحماية الخديو توفيق ، لذلك عجل بانتزاع بعض الاجزاء الدقيقة من الغواصة حتى لا يمكن استعمالها !

ترى ماذا كانت الاقدار تخبيء للاسطول الانجليزي لو ان هذه الغواصة وقعت في يد عرابي واحسن استعمالها

● **محاولات رشوة :**

وكان من الدسائس التي حاولت انجلترا نصب شباكها لعرابي انها عرضت عليه رشوة قدمها ال روتشيلد اليهود الانجليز » وكانت عبارة عن ٤٠٠٠ جنيه تدفع اليه سنويا ، كما عرضت فرنسا للمحافظة على قناة السويس مبلغ ٦٠٠٠ جنيه مرتبا سنويا اخر ، ولكن عرابي رفض ذلك

وجدير بالذكر ان ال روتشيلد هؤلاء هم الذين اقرضوا حكومة دزرائيلي « اليهودي ايضا » مبلغ اربعة ملايين من الجنيهات لشراء اسهم مصر في القناة .. وتمت الصفقة وكسبت انجلترا مغنما ماليا ومركزا ممتازا في شركة القناة ونادى دزرائيلي بالملكة فكتوريا « امبراطورة الهند » فقد اصبح اتصال انجلترا بها سهلا وميسرا ، وظلت بعد ذلك اثمن جوهرة في التاريخ البريطاني ، وحتى استقلت

● **الاساطيل في الاسكندرية :**

ولم يلبث الهدوء الذي بدا ، ان عكر صفوه تدخل انجلترا وفرنسا وتحريضهما للخديو على عدم الرضوخ لمطالب الجيش وتصرفات قادته وزاد الطين بلة ارسال اسطول انجليزي وفرنسي الى الاسكندرية ، ثم تطورت الاحداث .. وانتهت بانذار انجليزي

هدفه تسليم بعض طوابى الاسكندرية للانجليز وانزال جميع المدافع التى بالقلاع والطوابى الاخرى .

ولم يستجب احد لهذا الانذار ولذلك بدأ الانجليز ضرب الاسكندرية صباح يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ واحتلوها فى اليوم التالى ، وقد احترق اغلب احيائها بسبب مقذوفات السفن الانجليزية .

● وزير بريطانى يستقيل احتجاجا

وعقب ضرب الاسطول البريطانى للاسكندرية واحتلالها ، اطلقت دعاية الاستعمار يومئذ كل قذائفها على مصر والمصريين ورمتهم بأشنع التهم والصفات علها تحجب هذه الفعلة النكراء فى جو من الاباطيل والاكاذيب، ولكنها لم تستطع حتى فى مجلس الوزراء الانجليزى ، اذ استقال من وزارة غلادستون أقوى اعضاءها ،بل واعظم خطباء ذلك العصر فى عالم السياسة الاوروبية ، الا وهو « جون برايت » استقال من الوزارة احتجاجا على تلك الجريمة النكراء التى لايسوغها شرع ولا يبررها عرف ...

وقد اقام له جماعة من ذوى الاخلاق احتفالا لتكريمه منوهين بموقفه النبيل ازاء حادث الضرب الشنيع . وكان من بين هؤلاء النائب الانجليزى «ريتشارد» الذى ندد فى مجلس النواب بما زعمه قائد الاسطول من ان الاستعدادات الحربية فى بعض حصون الاسكندرية موجهة الى الاسطول الذى يقوده ، اذ قال : « ارى رجلا يحوم حول دارى وعلامات العدوان بادية على وجهه ، فاعمد الى الاقفال لاغلق ابوابى ونوافذى ، فيثور غضبا ويزعم اننى اهينه واهدده ، وانه يقتحم على بيتى ليذودنى عن نفسه ولا يزيد عن حق الدفاع ! »

وشبيه بموقف « جون برايت »موقف « انتونى ناتنج » الذى استقال من وزارة « انتونى ايدن » احتجاجا على العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ والتاريخ يعيد نفسه !

وعندما سمع المصريون بنبأ ضرب الاسكندرية واحتلال الانجليز لها ازدادت حماسة جميع افراد الشعب وكانت المواكب تسير فى انحاء البلاد وقد عبرت عن احتجاجها بما كانت تردده جموعها من هتافات ضد سيمون وهو قائد الاسطول الانجليزى .

● الشيخ والبابا يؤيدان عرابى :

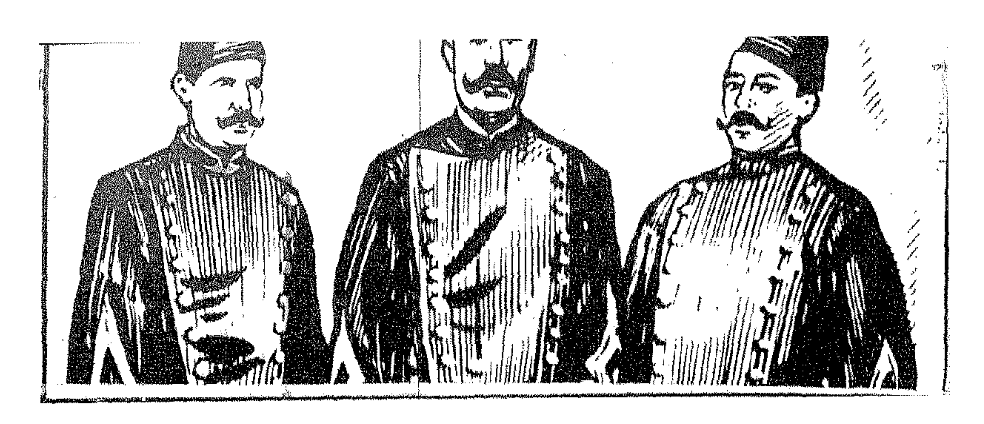
وبعد ما سقطت الاسكندرية وقرر عرابى المقاومة ، عزله الخديو ، فدعا عرابى جمعية وطنية ضخمةالى الاجتماع بالقاهرة وقد ضمت اعيان البلاد وكبار رجالاتها ، وقد بلغ عددهم نحو اربعمائة عضو وكان بين المشتركين فيها البابا كيرلس الخامس والشيخ الانبابى شيخ الاسلام والمفتى وعدد كبير من العلماء ووكلاء البطريكخانات . ووقع البابا مع الحاضرين القرار الخطير الذى صدر من هذه الجمعية والذى نص على الاستمرار فى الحرب ضد الاحتلال الانجليزى وابقاء عرابى فى منصبه كوزير للحربية ليتولى شئون الدفاع عن البلاد ضد الاحتلال ، وان الانجليز قد خرجوا عن تعاليم المسيحية الحقة التى تدعو الى السلام وعدم الاعتداء .

● تحطيم تمثال ابراهيم باشا :

وبلغ سخط الجماهير حدا كبيرا وصل الى خروج مظاهرة من الازهر ، كان على رأسها الشاب الشيخ سعد زغلول ، الى المكان الذى توجد بههيئة البريد اليوم ، والذى كان فضاء اقيم فيه تمثال ابراهيم باشا وحطمت المظاهرة ذلك التمثال وقذفت بأجزائه فى الحفر والخرائب التى كانت بتلك المنطقة .

● الامراء يؤيدون عرابى :

لم يكن العلماء والادباء والاديان وكافة افراد الشعب المصرى وحدهم يجلون عرابى ويريدونه ، بل شاركهم فى ذلك الامراء والاميرات فهذا الامير ابراهيم حليم يكتب الى عرابى وهو بكفر الدوار



الزعيم احمد عرابى

خطابا يؤيده فيه ويدعو له بالنصر ويستهل خطابه بقوله : « الى صاحب السعادة حامى حقوق مصر احمد عرابى باشا » .

هذه الاميرة انجه هانم ارملة المرحوم سعيد باشا والى مصر ، كانت فى طليعة الاميرات المتحمسات لحركة عرابى باشا ولذلك اهدت اليه خيمة زوجها ، كما كتبت الى المستر برودلى ، بعد الحكم على عرابى (١) تثنى عليه اعظم الثناء وتشكره على ما قام به من جهد ، وقدمت اليه والى انجليزى آخر هدايا غالية .

وقد ذكرت الاميرة نازلى لمستر برودلى ان — اغلب الاميرات كن يؤيدن عرابى وان حماسة بعضهن وصلت الى حد ارسال البرقيات لشد ازره ، بل ذهبت الاميرة انجه ارملة سعيد باشا الى أبعد مما يمكن تصوره ، اذ عرضت عليه « أن تتزوجه لانها تراه منقذ مصر » .

وقد اكدت تلك الاميرة لبرودلى ان عرابى « كان اول وزير مصرى حمل الاوروبيين على طاعته وقد رفع المصريون رؤوسهم فى عهده ، ولم يجسرو اليونانيون ولا الايطاليون على الاعتداء على القانون ، فلما هزمته الخيانة ونفى اصبح المصريون وحدهم هم الذين يقعون تحت سلطان الشرطة ، ويفعل الاوروبيون ما يشاءون »

● خديعة ديلسبس

وحاول الانجليز التقدم نحو القاهرة ولكن الجيش المصرى أوقفه عند كفر الدوار . ولذلك انتقلت أغلب قواتهم بحرا الى منطقة قناة السويس واخترقت القناة ، ونزلت بالاسماعيلية بفضل خديعة ديلسبس الذى أوهم العرابيين ان انجلترا لا تستطيع اختراقهما تبعا للاتفاقات الدولية .

وانتقل عرابى الى التل الكبير ، وهناك تقاطرت الوفود من المتطوعين للقتال كما انهالت الهدايا من مختلف الاطعمة والماكولات .. وبدأ القتال وانتهى بالهزيمة لعرابى .

وانهزم الجيش المصرى لا عن ضعف ولكن لتضافر عوامل الخيانة ، وكان زعيمها ومحركها محمد سلطان باشا الذى وزع بشتى الطرق ذلك المنشور الذى اعلن فيه عصيان عرابى وخروجه على طاعة السلطان العثمانى خليفة المسلمين كما قدم باسم الانجليز والخديو الرشاوى لرؤساء القبائل البدوية وبعض الضباط المصريين للانضمام الى الانجليز والعمل على خذلان عرابى ، واخيرا وليس اخر خديعة ديلسبس لعرابى بشأن مرور الانجليز بقناة السويس .

وعجل عرابى بالقدوم الى القاهرة للدفاع منها ، ولكن عدم وجود القوات التى تحقق ذلك الهدف دفع بعرابى الى تسليم نفسه اسير حرب للقوات الانجليزية التى وصلت الى القاهرة ورابطت بالعباسية ، وكذلك

(١) هى ابنة الامير مصطفى فاضل وصاحبة أشهر صالون اجتماعى فى أوائل هذا القرن وكان يتردد عليه سعد زغلول ومصطفى كامل، والشيخ محمد عبده وغيرهم ، وهى التى خطبت صفية هانم زغلول لسعد زغلول ..

فعل البارودى وغيره من القادة ، كما سلمت الحاميات فى مختلف الجهات. وبدات سلسلة من الاعتقالات حتى امتلات السجون .

● **الوفاء لعرابى :**

وقبل ان يسلم عرابى نفسه للانجليز قصدالى بيته ليودع اسرته ، وليطمئن على مصيرها ، وعلى مصير اوراقه الخاصة ، لعلمه بان الخديو ورجال الشرطة وعملاء الاحتلال سيهاجمون بيت عرابى ويستولون على ما به من مستندات وربما يقبضون على زوجته واولاده ولذلك وكل أمر رعايتهم الى خادم لديه يدعى محمد .

وبادر محمد هذا الى البحث عن شقة متواضعة بحارة النصارى المتفرعة من شارع كلوت بك على مقربة من دار البطريركية القديمة ، والتى تقيم فيها عدة أسر مصرية قبطية ، وانتقلت اليها الزوجة وأولادها وبناتها ، دون أن يعلم بأمرهم أحد ..

وما هى الا أيام قلائل حتى عرف الجيران الاقباط بأمر الاسرة الجديدة ووقفوا على سرها ، فاحتضنوها واقبلوا على معاونتها بكل ما يستطيعون على الرغم من ان أغلبهم من البسطاء وفى شدة الحاجة الى المكافأة التى رصدتها الحكومة لمن يبلغ عنها ، بل وذهبوا الى حد تغيير أسماء الزوجة والاولاد فابنته « رقية » اصبح اسمها « مريم » وهكذا .

واقامت اسرة عرابى فى هذه الحارة ست سنوات كاملة دون ان يعرف الانجليز والحكومة المصرية مكانها ، وبعدها هدا غضب الانجليز والخديو فتركت حارة النصارى وقامت بالسيدة زينب .

ولما عاد عرابى عام ١٩٠١ وجد الجميع فى انتظاره وظلت الزوجة الوفية الى جواره حتى توفيت عام ١٩١٠ اى قبل وفاته بعام .

● **المحاكمة**

وبدات محاكمة عرابى ومن الغريب ان الذين تطوعوا للدفاع عنه كانوا من انجليز وفى طليعتهم « برودلى » ، كما تبرع عدد منهم بمبالغ مالية للدفاع عنه وكان من بين هؤلاء لورد « راندولف تشرتشل » والد السير « ونستون تشرتشل » وانتهت المحاكمة لعرابى وغيره بالحكم على عرابى واخرين بالاعدام الذى استبدل بالنفى المؤبد خارج مصر ، وصدرت احكام مختلفة على ما يقرب من ١٥٠ من المتهمين .

● **مكافاة الخونة**

لم يكتف سلطان باشا بالدور الذى لعبه **بل اشترى هو وبعض ضعاف النفوس اسلحة فاخرة ، سيفان وطبنجتان ، وقدموها هدية للاميرال سيمور والجنرال ولسلى « شكرا لهم على تخليص البلاد من غوائل الفئة العاصية الباغية » (كذا) .**

ولم يبق الامكافاة سلطان باشا على ما قدمه وقد انعم عليه الخديو بنيشان ومنحة عشرة الاف جنيه لماظهره من الصداقة لحكومتنا الخديوية ومعارضته للعصاة . » وبعد اسابيع انعمت عليه ملكة انجلترا بوسام يخول له حمل لقب « سير » فاصبح بموجبه السيد محمد سلطان . واخيرا عين رئيسا لمجلس شورى القوانين ، ولكن ذلك لم يشبع نهمة فتاثر نفسيا واعتلت صحته فقصد الى النمسا للعلاج حيث وافته المنية بعد اشهر قلائل .

● **بيت عرابى بيت الامة :**

اذا سالت عن مبنى مجمع الاطباء فى مدينة القاهرة ، لقيل لك انه عمارة بناجا التى تطل على ميدان الفلكى وتواجه الناحية الخلفية لوزارة الاوقاف

هذه العمارة تقوم الآن مكان البيت الذى كان يقيم فيه عرابى حتى قبض عليه وبدات محاكمته ثم نفيه خارج مصر وقد شهد هذا البيت أياما كان فيها

كمبة يحج اليها المصريون من جميع الطبقات ليعبروا عما يجول فى خواطرهم من امال يرجون تحقيقها على يد عرابى وفى طليعتها اعادة الحياة النيابية ورفع المظالم » وعرف يومئذ باسم « بيت الامة » ، كما جرى به العديد من الاجتماعات الهامة التى كان لها اثر كبير فى مجرى الحوادث التى ادت الى الثورة العرابية .

وقد تعرض هذا البيت ، بمجرد اعتقال عرابى للسلب والنهب على ايدي رجال الخديو بحجة التفتيش عن الاوراق والوثائق التى تدين عرابى.

وكان يواجه بيت عرابى ، على الناصية الاخرى « مكان محطة البنزين وعمارة مكتب بريد الفلكى ، وبجوار مطبعة شركة مصر » بيت على فهمى باشا زميله ، وقد لقى بيته مثل مالقى بيت عرابى من اعتداء مشين ..وضاقت زوجة على باشا بهذه المعاملة فانتهزت فرصة مرور الخديو توفيق امام بيتها وخرجت الى الشارع وامسكت بزمام الخيل واستوقفت عربته وصرخت فى وجهه قائلة : « ياتوفيق ! استح من الله ، ان ما يعمله رجالك ، بايعاز منك حرام عليك ! والله المنتقم »

ولم يجد الخديوى ما يرد به ، وكل ما عمله أن امر بسلوك طريق اخر مستقبلا

ولما صودرت املاك عرابى اعطت الحكومة بيته الى سيدة انجليزية جعلت منه مستشفى خاصا لعلاج ضباط الجيش البريطانى ، واقيمت بفنائه بضعة دكاكين تطل على الشوارع المحيطة به ، كان احدها مكتبة انجليزية لبيع الكتب الدينية !

وانتهى الامر بهدمه فى اوائل هذا القرن واقيمت مكانه العمارة الحالية ، التى تطل من جهاتها الاربع على ميدان الفلكى ووزارة الأوقاف وشارع نوبار وشارع التحرير .

ولما عاد عرابى من المنفى عام ١٩٠١ اقام فى منزل زوجته بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت ، على رمية حجر من دار الهلال ، وظل به حتى انتقل الى رحمة الله .

فهلا اقامت وزارة الثقافة والاعلام لوحتين تذكاريتين على جدارى البيتين تكريما لذكرى هذا البطل الخالد ؟

● مستشرق انجليزى .

وبينما كانت انجلترا تعد كافة الوسائل لاحتلال مصر وهزيمة عرابى ، لم يفتها وقد فشلت فى اشعال نيران ثورة داخلية ضد عرابى ، ان تلجأ الى اثارة بدوسينا لتاليبهم على عرابى ولتامين مؤخرة الجيش الانجليزى عند دخوله البلاد ، فانتدبت لذلك مستشرقا يدعى «ادوين بالمر » ، وكان استاذا للغات الشرقية بجامعة كمبردج وبرع فى اللغة العربية وخاصة لهجات البدو وعاداتهم ، لقيامه بالتنقيب عن الاثار فى فلسطين مرارا ،واستجاب « بالمر » لرغبة حكومته ، ولا شك انه بذلك قد انحدر بكرامته العلمية وازرى بالعلم حين ارتضى أن ينزع لباب الاستاذية ليلبس لباس الجاسوس

وقد غير من شكله ليظهر بالمظهر الذي يلائم مهمته فاطال لحيته ووضع على رأسه طربوشا طويل الزر وارتدى الثياب التى كان يرتديها الاتراك يومئذ وغير اسمه وتسمى باسم « عبد الله افندى » وادعى الاسلام والصلاح والتقوى .

وفى يافا اتخذ من احد الاعراب دليلا الطريق من يافا الى السويس عبر صحراء سيناء وفى الطريق كان يجتمع بشيوخ البدو ورؤساء القبائل ويوزع عليهم الرشاوى الجزيلة ويدعوهم الى الانتقاض على عرابى لخروجه على طاعة الخليفة سلطان المسلمين ، كما كان يشترى من الاعراب الجمال والخيل لمساعدة الجيش البريطانى فى حمل مهماته .

●●

أحمد رامى

● ادوار حنا سعد ●

رامى .. بركب القضاء ناء .. وليس بنائى
الصوت غاب وتبقى سواحر الأصداء
لا يغرب الفن عنا إلا غروب ذكاء
تعود كل صباح بعد احتجاب المساء
كان الشعاع المصفى وكيف موت الضياء ؟
وترجمانا أمينا عن النفوس الظماء
برقة اللفظ يشدو وبالمعانى الوضاء
تنزلت من بروج مسحورة .. وسماء
آياته شائعات فى حصة الشركاء
وعيشه فى قلوب الـ عشاق والندماء
من يسبق العمر شوقا إلى نعيم اللقاء !
ومن يعيب التدانى فى خطوه المدناء
والشوق بعد سلو واليأس بعد رجاء
شاد جديد وصوت فرد .. بلا نظراء
منديل كل شكاة وزهر كل لقاء !

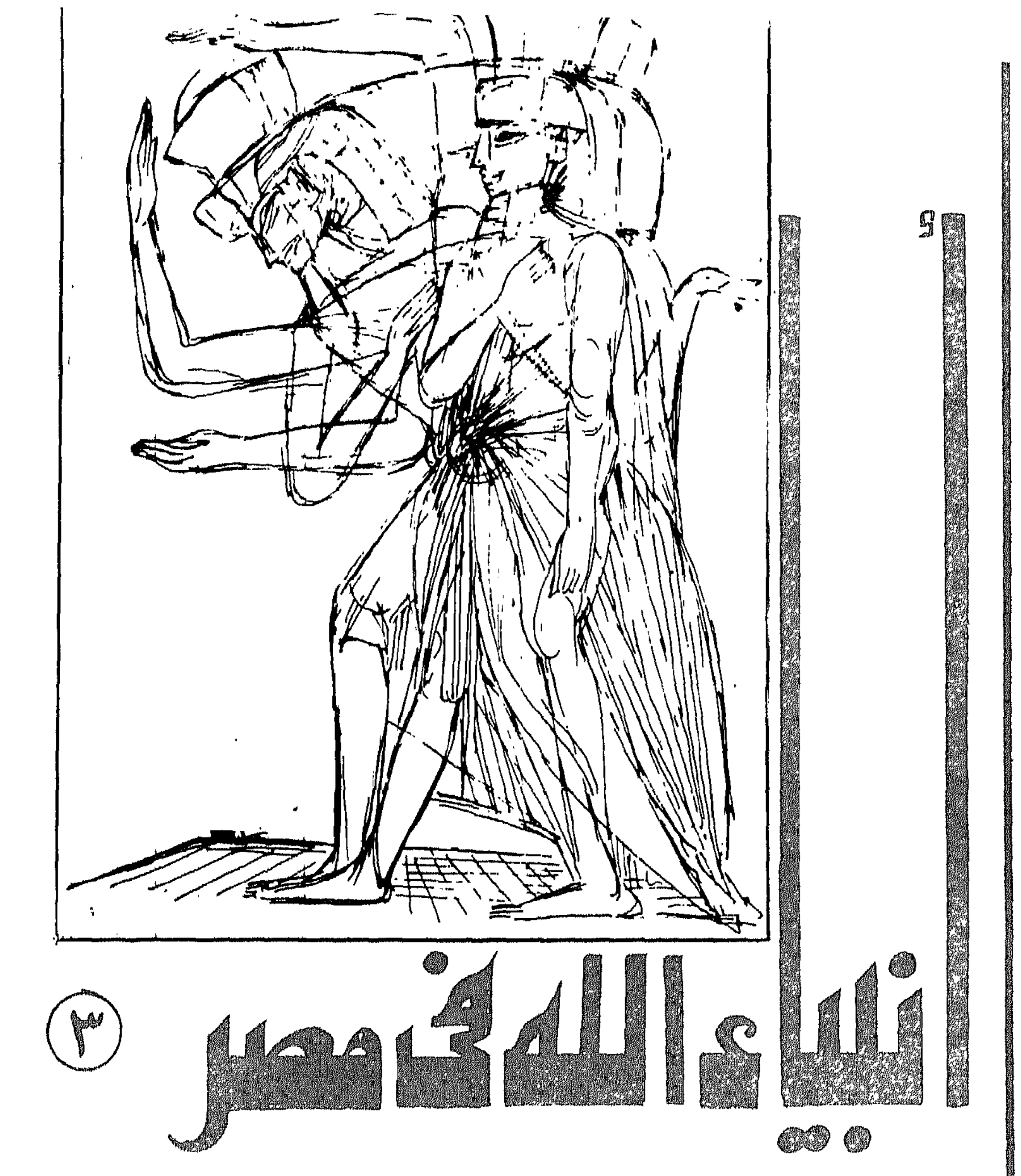
***

كم نلت بالود حظا من سيد الظرفاء !
يخفى .. حياء ولطفا فضلا بغير خفاء
فيه الثقافة ضوء سداه من أضواء
جذورها راسخات وفرعها فى السماء !

***

عجبت كيف وقوفى فى مغرب الأضواء
وكيف أرثى كبيرا أراه فوق الرثاء
وكيف أسعى بزهرى للروضة المعطاء
أحسنت فضلا وبذلا فانعم بحسن الجزاء !





انبياء الله فى مصر (٣)

● د. سيد كريم ●

● النبي هارون ١٢١٧ ق.م

((واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقدمناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا))

((ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا المتقين)) قران كريم

ـ اختلف مؤرخوا كتب الانبياء ومفسروا كتب الاديان فى علاقة النبى هارون بسيدنا موسى عليه السلام وصفه البعض نقلا عن الكتب السماويه بانه الاخ الشقيق لموسى ،بينما وصفه البعض الاخر بانه كان اخا فى الرضاعة ويؤكد البعض الثالث بانه كان بمثابة الاخ الروحى لموسى فى العقيده وواسطه الاتصال بينه وبين الطوائف التى بدا ينتشر بينها عقيدة التوحيد .

وقد فسر الكاتب فرويد فى كتابه ((موسى والتوحيد حقيقه العلاقه بين موسى وهارون عندما اثبت ان موسى كان اميرا مصريا تربى فى قصر فرعون وانه كان قائدا عسكريا حقق نصرا فى

الحملة على الحبشه والتحق بمعبد أون حيث درس اللاهوت عقيدة التوحيد التي سبقه اخناتون الى دراستها بنفس المعبد وقام بثورته المعروفه

كما تزوج موسى من مصرية ، وهى ابنة النبي شعيب الذى كان بدوره من طائفة الموحدين الذين هربوا الى سيناء ومدين بينما وصف سفر الانبياء هارون انه كان من طائفه اليهود المنبوذين بمدينة قنطير - وقام هارون بالاعداد لثورتهم عند غياب موسى فى مدين .

ولما امر الله موسى بان يخرج ببنى اسرائيل من مصر خشى الا يطيعوه لانه ليس منهم وانه قتل واحدا من انصاره « قال ربى قتلت نفسا منهم فاخاف ان يقتلون واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون فقال سنشد عضدك باخيك ويجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون سورة القصص

وهكذا خرج اليهود من مصر مع موسى وهارون

● والحادث الثانى فى علاقه كل من موسى وهارون باليهود يتمثل عندما كفر اليهود بموسى ورسالته ؟ واتبعوا السامرى الذى امرهم ان يخلعوا حليهم التى استولوا عليها من المصريين وصنع لهم منها عجلا جسدا له خوار ، وقال لهم هذا الهكم واله موسى ولم يقو هارون على اقناعهم برسالة موسى ، فغضب موسى عليهم الى اخر القصة ونزلت اللعنه على بنى اسرائيل وحكم عليهم بالتيه والتشرد اربعون سنه ، وتخلف هارون فى وادى الطور ، حيث مات فى نفس السنة

وعلى تل مرتفع قليلا يقع قبر النبى هارون شقيق موسى فى العقيده وذراعه الايمن فى الدعوة .

وقد عاصر النبى هارون حكم كل من رمسيس الثانى الذى قام بحمله اضطهاد اليهود ، والملك مرنبتاح فرعون موسى الذى طردهم من مصر .

● النبى شعيب ١٢٦٠ ق.م

ذكر اسم النبى شعيب فى تاريخ الانبياء فى مصر عندما خرج موسى من مصر « خائفا يترقب » قال رب نجنى من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل »

والنبى شعيب من طائفه الموحدين الذين درسوا رسالة التوحيد الاخناتونية التى خرجت من معبد اون وخرجت من العمارنه تطوف بالبلاد الاسيويه والجزيرة العربية وتشرد دعاتها بعد فشل دعوتهم فى مصر ، وهاجروا الى سيناء والجزيرة العربية واطلق عليهم « جرهم » اى مهاجروا مصر ، وانتقل كثير منهم الى مكه وهم قبائل «جرهم» والصاب الصابئة اى اصحاب دعوة التوحيد ، وانضم البعض الاخر الى قبائل بنى مناف من مهاجرى منف من ارض الكنانسة قبل ابراهيم عليه السلام

وكانت زيارة الكعبة جزءا من شعائر عقيده التوحيد الفرعونيه فى مختلف مراحلها ، مما يفسر زياره معظم الانبياء الذين لجاوا الى مصر خرجوا منها لزياره الكعبه ، فى مقدمتهم سيدنا ابراهيم ويعقوب ويوسف وشعيب وغيرهم

وعندما اوى النبى شعيب سيدنا موسى ، وزوجه احدى ابنتيه اشترط عليه مرافقته لزيارة كعبة العقيدة «قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك» سورة القصص الى اخر القصة التى راى فيها موسى برهان ربه على جبل الطور

ومات النبى شعيب ودفن فى مدين عام ١٢٢٤ بعد ان ناهز المائه عام ، اى انه عاصر كلا من سيتى الاول ورمسيس الثانى

● النبى داود ١٠٠٤ ق.م

اول من اسس دولة اسرائيل قام بزيارة مصر قبل ان يتولى الحكم حيث قضى بضعه اشهر فى مدنه عباشسان بالقرب من معبد اون الذى سبقه الى زيارته كل من ابراهيم ويعقوب ويوسف قبل حملهم رسالة التوحيد ودعوتها .

كانت زيارته لارض مصر المقدسة كما وصفها سفر الانبياء عام ١٠٠٤

ق.م فى عهد الملك بسوسنس الثانى احد ملوك الاسرة ٢١ م ق من مصر نقل اناشيد اخناتون بشعرها الغنائى وتراتيلها الموسيقية ليرتلها اليهود فى صلواتهم فنسبوها الى النبى داود واطلقوا عليها اسم « مزامير داوود »

● النبى سليمان ٩٥٠ ق.م

زار سليمان الحكيم مصر كما ورد فى سفر اخبار الناس الثانى من التوراه وسفر الانبياء فى السنوات الاولى من حكمه ليتقرب الى المصريين ويوطد علاقات الصداقه والسلام معهم فى عهد الملك اوسركون الاول احد ملوك الاسرة الثانية والعشرين .

((فاكرم فرعون مصر وقادته ، وزوجه من احدى بناته الفرعونيات ، ووهبه حصن جيزر كمهر لابنته)).

وتذكر بعض اساطير اليهود ان ميله لها جعلها تؤثر عليه ليترك الهته ويعبد الهة المصريين فغضب عليه الرب وانزل صاعقه نسبها البعض الى الزلزال الذى حطم جزءاً من مبنى قدس الاقداس اثناء البناء .

بقى ان نعرف ان المهندسين المصريين هم الذين تولوا بناء هذا الهيكل الاسطورى فى سبع سنوات .

واشترك فى بنائه مائه وخمسون الف عامل وصفوا بانهم من ابناء بناة الاهرام الخالدة ، واستوردمواد بنائه من اخشاب الارز واحجار المرمر والذهب والاحجار الكريمه من البلاد المحيطه به والتى وقع معها معاهدات السلام

كما يصف التاريخ كيف هدم سيشنق الاول فرعون مصر الهيكل عام ٩٥٠ ق.م عندما اغار بجيوشه على فلسطين لاستردادها وضمها الى ارض مصر .

● النبى يوشع ٦٦٠ ق.م

قاد جيوش اليهود لاحتلال سينا فيتصدى له الملك نخاو الثانى وقتله فى معركه الوادى ، فحمله اتباعه على فرسه وعادوا به ليدفن فى اورشليم

● سيدنا عيسى ٢ ـ ١٦ ميلاديه

كانت رحلة السيد المسيح الى مصر فى العام الثانى من مولده .. بدأت



سليمان الحكيم وكرسى العدالة

بقول الملاك ليوسف النجار ((قم وخذ الصبى وامه واهرب الى مصر البلد الامن وكن هناك حتى اقول لك ، لان هيرودس يطلب الصبى ليهلكه)).

بعدالمجزرة التى روى فيها هيرودس ارض بيت لحم بدماء الفى طفل ، وهى المرحله التى كان لمصر فيها الفضل فى حمايته وكان لمصر فيها الفضل فى رعايته والحفاظ على رسالته الساميه وقيام الديانه المسيحية .

خرجت القافلة المقدسة التى تتكون من يسوع الطفل وامه ويوسف النجار وسالومى ، من بيت لحم الى الخليل وبئر سبع ، ويمكن تتبع طريق رحلته الهجرة مما ورد فى الوثائق [illegible] والمراجع التاريخيه كما يلى [illegible] اول مدينة وصلوا اليها على ارض مصر المقدسة مدينة الفرما وتقع على بعد ٣٠ كيلو متر شرقى بورسعيد ومنها انتقلوا الى مدينه بوباستت (تل بسطة) وكان بها معبد الاله باست حيث ظهرت اول معجزات المسيح فى مصر عندما تهاوت تماثيل المعبد منذ دخوله [illegible] تحمله امه .

ثم تبعتها معجزة شفاء زوجة الكاهن افلون الذى اواهم فى منزله ليحميهم من بطش ثوره الحاكم- وكانت مشلولة من سبع سنوات فلما رأت الطفل ، قامت لتحتضنه زال عنها الشلل .

ونزلت الرسالة التى تقول « فى مكان بيت اقلوم ستقام كنيسه يخلد فيها أسمك الى الابد » ويوجـد فى مكان البيت حاليا كنيسه للعذراء مازالت تفتح ابوابها لشعائر الدين كل يوم.

وظهر ملاك للقافلة مرة اخـرى وامرهم بالهروب خلال حقول القمح فى طريق معوج حتى بلغوا مدينه بلبيس واتجهوا منها الى سمنود ثم المطلع ، حيث تقوم كنيسة الملاك ميخائيل .

وانتقلوا منها الى منطقه بيخاسـوع (كعب يسوع) التى تحكى الاسطوره انه دق فيها بكعبه على حجر تفجر منه منبع من الماء المقدس ، بنى حوله «دير المغطس » الذى لازال يحتفظ بداخله بالحجر الذى دق عليه وعـين المياه المقدسة .

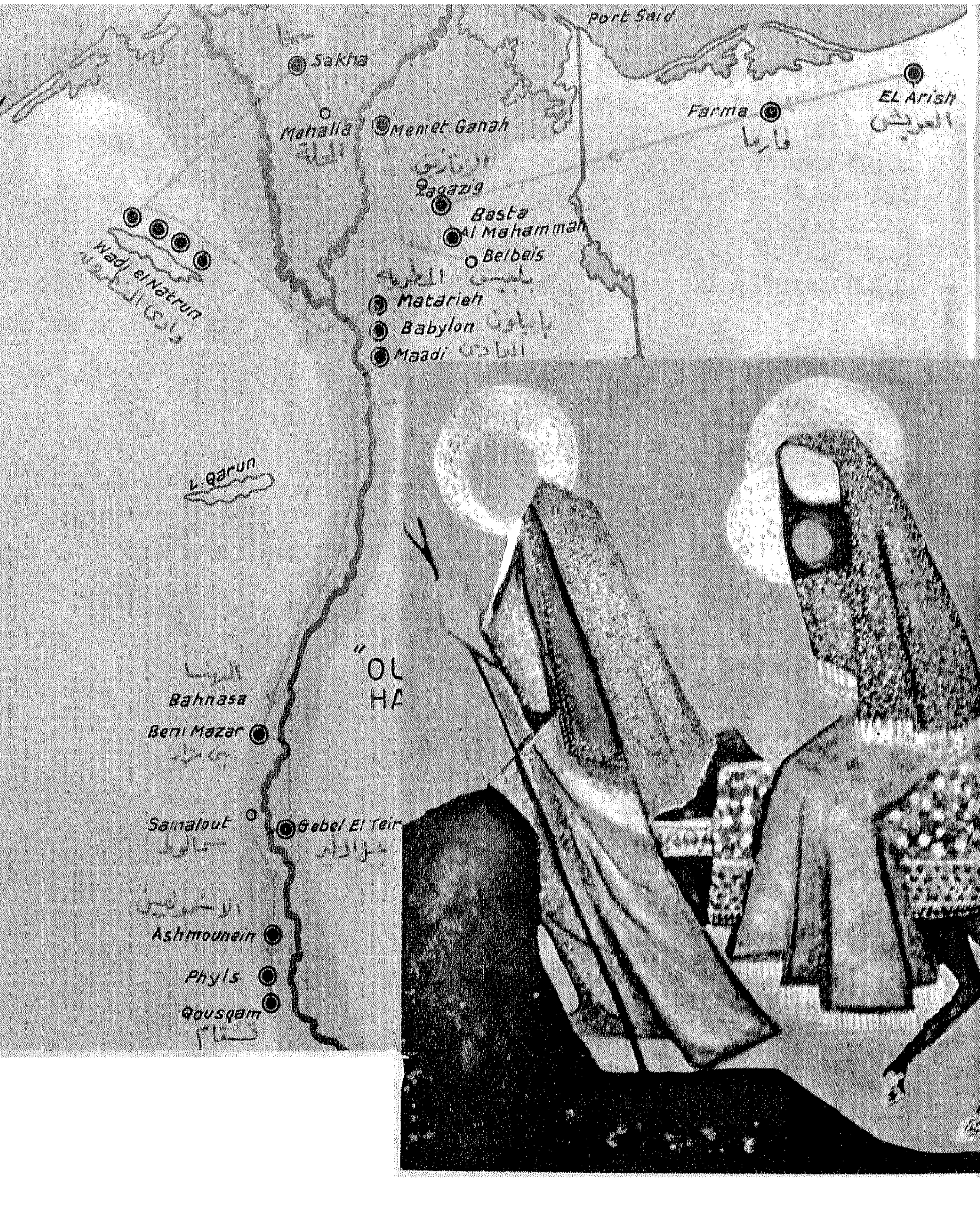
ثم عبرت القافلة المقدسة فرع رشيد فى مراكب الصيد الى الضفة الغـربية وساروا منها الى وادى شهيب (وادى النطرون) وكان يحوى مجموعـة من المعابد الفرعونية - وهو الوادى الذى تنبأ المسيح بانه سيكون كعبةالمسيحية فى الارض المقدسة التى يسكنها عـدد كبير ممن دخل النور قلوبهم وصفت سريرتهم ليعبدوا الله ويذكروا اسمى واسمك ».

وقد تحققت النبوة فتحول وادى النطرون الى مركز من اكبر مراكـز المسيحية فى التاريخ حيث كان به من القرن الرابع الميلادى خمسمائه ديـر تضم اكثر من خمسين الف راهب ، بقى منها الان اربعه اديره اهمها شهرة دير السريان .

استمرت اقامة العائلة المقدسة فى وادى النطـرون ثلاثه اشـهر انتقلت بعدها الى مدينة اون (عين شمس) القى المسيح بعصاه فى صحن المعبد ، **فاورقت شجرة البلسم التى اشتهرت** فى عين شمس وكان حاكم مصر يستولى على عصارتها المقدسة ويهديها للملوك والاباطرة ومن اون اتجهوا الى المطريه فى طريقهم الى بابيلون (مصر القديمه) ونامت مريم وفى حضنها الطفل يسوع **تحت شجرة الجميز المقدسـة التى**



المسيح الطفل والعائلة المقدسة فى وادى النطرون ..



انحنت بفروعها لتخفى الطفل عن اعـين
جنود هيرودس الذين مـروا فى ذالك
الوقت بالقرب من الشجره بحثا عنهم
ولاتزال شجرة الجميز المقدسـة
قائمه مكانها حتى الان وتعد من المزارات
التذكاريه المقدسة ثم انطلقت القافلـه
جنوبا حتى وصـلت اسوار بابيلون
حيث اقامـوا فى مغاره الكهف المقدس
الذى يقع تحت كنيسه « ابى سرجه »
بمصر القديمه . ومنها هربوا ليلا الى
المعادى وركبوا مركبا كان راسيا فى
انتظارهم عند شاطىء المعادى فى المكان

الذى تقع فيه حاليا كنيسه العذراء وتعتبر من المزارات المقدسة

« حيث طبع المسيح قدمه على درجاتها التى كانت درجات المرسى »

وسارت الركب جنوبا حتى توقفت من الفشن ، ومنها ساروا برا حتى معبدا ابيس فى بهنا وتوجهوا منها مرورا بمدينه القوصية الى قرية « فسقام » التى شاهدت العديد من معجزات الطفل المعجزه فى شفاء المرضى واعاده البصر والنطق الى الاخرس ، وهو المكان المقدس الذى اقيم فيه الدير المحرق وكنيسه العذراء فى القرن الرابع الميلادى مكان احد معابد ايزيس القديمه . ويتوسط هيكل الكنيسه الحاليه الحجر الذى كان المسيح عليه السلام يستخدمه مخدعا ينام عليه .

غادرت العائله المقدسة الدير المحرق للعوده الى فلسطين عندما اوحى الملاك « قم وخذ الصبى وامه واذهب الى فلسطين فانه قد مات من يطلبون نفس الصبى »

وعادت العائلة المقدسة من فسقام الى بابيلون مباشره حيث اقاموا ليلة فى كنيسه السرجه ، ومنها مروا بالمطريه لزيارة الشجرة المقدسة مرة اخرى حيث تركوا الحوض الحجرى الذى استحم به المسيح — ومازال موجودا به الى الان — ومنها اتجهوا الى قريه المحمه (مسطرد) حيث فجر بها المسيح بئرا مقدسة ، واتجه منها الى طريق الاسماعيلية الحالى حتى البحيرات المرة ، واتجهوا منها شمالا الى شاطىء البحر وساروا بمحاذاة الشاطىء حتى وصلوا الى الناصرة فى فلسطين .

وكانت هجرته الى فلسطين فى العام السادس عشر الميلادى اى ان اقامته فى ارض مصر كانت اربعه عشر عام .

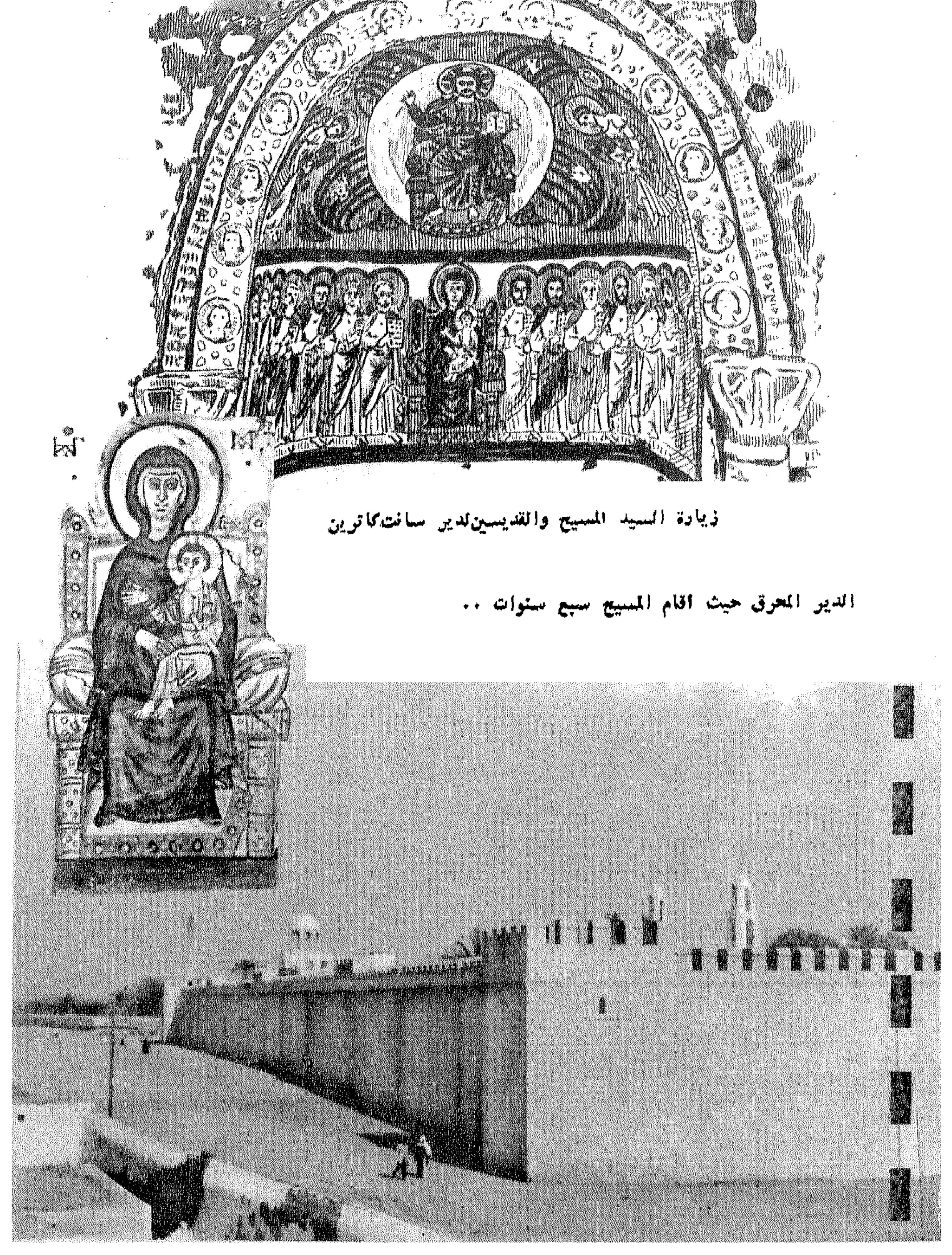
● الوادى المقدس .. طريق الانبياء

يقع الوادى المقدس فى قلب سيناء عند سفح جبل الوحى وقد ذكر مؤرخوا العرب ان اسم سيناء مشتق من كلمه سن اى سن الانسان ، وارجعوا ذلك الى شكل الجبال المدببة الشبيهة بالاسنان وتحيط سلسلتها و فكهما بالوادى . بينما ورد اسم سينا فى تاريخ الفراعنه من اقدم العصور باسم « ارض سن » او ارض الفجر .

لقد ورد اسم الوادى المقدس فى جميع الكتب المقدسة وصحف الانبياء، واطلق عليه الفراعنه عده اسماء منها وادى الملائكة ، ووادى المعبوده حتحور حامية المناجم ووادى الموحدين الذين هاجروا اليه فى مختلف ثورات العقيده وفى اعقاب الانقلابات الدينية التى حلت بالبلاد فى الدولة القديمه عام ٢٢٨٠ ق.م فى عهد **الاضمحلال الاول** عند قيام الثورة « الشيوعيه » الاولى التى هدمت معابد مدينة منف وطاردت الكهنة وحرمت العباده فنجا اهل منف وكهنتها الى الوادى المقدس بارض سينا وهربوا منها الى الجزيرة العربية حيث اطلق عليهم اسم وجرهم — اى مهاجرى مصر — التى لجات اليهم هاجر المصريه زوجة سيدنا ابراهيم وام اسماعيل عندما تركها ابراهيم فى مكه لانهم يتكلمون لغتها .

كما لجا الى الوادى المقدس وهاجر منه ايضا الى الجزيرة العربية اتباع عقيدة التوحيد الاخناتونية بعد ثورة العمارنة عام ١٣٧٥ ق.م ويطلق عليهم اسم « السابى » أو المتوحدون. واطلق على من هاجر منهم الى الكعبة الصائبة وهو ما يفسر مرور جميع الانبياء الذين هبطوا الى ارض مصر « ارض السلام والاسلام » او خرجوا منها مرورهم بالوادى المقدس فى طريقهم الى الكعبة

وقد اطلق على كهنة التوحيد واتباعهم الذين لجاوا الى الوادى المقدس : اسم المتوحدون ، وينسب كهنة معبد الطور بدير سانت كاترين انهم من سلالة المتوحدين الذين هاجروا مع موسى عليه السلام وتخلفوا عن اليهود فى الوادى المقدس مع النبى هارون عندما كفر اليهود برب موسى وعبدوا الثور ، فطردهم الاله من الوادى المقدس الى صحراء التيه — بينما تذكر بعض الوثائق المسيحية القديمة انهم من سلالة الفراعنة الذين هاجروا الى الوادى المقدس قبل هجرة موسى وقد وصفتهم احدى المخطوطات القديمة المحفوظة بدير سانت كاترين بقولها :

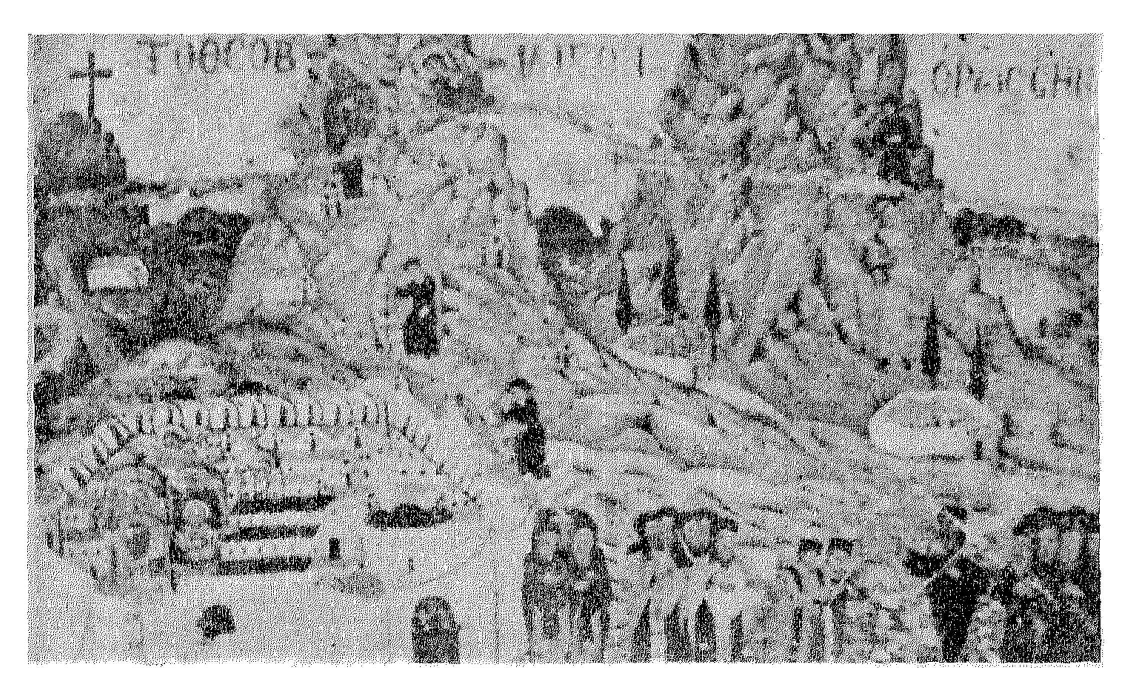


زيارة السيد المسيح والقديسين لدير سانت كاترين

الدير المحرق حيث اقام المسيح سبع سنوات ..

« كان اوائل المتوحدين النساك القانعون بعطاء الله يعيشون وحدهم فى كهوفهم يحرقهم الفقر المدقع ولا عمل لهم الا الصلاة ، والصلاة فقط، ويجتمعون فى ايام اعيادهم الدينية في مكان العليقة المحترقة ليسمعوا الكلمة الروحية من رئيسهم ، ويتناولوا سر المناولة المقدسة ، وقد قاسوا كثيرا من الحرمان »

وفى أرض سيناء فى تراب الوادى المقدس وبالقرب من قبر النبى هارون يوجد مقام النبى صالح الذى بعثه الله الى أهل ثمود رسولا ليدعوهم الى عبادة الله تعالى بعدما خالفوا أمره



احدى الوثائق التاريخية للوادى المقدس وجبل الوحى ومعبد الاله مزار الانبياء والقديسين « القرن الثالث

وعبدوا الاصنام وافسدوا فى الارض ، فتنكروا له وغدروا به بعدما عقروا الناقة آية الرسول ، فحضرهم عذاب الله واتتهم صيحة من السماء فلم يبق فيهم صغيرا ولا كبيرا الا هلك .

وعاد صالح للقاء ربه فى الوادى المقدس حيث توفى وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وذكر الثعلبى فى كتابه « قصص الانبياء » أن النبى صالح مات فى مكة عند زيارته للكعبة ، وان اتباعه نقلوه ليدفن فى الوادى المقدس الذى تلقى فيه أمر الاله بالرسالة الى أهل ثمود .

وتقول احدى المخطوطات القديمة المحفوظة بالدير ـ »

« ارسل اباء الدير وفدا الى المدينة سنة ٦٢٥ بعد الميلاد وحسبما يروى ، لكى يطلبوا من مؤسس الشريعة الاسلامية حماية مدنية الامر الذى وافق عليه ووقع عليه بكفه على العهد المعروف لمساعدة المسيحيين اصحاب الانجيل والذى اعلن بموجبه انه يجب على المسلمين حماية الموحدين والدفاع عنهم مقابل جزية يدفعونها على قدر طاقتهم » .

ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زار الدير اثناء اسفاره التجارية وهذا امر محتمل لان القرآن الكريم يذكر الوادى المقدس والاماكن المقدسة فى سيناء ومصر البلد الامين وارض الكنانة فى اكثر من سورة . وهكذا تابع الدير حياته الاعتيادية بدون ازعاج عندما اصبحت سيناء تحت سلطة العرب سنة ٦٤١ ميلادية .

وهكذا ، فوق ارض سيناء التقت جميع الاديان ، وعلى طريق الملائكة بالوادى المقدس ترك انبياء الله الذين هبطوا ارض مصر ، تركوا اثار اقدامهم على ارض الوادى المقدس وهم فى طريقهم الى الارض الآمن .

فارض مصر التى ارتفعت منها اول شعلة عرفتها البشرية قبل نزول الانبياء والرسل ـ وهى رسالة التوحيد او « الاسلام » الذى وصف به القرآن الكريم جميع الانبياء ونادت به جميع الاديان .

و « رسالة الاسلام » هى الدعوة لنشر السلام بين شعوب البشر فوصفها تاريخ العقيدة مصر بانها « مهد الاسلام وارض السلام » .

دير سانت كاترين والوآدى المقدس فى سيناء ملتقى الاديان وطريق مرور الانبياء الى مصر ..



الدين لله والوطن للجميع

● الشيخ احمد حسن الباقورى ●

على بساط مصر الاخضر يعيش الاسلام والمسيحية في صفاء وتفاهم كاحسن ما تعيش الاديان السماوية التي تدعو كلها الى عبادة الله سبحانه والى المحبة والاخاء •

وقد انقضت علينا اربعة عشر قرنا فى هذا التآخى الطيب الكريم الذى يعبر عنه فى عمق اثنان من اعلام الفكر والاديان فى مصر فضيلة الاستاذ الامام حسن الباقورى وغبطة الانبا غريغوريوس اسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا وكلاهما بحر زاخر من العلم والمحبة وعلم فى اتساع الذهن والقلب ، وهما هنا يتلاقيان على صفحات الهلال ـ مجلة الفكر العربى •

● اعداد : موريس عزيز ●

● اننا نعيش منذ آماد بعيدة فى هذا البلد العظيم الذى لم يفارق الايمان فى طوره الفرعونى الوثنى ، ولا فى طوره القبطى المسيحى ، ولا فى طوره العربى الاسلامى • ومن حقوق هذا الايمان علينا ، مسيحيين ومسلمين ، أن نرعاه فى الاصول الخمسة التى يسميها علماء اصول الدين الكليات الخمس •• وهى :

١ ـ احترام النفس ، فلا يجوز العدوان عليها الا فى حدود القانون •

٢ ـ احترام المال ، فلا يجوز العدوان عليه فى اى حال •

٣ ـ احترام النسب ، فلا يجوز انتهاك حرمته فى اى حال من الاحوال

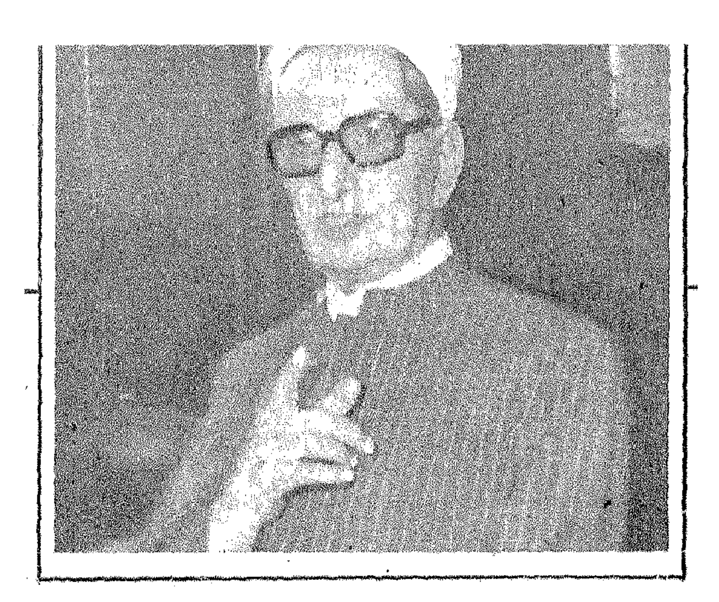
٤ ـ احترام العقل ، فالسكر حرم فى المسيحية والاسلام •

٥ ـ احترام الدين ، فالاعتداء على الكنائس والمساجد مناقضة للايمان •

● فعلينا ان كنا فعلا صادقين فى ايماننا مسلمين ومسيحيين ، ان نحرص على السلام الاجتماعى ، وان نتفاهم ونتعامل مع بعضنا بالحسنى لان هذا الوطن ملك للجميع ، وقد عاش فيه الجميع وخيرة للجميع : وخاصة ان على راس الدولة ، رجلا ، اقسام حكمه منذ اول يوم تولى فيه على الاعتزاز بالعلم واحترام الايمان ، وهما الدعامتان اللتان قام عليهما بناء مصر منذ اقدم العصور الى ان يرث الله الارض وما عليها ومن عليها ••

وقد وصف الله تعالى اتباع المسيح بالرأفة ، والرحمة ، وكل عمل يخلو من الرأفة والرحمة يناقض تعاليم السيد المسيح وقد قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم :

المسلم من سلم الناس من لسانه



● احمد حسن الباقورى ●

ويده » فالسلامة والسلام هما الشعار الحق للمسيحية والاسلام ، فمن شاء الحق فتلك هي السبيل ومن شاء غير الحق فان عناية الله لن تكون معه، ولو كانت معه قوى العالم اجمعين .

وانى اعتقد كما يعتقد كثيرون غيرى ان العلوم والفنون والاداب فى بلدنا قد اشترك فيها المسلمون مع اخوانهم المسيحيون .

من ذا الذى ينسى انطون جميل .. ومن ذا الذى ينسى الاستاذ صروف الكاتب الاديب المعروف ومن ينسى خليل مطران .. ومن ينسى جورجى زيدان

ومن ينسى كتابنا وادباءنا المعاصرين .. من ينسى مكرم عبيد .. ومن ينسى زعماء ثورة ١٩ اقباطا ومسلمين .. من ينسى البطريرك الذى رفض حماية روسيا للاقلية القبطية فى ذلك الوقت .. من ينسى شعار الهلال والصليب .. من ينسى دماء الشهداء مسلمين ومسيحيين فى حرب اكتوبر المجيد

وقبل هذا لن ننسى الاديب الكبير وهيب دوس وقد كان من ابرز الذين حملوا راية الادب الرفيع حتى لقد اقترحه الامام حسن البنا احد اعضاء الهيئة التاسيسية التى تكون لسان جمعية الاخوان المسلمين عندما تجهم لهما حسن صبرى ، فاراد الشهيد حسن البنا ان تكون جمعية الاخوان المسلمين قائمة برسالتها الاجتماعية وان تكون اللسان السياسى المعبر منها الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ وهيب دوس

وتلك حقيقة لا يجهلها الذين يقومون على شئون المسلمين ، ففى هذه المعانى الكبيرة ينبغى ان نصون وحدتنا فانها أعز شىء لدينا ، ويوم نفقدها لاقدر الله فاننا سنفقد كل شىء وسوف نكون بلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل .

● ان الفن كالعلم لا وطن له فكل فنان لابد ان يكون قد تأثر بفنان او **او فنانين وكل عالم لابد ان يكون قد تاثر بعالم او علماء فالمئذنة فى المسجد هى فى جملتها المنارة فى الكنيسة .. وعلى هذا النحو نفسه فالقبة فى المسجد مناظرة الى القبة فى الكنيسة فنحن اخوة فى كل شىء واذا كنا قد احتلفنا فى فلسفة العقيدة فاننا فى مجال السلوك لا نختلف ولن نختلف ابدا فلنحرص على ذلك جميعا ، ولندعو الى ذلك جميعا ، ولتكن مصر هى امنا التى تجمعنا حول ماض ماجد وحاضر مجاهد تجمعنا حول مستقبل منشود وخير كثير فى دنيا الدين والتدين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..**

من آيات التلاقى بين الاسلام والمسيحية فى اللغة العربية

● الانبا غرغوريوس ●

أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

من الاخطاء الشائعة الربط بين اللغة العربية والاسلام بصورة تشعر كما لو كانت اللغة العربية هى لغة المسلمين وحدهم . ونحن نلمس هذا الربط فى بعض البلاد العربية والافريقية ومنها ليبيا والجزائر الذين يسود عندهم الاعتقاد بأن المسلمين وحدهم هم الذين يتكلمون اللغة العربية ، ولا يكادون يصدقون ان هناك مسيحيين يتكلمون العربية ويجيدونها وانها لغتهم ولا لغة لهم غيرها .

فى عام ١٩٦٩ للميلاد كنا فى روما مع وفد قبطى بعد حضور احتفالات فينيسيا (البندقية) بعيد القديس مرقس الرسول ، وذلك بعد أن احتفلنا نحن فى يونية ١٩٦٨ باستحضار رفاته من فينيسيا عبر روما الى القاهرة وايداعه مذبح الكاتدرائية المرقسية الجديدة بالعباسية ، وقد زرنا فى روما معهد الدراسات الشرقية ثم معهد الدراسات العربية وسعدنا بزيارة مكتبة المعهد وأقام لنا الاساتذة والعلماء حفلا مناسبا وهم جميعا ، أو على الغالب ، من الرهبان المهتمين بالدراسات العربية . وقد طلبوا منا القاء كلمة فى الحفل باللغة العربية فوجدت ان المناسبة اثارتنى للحديث عن التراث المسيحى فى اللغة العربية ، وانتهزت الفرصة لأحى الرهبان المسيحيين لاهتمامهم بدراسة اللغة العربية وآدابها الغنية ، وما اشتمل عليه أدب اللغة العربية من تراث حضارى عمره هو عمر لغة ضاربة فى القدم ترجع الى سام بن نوح وهو العاشر من آدم فى سلسلة انساب العائلة البشرية .

والمعروف ان اللغة العربية هى احدى مجموعة اللغات السامية ومن أقدمها . وعلى ذلك فهى من أقدم اللغات الانسانية ومن أخصبها واغناها وأجملها وأحفلها بالمعانى .. وهى لغة أدب ودين وفن وحضارة ، وهى بالتالى من أعرق اللغات وأقدرها على التعبير عن احتياجات **الانسان المادية والفكرية والمعنوية ، اذ انها امتدت طولا وعرضا وعمقا ، ولقد نمت نموا مطردا بغير توقف،ولم يدركها وهن أو ضعف،فانها حية أخصب واعمق ما تكون الحياة لكائن حى يتنفس ويتغذى وينمو ويتكاثر على ما يقول ارسطو فى خصائص كل كائن حى ، من النبات الى الحيوان الى الانسان . واللغة أيضا كائن حى .**

اذا كان ذلك كذلك ، فمن البينات والبدهيات أن ترتد اللغة العربية فى كيانها ووجودها وحياتها الى ما قبل ظهور الاسلام بعشرات المئات من السنين . ولئن عرفت اللغة العربية بأنها لغة القرآن ، ولكنها سبقت بآدابها القرآن بعشرات القرون . ولقد تكلم بها المسلمون وغير المسلمين من شعوب العالم

القديم ، وشعوب البلاد العربية على الخصوص .

ولقد سبقت الدعوة المحمدية وعاصرتها أديان وثنية وأديان الهية ومنها الموسوية والمسيحية . وكان هؤلاء يتكلمون العربية ويجيدونها نثرا وشعرا ، ويتبارون بها في الاسواق ، ومنهم من برز فيها بلاغة وفصاحة وخطابة .

ولعل من بين المسيحيين العرب المفوقين في اللغة العربية كثيرين على مدى التاريخ الطويل العريض للغة العرب ، ومن بينهم :الاخطل (٦٤٠ – ٧٠٨) وكان نصرانيا من بني تغلب ، اتصل بالامويين فصار شاعرهم الخاص .

ومنهم قس بن ساعدة المتوفى نحو سنة ٦٠٠ للميلاد ، وكان أديبا من نصارى نجران ، ومن احبارها ، وقد صار اسقفا لنجران ، وكان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم وحكمهم في عصره ، وكان يعظ القوم في سوق عكاظ وكان يضرب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة . وقالوا انه أول من خطب على مرتفع أو ناقة ، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا . وكان يعتمد على العبارات القصيرة جدا التي يحليها بالسجع والازدواج الطبيعيين ، ورسم الصور المتتابعة السريعة .

ومنهم ورقة بن نوفل المتوفى نحو سنة ٦١١ ، وهو من حكماء الجاهلية ، وكان نصرانيا ، وروى عنه انه ترجم الانجيل الى العربية .

ومنهم حنين بن اسحق (٨٠٨ – ٨٧٣) وهو طبيب نصراني من قبيلة عباد العربية ، ولد في الحيرة بالعراق ، وقد درس الطب في بغداد وتضلع باليونانية عينه الخليفة المأمون على بيت الحكمة ، وانصرف الى الترجمة ، فنقل الى العربية والسريانية بعض كتب افلاطون مثل « تيماوس » و « القوانين » ، وبعض كتب ارسطو مثل « المقولات » و « الطبيعيات » و « الاخلاق الكبرى » و « المعادن » . وله كتاب « عشر مقالات في العين » و « المدخل في الطب » وكتاب « في الاغذية » وكتاب « في تدبير الناقهين » وكتاب « في الادوية المسهلة »

وقد ذكر الانجيل ، اللغة العربية من بين اللغات التي تكلم بها تلاميذ المسيح ورسله يوم أن حل الروح القدس عليهم في اليوم الخمسين لقيامة المسيح المجيدة في هيئة ألسنة من نار نزلت عليهم من السماء واستقرت على رأس كل منهم . وكان من بين الحجيج الحاضرين لهذا العيد العظيم قوم من البلاد العربية الناطقون باللغة العربية . ولما سمعوا تلاميذ المسيح يتكلمون باللغة العربية ، لغتهم الخاصة ، قالوا في ذهول وانبهار « ترى أليس كل هؤلاء الذين يتكلمون جليليين (فلسطينيين) فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التي ولد فيها منا فرتيون وماديون وعيلاميون وسكان ما بين النهرين . ومصر ، وأنحاء ليبيا . وعرب ،ونسمعهم يحدثون بجلائل اعمال الله بلغاتنا نحن » (اعمال الرسل ٢ : ٧ – ١١) .

ولابد ان كان الانجيل قد ترجم الى لغة العرب لمنفعة المسيحيين من العرب وكان المسيحيين آنذاك يقرأونه بالعربية وعندما أشار القرآن الى الانجيل كان الانجيل بترجمته العربية معروفا ومقروءا عند المسيحيين في بلاد العرب من قديم قبل ظهور الرسالة المحمدية بزمن .

وروى عن ورقة بن نوفل النصراني المتوفي نحو سنة ٦١١ انه ترجم الانجيل الى لغة العرب . وبعد ذلك تتابعت على مدى التاريخ الترجمات العربية للانجيل وللكتاب المقدس بأكمله .من ذلك الترجمة التي قام بها يوحنا اسقف اشبيلية احدى مدن اسبانيا عام ٧٥٠ للميلاد – ثم ترجمة سعد الفيومي للعهد القديم الى العربية في القرن التاسع نقلا عن العبرية لمنفعة اليهود الذين كانوايتكلمون العربية بعد ذلك قام اولاد العسال ، وهم من علماء الاقباط في القرن الثالث عشر بمراجعة ترجمات العهد الجديد وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها في نسخة خطية مخطوطة الآن بالمتحف القبطي .

وملاك القول ان اللغة العربية هي لغة الناطقين بالضاد من قديم الزمان ، وثنيين جاهليين ومسيحيين ومسلمين .

صناعة القصيدة العربية في العصر المتأخر

● د. حسين نصار ●

نظر شعراء هذه الحقبة من العصور المتأخرة الى القصائد نظر الصاغة الى العقود ، وعدوا الالفاظ أحجارهم الكريمة التى يؤلفون منها سموطهم .. وكما أفتن الصاغة فى اختيار أحجارهم ، والتوفيق بينها ، وابتفرقة ، واستخراج الصور المختلفة منها ـ فعل الشعراء . ونباروا فى التكوينات التى خرجوا بها من لعبهم بألفاظهم ، وكأن البراعة كل البراعة فى التكوين ، وجدته ، وغرابته ، ولا قيمة لما عدا ذلك ! ..

ومن المستطاع أن أصنف التكوينات التى عثرت عليها التصنيف التالى :

التكوينات المعتمدة على القافية :

تلتزم القصيدة العربية أن تنتهى كل أبياتها بحرف واحد تسميه الروى . ولكن بعض الشعراء لم يكتف بحرف واحد والتزم أكثر من حرف . وقد وجد مثل هذا الالتزام منذ العصور الاولى ، فى قصيدة كثير عزة التى التزم فيها اللام والتاء ، وفى لزوميات المعرى .

١ ـ وفى هذه الحقبة التزم ابن نباته فى بعض مقطوعاته ان يؤلف الروى من حرفين ، مثل قوله : (١)

واغيد كلما تجنى ... ورث بين القلوب جمرا
يميل تيها كأنما قد ... سقته تلك العيون خمرا
تالله : لا فاتنى لقاه ... وعين كيسى عليه حمرا

٢ ـ والتزم فى بعضها ثلاثة حروف ، مثل قوله : (١)

يا سيدا صرف عنى العنا ... بفعله المعرب أو باسمه
شكرا لجود لازم للثنا ... كدوم روح المرء مع جسمه
لولاه أصبحت فتى شاعرا ... يبكى من الجود على رسمه !

٣ ـ والتزم صفى الدين الحلى أن يبدأ كل بيت بحرف الروى ، فتبدأ أبيات القصيدة كلها وتنتهى بحرف واحد . فعل ذلك فى ديوانه « درر النحور فى مدائح الملك المنصور » الذى التزم فيه أمرين آخرين ، هو أن يستغرق حروف

---

(١) ديوانه ٢٣٧ . ويبدو انه التزم ان يكون الحرف قبل الروى احد الحروف الثلاثة المتشابهة . الجيم ، والحاء ، وان لم يات بها مرتبة .
(٢) ديوانه ٤٦٥

نظر شعراء العصور المتأخرة إلى القصائد نظر الصاغة إلى العقود، وعدوا الألفاظ أحجارهم الكريمة التي يؤلفون منها سموطهم

الهجاء كلها، فأورد فيه ٢٩ قصيدة، قافية أولاها الالف، وثانيتها الباء، وثالثتها التاء .. الى آخر الحروف، مع التزام ترتيبها الالفبائي . والتزم أن تشتمل كل منها على ٢٩ بيتا، وتستغرق القصائد حروف الهجاء وهي ٢٩ حرفا .

٤ ـ وفي العصر العثماني التزم عبد الله الادكوى ان يبدأ كل بيت بما يتحد في جرسه مع كلمة القافية، مثل قوله : (٣)

سكن لى بالمصلى سكنوا ... لهم قلبى المعنى سكن
امنوا عن أن يرى غيرهم ... حل فيه اذ وفائى امنوا
احسنوا الصنع ووالوا لى الرضا ... ثم منوا بالتى لى احسن

٥ ـ واتخذ الحميدى والسجاعى من شعراء العصر العثماني كلمة واحدة قافيه لكل أبياتهما، وان اختلفت معانيها في كل بيت . واتفق لهما ذلك في كلمة العين . قال أحمد السجاعى :

ايا ظبى الفلا، وكحيل عين ... ويا بدر الدجى وضياء عينى
حميت من المكاره يا غزالا ... حوى كل الكمال بدون عين

٦ ـ ونظم الحلى قصيدة ذات وزنين وقافيتين، اذ تقرأ من الكامل التام فتكون همزية القافية، كما يلى : (٤)

جن الظلام فمذ بدا متبسما ... لاح الهدى، وتجلت الظلماء
وهدت محبا ظل فى اليل الجفا ... لما هدا، وامتدت الانداء
رشا غدا من سكر خمرة ريقه ... متاودا، فكانها صهباء

وتقرأ من مجزوء الكامل فتكون دالية، كما يلى .

جن الظلام فمد بدا ... متبسما لاح الهدى
وهدت محبا ظل فى ... ليل الجفا لما هدى
رشا غدا من سكر خمـ ... ـرة ريقه متاودا

التكوينات المعتمدة على الحروف :

فحص الشعراء الحروف التى تتكون منها الالفاظ، فوجدوها ٢٩ حرفا، ذات ترتيب خاص، وخصائص مميزة، فمنها ما يتصل بغيره من الحروف، ومنها ما يجب فصله عما بعده، ومنها المنقوط والمهمل . فاتخذوا من هذه الخصائص أسسا لتكوينات غاية فى الغرابة . نرجىء الآن ما يتصل بالنقط منها، ونتحدث هنا عن بعض الخصائص الاخرى .

---

(٣) الدور المنظم . وانظر التصريع فى البيت اذ وضع « سكنوا » قافية للشطر الاول ايضا
(٤) ديوانه ٥٣٠ .

١ ـ نظم الادكوى مقطوعة ، جمع فى أوائل كلماتها حروف الهجاء كلها ، وأوردها على ترتيبها فى الالقاء ، وقال : (١)

الى باب تواب ثنيت جوارحي   حليم خبير دره ذنبي رضاؤه
زكاسر شاني صف ضفا طال ظله   عنايته غاثت فيجل قضاؤه
كفاني لفيض ما عداني نواله   هدايته وافت لامر يشاؤه

٢ ـ ونظم محمد بن رضوان السيوطى مدحة نبوية ، التزم أن يبدأ كل كلمة منها بالالف ، قال : (٢)

اسال أسيل الخد أرواحنا القتلى   اسى اصله اغراء الحاظه الكحلا

٣ ـ والتزم الادكوى أن يبدأ كل كلمة بالحرف الذى تنتهى به سابقتها فى قوله : (٣)

فريد دلال لا انفصال لحسنه   هناى يؤاتى يوم مولاى يسعف
حبيب بهي يوم ملقاه هنئي   يمينا : اذا انقاه همى يكشف

٤ ـ ونظم الحلى مقطوعة تتالف كل كلماتها من حروف متصلة ، مثل قوله (٤)

سل متلفي عطفا عسى يتعطف   فلقد قسا قلبا فما يتلطف

التكوينات المعتمدة على النقط :

استخدم الشعراء نظام اللغة العربية فى التمييز بين الحروف المتشابهة بالنقط فى ابتكار عدة تكوينات تعتمد على الاشكال المختلفة لنقط الحرف واهماله . ويأتى صفي الدين الحلي فى مقدمة هؤلاء الشعراء ثم يحتذيه المحتذون وخاصة في العصر العثماني . وهذا بيان بما عثرت عليه من تكوينات :

١ ـ نظم بعض الشعراء القصائد التى لا تضم اى حرف منقوط ، مثل قول صفي الدين الحلي : (٥)

كم ساهر حرم لمس الوساد   وما أراه سؤله والمراد

ونظم عبد الرحمن بن حمد الحميدى مدحه نبوية خالية من الحروف المنقوطة مطلعها (٦) :

أسرك دهر سره كله وهم   وموورد اكدار كوارده سم

٢ ـ ونظموا القصائد الخالية من الحروف المهملة (غير المنقوطة) ، مثل قول الحلي : (٧)

فتنت بظبي بغى خيبتي   بجفن تفنن فى فتنتي

٣ ـ ونظموا الشعر الذى يرد فيه بيت تنقط كل حروفه يعقبه بيت تهمل كل حروفه (٨) .. الخ .

التكوينات المعتمدة على الالفاظ :

١ ـ كان الشعراء يستعذبون بعض الالفاظ أو يجدون لها وقعا عاطفيا معينا فيكررونها فى بعض أبياتهم ، فى أوائلها وأواسطها . أما شعراء هذه الحقبة فقد بدأوا كل أبياتهم بكلمة واحدة ، لا نشعر ازاءها بما كنا نشعر به ازاء الشعر

---

(١) الجبرتى ٣ : ٣٠ .
(١) الجبرتى : ٢٤٣
(٣) الجبرتى ٣ : ١١
(٤) ديداوى ٢٩٤ .
(٥) ديوانه ٦١٨
(٦) الدر المنظم ١٢٩
(٧) ديوانه ٦١٩ .
(٨) ابراهيم الدسوقى ٣٨ . ولم اعثر فى ديوانه على شاهده .

السابق • مثال ذلك مصطفى اللقيمي ، الذى بدأ كل أبيات احدى قصائده بكلمة روض : (١)

روض زها أبدى البديـع بهيج　　وحماه من طيب القريض أريج
روض به روح البراعة قد سرى　　بلطيف سر بالسرور نسـيج

٢ ـ وكرر بعض الشعراء ألفاظا معينة ، وزعوها توزيعا ثابتا فى شعرهم ، مثل قوله الادكوى • (٢)

دلالـه بولاة الحـب زاد فلـو
قد عاد بالقرب يا صحبى شـفى سـمقى
دلاله زاد صحبى
بالقـرب زاد دلاله
وصـــاله طب لبى لو يعـــود عسى
بالوصـل يحسم دائى بل يصـون دمى
وصـاله طب دائى
عسى يعود وصاله

فقد وزع الكلمة الاولى (دلاله) و (وصاله) توزيعـا ثلاثيـا ، جعل منها مبدأ وقافيه • نضيف الى ذلك التوزيع غير الثابت لبعض الالفاظ الاخرى ، مثل زاد وصحبى ، وطب ودائى وعسى ويعود •

٣ ـ ونظموا الشعر التصحيفى ، الذى يتماثل كل لفظين متواليين فيه بحيث يمكن أن يقع فيهما التصحيف ، فتتحـول الواحدة الى الاخـرى ، كقـول الادكوى : (٣)

قاتل فاتك ، اعز اغر　　حسنه جيشـه كثير كبير

وقد أخذ الشعراء هذه التكوينات وتكوينـات النقط من النثر • فقد كانت شائعة فيه بل غالبة عليه ، وخاصة فى المقامات • فنقل الشعراء هذه الحيل من المجال النثرى الى المجال الشعرى •

التكوينات المتعمدة على القراءة :

١ ـ نظم بعض الشعراء الشعر الذى يقرأ طردا وعكسـا ـ أى من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين ـ فلا يتغير معناه ولا لفظه ، مثل قول الحلى:(٤)

امر كلاما الفته فطنه　　تنظم هتف لاسم الكرماء

٢ ـ ونظم بعضهم الشعر الذى يقرأ عموديا وأفقيا ، أو من اليمين الى اليسار من أعلى الى أسفل ، مثل قول الحلى : (٥)

ليت شـعرى لك علم　　من سقامى يا شـفائى
لك علـم من زفـيرى　　ونحولى وضـنائى
من سـقامى ونحـولى　　داونى اذ انـت دائى
يا شفائى وضـنائى　　انـت دائى ودوائى

● الزخارف ●

أخذ الشـعراء يبحثون عن الزخارف التى يحلون بها شـعرهم منذ العصر العباسى ، وسموها البديع • وقد فعلوا ذلك فى قلة ، وعلى استـحياء ، حتى

---

(١) الجبرتى ٢ : ١٧٦
(٢) الجبرتى ٣ : ١١
(٣) الجبرتى ٢ : ٣٤٦
(٤) علوش ١٤٩
(٥) علوش ١٤٩

أن ابن المعتز أول من ألف فى البديع لم يعد الا ١٧ نوعا ، ولم يعد قدامه ابن جعفر الا ٢٠ نوعا اشترك مع ابن المعتز فى ٧ منها ٠

ولكن البديع أخذ يتسرب الى الشعر فى قوة ، حتى غلب عليه ، وصار فى الحقبة التي نؤرخ لها أمرا جوهريا ، لا يفلت منه شاعر ، بل يمكن القول ان كثيرا من المقطوعات الشعرية لم ينظمها أصحابها الا لابداعها أحد ألوان البديع ٠

وغالى شعراء العصر العثماني خاصة فى التزام البديع ، حتى صارت القصيدة عندهم مجموعة من الالوان البديعية منظومة على بحر شعرى ٠ وتقف على رأس هذا التصور البديعيات التى بدأت فى العصر المملوكي وغلبت فى العصر العثماني ولا يخفف من صورتها الحالكة غير موضوعها الدينى الثر ٠

ولم تقف ألوان البديع عند ما كانت عليه بل أخذت تزيد من زمن الى آخر وعلى يد شاعر بعد آخر ، حتى تعدت مائة لون ٠ بل ضمن صفي الدين الحلى بديعته ١٥١ لونا ، لان بعض الشعراء فرعوا بعض الالوان ، واشتقوا ألوانا عدوها من ابتكارهم كما أدعى ابن نباته فيما سماه ريح المقايضة والتشريع (١) ٠

وعلى الرغم من ذلك لن أقتصر على ما عددوه ، بل أضيف اليه اشياء أخرى ، لانهم عدوها كالبديع حلية واقبلوا عليها وتنافسوا فيها ، مثل استخدام المصطلحات المختلفة ٠

والبحث عن كل هذه الزخارف فى الشعر غير مجد ، ولذلك أبيح لنفسى الوقوف عند المعالم العامة منه ، التى نالت أهمية خاصة ، وراجت رواجا بعيدا ٠

● الجناس ●

الجناس زخرف قديم في الشعر ، ولكننى أعتقد انه أهم زخارف حقبتنا ،حتى أننا يمكن أن نعدها الحقبة الخاصة به ٠ فما من شاعر ، ولا قصيدة ، برئت منه ٠ وافتن الشعراء فيه فابتكروا منه أصنافا متعددة ، مثل :

١ ــ جناس التغاير : الذى يأتى عن اقتران كلمتين مختلفتى الاشتقاق ، بأن تكون احداهما فعلا والاخرى اسما كقول التلعفرى : (٢)

ما طل في طلل السحاب دموعه الا وقد حشيت جوى احشاء

جانس بين الفعل طل والاسم طلل ، والفعل حشيت والاسم أحشاء ٠

٢ ــ جناس التماثل : الذى تماثل فيه الكلمتان فى الصيغة واللفظ والخط ، وهو التام كقول ابن نباته : (٣)

الله جارك ان دمعي جارى يا موحش الاوطان والاوطار

٣ ــ جناس التصحيف : الذى لا يفرق بين الكلمتين فيه غير النقط ، كقول الشاب الظريف : (٤)

عجل الزمان على فى شرخ الصبى بتشتت القرناء والقرباء

٤ ــ جناس التحريف : الذى لا يفرق بين الكلمتين فيه غير الشكل ، كقول ابن مكانس (٥)

فى مسك خد العذر التركى ماذا على العالمين من تركى ؟

٥ ــ الجناس الناقص :

٦ ــ تجنيس الترجيح أو التذليل : الذى تزيد فيه احدى الكلمتين على الاخرى

(١) ديوانه ٣١١ ، ٢٤٠
(٢) ديوانه ٥ ٠ وانظر تحرير التحبير لابن ابى الاصبع ١٠٤ ٠
(٣) ديوانه ٢١٧ ٠
(٤) ديوانه ٤
(٥) ديوانه ١ : ٤٢

غالى شعراء العصر العثمانى خاصة فى التزام البديع ، حتى صارت القصيدة عندهم مجموعة من الألوان البديعية منظومة على بحر شعرى .

وتكون الزيادة حرفا واحدا فى أول الكلمة ، ويسمى الجناس المطرف بحرف كقول التلعفرى : (١)

جو ، فانى بالجور فى الحب راضى   أى وأجفانك الصحاح المراض

وتكون حرفا فى وسط الكلمة ، قول الشاب الظريف : (٢)

الدمع هام والحشا هائم   والجفن دام والهوى دائم

وتكون حرفا فى آخر الكلمة ، كقول ابن حجة : (٣)

ودخلت غزة والنخيل يميد من   طلع ، وطلع الثغر زاه زاهر

وتكون حرفين مجتمعين ، كقول التلعفرى : (٤)

مالى وما لربوع لست اعرفها   ما الحب نعم ، ولا الاوطان نعمان

وتكون حرفين منفصلين كقول ابن حجة : (٥)

وتصفدت أعداك فى صفد ، وهم   عمى ، وطرف البحر نحوك ناظر

٧ ــ جناس القلب : الذى يتغير فيه ترتيب الحروف فى الكلمتين ، كقول الحلى : (٦)

لنا نشوة فى الدجى ناشية   بادراكها اصلحت شسانيه

٨ ــ الجناس المركب : الذى يقوم فيه التجانس بين كلمة وأكثر من كلمة ، مثل قول ابن نباته . (٧)

فاز الذى شغل الاسى أوقاته   لو كان اشبعه الاسى أوقاته

فالجناس قائم بين كلمة (أوقات) وحرف العطف (أو) مع الفعل (قات)

٩ ــ الجناس المجنح : الذى يتوالى فيه الجرس الواحد ثلاث مرات ، وابتكره صفى الدين الحلى ، ونظم قصيدة ملأها به ، كقوله : (٨)

سل سلسل الريق لم لم يرو حر ظما

بل بلبل القلب لما زاده المـ

● التورية ●

اذا كان الجناس الحلية التى طغت على الشعر العربى كله فى العصور المتأخرة ان التورية هى الحلية التى نافست الجناس ثم ناصبته العداء . فمنذ أعجب القاضى الفاضل بالتورية وأكثر منها ، التف حولها جماعة من أدباء مصر وأخرى من أدباء الشام ، فضلوها على الجناس ، وأكثروا منها ، وان لم يهملوا الجناس

(١) ديوانه ٢٢
(٢) ديوانه ٧٢
(٣) ربداوى ١٧
(٤) ديوانه ٤٤ .
(٥) ربداوى ١٧
(٦) ديوانه ٦٧٢
(٧) ديوانه ٧٥ .
(٨) علوش ١٥٢ .

كل الاهمال • أما الجماعة المصرية فتألفت من القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك ، والاسعد بن مماتي ، وسراج الدين الوراق ، وأبى الحسن الجزار ، ومحيى الدين بن عبد الظاهر • (١)

وأما الجماعة الشامية فضمت شيخ شيوخ حماة عبد العزيز الانصارى ، والامير مجير الدين بن تميم ، وبدر الدين بن لؤلؤ الذهبى ، ومحيى الدين بن قرناص ، وسيف بن المشد ، وعلى بن المظفر الوداعى (٢)

ولما ظهر ابن نباته ، وحمل على مدرسة التورية فى الشام ومصر ، التقت عنده الجماعتان ، وعدتاه رأس مدرسة جديدة فى التورية ، وسار خلفه المصريون والشاميون من أمثال زين الدين بن الوردى ، وبرهان الدين القيراطى ، وشمس الدين بن الصائغ ، وشهاب الدين بن أبى حجلة ، وابراهيم ابن المعمار ، وابن مكانس ، وابن حجة الحموى ، وعز الدين الموصلى ، وزين الدين بن العجمى وابن حجر العسقلانى وغيرهم • (٣)

ولم يقتصر أثر الخصومة بين الجناس والتورية على الشعر وحده بل تعداه الى التأليف البلاغى ، فأصدرت كل جماعة المؤلفات التى تدافع عن رأيها ، وتجمع الابيات التى تفضلها من الزخرف الذى تدعو اليه • فمن أنصار الجناس أصدر الصفدى « جنان الجناس » وبدر الدين الحمدانى « ازالة الالتباس فى الفرق بين الاشتقاق والجناس » والقـاياتى « نزهة الجليس فى أنواع التجنيس » وغيرها • ومن أنصار التورية أصدر ابن حجة « كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » وأبو جعفر احمد بن عى بن خاتمة الاندلس « رائق التحلية فى فائق التورية » وغيرهما •

ولم تتعدد الوان التورية ، ويجعل كل منها اسما خاصا كالجناس • وانما لدينا منها اسم واحد هو التورية الملفقة ، التى ينسب ابتكارها الى ابن مكانس وتأتى فى كلمتين ، مثل قوله : (٤)

ان الهوائى ـ يا معشوق ـ قد عبثا
بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح ـ حوشيت ـ بالممدود وتلفت
والجم يكفيك بالمقصور فيك فنى

يريد أن الروح تلفت بالهواء (ذى الهمزة الممدودة) ، والجسم فنى أو فى كفن بسبب الهوى (ذى الالف المقصورة) •

ولكنا نستطيع أن نصنف التورية الى أصناف عدة تبعا لمأخذها :

فالتورية القائمة على الاعلام أو ما سماه بعضهم التوجيه • ونجد منها مايقوم على كنية الشاعر أو لقبه . مثل ابن نباته ، وابن حجة ، وأبى بكر (بن حجة) فما أكثر استغلالها فى شعرهم ، كقول ابن نباته : (٥)

يقـول رجائى لما دعا   نداك لهبات تلك الهبات
تناسب حال الندى والرجا   فهذا الغمام لهذا النبات

والتورية فى (النبات) • ونجد منها ما يقوم على اسم الممدوح أو المهجو أو لقبه كقول أبى بكر بن حجة فى رثاء محمد بن البارزى : (٦)

وما خلب الاكباد حزن مبرح   كحزن أبى بكر لفقد محمد

---

(١) وبداوى ٢٧٠
(٢) وبداوى ٢٧٠
(٣) خزانة ابن حجة ٣٠٣ • ابن نباتة لعمر موسى ٩٢ • ابن حجة للربداوى ٢٧١ •
(٤) ديوانه ١ : ٦٣
(٥) ديوانه ٧٩
(٦) تاهيل الغريب الشعرى • باب المراثى .

والتورية في العلمين ٠
والتورية القائمة على المصطلحات ٠ وقد أغرموا بهذا اللون من التورية ، ولم يتركوا علما دون أن يغترفوا من مصطلحاته ، ادلالا بمعارفهم ، وبهرا لقرائهم ٠ وأكثر ما عثرت عليه من المصطلحات مأخوذ من القرآن وعلومه والمؤلفات حوله ،

● الطباق ●

لا يقل الطباق عن الجناس والتورية في الرواج عند شعراء هذه الحقبة ، غير أنني أخرته لعدم قيام خصومة ومدارس حوله ، ولقلة أنواعه ٠ وانما ذكروا طباق الايجاب الذى لا يسبق أى واحدة من كلمتيه اداة نفي ، كقول التلعفرى(١)

الام اتباعي الغى ، والرشد قد بدا جليا ، ونحو العارضين خطا الوخط

وطباق السلب الذى تسبقه أداة النفى ، كقول الشاب الظريف : (٢)

فالدر يحسن مثقوبا لناظمه وحسن لفظى در غير مثقوب

وطباق الترديد الذى يرد آخر الكلام المطابق على أوله ، كقول النصير الحمامى : (٣)

فقد كفى من دمعهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفى

● اكتفاء ●

يلى الزخارف السابقة أنواع المحسنات الاخرى ، تقل وتكثر ، ولكنها لا تصل في الرواج الى ما وصلت اليه التورية والجناس والطباق ٠ وكان شاعر هذه الحقبه يعمد الى هذه الانواع الثلاثة اولا ، ثم ينثر على شعره ما استطاع من الزخارف الاخرى التى أفاضت كتب البلاغة والبديع في الحديث عنها ٠ وغير مجد ان أحاول تتبع هذه المحسنات ، ولذلك اكتفي بالاشارة لكثرته وغرابته لانه اجتزاء ببعض العبارة عن تتمتها ، وترك الامر لحافظة القارىء أو خياله مثال ما يعتمد على الذاكرة قول ابن الوردى : (٤)

عـــوادة عـــــوادة بالنغــــم الملــــذذ
قالت لنـا اورتــارها أنطقنـــا الله الــذى

فالتكملة من الاية القرآنية « قالوا انطقنا الله الذى أنطق كل شيء (فصلت)
٢١ ــ ومثال ما يعتمد على الخيال قول ابن نباته : (٥)

اســـقنى صرفا من الرا ح تحت الهــم حتـــا
ودع العـــذال فيهـــا يضربـــون المـــاء حتى

يمكن أن نتمه فنقول حتى يغرقوا ، وما شابه ذلك ٠ ومن الاكتفاء الغريب الاجتزاء ببعض الكلمة ، كقول ابن نباته : (٦)

باب البديع فتوحكم ، وانا امرؤ لا طاقة لى فى البديع ولا با

تجمعت كل هذه الزخارف ، التي تحدثت عن بعضها ، واهملت بعضها الآخر فكادت تخمد أنفاس الشعر الحق ، وخاصة ان الشاعر كان في كثير من الأحيان يحمل البيت الواحد اكثر من حيلة ٠ فكان يوجه القسط الاكبر من عنايته الى الزخارف ثم يمنح الفضلة التى بقيت من جهده لعملية الابداع الفنى ٠ وهكذا أخذ الشعر يفقد بهاءه وطلاوته شيئا فشيئا ، حتى فقد كل شيء فى العصر العثماني لولا جماعة قليلة من الشعراء استطاعت أن تتخفف بعض الشىء من أوزار عصرها ٠

---

(١) ديوانه ٢٤
(٢) ديوانه ١٧ ٠
(٣) امير الشعراء المشرق ، بدائع الزهور ١ : ١٤٦ ــ ٧
(٤) حلبة الكميت ١٧٢
(٥) ديوانه ٨٠ ٠
(٦) ديوانه ٣٦ ٠



● د. طه وادى ●

صدر حديثا للاديبة اقبال بركة روايتها الثالثة « ليلى والمجهول » بعد عدة تجارب ادبية فى مجال الرواية والقصة القصيرة واديبتنا تعيش الواقع الاجتماعى والثقافى معايشة المشارك فيه ، سواء من خلال مقالاتها الملتزمة او تجاربها الادبية ، فهى حريصة على الا تكف عن الابداع لان عندها بالفعل قدرة كبيرة على التأثر بالواقع والتعبير عن كثير من قضاياه ولا سيما ما يتصل بقضية المرأة .

وروايتها الاخيرة تؤكد ذلك ، حيث تطرح فيها قضية « قديمة متجددة » تصور من خلالها امكانية وجود الحب العذرى فى واقعنا ، وهل صورة الحب العفيف يمكن ان تقوم بين غنى وفقير ؟ هذه هى القضية التى حاولت الاديبة ان تصورها من خلال نموذج ايجابى للمرأة ...

من هنا تتحرك المحاور الاساسية للرواية ، حيث نجد شابا غنيا «قيس» يحب فتاة فقيرة «ليلى» لكن كلا منهما كان ينظر للعلاقة من زاوية «متقابلة»: الغنى يريد أن يتمتع بفتاته فى مقابل ما يعطى ... والفقيرة تأمل أن يكون الحب مفتاحا لعلاقة شرعية .

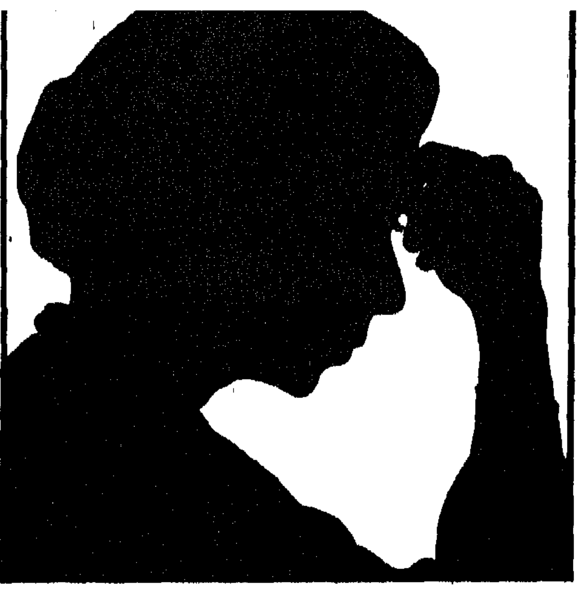
وكما فرقت التقاليد بين ليلى العامرية وابن عمها قيس فى القرن الاول للهجرة ، تفرق الظروف المادية ايضا بين قيس الشاب العربى الثرى، وليلى الفتاة المصرية الفقيرة العفيفة فى القرن الخامس عشر ... لكن ليلى — هنا — لا تسقط للخطة ازاء اغراء المادة او للمتعة العاطفية ، بينما سقطت — فى الرواية — نساء اخريات لعل ابرزهن زميلتها فى الجامعة « سامية » .

وعلى هذا فالرواية — على المستوى الرمزى — تعالج قضية ساخنة من ازمات الحياة المعاصرة ، انها تقدم صرخة زاعقة لما يمكن أن يسببه الفقر، حيث تربط ربطا قويا بين « السقوط والفقر » .. (جن زماننا هو المال ، ومع ذلك فمن يملكونه لا يسعدون به !..)

هكذا تؤكد الكاتبة أن المسألة الاقتصادية هي الصخرة التى يتحطم عندها الشرف ويفرق الحب ... لكن يؤخذ عليها — هنا — من حيث الموقف الفكرى والبناء الفنى ايضا ، انها جعلت الشخصية المحورية المجسدة للغنى بازاء الفقر « قيس » الشاب العربى، كان المجتمع بدون تلك الشخصية الوافدة يخلو من امثال هذا النموذج . وكم كنت أود أن تكون كل شخصيات القصة من الواقع المصرى لحما ودما .

ولعل اهم ما يميز اسلوب الكاتبة





في التعبير القصصي هو الحساسية ، والوضوح ، فالحساسية تبدو من خلال تلك الشفافية التي تفجر كل ما يتصل بالموقف الذي تصوره ، ثم يظهر الوضوح في انها اذ تعبر لا تكاد تميل اى ميل البتة عن الخط الدرامي الذي يتصل بواقعها القصصي ، من هنا يكتسب البناء عندها حرارة تحس معها ان الكاتبة تشدك ـ بقوة وسرعة ـ الى شيء معين هو ما تريد أن تعبر عنه بالتحديد ... من هنا فان الحدث القصصي عندها يذكرك بقطار لا يتجاوز مساره مهما تعرجت به السبل او اختلفت به المواقع .

بيد ان هذه الخصوصية ـ في التكنيك ـ تؤدي الى ان تهتم الكاتبة ـ في الدرجة الاولى ـ بالشخصية المحورية ((وهي في الغالب امراة)) ولا تكاد تهتم بمن عداها . وهذه السمة ان جازت مع القصة القصيرة فلا اعتقد انها تتسق مع عمل روائي ...

وقد ترتب على هذا ايضا قلة حجم الحوار اذا قيس بالسرد ، حيث نجدها ـ كثيرا ـ ما تلخص الحوار سردا حتى تصل بالقارىء ـ سريعا ـ الى ما تريد التعبير عنه ...

ويتصل بتكنيك الرواية عند اقبال ايضا انها تقدم الشخصية المحورية في كل اعمالها القصصية « امراة » ...

وصورة المراة التي توحي بها كتابتها تبرز في صورة ايجابية نامية واعية بحركة الحياة والاحياء ، حيث تجاهلت ذلك النمط الكريه المكرر لصورة المراة في الرواية الذي يقدم المراة مريضة بحب الحب ... لكن صورة المراة عند اقبال نموذج واع اقرب الى التمرد على الجهل والفقر والضياع والعادات التقليدية ، ولذلك ترى ليلى في نهاية الرواية « ان لا احد سوف ينشلها من الضياع والعجز سوى هي نفسها ، لا قيس ولا غيره بقادر على الغوص في اعماق محيطها والعثور على لؤلؤة الخلاص سواها هي ذاتها . »

والكاتبة بهذا فيما ترى وتعبر منحازة الى بنات جنسها في الواقع والفن ـ صادقة مع الذات والواقع ، واذ تقدم ازمات المراة من ((منظور نسائي)) . وهي في هذا تتفق مع معظم الكاتبات العربيات تقريبا ، ولكن الامر الذي آمله هو ان يتسع اهاب التجربة الادبية عند كاتباتنا لتشمل شريحة انسانية متكاملة موارة بعنصري الوجود : الرجل والمراة .

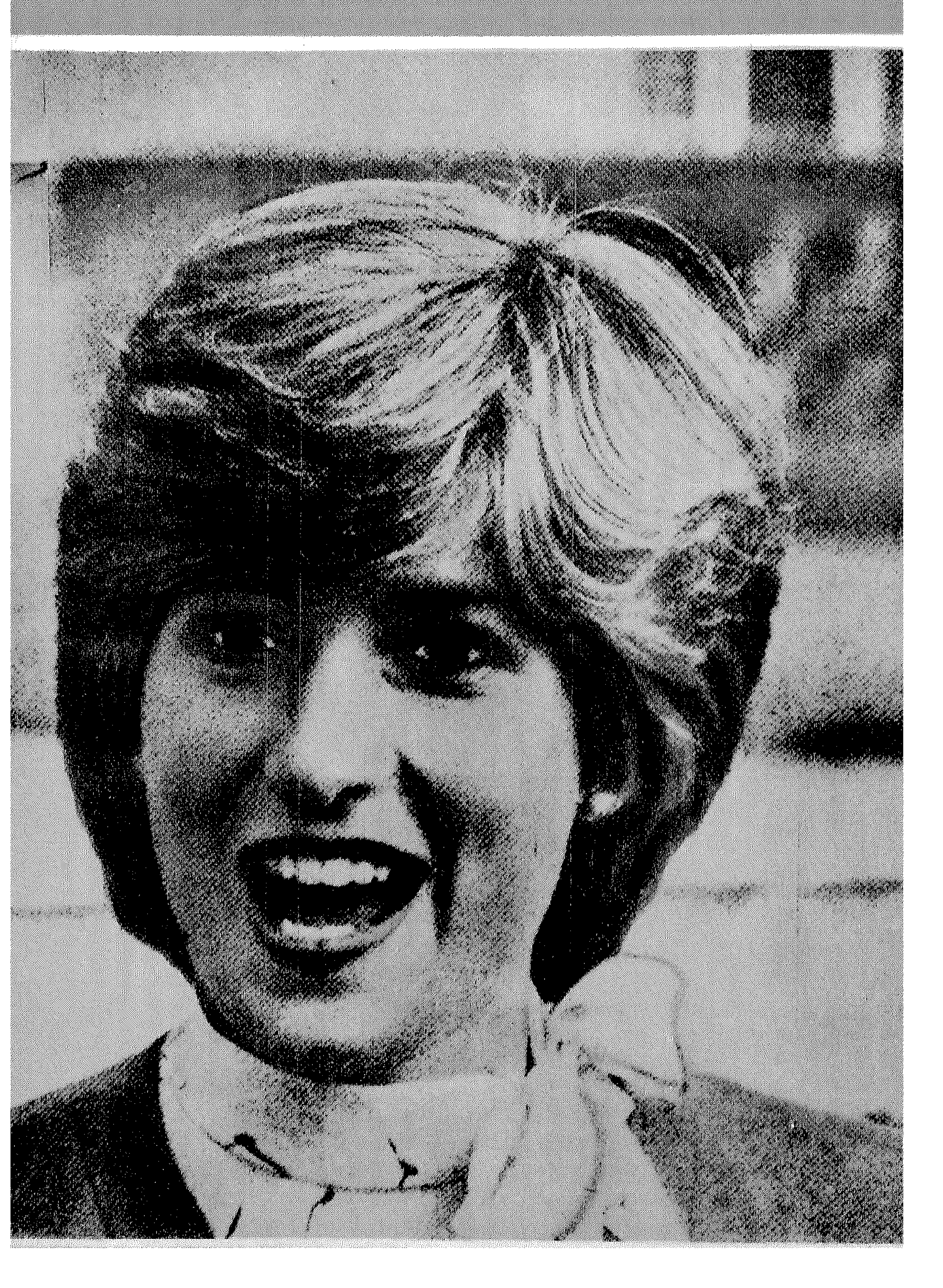
ان اقبال بركة اديبة ((واعدة)) . قدمت الكثير لكننا في انتظار المزيد من اعمالها القصصية .. فهل عساك ايتها الصديقة تحققين الوعد وتؤكدين الامال ..

ناس وصور

وحكايات



زفاف أمير العصر والأوان
على فاتنة الدنيا وحسناء الزمان



ناس وصور وحكايات

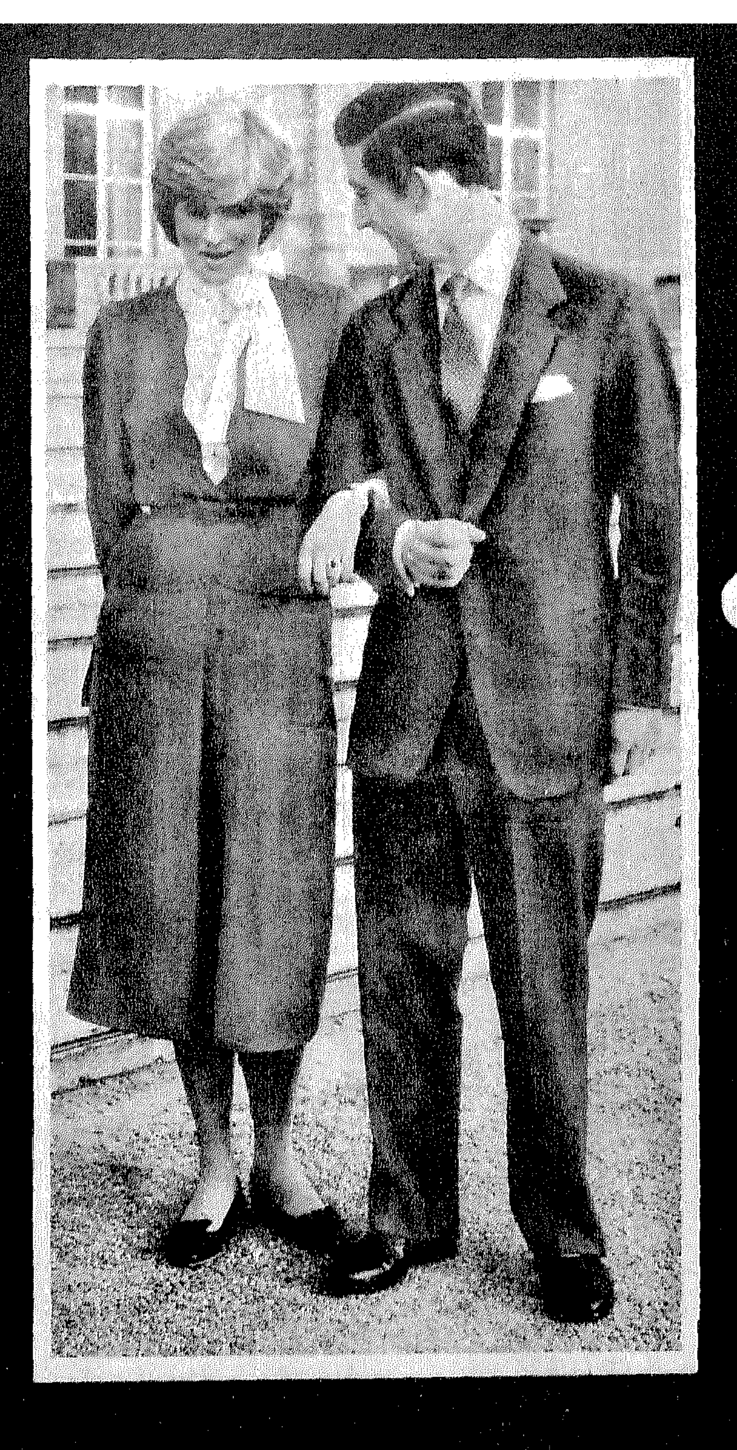


وسط بلاوى الدنيا وهمـــوم الزمان احتفلت بريطانيا بزفاف شـــارل ديفيد ادوارد .. أمير العصر والاوان .

انجلترا كلها كانت ولا تزال مجنونة بهذا الزفاف الذى تم امس (٣١ يوليو يوليو ١٩٨١) فى كنيسة ســـان بول وانجلترا ـ والعالم معها ـ تنشد مايقابل عندنا « اتمخطرى يا حلوة يا زينة » ..

ربما لم تكن الفرحة بزفاف الامير بقدر ما هى فرصة للهرب من دنيا أصـــبحت لا تسر ولا تسعد .

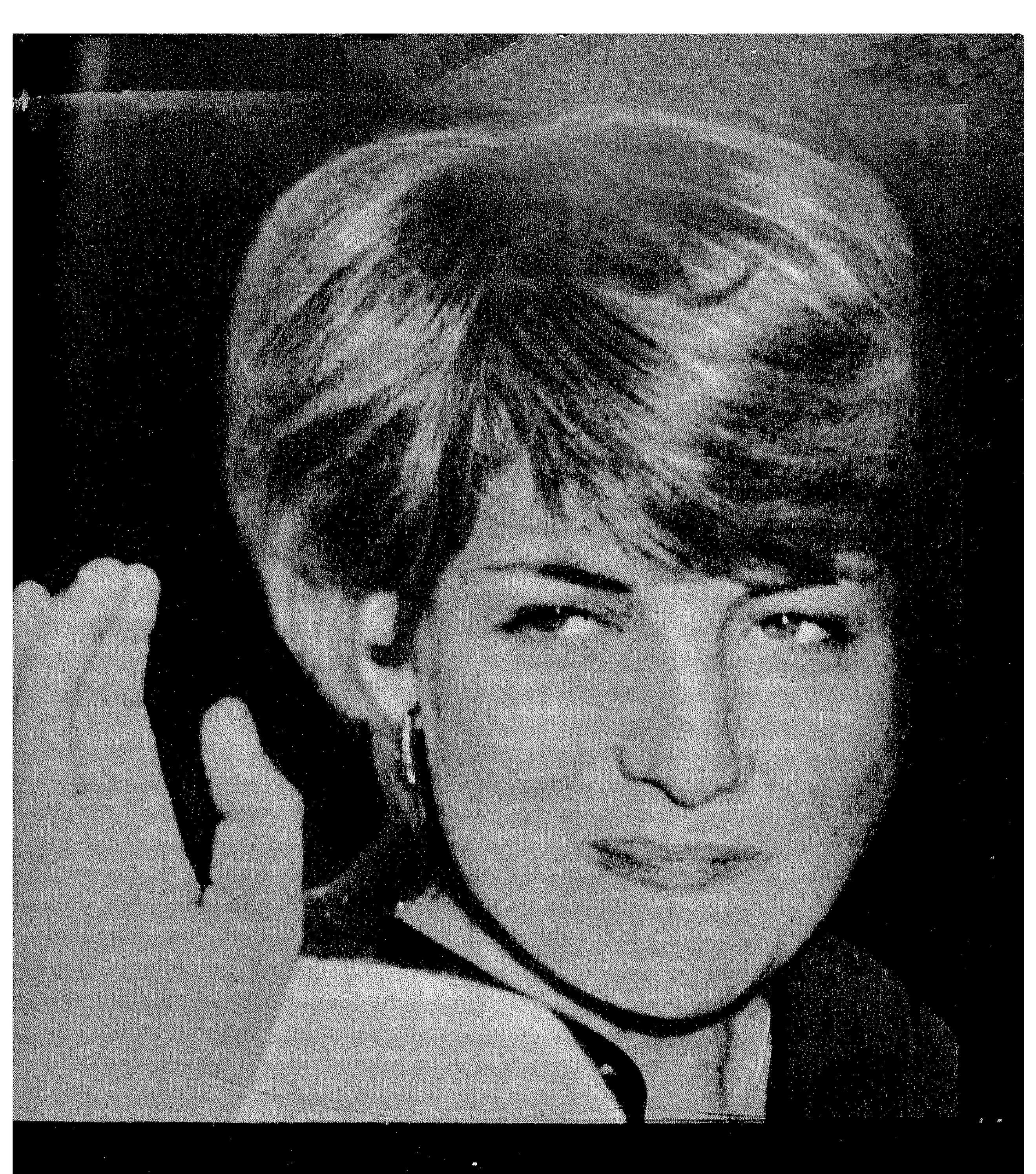
فالانجليزى الذى يصحو على مأســـاة ايرلندا وينام على مذابح ليفربول ويقضى نهاره أمام معضلة مســـتحيلة : الموازنة بين الدخل والمنصرف ، هـــذا الانجليزى هرب أياما صغيرة الى أحلام زواج الامير من الاميرة النائمة فى الغابة .



●●●

وقد كانت الليـــدى ديانا سبنسر ـ ليدى داى ـ حسناء نائمة فى الغابة فملا والى جوارها يسكن الامير الذى راى بنات الدنيا كلها ولكنه ـ كالعادة ـ نسى بنت الجيران ٠

كانت تعيش فى قصر ابيها الكـونت سبنسر وهو الثامن من ورثة هذا اللقب من اسرة سكوتس جريس الذين يلقبون بالرويال سكوتس جريس ٠٠



لم يكن عندها اى امل فى الزواج من الامير لان اختها الكبرى كانت قد سدت الطريق، فقدكان الاميرقد عرفها وخرج معها اياما ، ولكنها لم توفق مع الامير الذى يسكن بعض ايام السنة فى قصر له الى جوارهم فى اكثروب فى ولاية نورفولك .

ولكن القدر كان قد كتب لتلك الصبية اميرا على الجبين ، « واللى انكتب على الجبين لازم تشوفه العين » .

ولم يحدث ان احتفلت بريطانيابعرس كما احتفلت بزواج الامير الذى طاف الدنيا باحثا عن اميرة الاحلام ثم وجدها بالذات فى بيت الجيران .

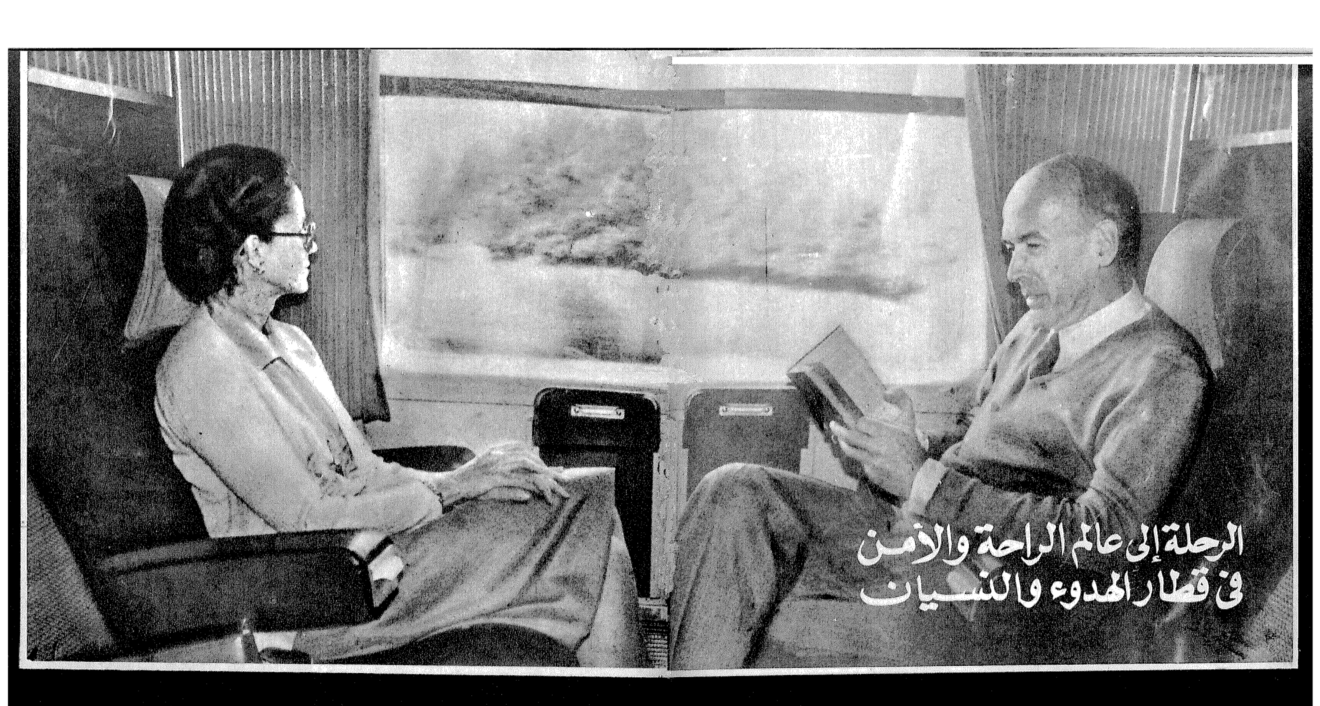
لقد اشترى الآنجليز بما يعادل



٢٠٠ مليون انجليزى من تذكارات هـذا الزواج ، وقد أبتكر اهل الفن والتجارة ١٢٠٠ « حاجة » لهذه المناسبة : اطباق فناجين ، كئوس ، قمصان ، أوراق لعب (كوتشينة) ، تيجان لوحـات ، ميداليات ، وفى محل سلفريدج وحده لندن دور كامل لهذه التذكارات •

ويجىء الزفاف فى عز الصيف ، وعز الصيف فى بريطانيا فتنة وروعة : خضرة هى الجنة وزهور هى متعة العين والقلب واريج الورود يأتيك من كل مكان •

والاميرة الشابة (٢٠ سنة) تتعلم الآن كيف تكون ملكة على ايدى ملكة اثبتت انها حقا ملكة على القلـوب هى اليزابيث الثانية حفيدة فكتـوريا الملكة التى جعلت الناس فى الدنيا كلها يكرهون الملكات •



الرحلة إلى عالم الراحة والأمن في قطار الهدوء والنسيان

بعد ظهر السبت ٢٧ يونيو ١٩٨١ جلس فاليرى جيسكار ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية الاسبق وحرمه السيدة آن - ايمون فى المقعدين رقمى ٦٧ و ٦٨ فى العربة الاولى من القطار المسمى « ترمال » اى القطار المؤدى الى شانونا احدى مدن المياه المعدنية فى فرنسا ..

ركبا من محطة ليون (جارد ليون) ومن منا لا يعرف هذه المحطة ، وبكل هدوء ، وفى نظام المحطات هناك جلس رئيس الجمهورية الاسبق يقرأ ديوانا للشاعر الصينى لاوتسو مع مقتطفات من حكمة كونفوشيوس .. الكتاب من تاليف صديق لفاليرى هو كلود وولف من كبار اهل القضاء فى فرنسا ..

قبل الرحيل بيوم ادلى فاليرى جسكار ديستان بآخر حديث صحفى له الى جان كو كبير محررى البارى ماتش وهو آخر الباقين من مدرسة ريمون كارتييه ممن جعلوا المقال السياسى وثيقة تاريخية والحديث الصحفى - انترفيو - شهادة ميلاد او شهادة وفاة .

وفى هذا الحديث الذى كتبه جان كو بكل أمانة ودقة قال جيسكار ديستان كل ما أراد قوله . انه خطبة وداع انه وصيته الاخيرة .

وفى القطار الفاخر الذاهب الى مدينة الاستشفاء جلس الرجل الذى رأس فرنسا ٧ سنوات واجتهد فى أن يمثلها وحتى فى ملبسه ، جلس يقرأ الشعر الصينى وامامه زوجته تتأمل ريح فرنسا .. انهما فى الطريق الى الراحة والنسيان

لا تنسوا أفغانستان

هؤلاء الأسود يذلون الروس



في اجتماعه مع اللورد كارينجتون وزير الخارجية البريطانية خلال الاسبوع الاول من يوليو ١٩٨١ قال اندريه جروميكو وزير خارجية روسيا انه يعتبر اقتراح عقد مؤتمر دولي لحل مشكلة افغانستان اقتراحا سخيفا ، لان افغانستان بلد مستقل وهو صديق للروس ، والروس يساعدونه مساعدة الصديق ،فما دخل الاغراب بين الاصدقاء

وجروميكو يعرف انه يكذب ،والكذب هو « فضيلة » الشيوعيين الروس الاولى هكذا يقول قاموسهم ، لان افغانستان ليست شعبا ولا بلدا مستقلا اليوم ، اذ ان فيها اكثر من ١٥٠٫٠٠٠ جندي روسي معهم عتاد وازواد كلها مقتطعة من زاد الشعب الروسي .

وجروميكو يكذب ، وهو يغطي بكذبه اكبر هزيمة مني بها الروس منذ تفرعنوا باسم الشيوعية ، فان شعب أفغانستان يناضل ،وفي الصور على هاتين الصفحتين مقاتلون افغانيون في قرية استردوها من الروس واسروا كل من وجدوه فيها من جند حكومة الحقير بابراك كارمل وضباط الروس ، وغنموا كل ما ترى من العتاد.

ان حرب افغانستان ـ ١٨ شهرا الآن ـ تكاد تكون حربا منسية لمعظم العرب والمسلمين ، ولكنها ليست منسية بالنسبة للغرب ،واللورد كارنجتون الذي ذهب ليبلغ روسيا اقتراح دول السوق المشتركة انجليزي ، لا هو عربي ولا مسلم .. اما المسلمون فآخر الاخبار عندنا ان آية الله روح الله خميني أرسل الى ملك ليبيا غير المتوج يكلفه باغتيال باختيار رئيس وزراء ايران السابق الذي يدعو للقضاء على حكم الكفر والظلم والدم والاستبداد في ايران .

●●●

المقامات

في الأدب العربي

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● المقامات فن مشهود في الادب العربي ، ويمثل القصة القصيرة تمثيلا واضحا .. وسميت المقامات بمعنى المجالس ، جمع مقامة وهي المجلس ، ثم اطلقت على الحكاية التي تقص في المجالس ..

والمقامات عند البديع الهمذاني حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي سماه عيسى بن هشام ، وبطلها هو ابو الفتح الاسكندري ، صورة للقصة القصيرة ونموذج لها ، ففيها من القصة القصيرة العقدة وتحليل الشخصيات ، وتحسب من اول بذور النثر القصصي في الادب العربي ، لانها ترمي الى تصوير بعض النماذج الفنية بطريق قصصي ، وفيها صور عن المجتمع العربي الاسلامي ولها أصول فنية معروفة .. والحياة العربية في مختلف جوانبها ..

واشهر الذين كتبوا المقامات : بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ هـ : ١٠٠٨ م) ومقاماته تعرف بمقامات البديع ، وقد تأثر فيها بابن فارس وابن دريد على ما يظن .

ولولا انصراف الكتاب فيها الى الصناعة اللفظية لخطت المقامات خطوات واسعة في سبيل ابداع النثر القصصي الذي يصور المشاعر والوجدانات والعواطف المختلفة ، وحياة الطبقات والمجتمع .

ومن باب الفكاهة والتشويق جعل البديع موضوع مقاماته الكدية ، وقلده في ذلك الحريري وسواه .

ومقامات الحريري(٥١٦ هـ : ١١٢٢ م) على نهج مقامات البديع ، وتشتمل على كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها ، وهي على لسان أبي زيد السروجي ، وراويها هو الحارث بن هشام البصري .

وبطل مقامات البديع والحريري من الطبقات الدنيا في المجتمع ، الا أن شخصية السروجي في مقامات الحريري ادق في التصوير النفسي الذي يقرب مقامات الحريري من النضج الفني ، الذي تمتاز به القصة في العصر الحديث

وقد أخذ الفرس فن المقامات من العرب فكتب القاضي حميد الدين البلخي المتوفى عام ٥٥٩ ك : ١١٦٤ م مقاماته ، مقلدا فيها البديع والحريري . وهي أولى المقامات في الادب الفارسي .

وكما أثرت المقامة العربية في الادب الفارسي كان لها كذلك تأثيرها في الادب العبري والتركي ، وفي الادب الأوروبي ،

فقصص الشطار في الادب الاسباني اثر للمقامات في جوانبها الفنية ، وعناصرها ذات الطابع الواقعي ، بل ان الواقعية في القصة الاوروبية مدينة للمقامات بنزعتها الفنية ، وقصص

العادات والتقاليد في أوروبا في معناها الحديث ، تأثرت بهذه النزعة أيضا ، وهي التي نشأت عنها القصة الاجتماعية أي ذات الطابع الاجتماعي فيما بعد ..

ولقد كان ابتكار البديع الهمذاني في القرن الرابع لفن المقامة حدثا أدبيا جديدا في الادب العربي ، اذ بهرت الادباء والنقاد والرواة بأسلوبها ، ونزعة القصة فيها ، وبهذا الحوار الذي طالما دار بين بطلها أبي الفتح الاسكندري وراويتها عيسى بن هشام . كما بهرهم هذا النموذج الفني الرفيع الذي تمثل في شخصية الساساني أبي الفتح البطل وفتن الناس بمقامات بديع الزمان افتتانا شديدا ، وليس هناك الا البديع نفسه ، فهو ابو المقامة في الادب العربي ، وصاحب الفضل في ابتكارها .

يؤيد ذلك الحريري ابو محمد القاسم بن علي البصري نفسه في مقدمة مقاماته فقد جعل ابتداع المقامات راجعا الى بديع الزمان ،وعلامة همذان ، وكذلك جعل الثعالبي (ــ ٤٢٩ هـ) البديع هو المبدع الاول لها ، والواضع لاصولها وخطتها . ويتابعهم في ذلك كثيرون منذ القديم الى اليوم ، فهذا مارون عبود يقول في كتابه « بديع الزمان » : ان خطة المقامات من عمل البديع ، فهو الذي البسها هذا الطراز ، وعلى طريقته هذه التي شقها سارت عجلة الادب الف عام وعبثا نحاول العثور على اثر لهذه الخطة عند غير البديع ..

وكذلك ذهب مازن المبارك الذي يقول في كتابه « مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته » : فتح البديع باب فن جديد هو فن المقامة في الادب العربي .

هذا هو الرأي السائد في نشأة المقامة ولكن الحصري صاحب كتاب « زهر الآداب » يذهب في كتابه الى أن البديع اقتبس فن المقامة من أحاديث ابن دريد (٢٢٣ ــ ٣٢١ هـ) .

ومعنى ذلك ــ كما قال د . زكي مبارك في كتابه « النثر الفني » أن « البديع » ليس هو المبتكر لفن المقامة ، وان كان له فضل في نشأتها .. وينفي مؤلف كتاب « بديع الزمان رائد القصة القصيرة » وهو د . مصطفى الشكعة أن تكون أحاديث ابن دريد ذات صلة بفن المقامة كما عرف عند البديع ..

وجعل آخرون من الباحثين بديع الزمان محتذيا حذو أستاذه ابن فارس (ــ ٣٩٥ هـ) في رسائله الحوارية .

ويذكر آخرون ، ومن بينهم « شوقي » ضيف أن البديع اقتبس مقاماته من كتابات الجاحظ وقصصه في « البخلاء » و « الحيوان » و « المحاسن والاضداد » عن أهل الكدية ، ومع جواز ذلك في المضمون ، فان شكل المقامة الفني يبقى جديدا كل الجدة عند البديع وهناك على أية حال فرق بين البذرة والثمرة في أي عمل أدبي أو غير أدبي .

ويجعل بعض المستشرقين أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان هما الملهمتين للبديع بفكرة المقامات ، ويذكر آخران قصص جحا في الآداب الفارسية والعربية والتركية ذات أثر في نشأة المقامة . وهذا كلام يعوزه الدليل .

ويذهب بعض الباحثين الى أن حكاية أبي المطهر الازدي التي سماها « حكاية أبي القاسم البغدادي » وهي التي كتبها عام ٣٠٦ هـ ، كانت هي الاصل الذي احتذاه البديع في مقاماته ، وأن الازدي هو مبتكر فن المقامة ، وأن شخصية أبي القاسم البغدادي في حكايته هي شخصية أبي الفتح الاسكندري .

وذهب آخرون الى أن المقامة مقتبسة من أصل فارسي ، ولكن الباحثين ينفون أن تكون المقامات قد وجدت في الادب الفارسي قبل بديع الزمان ، اذ لم تعرف المقامة في الادب الفارسي الا بعد البديع بنحو قرن ونصف من الزمان ، فأول مقامات كتبت بالفارسية ، هي للقاضي حميد الدين البلخي (ــ ٥٥٩ هـ) وقد بدأ في كتابتها عام ٥٥١ هـ وتوفي بعد ذلك بنحو ثمان سنوات .

ويؤكد محمد تقي الدين بهار في كتابه « تاريخ تطور النثر الفارسي » أن المقامة من اختراع البديع ، وأن كل اختراع في الادب العربي كان له صداه في الادب الفارسي ، وأن حميد الدين قلد البديع والحريري في مقاماته ، وقد ذكر الانوري مدى اعجاب الفرس وافتتانهم بمقامات حميد الدين .

ان هذه القصة الحوارية القصيرة ، ذات النهج الفني المتميز الملتزم ،والصياغة

الطريفة ، والصبغة الجديدة ، والفكرة الساسانية ، التي دعيت « مقامة » ، قد انشاها البديع الهمذاني ، لتجابه مطالب الحياة الفنية والادبية والفكرية والاجتماعية والسياسية الجديدة في عصره .

ولقد جعل بديع الزمان لمقاماته بطلا ساسانيا هو ابو الفتح الاسكندرى ،فهو الذى مثل كل ادوارها ، ونهض بجميع فصولها ، وقام بكل احداثها .. فمن هو أبو الفتح الاسكندرى هذا ؟

ان شخصية أبي الفتح ـ كما تبدو من خلال المقامات شخصية رائعة حقا ، فهو بطل الموقف كله في المقامة ، وهو كما يصوره الهمذاني عالم وأديب وشاعر وهو ناقد بليغ ، ومغامر محتال ماهر ، مشرد في الآفاق ، تقسو عليه ظروف الحياة،فلا يجد أمامه الا الكدية والاحتيال بكل أسلوب من أجل المال أو الطعام ، وهو الى ذلك كله مجرب حكيم ، خبير بالايام وصروفها ، عركها وعركته ،يجوب الآفاق ، ويخطب في الاندية ، ويهز الناس بفصاحته وبلاغته ، ونوادره وفكاهاته وحواره ،وكنية أبي الفتح لعلها رمز الى فتوحات هذا البطل وانتصاراته في مواقفه العجيبة في الكدية .

أما وصف الاسكندرى الذى لازمه فقد يكون معززا لذلك المعنى على أنه نسبه الى الاسكندر ، فتكون فتوحات أبي الفتح في أموال الناس شبيهة بفتوحات الاسكندر ، ولا يناقض ذلك أن أبا الفتح الاسكندرى يكرر في مقاماته قوله « اسكندرية دارى » كما في المقامة العلمية مثلا ، وهي المقامة الاربعون ، فاذا كان اللقب نسبة الى مدينة ، فانها هي مدينة الاسكندر أيضا ، وباسمه سميت فالاسكندر الاكبر المقدوني (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م) هو الذى أنشأها .

على أن الاسكندرية هذه تحتاج الى امعان وبحث طويل .. ففي المقامة التاسعة الجرجانية يعدل أبو الفتح البطل متحدثا عن نفسه : انى امرؤ من أهل الاسكندرية من الثغور الاموية ،وفي المقامة التاسعة والعشرين الحمدانية يقول : من الثغور الاموية والبلاد الاسكندرية . ويكرر أبو الفتح نسبته الى الاسكندرية في مواضع كثيرة أخرى .

فاذا رجعنا الى ياقوت الحموى في كتابه « معجم البلدان » وجدناه يذكر أن الاسكندر بنى ثلاث عشرة مدينة سماها كلها باسمه ، ثم تغيرت أسماؤها بعده فمنها : اسكندرية مصر ـ والاسكندرية التى صار اسمها سمرقند ، والتى صارت مرو والتى سميت بعد باسم بلخ ، واسكندرية الاندلس على النهر الاعظم ، نهر أشبيلية ، وهي التى رجحها الامام محمد عبده لوصف البديع لها بأنها من الثغور الاموية ، وقد كانت الخلافة الاموية تحكم الاندلس في القرن الرابع الهجرى عصر البديع ، الا انى وجدت رحالة عربيا في القرن الرابع ، هو أبو دلف الخزرجي ، يذكر مدينة المنصورة عاصمة السند ، ويقول : ان الخليفة الاموى مقيم بها ..

فهل كانت هذه المدينة قديما تسمى الاسكندرية أيضا ليصبح أمامنا احتمال جديد آخر ؟ ويذكر بعض الباحثين أن الاسكندرية أيضا بين بغداد والحلة ، ولكن ما صلتها بالثغور الاموية ..

ويذهب د . عبد الوهاب عزام الى أن صحة الكلمة الآموية نسبة الى نهر آموى جيحون) ، وبذلك تكون الاسكندرية المقصودة هي مدينة الاسكندر على نهر آموى .. ومن هذا كله نكون قد عرفنا اجمالا المراد من كلمة أبي الفتح ، والاسكندرى .

ولكن مع ذلك كله : فمن هو أبو الفتح الاسكندرى ؟

هناك راى سائد انه شخصية اسطورية خيالية محضة ، لا نصيب له من الواقع .. كشخصية راوى المقامات أيضا « عيسى بن هشام » ..

يقول الحريرى في مقدمة مقاماته : كلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لاتتعرف .. ويؤكد ذلك المستشرق الفرنسي ايوار فيقول : وضع البديع شخصا خياليا ابتكره ،وسماه أبا الفتح ، وذهب بعض

الباحثين الى أن عيسى بن هشام راوية المقامات كان شيخا للبديع ، ومنهم أبو شجاع شيرويه (٥٠٩ هـ) مؤلف كتاب « تاريخ همذان » ، وينقل ذلك عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الادباء » ولعل ذلك وهم ناشيء من قول البديع فى مطلع كل مقامة من مقاماته : « حدثنا عيسى بن هشام » ، ولو ذهبنا الى أن أبا الفتح هو الذى كان أستاذا للبديع لكان ذلك أكثر صلة بالبحث ، وأكبر انطباقا على الموضوع ·

ويقول د · الشكعة فى كتابه « بديع الزمان » : حاولنا أن نجد لبطلى المقامات صدى تاريخيا ، فلم نعثر لهما على أثر ، والغالب أنهما من ابتكار خيال البديع نفسه ·

وهناك رأى آخر ، وهو أن شخصيات مقامات البديع كانت لاشخاص وجدوا بالفعل ، ويذهب الى ذلك بعض المستشرقين ،الا أنهم لم يستطيعوا تحديد هؤلاء الاشخاص المجهولين ، ولا الكشف عن شخصياتهم التاريخية ·

ويذهب بعض الباحثين كذلك الى أن أبا الفتح هو البديع نفسه ·

ويذهب باحث آخر هو الاستاذ الزهيرى فى كتابه « الادب فى ظل بنى بويه » الى أن الكدية أو الساسانية التي كانت صناعة أبى الفتح كان من أعلامها فى عصر البديع : ابن الحجاج(ـ ٣٩١هـ) وابن سكرة (ـ ٣٨٥ هـ) ، وأبى الوردد (المتوفى نحو عام ٣٩٠ هـ) ، وأبى حيان التوحيدى (ـ ٤١٣ هـ) · وأبى دلف ، والاحنف العكبرى ، وأقربهم شبيها به اثنان : أبو دلف الخزرجى ، والاحنف العكبرى ·· وذهب الى ذلك أيضااقتباسا من الزهيرى : الدكتور محمد غنيمى هلال

ولكنى اذهب الى أن أبا دلف وحده هو أبو الفتح الاسكندرى ، ويكون أبو الفتح الاسكندرى على ذلك هو شخصية تاريخية معروفة فى عصر البديع ··

ودليلنا على ذلك نصوص من كتاب « يتيمة الدهر للثعالبى » ·

فقد جاء فى « اليتيمة » الجزء الثالث منها : أنشدني بديع الزمان لابى دلف ، ونسبه فى بعض المقامات الى أبى الفتح الاسكندرى من المقامة القريضية :

ويحك هذا الزمان زور
فلا يغرنك الغرور
لا تلتزم حالة ولكن
در بالليالى كما تدور

ومن هذا النص نعرف أن البديع أنشد الثعالبى شعرا لابى دلف ، وأن هذا الشعر نفسه نسبه البديع فى مقاماته الى أبى الفتح الاسكندرى ،فتكون النتيجة أن أبا الفتح هو أبو دلف نفسه باقرار البديع ·

وكان البديع راوية لابى دلف ، وينزل أبا دلف من نفسه منزلة الاستاذ والمعلم·

ومن ذلك أرى أن البديع الهمذانى حين كتب مقاماته وأراد لها بطلا اختار أبا دلف ، أستاذه وصديقه ومعاصره ، بطلا للمقامات ، وكنى عنه بأبى الفتح ·

وكان أبو دلف أروع نموذج ساسانى يصلح بطلا للمقامات ، وكانت حياته وشخصيته وتجاربه مطابقة تمام المطابقة للنموذج الذى صوره البديع فى المقامات فى شخص أبى الفتح الاسكندرى ولان شهرة أبى دلف وتجاربه كانت تصلح معينا يستقى منه البديع كل ما يريد أن يصور به أبا الفتح ·

وحين سمع البديع الهمذاني قصص أبى دلف معاصره ، والشيخ الحكيم المجرب ، عن رحلاته وتطوافه في البلاد ، واستمع الى فكاهات هذا الشيخ وسمره في مجالس الملوك والامراء والوزراء ـ رأى أن هذه الصورة الفنية ، والنموذج الادبي يصلح أساسا لفن جديد ابتكره وسماه المقامة ، فكان أبو دلف هو الملهم للبديع الشاب الذكى بابتكار فن المقامة في الادب العربى فى القرن الرابع الهجرى ··

وما قصة أبى دلف أخيرا ؟

أبو دلف الخزرجي الينبوعى ، واسمه مسعر بن المهلهل أطرف شخصية فى القرن الرابع الهجرى ، وقد عاش فى

هذا القرن نحوا من تسعين عاما (٣٠٠ ـ ٣٩١ هـ) : (٨١٣ ـ ١٠٠١ م) ،وهو من عرب ينبع في الحجاز ، ومن سلالة الخزرج ولذلك يقال له : الينبوعي الخزرجي ، وهو أعظم رحالة في القرن الرابع الهجرى ، وكان شاعرا مبدعا موهوبا ، ونوه به الثعالبي في الجزء الثالث من كتابه « اليتيمة » تنويها كبيرا

وقد عاش في ظلال الدولة السامانية في بخارى فترة طويلة ، وعمل سفيرا للملك الساماني نصر بن أحمد الذى بعث به مهام سياسية الى الهند والى الصين .

ثم اتصل بالبويهيين ومدح عضو الدولة ، والصاحب بن عباد الوزير ،وابن العميد أيضا وصار مقربا اليهم ، وقال عنه الملك عضد الدولة البويهي : « لله درك يا أبا دلف ، ملك أنت يا أبا دلف بنادم الملوك » .

وقد ألف أبو دلف الرسالة الاولى وفيها يصف رحلاته الى الهند والصين اللتين قام بهما عام ٣٣١ هـ : ٩٤٢ م .

ثم الف الرسالة الثانية في وصف رحلته عبر أواسط آسيا وكان قد قام بها بتشجيع من الصاحب بن عباد الوزير ، حيث طاف فيها بارمينية واذربيجان وايران ، وقام بها بين عام ٣٣١ هـ وعام ٣٤١ هـ : ٩٤٢ و ٩٥٢ م .

والرسالة الاولى درسها وستنفلد عام ١٨٤٢ ، وسلوزر عام ١٨٤٤ الذى طبعها وترجمها الى الالمانية ، وشاركه في ذلك المستشرق فراين في كتابه « مجموعة الرحلات والنصوص الجغرافية » .

والقى المستشرق الروسي غريغورور عام ١٨٧٦ بحثا عنها في المؤتمر الدولى الثالث عشر للمستشرقين المنعقد في بطرسبرج .

ودرسها كذلك روزن وماركفارت (١٩٠٣) ، ووضح خط رحلة أبي دلف الى الصين ، وكذلك فعل بارتولد ومينورسكي (١٩٦٧) ،وكراتشوفسكي في كتابه « تاريخ الادب الجغرافي العربي » . وعرض لها روزصوير (١٩٣٩).

أما الرسالة الثانية فقد حققها مينورسكي وطبعت عام ١٩٥٠ م . ثم طبعت في موسكو بتحقيق خالدوف ، بلغاركوف عام ١٩٦٦ ، وطبع تحقيقها في القاهرة بترجمة محمد منير موسى عام ١٩٦٦ .

وفي هاتين الرسالتين نقف على الرحالة العظيم أبي دلف الخزرجي وعبقرية ذهنه اللماح ، وجلال شخصيته الساحرة الآسرة، وعمق تجاربه وأوصافه لمشاهداته في كل مكان حل فيه .

وفي يتيمة الدهر للثعالبي شعر لابي دلف ، وأشهر شعره هو قصيدته الساسانية المشهورة يقول فيها :

***

جفون دمعها يجرى
لطول الصد والهجر
وقلب ترك الوجد
به جمرا على جمر
لقد ذقت الهوى طعمين
من حلو ومن مر
وشاهدت اعاجيبا
وأهوالا من الدهر
على انى من القوم
البهاليل بني الفر
بني ساسان والحامي
الحمى في سالف العصر
فنحن الناس كل الناس
في البر وفي البحر
اخذنا جزية الخلق
من الصين الى مصر
لنا الدنيا بما فيها
من الاسلام والكفر
فان ضاق بنا قطر
نسر عنه الى قطر

وجبت الارض حتى صرت في التطواف كالخضر وحقا لقد جاب ابو دلف الآفاق والارض ، حتى لقى ربه عام ٣٩١ هـ : ١٠٠١ م .

نهر بلا ضفاف

● محمود العتريس ●

وفى سكون ، تغرق السفينه

ويحتويها ذلك النهر ، الذى بلا ضفاف

لعلنى أدركت ، أن هذه نهاية المطاف

وربما ، من قبل أن تبدأ تلك الرحلة السجينة !

●

هل تذكرين ، عندما تحطم المجداف

حين تضاحكنا هوى ، ثم تعاهدنا على ألا نخاف

وعندما تحجب عن أعيننا أنوارها ، المدينه

فسوف نوقد الشموع ، فى قناديل السكينه !

وعندنا الزاد ، الذى يغيث فى أيامنا العجاف

●

ها نحن ، قد أوشك أن يأكلنا الجوع ، ويحسو الجفاف

وتمرح الظلمة ، فى أيامنا الضنينة

فهل لنا فى وقفة اعتراف

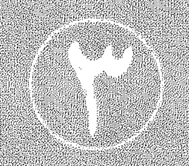
نعلن فيها — دونما حزن ولا ضغينه

بأننا كنا ، معا ، وراء مصرع السفينه ؟؟؟ !

عالم يفتح باب الاجتهاد!

لا يتعين رجم الزاني المحصن حدًا!

● تتمة ما نشر ●



● د : محمد سعاد جلال ●

اما الاستدلال بالحديث الذى ذكرناه فى العدد الماضى فـذلك ما مهدنا به فى « المقدمات » ان مناط استدلال القوم فى هذه المسالة ، الاعتماد على خبر الواحد او على القياس ـ كقياس الشافعى للواط على الزنا فى ايجاب حد الزنا على اللائط : وكل ذلك ظن تلابسه الشبهة فلا يصلح دليلا .

الوجه التاسع : روى الشعبى ان عليا رضى الله عنه ـ حين رجم المراة ضربها يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، فقال : جلدتها بكتاب الله ، ورجمتها بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه احمد والبخارى .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث وهو من اهم مايعنينا فى الشهادة للمطلوب ان عليا ـ عليه السلام ـ اثبت ان آية الرجم لم يمسها نسخ ولا تخصيص وانها كانت موفرة الدلالة على تمام معناها ـ فلذلك قال ـ عليه السلام ـ جلدتها بكتاب الله فالجلد هو حكم الزانية المحصنة غير مستبدل به الرجم كما هو راى اصحاب المذاهب التعليديه ـ ولكن الامام عليه السلام لم يجعله تمام الحد : والمهم الذى يعنينا تكراره ثبوت ان آية « الزنا » المذكورة لا تزال تظل آية محكمة لم يدخل عليها النسخ . وعدم اكتفاء الامام ـ عليه السلام ـ بما افادته من خصوص الجلد هو الذى نتنازع فيه ، ونرى انه كان محل اجتهاد منه ـ عليه السلام ـ

والدليل الاكثر على عدم نسخ الاية المشار اليها ما افادة « الشوكانى » من ان الحادثة المتعلقة برجم المراة المحصنة وجلدها . انما كانت بعدموت النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وامتنع ان تكون هذه الاية التى وقعت من على ـ عليه السلام ـ استدلالا على وجوب الجلد للمراة المجلودة منسوخة اصلا ، لانها مالم تنسخ فى حياته فقد استحال وقوع نسخها بعد مماته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قدمنا فى الفصول السابقة .

تمحيص النظر فى صحة العمل بدليل فى طريقة شبهه

ذهب الشافعية ومن وافقهم فى ايجاب الرجم على الزانى المحصن الى اعتماد خبر « الاحاد » فى الحجية ـ مع اعترافهم بانه دليل يعترض طريقه شبهه احتمال كونه كذبا ، وان كان هذا الاحتمال مرجوحا ـ كما قررنا فى المقدمات .

وهذا المبدا عند الشافعية وغيرهم هو ـ كما رايت فى اثناء الكلام ـ اساس القول عندهم باثبات حد الرجم على الزانى المحصن . فلم يكن القول بالرجم باطلا من اساسه ، بل هو راى اتسع له الاجتهاد وان كان اجتهادا مردودا عندنا على الاقل فى هذا العصر لتغير الفتوى بتغير الازواق ومن اجل ذلك اثرت التزام جانب الامانة فى عنوان البحث ، فجعلته بهذا اللفظ « لايتعين رجم الزانى المحصن حدا فى شرع الاسلام » ـ لانه ـ وان وجد له ـ حكم الرجم ـ سعة فى اجتهاد اكثرية الفقهاء فى كل العصور الا ان ادلة الشرع القاطعة لا تعينه دون غيره ولا تقطع السبيل على وجود اجتهاد غيره . ولعلنا بهذا الاتجاه ننصف مخالفينا كل الانصاف .

لا بد للشريعة الإسلامية وهى تصارع أعدى أعدائها من عصائب الرجعية الدينية أن ترتفع إلى مستوى التطبيق

وسنعرض فى هذه الفقرة بالــذات لابطال صحة الاستدلال بما يتضمن شبهة .

قرر « الشاطبى » فى « الموافقات » أن ادلة الشريعة الجزئية ـ اذاتضافرت وتكاثرت فى الدلالة على حكم معين ـ وكان هذا الاستقرار تاما فانه يؤدى الى حصول دليل كلى قطعى يثبت الحكم فيكون الحكم ثابتا به قطعــا ، قال : وبهذه الطريقة تثبت أصل « الاجماع» لان أصول الشرع لا تثبت الا بقاطــع وباستخدام هذا الطريق المعتمــد فى الاستدلال نعمد لابطال مذهب الشافعى ومن وافقه فى المسالة ونرجح مذهب ابى حنيفة ، فنقول اننا اســتقرانا الادلة الشرعية الجزئية فى ابواب الحدود وهى محصورة يمكن ضبطها فوجدناهاجميعا متضافرة على اسقاط الحد عن الجانى بالشبهة ، وانه اذا وجدت شبهة فى طريق اقامــة الحد اعتبرها الشــارع مانعة من اقامة الحد على الجانى ـ بل ان الشارع ليتصيد الاحتمالات الدارئة للحد عن الجانى ويتحيل الحيـــل الواضحة لدفعه .

ومن ذلك على سبيل المثــال قوله « لماعز بن مالك » لما اعترف له بين يديه بالزنا « لعلك قبلت ، أو غمــزت ، أو نظرت »

وفى رواية « أشربت خمرا ؟ قال : « لا » .

وفى رواية ابن عبــاس قال : جاء « ماعز ابن مالك » الى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فاعترف بالزنا مــرتين نطرده » : ولم يستبح رجمه الا بعــد أن أقر على نفسه بالزنا أربع مــرات وهو يرده عن مجلسه فى ثلاثة اقرارات حتى كانت المرة الرابعة ـ وهو يقر ـ فأمر برجمه .

فعن « بريده » قال : « كنا نتحدث أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم أن « ماعز بن مالك » أو جلس فى رحلة بعد اعترافه ثلاث مرات لم يرجمــه ، وانما رجمه عند الرابعة .

ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ للسارق : لا اخاله سرق « استدفاعــا للتهمة عنه ، ولذلك فى أحكام الشرع نظائر كثيرة : قد يكون من اشــدها حدة فى استعمال او هى الشبهة فهــو متقرر فى مذهب الحنفية من قول ابى حنيفة بالذات ان الرجل لو عقــد على امه عقد زواج ـ وهو مسلم وفى دار الاسلام ودخل بها لا يحد حد الزنى ، واعتبر عقده على امه شبهة مانعة مــن اقامة الحـــد عليه وهو من الغرائب المستدفعة (*)

وما ذهب اليه الشافعى من ان الرجل يجوز له أن يتزوج بنته من امراة زنى بها ـ قال : لان « الحرام لا يحــرم الحلال » .

وهذه المسالة عند الشافعى وان لم يظهر فيها تمام المشاكلة لما اردنا الااننا اردنا فى هذا المقام ان نعرض من اراء اصحاب المذاهب التقليدية التى يجمد على تقديسها المقلدون بعض الغرائب التى لا يجــوز للقائلين بها التشنيع على « الخوارج » و « النظامية » فى رفض حكم الرجم وهو غير موجود فى كتــاب الله ـ وافتراض وجــوده فى الشرع يقتضى تبــديل نص القرآن أو تعطيل عموم حكمه .

ونلوي عنان القلم عن هذا الاستطراد الذى هجم لساعته لنعود الى القول :

اذا عرفتم أن الشارع اعتبر الشبهة مانعة من اقامة الحد على الجاني .

وعرفتم ان خبر الاحاد فيه شبهة احتمال الكذب والخطأ لم يبق بد من التسليم بأن اخبار الاحاد لا يعتمد عليها في اثبات حد الرجم — كما هو مذهب الحنفية — خلافا لما اعتمده الشافعي وان ماذهب اليه الشافعي اجتهاد مرجوح .

وان ماذهب اليه أبو حنيفة هوالحق الذى بنينا عليه رأينا في ترجيح القول بعدم ثبوت « الرجم » شرعا ، وصرفناه في خدمة اجتهادنا القاضي بذلك .

الآن : وقد استوفينا ادلة اصحاب المذاهب التقليدية عرضنا وابطلناها حتى تبين لنا في موضع الخطأ فلنقدم لكم الرأى الاخر القاضي بعدم ثبوت صحة الرجم على الزاني المحصن وهو المذهب الذى نرجحه وندعوا لتطبيقه والعمل به — ان قدر للشريعة الاسلامية وهى تصارع اعدى اعدائها من عصائب الرجعية الدينية — ان ترتفع الى مستوى التطبيق .

بيان رأى « الخوارج » و « النظامية »

قال « الخوارج » و « النظامية » من المعتزلة ، لا رجم على الزاني المحصن واستدلوا على مذهبهم بالقرآن والعقل ، بالاضافة الى أن كل ما أسلفنا لك بيانه من أوجه الابطال القوية والحاسمة الكثيرة لوجهة نظر مخالفيهم يعد نصرا لمذهبهم — اذا بقى مذهبهم بعد بطلان مذاهب مخالفيهم هو المذهب المنفرد ، بتمثيل حكم الشرع في ساحة الطلب لهذا الحكم .

فأما القرآن فقوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

قالوا ان هذا النص ورد بيانا للحد فتعين أن يكون متضمنا لتمام العقوبة التى قدرها الشرع والتى يخرج بها المكلف من عهدة الخطاب بها ، فلا يجوز الزيادة عليها ولا أن يستبدل بها غيرها بطريق السنة ، لان ذلك يعد نسخا لها ونسخ القرآن بالسنة لا يجوز — كما قررنا سابقا .

وقوله تعالى : « فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب » : المراد بالمحصنات هم النساء الحرائر ، والمراد بمن اتين الفاحشة منهن هم النساء الاماء . والمراد بـ « الفاحشة هي جريمة الزنا » وقدجعل الله عقوبة الامة اذا ارتكبت جريمة الزنا نصف عقوبة الحرة — اذا زنت — فتكون عقوبة الحرة قابلة للتنصيف ، لكن الرجم ان قلنا بثبوته على الحرةفهو لا يقبل التنصيف فلزم ان تكون عقوبة الحرة شيئا يقبل التنصيف — وذلك الذى يقبل التنصيف . انما هو الجلد فقط وليس « الرجم » ، فتعين أن يكون الجلد هو الحد فقط للامة وللحرة المحصنة ، وبطل ان يكون الرجم حدا .

واما استدلالهم بالعقل فكان على النمط الآتي :

قالوا : ان الله — سبحانه — ذكر في القرآن انواع المعاصي الغليظة من الكفر والقتل ، والسرقة ، ولم يستقص في ذكر أحكامها ، كما استقصى في بيان احكام « الزنا » من عدة وجوه .

اولها : انه نهى عن الزنا مع تسميته فاحشة بقوله : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة »

وثانيها : أنه توعد على فعله بالتعذيب بالنار .

وثالثها : انه خص الجلد عليه دون غيره — بشهود طائفة من المؤمنين فقال

إن حكمة الله قاضية بتقدير العذاب، ورحمته مانعة من أن يكون العذاب غاية في نفسه

« وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »

ورابعا : انه نهى عن اتخاذ الرأفة بالزاني ـ كما قال : « ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله »

وخامسا : انه اوجب على من رمى مسلما بالزنا ثمانين جلدة ولم يجعل مثل هذه العقوبة على من رمى مسلما بالكفر والقتل وهم اعظم منه جرما

وسادسها : انه رد شهادتهم فقال : « ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا »

سابعها : انه تعالى ذكر ان الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك »

وثامنها : بين ان شهودالزنامخصوص بالاربعة دون ماسواه من المطالبات الشرعية .

قالوا فمع مبالغة الشارعفي استقصاء احكام الزنا قليلها وكثيرها في القرآن الكريم على مارايت من الاستغراق ـ لا يجوز عقلا ان يكون قد اهمل بيان النص على ماهو اعظمها اهمية واشد خطرا وهو الرجم ، فحيث لم يذكره تعالى اذ كانت تتوفر الداعي على ذكره وذكر في المقام ماهو اقل منه خطرا واهمية واقل اثرا فقد دل ذلك على ان الرجم حكم مفقود في الشرع غير غير ثابت به وعلى ان ظهوره في السنة في هذا المعرض مؤذن بعدم الثقة به

ـ قلت وهذا المنهج الذى بصطنعة الخوارج في اعدام الثقة بما يسمى سنة بازاء قيام ادلة العقل على ردها ، هو منهج مساو لمنهج اصحابنا من الحنفية فيما يسمونه « الانقطاع الباطن »ويعنون به أن الحديث النبوى له صورتان من « الانقطاع » : « الانقطاع الظاهر » وهو انقطاع « السند » . بسقوط فرد أو أكثر من سلسلة « السند » وهو يقضى بعدم حجية الحديث . «والانقطاع الباطن » ـ وهو أن يكون سند الحديث متصلا لكنه يقع معناه على خلاف مقتضى العقل ، فيكون ذلك من اسباب انقطاعه معنى وترك العمل به . ومثاله الذى يستوى فيه مع منهج الخوارج في خصوص هذه المسالة : ماف سرره الاحناف في حد « اللواط » فمنع أبو حنيفة ان يكون في « اللواط » حد وجعل فيه التعزيز ، ولما عورض بقوله ـ عليه السلام ـ « من وجد تموه بعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » رده بكونه منقطعا باطنا ، لان الصحابة لما تجادلوا بينهم في هذه المساله اعرضوا عن الاستدلالبالحديث واختلفوا على آراء متشعبة ، فلو أن في الإمر حديثا في المسالة لاحتكموا اليهولم يختلفوا فيما بينهم في بيان الحكم ، فكان أعراضهم عن الحديث في وقت حاجتهم اليه مثار شهادة العقل بعدم صحة هذا الحديث وانقطاع سببه للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ..

فلم يسلك الخوارج في رد حديث « الرجم » الا مسلك الحنفية في رد حديث « اللواط » .

ولكن هذه ابعاد من العلم مستحيل ان يصل اليها من عصبوا عقولهم بعصابة التقليد .

طريق آخر في الاستدلال لمذهب الخوارج بينا طريق « الخوارج » في الاستدلال

لمذهبهم المنقول عنهم وان لم ينقل الينا عنهم كل ما يحتمل ان يكونوا قالوه لتعذر مراجع فقههم ..

ونضيف الى ذلك تأييدالهم :

أولا : ان روح العصر الحاضر ومشاعر الناس فى هذا الزمن لم تعد تحتمل وقع هذه العقوبة الشنيعة ، واصبح ذلك موضع نقد موجه الى احكام الفقه الاسلامى الاجتهادى - لا تقول الى الشريعة الاسلامية - وهو نقد غير مرفوض ، حتى من وجهة نظر الشريعة نفسها ، لان الشريعة يجب ان تكون فيما لا يصدم بقطعى اداة قانونية مرنة موظفة للتعبير عن مشاعر الجماهير المتطورة بتطور العصر .

ولذلك قرر الفقهاء كان « القيم » وغيره ان « الفتيا » تتغير بتغير الزمان والمكان والاحوال . والنبات والعوائد ، نقول فاذا تغيرت مشاعر الناس بازاء عقوبة من العقوبات تغيرا عالما - لامحليا فقط - كما هو الحال فى عقوبة الزنا الشرعية الراهنة ، ورأوا فيها من الشدة والقسوة مالا تطالب بمثله مشاعر الناس ولا يرون الحاجة الى الزجر عنها بمثله - بل انهم ليزجرون عنها بعقوبة اقل منها مما يجعل الاصرار على استعمالها منافيا لمقصدها التشريعى - اذا كان الامر كذلك كان التماس العدول عن استعمال هذه العقوبة الى عقوبة غيرها بديل عنها تكون اقرب الى كفاية وجدان الناس فيما يبتغونه من عقوبة صاحب المعصية هو غرض الشريعة ، وهدف حكمتها .

ولا يقال أننا جعلنا تغير المشاعر الانسانية العالمية ناسخا لحكم الشريعة بل نقول : حيث يمكن ان نستبدل بالحكم الاشد حكما أيسر ماخوذا بالاجتهاد فى موضع الاجتهاد من مادة الشريعة يؤدى نفس الوظيفة ، نكون قد أبقينا على أعمال الشريعة فى الصورة الاتم لصوقا بها ، والا دخل فى حكمتها ومقصودها .

ثانيا : ثم ان الله تعالى لم يكلفنا فى باب العقوبات ولا فى غيرها بمايعد أشد تعذيبا للناس ولا مايعد عذابا مقصودا لذاته ، لأن حكمة الله قاضية بتقدير العذاب ورحمته مانعة من أن يكون العذاب غاية فى نفسه ، لكنه كلفنا بما يصل اليه اجتهادنا فى فهم خطاب الشرع وقد وصل اجتهادنا فى فهم خطاب الشرع فى هذا العصر الى الحكم بأن الرجم مرفوع عن الزانى « المحصن » فلسنا مطالبين باكثر من ذلك فى اقامة حق الشرع ، ولسنا بمطالبين بتقليد السابقين فيما عملوا به وفى الاجتهاد سعة لان التقليد مع الاجتهاد محظور .

ثالثا : قد عرفنا من صنيع الشارع انه يؤثر التخفيف فى تعقب الجرائم الجنسية ولا يصمد لاثباتها على المتورطين فيها ، يدل على ذلك التعسير فى طريق اثباتها على فاعليها بما يجعل اثباتها اقرب الى عدم امكان حصوله غالبا وتجاهل النبى احيانا على من اعترف له على نفسه باصابة الحد ..

جاء رجل الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال له اصبت حدا يا رسول الله فاقمه على ، فسكت عنه - صلى الله عليه وسلم - حتى اذا صليا العصر عاد الرجل يقول : اصبت يا رسول الله حدا فاقمه على فقال له - عليه الصلاة والسلام - اصليت معنا العصر ؟ قال الرجل : نعم فقال - عليه الصلاة والسلام : « سقط حدك » .

ومعنى أصبت حدا ارتكبت اثما يقتضى اقامة الحد على . كالزنا مثلا .

ومعنى قوله - عليه السلام - « سقط حدك » رفعت عنك العقوبة بصلاة العصر .

وبالله التوفيق ؟

لو نلتقي!

• سالم حقي •

لو نلتقي .. سمراءُ ! .. لو نلتقي
لا تعصف الأمواجُ ... بالزورقِ
لا تعبث الريحُ بفردوسنا
بالعطرِ .. بالريحان .. بالزنبق !
لا تغربُ الشمسُ ... ولا تختفي
عن عالم يجمعنا مشرق !
لا تلعبُ الدنيا بنا ، مثلما
تلهو بنا الأقدار .. لا تتقي !
لا تعبس الأيامُ في وجهنا
ولا تفي بالعهد والموثق !

•

يا حلوة العينين ! .. لو نلتقي
وأرتوي من نبعك المغدقِ :
وأستقي ما شئت أن أستقي
وأغتذي بالكرز والفستقِ !
أغفرُ للأقدار ... أوزارَها
أصفحُ عن زماني .. الأحمق !

•

ياتوبة الأقدارِ .. في مغربي !
يا فتنة .. من قبلُ لم تخلق
جاء الهوى والحب .. فازينى !
لا تغلقي الأبوابَ ... لا تغلقي !

••

من وحي صورة الغلاف

زهور الشعراء

في وصف روض ــ للشاعر الكبير خليل مطران

ايها الروض كن لقلبي سلاما ... وملاذا من الشــــتاء الملازم
زهــــر ذابل كأني أراه ... ثملا من انفاســـه في الكمائم
وغدير صــاف اقام ســياجا ... حوله باســق من الدوح قائم
تتنــاغي بيض من الطير فيــه ... ســابحات وتحتها النجم عائم
كيفما سرق فالطريق عقــود ... نظمت من محــاجر ومباسم !
حبذا البدر مؤنســا يتجــلى ... كحبيب من التغيب قــادم !
حبذا رســـمه الدايا كأبهى ... ما ترى العين في صحيفة راسم
حبذا المــاء والمصــابيح فيه ... كجمان يزينهــا بخــواتم
جنــه بانت المكــاره عنهــا ... وهي بكــرمن الاذى والمحــارم
انما اهلها طيــور حســـان ... ان دعاها الصباح قامت تنادم !

٢ ــ من شعر ابى طاهر بن الخبزازرى فى وصف روضه :

وروضه زارها الندى فقصدت ... لها من الزهر انجم زهــر !
تنشر فيها ايدى الربيــع لنــا ... ثوبا من اوشى حاكه القطــر
كانما شـــق من شـــقائقها ... على ربــاهــا مطــارف خضر
ثم تبــدت كأنهــا حــدق ... اجفــانها من دمائها حمــر

● من قاموس لغة الازهار ●

الاكاسيا : ــ رمز المحبة الشديدة
البنفسج : ــ رمز الوفاء والاحترام
البنفسج الابيض : ــ معناه اني احترمك ولكن لا اريدك ..
الخشخاش : ــ رمز التغريه ..
دوار الشمس : ــ رمز المحبة يميل الى القوة
الزنبق : ــ رمز الحب الطاهر النقي
الكاميليا : ــ رمز الاستقامة
اللؤلؤ (الرغويت) : ــ رمز الاستفسار عن مستقبل الحب !
زهرة الليمون : ــ رمز الحب مع السعادة كانه قول (اتمنى لك السعادة والهناء ايها الحبيب)

الزيتون : ــ	رمز البركة والسلام والطمانينة
سنبلة القمح : ــ	رمز الاتحاد والكثرة
الفل : ــ	رمز الحب مع الكرامة
القرنفل الاحمر : ــ	رمز الحب المضطرم شوقا
المنثور : ــ	رمز الجمال الثابت
النرجس : ــ	رمز الحب المتنوع
الياسمين الابيض : ــ	رمز الحب والرغبة
الياسمين الملون : ــ	رمز الحب المتفنن والمجاملة

● الازهار فى الاساطير القديمة ●

الورد الاحمر

للورد الاحمر قصة انعكست على خيال الكاتب الكبير اوسكار وايلد يوما ، فسجلها كوردة فى الادب الانجليزى .

كان البلبل يحب الورده البيضاء الوحيد فى حديقة السلطان .. وفى ذات يوم وقع الامير السلطان فى حب فتاه راحت تتدلل عليه وتتمنع ، ثم وعدته بالزواج ان هو اتاها بوردة حمراء .

وعبثا بحث الامير عن وردة حمراء ، فقد كانت الوردة الوحيدة هى تلك التى فى حديقة قصر أبيه ، ولكنها بيضاء ..

ورآه البلبل ذات ليلة يجوس خلال الحديقة وقد شفه الهم والسقم . فحط على الورده وسأله عما به .. وقص عليه الامير أساه ــ فقال له البلبل :

ــ لا عليك .. تعال فى الصباح تجد بغيتك هنا !

وانصرف الامير الى مخدعه . أما البلبل فقد اسند صدره الى شوك الوردة وراح يضغط بكل جسده وهو يغنى ..

ونفذ الشوك الى قلبه ، فانساب دمه يروى الودة ..

وفى الصباح كانت الوردة البيضاء قد استحالت حمراء قانية .. وكان البلبل جثة هامدة .. فقد ضحى بنفسه وبوردته الحبيبة فى سبيل اسعاد الامير !

● الكريز انثيم تصاب بالانفلونزا ! ●

الكريز انثيم ليس كباقى الزهور . أو ان تفتحها الخريف ، أو ان تفتح معظم الزهور الربيع ! ..

وهى تحتاج لوقت أطول حتى تتفتح . تزرع فى أواخر ديسمبر لتتفتح بعد أحد عشر شهرا فى الخريف ، فى نوفمبر .

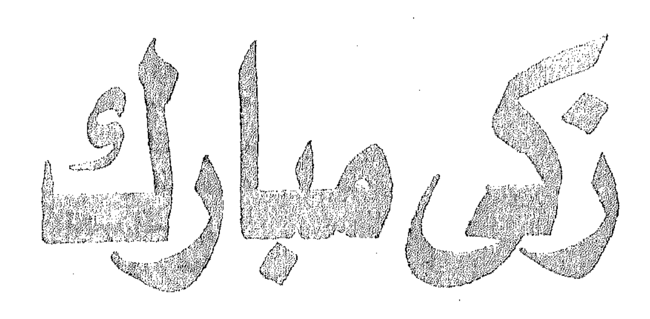
ويبذل خبراء الزهور جهودا متصلة مع زهرة الخريف الكريز انثيم كى يجنبوها اعداءها من ديدان الفل التى تعتبر خطر اكيدا على الزهرة ، كما يبذلون جهودا مضنية حتى يجنبوها الاصابة بالانفلونزا !

نعم ، الانفلونزا .. فهذا النوع من الزهور يصاب بالانفلونزا تماما مثل الانسان ! .. ويلجأ الخبراء الى الاعدام الفورى للمقلة المريضة قبل أن تنتقل عدوى الانفلونزا الى غيرها .

ولزهرة الكريز انثيم او الاروالامعجبون بل مقدسون ، فالشعب الصينى منذ ٢٠٠٠ سنة اتخذ من هذه الزهرة شعارا قوميا له . فهذه الزهرة هى القاسم المشترك فى جميع الاحتفالات القومية الصينية وهى اداه الزينة الرئيسية هناك

وكعادتها ، لم تترك اليابان الفرصة فقد نازع اليابانيون جميع الشعوب فى حب هذه الزهرة، واقام الخبراء اليابانيون عليها التجارب حتى صاروا من اهم المهتمين بهذه الزهرة .

اعداد : احمد الشنوانى



"أمير العشاق" ومصارع الأدباء !

سيسال قوم عن زكي مبارك
وجسمي مدفون بصحراء صماء
فان سـالوا عني ، ففي مصر
مرقدي وفوق ثرى بغداد تمرح اهوائي!

كلمات اهتزت لها افئدة رجـال الادب ذات مساء من عـام ١٩٤٠ في بغداد ، عاصمة العـراق ، حيث كان الشاعر الاديب المفكر « الدكاترة » زكي مبارك يعمل بالتدريس في الجامعـة انذاك .

وبغداد التي يعنيها زكي مبـارك ، ليست بذاتها ، وانمـا من حيث هي رمز للحضارة العربية في اكثر عصورها ازدهارا ، والتي سجل خواطره معها ، واستوحى اعماقها من عبق التاريخ في خمس مجلدات ضخمة كانت اعز ماعاد به من رحلته الى العراق ، وليصبح من خلالها رائدا على درب القومية العربية الاصيلة التي تنبع من اعماق الانسان العربي ، في معزل، عن صـراعات السياسة او الشعارات وتقلباتها ..

انه الدكتور زكي مبارك ، الذي تمر الآن السعة وعشرين سنة على ذكـرى رحيلة ـ وان كان ذكره سيظل باقيا، يحمله ثلاث واربعون كتابا من اهـم ما عرفته المكتبة العربية .

*** من سنتريس الى باريس ***

ولم يكن اكثر الناس تفـاؤلا ليرى في مستقبل الطفل الذي اطل على الحياة صبيحة الخامس من اغسطس عـام ١٨٩١ ـ احدى القرى الصغيرة التي تحتضنها دلتا النيل في محافظة المنوفية ـ سوف يغزو القاهرة ، عاصمة الفكر والثقافة والدين في ذلك الحين ، حيث بها الازهـر الشريف ، وحيث قامت بها اول جامعة مدنية في الشرق .

واذا كان الفتى الريفي ، زكي مبارك قد غزا القاهرة ليحصل على الدرجات العلمية بها ـ الدكتـوراه ـ عام ١٩٢٤ عن رسالة جريئة حول « الاخلاق عند الغزالي » وليصبح اول من يحصل على الدكتوراة من الجامعة المصرية القديمة **فان القاهرة لم تكن لتشفي غليله ...** وهنا شد الرحال الى باريس ـ عاصمة النور آنذاك ـ ليتحـدى علماء الاداب الشرقية ، في رسـالة علمية فريدة في زمانها حول «النثر الفني في القرن الرابع الهجري » انتزع بها درجة الدكتوراة من جامعة السوربون بدرجـة « مشرف جدا »في عام ١٩٣١ ، بعد أن تحـدى عمالقة المستشرقين فيما ذهبوا اليه من انكار فن النثر الادبي على العرب ..

ولقد وقف امام اساتذة السوريون قائلا :

ـ « جئت لأصحح اخطاء المستشرقين

ويوم أدى زكى مبارك امتحـــان الدكتوراه وقف كبير المســـتشرقين الفرنسيين ـ مسيوما سيفيون ـ وقال

ـ « اننى حين اقرأ بحوث طه حسين اقول هذه بضاعتنا ردت الينا ، وحين اقرأ بحوث زكى مبارك اشعر باننى اواجه شخصية جديدة تماما !! »

*** الحياة .. والتحدى ***

ولعل ابرز السمات فى حياة الدكتور زكى مبارك ، هو التحدى .. التحدى من اجل الصدق والحقيقة فى الحياة .

تقول الاستاذة كريمة زكى مبارك :

ـ لقد كانت حياة الدكتـــور زكى مبارك سلسلة متصلة من التحـــديات .. فقد احترق منزل اسرته ـ وهو ما زال طفلا يحبو ، واتت النيران على جميع محتويات المنزل ، وتركتهم بـــلا ماوى ولا قوت .. ولكن الطفل نجا، وجده بين الحطام يتحـــدى النيران ، صامتا دون صراخ .

وذات مرة صعد سطح المنـــزل ، ثم هوى فسقط على صخرة ، وانشـــم راسه بصورة تنذر باأوت ، ومع ذلـــك كتب الله له النجاة ..

وكاد فى مرة ثالثة ان يموت غـــرقا وهو يلعب على شاطىء الترعة ، لولا ان انقذه رجل بالصدفة .

قلت لابنته : لعل ذلك كان مدعاة لان يصبح زكى مبارك ، فى مستقبله ـ رجل التحديات الادبية والفكـــرية فى النصف الاول من هذا القرن ؟

حقا ، هذا ما كان .. ولكنه لم يكن يتحدى من اجل التحدى ذاته ، بل كان التحدى وسيلة لاثبات حقيقة او تدعيم حتى عرف انه كان يرد على معارضيه اما بكتاب يؤلفه ، أو برسالة دكتوراه يصنفها .. حتى اصبح يقال عنـــه انه « الدكاترة » زكى مبارك !

ويذكر التاريخ الادبى ان زكى مبارك لم يكن يعرف المداهنة او المداورة على حساب الحق والحقيقة ، فلقد تصدى لاساتذة الدكتور طه حسين عندما كان يلقى محاضرة يعلن فيها عزمه على احياء



الدكتور زكى مبارك

التراث اليونانى باعتباره مرجعا للفكـــر العربى معا ـ وهنا نهض الطالب زكى مبارك ليدافع عن اصالة الفكر العربى الذى يستمد جذوره من الامة العربية، حتى لقد قال الدكتور طه حسين قولته المشهورة !

ـ « لاتتعالموا علينا » ففى مقدورنا ان نساجلكم بالحجج والبراهين »

وتستطرد الاستاذة كـــريمة زكى مبارك :

ـ ومن أبرز المعارك التى دارت بين زكى مبارك وطه حسين ـ معارك حول النثر الفنى عند العرب .. وحول الادب الوجدانى الذى حمل لواءه زكى مبارك بصورة جديدة على العربية .. ومعركة الادب الذاتى ، ذلك النوع من الكتابة الذى ابتدعه زكى مبارك وابدع فيه .. على ان تلك المعارك كان لها طعم خاص لدى زكى مبارك افصح عنه فى مقال ظريف اسماه « عدوى طه حســـين » عندما قال : « ما اذكـــر انى عاديت انسانا أنا احبه مثل الدكتور طه حسين »

*** معارك فى كل ميدان ***

ولم تكن المعارك مع طه حسين وحده

بل امتدت الي كل ميادين الفكر والادب ومع كل العمالقة– وان تفاوتتدرجاتها – فقد كانت هناك معارك نقد بين زكي مبارك وعباس محمود العقاد – عملاق عصره – ومعالكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى .. ومع « شيخ العروبة» احمد زكي .. ومع الدكتور احمد امين خاصة حول ماذهب اليه من « جناية الادب الجاهلى على الادب العربى .

على ان السمة الغالبة لمعارك زكي مبارك ، هي الدفاع عن اصالة الادب العربي وعراقة الثقافة العربية وتاصيل الفكر العربى .

وتكشف هذه المعارك جانبا هاما من حياة وفكر زكي مبارك ، فلم تكن العروبة لدية فلسفة ذات شعارات ، بل كانت واقعا يتعايش به وفيه ،– ومنطلقا للتفكير والوحي

تقول كريمة زكي مبارك :

وقد حارب زكي مبارك جميع الدعوات التغريبية وكل المذاهب الهدامة والتيارات الوافدة ثم عارض نزعة تمجيد الفكر اليوناني والمناداة بحضارة البحر المتوسط ، وهاجم الدعوة الى العامية ، ودعا الى احياء ذكريات العرب وكانت لجولاته في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين اثار كبيرة في تعميق مفهوم القومية العربية والدعوة لها .

*** ليلي المريضة – من العراق الى الزمالك ***

قلت لها : لا يذكر اسم زكي مبارك ، الا وتثور ذكريات عن « ليلاته »ومنها المريضة في العراق ، والمريضة في الزمالك ، وحتي في باريس .. ترى ماهي حقيقة « ليلاته » ؟

وتصمت الاديبة والابنة لحظة ، ثم تقول :

– لم تكن هناك دائما (ليلى) بالمعنى المفهوم .. بل كثيرا ما استخدم زكي مبارك هذا الاسم رمزا لمعاني يستهدفها حتى ان ليلي المريضة في العراق لم تكن في حقيقتها سوى اللغة العربية التي **تتعثر وسط تيارات اللهجة العامية في بغداد وفي سائر البلاد العربية !**

وفي الزمالك ؟ هنا بدا كانما تتعثر الكلمات على شفتي«الابنة» قبلأن تكون « الباحثة الادبية » كريمة زكي مبارك . هي تقول : – لعل ليلى الزمالك هى اقرب « الليلات » الى الحقيقة فهي بالفعل كانت أعمق تجارب زكي مبارك في الحب واخصبها الي قلبه .. وقدكانت « ليلى » فتاة من « سنتريس » بلد زكي مبارك ، رائعة الجمال ، واحبها الشاعر حبا عنيفا ، زادت عذاباته فيه عندما اصبحت محبوبته بعد ممثلة مشهورة تنافس على حبها عديد من ادباء وشعراء ورجال العصر ، واستوحى الدكتور ابراهيم ناجي منها ملحمة مشهورة تشدو ببعضها السيدة أم كلثوم .

على أن حب زكي مبارك كان اقوى من كل عشاق ليلاه ، واقوي حتى من انشغالها عنه باضواء الشهرة ، حتى انه قال « .. ستفنى محلة الزمالك – ويبقى ماقلت في عروس الزمالك »

*** شاعر الجمال .. كل الجمال ***

ولقد تعددت مسميات زكي مبارك كما تعددت ميادين صولاته الفنية والادبية ، فهو حينا « فتى الازهر » في الكتابة للصحافة .. وهو حيناآخر « شاعر الازهر » .. ثم هو « مصارع الادباء » .. على ان احب ما كان يستهوى فؤاده ، هو أن يكون شاعر الجمال – كل الجمال .

كتب زكي مبارك : – « انني اتمثل الحسن في كل مكان .. فما مشيت في الطريق الا افترضت ان تراه قد تعطر في صباحه او مسائه ببعض الاقدام اللطاف .. وما رايت نافذة ترفرف عليها ستارة الا توهمت ان هناك ملحمة تداعب جمالها .. وما اهتز غصن الا انتشيت لما يذكر به من رشيقات القدود !.. ولا برعم مزهر ولاعود الا بشوقت روحي اليماتوسوس بهالاوتار

من ذكريات الهوى والجمال » .

ولقد كان يحلو له أن يطلق على نفسه « أمير العشاق » ولم تعرف المكتبة العربية كاتبا أفاض فى ادب العشق والجمال مثل زكى مبارك... ومن اشهر كتاباته « مدامع العشاق » و « ليلى المريضة فى العراق والعشاق الثلاثة وديوان « الحان الخلود »

*** الضحك حتى فى جهنم ***

ويكشف الصحفى محمد محمود رضوان عن جانب هام من جوانب الدكتور زكى مبارك وهو جانب الطرافة والسخرية ــ فيقول :

ــ اشتهر عن الدكتور زكى مبارك انه خفيف الظل حلو الفكاهة .. ومن اشهر مايذكره التاريخ الادبى دعابة غريبة داعبه بها الدكتور ابراهيم عبده عندما كتب فى ٣ ابريل « نيسان » من عام ١٩٤٥ فى مجلة « الاثنين والدنيا » ليعلن نبا وفاة زكى مبارك وينعيه بكلمات مؤثرة .. ولقد اثارت هذه المقالة ضجة كبيرة وصدقها الكثيرون، بل وتوافد « المشيعون » على منزله ، واتصلوا تليفونيا ليستوضحوا موعد الجنازة . وكان زكى مبارك يرد عليهم بنفسه ويذكرهم بانهم فى اول ابريل!

والغريب أن شهر « ابريل » نيسان ــ بالذات ــ له علاقة غريبة بالدكتور زكى مبارك ، ففيه عام ١٩٢٤ تقرر قبول رسالة الدكتوراة فى الفلسفة فى الجامعة المصرية القديمة . فى ٢٥ من ابريل عام ١٩٣١ ظفر بالدكتوراة من جامعة باريس ..

وفى أبريل من عام ١٩٣٧ ظفر بالدكتوراة الثالثة مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة عن رسالته « التصوف الاسلامى »

وفى « الاول من ابريل عام ١٩٤٥ نعاه الناعى ــ كذبا ــ فى الصحافة !

على ان رجل الادب وشاعر الحب وفارس الفكر ، كان فى اعماقه رجل



كريمة زكى مبارك

دين قبل كل شىء .. يقول الاديب الشاعر محمد على عبد العال :

ــ الدين هو المفتاح الحقيقى لشخصية الدكاترة زكى مبارك .. والدين عنده ليس مجموعة فرائض تؤدى فحسب ، بل هو منهاج للعمل وسبيل للحياة .. هو فكر يغوص فى جوهر الاشياء واذا تغلغل فى القلوب فسوف يمنع كثيرا من المجازر البشرية وعلى حد قوله ((لو كان للدين سلطان على ارواح الناس لما راينا شهود الزور يملأون ساحات القضاء بلا حياء)) .

وزكى مبارك يرى أن الامم القوية هى تلك التى تحارب الدين المزيف الذى هو بلاء على الشعوب ، أما الدين الصحيح فهو ثروة انسانية روحية وقومية يجب أن يحرص عليها ساسة الشعوب .. والدين عنده مجموعة من الفضائل الايجابية ، فى مقدمتها مقت الرياء ومحاربة النفاق ، ومحبة الاخرين .. وفيها الشجاعة فى الحق ..

ومن كلماته المأثورة « ليت من يختصمون سياسيا يعرفون الطريق الى المساجد ! »

ولقد كان الدكتور زكى مبارك ابن الريف البسيط، ابن سنتريس ــ والتى خلدت اسمه الان فى معاهد العلم بها ــ كان ثروة قومية بكل المعانى ــ فى الادب فى الشعر فى الدين فى الفلسفة فى الحياة

● اعداد : فهمى شلبى ●

عن الجن .. والجان

د. مصطفى الديواني

جاء في سورة الجن ـ وهي مكية وآياتها ٢٨ واولها ((قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ، وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا)) ـ (آية

اي قل يا محمد للناس انك اخبرت بالوحي من الله تعالى انه استمع القرآن جماعة من الجن ، وهم دون العشرة أو على الأصح سبعة نفر من جن اهل نصيبين ، ويروى انه لمايئس الرسول صلى الله عليه وسلم ، من خير ، ثقيف ، انصرف من الطائف راجعا الى مكة ، حتى اذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم سبعة نفر من اهل نصيبين فاستمعوا له ، ولما فرغ من صلاته نزلوا الى قومهم منذرين

وقص الله خبرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول عز وجل ((واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ـ ((سورة الاحقاف ـ الآية ٢٩ ـ ٣١)) ، اي ان الرسول لم ير الجن ، ولكن اوحي اليه من لدنه سبحانه وتعالى .

والجان أبو الجن ، كما أن آدم عليه السلام أبو البشر ... والجن عالم من العوالم المستورة ، مكلفون كالبشر باتباع الرسل ، منهم المؤمنون ومنهم الكافرون. يطهرون ويتناسلون بحسب طبيعتهم التي تختلف عن طبيعة البشر . فآدم خلق من طين ، والجان من مارج من نار ـ لقوله تعالى : ((وخلق الجان من مارج من نار)) .

والمارج هو الشعلة الزرقاء التي تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بانها على أعلى درجة من الحرارة ... وتقول آيات القرآن الكريم من مادة خلق الجان أيضا ((والجان خلقناه من قبل من نار السموم)) ـ ونار السموم في الحر الشديد الذي ينتج من الحرارة المرتفعة وله خاصية النفاذ من كل المسام . ولهم القدرة على الخروج من صورتهم الى صور أخرى ، والشياطين معهم يوسوسون للناس بالشر ويضرون بعض بني آدم بالمس ، ويستطيعون أن يدخلوا جسم الانسان ويجروا



من مجرى الدم ، وان يسلبوا ارادته وينفردوا بالسيطرة على تصرفه .

وقد يحدث الاتصال بين الجـن والانس وهم فى غير صورتهم الاصلية حتى يمكن للناس رؤيتهم ، وفى قوله تعالى « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنـون « آية ٢٧ من سورة الاعراف » .

وهم يستطيعون الانتقال ونقل غيرهم الى مسافات بعيدة فى أسرع وقت ـ وتتضح سرعة الحركة فى عالم الجن فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام ـ وتقول آيات القرآن الكريم : « قال يا أيها الملا أيكم يأتينى بعرش سبا قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين »

لكن الحقيقة ان هذه القدرة لعاجزة ومحدودة وقاصرة بالنسبة لقدرات بعض أفراد النوع الانسـانى . فان من الصالحين من البشر هم اقوى واسرع من الجن مرات ومرات .. فعندما طلب سيدنا سليمان من الحاضرين معه من الجن والانس ان ياتوه بعرش بلقيس كوسيلة لعرض مظاهر قوة سليمان الخارقة حيث يستطيع بها ان يؤثر فى الملكة بلقيس ويدعوها الى الايمان بالله الواحد الاحد ، وتكون هذه الظواهر هى ادلة مادية على ان الله سبحانه وتعالى يؤيده وانه رسـول الله لهدايتها ...

وعرض عفريت من الجـن على سليمان أن يأتيه بعرضها قبل ان ينفض الاجتماع ويقوم من مقامه ، حيث كان يجلس للحكم بين الناس والقضاء بين المتنازعين من الصبح الى الظهر تماما

وعندما شعر الحاضرون ان سيدنا سليمان قد وجد أن هذه الفترة طويلة انبرى من بين الجمع رجل من الصالحين يعرض عليه أن يأتى بالعرش فى غمضة عين ، بل قبل أن يرتد رمش العين اليها.

وهكذا تقدم الرجل الصالح ونقل لسليمان عرش بلقيس فى اقل من لحظة خاطفة . وقبل انتهاء رمشة العين وجد سليمان العرش مستقرا عنده ، وفى هذا تقول آيات القرآن الكريم :

« قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين . قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم »

والواقع انه رغم ما عرف عن طبيعة خلق الجن من نار وسرعتها وخفتها : فان علم الانسان ومعرفته العامة قد تكون اكثر مما تعرف الجن، ولقد سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان من الجن من ياتمر بامره ، فقامت الجن كما تروى الاساطير بارادة الله وباشراف سيدنا سليمان بتشييد قصور كبيرة محصنة تمام التحصين ، وصورت له تماثيل من خشب ونحاس ومعادن كما صنعت اوانى للطهى ذات احجام بالغة، وكذلك الصحاف الممتدة للاكل وكانها لطولها وعرضها وضخامتها تشبه الحياض التى تروى الارض .

وبالرغم من هذه القوة الهائلة والسرعة الفائقة فان الجن ظالت تعمل اسيرة لاوامر سليمان حتى مات سليمان وهو يستند على عصاه ولا تعرف الجن موته ، وتستمر كذلك في العمل خوفا منه ، حتى بدات حشرة الارض التى تاكل الخشب تتغذى على عصا سليمان التى يستند اليها ، فلما فقدت العصا قوتها ومتانتها بما اكلته الحشرة منها **ولم تستطع تحمل ثقل جسد سليمان، سقط الجسد على الارض ،وهنا عرفت الجن ان سيدنا سليمان قد مات،وانهم ظلوا فترة طويلة فى عذاب العمل وهم اسرى لاوامره ، دون ان يعلموا الغيب المحدد لحياته ، بل دون ان يتنبهوا وهم بجواره وحوله بحالته فيلحظون موته .**

وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وارسلنا له عين القطر، ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منساته . فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين . »

وهكذا يتاكد جهل الجن بالغيب، بل وجهلهم بما هو أوضح من الغيب ، اذ جهلوا حقيقة واضحة لكل عين موجودة ــ الا وهى موت سيدنا سليمان .

***

لقد خلقت الجن قبل الانسان ، اذ ان الله سبحانه وتعالى امر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن خلقه فابى ابليس ، وبدا عمله مع آدم وحواء لشدة كراهيته وحقده عليهما حيث وسوس لهما بمعصية الله سبحانه وتعالى ، واقسم لهما انه لهما من الناصحين ، استجابا له فكان الجزاء ان غضب الله عليهما واخرجهما من الجنة واهبطهما وابليس الارض ــ كقوله تعالى : « قال ما منعك الا تسجد اذ أمرتك . قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين » .

واعد ابليس نفسه ليضل كل بنى آدم ، كما قالت ايات القرآن الكريم :

« قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين » .

وتختلف الآراء في القول عن القرين للجن ، ولكن المؤكد أن لكل انسان قرينة من الجن ، وتقول آيات القرآن الكريم : « قال قرينة ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » .

وبعض القرين من الشياطين كقوله تعالى : « والذين ينفقون أموالهم رئاء ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا» .

واذا كان جن الانسان شيطانا فانه يوسوس له من داخله ويحاول الانسان أن يجاهده بما يرد به عليه ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما اذا كان له قرين من الجن فقال :

« حتى أنا . الا أن الله اعانني عليه» . وهذا يؤكد أن لكل انسان جنايختص به » يستطيع الانسان أن يتغلبعليه كلما حاول أن يضله . وما وسوسة الشيطان الا محاولة تجعل الانسان يعدل عن الطريق المستقيم ، وحتى الانبياء والرسل جميعا لم يسلموا من هذه المحاولات .

وتقص علينا النسخ المتداولة من الاناجيل المحاولات المتعددة التي حاولها ابليس مع سيدنا عيسى عليه السلام ، فعندما وجد ابليس أن عيسى قد اجتهد في العبادة وصام أربعين يوما وليلة واحس لذلك بالجوع ، طلب منه أن يحيل الحجارة خبزا ، فلما اعرض عيسى عنه اخذه ابليس الى المدينة المقدسة وتوجه به الى اعلى قمة من الهيكل ، ووسوس له أن يلقي بنفسه من هذا الارتفاع ولن يصيبه الأذى لان الملائكة ستحول بينه وبين الاصطدام بالحجر ، فرفض عيسى لانه لا يريد أن يمتحن ارادة الله ومشيئته ..

وعز ذلك على ابليس وحاول أن يفوز بعيسى عليه السلام مرة أخرى ، فأخذه الى جبل عال جدا واراه جميع الممالك التي يتكون منها العالم الارضي ، واوضح له بهجتها وزينتها ، ووسوس اليه أن هذه البلاد والارض لابليس وانه يمنحها لسيدنا عيسى أن سجد له .

وبديهي أن هذه كانت أخطر ما يوسوس به ابليس للانسان حيث يطالبه بالكفر والسجود له بدلا من السجود لله سبحانه ، فنهره عيسى عليه السلام ، مقررا له أن السجود انما لله وحده وهو سبحانه وتعالى المعبود فقط ، وبذلك تركه ابليس . وفي ذلك يقول انجيل متى في الاصحاح الرابع :

« ثم اصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس . فبعد ما صام أربعين نهارا واربعين ليلة جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة واوقفه على جناح الهيكل . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل . لانه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك . فعلى اياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك . ثم اخذه ايضا ابليس الى جبل عال جدا واراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي ... حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لانه مكتوب الرب الهك تسجد واياه وحده تعبده . ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » .

ولقد حرص القرآن الكريم على تحذير الانسان من محاولات الشيطان هذه كقوله تعالى «انه لكم عدو مبين» وفي آية أخرى « يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

وفى آية اخرى « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » صدق الله العظيم .

***

كثير ما سمعنا عن اشخاص يتولد بينهم صداقة او تعارف بين قرين من الجن تساعدهم على الاتيان بظواهر تبدو فى نطاق المعجزات للشخص العادى وتساعدهم على السيطرة على الاخرين . وقد يستغلونها فى سبيل الثراء، ولكن فى معظم الحالات يشترط الجن على الشخص الصديق ان لا يستغل الاتصال فى سبيل الفائدة المادية ، والا كانت المقاطعة الى غير عودة ، او قد يعود اليه بعد خصام قد يطول او يقصر .

كنت اعرف احد هؤلاء الناس، وكان عنده قدرة عجيبة على قراءة ماتوجهه له من اسئلة مكتوبة فى ظرف مغلق ، بعد وضعها فى درج مكتبك وبعد أن تغلقه باحكام ... وفى احدى المرات وضعه صديق متشكك فى خزانة محكمة الاقفال ، ورغم هذا فانك تتسلم الورقة التى فيها اسئلتك وقد كتبت الاجوبة على كل سؤال بحبر وخط مختلفين عن خطك ، ولون الحبر الذى استعملته !...

كل ذلك بعدان يتمتم بجمل معينة فيها ذكر الله وذكر جمل مصطلح عليها، ويمسك فى يده قلما يخط به فى الهواء بينما يمسك بيده الاخرى ورقة يخط عليها وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ...

وبعد ان مات هذا الصديق تصادف ان أحضر لعيادتى ابنه لاعالج طفلة من وعكة طارئة، فسالته عما كان يلاحظه، وجو المنزل . وهل كان فى ذلك ما يوحى باتصال والده بالجن . فاجاب بانه كان يسمع احيانا اصوات شجار وصمت فى غرفة والده ، وكان يصحو فى الصباح وفى وجهه كدمات فى عينه ووجهه مما يدل على أن اعتداء عنيفا قد حدث نتيجة اخلال بالشروط او استغلاله لموهبة الاتصال لغرض مادى.

وكيف انسى انه حدث وأنا طالب بالابتدائى ، أن دعا والدى شخصا يدعى الشيخ الطهطاوى وكانت له من الخوارق الروحية ما يؤكد اتصاله بقوة ماتجيبه الى رغباته التى كانت تبدو مستحيلة ، فها هو المقعد الكبير يسير الهوينا امامنا دائرا حول الغرفة او سابحا فى هوائها . وها هى الفاكهة تقدم الينا فى غير موسمها ، وها هو الخاتم الثمين الخاص بوالدى يرمى به فى الهواء وكانه يختفى الى غير رجعة فاذا به يعود الى أصبعه فى سلاسة ويسر والطاف ، ثم ها هو يدق بهوائه على ذقن احد الحاضرين فاذا ببرتقالة كبيرة تستقر على كفه فيقدمها الينا دون افتخار وكانها حدث عادى ، وهكذا وهكذا ...

وكيف انسى جلساتى الممتعة مع الصديق المهندس زكريا البطاط وهو من اقدر الروحيين الذين يتمتعون بالاتصال بروح طيبة غير شريرة تسمعه اذا تكلم وتجيب كتابة على اسئلته وقد يكون فيها بعض التحريف لانها من ارواح البشر اولا واخيرا ، وهى معرضة للخطا والصواب . واذا تذكرنا ان روح الانسان لا يمكنها ان تتبدل ولا يمكن للموت ان يخلف من المجرم قديسا والروح الطيبة قد تترك وسيطها ليعانى الفقر وغيره من التجارب لتسمو روحه وتكسب اضعاف ما يكسبه الجسد . والذين يجرون وراء المال هم اصدقاء الشياطين .



وفوق كل ذى علم عليم

كما اقول دائما .

منتهى الاغراء

● فريد قرنى ●

بصراحة .. فى منتهى الاغراء وجمعت كل وسائل الاغواء

النور من عينيك يدفق شحنة من فتنة تغزو خيال الرائى

والورد فى خديك يرسل عطره حزم الشذا .. تنداح فى الأرجاء

والقد هندسة تتيه خطوطها وتميس فى خفر وفى خيلاء

والمعجبون به تراودهم منى يخفونها عبثا بكل دهاء

والنار فى الشفتين يضوى جمرها ويهيم فى ظمأ إلى الاطفاء

وسبائك الشعر الحرير يحيطها كتفاك عامودان من أضواء

والصدر يحفزه الوثوب ويرتدى ثوب التحدى فى صبا وإباء

والصوت موسيقى حلاوتها إلى كل القلوب شجية الأصداء

ولآلىء الثغر الرطيب يحفها شطان من حلوى ومن لألاء

والناهدان كلاهما فى ثورة وتعطش يصبو إلى الارواء

ونعومة الجسد الرشيق مزانة بغلالة من فتنة وحياء

ودلالك التياه فى تأثيره سحر به دائى .. وفيه دوائى

أنا لا أجامل صدقينى .. لا .. ولا أبدا أداهن فى الهوى وأرائى

فى منتهى الاغراء أنت صراحة وجديرة حقا بكل ثناء !

السوداء
في الشعر الأفريقي الحديث

● د • سليم الاسيوطي ●

● انها لمتعة كل المتعة ان نقوم بدراسة لصور النساء السود في الشعر افريقي على اساس النماذج الادبية القائمة من قبيل فئات النساء الاوروبيات ، الامريكيات اللاتي وصفهن فيرجسون في كتابه « صور النساء في الادب » (« الزوجة المطيعة الام / الملك او « الموم ») والزوجة المستبدة والمسيطرة ، والتي ينظر اليه المخلوق كامل الاوصاف ، والمراة الفذة التي لا تضارع ، والمراة المتحررة) ـ او نقيم الدراسة على أسس نماذج النساء الافريقيات / الامريكيات اللاتي تذكرهن ماري هيلين واشبختون في مقدمة كتبها « اخوات سوزان ذوات العيون السود » •

والنموذجان لا ينصفان النساء السود فيما يقدمان لهن من صور في الشعر الافريقي ، لان كليهما يصدر في احكامه عن قواعد اقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة كل الاختلاف ••

ولكن قلة قليلة من الحقائق تبعث في نفوسنا الشعور بارتياح العميق تجاه الصورة الشعرية للنساء الافريقيات •• أولا ، بأن دور المرأة الافريقية التقليدي هو دور الأم ، بينما الحقيقي والواقعي ، والصادق ، هو أن النساء قد تمتعن بسلطان سياسي بوصفهن الملكات الأمهات أو الوالدات ، وبوصفهن زعيمات العشائر ، وكن يتمتعن بسلطة في الجمعيات المدرسية الموحدة الاعمار في الصفوف الدراسية ، كما يتمتعن بالسلطة (خاصة في جنوب أفريقيا بوصفهن تاجرات • وكن الاداة الاولى في تحقيق الوضع الشرعي للمرأة بوصفها أما ••
وثانيا : افريقيا ما قبل الغزو منحت النساء سلطة سياسية (وهي سلطات لم يكن لها مثيل في الثقافات الجنسية الاخرى) ، وسلطات اقتصادية واجتماعية تجاهلها الاوروبيون عندما استبدلوا بأنماط البناء الاجتماعية الافريقية التقليدية مؤسسات استعمارية •

وثالثا : ان التشريع المدني فيما بعد الاستقلال قد غير الممارسات التقليدية الخاصة بتعدد الزوجات ، مهر العروس ، والسن المناسبة لزواج الانثى ومن عسى أن يكون وريث الرجل بعد موته (زوجه وأبناؤه أم أسرته) •

رابعا : كانت وجهة النظر الاستعمارية هي أن قوة المدنية الغربية قد حرمت النساء الافريقيات المغلوبات على أمرهن ، ووجهة النظر المتطورة ، هي أنها قد أعتقت النساء من رق العقائد الثقافية التي ارتبطن بها منذ القدم ، ولم تقدم



لهن بديلا عن المؤسسات التى هدمتها ٠

خامسا : ان ستين فى المائة حتى ثمانين فى المائة من الاعمـال الزراعية فى افريقيا ، يقوم بها النساء فى الوقت الحاضر ٠

سادسا : ان معدل الانجازات النسائية تتخلف شوطا بعيدا عن منجـزات الرجال ٠

سابعا : ان عملية مدينة الريف (جعله مثل المدينة) التى من الواضح انها قد أثرت تأثيرا عميقا فى حيوات اولئك النساء اللاتى يعشـن فى المدن ، تؤثر بدورها ، أيضا ، فى حيوات من يعشن منهن فى المناطق القروية ، لان الرجال غالبا ما يخلفون وراءهم فى الريف ، الزوجات والابنـاء ، عندما ينزحون الى المدن بحثا عن عمل فى الاوساط المدينية (نسبة الى المدينة) ٠ ومن ثمة يكون أفضل موقع اذن ، حيث نستطيع الشروع فى فحصنا ودراستنا ،لهو صميم الثقافة الافريقية ٠ والمثل السائر الذى يجرى على لسان « أهل اليوربا » (١) يقول : « ان الأم هى الذهب » ٠

وتبدو صور النساء السود فى الشعر الافريقى أنها تشع عن ذلك المصـدر النشيط الهام ٠٠

يقول شينو آشيبى ـ الكاتب الافريقى الكبير ، من مواليد نيجيريا ١٩٣٠ : ـ انك الى الأم تلجا وبها تحتمى ، وعنها تتحـدث حينما يعتصرك الحنين وتغشى سحب الاحزان سماء حياتك ٠٠

وحينما تتجمع زفرات الاسى تنهدات المرارة فى الصدور ـ فهناك تكـون الأم لتذود عنك ! ٠٠ وهذا هو السبب الذى من اجله نقول ان الأم هى الانسـان الاسمى » ٠

ان عالما اجتماعيا يقرر أن الأم الافريقية مرتبطة بقيم جوهرية صميمة أميل الى أن تكون من بين تلك القيم التى تقاوم التغيير ٠ انها موضـوع بحث يغطى الأدب الافريقى كله ، يصور المرأة بوصفها حارسا للتقاليد حاميا لها ، والوطن الأم الذى يمثل الامن والاستقرار » ٠

ان الصيغ الثلاث التى تتعلق بالأم وتختص بها ، تتمثل اركن تمثيـل فى

(١) شعب زنجى يقيم فى ساحل افريقيـا الغربى ، وبخاصة بين داهومى والنيجر ٠

قصيدة الشاعر براجو ديوب الكلاسيكية : « زاد المسافر » التي يصور فيها الأم تتضرع الى الأسلاف كي تحمي ابنها وهو يتاهب للرحيل عن موطنه •

وتشمل وجهات النظر الاخرى عن « الأم » في الشعر الافريقي الحديث الصورة التي رسمها ديفيد ديوب لأمه وهي تقوم بتمريضه خلال نوبات السل المتوالية التي تنتابه ، فى قصيدته « من أجل أمي » ، وهي تجسد صورة الأم الشكل المتاعة •

وفى تكرار متصل متواتر ، بقوة عاطفية جارفة تسود صور النساء الامهات الشعر الافريقى الحديث وتكاد أن تدور دائما حول الثقافة التقليدية لتبجيل الأمومة ، وتتناول الوشائج الوثقى القوية الفعالة الاثر التى يخلقها الاطفال الذين يرضعون لبن أمهاتهم على امتداد عامين أو ثلاثة أعوام ، والحفاظ على تلك الصلات طيلة صباهم •

ان الثقافة التي تمثل فيها الأم منزلة القداسة ، هي تلك التي تخلو من العقيمات • ونحن نلمس ذلك واضحا جليا فى قضيدة الشاعر كوتوبيبى القاسية :

ما أنتهر الا أعشاش الطير الباردة
حيث لا تبيض الطيور المهاجرة
ولا تدخلها أبدا لتحضنه للنقس

وبالمثل فان قصيدة الشاعر نترو : « ايقاع المدقة » تصور امرأة معذبة لا ، لان قيود الثقافة التقليدية تقمع مشاعرها وتكبت أحاسيسها ، ولكن لانها لم توفق للزوج الموعود الذى يولدها التوأمين اللذين طالما حلمت بهما •

وفى قصيدتين أخريين - الواحدة من نظم وول سونيكا والثانية من تاليف جون بيتر كلارك وكلتاهما عن « لابيكو » وهو الطفل الذى يولد ميتا ، مرة تلو مرة ، للأم التى تنتهى بها خيبة الأمل الى اليأس ويؤدى بها الاحباط الى الحزن المقيم ، بعد أن كتب عليها أن تثكل أطفالها مبكرين •

والشعر يصور النساء الافريقيات عاملات أيضا ، وفى هذه الحال يركز على ما يسببه العمل الحقير لهن من الضجر ، وما يبعثه فى نفوسهن من الملل ، كما يحدث فى الصورة التى يبدعها الشاعر ميتشالى فى قصيدته « الغسالة » وقصيدة نترو « ايقاع المدق » •

بيد أن أشد صور المرأة الافريقية ايلاما للنفس وأكثرها اثارة للشجن وبعثا للحزن ، وشدها للعقول هي تلك التى صاغت قلائدها امرأة هى (الشاعرة مارينا جاشي) فى قصيدتها « القوية » •

النساء العجائز مكفهرات الوجوه محنيات الظهور
يمشين مجهدات ، حاملات معزقاتهن
الزوجات الشابات شبيهات بالحمير
منذ صياح الديك حتى تغيب الشمس
يؤدين واجباتهن التى لا تنتهى
أجسامهن المتغضنة ، مثل الفسى فى صف
يمشين متثاقلات بطيئات ، صاعدات هابطات
المزارع التى تزحم القرية
واحمالهن على ظهورهن
والأطفال مربوطة الى بطونهن

يقلبن الأرض بالأيدى والمدى
مثل الدجاج يبحث عن الديدان !

لقد قال جيمس آولني : « ان السمة السائدة فى العالم الافريقى ، على نقيض الوضع فى العالم الغربى ، هى وحدته وتماسكه الذى لا يقبل الانفصام ولا الانفرادية أو التفانى فى سبيل تحقيق هدف واحد ·· ان تلك النظرة وملاحظة الرئيس الشاعر سنجور (·· نحن أهل الرقص الذين تتخذ أقدامهم قوة فوق قوة من الأرض الوعرة التى تضربها) ـ كلاهما تضيف الى ادراكنا مجموعة كاملة أخرى من صور المرأة الافريقية ، تلك الصور التى تربطهن بالغناء والرقص · وفى قصائد من مثل قصيدة الشاعر ديوب « الى راقصة سوداء » نجد هذه الصورة :

زنجية هى شائعتى الدافئة لافريقيا
أرضى الغامضة وثمرة عقلى
أنت الرقص بابتسامتك المبهجة السافرة

وفى قصيدة الشاعر جون بيبر كلارك : « راقصة أجبو » يرى الشعراء فى المرأة الافريقية الراقصة رمز الخطوط الرئيسية التى تشكل الحياة الافريقية التقليدية واتحاد الجسم بالعقل اللاواعى الذى يميز بين آراء الحياة الافريقية والاوروبية · وعلى الرغم من أن أحد النقاد يرى أن قصيدة ديوب حسية جسدية صريحة ، الا أن هذا رأى يعكس وجهة نظر غريبة ، عن الآراء التقليدية الافريقية لمظاهر الانوثة العميقة الجذور ، كما هى الحال فى لغة الخصب والقدرة على الانجاب التى تجعل كلا من المرأة « كأم » والارض استعارة ومجازا لبعضهما البعض · وفى هذا السياق ، فان الاشارة الى اجزاء من جسم المرأة ، لا يمكن أن تكون اشارة عابرة ، منفصلة عن الوجود الجنسى ولكن على العكس فهو دلالة على الاهمية العظيمة التى تتمتع بها المرأة لقدرتها على الانجاب · فان فكرة الأمومة بوصفها الدور الهام الذى تلعبه المرأة فى الحياة يعطى أو يكاد أن يعطى الشكل والمضمون اصور المرأة الشعرية ، فى الشعر الافريقى ، حتى عندما تكون القصائد مثل تلك القصائد التى تدور حول الراقصات ، التى لا تتناول ذكر الأمهات موضوعا لها ·

ان ما يسبح به الآن هو الشبه الشديد بين المرأة والأرض (مجتمع آلهة الاسلاف) وعلاقاتها التناسلية البيولوجية بتواتر المولد والنمو والموت وصلة قرابتها بالثقافة الافريقية التقليدية فى عالم يزيد الغرب فى محاصرته زيادة مستمرة بأصول التقاليد والآداب والسلوك ·

وهناك عنصران معقدان يتصلان بدراسة المحبوبة فى الشعر الافريقى · فمن جهة غالبا ما يصدق ما يقوله سوبنكا عن سنجور ، على الشعراء الاخرين : ان هدف العاشق ، سوف يصبح ان عاجلا أو آجلا ، هو وموطنه شيئا واحدا ، ومن جهة أخرى ، فأن الحب الرومانسى مفهوم أوروبى الآن فحسب ، يلقى قبولا فى أفريقيا · وقصيدة ديوب : « تراماكام » تتغنى بجمال المحبوبة وجمالها ، مشبهه اياها بثمار المانجو تارة ، وثمار البيمنت الفلفل المحلى تارة أخرى · وتركز على سواد بشرتها و « ايقاع أردافها الدافىء » وقصيدة « كيشوكو » الزنجانية تمجد « شجرة بلح أهدابك الزرقاء » والشفتين الشبيهتين « بالبلح السمين » :

شفتاها حمراوان متوهجتان بالحرارة
مثل الفحم النباتى الملتهب

انها شبيهة بالقطة البرية
التى غمست فمها فى السماء
فمها مثل قرحة فاغرة فاها ،
مثل فم صديق !
تينبا تنشر الدرور (البودرة) على وجهها
تبدو شاحبة بالغة الشحوب
شبيهة بالساحر
يتأهب للرقص .
انها تبدو كأنها
قد مرضت منذ زمن طويل !
فهى لا تأكل
قائلة انها تخشى البدانة !
قائلة ان المرأة الجميلة
يجب أن تكون نحيلة القوام كالمرأة البيضاء !

ان شعر دينيس بروتس يتضمن صورا للمحبوبة بما فيها المرأة ذات العواطف المشبوبة التى تجردت لتبترد ، فى قصيدة : « الميساء المرحة » :

مبتهجة تتمايل على حافة الحمام
تقذف بذراع طويلة عارية كى تزيل
وخزات تترى على الخاصرتين والعضلات
وشدور مثلثة تسفع الوجه
تتلألأ بقطرات رمادية من الندى
محفورة عاليا قبالة ضوء السجن الأشيب
يتسرب من خلال سجف البلاستك
يهتز الجسد الأملس مشدودا فوق
القفص الصدرى حيث رنت الحلمتان
بلطف فى براءة شعورية

● والمحبوبة التى تجمع بين صفات الماس والأم وتهيىء ملجأ للهاربين من الظلم والفارين من وجه الطغيان فى جنوب أفريقيا يصورها الشاعر فى قصيدة مجهولة لاتحمل اسما :

جاثيا على ركبتى امامك لحظة
انسللت غافلا الى هذا المشهد
لأن العقل والقلب والروح بحركة واحدة
واستجابت هكذا الى حالة شاردة
للنفس النورانية المتلألئة
كما يستجيب انسان للايقاع الجماعى الراقص
جثوت على ركبتى
ولقاء هذا ، ضممتنى
وجذبتنى الى النسيان الأمين الهادىء
وحلت دونى والمدى والاضراس ، والحراب والبراجم (٢)

(٢) البرجمة وجمعها براجم ، وهى القطع المعدنية التى تكسى بها مقل مفاصل اليد فى الملاكمة .

وهكذا ، للفوَر ، توقفنا وتجمدنا في صورة خالدة
واصبحنا رمزين غير مشخصين ، لا تدركنا الشيخوخة
فيا للعجب المتواضع المضاد
تلفنا امومة مكروبة فى اصرار !

ولكن فى خاتمة المطاف لا نلبث أن نذكر بان هناك بضع قصائد تدور حول المحبوبة التى تشكل مضمونها ونخصها بسماتها وصفاتها .

ان جزءا من تراث المواقف الافريقية التقليدية من المرأة هو ندرة الصورة السلبية لها فى الشعر الافريقى الحديث الذى يبدو أنه قد امتص كل الصور الايجابية للمرأة فى الأدب الشفاهى ، وتجاهل الصور السلبية .

أما فى الشعر المعاصر فأن الطابع العام غالبا ما يكون جادا والصور السلبية الوحيدة ، لنساء قد نبذن أدوار الزوجات والأمهات التى كانت تقدرها الثقافة التقليدية كل التقدير .

وعن هذا يكتب الشاعر بى بيتيك قائلا ، ساخرا متهكما ، البغايا والنساء اللاتى أخذن بالمدينة الغربية . كما يكتب الشاعر نترو قصيدة غنائية عن ثوب المرأة المتناهى فى القصر . وفى قصيدة : « الورد يذبل » تبكى النساءالافريقيات اللآتى أخذن بأسباب المدنية فى حياتهن ، ويجلسن على المقاعد العالية بلا مساند للظهر فى البارات ، ويمارسن الحب على وسائد السيارات ، ويرفعن ائداءهن المتهدلة بخيوط من نسيج . ولكن معظم الصور الاخرى للنساء هى صور الثناء العاطر والتمجيد ..

وهذا يباين الصور السلبية الكثيرة للنساء الاوروبيات / الامريكيات (المرأة السليطة ، الشقراء الصامتة مؤقتا ، العانس ، الموم). كما يباين الصور السلبية للنساء الافريقيات / الامريكيات السلبية (المربية الزنجية للاطفال البيض ــ المطحونة) وكذلك الصور السلبية للنساء فى الشعر الافريقى فى جزر البحر الكاريبى ، حيث طبقا لما قاله يولج ، يظهرن فى صور بدائية ، وصور البغايا ، ومهتزات الارداف (خاصة النسوة المولاسيات . من أب أبيض وأم سوداء) .

وعلى النقيض من صور النساء الافريقيات فى القصص الخيالى فى جنوب افريقيا فان هناك عددا قليلا من الصور الشعرية التى تعكس صورة التغيير الاجتماعى الذى ينتشر فى افريقيا . ويبحث المرء عبثا عن قصائد تدور حول نساء المدينة، من اولئك اللآتى يعملن ، ويمشن وحيدات ، ويرفضن مبدأ تعدد الزوجات ، ويتمسكن باسرة صغيرة قليل عددها ، ويشقين فى ازمات الحب الرومانسى . يقطعن صلاتهن بالاسرة دائمة الانجاب متزايدة العدد ، يلعبن أدوار خطيرة فى صراعات التحرر ، ما مضى منها وما هو قائم ومن ثمة يخطىء من يتجه الى الشعر بصورة البلاغية النابضة بالحياة والحيوية وعباراته العقلية المحكمة ، بحثا عن صور واقعية طبيعية على نطاق واسع ... هذا من جهة ومن جهة أخرى فان غالبية الشعر الافريقى الحديث من أعمال رجال ، والقصائد التى تثرى جو حياة المرأة المتغيرة ، المختلفة الوان والمشارب فى القارة الافريقية وتنوع صور النساء السود اللاتى يتمتعن بقوة النساء من ذوات الاصول الراسخة فى المهد الدينى والحضارى فيما قبل عهد الاستعمار .. هذه القصائد قد لا تظهر حتى يقيض الله للمرأة الافريقية ، من تكتب الشعر من بين بنات جنسها ، مصورة لنا المرأة ، ومعبرة عن أمانيهن وآمالهن .

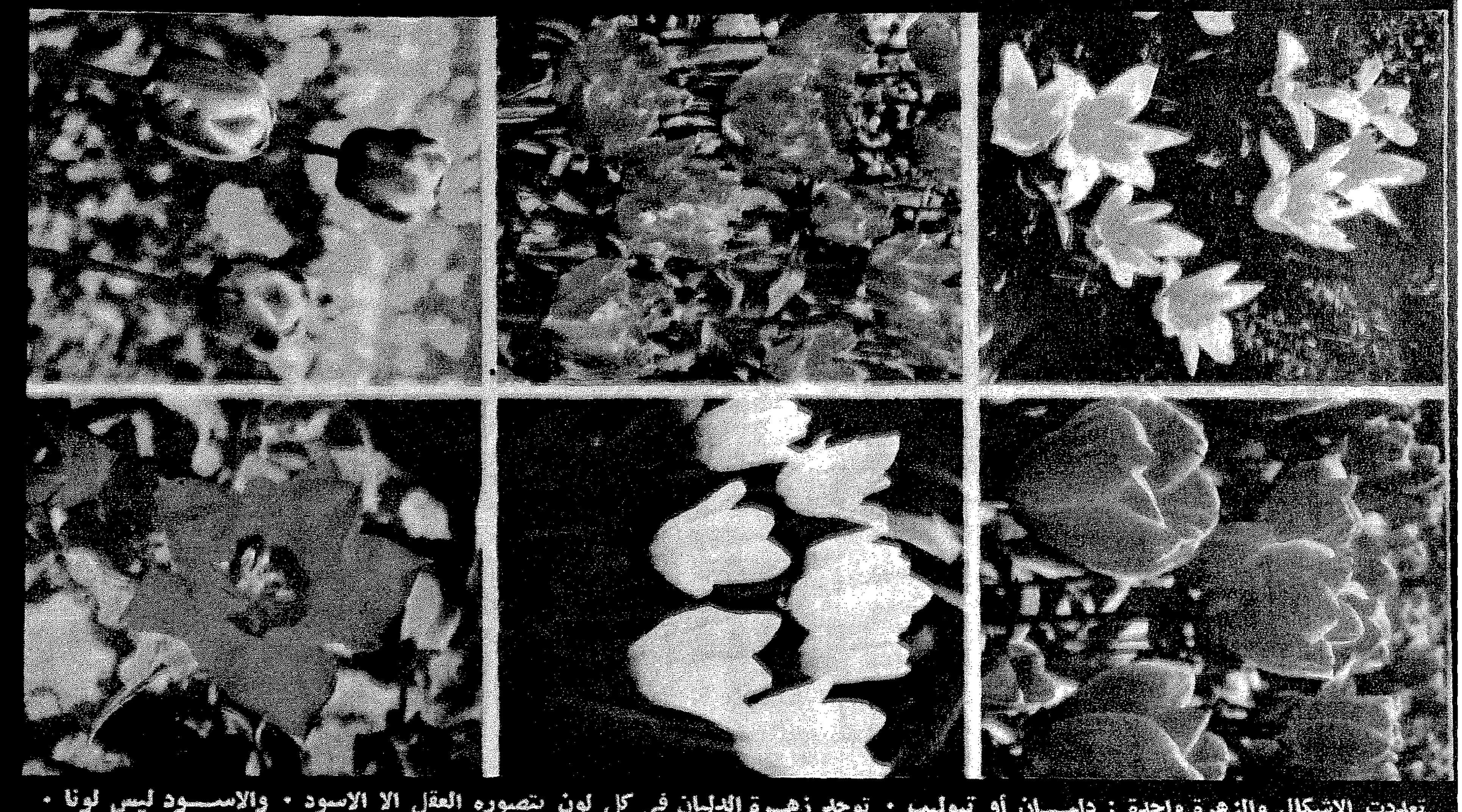
●●

الزهور والورود

عالم من الجمال والإبداع والإيمان بالخالق المبدع سبحانه



الاطفال زهور الحياة ، والزهور زينة الارض . وليس فى الدنيا اجمل من منظر طفل جميل صحيح الجسم او روض بديع موشى بزهور كانه بساط سندسى محلى بالجواهر . وهذه الصورة تجمع بين جمال الطفولة وجمال الزهور وهى تعبر عما نريد أن نقوله فى هذه الصفحة وما يليها .. وهى صفحات من الجمال والاشراق والحياة والالوان نهديها للقارىء فى هذا الشهر الذى تبلغ الطبيعة فيه اوجها من الجمال وتتوق النفس الى جلسة فى خميلة بين الخضرة والماء والوجه الحسن .



تعددت الاشكال والزهرة واحدة : دلبان أو تيوليب · توجد زهرة الدلبان فى كل لون يتصوره العقل الا الاسود · والاسود ليس لونا · الصور الست التى تراها فى هذه الصفحة هى على الترتيب من أعلى الى اليسار :
١ ـ زهرة الفالس ٢ ـ زهرة الدلبان الصفراء ٣ ـ الدلبان الابيض الصافى ٤ ـ الدلبان الاشنابس ٥ ـ التيوليب الوردى ٦ ـ التيوليب التريومف ·

الزهور والورود

نحن الآن فى عز الصيف ، وعز الصيف هو فصل الزهور والورود والخضرة والوجه الحسن وبساط الخضرة الذى يحيط بك اذا جلست فى روض انيق ، وهذه دعوة منا لك لكى تعيش معنا لحظات فى عالم الزهور والورود ٠

فى شهر أغسطس من العام تبدو الطبيعة فى أوج جمالها ٠٠ الزهور والورود جميعا تبلغ ذروة نضجها ،ويتجلى لك الروض والحديقة بل الشجرة الواحدة فى أبهى صورة : خضرة والوان وطيور تغنى وتتنادى على الافنان وحياة متدفقة نابضة متجددة فى كل شىء حولك مما خلق الله ٠

وفى أغسطس هذا تحتفل انجلترا بزواج أميرها من عروس فى روعة الصبا والشباب ، هى الجمال كله ، والحسن كله ، ونعمة الله السابغة كلها ٠٠ انها زهرة من زهور الصيف ٠٠

ورأينا نحن ــ اسرة الهلال ــ أن يكون عدد أغسطس زهرا كله وجمالا كله ،وعلى غلافه عروس الدنيا « وحسناء الزمان » اذا جاز لنا ان نستعير لفظ على محمود طه شاعر الحب والربيع والجمال ٠

***

ولا يعرف الزهر الا من زرع الزهور ٠

ولا يعرف الورد الا من ربى الورود ٠

ودعك من زهرة تقع عليها عينك فى زهرية او من وردة تمر بين اصابعك وتضعها فى عروة سترتك لان هذه وتلك تذبلان وتزولان فى لحظات ، ولكن قم بنفسك وازرع الزهور وازرع الورود ، واجلس وتامل كيف تتجلى قدرة الله فى اطلاع شجرة الورد من قطعة خشب من فرع دسسته فى الارض ٠ ولقد قمت انا بهذه التجربة بل عشتها وعشقتها ،لاننى تعلمت منها ما لم تعلمنى الكتب ٠ كنت آخذ عقلات الورد واضعها فى الارض فى بدايات الخريف ، وارويها ريا خفيفا وانتظر فاجد معظم العقلات تموت وتذبل الا واحدة أو اثنتين آراهما اطلعتا برعما صغيرا اخضر فاقول : ــ امسكت الصغيرة بالارض ومدت جذرا ! واواليها يوما بعد يوم ، ويجىء الشتاء فاقول : ماتت ، ثم يهل الربيع فاذا بها تطلع الى جانب البرعمة الصغيرة اربعا او خمسا ، وتكبر الصغيرة شيئا فشيئا ، وفى منتصف الربيع تكون شجيرة وفى الصيف تصبح شجرة ، وقبيل آخر الصيف أجد هذه العقلة الصغيرة التى لم تكن الا قطعة خشب رطب قد أصبحت كائنا حيا يخرج ورقا أخضر ووردا مختلفا الوانه فاقول فى نفسى : سبحانك ربى ، من لم يؤمن بك فليزرع وردة أو زهرة فيشعر بقدرتك يا خالق الكون ، فمن غيرك جعل من قطعة خشب شجرة ورد ٠٠

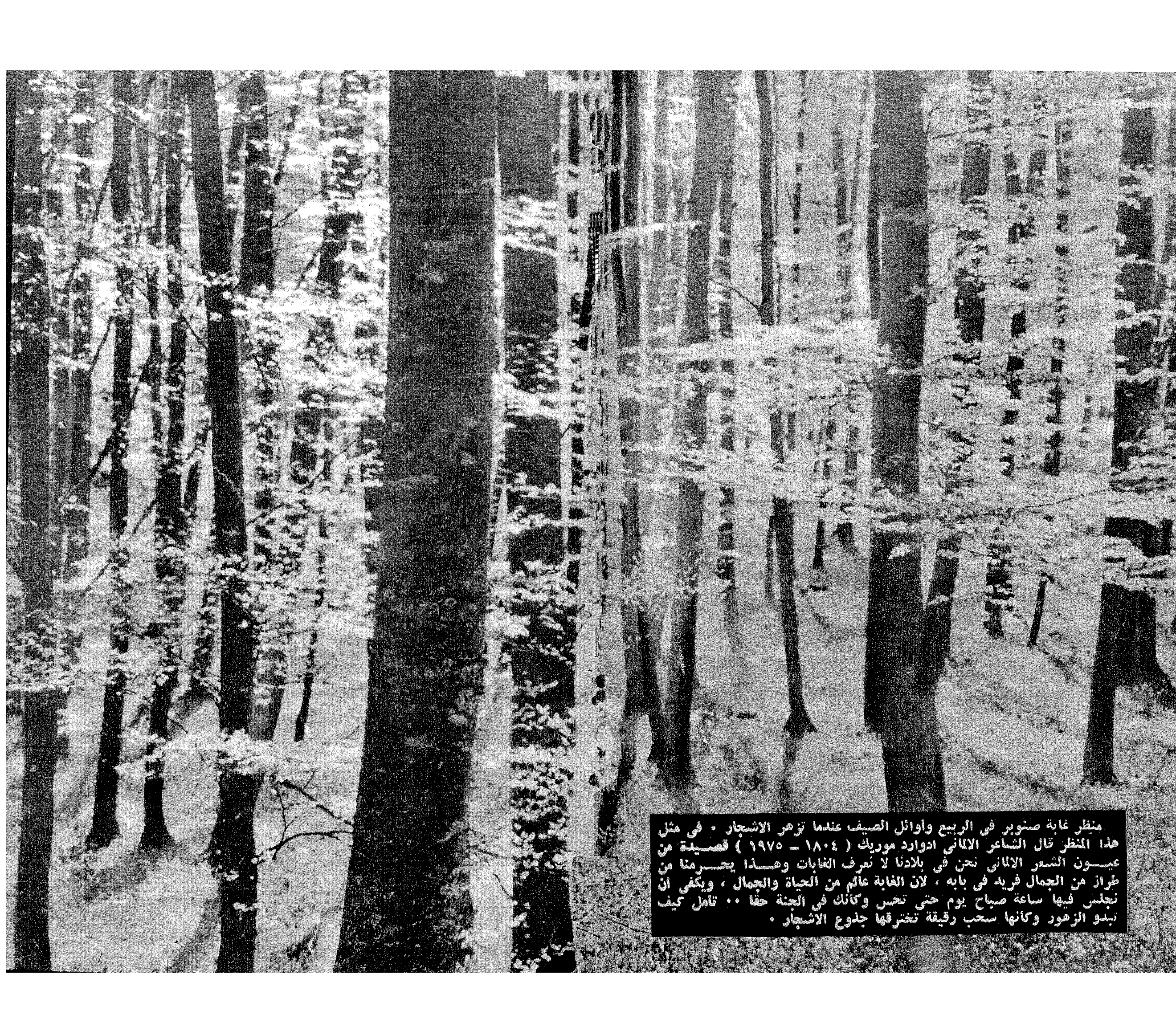
واعجب من ذلك تلك الزهور التى تزرع بالبصلات او الابصال ٠ والبصلة احيانا تكون فعلا فى هيئة البصلة ولكنها فى احيان اخرى تكون مثل حبة البطاطس الصغيرة ، وانت تاخذها من المشتل فى نهاية الخريف ، وتلفها بورق وتضعها فى صندوق فى مكان دافىء (غير ساخن) حتى لا يقتلها البرد ، وفى شهر فبراير (مارس فى البلاد الباردة) تحفر فى الارض قدر ١٠ او ١٥ سنتيمترا وتضع هذه البصلة وتغطيها بالتربة الناعمة مع شىء من سماد طبيعى وننتظر نحو الشهر مع موالاتك السقى دون اسراف ٠ واذا بنبتة خضراء صغيرة كأنها طفل رضيع تخرج من الارض ، وتظل على حالها أياما كثيرة كأنما هى تستجمع قواها لتواصل مسيرة الحياة ، ثم تنهض ويطول عودها ، وتخرج لها اوراق من شمال ويمين ، ثم



طراز نادر من التيوليب او الدلبان • أمثال هذه الزهور المتنوعة يصنعها هواة الزهور بالتهجين ، مثل هذه الزهرة الحمراء البيضاء يستغرق اخراجها سنوات طويلة من التجارب ، لان هواة الزهور يغرسون فرعا ذا لون أحمر فى جذع زهرة بيضاء وقد تعيش او لا تعيش ، والمهم ان تنتقل خصائص اللونين الاحمر والابيض الى بصلة التيوليب ، لان التيوليب تزرع بالابصال •

هذه اربع من أجمل الزهور والورود مختلفة الالوان والاشكال ، وقد صاغتها قدرة الله في جمال نادر وتناسق ساحر . تامل الالوان واختلافها وتناسقها تجد انك تتفق معنا فيما ندعو اليه في هذا المقال من تهذيب النفوس عن طريق العناية بالزهور والاهتمام بتزيين البيوت والشوارع بها ..

الى اليسار أعلى هذا الكلام زهور البسلق البيضاء وكلها غاية في الابداع ، وفي رأينا ان كتابا عن الزهور والوانها وأشكالها واسمائها ومعلوماتك عنها يفيد في التربية المدرسية أكثر من مادة علمية كاملة ، لان الزهـــور الجميلة تربي النفس والتربية شيء يبقى في حين ان العلوم معلومات تنسى .



منظر غابة صنوبر فى الربيع واوائل الصيف عندما تزهر الاشجار ٠ فى مثل هذا المنظر قال الشاعر الالمانى ادوارد موريك (١٨٠٤ - ١٩٧٥) قصيدة من عيـون الشعر الالمانى نحن فى بلادنا لا نعرف الغابات وهـذا يحـرمنا من طراز من الجمال فريد فى بابه ، لان الغابة عالم من الحياة والجمال ، ويكفى ان نجلس فيها ساعة صباح يوم حتى تحس وكأنك فى الجنة حقا ٠٠ تامل كيف تبدو الزهور وكأنها سحب رقيقة تخترقها جذوع الاشجار ٠



التيوليب زهرة شرقية . نقلها العرب من بلاد فارس الى بلادهم ثم الى الاندلس ، ومن هنـــاك انتقلت الى الغرب حيث لقيت أكبر جانب من عناية هواة الزهور وخاصة فى هولندا ، تسمى بساط التيوليب . الاسم الفارسى العربى الدلبان وتوصف بأنها الزهـرة الكأسية . لان منظرها منظر كأس جميلة رقيقة . الصورة لزهرات دلبان حمراء مكبرة ضعفين . يتبين منهما بجلاء الشــكل الكاسى للزهرة .

الزهور والورود

تندفع الشجيرة بقوة من الحيـوية تدعو للعجب ،وفى أوائل الصيف نجدها شجرة ذات فروع وورق كثير جدا ، ثم تبدأ فى اخراج الزهور نفس لون زهور أمها ونوعها وفصليتها ٠ان كانت الام دالية فهى دالية وان كانت زهرة سيفية (جلاديولا) فهى زهـرة سيفية وان كانت كرايزانيتم فهى كراينزانيتم ٠.

خلال الموسـم الواحد تعطيـك هـذه الشجرة ما بين ٣٠ الى ٥٠ زهـرة ، كلهـا زاهرة زاهية قوية ٠

ثم ينتهى الموسم ويقبل الخـريف ، وتتوقف الشجرة عن الولادة ، ثم تأخذ فى الذبول وتسقط أوراقهـا ، ولا يبقى فى النهاية الا الجذع قائما وحـده ٠ فى أواخر سـبتمبر تقطعه تاركا نحـو ٣ سنتيمترات فوق الارض ، وتنساه حتى ديسمبر ٠

فى آخر ديسمبر تحفر الارض فترى عجبا ٠ البصـلة التى زرعتها تلاشـت وأصبحت جذرا والجذر اكلته الارض ، ولكن ذلك الجذر أخرج أربع بصـلات أو خمس متباعدات واحـدة عن الاخـرى ، رفعها من الارض بعناية ، وحـذار ان تجرح البصـلة ، ثم تلف كلا منهـا على حدة فى ورق وتضعها فى علبة كارتون وتحفظها فى مكان دافىء ، وفى شـهر فبراير تدسها فى الارض متباعد بعضها عن بعض وتعمل كما عملت مـع الام ٠ وهكـذا ترى عجيبـة الخلق تتكـرر وتتضاعف بين يديك وأنت تنظر ٠

فهل هنـاك تأديب للنفس أو تربية للروح أعظم من هذه ، لو بيدى لجعلت زرع الزهور جـزءا من التربية والتعليم في المدارس حتى يتعلم التلاميـذ الدين والعمل المستمر والفن أيضا ، لان الزهور والورود قطع من الفن البديع ٠

كنت وأنا صـغير لا أجد متعـة فى اجازات الصـيف هى أحب الى نفسى من الجلوس فى المنتزة وفى يدى كتـاب ، وانقـل البصر بين الكتـاب والخضرة والزهور ، وكانت الصداقة تنعقد بينى وبين البستانى ، فنتجـاذب اطـراف الحديث وهو يعمل ، وربمـا اذن لى فى مسـاعدته فنعمل معا : هو المعلم وأنا الصـبى ، وينقض الوقت ونحن نزرع الزهور ونقلمها وننظف أحواض الزهر ، وذات مرة قطف بسـتانى وردة وناولنى اياها فقلت له :

لماذا قطعتها عن أمها ٠٠ ؟

ــ لهذا خلقها الله ٠٠

ــ لا أظن ٠٠ ان الله خلـق الزهـر والورد لنراه ونحبه ونستمتع به دون أن نقطفه ٠٠

ــ وهكذا يذبل على أمه ٠٠

ــ وماذا فى ذلـك ؟ تذبـل الـوردة ويتساقط ورقها وتأكله الارض لكي تنبت وردا جديدا فى العام التالى ٠٠

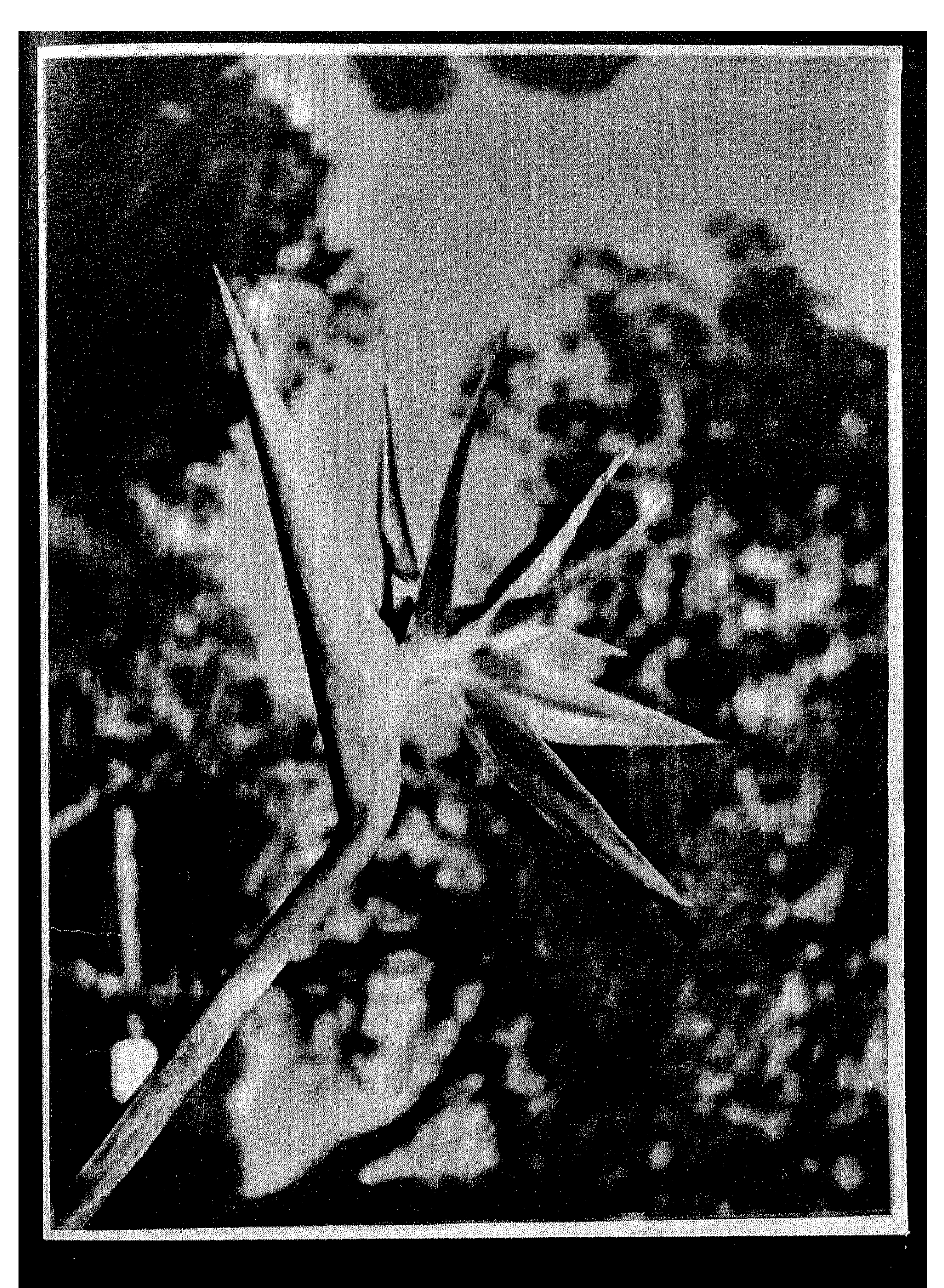
فنظر الى طويلا ثم قال :

ــ قد يكون ما قلته حقا ايها الصبى ، ولكننا نحب أن نأخذ الزهور والورود الى بيوتنا لنزينها بها ٠٠

ــ لا بأس بذلـك على أن يقص الورد والزهر بمقص خاص ، وتؤخذ الزهرات باعناقها وتوضع فى زهريات فى البيت لتكون متعة للنفس والعين ٠

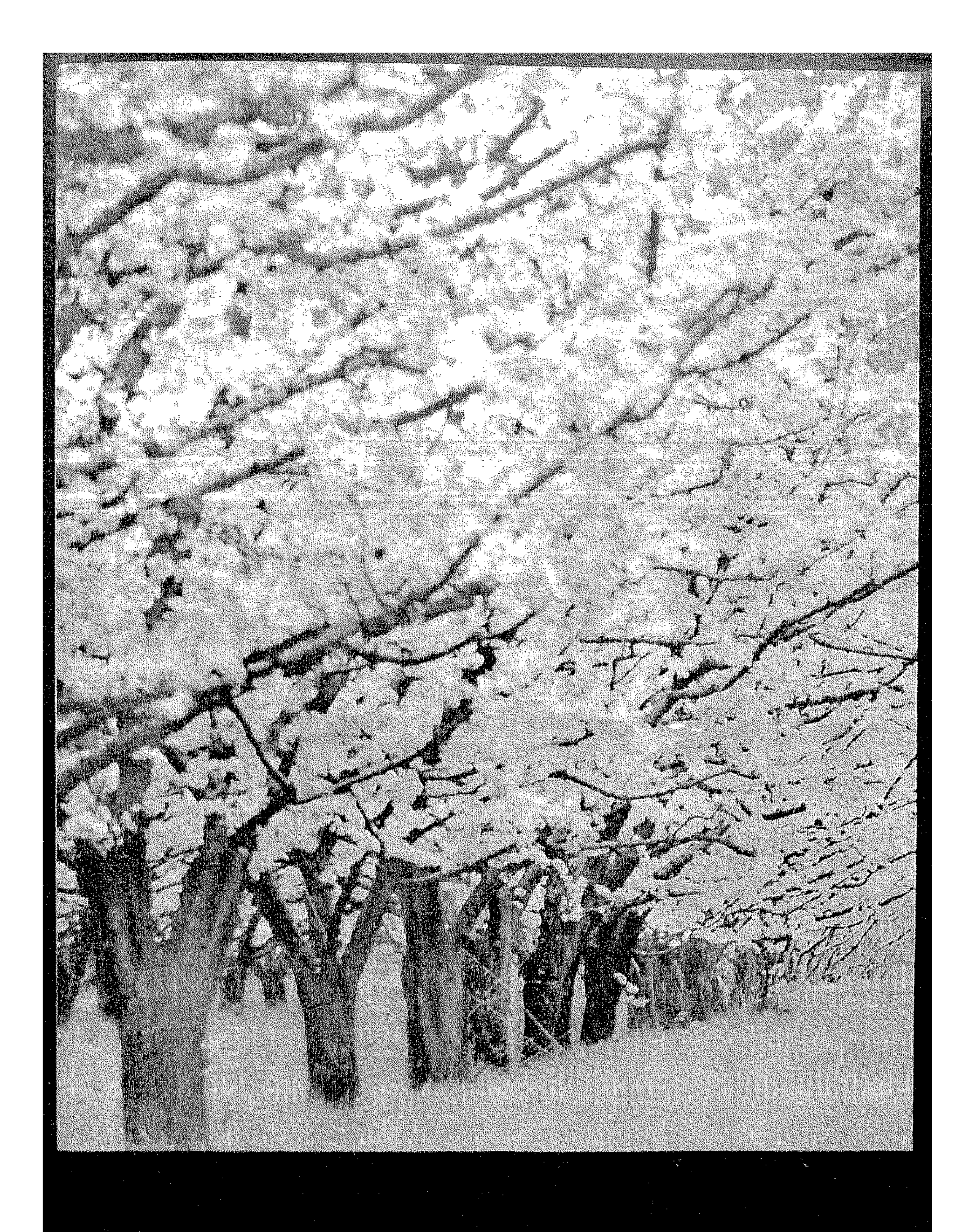


تتميز زهرة الدلبان ـ بأنها تقف على ســـاقها مســـتقيمة ، وكلها ذات ارتفاع واحد تقريبا ، وأنت اذ تنظر اليها تشهد فى هذا المشـــهد البديع الذى يسمونه بساط التيوليب ، فى هولندا وكل بلاد أوروبا فى شهر مايو من كل عام ترى بسط التيوليب هذه فى كل شارع وكل ميدان وحديقة • ترى متى يتربى لدينا مثل هذا الحس بالزهور ؟



هذه الزهرة مشهورة جدا ، وهى ترى فى كل بلاد اوروبا ، وهى موجودة عندنا ولكن نادرا ما يهتم الناس بها . وقد لاحظنـــا ان الناس فى الغرب اذا كانت لديهم « بلكونة » حولوها الى حديقة اما نحن فنستعمل البلكونة مخزنا للاشياء التى لا نريدها ، اى اننـا بدلا من الجمال نضع القبح فتأمل .

زهور ونبات وأطفال وخضرة . فهذا هو ما تراه في هذه الصور الثلاث ، وهو أجمل ما في الطبيعة كما فطرها الله سبحانه . ننشرها متعة للعين والقلب .



غابات الصنوبر تزهر فى اوائل الصيف • ومنظر الغابة في موسم الازهار شيء يسبي العقول جمالا كما ترى فى الصورة • الزهور الوردية تبدو وكأنها سحابة من الجمال تغشى الغابة كلها • هذه الزهور لا تعيش الا اياما ، ولهذا فان هذه الصورة نادرة • بعد ايام تنفضو الاشجار عنها زهورها وتتساقط هذه على أرض الغابة لتأكلها الارض • رائحة هذه الزهور بديعة نفاذة حتى أن الكثيرين لا يتحملونها وخاصة من يعانون من الحساسية •

ليس فى الدنيا أجمل ولا أمتع من روض زانته جواهر الزهور ، وأجمل من زهور البستان الذى تزرعه تلك الزهور البرية التى يطلعها الله من الارض على سجيتها دون تكلف ، وفى بلادنا ـ بلاد العرب جميعا ـ زهور برية فى غاية الجمال والابداع ٠٠ رأيت هذه الزهور تغطى الارض بساطا بعد المطر القليل ٠ رأيتها زاهية الالوان حلوة المنظر كأنها بساط من صنع الطبيعة الجميلة ٠ رأيتها فى الحجاز وفى الرياض فى وسط نجد وفى الكويت وفى قطر ورأيتها فى ايران فى نفس الاماكن التى يدور فيها القتال اليوم ، ورأيت بساطها ممتدا الى همدان واصفاهان حتى طبس وقم ٠٠ ورأيتها فى صحرائنا الغربية فى مصر ، وفى ليبيا والجزائر حتى ساحل المحيط ٠٠ وجدت معها الزقاق الى الاندلس ٠٠

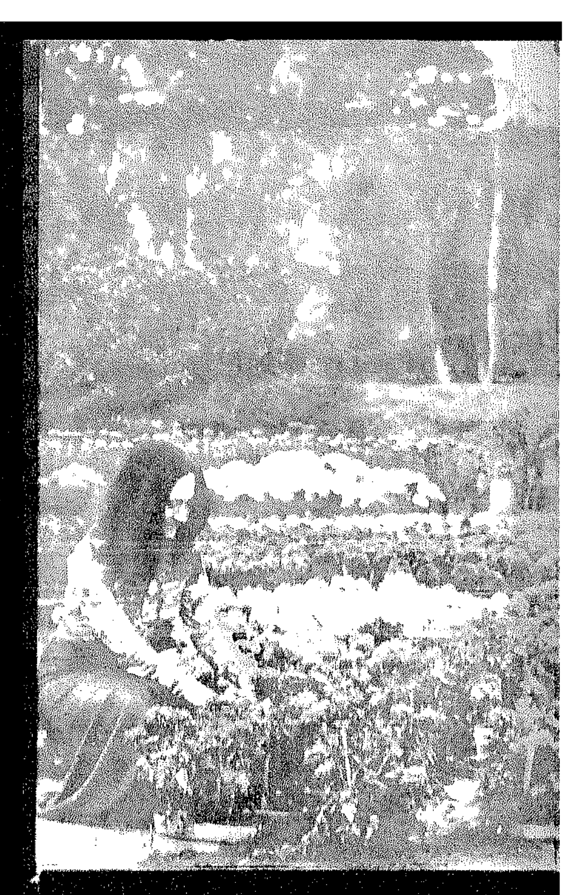
***

تريد أن ترى بعينيك وتلمس بيديك قدرة الله تعالى ؟ فانظر الى هذه البسط من الزهر الجميل ٠٠

ان الوانها فتنة : بنفسجية أو برتقالية أو صفراء فى الغالب وهن مواطنات معنا فى العالم العربى ، ولكنهن مواطنات مسالمات لا يعرفن الحرب ولا النزاع ولا الازمات ، وهن يطلعن فى الربيع بعد المطر ويغطين الارض بجمالهن ، ثم يذبلن وتذروهن الرياح ، وتدب الحياة فى الرمال فتصبح بسطا أخضر مرة أخرى فى الربيع ٠٠

هذه السطور دعوة لحب الزهور والعناية بالزهور ٠٠ وقد زينا دعوتنا هذه السطور بصفحات من جمال الزهر ٠٠ زهر النبات وزهر البشر وهن الصبايا المشرقات الوجوه ٠٠ فما رأيك ؟

● د ٠ حسين مؤنس ●



نبات وزهور ، هذا هو ما تضمه هاتان الصورتان وهما تعبير ناطق عن اجمل ما تقع عليه العيون ٠





عرس فاتنة الدنيا وحسناء الزمان

لا تطرب الجماهير لشيء كما تطرب للأعراس ، فما بالك بزفاف أمير على فاتنة من فاتنات العصر والأوان

المساء.. الصباح!

يسع الارض فؤادى
فافتحى الصدر لعطر الكلمات
وافتحى القلب لنارى ورمادى
فانا منذ المساء
وانبثاقات المساء
لم يعد قلبى ملكى
فاشهدى لى يا ربيع الارض ميلاد الحياة ؟

***

دق فى الصمت الوتر
وارتمى حبا ، قمر ..
قبل : ما خطبك قل لى
اقبل البحر وفر
فتح الورد بابريق الشتاء
انه الحب وفى الحب الرجاء
فافتحى الصدر اطلى
ان فى القلب المساء
يتهادى مبحرا نحو الصباح
قلت ، هذا الورد يذوى فى الجراح
هذه الاحلام من بعض شظايا
لامانى فؤاد وفؤاد
دندنى خضر حكايا
تغسل البؤس وتمضى للصباح
فافتحى القلب لنارى ورمادى
ففؤادى اليوم تاريخ جديد
ليس الا الكلمة العذراء
تاتى بالعزاء
تعد الحقل بانفاس الورود
تعد الورد باسراب الفراش مع الصباح

● مصطفى النجار ●
● سورية ●

بالاداس

شاعر من الاسكندرية

• ماهر شفيق فريد •

● من المجلات الادبية الانجليزية التى تصدر فى لندن منذ ثمانية عشر عاماً مجلة فصلية عنوانها ((اجندا))

.. وفى العدد الاخير من هذه المجلة نجد قسما خاصا عن الكلاسيات به ترجمات جديدة لمقتطفات من الادباء الاغريق والرومان : مشهد موت هكتور فى الياذة هوميروس ، واعمال للشاعرة سافو ، والكمان ، وملياجر ، وكاتولوس ، وقصائد معزوة لفرجيل ، وبترونيوس ، وستاتيوس ، وهوراس ، وتيبولوس ، والشاعر الامريكى ازراباوند فى صلته بالعروض اليونانى ، وقصيدتان للشاعر بيتر ديل من وحى قصة اورفيوس وزوجته يوريديكى ، فضلا عن مقالة بقلم همفرى كاوكاس عنوانها ((خط بالاداس)) سوف نلقى نظرة عليها هنا .

كتب كلوكاس مقالته بمناسبة صدور كتاب عنوانه ((قصائد من بالاداس)) اختارها وترجمها وقدم لها تونى هاريسون يقول كلوكاس : ان ابيجرامات بالاداس نتاج لظروفه . فهو اذ عاش فى مدينة الاسكندرية فى القرن الرابع الميلادى قد شهد التدمير الحقيقى للوثنية التى كان من المؤمنين بها . أو على حد قول الاله هرقل ، وقد انزل عن قاعدته ، فى احدى قصائده :

لست استطيع ان اشكو
فرياح التغير تهب ياصديقى

وقد اصبح الهك ديكا يومىء الى الى اتجاه الريح .

ولكن هذه الرياح لم تجذب الشاعر . ويزيد الطين بلة أن امراته تضايقه ، مما يجعله كارها لجنس النساء . ثم انه كان فقيرا يعتمد على الاغنياء فى كسب معاشه كمعلم . ولم يكن يضمن لهم كبير احترام :

حسبك ان تنظر اليهم : اولئك الأغنياء عديمى الحياء
كيلا تشعر بالاسى على انك لا تملك دانقا .

والحق انه كان متشائما كاملا ، حسه بالفكاهة من نوع اقرب الى القنوط . انظر الى قوله :

ياتى العذاب من التفكر فى الموت
حتى اذا غدا المرء ببطن الارض مضطجعا ، فقد كل تلك الاوصاب .
انما البكاء على الموتى مضيعة للانفاس
فهم سعيدو الحظ ، اذ لا يمكن ان يموتوا مرة اخرى .

وترجمة تونى هاريسون لهذه القصائد تتسم بالثراء والحيوية ، وان كانت لا تخلو من نقاط ضعف ، كان تلزمه القافية باختيار كلمة قد لا تكون هى الكلمة الملائمة تماما . بيد أن ترجماته عموما ممتعة . حتى بالاداس المسكين يبتسم له الحظ احيانا .

● **فان جوخ :**

ومن هذا الشاعر السكندرى مولدا، اليونانى لغة ـ ننتقل الى الرســـام الهولندى فان جوخ كبير ممثلى الانطباعية فى القرن التاسع عشر . ففى مجلة « نيويورك رئيو أوف بوكس » نجـد مقالها عنوانها « كلمات فان جوخ » بقلم جون رسل ، وموضوعها كتابان ظهـرا حديثا : « الرسائل الكاملة لفنسنت فان جوخ » فى ثلاثة أجزاء صادرة عن جمعية نيويورك ، و « رسائل فان جوخ فى الفترة ١٨٨٦ ـ ١٨٩٠ : صـورة طبق الأصل » مع مقدمة بقلم ف.و. فان جوخ، ابن أخى الرسام، فى جزئين.

يقول كاتب المقالة : لا يكون فلوبير هو فلوبير حتى نقرا رسائله الى عشيقته لويز كوليه . ومع ذلك فقد توفى فلوبير فى ١٨٨٠ على حين لم يظهـر النص الكامل لرسائله الا فى عام ١٩٢٦ . ستكون هناك دائما حالات للتاخر فى نشر رسائل الادباء والفنانين على هذا النحو . وبالمقارنة بما حدث فى حالـة فلوبير ، نجد أن تحرير ونشر رسائل فان جوخ الكاملة لم يكلف الدارسـين مثل هذه المشقة . ان اغلب رســائله « حوالى ٦٥٠ من بين ٧٥٠ رسالة » مكتوب الى اخيه ثيو الذى حافظ عليها وكان لاخيه محبا . وقد فعلت زوجة ثيو، وهى عروس شابة سرعان ماصارت ارملة شابة ، كل ما يمكن ان تطلبـه منها لكى تحافظ على هذه الرسائل . **وعندما توفيت اثبت ابنها ف.و. فان** جوخ المولود عام ١٨٩٠ انه قيم مثالى على هذا التراث . ففى ١٩٥٣ اقترنت الذكرى المئوية لمولد الفنان بنشر كـل رسائله التى كانت معروفة آنذاك ، الى جانب كل الرسوم التى كان احيـانا يضمنها خطاباته .

كان هذا النشر مسالة عائلية . فان مدام ثيو ((واسمها قبل الـزواج : يوهانا فان جوخ بورجر)) قـد قامت بفرز الرسائل وترتيبـها وكتبت لها مقدمة عن حياة الرســـام ما زالت مصدرا اساسيا لما نعرفه عنه . وقـد ترجمت حوالى ثلثى هذه الرسائل الى الانجليـــزية قبل وفاتها فى ١٩٢٥ ، وتولى ترجمة الثلث البــاقى دارس هولندى هو دى دود كان موضع الثقتها وفى طبعة ف.و. فان جوخ للرســائل نجد رسائل ثيو الى اخيه ، ومجموعة ذكريات عن الرسام ظهرت ـ باللغـة الهولندية اساسا ـ فى عـــدد من الدوريات بعيدة المنال .

ان مجموعات رسائل الفنانين صعب الابقاء عليها متوافرة وصعب جمعها ، فمراسلات المصور الفرنسى يوجين دى لاكروا على سبيل المثال واحـــدة من الكتب المعظيمة غير المقروءة . وعندما نفدت الطبعة الانجليزية القديمة مـن رسائل فان جوخ ، وجـــد أن اعادة طبعها ستكون باهظة التكاليف ، لـم يكن ف.و. فان جوخ يحمل اسم عمه عبثا ، وقد صمم على أن تكون رسائل عمه متوافرة لاكبر عدد ممكن من القراء بسعر معقول . ومن ثم تقرران تطبع كل كلمة من الرسائل كاملة ؟ على أن تســـتبدل باللوحات الملونة لوحات باللونين الابيض والأسود ، واقلالا مـن التكاليف . وتتكون هذه الرســـائل بصورها الراهنة من اكثر من مليون كلمة كل كلمة فيها جديرة بالقراءة .

تختلف رسائل فان جوخ عن اغلب الرسائل التى من نوعها فى أنها تكاد تكون حديثا متصلا بين شخصين هما مادة المصور وشقيقه ثيو . هكذا كان كل منهما يعيش معتمدا على الآخـر الى الحد الذى نجد معه **أن هـــذه** ليست رسائل بالمعنى المتعارف عليـــه قدر ما هى يوميات تصادف انارسلت بالبريد . لقد وضع فنسنت ذاته كلها فيها دون تحفظات فجاءت فى آن واحد مستودعا لاعمق مشاعـره ومصـــدر الثبات لم يتوافر فى أى ناحية اخرى من حياته . انها لم تكن مجرد حليـة فى حياة عيشت بعمق ، وانما كانت هى الحياة ذاتهـــا فى نظره ...

●●

الكوخ الخشبي

● اليفة رفعت ●

نزلت من العربة في ميدان السيدة نفيسه ،سار السائق وراءها ،استدارت اليه واشارت بيدها تامره بالرجوع ثم تقدمت وحيدة ..

توقفت عند باب المسجد ، ترحمت على الميت وقرات الفاتحة لسليلة الرسول ، ورفعت عينيها الى السماء المكثفة بالسحب تتشكل تكوينات يخيل اليها انها ترى فيها وجهه .. فكرت انهم لابد وانهم صلوا عليه في داخل المسجد قبل ان يدفنوه . ترددت ، هل يجب عليها ان تدخل وتصلى ؟ كانت توصيه دائما ان يتجلد حين موتها ، لم يجل بخاطرها أبدا احتمال ان يموت قبلها ..

كان لا يزال حيا حتى هذا الصباح . وتناول الافطار وخرج لمدرسته . قبلها قبل ان يخرج ووخزت الشعيرات النابتة في شاربه كزغب الكتكوت شفاهها فضحكت للبشرى . لم يذق اللذة بعد وكان يحدق في النساء بفضول . كان يقدسها ولم يخطر على باله انها قد تكون مثل الاخريات .

كانت تؤجل مصارحته بالحقيقة حتى يتم تعليمه ويستقل بحياته ، ولكن هل تعرفها هي ؟ وهل عرفها هو الآن ؟ هل في وسعه ان يعود ليقول لها ؟

حين عاد بعد خروجه بقليل كان محمولا على الاكتاف وقد داهمته سيارة ولفظ انفاسه بين ذراعي زوجها .. ولم ينطق ، وانما اجال بصره باحثا عنها وشملها بنظرة شوق حنون . لم تستطع الاقتراب منه ،وماتت رغبتها في احتضانه تحت وطاة السؤال الذى عاد يسوطها بعنف بعد ان حاولت التملص من قسوته طويلا ..

تخلخلت ركبتاها وهي تتقدم الى يسار المسجد وتطويها ظلال المطفة المسقوفة .. ارتج خداها كزلال بيضة مكسورة ، فشدت اطراف غلالتها تحبكها حول وجهها كانما لتمنع تفاطيله من الانسكاب مع دموعها المنهمرة . جرجرت اقدامها على الارض المبلطة بحجارة كبيرة فثارت زوابع تراب صغيرة نفذت الى ساقيها من خلال الجوارب وردمت حذاءها بمسحوق ناعم أبيض تتناثر من بين أقواس الحائط القديم يحجب مقابر متدثرة ربما هو المتبقى من ناس عاشوا من قبل على وجه هذه الارض !. كانت على وشك أن تحك ساقيها للدعتسه حين طوقت ذراعين ساقيها تمنعهمامن السير ، وتبعثر جسد متسولة أمام اقدامها وكان كومة هلاهيل مسندةالى الحائط . ارتفع اذان المغرب وطرق الفخذ المقطوع يبرز في العتمةوالراس المعصوبة العينين تنشق عن فجوة الفم صارخة :

ـ ربنا يصبرك ويعوض عليكي !

هبت نسمة باردة لها رائحة من بين الاقواس فسرت برعشة موجعة في جسدها . هل رأتهم العمياء وهم يمرون بنعشه من أمامها بعد صلاة العصر ؟ وهل طلعت وراءهم وشاهدتهم وهم يغيبونه في القبر ؟ كيف علمت أنه ابنها الوحيد ؟ أخرجت من حقيبتها بضعة قروش ودستها في كفالمتسولة

ففكت ذراعيها من حول الساقين وتكومت لصق الحائط .

اخرجت منديلها وثبتت عينيها في محاجرها بضغطات متتالية ومسحت الدموع من وجنتها وطرف انفها وعادت تسير . تجمع حولها عيال يمدون ايديهم بالسؤال . لو لم تتكتم سرها لربما عاش مثل هؤلاء . اخرجت قروشا اخرى ونثرتها عليهم . فاختفوا .

لم تجد قبل اليوم جدوى من الاعتراف . حتى هو ، ذلك الرجل صديق زوجها ، **ذلك الذي يلاحقها برغبته ، ويبذر التمرد في نفسها من احوال زوجها ، ويغذيها باخبار مجونه ونزواته مع اخريات حتى خلخل اطمئنانها واستقرارها ببيت الزوجية . وشككها باحتمال انهياره ، واشعل شيطان الغيرة ، فظنت انها باستجابتها له منتقمة لكرامتها تمد جسر امان لمستقبل افضل مع هذا الرجل لو تركها زوجها . حتى هو حين اخبرته بحملها وانها لا تدري من منهما الاب الحقيقي ـ قال ببرود:**

ـ ان القانون يعتبر الطفل ابن الفراش الشرعي .

فذهبت كلماته بمتعة النزوة والعاطفة التي حركها ، وبقي الندم والسؤال الرهيب عفريتا شوكيا متغلغلا في خلاياها يخزها في ليالي السهد الطويلة ليال طويلة متعاقبة لاعوام ممتدة بعمر ابنها الذي رحل اليوم ورقد في مدفن العائلة . وما تحملت الصبر الثقيل كل هذه السنين الا لتحتفظ له بباب وبيت .

وكثيرا ما تاملت تقاطيعه ، وهو بين ذراعيها طفلا ، وراقبت نموه صبيا ثم على اعتاب الرجولة متفرسة في ملامحه لعلها واشية بالشبه لاحدهما ، ولكنه كان يشبه الزوج في متانة اطرافه ، وان كانت لمساته ارق ، اما عيونه فكانت عسلية واسعة كعيونها هي ، واما شعره وجبينه فتحمل سمات الاخر الذي اختفى من محيط العائلة .

قلبت شفتيها حين عاودتها ذكراه وارتد الاحتقار لنفسها اكثر من احتقارها له ، ولكنها ظلت طوال هذه الاعوام معتكفة ببيتها عاكفة على تربية ابنها وخدمة زوجها ومن الغريب ان زوجها رجع عن مجونه بعد ان رزقا بالولد فصار كلفا به يجنون يرعاه ويلازمه دائما . ولكن لم تكن تظن انه يحبه للدرجة التي يرفض فيها العود مع المشيعين بعد دفنه وقد رجعوا بغيره يخبرونها انه متهافت على القبر ينشج كالاطفال مصرا على ان يبيت ليلته بجواره يونسه بعد ان قام المقرئين وانفض الناس ..

جاءت لتقول له السر وتنفضه عن كاهلها بعد ان ناءت بحمله طويلا ، لترحم نفسها من العذاب وترحمه من الحزن العميق الذي قد يخففه علمه بالحقيقة . ولتحمله على الرجوع . فما عادت تبالي بان تستمر حياتهما معا بعد موت الولد ولكن لا تريد ان يلحقه الضرر اكثر من ذلك .

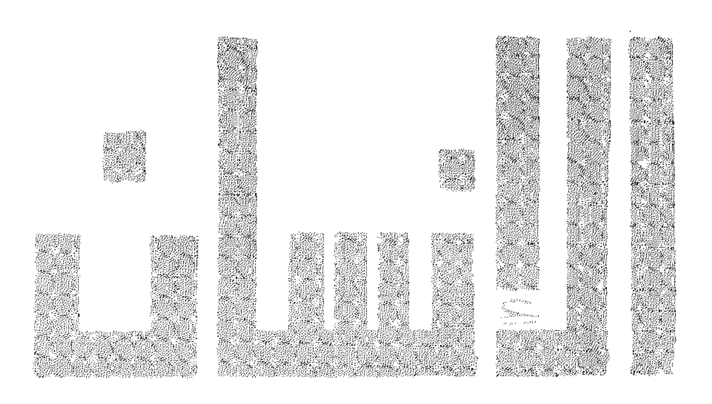
تنهدت في توجع وهي تخطو لداخل الكوخ الخشبي الذي اقامه الجد الاكبر حول قبر النساء وقبر الرجال وقبر الصدقات محددا ملكية حوش المدفن . بقي الكوخ يقاوم الفناء اجيالا وان تقشرت الياقه بفعل الزمن .. انحطت بجوار الرجل المنهار على الارض بجوار القبر الذي تبللت فوهته المردومة وتصاعدت منها رائحة اشبه برائحة مهد الولد عندما كان وليدا . وارتفع نواح الرجل حين شعر بوجودها والقى راسه على كتفها . قالت تغص بدمعها شد حيلك لازم اقولك الحقيقة

ـ ارجوك ، اسكتي فانا اعرف

قال وهو يشد بذراعيه عليها ويمسح دموعه بصدرها ...

اجفلت وانهمرت دموعها واغمضت عينيها والظلام يبتلعها فامالت راسها عليه

●●



الانسان والمنعطف الخطر

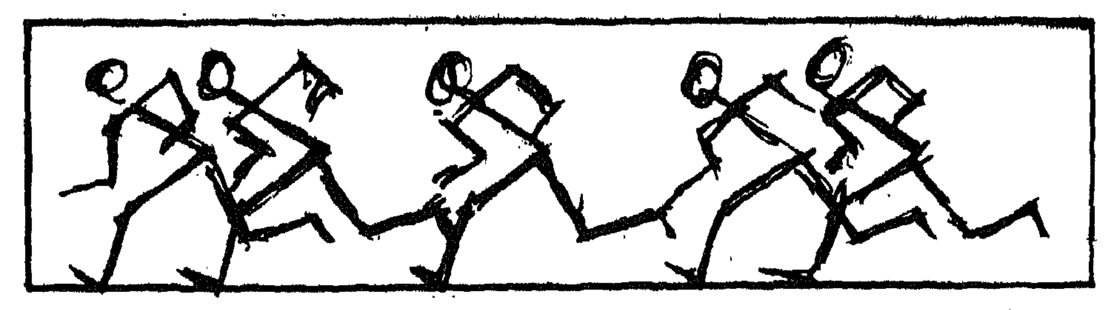
● طه . م . كسبه ●

● لعلنا نستطيع القــول دون ان يواجهنــــا ادعاء التجنى على الحقيقــة ، ان ايقـــاع العصر الراكض قد قلل مــن فرصــــة الانسان في التفكير الواعي ، وحــرمه من نعمة التامل الهادىء في الكــون والطبيعة ، بحيث يمكن القول ايضــا ان التقدم العلمى والتطور التقنى الذى احرزه الانسان فى ارجاء المعمــورة فى اغلب الاحيان ، اصبح عائقــــا يحول بين الانسان وبين تنمية مداركـه وفكره ، وعقله اللاهث وراء كل جديد فى عالم الابهار التكنولوجى ، كما لم يدع للانسان فرصة البحث التامل فى اوجه النقص الفكرى والثقافى فى حياته وحياة هذا العالم من حوله ، والـــذى اصابه نفس الداء .

ان هذا يعنى حرمان الانسان ـ فى مجمله ـ من محاولة دراســة مايحدث من تطور وتقدم يصيبه العالم عــلى الصعيد العلمى والاقتصادى والسياسى ويعنى كذلك فقدان الانسـان . وهو فى مسيرته الانسانية هذه من نعمة تحقيق التوازن بين نفسه وروحه، بين المادة التى تشكل منها وبين الروح التى وضعت فيه بين عقلة وقلبة ، وبين عواطفه وتفكيره ، بين متطلباتة النفســـية واحتياجاتة البدنية ، باختصار شديد ـ ايضـــا ـ تحقيق التوازن بين المتغيرات فيــه والثوابت ، وهذا فى اعتقادنا اخطــر مايتعرض له الانسان فى العصر الحالى .

ذلك ان الظروف التى يمر بها الانسان فى عصرنا الراكض هذا ، تحول بينه وبين الاستقرار النفسى والروحى الذى ينشده ويحاول تحقيقة .

فالصفاء الذهني والراحة النفسيـة والاستقرار الوجداني ، اصبحت معانى وافكارا مجردة مطلقة ، وبالتالى فانها فقدت مدلولاتها التى كانت تعنى للانسان الكثير الكثير من حصاد الاعوام والسنين التى عاشها على سطح الارض وانجـز فيها كل هذه الانجازات العظيمة التى استحق عليها جـــدارته فى العيش والبقاء ، وتاكيد هذا الوجود بالمزيد من



الانجازات البشرية على سطح الارض وفى الكون الواسع .

كما ان محاولات الانسان المتكررة لتحقيق المعادلة الصعبة بين ما يريده وبين مايقدر عليه ، هى فى ذات الوقت اعلان من المجتمع البشرى كله بالعجز تجاه مايواجهه الانسان اليوم من متاعب واحن تهدد مسيرته وتقلل من فرص النجاح التى من الجائز ان يحققها وهو فى صراعه مع الكون والطبيعة .

وكل الذى استطاع ان يحققه الانسان مجرد بعض النجاحات المحدودة هنا وهناك، تفتقد جميعها الاصالة والصدق ذلك ان الذى يستطيع الانسان ان يحققه فى مجال العلوم ـ على سبيل المثال ـ يفقده فى الجانب الاخر ماحققه سابقا من مقومات وقيم وملكات ، بمعنى أن الانسان وهو فى مسيرته العلمية المتقدمة راح يقدم تنازلات كثيرة ـ رغما عنه ـ واصبح فى مقابل ان يحصل على هذا التقدم العلمى والاستفادة منه الى أقصى حد ، راح يفقد الكثير الكثير من مجموعة القيم والملكات والامكانيات الذاتية التي حققها من قبل طوال مسيرته البشرية على سطح الارض .

ولم يستطع الانسان ان يمتلك سوان يستفيد من ـ هذا الجديد فى عالم العلوم الكونية التطبيقية ، وفى ذات الوقت يظل محافظا على ماالديه من قيم وملكات بذل من أجلها الحياة فى زمن سابق على زماننا .

واذا نحن حاولنا تدقيق النظر فى التجربة الانسانية وان نرصد محصلة هذه المسيرة ـ على الاقل ـ فى زماننا الحالى ؟ لوجدنا ان الانسان حتى فى مجالات العلوم الانسانية والنظرية وفى جانب القيم والملكات والمبادىء التى تمرس عليها الانسان واصطلح على احترامها وتقديسها . داس عليها جميعا ..

صحيح ان المسيرة الانسانية على مدار التاريخ ، شهدت انتكاسات عظيمة ، كما شهدت انتصارات باهرة، الا ان الانسان راح يبذل جهدا مضاعفا حتى لا تحتويه هذه الانتكاسات العظيمة التى حدثت له وتجذبه الى الوراء وتقلل من فرصته فى توكيد انتصاراته على الطبيعة والكون من حوله .

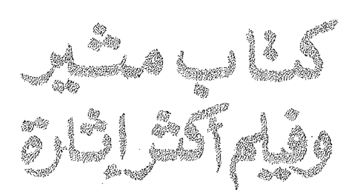
لكن يبقى علينا بعد كل هذا ان ندرك ان اهم ماينبغى ان يحرص عليه الانسان وهو فى مسيرته او نضاله هذا الذى فرض عليه ضد الطبيعة ـ توكيدا للعديد من المعانى والقيم التى ابرزها وجود الانسان وافضليته على كثير من المخلوقات ـ اقول ان اهم ما ينبغى ان يحرص عليه الانسان ، هو تحقيق التوازن بين الجانب الثابت فيه والجانب المتغير ، بين المادة والروح فى هذا الكيان الواحد الذى يمثله الانسان

ترى هل يستطيع الانسان ان يحافظ على هذا التوازن بعد ان يحققه ؟ كيف يستطيع الانسان ان يحقق هذا التوازن بين نفسه وروحه ، او بمعنى اكثر شمولا كيف يستطيع الانسان ان يحقق التوازن بين جميع ملكاته النفسية والروحية والجسدية ، وان يجمع بينها فى ان واحد ، وان يمسك بها جميعا حتى يحقق ما امكن ان نصطلح عليه بالتوازن والاستقرار الذى يستطيع به ان يواجه متغيرات هذا العصر، وان يواجه به الحقائق الجديدة التى اصبحت بوجودها متغيرات هذا العصر، وان يواجه الانسان الجديد فى عصر اسميناه من قبل « العصر الراكض » .

رسالة كان

تقدمها : مارى غضبان

الجلد



● «الجلد» ، أغرب فيلم ، لاغرب قصة ! ..

ثار حوله جدل كبير ، في قاعة العرض وبين صفوف الرواد فى مهرجان «كان» الرابع والثلاثين .. منهم من صفق طويلا ، ومنهم من تذمر ولم يعجبه الفيلم ..

وما حدث عند بداية ظهور «الجلد» كقصة ظهرت في الاوساط الادبية منذ ثلاثين عاما .. للكاتب الايطالى «كورتيو مالابارتي» .. فلقد أحدثت القصة ضجة كبيرة آنذاك ، واتخذت منها الكنيسة الكاثوليكية موقف المعارض ، مع تحريض القراء على عدم قراءتها ..

والكاتب الايطالى «مالابارتى» كان شخصية غريبة تجمع المتناقضات .. فى بداية حياته كان منتميا فكريا وسياسيا الى الحزب الفاشى التابع لموسولينى ، ثم اتجه بعد ذلك الى حزب المعارضة ، ثم مال الى الشيوعيين ، لينتهى فكره عند المذهب الكاثوليكى .. ولعل فى هذا التحول الفكرى والسياسى من حزب الى حزب ما جعله يجمع فى شخصه أفكارا متناقضة غريبة ومثيرة للتساؤلات ..

اسمه الحقيقى «كورت ايريك سوكرت» ، والده ألمانى الجنسية ، تركه مع أحد الفلاحين فى شمال ايطاليا ليقوم بتربيته ورعايته ـ لاجل هذا فهو يعتبر نفسه ايطاليا ..

ومن هناك جاءت تسميته بـ «مالابارتى» اشتقاقا من اسم «نابليون بونابارتى» ..

وعندما سأله ذات يوم موسولينى عن السر في هذا الاسم ، قال .. ان نابليون بونابارتى قد انتهى فى حياته نهاية سيئة ، أما أنا فاسمى «مالابارتى» لكننى سأنتهى نهاية سعيدة !

التحق بالجيش الفرنسى أثناء الحرب العالمية الأولى . وحقق عدة بطولات نال عنها نياشين عديدة ، ولكنه اضطر لترك الخدمة العسكرية لاصابته فى الحرب باصابات بالغة .

ولم يجد عملا له سوى اقتحام مجالى السياسة والثقافة ، فانضم الى موسولينى يناصره فكرا ورأيا الى أن جاء عام ١٩٢٩ فانقلب ضده انقلابا كبيرا حتى انه اطلق عليه لقب «الحرباء» ! وبسبب عداوته مع موسولينى اضطر أن يترك البلاد ، ويرحل بعيدا ، الى المانيا .. وعاش بها فترة ..

وعندما أراد أن يعود مرة ثانية الى ايطاليا قبضوا عليه عند الحدود الايطالية «وحددوا اقامته» ، حتي لا يباشر أى عمل سياسى ضد الدولة . الى أن جاءت الحرب العالمية الثانية ، فخرج من عزلته



احد المشاهد الفنية فى فيلم « الجلد »

ليعمل كمراسل حربى لايطاليا فى باريس ثم عاد الى ايطاليا بعد الحرب ليقيم بصفة دائمة فى منزله بجزيرة كابرى .

● اسلوب واقعى وصريح ●

كتب فى عام ١٩٤٩ قصته « الجلد » التى تعتبر من أشهر مؤلفاته .. مع كتابه الآخر « كابوت » أى « مكسور » والسمة الغالبة على أعمال « مالابارتى » تعالج مشكلة الحرب ، والاحتلال ، والظلم .. ويقول هو « ان الناس لا يحاربون من أجل الكرامة أو الحرية أو العدالة ولكن من أجل الجلد .. ! »

وبعد حياة حافلة بالكتابة والتأليف والمواقف السياسية ، مات « مالابارتى » عام ١٩٥٧ وعمره ٥٩ عاما .. متأثرا بجراحه التى أصيب بها أثناء الحرب .

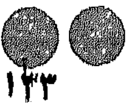
والفيلم المأخوذ عن « الجلد » .. اسما وقصة .. تدور أحداثه عام ١٩٤٣ ،وفيه يبرز الكاتب والمخرجه تناقضين واضحين فى مدينة «نابولى »حيث الفقر ،والازدخام والدعارة ، والرشوة ، والسوق السوداء .. كل هذا ومعه « احتلال الجيوش الأمريكية لها .. وادخال أشياء جديدة للمدينة ولاهليها مثل « اللبان .. الجوارب النايلون ،السجائر .. موسيقى الروك اندروك » .. ومع كل هذا تهالك الاهالى على هذه الاشياء للحصول عليها ، الى أن يبيعوا كل شىء حتى أنفسهم !

والفيلم يبرز صدام ثقافتين وعالمين ، معا .. العالم اللاتينى العريق ، والعالم الامريكى الجديد ، بما فيه من ظواهر قد لاتستحق الاهتمام ..

أبرزت المخرجة هذه الاحداث بأسلوب واقعى وصريح ، ولم تغفل عن مشاهد القذارة والانحطاط الخلقى ومشاهد الدماء والعنف .. الامر الذى جعل المشاهدين يتركون الصالة أثناء عرض الفيلم ، رغم أن كل تلك الاشياء تضمنتها أحداث القصة الاصلية ..

وأسندت أدوار البطولة الى «مارشيللو ماستروينى » .. الذى يقوم بدور ضابط فى الجيش الايطالى ، و « كلوديا كردينالى » فى دور أميرة ايطالية ، و « بيرت لانكستر » فى دور « لواء » بالجيش الامريكى ، و « كين مارشيل » فى دور « ضابط شاب » فى الجيش الامريكى . و « الكسندر كينج » فى دور « ضابط طيران » فى جيش الاحتلال وتنتمى الى عائلة ثرية من « بوسطن » .

اختيار هذه الشخصيات وأدوارها المتنوعة والمتناقضة قد ساعد على نقل الاحداث الاصلية بصورة أكثر صدقا وواقعية ..



الصمت فى شتاء حزين

● محمد كمال محمد ●

● الطريق كانت تطول أمامي ·· وددت لو امتدت أكثر ، فاللحظة التى اخافها تدنو كئيبة قاسية ·· غريب فى البيت بوحدتى ، البيت غريب ، أنا فيه وحدى ··

كان حلم الليلة الماضية أمامى : « كنت اعبر القنطرة المجهولة ، كانت تمتد امامى وعندما بلغت منتصفها انتشرت حولى سحب دخان سوداء ، توقفت لا استطيع نقل قدمى ·· ارتفعت وسط الدخان مدخنة قاطرة قديمة ، تصاعد نشيشها بينما تتقدم نحوى ، تراجعت مرتعبا ·· نظرت تحت قدمى ، ليس ثمة قضبان تدرج عليها القاطرة ، لكنها تقترب منى

انتحيت جانب السور الحجرى بينما كانت القنطرة تستطيل خلفى وتمتد فى البعيد ·· كنت اريد فى هذه اللحظة ان انام ! ·· كانت الرغبة قوية لا يمكن مغالبتها : لابد ان أنام ·· القيت بنفسى جانب السور وتمددت ·· كنت اود ان الثنى ساقى لاستريح ، لكنى كنت أشعر باقتراب القاطرة ، وكنت أدرك ان عجلاتها الرهيبة ستلتهم ساقى لكنى ظللت راقدا مستسلما ·· »

كنت عائدا من دار اللغات لتوى حزينا ·· هناك كانت المدرسة الرقيقة تلقننى كلمات الفرنسية لاتعلمها ، لم يكن الامر فى الحقيقة يعنينى تماما ، كانت عيناها تمد لى الحبل فى قاع احزانى ·· تضخ الدم فى أوصالى التى أيبستها الوحدة الموحشة ·· كنت أتوجع وأود أن أقول لها ، ذهبت ابنتى ، كنت أحبها وكانت تحبنى ·· كانت تعرف انى بحاجة لبقائها معى ·· لا أدرى ماكنه ذلك الشيء الذى هربت لاجله وتركتنى وحيدا ·· أود أن أصرخ « لماذا شاءت أن نفترق ؟! ».

كنت أريد أن أتكلم معها كثيرا عن نفسى ··

عندما ذهبت اليها اليوم ، قالوا انها انتقلت للمدينة التى التحقت هناك حملت اللوعة فى قلبى ومضيت ··

***

اقترب البيت ··

وسط الشارع ارتفع صراخ أطفال فى مواجهة كلب شرس ، طاردت الكلب المهاجم ،صحت فى الاطفال بلهفة مشفقة: « لا تخافوا ·· اذهبوا الى بيوتكم ·· روحوا ! ».

عندما صعدت السلم كنت أنظر الى أبواب الشقق فى توسل ، متمنيا أن ينفتح أحدها عن ابنتى ·· كان ذلك يحدث عندما تنزل لزيارة فى غيبتى حتى أعود ··

هناك كانت اللافتة المضيئة تستوقفنى السهم المشير الى الدار «محادثة ومعايشة» ·· التفت حول الهدف الحقيقى لاختبىء من وحدتى ·· كنت أحسها بعذوبة عينيها وصوتها الطليسق بالفرنسية ، تتنفس داخلى ، تتنقل فى حجرات البيت معى ··

انفتح الباب عن ظلام الصمت ··

اجتزت الممشى الضيق الى حجرتى ·· أميال من الوحشة ، تساوت الايام عندى

مقعد ما ، ينهض ، يمشي ، يطلق أنفاسه لتحيطني ، صوته البشري يحتضنني ..

عندما ينزف الجرح ويشتعل الالم ، أود لو كرهتها لعلي أستريح .. لكني أحس بالانهاك لعجزي عن احتمال الكراهية ..

قالت زوجتي في خطابها من البلد البعيد : « ماذا جنيت لقاء حنانك ؟ همك الصباح والمساء وعذابك هي .. اذكر لها آلام السنوات .. لكي لا يتجدد بفعلتها وبعدها عذابك .. كم انت تكره الكذب ، كانت تعرف .. لكنها لا تقلع عن أكاذيبها لتثير غضبك ، تصب عليها لعناتك ، ثم تتالم باحساسك الرهيف ، ولا يمضي الليل دون أن تترضاها ، متقبلا دور الضحية ، بينما تمتلىء بالمرارة ! » ..

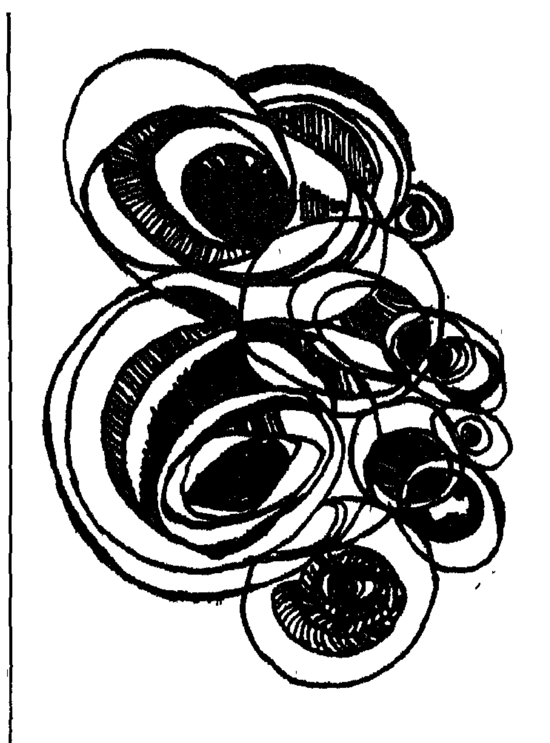
قامت بيني وبينها الجدران ، سترتفع اكثر لو عادت .. ابكيها مثلما ابكيك لبعدك .. فهل هناك وضعت راسك على الوسادة واسترحت ؟

انت أكثر احتمالا للالم مني .. مع الاماكن الطيبة عندك تسكن النفس وتبرد الجراح .. في وقفتك هناك اشهدك تستقبلين الابواب الطاهرة بالرحمة والحنان .. ارتعش بالجيشان الروحي ، تغشى عيني الدموع .. ارفع وجهي اناجي السماء ..

***

وعذابي معي لاجل التي رحلت هاربة وسنواتي معك تتدفق في القلب النهار والليل لتهبني بالشوق ، وتوجعني بلوعة الوحدة ..

ليلة الامس التقى بها الحلم : « كنت اركب عربة غريبة الشكل ، لا أدري اين تسير بي .. كان هناك آخرون يملأون المقاعد ، بطول العربة كان المقعد الخالي مستطيلا على هيئة محفة .. صعدت ابنتي بظهرها ، دون أن تراني القت بنفسها على المقعد وتمددت راقدة ، مديرة وجهها الى جدار العربة .. في جوار رأسها كان ثمة رغيف اقتطعت من وجهه لقيمات فامتلأت بالثقوب .. تلك طريقتها



عندما تاكل الخبز .. أردت أن أسالها : « كيف تعيشين ؟ » .. لكن فمي كان محشوا بالتراب ..

صحوت من نومي دامعا ، لان العربة لم تبلغ بنا البيت ..

يقهرني برد الشتاء الحزين ، يزيد في كآبتي ، أتدثر بالثيات الثقيلة ، أبحث عن القفاز الصوفي الذي صنعته لي في أول شتاء لزواجنا .. كانت أصابعه البنية الدقيقة النسيج تطل في الدولاب دوما بين ثيابي .. فأين ذهب ؟

ظل الصمت يحتويني شائكا موجعا .

كان فحيح الصنبور المقطوع الماء متواصلا لا يتوقف .. قبلا كنت لأطيقه .. الآن لا أود أن ينقطع لحاجتي الى صوت ما ..

لفتني الوحشة داخل التابوت ..

سمعت نباح الكلب حادا .. الاطفال آمنون الآن في بيوتهم .

مع الامهات يتكلمون والآباء والاخوات .. ليس بالامكان أن اهرب ..

كنت اود أن اختبىء ، ولا مكان ..

النباح بين قدمي ..

والتابوت ينفتح ..

●●

تاريخنا الإسلامي بين التراث والمعاصرة

● عزت محمد ابراهيم ●

● **لا جدال في ان مؤرخي الاسلام منذ الصدر الاول حتى أزهي عصور الاسلام قد صنعوا غاية مافي وسعهم في حفظ هـذا التاريخ وتسجيله والحرص عليه مما نجده في آثار ابن هشام ، والطبري ، واليعقوبي ، وابن الاثير ، وابن كثير ، وغيرهم مما يضيق عن ذكرهم المقام ..**

والحق ان ذلك مبعث فخر لهم ولامتهم فقل بين الامم من حرص على تدوين تاريخه حرص الامة الاسلامية ، فلم يدع مؤرخوها صغيرا ولا كبيرا الا أثبتوه ، وبلغ من حرصهم ودقتهم ان أسندوا الاخبار والمرويات الى اصحابها ثم عرضوها على ميزان الفحص والتمحيص بما عرف باصطلاح « الجرح والتعديل » والذي سبقوا به مناهج الدراسة الحديثة باحقاب طويلة .

ولكن الكثير مما كتبوه وحفظوه وسجلوه لا يتيسر الانتفاع به اليوم الا لقلة من الدراسين الذين يصبرون على لأواء القديم ومشقته ، وكان لابد ان تتجه الانظار الى الاغتراف من هذا القديم واسباغ ثوب المعاصرة عليه ، وقد أعان الله من أعان على ذلك فكان منهم : طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، وأحمد أمين ، وسيد قطب .. فكتب طه حسين مما كتب : على هامش السيرة ، والوعد الحق ، ومرآة الاسلام ، فحبب الى الناس قراءة التاريخ الاسلامي والانتفاع به وقربه الى قلوبهم ..

وألف العقاد « العبقريات » فكانت في الذروة من مؤلفاته ..

وألف هيكل أسفاره عن « حياة محمد » « والفاروق عمر » و « والصديق أبي بكر » ، فكانت فتحا في التأريخ الحديث ..

ووضع أحمد أمين موسوعته الاسلامية « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « يوم الاسلام » فجلا بها ما كان غامضا وقرب بها ما كان بعيدا وجمع بها ما كان متفرقا في مناحي شتى ..

أما سيد قطب فاذا ذكر فقد ذكر معه كتابه العظيم .. « في ظلال القرآن » وبذوره الاولى في نفسه « مشاهد القيامة في القرآن » و « التصوير الفني في القرآن » ، وحسبه تقربا الى الله أن يكون له ذاك الذي قدمته يداه .

وذاك هو المعنى بالتراث والمعاصرة ، وهو جهد لا ينبغي ان يقف عند حد أو يتوقف عند غاية ، فلا يزال أمام الكاتبين والدراسين والشعراء والمتفننين الكثير والكثير ..

واختار - مثلا على ذلك - صفحة واحدة مما جاء في هذا التاريخ كتبها ابن هشام في معرض الحديث عن غزوة تبوك وما كان من أمر « الثلاثة الذين خلفوا » ، وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية .

هؤلاء هم الثلاثة الذين خلفوا ، أما الغزوة ، غزوة تبوك ، فقد كانت امتحانا من الله عز وجل لايمان المؤمنين وايثارهم للجهاد في سبيله على القعود والراحة والاطمئنان الى الدعة والهدوء .

فقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام الناس بالتجهيز لغزو الروم ، وهم في زمان عسرة وقد اشتد الحر وطابت الثمار فطاب لهم المقام الى جوارها يقطفونها ويستظلون بظلها .

وقد صرح الرسول عليه الصلاة والسلام بوجهته في هذه الغزوة حتى يكون الناس على بينه من أمرهم لما فيها من بعد الشقة وكثرة العدو وشدة مراسه ، وكان قبل ذلك يكنى بغزواته ولا يصرح بها .

واظهر أمر هذه الغزوة حقيقة المنافقين

وحقيقة المعذورين من الاعـراب وحقيقة ما تنطوى عليه صدورهم من غل وموجدة فقد دعا رسول الله الجد بن سلمه للغزو ، فتعلل بالفتنة وخشية عدم الصبر على رؤية نساء بنى الاصفر ، وطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن له في التخلف ولا يفتنه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جنهم لمحيطة بالكافرين » •

أما المنافقون فقد جعل بعضهم يشيع بين الناس الخوف من حرب الروم قائلين لهم : اتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم لبعض ، والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال ، واجتمع البعض الآخر فى بيت سويلم اليهودى يثبطون من همم الناس ويخوفونهم من الخروج مع رسول الله عليه السلام •

وأما المعذرون من الاعراب فقد اعتذروا للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعذرهم الله سبحانه •

وقد تخلف هؤلاء الثلاثة عن غزوة تبوك وهم نفر صدق لا ارتياب فى اسلامهم ، ما فى ايمانهم شائبة تشوبه •

وانتهت غزوة تبوك بصلح بين الرسول عليه الصلاة والسلام والروم ، وعاد الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة وجاءه المخلفون يحلفون له ويعتذرون عن تخلفهم ، وجاءه كعب بن مالك وحدث هو عن ذلك فيما رواه ابن احوق فقال :

« جئت رسول الله فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى : تعال فجئت امشى حتى جلست بين يديه ، فقال : ما خلفك ، الم تكن قد اتبعت ظهرك ؟ قلت يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت انى ساخرج من سخطه بعذر ، ولقد اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى وليوشكن والله ان يسخط على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه انى لارجو عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله : اما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك »

ومثل هذا كان أمر مرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، ونهى الرسول عن كلام هؤلاء الثلاثة فاعتزلهم الناس ، وجفاهم المسلمون ، وكان وقع الامر على كعب شديدا ، فكانت عيناه تفيضان بالدمع حين يرده الناس ، ومنهم ابن عمه قتاده وظلوا على ذلك جميعا خمسين ليلة حتى نزل الله فيهم قول الله عز وجل :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذ ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم » •

تلك هى القصة فى كتب التراث وقد تناولها قلم صانع للادب متمكن هو هلال الفاس فانشأ فيها شعرا منه هذه الابيات:

جاءت الانباء ان المصطفى
قد تولى قافلا فى الموكب
فربا حزنى وافنى جلدى
وخزات فى الضمير الدرب
كم اناس سيلمون غدا
فى اختلاق العذر عند الطلب
اهل اجاريهم فآتى فندا
ام لزوم الصدوق أولى بالابى
وهنا اشتد صراع قائم
بين نفسى وضميرى الطيب
عاملان اختلفا واصطنعا
حجبا توقدان نار الشغب
واخيرا كان عزمى اننى
الزم الصدق ولو اوقع بى
انا ان اكذب على خير الورى
اعرض النفس لادهى عطب

ومثل هذا الذى انشأه الفاس سبق اليه حافظ ابراهيم فى قصيدته العمرية ولحق به بالكثير فى نفس الموضوع وعلى نحو اوسع واشمل ، والشاعر اللبنانى بولس سلامة فى الملحمة الشعرية « عيد الغدير » التى استغرقت ديوانا كاملا •

ان التراث الاسلامى لبحر زاخر ونبع ثر فياض ، وما قام به هؤلاء جميعا ان هو الا فيض من فيض ، وقطرة من بحر وما علينا الا أن نقلب صفحاته بايدينا وننظر فيها باعيننا وقلوبنا معا ، وستدر أخلافه الكثير ، ويلهم بالكثير •

●●

عرض وتحليل لآراء

أهل المدينة الفاضلة عند الفارابي

● محمد الديباجي ●

من التعاريف الاولى التى عرف بها الانسان ، انه كائن اجتماعى بطبعه . ذلك لانه لا يستطيع ان يعيش فى عزلة تامة عن الاخرين ، لان حياته مرتبطة بهم من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر ، ومن حيث يريد ومن حيث لا يريد .

فالناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض ــ وان لم يشعروا ــ خدم كما قال الشاعر القديم .

وهذه الفكرة هي التى بنى عليها الفارابي كتابه القيم « اراء أهل المدينة الفاضلة » . فهو يؤكد في مقدمة الجزء الثاني من كتابه ــ وهو الجزء الاجتماعى ــ ان « كل واحد من الناس مفطور على انه محتاج فى قوامه ، وفى ان يبلغ افضل كمالاته ، الى اشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده ، بل يحتاج الى قوم يقدم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج اليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال » ــ آراء اهل المدينة الفاضلة .

ولكن هذه العلاقة الحتمية لا يمكن أن تتم دائما على احسن وجه ، اذ ان الانسان جبلة متارجح بين الخير والشر .. وكثيرا ما يستكمن منه الشر وتستاثر به الانانية وحب الشهوات ، فيحمله ذلك على الاعتداء على الغير .

لهذا اهتمت الشرائع السماوية ــ فيما اهتمت به ــ بتتميم هذا التنظيم . وذلك بما وضعوا من قوانين ، وحثوا عليه من تمسك بالاخلاق ، وبما رسموا للانسان من سبل الخير والسعادة .

ولعل اشهر الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بهذا الموضوع ــ اى بتنظيم المجتمع بشكل يكفل للانسان سعادته ــ ابونصر محمد بن محمد الفارابى ٢٥٩ ــ ٣٣٩هـ / ٨٧٠ ــ ٩٥٠م » . وقد تجلى هذا الاهتمام في مؤلفه الشهير « آراء اهل المدينة الفاضلة » .

فما فحوى هذا الكتاب النفيس ؟ وما ابرز الدوافع التى حملت الفارابى على تاليفه وما مدى تاثر الفلاسفة المسلمين بهذا الكتاب ؟ ذلك ما نتعرض له بايجاز فى هذه السطور .

عرف الفارابي نفسه المدينة الفاضلة بقوله : « المدينة التى يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التى تنال بها السعادة فى الحقيقة هى المدينة الفاضلة . والامة التى تتساون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هى الامة

مجتمع إنساني يتعاون أفراده فيما بينهم تعاونا طيبا يضمن لهم السعادة جميعا.

«أبو نصر محمد بن محمد الفارابي»

الفاضلة » .

فالمدينة الفاضلة اذن هي مجتمع انساني يتعاون أفراده فيما بينهم تعاونا طيبا يضمن لهم السعادة جميعا .

فهذا موضوع الكتاب . وقدقسمه الفارابي الى قسمين : قسم فلسفي، وقسم اجتماعي . فعالج في القسم الاول اهم المبادىء الفلسفية التي استقر عليها اذ تحدث فيه عن وحدانية الله تعالى وقدرته بذاته، وعن الموجودات الاخرى التى هي فيض من الله ، وفي مقدمة هذه الموجودات الانسان الذى يفوقها جميعا بالعقل والارادة . ويعتبر هذا القسم - وان شغل الحيز الكبير من الكتاب - تمهيدا للقسم الثاني الذى يعالج فيه الفارابي تصوره للمجتمع الفاضل .

وسنقصر لحديثنا عن القسم الثانى الذى هو موضوع الكتاب .

***

شبه الفارابي المدينة الفاضلة بالبدن الصحيح الذى تتعاون جميع أعضائه على تحقيق حياة سليمة صحيحة . واول الاعضاء واهمها في الجسم هو القلب ، فهو مصدر الحياة والاحساس والشعور . وهو المتحكم في الاعضاء الاخرى التى تتفاوت في درجتها بحسب وظيفتها في الجسم . ومنزلة القلب في الجسم هي منزلة الرئيس او الحاكم في المدينة الفاضلة . لذا يجب الاهتمام بالرئيس وصحته وسلامته قبل غيره ، اذ تتوقف سلامة الغير على سلامته . فلا يجوز أن يتولى رئاسة المجتمع الفاضل الا رجلا بلغ مرتبة رفيعة من الكمال .

ولهذا اشترط الفارابي في الرئيس عدة خصال ، بعضها فطرى ، وبعضها مكتسب . اما الخصال الفطرية فهى صحة الجسم والعقل وسلامتهما ، وحبه للعدل والعمل به ، ولا يجب أن يجعل همه في المآكل والمشرب والزواج . - واما الصفات المكتسبة فهي أن يكون حكيما ، عالما بالشرائع والسنن ، محسنا الاستنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ، متحريا لصلاح المدينة ، قادرا على تحمل اعباء الحرب . ويجب - بالاضافة الى هذا كله - أن يسمو الرئيس بالتعلم والتأمل لدرجة« العقل الفعال » . وهو العقل الذى يستمد الفهم من الله تعالى كما يستمد الانبياء الوحي .

وقد اشترط الفارابي هذه الشروط الصعبة المتعددة في الرئيس لأنه آمن بان لا صلاح للمدينة الا اذا تولى امرها رئيس تسمو به فطرته وهمته وعلمه، فالنبي والحكيم هما الشخصان الصالحان لرئاسة المدينة الفاضلة . والفرق بينهما أن النبى يتلقى الشرائع من ربه عن طريق الوحي ، والثانى يدركها بالعقل والتدبر .

ولقد ادرك الفارابي - قبل غيره -

---

(١) آراء اهل المدينة الفاضلة :

عرض وتحليل لآراء أهل المدينة الفاضلة

أن اجتماع هذه الخصال في شخص واحد امر عسير . لذا لم ير مانعا من ان يحكم المدينة الفاضلة رجلان او رئيسان ، « احدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية (٢) واذا تفرقت هذه الشرائط في جماعة ، وكانت الحكمة في واحد،والثاني « اى الشرط الثاني » في واحد ، والثالث في واحد، وكانوا متلائمين ، كانوا هم الرؤساء الافاضل » (٣)

ونلاحظ ان الفارابي جعل الحكمة شرطا اساسيا في الرئيس او في احد الاشخاص الذين يتولون امر المدينة . « وان لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف اليه « الحكمة » ، لم تلبث المدينة بعد مدة ان تهلك (٤)

ولا يكفي ان تتوفر هذه الشرائط كلها في الرئيس لتحقق سعادة المدينة، بل لابد ان يحذو السكان حذو رئيسهم وأن يتحلوا باخلاقه « وكذلك ينبغي أن تحتذى بافعالها مقصد رئيسها الاول (٥) .

***

وتجدر الاشارة هنا الى انالفارابي لم يكن حالما ولا غاويا عندما رسم معالم المدينة الفاضلة ودعا اليها . ذلك انه بدأ في تأليف كتابه عنها وقد اصاب من العلم والحكمة وتجارب الشيوخ حظا موفورا ..

أضف الى ذلك انه قضى في تأليف هذا الكتاب الصغير حجمه ما يزيد على سبع سنوات ، وهو وقت طويل جدا بالقياس لمن بلغ من العلم والتجربة ما بلغه الفارابي عند وضعه لهذا الكتاب .

واضف الى هذا وذاك ان المعلم الثاني طاف بكتابه خلال هذه السنوات على أطراف الامبراطورية الاسلامية يتأمل فيها ويتدبر أمور اهلها ،ويميز من بينهم الفاضل والجاهل والفاسق والمبدل والضال . وهذا ما أشار اليه ابن أبي أصيبعة في « عيون الانباء » بقوله : أن الفارابي « ابتدأ في بغداد بتاليف كتاب المدينة الفاضلة . وحمله الى الشام في أواخر سنة ٣٣٠ هـ وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الابواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر سنة ٣٣٧ هـ (٦) » ، أى قبل وفاته بسنتين « وقد عاش الفارابي ثمانين سنة » .

كل هذا يبين بوضوح أن الفارابي لم يكن واهما حينما دعا للمدينة الفاضلة . على أنه كان يدرك قبل غيره ان تحققها في الواقع ليس أمرا يسيرا ، ولكن صعوبة اقامتها لا تعنى حتما استحالتها . فاذا ما صدع الانسان للعقل وغالب هو النفس ودأب على التفكر والتدبر وأحسن الاستفادة من الشرائع السماوية — وكل ذلك ممكن — استطاع أن يعيش في مجتمع سعيد.

نريد الآن — وقد بسطنا القول في موضوع هذا الكتاب .. أن نعرض بايجاز لأهم العوامل التي دعت الفارابي الى تاليفه .

***

يبدو لنا أنها عوامل مختلفة،ويمكن حصرها في عاملين رئيسيين : اولهما أعجابه وتأثره بجمهورية أفلاطون. وكان الفارابي شديد الاعجاب بمنطق أرسطو

---

(٢) آراء اهل المدينة الفاضلة :
(٣) آراء اهل المدينة الفاضلة : ص١٠٧
(٤) آراء اهل المدينة الفاضلة
(٥) آراء اهل المدينة الفاضلة:ص١٠١
(٦) عيون الانباء : « تحقيق نذار رضا دار مكتبة الحياة — بيروت

وفلسفة افلاطون. وحمله هذا الاعجاب على أن يضع فيهما كتابا خاصا هو « كتاب الجمع بين رايي الحكيمين».

وثاني العاملين وأهمهما الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تردى فيه عصره وتذكر أن الفارابي ولد سنة ٢٥٩ هـ. وتوفي سنة ٣٣٩هـ فقد اخذ المجتمع الاسلامي في المشرق يصارع اهوالا مخيفة منذ ان تآمر الاتراك على الخليفة العباسي المتوكل وقتلوه سنة ٢٤٧ هـ . « ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده » كما يقول المرحوم احمد امين (٧) . فقد غدا الاتراك بالفعل منذ هذه الفاجعة هم المتحكمين الحقيقيين في الخلافة ، بل في رقاب الخلفاء انفسهم. وكانت مقاليد الجيش بأيديهم فكانوا يولون الخلافة من يتقون من العباسيين ، فاذا ما وجسوا منه ريبة ، خلعوه أو قتلوه .

ولم يكن الاتراك يتدخلون في شئون الخلافة دفاعا عن عقيدة أو نضالا من أجل مذهب ، بل جنحوا للقهر ، اذ كان وسيلتهم الى المال ، وكان المال اقصى مبتغاهم . وهذا ما يفسر مصادرتهم لكثير من الخلفاء الذين سخطوا عليهم ، بل مصادرتهم لامهاتهم واقاربهم من البيت العباسي (٨) .

وقد فزع الخلفاء من الاتراك حتى أن بعضهم « كان لا يلتذ بنوم ، ولا يخلع سلاحه بليل أو نهار » (٩) . وفزعت العامة لفزع الخلفاء » فاجتمعت ببغداد بالصراخ والنداء والنفير » (١٠)

وصحب هذا الفساد السياسي فسادا اقتصاديا . وان كثيرا من الثورات التي اشتعلت في هذا العصر كانت نتيجة لفساد الحياة الاقتصادية بمثل ثورة الزنج الذين زحفوا الى البصرة في جوف الليل وفتكوا باهلها ثم احرقوها « سنة ٢٥٧ هـ » . فهي ثورة « العبيد الكادحين » كما يقول الاستاذ شارل بيلا ومثلها ثورة القرامطة وغيرهم .

ويخيل الينا ونحن نتصفح بعض المراجع القديمة كتاريخ الطبري والمسعودي أو ابن الاثير أو ابن أبي الفداء ، لندرس عصر الفارابي ، انه لم تخل سنة من فتنة يسيل فيها دم كثير ، ومجاعة ووباء مبيد .

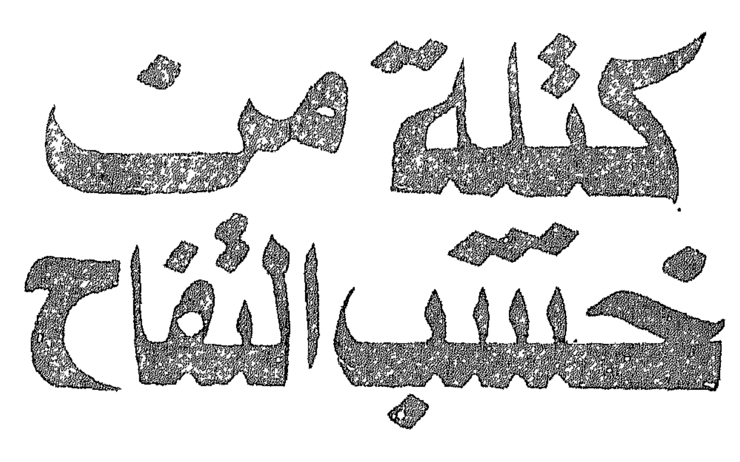
ومن الطبيعي ان يصحب هذا الفساد السياسي والاقتصادي فسادا اجتماعيا فقد شاع الانحراف في هذا العصر وانتشر المجون ، وعم الاستخفاف بالمبادى الدينية والاخلاقية .

لقد شهد الفارابي كل هذا الفساد الذي اشرنا اليه. وشهد آثاره الوخيمة على حياة الناس ، خاصتهم وعامتهم. فهب في اواخر حياته يعالج هذا الداء الخطير بالدعوة الى « آراء اهل المدينة الفاضلة » .

وقد كان « لآراء اهل المدينة الفاضلة » اثر بعيد في نفوس المسلمين الذين عاصروا الفارابي او اتوا بعده ، سواء منهم فلاسفة المشرق او المغرب. فمن اشد فلاسفة المشرق تأثرا بهذا الكتاب ابن سيناء « الشيخ الرئيس». وتأثر به قبله « اخوان الصفاء ». كما تأثر به فلاسفة الغرب الاسلامي ، وفي مقدمتهم ابن باجة وابن رشد وابن طفيل — وتأثير هذا الكتاب الجليل في فلاسفة الامة الاسلامية موضوع طويل مستقل بذاته . وحسبنا هنا هذه الاشارة .

---

(٧) ظهر الاسلام ١/ ١١
(٨) كامل ابن الاثير ٧/ ١٠
(٩) ظهر الاسلام ١/ ٢١
(١٠) تاريخ الطبري ١١/ ٨٥



● للكاتبة : مارجوري كينان رولنجس ●

● ترجمة : حسن حسين شكري ●

● في موقع عال بجبال «كارولينا» حيث تتراكم الثلوج التي تسوقها الرياح احيانا في فصل الشتاء ، يقوم ملجا الايتام ، منعزلا عن القرية الواقعة في سفح الجبل ، بل عن العالم كله ..

يحجب الضباب قمم الجبل ، بتدوم الجليد منجرفا الى الوديان ، تهب ريح عاتية لدرجة تجعل صبية الملجا الذين يحملون اللبن الى كوخ الاطفال يصلون الى باب هذا الكوخ وقد تجمدت اصابعهم فيعانون الالم من فقد الاحساس والحركة ..

ذهبت الى هناك في الخريف طلبا للعزلة الهادئة لاكتب بعض الموضوعات الصعبة . ووددت منذ زمن بعيد ان يبدد هواء الجبل مرض الملاريا من المناطق المدارية .. عانيت الحنين الى الوطن ، والى اضطرام اخشاب شجر الاسفندان في شهر اكتوبر ، والى سنابل القمح وشجر الجوز ، والى صعود التلال ..

وجدتهم جميعا يعيشون في جوسق تابع لملجا الايتام ، ويبعد عن مزرعته مسافة نصف ميل .

استاجرت كوخا ، وطلبت ان يبعثوا لي احدا لتكسير بعض الاخشاب للمدفاة كانت الايام الاولى دقيقة . وجدت الخشب الذي اريده حول الكوخ . لم يبعثوا احدا ، ونسيت ما قد طلبت ..

وفي ساعة متاخرة بعد ظهر احد الايام ، نظرت من فوق الالة الكاتبة ، فزعت قليلا . الفيت غلاما لدى الباب يقف جوار كلبي ، ودليلي ورفيقي ، لم ينبح ليحذرني كعادته .. كان الغلام في الثانية عشرة من عمره ، ولكنه ضئيل الجسم ، يرتدي « اوفرول »وقميصا ممزقا ، حافي القدمين .

قال لي : « استطيع ان اكسر بعض الاخشاب اليوم » .

قلت : « لكن ثمة غلاما سيرسله ملجا الايتام » .

اجاب : « انا ذلك الغلام » .

انت : انت صغير !

قال : « حجم الجسم لا يهم ، المهم هو تكسير الاخشاب !.. بعض الاولاد الكبار لا يتقنون هذا العمل .. انا اكسر الاخشاب في الملجا منذ مدة طويلة ! »

بعد نحو ساعة ونصف ساعة ، حين توقفت عن العمل ، وتمددت - سمعت خطوات الغلام في ممشى الكوخ ، كانت الشمس تتوارى خلف الجبل البعيد ، والوديان تصطبغ بلون ارجواني بل بشيء ما اكثر روعة من زهور النجمة

قال الغلام : « ساذهب الان لتناول العشاء ، وساحضر ليلة غد ! »

قلت : « سادفع لك اجر ما تمت به من عمل .. عشر سنتات في الساعة .

ولما كان يظن انني ساصر على طلب غلام اكبر منه ، فقد قال : « اي مبلغ يكفيني » .

وخرجنا من الكوخ معا ، فوجدت انه قد كسر كمية مذهلة من الاخشاب الصلدة ، فقد كانت هناك كتل من خشب الكريز ، وجذوع ضخمة من اخشاب شجر الشوكران ، وقطع سميكة من بقايا أشجار الصنوبر والبلوط التى تخلفت من بناء الكوخ ..

قلت : « لقد قمت بعمل كثير كالذى يقوم به رجل » .

واعطيته ربع دولار .. وقلت : «عليك تحضر غدا ، ولك الشكر الجزيل ! »

كان اسمه ((جيرى)) عمره اثنا عشر عاما ، يعيش فى الملجا منذ ان كان فى الرابعة من عمره . استطيع رسم صورته حينما كان فى الرابعة . نفس العيون المليئة بالاسى ، المشوبة بزرقة . نفس استقلال الشخصية . لا .. بل نفس الاستقامة .

وبالنسبة لى ، تعنى هذه الكلمة شيئا من اخص خصوصياتى والنوعية التى اصفها بها غاية فى الندرة .

كان والدى من هذه النوعية .. رغم اننى لم اجد رجلا من معارفى تتوفر فيه صفة الاستقامة بهذا القدر من الجلاء والنقاء والبساطة التى تشبه امتداد الجبل بقدر ماكانت متوفرة فى الغلام ((جيرى)) .. فالشجاعة عنده سجية تجاوز حد الجراة ، والامانة عنده خلة تفوق الامانة نفسها .

قام لى ببعض الاعمال التى لم يكن ملزما بها ، ولا يدفعه اليه الا دماثة الخلق وفطنة القلب . والتى لا يتطلب تعلمها اى نوع من التدريب او الخبرة ، لانها بنت لحظتها ... وجد ثقبا كبيرا بجانب المدفاة فقام يسده ، رغم اننى لم الحظ هذا الثقب ، وتطوع عن طيب خاطر بوضع المادة التى تضرم نار المدفاة والاخشاب متوسطة الحجم حتى اجد ذخيرة دائمة من الاخشاب الجافة اذا ماسقطت الامطار دون سابق انذار ...

كما وجد حجرا متخلخلا فى ممشى الكوخ فحفر حفرة عميقة وثبت هذا الحجر .

وحينما حاولت ان ارد له الجميل باشياء مثل الحلوى والتفاح صمت ، ولم ينطق بكلمة ، غير كلمة « شكرا » التى كان لا يجد محيصا عنها ، لان المجاملة كانت غريزة روحه .. ونظر الى الهدية ، ونظر الى ، وفى تلك اللحظة رفع ستار ... فرأيت اعماق بئر عيونه الصافية وقد ظهر فيها الحنان والامتنان بدرجة تفوق شخصيته الجرانيتية الصارمة .

وانتحل بعض الاعذار كى يجلس معى ، وما كنت احول بينه وبين ذلك الا اذا كان جائعا .. واقترحت ذات مرة ان افضل وقت للزيارة هى فترة ماقبل العشاء حيث افرغ من كتاباتى . وبعد ذلك كان ينتظر حتى يخمد صوت آلتى الكاتبة .

وفى يوم ما ، واصلت العمل حتى حل الظلام وخرجت من الكوخ وقد نسيت ((جيرى)) .. فرأيته يصعد التل فى الغسق متجها الى الملجا .

جلست فى رواق الكوخ فوجدت مكانا قد اكتسب الدفء من جسده كان ينتظر .

وبالطبع صار ((جيرى)) على الفة مع كلبى ودليلى ((بات)) ولعلهما كانا يتمتعان بنفس المشاركة الروحية ونفس النوع من الحكمة التى يصعب تفسيرها رغم وضوحها . وعندما ذهبت الى الضيعة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع وتركت ((بات)) فى رعاية ((جيرى)) . اعطيته صفارة الكلب ومفتاح الكوخ ، وتركت له كمية كافية من الطعام ..

كان عليه ان يحضر مرة او مرتين فى اليوم ليطلق ((بات)) ويطعمه ويروضه . وكان مقررا ان اعود مساء السبت ، وان يخرج ((جيرى)) و ((بات)) للمرة الاخيرة بعد ظهر ذلك اليوم ، وان يترك مفتاح الكوخ فى مكان خفى متفق عليه . وتصادف ان تاخرت عودتى لان الضباب ملأ ممرات الجبل بطريقة خداعة ، ولم اجرؤ على قيادة سيارتى فى الليل . وظل الضباب حتى الصباح التالى ، ولم استطع الوصول الى الكوخ الا ظهر يوم الاثنين . وكان ((بات)) قد نال حقه من الرعاية والطعام فى ذلك الصباح .

وحضر « جيرى » بعد الظهر وهو قلق ، واخبرنى ان مشرف الملجا قد قال له : ((لا يستطيع احد ان يقود سيارته اثناء الضباب ، واضاف ((لقد حضرت

ليلة امس قبل موعد النوم فلم اجدك ، ومن ثم .. احضرت جزءا من طعام افطارى وقدمته « لبات » هذا الصباح ولم اسمح ان يصاب بسوء .

فاجبته « كنت واثقة من ذلك »وان القلق لم ينتابنى ، وايقنت انك ستعرف ان الضباب كان السبب فى تاخيرى .

كان لديه عمل فى الملجا ولابد أن يرجع الى هناك فى الحال . اعطيتــه دولارا ، فنظر اليه وانصرف . وفى تلك الليلةجاء بعد أن حل الظلام ، وطرق الباب قلت له :

« ادخل ياجيرى ان كان قد سمح لك بمغادرة الملجا فى مثل هذه الساعة المتاخرة » .

قال : « اختلقت قصة .. اخبرتهم انك تبغين رؤيتى » .

قلت : « حقا » مؤكدة له ذلك ، وبدا الارتياح على وجهه ، وسالته : كيف تصرفت مع « بات » ؟

فجلس الى جوار المدفاة ، ولم يك ثمة ضوء آخر ، وقص على احــداث اليومين .. « وبات » جاثم بالقــرب منه ، وكانه وجد راحته التى لم استطع ان اوفرها له .. وبدا لى ان رعايتــه لكلبى قد قربت بينى وبينه ايضا لدرجة شعر معها أنه ينتمى الى كما ينتمى الى ذلك الحيوان . وقال : « اخــذت « بات » وصعدنا التل ، تســابقنا ، واختبات فى مكان معشوشب .. رقدت فيه فترة ، وكنت أسمع « بات » وهو يبحث عنى ، فلما عثر على أخذ ينبح ، ويتصرف كالمجنون .. ويدور حولى فى حلقات .

شاهدنا لهبا ، فقال ، هذه كتــلة من خشب التفاح افضل نوع يحتــرق من الاخشاب » .. كنا قريبين للغاية احدنا من الآخر ، وفجاة ، اندفــع متحدثا عن أشياء لم نتحدث عنها من قبل ، ولم اكن مهتمة بسؤاله عنها .

قال : انت تشبهين أمي الى حد كبير . خاصة فى الظلام ، وبالقرب من النار »

فاجبته : ولكنك كنت فى الرابعة من عمرك حين جيء بك الى هنا ياجيرى .

اتذكر كيف كانت أمك بعد مضي هذه السنين ؟

قال « امي تعيش فى مانفيل »

ومرت لحظة ، وبعد أن عرفت ان له اما .. صدمت صدمة عنيفة لم اصــدم مثلها طيلة حياتى ، ولم اعلم لم فزعت، وسرعان ما عرفت اسباب فزعى . لقد جاشت نفسى بالاسى مــن ان تترك اى امراة ابنها وتمضى الى حال سبيلها ..

واحترقت من الاســئلة التى لم استطع أن اسالها خوفا من أن يسبب له ذلك الما . ولكنى سالته : هل رايتها فى الاونة الاخيرة ياجيرى ؟

فاجاب : اراها فى كل صيف ــ انها ترسل لى ...

واضاف : ارسلت لى زوجا مــن الزحافات اسمح للاولاد الاخــرين باستعماله ، وهم يستعيرونه منى ، ــ ولكنهم يعتنون به .

قال : الدولار الذى اعطيتنى ايــاه نظير رعايتى « لبات » ، ساشترى به لامي زوجا من القفازات .

قلت : شيء جميل .. هل تعــرف مقاس يدها ؟

قال : اظن ثمانية ونصف ، ونظر الى يدى متسائلا .. هل مقاســك ثمانيــة ونصف ؟

ــ لا ارتدى مقاسا اصغر .. اعتقد مقاس ستة .

قال : اظن يدها اكبر من يدك .

لقد كرهتها على اى الاحوال ..سواء كان الفقر او غيره هو السبب . هنــاك غذاء غير الطعام . النفس تجوع بسرعة مثل الجسد .. سيشــترى بالدولار قفازات ليديها الغليظتين . لقد عاشــت فى « مانفييل » بعيدة عنه وارضــت نفسها بارسال زوج من الزحافات له.

قطع « جيرى » تفكيرى قائلا : انهــا تحب القفازات البيضاء ، اتعتقــدين انه يمكننى الحصــول عليهــا بدولار واحد ؟..

قلت : اظن ذلك . وقررت الا اترك الجبال حتى اراها واعــرف بنفسى لم فعلت ذلك .

العقل البشري يبعثر اهتماماته كما لو كانت من زغب الاشواك كل الرياح تثيرها وتحركها .

لقد فرغت من عملي ولم يسعدني انني انشغلت بموضوع اخر . قد احتاج الي مادة لكتابة موضوع مكسيكي . رتبت اموري لغلق منزلي في فلوريدا . سارحل الي المكسيك فورا واقوم بالكتابة هناك اذا ماسمحت الظروف ، ثم اذهب مع شقيقي الي الاسكا . وبعدئذ تعلم السماء ماذا واين ؟

ذهلت عن الغلام فترة من الوقت بسبب انشغالي وخططي . وبعد غضبتي الاولى عليها لم نتحدث عنها ثانية ، او عن شيء من هذا القبيل اطلاقا . وحقيقة أن له اما في « مانفييل » من اى نوع كانت ، ولا تبعد عنه مسافة كبيرة . اراحتني من الالم الذى حاق بي من اجله فهو لم يناقض هذه العلاقة الشاذة بين ام وابنها .. لم يكن وحيدا ! .. ليس هذا من شاني .

ظل يحضر كل يوم يكسر الاخشاب ويقوم ببعض المجاملات ويمكث ليتحدث معي . صارت الايام باردة كنت اسمح له بدخول الكوخ في أغلب الاحوال، فيجثو على الارض أمام المدفاة مطوقا كلبي « بات » باحدى ذراعيه وكثيرا ماغالبهما النعاس وهما ينتظراني في هدوء .

وفي بعض الايام كانا يتسابقان في نشوة غامرة بين اشجار الفار . ولما ذبلت أوراق شجرة زهرة النجمة في هذه الاونة ، كان يحضر لي أوراق شجر الاسفندان ذات اللون القرمزى المعروفة باللون الأصفر الفخيم ومعها اغصان شجر الكستناء .

كنت على اهبة الاستعداد للرحيل فقلت له .. « جيري » لقد كنت صديقي الطيب سافكر فيك على الدوام سافتقدك ، كما سيفتقدك « بات » هو الاخر .. سارحل غدا .

لم يرد علي .. وحينما غادر الكوخ اذكر ان قمرا جديدا قد تدلى فوق الجبال .

واخذت اراقبه وهو يصعد التل في صمت ، وتوقعت ان يعود في اليوم التالي ولكنه لم يعد . شغلتني امور حزم أمتعتي وتحميل سيارتي ، وكنت اضع في حسباني ان الشمس على وشك الغروب ولابد ان اخرج من الجبال قبل حلول الليل . توقفت بجانب ملجأ الايتام وسلمت مفتاح الكوخ ، ودفعت فاتورة الحساب لمس كلارك ، وطلبت منها أن تستدعى « جيرى » لاودعه ، قالت لا اعلم اين هو ..

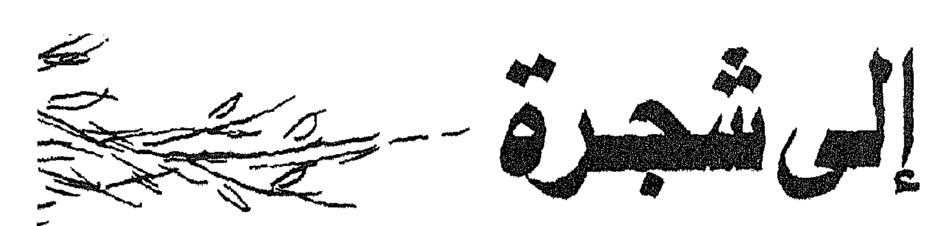
قلت اخشى الا يكون بخير : فهو لم يتناول طعامه ظهر اليوم .. اجابتني . لقد رآه بعض الاولاد صاعدا الى التل متجها الى أشجار الغار ، وكان من المفترض ان يشعل موقد الغلاية بعد ظهر اليوم ، ولكنه تخلف ، وهذا مالم يحدث منه قبل ذلك ابدا ، فاننا نعتمد عليه على الدوام .

شعرت بارتياح كبير عرفت انني لن اراه مرة اخرى ، وأن من الاوفق الا اودعه ، قلت لمس كلارك « كنت اريد ان اتحدث معك عن امه ولم يعيش هنا» ولكنني في عجلة من امرى لم اكن اتوقعها ، كما كنت اود ان اراها ، ولكن الوقت لا يسمح الان . وهاهي بعض النقود لتشترى له بعض الاشياء في عيد الكريسماس ، وفي يوم عيد ميلاده ، وكنت افضل ان ارسل له بعض الاشياء ، ولكنني اخشى ان ارسل له اشياء كالتي عنده ، الزحافات مثلا ..

فنظرت الى مس كلارك في دهشة ، بعيني العانس الصادقتين ، وقالت ليس للزحافات فائدة كبيرة هنا !

ازعجني غباؤها .. قلت : ان ما اقصده الا ارسل له نفس الاشياء التى قد ترسلها له أمه ، وربما اختار له زحافات تكون قد ارسلت له مثلها بالفعل !

فحملقت في وجهي قائلة : لست افهم شيئا ... « جيرى » ليس له ام ، وليس عنده زحافات !!



إلى شجرة

• جليلة رضا •

●●

أرجوكِ ... لا تقفى أمامى فى فضول قـــاتل
لا تسألينى كيف جئتُ ... ومن أنا ... لا تسألى ..!
فلسوف أمنحُكِ الحقيقة فاستعــدى لاستماعِى
ولسوفَ أنتزعُ القناعَ لكىْ أراكِ بلا قنــاع ..!
ولسوف أحـــكى الآن سرِّ تطفـــلى .. فتمهلى ..!

***

أنا جئتُ فى هذا المساء لكى أعيشَ مع المساء ...
أتتبعُ الأشـــياء وهى تفرُّ من وجــه الضيـاء:
إنى أتيتُ أفاجىء الصمتَ المنتشرَ فى الشجر ..
وأنامُ عند الجذْع راضيةً كما يغفو الشجــر ..!
فلقدْ تعبتُ من التخيـــل .. والتمنى والرجـــاء !

***

أنا ليسَ لى فى البيت ركْن كى أنامَ على فراشى ...
كلُّ الرغاب هناكَ تحتل المقاعـــدَ ، والممـــاشى !
رغبات أعوامى الطوال قبعْنَ فى بيتى حيـــارى ...
ومشينَ فى الحجرات جَيئة ظامئا يطوى الصحارى !
ولذا أتيتُ مع المساءِ لأستبيحَ لى التـــلاشى ..!

***

أنا جئتُ يانبْع الصفاء لكى أعيشَ مع السكونْ ...
لكننى ما كدتُ أجتاز الربى ، تحت الغصـــون



حتى سمعتكِ تصرخين وتصرخين على التيـــاع ...
ما هذه الفوضـــاء تبعثهـــا الطيور بلا انقطاع !
فتلتشكتى أبناءَك المتهـــوّرين الطائشين ...

***

ماذا يهمّ هذا المســاء فقد تمادَوا في الصّياح ؟
أيكون هذا الليل عند الطّير ليس له صّـــباح ؟
أم يا ترى جنّوا بوجد العشق فاعتزلوا الرقـــاد
وتقاسموا الآمالَ والأحـلامَ في ظل الســهاد ...!
ويْحي !.. فررتُ من الجرّاح لكن أضمّ هنا الجراح !

***

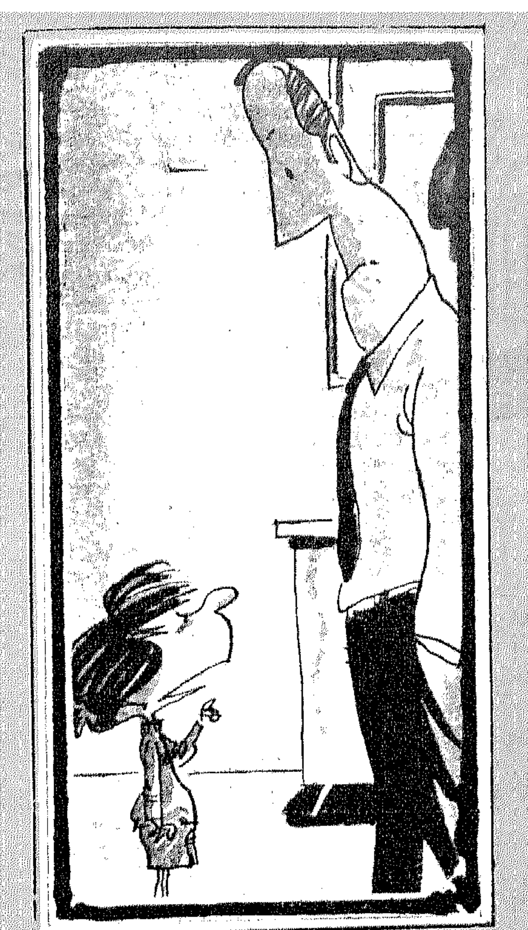
أنا لي لديْكِ ، كمالهم ، ركن بحضنك يا شجره ..!
أنا لي هنـــا حقّ التعبـــد راهبا قد جاء ديره ...
أنا لي التوغل في دجاك ولي التأمل في فضـــائلك
أنا لي الذي قـــد طرّزته يد الطبيعـــة في ردائك

***

أوليسَ لي قلب كقلبـــك ناعم مثل البحـــيره ؟
أوليسَ بي شوْق الطيـــور وفي دمي سر الخميلة؛
ومثى كأوراق الغصون تمدّ لي كفّـــا ظليـــله ..
هي كلّهـــا أحلامُ قلب مرهَف عشقَ الجمال ...
هي كلّها أحلام قلب يحتسي كأسَ الخيـــالَ
حسْبي أحس بها تعيش .. وإن ترامت .. مستحيله !

كاريكاتير

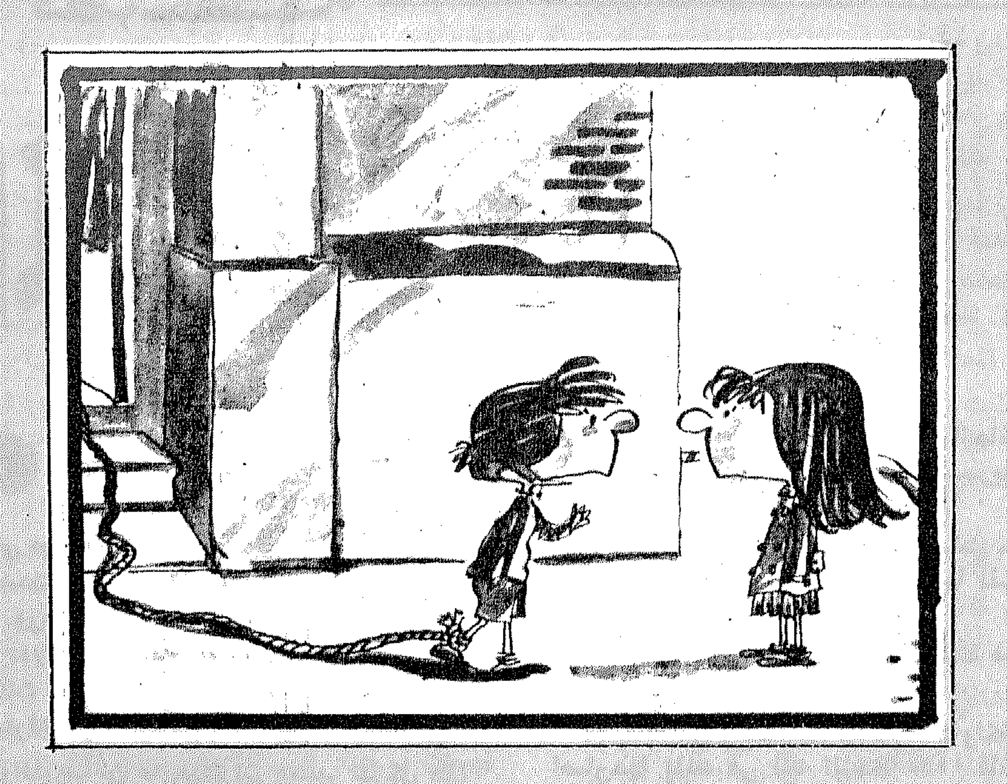
جيل جديد جدا !!



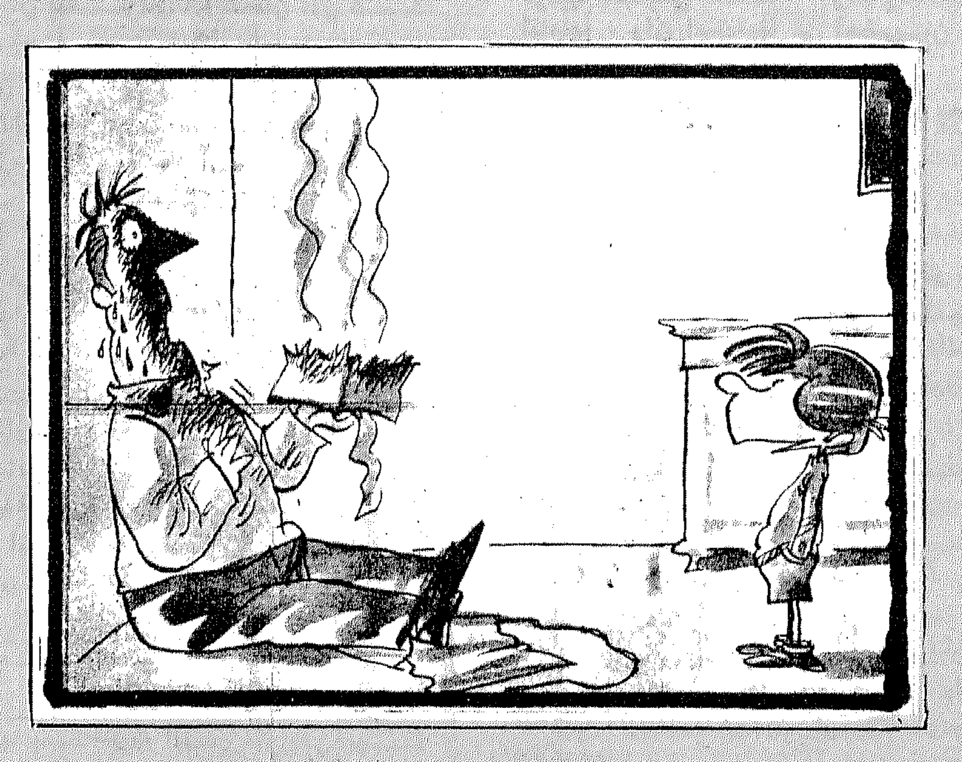
الولد لابيه : انا مش عارف انت تاعب نفسك ليه وحاسس انك مسـئول عنى .. ماتحاول تجرب مرة كده وتخلينى مسئول عنك ؟!



الولد للمراقب فى الامتحان : ايه رايك ، بدل ماتتعب نفسك وتراجع وتصحح ، اسيب لك الورقة فاضية تصلح انت فيها وتكتب على كيفك زى ما انت عاوز ؟!



الولد للبنت : تسمحى بقى تقوليلى بقى كنت اقدر اجيلك ازاى فى ميعادنا
والتزم بالمحافظة على المواعيد ؟ ..



الولد لابيه : ولا يهمك ... جت سليمة ! .. المهم اننا كنا عاوزين
نعمل لك مفاجاة سعيدة !

المعطف

● غبريال وهبه ●

لست اكتمكم انى ولــوع بالنســاء الجميلات ، وهـذا شيء لا انكره ••• وهانذا اعترف بان ما وقع لى جعـل عيشى مر المذاق، ولحقنى بسببه هلعواضطراب، اذ سدت فى وجهى المسالك ، واصبحت لا اجـد من ورطتى مخرجا ••• لم يعـد امامى الان غير الانتظار • فانا اتوقع مكالمة تليفونية او طرقات على الباب ••• اترقب شخصا مـا ، لا اعرفه ، ولا صلة لى به من قبل !

والغريب ان ما حدث لى وسبب لى كل هذا القلق والجزع لا اســتحقه ••• فهى ليست غلطتى ، ولم يكن ما حدث مقصودا ، فمـن الممكن ان يتعـرض اى انسان لمثل هــذا المازق •

نحن الآن فى أواخر الستينات ، فى يوم مـن ايام الشتاء ، اقصد مساء ذلك اليوم الــذى كان برده يخترق العظام ••• آه لو كنــا فى الصيف ••• اذن لاغنانى ذلك عن تلك التجربة المثيرة •

ها هى ذى لجج من الاضواء تتلالا عــلى جبين دار الاوبــرا • واقبلت مع النــاس لمشاهدة احدى روائع الاوبرا العالمية •••

خلعت معطفى ، وسلمته للموظف المختص الذى ناولنى بطاقة تحمل رقما • حثثت الخطى الى صالة العرض ، وغصت فى مقعـد استمتع بمشاهدة أوبرا « كارمن » فانتقلنا الى عــالم سحر، انسابت فيه موسيقى « بيزيه » بثرائهـا العاطفى فحلقنا فى أجواء اسبانيا حيث تـدور أحداث الاوبرا فى مدينة اشبيلية ، وعشــنا مع انفعـالات الحسناء الغجرية وحبيبهــا الغيور ، وعواطفهما المتاججة •

رايتها بعـد انتهاء الفصل الاول بوجههــا الحلو القسمات ••• فتاة غضة الصبا ، رشيقة القد ، تتفجر انوثة •

اقبلت نحوى بينما كنت أجلس منتحيا زاوية من المقصف ، وافتر ثغرها الجميل عن ابتسامة ساحرة وهى تقول :

ـ اذاك انت ؟ •• انــــا فى غاية السرور والفرح !

تلفت خلفى ، لم يكن ورائى غير الحائط •• انها اذن تحدثنى ! رقص قلبى معــربدا فى صدرى « وانتفضت واقفا لارحب بها •

ازدادت ملاحة وفتنة عنـدما دنت منى • شعرت بتجاذب روحينا ••• دعوتها للجلوس قلبت قائلة :

ـ يالها من فرصة سعيدة أن القـاك هنا •

تناولت يدى وضغطت عليها برقة •

لم يسبق ان رايتها من قبـل ••• ولكننى لم اصارحها بذلك فى تلك اللحظة ••• فانى لى بمثل هذه الفرصة النادرة • واذا بيدى تضغط على يدهــا اللـدنة برقــة خشــية ان تؤذيها اصابعى الخشنة • وكم وددت لو الثم انااملها ، وان استبقيها فى أحضــان يــدى ابد الدهر •

عاودت الابتســام وهى تقــول بصـوتها العــذب :

ـ هانى معى •••

رفعت بصرى فرايت شابا خلفها •

قالت له : هانى ! •• هل تتــذكر زوزو ؟

نظرت اليها مندهشا ، فالشىء العجيب ان اسمى الاصلى يوسف ، الا أن بعض الطلبــة فى اثناء الدراسة كانوا ينادوننى بزوزو •

أجابها الرجل :

ـ نعم يا أشــجان •• فهو شـــــخصية لا تنسى !

ثم مد يده مصافحا وهو يقول :

ـ كيف حالك يا زوزو ؟

انتابنى شعور بالضيق نحوه ••• كــان فارع الطول ، يرتدى حلة من الصوف الانجليزى الفاخر • وما ان رددت تحيته حتى علا رنين الجرس منبهـا المتفرجين كى يعــودوا الى مقاعدهم •

التقيت بهما بعد انتهاء العرض ، فوضــع هانى يده فوق كتفى ونحــن فى طريقنــا الى الخارج •

ـ أين كنت طوال هذه المدة يا زوزو ؟؟

ـ فى الدنيا الواسعة •• فمشاغل الحيــاة كثيرة •

كنت أريـــد أن انطلق مسرعا قبــل ان

يكتشفا اننى لست زوزو الذى يعرفانه • امتدت يدى الى جيبى فى عجلة لتخرج البطاقة التى تحمل رقم معطفى •

ـ خل عنك يا صاحبى • ساحضره لك •

وجذب البطاقة من بين اصابعى قبـــل ان اتفوه بكلمة • وقفت مع اشجان ، بينما توجه هانى لاحضار معطفينا • شاهدته وهو يناول البطاقتين للموظف •

قالت اشجان :

ـ تمنيت ان نمكث مدة اطول ••• ولكننا سنعود الان الى فندق اسيا لناخذ حقائبنا ، فنحن مضطران للسفر الى الاسكندرية هذه الليلة •

ثم اردفت :

ـ لقد كنت محظوظة حقا برؤيتك •

ـ وانا كذلك •

رجع هانى يحمل معطفه الثمين ومعطفى المتواضع ، وشرع يساعدنى فى ارتدائه ، لكننى تناولته منه شاكرا ، وطرحته فوق ذراعى قائلا :

ـ وداعا ••• وكم كنت سعيدا بلقائكما •

***

وصلت منزلى وعلقت معطفى فوق المشجب بغرفة نومى • ارتديته فى صباح اليوم التالى وانا متجه الى عملى • وبينما كنت اهبط درجات السلم استوقفنى شىء يملا جيبى • كان مظروفا محشوا بالاوراق • سحبته وطفقت اقلبه بين يدى متعجبا من اين جاء ؟!

لم يكن معنونا ، ولمحت انه ليس محكم الاغلاق •• فتحته ونظرت الى ما يحتويه • كدت اقع مغشيا على •• فما ظننته اوراقا لم يكن سوى ثروة !

واستدرت صاعدا الى مسكنى ، وارتجفت يدى وانا أوصد الباب بالمفتاح • اخرجت الاوراق المالية ، وانهمكت فى احصائها • عاودت عدها مرة أخرى • يالله •••• أربعمائة ورقة من فئة العشرة جنيهات ! ••

وهنا مر بخاطرى هانى الذى استعاد معطفى بنفسه ليلة امس فى دار الاوبرا • انتابتنى الحيرة وانا اتساءل عما حدا بهما الى وضع كل هذه النقود فى جيبى • أهى نقود مزيفة أرادا التخلص منها ؟! أم ترانى نسيت اننى أعمل مأمورا للضرائب ••• ومن ادرانى ان هانى ليس ممولا يبغى رشوتى ! •• أم لعله قد نصب لى شركا حتى يقبض على متلبسا والمبلغ فى جيبى ؟! المهم اننى لا اريد أن أشاركهما هذه اللعبة • فلاسرع اذن الى فندق آسيا •

مضى بعض الوقت وانا ابحث عن غرفتهما •

لم اكن اعرف غير الاسم الاول لكل منهما ، الا اننى وصفتهما بدقة • خشيت أن يكونا قد رحلا ، ولكننى عثرت عليهما بداخل الغرفة • رأيت هانى يضع بعض القمصان فى الحقيبة ، ولم يكن يبصرنى حتى صاح صيحة خفيفة ، وابتسم قائلا :

ـ ها انت قد جئت يا زوزو ؟!

لم ابتسم هذه المرة وقلت له بوجه عابس :

ـ تا الله اننى لا اعرف ماذا تبغيان ••• ولا يهمنى أن اعرف • واذا كان الامر قد اختلط عليكما بشانى ، فهاانذا • اخبركما اننى لم يسبق لى قط ان رأيت احدكما من قبل !

قذفت بالمظروف فوق الفراش • لم يعره التفاتا ، وظل ساكنا لا يتحرك وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة وهو يحملق فى وجهى • كان عريض المنكبين ، يفوقنى قوة وطولا •

هرولت من الغرفة مسرعا حتى بلغت السلم فهبطت درجاته قفزا حتى بلغت الطريق • تنفست الصعداء ••• وشعرت باننى قد تخلصت من حمل ثقيل ، ودرات عن نفسى الشبهات •

جاء المساء فجلست اشاهد الحلقة الاولى من مسلسل تليفزيونى جديد • فقدت سجائرى فقمت لاحضار علبة سجائرى الامريكية التى كان قد اهداها صديقى الشاعر اللبنانى فوزى الذى قدم فى زيارة قصيرة لمصر •• وتذكرت اننى احتفظ بها فى احد الجيوب الداخلية لمعطفى • ولكنها لم تكن هناك • بحثت فى جميع جيوبى بلا جدوى • نظرت الى السطح الداخلى لياقة المعطف بحثا عن اسمى • ياللعجب !•• لقد اكتشفت انه ليس معطفى !

ادرت قرص التليفون لاتصل بالفندق • لقد غادراه منذ بضع ساعات ! •• لا ريب انهما قد اسرعا بالرحيل بعد ان عرفا محتويات المظروف •

سالت موظفة الاستعلامات :

ـ الم يتركا لى رسالة أو أى مظروف أو عنوانا لاتصل بهما فيه ؟

ـ كلا !

ماذا ترانى فاعلا الان ؟! هاانذا اسير الغرفة جيئة وذهابا قلقا متوجسا فى انتظار ما ياتى به الغد !

احاول احيانا ان اقنع نفسى بان المعطف معطفى رغم يقينى بانه فى حوزة شخص ما ••• لابد انه سيقرا ان عاجلا او آجلا اسمى المطرز على المعطف من الداخل ، وعندئذ سيسهل عليه دليل التليفونات الباقى !

أنشـــودة حـــبُ

● عبد الشافى داود ●

القمر الدائر يلقى المرسلة عل الاكواخ
يطعم نبضى الجائع بالضوء
بحنين أمومه
فتطير فراشات فرحه
تطلق من ثغر انسعف الناعس
فى مملكة الصمت ..
يبزغ وجهك
آه .. يطلق صدرى المنفى سراح النجمات
تمتد يداك فتنزع أسفاد الريح
تفتح باب الشرنقة العذراء
تكسر أغلفة الانفاس
تنفلت النار ..
فصعدنا نخترق الليل
بين اللؤلؤ والنجمات الشقراء
نسرى عبر نسيج يتماوج
يرشف سمعك أغنيتى
((وأنت فى صدرى تجالسين قلبى فى سكون
اغوص فى الاسرار فى طياتك المقدسة
اجول فى معائن الفيروز والحرير والعنب
اسكر تحت خمرة الوهج
اسبح فى تيارك الخالد »
الحرية ملء جناحيك
تكفى قلبى المتشرد
الرخات الضوئية من عينيك
تكفى انفاقى الصوفية
ايقاع تراتيل الاهداب
تكفى رقصة شعرى فى معبد موسيقى
تتجمع فى صدرى اطيارك . جوقات ولهى
فاصوغ حروفى الذهبية
لتكون سوارا حول جناحيك !

زمن التحول !

● حسين عيد هادى ●

« يولدون للمـوت ، ويعمرون للخراب ،
ويحرصون على ما يفنى ، ويتركون ما يبقى ..
الا حبذا المكروهان : الموت والفقر .. »
« ابو ذر الغفارى »

زحـــام :

تتوقف السيدة بجوار بـاب عيادة طبيب الاطفال ، المشـــهور ، تلتقط انفاسها بتأفف .. تضبط ياقة المعطف الغالي بيدها . تنادى بعصبية : تعالى ياذكية !.

تقفز الى جوارهـا هـذه « ذكية » تحمل بيدها اليمنى طفلا رضيعا . تمسك باليد الاخرى ولدا صغيرا ..

يدخل الموكب العيادة . يسبقها عطرها الباريسي كاعلان .. تحملق من وراء نظارتها في الحاضرين . تمن على المرض بابتسامة مقتضبة : انا حجزت امس بالتليفون ..

ينهض المـرض يقدم لها كرســيا لتجلس ، فالزحام على اشده . ثلاث حجرات ممتلئة عن اخرها . تقدم لـه جنيهات الكشف متضـمنه نصيبــه الخاص .. يسجل اسم الرضيع : ايمن احمد يا افندم طبعا ..

تشكره بهزة من راسها .. تجلس : تضع ساقا على الاخرى . تصرخ في الشغالة : « ادخلي بسيدك بعيدا عـن الهواء .. » تفتح حقيبتها تخرج السجاير المستوردة تشعل سيجارة تسقط نظارتها على ارنبة انفها . تنقل بصرها بين الحاضرين تسترخى على الكرسى .. « اف لهذا الزحام ». ازياء الحاضرات حديثة ، لكن ليس فيهن من ترتدى معطفا غالى الثمن مثلى .. اف . ساظل ســاعة على الاقل احملق في هذه الوجـوه ، حتى يتحرك المرض .. ويسرق لى موعدا مبكرا ..

تنهض فجاة تقتحم الحجرة علـى الشغالـة تجدها تسـتند الى باب البلكونة الخشبى . تنهرها : مـن اى جنس انت ؟.. سيدك ياذكيه .. هل يجب أن أعلمك باستمرار كيف تحمليه ـ (تعلل للوليد لفافته) وتمسكى يد سيدك اكرم ..

ذكيه لا تنطق .. بعينيها حول ، تتشبث بيد الطفل ، تعود السـيدة ادراجها .. فجـاة ينادى المـرض واحدة من الحجرة ، عليها الدور ليرى الطبيب طفلها . يخلو مقعد .. تتحرك سيدة ببطء تجلس تفسح مكانا الى جوارها ، يجلس الصغير .. تتمتم سيدة : الحمد لله ..

انتظار :

تسام السيدة جلستها .. تنظـر للممرض نظرة لها مغزاهـــا ، يغمض عينيه دليل فهمه .. « قطعا ساتقدم عدة ادوار .. الخمسين قرشا تفعـل العجب ! تكاد تصعق الجالس امامهـا بنظراتها اف .. لماذا يحكى هذا الرجل حكاية ولده وحيرته في عدم نموه ، حتى نصحوه بهذا الطبيب المشهور ؟! اصبح الحضور هنا سداحا مداحا !.. ،

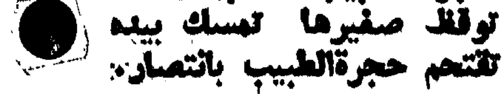
تشعل سيجارة اخرى .. « لا شك تحسدني الحاضرات اشعر بعيونهـن تاكلني وهذه البنت الزفت لا بد أن اتابعها باستمرار !. »

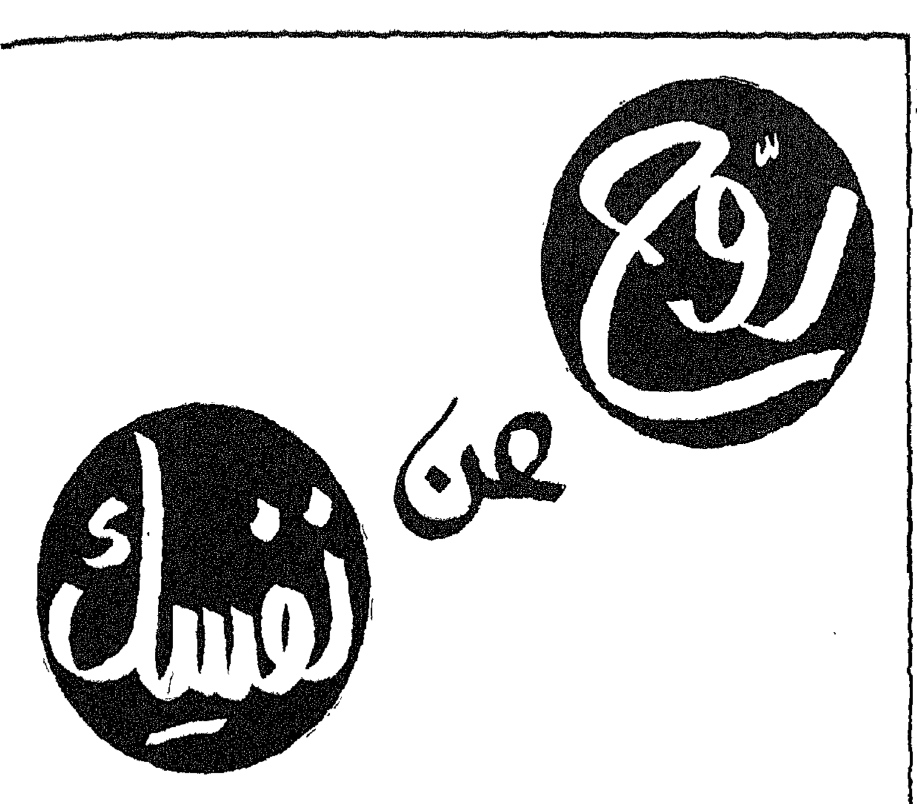
تنهض بعصبية . تكتشف أن زكية نائمة تحتضن يداها الرضيع في حجرها تهزها بغضب توقظها : مائة مـرة انبهك ، ودائما تنامين سيدك ايمن ، فتحي عينيكى عليه !

تلف الرضيع ثانية تربت على ولدها الذى نام هو ايضا تعود لمكانها لا بد أن افعل كـل شيء بنفسى .. هـذه الشغالة لا يعتمد عليها !»

الدور :

كم مضى من الوقت لا احد يدرى . ينادي المرض السـيدة تندفع الى حجرة الطبيب تسحبها وراءها توقظ صغيرها تمسك بيده تقتحم حجرة الطبيب بانتصار.





اولا لغز شعرى : ما هو ؟

يا ايها العطـــار أعـــرب لنا
عن اسم شيء قل فى ســـوقك
تـــراه بالعينين فى يقظـــــة
كمـــا يرى القلب فى نومك !

ثانيا ـ اختبر ذكاءك :

١ ـ اشترى رجل عـــددا من البطيخ ولما وصـــل الى بيته أعطى زوجته ثلث ما اشتراه ثم ثلثا آخر ، وتبقى له بطيخة ، فكم عدد البطيخ الذى اشتراه ؟

٢ ـ بعد ثلاثة أعوام ســـيكون عمر ابنى أحمد ، ثلاثة أمثـــال عمره منذ ثلاثة أعوام ، فكم عمره اليوم ؟

٣ ـ جلس أفراد الاسرة الستة الى المائدة فى الصباح وأمامهم ست بيضات فى طبق ، فأخذ كل فرد منهم بيضة ، ومع ذلك بقيت فى الطبق بيضة ، فكيف حدث ذلك ؟

ثالثا ـ ما اسم العاصمة الموجودة فى كل عبارة من العبارات التالية ؟

١ ـ الخادم شقى بفقره المدقع .
٢ ـ البحاث يناقشون ابحاثهم فى الجامعة .
٣ ـ الجرو ما أكل طعاما بالامس .
٤ ـ يقول الاطباء أن الغبار يسيىء الى العيون .
٥ ـ المنافقون يغتابون الناس دون حياء .

رابعا ـ اختبر معلوماتك : لماذا ؟

١ ـ لماذا تدمع عينا من يقشر أو يقطع البصل ؟
٢ ـ لماذا لا تنقلب الغواصة فى الماء فيصبح عاليها سافلها ؟
٣ ـ لماذا نتثاءب ؟
٤ ـ لماذا يكره القط المطر ؟

٥ ـ لماذا تصيح الدجاجة بعد أن تضع البيضة ؟
خامسا ـ من هو ؟
١ ـ شاعر اسلامي من المخضرمين ، ولد في يثرب واتصل بالغساسنة في الشام ومدحهم ، ثم أسلم وغدا من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهجا القرشيين ولقب « شاعر النبي » ٠
٢ ـ « همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدرامي التميمي » هو اسم شاعر أموي توفي سنة ١١٠ ك (٧٣٢ م) واشتهر بالمهاجاة بينه وبين جرير فبأي اسم اشتهر هذا الشاعر ؟
٣ ـ عالم طبيعي ورياضي عربي نشأ في البصرة وعاش في مصر ، وهو أول من فكر في اقامة خزان على النيل عند اسوان ، كما انشأ علم الضوء الحديث بفضل دراساته العميقة ٠
٤ ـ كان من أشهر قواد الدولة الاموية وولاتها ، وكانت عبارة « أنا ابن جلا وطلاع الثنايا » بداية خطبة شهيرة له ، وعرف عنه الاسراف في الشدة والقتل
٥ ـ أديب وصحفي مصري ، أنشأ مع أخيه جريدة « مصباح الشرق » وأشهر مؤلفاته « حديث عيسى بن هشام » ٠

الاجابات

اولا ـ لغز شعري : الكمون ٠
ثانيا ـ اختبر ذكاءك :
١ ـ بطيختان ٠
٢ ـ ستة اعوام ٠
٣ ـ اخذ الاخير او السادس الطبق بالبيضة الباقية فيه ٠
ثالثا ـ اسم العاصمة :
١ ـ دمشق ٠
٢ ـ اثينا ٠
٣ ـ روما ٠
٤ ـ باريس ٠
٥ ـ بون ٠
رابعا ـ اختبر معلوماتك :
١ ـ لان بالبصل مادة زيتية لاذعة سريعة التبخر تصل الى العين ٠
٢ ـ لان الجزء الاسفل اثقل من الاعلى ، وهناك لعب على شكل اشخاص او حيوانات باسفلها اثقال تجعلها واقفة دائما ٠
٣ ـ التثاؤب هو مجهود يبذله الجسم المتعب ليحصل على كمية اكبر من الاوكسجين في رئتيه ٠
٤ ـ يختلف فرو القط عن فراء الحيوانات الاخرى في أنه لا يحتوي على مادة زيتية ، فمتى تبلل تلبد وضايق القط ولذلك تجد القط يفر من المطر ويكره أن يرش بالماء ٠
٥ ـ تصيح الدجاجة بعد وضع البيضة تعبيرا على الفرح ، لان وضع البيضة يؤلمها ويضايقها « فتكاكي » بعد ذلك لخلاصها من الالم والتعب ٠
خامسا ـ من هو ؟
١ ـ حسان بن ثابت
٢ ـ الفرزدق
٣ ـ الحسن بن الهيثم ٠
٤ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي
٥ ـ محمد المويلحي

ترنيمة الختام

لك الحب يا ربي

● محمد علي عبد العال ●

وضاعَ بريق وجْدى وانزَوى فيه البهَــاء
وغابَ لتنطوى عنهُ البشاشةُ والصَّفاء
وكادت تنقضى صلة المودَّة والاخــاء.
... وجاهَرت العُيون بما تبقَّى من حياءْ
وجَاوبت الظنونُ الشكَّ فى رَفع الغطاء
مَضَيتُ .. تركتُ من يغشى توابيت الخفاء
فيا ربَّاه ... لا سلوى وقد طال العَنــاء
كفانى متْعة النَّجوى ولو زاد البــلاء
وعشق هَواك فى تقوى يرقرقها الصَّفاء
تبلّل حرقة الشكوى صلاتى والدعــاء
فسر الكون قد أغرى فؤادى بالسَّماء ...
ضرَعت بتوبة عجْلى يسابقنى الرَّجـاء
أغنَّى حبَّك الأسمَى فيطنوينى الغنـاء ..
أهيمُ بكلّ ماسوبّى بأرجــاء الفضـا
واغسلُ فيه ما أزرى بأثواب النقـــاء
فبارِكْ طُهر من ذاق الصَّفاء على حَيـاء
وعهدَ متولّه شفّعَ المحبّـــة بالوفاء ..
لكَ الحب الوحيدُ ، وما لغيركَ من بقاء !



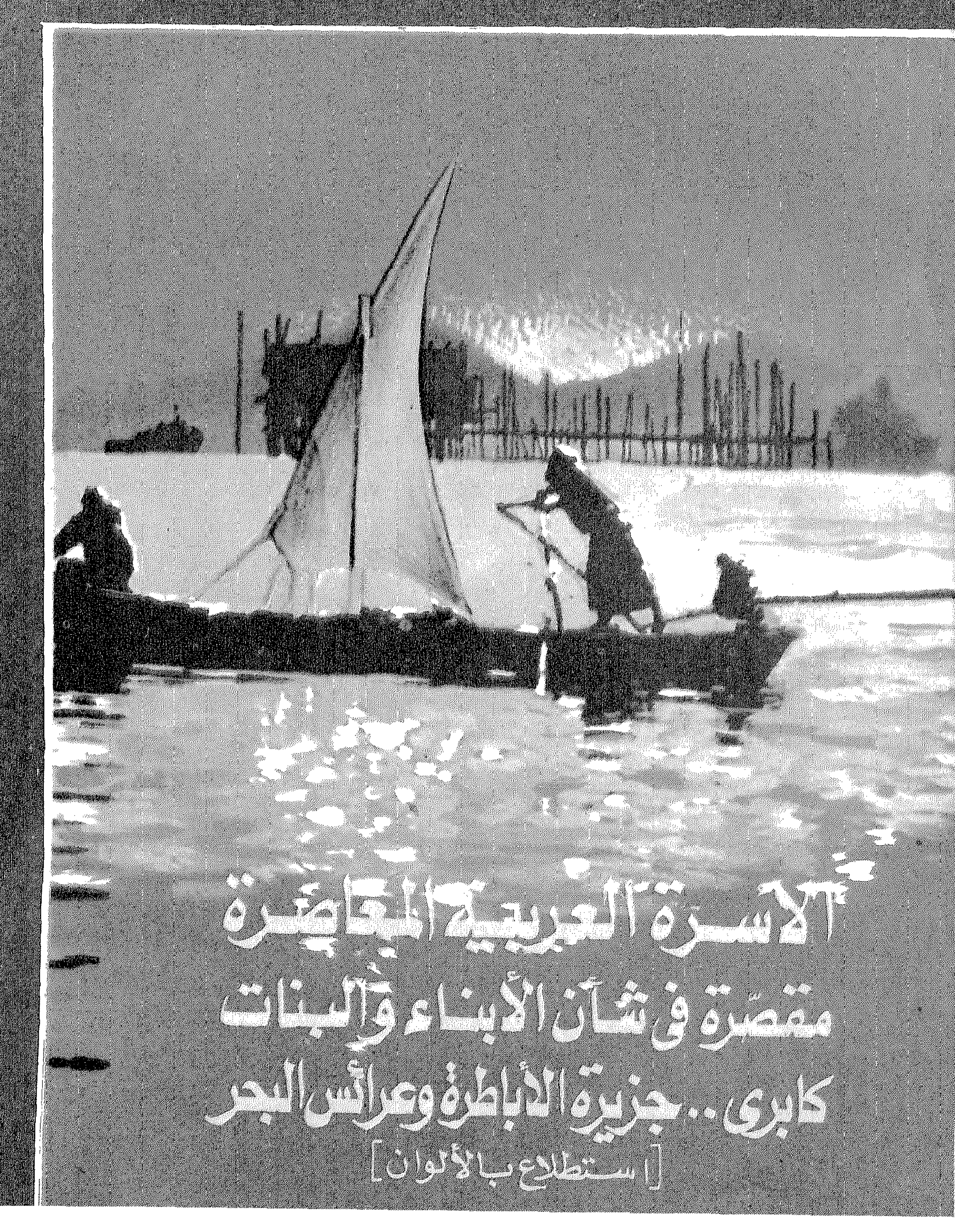
.. وأنت
تبحث عن :
تاريخ الصحافة والثقافة
وتاريخ الفكر والاجتماع والسياسة
فى القرنين التاسع عشر والعشرين
دليلك
فى
هذا
كشاف الهلال
خمسة أجزاء
تم طبع الجزء الأول [١٨٩٢-١٩١٤]
ويجرى الآن طبع الأربعة أجزاء التالية
[١٩١٥- ١٩٨٠]
كشاف الهلال : ثمن الجزء ١٠ دولارات
اطلبه من قسم التوزيع (دار الهلال)

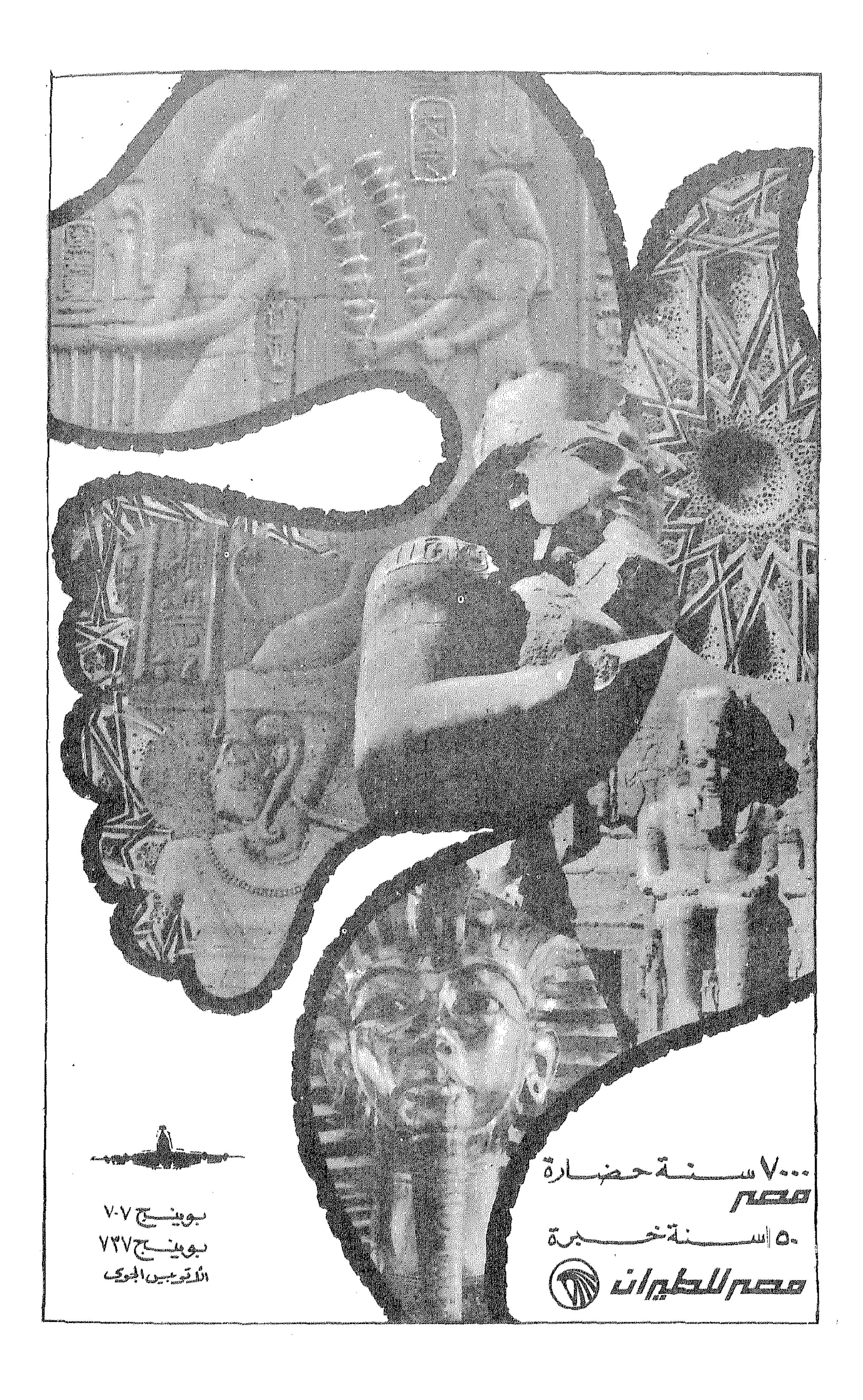
سيرة حياة "بركان"

سبتمبر ١٩٨١م

الهلال

مجلة الفكر العربي




٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوى

كلمة الهلال

مرحبا بالجيل الجديد.. والربان الجديد..

●●

فى شهر اغسطس الماضى حل فى قيادة سفينة دار الهلال ربان جديد هو الزميل الاستاذ مكرم محمد احمد

شاب هو رمز على الجيل الجديد من الصحفيين : جيل الذين وضعوا أقدامهم على أول درجات السلم الصحفى ، وصعدوا درجة درجة بالعزيمة والموهبة والقلم الصادق والحب لمصر والعروبة ·

فى مدرسة دار الاهرام نشأ ، ودار الاهرام مدرسة صحفية كبرى ، مثلها فى ذلك مثل دار الهلال · الاولى تجاوزت المائة عام بست سنوات والثانية تقف دون المائة بعشر سنوات ، وكلتاهما خدمت الفكر العربى والرأى العربى من وراء المحيط الى وراء الخليج · وأطلعتا للصحافة العربية أجيالا بعد أجيال ، وستظلان أبد الدهر حضارتين من منارات الفكر العربى الكبرى ، ومدرستين للقارىء العربى من الناشىء الذى يستطلع الصور الى الشيخ الذى يحمل فى قلبه حكمة السنين ويسعد بقراءة حكمة السنين ·

وربان سفين دار الهلال الجديد يجيئها من دار الاهرام حاملا تجربة وعلما وقلما صادقا ليسير بدار الهلال فى بحر عاصف ، والفكر الانسانى كله اليوم فى بحر عاصف أحس به أندريه مالرو عندما اختاره شارل ديجول وزيرا للثقافة فقال له مالرو : لمن أتحدث ومن اثقف ، فقال القائد الشيخ : تحدث الى أنا وثقفنى أنا ، وأنا انقل حديثك لفرنسا وأثقف أبناءها بقلمك وفكرك ·

ويظل الربان الاول ــ السيدة أمينة السعيد ــ فى دارها ــ دار الهلال ــ لتعين بالرأى والتجربة وبالقلم اذا دعا الامر ، ويظل معها فى خدمة هذه الدار الجليلة جيلنا كما يظل الاب فى مقعده يرقب أبناءه يشقون طريقهم فى مناكب الحياة · وأمينة السعيد رمز جيل واستاذة جيل ، بل هى وحدها جيل مجيد ·

●●●

تجديد ·

والتجديد سنة الحياة ···

والتجديد هو تاريخ مصر · الامة التى جددت نفسها مرة بعد أخرى خلال ألوف السنين ، وقادت الحضارة من العصر الحجرى الاول الى عصر المفاعلات النووية · عميدة الحضارة وسيدة الامم وشجرة الخير الوارقة وريحانة النيل ، نهر الجنة ·

والهلال مجلة الفكر العربى قولا وعملا ، حقيقة لا مجازا ، تسير فى ركب هذا التطور ونحيى مكرم محمد أحمد وجيله ، ونحيى أمينة السعيد وصبرى ابو المجد وجيلهما ونسأل الله للاجيال جميعا ولدور الصحافة العربية جميعا مزيدا من العمر المديد ·

●● المحرر

د. جمال حمدان.. شخصية مصر

دراسة فى عبقرية المكان (الجزء الأول)

● الدكتور جمال حمدان جغرافى فيلسوف موهوب . كل كتبه اصبحت كلاسيكيات فى العالم الجغرافى وخاصة كتابه عن « شخصية مصر » دراسا فى عبقرية المكان .

والطبعة الثانية من ذلك الكتاب . وهى التى اكتب عنها هنا لا توصف الا بانها ملحمة علمية ، والذى ظهر منها جزء من ثلاثة والجزء الاول هذا يقع فى ٨٤٠ صفحة من القطع الكبير . وهو مخصص للجغرافية الطبيعية لمصر ، اى دراسة المكان والجزء الثانى سيخصص لشخصية مصر البشرية ، والثالث لشخصية مصر التكاملية .

وعلى الرغم من ان الجغرافية الطبيعية شىء جاف لا يقبل عليه الا الجغرافيون الا ان جمال حمدان باستاذيته الفذة عرف كيف يقرؤنى فوق الثمانمائة صفحة من الوصف الجغرافى لبلدنا الحبيب ، فانت ترى هنا كل شىء موصوفا بدقة علمية لا تجارى . وجمال حمدان قارىء عجيب لقد قرأ كل سطر كتب عن جغرافية مصر وأفادته ، وعرف كيف يجعلنى أعيش فى سيناء حينا ، وفى الوادى حينا وفى الصحراء الغربية حينا ثالثا . ولا أدرى كيف جمع الرجل هذه المادة الغزيرة أو كيف عمل هذه الخرائط الممتعة التى تنظر اليها فتحس انك تعيش فيها . وأنا فى طبعى مؤرخ جغرافى ، لااستطيع أن ارى التاريخ الا من خلال الجغرافية ولا أستطيع ان أقص شيئا الا وأمامى مسرح الاحداث ،ولهذا، فأننى استمتعت بكل سطر قرأته ،وفهمت بلدى واحببتها أكثر وأكثر ، والفضل لجمال حمدان .

والذى زادنى حبا لمصر اننى رأيت من وصف جمال حمدان اننا مهما قلنا بلد فقير ، رأس مالنا الاكبر موقعنا الجغرافى عبقرية المكان . فقد خرجنا من القارة الافريقية بنصيب غير عادل وانه لمن الغريب ان نكون نحن الذين انشأنا السودان الحديث ورسمنا له حدوده فى القرن التاسع عشر ورسمنا خطتنا على اننا والسودان بلد واحد ، وان مصر والسودان يمتدان معا بلا حدود أو قيود من البحر المتوسط الى بحيرة فيكتوريا ثم يجىء الانجليز قاتلهم الله ، فيفصلوا السودان عن مصر بحجة طالمة « مقتل السير لى ستاك !وتخرج مصر من السودان لتنفرد بها بريطانيا ، ثم نصر نحن على أن تخرج بريطانيا من السودان ، وخرجت سنة ١٩٥٣ لكى يظل خط الحدود قائما بين البلدين،ونظل نحن مقتصرين على تلك المساحة الصغيرة من أرض أفريقية ، وتخرج بقية وادى النيل من دولة مصر السودان ، فلا نحن سعداء بهذه النسبة ولا السودان آمن بها ، ومن جنوبه الحبشة تتضخم وتزداد ،والغرب كله من ورائها سرا والروس من ورائها علانية ، ومع ذلك فان اخواننا فى السودان يترددون الى متى ؟ لا أدرى . الى ان تقع الواقعة ، ويومها لن يكون لها واقعة .

لكن الذى استوقف نظرى فى ذلك الجزء الاول من كتاب جمال حمدان هى مقدمته فى الشخصية الاقليمية ، وفيها يقول جمال حمدان كلاما لا يقوله الا عالم مثله ، عالم يحب مصر ويشعر بها شعورا عميقا ، ويحس آلامها كلها . وهو يقرب لك الجغرافية تقريبا هو الغاية فى الجمال ، ويصل بين الجغرافية والتاريخ وصلا لم أجده الا عنده .

حد البديهي أن دراسة الشخصية الاقليمية لا تقتصر على الحاضر وانما هي تترامى بعيدا عبر الماضي وخلال التاريخ لانه بالدور التاريخي وحده يمكن التعرف على الفاعلية الايجابية للاقليم وعلى التعبير الحر عن الشخصية الاقليمية . فالبيئة قد تكون في بعض الاحيان خرساء ، ولكنها تنطق من خلال الانسان ، ولربما كانت الجغرافيا أحيانا صماء ، ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها . ولقد قيل بحق أن التاريخ ظل الانسان على الارض ،بمثل ما ان الجغرافيا ظل الارض على الزمان ، بينما يضيف قول آخر ان معظم التاريخ لم يكن « جغرافية متحركة فان بعضه على الاقل « جغرافية متنكرة

اما كلامه عن مصر حاليا ووضعها في اطارها العربي واطارها الافريقي هو الغاية في الجمال والعمق ، وقد رأيت أن آتي قراء الهلال بالفقرة التالية من كلام جمال حمدان عن الاقليمية والوطنية وهما موضوعان يثيران الكثير من الجدل والحيرة في الوطن العربي في وقتنا الحاضر وجمال حمدان يريد بالاقليمية وحدة الاقليم العربي أو وحدة العرب وبالوطنية المبالغة في الحماس للوطنيات العربية المحلية . قال :

« من الملاحظ في هذا الصدد أن كلمة « الاقليمية » تستعمل عادة عند بعض الكتاب السياسيين كنقيض للقومية والعروبة ، وحينئذ تكاد لا تستعمل الا مقرونة بصفة « الضيقة » ، اشارة الى انفصاليتها الانانية او الجاهلة . وهذا كله صحيح . غير ان من الضروري الا يختلط هذا الاستعمال مع الاستعمال العلمي لكلمة الاقليمية في الجغرافيا ، فهي فيها الاساس والمقياس ، لان الاقليم هو قلب الجغرافيا . والاقليم الجغرافي هو الوحدة المكانية المتجانسة الكاملة والمثالية . ومن الزاوية السياسية والقومية ، فان « الاقليم » الوحيد هو العالم العربي نفسه ، وليس دوله ووحداته السياسة الراهنة ، لانه هو وحده الوحدة الكاملة المتجانسة في أسس القومية وهي اللغة واخواتها ، ولذلك فان الاقليمية هنا تتناقض تماما مع مفهوم الاقليمية الانفصالية الضيقة بالمعنى الدارج ، وترادف تماما مفهوم القومية والوحدة ، ولا داعي للبس خطير نتيجة لاختلاف المصطلحات ومدلول المفردات .

ثم يقول :

« من هنا جميعا فاذا كنا قد جادلنا بأن الكلام عن شخصية مصر لا يعني اقليمية ضيقة فضلا عن شوفينية شعوبية ولا يضع الوطنية في مواجهة ضد القومية ، فاننا نضيف الآن أنه لا يؤكد الوطنية من خلال القومية فحسب ، بل يؤكد القومية من خلال الوطنية تأكيدا صحيا بغير تعارض واذا كانت بعض البلاد مثل الولايات المتحدة قد نجحت وحدتها لانها كما قيل - قد تجاهلت عمدا وعن قصد كل الجغرافيا وكل التاريخ ، واذا كانت بلاد أخرى مثل كندا تعاني وحدتها لانها تتذكر الجغرافيا أكثر مما ينبغي وتتذكر التاريخ أقل مما ينبغي ، واذا كانت بلاد أخرى مثل غرب أوروبا تتعثر وحدتها لانها تتذكر كثيرا جدا من التاريخ وقليلا جدا من الجغرافيا ، اذا كان هذا فاننا في الوطن العربي يمكن أن تنجح وحدتنا أكثر كلما تذكرنا الجغرافيا والتاريخ معا أكثر وأكثر ، لان التاريخ يجمعنا مثلما تفعل الجغرافيا ، والمكان والزمان عوامل وحدة بيننا ، بل ربما جاز لنا أن نقول ان الجغرافيا والتاريخ هما طوب وحدتنا العربية وبلاطها أو هما لحمتها والسداة .

والكتاب كله على هذه الوتيرة من العمق والشمول والمنهجية والدقة في الكلام . انه كتاب لابد ان يقرأ لانه ملحمة مصر كلها . ونحن في انتظار المجلدين الثاني والثالث .

● د . حسين مؤنس ●

فى هـــلالـــك



سبتمبر ١٩٨١ م
ذوالقعدة ١٤٠١ هـ

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال .. اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩١ - السنة التاسعة والثمانون اول سبتمبر سنة ١٩٨١ - ٢ من ذي القعدة سنة ١٤٠١ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتورحسين مؤنس

مدير التحرير : نصرالدين عبداللطيف

سكرتيرالتحريرالفنى : موسى عبيد

" من الهلال "

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها . ومع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ويتقبل القصص ما يستطيع النشر منها .. والقصص تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ما لم ينشر

الإشـراف الفنـى
أحـمـد الـوردجـى

● صورة الغلاف ●

هذا عدد سبتمبر من الهلال . نحن على أبواب موسم العمل . النشاط يدب مرة أخرى فى كل ميادين الحياة وفى ميدان الفكر خاصة .. والصورة ترمز لسفينة الحياة وشراع العمل ... جعل الله العام مباركا على العرب اجمعين

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ١٤٠قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراك بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ جـ . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشـتراك بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب.
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .

الأسرة العربية المعاصرة

مقصرة تقصيرًا خطيرًا في شأن الأبناء والبنات

بقلم رئيس التحرير

كلهم يقولون لك بالفم الكبير : نحن نشقى ونتعب ونربي ..
والحقيقة ان القليلين جدا يتعبون ويشقون والغالبية العظمى لا تربي ولا تكون ولا تتعب .
لان جيل الاباء والامهات اليوم جيل غير مثقف ولا مكون ويندر اليوم أن نجد رجلا أو امرأة في الاربعينات فصاعدا يقرأ أو يشتري كتابا أو يحرص على أن يقدم لابنه شيئا من التثقيف والتكوين ..
الدولة وحدها هي التي تعلم وتنفق وترعى وتدعم الغذاء والكساء واعتماد الناس عليها يتزايد والاهمال يشتد وموجة التهاون تتعالى
وفي أثناء ذلك يتحول الجيل الصاعد الى جيل هابط .

منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ دخلت الافكار الاشتراكية في نظم الحكم القائمة في العالم العربي كله . وفي بعض البلاد العربية اعتبرت الاشتراكية اساسا لفلسفة الحكم ،وفي يقينها أدخلت الدول - حتى الملكية منها - آراء اشتراكية في اساليب حكمها .

بل ظهر تيار فكري يقول ان الاسلام اشتراكي ، وألف كاتب عربي يسمى مصطفى السباعي كتابا يسمى اشتراكية الاسلام ، لقي قبولا كبيرا لدى الجماهير عامة وأهل الحكم خاصة .

ومع أن معظم البلاد العربية تخلت عن لفظ الاشتراكية في وصف نظمها ، الا أنها ظلت تعتبر الفكر الاشتراكي قاعدة عامة في الحكم والتصرف .

والاشتراكية - كما دخلت في الفكر السياسي العربي - تقول ان الدولة مسئولة عن كل المرافق الكبرى ، والخدمات الاساسية - واحيانا غير الاساسية - في البلاد .

وهذا تفسير وتطبيق مخالفين في نواح شتى لاساسيات الفكر الاشتراكي .فلم يقل أحد من الاشتراكيين من سان سيمون ولوي بلان الى جماعة الاشتراكية الدولية - ندوة روما - بأن الدولة ملزمة بكل مطالب الجماهير حتى غير الضرورية منها ، ولم يقل احد من الاشتراكيين بان

● كلهم يقولون لك بالفم العريض : نحن نربى ونعلم ونثقف ونتعب ، والحقيقة أن أحدا منهم لا يربى ولا يعلم ولا يثقف لأنهم هم أنفسهم خالون تماما من أى تثقيف ، وفاقد الشىء لا يعطيه

على الدولة أن تعطى كل شىء ولا تأخذ شيئا .

ولكن هذا هو الذى حدث فى عالمنا العربى ، ومن دول الخليج الرأسمالية فعلا الى المملكة المغربية تقوم الحكومات العربية بما يلزم — ومالا يلزم — من خدمات باهظة التكاليف لشعوبها — دون أن تطالب الجماهير بأى مقابل ، ويقولون ان هذه اشتراكية ..

ففى العراق حاليا — على سبيل المثال — تنشر الدولة الغذاء نثرا حتى تكاد كل أسرة أن يكون لها دكان أو خيمة فيها كل أصناف الغذاء تباع بلا سعر تقريبا . ويقولون ان هذا تخفيف عن الجماهير وهو فى الحقيقة محاولة لاخفاء كارثة الحرب مع ايران عن الجماهير .

وفى مصر تتحمل الدولة هذا العام ٢٠٠٠ مليون جنيه لدعم الغذاء وحده ، وتكلف الدولة نفسها مسئولية توفير كماليات شهر رمضان وكعك العيد بل الفسيخ !

ولم يقل أحد قط أن التفكير الاشتراكى أو حتى الانسانى الصرف يطالب الدول بهذا التفانى فى خدمة جماهير الشعب .

ولكن هذا — كما قلنا — هو الذى حدث .

وما دامت الدول قد ارتضت أن تحمل هذا العبء كله فهى وما تريد .

وهذا — آخر الامر — ليس موضوع هذا المقال ، ولكنه المدخل و « الفرشة » ليس الا .

وهذه المجلة فكرية ثقافية اجتماعية ولهذا فنحن ندخل من هذه المقدمة الى تأثير هذا التصور للفكر الاشتراكى على النواحى الفكرية والثقافية والاجتماعية فى عالمنا العربى وخاصة على الشباب .

فقد كانت شعوبنا فى الماضى تحمل مسئولياتها وتسعى بها ، ومع أن ذلك كان مجحفا بها الا أنه كان يقوى فى الناس والاسر والجماعات عزيمة العمل وقوة الاحتمال ، وكان يدفعها دفعا الى مواجهة مشاكلها ومحاولة حلها .

فلم تكن هناك مجانية تعليم مثلا ، فكان الشباب الطموح الذى يرى فى نفسه الاستعداد لتحمل المسئوليات الكبرى يهلكون أنفسهم فى العمل ليفوزوا بمجانية التعليم . ولهذا لم يكن يحصل على المجانية الا أصحاب المواهب — عندما وصلوا الى المسئوليات — عرفوا كيف ينهضون بها لان اعتمادهم على أنفسهم أرهف احساسهم بالمسئوليات .

وأذكر أنى كنت قائما ذات مرة بوظيفة وكيل مدرسة ثانوية فى الارياف وحدث ما اضطرنى الى أن أبعث ببرقية لوكيل الوزارة ، وفى اليوم التالى كان وكيل الوزارة معنا فى المدرسة ،وعرضت عليه حل المشكلة ووافق .

وأنا أفهم أن وكلاء الوزارات اليوم — على كثرتهم — لا يسافرون الى بلد ريفى بعيد لحل مشكلة متعهد تغذية لص متواطىء مع سكرتير مدرسة ، ولكن مثل برقيتى تلك لو وصلت الى أصغر مسئول فى المنطقة التعليمية فانه لن يكلف نفسه السفر الى المدرسة لحل المشكلة بحسم سريع مع ناظر المدرسة أو وكيلها لان

الأسرة العربية المعاصرة
مقصرة تقصيرًا خطيرًا في شأن الأبناء والبنات

● عندنا الدولة وحدها هي التي تهتم وتعلم وتنفق وتبحث وتدرس، والآباء والأمهات نائمون، وليس من العدل أن تتحمل الدولة كل شيء، تلك مسئولية باهظة وهي مشكلة يومًا بعد يوم ولابد أن يوضع لها حد.

شعوره بالمسئولية قليل وسطحي

ولكن الماضي — مع الاسف الشديد — كان فيه عند المسئولين شعور دقيق جدا بالمسئولية ، واذكر ان المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال قدم استقالته من عمادة كلية الآداب مرة لان مدير الجامعة طلب اليه أن يعيد النظر في نتائج امتحانات الكلية لرفع الدرجات بعض الشيء ، لانه رأى أن موضوع الدرجات مسئولية ضمير الاساتذة — وهو بصفته العميد كفيل بذلك — ومن هنا فلا مدخل اطلاقا ، لمدير الجامعة في ذلك الموضوع ٠

ولكن عليه التفسير غير السليم للفكر الاشتراكي في شعوب نامية كانت تتحدد على المسئولية الفردية والجماعية شيئا فشيئا بعد عصور طويلة من الظلم واهمال النظم الحاكمة لمسئوليتها،هذه الغلبة للآراء الاشتراكية جعلت الجماهير تفهمها فهما خاطئا جدا ، فقد استقر في أذهانها ان التكاليف جميعا قد رفعت عن كواهلها ، وأصبح المطلوب منها أن تجلس وتتربع ويقدم لها كل شيء على طبق ٠٠

وما دام التعليم مثلا مجاني وبلا حدود، فقد ضاع الصبيان والشبان ذوو التكوين السليم والاستعداد لحمل المسئوليات تحت سنابك الحشود الضخمة من جماهير التلاميذ والطلاب التي بلغ بها التدلل على الدولة ان تستخرج من وزارات التعليم قرارات بالرأفة والتساهل في تقدير الدرجات في الامتحانات ، لان هذه الجماهير حولت طلب العلم من تدريب واعداد لتحمل المسئوليات الى وسيلة من وسائل كسب العيش ،ومادام من حق كل طالب ان يتخرج ليكسب عيشه ،فلابد من معاونته ودفعه و « زقه » بأي وسيلة لكي يتخرج ويتوظف ويحمل مسئولية هو غير قادر على حملها في الغالب ، ويأخذ راتبا هو بمثابة نصيب في وقف خيري لا يقابله عمل أو التزام ٠

وفي هذا المقال سأقتصر على النظر في الاسرة المصرية وأثر الفهم الخاطىء للفكر الاشتراكي في نظرتها الى مسئوليتها عن ابنائها ٠

فقد كانت الاسرة في الماضي تشعر بمسئوليتها الكاملة عن أولادها ، ولم يكن الكثيرون بقادرين على تعليم أولادهم ولكن كل أسرة كانت تعتبر نفسها مسئولة عن تربية الاولاد ٠ كان واضحا جدا في ذهن كل والد ووالدة ان تربية الاولاد مسئولية مباشرة بالنسبة لهم وان هذه التربية واجب لا مجال للتخلي عنه ٠

ولهذا كان الآباء والامهات يمارسون مسئولياتهم عن تربية الاولاد ممارسة حقيقية وفعالة ٠

لقد أساء الناس عندنا فهم الفكر الاشتراكى، وظنوا أن معناه أن الدولة ينبغى أن تحمل كل شىء وأن مهمة الشعب هى أن يأخذ ويطالب، وفى الستينات كانت الدول تظن أنها قادرة على القيام بهذا العبء ولكنا فى الثمانينات لابد أن نعيد النظر فى ذلك المفهوم.

وعلى أى مستوى نظرنا كنا نجد ان العائلات شديدة الحرص على موضوع التربية، لان التقاليد المتوارثة علمتهم ان التربية اساس النجاح فى الحياة، فلا مستقبل قط لولد سيىء التربية أو لبنت عديمة التربية.

اما الآن فقد دخلت الدولة فى موضوع هذا المستقبل وضمنته بل التزمت به، فكل تلميذ ايا كانت خلفياته وتربيته يدخل المدارس ويتعلم ويتخرج فى الجامعة ويتوظف مهما كان نصيبه من التربية قليلا.

وكان مفهوم الاسر للتربية عندنا مفهوما سليما، فهى لا تقتصر على التربية بمعنى السلوك، بل التربية بمعنى تكوين شخصية الانسان، فكان الاب يحرص على أن يكون ابنه مهذبا حسن الخلق مراعيا لاقدار الناس محترما لمشاعر الغير وعارفا لمسئولياته أمام نفسه واسرته ووطنه وقادرا على القيام بها.

وأذكر اننى بعد أن تخرجت وعملت كنت أعطى والدى ثلاثة ارباع راتبى واحتفظ بالربع لنفسى، واذا به ذات مرة يستدعينى ويقول:

ـ أرى انك لا تشعر بمسئولياتك عن الأسرة. هذه شهور انقضت على تخرجك ولا أرى انك مرة حملت الى البيت شيئا من الفاكهة أو أهديت أمك ثوبا، وأراك نسيت ان لك أولاد عم ولابد ان تزورهم وتحمل لهم شيئا، فأنت لم تعد الآن تلميذا ولكنك أصبحت من رجال العائلة المسئولين وعليك التزامات.

وكانت الاسرة تعتبر نفسها مسئولية عن تكوين الاولاد بما فى ذلك التعليم والتثقيف، فالى جانب حرص الاسرة على تلقين الابناء قواعد السلوك واللياقة والذوق والادب ومراعاة الجيران والحرص على نظافة البيت كان الاب يحرص على تكوين ابنه دينيا وثقافيا.

فأجيالنا كلها تعلمت الصلاة مع الاب والعم والخال، وكلنا أرسلنا آباؤنا الى كتاب القرية لنحفظ القرآن، وكلنا بدأنا تكويننا الثقافى فى البيت. لم يكن هناك بيت يخلو من كتاب أو كتب، ولقد قرأنا مع آبائنا وتحت اشرافهم ما قدر لنا أن نقرأه من كتب الثقافة من نثر وشعر، وحفظنا ما تيسر لنا من الشعر ووضعنا اقدامنا على الدرج الاول من سلم الثقافة والتكوين الانسانى وتحمل المسئوليات.

فما الذى يحدث اليوم؟

الذى يحدث نتيجة لفهم الناس الخاص للاشتراكية وسوء تفسيرهم لالتزاماتهم حيال الامة والتزامات الدولة حيالهم من ان الاسرة رفعت يدها عن مسئولياتها فى تكوين الاولاد وتربيتهم ظنا منها ان ذلك

الأسرة العربية المعاصرة
مقصرة تقصيرًا خطيرًا في شأن الأبناء والبنات

كله انتقل الى الدولة .

وما دامت الدولة قد التزمت بالتعليم والتوظيف في غير حدود ، فقد ضعف دور الاسرة ولم يعد لها مكان حقيقي في التربية والتكوين .

لان الاسرة كانت تحرص على التربية والتكوين حرصا منها على مستقبل الاولاد . كان الاب يرى ان ذلك ضرورى لكي يتم الابن تعليمه ويحصل على وظيفة يبدأ بها حياته . أما الآن وقد ضمنت الدولة ذلك والزمت نفسها به فلم يعد يحرص على التربية والتكوين والتثقيف .

وما دام الكل سيدخلون الجامعة وسينجحون وسيعملون ، فلم تعد للاسرة وظيفة اساسية في هذه المجالات .

وما دام المثقف سيتساوى مع غير المثقف والمهذب سيتساوى مع غير المهذب والنظيف سيقف مع غير النظيف .

ما دام هؤلاء جميعا سيكونون في النهاية على قدم المساواة فلماذا يطيع الابن أباه اذا اصدر اليه امرا او وجه اليه ملاحظة ؟

بل حدث العكس ..

حدث أن الشاب المهذب المؤدب المثقف انهزم أمام الولد الجافي عديم التربية عديم الثقافة .

وقد كان هذا الطراز الحسن التربية والتكوين والثقافة يعتبر قيادة وسط زملائه ، بل كان مثلا يحتذى ، لان من حذا حذوه كان يسير في طريق النجاح ، فالآن انقضت هذه القيادة الحقيقية لتحل محلها قيادة اخرى لم تحصل على تربية او تكوين أو ثقافة . اصبحت القيادة في المدرسة للتلميذ البلطجي الفهلوى الذى يقلد أبطال مدرسة الساخطين .

ومن سوء الحظ انالاسرة فقدت سلطانها على الابناء في وقت نحن فيه في أشد الحاجة الى سلطان الاسرة والاب والام على الابناء .

وقد كنت في زيارة أسرة من أقاربنا من حين قريب ، فلم أر فى البيت كتابا واحدا ، ووجدت أن الاولاد لا يحفظون من القرآن الا آيتين من قصار السور ، بل رأيت ولدا لا يعرف كيف يصلى ولكنه يعرف شريط الكاسيت واغانى البذاءة والانحطاط « والناس الى اتهوست » ، ويعرف نكاتا ونكاهات بذيئة ويتقن الجرى الى الشارع والتجمع على نواصى الشوارع لمعاكسة البنات وحتى البنات قلت قيمتهن في نظر الشبان ، لانهن لم يعدن يعرفن الحشمة والادب والحياء ، والبركة في الافلام التي تفهم البنات ان « الحب مش عيب » ولو انهن عرفن ماهو الحب الشريف الرفيع لخفت « المصيبة » ولكن هذا كلام يلقى في آذان بنات لا يعرفن ما هو الحب لانهن لم يقرأن في في حياتهن كتابا محترما ، ورحم الله أيام زمان ..

ثم انالاسرة المصرية نفسها دخل عليها تغير لا ادرى كيف أسميه ، ولكني أصفه وأترك للقارىء حرية اختيار الوصف الذي يرتئيه .

فان الناس عندنا في الماضى كانوا يتزوجون على أساس التقاليد ـ الاسرة تختار العريس او العروس وتعرضه على الشابة او الشاب ويدور داخل الاسرة اخذ ورد وينتهي الامر بالقبول او الرفض ويتم الزواج ـ اذا تم ـ دون حب . كانوا يقولون ان الزواج اولا ثم يجىء الحب . وقد يجىء وقد لا يجىء ، ولكن تبقى بعد ذلك التقاليد والاعراف ، يبقى الحياء والحشمة والادب والمراعاة والستر والانسانية .

وكانت معظم الاسرات تعيش بالآداب

● في الماضي كان الوضع أحسن بالنسبة لتكوين الشباب . كانت المسئولية كلها على الشاب نفسه وأسرته ، وكانت تلك مسئولية ثقيلة ولكن الشاب عندما يوضع أمام مسئولياته يتعلم ويتكون. ولهذا كان الجيل الماضي عفيا وقادرا على حل مشاكله بنفسه.

والاخلاق والحياء والحشمة ، لان الحب كان نادرا ما يأتي بين الزوجين ، كانت الزوجة تطيع زوجها لانه زوجها الذي قسمته لها المقادير ٠ كما ترى في شخصية الست أمينة زوجة السيد عبد الجواد في رواية نجيب محفوظ المعروفة ٠ وكان الزوج يحافظ على التزماته ومسئولياته ويحترم مشاعر زوجته ولو لم يحبها ، لان واجبات الادب والرجولة والخلق تفرض عليه ذلك ٠

ثم يجيء الاولاد فيتجه الاب والام معا اليهم ، واذا كان بين الزوجين حب انصب ذلك على الاولاد وتربوا في جو من الالفة والمودة والاخلاق والآداب ، واذا لم يكن هناك كان هناك التظاهر بالحب ، أو الاحترام الذي يغني عن الحب ، حتى لا يلاحظ الاولاد شيئا ٠ وفي أحيان كثيرة كان الحب يأتي بعد الاولاد ، كأنما كان الاب يشعر بالشكر والاعزاز للام التي أهدته الاولاد ٠ والام كانت تشعر بالولاء للرجل الذي انجبت منه الابناء والبنات ٠

تغير هذا الوضع الآن وأصبح الزواج صفقة أو عملية تجارية ٠

فتسعون في المائة من خريجي الجامعات يعقدون زيجات مصلحة

بمعنى ان الشاب ينظر حوله فيرى زميلاته ، ويمضي يبحث ويراقب ليختار منهن من سيتقدم لخطبتها ، ولا دخل هنا للجمال أو الحب أو الميل أو حتى الاستلطاف ، لان كل بنت من زميلاته ستكون بعد التخرج موظفة راتبها ٤٠ جنيها مثل راتبه ٠ فهو يتزوج ٤٠ جنيها في الشهر ولا يتزوج امرأة ٠ ونقطة التفضيل هنا في الغالب مادية : من هو أبو البنت ٠ هل هو موظف كبير أو معلم غني يستطيع أن يسهل له أمر السكن مثلا ؟ ٠٠

والبنت نفسها تفكر على نفس الاسلوب ، ولكن دافع الاختيار يختلف ، لانها تعرف مقدما ان كل زملاتها مساتير بالكاد ، فموضوع التفضيل هنا شيء من الشكل أو من خفة الظل ٠ ثم أن أهم شيء في نظر البنت هو ان تتزوج لتتخلص من بيت أبيها وتنجو من العنوسة ، والحب شيء تعرف البنت انه شيء لايوجد الا في الروايات ٠

ويتم الزواج في تسعين في المائة من الحالات على هذا الاساس المادى من الناحيتين ، وحيث اننا في زمن غلاء متزايد والاسعار في زيادة ولا أمل في انخفاضها ، فان المشاكل العائلية تبدأ من أول يوم ، ومرتب الشاب + مرتب الزوجة ينتهي حوالي ١٥ في الشهر ،

الأسرة العربية المعاصرة
مقصرة تقصيرًا خطيرًا في شأن الأبناء والبنات

وتبدا المشاكل ٠٠ ولا يتاخر الاولاد في الوصول ، وولد وراء بنت ، وبنت وراء ولد وتتزايد المشاكل ، واذا كان هناك قليل من الحب قد وجد في فجر الزواج فانه يتلاشى في الضحى ويتحول الى نكد في الظهر وفي العصر - عصر الحياة الزوجية ٠ وتصبح الحياة الزوجية معاناة متصلة ٠٠

هذا هو حال معظم الزيجات التي تعقد اليوم ٠

وأنا اركز في هذا المقال على اوساط الناس وعلى خريجي الجامعات دون أن ادخل في اعتباري الزيجات في القرى ، فهذه لازالت تسير على الطريق التقليدى ولا أحسب حساب زيجات طبقة البلدى فهذه طول عمرها تجارة وصفقات ،وليس عند افراد طبقة البلدى شيء يسمى الاسرة بل البيوت هناك غرف تعذيب للزوج والزوجة والاولاد ٠ فأما الزوج فيهرب من بيت الزوجية طول النهار ٠فهو دائما في المحل ، وبعد ان يقفل الدكان يذهب مع اصحابه الى حيث يفقد الوعي والاحساس ، ويعود الى بيته لينام الى الصباح ٠

اما الاغنياء - وما اكثرهم في أيامنا - فهم تجار « شيطاني » في المكتب والبيت والنادى ٠ والزواج بالنسبة للشاب من اولادهم عملية استيراد وبالنسبة للبنت وعائلتها عملية توريد ٠

والخلاصة ان الاسرة المصرية - وهي التي أعرفها اكثر من غيرها اصبحت في يومنا هذا تركيبة مصالح ، والبيت ماوى لناس متنافرين يتحمل بعضهم بعضا بحكم الضرورة والحاجة ٠ والقواعد الاخلاقية التقليدية التي كانت تسير شئون الاسرة ذهبت مع امس الدابر ، ولم يبق الا هذا الطراز من الاسر التي حدثتك عنها ٠

***

في هذا الجو ماذا يعمل الاولاد او ماذا يفعل بالاولاد ؟

هل تتصور ان الاولاد يجنون في مثل هذه البيوت فرصة للتثقيف أو للتكوين الانساني السليم ؟

وهل تتصور ان الوالد يربى او ان الام تساعد على التكوين ؟

كيف وكلاهما - حتى الثانية بعد الظهر في « الشغل » ٠٠ او ما يسمى بالشغل !

وفي أثناء العام الدراسى نجد الاولاد يذاكرون او يتظاهرون بانهم يذاكرون ٠ ونادرا ما يمسك ولد كتابا ادبيا ليقرا فيه ٠

لان المدرسة نفسها ليس فيها من الثقافة شيء ، والمكتبة يغلقها امين المكتبة حتى لا يضيع كتاب من العهدة ٠

المدرسون يعملون كانهم عمال عليهم «وردية» وهم يجرون من فصل لفصل، وبعض الحصص تتحول الى حصص راحة للمدرس المجهد ، فهو يطلب الى التلاميذ ان يخرجوا الكتب ويقرأوا ٠

ولا نصدق ان الاب او الام اليوم يبذلون اى جهد في التربية ٠

ولا نصدق ما يقولون : نحن نربى ونكبر ونتعب ونشقى كما يقولون في الافلام ٠

لان الحقيقة ان كل ما يقدمونه للاولاد هو الطعام والكساء والماوى ٠ اما الذى ينفق على تكوين الاولاد فهي الدولة التي تفتح المدارس وتنفق على التلميذ الواحد في التعليم اضعاف ما ينفقه الاب في الطعام والكساء ٠

بل ان كثيرين جدا من الاباء يعيشون اليوم على نفقة الاولاد ، على عكس ما نظن

وفي الدولة الوف بعد الالوف من الموظفين يبقون في وظائفهم « علشان العيال » ويترقى الواحد منهم ويحصل على العلاوات لانه « غلبان وعنده عيال » وهو يهمل ويخطىء ويتاخر ويتسبب في

● كان الزواج في الماضي تقليديًا وكان ناجحًا على علاقته وخاصة بالنسبة للأولاد، أما زواج المصلحة الذى يتسع نطاقه اليوم فيضيع معنى الأسرة ويضيع الأولاد . وذلك هو سبب من أسباب ازمة التربية وازمة مستقبل الشباب.

بلاوى ، واذا أردنا عقابه وضعوا أمامنا العبارة القائلة :وذنبهم ايه الاولاد تخصم من راتب أبيهم !

ونفس مكاتب العمل تنظر فى مسائل الموظفين من زاوية انهم « غلابة وبيصرفوا على عيال » .

وكل الفراشين فى الدولة – وهم الوف – يعيشون على حساب أولادهم : يهملون ولا يعاقبهم أحد ، ويتاجرون ويتساهل معهم الجميع ويأخذون من الناس بقشيشات تصل الى أضعاف مرتباتهم ولا أحد يقول شيئا لانهم « غلابة وح يعملوا ايه والدنيا نار » .

فى هذه الاجواء ماذا يحصل الابن من الابوين غير لقمة العيش والكساء .وكيف نستغرب هنا قلة أدب الابناء مع الآباء.

ومن مايو الى سبتمبر لا توجد مدارس والاولاد لا يجدون فى البيت كتابا ، واذا وجدوه فأين يقرأونه .

وجاء التليفزيون فقضى على الامل الباقى .

ولا تصدق أحدا يفتح فمه الكبير ويقول لك انه يتعب ويشقى فى سبيل الاولاد . ففى أيامنا هذه لا يشقى فى سبيل الاولاد الا الدولة التى تدعم الطعام والكساء حتى الكعك والغريبة والياميش والفسيخ والسردين (أى والله .. تصور ان وزارة التموين تحمل نفسها عناء دعم الكعك والغريبة والفسيخ) وهل طلب اليها أحد ذلك ؟!

***

المهم ان الاسرة المصرية بوضعها الحالى لا تربى ولا تكون ولا ترعى ، وليس لها الا أقل نصيب فى تنشئة الجيل الجديد

وهؤلاء هم اولادنا على قوارع الطرق من مايو الى سبتمبر فماذا تفعل الاسرة فى ذلك ؟

وقد انقرض نوع الآباء الذين كانوا يقرئون الاولاد كتب الثقافة أو المجلات أو يحفظونهم شيئا من القرآن الكريم .

وانقرض كذلك نوع ربات البيوت اللاتى هن ربات بيوت ، لان ربة البيت اليوم موظفة صاحبة مكتب ، وربة البيت هى الشغالة التى تأتى ساعتين فى النهار تطبخ وتضع الطعام فى الثلاجة لثلاثة أيام ..

***

المشكلة اضعها أمام الآباء والامهات والمسئولين عن مستقبل الاجيال الجديدة ولا أقول الصاعدة لانها لا تصعد قط من زمن طويل .. انها تهبط .

وخير لنا ان نسميها الاجيال الهابطة .

وعندنا حلول ..

ولكن ما قيمة اقتراح الحلول اذا كنا لا نجد السميع أو المجيب .

لهذا اضع القلم هنا وانتظر .

فلعل منصفا يسألنى : ماذا قلت ؟ حتى نبدأ التفكير معا ..

● حسين مؤنس ●

أحمد لطفي السيد وفكره السياسي

● د. نبيه بيومي عبد الله ●

● نشاته وتكوينه الثقافي ●

نشا احمد لطفي السيد بين أسرة عميدها (والده) من طبقة أعيان الريف (كبار الزراعيين) التي نشات في عصر الخديو اسماعيل ، ونمت في ظل الاحتلال البريطاني ، ونافست طبقة الذوات (كبار الملاك الزراعيين الاتراك) .

واصبح والده « الشيخ سيد ابو علي » عمدة برقين مركز السنبلاوين مديرية الدقهلية ، من كبار الملاك الزراعيين ومن اعيان القطر المصرى وعضوا في « الجمعية العمومية » وهي احدى المجالس النيابية التي انشاها الاحتلال عام ١٨٨٣ ، كما اصبح « سيد باشا أبو علي » ، وتوفي عن الفي فدان (١) .

وولد أحمد لطفي في ١٥ يناير ١٨٧٢ ببرقين ، وحصل في دراسته على شهادة مدرسة (كلية) الحقوق ، واتصل بالخديو عباس حلمي الثاني ،الذى ارسله عام ١٩٠٤ الى سويسرا لمهمة خاصة بالعمل الوطني ، وانصرف الى الالمام بثقافتها ،ولما عاد الى مصر عمل بالوظائف الحكومية حتى استقال منها ١٩٠٥ .

وعمل بالمحاماة والصحافة ، وكانت قراءاته واسعة ، اهتم بالثقافة الغربية وخاصة الفرنسية ،وتشبع بالفكرالقومي في بناء الدولة القومية كمقوم أساسي ، والفكر الليبرالي السياسي الذى يؤمن بالحرية الفردية واقامة المؤسسات الدستورية (الحكم الديمقراطي) وكان مفكرا ، صاحب مذهب وعقيدة ، قبل ان يكون صحفيا أو سياسيا ، ونجح في ان يصل بفكره المتميز الى خاصة المثقفين ، وان يكون صاحب مدرسة ورائدا لها (٢)

ولفكره وشهرته الواسعة ووضعه الاجتماعي ، أصبح رئيس تحرير صحيفة « الجريدة » لسان حزب الامة ، وشارك في الحركة الوطنية ، واصبح سياسيا بارزا ، وشغل عدة مناصب ، واصبح مديرا لدار الكتب ، ومديرا للجامعة المصرية ،ووزيرا، وعضوا بارزا في مجمع اللغة العربية ، ومفكرا له بصماته في الثقافة العربية ..

وكانت مدرسة احمد لطفي السيد ، امتدادا لمدرسة الشيخ محمد عبده في ايجابيتها وصراحتها واعتدالها ، وخاصة بعد نكسة الثورة العرابية في عودة الامام من المنفى ، حيث اتجه الى الاصلاح في ظل السلطة الفعلية (الاحتلال) بعيدا عن

---

١ ــ د. حسين فوزى النجار ، احمد لطفي السيد ، ص ٤٢ ــ ٥٨ ، القاهرة ١٩٦٥ .
٢ ــ المرجع السابق ، ص ١٣٢ .



احمد لطفي السيد

العنف السياسي ، وجعل من التربية والتعليم قاعدة لاعداد الامة في النهضة والحرية والاستقلال • وقد سلك أحمد لطفي نفس الدرب حتى يتمكن المصريون من الإعتماد على أنفسهم ،واتخذ الصحافة وسيلة للتعبير عن أفكاره (٣) •

● فكره السياسي ●

● أولا ، مصر للمصريين ••

نادي أحمد لطفي ان تكون « مصر للمصريين (٤) » • ولقد سبقه الى هذا الشعار ، مفكرو الثورة العرابية وقادتها وبعد الاحتلال نلحظ ازدياد عدد الموظفين البريطانيين الى جانب وضعهم في المراكز القيادية في أغلبية مصالح الحكومة واستئثارهم بالسلطة لدرجة « ان اصبح الموظف الانجليزي أيا كان خيرا من الموظف المصري •• وحل الانجليزي محل المصري في ادارة البلاد (٥) » • واصبح مدلول اللفظ في عصر أحمد لطفي السيد يعني ان يكون حكم مصر وخيرها لابنائها ، وليس لانجليزي أو تركي •

● ثانيا ، الدعوة الى الجامعة والوطنية المصرية •

دعا احمد لطفي في صحيفة «الجريدة» لسان حزب الامة الى انكار الجامعة العثمانية ، لانها لون من الوان الاحتلال وان الامبراطورية العثمانية ضعيفة وانها في طريقها الى الزوال كبقية الامبراطوريات السابقة ، وكذلك الخلافة الاسلامية لانها وهم وخيال • ونادى بالقومية المصرية الخالصة ، وتدعيم الوعي القومي ، وان تكون كل مجهودات المصريين من أجل مصر • واخذ يبث الشعور بالوطنية ، التي لا تقدم فقط على الدين • وكان هذا انعكاسا وصدى للاتجاه العالمي نحو فكرة القومية في القرن التاسع عشر ، ونشأت الدول القومية في أوروبا على عوامل اللغة والتاريخ والثقافة بعيدة عن الدول الدينية التي سادت في العصور الوسطى كما انه في ظل تلك الدول القومية اكتملت حرية الدولة ، ونمت الحرية الشخصية ونمت الديمقراطية •

٣ ـ المرجع السابق ، ص ٥ ، ٥ ، ٥٦ ، ٦١ ، ١١٢ ، ١٢٠ •
٤ ـ مذكرات لطفي السيد : المصور ٢٧ ، ١٠ ، ١٩٥٠ •
٥ ـ الجريدة العدد ٤٤٥ في ٢٣ اغسطس ١٩٠٨ من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر، من مارس ١٩٠٧ ـ مارس ١٩٠٩ ، القاهرة ١٩٤٦•

ورأى لطفي السيد ان الانفصال عن الدولة العثمانية والتحرر من سيادتها مما يحقق أول ركن من أركان الدولة القومية وهو ابراز الشخصية المصرية ، كشخصية قائمة بذاتها (٦) . وأخذ يدعو الى تحديد معنى الوطنية المصرية والقومية المصرية ويضع لها تعريفاتها ويبرز مميزاتها ، وساعده تأثر المبعوثين المصريين بالفكر القومي ، ومن قوله : « ان من غير الصواب أن يعمل بعضنا لفناء شخصية المصري في شخصية العثماني لان هذا الرأى مع بعده عن الصواب لا يتفق مطلقا مع مصلحة مصر ، ولا يتفق كذلك مع اعتبار مصر اقليما ممتازا مستقلا . فمتى نصرف عنايتنا كلها الى بلدنا » (٧)

كما ذكر ان الانتساب الى مصر شرف عظيم ورأى « ان نكرم وطننا فلا ننتسب الى وطن غيره مهما كانت أصولنا ..

وبناء على انكار التبعية العثمانية ، توكيدا للقومية المصرية ، رفض حزب الامة بلسان أحمد لطفي السيد ، الاشتراك في « مجلس المبعوثين » التركي بعد اعادة الدستور التركي في ٢٤ يولية ١٩٠٨ ووصول جماعة الاتحاد والترقي الى الحكم (٨) . وأيضا عندما قامت ايطاليا باحتلال ليبيا وقامت الحرب بينها وبين تركيا عام ١٩١١ ، وقامت حركة تبرعات وتطوع لمساندة تركيا ، فقد ساندتها الصحف المصرية ما عدا « الجريدة » حيث دعا لطفي السيد الى حياد مصر ، لان سيادة تركيا لا منفعة لها لمصر . (٩) .

● ثالثا ، الاستقلال ●

واذا كان أحمد لطفي السيد ، لسان حزب الامة في « الجريدة » قد رفض **التبعية العثمانية ونادى بالوطنية المصرية فما هو موقفه من الاحتلال البريطاني واستقلال مصر ؟**

بوجه عام لقد هادن حزب الامة الاحتلال وطالب بالاستقلال على مراحل ، والتعاون مع السلطة الفعلية واعداد الشعب ، حتى يكون مؤهلا للاستقلال .

وأكد لطفي السيد ضرورة اعتماد المصريين على أنفسهم من أجل الاستقلال، وحتى يتمكن المصريون من ذلك يجب على الحكومة الاهتمام بالتعليم وفتح أكبر عدد من المدارس ، ونشر طرق التربية الحديثة لتربية الافراد تربية قومية اخلاقية ..

ومما ذكره في ذلك « فاذا أردتم الاستقلال فحولوا ألسنتكم واقلامكم وشيئا من قواكم وقليلا من أموالكم الى التربية والتعليم العام ، فانه السبب الوحيد للاستقلال ولا شيء غيره ، واذا انتشر التعليم كثر المنادين بالاستقلال »

واكد على ضرورة ربط التعليم بالتربية معا ، حتى تتشابه الميول والآمال والعادات ويقوى النسيج الاجتماعي للامة وانتقد طريقة التعليم في الكتاتيب ،لانها تؤدي الى اماتة الشعور بالحرية ،وتعطيل الملكات المبدعة (١٠) .

كما رأى ايضا ان الحرية احدى دعائم الاستقلال ورأى ان الحكومة المصرية حينئذ مستبدة وأمرها في يد المعتمد

---

٦ ـ الهلال ، يونيو ١٩٤٧ ص ٨٠ ـ ٨٢

٧ ـ الجريدة في ٢٠ سبتمبر ١٩١٢ .

٨ ـ الجريدة العدد ٤٥٧ في ٦ سبتمبر ١٩٠٨ .

٩ ـ د. حسين فوزي النجار ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٨ .

١٠ ـ الجريدة العدد ١٦٠ ، في ١٥ سبتمبر ١٩٠٧

البريطاني ومستشاريه ، « وما دامت الحكومة تنفر من الحرية الى الاستبداد فاننا نبعد كل يوم عن الاستقلال» (١١).

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى سعى مع غيره الى اعتراف بريطانيا باستقلال مصر ، على أن تكفل مصر لها مصالحها في البلاد ، حتى لو أدى اشتراكها في الحرب الى جانبها ، ولما فشل ، استقال من رئاسة تحرير الجريدة في اغسطس ١٩١٤ (١٢) .

وبعد انتهاء الحرب ، كان من بين المؤسسين للوفد المصرى ، الذى سعى الى تحقيق الاستقلال بالطرق السلمية ، وعندما وقع الخلاف بين سعد وعدلى على رئاسة المفاوضات مع الحكومة البريطانية اعتزل العمل السياسى وعمل بدار الكتب والجامعة المصرية . (١٣)

● رابعا ، المناداة بالحرية والدستور ●

وفى الوقت الذى طالب فيه الحزب الوطنى بحياة نيابية سليمة ، طالب حزب الامة بالدستور أيضا ، ولكن على نمط طلب الاستقلال على مراحل ، فقد طالب حزب الامة الحكومة بتوسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية تدرجا الى ايجاد مجلس نواب تام السلطة . وأيد الخديو عباس حلمى الحركة الوطنية فى المطالبة بالدستور ، ليتخذها وسيلة لتأييد مركزه أمام تسلط « كرومر » على كل الامور ، ولما عين « جورست » بدلا منه ، لجأت السياسة البريطانية الى « سياسة الوفاق » لاعتقادها ان الخديو خلف الحركة الوطنية فى مطالبتها بالدستور ، مما أدى الى تقارب حزبى الوطن والامة فى انتقاد السلطتين الشرعية والفعلية ، لحرمانهما الشعب من الدستور وحكم بواسطة حكومة مستبدة، ومهاجمتهما السياسة البريطانية بعد تصريح ادوارد جراى وجورست بعدم استعداد المصريين للحياة الدستورية .

وقد انعكست هذه اليقظة على نمو الحركة الوطنية على المجالس النيابية الشكلية فطالبت بالدستور والحياة النيابية السليمة أو اشراك الامة مع الحكومة اشتراكا فعليا برأى قاطع على الاقل فى الشئون الداخلية المصرية لان الهيئات النيابية الموجودة لا تناسب سنة التطور والارتقاء ، لتقدم البلاد ونهضتها ، حتى تحقق علنية الجلسات فى مارس ١٩٠٩ وحق توجيه الاسئلة للحكومة المتمثلة فى الاحزاب والمجالس النيابية الصورية اضطر المعتمد البريطانى « كتشنر » الى اقامة « الجمعية التشريعية » بدلا من المجلسين السابقين وذلك فى يولية ١٩١٣ وكانت اقرب ما تكون الى هيئة استشارية . الا أن الاحزاب اعتبرتها خطوة فى سبيل البناء الديمقراطى ، ولكنها لم تستمر اكثر من خمسة اشهر لقيام الحرب العالمية الاولى . (١٤) .

وأحمد لطفى السيد المعبر عن حزب

---

١١ ـ الجريدة العدد ١٦١ ، فى ١٦ سبتمبر ١٩٠٧ .

١٢ ـ الجريدة ـ العدد ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ٨ ، ٩ ابريل ١٩٠٨ .

١٣ ـ د. حسين فوزى النجار ، المرجع السابق ، ص

١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ـ ٢٨٢ .

١٥ ـ د. نبيه بيومى عبد الله ، الحياة البرلمانية فى مصر ، ص ١٥ ـ ٢٠ .

الامة وخاصة فئة المثقفين ، تأثر بجان جاك روسو ، بفكرة النظرية الطبيعية ، فى ان الانسان حر وخير بطبيعته ، والمجتمع السيىء سببه الاستبداد (١٥)٠ ورأى أن حرية الوطن طريقها السليم هو حرية المواطن ، وان الحرية السياسية ، تكفل للمواطن حريته الشخصية ،والحرية السياسة فى نظره هى أن يشترك كل فرد فى حكومة بلاده (١٦) ٠ دعا الى الدستور ، والى توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومشاركة الاعضاء المدير فى كثير من المسائل (١٧) ٠

ثم أشار فيما بعد الى أن حالة المجالس النيابية لم تعد تلائم ما وصلت اليه البلاد من رقى ،ودعا الخديو والمعتمد البريطانى الى اكتساب صداقة الشعب باعلان الدستور (١٨) ٠ ثم يذكر « ان مايوجد فى البلد الآن من شبه الدستور أو رائحته » (١٩) ٠ وانتقد سياسةالوفاق على أساس ان مركز الامة لم يتغير مع تلك السياسة ، ولا يزال الاستبداد مستمرا والدستور بعيدا ، وان الحركة الوطنية حركة طبيعية سببها الكره للحكم الشخصى (٢٠) ٠ ثم أيد مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فى طلب الحياة النيابية السليمة ، وانتقد السلطة الشرعية والسلطه الفعلية فى رفضهما معا طلب المجلسين الدستور ٠ (٢١)

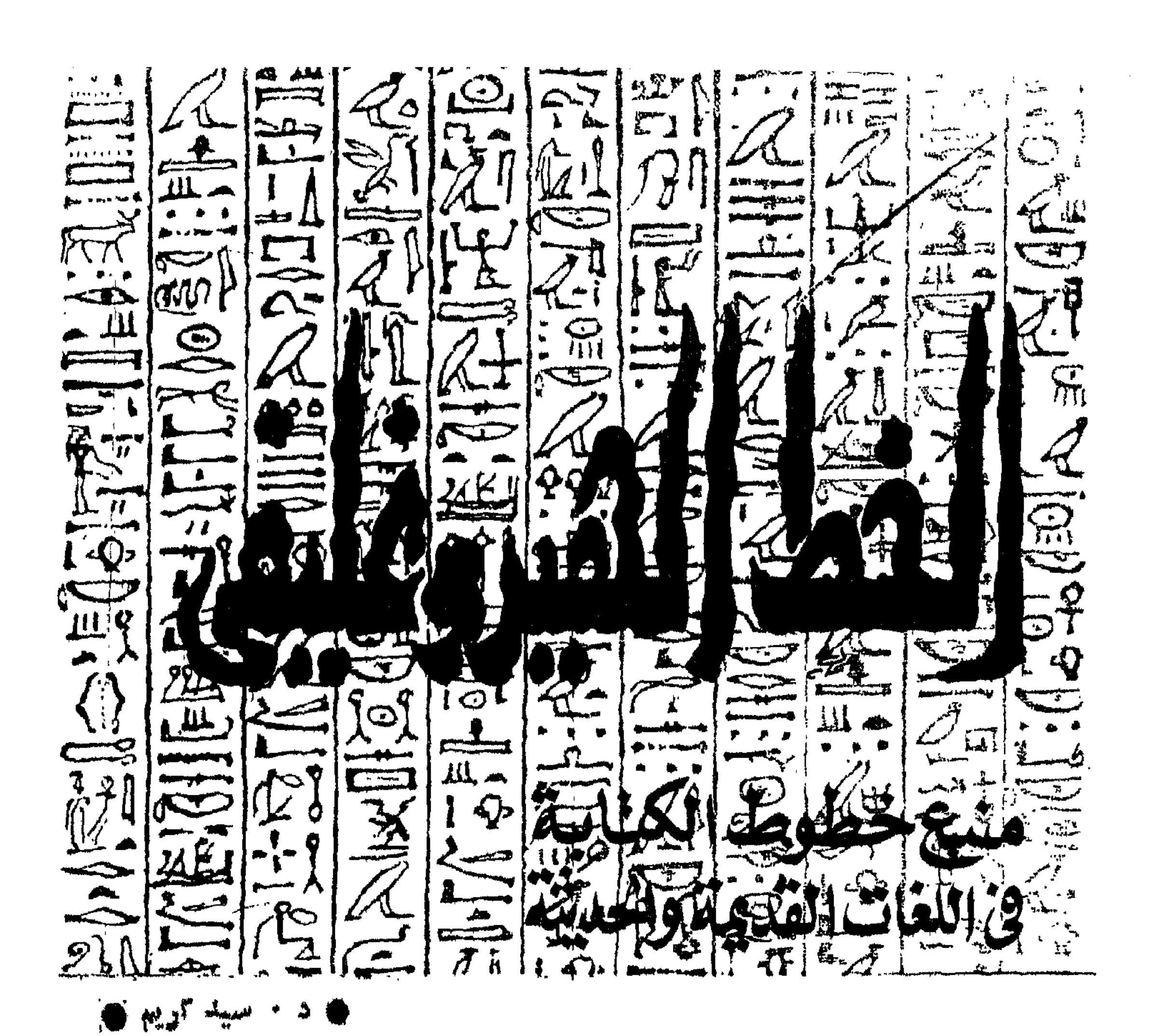
● خامسا ، التمسك بالوحدة الوطنية ●

ومن منطلق دعوة لطفى السيد الى القومية المصرية الخالصة التى لا تقوم على عنصر الدين دعا على صفحات الجريدة الى الوحدة القومية ، ونبذ التعصب الدينى ، واكد المساواة بين المسلمين والاقباط ، ودعا مع غيره الى مؤتمر مصرى موسع ، وبانعقاده أشار الى أن الاكثرية والاقلية لا تقوم على الدين ،ولكن على الاختلاف فى المذاهب السياسية (الاحزاب) (٢٢) ٠

ويرى البعض ان فكر احمد لطفى السيد السياسى ،كان فى جانب منه فكرا مفاجئا لشعور الشعب المصرى وخاصة فى انكار الجامعة العثمانية ، والدعوة الى الاستقلال والدستور على مراحل ٠ مما جعل الحزب الوطنى حزبا جماهيريا ٠ الا أن فكر احمد لطفى السيد لاشك قد امتاز بالواقعية والتدرج فى الحقوق مع العمل على تطور الشعب ، حتى اذا نهض اخذ حقه فى التعليم والحرية وطالب بالاستقلال والحياة النيابية التامتين ٠٠

---

١٦ ـ د٠ احمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق ص ٥٦ ٠
١٧ ـ الجريدة العدد ١٥٦٣ ، فى اول مايو ١٩١٢ ٠
١٨ ـ الجريدة العدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٩٠٧ ٠
١٩ ـ الجريدة العدد ٦٠ فى ٢٠ مايو ١٩٠٧ ٠
٢٠ ـ الجريدة العدد ٦١ فى ٢١ مايو ١٩٠٧ ٠
٢١ ـ الجريدة فى ٢٣ اغسطس ١٩٠٨ ٠
٢٢ ـ الجريدة العدد ٥٢٩ ، فى ٢ ديسمبر ١٩٠٨٠
٢٣ ـ د٠ حسين فوزى النجار ، المرجع السابق ،ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧٠



● د . سيد كريم ●

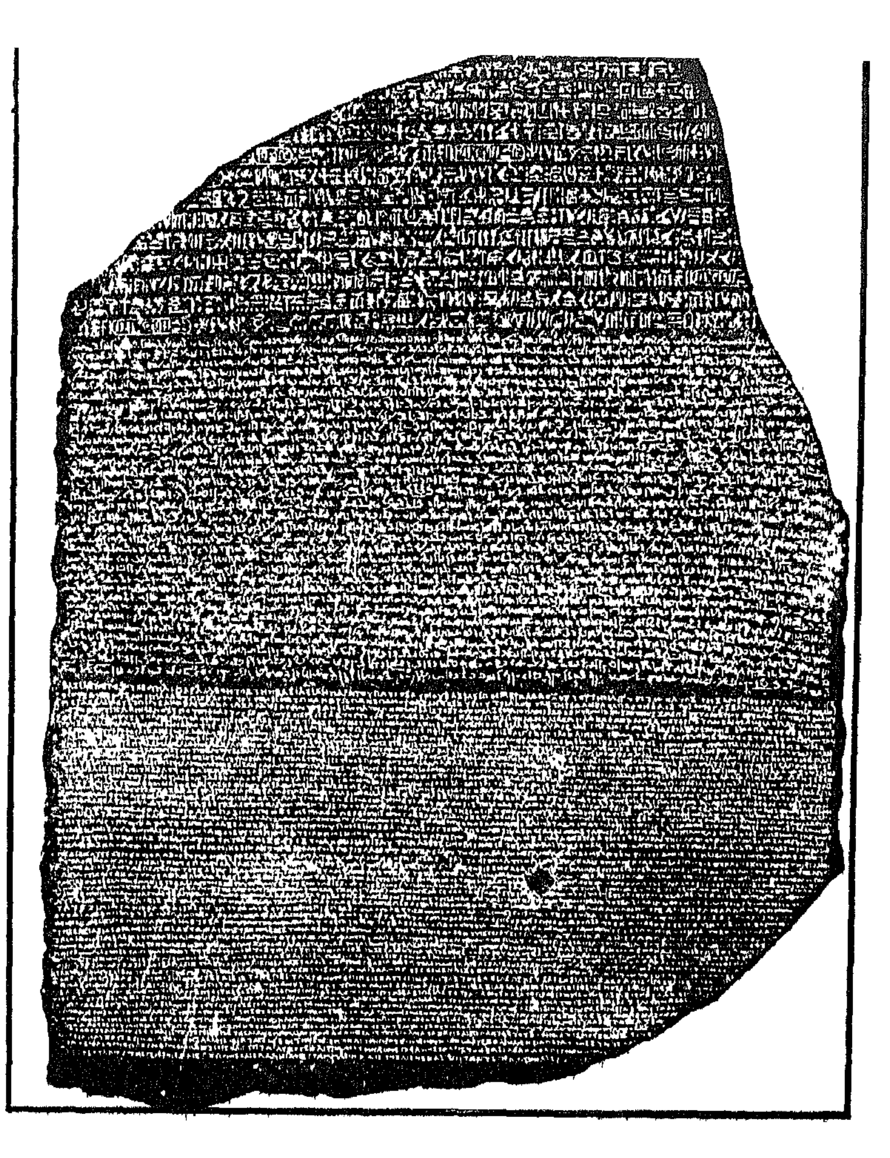
● تنقسم اللغة المصرية القديمة ـ اقدم لغة منطوقة ومكتوبة في العالم ـ وما ارتبط بها من خطوط وعبر عنها من نقوش ورموز ، ظهر الواحد منها بعد الآخر لتغطي فسحة من الزمن تمتد الى ما يقرب من خمسة آلاف عام . انتقلت خطوطها وابجديات حروفها خلال تلك المرحلة الطويلة من عمر الانسانية ، انتقلت من مصر الى مختلف شعوب العالم القديم وحضاراته المتفجرة التي سجلت الكتابة تاريخ كل منها . نشأت على أرض مصر مع فجر الحضارة كأول كتابة متكاملة لها ابجديتها واشكال حروفها التي ابتدعها الفنان المصري ، ولها قواعد نحوها واصول تركيبها التي وضعها الكاتب المصري القديم .

خرجت من مصر عبر سيناء لتترك بصماتها على خطوط الكتابات السامية والعبرية والارامية والنبطية والعربية وتعبر البحر الابيض المتوسط لتشكل حروف الخطوط الفينيقية والكريتية والاغريقية واللاتينية لتنتقل منها الى مختلف اللغات الاوربية الحديثة .

كما نقلتها بعثات الفراعنة القدماء لتعبر المحيطات وتترك بصماتها على كتابات الحضارات الامريكية القديمة كالمايا والاوزتيك وحضارات جزر المحيط الهندي التي نزلوا بشواطئها خلال رحلات استكشافهم تنقسم خطوط كتابة اللغة المصرية القديمة كما وضعها المؤرخ اكليمنوس الاسكندري ـ الى ثلاثة خطوط : هيروغليفي ، وهيراطيقي ، وديموطيقي .. وهي أشبه تقريبا بالخط الكوفي والنسخ والرقعة في اللغة العربية الحالية أو بالخط الروند والبترد والجويتك في اللغات الاوربية .

١ ـ الخط الهيروغليفي
(نتر خرو) ٤٦٠٠ ق.م

هيروغليفي ـ كلمة يونانية مركبة من



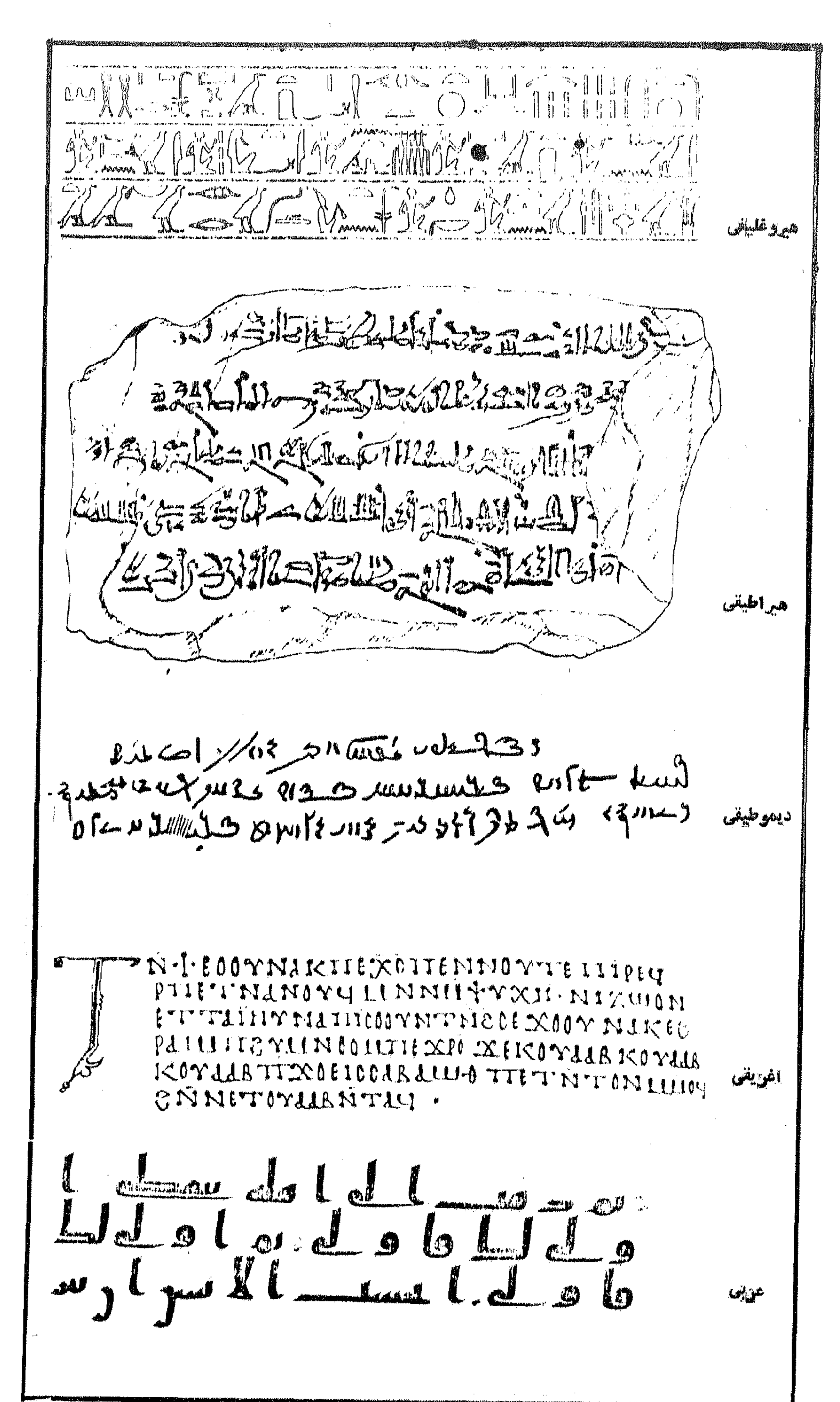
حجر رشيد فك لغز اللغة المصرية القديمة وخطوطها بعد خمسة عشر قرنا من الذكريها

هيروس أى مقدس ، وغليفو أى خط . أو النقش . وهى ترجمة الاسم الفرعونى نترخرو (الكلام المقدس)

ظهرت الكتابة الهيروغليفية فى مصر القديمة عام ٤٦٠٠ ق.م واستمر استعمالها طوال العصور الفرعونية.. ويسجل المؤرخون تاريخ آخر نقش مقدس كتبت به الى اليوم الرابع والعشرين من أغسطس عام ٣٩٤ بعد الميلاد ، الذى وجد بمعبد ايزيس فى جزيرة فيلة . وليس بين أول نص مصرى هام وآخر نقش كتبت به أيام « تيودسيوس » من فروق نحوية واضحة أو فى فن الكتابة ونقوشها ..

ويرجع ذلك كما ذكر ثونيرون فى كتابه (كهان مصر القديمة) « الى ان رجال الكهنوت أخذوا على عاتقهم علم تغيير لغة كان جرسها او نطق كلماتها من العوامل التى استخدمت فى خلق العالم . وكتاباتها من تعاليم الالهة ، فاى تغيير فى نقوشها يفيد الكلمات فاعليتها . ويفقد الاسماء معانيها)) ولهذا فالكتابة الهيروغليفية - التى كانت أول كتابة عرفتها البشرية او انزلت على البشر كما جاء فى وصفهم لها ، تعتبر فى نفس الوقت أول كتابة عاشت أطول فترة زمنية فى تاريخ الحضارات .. عاشت خمسة آلاف سنة لم تخضع خلالها لاى تغيير أو تبديل .. وتوقف العمل بها وهى فى كامل قوتها .. متكاملة كما بدات يوم ظهورها أو نزولها .

كان الخط الهيروغليفى لدقة رسمه وفنون زخرفته لاينقشونه الا على الاحجار أو يرسمونه على الاخشاب أو يخططونه على لويحات الاستراكا الفخارية والاردوازية .. ثم انتقل الى أوراق البردى ولفائفه فى تسجيل النصوص الدينية وفنون العقيدة فى عصور متأخرة



هيروغليفي
هيراطيقي
ديموطيقي
افريقي
عربي

تنقسم اشارات الخط الهيروغليفي الى نوعين أشارات صوتية واشارات معنوية .. فالاشارات الصوتية تعبر عن نطق الحرف وليس لهـا معنى مطلقـا . أما الاشارات المعنوية فهى تمثل معان مجردة من الصوت .

تنحصر الاشارات الصوتية فى الحروف الهجائية أو أبجدية اللغة الهيروغليفية ، ويبلغ عدد حروفها أو نقوشها ٢٤ حرفا اضيفت اليها ستة حروف أخرى وسيطة أو مكملة فى الدولة الوسطى .

وتعتبر الابجـدية الهيروغليفيـة . الابجدية الوحيدة بين لغات العالم القديم والحديث التى تشتمل على جميع الحروف المنطوقة الساكنة منها والمتحركة بجميـع اشاراتها الصوتية والمقطعية والوسـيطة بالاضافة الى الحروف الحلقيـة كالعين ، والغين ، والحاء ، والخاء والقاف والصاد والضاد والتاء .

وتجمع الحروف الابجدية الهيروغليفية بين الاشارات الصوتية والرمـز المعنـوى فرسم حرف الدال على سـبيل المثال على شكل اليد واسمها المصرى (دت) وحرف العين على شـكل ذراع واسـمه (عو) والفاء بالقوقعة واسمها (قا) وحـرف الواو بطائر السـمان واسمه (ورو) .

صفحة من احدى برديات ادب القصة فى الدولة الحديثة بالخط الهيراطيقى

مختلف ابجديات الخط السينمائى التى جمعها ل فلندرزى وجاردنر وبالســـن ..

وهكذا فرسم الحـــرف يعبر عن القيمة الصوتية او نطق الحرف الاول من اسمه أو صورته .

وتشمل اللغة الهيروغليفية بجـانب الاشارات الصوتية والمعنوية قائمة من الاشـــارات المقطعيـة . وهي نوع من الاشارات المختزلة التي تقـوم الواحدة منها مكان حرفين أو ثلاثة من الحـروف الهجائية . وقد بلـغ ما امكن حصره على مـدار تداول الخـط الهيروغليفي ٧٠٠ اشارة مقطعية لم يسـتعمل اكثرها الا نادرا نادرا ، واعتبرها باحثوا المصريات نوعا من الاجتهاد والتفنن في التفسير ، وتم اتفاقهم على حصر الاشارات المقطعية الاصلية على ١٤٠ اشارة .

كان الكهنة يتلاعبون بالاشـــارات المقطعية ويضاعفون من أصـولها ليجعلوا منها اداة فى غاية الدقة والتعقيد ، كما كانوا يزيدونها الى أبعد الحدود خاصـة عند تدوين علوم المعرفة المقدسة للاحتفاظ بها والمحـافظة على أسرارها من التسرب الى خارج المعابد أو خارج البلاد .. وهو

ما فسر به المـؤرخ والحكيم الـروماني شيشرون فشــــل علماء الاغريق الذين استولوا على كتب هرمس الخاصه باسرار المعرفة والعلوم من مكتبة الاسـكندرية ومعبد اون ، وفشـــلهم فى ترجمتها . فقاموا بحرقها بعدما فشلوا فى تفسيرها وفك رموزها اعتقادا منهـم بأن كهنـــة الفراعنة وكتابهم قاموا بخداعهم وان تلك المراجع لا تمت الى علوم المعرفة بصـــلة ونقوشها ليس لها معنى .

لقد واجه علمـــاء المصريات كثيرا من الصـــعوبات فى قراءة الكتـــابة المصرية القديمة ونطق كلماتها عندما وجهوا بأن المصريين القدماء كتبوا لغتهم باســتعمال الحروف الساكنة فقط فى كتاباتهم كما هو الحال فى مختلف اللغات الســامية التي تبعتهم فى ذلك ومنها على ســـبيل المثال اللغة العربية عنـــدما تكتب بدون تنقيط او تشكيل حروفها الساكنة .

لقد واجه العلماء الكثير من الصعوبات فى قراءة اللغة المصرية القـــديمة ونطق كلماتها عنـــدما ووجهـــوا بأن المصريين



هيروغليفية الحثيين « لوحات قرقاميش »

القدماء كتبوا لغتهم باستعمال الحروف الساكنة فقط ، كما هو الحال في مختلف اللغات السامية التي أخذت عنهم وتبعتهم في ذلك ، ومنها على سبيل المثال اللغة العربية عندما تكتب بدون تشكيل حروفها الساكنة حيث ترك نطقها على المعرفة الموروثة والفطرة السليمة في النطق التي تستغني عن التشكيل بالحروف المتحركة • وهي المشكلة التي واجهت كتابة القرآن باللغة العربية بالطريقة التي عرفت بها بغير تشكيل أو تنقيط ، فلقد بدأ الموالي يقرؤون القرآن ويلحنون في قراءته ، وما تبعه من تضارب في تفسير كثير من كلماته المتماثلة في الحروف ، حتى قام أبو الاسود الدؤلي باضافة التشكيل والتنقيط في تصحيح المصحف الشريف مما كان سببا في الحفاظ على القرآن وعلى اللغة العربية من التحريف والاندثار •

لما كانت اللغة المصرية القديمة تشترك مع اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية القديمة في أن الكلمة الواحدة المكونة من ثلاثة أو أربعة حروف ساكنة تعبر عن أكثر من معنى سواء كان اسما أو فعلا أو وصفا تبعا لطريقة نطقها ، فأن الكاتب المصري بدلا من تشكيلها وتنقيطها واضافة الحروف المتحركة اليها قد ابتكر ما أطلق عليه بالاشارات المتممة التي تعبر عن المعاني المختلفة لنفس الكلمة ، فكلمة « حنو » مثلا تعبر تبعا لطريقة نطقها عن الدعاء والفرح والازواج والحصاد

باضيفت اليها في الاولى صورة دعاء والثانية شخص يلهو والثالثة رجلا وامرأة يقفان جنبا الى جنب والرابعة رسم منجل وهكذا ، وقد استعملت تلك الطريقة في الكتابة والقراءة في برديات الادب الشعبي وكتب العقيدة وبرديات التعليم المدرسي •

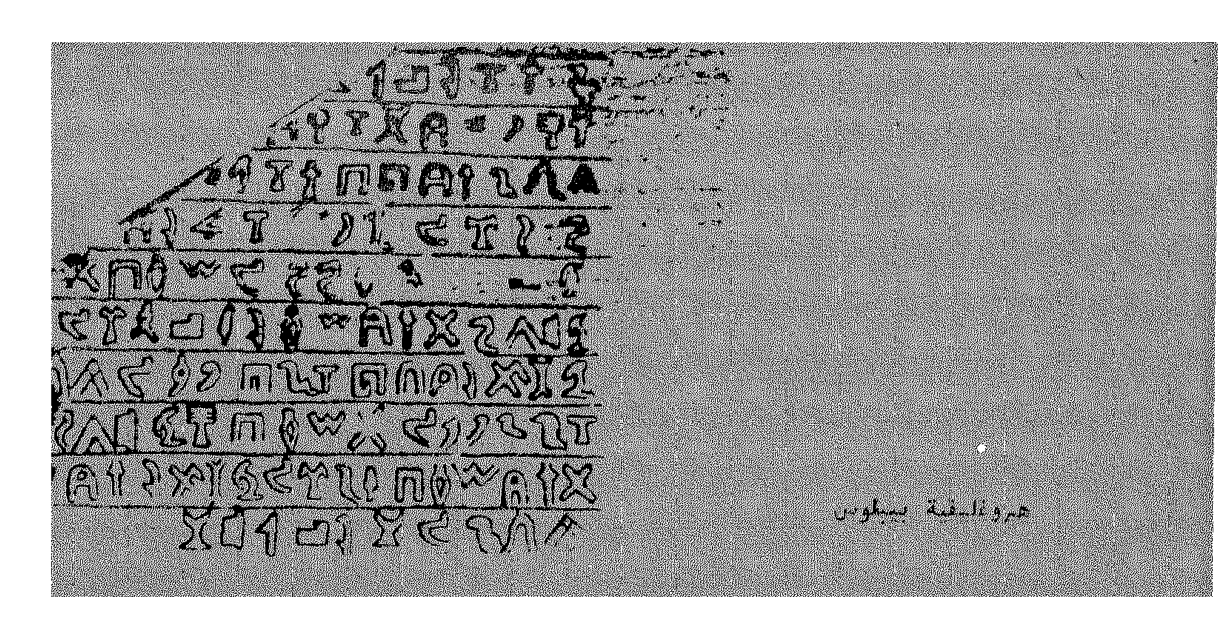
أما نظام الكتابة الهيروغليفية واتجاهاتها فكانت منذ بدء استعمالها تكتب من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين • ويتمشى اتجاه الكتابة مع اتجاه رؤوس صور الانسان او الحيوان أو الطيور • كما كانت تكتب في خطوط أفقية أو رأسية تبعا لفنون تشكيلها •

ويستعمل علماء الاثار اليوم الكتابة الهيروغليفية من اليسار الى اليمين لسهولتها عليهم نظرا لما اعتادوه في كتاباتهم الاوروبية •

الخط الهيراطيقي (النقش الكهنوتي) ٢١٦٠ ق•م – ٨٥٠ ق•م

سمي بهذ االاسم لان الكهنة كانوا أول من ابتكره واستعمله خاصة في اعمال الكهنوت وعلاقتها بعلوم المعرفة التي كانت تدرس في بيوت الحياة الملحقة بالمعابد • والهيراطقية كتابة تصويرية مختصرة عن الهيروغليفية أو التعبير الهندسي لاشكالها المعنوية •

يمتاز الخط الهيراطيقي عن الهيروغليفي بسهولة كتابته مع الاسراع والاختصار الضروري في تسجيل تعاليم العقيدة



هيروغليفية ببيلوس

والرغبة في انتشار العلوم والمعارف ونشر التعليم • وكانت كتابته من اليمين الى اليسار في سطور أفقيه أو رأسية •

رغم ان الخط الهيراطيقي أطلق عليه الخط الكهنوتي لانه كان من ابتكار الكهنة الا انه كان الخط السائد في كتابة الوثائق العامة والمكتبات الرسمية والقوانين واللوائح • كان في بداية استعماله ينقش ويرسم على الالواح الخشبية ولويحات الاستراكا وكان يغلب فيه استعمال الريشة والالوان ، ثم انتقل الى الكتابة على أوراق البردى ولفائفه الطويلة التي وصل طول بعضها الى أكثر من عشرة أمتار ، وكانت تحفظ في مكتبات المعابد في خزائن خاصة تحفر في الحوائط حتى لا تتعرض للتلف بمرور الزمن • ونسخت عليها فنون العقيدة وكتب الموتى وعلوم المعرفة بانواعها • وتفنن الفراعنة في استعمال الخط الهيراطيقي المزخرف في عصر العمارنة حيث صورت بها متون عقيدة التوحيد الاخناتونية وأناشيد اخناتون الدينية المعروفة ، ومن بينها مزامير داود المشهورة التي نقلها سليمان الحكيم من مصر ونسبها اليهود الى سيدنا داود في اسفار العقيدة •

كشفت حفريات العمارنة عن أصول ثمانية من تلك المزامير بأسلوبها الشعرى والغنائي كتبت بالخط الهيروغليفي والهيراطيقي قبل عصر داود بأربعة قرون كما كشف العالم الكبير الدكتور سليم حسن بين آثار العمارنة عدة صفحات من التوراة بين متون عقيدة اخناتون التي تسبق خروج اليهود من مصر بمائتي عام وهو الكشف الذي أحدث ضجة عالمية بين علماء الآثار والاديان قبل الحرب العالمية الثانية •

لقد لعبت الكتابة الهيراطيقية دورا هاما خلال الدولة الحديثة في تقديم كثير من روائع الادب الفرعوني وعلوم المعرفة وأقوال الحكماء •

وقد لجأ أدباء الدولة الحديثة الى طرق متباينة في التلاعب بالالفاظ والاشارات وكانوا يضاعفون من أصولها ويفخرون بعثورهم على اشارات جديدة يخلقون لها معان جديدة وكانوا يجعلون عملهم هذا فنا يمارسونه ، ويميز أدب كل واحد منهم عن الآخرين •

ينقسم الخط الهيراطيقي الى نوعين الخط الهيراطيقي العمودى وكل حروفه منفصلة عن بعضها في رسم العلم والنوع الثاني المعروف « بالكرسيف » وهو خط مائل وتساعد كتابته على الاسراع وتتصل كلماته بعضها ببعض بدون فاصل •

٣ ـ الخط الديموطيقي (الخط الشعبي) ٨٠٠ ق٠م ـ ٣٨٩ م

اطلق عليه الفراعنة اسم (موت رم ن كيمي) أي لسان أهل مصر • ظهر في أواخر الاسرة الخامسة والعشرين بدأ استعماله في صعيد مصر ، وكان أول ظهوره في مدينة اخم مين ـ تيربوليس

اخميم . وانتشر منها الى جميع انحاء الوادى فى الاسرة ٢٦ . وصارت اللغة الديموطيقية المشتقة من اللغة الهيروغليفية هى اللغة المتداولة فى الامة وخاصة فى الآداب والفنون والعلوم ، وانتقلت منها لتحل محل اللغة الهيراطيقية فى المخاطبات الرسمية . واقتصرت الكتابة الهيروغليفية على الامور الدينية والعلوم المقدسة .

والخط الديموطيقى بدوره اختزال للخط الهيراطيقى ولكنه يختلف عنه فى قواعده ، لان الاشارة الواحدة يعبر عنها بأكثر من شكل ، كما انها خضعت للكثير من التطور ابتداء من ظهورها حتى اواخر عهد البطالسة حيث تفنن الكتاب فى رسم خطوطها وتشكيل نقوشها وأساليب انتسابها بل ولهجات نطقها حتى أصبح من السهل تحديد العصر الذى تنتمى اليه كل مرحلة من مراحل تطورها .

ويصف المؤرخون فى تاريخ اللغات ، اللغة المصرية التى كتبت بالخط الديموطيقى باللغة الشعبية أو العامية الدارجة .

الخط السينائى

١٥٠٠ ق.م - ١٠٦ م

يعتبر أصلا لكل الابجديات . نشأ فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد عن اختزال المقاطع الهيروغليفية والاكتفاء بالحروف الاولى من أسماء الصور التى تعبر عن المعنى كما هو الحال فى الكتابة الهيروغليفية والهيراطيقية . من هذه الحروف تكونت الابجدية السينائية من ٢٢ حرفا . ثم انتقلت تلك الابجدية المبسطة عبر سينا بواسطة القبائل الرحل الى البلاد الاسيوية ثم الى اليونانية وبالاصل الى جميع الابجديات الاوربية .

كما ان الكتابة السينائية كما هو ثابت فى تاريخ الكتابة ، أصل الكتابة الارامية التى أخذت عنها الكتابة النبطية - أصل الخط العربى - ويضم وادى المقطب فى سينا آثارا للنقوش النبطية واليونانية والعبرية والعربية تعود الى فجر التاريخ المسيحى ، وتعبر تعبيرا حيا عن قنوات الاتصال بين تلك الخطوط .

وللنقوش القبطية أهمية خاصة تؤكد صلات مصر العربية اذ ان الاقباط هم عرب هاجروا من شبه الجزيرة العربية عام ٥٠٠ ق.م ، وارتبطوا بسكان سينا

- كما عاشت الدولة النبطيه حتى عام ١٠٦ م . وقد توصلت الابحاث التى قام بها فلندريترى عام ١٩٠٤ فى مناجم النحاس والفيروز فى سينا واهمها ماوجد بين القاص معبد حتحور ، الى اكتشاف ٢٢ حرفا مشتقة من الحروف الهيروغليفية والهيراطيقية ، كما توصلت الابحاث التى قام بها جاردنر الى كشف العلاقة بين الخط السينائى والخط الهيروغليفى من جهة والعلاقة بين الخط السينائى والخطوط السامية من جهة اخرى .

٥ - هيروغليفية بيبلوس

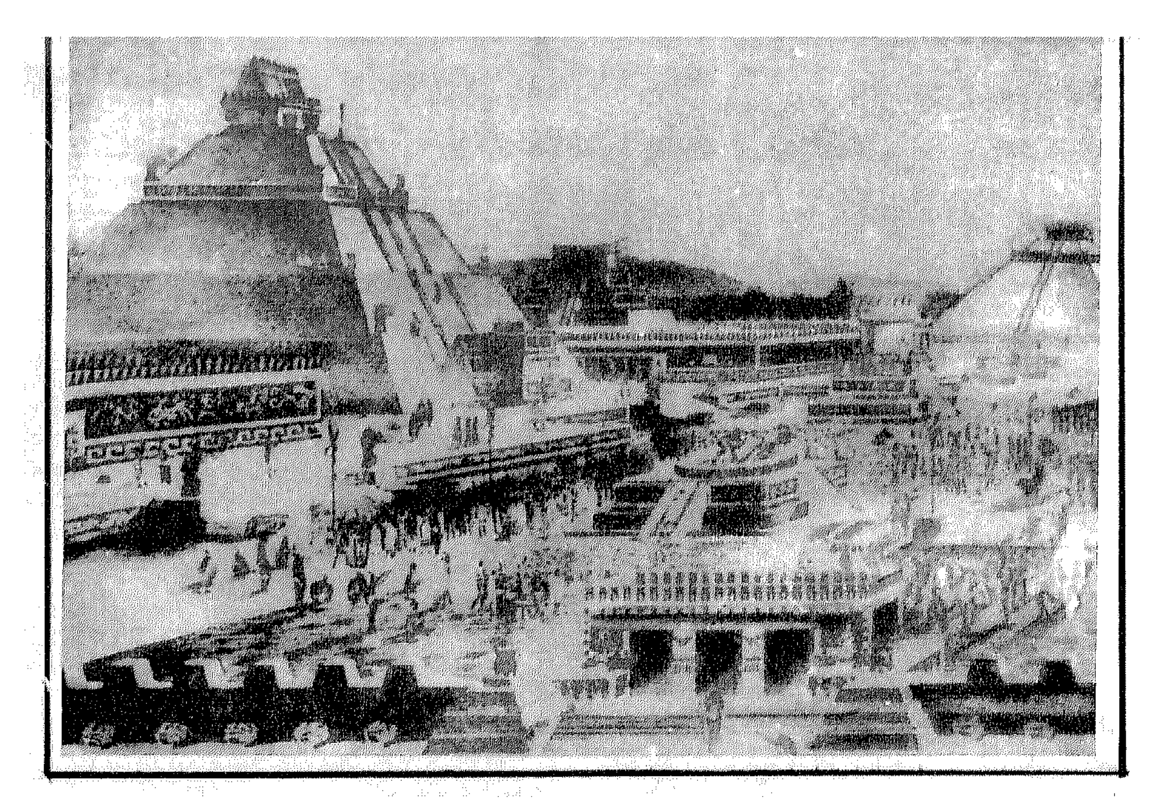
١١٠٠ ق.م

استعمل الفينيقيون الكتابة المسمارية حتى وصل الفراعنة الى شواطىء فينيقيا (بيبلوس وصيدون) التى امتدت اليها حدود الامبراطورية المصرية فى الدولة الحديثة فاستبدل الفينيقيون كتابتهم المسمارية فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد بكتابة جديدة مستمدة من الهيروغليفية والهيراطيقية المصرية واقتصرت على ٢٢ حرفا كأبجدية الخط السينائى وأطلق عليها اسم هيروغليفية بيبلوس وقد ساعد على استبدالهم الكتابة المسمارية بالحروف الهيروغليفية زيادة علاقاتهم التجارية بين موانى بلادهم والموانى المصرية واختلاطهم بسكان الشواطىء الشمالية لمصر فى العصر المتاخر فأدخلوا الكثير من الاسماء والكلمات المصرية فى لغتهم كما نقلوا نظام الحساب والأرقام الهيروغليفية التى استبدلوا بها أرقامهم المسمارية الاصل . ثم انتقلت ابجديتهم وفن كتابتها التى نقلوها عن المصريين الى بحر ايجه ومنه دخلت الى بلاد اليونان ثم اضاف الاغريق بعض التعديلات فى أشكالها وخاصة ما أدخلوه عليها من الحروف الديموطيقية ونقلوها الى ايطاليا فقام الرومان بتعادل أشكال بعض حروفها خاصة أثناء الحكم الرومانى لمصر وعلموها لقبائل البرابرة الذين يستوطنون غرب أوروبا ، وهم أجداد الاوروبيين الحاليون .

٦ - هيروغليفية مورى

٧٩٥ ق.م

ظهرت الحضارة الكوشية فى مروى جنوب وادى النيل وهى التى أطلق عليها



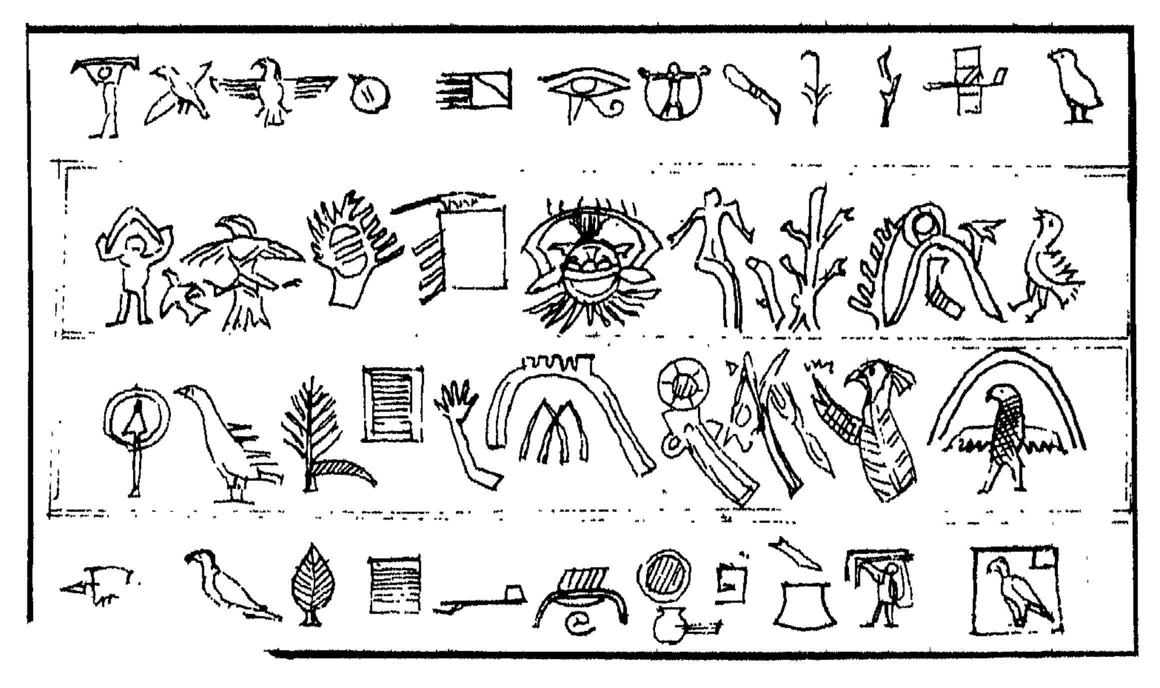
أهرامات ومعابد مدينة كوبان احدى مدن حضرة المايا الامريكية

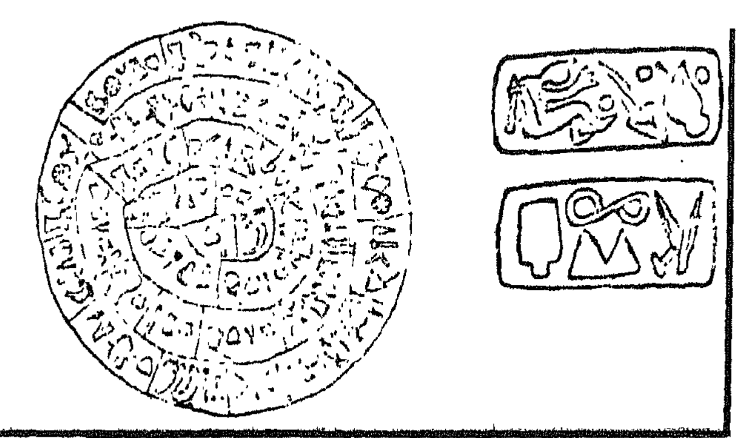
المؤرخون بالخطأ اسم الحضارة الاثيوبية نقلا عن مؤرخى الاغريق القدماء ٠

كما أطلقوا على غزوهم لمصر اسم الغزو الاثيوبى ٠ وكوش اسم اطلقه المصريون القدماء على بلاد النوبة العليا (السودان) وكانت عاصمة بلادهم فى الدولة القديمة « كرما » انتقلت فى الدولة الحديثة الى « نباتا » جنوب الشـلال الرابع وكانت تعتبر مركزا هاما لعبادة الاله « آمون » أو العاصمة الثانية للاله آمون بعد طيبة

وتمتد حدود بلادهم الى أعالى النيـل والحبشة والصومال ٠

هيروغليفية المايا
نموذج رموز ونقـوش كتابة شـعوب المايا الامريكية « داخل الاطار » وما يقابلها ، ويماثلها من الحروف الهيروغليفية المصرية القديمة خارج الاطار »





هيروغليفية كريت
لوحات اقراص الاختام المقدسة

وينحدر ملوك نباتا من أصل كهنة معبد طيبة الذين هاجروا فى عصور الاضمحلال الى نباتا وأعلنوا انهم سادة بعد أن صاهروا أهل البلاد وجعلوا من نباتا العاصمة الثانية للاله وعباداته .

ولم يكن للغة مروى كتابة أو نقوش فكانت لغة منطوقة فقط ، الى أن بدأوا يحاولون وضع نقوش لها نقلوها عن المصريين وذلك لكتابة اسماء ملوكهم وتخليد اعمالهم ، واطلقوا على الخط الهيروغليفى المستعمل فى تلك المناسبات « بالخط التذكارى » . ثم بدءوا فى وضع ابجدية لكتاباتهم العامة بعد فتح حدودهم مع مصر واعتبار انفسهم جزء لا يتجزأ من شعب وادى النيل .

وابجدية الكتابة العامة خليط من الحروف الهيروغليفية المبسطة والحروف الديموقراطية وانحصرت فى ٢٣ حرفا لاغير بعد استبعاد الرموز المقطعية والاشارات المعنوية المصرية ، وقد اضافوا الى كتاباتهم بعض الحروف المتحركة لتوضيح معانى الكلمات ونطقها بطريقتهم الخاصة . ولا تزال لغة مروى يكتنفها الغموض فقد امكن نطق كلماتها وأسماء الملوك والاماكن ، ولكن أصول اللغة لا تزال غامضة ، ولم يتمكن الباحثون من معرفة الا عدد قليل من الكلمات التى وجدت أصولها فى اللهجات النوبية والسودانية والحبشية الحديثة . ويرجع اكتشاف لغة مروى الى عام ١٨٢٠ وقام بتفسيرها العالم البريطانى جريفث عام ١٩٣٠ .

٧ ـ هيروغليفية الحتيين
٧٠٠ ق٠م

كانت اللغة الحتية ـ احدى اللغات السامية الاسيوية تكتب بالخط المسمارى مع بدء ظهورها فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، الى أن ظهرت كتابتها التى أطلق عليها هيروغليفية الحتيين فى القرن السابع قبل الميلادلتشابه حروف كتابتها مع الهيروغليفية المصرية وخطها الهيراطيقى الكرسيفى .

وقد وجدت بعض لوحات الحتيين ضمن « رسائل العمارنة » نقشت بالخط المسمارى والخط الهيروغليفى باللغة الحتية نتيجة للعلاقات السياسية بين الحتيين وغيرهم من البلاد الاسيوية بمصر فى الدولة الحديثة مما كان من أهم العوامل فى استبدال الكتابة المسمارية بالخطوط المصرية سواء الهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية .

كان الفضل فى اكتشاف الكتابة الحتية وفك رموزها للعالم البريطانى سايس عام ١٨٧٠ وهو الذى اطلق عليها اسم « هيروغليفية الحتيين » .

لقد بقيت اللغةالحتية المكتوبة بالخط الهيروغليفى من الالفاظ الغامضة فى تاريخ اللغات القديمة حتى عام ١٩٤٧ عندما اكتشف العالم الالمانى بوسهارت فى حفريات تلال صيدون لوحة ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد كتبت نصوصها بالخط المسمارى والهيروغليفى الحتى وهيروغليفية بيبلوس أمكن منها قراءة بعض الاسماء وتفسير كثير من الكلمات ويعتبرها الاثريون كحجر رشيد الذى كشف لغز اللغة المصرية القديمة .



تماثيل العمالقة التى تحرس شواطىء الجزيرة
وتستقبل شروق اله الشمس

احدى لوحات هيروغليفية جزيرة ايستر



نموذج للخط القبطى الذى حل محل الخطوط المصرية القديمة يجمع بين الحروف اللاتينيـة والديموطيقية .

٨ - الكتابة المصرية والحضــارات الامريكية القديمة .

لقد كان لرحلات الفراعنة المشـهورة عبر البحـــر الابيض والمحيـط الاطلسى غربا ، والبحر الاحمر والمحيط الهـادى شرقا ، التى وصلوا خلالها الى الشواطىء الامريكية وجزر المحيط الهنـــدى - أثر كبير فى نقل الكتابة ونقوشها الى البلاد التى تركوا بصمات حضارتهم عليها .

من أحـدث المفــاجآت التى واجهت الباحثين فى حضارات المايا والزوزتيـك الامريكية القديمة عند محاولتهم الكشف عن أصل لغاتهم وحصر نقوش رموزها - وجود كثيرمن نقوش الحروف الهيروغليفية والديموطيقية واشاراتها المعنوية ، مما أكد العلاقة الوثيقة بين تلك الحضـارات والحضارة الفرعونية التى انتقلت اليهـا خلال الدولة الحديثة وفى أعقاب العصر المتأخر ، كما سبق شرحه فى بحث « من ٢٠٠٠ سنة قبل كولومبوس استكشف الفراعنة امريكا » .

وتقوم حاليا كثير من معاهد البحـوث والآثار العـــالمية بمتــابعة ذلك الخيط الهادى كشعوب جزر هـاواى والبولينيز والماورى عن طريق كشف لغاتهم ولهجاتهم وخطوط كتاباتها للتوصل الى اكتشـاف الحلقة المفقودة التى تربطهم بالفراعنة عن طريق لغاتهم وخطوط كتاباتهم بالكتابات الهيروغليفية بمختلف خطوطها .

من آخر المفاجآت التى كشـفتها تلك الابحاث ، اللوحات الخشبية التى وجدت مدفونة فى كهوف جزيرة الربيع (جزيرة الايستر) احدى الجزر النائية بالمحيط الهادى - وتعتبر من الالغـاز التى حيرت الاثريين والمؤرخين بما اكتنفها من غموض عندما اكتشفها لاول مرةالاميرال روجيفين الهولندى يوم عيد الربيـــع عام ١٧٢٢ فأطلق على الجزيرة اسم جزيرة الربيع ، وهو الاسم الذى تعرف به الى الآن .

وهى جـزيرة بركـانيـة لا يزيد عـدد سكانها عن مائة وخمسين ســاكن من أصــل بولينيزى قديم ، ويطلق عليها سكان جزر المحيط اسم جزيرة الشياطين التى يسكنها العمالقة حيث تمتلىء أرضها ويحرس شــــواطئها عشرات التماثيــل الضخمة المتماثلة فى الشكل ، صنعت من صخور اللافا البركانية الصـلبة ويبلغ بعضها عشرين مترا ووزنهـــا يزيد عن الخمسين طنا ، ويطلق ســكان الجزيرة على تلك التماثيل اسم « الهة الاجداد »

اندثرت الكتابة المصرية القديمة وخطوطها الهيروغليفية المختلفة لتتحـول الى لغز غامض طوال خمسة عشر قرنا حتى ظهر حجر رشيد الذى يحمل مفتاح ذلك اللغز « الهيروغليفى » الذى تحول بدوره الى مفتاح لتفسير أكثر من لغز من ألغــاز الحضارات القديمة والحـديثة التى كان للخط الهيروغليفى الفضـل فى نشـأة كتابة لغاتها والتى أطلق عليها المؤرخون اسم الهيروغليفية نسبة الى مصدرها .

على البعد أحلى

● د . عبد الحميد محمود ●

لمـــاذا إذا ما نظرتُ ... أراكِ على البُعـد أحلى !
ضياء الكواكب يخبــو إذا ما ضياكِ أهلاً !
تفرّدتِ بين النجـوم مكانا ، وروحا ، وشكلا !

●●●

أنا من أحبّ الرحيلَ فسافر صبحا وليلا !
يفتش عن سر تلك المدائن أيان حلا !
فلم يفهم السر إلا لديك .. وما كان سهلا

●●●

حبيبة قلبى أريدك للقلب بعضا وكلا ..
أنا منك .. نسى فتاك إليكِ ... وردّ به كهلا !
ليحمل فى الفجر آمال حبك حملا ، فحملا ..

●●●

توضأت فى ماء نيلك من يوم أن كنت طفلا ..
تنفست عطرك ألفا ... تنفست مجدا وأصلا
وحين حزنت حزنت ومزّقت حزنك قتلا ..
وحين بسمت بسمت وأشبعت قلبك وصلا

●●●

أشدّ الرحال ، ولكن أعود كما كنت قبلا ..
شوقا إليكِ ، فمالى أراكِ على البعد أحلى !

رائد الشعر الجديد
في فجر الرحيل المفاجئ

باق.. ما بقي للخلد
شعر وفكر

.. عاش كالحلم المفعم حبا ، وسماحة ، وعطاء ..
وراح كالطيف في وسن الفجر ، في أحزان الرحيل المفاجيء ! ..
هكذا كانت حياته ، وهكذا كان .. : رائد تيار الشعر الجديد ، شاعرنا الراحل صلاح عبد الصبور ..
كان وداعه الاخير للدنيا خفقة في قلب العصر ، تعجلا ، وخفا ..
وكانت حياته أسطورة حب وملحمة باهرة تصطدم بالواقع على غير موعد وانتظار ! ..
ميلاده عام ١٩٣١ ، نشأته ، طموحه ، دراسته ، تخرجه في كلية الآداب جامعة القاهرة ، قسم اللغة العربية ، حياته بعد التخرج ، عمله في التدريس وفي الصحافة ، وفي الادب ، وفي ميادين الثقافة .. ودواوينه ومسرحياته ، ومقالاته ، ومناصبه التي اسندت اليه ..
كان هو كل ذلك ، وكان في كل ذلك الشاعر والانسان والفارس في تواضع ونبل ، يمثل عمق المعرفة والموهبة ، ويغدق عطاءه من الشاعرية الخصبة والتجربة ، والفكر المنير ..
ومن عطاء هذه الموهبة ، تبقى للاجيال دواوينه ومسرحياته :
الناس في بلادي ـ أقول لكم ـ احلام الفارس القديم ـ الابحار في الذاكرة ـ بعد ان يموت الملك ـ كتابة على وجه الريح ـ انتظار الليل والنهار ـ شجر الليل ـ حتى نقهر الموت ـ ليلى والمجنون ـ مسافر ليل ـ الاميرة تنتظر ـ مأساة الحلاج ـ ماذا يبقى منهم للتاريخ ـ قراءة جديدة لشعرنا القديم ـ رحلة الضمير المصري ـ و .. حياتي في الشعر ..
الآن (١) في قلب كل قاريء ، كل عاشق للشعر والفكر والادب ، فجيعة لا تنتهي ..
في مثل هذه الايام من عام ١٩٦٤
وقبل الرحيل المفاجيء ، ومنذ سبعة عشر عاما ، قال صلاح عبد الصبور ، كأنما يتنبأ ، أو يودع ، أو يشير الى موعده في عمق الغيب ، الاغيب ..
في اغنية للشتاء :
ينبئني شتاء هذا العام أنني أموت وحدي ..

(١) .. ((والهلال)) ماثل للطبع ..



ذات شتاء مثله .. ذات شتاء !
ينبئني هذا المساء ، أنني أموت وحدي
ذات مساء مثله ، ذات مساء ..
وأن أعوامي التي مضت ، كانت هباء
وأنني أقيم في العراء ! ..
ينبئني شتاء هذا العام أن داخلي
مرتجف بردا ..
وان قلبي ميت منذ الخريف !
قد ذوى حين ذويت ..
أول أوراق الشجر ..
ثم هوى ، حين هوت ..
أول قطرة من المطر ! ..

أليست هذه نبوءة للنهاية قبل الرحيل المفاجيء ..

لقد خلق صلاح عبد الصبور فنانا وعاش فنانا ، وراح منا في ليل الحـزن شاعرا ، فنانا وانسانا نبيلا ..

ولقد استطاع الشاعر ، والفارس النبيل أن ينغم حياتنا ، وأن ينظم حيـاة نفوسنا ومشاعرنا وواقعنا ، في « أعمال لها ديمومة الفن ، وقدرته اللامتناهية على التجدد ! »

ولكنه تعجل الرحيل ، على غير انتظار

مسافر الليل ختم الرحلة فجأة ، في فجر اليوم الحزين ـ الثـالث عشر من أغسطس الذي ذهب ..

راح الشاعر الفنان ، رائد الشعر الجديد ، راح في الخمسين من سني حياته القصيرة ، كما راح المتنبي ، وكما مات على محمود طه ، وابراهيم ناجي ، ومحمود حسن اسماعيل .

وكما مات من قبل ملوك النغم الشعري وأمراء القصيد ..

الآن .. لقد رحل عن دنيانا صلاح عبد الصبور ..

هذا حق ..

وحق أيضا انه بيننا عظيم الوجود ، باق ما بقي للخلد شعر ، وفكر ، ومثال من الخلق الرفيع .. !

(نصر الدين ....)



● د . محمد عبد المنعم خفاجى ●

زار عبد اللطيف البغدادى الرحالة العربى المشهور (٥٥٧ ــ ٦٢٩ هـ) مصر عام ٥٨٧ هـ ــ ١١٩١ م ، ونزل فى ضيافة حاكمها العظيم صلاح الدين الايوبى، وألف عن رحلته الى مصر كتابه المشهور «الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » ·

ويقص البغدادى قصة رحلته الى مصر (١) فيقول : توجهت الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضى العسكر ، فانبسط الى وأقبل على ، وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب ، فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين ،فوجدته يكتب كتابا الى الديوان وقال : قوموا بنا الى القاضى الفاضل (٢) فدخلنا عليه ، فرايت شيخا ضئيلا ، كله راس وقلب ، وهو يكتب ويملى على اثنين وقال لى : نرجع الى دمشق ، ونجرى عليك الجرايات ، فقلت : اريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت الى وكيله بها ،فلما دخلت القاهرة جاءنى وكيله وهو ابن سناء الملك (٣) وكان شيخا جليل القدر ، نافذ الامر ، فأنزلنى دارا ،وجاءنى بدنانير ،ثم مضى الى أرباب الدولة ، وقال : هذا ضيف القاضى الفاضل ، فدرت عليه الهدايا والصلات من كل جانب ، وكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة (رسائل) القاضى الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية فى حقى ، وقمت بمسجد ابن الحاجب رحمه الله أقرىء الناس (٤) ·

***

كان سن البغدادى حين قدم الى القاهرة ــ الثلاثين ، وكان رجلا ذكيا عالما واسع الثقافة متعدد ألوان المعرفة ، بعيد الشهرة ذائع الصيت ، وكان ابن شداد قد اتصلت به شهرة البغدادى فأكبره وعرف منزلته ، وقدره حق قدره

ويصف البغدادى صلاح الدين فيقول: كان صلاح الدين قد هادن الفرنج ، وعاد الى القدس ، فقادت الضرورة الى التوجه اليه ، فأخذت من كتب القدماء ما امكننى وتوجهت الى القدس ، فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب محبة ، قريبا بعيدا ، سهلا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف · وأول ليل حضرته وجدت مجلسه حافلا بأهل العلم ، يتذاكرون فى أصناف العلوم ، وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ فى كيفية بناء الاسوار ، وحفر الخنادق ، ويتفقه فى ذلك ، ويأتى بكل معنى بديع وكان مهتما فى بناء سور القدس ، وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه ، وينقل الاحجار على عاتقه ،

(١) راجع كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة فى ترجمة للبغدادى ، ص ٧٠ من كتاب « مواكب الحرية فى مصر » تاليف محمد عبد المنعم خفاجى ، وكتاب عبد اللطيف البغدادى فى مصر ــ نشر المجلة الجديدة بالقاهرة ، وكتاب عبد اللطيف البغدادى لعبد السلام العشرى ، و ص ٧ جـ ٢ فوات الوفيات لابن شاكر ، ويذكر ابن شاكر ان البغدادى الف كتاب « اخبار مصر الكبير » ص ٨ جـ ٢ فوات · وكتاب البغدادى نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة ·

(٢) وزير صلاح الدين كان عالى المنزلة فى الدولة الايوبية ، وهو من عمد الحركة الادبية وروادها فى العصر الايوبى « ٥٢٩ ــ ٥٩٦ هـ » ــ راجع ص ٣٣٣ ــ ٣٣٧ جـ ٢ وفيات الاعيان لابن خلكان ·

(٣) من أعلام الادباء والشعراء والكتاب فى عهد صلاح الدين ، توفى عام ٦٠٨ هـ ·

(٤) جـ ٢ ص ٢٠٥ عيون الانباء لابن أبى اصيبعة

ويتأسى به جميع الناس : الفقهاء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب ، والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، فيأتي داره ، ثم يستريح ويركب العصر ، ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمله نهارا (٥) .

وحقا ما قال البغدادي ، فقد كان صلاح الدين محبا للعلم والعلماء ، أنشأ المدارس والجامعات ، وشجع العلماء والطلاب ، ويقول فيه السيوطي (٦) : انه رحل الى الاسكندرية بولديه الافضل والعزيز لسماع الحديث من الامام السلفي (٧) ولم يعهد ذلك من ملك ، الا هرون الرشيد ، فانه رحل بولديه الامين والمأمون الى الامام مالك لسماع « الموطأ » منه .

***

كان البغدادي نموذجا لرجل الفكر والمعرفة العربي في عهده ، فهو قد اتخذ من الوطن العربي في المشرق وطنا له ، فعاش بين بغداد والشام ومصر ، وهو قد كان دائرة معارف ، وصاحب أسلوب علمي فريد (٨) . وكان من العقول الممتازة في تاريخ الفكر العربي ، ونبغ في العلوم العقلية — الفلسفة — والطب والتاريخ والجغرافيا .

وقد ألف كتابا في تاريخ سيرته الذاتية ، ضاع مع ما ضاع من مؤلفاته ، وبقيت منه نصوص نقلها ابن ابي أصيبعة في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » في نحو خمس صفحات ... ومن هذه النصوص الباقية نعرف بعض المعلومات عن حياة صاحبنا .

في بغداد ولد موفق الدين عبد اللطيف البغدادي عام ٥٥٧ هـ : ١١٦١ م ، وشب بعد طفولته فأخذه أبوه الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري (— ٥٧٧ هـ) وكان يومئذ شيخ بغداد ، وهو صديق والده وزميله أيام الدراسة في « النظامية » ، وأحاله الانباري الى أحد تلاميذه ، وهو الوجيه الواسطي ليأخذ عليه العلم ، وبعد ذلك يرجع اليه . وأخذ البغدادي يدرس العلوم المختلفة على يدي الواسطي الضرير ويلازم حلقته في المسجد الذي يدرس فيه ببغداد ثم بعد ذلك عاد الى الانباري فتعلم على يديه ، وأخذ عنه مختلف علوم العربية ، وفي أثناء ذلك **أخذ الحديث والفقه على الشيخ ابن فضلان بمدرسة دار الذهب ببغداد ودرس الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها (٩) من مختلف العلوم العقلية وأكب على الغزالي وابن سينا وجابر بن حيان .**

وفي عام ٥٨٥ هـ : ١١٨٩ م رحل الى الموصل ، ولقي الكمال بن يونس ، وافاد من علمه في الرياضيات والطب ، وسمع بالسهروردي (المقتول عام ٥٨٧ هـ) وقرأ كتبه . وفي عام ٥٨٦ هـ رحل الى دمشق ، واجتمع بعلمائها ، والف وهو فيها كتبا كثيرة . وتوجه من دمشق الى القدس فزارها ثم الى عسكر صلاح الدين بظاهر عكا ، واجتمع هناك ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر ، وصاحب « سيرة صلاح الدين الايوبي » .

وهكذا كان البغدادي صورة رائعة للعقل العربي في عهد صلاح الدين — القرن السادس الهجري — وكان مهيبا رائعا جليلا ملما بمختلف العلوم الاسلامية والعربية والعقلية ..

***

وفي مصر نزل البغدادي في مسجد باب زويلة ، وتعرف بالحاجب لؤلؤ (١٠)

ويصف البغدادي صورا من حياة مصر الفكرية في عهد صلاح الدين ، فيقول : « كان قصدي في مصر ثلاثة أنفس : يسن السيميائي — أي الذي صناعته السيمياء وهي الكيمياء الخرافية — وموسى بن ميمون اليهودي ، وأبو القاسم الشارعي .

(٥) عن عيون الانباء أيضا
(٦) ٢ : ٣٦ حسن المحاضرة للسيوطي — المطبعة البهية
(٧) من ائمة العلماء والمحدثين ورائد مذهب أهل السنة في عصره ، عاش أكثر من مائة عام وتوفي عام ٥٧٦ هـ في الاسكندرية « راجع ٧٣/٢ قصة الادب في مصر »
(٨) ح و ط البغدادي — نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب تقديم د. سليمان حزين .
(٩) ٢٠٣/٢ عيون الانباء
(١٠) ١٩٤/٢ انباه الرواة للقفطي — تحقيق أبي الفضل ابراهيم ونشر دار الكتب المصرية .

ويقول عن يسن انه وجده مشعبذا كذابا ، يشهد للشاقاني بالكيمياء ، ويشهد له الشاقاني بالسيمياء ، فيقول عنه : انه يعمل أعمالا يعجز موسى بن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأي مقدار شاء !

وموسى بن ميمون اليهودي (١١) (٥٣٠ ــ ٦٠٢ هـ : ٣٠ مارس ١١٣٥ ــ ١٣ ديسمبر ١٢٠٤ م) يقول عنه البغدادي انه وجده فاضلا في الغاية ، قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا ، وعمل كتابا في الطب ، جمعه من الستة عشرة لجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى (١٢) •

وكان لابد للبغدادي أن يلقى صلاح الدين فتوجه اليه في القدس ، ولقيه فيها في أواخر رمضان من عام ٥٨٨ ك • وقرر له صلاح الدين ثلاثين دينارا في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق ، فرحل البغدادي الى دمشق في شوال من عام ٥٨٨ هـ وأكب على الاشتغال بالعلم ،وأخذ يقرىء الناس بالجامع الاموى • ويقول : انه كلما أمعن في كتب القدماء من اليونان ازداد فيها رغبة ، وفي كتب ابن سينا زهادة ، وتبين له بطلان الكيمياء •

وبعد شهور توفي البطل صلاح الدين في السابع والعشرين من صفر عام ٥٨٩ هـ : ٧ من مارس ١١٩٣ م وهو في نحو السابعة والخمسين من عمره (٥٣٢ ــ ٥٨٩ هـ) • ولما استولى الملك العادل على دمشق في ٢٦من رجب ٥٩٢ هـ سافر البغدادي الى مصر ، وأخذ يقرىء الناس بالجامع الازهر ، وذلك من أول النهار الى نحو العصر ، ووسط النهار وآخره يعلم طلابه الطب • ولم يزل على ذلك الى أن توفي الملك العزيز في المحرم من عام ٥٩٥ هـ (١٣) •

وظل البغدادي مقيما في القاهرة حتى عام ٦٠٣ هـ ، ثم رحل الى بيت المقدس ، وفيها انتهى من تاليف كتابه « الافادة والاعتبار » في العاشر من شعبان عام ٦٠٣ هـ ، وان كانت مخطوطة اكسفورد من الكتاب تذكر انه فرغ منه في رمضان عام ٦٠٠ هـ بمصر ، ويرى دي ساسي انه للتوفيق بين التاريخين يمكن أن يقال ان تحريره النهائي كان في القدس (١٤) •

ورحل من القدس الى دمشق عام ٦٠٤هـ حيث نزل بالمدرسة العزيزية بها ،واخذ في التدريس والتأليف ، وتميز في صناعة الطب ، وصنف فيه كتبا كثيرة وعرف به •

وفي عام ٦١٥ هـ رحل الى حلب، يدرس في جامعها ، ومن حلب قصد بلاد الروم وأقام بها سنين عدة • ثم عاد الى حلب في آخر رمضان من عام ٦٢٦ هـ ، حيث عاود التدريس والتأليف والاشتغال بالطب • وفي عام ٦٢٨ هـ رحل الى بغداد مسرح طفولته وصدر شبابه ، وبها توفي يوم الاحد ثاني عشر المحرم ٦٢٩ هـ : ٨ نوفمبر ١٢٣١ م (١٥) •

***

وترك البغدادي مؤلفات كثيرة تقارب المائتين ، ومنها مختصر للصناعتين وكتاب قانون البلاغة ، وكتاب شرح نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وكتبا عدة في المنطق والطبيعيات والالهيات والحكمة والسياسة والاخلاق • ولم يبق من تراثه شيء الا

(١١) راجع كتاب « موسى بن ميمون » تاليف اسرائيل ولفنسون ، نشر لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ عام ١٩٣٦ •

(٢) كان من اشهر فلاسفة اليهود في العصور الوسطى ، وكان ميلاده في قرطبة بالاندلس ، ثم رحل الى مصر فرارا من الاضطهاد لديني ، واقام بالفسطاط وذلك عام ١١٦٦ م ، وتزعم الطائفة اليهودية في مصر عام ١١٨٧ م ، واشتهر بالطب ، وأصبح الطبيب الخاص للايوبيين • ويقول فيه ابن سناء الملك :

اري طب جالينوس للجسم وحده ‏ ‏ ‏ ‏ وطب أبي عمران للعقل والجسم

ولما مات نقلت جثته الى طبرية بفلسطين فدفن فيها • وكتابه « دلائل الحائرين » مشهور ، ويناقش فيه ارسطو في نظرية قدم الكون وثبت أنه محدث •

(١٣) ٢٠٧/٢ عيون الانباء لابن أبي أصيبعة

(١٤) ص ١٥ من كتاب البغدادي نشر المجلس الاعلى للفنون والاداب •

(١٥) ٢٠٧/٢ و ٢٠٨ ابن أبي اصيبعة ، ١٥ و ١٦ البغدادي نشر المجلس الاعلى •

كتابان ، هما : مختصر فيما بعد الطبيعة ومنه نسخة في مكتبة تيمور (١١٧ حكمة) ، ونسخة في استامبول — والكتاب الثاني هو مقالة في الحواس ومقالة ثانية في المسائل الطبيعية ، ومنه نسخة في الاسكوريال (١٦) •

***

وفي كتاب « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » للبغدادى يتحدث البغدادى عن مصر والنيل وعن النباتات والحيوانات بأرض مصر ، وعن آثارها حديثا علميا دقيقا •

واعجبه ايما عجب اهرامات مصر فتحدث عنها ووصفها • ويقول : انه كان منها بالجيزة عدد كثير ، لكنها صغار ، فهدمت على يدى قراقوش الذي بنى القلعة على المقطم، وبنى السور المحيط بالفسطاط والقاهرة وما بينهما ، وكان فى عهد صلاح الدين ويتحدث عن قناطر الجيزة وانها من الابنية العجيبة وهى نيف واربعون قنطرة •

ويخص الاهرامات الثلاث بوصف طويل ، ويقول عنها : انك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها ، والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها ، وتخبر بحالهم ، وتنطق عن علومهم وأذهانهم ، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم ••

ويذكر آثار الوجه القبلى والمعابد العظيمة هناك ، وآثار مدينة مصر القديمة التى يقول عنها ، انك تجد فيها من العجائب ما يفوت الفطن المتأمل ، ويحسر دون وصفه البليغ المسن ، وكلما زدته تأملا زادك عجبا ، وكلما زدته نظرا زادك طربا ، ومهما استنبطت منه معنى إنبأك بما هو اغرب ومهما استثرت منه علما دلك على أن وراءه ما هو أعظم •

وتروعه الآثار القديمة روعة ما بعدها من روعة ، ويقول : واذا راى اللبيب هذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم عن الاوائل بأن أعمارهم كانت طويلة ، واجسادهم عظيمة ، أو انه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين ايديهم ، وذلك ان اذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة ، وتوفر العزيمة ، ومصابرة العمل ، والتمكن من الآلات ، والتفرغ للاعمال ، والعلم بمعرفة اعضاء الحيوان وخاصة الانسان ، ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ، ومقادير وضع بعضها من بعض • والحديث عنده عن آثار مصر حديث طويل وعجيب ••

***

ويقول البغدادى : وما زالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار ، وتمنع من العبث فيها ، والعبث بها ، وان كانوا أعداء لاربابها • وكانوا يفعلون ذلك لمصالح : منها لتبقى تاريخا يتنبه به على الاحقاب ، ومنها أنها تدل على شىء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم

ويذكر مقابر المصريين القدماء وعبث الاعراب وأهل الريف بها •

ويذكر فيضان النيل ، والحوادث الغريبة التى جرت فى مصر ،من المجاعات والازمات •

ويذكر ما كان يجريه هو وطلبته من التشريح على أجسام الموتى ، وفائدة ذلك العلمية (١٧) •

ولا ريب أن مكانة البغدادى العلمية وأهمية تراثه العظيم الخالد ،مما يستحق الوقوف عنده طويلا ، طويلا •

وفى الذكرى السبعمائة والخمسين لوفاة هذا الرجل العظيم نحييه ونحيى فكره المتقد وذهنه الخصب ، وعقله المستنير ،ونرجو ان يحتفل بهذه الذكرى القريبة ، احياء لتراثنا التليد •

---

(١٦) راجع ص ٢٠ و ٢١ المرجع السابق •

(١٧) راجع كتاب « البغدادى فى مصر » ، والنصوص فيه المنقولة من كتاب « الافادة والاعتبار » كثيرة ••

كريشنا مينون

سيرة حياة بركان

● محمد عبد الله الشفقى (*)

في الساعات الاولى صباح ٦ اكتوبر ١٩٧٤ مات كريشنا مينون في احدى مستشفيات دلهى اثر ازمة قلبية ، بعد ان عاش في الهند ، وفي قلب العالم الثالث ، وعلى المسرح العالمى ، ٧٧ عاما ..

كان يحس ان اجله قد دنا ، فهو لم يمرض فجاة وانما قضى السنوات الاخيرة على حافة الخطر ، ومن اخر الكلمات التى لفظها ماقاله لخادمه احمد على : ((اعطنى قدحا من الشاى ، وقد يكون الاخيرة !

وعندما اسلم الروح نعته رئيسة وزراء الهند السيدة انديرا غاندى في عبارات مؤثرة ، ربما كان اروعهـا قولها ((لقد خمد بركان)) !

وربما كان ((البركان)) اقرب الاشياء الى تصوير كريشنا مينون ، فقد كان بركان النشاط ، بركان التعبير بركانيا في غضبه .. بل ربما كانت هيئته تساعد على تأكيد هذه الصورة فالذين قابلوه لاينسون الوميض الحاد في عينيه ، وطوله الفارغ ، وتدفق الكلمات من شفتيه سواء كان يناقش ، او يخطب ، أو يعلق ..

كذلك كانت حياته العملية تسلك سلوك البركان الذى يثور فيصبح ملء السمع والبصر ، ويخمد فيكاد الناس ، ان ينسوا انه موجود ، فقد كان مينون ملء السمع والبصر وهو يكافح ويدعو الى استقلال الهند قبل عام ١٩٤٧ ، وكان ملء السمع والبصر وهو في الامم المتحدة ، ثم وهو وزير لدفاع الهند . ثم افل نجمه فجاة ، ولفترة ، بعد عام ١٩٦٢ ابان الحرب بين الصين وباكستان . ثم عاد . بعد صمت ـ ليبرز من جديد عضوا في البرلمان على صعيد الهند ومدافعا عن قضايا التحرر على صعيد دول العالم الثالث ..

ولان حياته كانت عاصفة جامحة فان الطريقة التى احرق بها جثمانه اخذت ايضا طابع العاصفة . فمن يموت في الهنود يحرق ، وامامه ان يحترق بالطريقة التقليدية المعتادة او بالطريقة الحديثة ، العاصفة : الحرق بالمحرقة الكهربائية : عندها يتحول الجثمان الى رماد في ثوان .. وقد تحول مينون الى رماد في ثوان ، وشاء محبوه ان يتم ذر رماده في ثلاثة اماكن : كاليكات مسقط راسه في جنوب الهند ـ شاطىء بومباى حيث عمل فترة وسط العمال الكادحين ومثل دائرتهم في البرلمان ـ كانيا كومارى وهى بقعة فريدة تعانق المحيط الذى تنساب مياهه لتعانق بدورها كل محيطات العالم .



كريشنا مينون

ولم يكن هناك افضل من هذه البقعة تقديرا لمينون مواطننا عالميا . اخذ صياد فقير جزءا من رماده في قنينة ودخل بقاربه البسيط الى اعماق المحيط . ولحظة ان نثر رماده فوق الموج المتلاطم حلقت طائرة واخذت تنثر الورد فوق الرماد ، تحية ووداع ! ..

وقد نعاه الكثيرون في الهند ، نعاه رئيس جمهوريتها ، ورئيسة وزرائها ، والوزراء والزعماء السياسيون ، والمفكرون ، والناس . بل نعاه العالم . واخذت صحف الهند ومجلاتها تنشر رسائل لقراء ينعونه . واتضح — بعد موته — ان له اصدقاء كثيرين ..

اما خلال حياته فلقد ((كسب)) اعداء كثيرين ، اذ كان من الطراز الذى لا يأبه برضى الناس او سخطهم ، الامر الذى جعل احد كبار كتاب الهند — خشوانت سنج — يقول وهو ينعيه « لقد كسب لنفسه اعداء كثيرين ، ويبدو انه لم يسمع ابدا بكتاب لديل كارنيجي اسمه « كيف تكسب الاصدقاء » .. وكتب هندى اخر ان التعارف الاول بين مينون وبين اى انسان ، كان بالضرورة تعارفا عدائيا ، قد يتحول بعد ذلك الى صداقة !

وقد يبدو ان مينون كان يعلم ذلك عن نفسه ، ويعلم ان حياته وآراءه تثيران جدلا ، فقد صاح يوما امام احد الصحفيين : « ومن اكون اذا لم اكن مثار جدل !! »

وكانت صداقته لنهرو وارتباطه به حدثا فريدا في حياة الرجلين وفى حياة الهند ... وقد قيل ان آراءهما كانت متماثلة لدرجة انه اذا عطس نهرو اصيب مينون بالتهاب رئوى !

وقد انعكست هذه العلاقة الحميمة ، وهذا التزاوج بين الافكار ، على سياسة الهند الخارجية (فلقد ظل مينون ، لفترة ، المتحدث باسم السياسة الخارجية للهند من فوق منابر الامم المتحدة ، ومنابر عدم الانحياز ، والقضايا الافرو — اسيوية) وعلى مسرح بعض القضايا الدولية . اكتشف نهرو مينون .

ولمع مينون في ظل نهرو ، غير ان الندية كانت طابع العلاقة بينهما . وهناك من نفى مؤخرا ان يكون مينون من النوع المتسلق الذى استند الى جدار نهرو العالى وعاش مستضيئا بنجم نهرو الساطع . ومما يؤكد الندية ان هناك من فكروا ان يكون مينون خليفة نهرو في رئاسة الوزارة .

كريشنا مينون

ولعل انبل لحظة فى حياة الصداقة التى دامت بين الرجلين كانت فى عام ١٩٦٢ ، وكان مينون وزيرا للدفاع فى وزارة نهرو . لقد نشبت الحرب بين الهند والصين وانتهت بصدمة لنهرو وللهند . وما زالت المقالات والأبحاث والكتب تصدر الى الآن محاولةسبر اغوار ما حدث ومتسائلة على عاتق من يقع اللوم ، وهل كانت الهند مستعدة أو غير مستعدة، وهل كانت الارهاصات السابقة على الحرب تبرر نشوبها ام لا.

وواجه نهرو هجوما عنيفا من رجال المعارضة ومن الكارهين ومن الحاقدين على الرابطة بينه وبين مينون .وهناك من طالب بتنحى نهرو الذى اتخذ القرار السياسى ، وهناك من طالب بعزل مينون . وقد ترك مينون الوزارة راضيا ، واحب أن يكون هو الذى يدفع الثمن . وقال مراقبون انه ضحى بنفسه من اجل نهرو،وانه آثر الصمت وعدم الخوض فى قصة ما حدث ، حتى مات . وقيل انه من اجل هذا لم يكتب مذكرات ...

ولماذا يكتب مينون مذكرات ؟ انه لم يؤلف كتبا فى موضوعات اخرى حتى يكتب مذكرات . كان خطيبا قبل أن يكون كاتبا ، وكانت المنابر ، لا الورق ، طريقه الى التعبير عن نفسه. ولعل اشهر خطاب القاه هو الخطاب الذى استمر حوالى ١٣ ساعة فى الأمم المتحدة عن قضية كشمير . وكان كريشنا مينون فى تلك الفترة مرهقا ، وقبل القائه للخطاب الشهير اعترض طبيبه فى الأمم المتحدة ، فكان ان استبدله مينون بطبيب آخر اعطاه حقنة تدفع القوة فى عروقه قبل القاء الخطاب . لعل مينون رفض أيضا أن يكتب مذكرات لأن الواقع والمستقبل — لا الماضى — هما شغله الشاغل . وفى هذا قال يوما (الصنداى تايمز ، نوفمبر ١٩٦٣) « الواقع ، انى أرى أن الحاضر والمستقبل وهما الشيء المهم بالنسبة لى ، ولذلك لا انساق الى ذكريات الماضى . »

كذلك كان مينون يرفض تذكر الماضى لانه احس دائما — حتى فى آخر ايامه — انه شاب ... وفى هذا قال « تقدمت بى السن ، لكنى لست كهلا، ولم .اصل الى الحالة الذهنية والجسمانية التى تجعلنى اكتب مذكراتى ! » .

ومن مفارقات الأقدار ان الرجل الذى لم يؤلف كتابا واحدا — رغم بلاغته وقدرته على التعبير وعمق ما مر به من تجارب — كان فى يوم من الايام مسئولا عن كتب السياسة والعلوم الانسانية فى سلسلة الكتب الشهيرة « بيليكان » بانجلترا !..

وهذا يقودنا الى ذلك الجانب غير المعروف كثيرا عن مينون : تجربته مع الكتب والنشر والصحافة . فخلال وجوده فى انجلترا طلب منه أن يشرف على سلسلة كتب عن قضايا العالم المعاصر . تصدر عن دار النشر الشهيرة « بودلى هيد » . ودخل مينون الدار بافكار جديدة ، فقد كان يريد طبع كتب جيب رخيصة الثمن تكون ، فى نفس الوقت ، ميسرة التداول فى وطنه الهند ... وعرض فكرته على الكثيرين ،واخيرا اقتنع بها « الين لين » وهو بدوره ناشر كبير . واستقال مينون « والين لين » من الدار السابقة « بودلى هيد » ليبدأ فى نشر اول كتب جيب « بنجوين — بيليكان ».

● كانت حياة كريشنا مينون العملية تسلك سلوك البركان الذي يثور فيصبح ملء السمع والعين ويخمد فتكاد الناس تنسى أنه موجود.

ومن أول الكتب التي نشرها مينون في سلسلة « بيليكان » كتاب لبرنارد شو ثم اختلف مينون « ولين » ، واستقال مينون وترك « لين » لينتزع واحدة من أكبر دور النشر « بنجوين » . لكن « لين » يعترف بفضل مينون قائلا ان نجاحه يرجع الى الهام مينون .

ترك مينون « بنجوين » الى دار نشر اخرى ــ « سيلوين أند بلاونت » ــ نشرت كتب نهرو « لمحات من تاريخ العالم » و « وحدة الهند » . وعشية استقلال الهند كافح مينون لانشاء دار نشر شهيرة أخرى ــ « ميريديان » ــ نشرت آخر كتب نهرو « اكتشاف الهند » .

كان هدف مينون في هذا الميدان كله : ١ ــ نشر كتب نهرو على أوسع نطاق خارج الهند ــ ٢ ــ تشجيع نشر كتب الجيب الرخيصة ٣ ــ معالجة القضايا الحيوية المعاصرة .

وفي ظله تم نشر كتاب عن انجلترا لزعيم عمالي بريطاني ، وكتاب عن التليفزيون ، وكتاب عن خطر الفاشية في أوروبا ، وكتاب عن اليهود (تأليف نورمان بينتوبيش) ، وكتاب عن نهرو لكاتب مسرحي من المانيا ــ عناوين نوردها لا على سبيل الحصر وانما المثال .

وبديهي ان الكتب والكتاب لم يكونوا شغل مينون الوحيد في لندن . لقد ذهب الى انجلترا وعاش فيها ٢٨ عاما . قضى عشرة اعوام منها في جامعة لندن ، ومدرسة لندن للعلوم الاقتصادية وكلية اخرى . ومن الاعلام الذين تتلمذ على يدهم هارولد لاسكي الذي يدين له مينون بفضل كبير . وربما كانت اكبر مهمة القيت على عاتق مينون خلال وجوده في بريطانيا هي الدعوة الى استقلال الهند . فمنذ عام ١٩٢٧ اصبح سكرتير « العصبة الهندية » وظل يشغل هذا المنصب عشرين عاما ، يعمل ليل نهار في « عرين الاسد » ويخطب ويناقش ، ويتصل ، ويجمع حوله بريطانيين تعاطفوا مع قضية الهند وطالبوا باستقلالها عن التاج البريطاني . واثر مينون على الحكومة العمالية للتفاوض مع الهند من اجل الاستقلال . وعندما استقلت الهند اصبح مينون مندوبا ساميا لبلاده في بريطانيا .

ولم يعش مينون لبلدة وحده اذن لا نحصر دوره في استقلال الهند ، وفي منصبه كسفير لها في بريطانيا ، وكوزير

دفاع ، وكعضو برلمان .

لقد قدر لمينون ان يتألق على مسارح اخرى : مسرح الامم المتحدة ، ومسرح عدم الانحياز ، والعالم الثالث ، والتضامن الافريقي الاسيوي . في الامم المتحدة شد اليه الأنظار متحدثا عن كشمير ، والحرب الكورية ، وقضية الهند الصينية ، وازمة السويس عام ١٩٥٦ . وفي هذا الصدد يروى كارانجيا رئيس تحرير مجلة « بليتز » ان جمال عبدالناصر قال يوما : لا اعرف ماذا يكون عليه شكل الامم المتحدة بدون كريشنا مينون .

فرض مينون نفسه داخل الأمم المتحدة للدرجة ان أروقتها صارت تتحدث عما سمي « بالدبلوماسية المينونية » ... وبالنسبة لعدم الانحياز فقد اسهم مع نهرو في صياغة هذه السياسة . وبالنسبة لقضايا العالم الثالث ، والقضايا الإفرو الاسيوية فقد كان مينون المدافع عنها في مختلف المنابر ، ولا ينسى الكثيرون تألقه في باندونج .

ثمة ما يربط بين مصر ومينون في مواقف كثيرة . لقد دافع عن قضاياها دفاعا مجيدا بلغ ذروته ابان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . وكان يعبر عن أماني مصر ومواقفها وهو في باندونج ، وفي مؤتمرات عدم الإنحياز ، ومنابر الأمم المتحدة ، والمؤتمرات الافريقية الاسيوية ، ومؤتمرات السلام . وكان قريبا من جمال عبد الناصر ، ويوم مات كان مينون اول من رثاه في اول حفل تأبين يقام في نيودلهي وكان ذلك يوم تشييع جنازته .

وظلت قضية الشرق الأوسط تشغله حتى وفاته . وقيض له ان يتابع ، قبل ان يموت ، الانتصار العربي في اكتوبر ١٩٧٣ ، وكتب ، مرحبا ومتفائلا ، مقدمة كتاب « الحرب الرابعة بين العرب وإسرائيل » الذى ألفه الكولونيل الهندي ب.ك. ناوايان ، الذي كان يوما ملحقا عسكريا للهند في مصر .

ثم كان ، وهو على فراش المرض الذي اسلمه الى الموت ، يسأل عن فلسطين ويقول للفلسطينيين انه ليس هناك من سيقدم لهم فلسطين جاهزة على طبق . كذلك أكد لهم ضرورة وحدة الهدف مع العرب .

كان مينون مفتونا بشرب الشاي ، وكان معدل ما يشربه في اليوم الواحد حوالي ثلاثين قدحا . وقد يتناول معه بعض البسكويت ويشكل هذا طعامه ، فلم يكن مينون يأكل شيئا يذكر . كذلك كان نباتيا لا يقرب اللحم . ويروى عنه ، عندما كان مندوبا ساميا للهند في بريطانيا ، ان اخذ سفير آخر يعدد مناقب اللحوم ومدى غناها بالبروتين ، وأنهى دفاعه بقوله « لقد خلق الله كل هذه الحيوانات من أجل البشر » . فكان أن رد مينون « لكن الله ، يا سعادة السفير ، قد خلق البشر أيضا ، فهل ترضى بأكل لحوم البشر ؟! »

كذلك لم يكن مينون يدخن اويقرب الخمر ، وكان بسيطا في حياته الشخصية ، وقيل انه اكتفى بحجرة بسيطة عندما كان سفيرا للهند وانه كان يستقل الاوتوبيس احيانا . لكنه في نفس الوقت كان حريصا على ان يحافظ على « مظهر الهند في بريطانيا ، فقد اشترى للسفارة العربات الفاخرة ، واختار لها المبنى الفخم . كذلك كان حريصا على أن يحيط وزارة الدفاع بالهيبة والمركز عندما كان وزيرا للدفاع ،



كريشنا مينون فى احـد المؤتمرات الدولية

فكان يسير فى موكب يحيط به الجلال.

وكان بسيطا فى ملبسـه دون ان يضحى بأناقته . ولعل الكشميريين يذكرونه بلباسه الابيض الشاهق البياض ، لباس القادمين من جنوب الهند . لكن ، قيل فى نفس الوقت انه كان يغير ملابسه ربما ست مرات فى اليوم .

تكتظ مكتبته بآلاف الكتب . لكنها تكتظ ايضا بلعب الاطفال ، فقد كانت هذه احدى هواياته ! كان يجمع اللعب التى تتحرك بالزنبرك ، او البطاريات ، او الكهرباء ، ويقضى الوقت يتفرج عليها ، ويحركها . وقال كاتب ان الدبابات والعربات والطائرات التى كان يلعب بها تحولت يوما الى اشياء حقيقية تصنعها الهند فى ميدان الانتاج الحربى . فعندما كان مينون وزيرا للدفاع يعزى اليه فضل الدعوة الى قومية الانتاج الحربى .

وكان مشهورا بعصاه التى ترافقه فى حله وترحاله . واشتهرت هذه العصا فى الأمم المتحدة لدرجة انه قيل ان مينون خطب يوما من فوق منبر الأمم المتحدة ثم غادر المنبر ونسى عصاه فكانت ان سارت عصاه وراءه !

كان غريب الأطوار ، يحيا ويتصرف بالطريقة التى يهوى ، وكثيرا ما يترك نفسه على سجيتها . من هذا انه كان يجلس على منصة الخطباء فى بعض الأحيان ويغمض عينيه ويميل رأسه ويبدو وكأنه أسلم نفسه للنوم . لكنه قد ينهض فجأة ليرد على نقطة أو يعلق على خطبة الخطيب .

وكان يشكل تحديا كبير اللمترجمين الفوريين ، فالكلام يتدفق من فمه كالشلال ، اذا تكلم الانجليزية انتقى الالفاظ البليغة وعكس فكرا وتأملا عميقين ، لكن بلكنة القادم من ولاية كيرالا . كان يتحدى المترجمين بسرعة كلامه ، وعمقه ، وقفزه من نقطة الى أخرى ، ثم يتحداهم أيضا بطول خطبه .

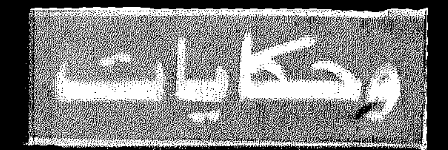
ولكن أكبر خطر شكله لهم هو أنه كثيرا ما كان يبتعد عن الميكرفون أو يعطى ظهره له فى قمة انفعاله فيتوه صوته من السماعات المثبتة على آذان المترجمين الفوريين .

وكان رائعا فى دعاباته حتى فى اواخر ايامه ، عندما هده المرض . فخلال سنواته الأخيرة زاره فى الهند لورد سورينسون وليدى سورينسون وهالهما حاله فسألاه : ماذا تفعل هنا؟ فأجاب : فى الهند قانون يقضى بالمحافظة على الآثار القديمة !

عـــودة !

● عبد المنعم الانصاري ●

املأ كئـــوس المُنى ياشعرُ من نبَـضى
واجمعْ لهـــا كُلَّ ما تهواهُ من رَوْضِ
واحمل إليهـــــا أغـــاريدَ الظنونِ إذا
رقَّتْ ودعني على جمر الأسى ، وامض !
وطفْ بمخدعهـــا عندَ الأصيل ... فان
رفّ المساءُ على شبَّاكهـــا الفضّي ..
وأقبلتْ في غـــلالات .. مُؤرَّقـــة
تبكي على صَدْرها المستكبر الغضِّ ...
وعربَد الشّوق .. فادخل دُونما وجَـل
، ضمّها ، ضمّ .. لا تخجل .. ولا تَغْض
ونمْ على صدْرها الحانى .. فان سألتْ
متَى هَبَطْنا من الفـــردوس للأرض ؟
وكيفَ عدنا إليه ؟ بعدما عَصَـــفت
بشوقنـــا لفحـاتُ الشكِّ والبغض ...
وكاد يخبو التّظى المجنونُ في دمنــــا
شوقا .. وكادَ الهوى المأسُور أن يقْضى .
فقلْ لها ، قصّةٌ كانت ... وما برحـــتْ
ظمأى لمـا في فــؤادينا من الومْضِ ..
منذُ افترقنا .. وبَعْضى ـ رغمَ غُربَتـه
وشَلّه ، لم يَزل يهْفُـــو إلى بعضى !



الشيخ والمسدس والقنبلة

آيات الله في ايران يسيئون الى الاسلام وامة الاسلام انهم يظنون ان الامم تبنى على الدماء ٠

والشيخ الذى نراه فى الصورة واحد من مجانين من يسمون انفسهم حزب الله ٠ انه الشيخ على سعيدى المدعى العام الذى يرسل العشرات الى الموت كل يوم باسم آية الله روح الله ٠ انه يخطب خارج البرلمان الايرانى ويطالب باعدام بنى صدر رئيس الوزراء الاسبق وكل من عمل معه ٠ فى يده اليمنى مسدس وفى يده اليسرى قنبلة يدوية وهو ينادى بالموت ، وأمامه شباب مهووس خرج عن أسلامه وعن انسانيته يصيح وينادى بالدم ٠٠

وداخل المجلس مهووس آخر هو الشيخ على أكبر مانفار وزير البترول الاسبق وعضو البرلمان ٠ انه يقول اننا اذا لم نطهر بالدم ايمان من الاشرار فان الشاه سيعود ودولة الكفر كما يقول ستحرق حزب الله وآيات الله ٠٠

والذى يحترق فى الحقيقة هو ايران وشعب ايران وايمان الصادقين من أهل ايران الذين لا يجرؤون وسط هذا الجنون الشامل على أن يقولوا كلمة ٠٠ وفى كل يوم يسوقون منهم عددا الى الموت ٠





ناس وصور وحكايات
الشيخ والمسدس والقنبلة

أخواننا فى أفغانستان يقاتلون وينتصرون

كيلا تتحول حرب افغانستان الى حرب نفسية ننشر هاتين الصورتين وتلك السطور .

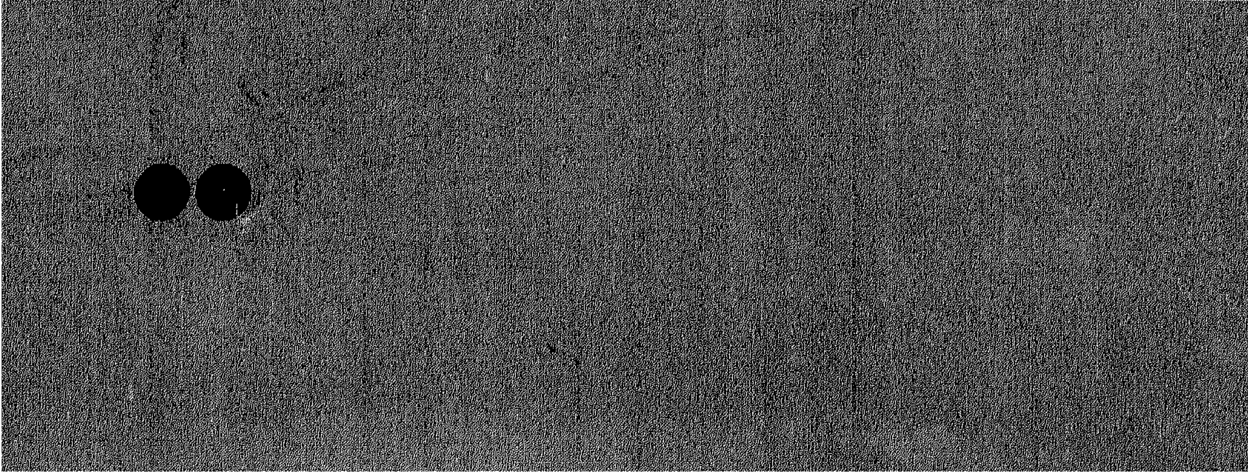
ان اخواننا احرار افغانستان يقاتلون بالاسنان والاظافر كما يقولون ،ويضعون العدو الغاصب الشيوعى الكافر وظهره للحائط وينقرون عليه ، لان الايمان يهز ويذل الجبابرة .

فى الصورة اليمنى نرى اسيرا روسيا بين ايديهم . انهم يبقون عليه ليرى الروس صورته ويعلمون انهم منهزمون ، ومهما فعلوا فلن يرغموا افغانستان على الركوع .

وفى الصورة اليسرى اسير روسى اخر ، يجلس ذليلا الى جوار مجاهد افغانى ، انه ذليل كسير ، ومثله فى ذلك مثل كل ظالم جبار حقت عليه كلمة الله ..

لا تنسوا اخوانكم فى افغانستان .

انهم يقاتلون أعتى أمة فى الارض وينتصرون .

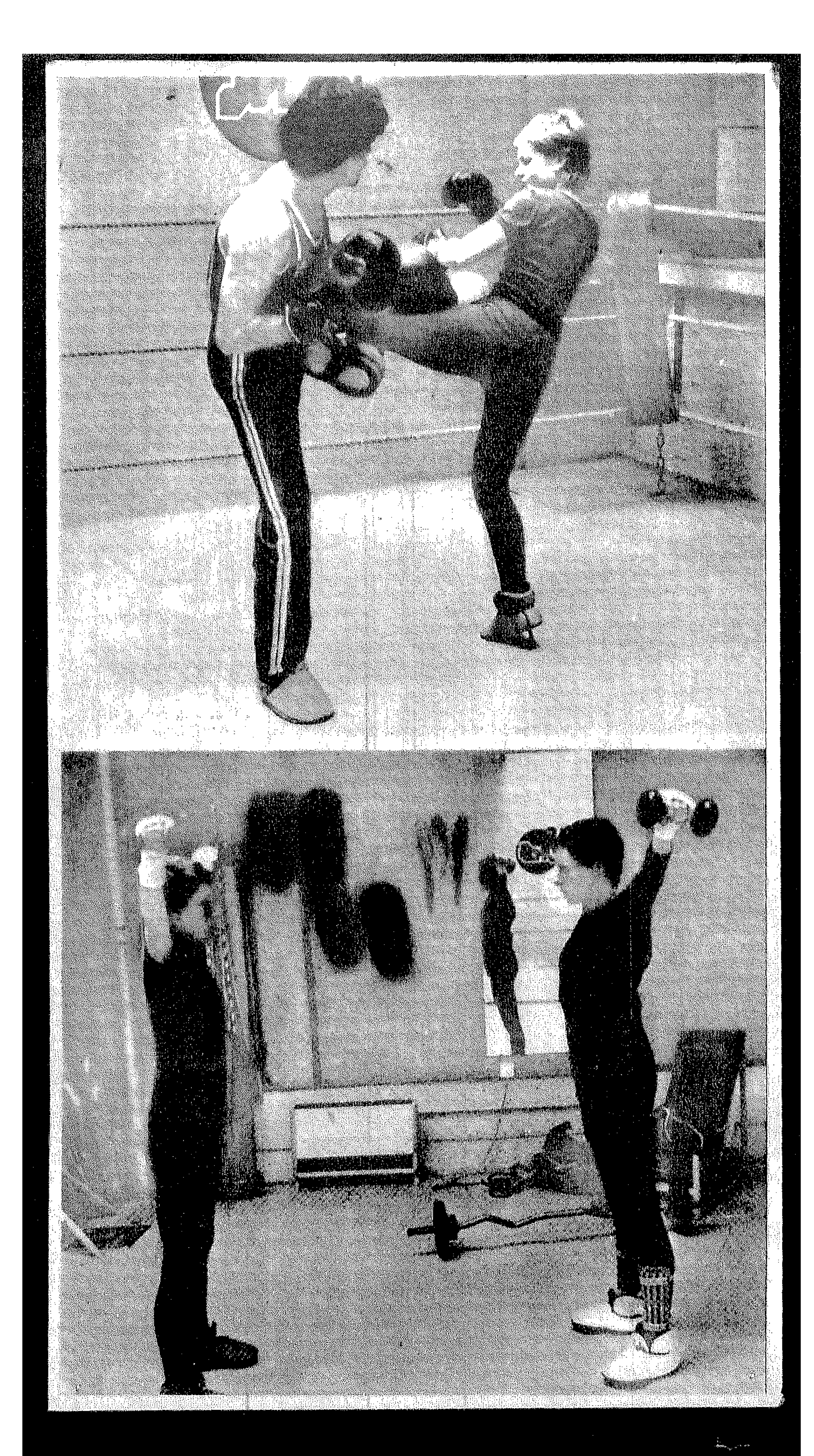


النساء يدخلن ميدان الحراسة الخاصة

فى السنوات الاخيرة انتشر جنون الاعتداء على الشخصيات الكبيرة بلا سبب فى أحيان كثيرة الا الجنون أو الرغبة فى الشهرة أو لنزوة طائشــة كما نرى فى حالات العدوان على البابا والرئيس ريجان . والدافع الرئيسى الذى يشـجع الشبان على ارتكاب هذه الجنايات هو لين القانون فنادرا ما يلقى المعتدى جزاءه جريمته . والذين قتلوا الشهيد يوسف السباعى لم ينلهم أى عقـاب ، والذى اعتدى على البابا يطالب بمحاكمته محاكمة سياسية ويهدد بالاضراب عن الطعام ولا شك ان ذلك يجرىء الناس .

لهذا أصبحت مهمة حراسة الشخصيات الكبيرة مسألة أساسية ، بل أصبحت حرفة يتخصص فيها الكثير من الشبان . فافتتحت معاهد لتدريب الحـراس على كل أنواع الدفاع من الملاكمة الى الجـودو الى اطـلاق النار السريع الدقيق . واستعمال المسدس فى ذاته صعب لان الذى يطلق النـار به نادرا ما يصـيب الهدف المطلوب ، ولهذا فهناك تخصص فى الاصابة الدقيقة السريعة « تسـمى شارب شوتينج » وقد دخلت النساء الميـدان والتحقن بذلك المعـاهد لتكن حارسات للنساء والرجال معا . وفى الصورة الكبيرة نرى فتاتين تتمرنان على الشارب شوتنج . وفى الصـورة اليمنى فتاة تتدرب على الدفـاع عن النفس بالجودو .

وفى الصورة السفلى نرى شـابين يتمرنان على حمل الاثقـال . ان الذين يعملون فى ذلك المهنة يتقاضون اجورا كبرى ولهذا يكثر التزاحم على ذلك العمل فان الاجر اليومى يصل الى ٣٠٠ دولار فى اليوم . وفى ايامنا هذه لا تستغنى شخصية كبيرة عن الحراسة حتى رجال الاعمال والممثلين ، بل هنـاك عائلات ، غنية تستاجر حراسا ليحرسوا الاولاد فى البيت وخارجه .





النساء يدخلن ميدان الحراسة الخاصة



الملكة تدخل السجن

ليست ملكة ذات عرش ، بل هي ملكة جمال ، اسمها سوزان انجلي • في سنة
انتخبت ملكة جمال فرنسا ،أى ميس-رانس ، وترى صورتها يوم كانت ملكة في
صورة • ولم تكن هـــذه الملكـــة على مستوى جمالها أو العرش الذى جلست عليه
ادفت رجلا فاسدا يهرب المخـــدرات واشتركت معه فى عمله ، وضبطت معه وحكم
لسجن ست سنوات وعليها بأربع • وفى الصورة الكبيرة تراها خارجة من قاعة
بعد الحكم عليها والى جوارها محاميها وفى الصورة ترى عشيقها والجنود يضعون
فى يديه • وظاهر من الصـــورة ان هذا العشيق نفسه انسان تافه بدون هيئة
صبية ، بل هو قبيح ، ولكن المسكينة وقعت فى حبه بقلة عقلها وذهبت معه في
قارن بين صـــورتها يوم كانت مس فرنسا وصورتها هنا ترى بعينك موعظة من
الحياة ، وهى أن الجمـــال وحده لابد ان يزينه العقل ، فهذه بنت جميلة
لكنها مجـــردة من الذكاء والذوق بلا شك والا ما صارت الى هـــذا المصير

الإنسانيَّة بَين جحيمين

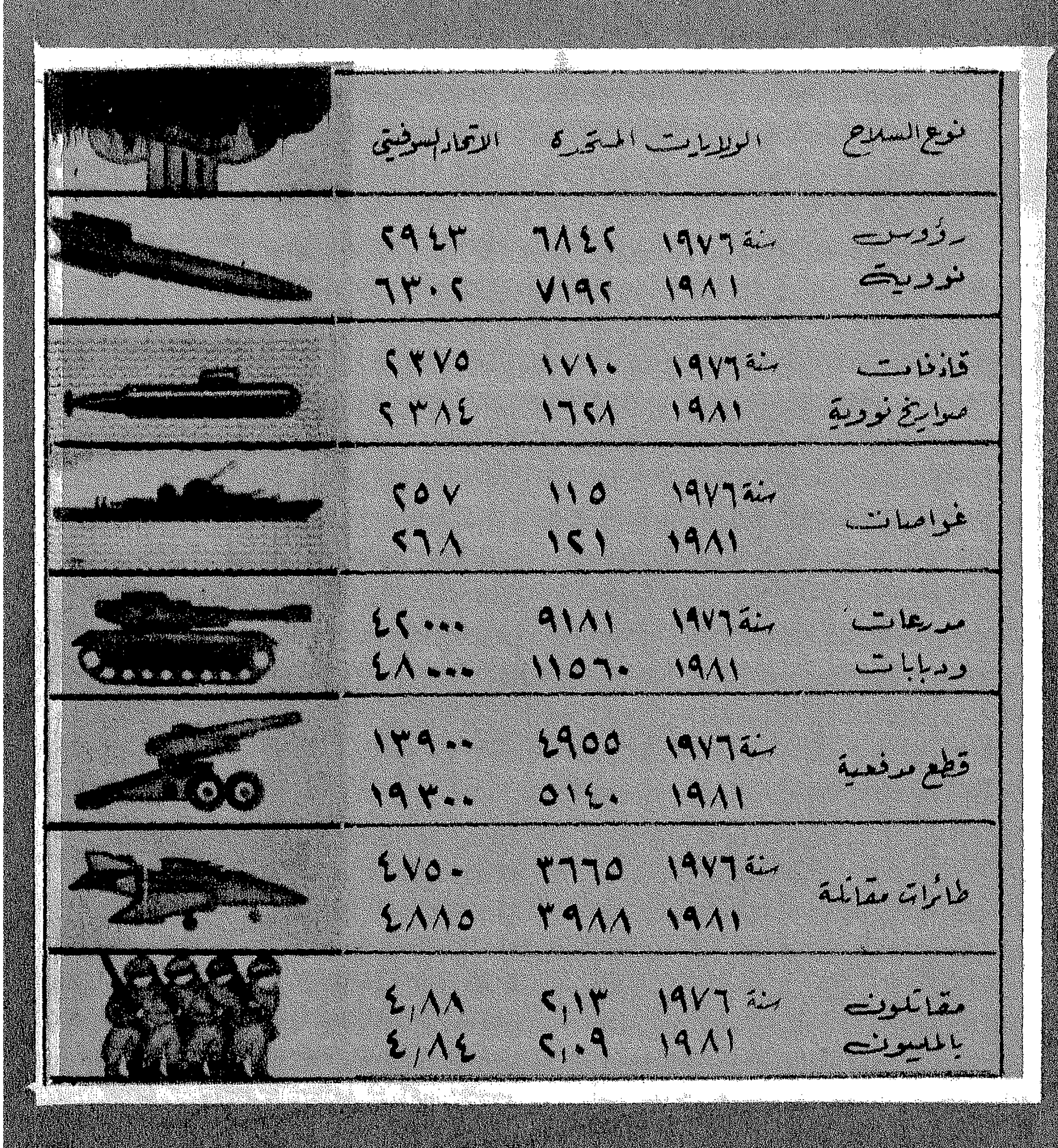
●●●

جحيم الروس من يمين وجحيم الامريكيين من يسار .

ونحن ، بقية الانسانية المعذبة نقف بين النارين ، لا ندري ماذا يفعل بنا هؤلاء أو أولئك .

والنار قد تشتعل اية لحظة . الروس بالذات يتربصون بالبشرية كانهم نمر يتربص وراء شجرة عند الماء في انتظار المخلوقات المسكينة التى ستاتى لترتوى .. والجدول التالى يبين لك بالارقام النار التى ستحرقنا اذا اشتعلت لا قدر له بين العملاقين . والجدول يقارن بين مائات ترسانات اسلحة الجانبين سنة ١٩٧٦ وما لديهما الآن .

●●●



نوع السلاح		الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
رؤوس نووية	سنة ١٩٧٦	٦٨٤٢	٢٩٤٣
	١٩٨١	٧١٩٢	٦٣٠٢
قاذفات صواريخ نووية	سنة ١٩٧٦	١٧١٠	٢٣٧٥
	١٩٨١	١٦٢٨	٢٣٨٤
غواصات	سنة ١٩٧٦	١١٥	٢٥٧
	١٩٨١	١٢١	٢٦٨
مدرعات ودبابات	سنة ١٩٧٦	٩١٨١	٤٢٠٠٠
	١٩٨١	١١٥٦٠	٤٨٠٠٠
قطع مدفعية	سنة ١٩٧٦	٤٩٥٥	١٣٩٠٠
	١٩٨١	٥١٤٠	١٩٣٠٠
طائرات مقاتلة	سنة ١٩٧٦	٣٦٦٥	٤٧٥٠
	١٩٨١	٣٩٨٨	٤٨٨٥
مقاتلون بالمليون	سنة ١٩٧٦	٢,١٣	٤,٨٨
	١٩٨١	٢,٠٩	٤,٨٤

لزوم ما يلزم أن تعرف عن :

عرابى والثورة العرابية



● مصطفى الشهابى ●

● وفى صباح يوم الاحد الثالث من ديسمبر سنة ١٨٨٢ صــــدر الحكم ــ المنتظر ــ باعدام عرابى وزملائه ... ولكن الانجليز لم يستطيعوا تنفيذه ، لانهم لم يملكوا الشـــجاعة التي ينفذون بها الحكم ولو على يد الحكومة المصرية وقتذاك !

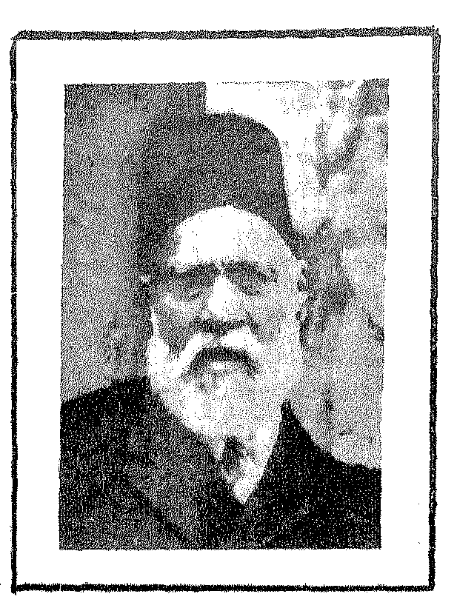
لذلك اردف رئيس المحكمة بتلاوة امر من الخديو باستبدال حكم الاعدام بالنفى المؤبد عن الاراضى المصرية ، وان يبطل هذا الحكم ويستبدل بالاعـــدام اذا ما عاد عرابى ، وطلبة ، عصمت ، و عبد العال حلمى ، ومحمود سـامى البارودى ، ومحمـود فهمى ، وعـلى فهمى ، ويعقوب سامى ــ الى مصـر او ملحقاتها ..

وقد استقبل زعماء الثورة الحـــكم بوجوم ، ولكن مستر برودلى المحـامى قطع عليهم سبيل التفكير فى مصيرهم عندما وفد عليهم فى السـجن وافضى اليهم بأن الاختيار قد وقع على جزيرة سيلان لتكون مأوى لهم ، وانه اغتبط شـخصيا بهذا الامر ، زاعما لهم ان سيدنا آدم لما هبط من الجنة نزل فى هذه الجزيرة !

وبعث عرابى فى نفس اليوم بوصيته السياسية لتنشر على صفحات جريدة « التيمس » ، وفيها يقول : « لما كنت من ابناء الذين يحبون بلادهم ، فقد بذلت كل مالى وسـعى لاجـــراء اصـــلاحات فى بـلادى ، ولـكن لسوء حظى لم يتح لى ان تتسم على يدى . وان جميع المصريين كانوا فى جانبى ، كمـا اننى وقفت نفسى على خدمة بلادى التى لن اتحول عن حبها الى نهاية حياتى ، فلذلك ارجـو الا تفتأ مصر تذكرنى الى الابد » .

وقد سر اغلب الحاضرين فى المحكمة ممن كانوا يتوقعون الحكم بالاعـدام ، ولذلك بادروا بتقديم التهنئة له ، بل وقدمت له بعض السيدات باقات مـن الزهور .

اما افراد الشعب المصرى فقدحمدوا الله على نجاة عرابى وزملائه من الاعدام ، وشهدت ليلة ٣ من ديسمبر أهل القاهرة يحتفلون خفية بنجاة عرابى مما كان محتملا ان يقع له. وقد تعمد أهل القاهرة ــ بقدر الامكان ــ أن يخفوا شعور الفرح تحت ستار الظلام وخلف الابواب الموصدة ولكن المحامى الانجليزى « برودلى » قد اثبت فى كتابه أنه تبين بأكثر من دليل أن ذلك الشعور كان عاما ومنبثقا من نفوس مخلصة صادقة ، وقد لاحظ أن الفقراء تعمدوا ارتداء احسن ما لديهم من ثياب وأن الأثرياء كانوا يوزعون الصدقات وأن الصلوات كانت تقام شكرا لله على انقاذ عرابى ، وان الذبائح كانت تنحر اظهارا لهذا الشكر ...



احمد عرابى

اما الخديو والاتراك والشراكسة فهم وحدهم الذين لم يشاركوا الشعب فرحته ، وكاد غيظهم من « التسوية » التى تمت بشأن محاكمة عرابى تنسيهم انتصارهم القريب العهد على العرابيين.

● الأمريكيون يفكرون فى خطف عرابى ! .

كان مستر « بومروى » القنصل الامريكى فى مصر أثناء الثورة العرابية ، شديد العطف على تلك الثورة ، وقد زار مصر يومئذ الجنرال « والاس » سفير أمريكا فى الاستانة ، وقد أبدى بدوره اعجابه وتقديره للحركة الوطنية المصرية بعد دراسة وافية لها .

وفى مساء اليوم الذى تمت فيه المحاكمة وصدر الحكم ، كان مستر برودلى المحامى الانجليزى عن عرابى مدعوا فى مطعم حديقة الازبكية ، الى عشاء اقامه القنصل تكريما للسفير ، وكان بين الحضور ، عدد كبير من الامريكيين ومنهم مراسل صحيفة نيويورك هيرالد .

وبطبيعة الحال كان عرابى هو محور الحديث وقد ذكر هذا المراسل أنه يفكر فى مشروع خاص بتسليم عرابى الى السلطات الامريكية . وقد أنصت الجميع الى هذا المشروع باهتمام وقد أشير فى ذلك الحديث الى جزيرة « فيجى » احدى المستعمرات البريطانية شرقى استراليا كمكان يمكن أن ينفى اليه عرابى واحتمال خطف الامريكيين له ، وجرأة بحارة السفن الامريكية الذين يحتمل أن يقوموا بخطف عرابى ، والاستقبال الذى ينتظر عرابى بعد وصوله الى الولايات المتحدة .

ولكن الاقدار شاءت ان ينفى عرابى الى سيلان لا الى جزر فيجى .

● مصادرة الاملاك والاموال :

وبعد أيام من صدور الحكم بالنفى ، أصدر الخديو توفيق أمرا بمصادرة أموال زعماء الثورة وحرمانهم من حق امتلاك أى ملك فى الديار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع وبيع املاكهم وتصفيتها تعويضا للمصابين فى الحوادث التى وقعت بسببهم .. كما صدر الامر بتجريدهم من الرتب والالقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين عليها ، ومحو أسمائهم من سجلات ضباط الجيش محوا مؤبدا .

وعاشت أسر الابطال المنفيين على معونات كان يقدمها لهم بعض محبيهم سرا ، وخاصة أسرة عرابي التي طرد أفرادها من بيت أبيهم ، الذى حول الى مستشفى للجرحى من الضباط الانجليز

● السفر الى سيلان :

وقبل أن يغادر الابطال المنفيون مصر تلقوا عددا من الهدايا التي كانت تحمل أسماء كثير من السيدات المصريات بينها بعض الحقائب والمصاحف وسجادة للصلاة وحقيبة كبيرة جدا ملأى بالثياب .

واصطحب عرابي الى منفاه في « سيلان » بعض أفراد أسرته ، وبينهم ابنه « محمود » الذى توفي سنة ١٩١٥ وابنه « ابراهيم » الذى مات عام ١٩٥٢ وبعض أحفاده .

وكبر « ابراهيم » في المنفى ، وهناك تزوج من فتاة تدعى « شارلوت » ، أسلمت وانجبت طفلا له اسمه « حنفى »

وفي مساء يوم ٢٧ ديسمبر ١٨٨٢ استقل زعماء الثورة مع عائلاتهم وأولادهم وخدمهم قطارا خاصا في ثكنات قصر النيل (ميدان التحرير) تحت حراسة مسلحة الى السويس ، حيث أقلتهم باخرة انجليزية اسمها « مريوتس » في صبيحة يوم ٢٨ ديسمبر قاصدة ميناء كولومبو بسيلان ، وكان يحرسهم فيها عشرون جنديا برياسة ضابط هو على قبودان كريدلى .

ولم يفت عرابي حين غادر شواطىء بلاده عام ١٨٨٢ أن يخاطبها قائلا « يا كنانة الله اصبري على الاذى ، لسينصرك الله آخر الامر » .

وقد حقق الله أمله حين ثارت مصر وطردت فاروق عن عرشه في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وحين عقد زعماؤها في ٢٠ اكتوبر ١٩٥٤ تلك الاتفاقية التي قضت بانهاء الاحتلال وجلاء جنود بريطانيا جلاء تاما عن مصر .

ومن سخريات الاقدار أن عرابي الذى كان يستطيع أن يجمع لنفسه مليون جنيه على الاقل ، لم يجد ما يشترى به ملابس لنفسه عند سفره ، وقد أرسل له بعض أصدقائه حقيبة ملأى بالملابس سرا قبل مغادرته القاهرة الى السويس .

وأبحرت الباخرة على الفور دون أن يسمح لاحد من المصريين بالصعود اليها لتوديعهم وبلغوا كولومبو فى ٩ يناير ١٨٨٣ .

● البارودى يصور ساعة الرحيل :

وقد صور الشاعر محمود سامى البارودى شعورهم ساعة مغادرة الوطن، في قصيدة عصماء من درره اليتيمة ، قال في مطلعها :

محا البين ما ابقت عيون المهامني
فشبت ولم اقض اللبانة من سنى
عناء ويأس واشتياق وغربة
الا شد ما القاه فى الدهر من غبن
ولما وقفنا للوداع واسبلت
مدامعنا فوق الترائب كالمزن

● الابطال فى سيلان

وفى سيلان عاش عرابي وزملاؤه بعيدا عن مصر لان بقاءهم فيها كان يعني شيئا واحدا هو تجدد الحركة الوطنية فى مرحلة اقوى من مرحلتها السابقة .

وهكذا استطاع الانجليز ان ينظموا الخطة الانتقامية التى وضعوها للحيلولة بين ابطال مصر وبين الاتصال باخوانهم وأصدقائهم ، ومواطنيهم ، فانقطعت صلتهم بالناس ، وطال اغترابهم عن الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين اهلهم وذويهم . وقضى المنفيون سنوات عديدة ينتابهم الالم والحزن والاستياء ، بينما كان شبحهم دائما يطارد الاستعمار والاقطاع والخونة .

وكان الشعب يتناقل كل يوم اشاعات جديدة عن عودة عرابى وتجدد الحركة الوطنية .

وعاش عرابى فى سيلان عيشة كلها ضنك حتى كان يدفع ايجار مسكنه على عدة أقساط ، وكل ذلك مثبت فى مفكرته الخاصة ـ وذلك لضآلة المبلغ الذى قررته له ولاسرته الحكومة المصرية كمعاش بعد توسط الحكومة البريطانية ، وكان نحو ١٩ جنيها شهريا ولذلك اضطر أن يقوم بتصنيع الزمردو الياقوت ، كما كان يفعل بعض أبناء سيلان يومئذ ، وكان هذا العمل يساهم فى أن يحيا هو وأولاده حياة كريمة .

كان مستر « بلنت » وزوجته اكثر الانجليز الاحرار عطفا على عرابى وأقربهم مودة اليه وقد وقف مستر بلنت الى جانب عرابى منذ بداية الثورة يؤيده ويسانده هو وقرينته « ليدى آن بلنت » حفيدة الشاعر « بيرون » ، كما انه عمل على أن يقوم بالدفاع عن عرابى محامون انجليز، بل ودفع من جيبه الخاص نفقات المحامى الذى دافع عن عرابى أثناء المحاكمة . كما جمع تبرعات من بعض الانجليز أيضا لهذا الغرض .

وبعد انتهاء المحاكمة والنفى الى سيلان قام مستر بلنت فى اكتوبر سنة ١٨٨٣ بزيارة عرابى فى منفاه ، وتكريما لعرابى فقد بالغ أهل ميناء كولومبو بالحفاوة به .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٣ زار كولومبو اثنان من اللوردات الانجليز ، أحدهما اللورد « روزبرى » وزير خارجية انجلترا يومئذ ، وهناك قابلا عرابى واستطلعا رأيه فى حركة المهدى بالسودان .

وعرض وزير الخارجية فى تلك المقابلة على عرابى ، أن تتوسط انجلترا لدى الخديو توفيق ، لتعيينه أميرا على السودان على أن يكون تابعا لمصر ، وذلك رغبة منها فى تهدئة او اخماد ثورة المهدى ، ولكن عرابى رفض ذلك العرض .

● تعيين عرابى سفيرا

وفى أواخر سنة ١٨٨٤ أرسل بلنت الى عرابى رسالة خطيرة ذكر فيها أن الحكومة الانجليزية تفكر فى تعيين عرابى سفيرا مؤقتا لدى المهدى ، لرفع حصار قوات المهدى « لغوردون » بالخرطوم ، على أن يعزل الخديو توفيق ويعين خديو آخر يستطيع الاتفاق مع المهدى ، وان النية متجهة الى اعادة الخديو اسماعيل بشرط أن يكون عرابى رئيسا لوزارته باعتباره زعيم مصر .

وكان جواب عرابى هو الرفض وايثار المنفى على مثل هذه العودة تحت حكم الطاغية اسماعيل .

وقد كان مصرع «غوردون» بالخرطوم بعد قليل سببا فى صرف النظر عن تلك الفكرة .

● آثار عرابى فى سيلان :

وقضى عرابى فى منفاه نحو عشرين عاما ، وفى خلال هذه الاعوام كان تأثيره واضحا على الجزيرة ، فهو الذى أدخل الطربوش اليها ، ولا يزال المسلمون يلبسونه حتى اليوم ، كما أدخل بعض الاطعمة المصرية ، وقلده الكثيرون فى لبس البنطلون الابيض .

كما انه أوصى عقب وصوله ، بانشاء مدرسة اسلامية بكاندى ، سميت « الزاهرة » ، واختار لها هذا الاسم الذى تحقق بازدهار المدرسة حتى صارت كلية عظيمة ومركزا للثقافة الاسلامية وآدابها لذلك تحتفل تلك الكلية بذكراه دائما .

ولا يزال البيت الذى كان يقيم فيه عرابى يسمى « عرابى هاوس » ، وقد حول الى متحف وما زال به أغلب الاثاث والمحتويات التى كانت موجودة أيام عرابى وتتولى رعايته أسرة سيلانية مسلمة .

● العفو عن البارودى :

وأصيب محمود باشا سامى البارودى، بارتشاح فى القرنيتين أفقده نور عينيه، وقرر الاطبــاء وجوب عــودته الى مصر لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه وألفه، صادق على ذلك حاكم الجزيرة ، فأصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمرا بعودته الى مصر فرجع فى شــهر ســبتمبر سنة ١٩٠٠ وعفا عنه الخديو ومنحه حقــوقه المدنية ورد اليه أملاكه الموقوفه وحصل على ريعها من ديوان الاوقاف وتوفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ .

● العفو عن عرابى :

وفى ١٢ مايو سنة ١٩٠١ زار كاندى ولى عهد انجلترا وقتذاك (جورج الخامس) وهنــاك التقى بالبطل المصرى ، وكانت صحته قد انهارت تقريبــا ، فتأثر لمرآة « الدوق وندسور » وكتب الى حكومته بالافــــراج عن عرابى وزميله البــاقيين بالمنفى ، واعادتهمـــا الى مصر بعــد أن هدهما المرض ، وأصبحا لا يخشى منهما واستجابت الحكــومة البريطانية لطلبه وأشارت بذلك على الحكومة المصرية .

وفى ١١ يونية سنة ١٩٠١ صـــدر عفو الخـــديو عباس حلمى الشــانى عن عرابى وعلى فهمى ، فبارح على باشــــا فهمى ســيلان فى شــهر أغسطس سنة ١٩٠١ ووصل القاهرة فى أول سبتمبر أما عرابى فقد غــادر ســيلان فى ٢١ سبتمبر ، وقد ودعه أهلها ســواء فى مدينة كاندى أو فى ميناء كولومبو أحـر وداع بل كان بعضهم يبكى . ووصـل عرابى الى السويس فى ٢٩ سبتمبروقضى بها اليوم التالى . وقد ودعته « مدرســة الزاهـــرة » بكاندى وداعا حارا ووقف الطلبة ينشدون باللغة العربية نشــيدا وضعه عرابى وهو :

بحمدك يا بادىء العالمين
وانت الرحيم وانت المعين
فبارك سر نديب فى علمها
ومعهد أدابها الزاهرة
وعال على الدهر ذكر اسمها
وأحسن لابنائها الآخرة

وعندما ســـمع الزعيم عرابى هـــذا النشيد بكى ، وقد تعود فى أيامه الاخيرة أن يبكى من شدة الاسى والحزن . وكان يخشى أن يمـــوت بعيــدا عن بلاده التى أحبهــا ، وكان الشيب قد بدا عليه مع انه لم يكن قد تجاوز الستين الا قليلا .

وقد وصل عرابى الى السويس مســـاء ٢٩ سبتمبر وقضى بها اليوم الثــانى ، وغادر الســــويس الى القاهرة فى أول أكتوبر وكان عدد أفراد عائلته وحاشيته ٢١ فردا .

وقد قوبل فى الســـويس بالترحيب كما احتشد الناس فى محطــة الزقازيق للاحتفاء به ، وعلى الرغم من حظر الاحتفاء به فقد استقبله بمحطة القـــاهرة جمع كبير من القاهرين ،ثم قصد الى منزل أولاده بشارع الملك الناصر المتفـــرع من شارع خيرت (قربة دار الهــلال) حيث اجتمع بهم بعد غياب تســـعة عشر عاما وأربعة أشهر .

● اضطهاد وتنكر :

عندما أفرج عن عرابى ، وعاد الى وطنه ظن هو وظن الناس ان محنته قد انتهت بعودته الى بلاده ، ولكنه عومل بقســوة شديدة ، هو وأفراد أسرته !

لقد أحس عرابى بعد عودته أنه غريب فى بلاده ، فقـــد أنكره أغلب من كانوا يلازمونه ، ولولا بقيـــة من أولى الوفاء لضـــاق عرابى بالعيش ، وكان الوفاء أظهر ما يكون فى عامة الشــعب ، الذى كان يتزاحم حوله لرؤيته وتحيته .

ومما زاد فى ألم عرابى ضيق ذات يده وقلة معاشه ، فضــــلا عن حـرمانه من أملاكه ، التى بلغت ثمـــانمائة وثمانين

فدانا ، وعندما حاول عرابى أن يلحق ابنه « عبد الله » بالمدرسة الحربية كأى مصرى ، أبى عليه ذلك قومندان المدرسة، وعندما ضيق عليه بعضهم الخناق ليبدى سبب عدم قبول الطالب قال : « عندى تعليمات صريحة بعدم قبول أحد من أبناء عرابى فى المدرسة الحربية » .

وكانت مصلحة الانجليز فى ابقاء عرابى بائسا فقيرا ، ليقضى بقية حياته يصارع الفقر مشغولا به وحده ، دون أن يستطيع التفرغ لمحاربة الاستعمار والخونة .

وظل عرابى الى آخر أيام حياته يطالب المراجع العليا فى القاهرة ولندن برد ما سلب من أملاكه ووصلت شكاوى عرابى الى الخديو عباس ووزراء حكومته ولكنهم جميعا جعلوا أصابعهم فى آذانهم كأن الامر لا يعنيهم .

أما الانجليز ، فوقفوا من شكاوى عرابى موقف العدو الشامت الذى يلذ له عذاب عدوه وتقلبه على جمرات الفقر ، بعد أن كان أعظم رجل فى أنظار الناس .

وفى مساء الاحد ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٩ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١ توفى عرابى . وقد اضطر أفراد اسرته الى اخفاء نبأ موته الى اليوم التالى حتى يستطيعوا صرف معاشه قبل حلول عيد الفطر ، واقعة ماتمه على شىء من الكرامة اللائقة .

وعلى الرغم من انه لم يشيعه الى مقره الاخير رجل رسمى واحد فقد شيعته الجماهير فى جنازة شعبية عظيمة .

● متحف وتمثال عرابى :

وقد اقيم فى قرية « هرية رزنة » مسقط رأس عرابى ، متحف يحمل اسمه وفى الزقازيق أقيم له تمثال وهو فوق جواده ممسكا بسيف فى يده ، كما اشترت الحكومة البيت الذى كان يقيم فيه .

كان عرابى قد سلم لمحاميه مستر برودلى عددا كبيرا من الوثائق ، وبعد انتهاء المحاكمة وصدور الحكم استبقى برودلى تلك المستندات طرفه بموافقة عرابى ، ثم سافر الى انجلترا وحملها معه ولما توفى عام ١٩٢٢ باع ورثته جميع تلك الوثائق فاشتراها مصرى يقيم فى لندن . وبعد عدة أعوام عرضها على الحكومة المصرية فى أوائل سنة ١٩٥١ فاشترتها بمبلغ ١٥٠٠ جنيه وأودعتها دار الكتب .

● ابطالنا الباقون فى سيلان :

عاد عرابى وعلى فهمى والبارودى وطلبه عصمت الى مصر ، وبقى الثلاثة عبد العال حلمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى حيث ماتو فى سيلان . ان كل فرد فى هذه الدنيا ، حتى المحكوم عليهم بالاعدام يعود الى بلده عندما تنتهى حياته ويوضع جثمانه فى قبر يزوره أبناؤه وأحفاده ، الا هؤلاء العرابيين الثلاثة فقد ظلوا منفيين أحياء وأمواتا .

ولئن جاز بقاء رفات الزعماء الثلاثة : عبد العال حلمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى بعيدة عن الوطن فى العهود الماضية ، فانه لا يجوز باية حال بقاؤها بعد ثورة ٢٣ يوليو التى تعتبر امتدادا للثورة العرابية ، وما الحركة التى قامت فى سنة ١٩٥٢ الا تكملة لتلك التى قامت فى سنة ١٨٨٢ . فهل نطمع فى أن تعيد الحكومة المصرية الى أرض الوطن رفات هؤلاء الزعماء الثلاثة ، بعد أن نقلت رفات مصطفى كامل من ضريحه القديم الى ضريحه الجديد فى يوم كان من أيام مصر الخالدة ، وأعادت شهداء حرب فلسطين الى أمهم مصر فى يوم كان من أيام الوطن الكبرى ، وهل آن أوان الوفاء لارواح أولئك الابطال الذين حملوا عبء الجهاد فى القرن الماضى والذين ذاقوا طعم الجحود والنسيان نحو قرن من الزمان ؟

چان پول سارتر

ضمير عصره

● جلال العشرى ●

● تلك كانت بعض كلماته ، وهي الكلمات القوية الهادرة التي كانت اشبه بعاصفة على العصر ، او صرخة احتجاج في وجه عالمنا المعاصر ، ويالها من كلمات كان لها دوى المدافع وصوت طلقات الرصاص ، بحيث احدثت أثرها البالغ وتأثيرها البليغ في وعى الشبيبة المعاصرة ، ممن راحوا يرددونها في الحى اللاتينى ، وفي جميع احياء باريس ، وهم يرفعون شعارات تلك الفلسفة الوجودية الجديدة ، التى تقف في وجه طغيان النازى ، توقظ غفاة البشر ، وتفجر ابدع واروع مافى اعماق الانسان وتبشر بخلاص انسانى من نوع جديد، وتعيد الى قاموس كلمات كان الناس، قد نسوها من زمان .. الموقف والبطولة والنضال ، الاختيار والقرار والمصير ، الحرية والمسئولية والالتزام .. وغيرها من الكلمات التى تخرجمن فمه ، وتسيل على قلمه ، ويتلقفها الناس ،فاذاهى منشورات قوية توزع على جميع المواطنين ، وتهيب بالمواطن العالمى ان يذود عن الحرية في آيةرقعة على خريطة العصر .

انها كلمات حية وحقيقية ، فيها طعم الماء ورائحة الدم ، تحولت في حياة صاحبها الى سلوك وفعل ، وترجمت في ضمائر الناس الى موقف والتزام ، وذلك لانها كلمات حاولت أن تربط بين السياسة والاخلاق ، أو بالاخرى حاولت أن تعيد السياسة الىحرم الاخلاق ، انها كلمات صاحب ((الكلمات)) .. كلمات جان بول سارتر الذى كانت حياته واعماله تمثلان وحدة حية او حياة واحدة ، يصعب منها الفصل بين الاديب الروائى والكاتب المسرحى ، بين الفيلسوف الوجودى ورجل السياسة ، بينالمفكر الاجتماعى وعالم الاخلاق فهؤلاء جميعا كانوا كلا في واحد ، وكان هذا ((الواحد)) هو جان بول سارتر .. الانسان الذى احس بنبضات قلب العصر ، والمفكر الذى صاغ عصره في فلسفة وجودية انسانية ، والصحفى الذى تشبع وعيه بمأساة الجيل .

لقد حمل سارتر الام العصر على كتفيه ، وتحمل مأساة الجيل بفكره الوجودى اللازع ، وحسه الاخلاقى الشجاع ، ونذر نفسه للدفاع عن الحرية في اية رقعة من العالم ، وعلمنا ان الشاعر والمناضل والسياسى والفيلسوف ، والصحفى ورجل

فى شخص واحد .

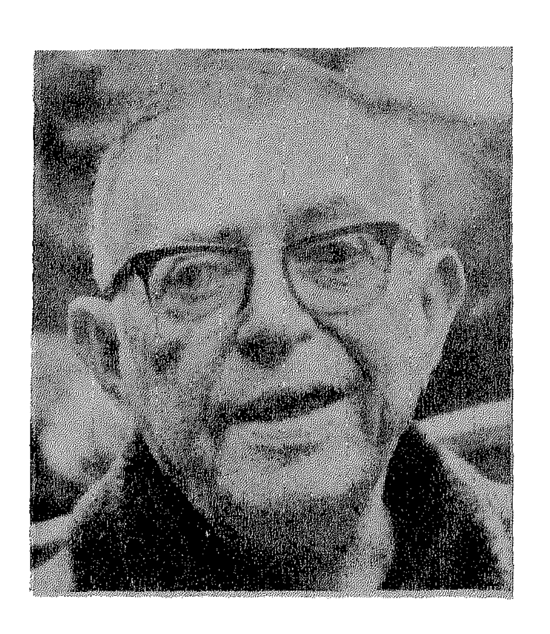
ــ اجل أن ((**الغثيان**)) ((لا تقف فى وجه)) ((**الجدار**)) ولا ((**الذباب**)) يتعارض مع ((**سبل الحرية**)) كما لا تطغى ((**الايدى القذرة**)) على ((**موتى بلا قبور**)) .. **ولا** ((**سجناء الطونا**)) على ((**نساء طروادة**)) ولا ((**الوجود والعدم**)) على ((**الماركسية والوجودية**)) ولا ((**نقد العقل الجدلى** على ((**الوجودية فلسفة انسانية**)) ، فهذه كلها كتابات سارترية ، وسارتر هو هذه ــ الكتابات ، وهى ليست مجرد كلمات فوق الورق ، ولكنها افكار تتوهج بالثورة ، واحاسيس تنز **بالماساة ، وآراء تشخص الداء وتصف له الدواء ، وتغوص فى ضميرالعصر، وتشعر انسان عالمنا المعاصر بالفخركلما تذكر أن قلبه كان ينبض وقلب سارتر فى عصر واحد .**

ومن منا ينسى كلمات سارتر فى ((**جمهورية الصمت**)) وهو يصرخ باعلى صوته دفاعا عن الحرية . ومطالبا بالمسئولية ، وتأكيدا على معنى الالتزام؟

((وبسبب كل هذا فنحن احرار.. لان اسم النازى شبح فى افكارنا ،فان كل فكرة صحيحة هى انتصار ..ولانه توجد شرطة قوية للغاية تريد انترغمنا على ان نلوذ بالصمت ، فان كل كلمة لها قيمة اعلان مبادىء ، ولانهم اصطادونا ، فان كل حركة من حركاتنا لها ثقل الالتزام المقدس .. وكان كل اختيار يكونه كل منا من حياته ، اختيارا حقيقيا شرعيا لانه كان اختيارا مباشرا فى وجه الموت)) ..

***

هذا هو سارتر.. الانسان الحديث،



الفيلسوف جان بول سارتر
الفيلسوف وضمير العصر

الانسان الحر حرية كاملة ، الانسان الذى تحرر من كل مؤثر خارجى ، طبيعى لاهوتى أو اجتماعى ،والوجودية ليست شيئا سوى فلسفة الانسان الحديث، فان كان لعصرنا جوه الخاص، فقد كان سارتر هو التعبير الحقيقى والحى عن هذا الجو .

نعم .. وان الحرية الباقية هى الاختيار الحر للكفاح من أجل انتصبح احرارا ، اى حرية الالتزام الذى يخوض معركة التاريخ ، لا حرية المتفرج من فوق قمة وحيدة خارج التاريخ ...

الحرية الجوهرية التى لا يمكن انتزاعها من الانسان هى أن يقول «لا» وتلك هى الفرضية الاساسية فى نظرة سارتر للحرية الانسانية ، وقد يستطيع المخدر أو الالم فى لحظة من اللحظات أن يجعل الضحية تفقد وعيها تحت وطأة التعذيب ، وبهذا يعترف ، ولكن حالما سعيدا نورانية العقل ، مهما كانت مساحة العمل المتاحة له ، فهو يستطيع أن يقول فى وعيه «لا» !..

وهكذا .. فالوعى والحرية متلازمان، فاذا امكن استلاب الوعى من الانسان امكن انتزاع هذه الحرية .

ان سارتر ينسب للانسان نوع الحرية التى كان ديكارت قد عزاها له وهو يصفها بانها الحرية التى كان ديكارت سيمنحها للانسان سرا ، لو لم يكن محدودا بالعقائد اللاهوتية التى كانت فى زمانه وفى عصره ، اليس الانسان هو ظل الله على الارض، او بالاخرى هو خليفة الله فى الارض؟..

واذا كانت تلك هى نبوءة دستوفيسكى ونيتشة ، فان سارترهو وريثهما الشرعى واذا كان بين الثلاثة نوع من الاختلاف ، فهو ان دستوفسكى ونيتشة فيلسوفان مجنونان ، بينما سارتر يقدم رايه بكل نورانية العقل الحديث ، ويقدمه كاساس للعمل الانسانى والاجتماعى والاخلاقى .

ان وجود الانسان عند سارتر يسبق ماهيته « هو » انه يوجد اولا ، ومن مشروعه الحر الذى يكون عليه وجوده، يستطيع ان يختار ماهيته .

وسارتر يفهم هذه الحرية على انها حرية فردية ، ويفهم قرار اتخاذ الماهية على انه مشروع فردى ، وينظر الى فعل التغيير بالنسبة للوضع على انه مخاطرة فردية ، لكن سارتر لايريد أن نفهم هذه القضية وأن تفسر بمعنى **« الحرية الداخلية » فحسب** ، فالعبد حر بالفعل فى أن يكسر قيوده، لان معنى القيود لا ينكشف الا فى ضوء الهدف الذى يختاره ، فاما ان يظل عبدا ، او ان يغامر من اجل ان يحرر نفسه من العبودية .

وهذا ماعبر عنه سارتر تعبيرا رائعا ومروعا قال فيه : « ان سر الانسان لا يكمن فى عقدة اوديب او فى عقدة نقصه ، بل هو حد حريته الخاصة ، وقدرته على مقاومة التعذيب والموت ... لقد قدمت ظروف النضال لاولئك الذين انخرطوا فى سلك المقاومة السرية خبرة من نوع جديد ، فهم لم يحاربوا على المكشوف مثل الجنود ، بل كانوا فى ظل الظروف متوحدين ، قتلوا فى وحدة . اسروا فى وحدة . واجهوا التعذيب متوحدين عراة فى خضرة جلاديهم ... المسئولية المطلقة فى الوحدة المطلقة . اليس هذا هو التعريف الكامل للحرية ؟..

الا ان الاجابة على هذا السؤال ، تنقلنا مباشرة الى البعد الثانى من ابعاد الثالوث السارترى أو الثلاثية السارترية، **وهو المسئولية ؟ ..**

فالحرية تحانيها المسئولية ، وحيث يكون الانسان حرا يكون مسئولا عن هذه الحرية فى جميع مجالات الوجود ... فى انفعالاته وعواطفه ، وكذلك فى ارادته ، حتى لقد تصور الانسان بحريته ماردا صغيرا ، فاننا نراه يربط هذه الحرية بمسئولية مماثلة ، بل انه يذهب الى ان الانسان وقد حكم عليه بان يكون حرا ، يحمل ثقل العالم كله على كتفيه ، كما انه مسئول عن نفسه وعن العالم .

واذا نحن اعترضنا وقلنا ان سارتر نفسه قد عرف الانسان بانه حرية فى

موقف وأن هذا الموقف يتضمن اللاحرية والضرورة احيانا ، لأجاب بانه حتى فى السجن أو فى الحرب أو فى أيدى الجلاد ، يظل الانسان حرا، لان الانسان قد اختار أن يكون فى هذا الموقف...

ولكن سارتر سرعان ما يعود الى تأكيد معنى المسئولية ، والا فقدت الحرية كل ما لها من قيمة ، وهو ما يؤكده من خلال طرحه لمشكلة الاختيار فى السلوك ، اختيار يواجه نفس المأزق الذى واجهه ((حمار بوريدان)) فى المناقشة الفلسفية المعروفة فى القرن الرابع عشرة ... حمار جائع وعطشان، وضعوا العلف على يمينه والماء على يساره ، فمات من الجوع والعطش ، لانه لم يستطيع ان يختار ، باى الاثنين يبدأ ؟ ...

وهذا هو ما عبر عنه سارتر، عندما عاد يقول فى مجلته ((**العصور الحديثة**))

« أن حريتنا اليوم ليست سوى اختيارنا الحر ان نناضل لكى نصبح احرارا ، نحن فى هذا العصر فى قفص حديدى ، فيجب أن نتحد لنحطم القضبان ، ولكى تكتسب الحق فى التأثير على الناس الذين يناضلون ، يجب أولا أن نشارك فى معركتهم ، وهذا الذى يرى النزاعات الحاضرة مجرد صراع قبلى بين وحشين شائهين متساويين فى الانحطاط ، هو رجل قد انفرد بنفسه فى احد « الاركان » .

وهذا معناه ان المسئولية التى دعا اليها سارتر ، لها معنى طبيعى الى جانب معناها الاخلاقى ، بمعنى أن الانسان الحر ينظر الى نفسه باعتباره مؤلف الاشياء جميعا ، وعنه تصدر جميع الاشياء، وبهذا يكون مسئولا من الناحية الطبيعية ، وكذلك من الناحية الاخلاقية ، انه يؤكد على مسئولية الفرد تجاه الآخرين حتى فى القرارات الوحيدة ، وهو يجعل الانسان مسئولا حتى عن الاعمال التى لم يرتكبها ولم يفعلها ، وحتى عن المواقف التى لم يتخذها ولم يخلقها ، **لانه بمقدار ماهو حر حرية كاملة ، فهو مسئول كذلك مسئولية كاملة .**

وهنا يبرغ **الالتزام فى الفلسفة** السارترية .

فبمقدار ما تؤدى الحرية الى المسئولية ، تؤدى المسئولية الى الالتزام سارتر كما يقول ف.هـ. هينمان هو فيلسوف الالتزام ، كما انه فنان الالتزام ، وقوة فلسفته وفنه تنبعان من هذه الحقيقة ، فضلا عن ان نشاطه العالمى فى الدفاع عن الحرية وعن السلام ، لا يحتاج الى بيان ، ولقد عبر سارتر عن ذلك صراحة فى كتابه ((الوجودية فلسفة انسانية)) بان جعل الوجودية فى جوهرها ((فلسفة فعل والتزام والواقع ان فلسفة الالتزام عند سارتر تتجاوز معنى الاختيار عند كيركيجارد ، كما تتجاوز تعريف هيجل للفلسفة بانها تعبير عن روح العصر ، وتتجاوز بعد هذا وذاك مفهوم ماركس عن الفيلسوف ، وكيف انه الممثل الايديولوجى لطبقته .. ذلك لان فلسفة الالتزام عند سارتر لم تظهر فى فراغ ، فهى قد كتبت للاخرين ، وفى علاقة مع الاخرين ، وفى موقف تاريخى محدد .

وعلى الكاتب كما يقول سارتر نفسه ان يكون واعيا تماما بهذا الموقف، وان يكون قادرا على التعبير عنه ، وعليه

ان يتحمل المسئوليات الناتجة عن هذا الموقف ، كما انه عليه ان يضـع اختياره ، وان يدخل فى اعتبـاره التزاماته بازاء الآخرين .

***

ان الالتزام عند سارتر يمثـل استجابته الخاصة لتحـديات عصره ، انها استجابة انسان فى العالم،وحاضر بازاء هذا العالم ، انسان يفكر فى انه قادر على تحويل الموقف الذى يجـد نفسه فيه باختيـاره ، ومن ثم فهى استجابة تتضمن معنى التقييم .

ولكن اذا كان التزام سارتر يمثـل استجابته الخاصة لتحـديات عصره ، فضد من يلتزم ؟ .

انه يلتزم ضد المطلق ، وضد كـل فكرة غيبية تتجاوز وعى الانسـان ، انه يلتزم ضد « **المتجاوز** » ، ويرى ان هذا المتجاوز غير موجود ومن العبث البحث عنه ، انه يلتزم ضـد حسـن النية لدى الانسان ، ويرى ان الاعمال بالافعال وليست بالنوايا الطيبـة ، انه يلتزم ضد التأمل الميتا فيزيقى من اجل السلوك الاجتماعى .

ولكن .. هل هو التزام ضد اشياء وليس التزاما باشياء ؟

انه ليس التزاما امام احد ، وليس **كذلك التزاما بمبدأ محدد ، فماذايبقى فيه بعد ذلك لكى يكون التزاماحقيقيا؟**

ان سارتر يعرف الالتـزام بانه « التحديد الذاتى للغاية المختـارة » وذلك فى مقابل موضوعية الالتزام عند الماركسيين ، والتى هى ، معرفةالغاية المحددة موضوعيا » وفى مقابل ذاتية عدم الالتزام عند كامى الذى ينكـر الغاية ، ويتساءل ، واذا كانت الغـاية تبرر الوسيلة ، فما الذى يبرر الغاية ذاتها ؟..

وهنايبزغ معنى الالتزام عند سارتر من خلال فهمه لمعنى التاريخ ، فهـو يقول : « **انت تسال : هل للتـاريخ معنى ؟ هل له غاية ؟ اما انا فارى ان سؤالك نفسه ليس له معنى ،فالتاريخ اذا انفصل عن الانسان الذى يصنعه، لا يكون سوى مفهوم مجرد لا حـراك فيه ، بحيث لا نستطيع ان نقول انله غاية او ليس غاية ، فالمشكلة ليست مشكلة ان نعرف غايته ، بل انتعطيه غاية »** ...

ومن هذا المنطلق ، من هذا الفهم لمعنى التاريخ ، يعود سـارتر الى ركيزته الفلسفية المحورية ، **الا وهى الحرية** ، وذلك لكى يربط بينها وبين الالتزام بحيث لا تكتسب هذه الحرية مشروعيتها الا من خلال الالتزام،فعنده ان الحرية ــ اذا كانت هى قـوام الفعل الانسانى ، فلا يتاتى لها ذلك الا عندما تظهر فى الالتزام .

***

هذا عن الالتزام بازاء التاريخ،ولكن ماذا عن الالتزام بازاء الحياة اليومية ؟ والعدم » .

« حتى القيم اليومية المعتادة تمتد معناها من مشروع اولى لنفسى ، هو بمثابة اختيارى لنفسى فى العـالم ...

والاختيار هو العمل على ان ينبثق مع التزامى نوع من الامتداد المتناهى لديمومة متصلة ، والاختيار الجديد يبدو كبداية من حيث هو نهاية ، وكنهاية من حيث هو بداية » .

واذا كانت التضحية هى ضريبة الالتزام ، فهناك مقياس آخر يجب أن يستخدم فى الكشف عن الالتزام،هذا المقياس هو التساؤل التالى : « **ماذا لو تصرف الآخرون منى مثلا اعلى ؟ .. » الآخرون منى مثلا اعلى ؟ .. »**

وعند سارتر ان مثل هذا التساؤل، تساؤل محتوم ، ولا يمكن تجنبه الا بخداع الزات ، ومن هنا يخرج الالتزام السارترى من الذات الى الآخرين،رغم انه يتم داخل الذات، **فتصبح المسئولية عن الفعل مسئولية عن الذات وعن العالم كله ..**

هذا هو سارتر ، أو بالاخرى ... جان بول سارتر ، **ثلاثية الحرية والمسئولية والالتزام** ، وهى الثلاثية التى شكلت فلسفته الوجودية ، والتى عبرت أروع تعبير واجلاه عن أزمة العصر ، او عن أزمة الانسان فى هذا العصر ، وان نفهم جان بول سارتر ، معناه كما تقول الكاتبة **ايريس ميردوخ**، ان نفهم شيئا بالغ الاهمية عن عصرنا الحاضر ، فهو كفيلسوف وروائى وسياسى وكاتب صحفى ــ **مفكر عصرى** بكل ما تحمله الكلمة من معان ،وان أسلوبه لهو بحق أسلوب العصر .

ولكى نضع سارتر فى تيار عصره ، لابد لنا قبلا من أن نتعرف على ملامح ذلك العصر الذي جاءه سارتر ليغيره تغييرا جذريا ، ويضع على جبينه بصمات لا تمحى ، بل لكى يضع اسمه علامة على ذلك العصر .

فقد جاء سارتر ليقف فى طريق ثلاث حركات من الفكر الفلسفى فيما بعد هيجل هى : **الماركسية ،والوجودية والظواهرية** ، وسرعان ما أحس بنبضه القوى بأن هذه الحركات جميعا، انما تثقل كاهل العصر ، وتستلزم بعض الشاعرى الحساس وحسه الفلسفى التعديلات ، فما كان منه الا أن استخدم الادوات التحليلية لدى الماركسيين وشاركهم فى عاطفتهم الجامحة للعمل الثورى ، لكن دون أن يتقبل نظرتهم الحتمية لقانون الجدل أو الديالكتيك،باعتباره **مفكرا ديمقراطيا متحررا ...**

كما اخذ من كيركيجارد فكرته عن الانسان الميتافيزيقى ، واعطى الحرية كل الحرية لهذا الانسان ، واخيرا افاد من منهج هوسرل الظاهرى،ومصطلحاته الفينومنولوجية، بعيدا عن نزعة هوسرل القطعية ونوعاته الدوجماطيقية .

وفوق هذا كله ، راح يفيد من الانظار التحليلية النفسية كما عند **فرويد** ، وذلك فى التعرف على الوعى الذى يرتكز عليه فى تحديد ملامح الحقيقة الانسانية .

وهنا لابد لنا من الوقوف عند التحليل النفسى الوجودى لدى سارتر،

قبل الانتقال الى عالم الابداع الادبى والفنى ، سواء فى الرواية او فى المسرح ، على اعتبار ان الذات الفردية هى همزة الوصل بين العالمين الخارجى والداخلى .

وعند سارتر ان ((اللاشعور)) فكرة مرفوضة وان الظاهرةالنفسية لا تكون الا متلازمة مع الشعور ومطابقة له ، وهو يؤيدرفضه بتحليله للظاهرةالمقاومة فى عملية التحليل ، ويتعرف فجاة على الصورة التى يقدمها له المحلل عن نفسه ، ويكون هذا التعرف بمثابة علامة لدى المحلل النفسى على انه قد توصل الى هدفه ، واستطاع ان يجعل المريض يشعر بعقدة نقصة ، او بالاحرى يشعر بلا شعوره ، وهنا ينتقل المحلل النفسى من مرحلة التشخيص الى مرحلة العلاج .

فاذا كانت العقدة لا شعورية حقا، وهذا معناه انفصال الرمز عما يدل عليه فى لا شعور المريض بواسطة حجاب حاجز ، فكيف يقدر المريض على الربط بين الرمز ودلالته ، وكيف يتمكن من المعرفة ؟

اننا اذا منحناه القدرة على المعرفة، فمعنى هذا انه فى هذه الحالة لن يكون غير واع ، بل لابد أن يكون واعيا ، والا ماذا تعنى المعرفة الا ان يشعر الشخص بانه قد عرف ؟ .. اننا يجب ان نقول على عكس ما يقوله فرويد ، انه بقدر ما يكون المريض واعيا ، بقدر ما يعرف الصورة المقدمة اليه عن نفسه ، وعلى ذلك فان التحليل النفسى لا يعطيه شعورا بنفسه ، وانما يعطيه معرفة بها ..

وهنا يفرق سارتر بين الشعور وبين المعرفة ، فتفكير الشخص يمده بشبه معرفة بخطة حياته ، وهذا التفكير يشيع فيه ضوء ساطع ،لكنه لايستطيع أن يعبر عما يظهره هذا الضوء ،بمعنى ان الاختيار المبدئى الشخصى يكون غامضا مهما سلط عليه من ضوء التفكير ، اذ يشعر به الشخص، لكنه لا يستطيع أن يعرفه الا بالتحليل الوجودى .

مهمة التحليل النفسى الوجودى اذن، كما يقول سارتر فى كتابه ((الوجود والعدم)) ، هى البحث عن الاختيار الاولى للشخص ، وتحديد الخطة الاولية التى رسمها لحياته باختياره الحر ، وهذا البحث عن الاختيار الاولى ، وليس عن عقدة خفية ، هو الذى يميز التحليل النفسى الوجودى، عن التحليل النفسى الفرويدى .

فالتحليل الوجودى عند سارتر يستهدف كشف الاختيار الذاتى الذى بواسطته يعلن الشخص لنفسه من هو، اى يحدد به الشخص ماهية نفسه ، وذلك من خلال تفسير سلوكه ورد هذا السلوك الى علاقات اساسية فى حياته ، ليست هى العلاقات الجنسية التى بحث عنها فرويد ، ولا العلاقات الخاصة بارادة القوة التى بحث عنها ادلر ، وانما هى علاقات خاصة بالوجود ، علاقات تتمثل فى موقف الشخص من الوجود وفهمه لهذا الوجود ، واكتشافه لطريقة وجود الانسان فى هذا العالم ، واختياره لوجودهولعلاقته بالعالم





● مصطفى رجب ●

ساهما يرمق النجوم إزاءه ... مثقلا بالهموم يقضى مساءه
جنة الليل واجما ليس يدرى ... أو يشفيه أم سيبكى داءه ؟
إن فى الليل للمحب أنينا ... يسمع الله والسماء نداءه ...
كالمريض الوحيد أهمله الأهـ ... ل ، فعيناه تشكوان بلاءه
عاجزا مله الطبيب وملت ... تحته الأرض ميله والحناءه
أيها العاشق الذى أده الهجـ ... ر وأبلى الفراق منه رواءه
حسبك الليل شاعرا وصديقا ... بثه السر ، لا تخف إفشاءه
حسبك الليل شافيا وطبيبا ... خير العشيق داءه ودواءه
فاسأل الليل رحمة بفؤاد ... يتشهى من ليله إغفاءه !
واسأل الليل ساعة من منام ... تهب النفس نفحة من هناءه

***

ماعسى يصنع السهاد بقلب ... باع من خان واشترى كبرياءه
قد يكون الفراق حينا سقاما ... لفؤاد ، وقد يكون دواءه !
أنت آثرت أن تعيش وحيدا ... فانس ذكر المحبوب وانس لقاءه
وانس عمرا مع الحبيب هنيئا ... عشت فيه غناءه وعناءه !
قد يدل المحبوب حينا ويجفو ... باعثا فى دلاله خيلاءه !
... ذكرى عشقتها سنوات ... واطو من ذلك الغرام رداءه !
إن ... أن تعيش عمرك فردا ... لمتاعا وحكمة وهناءه !

رحلة فكر وأدب
مع
الأديب الكبير

ثروت أباظه

احتفلت رابطة الادب الحديث ، ونادى القصيدة ، وجماعة أبوللو الجديدة بنادى التحرير احتفالا بتكريم الاديب الكبير ثروت أباظة فى عيد ميلاده الرابع والخمسين ، ومناسبة اهدائه الرئاسة الشرفية لرابطة الادب الحديث ..

تحدث فى الحفل الكبير الدكاترة سليمان حزين ، ويوسف شوقى ، ومحمد عبدالمنعم خفاجى ، والشعراء عبدالمنعم قنديل ، ومحمد التهامى ، ومحمد عامر بحيرى ، والدكتور مختار الوكيل ، وابراهيم صبرى ، والدكتور حسين فوزى النجار ، وكمال اسماعيل ومحمود زكى والدكتور عبد العزيز شرف .

● اعداد : موريس عزيز ●

وفى لقاء الحفل كان لنا مع الاديب الكبير ثروت أباظة هذا الحوار ..

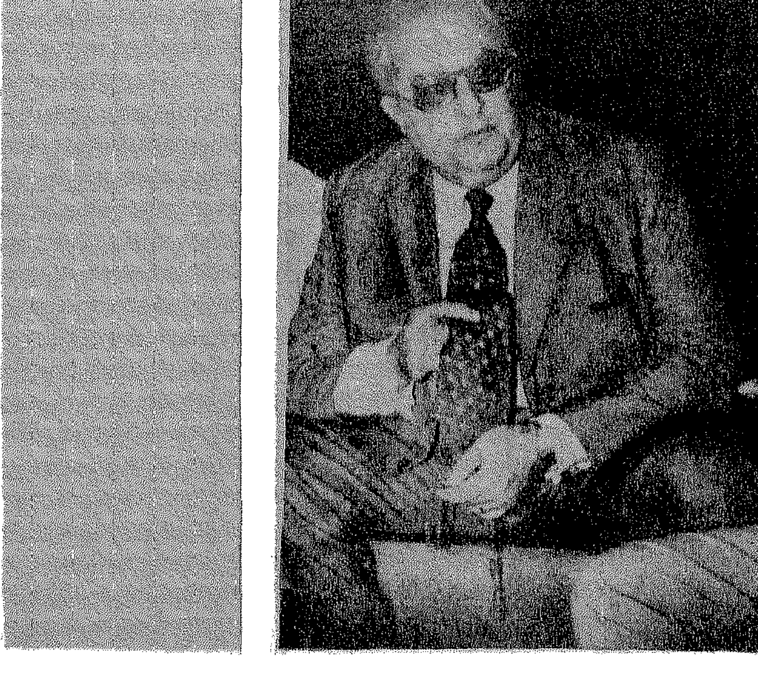
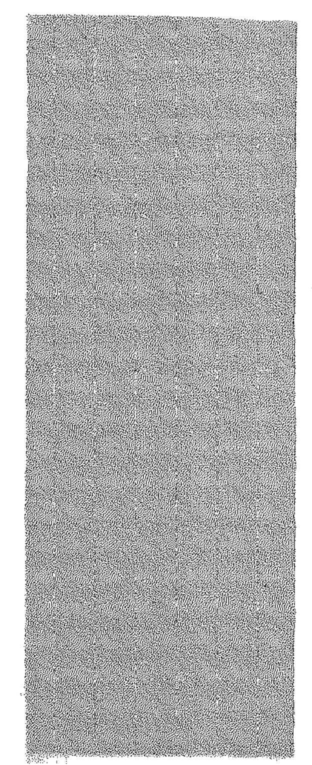
● متى بدأت الاشتغال بالادب ، **ولماذا تركت المحاماة ؟**

ــ بدأت اشتغالى بالادب منذ عام ١٩٤٣ وكان عمرى ١٦ عاما ، واول انتاج نشر لى بمجلة الثقافة ، وقد تركت مهنة المحاماة لأنى شعرت انى كمحام فى المحكمة لا بأس بى ،ولكنى لست محاميا ناجحا فى مفاوضة الموكلين .

وقد طلب منى عمى المرحوم فكرى أباظة ان اعمل بمجلة ((المصور)) ، وطلب منى ايضا أن انقل اسمى من جدول نقابة المحامين الى جدول نقابة الصحفيين ، وكان هذا قضاء مبرما على عملى بالمحاماة .

● هل كان لممارسة والدك الادب اثر فى حياتك ؟

ــ طبعا ، كل الأثر ... فلا شك أن الاتجاه الاساسى للقراءة وتنمية الموهبة . المرجع الاول فيها الى أبى ... وبيتنا كان لا يخلو من الادباء


الاديب ثروت اباظة

والشعراء ، هذا الى جانب ذوقـه الرفيع الذى لا ارى له مثيلا حتى الآن وهو من الذين يعتبرون من الرعيل الاول من الكتاب السياسيين ،حتى كان عمي فكرى اباظة رحمه الله يردد دائما انه اخذ عنه اسوبه الذى اشتهر به .

● من هم الكتاب الذين تأثرت بهم والى اى مدرسة قصصية تنتسب ؟

ـ تأثرت بكل من كتب قبلى فى الشرق والغرب ، وقبل هؤلاء تأثرت بالقرآن الكريم وأمدنى الكتاب الأعظم بثروة لغوية . اكملها لى شوقى ، وعزيز اباظة .

اما التأثر الأسلوبى فاعتقد أنعميد الادب العربى الدكتور طه حسين هو اهم من تأثرت به ، والتأثر الروائى يرجع الفضل فيه الى استاذ جيلنا نجيب محفوظ .

● ما هو الكتاب العربي الذى لا ينساه الاديب ثروت اباظة

ـ كتاب حياة محمد الدكتور حسين هيكل

● ما رايك فى مستقبل الادب العربى ؟

ـ هو مستقبل الادب فى العالم كله، وهو تحول الفن الادبى من فن مقروء الى فن مشاهد ... وانا ارجو من الشباب ان يدرك هذه الحقيقة وأن يحاول ان يدخل هذا الميدان دخولا اديبا ولا يشعر بالحرج ، ولعل الشباب حين يعرف ان جانبول سارتر ألف ثلاث قطع مباشرة للسينما ونشرها فى الكتب عندما لم تظهر فى السينما .

● هل الادباء الشباب على حق عندما يقولون ان الادباء الكبار مسؤلون عن حرمانهم من فرص الظهور وانتشار انتاجهم ؟

ـ لى مقال سيظهر ربما قبل أو بعد هذا الحديث ، ودعنى اعيد السؤال الى القائلين بهذا الراى هل


الأستاذ فكرى اباظة

الاذن وعاء يمتلىء فلايقبل مزيدا وهل العين اناء لا يقبل ان تضيف اليه ...

اذا وجد القارىء عند الشباب ما يقراه ، فيترك الكبار ، او يقرا لكليهما .. ثم دعني اسالك مرة أخرى هل المطلوب من الكبار ان يصمتوا ، وان صمتوا فهل يرتاح الشباب الى هذا؟ وهل من العدل أن تطلب من صاحب كلمة أن يحبسها وهو يستطيع ان ينقلها .

انا ارجو قبل هذه الاسئلة التي ترد الينا كثيرا ان يحدد للكبار ما يريد أن يفعلوا ...

● ما رايك في قضية الفصحى والعامية ، وهل تؤمن بكتابة المسرحية العصرية باللغة الدارجة ؟

ـ الكتاب المقـروء لا يكتب الا بالعربية ، فان الذى يتعلم القـراءة والكتابة فانه لا يتعلمها الا بالعربية .

● وقد حصلت التجربة وباءت بفشل شديد فلم تذكر ... والمسرحية التاريخية ينبغى ان تكون بالعربيـة لانها حينئذ تكون اكثر اقناعا للمشاهد . والمسرحية المترجمة يجب أن تكـون بالعربية . لانها ما دامت قد نقلت عن لغتها الاصلية فاللغة الجـديدة هى اللغة الاصل .

● ما هو رايك فى انحسار القصة والرواية وهجرة بعض الكتاب للخارج .

ـ لم يهاجر الى الخـارج قصاص واحد ، والتحدى .. لأن القصاص والروائي مصرى بطبيعته ، ولايستطيع ان يعيش خارج بلده ، والقصـة والرواية لم تنحسرا ولكن القـراء هم الذين انحسروا ..

● هل للمراة فى مصر اثر فى حياة كتابنا ومفكرينا

ـ للمراة فى مصر والعالم اثر فى حياة كل انسان وخاصـة الأدباء والمفكرين ...

● فى حديث لكم بالاذاعة تلتمس عن رواية « خيوط السماء » بانها مميزة ومبتكرة . فما هو الابتكار والميزة فى هذه الرواية .

ـ هى محاولة لاعتبار الرواية ملكا للادب العربى يعاملها كفن ثابت من اصوله ، أما مدى نجاحي فى هـذه المحاولة فامر متروك للقراء عنـدما تكون الرواية من أيديهم وهى فى سبيل الظهور ...

● ما هو العمل الادبى الجديد الذى تقوم به الآن ؟..

ـ بارك الله فى مجلس الشـورى والقسم الادبى بالاهرام والدكتـور عبدالعزيز شرف ، فلقد منعني هؤلاء جميعا أن اكتب سطرا واحدا فى رواية بداتها فى العام الماضى .. وانا ارقب سفرى للخارج فى شهر اكتوبر لاكمل الرواية ..

عيناك





عيناك يابهجـة العيـون
اثارتا كامن الشـجون
انمارتا دونما حنـان ..
على .. والقلب ذو حنين .

***

حديث عينيك كاس خمـر
ولحن ناي وفيض سحر
فكيف لا ينتشي فـؤاد
هفا لعينيك دون سكر !

***

عيناك ، عينـاك ياحبيبتي
اهاجتا سـالف الوجيب
وبين جنبي حطـام قلبي
ظمآن من شـدة اللهيب

● مبارك المغربي ●
الخرطوم

كابوس الدكتور فوليس

● بقلم : برتراند راسل ●
● ترجمة : نصار عبد الله ●

●● تعد هذه القصة نموذجا فريدا من ادب السلام حيث يصب برنارد راسل خلاصة سخريته الفريدة علي تجار الحروب الذين تتفق مصالحهم دائما ايا كان موقعهم واتجاههم .

قضى الدكتور سوثبورث فولبس يوما مضنيا فى وزارة الانتاج الالى ، حيث كان يحاول اقناع الموظفين بانه لم تعد ثمة حاجة الى استخدام الكائنات البشرية فى المصانع ، باستثناء فرد واحد لكل مبنى ، يقوم بمهمة الملاحظة وادارة المحول فى حالة التشغيل او الابطال ...

كان شديد الحماس ، وكلما واجهته عقلية البيروقراطيين ــ تلك البطيئة المختلفة ــ كان يشعر بالارتباك والحيرة .

قالوا ان مشروعاته تستلزم نفقات راسمالية ضخمة فى سبيل قيام المصانع التي يديرها الانسان الالى ، وقالوا انها قد تتعرض للتحطيم نتيجة لهياج العمال الاجراء ، او ان تشل حركتها بتعليمات من النقابات الساخطة ، غير ان مثل هذه المخاوف كانت تبدو بالنسبة اليه تافهة وغير مقصورة ..

كان يدهشه اشد الدهشة ان هذه الرؤى المضيئة التي تلتهب بها وجدانه لم تستطع ولاول وهلة ان توقد جذوة مماثلة من الامال فى نفوس اولئك الذين كان يستهدف توصيلها اليهم .

غاص في مقعده متعبا ومحبطا بعد تعرضه لرذاذ غاز الميثين البارد ... سرى الدفء في اوصاله ، فاستغرق في النوم ... وفي منامه عايش ذلك الانتصار الذى طالما افلت منه في ساعات يقظته . راح يحلم ، وكان الحلم لذيذا :

الحرب العالمية الثالثة ــ مثل حصار طرواده ــ في عامها العاشر ... وباللغة العسكرية فان سير المعارك لم يكن حاسما اذ كانت تباشير النصر تلوح احيانا في جانب معين ، ثم تلوح احيانا اخرى فى الجانب المقابل .. لكن الكفة لم ترجع نهائيا لأحد الجانبين ، بل انها لم تستمر راجحة لايهما فترة طويلة ..

واما من الناحية الفنية وهى وحدها ما يهتم به الدكتور فولبس ، فان تصاعدها ماكان يهفو اليه ، ففى خلال العامين الأولين من الحرب تم احلال افراد الانسان الالى محل العمال الاحياء فى جميع المصانع بكلا الجانبين ، وقد امكن بهذا تدبير احتياطيات هائلة من القوة البشرية للجيوش المتحاربة ، بيد ان هذا التقدم الذي رحبت به الحكومات بحماس فى بداية الامر قد اثبت انه ليس مرضيا كما كان مامولا ، ذلك ان اعداد الضحايا الناجمة عن الحب البكتريولوجية اساسا كانت اعداد كثيفة ، وفى بعض مناطق الجبهة الشاسعة تمرد الناجون من الموت فى اعقاب الاوبئة الفتاكة ، واخذوا يطالبون بالسلام ...

ثم مضت فترة معينة كانت الحكومات المتحاربة فيها يائسة فعلا من ابقاء الحرب مشتعلة ، لكن كلا من الدكتور

صب الفيلسوف برتراند راسل في قصته "كابوس الدكتور فوليبس" سخريته الفريدة على تجار الحروب الذين تتفق مصالحهم دائما أيا كان موقعهم

فولبس ونظيره المقابل فينيشوفسكي ستوكتمادوفيتش سرعان ما وجدوا سبيلا للتغلب على هذه الازمة ، فقد قاما خلال العام الثالث والرابع من الحرب بتصنيع افرادا عسكريين من الانسان الآلي حلوا محل جنود المشاة في كلا الجانبين ، ثم قاما في العام الخامس والسادس بتوسيع نطاق هذه **العملية بحيث شملت كافة** رتب الضباط الذين هم دون رتبة الجنرال ، ثم اكتشفا أيضا أن مهمة التعليم — أو بالاخرى مهمة التلقين العقائدي كما اصبحت تسمى الآن رسميا — يمكن ان تضطلع الآلات بادائها على نحو يفوق بكثير ما يقوم به المدرسون والأساتذة الاحياء من حيث مدى الدقة والضمان ، نظرا لما تبين من صعوبة الغاء الفروق الشخصية الغاء تاما بين التربويين الاحياء ، في حين أن التربويين الذين تم « تصنيعهم » على نطاق واسع بمعرفة الدكتور فولبس والرفيق ستوكتما دوفيتش ، كانوا يقولون تماما نفس الشيء ، وكانوا يقومون بالقاء نفس الخطب الحماسية عن اهمية النصر..

ومن ثم فقد كان التحسن المعنوي المترتب على ذلك تحسنا ملحوظا ، فمع حلول العام الثامن من الحرب لم يكن ليخشى الموت المؤكد اى واحد من اولئك **الشبان الذين تم تدريبهم على اعمال القيادة العليا للجيوش الآلية الكثيفة الموبوءة بالطاعون حيث كان يرابط المتحاربون وعندما كانوا يموتون كانت البراعة الفنية المتزايدة تكشف شيئا فشيئا تلك الوسائل الكفيلة بالتعويض عن فوتهم بما يفيض عن المطلوب .**

وفي النهاية اصبح افراد الانسان الآلي يؤدون كل شيء تقريبا ، ومع هذا فقد تبين عدم امكان الاستغناء عن بعض الكائنات البشرية ومن بينهم الخبراء الجيولوجيون الذين يقومون بتوجيه عمال المناجم الآليين الى المناطق **المناسبة ، ومن بينهم كذلك اعضاء الحكومات الذين يقومون باتخاذ القرارات الهامة في مجال السياسة ، ومن بينهم فضلا عن ذلك وبطبيعة الحال كل من الدكتور فولبس والرفيق ستوكتما دوفيتش لكي يقوما بتكريس عقليهما العظيمين نحو آفاق جديدة من البراعة!**

كان الرجلان كلاهما ممتلئين بالحماس من اعماقهما كما كانا فوق مستوى المعركة ، بمعنى انهما لم تكن لتعنيهما تلك البلاغات التي يصدرها السياسيون والتي يفرغون فيها فصاحتهم ... لم يكن ليعنيهما في الواقع الا تحسين آلاتهم الى اقصى حد !

كانا — كلاهما يحسان الحرب لانها هي التي جعلت السياسيين يمنحونهما هذا المجال ، ولم يكن أحدهما يتمنى أن تنتهي الحرب ، اذ كانا يخشيان أن يؤدي انتهاؤها الى تكاثر الناس بالوسائل المألوفة ، والى اصرارهم مرة أخرى على أن يقوموا باستخدام عقولهم وعضلاتهم في أداء هذه الاشياء التي يقوم بها الانسان الآلي حاليا باحكام تام ودون تعب... ولما كانت أهدافهما متطابقة فقد كانا صديقين حميمين ، وان كان هذا ينبغي ان يظل سرا يجب

اخفاؤه عن أعين السياسيين الـذين قاموا بتوظيفهما ...

كانا قد استخدما جانبا من أفراد جيوشهما الآلية في حفر نفق هائل عبر جبال القوقاز، وكان أحد فوهتي النفق يقع تحت سيطرة قوات الغرب، في حين كان الآخر تحت سيطرة الشرق، ولم يكن أحد يدري ـ باستثناء الدكتور فولبس والرفيق ستوكنما دوفيتش ـ أن للنفق فوهتين، ذلك انهما لـم يسمحا لأحد غيرهما وغير الافـراد الآليين أن يلج الى داخل النفق ... وقد قاما باستخدام الافراد الآليين في تدفئة النفق واضاءته اضاءة جيدة، وكذلك في ملئة بمخزون ضخم من الطعام المعبا في كبسولات اعدت بطريقة علمية لكى تجلب الصحة والحياة وان كانت غير قادرة على جلب المتعة للحلق والبلعوم، ذلك انهما كانا يعيشان حياة يحكمها العقل غير عابئين بالملـذات الحسيه ...

وفي احد المؤتمرات الدورية التي كان يعقدها الدكتور فولبس مع الـرفيق ستوكنما دوفيتش، وعندما كان على اهبة الدخول الى النفق، سمح لبعض الانطباعات غير المحترفة ان تتسلل الى نفسه حول العالم المضاء بضوء الشمس والذى كان قد هجره مؤقتا لحضـور المؤتمر.

راح يحملق في البحر الجاثم عنـد السفح، وفي القمم الثلجية الشامخة في الاعالي عندما طفت الى ذهنـه ذكريات غائمة من رواسب التعليـم التقليدى والذى اضاع فيـه مكـرها سنوات مبكرة من حياته باوامر والديه المتخلفين من روح العصر.

((هنا كان بروميثيوس وقـد شد وثاقه زيوس)) ـ راح يتـذكر تلك الرواسب عن بروميثيوس الـذى قام بالخطوة الاولى في مضمار هذا التقدم المجيد للعلم والـذى اثمر عن ذروته العظيمة الراهنة.

قال لنفسه ان زيوس كان شـأنه شأن الحكومات التي عرفتها في شبابي بفضل الاسـاليب العنيفة، لـكن بروميثيوس لم يكن شأنه كشأني وشأن صديقي ستوكنما دوفيتش، اذ لـم يستطع ان يقهر بدهائه اولئك الرجعيين في زمانه. وانه لأمر لائق ان انتصـر في نفس البقعة التي عانى فيها، كما ان زيوس بما لديه من صواعق تافهـة ينبغي ان يوضع في مكانه بفضل مهارتنا النووية!..

ودع ضوء النهار بهذه الكلمات ثـم تقدم لملاقاة صديقه.

كانت لهما مؤتمرات سرية عديدة خلال الحرب، حيث كانا يطـرحان على بعضهما البعض بمنتهى الثقة المتبـادلة أفضل المخترعات التي تساعـد على ضراوة الحرب واستمرارها ... كان يلتقى في منتصف النفق بصـديقه سـتوكنما دوفيتش آتيا من الشرق فيتصافحان ويرنو كل منهما الى عيني الاخـر في دفء عاطفي، كمـا كانا يسمحان لأنفسهما قبيل ان تجرفهما التعقيدات الفنية بلحظات قليلة يحتفيان فيها بعملهما المشترك ... كانا يقولان لبعضهما ((يا لجمال العالم الذى تقوم بخلقه!.. أن البشر لا يمكن التنبـؤ **بسلوكهم فهم مجانين تارة، جبناء تارة أخرى.. وهم مشحونون بالمثل المضادة للحكومة تارة ثالثـة!.. اما رجالنا الآليون، فكم هم مختلفون ... فان الدعاية الموجهة اليهم تحدث دائمـا آثارها المقصودة، ثم يواصل الحكيمان حديثهما ... ما الذى كان اشـد الاخلاقيين حماسا يأمل في فعله ولم يتحقق على يدينا؟ كان الانسان دائما عرضة للخطيئة، وانساننا الآلي ليس كذلك ... كان الانسان مرارا احمق وما كان الانسان الآلي كذلك قط!..**

كذلك كان الانسان دائما معرضــــا للانحرافات العاطفية في حين ان الانسان الآلي ليس كذلك .. لقد اتفقنا انا وانت منذ زمن طويل على ان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يعتد به في الانسان والذي لا ينظر اليه بدونه هو « السلوك » وان سلوك رجالنا الآليين لهو الفضل من كل الجوانب من ذلك الانتاج البيولوجي العارض والذي مازال الى الآن منتفخا بكبريائه الاحمق ...

يا لبراعة خططهم !.. يا لاحــكام استراتيجيتهم !.. يا لشجاعة تكتيكهم واقدامهم على خوض المعارك .. مــن يا ترى كان يتمنى غير هذا اللهم الا ضحايا الخرافات البائدة !

كان الدكتور فولبس والرفيــق ستوكتما دوفيتش قد توصــلا الى الوسائل التي تجعل الافراد الآليــين يستجيبون الى الخطب ، ومن ثم فقد تم تســجيل أفضــل الاحاديث لرجال السياسة في كلا الجانبين ، وعنــدما كانت تسمع عباراتها التي تهز الارواح كانت مجلات الافراد الآليين تبدأ في الأزيز ثم يبدأون في العمل بأحكام تام على نحو ما يتمنى السياسيون للبشر أن يكونوا !.. ولم يكن الامر ليستلزم الا تعديلات طفيفة حتى يصبح الافراد والالبون التابعون لجــانب معــين يستجيبون لنوع من الدعاية دون غيره وأن يستجيب أفراد الجانب الاخــر لنوع آخر من الدعاية .

كان أفراد الدكتور فولبس يستجيبون الى تلك العبارات النبيلة التي يقــول بها عظماء الساسة في الغرب : « هل بوسعنا أن نتردد ونحن نرى هــذه الحشــود التي عزمها على أن تمحــو الايمان بالله . وان تطمس في قلوبنا ذلك الاعتقاد بالخالق الذي يشد من ازرنا في وقت المحن والشــدائد والاخطار ؟ هل بوسعنا أن نتصور انا مجرد آلات بارعة كما يقول اعــداؤنا الذين لا ارواح لهم ؟ هل بوسعنا أن نغض أنظارنا عن ذلك التراث الغالي من الحرية التي قاتل آباؤنا من اجلها ، والتي ما زلنا نضطر في سبيل الدفاع عنها الى انزال عقوبة السجن بالآلاف .. هل يمكن لأي واحد منا أن يتردد في هذا لحظة واحدة ؟.. وهل يمكن لاحدنا ان يتقاعس ؟ هــل يمــكن أن يتبادر الى ذهن احد منا انــه يمـكن المفاضلة بين التضحية بمجرد حيــاتنا الفردية ، بوجودنا الشخصي المحدود ، وبين المحافظة على عالم من المثل الذي قاتل من اجله اباؤنا وبذلوا دماءهم ؟ كلا والف كلا ..الى الامام ايها الاخوة المواطنون . وكونوا على ثقة في سبيل الحق من أن النصر النهائي ســوف يكتب لنا » .

كان جميع افراد الدكتور فــولبس الآليين قد تم تركيبهم على هــذا النحو ، بحيث عندما كانت تنبعث هذه العبارات النبيلة من جهاز التسجيل في وجودهم كانوا يهيئون انفســهم دون تردد أو شك لأداء أقسى المهام المنوطة بهم والتي كان الهدف النهائي منــها هو اثبات أن العالم لا تحكمه الآلات فحسب !

اما افراد الرفيق ستوكتما دوفيتش الآليين فقد كانوا على نفس الكفاءة كما كانوا يستجيبون بنفس القــدر من الاستعداد لتسجيلات الكلمات الملهمة التي يلقيها القائد العام : « ايــها الرفاق .. هل انتم مهيأون لان تظلوا الى الابد عبيدا للراسماليين الــذين لا ارواح لهم ، هل انتم على استعداد لان تغضوا ابصاركم عن ذلك المصير العظيم الذي اعدته المادية الجــدلية لاولئك الذين تحرروا من الاغلال التي كبلهم بها المستغلون الحقراء ؟ هــل يمكن لشيء على هذا القدر من الجمود وفقدان الحياة ، شيء على هذا القدر من القسوة والوضاعة مثل تلك الفلسفة الحمقاء ــ فلسفة بورصة نيويورك ، ان تذل الجنس البشري الى الابد ؟.. كلا ،

الحرية اذا سعيتم من اجلها وبذلتم من المشقة ما بذله مبشروكم في انشاء الدولة العظيمة التي هي الآن نصيركم هيا الى الامام ، للنصر .. الى الامام .. للحرية .. الى الامام للبهجة والحياة !

كانت هذه الكلمات تفعل فعلها ايضا في استثارة افراد استوكنما دوفيتش الآليين .

ويلتقى الملايين من افراد الجيش المتحاربين ، وتظلل السماء أسراب الطائرات التي يقودها الافراد الآليون، غير انه لم يحدث قط ان أخفق انسان آلي في اداء واجبه ، ولم يحدث قط كذلك أن فر من ميدان القتال، ولأن استجابت اجهزته للعناية العدو المضادة !..

وظل الحال كذلك حتى كان ذلك اللقاء في عاشر اعوام الحرب بين الدكتور فولبس والرفيق ستوكنما دوفيتش حين بدأت سعادتهما تحدها بعض الحدود ، اذ كان لايزال بعض البشر في الحكومات ، كما كان لايزال من الضروري الاستعانة بالبشر كخبراء وجيولوجيين لتوجيه الافراد الآليين الى مصادر جديدة للمادة الخام كلما نضب معين المصادر القديمة ، كذلك كان هناك خطر يمثل في احتمال ان تقرر الحكومات الالتجاء الى السلام ، كما كان هناك خطر آخر يصعب دراه يتمثل في ان نقصان الخبراء الجيولوجيين قد يترتب عليه انتهاء نشاط الافراد الآليين نتيجة لنضوب المناجم !..

لم يكن من المتعذر عليهما تجنب اول هذين الخطرين ، فعندما التقيا بهذه المناسبة اسرا الى بعضهما البعض بان لديهما الخطط الكفيلة بالابادة المتبادلة للحكومات في كل من الجانبين ..وأما الحاجة الى الخبراء الجيولوجيين فقد ظلت مشكلة مؤرقة بالنسبة لهما ، ومن ثم فقد قاما في هذه المناسبة بتكريس ذكاءهما المشترك للوصول الى حل لهذه المشكلة ، حيث قضيا شهرا في التفكير الشاق قبل ان يتوصلا الى الحل في النهاية ، وكان الحل يتمثل في اختراع افراد تنقيب آليين قادرين على قيادة الآخرين الى المناجم المناسبة ، فكان هناك الافراد الذين يستطيعون العثور على الحديد، واولئك الذين يستطيعون العثور على البترول، وهناك المختصين بالنحاس وباليورانيوم وهلم جرا الى آخر تلك الخامات اللازمة لشئون الحرب العلمية ... وهكذا لم يعد الآن يراودهما الخوف من ان نضوب المناجم القائمة سوف يترتب عليه انتهاء الحرب وانقطاع البراعة الفنية عن ممارسة عملها !

بعد ان اتما صناعة الافراد المنقبين، قررا ان ياويا الى كهفهما ، وان يترقبا في هدوء انقراض بقية الجنس البشري ... كان السن قد تقدمت بهما ودبت الى نفسيهما تلك السكينة الفلسفية التي يشعر بها اولئك الرجال الذين ادوا مهامهم ...

وقد عمر ((هذان الحكيمان)) حتى ارذل العمر ، تطعمهما وترعاهما جموع الافراد الآليين المطيعة ، ثم ماتا في لحظة واحدة ... ماتا وهما سعيدان يعلمان انه طالما بقي هذا الكوكب فسوف تبقى الحرب مشتعلة بغير دبلوماسيين يطالبون بانهائها ... وبغير فلاسفة يشكون في فلسفة الشعارات التي يرفعها الفريقان المتحاربان، ولا فلاسفة شكاكين يتساءلون عن الهدف من هذا النشاط البارع الذي لا نهاية له ؟!

استيقظ الدكتور فولبس وهو ممتلىء بالحماس حيث سمع نفسه وهو يهتف ((لا امل في النصر .. الحرب الى الابد !..

غير ان كلماته قد تسربت لسوء حظه الى كل الاسماع ، ومن ثم فقد اودع السجن !..



علبة الكبريت

● محمد برهام ●

وفى القطار امامى كان مقعدهـا
حسناء فتوضعت ساقا على ساق
راحت تطل من الشباك فى لهف
والكـون يصحوعلى صحو واشراق
وتنثنى لترى مافى مجـلـتها
وتعتنى ((بموديـلات)) واذواق
ورددت وبيمنـاها سـجارتها
نسيت ولاعتى من طول ارهاقى
تقول صـدقا فتاتى ام تجاذبنى
وانها قرات شـيئا باعمـاقى
فخلسة طالما قد كنت ارمقهـا
بينا اقلب فى صـحفى واوراقى
اسرعت اشعل اعواد الثقاب لها
وقد تعمدت فى الحالات اخفاقى
تناولت علبة الكبريت باسـمة
وبعد اشعالها استولتعلى الباقى
وكى تدافع عمـا تفعـل اعتذرت
قالت واحداقها تلهو باحـداقى
ماللرجـال وللكبريت تحملـه
هيهات تعوزهم اسباب احـراق
لاتحملوا اى نار فى جيوبكـم
ولتنشدوا ناركم من قلب مشتاق
واننا قـد تكفلنا لنو قـدها
فان تزيدوا ففوق الجهد والطاق
عند الوصـول اعادتها ومالبثت
وخلفتنى لافـكارى وافاقى
يامن رحمت رجالا انى رجـل
فكيف غادرته من دون اشفاق ؟
هذى هى النار لاعـود ولاحطب
وما لاهل الهوى من جمره واق!

أمين الريحاني

● د . عبدالفتاح الديدى ●

● شخصية لها مكانتها فى العالم العربى وفى العالم الغربى . ولعبت دوراً أساسيا فى توجيه الفكر نحو الفكر بالحضارة الغربية . وقام بعمله ما أوتيه من قوة تثبيت جذور الأفكار الأوروبية والأمريكية فى ربوع بلاد الشرق ، فقد كان يحس أن معرفة الفكر الغربى فى حد ذاتها مسئولة ، ولا يمكن الاستجابة لهذه المسئولية الا بوضع دعائم لذلك الفكر على أرض بلادنا وكانت وقتــــذاك هشة ..

ذلك هو أمين فارس الريحانى (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) الذى عاش حياته يبين للأجيال العربية طريقها نحو المعرفة بكل أبعادها الحديثة .. وكتب اليه فليكس فارس اللبنانى الأصل الذى عاش بالاسكندرية رئيسا لقلم الترجمة ببلدية الاسكندرية ـ يقول : « لعلك عرفت شيئا عما مر بى من عواصف ، فأنا منذ سنين أهزأ بالأقدار تصدمنى الصدمة تلو الصدمة وقد كنت دائما أرى غصن الورد الذى زرعته أنت فى كل تربة فلفحته السموم ولعبت به عواصف الناس فاذوته .. »

كان ذلك عام ١٩٣١ ، وكان فليكس فارس من أشهر أدباء اســــكندرية وخطبائها وكانت معرفته باللغـــات الأوروبية كبيرة ، وترجم « هكذا تكلم زرادشت » للفيلسوف الألمانى نيتشه،

وله كتاب كان شائعا ذائعــــا فى الأربعينات بمصر هو « رسالة » الخطابة الى العلم العربى » ويتألف من خطب وكتابات هامة ، فعرفنا بالعديد من أدباء لبنان من أمثال ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران، وفوزى معلوف « ١٨٩٩ ـ ١٩٣٠ » مــؤلف ديوان على بساط الريح، والأب لويس معلوف ١٨٦٧ ـ ١٩٤٦ » واضع قاموس المنجد باللغة العربية فضلا عن مشاركاته فى النهضة الفكرية ..

وكان فليكس فارسا شاعراً أيضا ، اهتم بالاشتراك مع رجال الجمعيـــة الثقافية بالاسكندرية لنشر الاهتمامات الأدبية والمعارف والثقافات لدى الشباب السكندرى الذى كان يتابع كتــابات فليكس فارس هنا لك. واعتاد الجميع أن يشيروا الى أمين الريحانى على أنه فيلسوف .

وكتب الدكتور شبلى شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧ » فيلسوف القاهرة ـ منذ أواخر القرن الماضى حتى عشرينات هذا القرن ، ومؤلف كتاب الحقيقة لتأييد مذهب داروين ـ رســـالة الى أمين الريحانى سنة ١٩١٠ يقول له فيهـــا « وأنا يعجبنى منك أمران فى الكتابة مستحسنان عندى جداً ، وهما أفكارك الجديدة وخصوصا أسلوبك الخـــاص بك فى تصويرها للقــارىء . وسررت كثيراً من مقالاتك فى .



امين الريحاني

مشاهير الرجال كفولطير (فولتير) فانها بديعة في الوصف والنقد ،وربما سروري من كتاباتك انك توافقني في فهمك الحوادث ، وتبسطها على وجه أدبي انظر اليه أنا نظرا طبيعيا ، وهذا هو الاسلوب الوحيد في الكتابات الادبية الذي آثر عليه ، عساه ينقلنا شيئا فشيئا من ذلك الاسلوب اللاهوتي الأجتماعي كما أسميه » .

وكتبت الاديبة مي زيادة (١٨٩٥ - ١٩٤١) خطابا الى امين الريحاني في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٠ تقول فيه : « اهلا بصورة وادى فينيقيا وبما تحمله على ظهرها من كلمات طيبات وتذكارات صافيات .. الحمد لله على سلامتك ، والحمد لله على سلامتي كذلك .لانى كنت مثلك مريضة .. لماذا لم تكن تبعث الى بمقالاتك الانجليزية كما فعلت مرات قليلات في الماضي ؟ قرأت منذ شهور ما كتبته في بوكمن عن قاسم بك امين . وقد نقلته عن الانجليزية ، وعرب شيئا منه بعض جرائدنا العربية . واعترف بصراحة انني قرأت ذلك بسرور يمازجه الفخر لان مجلة انجليزية كبيرة تستشهد باقوال فتى سورى لبناني .

وعلى ذكر قاسم بك امين ، هل علمت ان المكتبة الخديوية التي اصبحت المكتبة السلطانية تطهرت نهائيا من مكروبات الالمان . الخبر ان حكومتنا (السنية طبعا) عينت لدار الكتب هذه مديرا مصريا وهو لطفي بك السيد .. العلك لا تجهل لطفي بك . وقد كان صديقا حميما لقاسم بك امين ، لكن الحكومة اصابت كل الاصابة في هذا التعيين » .

ولعل هذه الرسائل قادرة على ان تكشف جوانب شخصية امين الريحاني لكن رسالة بعث بها اليه ميخائيل نعيمة في ١١ يناير سنة ١٩٣٤ تستطيع أن تبرز لنا حقيقة فهم امين الريحاني لاعمال جبران خليل جبران وأن تبرز لنا من وراء هذا الفهم حقيقة شخصية امين الريحاني وقدراته العالية في تذوق ومعرفة الآداب والفلسفات ..

وقد ارسل ميخائيل نعيمة هذه الرسالة الى أمين الريحاني على أثر نشره لمقال في رثاء جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) غداة وفاته .. :

« .. بل يا امين . لقد كانت بينك وبين جبران صلة في بدء نشأته الادبية . صلة ما اظنها بلغت حد الصداقة ، وان شئت أن تزينها اليوم بهذا اللقب . لكن جبران نبذك من حياته ونبذ ذلك الحب كما تنبذ انت نواة زيتونه تأكلها . واصبح اذا ما تراءى له خيالك في كأس من ماء ، وكان عطشا حتى التلف ، احجم عن شربها وحطمها .. واني مذكرك - وما انت بالناسي - بليلة رفع عصاه فوق رأسك ، لو لم يتداركه بعض الحاضرين لما كنت اليوم في عداد الاحياء .. منذ تلك الليلة - وقد غمرتها أمواج أربع عشرة من السنين - لم ير جبران لك وجها ، ولا وقع بصرك على وجهه ..

« ثم انك ما كنت تحفل يا أمين بادب جبران ولا تعتبره بشيء . واني مذكرك – اذا كنت ناسيا – بليلة صرفتها عندى قبل وفاة جبران بسنة او أقل . وبساعة خرجنا سوية في تلك الليلة نتمشى في برودواى فجئنا على ذكر جبران وادبه وبكلمتين انجيزيتين افرغت فيهما رأيك في ادب جبران وهما « سوكيشي سنتمنتاليزم » الاولى – وهي نعت للثانية – مليخ . مقرز كريه المذاق ومعنى الثانية عاطفة مائعة تتصنع الرقة .

« مات جبران .. مات جبران ، وأنت لا ترى في أدبه أكثر من : عاطفة مائعة كريهة المذاق » !

والواقع ان مثل هذا التعبير الذى صدر عن امين الريحاني يعبر تعبيرا دقيقا عن فهم مستنير للادب وخاصة امام حركة التقدم وفكرة التقدم المطلوبة في العالم العربي في مستهل نهضته . ولا يعيب امين الريحاني انه حاول التعبير عن بعض ملامح الصداقة التي ربطته بجبران والتي حاول ميخائيل نعيمه أن يعاتبه بشأنها . فما الذى يمنع أن يعبر الناقد عن بعض رأيه في الاديب في ساعة ويعبر عن بعض رأيه الآخر في ساعة اخرى ؟

وما الذى يمنع امين الريحاني من ان يتناول الاديب من جانب يفضله اذا احس انه فشل في تاسيس موقف اولى كبير ناهض ؟

وما جعلني احترم امين الريحاني سوى هذا التعبير الذى ان دل على شيء فعلى ارتباط قوى بمعنى الحضارة ، وعلى احساس مرهف بصناعة الاديب وعلى ذوق نابض بالحياة والفكر جميعا . فمن حق الناقد ان يبرز السياق العام لاحد المواقف الادبية مع تقدير خصائصه الاصيلة . وليس حكم امين الريحاني عن ادب جبران خاصا بوضع ادب جبران بالنسبة الى الحياة الثقافية في الغرب ولكنه حكم خاص بوضعية ادب جبران ازاء الحضارة العربية الناشئة التي تتطلع الى تغيير معاييرها وتحويل مسار الامور فيها .

وما اسماه امين الريحاني العاطفة المائعة المصطنعة عن ادب جبران اطلقناه نحن بصورة اخرى تحت عنوان العاطفية المتساءة عن الادب المتاثر بالتيارات الجوفاء ذات الرنين المصطنع .. وشعرنا هنا بصدى المؤثرات المفتعلة على تكويننا الفكرى . وهاجمنا عددا من التيارات النابعة من الانفعالات الجوفاء بنفس هذا الاسلوب الذى اتبعه الريحاني . ويكفي عادة تشخيص بعض المشاعر الادبية بعبارة موجزة من اجل وصمها في عين المشايعين لها .

وامين الريحاني من مواليد الفريكة بلبنان اشتغل بالتجارة ثم حاول دعم ثقافته وصقل مواهبه واستعداداته بالدراسة العالية الجادة . وشغل نفسه بهدف واحد وهو محاولة توصيل الفكر الغربي الى الاوساط العربية واشباع العقل العربي من المدنية الحاضرة بكل ظروفها واوضاعها .

وعاش امين الريحاني يحاول أن ينشر بذور مشاهداته باوروبا وامريكا على الارض العربية ، والف عددا من الكتب الهامة التي تفوح برائحة دعواه الى الثقافة والمدنية كما شهدها في الغرب ، ولكننا نشعر انه تخير الثقافة الجادة والادب العميق واهتم بالاتجاهات القوية الشابة وكتب عددا من المؤلفات ذات الاهمية البالغة بالنسبة الى مرحلة السنوات الاولى من القرن العشرين . فنحن لانكاد ندرك روح التمرد الحقيقية لدى ابناء الادب والفكر في هذه المرحلة بدون التعرف على الصراع القوى الكامن في قلوب كتاب النصف الاول المبكر من القرن العشرين .

وامين الريحاني له مؤلفات عديدة اهمها موجز تاريخ الثورة الفرنسية – والتطرف والاصلاح – وملوك العرب – وقلب العراق – وتاريخ نجد الحديث وى قيث

وفيصل الاول – وقلب لبنان والمغرب الاقصى – ونور الاندلس – والقوميات والريحانيات – ووجوه شرقية وغربية – وانتم الشعراء – وادب وفن – ورسائل امين الريحاني ..

وله أيضا مؤلفات بالانجليزية اهمها في النقد الفني ، ومسرحية ، وديوان شعر ، ودراسة عن الف ليلة وليلة ، واسهام العرب في المدنية وله كتاب بالانجليزية عن قضية « مي » لم يطبع

ومن مؤلفاته قصة «المكاري والكاهن» التي الفها في نيويورك بامريكا سنة ١٩٠٤ ونشرها بالعربية في لبنان في ذلك الوقت تقريبا . وهي قصة يعرفها عارفو الادب العربي معرفة موسعة ، لانها تمثل يقظة الفكر العقلاني لدى العرب . وتصور صراعا من نوع جديد بين المذاهب الفكرية والمواقف العقلية . والمكاري هو سائق العربة والكاهن هو الراهب الديني والمكاري الذي اختاره امين الريحاني بطلا لروايته يمتاز عن اخوانه العربات بانه سبق له ان قطع البحار وساح فيما وراء الديار واستفاد خبرة عملية في شئون الحياة ويدعى ابطنوس ولديه استعداد فطري لاقتباس الافكار الجديدة وتعلم أبو طنوس اللغة الانجليزية اثناء اقامته في نيويورك وحاز الجنسية الامريكية وكان يكره رجال الدين كرها شديدا ، وجرت بينه وبينهم مشاحنات .

ولعبت هذه القصة في حوالي ٩٠ صفحة مالم تلعبه عشرات المقالات من ادوار في شرح الافكار المدنية الغربية وآراء المؤلفين الغربيين الذين حركوا مواقع التطور الاجتماعي في القرن التاسع عشر .. وتمثل هذه القصة جزءا من التيار العام في الفكر والادب وتشغل وضعا ظاهرا في سير الفكر العربي الناهض في اوائل القرن العشرين وتمثل موقف المثقفين من الحياة الفكرية والقصة في عمومها تنافس موقف الانسان من رجال العقيدة الكنسيين

ويحدد امين الريحاني موقفه من العقيدة في كتابه الريحانيات حيث يقول في مقاله « ماهي السعادة » بالجزء الاول انا روحي ، اكثر مني مادي .. انى ارى في كل ما حولي شيئا من الجوهر الالهي وكلما ترقي الانسان ازداد في عينه الجمال الطبيعي المحيط به . وكلما درس الحكيم الطبيعة قرب من الناموس الرئيسي السائد في كل جزء منه اوهذا الاقتراب من الناموس هوما اسميه « اتحاد الانسان مع خالقه » .

ويعود امين الريحاني فيشير الى العقيدة في حلقة الاتصال – سنة ١٩٣٢ اثناء تنصيب رئيس جديد لرئاسة الجامعة الامريكية في بيروت ويقول « وفوق كل الاديان والانبياء والرسل والمبشرين اله واحد تسع رحمته الناس اجمعين . وما الدين سوى الشعور بالله وان تكون حياة الروح ظاهرة في سلوك الفرد » .

وكذلك قال في مقالة « في ربيع الياس » بالجزء الثاني من الريحانيات ان ياسي لفي ربيعه وفي هذا الربيع لكل امة من الامم ولكل شعب من الشعوب زهرة طيبة الاريج ولكني وان قالت امي العذراء ، اقول : الله .. وان قال اخواني المسيحيون المسيح ، اقول الله .. وان قال اخواني العرب محمد ، اقول الله .. وان قال اخواني في الشرق بوذا اقول الله .. وان قال اخي الفارسي اهورا اقول الله .. وان قال اخي الصيني كنفوشيوس اقول الله .. وان صوتي وان كان من اصوات الياس لمن اصوات الله ..

● امين الريحاني في مصر ●

وقد زار امين الريحاني القاهرة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ واحتفلت الاوساط الادبية والفكرية العربية والمصرية بوجوده في القاهرة بعد غياب طويل بالولايات المتحدة الامريكية .. وكان وصوله مساء ٢٧ يناير ١٩٢٢ وخاطب سليم سركيس صاحب مجلة سركيس

تليفونيا فاندهش للمفاجأة واقام فى منزله احتفالا بالضيف الكبير ، حضره خليل مطران واحمد زكي باشا ، ومحمد بك المويلحي ، وداود بركات ، ومحمد جمعة وانطون الجميل وسليم الحداد ، وامين مرشاق ، واميل زيدان واحمد حافظ عوض، وامين بك واصف

وفى اليوم التالي احتفل بامين الريحاني فى نصرة الامير ميشيل لطف الله وشهد الاحتفال الشيخ رشيد رضا ، وسليم سركيس ، واسعد داغر وتوفيق اليازجي

وكان خليل مطران قد القى كلمة احتفالا بامين الريحاني في بيت سليم سركيس بمصر الجديدة فقال : اظهر الريحاني كثيرا من الفضل بنقله الى الغرب اداب الشرق وتعريفه الانجلو سكسون بفضائل الاسلام وان لم يكن مسلما ، فحق للشرق اجمع ان يشكره

وتكلم امين الريحاني فى تلك الليلة فاشار الى ان الادباء المصريين والعرب هم الحلقة التى تصل الشرق بالغرب ، فالمسئولية عليهم اشد منها على سواهم ولابد من هذا الاتصال لان عوامل التضامن اليوم اقتصاديه كانت او علمية اشد منها فى كل زمان فمن مدنيه فمن مدنية الغرب تجيئنا مثلا العلوم الكونية الحديثه والى مدنية الغرب نتقدم نحن الشرقيين بالحي السليم الدائم من علومنا الروحية مثل هذا التبادل الخلاق هو الرقي الحقيقي ، بل فيه تصل الامم الى اعلى درجات التمدين .

وفى يوم الاثنين ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ اقام احمد زكي باشا حفلا تكلمت فيه الانسة « مى » وذكرت فى خطابها الجميل الكثير عن امين الريحاني ووصفت فكره بانه لم يقف عند حدود البلاد وانه هو نفسه عزيز عزة من كانت قوته الوحيدة معرفة وسيفه الوحيد قلما .

وامتاز امين الريحاني بروح شابة تجنح نحو الذوق والعلم فى وقت واحد فالذ مقالاته وكتبه وجعلها مليئة بالتحليلات الهادئة الجميلة والاسلوب الواضح والروح الطيبة . «سو

وكان امين الريحاني يقول احب ان تشع حياتي لا ان تفرقع .. ان تكون كاحد الكواكب السماوية لاكسهم من الأسهم النارية ..

وقد شرح يوما هدفه فى الحياة فقال هدفي ان ابذل ما في طاقتي كتابة وخطابة وعملا لتحرير الانسان من قيود الجهل والفقر والخوف، وتخفيف الالام البشرية ، وازالة الاوهام والاضاليل فى العقائد والتعاليم السياسية والاجتماعية والدينية .

وقال ان وسيلته الى ذلك هى الفكر الحر والبحث الحر ، والقول الحر ، مجردا من كل تحزب وتعصب واهواء شخصية ، (انظر حـ ٢ من الريحانيات ص ١٦٨)

ويشير امين الريحاني الى العلوم والاخلاق الغربية ، فيتكلم عن فضل بعض الفلسفات فى تهذيب الاخلاق كالفلسفة الاستقرائية التى احياها ديكارت فى فرنسا ، وبيكون فى انجلترا فلقنت الاوربي حكمة الشك وعودته ان يسال كيف ولماذا .. وحببت اليه البحث العلمي والتمحيص . ثم الفلسفة المثالية الالمانية التي غذت عقله ونفسه والفلسفة الانجليزية التى غذت روحه ووعيه فاشتد ساعده وصحت عزيمته

ويقول امين الريحاني اننا نرى المقام الاول فى العمل فى كل هذه الفلسفات للارادة . فالارادة اذا ضعفت فى المرء ضعفت معها فضائل النفس والعقل والجسد . والارادة مثل كل الجوارح فينا ينميها الترويض وتعززها الممارسة ولكل منا حلقة اجتماعية صغيرة يستطيع ان يثير فيها مصباح الفكر والحب والارادة .

ونذكر مع ذكرنا اليوم لامين الريحاني احدى الصيحات الكبرى فى خطى

حفيدي.. كريم

● فتحية النميري ●

قصيدة شعر تهز القلوب
باوزانها .. خفقة من وتر!
اذا ما تهلل بعد البكاء ...
فشمس الضحى بعد يوم المطر!
يفيض سرورا ، كأن لم يكن
صفاء البهاء علاه الكدر ..!

***

أيا صادق الود عند اللقاء
ويا نفحة من حنان القدر ..
اذا ما تكلمت تصغي القلوب
وتسعد حين تزف الخبر!

***

فيا كوكبا قد اضاء وجودي
ويا بسمة في شفاه السحر
ويا باقة من زهور الربيع
شذاها الزكي هفا وانتشر ...

***

يلون عينيك عمق البحار
وصفو السماء ، ولمع الدرر
واهتف باسم العلى القدير
فطلعة وجهك نور القمر!

***

فيا برعما قبلته الشموس
ونبع الغدير وهمس الزهر
تبارك من صورتك يداه
وجلاك حسنا يسر النظر
وقاك الإله شرور الحياة
وكيد العدو وهول الدهر!

من حقيبة الدبلوماسية القديمة

من الذى يتقدم السفير؟

● سعد رضوان ●

حدث ذلك فى مثل هذه الأيام منذ ثلاثمائة عام ..

توجه رجال السلك الدبلوماسى الى ميناء لندن لاستقبال سفير السويد الجديد . وكان كل من السفراء الموجودين فى بريطانيا قد اعد موكبا يليق بمقام بلاده ، فهذا الكونت ديستراد السفير الفرنسى ، قد ركب عربته الفاخرة التى تجرها الخيول ويسبقهاويسير بجانبها وخلفها عدد من الحرس والخدم فى ملابسهم المزركشة ذات الالوان الزاهية .. وخلفه سارت عربة اخرى تحمل باقى اعضاء السفارة من دبلوماسيين وموظفين وحرس خاص ..

ووصلت مواكب عديدة مختلفة بعضها فخم وبعضها اقل فخامة ،ولكن موكبا فخما آخر يماثل موكب السفير الفرنسى اجتذب الانظار ، وكان ذلك هو موكب سفير اسبانيا الكونت دى فانفيل ...

ووصل السفير السويدى المحتفل به، واستقبل فى قاعة الاستقبالات المخصصة لكبار الزوار ، وحياه مدير المراسم بوزارة الخارجية البريطانية واعضاء سفارته ، ودار به اكبر اعضاء السفارة يعرفه على الموجودين ويقدمه للسفراء الحاضرين ، ثم وزعت المشروبات على شرف السفيرالجديد..

وانتهت مراسم الاستقبال ، وحيا السفير الجديد مستقبليه واستقل عربته وسار موكبه الى دار سفارته..

وبدات المواكب الأخرى المختلفة تستعد للعودة .. .والمتبع فى العودة ان ينادى المنادى على عربة السفير الخارج فيستقلها وتسير به دون مراسم او نظام خاص ، بل يتجه كل الى الطريق الموصل الى مقره ...

والمهم انه عند العودة سار موكب السفير الفرنسى الكونت ديستراد مغادرا الميناء . ولكن السفير الأسبانى امر رجاله وحوذيه ان يلحقوا بموكب السفير الفرنسى ويسبقوه ، وفعلا جرت عربات الموكب الأسبانى حتى اصبح الموكبان متقاربين ، ثم لحقت عربة السفير الأسبانى بعربة السفير الفرنسى وسارت بجوارها ..

وادرك السفير الفرنسى بتخطى عربة السفير الاسبانى فأمر حوذيه ، بان لا يسمح للاسبانى بتخطى موكبه!

واسرعت عربة السفير الفرنسى

وجرت العربتان متحاديتان دون ان تستطيع احداهما ان تسبق الأخرى..

ونظر كل سفير من نافذة عربتهالى السفير الآخر ثم أدار وجههبغضب... وصرخ كل منهما في سائقه ان يسرع .

كان المازق ان الطريق قد ضاق بحيث لا يسمح بغير .مرور عربةواحدة!

وتوقفت العربتان فجأة ، وقد اصطدم جانباها صدمة ارتج لها ركاب العربتين ..

وتوقفت عربات الموكبين التى كانت خلفهما ، ونزل السفيران معا فى سرعة ، وامسك كل منهما بسيفه ...

***

حدث ذلك فى عام ١٦٦٨ وكانت فرنسا يحكمها لويس الرابع عشر ، ذلك الملك الذى اعتبر عهده (١٦٣٨ ١٧١٥) العصر الذهبى لفرنسا وبلغت فيه الدولة شانا كبيرا ، وخاصةفيما يختص بالفنون والاداب حتى اصبح عهدا من العهود التى لا تنسى فيفرنسا وفي غيرها من البلاد ..

وكان لويس يحب الفخامة والأبهة ويهتم بالاحتفالات والمراسم ، ولا زلنا حتى اليوم نجلس بالصالونات المذهبة التى انتشرت فى عهده وسميت على اسمه فاطلق عليها ((طراز لويس الرابع عشر .))

فاذا ادركنا هذا ، عرفنا ما كانت عليه حال سفاراته ، وسفرائه من اهتمام بالمظاهر والفخامة والمراسم ، الخ ... وهكذا فان سفير فرنسا الكونت ديستراد امد نفسه وموكبه الوقت علاقات جامدة صنعها الحداد، ففى سنة ١٦٥٩ انتصر لويس على اسبانيا فى حرب طويلة واضطرها الى عقد صلح سمى صلح البرانس ...

وفى سنتى ١٦٦٧ و ١٦٦٨ قامت حرب أخرى قصيرة بين الدولتين بحجة ان اقليم الفلاندرز الذى كانت تحتله اسبانيا فى ذلك الوقت يدخل ضمن ميراث لويس الرابع عشر ...

ويبدو أن ذلك الاقليم كان يستاهل الحرب من اجله فهو اقليم غنىاشتهر بصناعة النسيج والصوف فتنازعته النمسا وفرنسا وانجلترا واسبانيا .. والمهم ان تلك الحرب القصيرة قد انتهت بأن احتلت فرنسا جزءا من الاقليم وضمته الى اراضيها ، وهو الجزء الذى يضم مدينة ((ليل)) الفرنسية الآن .

فاذا عرفنا هذه العلاقة بين فرنسا واسبانيا ، وعرفنا ان المعركة التى حدثت بين السفراء فى لندن حدثت فى نفس السنة التى انتهت فيها الحرب على اقليم الفلاندرز لصالح فرنسا اى سنة ١٦٦٨ أدركنا مدى العلاقة بين ممثلى الدولتين لا يمكن ان تكون علاقة حب ، خاصة وان أوامر ملك اسبانيا فيليب الرابع الى سفرائه دممثليه كانت أن يبرزوا ويظهروا ويتفوقوا على سفراء فرنسا ولا يسمحوا لهم بأن يتخطوهم او يسبقوهم او .. او .. الخ !.

وطبعا ، فان سفير اسبانيا فىذلك الوقت ، الكونت دى فانفيل قد اهتم بأن يظهر في الاحتفال ، وأن يسبق

السفير الفرنسي ، فكان ما كان من اصطدام العربتين ونزول السفيرين وقد امسك كل منهما بسيفه !..

وتبارز السفيران ..

وقامت معركة بين اتباع كل سفير ، استخدما فيها كل انواع الاسلحة التي في متناول ايديهم من سيوف وعصى الى سوط الحوذى ...

ووقف البوليس الانجليزى يتفرج على المعركة ، فلم يكن في سلطته ان يتدخل لعلمه بان اعضاء السفارتين لهم حصانة دبلوماسية ، وان تدخله يجر المشاكل ، وكان كل ما فعله الضابط الانجليزى ، هو ان ارسل احد رجاله الى رؤسائه بوزارة الداخلية الذين ارسلوا بدورهم الى وزارة الخارجية يستفتونها فيما يفعلون ...

وهكذا لم يهتم احد بفض المعركة ، بل وضح على وجوه الانجليز الابتسام والاغتباط . كمن يتسلون بمسرحية جميلة ! ..

واستمرت المعركة فترة طويلة دون ان يتضح اى الجانبين سيكسب ثم بدا ان الجانب الاسبانى هو الذى سيهزم، لما كان من السفير الأسبانى الا ان امر احد اتباعه باستئجار بعض البحارة والعاطلين الواقفين للفرجة لمساعدته .

واخرج الرجل جنيهات دفع منها ، لجمع عددا من المتعطلين و «البلطجية» الأشداء الذين امنوا عدم تدخل البوليس ، لتقدموا للقتال بجانب الأسبان ، واشبعوا الفرنسيين ضربا ، واضطروهم الى الاستسلام !..

وانتصر الكونت دى فانفيل السفير الأسبانى ومضى موكبه في الطليعة ... ثم تبعه السفير الفرنسى الكونت ديستراد بعد أن جمع جرحى رجاله وقتلاهم ... اى نعم قتلاهم فقد قتل عدد من الفرنسيين في المعركة ..

وفى الحال ارسل السفير الفرنسى تقريرا الى الملك لويس الذى غضب غضبا شديدا ، وارسل للملك شارل الثانى ملك اسبانيا يطلب منه الترضية الكافية ، والا فان فرنسا سوف تعلن الحرب على بلاده ... ولم يكن شارل الثانى ينتظر هذه النتيجة او يتوقعها فقد كان حين اصدر اوامره الى سفرائه بان يسبقوا سفراء فرنسا يعتقد انها لعبة مسلية كلعبة القط والفار او ما اشبه ، اما ان ينقلب الأمر الى صراع ديكة وحرب فهذا ما لا تحتمله بلاده!..

وهكذا قرر شارل تقديم الترضية التى طلبها لويس ففصل سفيره فى انجلترا دى فانفيل ، كما بعث الى لويس الرابع عشر فى مقره بسان جيرمان بسفير فوق العادة يخبره بانه اصدر اوامره بان سفراء فرنسا يجب ان يكونوا مقدمين على سفراء اسبانيا فى كافة المواكب والاحتفالات ، وانه من غير المسموح لأى سفير اسبانى ان يتخطى سفيرا فرنسيا !

قصــة

عروس.. في الخواء!

• هدى جاد •

اخذ يطوف ويطوف ..

أرهفت اذنيه السمع ..

لا احد بجانبه ، والوقت ليل ، معتم، لا صوت الا صوت البوم ..

لا حركة الا الخفافيش !

الحمد لله .. الا يمكنه ان يستمتع وحده بالرؤية والطواف ..

تحول البيت ، الذي كان يقيم فيه ، الى انقاض ، وهذه ايضا ضاعت ..

لكنه هناك ، فوق ، لا يستند على شيء ..

انه في الهواء ، في الخواء ، تماما مثله .. لم يعد يملك غيره .. هكذا القابع فوق ، وهو تحت .. يرنو اليه .. الرمز العتيق ، يسير جيئة وذهابا شمالا ويمينا يلف حوله ..

قال الناس : جن دبيع !

قالت زوجه : عمله التسول ، ولابد أن يمشي ، ومن يمشي على غير هدى، لابد أن يتوه ، ومن يتوه لابد أن يصاب بالجنون !

قالت وحيدته ذات الاربعة اعوام : وعدني ابي بالعروس الحلاوة ، لكني لم ارها الا في العام الماضي ، وعندما قربتها الى صدري ، اذا بها تتحول الى قطع سكرا !.. وقالت امي سأصنع منها مهلبية ، وعندما أقول لهم

— اشتاق الى المهلبية !..

لكن امي تقول : ليس لدي مال !

وعندما اسأل ابي عن عروس الحلاوة يقول : انها هناك في البيت المجاور عمرها عشرون ربيعا .. ترنو الى كأنني عفريت ، احمل على عنقي رأس حمار وجسدي يسير على ساقي زرافة ، اما ذراعاي فهي تلتحمان بساقي .. كيف ؟ لاتحول الى كائن يسير على اربع !..

وتردد الطفلة : اه ، لا أحد يهديني عروسا .. ولا أحد يطعمني مهلبية!

كثر الهمس .. البيت العتيق هدم .. خرج السكان الذهم المالك بتصدع المنزل العتيق — لم يصدقوا !—

أنذرتهم الجدران . وكل حجرة تقلصت حيطانها ، واصبحت الاربع ثلاثا .. الاربع ، فقد تحول الى كائن يسير على أربع !..

سأل الجيران .. لم حدث له هذا من دون الناس جميعا ؟

قالوا : ان ذراعيه يطولان من كثرة التسول ، بدل ان يبرز كفه ، كانت ذراعاه تطول وتدخل الجيوب ، فاذا ما فحص كفه لم يجد فيهما الا .. بصقة !

نهرته ابنة الجيران .. هناك في البيت الانيق .. جميلة جمالا اخاذا !..

اشارت له ، مد يده ، ارتفعت يده الى عنقها، امسكت ساطور التحدمن طول يده ، لكنه افاق .. تراجع من نومة أبدية ، فهو مسخ دميم يثير التقزز — لا الشفقة .. وبدا يخلط بين عروس المولد وعروس الجيران ..

عندما تهدم البيت العتيق ، خرج الناس جميعا ..

بعضهم لجا الى الاقارب ..

بعضهم لاذ بالعشش او الجحور ..

عداه هو .. مهنته التسول ، يجوب الكفور والنجوع ، لكنه حيث البيت العتيق يراها واقفا صامدا ..

دولاب ابيه عن جده ..

لم يبق الا عمود لا يستند الا على الهواء !

هاجر البعض ..

مات البعض الاخر ..

الا دولاب دبيع ، يحمل فوق سطحه عروسا حلاوة .

يمني ابنته بها ، ولا يستطيع الوصول اليها ..

ومازال دبيع ..

يطوف ، ويطوف !

روسو ..

مفكرًا اجتماعيًا

● ماهر شفيق فريد ●

● نتحدث في هذه الجولة عن مجلتين احداهما أمريكية والاخرى انجليزية . الاولى تتناول الاديب الفرنسي جان جاك روسو والثانية تتناول الاديبين الروسيين بوشكن ودستوفسكى ..

ففي مجلة « بى ام ال ايه »

الامريكية ، وهي فصيلة تصدر عن رابطة اللغة الحديثة في امريكا - نجد عديدا من المقالات : عن الزوجة الآتية من مدينة باث في فاتحة « حكايات كانتربرى » لأبى الشعر الانجليزى تشوسر .. وعن مقالة « دفاع عن الشعر » للشاعر الناقد الانجليزى سير فيليب سيدنى .. وعن السير توماس براون من كتاب النثر الانجليزى فى القرن السابع عشر .. وعن الفكر الاجتماعى عند روسو .. وعن الشعر الغنائى الصينى مقارنا بالغربى .. وعن مدرسة براغ فى التاريخ الادبى ما بين ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ، وعن نقد الروائى البولندى مولدا الانجليزى جنسية جوزيف كونراد ، للامبريالية فى روايته « قلب الظلمات » وعن رواية « وانا ارقد محتضرا » لفوكنر وعن العنصر الخارق للطبيعة والاسلوب الدارج فى رواية همنجواى « وداعا للسلاح » .

وسوف نتوقف هنا عند مقالة « الترتيب والفوضى فى فكر روسو الاجتماعى » .

يرى كاتب المقالة لستوج . كروكر ان مشكلة الترتيب تقع من فكر روسو السياسى والاجتماعى فى الصميم . فنظام الطبيعة قد مزقته قدرة الانسان الفريدة على تصور نظم مغايرة ، ولا سبيل لاستعادته . وروسو يحلل مظاهر الفوضى فى المجتمع : اللامساواة ، الظلم حالة الحرب ، الخ .. والفوضى داخل الذات (الاغتراب) مستخدماً مصطلحا لفظيا وبلاغة يدعمان هذا التحليل ، ومنتهيا الى أن الحرية والخضوع ، وتحقيق الذات والتسلط ، والطبيعة والثقافة ، لا تعود بعد من قبيل النقائض على ضوء هذا التحليل .

ان تصور روسو للترتيب يفتقر الى نظام المنطق الصارم ، ولكنه لا يفتقر الى الاتساق . فعنده (أولا) أن خلق الله - أى الطبيعة والكون - نظام عقلانى ، وأخلاقى ، ضمنا أو بالقوة . وعنده (ثانيا) ان النظام المعنوى لم يتحقق خارج نطاق الله الا عندما بدأ الانسان يكتشف مملكة المعانى ، وهو ما تجده مبسوطا فى رسالته المسماة « حديث عن أصل انعدام المساواة » . وهو يذهب (ثالثا) الى ان الانسان قد انشق على نظام الطبيعة ، ولم يعثر منذ ذلك الحين على علاج للفوضى التى أحدثها هذا الانشقاق الكونى . ومعنى هذا ، بعبارة أوجز ، ان النظام الطبيعى يولد نقيضه الخاص : كائنا وعيه الفريد بطابعه المعنوى يمزق النظام الكونى السائد ، ويقترن بانتهاكه ، ان لم يتسبب فى هذا الانتهاك .

والكشف الذى واتى روسو فى فنسن

عام ١٧٤٩ ، وقرر مجرى حياته منذ ذلك الحين ، يمكن تلخيصه في جملة : بالثقافة وحدها يستطيع الانسان ان يعيد خلق ترتيب يكون بديلا مرضيا عن ترتيب الطبيعة الذى فقده الى الابد . والمقدمة التى ينطلق منها روسو هى انه لا يمكن أن تكون هناك صورة طبق الاصل من الترتيب المفقود ، كما يتخيله دعاة البدائية الطوبويون ، ولا يمكن ان يكون ثمة حل وسط يوفق بين الطبيعة والثقافة ، على نحو ما حاوله ديدرو .. فعند روسو اننا هنا بازاء موقف اما أو .. اما هذا الشىء أو ذاك ، ولكن ليس الامرين معا !

كان روسو ينظر الى الكون الطبيعى الذى خلقه الله على انه نظام ثابت لحركة حسنة التنظيم . أما العالم الحى فيوجد بثمن : هو العنف والموت ، حيث يسطو بعض الكائنات على بعض التماسا للغذاء بيد ان هذا التفاعل هو سبيل الطبيعةالى تحقيق التوازن ، وهو ـ كما رآه الشاعر الانجليزى بوب ـ يشكل ، فى اطاره الاوسع ، نوعا من التناغم . وفى اطار كان الانسان الاول يعيشه ، وكان وضعه يتحدد عن طريق النفى : فهو ليس شريرا ، وليس شقيا ، ولئن كان لم يعرف الرضى الناجم . عن اشباع حاجات وجوده الاولية . كان ثمة تناغم بين الانسان وبيئته الطبيعية ، وكان ثمة وحدة لا تعرف التكسر الى شذرات بداخل الانسان ، ولم يكن ثمة انفعال بين النفس الخاصة والنفس العامة ، وهو الانفعال الذى جلبه تطور المجتمع الحديث

● بوشكن ودستوفسكى :

وندع مجلة « بى ام ال ايه » الامريكية الى مجلة « اللغات الحديثة » الانجليزية حيث نجد مقالات لا تقل عن ذلك تنوعا : من كتاب الناقد الانجليزى ولتر باتر « عصر النهضة » وصيت ليوناردو دافنشى فى القرن التاسع عشر .. وعن استخدام ت . س . اليوت للتحورات أو تناسخ الكائنات فى شعره .. وعن الكاتب الفرنسى شامفور ، والروائى الفرنسى المعاصر ميشيل بوتيح ، والكاتب النمساوى هوفمانشتال ، والشاعر الالمانى رلكة ، ومقالة عن « بوشكين دوستوفسكى فى مرحلته الباكرة » .

يقول و . ج . لدربارو ، كاتب المقالة الاخيرة : كتب دوستوفسكى فى ١٨٦١ ، بعد عودته من منفاه فى سيبيريا «ان دلالة بوشكن الضخمة تزداد وضوحا فى ناظرى » . وليس هذا مثلا من أمثلة المبالغة التى تحجب كثيرا من أحكامه على بوشكن ، فان التأثير الذى أحدثه الشاعر على تطور دوستوفسكى العقلى والادبى تأثير ضخم حقا .

أضف الى هذا ان بوشكن هو الاديب الوحيد الذى صمد لتقلبات مزاج دوستوفسكى فى مراحل نموه الشاقة . لقد تنكر دوستوفسكى لبعض معبوداته الباكرة مثل شيلر وجو جول ، ولكنه ختم حياته كما بدأها : بآية توقير بوشكن . ان خطبته عن بوشكن فى ١٨٨٠ وقصته المنشورة فى ١٨٤٦ تشتركان فى تقييمهما الايجابى للشاعر **وتاكيد اهميته فى تطور روسيا الثقافى وماكار دفوشكين ، بطل احدى روايات دوستوفسكى ، يستخدم بوشكن فى الهجوم على جو جول . كما ان خطبة دوستوفسكى عن بوشكن تستخدمه فى دحض حجج دعاة التغريب (اضفاء الطابع الغربى) فى روسيا .**

وكلا العملين يلح على تعاطف بوشكن مع الرجل الروسى العادى .

وخلال السنوات الفاصلة بين العملية ظل اتجاه دوستوفسكى ازاء سلفه ثابتا ان قليلا او كثيرا . فتعليقاته على بوشكن فى سلسلة من المقالات عن الادب الروسى اسهم بها فى صحيفة « فرميا » عام ١٨٦١ ، هى ـ من حيث الجوهر ـ مماثلة لما قاله عنه بعد ذلك ـ فى الخطبة ... وفى رسالة كتبها دوستوفسكى الى زوجته فى يونيه ١٨٧٤ يصف شقاء حياته فى المنفى ويقول ان عزاءه الوحيد هو فى قراءة بوشكن : « حتى الآن لم اقرا سوى بوشكن ، وانى لانتشى به حماسا . ففى كل يوم اكتشف فيه شيئا جديدا » .

●●

تراثنا..

أدب عالمي

● عزت محمد ابراهيم ●

● كان الجدال لا يزال يدور حول ادبنا المعاصر والسعي الى الوصول به الى مرتبة العالمية فاحسب ان التراث من هذا الادب قد حسم القضية منذ زمن بعيد ، فهو عالمي بانسانيته ، عالمي بسمو فكره ، عالمي بخصوبة خياله واتساع افقه ورحابة تناوله ونفاذ بصيرته ، عالمي حين كانت الحضارة العربية هي حضارة العالم ، تسعى دوله الى ترجمة فكرها الى لغاتها اخذا عنه ، وورودا لمنهله ، وتاثرا به..ولا يزال مفكرو العالم حتى اليوم يقرون بفضله ، وان له بين دور الكتب في انحاء العالم مكانا مرموقا ومنزلة عالية ..

ثانيا التأثر به فهو قضية لاخلاف عليها الا ان تتدخل الاهواء والاغراض واشهر ما يذكر في ذلك ((رسالة الغفران)) للمعرى ، ومسايينها وبين ((الكوميديا الالهية)) لدانتي من تشابه، فان نحينا جانبا امر الاخذ والتاثر ، فحسب الفكر العربي فخرا ان يسمو – سابقا – لافاق لم يلحق بها الفكر الغربي الا بعد اماد من السنين واماد.

وليس يجهل دارسو الادب والمشتغلون بالمقارن منه الاثر البعيد لحكايات الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي ، فقد نهج كثير من ادبائها نهجها ، وسلكوا مسلكها ، وتاثروا بها في قصصهم ورواياتهم ، وكان من هؤلاء الاديب الفرنسي « فولتير » ، وقصته «زاديج»أو « صادق» دليل واضح على هذا التاثر ، وهو لم يتاثر بهذه الحكايات فحسب ، بل تاثر بغيرها من الحكايات والاساطير العربية المتعددة ؛ ولعله ان يكون قد جاوز حوار التاثر الى ماعداه من تقليد ومحاكاة ، ونسج على نفس المنوال ، وكيل بذات المكيال ..

أصل القصة عربي محض لايحتاج الى كبير عناء للاهتداء اليه ، واقرب به حكاية « فراسة ابناء نزار» وقد ذكرها الميداني في « مجمع الامثال »والألوسي في « بلوغ الادب في معرفة احوال العرب والمسعودي في « مروج الذهب » ، وفحواها أن نزارا قدترك لابنائه مضر واياد وربيعة وأنمار ، ميراثا يرثونه من بعده ، ودلهم على حكيم العرب في الجاهلية الافعى الجرهمي » يحتكمون اليه اذ اختلفوا في تقسيم الميراث .

ومات نزار واختلف الابناء فيمموا وجوههم شطر كاهن نجران يلتمسون عنده المشورة والسداد فيما شجر بينهم من خلاف ، وفيما هم في الطريق اليه اذ راى مضر اثر كلأ قد رعي ، فقال : ان البعير الذي رعى هذا لأعور .. وقال ربيعة : انه لازور .. وقال اياد : انه لابتر .. وقال انمار: انه لشرود ..

ولم يلبثوا الا قليلا حتى لقيهم صاحب البعير ينشد بعيره ، فقال كل منهم ماعرفه من صفاته ، فقال هذه

الى الافعى الجرهمي فقال : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر :رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت انه اعور .. وقال ربيعة : رايت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت بانه ازور .. وقال أياد : عرفت انه ابتر باجتماع بعره .. وقال انمار : عرفت انهشرود لانهكان يرعى فيالمكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان ارق منه واخبث نبتا فعلمت انه شرود..!

فقال الافعى للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ...

وعجب الافعى الجرهمي أن يحتاج مثل هؤلاء — في ذكائهم وفراستهم — الى التماس مشورة وسداد رأى ، ثم انباهم بما هم فيه مختلفون فمضوا الى ميراثهم يقتسمونه ..

واضيف الى المقارنة بين الحكايتين دليلا اخر هو ان اقتفاء الاثر لايكونالا في بيئة الصحراوات لابيئة الغابات ، وان لابناء البادية في ذلك من الفراسة مالايزال حتى اليوموبالرغم من التقدم العلمي — وسيلة في كثير منالبلدانفي تعقب المارقين ، ولا يزال ما يأتي به المشتغلون بها موضع غرابة ودهشة في ارض الواقع ، كما هو موضع غرابة ودهشة في سماء الخيال ..

واحسب بعد ذلك أن الحكاية العربية اكثر تماسكا ، واشد ترابطا ، واقوى في الدلالة على الذكاء والفراسة وهي كذلك اقرب الى الواقع والمنطق حين تقع في بيئة تضل فيها الجمال فتحتاج الى من ينشدها ، ولايحتاج الكلب الى من يبحث عنه ، وانما يهتدي هو الى صاحبه مهما تباعدت الاماد ، وانه ليدل صاحبه اذاضل..

واخرى اسوقها ببيتين لامية بن ابى الصلت — هما :

وما ذاك الا الديك شارب خمرة
نديم الغراب لايمل الحوانيا
فلما استقل الصبح نادى بصوته
الا ياغراب هل رددت ردائيا ..

وقد جاء شعر ابن ابى الصلت في معرض الحديث عن الاصمعي ، وقد ان العرب كانت تزعم ان الديك في الزمان الاول كانذاجناح يطير فيالجو ، وان الغراب كانذا جناح كجناحالديك لايطير به ، وانهما تنادما ذات ليلة في حانة يشربان فنفد شرابهما ، فقال الغراب للديك ، لو اعرتني جناحك لاتيتك بشراب ، فاعاره جناحه فطار ولم يرجع .. فزعموا أن الديك انما يصيح عند الفجر استدعاء لجناحهمن الغراب !

تلك اسطورة عربية جاءت في قالب الشعر ، وهي أسطورة تنم عن خيال خصب له جناحان قادران على اقتحام الاجواء — لأمراء ..

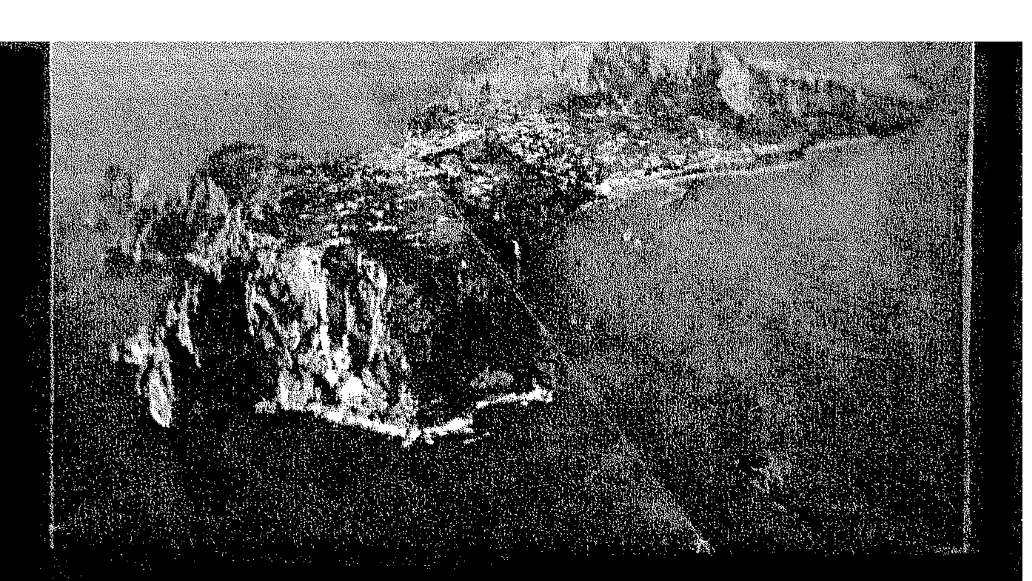
وما الاسطورة ؟

هي في اغلبها وعامتها تفسير ساذج لواقع ليس له عند الناس تفسير ، فيلتمسون له التفسير في خيال مبدع خلاق يستهوي ويعجب ويبهر ، ويبقى مادة لسمر ، وترويحا لنفس ،وابعادا للملل وسام ، وقد يأتي الزمانبتفسير وقول ، وتبقى مع ذلك الاسطورة بسذاجتها غير المعقولة .

وفي اساطير اليونان اسطورة تدور حول صياح الديك لم يبرح الخيال اليوناني بها عن دائرة الالهة والارباب والصالهم بالانس وعراكهم معهم وتالفهم والزاوجهم الى اخر ما تلف فيه تلك الاساطير وتدور .

ونقارن بين الاسطورتين مجردين عن الهوى والتميز ، فلا نملك الا الاعجاب بخيال ابن ابى الصلت وخصوبة فكره وجمال تخريجاته فضلا عن الاعجاب بشعره .. ولو أن حكايات العرب واساطيرهم وجدت من يعنىبها عناية الغرب باساطير اليونان لكان لها اليوم شان اى شان ..

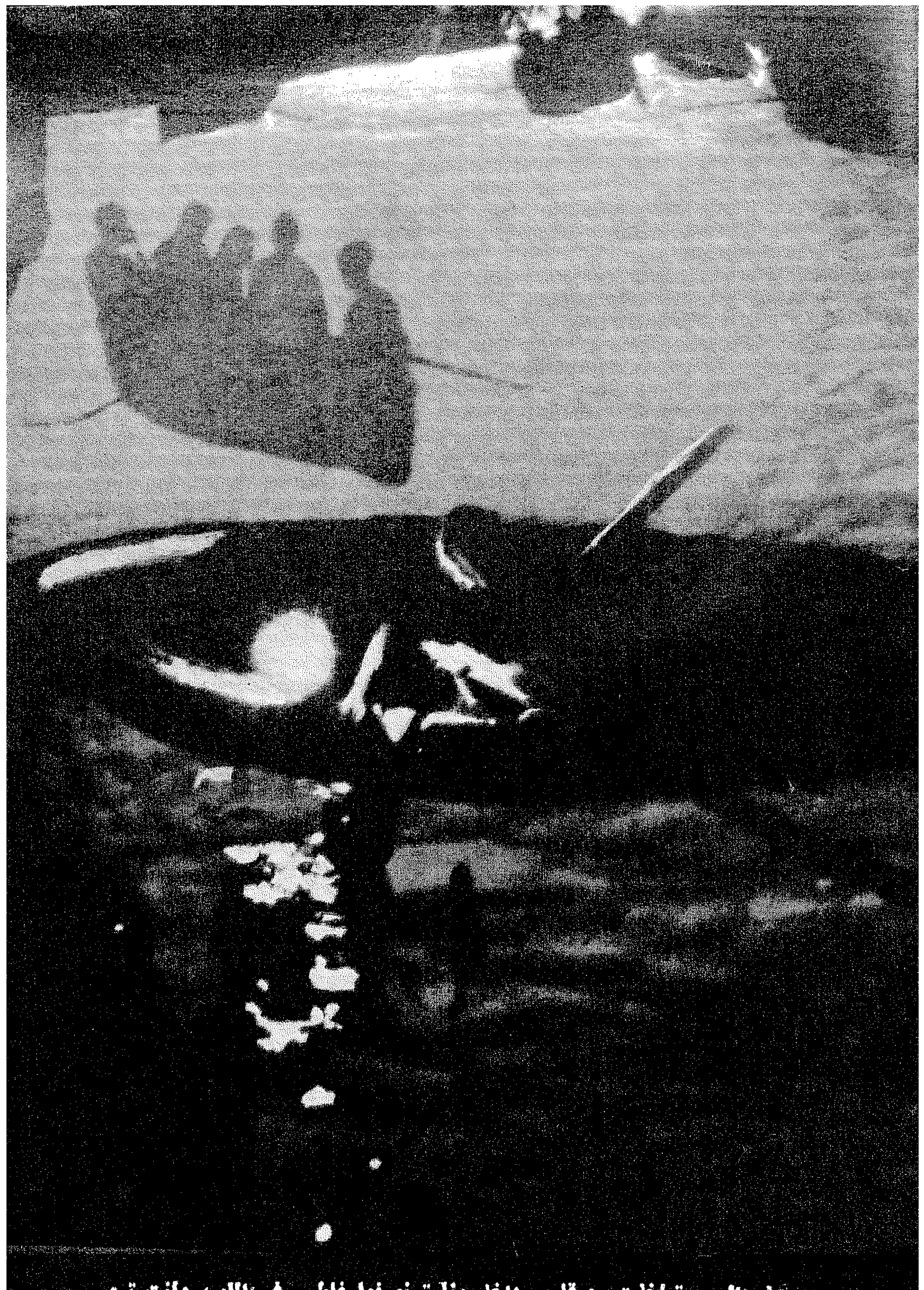
ولقد بلغ من اهتمامهم في الغرب باساطيرهم ان انشاوا لها المعاجم حتى يتيسر الاهتداء اليها بادنى جهد ،وهي عندنا مبعثرة في كتب الادب لايكاد يعثر عليها الا صدفة ، فان ارادها باحث في مظانها تجشم في ذلك عناء قد يعرقله عن مقصده وينأى به عن غايته .



كابرى

جزيرة الاباطرة وعرائس البحر

نزور معا كابرى مدينة الجمال والزهور والموسيقى والجبال والهضاب ومياه البحر الصافية . نقضى فيها سويعات من الاستجمام ، وندخل فى قارب صغير فى مغارة نحتته الامواج فى صخر الجبل فنحس واننا فى عالم جميل مسحور فان مغارات كابرى كبيرة وعميقة وهى ملجأ أسماك كثيرة اهمها الاخطبوط ولحمه هو لحم السمك المفضل فى كابرى . ان هذه الصخرة التى تحولت الى مينائين ومدينتين جميلة صيفا وشتاء ، واجمل فصولها الشتاء حيث تقضى أياما فى جزيرة صخرية شبه خالية بعيدا عن صخب الدنيا والناس.



هذه الصورة اخذت من قارب داخل مغارة نصفها غاطس في الماء ، وانت ترى هنا مدخل المغارة وامامه قارب • اما القارب الذى تراه في مقــدمة الصــورة فقارب للغطس ، وترى الغطاس فيه يستعد للغوص وقد اشعل المصباح الكهربائى القوى • بعد دقيقة سيغطس لياتى بالاخطبوط •

ربما كانت كابرى أصغر جزائر الدنيا فان مساحتها سبعة كيلو مترات مربعة ، ولكن شهرتها تعدل شهرة جزائر البحر المتوسط الكبرى مثل صقلية وكريت .

يزورها كل سنة نحو مليونى سائح ليستمتعوا بجمال الجزيرة وسحرها ويقضون ساعات ـ ربما أياما وشهورا ـ ينتقلون بين مينائى الجزيرة الصغيرين ومدينتها كابرى وأنا كابرى ..

من هنا حكم الامبراطور تيربيريوس خليفة اغسطس الدنيا لمدة عشرة أعوام .. والى هنا يهرب الاوروبيون والامريكيون من متاعب الحياة الصاخبة الى حياة صاخبة أخرى ولكن من نوع آخر ..

كابرى جزيرة صغيرة لا تكاد تراها العين على بعد ٢٠ كيلو مترا تقريبا من ساحل ميناء نابولى ..

ولكن شهرتها تتخطى كل تصور ،ومن فى الدنيا لم يسمع بجزيرة كابرى ..

وقد زرتها مرتين . اعجبتنى فى المرة الاولى سنة ١٩٥٦ ولم تعجبنى فى الثانية سنة ١٩٧٤ . فى المرة الاولى كانت الجزيرة هادئة قليلة الزوار ، وكنت تستطيع أن تستمتع بيومين أو ثلاثة ما بين مارينا جراندى ومارينا بيكولو ـ مينائى الجزيرة ـ وتزور مدينة أناكابرى فوق الهضبة ، وتستمتع بالفرجة على عشرات المغارات التى نحتتها المياه على الساحل او الرياح على الجبال ..

وكنت اذا شئت ملت الى احد المطاعم الصغيرة الكثيرة واستمتعت بوجبة شهية من الاسماك أو البيتا ، أو الاسباجيتى بشتى اصنافها وتدفع فى ذلك قروشا .

اما فى السبعينات فانت هنا فى زحمة من السائحين . الوف بعد الوف يفدون الى هنا ، تجتذبهم شهرة هذه الجزيرة العجيبة التى كانت تسمى جزيرة العصافير والاشجار والورود والحب فاصبحت جزيرة الاستغلال ابشع للسائحين . ذهبت لاقضى ثلاثة ايام فاكتفيت بواحد ، واحسست اننى لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك .

***

واجمل مافى كابرى هى شواطئها وزهورها الحمراء من البوجنفلييه التى تطالعك فى كل مكان .

وأسوا مافى كابرى هو النبيذ . ان رائحته تملأ الجو ، وحيثما نظرت وجدت ناسا يشربون ، وعندما تجلس فى اى مطعم تجد ان الناس يشربون اكثر مما ياكلون .. وقد تعرفت ذات مرة برجل اسكتلندى اتى ليزور كابرى مثلى ، واستاجرنا معا « تاكسى » ، ولم اطق الاستمرار معه ساعة لان رائحة الرجل كانت خمرا خالصا ، وما نزلنا بموضع فى طوافنا بالجزيرة الا رأيته يسرع ليشرب كاسا أو كاسين ..

والجزيرة قديمة جدا ، وانت تحس فيها بوزن التاريخ ، وفى موضع ما من الساحل الشمالى ترى تمثالا ضخما لرجل رومانى انه الامبراطور تيبريوس الذى خلف اغسطس . هذا الرجل عشق الجزيرة واتخذها قلعة له ومقاما ، ومنها ادار الامبراطورية الرومانية خلال السنوات العشر الاخيرة من حكمه . كان يصدر اوامره وتنقل من نواظير توقد فيها النيران ، وبهذه النيران تنقل الاشارات الى نواظير على الساحل وتتصل حتى روما . وكانت طريقة ارسال الرسائل بهذه النيران انهم يضعون امام النار صحيفة كبيرة من النحاس نخفيها

عن الانظار ، ثم يحركون الصفيحة يمينا ويسارا وفوق واعلى لتظهر النار للناظر على الساحل • وكل حرف له مدة وعدد من المرات تظهر فيها النار وتختفى ، ويكتب الرجال على الساحل هذه الاشارات بينما رجال آخرون ينقلونها بنفس الطريقة الى نواظير اخرى • وهكذا يقال ان تيبريوس كان يرسل اشاراته واوامره الى رجاله في نابولى فى دقائق وفى روما فى اقل من نصف ساعة •

وقد عرف الفينيقيون الجزيرة واستعملوها قاعدة لاعمالهم التجارية • وعرفها اليونانيون ويقال انهم هم الذين سموها كابرى اى موضع الاعناز (جمع عنزة) من لفظ كابرا ومعناه العنزة ، والحقيقة اننا اذا تصورنا كابرى قبل ان تشق فيها الطرق الحديثة ومصاعد الجبال فان الحيوان الوحيد الذى يستطيع العيش فيها هى العنزة التى تتسلق هذه الجبال والهضاب الوعرة وكذلك قراصنة البحار •

ومن الواضح ان القراصنة استخدموا هذه الجزيرة على طول التاريخ القديم والوسيط ، فاننا نجد الآن فى مياه الجزيرة سفنا كثيرة غارقة بعضها كان محملا بالذخائر التى يسلبها القرصان من السفن • وفى سنة ١٥٣٥ استولى اسطول السلطان سليمان القانونى على الجزيرة بقيادة القائد البحرى الاشهر خير الدين باربروسا ، ولكن المسلمين لم يقيموا فيها طويلا • وكان من عادة اهل الجزيرة اذا طرقهم طارق ان يحتموا فوق الجبال والمرتفعات وهناك يظلون فى امان حتى يجلو المغيرون •

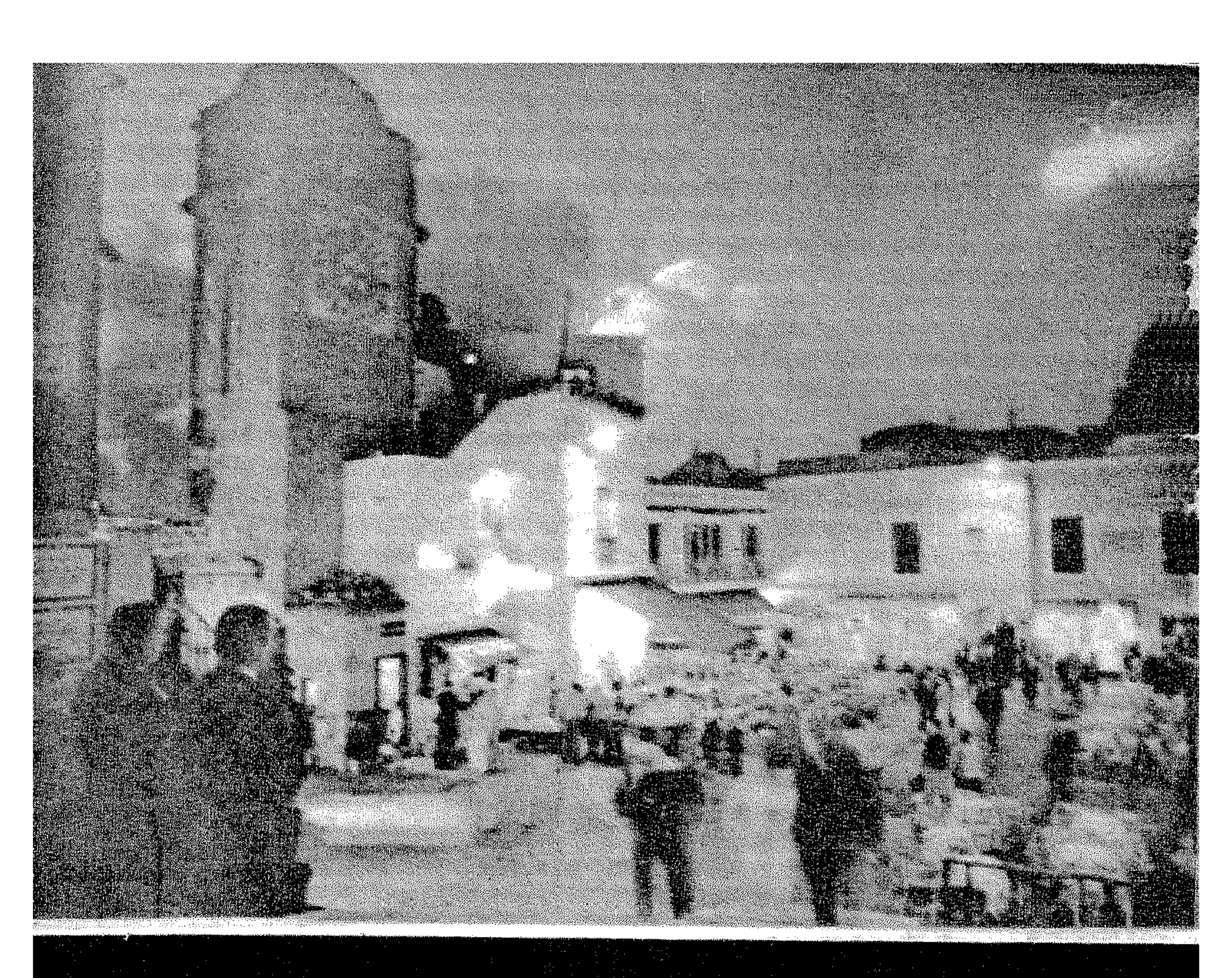
***

وقد نالت كابرى شهرة عظيمة ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، فقد نزل فيها شاب سويدى كان يدرس الطب يسمى اكسل مونتى ، وقد أعجبته الجزيرة ، فعاد الى وطنه وانتهى من دراسته الطبية وعاد الى الجزيرة سنة ١٩٣٩ وافتتح عيادة واشتغل الى جانب ذلك بالادب ، وكان موهوبا فألف رواية تسمى « حكاية سان ميكيل » عن احداث ايطاليا اوروبا كلها من قبيل الحرب العالمية الاولى الى نهايتها وقد لقيت هذه الحكاية توفيقا لم يكن اكسل مونتى يتوقعه ، فبيعت نسخها بالآلاف ، وترجمت الى كل لغات الدنيا ، واشتهر اسم هذا الرجل وكسب الالوف بعد الالوف ، فابتنى في كابرى فيلا جميلة ذات حديقة بديعة ، ولم ينجب اطفالا ، وترك امواله عندما توفى سنة ١٩٤٩ للسفارة السويدية، فحولت الفيلا الى مرسم واماكن للعمل للفنانين واعتنت بالفيلا والحديقة اعظم عناية •

والحق ان فيلا سان ميكيل قطعة من الفن ، وهى من اجمل مافى الجزيرة • والدخول فيها برسم قليل ، ولكنه يجمع فى العام مبلغا طائلا لان الذين يزورونها كل سنة لا يقلون عن ربع مليون ، ثم ان الفنانين الذين يعملون فيها يدفعون رسوما ، ولا يعمل فيها اى فنان بل يجب ان يكون فنانا كبيرا موصى عليه من هيئة فنية عالمية • وقد انشىء فيها متحف يجمع اشياء كثيرة معظمها آثار رومانية ويونانية مما اشتراه اكسل مونتى من الفلاحين والغواصين •

***

واجمل مافى كابرى هى المغارات والكهوف • ومعظم المغارات على شاطىء البحر ، وهى مغارات واسعة وعميقة نحتتها مياه البحر التى تلطم الساحل بعنف ، وبعضها غاطس تحت الماء ، وبعضها غاطس الى نصفه • وتلك هى مغارات كابرى الجميلة، وانت تدخل فيها بالقارب مع دليل فترى من مناظر الطبيعة



الميدان الرئيسي وسط مدينة كابرى · انه صغير ولكنه جميل ، وهو حافل بالمقاهى والمطاعم ويطل عليه البرج والكنيسة · وهناك أيضا دكاكين كثيرة تبيع المصنوعات الجلدية ومشغولات اليد من الدنتلا والاقمشة ، والحوارى المحيطة بهذا الميدان ممتعة فهى ايضا كثيرة المطاعم ومحال الزهور والفواكة واللحــوم والاسماك ·

كابرى كما ترى من الجو بعيدا · انها صخرة مستطيلة مساحتها كلها نحو ٢٠ كيلو مترا مربعا · ولا مدخل الى الجزيرة الا من الخليجين الذين تراهما بين طرفى الصخرة ، وكل خليج فيه ميناء وسهل صغير ، والميناء الذى تراه فى الصورة هو الميناء الصغير : مارينــا بيكولا وفى النـاحية الاخرى الميناء الكبير : مارينا جراندى ·



مالا تنساه ابدا ، والدخول الى المغارات برسم صغير ، وفي بعضها فرق موسيقية تعزف ، والنزهة فيها من اجمل ما تذكره بعد زيارتك كابرى .

اما المغارات الغاطسة تحت الماء فهي المواضع المحببة لاخطبوط البحر . ومن المعروف ان الاخطبوط يلجا الى المغارات ، لانه رغم كبر حجمه وبشاعة منظره حيوان بحرى ضعيف واعداؤه كثيرون ، لان اطرافه الكثيرة تجتذب الاسماك التى تنهش منها،فهو بطيء الحركة والى ان يتحرك تكون السمكة قد نهشت جزءا من اطرافه الكثيرة وولت هاربة . لذلك فهو يدخل الى المغارات ويختبيء بين الاحجار، وهو ايضا حيوان مفترس واطرافه تفرز مادة سامة ، وهو ينتظر فى صبر حتى اذا اقتربت منه سمكة لدغها فتتخدر ثم يمسك بها باطرافة وياكلها . ومن الغريب أن فمه صغير لان راسه صغير .

وليس أسهل على الصيادين من صيد الاخطبوط ، فان هذا المسكين يمسكه الصياد بيده من قفاه ثم يسرع فيقطع باسنانه العصبين الرئيسيين الممتدين من راسه الى بقية جسده فيموت فى الحال ، وهم يستخرجونه من الماء ثم يقطعون اطرافه قطعا صغيرة تقلى فى الزيت ولها طعم جميل ويسمى هذا النوع من السمك باسم كالوماريس وهو معروف فى كل بلاد البحر المتوسط . وقد أكلت الكالامارس فى ايطاليا وكابرى واسبانيا وهو طبق جيد من السمك يطبخ احيانا بصلصة سوداء تستخرج من جوف الاخطبوط نفسه ، ولها طعم الملوخية .

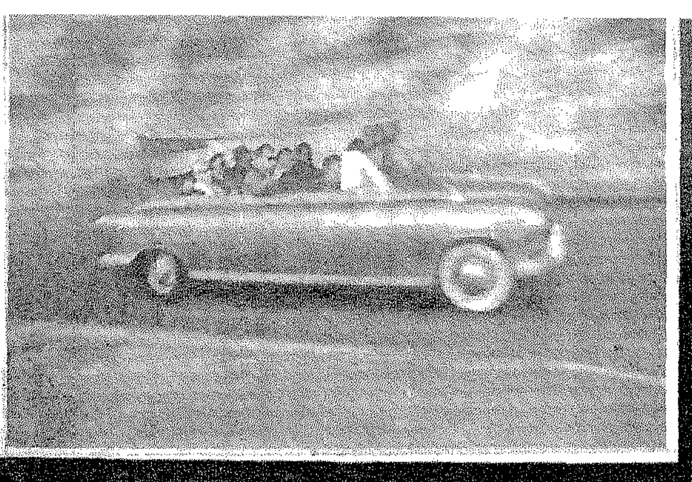
***

والمدينة الرئيسية فى كابرى هى كابرى نفسها ، وهى مدينة صغيرة بين مينائى الجزيرة الكبير والصغير : مارينا جراندى ومارينا بيكولا . وفى وسط البلد ميدان صغير ولكنه بديع ، ففيه الكنيسة الكاتدرائية وحول الميدان مقاه ومطاعم ومحدت لبيع التحف والتذكارات والميدان دائما عامر بالحركة ، وفى النهار نجده سوقا لكل ما يخطر على بالك من بضائع حتى السيارات،وهنك تاكسيات واوتوبيسات تنقلك الى حيث شئت من مواضع الجزيرة الصغيرة .

وفى كابرىمدينة أخرى تقع أعلى جبل تسمى انا كبرى اى كابرى العالية ، وهى مدينة جميلة كلها حدائق وزهور ، وفيها وعلى التل الذى تقوم فوقه وعلى المنحدرات الى السهل تقوم بيلات الاغنياء والفنادق الكبرى ، وفيلات كابرى جميلة جدا لان معظمها يمتلكه ناس من اغنياء الايطاليين والاوروبيين ويستعملونها للراحة والاستجمام ، وهى لهذا فى غاية الجمال والتنوع المعمارى ، ومن بينها فيلا سان ميكيل ومتحفها ، والى جوارها قلعة قديمة تسمى قلعة بارباروسا ، والمراد بذلك الملاح التركى الذى ذكرناه واسمه عروج ويعرف باسم خير الدين ويلقب بباربارورسا اى صاحب اللحية الحمراء ، وهى قلعة صغيرة حصينة ، وهى ذكرى تركها المسلمون فى تلك الجزيرة الجميلة .

***

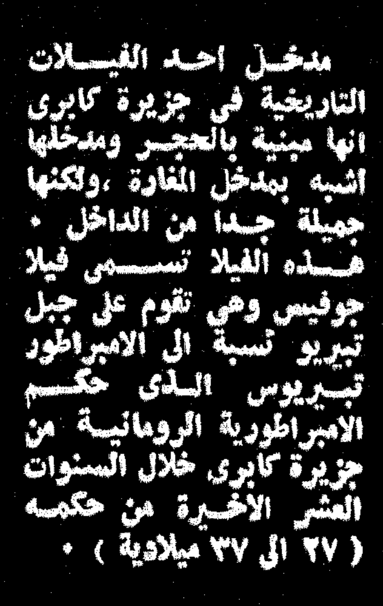
واكثر ما يستوقف انتباهك فى كابرى هو كثرة الاوروبيينالذين يتخذون الجزيرة ملجا يقضون فيه بقية حياتهم ، ومعظمهم من الاغنياء الذين يصفون اعمالهم ثم ياتون الى الجزيرة ويشترون فيلا ويعيشون بعد ذلك سعداء بعيدا جدا عن ضجيج الدنيا . والحق انك تشعر وانت فى كابرى انك بعيد جدا عن العالم ومن حسن الحظ ان الجزيرة لمتتحول الى مركز من مراكز الفساد كما ترى فى ميناء سان تروبيز فى فرنسا مثلا ، فقد تجمع فساد الدنيا كله فى سان تروبيز على مقربة من كان فى الريفيرا الفرنسية والحياة فيها اغلى منها فى اى مكان فى



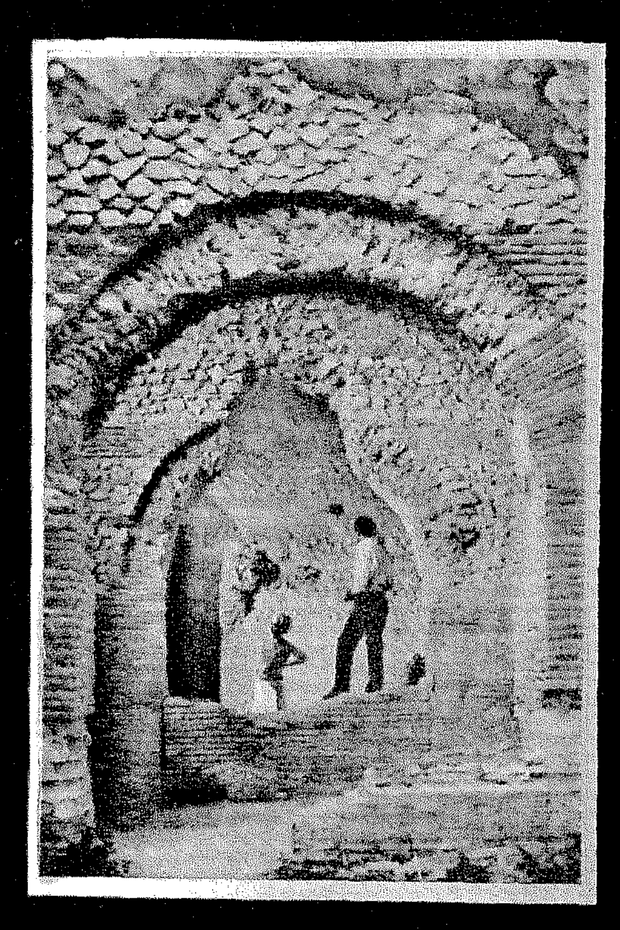
هذه السيارة الجميلة تاكسي يطوف بك الجزيرة وينقلك من مكان لمكان . ونادرا ما ياخذ الانسان وحده تكسيا لان الاجرة عالية ، بل يركب في التاكسي عدد من « السائحين » والطرق هناك قصيرة وضيقة ولكنها ممهدة ومريحة .



رجل يعزف فى نفير . امثال هذا الرجل فى كابرى كثيرون ، وهم يكتفون منك باقل شىء ، والطف من عازف النفير هذا هم عازفوا الكمان للطاعمين فى المطاعم وهم كثيرون ومجيدون ومنهم من تجدهم فى قوارب فى المغارات . وفى اعياد الميلاد يتوافد الى كابرى موسيقيون كثيرون من نابولى ومن مقاطعة ايروزى القريبة من كابرى



مدخل احد الفيلات التاريخية في جزيرة كابرى انها مبنية بالحجر ومدخلها اشبه بمدخل المغارة ،ولكنها جميلة جدا من الداخل . هذه الفيلا تسمى فيلا جوفيس وهي تقوم على جبل تيبريو نسبة الى الامبراطور تبريوس الذى حكم الامبراطورية الرومانية من جزيرة كابرى خلال السنوات العشر الاخيرة من حكمه (٢٧ الى ٣٧ ميلادية) .





في مطعم من مطاعم كابري . صاحبة المطعم أصلها اسكتلندي . أتت زائرة واستقرت وتزوجت رجلا من اهل كابري وانشات هذا المعطم . انها تخدم الناس بنفسها وتراها في الصورة تقدم سلة الفاكهة لرواد المطعم . الطعام هنا شهي متنوع وسعره معتدل . لاحظ كثرة زجاجات النبيذ على المائدة .

منظر من أجمل مناظر كابري . انه جانب من الشاطىء ، والشاطىء هناك صخري قليل الرمل ولابد ان تضع في قدمك شيئا حتى لا تجرحك الصخور . لاحظ الزهور الحمراء التي تصل الى الشاطىء ، والمستحمون متناثرون على القطع الرملية الصغيرة بين الصخور . شواطىء كابري محاطة بالصخور الناتئة من الماء كما ترى في الصورة .



الدنيا ،ولهذا فانها رغم شهرتها بالفساد الا ان زوارها قليلون ، فان فنجان القهوة فى مقهى هناك يكلفك خمسة دولارات ، والاكلة فى مطعم تصل الى ٥٠ دولارا واجر المبيت فى الفندق يتراوح بين مائة ومائتى دولار ، ولهذا لا يقيم فى سان تروبيز الا الاغنياء جدا ، وهم هناك يمارسون الفساد على نطاق واسع ، وفى السنوات الاخيرة أصبح الجلوس على الشاطىء دون ملابس اصلا شيئا عاديا ، والنساء العاريات يرحن ويجئن دون مبالاة ، والناس هناك لا ينظرون اليهن لكثرتهن ٠

اما كابرى فعلى رغم شهرتها بانها جزيرة الحب فلا تجد فيها فسادا ظاهرا فهى مصطاف ومكان نزهة وصيادين ، واهلها ناس طيبون يعيشون على السياحة ، وهم يقدمون لك ما عندهم من الفاكهة والطعام بأسعار معقولة ٠ وفيهم غواصون ماهرون يذهبون بك الى اماكن الغطس وينزلون تحت الماء ويصعدون وفى أيديهم الاخطبوط المسكين ويقطعون عصب رأسه باسنانهم امامك ٠

ولا عيب فى كابرى الا انها قريبة من نابولى ، ونابولى مدينة سيئة وخطرة وخاصة بعد مغيب الشمس ٠ومن الغريب ان كابرى جزيرة امان ليس فيها مهربون ولا تجار مخدرات ولا متسكعون خطرون مثل نابولى ٠

ذهبت الى كابرى مرتين ، والصورة التى فى ذهنى عنها هى صورة الصخور والمغارات واشجار البوجان فيليبه ذات الزهر الاحمر الجميل ،وذكريات مطاعمها الصغيرة لا تنسى ،وفواكهها من الذ فواكة الدنيا ، ولهذا فان زيارتها متعة والحياة فيها راحة ولن تندم على اى ساعة تقضيها هناك ٠

ح ٠ م ٠

بائع خضر وفاكهة فى كابرى ٠ انه يبيع كل شىء بما فى ذلك الجبن واللحم والخبز ٠ انه هنا يبيع البصل والثوم ٠ اهل كابرى يستعملون البصل والثوم كثيرا فى طعامهم وهم ناس امناء طيبون ، اذا انت اردت ان تستمتع بالجزيرة فحاول ان تطهو طعامك بنفسك لذلك يوفر عليك مالا كثيرا ٠

سيدة تبيع الزهور على ناصية شارع ضيق فى كابرى ٠ ان زهور كابرى جميلة جدا وخاصة فى الربيع والصيف ، وكل مساكن كابرى مزينة باصص الزهور وحدائق الفيلات تتالق بالزهور ٠ هنا فعلا تحس انك فى جزيرة ترتاح فيها بعيدا عن الدنيا ومتاعبها ٠





منظر فريد فى سهل صغير فى جزيرة كابرى شجرة
عتيقة استند اليها غلام مع كلبين وفى السهل اشجار
التين والبرتقال واللوز والزيتون وقطعة من الارض

مزروعة بالقمح اما الكروم فتراها فى كل مكان فى مثل
هذا الموضع من كابرى تحس ان الزمن لا يتغير وانك
بعيد جدا عن الدنيا الصاخبة .



المنظر الذى تراه اذا وقفت الى جوار تمثـــال الامبراطور تبيريوس انه منظر بديع فتحت قدميك الميناء الصغير مارينا بيكولا شمالى الجزيرة ومياه البحر زرقاء وخضراء وبنفسجية والصخور ذات الوان بديعة والخضرة زاهية كما ترى فى مقدمة الصورة ٠



هؤلاء هم اهل كابرى . ناس طيبون يكدحون ليعيشوا . هذا الرجل صياد وامرأته تدير مطعما صغيرا للسمك ، والاسماك في كابرى كثيرة ورخيصة وهم يطهونها بالبصل والثوم والزيت . وكل بيت من بيوت كابرى يقدم لك الطعام بالثمن اذا طلبته .

أنت فى كل شىء

● جميل محمود عبد الرحمن ●

وفي (اسكندرية) والبحر يهدي ... لصمت الغريب شذى خصلتك !
جلست على الرمل ظلا وحيدا ... وقد اجفل القلب في غيبتك
أيا اقرب الناس ، لو ابعدتني ... شطوط الاماني عن وجهتك
انا في اقاصي البلاد نداء ... لعينيك ارعى خطى نجمتك
وأنفاس عمري التي تسمعين صـ ... ـداها أغاريد في روضتك
تناجيك في كل خفقة قلب ... تذوبني في سنا طلعتك
فأنت على كل شيء أراه ... حياة ووحيا باشراقتك
أسائل عرافة البحر عنك ... فتأتي على الموج في هيئتك
تحدثني عنك عذب الحديث ... فتظما الشفاه الى قبلتك

***

بكل الضفاف التي سرت فيها ... سرى الشدو يختال في نبرتك
وفي كل عزف للحن الهيام ... أحن الى الدفء في همستك
أحن الى صوتك الساحلي ... اذا لفني في صدى كلمتك
وطار معي في زوارق حلمي ... غناء يهيم بتنهيدتك
على كل شيء بدا وجهك الحلـ ... ـو يعطي التفاؤل في بسمتك
وحتى بريق المنار اقتباس ... بألوانه السبع من وجنتك
أيا من حوى البحر منك التراحب ... يأوى الفؤاد الى واحتك
أحبك في لهفة الموج للشط ... يرغي ويزبد في راحتك
ورغم اللواتي تعرين في البحر ... ليس بعيني سوى صورتك !
وبالرغم من ضحكات العذارى ... فليس بسمعي سوى ضحكتك !
ورغم العيون التي تشرع الطرف ... لن تحتويني سوى لفتتك !
اسافر في البحر صادي الحروف ... وما الشط لو ضل عن وجهتك !
فلا البحر يروي ولا الشط يؤ ... نس وحشة روحي في غيبتك !

الأعمال الأدبية تفوز

بجميع الجوائز في المهرجان

● ماري غضبان ●

● تتنوع الكتابة الادبية بتنوع المجتمعات والازمنة ، وبقدر ما يعبر العمل الادبي عن مجتمعه وزمانه ، بقدر ما يكون صادق التعبير مؤثرا في القارىء والجمهور .

وغالبا ما يصيب النجاح مثل هذه الاعمال حين تصاغ في عمل سينمائي يعرض على مساحة أكبر من الناس .

وهذا العام ، في مهرجان تاورمينا .. كانت هناك مجموعة من الافلام التي اخذت عن اعمال ادبية لكتاب مختلفين من دول متباينة ، كل قد صور مجتمعه ، وناقش قضاياه ، ومشاكله ..

لكن السمة الغالبة هذا العام ان هذه الاعمال الادبية كانت في معظمها تدور حول المسائل النفسية والاجتماعية او المشاكل المتصلة بالوطن والارض ، وهي قضايا تعيشها المجتمعات الآن رغم ما بها من تطور وتقدم بل لقد أصبحت مثل هذه القضايا ظاهرة تكاد تكون موجودة في كل مكان ..

هناك فيلم « تذكرة الى الجنة » الذي مثل كندا في مسابقة المهرجان ، و « المقتبس » عن رواية ج . فريد ـ التي تحمل نفس الاسم وأخرجها المخرج الشاب رالف توماس ونال الجائزة الذهبية لاحسن فيلم عرض في المهرجان

ـ وتحكي قصته التطرف الديني الذي حدث في الستينات في أمريكا وأخذ في الانتشار في أوربا ، وكيف أن هناك نحو الفين وثلاثمائة منظمة دينية تجمع أكثر من عشرين مليون فرد أغلبهم من الشباب، يتركون أهلهم وذويهم ويعيشون في مكان منعزل ، معتقدين أن عقيدتهم هي الاساس وهي الصواب وما عليه الباقون خطأ .. وقد أقاموا بينهم الصداقات معتقدين انهم سوف يغيرون العالم بأفكارهم ، لكنهم في النهاية انقلبوا على أنفسهم ، وقتلوا جميع التقاليد الانسانية والاسرية وهدموا في داخلهم ر بولهم كل القيم النبيلة والعظيمة ..

والفيلم تعبير فريد من نوعه من حيث القصة وما تعالجه في داخله من قضايا ومشاكل تهم المجتمعات .

الفيلم الثاني بولندي واسمه « ممنوع » ، وهو مأخوذ عن كتاب لاندرية بازتوزيك ، يحمل نفس الاسم نشر منذ عشرين عاما .. وقد لقي معارضة كبيرة من الرقابة حتى أنه لم يعرض في « بولنده » الى الآن ..

وقصته ثورة ضد الظلم والفساد المستشري في الافراد والحكومات التي



مشهد من الفيلم الكندى ((تذكرة الى الجنة))

ترغم الشعوب على الخضوع لها ولسياستها ، من خلال قصة طالب فى مدرسة يلفقون له التهم حتى يفصلونه من المدرسة ان لم يخضع لمطالبهم وسياستهم •• ويثور زميل له ، ويحاول الثورة على النظام ، لكنهم ـ بطريقتهم الخاصة ـ يضطرونه أن يعود الى النظام مرة أخرى

وقد نال هذا الفيلم الجائزة البرونزية فى المسابقة ••

والفيلم الثالث هو الفيلم الايسلندى « الارض وأبناؤها » اخراج أوجست جود مونسون ، المقتبس عن رواية للكاتب اندريدى ثورت تينسون ••

ويدور حول قضية الارتباط بالارض والهجرة منها ، من خلال صورة لمجتمع من الفلاحين الايسلنديين الذين يرغبون فى الهجرة من الريف الى المدينة حيث الحياة والتقدم والحرية ، لكنهم فى النهاية وتحت عاطفة الارتباط بالاهل والمكان يضطرون الى العودة ثانية حيث أرضهم الاولى ••

ويعتبر هذا الفيلم أول فيلم أيسلندى وبداية دخول أيسلنده عالم السينما وقد نال الجائزة الفضية فى المهرجان •

أما الفيلم الامريكى « احك لى فزورة » للمخرجة الممثلة الامريكية لى جرانت والمقتبس عن كتاب تيلى أولسون ،فتحكى أحداثه مشكلة نفسية اجتماعية تعالجها من خلال قصة رجل وامرأة تزوجا وعاشا معا خمسين عاما ، ثم تحدث لهما حالة اكتئاب نفسى حتى يقرر كل منهما ان يهجر الآخر ، ويصمم الرجل أن يبيع المنزل الذى يعيشان فيه معا •• وينتقلان الى الحيا ةمع أولادهما ، لكن المرأة تصاب بمرض جسدى •لتتفجر العاطفة الزوجية فى الرجل ويعود ثانية الى زوجته وتعود معه الحياة كما كانت من قبل ••

وقد نال جائزة التمثيل للممثلة ليلا كميدرونا التى شاهدنا لها فيلم «زوربا»

أما فيلم ((اجنحة اليمامة)) الفرنسى الذى أخرجه بنوا جاكو والمقتبس عن كتاب هنرى جيمس ، فرغم أنه يعالج مشكلة اجتماعية هامة الا أن القصة كانت قديمة لم تعالج جديدا ولم يستطع السيناريست أن يترجم احداثه بحيث تتلاءم مع مجتمع اليوم ، ولهذا لم يلق اعجاب الجماهير •

ونستطيع أن نقول بصفة عامة أن العمل الادبى حين يكون صادقا ، فلابد وأن ينال الاعجاب من الجمهور والنقاد ، وهذا ما برز واضحا هذا العام فى مهرجان تاورمينا •

●●

أمينه رزق

راهبة في محراب الفن

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

***

امينة رزق اليوم عميدة المسرح العربى . من جيل فاطمة رشدى وروزا اليوسف لم تبق الا امينة رزق راهبة الفن ودرة المسرح العربى . منذ ابكت الجماهير بدورها الهائل فى الذبائح لافطون يزبك الى يومنا هذا وهى تمثل وتمتع الجماهير . انها ليست ممثلة كبرى فحسب .انها ظاهرة فكرية ثقافية . انها منتطلق العربية فى اجمل طريقة . كلامها ومنطقها يفكرك بام كلثوم

كان لابد ان يتحدث عنها الهلال ، فامينة رزق لها على كل مثقف صاحب فن فى الوطن العربى حق .. انها تتحدث فى الحديث التالى وهى مجملة متعلقة بالعمل ، ولكن لعل لنا جلسة اخرى معها ، جلسة اقول واهدا لنسمع من امينة رزق وننقل حديثها الى القراء .

د . ح . م

***



امينة رزق عميدة المسرح العربي

الرحلة الطويلة التي قطعتها امينة رزق مع الفن ، لم تخل من الدموع كما لم تخل من الزهور ... فهي رحلة يختلط فيها المجد بالعذاب ... اهات الالم والأرهاق تملأ الجوانح ، واهات الاعجاب وآيات الحب بضج بها المكان .. والمكان الذى عشقته منذ نعومة اظافرها هو المسرح — هذا العالم الساحر المليء بالأضواء ...

بدأت تسعى اليه كما تسعى الفراشة الى الضوء هي لا تزال طفلة ولا تعرف ان ذلك هو قدرها ... كان ذلك في مدينة طنطا حيث يقام « سيرك الحلو » ، في هذا السيرك بدأت امينة تحملق لا في الأسود ولا في النمور ، ولكن في فقرة ارتجالية تقدم كنمرة من بين عروضه وهي مسرحية من ذات الفصل الواحد ، من هنا عرف المسرح طريقه الى قلبها ..

ثم جاء ميلادها الحقيقي وهوميلادها الفني ، في عام ١٩٢٤ عندما صحبتها خالتها « امينة محمد » وكانت فنانة هي الأخرى — الى مسرح رمسيس ، وهناك تعرفت الى صاحبه الفنان الكبير يوسف وهبي لتبدأ الرحلة الطويلة الممتدة التي فضلت ان يكون رفيقها فيها الفن والفن وحده وليس الزوج، فاستحقت ان يطلق عليها راهبة في محراب الفن ..أو انها تزوجت بالمسرح .. فسبع وخمسون عاما تقريبا على خشبته تجعلنا نقدر لها عطاءها وصمودها وتضحيتها من اجل هذا « الزوج » الذى تشع أضواؤه في كل جنبات الحياة ونطلق عليه ابا الفنون ... انه المسرح !

مسرح رمسيس ..

كانت بداية الفنانة امينة مع مسرح رمسيس ، وكان يقدم مسرحياته بلغة عربية فصيحة . اما الآن فاننا نرى المسرح غارقا في العامية حتى اذنيه ... فماذا تقول أمينة رزق في تلك القضية التي تدور رحاها بين انصار الفصحى واتباع العامية — وايهما افضل للناس واثرى لتكوينهم الثقافي .

« كان مسرح رمسيس « مسرح يوسف وهبي » يقدم انماطا مختلفة من المسرحيات منها ما هو عالمي، ومنها

ما هـو تاريخى ، ثم ما هو محلى اجتماعى

« .. وكل لون من هذه المسرحيات كانت له لغته الخاصة به ... بما فى ذلك ما كان يقوله من مسرحيات شعرية ...

وانا افضل ان يكون المسرح العالمى مقدما بلغة عربية فصحى والمسرحيات العربية ذات الطابع التاريخى او الشعرى فلا بد أن تكون بالفصحى ايضا ، لأن تراث اللغة العربية لابد ان يدوم على خشبة المسرح ..

اما المسرحيات المحلية الاجتماعية فيجب أن تكون باللغة المحلية العامية لانها تناسب طبيعتنا ، لكن يجب فى نفس الوقت ان تتوافق مع لهجات الشعوب العربية حتى تكون مستحبة فى جانبهم ..

اذن لاباس من تقديم عدة الوان ، كل لون يتفق مع طبيعة العمل المسرحى ذاته وبما يخدمه ..

العصر الذهبى للمسرح

كثيرا ما قلنا ان المسرح يعانى حاليا ويمر بازمة شديدة فلابد انه كان وبمفهوم المخالفة يمر بفترة ازدهار كبيرة ، فترة انتعاش وهى مايطلق عليه العصر الذهبى — فمتى كانت وكيف كانت المخالفة هذا ما تقوله لنا الفنانة القديرة امينه رزق وقد ضمنت اجابتها الفرق بين المسرح فى تلك الايام الخوالى والمسرح الآن .

« كان المسرح فيما مضى يعتمد على مجهودات الافراد بذواتهم الشخصية وذلك لحبهم للفن ولعشقهم له ولايمانهم برسالته ولم تكن للدولة يد فى الحركة المسرحية ، ولقد كانت اجمل أيام النشاط المسرحى هى الفترة الممتدة من سنة ١٩٢٣ الى عام ١٩٣٠ وهى فترة العصر الزهبى للحركة الفنية المسرحية ، فلقد كانت الحركة المسرحية فى قمة مجدها وازدهارها ونضجها ، لانه كان هناك تفرغ كامل من جانب الفنان ومن جانب المتفرج ، ولم يكن يزاحم كل منهما لا اذاعة ولا تليفزيون ولا سينما .. بالاضافة الى حالة الحب الطاغية التى كانت تسيطر على الفنان فى عشقه للمسرح ، فلقد بلغ الامر بنا ان اكبر سعادة يصل اليها الفنان — حتى ولو كان يمثل بطولة فى بعض الاحيان — أن يشغل دور الكومبارس لمجرد أن يتواجد على خشبة المسرح .

وكنا ونحن نعمل فى المسرح نتكاتف وكاننا مجتمع عائلى كبير لا فرق بين كبير ولا صغير .. فقد كنت فى بعض الاحيان لا اتورع ان اعمل (مشرفة على احضار الفنانين) انادى على هذا وابلغ ذاك بميعاد دوره او ان يستعد وما الى ذلك ..

واذكر ان زميلتى علوية جميل .. كانت احيانا تقوم بدور « الملقن » اذا ماشعر الملقن بالارهاق والتعب .. وكل هذا عن حب خالص للمسرح وعشق للفن .. الان اختلف الامر ، اصبح الفن بمثابة مهنة ولم تعد الهواية المطلقة كما كانت ايام زمان ، واصبحت للفن معاهده وقيوده ولقد اتسعت الرقعة الفنية فشملت الى جانب المسرح الاذاعة والتليفزيون

والسينما .. فى الماضى لم يكن يهم أن تحصل على مال او لا الان أصبحت المادة تشكل جزءا مهما فى حياة الفنان لما تتطلبه الحياة منه .. »

الخروج عن النص

« يحدث الخروج عن النص عادة فى المسرحيات ذات الطابع الهزلى « الكوميدية » لان الفنان الكوميديان يحمل عبئا كبيرا فى أن تستلطفه الجماهير ، وان يوفر لها كمية كبيرة فى من الضحك وقد يكون عليه ان يوقظ هذه الجماهير فيفضل ان يخرج عن النص قليلا حتى يبث فيها الاضحاك ولكن بطبيعة الحال يجب أن يكون ذلك فى موضعه ومناسبته .

اما فى النصوص الدرامية الجادة فلا داعى للخروج عن النص

يوسف وهبى ـ وامينة رزق

عندما التحقت امينة رزق بمسرح رمسيس كان لابد أن تلتقى بصاحبه يوسف وهبى ، ولقد كان من أبرز الوجوه الفنية ، وكان لابد وأن يساهم فى تكوين شخصيتها الفنية ...

« فعلا لقد ترك أستاذى يوسف وهبى اثرا كبيرا فى نفسى .. فلقد مات والدى وكان عمرى انذاك سبع سنوات ونصف ومن ثم فان الذى رعانى هو يوسف وهبى الم تكوينى الفنى بعد ان لاحظ اننى طاقة يمكن ان تقدم شيئا كبيرا للمسرح وان عندى موهبة يحسن استغلالها فى هذا المجال .

على هامش الحوار ـ

امينه رزق من بلدة « سبرباى » بطنطا ، ووالدها من عرب الجفافرة تقرأ لكل الكتاب اذا ماتوفر لها الوقت دون ان تتحيز لكاتب بعينه .. لم



تلتقى بالدكتور طه حسين حتى بعد ان مثلت له « دعاء الكروان » وان كانت قد التقت بالشاعرين الكبيرين احمد شوقى وهى تمثل له « قمبيز » ، وعزيز اباظه وهى تمثل له «الملكه شجرة الدر » وان أجمل ادوارها كان فى مسرحيات «بنات الريف »و«شجرة الدر » و « شدود » « ومرتفعات وذرنيج » ثم فى افلام « دعاء الكروان » « وبداية ونهاية » وان الشخصيات التى قدمتها او تقدمها تنير لها الطريق الى عالم جديد فى المعرفة وتفتح لها افاقا جديدة بما فيها من ثراء فكرى

وهى ترى ان الاقبال على المسرح قد قل ـ رغم النزول الى رجل الشارع العادى بمسرحيات تخاطبه مباشرة ، بسبب التليفزيون الذى يدخل كل بيت ومجانا ودون ارهاق فى الانتقال او التكاليف .. اما اذا كانت هناك مسرحية جيدة معروضة فان المشاهد الاصيل الذى يعشق المسرح اساسا لايبخل بماله او وقته عن ارتيادها ..

ثم تقول انها لو عادت بها الايام الى الوراء لاختارت نفس الطريق الذى سارت فيه طريق المسرح طريق الفن الذى عشقته « وتزوجته » فنذرت نفسها له ...

هذه هى الفنانة التى اخلصت للفن فاعطاها مكانة مرموقة امينة رزق ، او سيدة المسرح ..

★★

هذا الصبى

● حمدى عمارة ●

ودع الزوجان عيادة الطبيب ... الزوجة تحمل وليدها ، تحاول جاهدة ان تهدى من صراخه ... عرج الزوج على اول صيدلية ، وانتظرته الزوجة التى استعرت تهدهد الصغير ... لم يتأخر الزوج الذى عاد حاملا ((لفة)) الدواء فى يده ، تعلوه الفرحة ، كأنه ابتاع حياة ابنة ... بادلته الزوجة ابتسامة ، التفتت الى طفلها فى تفاؤل كأنها تبثه نبأ شفائه .. ومشيا فى الطريق الى محطة القطار ، يستعيدان كلام الطبيب ويثنيان على مروءته ومهارته ..

نظر الزوج الى ساعة يده متأوها:

— يا الهى ! .. سيفوتنا القطار .. هيا ، اسرعى !

جعلت الزوجة تهرول بحذر ويداها تحوطان وليدها فى حرص ، والزوج مازال يحثها، لكنها توقفت — والصغير يعلو ويهبط تبعا لانفاسها اللاهثة .

— لقد تعبت !

حينئذ قال الزوج فى شىء من الرجاء !

— القطار فى المحطة ، ولم يبعد غير بضعة امتار، اسرعى قليلا واحذرى ان يسقط الطفل !

خفت صوت الزوج حين انبعث صفير القطار ، كما هدأت خطواته ، وأخيرا وقف ينظر الى الركاب من النوافذ المتسابقة يبتلع غصته . . . واستمر يحملق حتى نأى القطار . وما لبث أن اختفى بين موجات الظلام! استدار ناحية زوجته — كاد أن يصيح فيها مؤنبا لولا حركة الصغير ، فأغلق فمه ، وفضل أن يحدث نفسه . لو كنت وحدى لحقت بالقطار، ولكن ......

ثم وجه حديثه لزوجته ومازال عاقدا ما بين حاجبيه !:

— علينا بالانتظار ساعة كاملة !

شهقت الزوجة فى جزع ، ساعة !! كيف ، والبرد شديد — والولد محموم! كما يجب أن نسقيه الدواء والا قضت عليه الحمى :

صمت الزوج قليلا يسترجع كلام زوجته ، توقف على جملتها الاخيرة ثم هز راسه حائرا وقال فى كثير من الياس : وماذا اصنع !!

ثم لعق لسانه وصاح قائلا : ماعليك .. ن — نستاجر تاكسى !

دار هذا الحوار بين الزوجين على رصيف المحطة ، بينما ساقتهما اقدامهما شطر الميدان المجاور ، وبعد قليل وقفت الاسرة الصغيرة .. الزوجة تربت على طفلها الذى بدا يتذمر ، وكأنما يشاركهما اسفهما على فوات القطار ، والزوج زائغ النظرات بين عربات الاجرة . على الطوار المقابل كانت هناك عينان تتنقلان بين الزوج تارة .. والزوجة تارة اخرى وفجأة لمعت بالفرحة .. قفز الصبى صاحب العينين فى تثنى وتلوى مخترقا طريقه بين العربات المزمجرة المسرعة ثم وقف امام الزوج الحائر يلهث تزين وجهه ابتسامة تفاؤل ..

تعجب الرجل حين رأى الصبى يبتسم له كأنه يعرفه ، حاول مفتشا فى ذاكرته ان يدرك سبب تلك الابتسامة ثم اشتدت حيرته حين سمع بكاء ولده قطع الصبى عليه مشاعره وانفعاله قائلا فى ثقة :

— استرح انت يااستاذ . سأقوم انا بهذه المهمة ، وباذن الله سوف اسعفك بعربة ! ..

نظر الرجل الى الصبى مقارنا بين حجمه وكلامه ، هم بان ينهره ويعفيه من عرضه ، فانه فى موقف لايستدعى هزل الصبية ، لكنه لمح بريقا غريبا يشع من عينى الصبى ، فلم يملك

الا ان يهز راسه موافقا .. عندئذ قال الصبي في سرور وعجلة :

ـ استرح اذن .. ولتسترح الست

ـ دقائق وتاتي عربة .. التساهيل على الله ! .. ومرت الدقائق واشتدت الرياح ايذانا ببدء عاصفة ، وبكاء الطفل المتقطع يهز وجدان الاب فلا يملك الا ان ينقل بصره بين الطفل العصبي .. وامه المشرفة على البكاء ثم يعود ليتبع الصبي نافذ الصبر منقلص الاسارير ، الصبي دائب الحركة يجري هنا وهناك ، يوقف هذه العربة ويتفادى تلك .. ويتحدث مع ذلك السائق ..

ويسال الزوج نفسه :

ـ لم يجر هذا الصبي هكذا؟! ولم يعرض حياته للخطر .. لقد لعب كثيرا ، اكثر من اللازم ، لاريب ان تلك اللعبة تجلب الى قلبه السعادة ، او لعلها تكون شقاوة صبية ! .

الصبي مازال يتحرك ويتقافز في نشاط ولا تفتر عزيمته ، والطفل يبكي باصرار ، وايضا لا تفتر عزيمته كل منهما يستمر في حركته الناتجة عن احساسه ، والزوج متململ قلق. والزوجة تنكمش على طفلها تحميه من الصقيع الذي اشتد .. ومن بين كل هذه الصراعات جاء الصبي ليطمئن الزوج قائلا في امل : لاتقلق يا استاذ .. لعل الله ان يسهل العربة شاغرة !

راى الزوج قطرات العرق تتصبب من جبين الصبي رغم شدة البرد .وايضا مازال الامل يلوح في عينيه رغم ملامح الياس التي تسربت الى وجهه .

قالت الزوجة بين انتفاضاتها :

ـ فلتنقده اجره .. لقد تعب كثيرا فما ذنبه ؟

نظر الزوج في ساعته واضاف :

ـ كما انه قد اقترب موعد القطار التالي ..

انكمشت أسارير الصبي حينما راى الزوج يضع اصابعه في جيبه ، فاندفع بصوت يطل الحزن من بين نبراته :

ـ لا ياسعادة البيه ـ مستحيل ، كلها دقائق وتاتي عربة باذن الله

عاد الزوج يتبع الصبي ،لقد نشط اكثر من ذي قبل ، ينتقل من هذه الناحيه الى تلك .. ينأى بنفسه عن هذا الخطر أو ذاك .. حينئذ قال الزوج في نفسه مؤكدا : ـ ان هذا الصبي لا يلعب ، انه بلا شك يعمل

وفي هذه اللحظة فكر جديا أن ينقد الصبي أجره قبل أن ينسحب من الميدان ، وبالفعل قرر أن ينادي عليه وحين هم بذلك سمع صوت احتكاك عجلات وارتطام تردد صداه في قلبه توجه مسرعا صوب الزحام تتبعه زوجته المذهولة ، وكان الطفل قد سكت عن البكاء . شق الزوج طريقه بين الجمع ، وكم ارتعد حين اصطدمت عيناه بالصبي منطرحا على ظهره والدماء تتدفق من انفه وفمه !

وافلتت من فم الزوج هذه الكلمات:

ـ مستحيل .. انت ؟! مستحيل!

نظر الصبي الى الزوج ، وحاول ان ينتزع ابتسامة انفرجت لها شفتاه قليلا .. واستطاع بعد جهد ان يستخرج كلماته من زاوية فمه :

ـ معذرة ياأستاذ .. لقد صدمتني اول عربة شاغرة !

نظر الصبي حوله باحثا بعينيه ،ثم استقر نظره على زميله ، فوجه اليه كلمات ممطوطة بين انفاس متثاقلة :ـ لو تذهب الى امي وتخبرها بانيساعود في الصباح ! .. وارجو الا تنبهها باصابتي !

هاجت كوامن الزوج ، زحفت الفجيعة الى قلبه ، وطفرت الدموع من عينيه ... ولم يتوان ان يخرج من جيبه ورقة مالية كبيرة ، اعطاها لزميل الصبي الذي تامله في تساؤل .. لكن الزوج لم يستطع النطق ، واكتفى باشارته نحو الصبي المنكوب ... فهز الصبي الاخر راسه فاهما .

وعاد الزوج ادراجه بين الناس الذين افسحوا له الطريق .. يرمقونه بنظرات الفضول والامتنان ، وقف امام زوجته التي كانت تئن حزنا وكمدا ، وطفله الذي طال سكونه ، لعله فضل ان يواصل بكاءه في صمت ... واتى الى اسماعهم صوت عربة اسعاف

ابتعدت الاسرة الصغيرة ـ تواصل الطريق الى المحطة ـ يشملهم الصمت والكآبة ، ولا يشعرون بالامطار المنهمرة!

مرجريت يورسنار

● محمود قاسم ●

● منذ بضعة أشهر كانت أنظار العالم تتجه الى مبنى الاكاديمية الفرنسية ، بعد أن اعلنت لاول مرة فى التاريخ عن قبولها امرأة ضمن اعضائها ..

الطريف أن هذه المرأة تحمل الجنسية الامريكية وتعيش فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠ ، ولكنها لا تزال محتفظة بفرنسيتها ، فهى من مواليد بلجيكا وامها بلجيكية الجنسية .

يورسنار تكتب الرواية والمسرحية وتقوم بترجمة الاشعار والروايات الى اللغة الفرنسية التى تشعر بانتمائها اليها ، ولا تكتب الا بها .. وهى دائما تحمل جواز سفرها الفرنسى لتنتقل به خلال البلاد التى اعتادت أن ترتحل اليها منذ أن كانت طفلة تجوب الاقطار مع أبيها ..

ولدت مرجريت فى مدينة بروكسل فى الثامن من يونية عام ١٩٠٣ لأب ينحدر من أكبر أسر الفلاندر بفرنسا . اما أمها البلجيكية فقد ماتت على أثر اصابتها بحمى النفاس عقب الولادة بعدة أيام .. وعنها تقول مرجريت « لم أر أبدا صورة لأمى خلال طفولتى .. ولم أر لها صورا الا عندما بلغت الخامسة والخمسين ! .. أقول هذا لأن أبى كان دائما محاطا بالعديد من النساء وكان يستطيع أن يوفر الكثير من الناس الذين يعلموننى التطريز ، أو ليقدمون لى الحلوى .. »

ولكن مرجريت لم تعش طفولتها طويلا فقد علمها ترحال أبيها أن تنتقل معه الى حيث منابع «الثقافة اليونانية والرومانية .. ففى سن السابعة زارت باريس لاول مرة ، وانتقلت منها الى لندن حيث عاشت عاما ، ولما اندلعت الحرب العالمية الاولى بدأ الأب من جديد يصحب صغيرته الى ايطاليا وسويسرا ثم اليونان حيث عاشا هناك عامين بأكملهما ..

وقد عبرت مرجريت فى كتاباتها العديدة عن هذه الفترة وعن مشاهداتها والاشخاص الذين قابلتهم وذلك من خلال الكتب التى تناولت فيها حياتها الخاصة

وقد تعلمت اللغة اليونانية وترجمت عنها أحدث كتاباتها ، كما أنها دونت كل ذكرياتها عن هذه الرحلات فى كتابها « ذكريات الخوازيق » و « أرشيف الشمال » الذى تقول فيه عن أبيها : « كان شخصية من الصعب تحديدها



مرجريت يورسنار

لجيلنـــا • انه عالم عجيب له قليل من الماضي ، وهذا مما جعلني أفكر فيه وأنا أكتب عن بطل « العمـل في الظلام » فهنري مكسـمليان المغـامر هو أحـد الفرنسـيين المثقفين الذين يميلـون الى المغامرات الكبيرة • شديدة العـاطفية وفخور جدا بكل ما يفعله ، دائما رافض ! •• وهذا النموذج نادر في أيامنا • انه دائما يذكرني برامبو – رامبو الحقيقي وليس رجل الاسـاطير أو القصـائد الادبية ! »

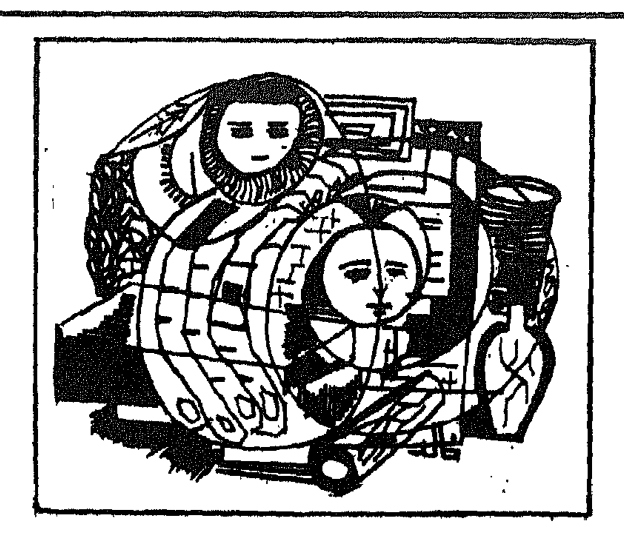
وفي هذه السـنوات المبكرة تعلمت مرجريت أن تقرأ أشعار « راسـين » وكتابات « ارسطوفان » وقد شـجعها ابوها على الكتابة •• فقـرات اعمـال بروست وهي في الخامسة والعشرين ، واعجبت بالادبيـة الروسـية سـلمى لاجيرلوف التي نالت جائزة نوبل عـام ١٩٠٩ ، أما دوسـتوفيسكي فلم تعجب كثيرا بأعماله ••

وقد دفعها اعجابها بسلمى أن تكتب أولى رواياتهـا « اليكيس ، أو مـلامح الحرب اللامجدية » التي تحاول فيها ان تضع نظرية حول عدم خلط الاحاسيس « يجب أن نعرف أولا ماذا ننتظـر من الحب •• نحن ننتظر منه عبادة طـرف لآخر ، بينما من المحال أن تجـد طـرفا يستميل كل صفات الآخر ! •• هنـاك دوما وهم لدى العشاق ••

وعن الحب تقول مرجريت أيضـا : ليس صـحيحا ذلك الذي يسـميه كل النـاس حبا في الروايات أو المسرح • ولكنني أقـول أن هناك شيء في رؤية الفرنسي للحب ، بل في رؤية كل الناس له •• وهو غياب عامل التقديس •• ».

***

وتتوالى أعمال مرجريت في مجـال الرواية ، فتقدم «هبة الحلم» و «ذكريات اوريان» و « العـامل في الظـلام » و « حكايات شرقية » • وتأخذ السينما من هـذه الاعمـال رواية « الضربة القاضية » فيقدمها فولكر شو لندورف في السينما الالمانية عام ١٩٧٦ عن صوفي وهي امرأة تعشق ضابطا من جيش الاحتلال الذي استولى على قريتها ، لكن واجبها لم يمنعها من أن تنضم الى رجال المقاومة ، وأن تنقل اليهم أخبار الغزاة أولا بأول •• ويكون جزاؤها في النهاية ، رصاصة من مسدس عشيقها •• وصوفي تشبه كل بطلات يورسـنار ، فمارسيل في « هبة الحلم » محاربة فوضوية تحـارب



وتقاوم الغزاة،ولديها القدرة على التصرف في الوقت الذى يجبن فيه الآخـرون ، وهى مع ذلك تحب وتعشـق ، لكنهـا لا تنسى واجبها .

أما بلوتين فى « ذكـريات ادريان » فهى تشكل الصديقة والناصحة . وهى امرأة ذات تجارب عـديدة فى أعمـال المقاومة الشعبية . كما أن لها باع طويل فى الاسفار ، وهى مع ذلك تعيش حياتها الخاصة بعيدا عن الآخرين .

وكل هؤلاء البطلات أشبه بمرجـريت التى تعيش وحيدة فى نورث ايست هاربور منذ عام ١٩٥٠ ، وهى فى رواياتها تؤكد على أن المرأة أقوى من الرجل ، وتسخر من الصفات الانثوية التى ظهـرت بهـا النساء فى الادب العالمى من خلال الادباء الرجال .. آنا كارنينا مثلا لم نعرفها كأنثى الا من خلال وجهة نظر تولستوى! .. فلوبير أراد أن يفضـح مجتمعه من خلال « اما بوفارى » التى تعبر عن فترة ما فى حياة فرنسـا .. وهى ترى أن الرجال فى روايات فلوبير اكثر نضـجا وحيوية من نسـائه وخاصة فى رواية « التربية العاطفية » ..

ومع هذا فان بطلات مرجريت لايتكلمن أبدا ، وانما نعرف الكثير عنهن من خلال الرجال .. ادريان هو الذى يعلم ويدرب فتاته ويصنع لها عالمها الخاص .. صوفى تعيش فى منزلها مع أكثر من رجل تبعث فى قلـوبهم الغيرة كى تتمكن من تادية واجبها . وهى فى النهاية تتلقى مصيرها بنفس يد الرجل الذى علمها وأحبها .

***

وقد كتبت مرجريت مجمـوعة من المقالات فى المجلات الفرنسية على مـدى أكثر من ثلاثين عاما وجمعتها فى كتـابها « تحت التحرى » . كما قامت بترجمـة مجمـوعة من الـروايات الانجليزية ــ الهامة ــ الى اللغة الفرنسـية ، منها « ما يعـرفه مايس » لهنرى جيمس ..

وأحدث ما نشرته خلال هـذا العام مجموعة من الاشعار ترجمتها عن اليونانية القديمة بعنوان « التاج والقيثارة » الذى تقول فى مقدمته « النص الحقيقى ليس هو ما يبعث على التشخيص ولكنه ذلـك الذى يوسع المدارك ويدخل القـارىء الى حيوات جديدة » .

والسيدة يورسـنار تنفرد بكتاباتها وعالمها عن الكثيرات من أديبـات جيلها ؛ **سيمون دى بوفوار وعالمها الوجودى .. باترشيا هايسمليث وصراع الانسان بين الخير والشر المتمثـل فى الجـريمة .. مرجريت دوراس وشخصياتها الشـديدة الخصوصية سواء فى الرواية أو السينما**

وهى بهذا العالم الغـريب الـذاتى استطاعت ان تلج الى مبنى الكوبول أول امرأة ترتدى روب هذه الاكاديمية العريقة

الهوى المجنون

● عاطف السيد ●

التقينا ، وللصباح نشـــيد
ورواء من الســـــنا يصبينى
فأصخنا الى الجمال وكنـــا
كنشــــيد من الهوى موزون
قلت لى ما الهوى؟فقلت حنين
ووفاء لقلبى المســـكين
فسجى طرفك المشوق وراحت
منك كف تمر فـــوق جبينى
أنت لى لاتخف فقلبى يهـوى
من لــه روعـــة الوفاء الأمين
***
وعبير الصباح يحنو علينـــا
بين نور الأقاح والياســـمين
وانثنينا الى المـــروج نغنى
بين ظل الهوى وظل الغصـون
فرشفنا من النعيم رضــــابا
وانتبهنــا على صـــداح حنون
لا تقولى أتى المســــاء فبتنا
واوينا الى كهـــوف السكون
ونسيت الصباح فى موكب النو
ر بهيا فى روعـــة وفتـــون
قد خلقت النهار فيك وضيئا
فمحـــوت النهار محو اليقـين
وعشقت الظلام حتى رأينــا
ك ظلاما يغرى سواد العيـــون
اخرجى للنهار فالنور يبدى
ما حوى القلب من سواد الظنون
فترين السواد فى فلق الصبـ
ـح عميقا فى قلبك المفتـــــون
فتعودين كالنهار ضـــياء
او تظلين كالهـــوى المجنـون

شيوعى ارستقراطى

فرديناند لاسال

عندما تذكر الشيوعية ومؤسسيها تبرز أسماء ثلاثة،هى التى أخرجت الفكر الشيوعى من مجرد نظريات وأمانى الى برامج عملية وسياسات مرسومة ، وهم : كارل ماركس ، وفريدريش انجلز ، فردينان لاسال ..

أما كارل ماركس فهو الثائر الحاقد السموى الشرير الذى كان يصنع الثورة والدماء وصراع الطبقات ..

وأما انجلز فكان رجلا ميسور الحال كثير المال ،ولكنه كان بالغ الاعجاب بكارل ماركس ، فانساق معه فى طريقه ، واشترك معه فى بعض الكتابات الدموية الشريرة التى بذرت الاحقاد فى قلوب الناس وانحرفت بالفكر الاشتراكى ذلك الانحراف الذى جعله فكرا مخربا يزعم انه يخرب ليبنى أو لابد أن يخرب النظام القائم ليبنى نظاما جدا على أرض فضاء كما قال ، وذلك هو الفكر الذى أخذه لينين وبنى على أساسه قيصرية روسية شيوعية تملك ربع مساحةالمعمورة وتطمع فى الباقى !

أما فردينان لاسال فقد كان مفكرا اشتراكيا أصيلا ، لا يميل الى العنف ولا يريده ، وكان يؤمن بحقوق العمال ويدعو الى حصولهم عليها ، ولكنه كان رجلا غنيا ارستقراطى الطبع والتصرف ، ولهذا لم يوفق مع أهل الحكم من الارستقراطيين والرأسماليين أو مع اليساريين من الشيوعيين والاشتراكيين .

كان فرديناند لاسال يهوديا . مثله فى ذلك مثل ماركس ومعظم المفكرين اليساريين المتطرفين .. وكان من أسرة طيبة موسرة من أهل مدينة بريزلاو ،فى ألمانيا الشرقية اليوم ،وكان ظاهر النجابة من سنه الباكرة ، وعندما شب ودخل الجامعة كان من أكثر الشبان حركة ونشاطا واهتماما بشئون المجتمع الذى كان يمر اذ ذاك فى أوروبا كلها بأزمة شديدة سببها ان الصناعات قامت وأنشئت المصانع الكبرى وتكدس فيها العمال . وكانت أوروبا هى مصنع العالم الوحيد : فيها كان يصنع كل شىء من الابرة الى القاطرة والباخرة ، ومنها يصدر الى نواحى العالم جميعا ..

كان ذلك عصر الاستعمار وتدفق الاموال على أوروبا ، فزادت رؤوس الاموال وأصبحت القوة الكبرى التى تسير الامور فى القارة . وكان العبء الثقيل يقع على اكتاف العمال ، ولم تكن لهم نقابات قوية تنظمهم وتطالب لهم بحقوقهم ، ولم تكن هناك تأمينات اجتماعية أو ضمانات للعمال ، حتى فى انجلترا ، وكانت اذ ذاك البلد الصناعى

شقاء بالغا ، وكانوا يسكنون في أحياء فقيرة ضيقة الحوارى ، فكانت نسبة منهم تصاب بالسل ، فاذا مرض الواحد منهم فلا علاج ولا شفاء ولا أجازة ، بل هو الموت البطىء الرهيب ! ..

وكان من الواضح أن الثورة الصناعية كانت في حاجة الى ثورة اجتماعية . في هذا كان الكتاب والمفكرون يكتبون ويطالبون بالتغيير الاجتماعي ..

ولكن أصحاب المصانع ورءوس الاموال لم يكونوا يفكرون في شيء من ذلك ... كان همهم الوحيد هو جمع الاموال وتكديس المدخرات فىالمصارف والاقراض بالربا الفاحش ..

وكان رجال السياسة شركاء لاصحاب رءوس الاموال في ذلك كله ، وكانت السياسة اذ ذاك لعبة ذكاء ومهارة وخبث بين الاحزاب وطلاب الحكم في الداخل وبين وزراء الخارجية والقادة العسكريين لكسب المستعمرات والاسواق وموارد المواد الخام فى الخارج ..

وعندما تقرأ كتابات رجال مثل جون ستيوارت ميل ، أو موريس لبلان ، تشعر فعلا ان العالم الغربى كان فى حاجة الى تغيير اجتماعي شامل !

وهذا هو الميدان الذى دخله كارل ماركس وصاحبه فريدريش انجلز فى عنف بالغ ، ودخله فرديناند لاسال فى حماس واعتدال .. كان يكتب ويخطب ويقضى الساعات مع رؤسائهم والمتحدثين ويقابل الساسة ويجتمع بالعمال باسمهم ، ولكنه لم يفكر فى الثورة بل فى الاصلاح الهادىء .. وفى اثناء ذلك لم يتخل قط عن مظهره وسلوكه الارستقراطى ، كان دائما انيقا فى ملبسه يحضر ندوات الاغنياء وسهراتهم ، وكان يعيش فى قصر واسع حياة راحة وترف .

وقد تمكن هذا الرجل الدؤوب الذكى من انشاء أول اتحاد للعمال فى المانيا ، ففى سنة ١٨٦٣ انشأ الاتحاد العام للعمال الالمان . وكان ذلك الاتحاد هو القاعدة التى نشأ عليها حزب سياسى يطالب باصلاح أحوال العمال ويطالب باقامة نظام ديموقراطى برلمانى فى المانيا



فرديناند لاسال

ليخفف من وطأة الحكم الدكتاتورى المطلق الذى كان يمثله المستشار اوتو فون بسمارك . وكان إذ ذاك فى أوج قوته وسلطانه ..

وقد تقدم لاسال بمقترحاته الى بسمارك واجتمع به أكثر من مرة . وقد رفض بسمارك كل آراء لاسال ومقترحاته لانه كان شديد التمسك بالحكم الاوتوقراطى يعجب بفرديناند لاسال ويقول انه من المطلق ، ولكنه فى نفس الوقت كان اذكى وألطف الرجال الذين لقيهم وتحدث معهم !

وكان لاسال يعجب ببسمارك ويرى فيه رجلا شجاعا أنوفا صلب الارادة غير مستعد للتنازل عن اى من آرائه او افكاره .. وذلك لا يمنع من القول بأن بسمارك كان يرى فى لاسال خصما خطرا ، بل هناك من يقولون ان لاسال كان ألد خصوم بسمارك ..

● اما كارل ماركس وفريدريش انجلز واتباعهم فلم يكونوا فى نظر بسمارك خصوما ، بل كانوا اشرارا ومتآمرين ،

شيوعي
ارستقراطي

وكان يحتقرهم ولا يبالي بهم ولا يسمح لنفسه بالجلوس معهم ..

ويرى المؤرخون انه لو لم يمت فرديناند لاسال في سن مبكرة لكان هو قائد التحول الاجتماعي في المانيا ، لان الازمة كانت تشتد يوما بعد يوم وان تجاهلها بسمارك ..

وفي أوائل السبعينات من القرن الماضي بدأ تكوين أول حزب سياسي معارض في المانيا ، وكان لاسال من أكبر الداعين اليه والعاملين على تكوينه . ولو عاش لاسال لكان له شأن كبير في تاريخ ألمانيا ..

وكان فرديناند لاسال على اتصال وثيق بمفكري عصره والظاهرين من رجاله فكان صديقا حميما لهاينريش هايني الشاعر المعروف ، وقد مدحه هايني وقال انه من أذكى من عرفهم . وكان لاسال واسع الثقافة غزير الاطلاع دائم القراءة وكان اطلاعه على التاريخ والفلسفة عظيما وكان من المعجبين بآراء هيجل ، وكان يعجبه منه قوله بأن الاصلاح الاجتماعي لا يمكن ان يتم على الوجه المطلوب عن طريق الثورة الدموية ، بل عن طريق الحوار والتفاهم بين الفقراء والاغنياء .. ولكن هيجل لم يبين طريقة اقامة هذا الحوار .

وكان الفيلسوف فينحته يقول ان الحوار يتم عن طريق نفر من المهتمين بالاصلاح لا يكتفون بالقول بالنظريات بل لابد ان يكونوا ذوى نشاط واسع واتصال مستمر بالناس . هؤلاء — في رأى فينحته — يقومون بالوساطة بين النقيضين ، ويستطيعون ان يقربوا الاطراف المتناقضة ، وهذا الرأى كان يعجب لاسال ..

وكان كارل ماركس يكره لاسال ويتندر به . ويقول انه ليس فقط مفكرا مطلعا ومصلحا اجتماعيا وكاتبا انسانيا ، بل هو كذلك زير نساء (دون جوان) .

وكان كثيرون ممن حول لاسال ينتقدون حرصه على ملبسه ومظهره وأناقته ، بل كانت الصحف تتندر به وترسم له رسوما كاريكاتورية تصوره في صحبة الفاتنات والجميلات وصاحبات الالقاب ..

وكان موضع العجب عندهم جميعا انه رأسمالي غني يعيش في قصر كبير وفي اطار ارستقراطي خالص ، ثم يقول انه زعيم عمالي ومكافح في سبيل الطبقات المظلومة ! ..

والغريب ان ذلك كله كان حقا ، فقد كان الرجل بالفعل مكافحا صادقا في سبيل المظلومين والفقراء رغم أرستقراطيته ..

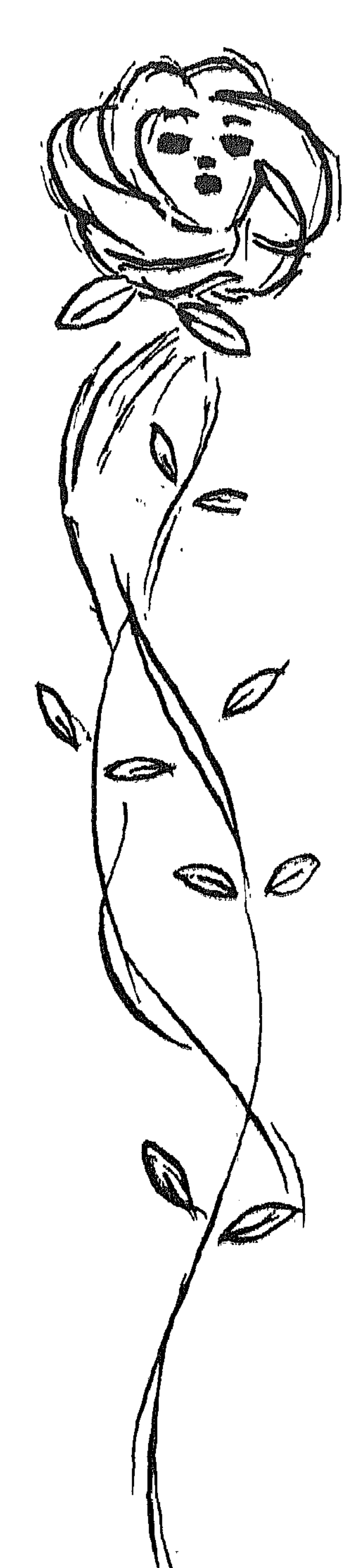
وقد مات لاسال ميتة محزنة .. كان قد خطب فتاة جميلة من أسرة غنية وكان على وشك الزواج منها ، فتعرض لها واحد من خصومه وما زال يغريها وينتقص من أمره عندها حتى فسخت خطوبتها من لاسال وارتبطت بذلك الرجل ..

ومضى هذا الرجل يسخر من لاسال وقال انه لا يمكن أن يترك هذه الاهانات تمر دون عقاب ، ودعا خصمه للمبارزة . وكان من سوء طالعه ان خصمه كان أمهر وأسرع منه في الرماية ! ..

وفي فجر اليوم المحدد للمبارزة كان اللقاء المحزن في ٢٨ اغسطس ١٨٦٤ . ووقف الشهود يراقبون المبارزة بالمسدسات ، وكان الخصم رجلا رومانيا يسمى جانكو فون راكوفيتزا . وكان اللقاء في غابة قريبة من مدينة جنيف بسويسرا ، وقبل ان يضغط لاسال الزناد كانت رصاصة الخصم قد استقرت في قلبه ، ومات في دقائق ! . ● ح.م ●

ترانيم إلى عينيها

● عزت الطيرى ●



(١)

بعينيك رائحة العشق
فاكهة الشوق
طعم الغرام المحال
بكفيك رائحة البرتقال ؛

(٢)

احبك والسهم يثقب جسمى
احبك والصمت يغتال رسمى
احبك والشمس فوق الرؤوس
احبك والليل وجه عبوس ..
احبك والخوف عبر الديار ،
بعنف يجوس !
أحبك والحزن فاض !
احبك والماء غاض !
احبك لا تظلمينى
ولا تهجرينى ..
وكونى معى
اذا مت لا تجزعى ..
ولمى عظامى
اجيىء اليك مع الليل جنا
فلا تفزعى !
وقولى أنى العاشق الالمعى
اهز اليك غصون المحال
فهيا ارويك من أدمعى !

(٣)

بعينيك رائحة الابتهال
ودمع ودم ..
وحزن يعم
لانك حين ترين الحدائق
تصير حرائق !

"هي .. بنصف وجه"

● حنان الحلاوي ●

● توقفت اصابعها طـويلا .. لم تتمكن من قطع ورقة اليـوم من النتيجة المعلقة ركـزت بصرها تجاه ماتحمله من رقم عشرون عـاما وثلاثة شهور في مثل هذا اليوم ..

تنهدت ، صرخات صامته .. هزت راسها فى لوعة ، نزعت قدميها بعيدا ، تحركت حيث الرؤية بوضـوح . اليوم يحمل لها كل الذكرى .. تسـاقطت بعض الشعيرات البيضاء ، اكتمل رسم اللوحة ملكة جمال الاغراء .. صـورة تآكل اطارها تعيش الان على حـافة الدنيا .

وبالخط العريض ، نشرت الصحف فازت باللقب اصبحت ملكة الجمال .

اين كانت كل هذه الصرخات ؟ .. اصابع البشر كلها الان تشـير انه يوم اختيارها ملكة جمـال الشرق ! توقف الكثير مثلها امام هذه الورقة . الامـر يختلف البعض نزعوها بعنف .. الحقد يتراقص امامهم .. مسكينة لا دخل لها !

عاندت أعصابها التى شـاخت تقدمت .. التصقت بالحائـط .. قبلتهـا فى حنان تمثيلى ، اضاءت لها الشـموع رغم ما آل اليه حالها ..

هزت راسها من جديد مخلـوق من الورق ماتت فيه الروح . مجرد شبح معلق امامها .. انه العقرب لدغها دون ان تدرى . حاربتها كافة ساعات العالم هاجرت الدقائق من بين اصـابعها .. استهوتها الشهرة عالم جديد من الورق خرجت من جلدهـا الطبيعى تلون جسدها باتت من يومها لا تعرف النوم دون الحروف البارزة صـورها فى كل مكان وكان السبب وجهها الجميل .. تركة ورثتها راسمالها التى لم تفكر فى ضياعه !

تحرك بداخلها كل الماضى قاربت على الانهيار لم تتعود لغة الاستسلام عنفت نفسها اجبرتها على الانتظار !.

ومن جديد هربت من الورق .. حان الموعد داؤها اليومى .. الهواية المفضلة بعد مـوت الجمال الشاشـة الصغيرة اللون الابيض تشبثت به يعيد اليها الشباب سلوى كل يوم !..

الوقت يزحف بها فيلـم المسـاء خرجت عيونها تبحث من المضمون .. وجاء ما تخوفت منه أوجـاعها اليوم



بالجمله الاشباح اكتست باللحم انقلب المكان الى تشتهي رجع بها الزمان حتى المنتصف ...

وبعد النهايه لقطة صغيرة تكلمت المذيعة . نبذة عن بطلة الفيلم ملكة جمال الخمسينيات !

خرج الضحك من فمها الجاف ! اختلط احساسها الميت بالدموع بهتت الوان الصورة جمالها زحفت اليه الشيخوخة سقطت اللوحة من فوق الجدار ..

تململت من فوق كرسيها ضايقتها دقات الساعة حطمتها ثارت لجمالها المسلوب تاملت خطوط الماضي في وجهها وهربت بين دفتى يدها !

المكان يضيق بها النهاية تحاصرها . استقبلت ضيفتها الثقيلة وكالة أخبار متنقلة صديقة عمرها جزء من برنامجها اليومى !

مقدمات طويلة .. الفن الصحافة الحياة الشهره اخبار مكرره انتظرت انفسحت لها طريق الحديث الدعوة الى المزيد هى بالفعل في حاجة الى صدمة الخروج من ذكريات اليوم ، حلمها الاول .

وطال الحديث .. لم تستمع . قالتها من طرف لسانها سيعقدون مسابقة لاقبح امراة فى الشرق !!

حروف عابره لم تلتفت اليها اعادت وسرعان ما انتهت صرخت فيها اكدت علي مسامعها ، وهذه الجمله بالذات . ارتفع صوتها اكثر من اللازم تهلل وجهها تاكدت تنهدت بارتياح .. ذابت الالام ثلوج تراكمت بفعل برودة الموقف

خرجت مواهبها القديمه .. اعلنت الخلاص هتفت الشهرة طريق جديد . عادت اليه اضواءه !

لم تفهم وحيدتها .. كررت ، للان لم تفهم ، فسرت .. اقتربت من مجال تفكيرها ما زالت الكلمات كبيرة على مداخل اذنيها هزتها شهوة المنتصر صرخت فيها .. لابد من الفوز بهذه المسابقة ـ الاضواء من جديد اقبح امراة تراجعت اللقب قاسي .. لايهم ولكن كيف السبيل ؟.

حالة من هياجها الفكرى عصرت بقاياذهنها استعانت بماضيها وحاضرها انتفضت .. دفعتها امامها ، دعتها للبحث معها عن زجاجة ماء النار !

وعادت الى نفسها

• نبيلة العطار •

جائع ... انه جائع ، جائــع لانه خائف ... كل ما حوله استحال أفواها فاغرة ... كل شيء يحدق في هلع . يتدفق ، يصرخ ، يعوى ...

رغم عويل العواء بداخلــه ، عادت نظراته تلتهم النســاء في جوفه ... الجوع وحده هو الذى يجمعــه الى المائدة . وفي كل غـرفة يبحث عـن صيد جديد . وليمة جديدة ...كان يفقد ارادته امام شيئين : الطعــام الفخم ، والنساء الجميلات .

(اول مرة رايته لم يكن فيه مــا يميزه عن سواه ... كان مجرد زميل آخر من عشرات الزملاء الذين تعاقبوا على المجلة التي أعمل بها . ولكن بمرور الوقت بدأت أكتشف فيه شيئا ما ، ربما اهتمامه بي .. ربما حديثه .. فهو محدث حسن الحـديث ايا كان موضوع الحديث !

ربما تلك النظرة في عينيــه ... نظرة يمتزج فيها الجـوع بالـذكاء . نظرة مبهمة مليئة بالاســتجداء بالخذلان ... قلت ذلك لنفسي ولـم يدهشني انه يحاول أن يبدو أكثــر رقة وعذوبة !

لم ألمح في وجهه اى انفعال حزن ، فرح : سعادة ، شقاء ...

لا ادرى لماذا بدأ حديثه عن الولائم ... اكوام الطعام التى يـدعى اليها ، المطاعم الكبيرة ... واستمر يصـف بدقة مذهلة حجم الجمبرى ، السمك ، كتل اللحم ، انواع المحشوات . اصناف السلطات ـ جميع الوان الحلويات... الخ

كنت انظر اليه مشدوهة لاهتماماته تلك . وكتمت ضحكة تريد أن تفلت من بين شفتى !

ولكن لم انا حائرة هكـــذا ؟ لم انا حزينة ؟!

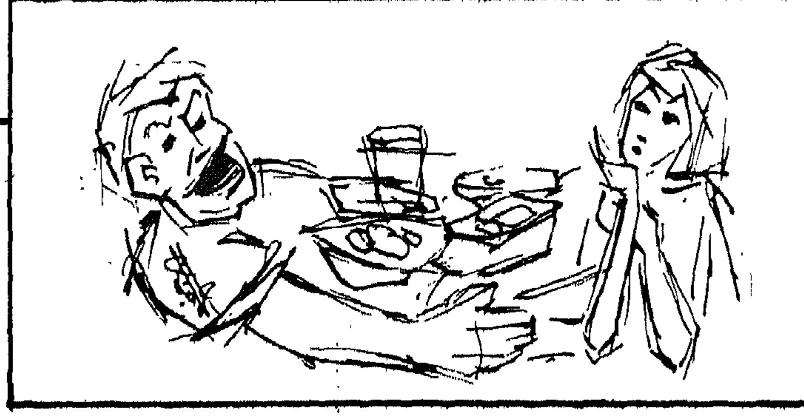
كان الأمر عملا ، مجرد ككل اعمالى السابقة مع سائر زملائى الســابقين . دعوات مفروضة . مجاملات اضطرارية ... اكره المشهد المعتاد على المائدة ، هو ياكل وياكل . ويشرب . وياكل . وأنا يا أنا .. بالصدفة أمامــه يزداد شهوة .

فجاة يمد يده وياخذ الطعام مـن أمامى ، ويضعه فى طبقه ... أغمضت عينى . لم اشعر برغبة في ان اتناول شيئا

قلت : انني اتبع رجيما خاصا .

(حينما يتكلم ارفض ان اصدق انه يستعمل الفم نفسه للأكل) .

يستحيل الجوع قهقهة : في جـوفى اسكب الماء البارد دفعة واحدة ..من



راسي يتفجر اليأس والحزن والمرارة ، لكنني لن اهزم . لن انسحب احاول ان احطم جدارا ، ان اكسر قيدا ..

تنتهي الحفلة ، او الدعوة ، او الوليمة ...

صمت كامل مشحون بالترقب . حتى الجوع في الداخل يصمت ..

دون ان ادري عدت امامه على المائدة من جديد .

وعاودت نظراته شراستها ، والتهم من الطعام اكواما ...

واحسستني امتزج اختلط باللحم الممزق في فمه ...

التوى ، أصرخ ، اتمرد احاول الخروج — الهروب ...

لا يدري مما حوله شيئا ، فقط يأكل ويأكل :

آه ... ليتني استطيع ان انضم الى هذا القطيع الذي يقتات الفتات من حولي ..

وفي المرة التالية ، حدث شيء ، لا ادري كيف بدر مني ذلك !

لقد سبقته الى التهام كل الطعام ولم اترك له شيئا ... اتركته بدون طعام !

ولم اكن اقصد ان اجعله جائعا ، فازداد شهوة مغتاظة ، ورمقني بنظرة حادة ...

كنت يومها شبعى ولم تكن لدى رغبة لاثبات ذلك ..

يا الهي ... ماذا جرى ؟!

ها هو الألم الغريب الذي يتفجر كل ليلة في كل موضع من جسدي — يبدأ من رأسي ثم يسيل انهارا من كل أعضائي ليصب في نقطة محددة : في معدتي بالضبط . من اثر ذلك الجرح .

وبدأت أصرخ ألما ... وجاء الطبيب بإبرة حقنني بها ولكنه قال :

— معدتك سليمة كل شيء على ما يرام !

انهض من جديد ، احمل أوراقي وامضي بها لأذهب الى عملي ...

وافاجأ ببعض الرسوم واللوحات ، اتأملها واحدة بعد الأخرى ، واحاول أن افهمها ، اللوحات تمثل الغابة ... غابة شاسعة لا حدود لها ، واراه في غابته يحمل اكواما من الطعام ويدور بها مسعورا يلمز افراسه كلها وهو يصرخ صيحات وحشية كحيوان علق في فمه لحما ودما ... كان مستغرقا في عمله فوق كومة من الرماد والبقايا .. بصوت وحشي مجروح كان يلهث وهو يصرخ ويأكل ، ويأكل ...

لوحة اخرى ، ها هي امرأة جذورها في الارض ورأسها في السماء .. رأسها قطعة من فولاذ . جسدها جذع من نور . ومنه يثبت ظل الحظل من خلفها ...

احدق في الاشياء . من عيني تطل نظرة . حزينة ، ثم انفجر باكية ... اغادر الغابة وانا اجرى ، استنشق الهواء بملء صدري ..

واحس بأن الجرح قد هدأ ...

— غدا لن اعود ...

مع الفلاسفة الرواد

بيتاكوس

قائد .. وشاعر .. وفيلسوف

● امين سلامة ●

● عاش بتاكوس سبعين سنة ومات سنة ٥٦٩ ق . م ولد فى جزيرة لسبوس كان منذ صباه يمارس الامور والمشاكل العظيمة وقد طار صيته فى الشئون العسكرية واشتهر بشجاعته الفائقة وحسن بلائه فى القتال وحبه الزائد لوطنه وبني اهله ..

وكان ايضا « من مشاهير حكماء عصره ، ومن حكمه الشائعة : « ينبغى للانسان ان يدور مع الزمن وان لايضيع الفرصة »!

كان العداء بين اهل ميتيالين والاثينيين على أشده بسبب قطعة أرض فاختار الميتيليون بتاكوس قائدا « عاما » لجيوشهم فلما تقابل مع جيش الاثينيين طلب بتاكوس المبارزة مع افروتون قائد جيش الاثينيين وكان الاخير مشهورا بالشجاعة والبسالة والظفر الدائم فى جميع معاركه فقبل افروتون منازلة بتاكوس بشرط أن يصبح الغالب حاكما لتلك الارض المتنازع عليها ..

واقتربا كلاهما من بعضهما وسط الجيش وكان بتاكوس يحمل سهما « أصاب به غريمه أصابة قاتلة قبل ان يتهيا للقتال وهكذا صار بتاكوس حاكما فى تلك الارض ولفرط حب الميتيليين له جعلوه اميرا على مدينتهم فسن لهم اعظم القوانين .

ارسل اليه تارون حاكم ليديا ليستطلع رايه فى ثراه وغناه ، فكتب اليه بتاكوس :

« تريدني أن أزورك لارى خزائنك المملوءه بالكنوز الثمينة ، ولكنى أعتقد — سواء رأيتة كنوزك أم لم أرها انك لست أغنى الملوك .. ولو كان عندى كل ما تملكه ما اعتقدت انى أثري الناس فضلا عن عدم اشتياقى لرؤية شيء لا ينفعنى فى معيشتى ولاينفع احدا من اترابى ،

***

كان هذا الفيلسوف قبيح الخلقة ، كريه المنظر يشكو دائما من عينيه ، وعجز فى رجليه تزوج بنت دراكون القاضى وكانت امرأة متكبره سليطة اللسان ، سيئة الاخلاق ، تكره زوجها لبشاعة منظره ، وتسيء معاملته امام أصحابه فأدى هذا الى مقت بتاكوس الشديد للنساء عامة ..

جاءه يوما رجل يقول انه يريد أن يتزوج من احدى اثنتين! واحدة تساوية حسبا « ونسبا » والاخرى اغنى منه واعلى نسبا وطلب من الفيلسوف ان يختار له الصالحة .. فاشار عليه أن يذهب الى مجمع الصبيان الذين يلعبون فيه ويسمع ما يقولونه ويعمل به .. فلما ذهب : وجدهم ينبهون بعضهم بعضا ويقولون كل واحد ياخذ نده ..

فاعتبر الرجل وآثر التى تقاربه فى الحسب والنسب والغنى .

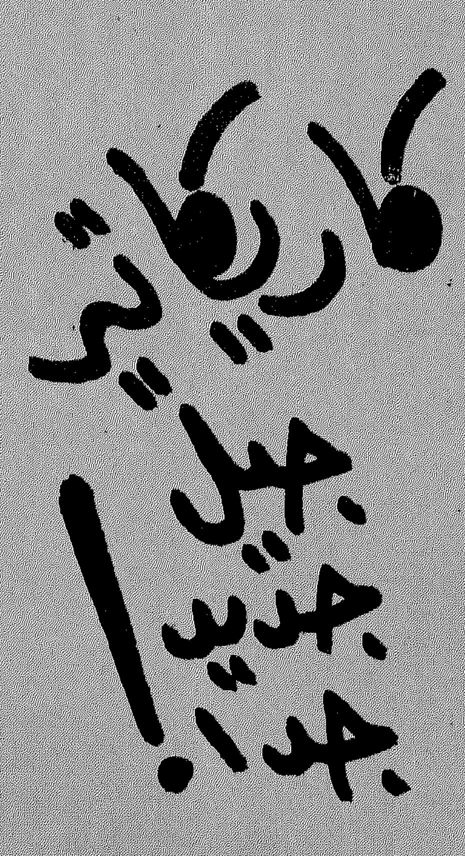
كان بتاكوس مستقيما فى حياته قنوعا لا يقرب الخمر ولا يشرب غير الماء القراح ، ويقول ان الشرائع أعظم من كل شيء لان الالهة أحيانا يطيعونها وكان يرى انه من الصعب على الانسان أن يسعد نفسه بنفسه ، وانه لاشيء أحسن من عمل المعروف المعجل ،وان النصير للقبول هو الذى يأتى بدون سفك دماء .

نور السر الاكبر

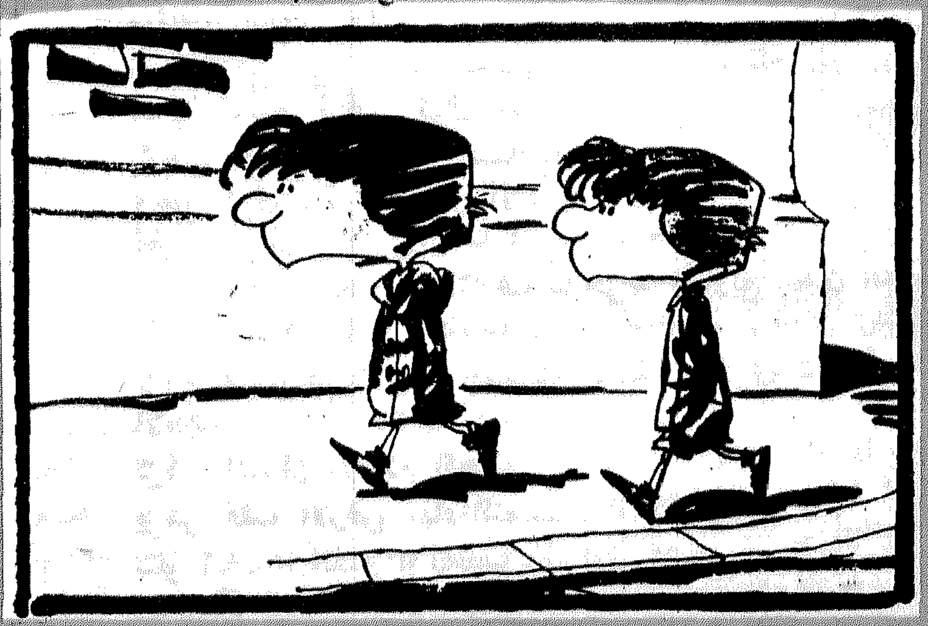
* جمال محمد فرغلى *

يا صافى العينين صفاء عيـــون الاطفال الصادقة النجوى ! ..
يا اقبال الحلم الهاطل وردا ..
انت شطوط هسانا فى لجــج الياس القاتل ..
يا موقد نار الحـــرية نور السر الاكبر ..
هيا فوق بريق الرعد السحرى
وباعلى الصوت ننادى ..
نحن الاكبر من كل الاســـوار الاسلاك الشائكة
تعالوا نشدو نرقص فوق الشفرة فوق الحد
بالحب العارى والافكار الساطعة
ونعلو فوق الحقد الشرس الابدى
نطرد اشعار الاطلال وابيات المدح المتورمة نفاقا !
نوقف ليل الصحراء ، نقارف ما حرمه التاريخ بمدن القسوة
نقرأ اشعارا شائكة الكلمات
نزرع فى رحم الارض الظلمـاى اشعارا سكرى تتلمس امطار الآهات
تزهر اغصان الاحلام الحبلى
يزهر قلب الأرض بماء النعمـة والغبطة
تتلو آيات ((الفتح)) تجفف دمع الانسان
ولتشرق شمس الخير بارضى !





الولد للمدرس : لا مؤاخــذة يا استاذ .. ابويا اليومين دول اعصابه تعبــانة خالص ، ممكن يعني تزود لي نمرى شوية بصفة علاج لاعصابه ؟!.



الولد لزميله : ادى احنا هربنا من البيت علشان نادب بابا وماما .. لكن بظهر مفيش فايدة ، حنموت من التعب والجــوع !.. مش كفــاية تاديب بقى ويالا نرجع !..



الولد لابيه : ياسلام يا بابا لو نسمع كلامى ونشتغل سوا شركه احنا الاتنين انت بفلوسك وانا بأفكارى !..



الولد لابيه : ... ويسعدنى اقدم لك خطيبتى ، عشان تعرف من هنا وطالع ان مصروفى ح يبقى « دوبل » !



الولد لصاحبه : كل الاعلانات فى الصحف طالبين مهندسين واطباء وفنيين !.. وشوف بقى قلة البخت مفيش وظايف للتلاميذ اللى مش نافعين !..

النمر الكامن فى أعماقى !

كنت اعتقد دائما ان افضل وقت للنوم هو تلك الفترة التي تقع فيما بين الساعة السابعة والتاسعة صباحا . ولكن اذا كنت تعاني صعوبة في النوم ، فان اى وقت لذلك يكون أفضل ! ..

أنا نفسي أعانى صعوبة كبيرة فى النوم واظن ان السبب في هذا راجع الى ان زوجتى تغط فى نومها ، وقد ظلت تغط في نومها طوال الثمانية عشر عاما الاخيرة ولكنني كنت أعاني نفس الشيء خلال الخمسة عشر سنة الاولى من زواجنا ،قبل أن تبدأ غطيطها ، ولهذا لا اظن ان هذا الغطيط هو السبب !

وأنت اذا قضيت ثلاثة وثلاثين عاما مع زوجة ،فان فى هذا الدليل على أنك تحبها وتظن احيانا عندما تراها انك انما ترى مرفقك أو جزءا من نفسك . وفى أوقات اخرى تتساءل كيف استطعت البقاء كل هذه المدة الطويلة معها . ومع ذلك فان هذا يحدث في اكثر الاحيان ..

لا شيء يبقى كما هو أبدا ، وقد كان هناك وقت كنت العب فيه بكرة اليد ثلاث ساعات متوالية . اما الآن فانني اذا جريت وراء سيارة اجرة فلابد لى من خمس دقائق على الاقل لكي أسترد انفاسي .. وعندما تزوجت ،كانت زوجتي امراة لها شخصيتها . وكانت تقول لى عادة : « برادلى ، انك تشبه واحدا من آلهة الاساطير ! » اما اليوم فانها تنفجر ضاحكة وتربت بيدها على بطنى ، وتقول اننى اشبه احدى خرائب اليونان !

***

هناك أيام من الاوفق أن يلزم فيها الوكيل المسرحى بيته ، وأن لا يفكر فى الوسيلة التي يمكنه ان يربح بها دولارا واليوم الذى نحن بصدده من هذه الايام فقد كان جهاز التدفئة عاطلا ، وكان الجو قارسا وحبات الثلج تتساقط في الخارج وترتطم بواجهات المحال الزجاجية .وكان الناس يتنقلون من رصيف الى آخر وهم يحتمون من الهواء والمطر ويجتازون الشارع فى حذر عند مفرق الطرق .

وكان العمل في ذلك اليوم مضنيا كاليوم نفسه . وكنت قد قمت باختبار جماعتين ، احداهما من بعض الراقصين الذين يغنون بمصاحبة الجيتار ، وهم عبارة عن ثلاثة من الشبان الخنافس وفتاة ذات شعر طويل يصل حتى خصرها . وغنوا أغنية من ابتكارهم يقولون فيها انهم يلقون بأنفسهم من علو شاهق ، من فوق الصخور ، وان سيارة تنطلق بسرعة مائتى كيلو مترا تحت هذه الصخور تتلقفهم .

وقلت لهم انني سوف اتصل بهم بمجرد أن أجد شيئا يصلح لهم . وبدا أنهم سيخرجون ويفترشون الارض ، على قارعة الطريق ويستسلمون للموت . ولعله لم يكن يجب أن اختبرهم بعد تناول الافطار على الفور !

اما الجماعة الثانية فقد جاءتنى بعد ساعة ، وكانت من الخنافس هي الاخرى .. شابان وفتاتان ، يحمل كل منهم جيتارا يعمل بالكهرباء ، ومعهم شاب آخر أشقر ، منفوش الشعر ، يعنى بالادوات الكهربية ، ويعكس عليهم أنورا ملونة .

اعرف صاحب ملهي في المدينةفي مقدوره ان يستخدمهم ، فاتصلت به ، ولكنه قال

الى بعض السقاة ، غير انه يستطيع ان يستخدمهم على اساس شريف قوامه الطعام .

وضعت يدى على التليفون ، وقلت للجماعة : لا أظن ان هذا العرض يهمكم فكل ما يمكنه هو اطعامكم .

أسرع الشاب يقول : اننا نقبل ، فبهذا نضمن الطعام على كل حال !

وعندما انصرفوا ، حاولت ان اتصور ماذا يمكن أن تكون عمولتى عن هذا العمل . ولو ان الحال استمر على هذا المنوال فسوف أغلق مكتبى بكل تأكيد !

واتصل بى شخصان يطلبان منى بعض الفنيين ، ونسيت أمرهما بمجرد أن فرغت منهما . فان أولهما صاحب ناد ليلى اذا أنا أرسلت اليه مطربة فانه لن يتركها هادئة لحظة واحدة ، وسيضيق عليها الخناق ويقرصها ، ويملأ ذراعيها بالعلامات السوداء والزرقاء ، وساضطر الى سماع شكاواها فيما بعد .. وليس هناك من يرضى بذلك .

أما الثانى ويدعى «فيل كونيك» فكان امره مختلفا . كان يملك حانة ليلية تعرف باسم « حانة كونيك الزرقاء » بمدينة قديمة للطواحين على شاطىء الهدسون ، بجوار ولاية نيويورك .

كان من عادة كونيك على كل حال ان يستخدم اوركسترا من ثلاثة من الموسيقيين ، او مطربا مشهورا فى بعض الاحيان . ولكننى انقطعت عن ارسال اى مطرب اليه عندما عرفت ان رواده كانوا يغلظون فى معاملتهم .

***

وانقضى النهار ، والقيت نظرة على ساعتى . كانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف ، وقد جن الظلام . وأنا أبقى فى مكتبى حتى الخامسة عادة ، ولكن جهاز التدفئة كان عاطلا فى ذلك اليوم ، وكنت مقرورا طوال النهار ، كما لو اننى كنت فى الشارع . ورتبت مكتبى ،وقلت لنفسى أنه لن تفوتنى اية عملية اذا أنا عدت الى البيت قبل الموعد بساعة ،واننى استطيع عندئذ أن أتناول حساء ساخنا وقد أجد فى التليفزيون برنامجا مسليا .



ولبست معطفى وقبعتى . وصلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة . كانت زوجتى هى التى تتكلم ، وذكرتنى ان الليلة موعدها فى لعبة البريدج مع صديقاتها ، وانها تركت لى بعض شرائح اللحم البارد والبيض المسلوق ، وأردفت تقول : « واحرص على أن تنظف كل شىء فيما بعد . ارفع الاطباق ولا تترك شيئا فى غير مكانه ، واذا لم يزعجك ذلك يا مستر برادلى فلا ترقد على الاريكة ولا تترك أعقاب السيجار فى المنافض ! »

اجبت : حسنا . واعدت السماعة . كانت على حق فيمايتعلق باعقاب السيجار طبعا . ثلاث وثلاثون سنة ، ولنا ولدان وثلاثة احفاد ــ وما زالت تدعونى مستر برادلى فى لهجة صارمة ! وكانت وهى فتاة تقاومنى كالنمرة قبل أن نتزوج .

وسمعت صوت وقع اقدام ودخلت مكتبى فتاة هيفاء . كانت فى العشرين ، سمراء ذات وجه رقيق وعينين واسعتين وسألتنى تقول : هل أنت مستر برادلى ؟

قلت : الوحيد والاوحد . أنا هو !

القت نظرة الى ساعتها ثم نظرت الى فى ارتباك وقالت : ــ ولكننى كنت اظن ان المكتب مفتوح حتى الخامسة .

قلت : هذا صحيح . ولكن لدى موعد اليوم . هل تريدين أن تقولى لى شيئا ؟

قالت : اسمى جانيت راولز ، وأنا أغنى يا مستر برادلى .. أود لو أن تختبرنى .

قلت : ان الوقت متاخر . عودى غدا صباحا بعد أن تستريحى يا آنسة . انك تريدين أن تقومى بعمل شاق ،ولابد ان تكون كل الفرص فى صفك . ولكنك

تأتيني الآن قبل موعد الغلق بعشرين دقيقة في الوقت الذى لا يفكر فيه الناس الا فى العودة الى بيوتهم . ثم انك لن تستطيعى ان تقدمى شيئا جميلا .

وكنت أتكلم عن تجربة واستطردت اقول : سوف أراك غدا .

قالت : مستر برادلى . يؤسفنى انى اتيت وأنت تهم بالانصراف !

وبدأت تنسحب . وعند الباب تحولت الى وقالت : مستر برادلى ، من المتعذر على أن أعود غدا صباحا .

لم اسألها عن السبب ، فقد كانت لها أسبابها طبعا . ولعل من غير اللائق أن أسألها . ورأيت وأنا أنظر اليها انها لا تعدو أن تكون طفلة تثير عيناها الاهتمام . وعلى ضوء النور الضعيف المنبعث من الممر ، كانت عبارة عن صورة خرجت من ماض بعيد جعلتني ارتجف . وأدركت عندئذ انها تعيد الى ذهنى صورة زوجتى بالذات قبل ذلك بخمسة وعشرين عاما . كنت منذ خمسة وعشرين عاما أسرع الى البيت . وكانت تأتى على أوقات كنت أقول لنفسى اننى اذا اشتغلت اكثر فلن أشعر بأية رغبة فى العودة الى البيت

كانت فى مقتبل العمر وجميلة جدا . وهذه الليلة ، جعلتنى زوجتى وشرائح اللحم البارد و « مستر برادلى » وكبات الثلج التى تتساقط ، والناس المقرورين الذين يحنون ظهورهم فى الشارع لمقاومة الرياح اللاذعة ـ جعلنى كل ذلك اشعر بالحزن ، ولهذا قلت :

ـ مس راولز . هل لك ان تسعدى رجلا مسنا بحاجة كبيرة الى المرح وان تتناولى معه العشاء ؟

نظرت الى تقيمنى ثم ابتسمت ابتسامة حارة وقالت :

ـ لا ارى انك رجل مسن كما تقول وانما ارى انك رجل كريم اشيب الشعر، بل انك جذاب جدا ، ويسرنى أن اتناول العشاء معك !

ـ ما رأيك فى شريحة كبيرة من اللحم وطبق من السلطة الفرنسية وبطاطس محمرة ؟ هل يروق لك ذلك ؟

أومأت برأسها بالايجاب وقد بدت عليها السعادة .

واخذتها الى مطعم مشهور بالطعام الجيد والمشروبات المعتقة ،وأكلت بشهية كبيرة . وفى بساطة أكبر . وأخذنا القهوة وحدثتني عن نفسها اثناء ذلك فقالت انها ولدت فى مدينة صغيرة بنيو انجلاند ، وكان أبوها سائقا وقدمت الى البلدة الكبيرة لكى تدرس الفن والغناء . ولكن مات أبوها ووجدت نفسها بلا عائل وقال لها البعض ان لها صوتا جميلا ، فجاءت لمقابلتى .

قلت لها : سأختبرك غدا صباحا .

ـ أعرف انى .. ولكن ألا تستطيع ان تختبرنى الآن ؟

ولم يكن هناك من ينتظرنى بالبيت ، وقلت لنفسى : ولم لا . ثم قلت فى صوت مسموع : حسنا .

وعدنا الى مكتبى ..

وجلست أمام البيانو . وكان صوتها لا بأس به فى المشاهد الموسيقية المدرسية ولكنه لم يكن يصلح لكى نجعل منها مطربة محترمة . وشعرت بالحزن لاننى احببتها كثيرا واردت مساعدتها .وفكرت فى صاحب ملهى كنت قد اسديت اليه خدمة . وكان يستخدم فى بعض الاحيان فتاة للعزف على البيانو ، لكن جانيت لم تكن تجيد العزف ، فقلت لها : اننى آسف .

قالت : اننى أشكرك على كل حال .

ونظرت الى فى ارتباك وقالت : مستر برادلى ، هل يزعجك أن أقضى الليلة هنا ؟

ـ هنا .. فى مكتبى ؟!

ـ ان السبب الذى اردتك من أجله هو اننى كنت سأستطيع أن أطلب منك قرضا لكى ابيت ليلتى فى أحد الفنادق .

قدمت لها خمسة وعشرين دولارا

ولكنها قالت : كلا • اشكرك يا مستر برادلى •

الححت عليها قائلا : ولكن هذا قرض

قالت : كلا • أشكرك ، ورأيت فى دهشة دمعة تسيل من عينيها ، وأردفت تقول : اننى اريد مكانا أبيت فيه الليلة فحسب •

كانت عنيدة فى كبريائها • وقلت : ولكنك ستصابين بالبرد هنا • ان جهاز التدفئة لا يعمل بالليل ، والجو بارد جدا

قالت : هذا سيان • ارجوك •

قلت : يمكنك أن تبقى اذا اردت •

وخرجت واشتريت دفاية كهربائية عدت بها اليها وقلت لها : لا تفتحى الباب لاحد ، فانت فتاة ، ثم انك وحدك •

ــ اشكرك يا مستر برادلى • لاتزعج نفسك ، لن آخذ شيئا •

ــ بل خذى كل ما تشائين ، مكتبى وكل ما فيه ، والتقويم الموجود فوقه ، فهو هدية من احدى الشركات • ولكن دعى لى المنافض فقد سرقتها من احد الفنادق ، وانا احبها كثيرا •

قالت وهى تنفجر بالضحك : اننى اعبدك يا مستر برادلى !

كانت فتاة لها شخصيتها ــ هذه المس راولنز •

ومنذ خمسة وعشرين سنة كنت نمرا وقلت لها : طابت ليلتك •

وعدت الى بيتى ، ونمت ••

وعندما عادت زوجتى ايقظتنى وقالت: ماذا بك ؟ انك كنت تبتسم وتضحك اثناء النوم !

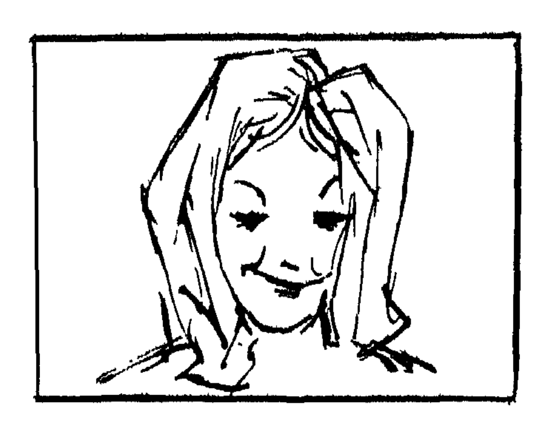
ــ لا تنتزعى منى سعادتى • كنت أحلم بفتاة شابة جميلة ترقد فوق الاريكة بمكتبى •

ــ هذا امر لا يمكن أن يقع !

وكانت هذه هى كلمات زوجتى الخالدة •

وعدت الى النوم •

وفى الصباح ، كانت مس راولنز قد قامت بتنظيف المكتب بصورة رائعة ،



فكنست الارض وغسلت الالواح الزجاجية القذرة وقالت : كيف تجد المكان ؟

تناولت سماعة التليفون ، وطلبت الصعود بطعام الافطار • وكانت القهوة لذيذة والفطائر طازجة •

وقالت مس راولنز اننى بحاجة الى سكرتيرة •

ــ اننى أعرف الكتابة على الآلة الكاتبة وأستطيع أن أرد على التليفون ، وسأعمل بكل جد • اننى ذات كفاءة عالية ، وأنت بحاجة الى زيادة الانتاج فى المكتب •

ــ فتاة جميلة مثلك هنا فى المكتب ؟ان زوجتى لتقتلنى !

ــ كلا • انها لن تفعل هذا يا مستر برادلى !

والحق انه ليسرنى أن أجد مس راولنز معى فى المكتب •

وقلت : حسن جدا • سوف اقوم بمحاولة ، بصفة مؤقتة •

انفجرت ضاحكة وقالت : اننى اعبدك يا مستر برادلى •

وكان شبابها الفياض معديا • ولكننى قلت : اكبحى حماسك يا مس راولز •

وأدركت اننى ساعيش فترة سعيدة •

وفى آخر النهار تحققت من انها كانت لى عونا كبيرا، فقد أزالت عنى حملا ثقيلا •• ردت على المراسلات واهتمت بالمكالمات التليفونية ؟ وقالت للعملاء الذين لا أبغى التحدث اليهم باننى غير موجود •

وفى نهاية الاسبوع تساءلت كيف استطعت مباشرة عملى قبل ذلك بدونها ،

فانها اتتنى ، الى جانب التشجيع ، بالبهجة وبسمة فى العمل . واحسست معها بأننى صغرت عشرين سنة . ومجرد كونها بجوارى كان تجديدا للحياة .

ولكن لم يلبث ان وقع تغيير عنيف ، فقد وقعت فى حب دين كونراد ، وهو اهم عميل لى .. مطرب مشهود ، ولكنه كان الى جانب هذا وغدا كبيرا !

وهناك فى الدنيا أناس كثيرون يشبهون جانيت راولز ودين كونراد . ولكن الذين يشبهون هذا الاخير يعيشون على حساب الذين يشبهون جانيت راولز ، فلم يكن فيه أى عنصر طيب . وكان يتباهى بأن بين اصدقائه كثيرين من رجال العصابات وكان يحتقر النساء ويقسو فى معاملتهن قسوة تاجر الرقيق . وكان حاد المزاج لا يحجم عن تأديب صديقة له بكل غلظة وكنت أتساءل احيانا اذا كان من الصواب انقاذه من الورطات التى كان يزج فيها بنفسه . وكان الى جانب هذا يزداد شهرة سنة بعد سنة .

ووكيل الاعمال الذى ينتقد أخلاق وتصرفات عميل له لا يلبث ان يفقد كل عملائه . ومع ذلك ، وبعد أن خرج مع جانيت لاول مرة اجلستها أمامى وقلت لها كل ما اعرفه عنه . وشكرتنى وقالت لى اننى أزعج نفسى دون مبرر ، واننى من الدقة القديمة ، وانها فتاة كبيرة الآن وتعرف كيف تحافظ على نفسها . ثم ان « دين » جنتلمان كامل ، وتألقت عيناها وتوردت وجنتاها وهى تتكلم عنه .

وبعد ثلاثة شهور ، عندما اوقعها فى حباله بوعوده لها فى الزواج ، التقيت به وقلت له انهاتستحق مصيرا افضل ، فانفجر ضاحكا وقال ان كل فتاة تستحق مصيرا افضل ، وانها ستترك العمل عندى لانه وقع عقدا لكى يقوم بجولة فى انحاء البلد للغناء وان فى نيته أن يصطحبها كسكرتيرة خاصة .

وغمز لى بعينه وقال : اننى بحاجة الى سكرتيرة خاصة .

قلت : انك لست بحاجة ا[illegible] نفسك !

رمانى باحدى ابتساماته العريضة والفجر ضاحكا للمرة الثانية وقال :

ـ لعلك مغرم بها يا برادلى .. كبير السن بالنسبة لها .

ـ اريد منك أن تترك لها الخيار

ـ ان المزعج معك يا برادلى هو انك تتطور مع الزمن . ماذا يهمك اذا قلت وداعا بعد ان تنتهى الجولة ؟ .. يهمك ؟ يجب أن تعلم حقائق الحياة استاذ . انك تتحدث كما لو أننى أ[illegible] لها مصيرا أسوأ من الموت .. ساير ال[illegible] يا برادلى !

قلت : انك وغد كبير !

ـ اذا كنت تريد أن تفسخ العقد ا[illegible] بيننا . ولكن ضع هذا نصب عينيك ان ما أفعله يعنينى أنا ، فاهتم بشئ[illegible] ودعنى أهتم بشئونى .

وعندما عدت الى المكتب كانت الس[illegible] قد تجاوزت الخامسة ، وكانت جاني[illegible] انصرفت . ووجدت على مكتبى رسال[illegible] كان كونيك قد اتصل .

وجلست ، ورحت أفكر فى كو[illegible] ونى جانيت . وكان يقوم بعملية ك[illegible] هى فيها الخاسرة . وأخذت رس[illegible] كونيك . وخطرت لى فكرة عندئذ فاتص[illegible] بكونيك ، وبعد أن تحدثت معه اتص[illegible] بدين كونراد . والتمست منه عذر[illegible] حدث ولاننى تدخلت فيما لا يعنين[illegible] ورجوته ان ينسى ذلك فقال : ـ لا بأس[illegible]

وسألته عندئذ أن يسدى لى خدم[illegible] وقال بعد أن تحدثت اليه : فى ح[illegible] كويلك ؟ أتريد منى أن اغنى فى حا[illegible] كويلك الزرقاء ؟ .. اننى لم اسمع [illegible] عن هذا المكان . ثم انك تعلم اننى لا ا[illegible] بأجر زهيد كذلك الذى يقدمونه فى [illegible] هذه الملاهى .

ـ اسمع . اننى ادين بخدمة له[illegible] الرجل . كل ما عليك هو ان تذهب هناك ، وان تغنى اغنية او اغنيتين

تنصرف بعد ذلك . هذا كل شيء ، ولا اطلب منك اكثر من ذلك .

اما الاجر فسوف نتفاهم فيه معا بما يرضيك .

قال : ــ هذا حسن ..

كان ذلك يوم خميس .ومضى الى حانة كونيك مساء يوم الجمعة . واستدعانى البوليس فى صباح يوم السبت . ومضيت بالعربة ، وتحدثت الى ضابط بوليس يدعى سام بيتشارد أخبرنى بما حدث . فقال ان حانة كونيك كانت مزدحمة فى تلك الليلة ، ووقف كونراد يغنى ، وعندما بدأ أغنيته الثانية قوبل بعاصفة من الصفير . وغضب كونراد وهجم على أحد الرواد وشج رأسه بزجاجة بيرة . وكان يجلس فى الصالة رجل ذو لحية سوداء أحنقه تصرف كونراد فأخرج مسدسة وأطلق منه رصاصة فى الهواء ، وما كاد يفصل حتى انطلق الرصاص من كل مكان . وانتهز أحدهم فرصة الشغب والانفعال فاطلق رصاصة على كونراد وقتله . واستولى الذعر على الموجودين وأسرعوا بالخروج واختفوافى جوف الليل ، ولم يتقدم أى واحد منهم للشهادة وقال الضابط انه لا يظن ان أحدا سيتقدم للشهادة واردف يقول : وهذه خسارة كبيرة يا مستر برادلى . ان زوجتى كانت مجنونة به !

ــ نعم . ان اناسا كثيرين كانوا يحبونه الى حد الجنون .

قال فى اهتمام : اننى استطيع أن أتصور مشاعرك .

وهز رأسه كما لو انه يفهم ، وانصرف فى نفس الوقت الذى اقبل فيه كونيك . وقال هذا الاخير .

ــ اننى آسف لما حدث حقا يا مستر برادلى .

ــ حسنا من كان يتوقع ان يحدث هذا سوف يسيء هذا الحادث الى سمعة حانتك .

اجاب كونيك : هذا أكيد . ان مثل هذا العمل سيلحق الكساد بحانتى . ولكنى سأقول لك شيئا . اننى أعتقد ان



أحد منافسى هو الذى دبر هذا الحادث لافلاسى .

ــ هل تظن هذا ؟

قال كونيك : بل اننى واثق مما اقول كان النور ضعيفا بالصالة طبعا ، ولم تكن الرؤية جيدة ، ولكننى لمحت الرجل الملتحى الذى اطلق الرصاصة الاولى . اننى اعرف جميع الرواد الذين يختلفون الى حانتى ، وهذا الرجل لم يكن من بينهم حسنا . اظن انه اقدم للقيام بهذه العملية بالذات ، ان جميع منافسى يعرفون كيف ينصرف روادى ، ولا ريب انهم نقدوه مبلغا كبيرا نظير هذا العمل بالذات . لم يره احد يطلق الرصاصة القاتلة . ولكن لعله اطلقها هى الاخرى . والشيء الوحيد الذى انا واثق منه هو اننى لم يسبق لى ان رايته .

ولم يكن قوله هذا صحيحا ، فهو قد رآنى مرارا ، فى مكتبى ،ولكنه لم يسبق له ان رآنى متنكرا باللحية السوداء و « الباروكة » والحاجبين المستعارين ، وهو زى التنكر الذى ارتديته مساء يوم الجمعة عندما اطلقت الرصاصة التى انتزعت دين كونراد من حياة جانيت .

وقلت : ــ اننى آسف .

قال كونيك : وانا ايضا . لا ريب انه اشهر واهم عميل لك .

وربت بيده على ظهرى مواسيا فقلت وآنا ابتسم .

ــ شكرا . امرى الى الله .

وانصرفت . ومضيت للقاء جانيت .

● ترجمة : محمد عبد المنعم جلال ●

مناجاة

● حسينى سيد أحمد عشرة ●

كفُّ النَّسيم يَجود يا زَهرتى ... بالوُرود
مَعها نعيش الأمَانى وبها تخور القيود
وبها اختِيَال الأغانى على جَميل الوُعود !
وعندها القلبُ يهفو لحلو مافى الوجود
عندها الروح تصفو والمشتَهى ... والخدودْ
فكَيفَ للنعين تغفو عن البَهاء الفَريد ! !

***

فلْتنظرى « الفل » هامْ مناديا مَنْ يُريد !
رُنا لغصن السَّلام بينَ الزهور الغيدْ
ولَوَّن الابتسامْ بِمهرَجان العيدْ

***

يازَهرتى .. أنتِ حُبِّى بلْ أنت حبى الوحيد
فلْتجلسى عَرش قلبى خذى الصَّباح الجديد
هذا ندَائى فَلبِّى نِدا مَشُوقٍ غَريد

***

القلبُ ناجَاك ... آه فأنتِ قُدسُ النَّشيد
هَيا .. انظرى فى سَمَاه هناك بَدر شَريد
يَهفو لعين الحَياه يبغى ربيعَ الخلود

***

لا .. لن يَطول انتظارى غداً حَبيبى يعود
غَدا .. سَيأتى نَهارى يَدورُ نَجمى السَّعيد
مَعَ النَّسيم السَّارى معَ انفتاحِ الوُرودْ



يارب ..

● عبد العليم القباني ●

منْ هَمْسة الأزهـار في مَوْكب البَدرِ
من صَدحةِ الأطيَـار في مسمع الفجر ...
سَمعْتُ هذا النِّداء ...

يارب
وكان هَذا الدعاء

يارب ...

يامن به كُنَّـا في عَالمِ الغَيب
ومَن لهُ صرْنـا في البُعدْ والقُربِ

ومنْ إليه الرَّجـاء
يارب ...

ومن عليه الثنـاء
يارب ...

أكتوبر ١٩٨١م

الهلال

جلة الفكر العربي

نومك ميزان صحتك

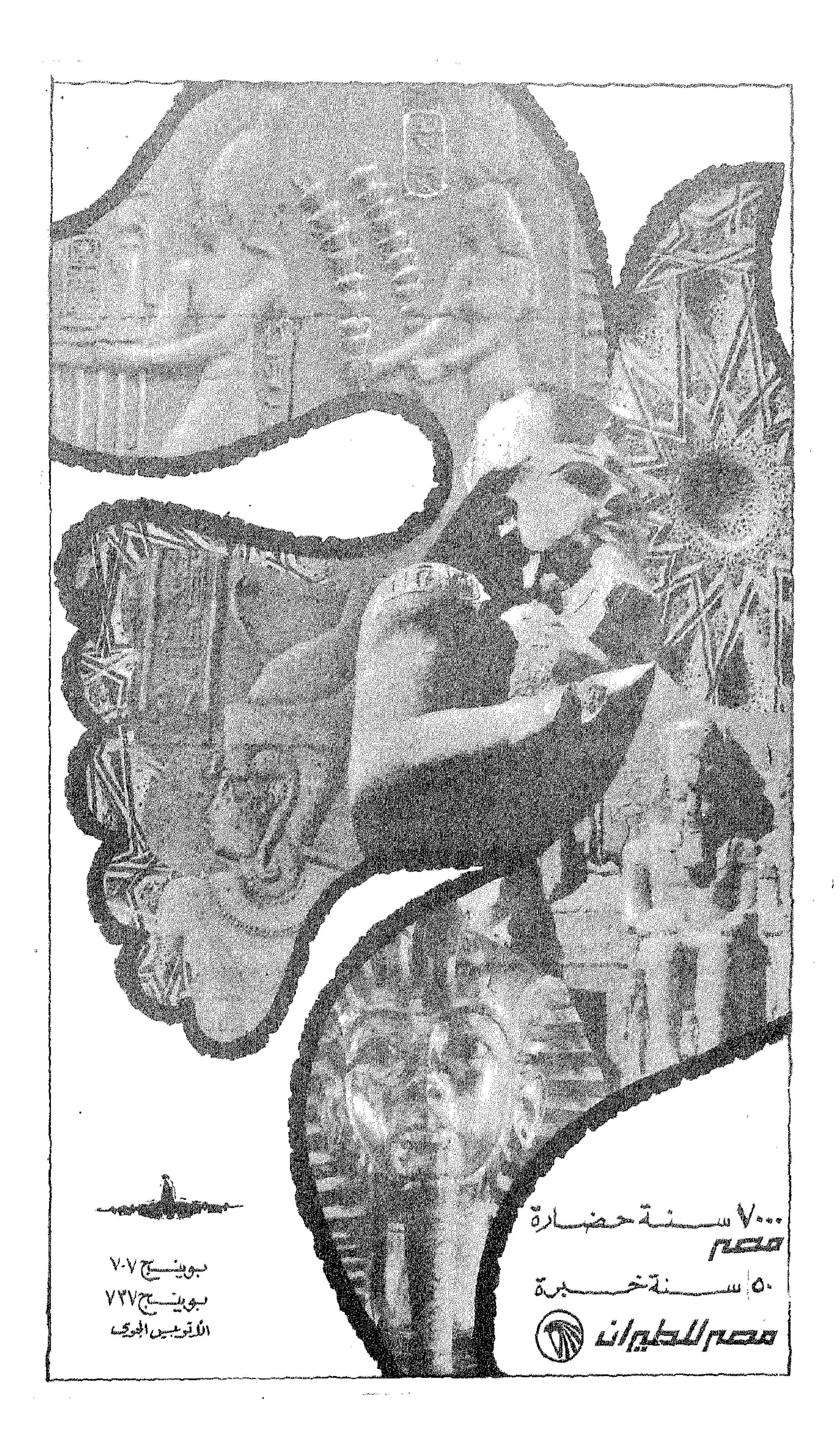


حث عن
تسامة

ا يكتب الآن
يب محفوظ

يقة الفنية
يوترونية

معجزة اليابان [استطلاع بالألوان]


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء

كل شيء مما يجري بين الناس أفهمه الا التعصب في الدين ..

وكل شيء من حماقات الناس أستطيع أن التمس له العذر الا الذى يظن ان اعزازه لدينه يبيح له أن يعتدي على عقائد الآخرين .

لان الدين بالنسبة لغالبية الناس وراثة . انه جزء من ميراثه الثقافي الذي نأخذه عن الآباء ، فأنا مسلم لان أبي مسلم ، ولو ولدت لابوين مسيحيين فاغلب الظن انني كنت أكون مسيحيا ، والعبرة ليست بأن تولد على الدين ، بل العبرة في التزامك بالقواعد الاخلاقية والقيم الروحية لهذا الدين ، أديان البشر جميعا لها قيم روحية وأخلاقية . كلها تدعو الى المحبة والاخاء والسلام والعدل ، وليس فيها دين واحد يدعو الى الكراهية والتعصب والحقد أو يبيح لصاحب الدين أن يعتدى على اديان الآخرين .

لقد علمتني التجربة ان المسلم الفاضل الصالح والمسيحي الصالح الفاضل سواء ، وان المسلم غير الصالح وغير الفاضل والمسيحي غير الصالح وغير الفاضل سواء .

ونحن المسلمين نقول ان الدين هدى من الله يمنحه لمن يشاء ، ومهما يفعل الانسان فهو لن يستطيع منح الهدى لغيره ، لان الله وحده هو الهادى ، وكل ما تستطيعه هو أن تدعو الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وان تدع الناس وما يشاء الله لهم من الهداية ، وكل ما يرجى منك ان تسير على قواعد دينك انت وتلتزم بالخط الخلقى الذى يرسمه لك دينك ، وستجد ان هذا الخط الخلقى يدعوك الى محبة الآخرين واحترام عقائد الآخرين .

***

وبالنسبة لمصر فأن من مفاخرها على طول تاريخها انها لم تعرف قط التعصب الديني او التفرقة بين الناس بسبب الدين . على أرض هذا الوطن عشنا ونعيش جميعا اخوة متحابين ، مواطنين في وطن واحد نحبه كلنا ونخدمه لان انتسابنا اليه شرف عظيم وخدمته شرف أعظم .

ولقد حاول المستعمرون القاء بذور الفتنة الدينية والتفرقة العنصرية فى كل بلد نزلوا فيه ونجحوا فى معظم البلدان في زرع شجرة الفتنة الا فى مصر . لقد عرف المصريون دائما كيف يعيشون أخوة متحابين ، فالدين لله والوطن للجميع .

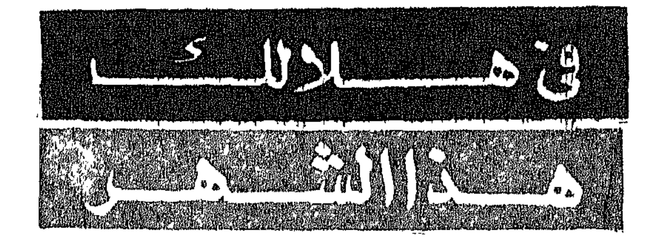
واذا شئت ان تعز دينك وتخدمه فالتزم اخلاقياته ودع الآخرين فهم أيضا يعتزون بأديانهم ويسعدك ان يكون فى قلوبهم هذا الاعزاز ، لان أكبر قوة للوطن ـ أى وطن ـ هو اتحاد قلوب ابنائه .

وأمامك بلاد الدنيا فانظر المآسى التى سببها التعصب للدين . لم يكسب انسان واحد من فتنة الدين في أى بلد من بلاد العالمين .

ونحن هنا في هذا الوطن المصرى المبارك نحمد الله على اننا سرنا فى تاريخنا كله على قاعدة التسامح والاخوة فى الوطن ، وسنظل على هذا المسلك الآمن الى نهاية الزمان .

والله يحفظنا من سيئات نفوسنا ، ومن نزعات الشيطان التى اضلت الناس فى غير هذا البلد الكريم وجلبت عليهم الويلات بلا حدود .

المحرر ●●



الهلال
مجلة الفكر العربي

اكتوبر ١٩٨١ م

ذوالحجة ١٤٠١ هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون أول اكتوبر سنة ١٩٨١ ـ ٣ من ذى الحجة سنة ١٤٠١ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى عبد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ■

● استطلاع بالالوان ●

منوعات

● سينما ومسرح ●

● كاريكاتير ●

● شعر ●

● قصص ●

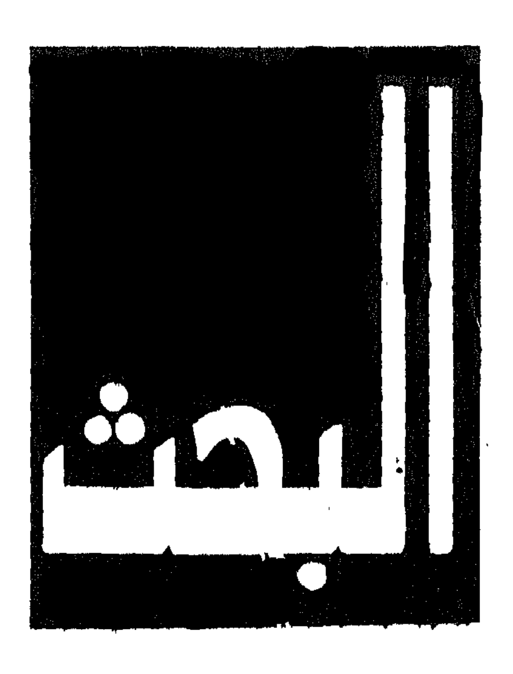
الإشراف الفنى
أحمد الوردجى

● صورة الغلاف ●

موضوع الاستطلاع الملون فى هذا العدد يدور حول اليابان وصعودها فى مجالات العلم والقوة الى افاق تخطت كل حسبان ، وقد تحدثنا عن ذلك بتفصيل فى مقال مطول فى نفس العدد ، ورأينا ان انسب ما نزين به غلاف الهلال هو صورة لفتاة يابانية جميلة ترمز الى شباب اليابان المتجدد

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى « لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون ٢٠٦٢٠ . عشرة خطوط



البحث عن ابتسامة

بقلم رئيس التحرير

الهموم تخصص عربي صرف ولفظ « هم » لا مقابل له في اي لغة اخرى ، وكل مشكلة لا تحل تتحول الى هم ونحن اساتذة في فن تحويل المشاكل الى هموم .. نحن نضع المشكلة امامنا ونقول لها : حلي نفسك ! .. وبمضي الزمن تتحول مشاكلنا الى هموم ، وهي هموم من كل نوع : هموم عربية عامة ، هموم اسلامية عامة ، هموم محلية ، هموم عائلية ، هموم شخصية ، وكل واحد منا يحمل اضعاف وزنه من الهموم فوق راسه وتحت عبء الهموم ضاعت الابتسامة ونسينا الضحك وأصبح عالم العرب هو عالم الهموم .

● إننا جميعًا مهمومون لأننا لا نحاول حل مشاكلنا.. كل مشكلة لا تحل تتحول من تلقاء نفسها إلى هم . وحلول مشاكلنا اليومية بأيدينا وعلينا أن نبادر بحلها ، وبمجرد المحاولة حتى إذا انتهت إلى لا شيء تعتبر تفريجًا لهم وتحول دون تحول المشاكل إلى هموم .

في نهاية كل يوم من أيام العمل أجد نفسي صامتا مجهدا لا أقوى على الكلام .

وأحسب في ذهني : ماذا عملت حتى أحس بهذا التعب كله فأجد انني في النهاية لم أنجز الا القليل .

وأستعيد في ذهني ما مر بي منذ الصباح الباكر فأذكر شيئا غريبا بدا لي وكأنه اكتشاف : انني لم أر في طول يومي ، منذ فتحت عيني الى قرابة العصر وجها واحدا يبتسم .

وتذكرت — بالتالي — انني أنا أيضا لم أبتسم مرة واحدة : لا اليوم ولا الامس ولا أول أمس .

ولم أكن بحاجة الى تفكير طويل .

فانني عندما عرضت على ذهني ما مر بي وما وقع من حولي من أحداث صغيرة أم كبيرة ، شخصية أم عامة ، لم أذكر شيئا واحدا يدعو الى الابتسام .

أما الضحك — وهو دواء من أدوية النفس — فلا أذكر آخر مرة ضحكت فيها ضحكا صحيا صادقا من القلب .

ووجدت نفسي أسأل نفسي وأنا في طريقي الى البيت :

— ترى ماذا جرى للدنيا من حولنا حتى ضاعت منها البهجة ودواعي السرور ؟

وماذا جرى لنا نحن حتى أصبحنا وكأننا جميعا مصابين بالاكتئاب ؟

.. تصفحت المجلات والصحف الغربية التي حملتها في حقيبتي فرأيت وجوها كثيرة تضحك ضحكا صادقا صادرا من أعماق القلوب .

حتى وجوه رجال السياسة في الغرب ومشاغلهم كالجبال قرأت فيها ضحكات وابتسامات .

وتذكرت آخر رحلة لي الى أوروبا — في مايو الماضي — فتذكرت ان الدنيا هناك تضحك رغم كل شيء .

الناس هناك متغلون بالمشاغل مثلنا ، ولكنهم مع ذلك يجدون في حياتهم دواعي للسرور ، ونبع التفاؤل والمسرة بل الطرب لم يجف في حياتهم تماما .

لان الذي عندهم مشاغل أو مشاكل أو اهتمامات أو واجبات أو مسئوليات .

أما الذي يثقل نفوسنا نحن ويملأ كل زاوية من زوايا حياتنا فهي الهموم .

والمشاغل والمسئوليات أيا كانت فهي لا تمس صميم النفس ، انها تظل مشاغل أو مشاكل أمامك وخارج نفسك ، وعليك أن تعالج منها ما تستطيع وتترك الباقي الى الغد ، ولكنك لا تحمل هذا الباقي على كتفيك أو في ذهنك ولا تدخل به الفراش .

انها تظل مكانها ، تظل تنتظرك على مكتبك أو في درجك وربما في جيبك ، ولكنها لا تركبك قط .

لان الذي يركب الانسان ويرهقه ويثقل على نفسه هي الهموم والهموم أمراض منها المستعصي ومنها المزمن ومنها ما يهون وزنه بمرور الايام فتعتاد على حمله

البحث عن ابتسامة

ولكنها لا تزول ولا تختفي .. انها دائما هناك على كتفيك هـذا سر اختفاء الابتسامة وموت الضحك عندنا ان حياتنا هموم ومشغولياتنا أصبحت أمراضا. فنحن ـ أو غالبيتنا العظمى على الاقل مرضى بالهموم ولهـذا فنحن مكتئبون . واكتئاب الذي هو عند غيرنا مرض يعتبر جزءا من حياتنا أو هو حياتنا .

***

وفي الماضي كان المكتئبون هم اصحاب المسئوليات الكبيرة . وكان المكتئبون هم المسئولون عن الآخرين أو عن القضايا العامة ـ كبيرة أم صغيرة .. وكان بقية الناس يضحكون .

واذكر انني في الماضي كنت اسمع من غرفتي او مكتبي ضحك الناس في الخارج ، فتسري مسرتهم الى نفسي واحس بشيء من البهجة ، وكنت أرى الابتسامة على كثير من الوجوه فيتسرى عني ما بنفسي ، واضحك مع الآخرين ..

اما اليوم فان رنة ضحكة واحدة لا تصل الى أذني ، لا من الخارج ولا من الداخل .

وكان الهموم قد عرفت طريقها الى قلوب الجميع . وكل اشتغال للبال لا ينصرف ينحول الى هم .

وكل مسئولية يعجز الانسان عن حلها أو لا يجتهد في حلها تتحول الى هم .

والذين كانوا يلقون بأحمال مسئولياتهم على أكتاف الآخرين لم يعودوا يستطيعون ذلك ، لان الآخرين غارقون في همومهم ولم يعد هناك أمل في أن يستطيع واحد منهم تحمل المزيد من الهموم .

فعندنا جميعا ـ كبارا وصغارا وعلى رؤوسنا واكتافنا من الهموم ما يثقل الجبال .

فماذا جرى للدنيا ؟

***

الدنيا لم يجر ، لها شيء ، فهي هكذا منذ خلق الله الارض والحيوان ومنه الانسان .

مسئوليات وشواغل ومشاكل واخطار .

والانسان البدائي كان يفتح عينيه في الصباح وحوله نساء وأطفال ، وهو لا يملك طعام ساعة ، ولكنه لم يكن يحس لذلك هما .. انما كان يخرج ليأتي بطعام نفسه وطعام العيال .

وسواء أتى بكثير أو بقليل فقد كان هو ومن معه يكتفون بما هناك . ومن لا يرضى بما هناك يخرج بنفسه ليبحث عن طعامه ..

وفي يوم من الايام كان الأب يطرد من حوله كبار الاولاد لكي يطلبوا رزقهم وحدهم بعيدا عن بيت الاسرة فقد انتهت مسئوليات الاسرة حيالهم . وما داموا قد اصبحوا خارج الباب فهم لم يعودوا مسئولية الأم والأب ، انهم ينتهون بالنسبة لهما .

ولو عاد الأب فوجد واحدا منهم في البيت طرده واقصاه بهذه الطريقة كان الآباء يحلون مشاكل العيال .

ولا تزال القرود تفعل ذلك في الغابة وفي حدائق الحيوان والقرد الذي يكبر ثم يريد مع ذلك الاستمرار في التشبث ببطن أمه ينهر ويطرد ويضرب حتى يبتعد .

***

وفي بلاد الغرب كلها لا يدعون مسئوليات العيال تتحول قط الى هموم

● الإنسان البدائي كان يعرف المشاكل، ولكنه لم يكن يعرف الهموم، لأنه كان يتخلص من مشاكله أولاً بأول إما بحلها أو الهرب منها، ولهذا فقد كان رغم الأخطار المحيطة به أسعد منا لأن الهموم هي عدو الإنسان الأكبر.

الولد – أو البنت – يتعلم قدر ما يستطيع أبوه تعليمه، ثم يوضع خارج الباب فلا يعود الا زائرا أو في المناسبات.

وهو اذا لم يجد رزقه فيما حوله هاجر الى بلد قريب أو بعيد وقد يرسل خطابا وقد لا يرسل .. ولكنه ينتهي كمسئولية بالنسبة للوالدين ..

وقد تذكر الأم أولادها النازحين خلف المحيطات، وقد تترقرق في عيونها الدموع، ولكنها لا تفكر قط في ان تستعيد الابن البعيد أو البنت التي شقت الطريق وحدها أم الى جانب زوج.

لان الاولاد هناك لا يجوز أن يتحولوا الى هموم الا اذا كانوا مرضى أو معوقين ..

والمسئوليات جميعا عندهم لا يسمح لها بأن تتحول الى هموم، انهم يحلونها وأي حل عملي مقبول عندهم ما دام يحول دون ان تصبح المسئولية الى هم.

وليس في لغاتهم الفاظ تقابل لفظ الهم، ففي الانجليزية يقولون worries وفي الفرنسية Préoccupation وفي الالمانية kuemmer وفي الاسبانية Preocupaciones وليس في هذه كلها ذلك المعنى المرضي الثقيل الذي يحمله لفظ الهم أو الهموم.

فكأننا نحن – بطريقتنا الغريبة في مواجهة المسئوليات قد اخترعنا الهموم بدليل اننا اخترعنا لها اللفظ الخاص بها.

***

وطريقتنا في مواجهة المسئوليات طريقة فريدة في بابها وهي اننا ندعها لتحل نفسها بنفسها حتى تصبح جبالا وهموما ومعظمنا يسير في حياته مرددا البيتين المشهورين:

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن الا خالي البال ...
ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال الى حال!

وهذان البيتان لا يتضمنان اي فلسفة حياة .. انهما مخدر يسكت عنك الالم مدى حين، ولكن الالم يعود.

لان الله سبحانه وتعالى لا يحل المشاكل للقاعد البليد أو المستلقي على الارض فاغرا فاه كأنه ابله او عبيط ..

انما يجيء الحل مع العمل، والعون من الله يجيء مع السعي، والابواب تتفتح مع السير، والطريق ينفتح مع طول المحاولة.

وليس في القرآن آية واحدة تقول: اقعدوا أو ناموا وأنا أحل مشاكلكم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع مسألة واحدة من مسائل الدنيا أو مشكلة واحدة من مشاكل الجماعة لتحلها الظروف، بل كان دائم السعي والعمل لايجاد الحلول.

البحث عن ابتسامة

وهو — مثلا — لم يترك مشكلة مكة والمكيين لتتحول الى هم ، بل بادر الى الحل بنفسه ..

وخروجه في غزوة الحديبية من أكبر الدلائل على ذلك . فقد كان ذلك الخروج مبادرة من ناحيته لكسر جمود القضية . وسواء انتهى الامر بصلح الحديبية أم لم ينته فقد كان صلوات الله عليه وسلم باحثا عن حل آخر ولا ريب .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم ينم تحت الشجرة تاركا مشاكل الامة لتحل نفسها بنفسها ، بل كان مع المسلمين في كل مشكلة ، كان بقلبه وعقله مع سعد بن أبي وقاص في فتوح العراق وكان بقلبه وعقله مع قادة الشام في فتح الشام ، وكان مع أصحابه في حل كل مشكلة من مشاكل المسلمين ، وفي بعض خطاباته الى قواده كان يطلب منهم أن يصفوا له الموقف وصفا بالغ التفصيل حتى يكون وكأنه معهم بالضبط في المكان والزمان ، مشاركا في المعارك كلها كان دائما في الميدان الى جانب كل مجاهد من مجاهدي المسلمين ، وهو عندما كان ينام تحت الشجرة كان ينام لانه بذل أقصى ما يستطيع في حل مشاكل المسلمين ، ولم يدعها تتحول الى هموم .

وعندما أحس ان الحل الذى لجأ اليه في حسم الفيء والمغانم ليس بالحل الناجح ، وان هذه المشكلة ستتحول الى هم قال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت غير الذى فعلت !! .

وبدأ يشاور أصحابه في البحث عن حل جديد .

وعاجله الموت غيلة .

وجاء عثمان فاشترطوا عليه الا يبدل حلول عمر ، فتحولت مسألة المغانم والفيوء الى هم ثقيل .

وهذا الهم هو الذى قتل عثمان بن عفان ، لان الهم اذا طال أمره كسر الظهور .

وهذا الهم نفسه هو الذى قتل عليا بن ابي طالب ، لان الناس لم يدعوه يحل مشكلة المغانم والفيء والارض والاموال حلا ناجحا ، بل عاجلوه وشغلوه وفي النهاية قتلوه .

ومعاوية بن ابى سفيان عندما تصور انه انتصر وتربع على عرش الخلافة لم يلبث ان تبين انه حمل هما ثقيلا ..

وقد حاول أن يتخلص من الهموم بالحيلة والدهاء (شعرة معاوية) او بالسيف .

والدهاء مخدر ، ينيم المشاكل ولا يحلها .

والسيف قتال ، والقتل ليس حلا لمشكلة أى انسان ، مثله في ذلك مثل قطع العقدة بدلا من حلها ، فانك تقطعها وتظل العقدة كما هى ، ولكن تصل الحبل الذى قطعته لابد أن تعقد عقدة أخرى .

فكأنك استبدلت عقدة بعقدة .

ومثلك في ذلك مثل الرجل يهبط الحمل الثقيل كتفه اليمنى فينقله الى اليسرى .

ومعاوية بدهائه وسيفه لم يقتل نفسه فقط بل أباد أهل بيته جميعا سنة ١٣٢/٧٥٠ م .

لان المشاكل لا تواجه الا بالحلول .

ولا تواجه قط بالحيلة والمكر حلا .

والعقد لا تحل بالقطع .

● وعمر بن الخطاب استطاع أن ينام بهدوء تحت الشجرة لأنه لم يكن يترك المشاكل دون حل . كان يحلها ، كان مع المسلمين في ميادين القتال وفي المهاجر الجديدة . كان يفكر معهم ويشترك في حل مشاكلهم ، ولهذا فقد استطاع أن يقود الأمة قيادة صحيحة ولم يورثها الهموم.

والسيف ، على طول التاريخ لم يحل مشكلة واحدة ، وضربة سيف واحدة اليوم ينشأ عنها ألف سيف في الغد .

وفي عصرنا هذا لم يكن أدولف هتلر رجلا غبيا ، ولكنه ظن ان المدفع يحل مشاكل المانيا ، وقد انتهت حياته أسوأ نهاية : قتل نفسه بنفسه ومدافع الروس من ناحية ومدافع الامريكيين من ناحية أخرى تصم أذنيه .

وفي الدوى الهائل مات الرجل الذى انشأ المانيا الحديثة ميتة فار تحت عجلات قطار .

لانه لم يحاول أن يحل مشاكل قومه ، بل جعل يزيد اكوام الهموم كوما فوق كوم حتى انهارت عليه ودفنته في النهاية .

***

ومناحم بيجين ومن حوله من أصحاب السيف والعنف والضربات الشريرة الغادرة سيموتون حتما تحت الانقاض اذا مضوا في هذا السبيل .

لان الذى أعطاه المدفع والطائرة والقنبلة سيعطى خصومه ـ عاجلا أم آجلا ـ مدافع وطائرات وقنابل .

وهو بسياسته لم يحل هما واحدا من هموم اسرائيل ، بل جعلها هي هما على نفسها وعلى الآخرين وفي مقدمتهم اصدقاؤها .

وهل بقى لاسرائيل في الدنيا أصدقاء ؟

حتى الولايات المتحدة اصبحت اليوم تضيق باسرائيل . وتصور رجلا مثل بيجين يبلغ به ثقل ظله ان يذهب الى الولايات المتحدة لا ليطلب أموالا لبلاده فحسب بل لكى يطلب اليها الا تبيع للمملكة العربية السعودية سلاحا ، لان ذلك فيما يزعم يهدد أمن اسرائيل . ومضى كذلك ليطلب الى امريكا أن تمول من خزائنها عمليات انشاء المستوطنات الاسرائيلية في اراضى الضفة الغربية بمبلغ ٨٠٠ مليون ريال في العام مع أن الولايات المتحدة تدين هذه المستعمرات .

حقا ان اسرائيل هم ثقيل . هم على نفسها وهم على الغرب الاوروبى الذى كان يؤيدها ، وهم على الولايات المتحدة التى تدين لها اسرائيل بكل شيء .

ولكن الذى يهمنا انها هم الزمان الذى لا ينتهي بالنسبة لنا نحن العرب .

فهى بهذه السياسة التى تنتهجها في أيام بيجين لم تعد مجرد كيان دخيل في الجسد العربى بل أصبحت سرطانا خطيرا يهدد الوطن العربى كله بكل شر .

فهى تجد ان من حقها أن تحطم المفاعل الذرى العراقى .

وتجد ان من حقها أن تحتل أرض لبنان وتضرب بيروت بالقنابل وتقتل المئات وتجرح الالوف .

وتجد من حقها أن تحفر قناة من البحر المتوسط يمر في أراضى قطاع غزة

البحث عن ابتسامة

ويصب في البحر الميت ليولد لاسرائيل الكهرباء

ولكي تحصل اسرائيل على مزيد من الكهرباء يتخرب قطاع غزة وتضيع الالوف من هكتارات أرض العرب وتفسد زراعات الموالح والبيارات ويعدم الالوف مصادر الارزاق ٠

ولكي تحصل اسرائيل على مزيد من الكهرباء يخسر الاردن نصف ما يحصل عليها من البوتاس والفوسفات من البحر الميت ، لان الاردن يستخرج هذه المواد من الارسابات المعدنية الوافرة من مياه البحر الميت ، فاذا تدفقت المياه في ذلك البحر ارتفع منسوب المياه وانتعش البحر الميت وهبطت الارسابات الى العشر ٠٠

***

والمهم لدينا هو : ماذا نفعل نحن العرب أمام هم اسرائيل الذى يتزايد يوما بعد يوم ؟

لقد كانت اسرائيل أول أمرها مشكلة ، ولكننا على أسلوبنا في مواجهة المشاكل حولناها الى هم ٠

وطريقتنا في حل المشاكل هي أن نجلس أمامها ونقول لها حلي نفسك !

ونحن نفعل ذلك جريا على فلسفة الشاعر الغافل الذى قال :

دع المقادير تجرى في أعنتها ولا تبيتن الا خالى البال

وتعليقنا على ذلك المذهب هو : اذا كنا جميعا سندع المقادير تجرى فى أعنتها ونبيت ببال خال فمن والله يحلها ٠

يقول لك هذا الشاعر البليد :

ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال الى حال

ونقول : نعم هذا حق ٠

والله سبحانه وتعالى يبدل من حال لحال في طرفة عين ٠

ولكنه سبحانه خلقنا وخلق لنا العقل لكى نحل به المشاكل ٠٠

وفى غير عالمنا العربي يحلون مشاكلهم ٠٠

وحتى اذا كانت المشاكل مستعصية على الحل في وقت ما مثل مشكلة الاتحاد السوفييتي الذى يريد أن يبتلع الدنيا بما عليها ، فانهم لا يسمحون لها بأن تتحول الى هم ، لانهم لا يكفون عن البحث عن حل ٠

وانظر الى المؤتمرات التي يعقدونها كل يوم ٠

مؤتمرات أوروبية عامة ينظمها مجلس أوروبا ٠

ومؤتمرات السوق الاوروبية المشتركة ٠

ومؤتمرات حلف الاطلنطى ٠

ومؤتمرات تحديد السلاح ٠

وغيرها وغيرها ٠

ونحن نقرأ أخبار هذه المؤتمرات ونظن انها كلام فارغ واضاعة وقت ٠ ولكنها في الحقيقة محاولات لحل المشاكل ، محاولات لايقاف تحول المشاكل الى هموم حتى مشكلة ايرلاندا لا تسمح بريطانيا بأن تتحول الى هم ٠

اما نحن ، فبمجرد أن تصادفنا مشكلة نبدأ في اتخاذ الاجراءات اللازمة تحويلها الى هم ٠

وقد قال حامد بن العباس وهو أحد وزراء بنى العباس في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى : ان تمشية أمر السلطان على الخطأ خير من وقوفه عند الصواب ٠

● حلول المشاكل لا تأتيس إلا بالهدوء وبوسائل هادئة ، فالعنف لم يحل مشكلة قط ، والسيف لم يقض على عدو ، لأن دم الإنسان الواحد يولد الأحقاد والثارات ويسلم الإنسان للهموم. لا ولا الدهاء يحل المشاكل .. إنه مصدر أوسبيل للهرب ..

وحامد بن العباس كان وزيرا ذكيا ، اديبا حتى لقد كان يوصف بالفطن ..
وهو بكلمته تلك يريد أن يقول : لا تدعوا المشاكل تتحول الى هموم . حلوها او حالوا حلها ، ودعوا الامور تسير فان سير أمور النـــاس على الخطأ خير من ركودها في انتظار الصواب .

***

لهذا ولاننا متخصصون في تحويل المشاكل الى هموم أصبحنا أرباب الهموم في الدنيا ، وأصبح الواحد منا يشعر وهو جالس وكأن رأسه عمامة تملأ الحجرة كلها هموما .
ولهذا أيضا ضاع منا الابتسام وخرج من حياتنا الضحك .
وأصبح الراغبون في الضحك منا يذهبون للفرجة على مهرجين يسمون أنفسهم ممثلين يرتكبون جرائم ضد الذوق والاخلاق لكى يضحكوا الاحجار المرصـوصة على الكراسى أمامهم .
حتى الصبيان الصغار علمناهم حمل الهموم .
وبينما يذهب التلاميذ الصغار في الدنيا كلها الى المدرسة لكى يدرسوا شيئا ويلعبوا ويضحكوا شيئا ثم يعودوا الى بيوتهم لكى يستريحوا .. جعلنـا نحن المدرسة هما للعيل الصغير ..
ومن السنة الاولى الابتدائية والولد - يا عينى - يتمرن على فك الخط تدق فى أذنية جرس الثانوية العامة .. بمجموع كبير .
والتلاميذ الصغار عندنا لا يلعبون كما يلعب الصغار في بلاد الدنيا كلها بل يخربون ويعربدون .
لان التخريب والعربدة عمليات هروب من الهموم .
وما رأيك في تلميذ صغير يعود من المدرسة ليأنس بالحنـــان فى بيته ولكى يلهو فيجد المدرس الخصوصى فى انتظاره كأنه عزرائيل ..
ومعذور المسكين في هذه الحالة اذا لم يتعلم الابتسام
وسيظل المسكين عمره كله لا يعرف الابتسام .
ستركبه الكآبة التى تركبنا كلنا .
لاننا من المحيط الى الخليج نجلس أمام المشاكل ونقول لها : حلى نفسك .
ونذهب الى الفراش لننام خليى البال كما قال الشاعر اياه ، ولكننا لا ننام كل ما يحدث أن ثقل كل الهموم على صدورنا تخمد انفاسنا حتى الصباح .
وفي الصباح ننهض ونرتدى ملابسنا لنذهب الى العمل ، ولا ينسى واحد منا قط أن يضع على رأسه قبل الخروج عمامة الهموم فى حجم الغرفة التى يجلس فيها .

● د . حسين مؤنس ●

الثقافات الأجنبية وترجمتها إلى العربية في القرن التاسع الميلادى

● د. محمد عبدالمنعم خفاجى ●

الثقافات الأجنبية وترجمتها الى العربية قضية شغلت اذهان المفكرين فى كل العصور حتى اليوم .

ومن البديهى ان ترجمة الثقافات الاجنبية لا تعنى ترجمة ما يسىء الى شخصية الأمة العربية او تاريخها او خصائصها او مقوماتها الأساسية من الدين والفكر والحضارة .. والترجمة هى التى نقلت الحضارات القديمة وآثارها الى الفكر الاسلامى .

وقد كان للعباسيين وخاصة فى هذا القرن شغف شديد بالعلوم والآداب ، وولع كبير بالمعارف والثقافات ، اذ تنوعت حضارتهم ، واتسع نفوذهم ، وامتد سلطانهم ، حتى شمل كثيرا من الأمم العريقة فى الحضارة والمعرفة ، والاصيلة فى المدنية والثقافية .

وكان من هذه الأمم الفرس والروم والهند واليونان ، وهى أمم ذات ثقافات واسعة .. ومن ثم وجد العرب انهم أمام معارف يزخر بها العالم المعروف آنذاك ، وكان لا غنى لملكهم ودولتهم عنها . فاقبلوا عليها بكل ما لديهم من شوق الى المعرفة ، ونهم الى العلم ، واخذوا فى ترجمة ذلك كله وتعريبه ، واضافوا الى قديمهم جديدا ، والى هذا التراث الزاخر ما تمخض عنه ادراكهم وفكرهم ...

فلليونان حكمتها وفلسفتها وطبها ، ولها فلاسفتها القدماء المشهورون ، من امثال سقراط وارسطو وافلاطون وغيرهم .

وللكلدانيين شهرتهم فى الطب والنجوم ...

وللهند ثقافة واسعة مدونة في الحساب والطب والنجوم والحكمة والآداب ...

وللسريانيين ثقافة واسعة مدونة فى النجوم والفلك ورصد الكواكب والطب وكانت مدارسهم القديمة المشهورة تدرس علومهم وآدابهم بالسريانية واليونانية : كمدرسة الرها ، ونصيبين ، وقنسرين ...

وللفرس آدابهم وعلومهم ، التى انتقلت اليهم من الهند والصين ، ومن اليونان ، فى عصور مختلفة ، وقد ترجموا الى لغتهم كثيرا من كتب اليونان ومعارفهم كالمنطق وغيره ، كما نقلوا من علوم الهند كتبا فى الطب والنجوم والآداب ...

وقديما كان سابور بن اردشير فى اواسط القرن الثالث الميلادى يبعث البعوث الى بلاد اليونان لجلب كتب الفلسفة وترجمتها الى الفارسية ، وانشا مدرسة جند يسابور المشورة ، وكان اساتذتها من الهنود واليونانيين ،

ولما جاء كسرى انو شروان (٥٣١ – ٥٧٨ م) فتح ابواب دولته للوافدين عليه من الفلاسفة اليونانيين الوثنيين الهاربين من اضطهاد « جوستنيان » قيصر الروم لهم ، على اثر اغلاقه المدارس والمعابد الوثنية . وقد اكرمهم وطلب منهم التاليف والترجمة في الفلسفة والنجوم والطب ، كما اكرم وفادة العلماء الهنود والسريانيين .

اتصل المسلمون فى هذا العصر بثقافات جميع تلك الأمم وبعلومها ومعارفها وآدابها ... وازدادوا معرفة بقيمتها ، ورغبة ملحة فى الافادة منها ، وكان الفارسيون الذين تسنموا أعلى مناصب الدولة فى العصر العباسى الأول يشجعون نشرها وتداولها ، كما كان الخلفاء العباسيون يقبلون عليها ، ويحثون على ترجمتها الى العربية .

وهكذا بدأت الترجمة فى العصر العباسى صغيرة ناشئة ثم اثمرت ثمرها ، واتت أكلها بعد قليل .

***

وكان الباعث على العناية بترجمة العلوم الى العربية ما آلت اليه الدولة من حضارة ومدنية ، استلزمتا تشجيع العلوم والآداب . وكذلك رغبة العلماء فى استخدام المنطق والفلسفة فى الدفاع عن الدين . ثم كانت اللغة العربية غالبة على هذه الأمم كلها ، فكان لابد من نقل ودائع ثقافاتها الى العربية . ومن هنا نشطت الترجمة ووجدت فى اللغة استجابة وسرعة .

ومن البواعث كذلك تشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء للترجمة التى اصبحت هى الصلة الوثيقة بين العرب وعلوم الأمم القديمة وآدابها ...

والكثير من مؤرخى الفكر يعدون حركة ترجمة الثقافات فى القرن التاسع الميلادى من أعظم الحوادث الفكرية فى تاريخ المسلمين ، لانها كان لها أكبر الآثار فى سير الحضارة الانسانية .

***

وقد مرت حركة الترجمة فى القرن التاسع الميلادى بثلاثة أطوار :

الأول : من خلافة المنصور الى آخر عهد الرشيد (٧٥٣ – ٨٠٨ م) .. وفى هذا الطور بدأ التمهيد الواسع لحركة الترجمة التى اولاها المنصور عناية كبيرة فائقة ، وبخاصة علوم الطب والهندسة والنجوم . حيث بعث الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله ان يصله بما لديه من كتب الفلاسفة ، واختار لها كبار المترجمين ، وكلفهم باحكام ترجمتها الى العربية كما ذكر ابن خلدون فى مقدمته – ص ٤٨٩ – وصاعد الأندلسى فى كتابه « طبقات الأمم » . وترجمت له الكتب من اليونانية والرومية والفارسية والسريانية والهندية كما ذكر المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » – ص ٤٢١ جـ ٤ –

ولم يترجم له شىء من الفلسفة والمنطق وسائر العلوم العقلية ، وانما ترجمت بعد عصره . وكان المنصور معنيا بعلم النجوم عناية شديدة . وقرب اليه من المنجمين نوبخت المنجم الفارسى واولاده ، وابراهيم الفزارى ، كما قرب اليه جورجيس بن بختيشوع السريانى رئيس اطباء مدرسة جنديسابور ، اذ كان معجبا به ، واتخذه طبيبا له . ومن اشهر المترجمين فى عهده ابن المقفع .

ولما ولى الرشيد بن المنصور الخلافة ، بعد اخويه المهدى والهادى ، كانت الثقافة مزدهرة ، والعلوم منتشرة ، والاذهان متفتحة لقيمة العلم والترجمة فاخذ يعمل بكل جهده على تقوية النهضة العلمية فى دولة الخلافة العباسية ، فقرب اليه العلماء ، وكان يستصحبهم كلما سافر مائة عالم ، واتخذ له أطباء وتراجمة من السريانيين ، كآل بختيشوع ، وآل ماسويه ، وقد ترجمت فى عهده كتب كثيرة فى الطب والنجوم والكيمياء والنبات والحيوان والخيل وفى الفلسفة والاخلاق . وانشا الرشيد فى بغداد « دار الحكمة » التى كانت تحتوى على نفائس الكتب من شتى اللغات . وقد اعيد فى عهده ترجمة الكتب التى سبق ترجمتها فى عصر المنصور . وكان للبراكمة أثر كبير فى العمل من اجل ازدهار حركة الترجمة ونموها .

وفى هذا الطور ترجمت كتب كثيرة : من اهمها :

– كليلة ودمنة من الفارسية على يدى ابن المقفع .

الثقافات الأجنبية وترجمتها إلى العربية

ـ كتب ارسطو فى المنطق وغيره .
ـ كتاب المجسطى فى الفلك .
وغيرها . وقد أخذ المعتزلة يقرأون هذه الترجمات ويتخذون منها مادة للجدل والمناظرة ...

***

والطور الثانى : لحركة الترجمة يبدأ ببدء خلافة المأمون العباسى وينتهى بانتهاء حكمه (٨١٣ ــ ٨٣٣ م) وكان المأمون عالما متضلعا واسع الثقافة كثير الاطلاع ، وكان نهمه العقلى والعلمى شديدا ، **ومن ثم اولى الترجمة عنايته الفائقة** ، فأوفد الرسل الى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونان لنسخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك ، وانشأ فى بغداد مدرسة لتخريج التراجمة ..

وكان عصر المأمون ازهى عصور الترجمة ، اذ كانت له مشاركات واسعة فى كل العلوم ، وكان يناصر الاعتزال ويحاول تأييد هذه النزعة بمنطق اليونان . وانفق لذلك بسخاء شديد على حركة الترجمة ، حتى كان يعطى وزن ما يترجم ذهبا ، وكان يحرض الناس على قراءة تلك الكتب المترجمة ، ويرغبهم فى تعلمها ، ويخلو بالحكماء ويأنس بمحاضرتهم ...

وتبع الأمراء والوزراء الخليفة فى هذا المجال ، فوفد على بغداد فى عهده عدد جم من المترجمين ...

وكان المأمون فى العرب مثل بريكليس فى اليونان او اغسطس فى الرومان ، فاتم ما بدأ به آباؤه ، واتخذ له بطانة من علماء اليونان والسريان والفرس والهنود ، وامر ولاته بان يبعثوا اليه بالكتب التى تقع فى ايديهم ، وجعل من شروط الصلح بينه وبين ملك بيزنطة ان يرسل اليه مجموعة من الكتب النادرة .

***

اما الطور الثالث : من اطوار حركة الترجمة فقد بدأ بخلافة المعتصم العباسى عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م وانتهى بمقتل المتوكل عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م .

ففى خلافة المعتصم فترت حركة الترجمة ، اذ لم يكن للخليفة رغبة فى العلم ، ولا المام بالثقافات المختلفة الشائعة فى عصره ..

وجاء بعده الواثق بالله ، وكان ذكيا ، واسع الاطلاع محيطا بالمعارف والثقافات والعلوم ، يشجع العلم والعلماء . فنشطت حركة الترجمة فى عهده ، واستعادت بعض ما كان لها قبلا من نشاطات ، وان كان أكثر ما ترجم فى عهده هو **الاسمار والخرافات ...**

وفى عهد المتوكل على الله (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) .. كانت قد تمت ترجمة العلوم المفيدة : من طب ونبات ونجوم وغيرها ، وكان المتوكل آخر الخلفاء الذين آزروا حركة الترجمة واعانوا على نقل علوم الأمم الى العربية لغة القرآن الكريم ..

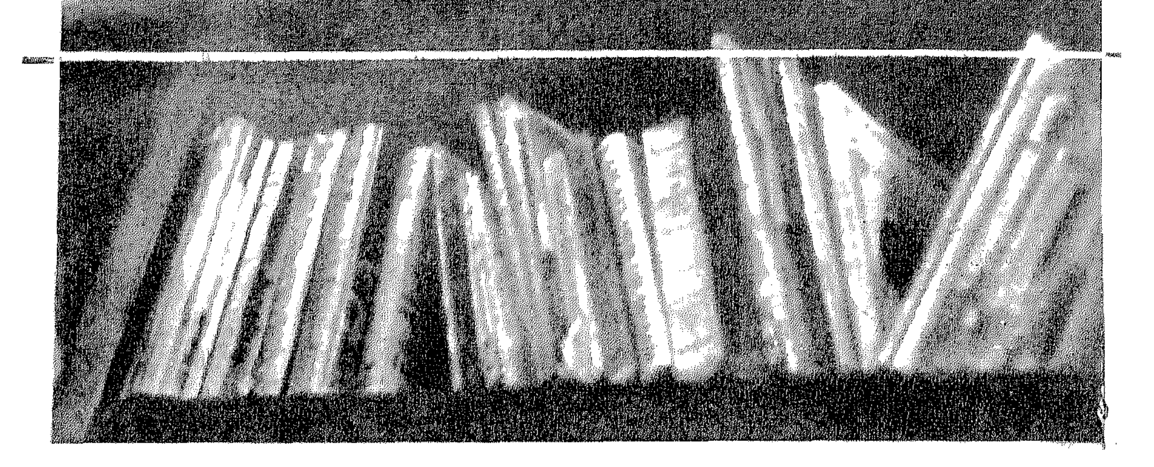
وكانت عناية الخلفاء العباسيين الأولين بالأدب والشعر ، فوق الترجمة ، تفوق كل عناية .

ويصور لنا أحد رواة الأدب فى ذلك العهد جانبا من ميول هؤلاء الخلفاء الادبية المتعددة ، وهذا الراوية هو اسامة بن معقل ، فيما رواه ابن الفقيه فى كتابه « مختصر البلدان » ــ صفحة ١ و ٢ ط بريل عام ١٣٠٢ ، قال اسامة :

« كان السفاح راغبا فى الخطب والرسائل ، يصطنع أهلها ، ويثيبهم عليها ، فحفظت الف رسالة والف خطبة ، طلبا للحظوة عنده ، فنلتها » .

« وكان المنصور معنيا بالاسمار والأخبار وايام العرب ، يدنى اهلها ، ويجيزهم عليها ، فلم يبق شىء من الاسمار والأخبار الا حفظته ، طلبا للقربة منه ، فظفرت بها » .

« وكان موسى (الهادى) مغرما بالشعر ، يستخلص اهله ، فما تركت بيتا نادرا ، ولا شعرا فاخرا ، ولا نسيبا سائرا الا حفظته . واعاننى على ذلك طلب الهمة فى علو الحال .



« ثم زهد الرشيد فى هذه الاربعة، وانسيتها ، حتى كأنى لم احفظ منها شيئا » .

ولم يذكر لنا اسامة رأيه فى محمد المهدى ، ولا فى المأمون ..

وما قاله اسامة عن الرشيد موضع تأمل ، اذ كان الرشيد محبا للأدب والشعر ، ومقربا للأدباء والشعراء ، ونبغ فى عهده أعلام الأدب والشعر فى اللغة العربية . ولكن يبدو أن أسامة لم يكن من سمار مجالس الرشيد ولا المأمون .. أو انه أدرك عصرهما كبير السن ، فعجز عن اللحاق بالرواة المجيدين من الشباب .

***

ومن اشهر المترجمين فى القرن التاسع الميلادى :

أ ـ عن اليونانية : الحجاج بن يوسف ابن مطر (٢١٤ هـ) وكان من جملة المترجمين فى عهد المأمون ، وقام بنقل كتابى اقليدس والمجسطى الى العربية ، ثم اصلح نقله فيما بعد مترجم آخر مشهور هو ثابت بن قرة الحرانى .

وكذلك موسى بن شاكر ، وكان من المترجمين للمأمون ، وسار على نهجه اولاده الثلاثة : محمد ، واحمد ، والحسن .

وكذلك آل حنين بن اسحاق العبادى شيخ المترجمين (١٩٤ ـ ٢٦٤ هـ) ، ثم ابنه اسحاق المتوفى عام ٢٩٨ هـ ، وكذلك ابن اخت حنين بن اسحاق وهو حبيش الدمشقى .

وكذلك آل بختيشوع ، وهم من السريان ، وقد خدموا الخلفاء العباسيين من المنصور الى المتوكل .

وقد ترجم هؤلاء وسواهم كثيرا من علم اليونان وفلسفتهم وحكمتهم ومعارفهم فى المنطق والطب والهندسة والسياسة والاقتصاد والاجتماع والاخلاق .. ومن اشهر مترجماتهم : كتاب السياسة نقله حنين ابن اسحاق ، وكتاب الأخلاق ترجمة اسحاق ؛ وكتب جالينوس واقليدس ، وقد نقل الحجاج ابن مطر كتاب أصول الهندسة لاقليدس .. وكذلك ترجموا أصول فلسفة سقراط وافلاطون وارسطو .

ب ـ ومن المترجمين عن الفارسية : عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ ـ ٧٦٠م) ، وآل نوبخت ، والحسن بن سهل ، وجبلة بن سالم ، واسحاق بن يزيد ، وهشام بن القاسم ، وسواهم .

وقد ترجموا عن الفارسية كتبا كثيرة من اشهرها : « كليلة ودمنة » الذى ترجمه ابن المقفع من الفهلوية ، وكتاب خداى نامة ، وقد ترجمه ابن المقفع ايضا ، وسماه « كتاب سير ملوك الفرس » ، وترجم كذلك الأدب الكبير، والأدب الصغير ، والدرة اليتيمة ، وكتاب « التاج فى سيرة انو شروان ».

ومما ترجم عن الفارسية ايضا : عهد أردشير ، والتوقيعات كسرى ، وهزار افسانه ، ومعناه الف خرافة ، وهو أصل من أصول «الف ليلة وليلة»، وكتاب ادب الحرب .. وغيرها .

جـ ـ ومن مشهورى المترجمين عن الهندية : العديد من كتب الطب والنجوم والفلك والرياضة والحساب والتاريخ والأسمار . ومما ترجم من الهندية : كتاب سندباد الكبير والصغير ، وكتاب بيدبا فى الحكمة ، السندهند فى الفلك



الذي ترجمه محمد بن ابراهيم الفزاري .

كما ترجم عن العبرية والقبطية والكلدانية والسريانية الكثير من نفائس المؤلفات .

***

وقد اهمل الأدب اليوناني في الترجمة، اذ كانت عناية المترجمين الأولى بفلسفة اليونان وحكمتهم ، فترجموا الكثير من مؤلفات ارسطو ، وشروح علماء مدرسة الاسكندرية القديمة عليهما ، وكتب افلاطون ، والعديد من كتب جالينوس في الطب ، وجملة ما ابتكره العقل اليوناني في العلم والفلسفة ...

اما في الآداب فلم يترجموا شيئا منها من اليونانية ، مع وفرة ما لليونان والرومان من آثار أدبية عالية وبخاصة في القصص والتمثيل . على أنهم قد ترجموا بعض مؤلفات في علوم قريبة الى الأدب كالتاريخ والأسمار ، وينقل ابن النديم في كتابه « الفهرست » اسماء كتب للروم في هذين الفنين ترجمت الى العربية — ص ٣٠٥ و ٣٠٦ الفهرس .

وترجم من اليونانية كذلك الكثير من الحكم والأمثال ، مما تحفل به مصادر الأدب العربي : كالبيان والتبيين ، والحيوان ، وعيون الأخبار ، والعقد الفريد ، وغيرها .

ويروى ابن النديم أن على بن النصراني نقل كتابا في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب — ٣١٦ الفهرست — وترجم المترجمون هذه الأمثال والحكم بعد تجريدهما مما يختلط بهما من اسماء ، وما يلابسهما من مظاهر الحياة الاجتماعية للشعب اليوناني .. اذ هما قريبان من الف العربي ، وليس فيهما ما ينفره منهما من أساطير ، ولا يحتويان على أوزان شعرية بعيدة عن ذوق العربي .. وكذلك تساقط الى العرب بعض آراء **في البلاغة والنقد مما يؤثر عن بعض اليونانيين ...**

اما الأساطير والملاحم والتمثيليات والخطابة والشعر الغنائي والرسائل الأدبية فلم يترجم منها شيء الى العربية .. والياذة هوميروس وما شابهها من الآثار الأدبية لم تترجم الى العربية .

وقد يكون اعتزاز العربي بلغته وآدابها سببا في اهمال ترجمة الآداب اليونانية الى العربية .. ولعل في هذا ما يفسر لنا غض نقاد العرب المتأخرين من ادب اليونان وثقافتهم في صناعة البيان ، فهذا ابن الأثير يذكر لنا في كتابة « المثل السائر » أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان البيانية .. ونفى هو أن يكون قد تأثر في رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني وذكر انه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه ، بل راى أن ما ذكره ابن سينا لغو لا يستفيد به صاحب الكلام شيئا .

وكان العرب يؤمنون انهم أوفر الأمم حظا ، واعلاهم كعبا ، واكثرهم آثارا في الأدب والشعر ، فهم في غنى عن ترجمة شيء من آداب الأمم القديمة الى العربية وبخاصة ان عنايتهم كانت موجهة حضاريا الى العلوم وما هم في حاجة ماسة اليه من ثقافات ومعارف .

أما الأدب الفارسي فقد ترجموا منه العديد من الآثار في الحكمة والامثال والسياسة والاخلاق والاجتماع مما ليس فيه شيء من الأساطير والوثنيات التي يحفل بها الأدب اليوناني . وكان بعض النقاد والعرب يعبرون عن اعجابهم بأدب الفرس ، حتى لنجد ابن الأثير (٦٣٧ هـ) يقول في كتابه « المثل السائر » :

« ان وجدت العجم يفضلون العرب في الاسهاب ، مع الاحتفاظ بالجودة ، فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من اوله الى آخره شعرا ، وهو شرح قصص واحوال ، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم ، كما فعل الفردوس في نظم الكتاب المعروف

بشاهنامة وهو ستون الف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وقد اجمع نصحاؤهم على انه ليس فى لغتهم افصح منه ، وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها ، وتشعب فنونها ولا أغراضها . وعلى ان العرب بالنسبة لهم كقطرة من بحر » .

ولقد لقيت الآداب الفارسية الكثير من العناية ، والاهتمام بترجمتها ، وذاعت فى الوسط الأدبى العربى ذيوعا كبيرا .

وعلى حين كان التاثير الكبير لليونان فى اللغة العربية انما هو لعلومهم وفلسفتهم لا فى آدابهم ، نجد الامر بالعكس بالنسبة للفرس ، مما يدل على أن الآداب الفارسية كانت اكبر تاثيرا فى الادب العربى من الاداب اليونانية ، واصبحت زعامة التجديد فى الادب العربى شعره ونثره ، فى عصر نفوذ الخلفاء العباسيين ، وبخاصة فى القرن التاسع الميلادى ، معقودا لواؤها بيد المثقفين بالثقافة الفارسية والعربية : فعبد الحميد الكاتب وابن المقفع هما اماما التجديد فى النثر فى هذا العصر ، وبشار وابو نواس شقا طريق التجديد للمولدين فى الشعر ، وكان نتاج العرب الذين يجيدون الفارسية ، والفرس الذين يجيدون العربية ، يجمع خير ما فى بلاغات العرب والفرس جميعا ، من معان وخيالات واساليب . لذلك احدثوا آثارا كبيرة فى الشعر والنثر : فجددوا فى المعانى والخيالات والأغراض وطرق الأداء . وبعد ان كان الادب فى عهد بنى امية عربيا خالصا ، ولم يكن للفرس الا مدارسته وحفظه وروايته ، اصبح فى عهد الخلافة العباسية يزدان باحلى واروع ما فى ادب الفرس من معان واخيلة ، وتعددت الأغراض ، واتسع مجال التفكير والخيال ، وظهر التانق فى التعبير ، مع المحافظة على فصاحة العربية والاخذ بأساليبها ، حتى ليقول الجاحظ عن موسى بن سيار ، وهو احد من حذق الفارسية والعربية ، واشهر القصاصين فى هذا العصر :

« كان من اعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية .. » ومثله كثير ممن اجادوا اللغتين ، وجمعوا بين الثقافتين كابن المقفع وسهل بن هارون والفضل بن سهل وغيرهم .

***

هذه هى مسيرة الترجمة فى القرن التاسع ، حيث كانت الدولة وكان المثقفون يعنون عناية شديدة بحركة الترجمة ، وبالعمل على نقل الثقافات الى اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

وكان العتابى الشاعر لصلته بالثقافة الفارسية جيد المعانى والاخيلة ، وسئل : « لم كتبت كتب العجم ، فقال : وهل المعانى الا فى كتب العجم ، فالبلاغة لنا والمعانى لهم » . ويقول ابو هلال العسكرى « ان للفرس اشعارا لا تضبط كثرة » .

وقد لقيت الآداب اليونانية عناية كبيرة فى العصر الحديث ، فترجمت فى مطلع القرن العشرين الياذة هوميروس الى اللغة العربية ، كما ترجمت قصص وتمثيليات يونانية قديمة ، كما لها تاثيرها فى الخيال العربى ، وفى نمو الادب المعاصر وازدهاره . ●●

أخطر مخاطر البيئة ..

« التلوث »

● د . محمد عاطف كشك ●

قد لا يكون التلوث هو اشد مشكلات البيئة خطرا ، لكن لان تهديده لصحة الانسان وامنه يكون تهديدا مباشرا فى معظم الاحيان ، فان الكلام عن التلوث اصبح متداولا بشكل يغطى احيانا على انواع اخرى من المشكلات البيئية ربما كانت اكثر خطورة من حيث تاثيرها ومداها من كل صور التلوث المعروفة ! .

والخطوة الاولى للفهم وتناول مشكلات البيئة هى تحديد وتعريف هذه المشكلات

● ما هى مشكلات البيئة ؟

هناك قوائم عديدة للمشكلات البيئية وتصنيفات متنوعة لها ، وامثلة اكثر تعددا وتنوعا عن تاثيراتها واخطارها .. وهذه القوائم والتصنيفات والامثلة تعطى على نطاق عالمى او اقليمى أو قومى او محلى ، وهى تتفاوت كمالا ونقصا ، لكنها فى النهاية تتفق جميعها على ان مشكلات البيئة الانسانية مثال للتعدد والتنوع والتشابك ، كما انها تعطى فكرة عما يتعرض له الانسان فى البيئة التى يعيش فيها من اخطار ، وتعطى فى النهاية تبريرا قويا لظهور مدرسة المتشائمين التى ترى أن مستقبل الانسان على الارض أصبح مهددا بشكل لم يسبق له مثيل !

وفيما يلى سوف نتعرض لاهم مشكلات البيئة ونعطى امثلة لها ، وان كان يجب ان نؤكد منذ البداية ان هذا العرض للمشكلات البيئية لن يكون كاملا بحال نظرا للحيز الكبير الذى يحتاجه الموضوع اذا اريد له ان يكون قريبا من الكمال ، ولان الهدف هنا ليس هو عرض قوائم متكاملة للمشكلات البيئية ، وانما هو مجرد اعطاء امثلة تقربنا من الفهم الصحيح لعلاقة الانسان بالبيئة .

ويمكن فى البداية تصنيف مشكلات البيئة فى خمسة أنواع كبرى :

● اولا : تدهور أو فقد الموارد الطبيعية :

والموارد الطبيعية مثل الارض بما تحمله على سطحها من تربة صالحة للزراعة ونموات نباتية وكائنات حية وأجسام مائية ووديان وجبال .. الخ . وما تدخره فى باطنها من ثروات مثل الفحم والبترول والذهب والرصاص والفضة وغيرها من المعادن ، وكذلك مستودعات المياه الجوفية ، ثم ما يغلف الارض من غلاف غازى يحتوى الاكسجين والنتروجين والاوزون وغيرها من الغازات

هذه الموارد الطبيعية كانت باستمرار موجودة ومسخرة لخدمة الانسان يستعملها لتهيئة وسائل عيشه ، وكان استعمال هذه الموارد على مر التاريخ الانسانى يتصف بالحكمة والتعقل بحكم اعداد الناس القليلة واحتياجاتهم المحدودة . ولكن عندما حدث الانفجار

السكانى حديثا جدا ، وحدث انفجار اكثر خطورة فى تطلعات الناس واحتياجاتهم ورغبتهم فى الاستهلاك ، كما حدث انفجار أكثر عنفا فى قدرات الانسان على تغيير الطبيعة فأصبح فى مقدوره أن يهدم الجبل ويشق الانهار ويغزو أعماق الارض واجواز الفضاء ، وأصبح يفعل كل ذلك بسرعة ومقدرة لم يكن يملكها ولا يقدر عليها جيل الجدود الاوائل - كل ذلك جعل الانسان فى الوقت الذى يغير فيه الطبيعة ، فانه يدمرها ويخربها ..

فالارض بفعل الضغط الشديد عليها والاستعمال الخاطىء لها ، تتحول الى صحراء جرداء ، والهواء يتلوث ، والمياه تتلوث ، والفحم والبترول والمعادن تستنفد ، والغابات تقتلع وتحرق ، والنباتات والحيوانات البرية تنقرض . وكل ذلك بفعل الانسان !

● ثانيا : التلوث البيولوجى :

مثل انتشار الامراض والآفات العديدة التى تصيب الانسان والحيوان والنباتات ورغم ان الانسان بما حققه من تقدم علمى وتكنولوجى قدقضى على كثير من الامراض والآفات ، فانه أيضا وبنفس المقدرة تسبب فى ظهور أنواع أخرى كثيرة من الامراض والآفات ..

ثالثا : التلوث الكيماوى :

مثل تلوث الماء والهواء والتربة والاغذية بعوادم السيارات والجرارات ومخلفات الصناعة والمبيدات والاسمدة والمنظفات وغيرها .. وهذا هو النوع الحاد من التلوث والذى لفت الانظار اليه لخطورته المباشرة .

وهناك أنواع عديدة من ملوثات البيئة غير اننا سوف نذكر فيما يلى ما يسمى بالملوثات الكبرى ونرى مصادرها واثارها

١ - ثانى اكسيد الكربون :

وهو ينتج عن استهلاك الطاقة فى محطات القوى والصناعة والاستعمال المنزلى ، والبعض يرى ان تراكم ثانى اكسيد الكربون فى السنوات الاخيرة بمعدل ٢ر٪ سنويا قد لا يؤثر على تنفس الانسان ولكن يمكن أن يكون له تأثير مؤكد فى رفع درجة حرارة سطح الكرة الارضية ، وهذا سوف تكون له آثار ضارة بعيدة المدى .

٢ - أول أكسيد الكربون :

وهو أيضا ينتج من محطات انتاج الطاقة ومن النشاطات الصناعية ومن احتراق الفحم، وكذلك فهو ضمن مكونات عوادم السيارات . وعند وجود أول اكسيد الكربون فى الجو أعلى من نسبة معينة ، فانه يسبب كثيرا من أمراض الجهاز التنفسى ، ويسبب دمارا للمبانى الحجرية وبعض أنواع الانسجة الصناعية وكذلك يسبب اضرارا للنباتات ..

٣ - اكاسيد النتروجين :

تنتج من تشغيل السيارات والطائرات ومحطات انتاج الطاقة ، ومن التسميد الكثيف بالاسمدة النتروجينية ، ومن حرق الغابات ومخلفات المنازل .

وتراكم هذه الاكاسيد يسبب بعض الامراض للاطفال ، كما أن تراكمها فى البحار والبحيرات يسبب نقص التهوية بها وذلك يسبب مشاكل للاسماك وقد يقضى عليها تماما ..

٤ - الفوسفات :

وهى توجد فى المخلفات العضوية والمنظفات ،وفى الاراضى المسمدة تسميدا كثيفا ، وهى مثل أكاسيد النتروجين تسبب دمارا للحياه فى الاجسام المائية .

٥ - الزئبق :

وهو ينتج من بعض العمليات الصناعية والتعدينية وخاصة تكرير المعادن وصناعة الورق ، وينتج كذلك من استعمال بعض المبيدات الفطرية .

وهو ملوث خطير للاغذية ، وخاصة الاغذية البحرية ، وله تاثير سام قد لا يظهر منذ البداية ، لكنه يتراكم فى الاجسام الحية لسنوات طويلة .

٦ - الرصاص :

ينتج من احتراق وقود المحركات وبعض الصناعات الكيماوية ومن استعمال بعض المبيدات الحشرية وله تاثير سام تراكمى ينتج عنه تثبيط الانزيمات وتعطيل عمليات البناء فى الخلايا ، وهو يتراكم فى الرواسب البحرية ومياه الشرب ، وقد تصل كميته فى الاسماك الى درجة خطيرة .

٧ - زيت البترول :

يحدث التلوث به اثناء استخراجه ونقله ، وكذلك من حوادث السفن •

وبعض مكونات زيت البترول مسببة للسرطان ، وتلويث الشواطىء به يضر الاسماك والطيور البحرية ويهدد النشاط السياحى •

٨ - مبيدات الحشرات :

وخاصة ما كان منها مقاوما للتحلل أى يظل وجوده وتأثيره فى البيئة فعالا لسنوات طويلة الـ د • د • ت ، والدلدرين ، والهبتاكلور ،وهى تستعمل فى الزراعة رغم انمعظم الدول قد حظرت استخدامها بعد أن ثبتت أثارها الضارة، حيث انها تلوث مياه البحار فتضر الاسماك والحشائش التى تتغذى عليها الاسماك •

وهى تتراكم فى الاغذية النباتية والحيوانية وتنتقل منهاالى جسم الانسان وبعضها قد يكون مسببا للسرطان ، كما أن استعمالها فى الزراعة يقلل من اعداد الحشرات والطيور والحيوانات النافعة •

٩ - المواد المشعة :

وينتج ٩٩٪ منها من المفاعلات النووية و ١٪ من الحوادث النووية واختبار الاسلحة ، وهى تسبب زيادة فى الطفرات الوراثية • والكميات التى وجدت منها فى بعض الاغذية وخاصة اللبن قد تسبب أضرارا شديدة •

رابعا : الاضطرابات الطبيعية :

كما هو الحال فى التلوث الحرارى أى ارتفاع درجة الحرارة فى الهواء أو فى المياه المجاورة والقريبة لمحطات انتاج الطاقة والمصانع ••

ومن أمثلة الاضطرابات الطبيعية أيضا تراكم الرواسب سواء كانت رواسب مائية على شواطىء الاجسام المائية أو رواسب محمولة بواسطة الرياح ، والمثل الواضح لها الاتربة التى تحملها رياح الخماسين وترسبها علىالشوارع والناس والمنازل والمصانع والمزارع وكل مكان مسببة اضرارا صحية واقتصادية كثيرة،

كما ان الضجيج وخاصة فى المدن والاماكن المزدحمة ، يعتبر واحدا من المخاطر البيئية الهامة •

● خامسا : الاضطرابات الاجتماعية :

مثل الجهل والتعصب وفقدان الحس الاجتماعى وكافة انواع المضايقات التى التى يسببها الناس لبعضهم البعض أو حتى لانفسهم •ومثل هذه المشاكل تعتبر ضمن أخطار البيئة ، حيث أن مشكلات البيئة تتضمن كافة أنواع المشكلات التى تقلل من سعادة الانسانوأمنه واستمتاعه بحياته •

والآن وصلنا الى النقطة التى يمكن لنا فيها تقسيم مشكلات البيئة من حيث نوع الخطر الذى تمثله بالنسبة للانسان او البيئات الغير انسانية • ويمكن تقسيمها على هذا الاساس الى ما يلى :

أولا : مشكلات تؤدى الى اخطار على صحة الانسان وأمنه :

كما هو الحال فى مشكلات الصحة العامة ، فتلوث الهواء يسبب امراض الجهاز التنفسى وبعض الامراض الجلدية، كما ان الاشعاعات يمكن أن تسبب السرطان ، وتلوث الماء تنتج عنه امراض عديدة مثل البلهارسيا وحمى التيفود ، وقد يصل الحال الى التسمم •

كما ان الضجيج يسبب الاضطرابات العصبية وقد ينتج عنه نقص فى حاسة السمع أو فقدان السمع كلية !

● ثانيا : مشكلات تؤدى الى نقص الرخاء المادى للانسان :

وهذه أمثلتها عديدة للغاية ، فتدهور الموارد أو فقدها ينتج عنه نقص فى كمية السلع والخدمات المطلوبة لاشباع الحاجات المادية للانسان •فتدهورالارض وانجرافها ونقص خصوبتها ينتج عنه نقص مباشر فى الكميات المتاحة من مواد الغذاء والكساء والسكن ، وهى أهم الاحتياجات الاساسية للانسان •

وتلوث الهواءيمكن ان يسبب هلاك

المحاصيل والاخشاب والمباني وطلاء المباني .. وتلوث الماء ينتج عنه نقص المحاصيل وكذلك تدهور الارض عند ريها بماء ملوث ، كما انه يرفع التكاليف اللازمة لتنقية المياه قبل امكان استعمالها للاغراض المنزلية أو فى الصناعة .

واحيانا يصل تلوث المياه الى درجة لا يمكن معها استعماله فى الرى (زيادة الاملاح والقلويات أو المواد السامة للنبات مثل البيكربونات والبورون)او فى الشرب (زيادة المواد السامة للحيوان والانسان) او زيادة النترات الناتجة عن استعمال كميات كبيرة منها فى التسميد وغسيل وكميات منها الى مصادر مياه الشرب) .

هذا بالاضافة الى ان تلوث الماء يقلل أو قد يقضى على الثروة السمكية .

واذا انتقلنا الى مبيدات الآفات فهى قد تقضى على الاعداء الطبيعية للحشرات من الطيور والحشرات الاخرى ، كما ان المبيدات قد تتراكم كلما صعدنا فى السلسلة الغذائية (نبات - حيوان - انسان) وتصل الى تركيز فى الاسماك يجعلها غير مأمونة فى الاستعمال الآدمى أو فى النباتات فتجعلها غير صالحة للاستهلاك بواسطةالحيوانات أو الانسان

● ثالثا : مشكلات تؤدى الى نقص الاستمتاع بالحياة :

وهى المشاكل ذات الطابع الاجتماعى والنفسي والجمالى.مثل الضجيج والروائح الكريهة الناتجة عن تلوث الهواء ، والطعم الردىء فى الماء أو الاغذية ، وتدهور وفقدان المعالم ذات القيمة التاريخية أو الثقافية أو الجمالية ، وتدهور ونقص وفقد أماكن الترفيه والاستمتاع مثل الغابات والمسطحات الخضراء والحدائق ، وتلوث الشواطىء بالزيت أو النفايات ، وكذلك تشويه المناظر الطبيعية الجميلة بمنشآت قبيحة .

كما ان الاضطرابات الاجتماعية حتى وان كانت لا تمس بعض الافراد أو



تلوث البيئة : اكثر الاخطار التى تواجه الانسان

المجموعات الا ان تاثيرها فى جعل الحياة غير مستحبة يعم الجميع بلا استثناء .

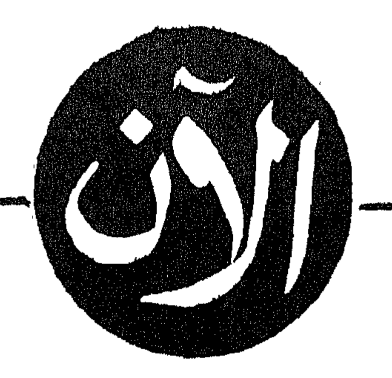
● رابعا :مشكلات تؤدى الى تدهور البيئات غير الانسانية :

وهذه متعلقة بتدهور الطبيعة أو فقد بعض مظاهر الحياة البرية النباتية أو الحيوانية ، فكثير من الطيور والحيوانات والنباتات تنقرض وتهلك بفعل النشاطات الانسانية .

وقد لا يقدر البعض أهمية تدهور الطبيعة وانقراض بعض صور الحياة ، ولكن اهمية ذلك لا تقتصر فقط على النواحى العلمية ولكنها تمتد الى انها قد تؤدى الى بعض الخللفى الاتزان الطبيعى وهذا قد تكون له آثار بعيدة المدى لا يستطيع احد ان يتكهن بها .

● والآن ، ارجو ان يكون قد اتضح من العرض السابق ان مشكلات البيئة لا تقتصر على التلوث ، بل ان تلوث الماء والهواء والاغذية ليس الا صورة واحدة من صور عديدة للغاية لمشكلات قد يصعب حصرها ..

وليس هدفنا من هذه الامثلة الا التقدم خطوة اخرى الى الامام لمحاولة استخلاص عدد من السمات العامة لمشكلات البيئة ، حيث أن فهمنا للسمات العامة لهذه المشكلات هو الطريق الوحيد الذى يمكننا من التعامل معها وحماية البيئة التى نعيش فيها من التدهور والخراب . ●



ماذا يكتب نجيب محفوظ؟

● **لقاء مع اديبنا الروائي الكبير نجيب محفوظ على شاطيء الاسكندرية ...**

كان وحده فى جلسة شاعرية جميلة يرقب البحر من خلف زجاج النافذة ... ولعله كان يتساءل أين ذهب الاصدقاء ؟

واسال نفسي ترى هل يفكر فى مشروع رواية جديدة ... او يتابع في فكره نسيج أحداث ليالى الف ليلة التى تنشر تباعا هذه الايام ... ام تراه يسرح خاطره في واحدة من اعماله التاريخية مثل : « بين القصرين » ...

... وتقدمت احييه واساله عن مشروعاته الروائية للموسم الجديد ، بعد اجازة الصيف ؟..

ويجيب كاتبنا الكبير نجيب محفوظ: بالنسبة للموسم القادم فانني أرجو ان اتم روايتين شرعت فى كتابتهما ... الاولى « باقى من الزمن ساعة » وهى عن تاريخ ثورة يوليو... والثانية رواية اسمها « رحلة ابن فطومة »

والاولى ستتناول فترة من الزمن اطول من فترة الثلاثية ، ولكنها ستظهر فى كتاب قد لا يزيد عن ١٥٠ أو ١٦٠ صفحة ، ولذلك فهى تجربة أسلوبية قبل كل شيء ، اضطررت الى ذلك بحكم انى أكتب عن تاريخ معروف ، وانا أكتبها من الناحية النفسية وطبعا عن اهم الاحداث البارزة فيها .

والثانية ... رواية على نسق رحلة ابن بطوطة ، وهى سر من ناحية المضمون ... والمهم هنا انها رواية رحلات لواحد من مصر ، الى ...الى وسمعت عنها وقرات ... ولكن هذه الرواية الآن سر ... وانا اضع احداثها من افكارى ، وقد سميتها « رحلة ابن فطومة » وذلك تيمنا نسبة لاسم والدتى ...

● وقلت لأديبنا الكبير نجيب محفوظ اساله : الآن ... ما هو تصورك

لمستقبل الادب عامة والرواية خاصة في مصر ؟ ...

قال : كل ما استطيع أن اقوله بان الرواية كفن للكلمة المكتوبة لن تختفي ... سيظل لها وجود ، ولها كتاب وقراء ... ولكن في حدود ضيقة اذا قسناها بالرواية التليفزيونية ! ..

الرواية التليفزيونية هي السائدة ، لأن لها جمهورا بالملايين ... والرواية المؤلفة لها قراء بالمئات فقط ! ..

وهناك الفوائد العالية من الرواية التليفزيونية ، فقد يحصل المؤلف على الالاف مما يغنيه عن أى عمل آخر ... في أوروبا قد يعيش الكاتب طيلة عمره من رواية واحدة ... والآن حدث هذا في مصر من الرواية التليفزيونية ! ..

الرواية التليفزيونية لا تتعرض لرحلة التجربة نحو النجاح او السقوط ... انها تذاع في أكثر من عشر حلقات ولا اتصور أن يحدث هذا للرواية المكتوبة ، لان هناك اجيال جديدة ستظهر وتجد أن الرواية موجودة فقط في التليفزيون ... وقد يكون ظهور قارىء أو قراء من ذلك الجيل ظاهرة استثنائية ، مثلا ما الذى يجعل قارئا يمضى شهرا في قراءة رواية مثلا كالحرب والسلام على حين انه يستطيع أن يراها في ساعة على شاشة التليفزيون ، ومن أحسن تمثيل واجمل الممثلات !

وعدت اسأله :

ـ ما الذى يمكن ان نصنعه اذا كان هناك كتاب مسلسلات تليفزيونية ليست لديهم المقدرة الادبية التي تربى الذوق الادبي والفكر السديد ؟ ..

قال : ان التليفزيون يوازن ... هناك مسلسلات اجنبية غاية في الروعة ... وهناك مسلسلات عربية ايضا جيدة كل زمن له طريقته في التذوق ، ويمكن في حدودها ان يقدم التليفزيون اشياء طيبة جدا ، اذا صدقت النية ...

لقد تغيرت في الدنيا اشياء كثيرة ...



نجيب محفوظ ـ وسر الرواية الجديدة

وفى مطلع شبابنا كنا نجلس في المقهى ونستمع الى القصص من الراوى على الربابة ...

ـ بالمناسبة هل روايات نجيب محفوظ كلها صدى من الاحداث والتطور السنوى ... ام ان بعضه يلعب الخيال فيها جانبا كبيرا ؟!

واجاب نجيب محفوظ : الرواية مناخ خارجى قد يستمر عاما وعموما الفن يعكس نبض المجتمع واحساس الفنان على مدى مجرى السنوات وتغيراتها ، والطبيعى أن الفنانين في شبابهم يستلهمون المجتمع لانهم يخوضون حياتهم فيه ، وكلما تقدم بهم العمر وتطور وتقلبت حركتهم فانهم يعتمدون في استلهامهم على ماكان من تجارب وذكريات في المجتمع ... والفنان قد يفوته كثيرا من المتغيرات الاخيرة أو يفوتها ولكنه يهضم خلاصة تجاربه ... في مثل هذه المرلة لا يبقى معك الا نفسك وما هضمته فأنت ترجع للذاتك ، للتاريخ ، وما في يدك ...

شكسبير جال في الماضى جولات صادقة في تاريخ انجلترا القديم والمعاصر ، خلق منه عالمه ، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن غير المقطوع الصلة بالقيم الاجتماعية والخلقية ...

● امانى فريد ●

لماذا قال أمين الخولى إن صحتنا الأدبية محتاجة للفحص؟

● د . عبد العزيز شرف ●

● ان النظر الى حاضر النقد الادبى العربى يرينا ان مجهودات « متعددة جدا » بذلت لربط الحاضر بالماضى ، والنظر اليهما على انهما قيمة واحدة ، مستمرة . وهناك احساس عام بان الماضى يكون بذاته دائرة شبه مغلقة ، ويسرف البعض فيتصور ان قصارى ما يستطيعه « الحاضر » هو ان يشرئب ليقتبس من العصور الذهبية الماضية التى تصور احيانا على انها قد توافرلها نوع من الكمال المطلق .. على أن هناك اسرافا آخر يتجلى فى جانب بعض دعاة « الحداثة » و « المعاصرة » اذ يدعى الحاضر روافد ومؤهلات لم تكن متاحة للماضى ، الأمر الذى يعنى انه يكاد يكون منبتا عن الماضى » .

هكذا يبدأ الدكتور محمود الربيعى طرح قضية النقد الأدبى العربى المعاصر ، فى تقديمه لترجمة كتاب : « حاضر النقد الأدبى » الذى يضم مقالات تقدم وجهات نظر لنقاد متخصصين من بلاد متعددة ، اختيروا بعناية من قبل « الملحق الأدبى للتايمز » ؟ وبهدف تقديم صورة النقد الأدبى فى زماننا وعالمنا .

والغالبية العظمى من كتاب هذه المقالات من أساتذة الجامعات ، مثل : رتشارد هوجارت ، وجراهام هيو ، ور . ف . ليفيز ، وو . و . روبسون ، وجورج سينير ، من الجامعات الانجليزية ومن الجامعات الأمريكية هارى ليفين ، ول . سى . ناتيس ، ورينيه ويليك .

ومن الجامعات الفرنسية ريمون بيكار ، ورونالد بارثيس ... ومن الجامعات الألمانية هانزماير : واميل ستايجر ..

وهناك الى جانب هؤلاء داماسو الونسو وهو أستاذ جامعى اسبانى ، وامبرتواكو وهو استاذ جامعى ايطالى ، وجان كوت وهو أستاذ جامعى بولندى . وهناك من خارج الجامعات ، الانجليزى جون واين الروائى والناقد ، والايطالى اميليوكاكيى وهو ناقد .

وتشترك الاتجاهات النقدية لدى هؤلاء جميعا فى تناول نقاط كثيرة من نقاط الدرس الأدبى ، بجعلنا نذهب مع الدكتور الربيعى ، الى ضرورة الالتحام بين التراث والحاضر فى النقد العربى المعاصر ، والنظر اليهما على انهما

قيمتان متكاملتان لاقيمتان متباينتان. بل اننا قد نصل - على حد تعبيره - « الى انهما قيمة واحدة . وتحقيق انجاز ذى قيمة فى هذا المجال يحتاج الي بذل جهد فى سبيل تصفية مسائل الرؤية الصحيحة . ينبغى ارساء روح التسامح فى النظر الي الأمور ، والقضاء علي التعصب فى بعض المجالات ، كما ينبغى دعم المؤهلات اللازمة لتناول تراث الماضي وانتاج الحاضر . كذلك ينبغى بذل جهد شاق لانشاء ما يمكن ان تسميه « روح الفريق» فى البحث الادبى لدينا . ولن تنشأ هذه الروح الا اذا **وضح امام هذا الفريق هدف مشترك،** وتم الاقناع به ، عندئذ سيجد **« انصار التراث » و « انصار الحداثة » انهم** يتجهون اتجاها واحدا ، وان مصطلحى **« تقليدى » و « تجديدى »** ليسا مصطلحين متنافرين »

● المؤلف وكرسي الاعتراف ●

حينما اقدم د. الربيعى علىترجمة « حاضر النقد الادبى » ، انه رأى أن الدارس العربى محتاج الى مراجعة موقفه علي ضوء ما يتجه اليه النقد العالى ، فما تزال لحياة المؤلف عنده ذلك البريق الشديد ، ولا يزال يحتفل احتفالا شديدا بحقائق السيرة الذاتية ، ويعدها وثيقة من وثائق الدرجة الأولى لتفسير العمل الادبى .

واعترافات الكاتب قد لا تحمل وزنا كبيرا ، ولكن الناقد يبحث بحثا مقصورا من هذه الاعترافات ، ويبتهج اذ يعثر عليها ، وهو فى كثير من الاحيان يرى من جوهر مهمته وتمامها وضع المؤلف علي « كرسى الاعتراف » .

ولمة نتائج ضارة تترتب على هذا البعد عن الموضوعية فى تناول الأدب ، من ابرزها أن اعترافات المؤلف التي هي شيء خارج عن بنية النص تكتسب قدسية تجعل منها المقياس النموذجى الذى يطمئن اليه فى تفسير الانتاج الأدبى ، وقد يصل الامر حدا يتخلى فيه الدارس عن راى كونه بالنظر فى النص ، ويسرع لتبنى الراى المخالف الناشيء من اعترافات المؤلف .

واكثر الطرق « موضوعية » وابعدها من استخدام ما هو غير ادبى فى تفسير



امين الخولى : شيخ الامناء

الأدب ، هو طريقة « القراءة الفاحصة» والدعوة اليها جهيرة فى كثير من مقالات « حاضر النقد الأدبى » . وقد كان « النقاد الجدد » الذين ظهروا فى امريكا فى العشرينات - وان لم يتحدد مصطلح « النقد الجديد » الا فى اوائل الاربعينات - هم الدعاة الأول الي التركيز على النص ، وقراءته قراءة اسلوبية بنائية تحليلية متعمقة ، تكشف عن العلاقات الكائنة فيه ، وتضيء جوانبه من الداخل اضاءة تكشف عن معناه الأدبى .

ومثل هذا النوع من القراءة يلقى قبولا عند الكثيرين من كتاب « حاضر النقد الادبى » ، ولكنه ايضا يتعرض لملاحظات من قبل كتاب آخرين امثال جون واين فى مقالته « ملاحظات عن الخيال والحكم » ، و ل . سى . نايتس فى مقالته « فى البحث عن قيم اساسية» وهانز ماير فى مقالته «النقدواستقلال القدرات » ، وجراهام هيو فى مقالته « وظيفة الخيال » .

ويلاحظ انه بينما خالف هانز ماير طريقة « **القراءة الفاحصة** » مخالفة صريحة واتهمها بالتناقض ، ودعا جراهام هيو الى نبذ طريقة تناول القصيدة ، بيتا بيتا والرواية صفحة صفحة ، وتبنى طريقة يكون النقد بها نظرة الى **صلة العمل الفنى بمجموع حياة المؤلف الذهنية والروحية ،** لم يعترض **جون واين** الا على انفراد طريقة « القراءة الفاحصة » بالعمل ، فلمعاالي‌ان يساندها السياق التاريخى اما نايتس فقد حذر كذلك من تعلق كل اهمية عليها فقال ، «ولقدكانالموقف مختلفا من ثلاثين أو اربعين سنة . كذلك

الحاجة ماسة آنذاك لتخليص دراسة الأدب من مجرد تكديس الحقائق الميتة المحجرة في تواريخ الآداب ، والمذهبة من الخارج بالتذوق الغامض ، ولذا كانت مواجهة التلميذ مباشرة بالكلمـــــات الموجودة على الصفحة طريقـة ضرورية في حرب تحريرية . أما الآن فيحس الانسان خطرا في الحرص البــالغ من بعض القائمين بالتدريس على تدريب تلاميذهم على القراءة الفاحصة » .

● القراءة وصوت الكتاب ●

يقول جورج ستينير : « **وعندما لاتكون القراءة مجرد شرود ، أو رغبة غير مبالية مصدرها الملل ، تكون نوعا من « الفعل » فنحن نعيش في حضرة الكتاب ونسمع صوته** ، ونسمح له ــ بشيء من الحيطة ــ **ان يدخل في أعماقنا** .

ويرى الدكتور الربيعي أن موضـــوع « كيفية القراءة » موضــوع خطير جدا ، واذا كان مشكلة تشغل بال المجتمع الغربي ــ الذي ينبغي أن نصفه بما هو عليه من انه مجتمع قارئ ــ فينبغي أن تشــكل بالنسبة لنا هما ثقيلا ، وكلمة «القراءة» **نفسها كنت مظلومة عندنا ، انناق حاجة** ماســة حقا الى الدعوة الى تثبيت المعنى الحقيقي « **للقراءة الادبية** » في الاذهان ، والى تعميق مفهـــومها نظرا وتطبيقا . ومجال هذه الدعوة لدينا واسع يكاد يشمل حياتنا « الثقافية » كلها ، فثمة وسائل الاعلام . وهي عالم حافل بالمتناقضات المثيرة ويستحق دراسة كاملة » وثمة النصـــوص التي يربى عليها تلاميذ المدارس في مراحل التعليم وطريقـــة اختيارها وتناولها «وتلك ايضا منطقة متفجرة تحتاج الى حيطة شـــديدة ودراسات مضنية » .

● **قيمة الادب** ...

في عصر العلم التجريبي ●

ومن القضايا المثارة في « حاضر النقـد الادبي » : قيمـــة الادب في عصر العلم التجريبي ، وقد دافع جورج ستينير في المقالة الاولى ، عن الادب ، مسجلا أن قيمته تفوق العلم التجريبي ، ومؤكدا أن ادراك الحقيقة الذي يمكن استخلاصه من التطوير الفني لدى كبار الادباء لايمكن أن يتحقق عن طريق العلم التجريبي ، وذلك لان هذا العلم قاصر عن ادراك الدوافع الانسانية على خلاف الادب .

ولكن : ما الادب في حضرة العلم ؟ ان هناك حقيقة واضحة هي ان لحظة «الابداع» أو « الاختراع » ــ التي هي نتيجة عمل «البصيرة الانسانية» و « الطاقة الانسانية المتخيلة » ــ لحظة يلتقي عندها العلم والادب ، وهي لحظة تسبق بالضرورة في العلم شق بطن المريض ، وبناء الصاروخ ، فهذان « الفعلان » تطبيق عملي لها . كذلك لايتنبـــه مثـل هـــذا « المنطق » الى ان « المخترعين » في مجال العلم هم قراء في المكان الاول ، وانهم قد طوروا قدراتهم على تحقيق انجازاتهم العلمية معتمـدين على «(قراءة ادبية)» ، لا في مجال عملهم فحسب فذلك شيء مسلم به ولكن في مجال الاعمال الابداعية كذلك .

● **همومنا الخاصة** ...

ومنهج الدرس الادبي ●

ويثير « حاضر النقد الادبي » قضـيـة اخرى تنبع من صميم همومنا الخاصـة ، وهي التي تتعلق بمنهج الدرس الادبي وتحديد قيمـة المنهج « **البيوجرافي** » في النقد ، الى أي حد نعطي اهتمامنا للمؤلف ، ونرى النص صورة لحياة صـاحبه ؟ ان هنـاك اتجاها غالبا في « حاضر النقد الادبي » لنبـذ المنهج « البيوجـرافي » . فمما قاله جورج ســـتينير : « **ان رجل الشرطة والرقيب يسالان الـكاتب ، على حين يسال الناقد الكتاب فحسب** » ومما قاله رتشـــارد هوجارت : « **لاتثق ابدا بالقاص وثق بالقصة** » . ومما قاله رينيه ويليك : « **ويبدو واضحا ان العمل الادبي هو المادة الاساسية لنظرية الادب ، وليست هذه المادة هي حياة المؤلف الشخصية او النفسية ، أو البيئية الاجتمـاعية او رد الفعل المؤثر من جانب القارئ** » .

وبالاضافة الى ذلك يقرر ريمون بيكار اتجاه النقد الفرنسي الى نبـد الاعتماد على

السيرة الذاتية للمؤلف ، وهو يرى النص غاية في ذاته ، وخير طريقة لتناوله هي طريقة « شرح النص »

كـذلك ينتصر امبرتو اكو للتحليل الدلالي . ويحبذ داماسو الونسو القراءة الفاحصة فيقول : « مايعنيني أكثر من غيره هو ذلك النوع الذي يقف فيـه الملاحظ أمام العمـل الادبي وهو مملوء بالرغبة في أن ينفذ الى أعماق العمل ذاته والى جوهره بصفته خلقا حيا فريدا » .

ومما يتصل بمنهج التناول هذا أنه ـ الى جانب تعليقه أهمية ضئيلة على حقائق حياة المؤلف ـ يعلق اهمية ضئيلة كذلك على الحقائق الخارجية الاخرى ، كحقائق التاريخ ، وحقـائق العلوم الاخرى غير الادبية ، ويركز على مايسمى « بالقـراءة البنائية الاسلوبية » .

على أن هناك اقلية من كتاب « حاضر النقد الادبي » رأت فائدة في الاعتماد على عناصر خارج النص ، فقد رأى ل. س. نايتس ، أن تضع دراسة الادب يدها في يد دراسة **التاريخ والفلسفة واللاهوت**» ، وانتصر **هانزماير** للحقـائق التاريخية المتصلة بالعمل الادبي وبحياة المؤلف .

● النقد الاكاديمي والنقد الصحفي ●

ويثير « حاضر النقـد الادبي » كذلك قضية : النقد الاكاديمي والنقد الصحفي ، فيناقش كل من **جرام هيو واميليو كاكيي** المفارقات الكائنة في المجتمع الادبي الغربي بين هذين النوعين من النقد ، فسـجل جراهام هيو **الحسد المتبادل** بين النـاقد **الاكاديمي والناقد الصحفي** ، كما سجل عيب الاول الذي يتجلى في تقوقعه ، وعيب الثاني الذي يتجلى في سطحيته ، وميز الاول بأنه غالبا مايتجه الى الماضي ، والثاني بأنه يتجه الى تيار الادب الحاضر ، ودعا ـ كما دعا اميليو كاكيي ـ **الى وجـوب تقريب الشـقة بين العالم الاكاديمي في الجامعات وعالم النقد الحر في الصحافة .** كذلك عاب جراهام هيو من لايهتم بالاتجاه الذهني لعصره . « مما يغلب على الاتجاه الاكاديمي » كما عاب من يهتم كلية بالادب الجاري « مما يتصف به النقد الصحفي » .

وهاجم البطش الاكاديمي كما هاجم ثرثرة العصابات الادبية ، وحـذر اميليو كاكيي من أن « عزلة هـذين العـالمين والريبة المتبادلة بينهما تحطم كليهما وتحطم القارىء قبل كل شيء » .

● حاضر النقد

وأهداف الادب ... ●

● ومن « حاضر النقـد الادبي » نخـرج بانطباع عام يتلخص في اجماع كتـابه ، على الاهداف العامة للادب . تلك الاهداف التي تنتمي بدرجات متفـاوتة الى تقاليد استمدت من ماثيو آرنولد منذ قرن من الزمان ، واستمدت على نحو أكثر مباشرة من أفكار ت . س . اليوت ، و ا . ا . رتشـاردز ، و د . ف . ر . ليفيز . فليس صعبا أن يتضح حتى من المقالات المبكرة الحوافل لاليوت أنه عبر عن وجهات نظـر في الادب تؤكد صراحـة قدرة ذلك الادب على أن يعطينا تجارب ذهنية وحسية تختلف تماما عن تلك التجارب التي تكون لنا عنـدما نستمر في اهتماماتنا العـادية اليومية

انها في الواقع تلك الوجهة «الجمالية» التي لامه عليها نقاد مهتمون بالتركيز على هدف الكتابات العظيمة بوصـفها أهدافا ذهنية وعقليـة بالضرورة . من أمثـال يفورونترز . كما ان الاهتمام بنسيج الادب الذي نصح به اليـوت ، قد اسـتخدم باستمرار لغاية مستمدة من وجهة النظر هذه . و « علم الاسلوب » الذي تطور في اوروبا ، وتطور الى حد ما في امريكا لم يكن منتشرا قط في انجلترا .

لقد بحثت التفاصيل الخاصـة بلعب الشعراء والروائيين بالالفاظ اولا وقبـل كل شيء بهدف اختبار مدى صحة كونها تعكس ـ على قدر القـوة الخاصـة التي نتوقعهـا من خبراتنا ـ الصفات المرتبطة بالنضـج ، بالمعنى الذي ذكـر : **الوعي** الحقيقي بتنوع العالم وغرابته ، والقدرة **على تعمق مشاعر الاخرين ، والقـدرة على توجيه العواطف المستمدة من هذه الطاقات وجهة تنتهي الى الحب والتعقل .**

وتبقى الكلمة..

صلاح عبد الصبور

● لمى المطيعى ●

● فى عمر يقرب من العمر الذى رحـــل فيه أبو الطيب المتنبى (٤٩) ووليم سكسبير ٥٢ رحل صلاح عبد الصبور ٥٠ بعد ان ترك لنا (مسافر ليل والابحار في الذاكرة وأحلام الفارس القديم ومأساة الحلاج و .. و ..) .

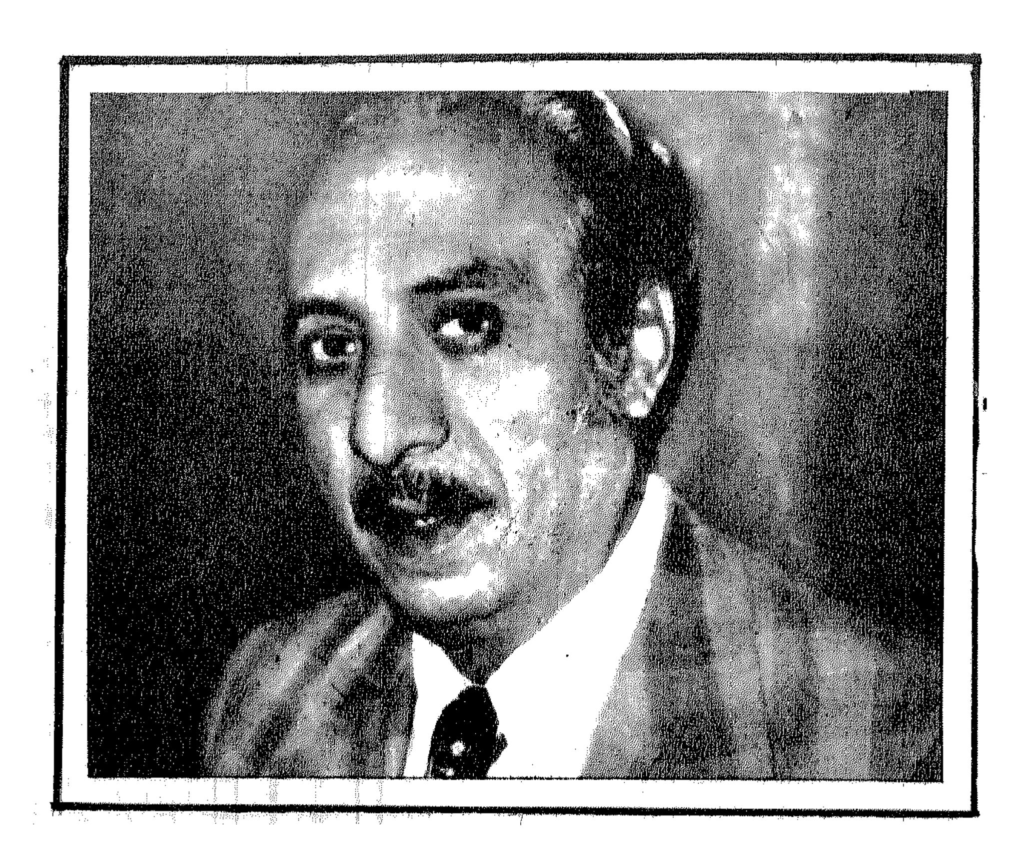
ويوم الرحيل الخميس ١٣ اغسطس ١٩٨١ لاحظوا رقم ١٣ جلست اليـه مرتين . الأولى فى منتصف النهار . هو وانا و « سميرة عرابى » حفيـدة الزعيم « أحمد عرابى » وحديث حول النشر والطباعة والثانية فى آخر نهـار العمل وكان الحديث مـــع « اعتدال عثمان » حول مجلة فصول والتى كان يوليها اهتمامه الخاص .

وفى نهاية يوم العمل انصرف كل الى طريق .

وفى فجـر نفس اليوم .. التليفون يعوء كقط حزين .. وصـوت زميلى وصديقى « ســعد درويش » الذى اعتدت ان اتحدث اليه من منتصـف الليل الى الفجر مثلا ولكن ان اسمع صوته عند الفجر فالامر فيه شيء .. واى شيء لقد رحل « صـــلاح عبد الصبور » .

● الابحار فى الذاكرة ●

واستعير اسم ديوانه ، وأبحـــر فى الذاكرة الى الوراء ، الى ٣٥ سنة مضت ، وجيلنا يضع أقدامـه علـى درج كلية الاداب والحـركـة الوطنية حارة والحركة الفكرية خصبة لنامية وهو ضمن مجموعة من قسم اللغـة العربية تمسك بمغـزل الابداع الادبى وأما أنا فتشدنى الحماســـة العملية فاصبح سكرتيرا لاتحاد الكلية وأدخل سجن الاجانب وأقـدم لمجلس تأديب لاننى كنت ضمن مجموعة فى قســـم الفلسفة نثرثر ونتشـدق دون مبرر بأفكار جديدة ونظن أننا أكثر تقدمـــا من الاخرين .. أما هو فكان يعبر عن رأيه بابتسامة ذكية ونظرة مجـلاء وعبارة موجزة لا يتبين الخيط الابيض



صلاح عبد الصبور : فلنتكلم على موج البحر

من الخيط الاسود ، واحسب انه ظل كذلك طوال حياته .

وذات صباح وانا اجلس اليه فى مكتبه خطر لى ان اعود به الى تلك الفترة الباكرة .. وعرفت ما لم اكن اعرفه .. عرفت انه كان فى تلك الايام تداعب وجدانه افكار جماعية دينية. الان فهمت من اجل هذا قال فى كتابه (حياتى فى الشعر) انه اخيرا عاد الى الله بعد ان جال فكره فى سياحة مع مذاهب وافكار كثيرة ولكنه فى كل الاحوال كان الصوت المتميز والمفكر المستقل والرأى الناضج .

ويدور بنا الزمن وتتقارب الافكار ويستخدم القصيدة فى التعبير عن رأيه ، ونستقبلها نحن فى سجون الواحات والمعتقلات ويقرؤها علينا « كمال عمار » اخلص ابناء الشعر الحديث لصلاح عبد الصبور واكثرهم حبا له .

ويدور الزمن أيضا فيكون لى دور فى النشر بالدار القومية وتصدر الدار له الطبعة الثانية من كتابه (اصوات العصر) .. ولم اكن احسب ان الصلة سوف تمتد فيشرف هو على النشر بمؤسسة التاليف وانا معه مديرا للمجلات والدوريات . ويتأزم الموقف مرة اخرى لعدد منا فيسافر هو الى الهند وانصرف انا الى دراسات اخرى ولكنه يعود وتكون له الولاية على المنشأة كلها واتولى انا امور النشر.

وفى كل الحالات فان الاقتراب منه راحة للنفس والعمل معه متعة .، لا توتر .. لا ارهاق .. لا اعصاب مشدودة .. كبير واصيل . فارس.

● الفارس القديم ●

مرة اخرى استعين اسم ديوانه (احلام الفارس القديم) كان صوتا متميزا القدرة على الموضوعية :

● كتب د. زكى نجيب محمود مقالا بعنوان (ما هكذا الناس فى بلادى) نقدا لديوان صلاح عبد الصبور (الناس فى بلادى) ورد عليه هو بمقال

وتبقى الكلمة ••
صلاح عبد الصبور

بعنوان ما هكذا النقد رغم هذا كان يعترف دائما بقدر الدكتور زكي نجيب محمود .

● كتب مقاله المشهور والله العظيم موزون) يرد به على هجوم « عباس محمود العقاد » على الشعر الحديث. ولكنه في أحاديثه الخاصة ، وفيما يتعلق بالنشر .. كان العقاد عنده هو العقاد وكفى .

● في أواخر سنة ١٩٥٨ حملت

صحف البعث والشيوعيين في العراق على « صلاح عبد الصبور واحمد بهاء الدين وعبد الله الريماوى ودهش الكثيرون الذين كانوا يحسبونه على اليسار في تلك الفترة ولكنه الصوت المتميز والرأى المستقل .

● في خريف ١٩٧٤ تعرض لحملة قاسية من كتاب مجلة الطليعة بالقاهرة لانه تولى رئاسة تحرير مجلة الكاتب بعد تنحية المجموعة التي كانت تتولى التحرير من قبله وبالموقف المثالي سار بمجلة الكاتب وعاد المهاجمون يكتبون فرادى فيها .. ونشرت مجلة الطليعة بعد ذلك مقالا لم أجد منهم من يدافع فيه عن صلاح عبد الصبور وكان المقال بعنوان ليس دفاعا عن صلاح عبد الصبور . —

وتبقى الكلمة

ومعذره فانني استخدم هنا عنوان دراسته وتبقى الكلمة هذا ما كان يؤمن به تماما .. يبتعد عن الصراعات

وهو يعلم أن الصراعات ليست بعيدة عنه .. لا يترك أصحابها أى فرصة في الفترة الاخيرة كان قد سافر الى الولايات المتحدة الامريكية في برنامج مصر اليوم وبعد أن جاء بدأت حملة خفية قوامها شكاوى مجهولة قيل انها من بعض صغار كبار العاملين معه أو بعض كبار الصغار مستخدمين كتابا صدر عن الهيئة أثارت حوله بعض المناقشات وهو كتاب مقدمة في فقه اللغة العربية .. وبالصمت الموضوعى واجه الموقف .. اذ ان التعاقد على هذا الكتاب تم قبل ولايته على الهيئة بعام كامل ثم امتدت الحملة الخفية الى شخصي وأصحابها يعلمون أن التعاقد وامر النشر وامر الطبع قد تم قبل اسناد النشر لى بسنوات كاملة. ولاعلاقة لي من قريب أو بعيد بالكتاب وعندما أثرت معه ضرورة توضيح الحقائق ابتسم وقال .. وتبقى الكلمة

والان ذهب هو .. يلفه الصمت . وأحسبه يخاطبنا من بعيد بكلمات سعيد بطل مسرحيته الشعرية ليلى والمجنون .. يقول سعيد وصلاح عبد الصبور :

لا أملك أن اتكلم
فليتكلم عني الريح
لا أملك أن اتكلم
فليتكلم عني موج البحر
لا أملك أن اتكلم
فليتكلم عني صمتي المفعم

محمد صلاح الدين عبد الصبور ..
وداعا .

ضياع

● د . كامل سعفان ●

ونغر العصفور ها هنا .. وها هنا
ونفرت عصفورته ..
تطايرا ، وتعانقا ، وافترشا ابستان
انجما ، وسوسنا !
هبت نسائم بليلة ..
نلاصة ، تبادلا نبضيهما وصفقا ..
وحلقا ...
تساقط (الرذاذ) ، حدقا ، وسقسقا ،
وحلقا ..
تتابع (الرذاذ) ، حملقا ، ورنقا ..
وافترقا !

***

كم كانت السماء مثقلة ..
فهبت الرياح معولة !
توالت البروق والرعود راجمة
وطاشت الرجوم ، والكلوم ، نازفة
وسيطر الحس الكئيب .. والأماني الزائفة
وشاهت الوجوه ..
واعلن الانسان انه الاله !

***

انتثرت كل النجوم شهبا ..
تكورت شموس ..
امتلأت كل العشاش لهبا
تهدلت نفوس ..
وانفجر البركان والطوفان
وكان .. ياما كان !
من يومها ..
ابحث في الشعاب ، والضباب
عن غنوة رقيقة ..
عن خفقة غالية اضاعها الصحاب !



الأدب المعاصر وأزمة الرواية

● د . عبد الفتاح الديدى ●

ليست الرواية عملا يهبط من السماء كاملا متكاملا ، ولكنها وليدة ظروف ومكونات عديدة ويتفاعل عدد كبير من العوامل من اجل ابراز الرواية .. من هذه العوامل ظروف النشر ونوعية الاعمال المختارة للترويج في الاسواق الادبية . ومنها الوضع العام الذي يشجع ابراز الرواية في ثوب مناسب قشيب ..

ومنها حالة الكاتب القصاص وقدرته على التفرغ لعمله . واهم من ذلك كله عامل الايمان بأن الرواية جزء جوهري واساسي من التعبير له مقوماته وله ملابساته التي ينفرد بها من حيث الفنية ومن حيث « التكنيك » .

وأول ما ينبغي أن يلفت نظرنا هو أن تجربة العقل العربي ازاء الرواية محدودة مهما قيل عن تاريخها وماضيها .. ويرجع ذلك الى أن عنصر الخيال لعب دورا ضيق الحدود في حياتنا وتفكيرنا . ولم نكتشف بعد أصالة التفكير الخيالي الخالص ، ولم نتعرف على أبعاد الخيال وقدرته على الانطلاق والتحوير والتبديل والتشكيل لمظاهر العيش العادية ، وطريقة تناول المسائل العامة وخطة العمل التي نسير عليها والنهج الشامل الذي يجعلنا نرتفع وننخفض في اطار الرؤية الفنية بعيدا عن مقتضيات الحياة في الواقع ومع الناس .

والخيال مرتبط بالمكونات الحسية . وليست المكونات الحسية هي ذلك اللون الغليظ الذي يبدو في أعمال عمر الخيام وأبي نواس وألف ليلة وليلة .. ولكن المكونات الحسية المطلوبة هنا هي المكونات الصحية التي تتعمق الحس البسيط حتى تبلغ عن طريقه مستوى الذكاء المعقد المحبوك .. ذلك المستوى الذي يبدو واضحا في ملامح الاعمال الفنية والفطرة القديمة وفي استغلال وامتصاص موارد الحس بصورة تدعو الى الصدق مع الواقع ولا تؤدي الى الغش أو الخيانة لاصول التفكير .

والحس هو المصدر الاساسي للتصور الذي يكمن وراء الخيال ووراء الاحساس الجمالي بالحياة والفرحة أو النشوة التي تتعلق بذوق الاديب في متابعة خيوطه وتعمقها من اجل فرض نوع بسيط من التفكير الذي يساير ركب الحياة ويعايش

الناس في مطالبهم ومشاربهم وأضرابهم فلا يستطيع كاتب الرواية أن يمعن في متابعة عالمه الوهمي وخطوطه الاصيلة واشباحه وشخوصه وأبطاله بدون ايمان عميق بهذا الحس الجوهري الاصيل الذي يستهدي به في كل خطواته . وعن هذا الطريق يشبع الكاتب الروائي نهمه في التشوق الى المجهول ، وفي فرض هذا العالم الجديد على أسلوبه في الكتابة وفي اثراءجوانب فكرهواشاعة احساساته بين أرجاء عمله كأنها الصدق كله كأنها صدى لعالم حقيقي يقيني .. وبدون هذا الحس الصادق الجديد لا يتوفر للكاتب الروائي عالمه الخاص به الذي تنبع منه الرؤية التي يقدمها لقرائه .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن أهمية الرواية في البداية وفي النهاية ترجع في الغالب الى حقيقة هذه الرؤية التي يقدمها لقرائه لمعايشة جوانب من الاحساس ومن التجربة ولابراز مضامين وشحنات وجدانية تلازمنا عند استطلاع أحداث الرواية بحيث يعلمنا كيفية رؤية الحياة في الشكل الذي يقدمه لنا . وهو بهذا يفسر لنا الوقائع ويحكيها لنا على طريقته ويناشدنا أن نرى التجربة من خلاله رؤيته التي ينقلنا بها الى قلب الحقيقة وكأنه يدعونا الى تعميق رؤيتنا والى تنويع احاسيسنا والى تنمية نظرتنا الى المشاعر الانسانية وتطويرها وتقوية بنائها . فأنت لا تكاد تقبل على قراءة الرواية الجيدة حتى تصيح من أعماقك : ولماذا لا يكون هذا الموقف صحيحا اذا قارناه بما عداه من المواقف ؟!

***

ونحن نعرف في قرارة أنفسنا أن موقفنا التقليدي والتربوي يؤثر علينا تأثيرا كبيرا في تفضيل قراءة كتاب ملىء بالمعلومات والدراسات على قراءة الرواية فالرواية في نظرنا لا تفيد لانها لا تحشد لنا المعلومات ولا تسوق الينا المعارف .



د. طه حسين

ولكن الرواية لا تخضع لهذه النظرة التربوية لانها من مجال آخر هو مجال الفن . فليست الفائدة التي نجنيها من قراءة الرواية على نفس مستوى الفائدة التي نجنيها من وراء قراءة كتاب من الكتب الدراسية . ولهذا كانت كتب المعلومات والدراسة بنت ساعتها . أما الرواية فهي جزء من الكيان الثقافي والروحي للانسان وتعيش أبد الدهر لكونها تمثيلا وتقريبا لروح العصر بأكمله

وما زلنا حتى اليوم نطالع رواية «كوخ العم توم » اذا شئنا التعرف على جذور الحياة الامريكية الحديثة ، ولازلنا أيضا نقرأ « دون كيشوت » لسرفانتيس اذا أردنا فهم أصول الحياةالاوروبية الجديدة وتمثل روايات بروستصرحا قائما بذاته في ضمير الفكر الفرنسي .

وما زلت أذكر محاضرات أستاذنا موريس ميرلو بونتي في الكوليج دي فرانس بباريس عن رواية حب سوان لمارسيل بروست . فقد كان موريس ميرلو بونتي فيلسوفا وعالما نفسيا .ولكنه كان يتناول جوهر الحياةالفكرية والعقلية ابتداء من تحليله لروايات بروست واستندال وبلزاك . وكان يحاول اكتشاف تجربة العقل خلال هذه

الروايات كأنه يتصدى لاعظم العناصر الحضارية والظاهرية في حياة العقل الغربي وأسلوبه في التطور والنماء ٠

وهو يعرف بلا شك أن الرواية تخاطب الانسان بكل أشكاله وأصنافه ولا تخاطب جمهورا محدودا من الطلاب والدارسين أو فئة معينة من الباحثين ٠ والرواية في نظره تمثل عقل الانسان في مواجهته للواقع الذي يعيشه ٠ ولهذا كان الحاضرون في محاضراته يتصورون أنها محاضرات في الادب الخالص ٠ والواقع انه كان يصعد الى اللمحات العقلية في غضون كلامه ويستخلص أعظم المواقف العقلية من سياق الاحداث الروائية ٠

واذا أردنا أن نعيد التوازن الى روح الاعمال الادبية الخالصة عندنا كالرواية والمسرحية والقصيدة والقصة والمقالة الفنية ، لزم أن ندرك حقيقة هذه الاعمال ودورها في بناء مشاعرنا واحاسيسنا واسلوبها في ترجمة واقعنا ٠ ولا شك أن الرواية هي التي تلعب الدور الرئيسي في بناء تصوراتنا عن الواقع ، وهي تستلهم هذه التصورات من فلسفة الكاتب نفسه ورؤيته لجملة المواقف التي يعيشها الانسان ٠

والمشكلة هنا هي نفس مشكلة احساسنا بالفنون ودورها ٠ الحقيقي في تكييف وتشكيل حياة الانسان ٠ وما زلنا ننظر نظرة شك الى عالم الفنون ٠٠ وتنسحب هذه النظرة على نظرتنا الى الرواية كفن أدبي خالص ٠

ولا شك أن الرواية المصورة تلعب اليوم دورا رئيسيا في حياة كثير من الناس ٠ فالناس يفضلون في معظمهم مشاهدة الافلام والمسلسلات التليفزيونية على الجلوس لقراءة الرواية ٠ وهذا طبيعي مع تغير أدوات الانتاج وسرعة الاطلاع على الاعمال الروائية خلال الاعمال المصورة ٠ ولكن الرواية كتاب قائم بذاته له عالمه الذي لا يتحكم فيه المخرج ولا تسيطر عليه أهداف الانتاج التجارية ٠ وقد شهدنا جميعا مدام بوفاري كفيلم مصور ٠ وكذلك شهدنا روايات ديكنز مصورة في أفلام مثل « أوليفر توست »

ولكن هذه المشاهدة العابرة لا تؤلف اساسا فكريا كافيا لتعميق هذه الاعمال وقد قرانا للفيلسوف الآن كتابا عنوانه « عند قراءة ديكنز » ٠ وكذلك قرانا للفيلسوف الوجودي جان بول سارتر كتابا كاملا عن فلوبير وعن مدام بوفاري والبورفاريزم ٠ ولا يمكن أن تتحقق النتائج الايجابية لمطالعة الروايات الا بقراءتها مباشرة ٠ ولا يؤدي التصوير السينمائي أو التليفزيوني الا قسطا ضئيلا من هذا العالم الرحب الذي يعيش فيه الكاتب الروائي والذي يسعى حثيثا لتقديمه الى جمهوره ٠ والمتعة الحقيقية تنشأ من معايشة كلمات المؤلف ٠

ولهذا لا يمكن الاكتفاء بالرواية المصورة الا بالنسبة للجمهور المتعجل ٠ وفي هذه الحالة لا يمكن ان يفطن هذا الجمهور الى دقائق العمل الروائي القائمة على تصور عميق ورؤية نفاذة وموقف خاص بالمؤلف لايحسن ترجمته في العادة مخرجو الافلام الذين يتطلعون الى الكسب التجاري ٠ فمثلا لا يستطيع القارىء أن يستجمع خيوط فكرة العمل العشوى من رؤيته لفيلم يقوم بتصوير كهوف الفاتيكان لاندرية جيد ، أو سوء تفاهم لالبير كامو ، وبعض روايات فرانسواز

ساجان • ولكنك عند الاطلاع بالقراءة لهذه الاعمال تحصل على مفهوم واضح بالنسبة لتصور الفعل العشوى الذى ظل يراود الروائيين مدة طويلة فى اعمالهم •

ونعود الآن الى الرواية العربية لنلمس الاوضاع التى تعيش فيها هذه الروايات فالناشر الآن لا يطبع الكتاب الا إذا كان مضمون الفوائد والارباح • ولذلك يهتم بكتب الدراسة والأبحاث العلمية التى يشتريها الطلاب عن طريق الالزام المدرسى • أما الرواية فلا تجد لها سوقا وكم من المؤلفين والشبان يحملون الروايات التى لا تجد سبيلها بحال من الاحوال الى المطبعة وبالتالى الى قلب القارىء •

وقد عشنا فى مصر منذ عشرات السنين لا نعرف سوى قصصى واحد أو شاعر واحد أو فنان واحد • كأن الله لا يخرج فى هذه البلاد الا أمراء للرواية والشعر والمسرحية والتصوير • وهم بهذه الصورة أمراء فريدون لا يشاركهم مشارك ولا يزاحمهم مزاحم • وأدت هذه الظاهرة الى كوارث عديدة • ومات العديد من الاعمال الادبية والروائية والفنية ولم ير السوق ولم يره جمهور الناس • ومن باب الصدفة البحتة أن وجدت روايات محمد عبد الحليم عبد الله ومحفوظ عبدالرحمن سبيلها الى الجمهور ولابد ان أعمالا أخرى لم يعرفها الجمهور الا من قبيل الصدفة ••

وقد شهدنا فى الستينات مولد كثير من الشبان الروائيين وعشنا على أمل أن نراهم فى السبعينات ، وقد بلغوا مرحلة النجاح فى انتاج واعداد رواياتهم • ولكن أسماء اكثرهم اختفت واصبحوا



عباس محمود العقاد

يجدون فى طلب الرزق بوسائل أكثر فاعلية •

وكان المفروض أن يتناول كتاب الرواية مشاكل الشباب وقضايا العصر فى رواياتهم ، خاصة وان القليلين جدا من الكتاب الكبار علقوا على هذه المشاكل فى رواياتهم • بل لا نكاد نلمس اثرا للمشاكل الحقيقية التى يعيشها الشباب فى رواياتهم •

وظهرت الرواية الجديدة فى اوروبا وانتشرت فى كل مكان فى العالم • وتتحقق الرواية الجديدة باستكشاف دلالاتها المعبرة • وهى بمثابة حقيقة لم تحل رموزها بعد ولا تعتمد على المظاهر النفسية الحيوية • واشتهر من بين مؤلفيها ميشيل بيتور ، وناتالى ساروت وآلان روب جرييه ، وكلود سيمون ، وكلود مورياك •

وارادت الرواية الجديدة أن تتخطى كل أشكال الرواية القديمة وأن تقدم مظاهر الحياة فى قالب بعيد عن القوالب النفسية والاجتماعية والتاريخية • وفتحت المجال أمام التجديد الروائى فى كل نواحى العالم وغرست فى نفوس الناس أملا فى تحريك المرئيات والناس

والمشاهد والاحداث على نحو ما تسقط في وعي الناظر اليها بدون خلفيات .

وخلت الرواية الجديدة من تعقيدات الصراع بين الافراد والجماعات وحاولت ان تجعل الرؤية العادية موضع تقدير القارىء وأن تخلق الملابسات التي تمثل الحياة في اوضاعها وفي صور علاقاتها الحديثة . وبرغم ذلك لم يجد مؤلفونا حتى اليوم الشجاعة الكافية لاقتحام هذه المجالات للفياضة بالمتعة والتجربة .

ولا حاجة بنا الى القول بأن الرواية العربية بوضعها الحالي تمثل هروبا من الحياة واستئناسا بالجوانب المعتمة التي تظلل أفكار مؤلفيها . ويعمد الآخرون الى تفسير التاريخ ومتابعة قوانين الوراثة والبيئة . وكأنهم يفرون من مواجهة التجربة على طريقتهم . وسائر القراء لا يلمسون في الروايات سوى وجه الماضي من خلال تصورات وهمية لحياة الأفراد والجماعات .

وتجددت الاسلوبية في أنشطة كتاب الرواية وعاد بعضهم يكتبها على طريقة آلام فرتر في ترجمة أحمد حسن الزيات والاسلوبية هروب آخر من محيط العمل الروائي لانها تحيي جانب التعبير الادبي وتخفي في طياتها مشاكل الحياة وتخرس صوت الانسان الطامح في الظهور .

وعادت الرواية تبحث عن مسارها اثر رواية « الحب الضائع » و « دعاء الكروان » لطه حسين و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم كأنها تداعب خيال القارىء على النمط التقليدي . ونستثني من هذا روايات مجيد طوبيا واسماعيل ولي الدين ، ولكننا لا ندري ما اذا كانا يملكان القدرة على شق طريقهما في أسلوب متجدد بعد أن خضعنا لتصورات محدودة الابعاد ولم يتعمقا المسار الفلسفي المطلوب لمتابعة التطور الروائي العالمي .

والظاهر أن الروائي يجد صعوبات كثيرة في مواجهة دواعي الحياة ووسائل النشر . وقد نجد لهم بعض العذر فيما يتناولونه من الموضوعات . والرواية كأي أعمال فنية اخرى تتطلب الغزارة في الانتاج من جانب مؤلفيها . ولا ينبغي أن نعيش في عالم الرواية أسرى لعدد محدود من المؤلفين لان الرواية تثرى بكثرة التنوع وبغزارة الانتاج .

وفي فرنسا تقام مسابقات للرواية كل عام ويتقدم لهذه المسابقات آلاف مؤلفة من كتاب الرواية . وتتدخل لجان التحكيم لانقاص اعداد المتقدمين لهذه المسابقات بطرق متعددة حتى يتمكنوا من مراجعة هذا الانتاج الوفير .



د. محمد حسين هيكل

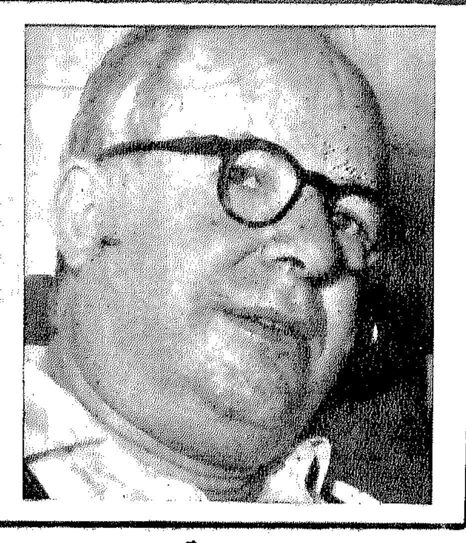
ونحن نطالب باقامة مثل هذه المسابقات عندنا حتى نستكشف أبعاد المواهب والقدرات الشابة في هذا المضمار ·

وقد لقيت روايات قنديل أم هاشم ليحيى حقى وسارة للعقاد ،وزينب لهيكل نجاحا منقطع النظير لانها أعيد طبعها مرات ومرات ·وقد عالجت هذه الروايات مشاكل حقيقية من واقع المجتمع · فتناولت « قنديل أم هاشم » قضية الايمان بالعلم وتناولت « سارة » قضية الصراع بين التقاليد الموروثة والرغبة فى مسايرة حياة التطور والاقبال على دواعى الحياة العصرية ممثلا فى هذه الحيرة بين الزواج من المرأة بوضعها الجديد وبين الخضوع لاثقال الحياة القديمة فى تصورها للمرأة ·

أما « زينب » فابرزت مشكلة المعيشة الريفية بقوالبها التقليدية ومرارة الخضوع لهذه القوالب وظروف الانسان القروى ·

ولم تظهر متابعة جادة لامثال هذه القضايا الا فى بعض أعمال محمود البدوى ويوسف الشارونى وفاروق خورشيد · ونحن نطمع فى المزيد من هذه الاعمال حتى تنشأ لدينا على الاقل صفوف من الرواية تساعد على تنمية التجربة الجديدة ·

الرواية اذن هى طريقة اقامة الحوار مع الجماهير ·وهى علامة فى طريق التقدم



يحيى حقى

الحضارى والذهنى · وعلينا ان نخرجها من اطار التجربة التربوية التى تنشد التثقيف او التعليم · ويوجد فرق هائل بين ما نقصد التعليم من ورائه وما نقصد احياء الثقافة عن طريقه · لان التعليم ينشد المعلومات الموحدة بين العديد من الافراد كأن يرددوا جميعا قاعدة ارشميدس او قانون بويل بلغة واحدة وبمعرفة موحدة اما الثقافة الفنية فتنشد الامتياز الفردى عند ابناء المجتمع · والرواية باب من أبواب الثقافة تغذى الميول الفردية والمواهب الشخصية وتخلق افرادا متباينين متميزين بعضهم من بعض · وهذا غرض مختلف عن الغرض الذى يرمى اليه التعليم فى توحيد المعارف لدى الناس ··

والآن ، ونحن فى مستهل نهضة قائمة على الانفتاح العقلى والروحى على تجارب العالم ، نامل أن نجد عند الكثيرين من الروائيين والقصاصيين فرصة التعاطف مع التجارب الجديدة واثراء الادب العربى بعدد من الروايات التى تضارع مانعرفه من الوان الادب العالمية ·





النوم ليس فقدان الوعي لفترة من الوقت انما هو عملية بيولوجية على اكبر جانب من الاهمية ، لان جسمك وذهنك يعيد تنظيم نفسه وتعويض ما فقد منه اثناء النوم ، ولهذا فمن اهم واجباتك ان تعرف كيف تنام نوما طبيعيا هادئا ..

● **يقولون هنا ان النوم سلطان . وهم يريدون بذلك ان النوم اذا جاء وقته فلا غالب له ، ولابد لك ان تستسلم له لانه سلطان ، والسلطان لابد ان يطاع ..**

ولكن الحقيقة ان النوم ليس سلطانا ولا شبه سلطان . انه عملية بيولوجية يقوم بها الجسد دون ان يدرى احد كيف فانت احيانا تنام وانت جالس في عملك ولا تنام وانت مستلق في فراشك ، واحيانا تنام والدنيا من حولك كلها ضجيج ، واحيانا اخرى يعز عليك اليوم والهدوء الكامل يشمل كل ما حولك .

لان احدا لا يعرف شيئا عن حقيقة النوم او طبيعته .

بل ان العلماء اليوم يتساءلون عما اذا كان من الضرورى لسلامة الجسد ان ينام الانسان ثلث حياته ، وقد كنا نقول ان هناك ناسا تحتاج اجسادهم الى ١٠ ساعات نوم يوميا ، وآخرين تحتاج اجسادهم الى ثمان أو ست ، وتبين العلماء الآن ان عدد ساعات النوم عادة وتقليد ، وهي متوقفة كذلك على البنية والمستوى الحضارى .

ففى البلاد المتخلفة ينام الناس أكثر مما ينام أهل البلاد المتقدمة ، وأهل القرى ينامون أكثر مما ينام أهل المدن ، وأصحاب الحرف اليدوية ينامون أكثر من أصحاب الاهتمامات الذهنية .

وعندما يولد الانسان ينام خلال الاسابيع الاولى ٢٢ ساعة فى اليوم تقل بالتدريج كلما مضت الاسابيع والشهور والاولاد من سن السابعة الى العاشرة يحتاجون الى عشر ساعات من النوم ، كان بعضهم يكتفى بثمانية فقط .

وقد بحث كثير من العلماء لكى يجيبوا عن السؤال العسير : كيف ننام ؟ .. كيف ينتقل الانسان من حالة الوعى واليقظة الى حالة النعاس ، وقد كان يظن ان هناك ناسا يحتاجون الى خمس دقائق لكى يغرقوا فى النوم بينما يحتاج آخرون الى ساعة أو ساعتين .

وتبين الآن ان مدة الاستغراق فى النوم بالنسبة لنا جميعا واحدة ، حقا ان





كثرة التحرك والتقلب في الفراش اثناء النوم تدل على اشتغال البال والقلق النفسي وكذلك الاحلام المخيفة والكوابيس .. واذا نظم الانسان موضوع نومه تخلص من عشرات اسباب الامراض والمتاعب

هناك من يضعون رؤوسهم على المخدة ثم يغطون في النوم في الحال ، في حين ان آخرين يظلون ينتظرون النعاس طويلا ولكن الحقيقة أن عسير النعاس يقضي وقتا طويلا يقظا يحاول النوم ، ولكن النوم عندما يجيء فان الامر لا يستغرق الا دقائق ، وفي العادة لا ينتبه الناس الى دخولهم في النوم ، لان ذلك المدخل في العادة سريع جدا فخلال دقيقتين أو ثلاثا يدخل الانسان في المرحلة الاولى من مراحل النعاس لان الانسان يكون قد فقد الوعي لما حوله ودخل في السبات الذي يمر بعد ذلك في مراحل ثلاث حتى يستولي النوم على الانسان تماما .

وقد كان اليونان القدماء يقولون ان الذي يمنح النوم للانسان والحيوان هو اله يسمى مورفيوس ، ومن اسمه اشتق اسم المورفين واعطي للعقار المعروف الذي يغيب الانسان عن الوعي اذا تناوله

ولكن العلماء عرفوا اليوم ان النوم ليس حالة سلبية من السكون التام تستولي على الجسد ، ولكنه هو عملية نشطة يقوم خلالها الذهن بترتيب نفسه والتخلص من الضغوط التي يعاني منها طول النهار . وهو يلفظ أو يطرد أشياء كثيرة وهذا الطرد يظهر في صورة الاحلام ،فانت اذ تحلم بشيء مخيف فانك في الحقيقة تتخلص من هم يثقل على نفسك ، وطوال ساعات نومك الهادىء يعيد الذهن ترتيب نفسه ويصفو ، ويحدث لك كثيرا ان تكون امامك مشكلة تضايقك ، وعندما تصحو في الصباح تجد الحل . هذا الحل نتيجة لعملية التصفية والترتيب التي قام بها الذهن وانت نائم . ثم ان هناك أعضاء تعمل أثناء النوم بهدوء تعمل الكل بنظام أكثر وتستريح خلاياها وتتجدد ، وكذلك الكبد ، ولهذا يقول الاطباء ان أحسن ما تعمله لصحتك هي أن تقتصد في طعامك في العشاء ، وأن تتناول عشاءك مبكرا حتى اذا أويت الى فراشك كان طعامك قد هضم واتيحت لكبدك وكلاك وطحالك ساعات طويلة من الراحة والهدوء ، فاذا تناولت افطارا خفيفا بعيدا عن الدهنيات الكثيرة والسكر الكثير استمرت راحة كبدك وكلاك حتى الغداء

وهنا يكون النوم راحة حقيقية تجديدا للخلايا أما أن تأكل متأخرا وتملأ بطنك بكل ما هو ثقيل عسير الهضم فان ذلك يجعل نومك مضطربا وان كان ثقيلا ،

وازداد تعب اجهزتك الحيوية وحرمت من الراحة وهي حقها ، وبدونها تتدهور ٠

النوم ينظمه جهاز بيولوجي غير معروف

وقد طال بحث الاطباء عن طبيعة النوم وكيف يتم ولماذا يمتنع أحيانا فيصاب الانسان بما يسمى بالارق ويسمى بالإنسومنيا أى الحرمان من النعاس ٠ وانشئت في بعض الجامعات الامريكية أقسام علمية خاصة لدراسة النوم وطبيعته ومراحله وأمراضه ، لان النوم عملية اساسية من عمليات الجسم ، مثله في ذلك مثل الهضم والامتصاص واخراج مالايحتاج اليه الجسم من مخلفات سائلة وغير سائلة ، ومن هنا فله امراضه فكما ان هناك من يشكون من عسر الهضم فهناك من يقاسون من صعوبة النوم ، والأرق فهو مرض وما دام مرضا فلابد من البحث عن علاج له خاصة وان امراض النوم تتزايد نظرا لتزايد الضغوط العصبية وتوالى المشاكل واضطراد الانسان الى مضاعفة جهده في العمل لكى يكسب من المال ما يمنحه الحياة في مستوى اجتماعي يتناسب مع آماله وما يرى انه يستحقه ٠ ثم ان تزاحم الناس في المدن واشتداد الضوضاء وتلوث الجو كل هذه عوامل جعلت النوم عملية عسيرة فانتشر الارق وأقبل الناس على الحبوب المنومة لكى يناموا نوما كيميائيا وهو نوم غير صحى ، بل هو ليس بنوم أصلا وانما هو خمود اليقظة لفترة من الوقت ٠ ثم يصحو الانسان متعبا مجهدا ٠

الاقراص المنومة ليست علاجا انها مرض ٠ ولابد أن تعرف كيف تنام نوما طبيعيا ٠

وبدلا من تناول الاقراص المنومة فانك تستطيع أن تعالج مشكلة الارق بدراسة نفسك ، فاذا كنت تملأ معدتك بالطعام في العشاء فان ذلك يحول دون النوم الهادىء ، واذا كنت تسرف في التدخين فان ذلك لا يأذن لك في راحة الاعصاب اللازمة ، واذا كنت لا تحل مشاكلك فانها تدخل معك فراشك وتمنع عنك النوم ، واذا كنت تنام في غرفة غير متجددة الهواء فانك لن تسعد بالنوم ، والطبيب نفسه لن ينفعك لانك فيما يتعلق بالنوم — طبيب نفسك ٠!

لابد من تنظيم عملية النوم

ثم انك ينبغى أن تحافظ على أوقات نومك ، لان الجسم له شىء غير منظور يشبه الساعة ، وهذه الساعة هى التى تضبط مسألة النوم ، ولهذا فانك تستطيع ضبطها بالتعود على النوم فى وقت معين فتجد جسمك قد ضبط نفسه على النوم في هذه الساعة واليقظة بعد ان يستوفى جسمك حظه من النوم ، وخير النوم ما كان مبكرا ، أما السهر الطويل فهو عدو النوم الهادىء ٠

وشىء من الراحة بعد الظهر ينفع الجسم نفعا عظيما ، فاذا استطعت أن ترقد فى فراشك ساعة بعد الظهر فافعل ولكن لا يجوز ان تنام بعد الغداء ساعتين أو ثلاثة فان ذلك غير صحى ٠

***

واكثر ما يمنع النوم الهادىء هي الامعاء المضطربة وخاصة الامعاء الغليظة فان المرضى بالقولون لا ينامون نوما هادئا قط ، لان الامعاء تعمل إثناء النوم ، فاذا كان عملها هادئا منتظما كان ذلك من اسباب الاستغراق فى النوم ، أما اذا كانت الامعاء الغليظة مريضة ، فهى تعانى من عملية الهضم ، ولهذا فلابد أن تعالج امعاءك اذا كنت مصابا بالارق ٠

***

ونختتم هذا المقال عن النوم بالاشارة الى ظاهرة لم يعرف الاطباء لها حلا ، وهى ظاهرة موت الاطفال الصغار فجاة اثناء النوم ، وفي الولايات المتحدة وحدها يموت عشرة آلاف طفل في السنة على هذه الصورة : دون سبب ظاهر يختنق الطفل ويموت وهو فى فراشه دون أن يشعر أحد ٠ وعبثاوحاول الاطباء معرفة السبب فى ذلك الموت الفجائى للاطفال ٠

ركبت رأسها فركبتها الهموم

●●●

ماري كريستين دافني أميرة بلجيكية انها اخت الملك بودوان أو بولدوين ملك بلجيكا من زواج ابيهما الملك ليوبولد الثالث من زوجة ثانية بعد وفاة زوجته الاولى . الزوجة الثانية هى الاميرة ليليان دى ريتى ، وقد احتجت بلجيكا كلها على ذلك الزواج لان الاميرة ريتى لم تكن تتمتع بسمعة طيبة .

ودافني هى أبنتها . عاشت ثائرة على أوضاع البلاط ورفضت ان تتزوج من شباب محترمين كثيرين تقدموا لها .

ثم هاجرت الى كندا واشتغلت سكرتيرة فى تورونتو ، وبعد ذلك عملت صحفية ثم تطوعت ممرضة فى معسكرات اللاجئين .. ثم

●●●

ركبت رأسها فركبتها الهموم

● ●

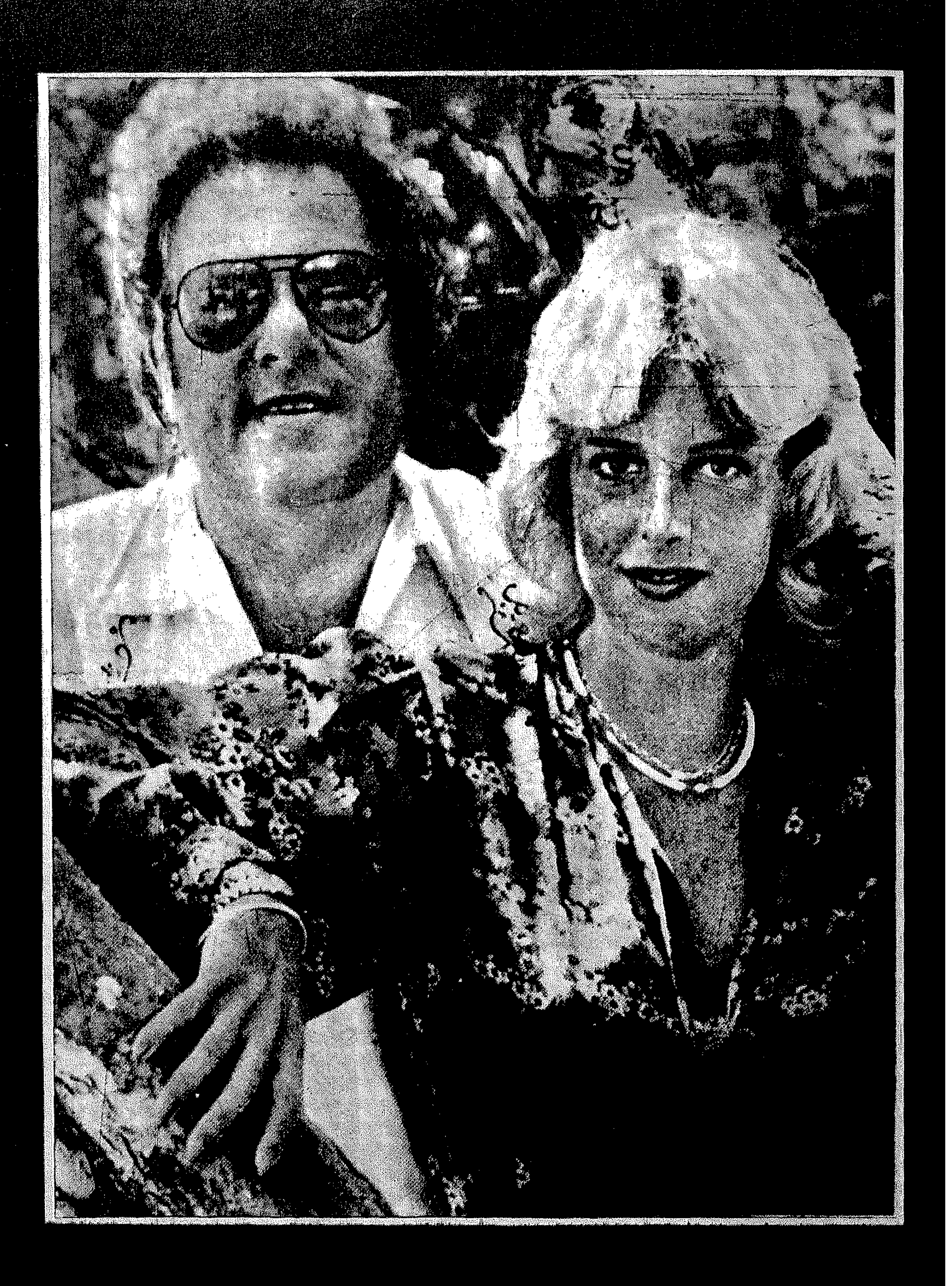
عادت الى تورنتو وهناك تعرفت بموسيقى يهودى شيوعى مفلس يعمل عازف بيانو فى ناد ليلى .. ثم انه مطلق وعنده دستة من العيال ..

وقالت : اتزوجه ، وقالوا لها : لن ينفعك ! وركبت رأسها وتزوجته وأصبحت مسز بول دريك وسكنت في غرفة فقيرة وقالت: يكفينى الحب !

اتدرى كم كفاها الحب ؟

ستة أسابيع ، طلبت بعدها الطلاق وحصلت عليه وخرجت بحقيبة يدها من الغرفة الحقيرة الى المطار لتعود الى بلجيكا ..

● ●



ناس وصور وحكايات

لم يعرفوا الحرب ولهذا يحلمون بها !

هذه ليست صورة فرقة من جنود هتلر تقوم بواجد من الاستعراضات العسكرية التى جلبت على المانيا والدنيا كلها الدمار اثناء العصر الهتلرى .. انها صورة لفرقة من جنود جمهورية المانيا الديموقراطية (الشرقية) فى استعراض أقيم لذكرى مرور ٣٠ سنة على اقامة جدار برلين الذى يحجز بين برلين الشيوعية وبرلين العالم الحر . فقد اقيم هذا الجدار وتم فى ١٣ أغسطس ١٩٦١ .

انه جدار بين العبودية والحرية ، اقامته روسيا الشيوعية فى برلين ، طوله ١٦٤ كيلو مترا وارتفاعه ٤٫٢٠ مترا وسمكه ٣ امتار من الاسمنت المسلح اقيم لكى يمنع أهل برلين الشرقية من الهرب الى الغربية ، مساحة برلين الشرقية ٣٧٫٠٠٠ هكتارا من الارض والهكتار ١٠٫٠٠٠ متر أى فدانان ونصف .

خلف الجدار من الناحية الروسية منطقة فراغ عرضها ٣٠ مترا بطول السور يحرسها ١٤٠٠٠ رجل مسلحين بالرشاشات السريعة ولديهم الاوامر باطلاق الرصاص لمجرد النظر هناك ايضا ٦٠٠ كلب بوليسى .

الى يومنا هذا تمكن ٤٧٤٥ رجلا وامرأة من تخطى السور ولكن ١٧٨ آخرين سقطوا بالرصاص .

هؤلاء الجنود الذين تراهم كلهم ولدوا بعد الحرب ولم يشهدوا ويلاتها ولهذا فهم يحتفلون بذكرى حائط العار هذا ، ان المانيا الشرقية أشد الدول الشيوعية الاوربية ولاء لموسكو ولا ينتظر الروس قط أن يحدث هناك ما يحدث اليوم فى بولندا .



ناس وصور وحكايات

بولندا..

والخطر الروسى والمجاعة

●●

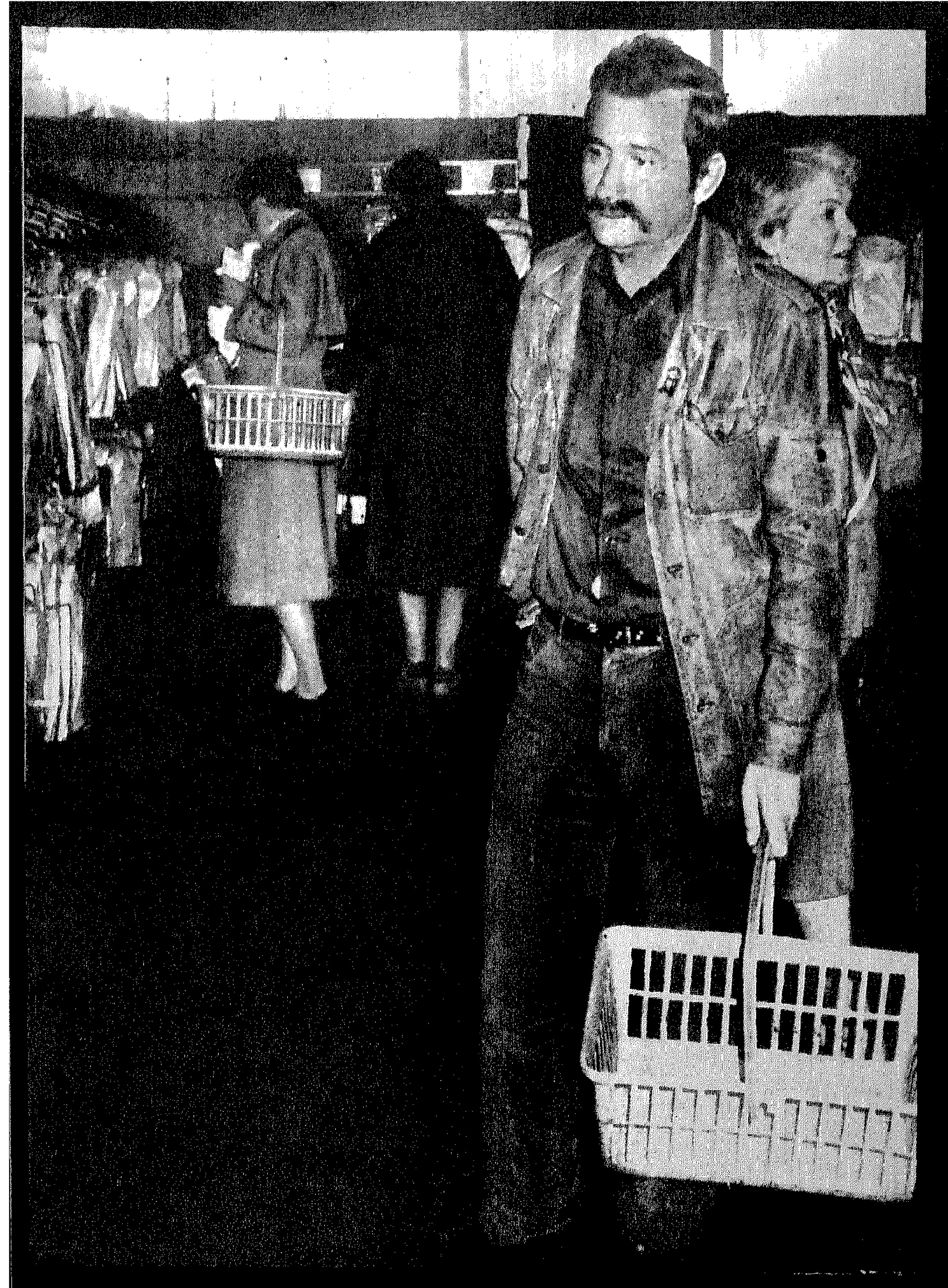
ان ما يجرى فى بولندا لا يفهمه احد ..

لان بولندا ثالث بلد زراعي في أوروبا بعد روسيا وفرنسا ، انتاجها الزراعى كان ينبغى ان يكفيها ويزيد .

وكان الاتحاد السوفييتى عندما رسم حدود البلاد الدائرة فى فلكه قد أعطى بولندا ضعف مساحتها على حساب المانيا والمجر وكل جيرانها ظنا منه ان بولندا ستكون خادما مطيعا لها . وبالفعل كانت بولندا خادما مطيعا ، وفى غزو المجر سنة ١٩٥٦ كانت الفرق البولندية من أشد الفرق الشيوعية فتكا بالمجريين .

ولكى تصبح بولندا مزرعة اوروبا الشرقية اغدق عليها الروس الادوات الزراعية من جرارات ودراسات للقمح ومحاريث آلية .

●●



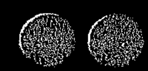
وفى هذه الصور ترى ليش فاليسا يحمل سقطا فارغا ويطوف
فى مجمع استهلاكى باحثا على شيء من الطعام يشتريه ، وعددا من
ربات البيوت فى مظاهرة فى شوارع وارسو يطالبن بالتموين ٠

بولندا والخطر الروسي والمجاعة

وكانت بولندا تستورد ما يلزمها من الوقود من شركات غربية ، وكانت أيضا تشترى بواسطة القروض حاجاتها من منتجات الغرب، وتراكمت عليها ديون تبلغ ٢٧٠٠٠ مليون دولار للغرب بالاضافة الى نحو ٣٠٫٠٠٠ مليون دولار لروسيا والبلاد الشيوعية وهى اثمان ٥٠٠٠٠ جرارا و ٢٨٠٠٠ محراثا و ٧٠٠٠ طنا من الادوات الاخرى .

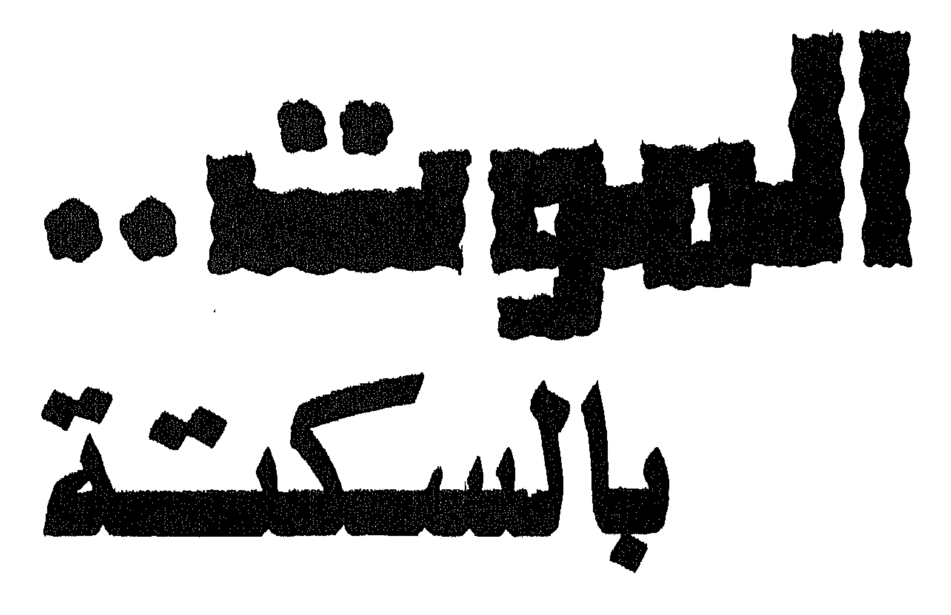
والآن تريد بولندا أن تنزع عن نفسها نير الاحتلال السوفييتى، فمنع الروس عنهم قطع الغيار والوقود فتوقفت المزارع وهبط الانتاج وبدأت ازمة غذائية خطيرة في بولندا .. الطعام شحيح وكل شيء بالبطاقات .

ان روسيا تشدد الضغط على بولندا وتحارب نقابة تضامن العمال الحرة التى يقودها ليش فاليسا . والازمة تزداد حدة يوما بعد يوم والتصادم واقع لا محالة ، ولولا ان الولايات المتحدة أعلنت انها ستستعمل قنبلة النيوترون لايقاف حركة ٤٠٫٠٠٠ دبابة مستعدة لغزو بولندا لكان الغزو قد وقع .





الموت فجأة أوكما يقولون :



● د . مصطفى الديوانى ●

● رايتها فى الساعة الثالثة من عصر يوم مشمش جميل فى شرفة مجاورة تصطلى بالدفء وترنو ببصرها الى النيل وهو يجرى قريبا من باب منزلها ...

كانت فى احسن حال من الصحة والتورد ، وكانت تنظر الى الافق قانعة شاكرة ، وكانها تشكر الله على نعمة الستر والسلامة ، فقد وفقت فى تربية بناتها وزفتهن الى من تامنهم على فلذاتها ، وعكفت على اولادها وزوجها تعنى بهم عناية متصلة ، لا تفوتها صغيرة او كبيرة ... ونظرت الى طفلين صغيرين فى شرفة مجاورة كعادتها ودهشت لهما فى حنان التى تدرك معزة الاحفاد ولذة الامومة ، ورد عليها الصغيران بابتسامة فنعا بارسال نصفها ، لأن شيئا ما حول انتباههما الى الجانب الاخر من البسمة البريئة ، فهذه الاجسام البضة لا تعرف للوقت قيمة ، ولا لصروف الزمان واكدار الليالى معنى ولا مبنى ، ولو عرفا لاكملا ابتسامتهما التى هى فى الواقع رد على تحية الوداع من هذه السيدة!

فى الساعة الثالثة من عصر اليوم التالى كانت هذه السيدة ـ التى كانت هذه الحركة والحياة ـ نعشا يتهادى ... خرجت من منزلها لآخر مرة يتبعها زوج ذاهل يضرب كفا على كف ، واقرباء اعزاء تقرحت عيونهم ، واصدقاء للعائلة محايدون ليتهم ماأتوا لانهم بدأوا يثرثرون ويتنادرون بصوت لم يغلب عليه عويل السيدات المودعات لمن كانت الى قلوبهن حبيبة عزيزة...

وكان بين المشيعين صديقى الطبيب الذى اسعفها فى دقائقها الاخيرة ، فتابطت ذراعه كما تابط كل مشيع ذراع آخر ، وسالته والاسى يملأ نفسى عن سر هذه الفجيعة ـ فقال :

انه استدعى قبيل منتصف الليل من شقته المجاورة لشقة الفقيدة ، لانها شعرت بالم مفاجىء فى منطقة المعدة ، انتشر الى صدرها كانه حموضة معدية لا اكثر ولا اقل ... ولكنه شخص المرض على حقيقته ـ وكان نوبة قلبية. وبينما هو يفكر كيف يفضى بالحقيقة تدريجيا فى جو كله أمل وطمأنينة ، اذا بالستار يسدل فجأة بعد خمس

عشر دقيقة من بداية المأساة !..

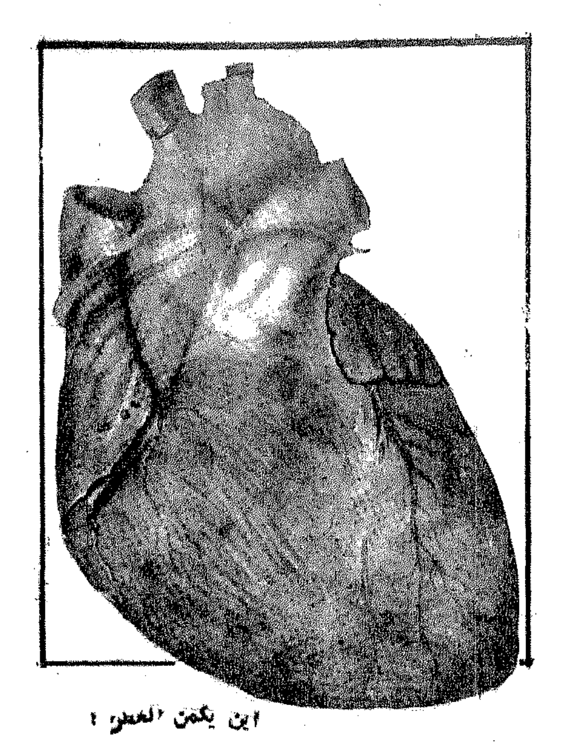
***

وبينما اقرا جريدة الاهـــرام ذات صباح من عشرين عاما ، لفت نظرى نعى احد مدرسى المدرسة التى ينتسب اليها احد انجالي ، وكان واقفا بجانبى ، فاخبرته بما قرات ، فظهرت عليــه علامات الاندهاش ـ وكأنه صدم لاول مرة بحقيقة الحياة الكبرى وهى الموت ـ واعرب عن استحالة حدوث هـذا لأنه اعطاهم درســـــا بالامس ... وسالنى : لماذا يموت الانسان بمثل هذه السرعة وهو متمتع بكامل صحته؟ .

وعجبت لنفسى بماذا أجيب هـــذا الساذج البرىء ، لولا ، أن انقذنى اذ ذاك محرر الاهرام الذى اعتاد اذ ذاك فى تصميم عجيب ان يضع برنامـج الاذاعة اللاسلكية بجانب باب الوفيات ، فيخلط الغناء بالبقاء فى صــــعيد واحدة !.. ، وكنت آخذ عليه هـذا دائما ، ولكنه فى تلك الساعة بالذات انقذنى من سؤال محرج لان ولدى صفق طربا عندما وجد اذاعة عبد الوهـاب بين تفاصيل البرنامج ، ونسى مدرسه وعوادى الزمان ... وهكـــــذا تنسى الطفولة بكل ما عهد فيها من ســذاجة وسخافة ...

وفى ذات يوم روعت بوفاة صديق عزيز رأيته قبلها بيوم واحد وهو فى أحسن حال ، وقيل لى انه استيقظ من نومه فى الساعة السادسة كعادته ومشى على قدميه فى اتزان وقوة الى حيث ينام الساقى ليطلب منه تحضير كوب من الشاى الساخن ، ثم اذ به يسقط فجاة وهو يصفر بفمه لحنـــا محببا اليه ، وغاب عن صوابه بعـــد دقائق ثم مضى فى غيبوبة قضت عليه بعد ثلاث ساعات !..

ولقد سمعنا كيف ان الرئيس الامريكى السابق روزفلت كان يصـــطاف فى مصيفه المختار ، وبينما هو جالس فى حديقته يمزح مع خلصائه المقربـين ، نظر الى طبيبه الخاص فجاة وقال له : « اننى اشـعر بصداع شـديد » ولم يزد على هذا كلمة واحدة ، لأنه مال برأسه الى الخلف ، وراح فى غيبوبة



اين يكمن الخطر !

لم يفق منها ابدا ... ومات بعــد اثنى عشرة ساعة !

وكان يعيش فى النصف الاول مـن القرن العشرين طبيب نابه اسـمه « على فهمى زناتى » ولـد ثم عـاش بضعة أسطر فى سجل الزمان بدأت قاتمة خاملة ، وانتهت كأبدع ماتصبو اليه اى نفس تشتهى الظهور واللمعان . نبغ فى أخريات سنيه فى عمل نفـذ بوساطته الى قلوب الجماهير فأحبـوه وقدروه ووثقوا بعلمه ، فاغدق عليهم علما واغدقوا عليه مالا ، حتى تيسرت له سبل العيش واتسعت ، وانتشـر ضياؤه وملأ الفضاء ، ولم يبـق مـن الحياة مطلب سوى أن يطول العمـر حقبة اخرى ليترعرع الاطفال فى كنف والدهم ...

وبدا كل شىء كأن القـــدر أمهـل واهمل ، حتى كان ذات صباح جميل انبعث شمسه وازدهــــرت ، واذا بالطبيب العظيم يشعر قبل مغــادرة المنزل بالم بطنى غامض لم يلق اليـه بالا ، فتحامل على قدميه يقاوم الداء قاصدا معمله الخاص ... وقـــدر للنائب وقتئذ جلال حسين أن يشـهد الضياء كيف يخبو ، والنفس الآمنـة كيف تذهب فى هدوء ورضــاء الى

الموت بالسكتة

الملكوت الاعلى ... قافلة لا تدرك — لفرط ضخماتها — بدايتها من نهايتهـا جلس الطبيب الى كرسيه ليستجوب مريضه الأخير فاذا بالراس الغالي يلقي بنفسه على الصدر الرحيب دون آهة أو انذار ، البنيان المتزن الوقور يتداعي بجانب المكتب الذى شاهد معـركة الحياة حتى نهايتها الكبرى ، فهب المريض ليغيث طبيبه — وسبحان مقلب الأيات — ولكن كان الأوان فات !

وعاش قبله بثلاثة قرون — القصد ثلاثة شهور — فما اسـهل ما تخلط الذاكرة الضعيفة بين القرون والسنين والساعات عندما تستعرض احـداث الزمان الذى تدور عجلته في استرخاء الذى لا يبالي بما تقاسي — اقول عاش في نفس الحقبة من الزمن طبيب المعى نابه نابغه اسمه (عبد السـلام الحمامصي) . دانت له الدنيا منـذ لفلته الاحشاء ، فنشا نشاة ممتازة، وعاش كل ايامه انيقا نظيفا ، واحتفظ بطلعة وضاءة لا تفارقها البسـمة ، ولازمه هذا البهاء والوقار فى دقائقه الاخيرة ، وهو ينزل من سيارته الفاخرة التى اشتراها قبل موته بايام ، ثم وهو يصعد درجات سلم مستشفى الكاتب فى زهو واعتداد غير متكلفين، ليجرى عملية الولادة الأخيرة ...

ودخل غرفة العمليات وهـو يضرب الارض بقدميه القويتين ، وبعـد أن أدى مهمته ، شعر فى التو بضـيق شديد ، ولما حاول من حوله اسعافه وجدوه قد فارق الحياة !.. وبقيت السيارة الانيقة اليتيمة عنـد باب المستشفى تنتظر صاحبها ، فبـدت للأعين الدامعة كعربة الموتى بعـد أن أوحت منذ لحظات قصار أبدع الفكر عن أحلام الشباب !

***

وحسبنا ما أسلفنا من هذه المثلات فما نريد أن نمعن فى اثارة كوامـين الاحزان ولواعج الاشجان . ولـكننا بصدد التساؤل عن سر هذه المفاجآت وكيف تتعطل الالة البشرية نجاة فى مثل هذه الظروف المتناقضة . فهناك شخص ياتيه النذير وهو يكد فى سبيل الكسب .. وثان يقضى وهـو ينهك قلبه فى سباق الحب .. وثالث يسقط بينما يغلى دمه ويفور ..

واذا سمعت ان فلانا مات لساعته وهو سائر فى الطريق ، أو وهو جالس الى مكتبه يؤدى عمله ، أو هو يسير بين حجرات منزله او ارجاء حديقته أو وهو سائر فى الطريق ، أو وهـو جالس يستمع الى الراديو أو يتسامر مع خلانه أو أصدقائه .. فاعلم ، حفظك الله ، ان لذلك سببا واحدا ، وهو انسداد شريان القلب بوساطة جلطة دموية ، وهذا يحدث عـادة فى الذين تخطوا الاربعين من عمرهم اذا كان بشرايينهم تصلب نتيجة ارتفـاع ضغط الدم أو بسبب الشيخوخة ..

ومن المعلوم أن للقلب نفسه شرايين تمد عضلاته بما يلزمها من غـذاء واكسجين ، وهى عرضة لان تتصلب كبقية شرايين الجسم . ومتى تصلبت أصبح احتمال تجلط الدم على سطحها الخشن غير بعيد فاذا حدثت السدة الملعونة فى شريان القلب الاساسى ، فليس على المريض سوى أن يشهق شهقة واحدة مؤلمة ، قد لاتتكرر .. أو يضع يده على صدره ثم يميل براسه الى الامام دون لفظ أو ألم .. اما اذا كانت الاصابة فى فرع من فروعه فان المريض تنتابه الام حـادة هائلة تبدأ عادة فـوق القلب وتنتشر الى منطقة المعدة والكتفين وبخاصـة الكتف اليسرى ، ويصحبها ضـيق شديد فى الصدر حتى ليشعر المريض أن روحه تكاد ترهق ..

وقد يكون الالم كله مركزا فى منطقة المعدة فيضل المجرب وانت تسـمع

احيانا عن شخص شكا من ألم شديد فى بطنه فطلب جرعة ماء ثم مات قبل أن يرتشف منها نقطة واحدة .. او انه طلب قليلا من بيكربونات الصودا او ملح الفواكه وبعد أن شربها أبدى ارتياحا ثم تجشا أو حاول التجشؤ فخرجت الروح اثناء المحاولة ..

وهنالك حالات ينحصر الالم فيهما بالكتف اليسرى ، ومهما تنوعت الصور فهناك علامات مميزة ترشدنا الى التشخيص الصواب كاصفرار وجه المريض ، وشعوره بالضيق وصعوبة التنفس ، ودنو الاجل ، ثم اخيرا هبوط مستوى ضغط الدم ..

وتشفى نحو خمسين فى المائة من هذه الحالات ، وتبقى الخمسون الاخرى معلقة فى ميزان ليس بيدنا ضبطه ، غير ان النتيجة تتوقف على حجم الشريان المسدود والعناية الطبية الفائقة ..

ويجب ان نفرق هنا بين السدة القلبية ، والذبحة الصدرية .. فان الحالة الاخيرة تنشا عن تقلصات فى شرايين القلب تسبب الاما مضينة ، ثم لاتلبث ان تختفى بعد ثوان او دقائق لتعود ثانية بعد ساعات او ايام او شهور او سنوات ، وهى فى ذاتها يندر ان تسبب الموت الفجائى ، ولكنها بمثابة انذار للمريض ان دورته الدموية وبالتالى حياته فى خطر شديد ، اذان حدوثها يدل على وجود تصلب فى شرايين القلب او ارتفاع فى ضغط الدم او اصابة زهرية فى القلب والشرايين الاساسية كالاورطى ..

***

ويجدر بى هنا أن أنبه القارىء الا ينزعج لكل ألم ينتابه فى تلك المنطقة الحساسة ، اى مافوق القلب وبين الكتفين ، فكثيرا ما يكون الالم ناتجا عن روماتيزم عضلى أو مفصلى ، فهذا المكان من الجسم أكثر اجزائه تعرضا لتيارات الهواء لأنه فى الغالب أقلها غطاء وبخاصة فى فصل الصيف حين يكثر العرق ويلذ للانسان ان يمشى عارى الصدر او يجلس أمام نافذة مفتوحة ..

والذى يسوق عربته بنفسه ماأسهل أن تتعرض كتفه اليسرى دون اليمنى للفحة الهواء تنفذ من الخارج خلال الزجاج المفتوح فتنشأ عن هذا الام روماتيزمية ، فى عضلات الكتف أو مفصله فتتوهم الضحية ان مابها بداية ذبحة صدرية او انذارا بقرب حدوثها .. أما الام الصدر العضلية فتكون عادة على جانبى عظمة القص او بين الضلوع سواء فى ذلك جهة اليمين او اليسار . ويسبب الضغط على موضع الالم مضاضة تثبت أن الالم عضلى لا اكثر ..

اما الم الذبحة فيكون فى الغالب خلف عظمة القص ، وقد يبدأ فى منطقة المعدة ، ويصحبه انقباض شديد فى الصدر نميزه عن غيره من الالام ، ويبدو الم الروماتيزم العضلى بجانبه كلعب الاطفال .

فاذا انتابتك الام من هذا القبيل فلا تجزع ولا تيئس ، وفسرها على اهون الاحتمالات فقد يكون ماتشكو منه لا يعدو ان يكون وعكة طارئة ، لاتلبث ان تزول .. فاذا كان الزائر الثقيل ما توقعت وشعرت بالدنيا تميد وبالارض تكاد تنفتح لتاخذ بيدك الى السحيق المجهول ، فكن شجاعا فليس لنا فى تلك اللحظة من امرنا شيئا ، فقط لا تنسى ان تذكر شهادة لا اله الا الله . .

حقيقة قنبلة النيترون

تصدر الموت فى ورق سوليفان

● اثار قرار الرئيس « رونالد ريجان » رئيس الولايات المتحدة الامريكية بتصنيع « قنبلة النيترون » ردود فعل واسعة النطاق ، سواء على المستوى المحلى او المستوى العالمى ٠وانقسم العالم بين مؤيد ومعارض

تمثل المؤيدون فى جماعة العسكريين الذين يرون أن صنع قنبلة النيترون يؤدى الى « القتل النظيف » او القتل مع استعمال الرحمة والرأفة ٠ ويقصدون بذلك قتل الانسان فى ثوان معدودة دون تعرض المعدات والآليات والمبانى والمنشآت الى اى تلف يذكر ٠ حيث أن قنبلة النيترون ـ اذا ما اطلقت تكتفى بتنظيف المكان وكنسه من أى كائن حى يذكر ٠ وهذا فى حد ذاته ـ وفى رأيهم ـ أرحم بكثير من الاسلحة التقليدية التى تفتك بكل شىء فلا تبقى ولا تذر ، فتدمر كل ما تقع عليه ٠ بل وتجعل الانسان نفسه يعانى آلاما مبرحة فى سبيل موته ٠

أما المعارضون فهم كل من ينادى بحقوق الانسان فى أن يحيا على الارض فى سلام ، وبالتالى فهم مع السلام وهم معارضوا الحرب ٠

● وتتلخص قصة « قنبلة النيترون » فى استفادة العلماء من خاصية النيترون المتميزة وهى قدرته على اختراق معظم المواد الموجودة فى الكون دون أن يصطدم بشىء أو يبطىء من سرعته ، ويتم ذلك دون أن يفقد جزءا من طاقته التى انطلق بها ٠ والمعروف أن النيترون هو من جسيمات الذرة التى لا تحمل شحنات كهربائية وليست له تكلفه ٠

● هذه الخاصية جعلت عالما يهوديا امريكيا اسمه صموئيل كوهين يتمكن فى عام ١٩٥٨ ابان رئاسة ايزنهاور لامريكا ـ من وضع الصيغة الاساسية لقنبلة تقتل الكائنات الحية دون ان تدمر أى شىء من الموجودات الاخرى ٠

وواصل ابحاثه الى ان تمكن من وضع الصيغة النهائية لما اطلق عليه قنبلة النيترون او « كوكى كاتر » فى الاعوام القليلة الماضية ٠ مما جعل علماء الذرة يطلقون على كوهين الاب الروحى لقنبلة النيترون ٠

● تقوم فكرة قنبلة النيترون على الاندماج النووى بين « الايترون » المكون من بروتون واحد ، ونيترون واحد مع « التريتريوم » المشابه للهيدروجين ووزنه الذرى ٣ ٠

وينتج عن هذا الاندماج انطلاق « نيترونات » ذات طاقة عاليه جدا تعادل ١٤ الف مليون الكترون فولت ٠ تخترق كل ما يصادفها دون أن تحدث به ضررا لكنها تقتل كل كائن حى بداخله سواء أكان انسانا أم حيوانا ٠

وهذه الكمية من النيترونات تجاوز الآف المليارات فى السنتميتر المربع الواحد من مكان اطلاقها : وتقل مع بعد المسافة ٠

فعلى مسافة ٥٠٠ مترا مثلاتكون الكمية ثلاثين الفا من النيترونات فى السنتميتر



قنبلة النيوترون : خطر على البشرية .

المربع الواحد.. وعلى مسافة ١٥٠٠ متر تكون الكمية ١٢٠٠ نيترونا في السنتيمتر المربع الواحد . اما على مسافة ٢٠٠٠ متر تكون ٧٠٠ نيترونا في السنتيمتر المربع الواحد .

ومن المعروف ان ٦٠٠ نيترونا تكفي لابادة كل كائن حي يصادفها .

والمصاب بالنيترونات يشعر وكانه مصاب بمرض الانفلونزا الشديدة كما يشعر بآلام حادة في امعائه . فيتقيا ويصاب باسهال شديد ثم في لحظات ينتهي كل شيء ..

● وقنبلة النيترون يمكن اطلاقها بسهولة سواء بواسطة المدفعية أو الصواريخ . كما ان وزنها خفيف اذا قورن بغيرها من الاسلحة الذرية اذ يبلغ ٢٠٠ كيلو جرام .

ولا تختلف قنبلة النيترون عن القنابل الذرية في الوزن فقط وسهولة الاطلاق . بل وفي مدى التاثير ونوعيته .

فالقنبلة الذرية العادية تنفجر في حدود ٨٠٪ وينتج عنها طاقة حرارية وحرائق تصل الى النسبة الباقية وهي ٢٠٪ .

وعلى العكس تكون القنبلة النيترونية حيث أن قوة انفجارها ٢٠٪ فقط وتصل الطاقة الحرارية الناتجة عن الانفجار ٨٠٪ . وتكون قوة الاعصار والحرارة الناتجة ذات تاثير ضعيف وفي حدود ٣٠٠ متر فقط .

● ويعتمد انتاج قنبلة النيترون على مادة « الليثيوم » ويصل سعر الجرام منه الى ٨٠ الف دولار باسعار عام ١٩٨٠

والقنبلة الصغيرة عادة ما تحتوي على عشر جرامات من هذه المادة في أقل تقدير فيصل ثمنها بالتالي الى ٨٠٠ الف دولار بخلاف المواد الاخرى التي تحتوي هذه الكمية وما يتقاضاه العلماء وما تتكلفه المعامل .

● وللوقاية من اخطار مثل هذه القنبلة احدى أنواع القنابل النيترونية سهولة ويسر ، يكفي ملجا من التراب يكون ساتره في عرض ٣ امتار . لان التراب يعرقل سير النيترونات ويحد من امكانية فاعليتها .

● ولذا فان احدث صيحة في عالم الدمار هي صنع قنبلة السحابة التي تحلق فوق المدينة المراد تدميرها . هذه القنبلة احدى انواع القنابل النيترونية المتطورة . وهي تمتاز بانها لا تحدث انفجارا ولا ينتج عنها طاقة حرارية . وتفتك بالكائنات الحية على المدى الطويل عندما يستنشقون الاشعاعات القاتلة من السحابة التي تظللهم .

● عاطف فرج ●

شاطئ الفيروز!

● محمود العتريس ●

جئتُ أُحَيِّي البلدَ الطيِّبــا
وأحملُ الشوقَ لهُ ، مَوْكبــا
وأمدح الأرضَ التى طالمــا
أهدَتْ إلى أفْق السَّنا كوكبا
وكيف لا أمدحُ مِلءَ المَدَى
مهدَ الطفولات ورَوْض الصِّبَا
وكيف لا يَحْفل شِعْرى بمَن
كانت لىَ الأمَّ ، وكان الأبـا
يا بلدا يذهبُ بى عشقُهُ
عمرا ، ولا أخشَى له مَذْهبــا
والله ، لولا قسْمةٌ قُدِّرت
لاخترتُك المشرق والمَغربا

***

لا تسألونى عن حكاياته
هذا الأديمُ السندسى الربَّـا
وشاطِىء الفيْروز ، لَمَّا حَنَتْ
أمواجُه ، والرَّمْل لما صَبَا
وتلكُم الأنسامُ قد عَطّلت
كل حديث عن نَسيم الصَّبَا
وذلك الفارسُ فى قوْمه
لا يرتضى دُون الذرَى مأربــا

مطروحُ كم أنجبْتِ من روْعَـةٍ
بثورَكتِ يا أروعَ من أنجبـا !

***

جئنتُ ، وكم جئتُ ، ويـاليتني
أحضرتُ من عمْـري ما غيّبـا
لكنّها الأيامُ تطـــوي المُنى
وتأكلُ اليـابسَ والمُرْطّبـا
مضى شبابُ العُمرِ يا بـلدتي
وأوْشكَ الجـدولُ أن ينضبا
لم تبقَ إلاّ ذكـرياتُ الفتى
يجترّها الشيخُ شـذىً طيّبـا
يصافحُ التّربَ بأنفاســــه
والدارَ والشـاطئَ والملعبَـا !

***

مطروحُ ـ عفواً أنّني عاشِــقٌ
وليسَ للعاشقِ أن يُطْنبَــا !
حسْبي من الأيـامِ يومـاً بـه
أهبطُ واديكِ وأعلـو الرُّبَا
وأسبحُ الأمواجَ ، مُسـترجعاً
ما سوّدَ الدهرُ وما خضّبـا
وأحمدُ الأرضَ التي طالمـا
أهـدَتْ إلى أفقِ السّنا كوكبا

[أُلقيت في حفل (مرسى مطروح)
بمناسبة عيدها القومي]



● د . طه وادي ●

ـ ولد يا عادل .. اذهب الى السبورة
تلفت حولى فاذا مائة عين تنظر لى نظرات مختلفة . فى السنة الاولى ثانوى خمسون تلميذا وتلميذة والاستاذ مدرس الرياضة .

ـ لم يا استاذ ؟
ـ حل المسالة الخامسة على السبورة .
ـ لم اعمل الواجب .
ـ لهذا اطلب منك ..

هو الذي يفهم ، يريد مني انا الذي لا افهم ان أحل المسالة ؟ المسالة صعبة . ومن أجل تحديك كرهت الرياضة . لم لا تقولها بصراحة .. لن آخذ درسا خصوصيا .. أبى فقير .. هذا ليس ذنبي .. ولا ذنبه !.

معظم الفصل يأخذ عندك درسا .. بجنيهين في الشهر أو كيلتين من القمح أو الارز . نفسك حلوة يا افنديا . تمنيت ان آخذ درسا لكي أرى امرائك الطيبة تتودد الى التلاميذ طالبة بعض اللبن أو البيض أو الذرة الخضراء .

أفقت من شطحاتي على المدرس ينهال على ضربا وشتما : انت حمار .. ولا تفهم شيئا !

ضحك بعض التلاميذ ،وسكت الآخرون نظرت الى السبورة ، بجوارها خريطة لافريقيا مائلة . والمسمار الذى يحملها يكاد يسقط .

ـ لماذا انا حمار يا استاذ ؟

انفجر معظم التلاميذ فى الضحك . كاد الصوت يصل الى حجرة الناظر . ادرك المعلم ان الزمام يفلت من يده ،صاح في عصبيه وهو يلوح بعصاه :

ـ كل واحد يفتح الكراسة ويحل الاسئلة صفحة ٧٥ .

تحجرت الدموع في عيني ، لو بكيت .. ماذا تقول عنى التلاميذ ؟ نجلس ثلاثة في مقعد واحد . قال طارق هامسا:

ـ تحمل يا عادل .. سوف نقدم شكوى الى الناظر .

حول الطبلية تجمعت أسرتنا الحزينة: الوالدان وستة من الابناء يتسابقون في خطف الطعام . لاحظ الاب أني لا أكاد أشارك فى الاكل .

ـ هل أنت مريض ؟
ـ أريد أن آخذ درسا في الحساب .
ـ نعم ، يا بنى ؟؟

نظر الى أمي وبقية اخوتي بعد أن رمى اللقمة من يده :

ـ يعجبك هذا يا نفيسه .. ابنك غبي مثلك .

نظرت اليه الأم فى حيرة . والى في شفقة ..

ـ طول بالك يا اخى حتى نعرف الحكاية من الولد .

ضيق شديد يملأ صدرى .انسللت من الصالة في هدوء ، عزة أختي الكبرى جاءت مسرعة ورائي :

ـ مالك يا عادل ؟ قل يا حبيبى .. انا أختك .

ـ المدرس يضطهدني كل يوم كي آخذ درسا عنده .

ـ لا تزعل يا عادل ، أبوك معذور ، نحن أسرة فقيرة .. وأبوك وحده هو الذي يعمل ..

احتوتني عزة بين يديها ، كانت اما في الخامسة عشرة ، اخذت تمسح دموعي بطرف جلبابها .. لم تدخل المدرسة ، لكنها تفيض حنانا . يبدو ان الله يعرف ان امي لن تفهمنى فعوضني بهذه الاخت الحنونة . بكيت .. غير ان الدموع لم تخفف همومى . شعرت فى النهاية انى احمل الاخت المسكينة فوق ما تحتمل . احسست برغبة فى الخروج ..

ـ الى اين يا حبيبي ؟
ـ احضر كتابا من طارق .

بالطبع كنت أكذب عليها ، لاني

لا اعرف الى أين سوف أتجه • في الطريق لا أكاد أرى شيئا ونحن في النهار • حين يكون الانسان •• لا يرى ، لا يسمع ، لا يفهم ، كيف يفهم من لا أحد يفهمه ؟!

ذهبت الى الحقل وجلست وحيدا تحت الشجرة ، لكن دخول الظلام جعلني أحس برهبة • حاولت أن أقترب من العائدين من الحقول حتي لا أشعر بوحشة • لمحت اسماعيل العامل الزراعي عائدا من حقل العمدة • أقسم علي أن أركب معه على حماره • حاول أن يكلمني لكن احساسا بالمرارة جعلني لا أستطيع الرد عليه •

ـ اسمع يا عادل ، لازم تصبح طبيبا •• البلهارسيا يا ابني دوختني •• ان شاء الله لن يعالجني الا أنت !

ابتسمت ساخرا :

ـ ما زلت في السنة الاولى يا عم اسماعيل •

ـ الايام تمر سريعا • فقط قل ان شاء الله •

أعطاني هذا الرجل البسيط من الامل ما جعلني استعيد الثقة في نفسي • وصلت الى القرية بينما عبد الحي الجزار يمسك جاموسة ألبسها منديلا أحمر ، في أطرافه ورود مزركشة ، ينادى ليعلم الناس انه سوف يذبحها غدا •• والاطفال حوله يرددون :

يا سواح •• الدهن ساح !

تمنيت قطعة لحم وطبقا من الفتة •• تذكرت انه بقى على العيد ثلاثة شهور •

اليوم يبدأ التحدى •• سأذاكر ولن آخذ درسا • قبل أن اذهب للمذاكرة فكرت في أن أمر على زميلتي مايسة ، كانت ترقب الموقف بيني وبين المدرس في حيرة • هذه الفتاة تنظر الى نظرات حالمة ، تأتى كثيرا لزيارة أختي • قلبى يقول لى انها تأتى من أجلي أنا ! ••

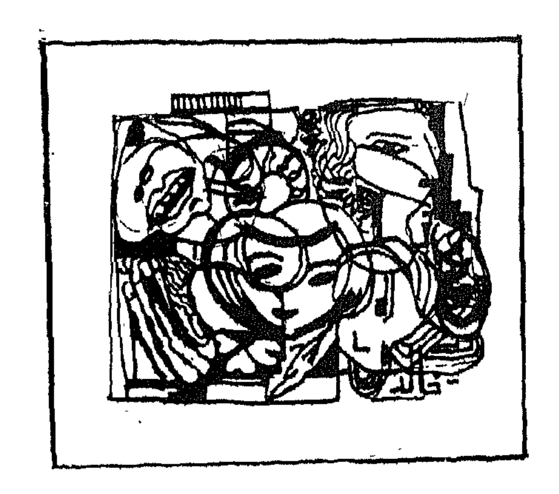
ـ اعطنى بقرش لبان ياعم شفيق •

ـ القرش أولا •

ـ عندما يأتى أبى •

ـ تعال بعد أن يعود •

حائرا وقفت بجوار الدكان • يارجل يا دون نشتري منك كل شيء ، ومع ذلك لا تتغير أبدا ، مثل اليهود ياعم شفيق أول مرة تدخل قلب التاجر الرحمة •



أعطاني ملبسة • لن اذهب الى مايسة ويدى فارغة •• ساعطيها الملبسة ، وأشكو لها الزمان المر •• تصورى يا مايسة مدرس يستغل تلميذا • ورجل يتحدى صبيا • لذلك أكره الرياضة من أجله •• أخشى أن أكره المدرسة كلها • لكنى ساحاول رغم ان المدرس يتحداني • وأبى لا يعذرني • وامي لا تفهمني •• والبقال لا يبيع لى !

ـ عادل •• تعبت من البحث عنك !

ـ لم ؟

ـ قابلت الآن اسامة وحازم وشريف • وهم مصممون على كتابة شكوى وتقديمها الى الناظر •

ـ كيف نشكو احمد الى أم احمد ؟

ـ ماذا ؟

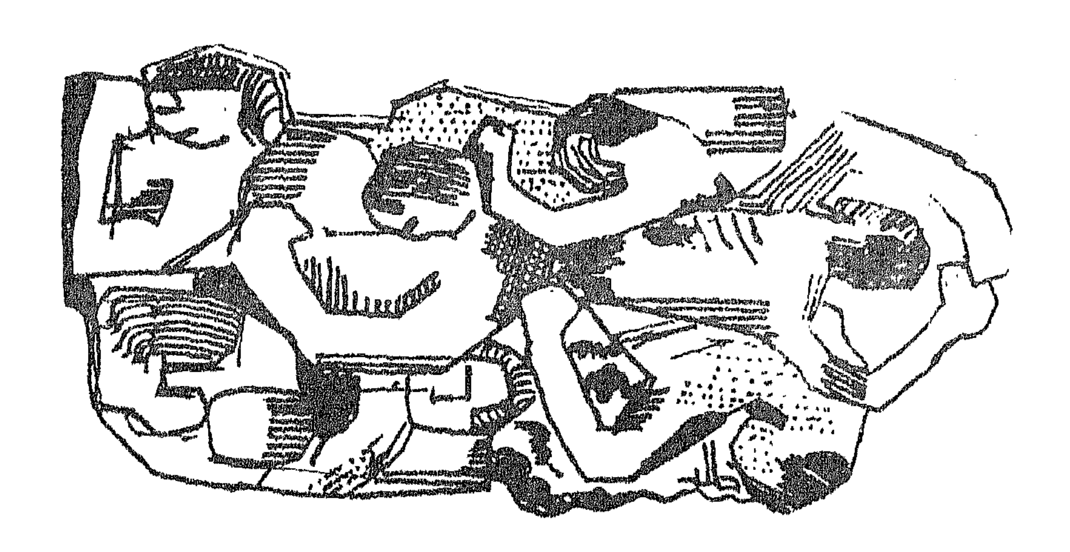
ـ لن يفعل شيئا •• انه من القرية ويعرف ما يفعله كل مدرس •

ـ ماذا ترى ؟

ـ أجمع الزملاء عند المدرسة وسوف أحضر بعد قليل •

نظر الى نظرة فيها بعض شك ، لم أبال •• تحسست حبة الملبس في جيب جلبابي ، مضيت كأني أحمل جوهرة الى ست الحسن والجمال • ماذا أقول لمايسة ؟ •• أى شيء •• سوف أنسى معها كل عوامل التحدى •• لا شيء يجعلنا عظماء سوى أمل عظيم •

اقتربت من دار مايسة • قلبى ينبض بشدة • شبح يقف خلف الدار • مايسة



ومعهــا ابراهيم ابن ناظر المدرسـة ٠ ارتعشت مفاصلي ٠ سحب أمام عيني ٠٠

ـ مساء الخير !

ـ أهلا يا عادل ـ رد ابراهيم في هدوء

لم تلتفت مايسة الى ، يبـدو انهـا تضايقت لوجودى ، كأنها لا تعرفنى ٠٠ لم ترنى من قبل ٠ لفة تفوح منها رائحة البسبوسة « والمشبك » فى يدها ٠ قلت حتى أدارى خجلي :

ـ يمكن أن آخذ كراسة الرياضة ؟

ـ لم أعمل الواجب !

ما زلت اظن انه يمكن النفخ فى قربة مقطوعة :

ـ هاتي كتاب اللغة الفرنسية المساعد

ـ أمي قالت لا تعطى كتبك لاحد !

أحسست اني أتضاءل داخل نفسى ٠ عدت والعرق البارد يتصبب من جبينى ٠ انتفض الطائر الجريح فى صـدرى أمسكت به فوجدت الملبسة ٠٠ قذفتهـا باقصى ما اقدر عليه !

مرارة تسرى فى فمى ٠ تجمعت فى راسى الصغير كل مواقف الاحباط ٠ بصـقت فى كل اتجاه ، لكن المرارة لم تجف من حلقي ٠ كان الظلام يلف القرية ٠٠

تمنيت أن أهد القرية وأن أعيد بناءها من جديد ، قـرية جـديدة ٠٠ لا ظلم ! لا فقر ! ٠٠ لا خداع !

لن اكون وحـدى ٠٠ فاليد وحـدها لا تبنى شيئا ٠ تذكرت اصدقائى الذين ينتظرون :

ـ انشغلنا عليك يا عادل ـ قال اسامة

ـ آسف ٠٠ كنت مشغولا !

ـ اتفقنا على كتابة شكوى وتقديمهـا للناظر ٠٠ قال طارق ٠

ـ لن نكتب ، سـنتحدث ٠٠ انا صاحب حق ، المدرس لا يشرح ولا يكف عن الضرب والشتم ٠

ـ لم تقل هذا اليوم

رد شريف ٠

ـ اليوم انتهى ٠٠ وغدا يبدأ التحدى ٠

ـ غدا سنخرج من الطابور الى حجرة الناظر ، لن يدخل تلميذ أو تلميذة الفصل ٠٠ قال طارق

عدت الى البيت وحيدا ٠٠ كنت احس ان فصل اولى ثالث كله معى ٠٠ حين يجد الانسان شجاعته لا يكون وحده ٠٠ المهم البداية الصـحيحة ٠ تذكرت ان عـزة تنتظرنى ٠٠ تخيلت عم اسماعيل يقول فى ثقة :

ـ نحن فى انتظارك يا دكتور ! ●●



ذو القرنين والإسكندر الأكبر

بين الكتب السماوية وأساطير القدماء وقصص الأنبياء ووثائق التاريخ

● د . سيد كريم ●

● قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : ((ويسالونك عن ذى القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا . انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا . حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا . ثم اتبع سببا . حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا . كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا . ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك مخرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا . وقال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى افرغ عليه قطرا فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا .)) .

(سورة الكهف)

ويرد فى سفر الانبياء والعهد القديم « أنه كان ملكا مكنه الله فى الارض وأعطاه سنن تسخير بعض طاقات الكون ، وآزره بجند من السماء حتى بلغ مشرق الشمس وأخضع أقوامها السبعة واخرجهم من الوثنية وعبادة النار الى عبادة الآله ·

كما وردت قصة الاسكندر الملقب بذى القرنين فى كتب قدماء مؤرخى العرب والاغريق والمصريين القدماء بمالا يختلف كثيرا عما ورد فى الكتب السماوية ·

● ورد ذكره فى كتاب « قصص الانبياء » لابى أسحق الثعلبى فى القرن الرابع الهجرى « فى وصف مسيرة ذو القرنين الى البلاد والافاق» ـ بقوله :

كان ذو القرنين من رجال الروم وابن حكيم من حكمائهم ، وقال اكثر أهل السيرة ان أسمه الاسكندر بن هرمس ابن يافت وينتهى نسبه الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ·

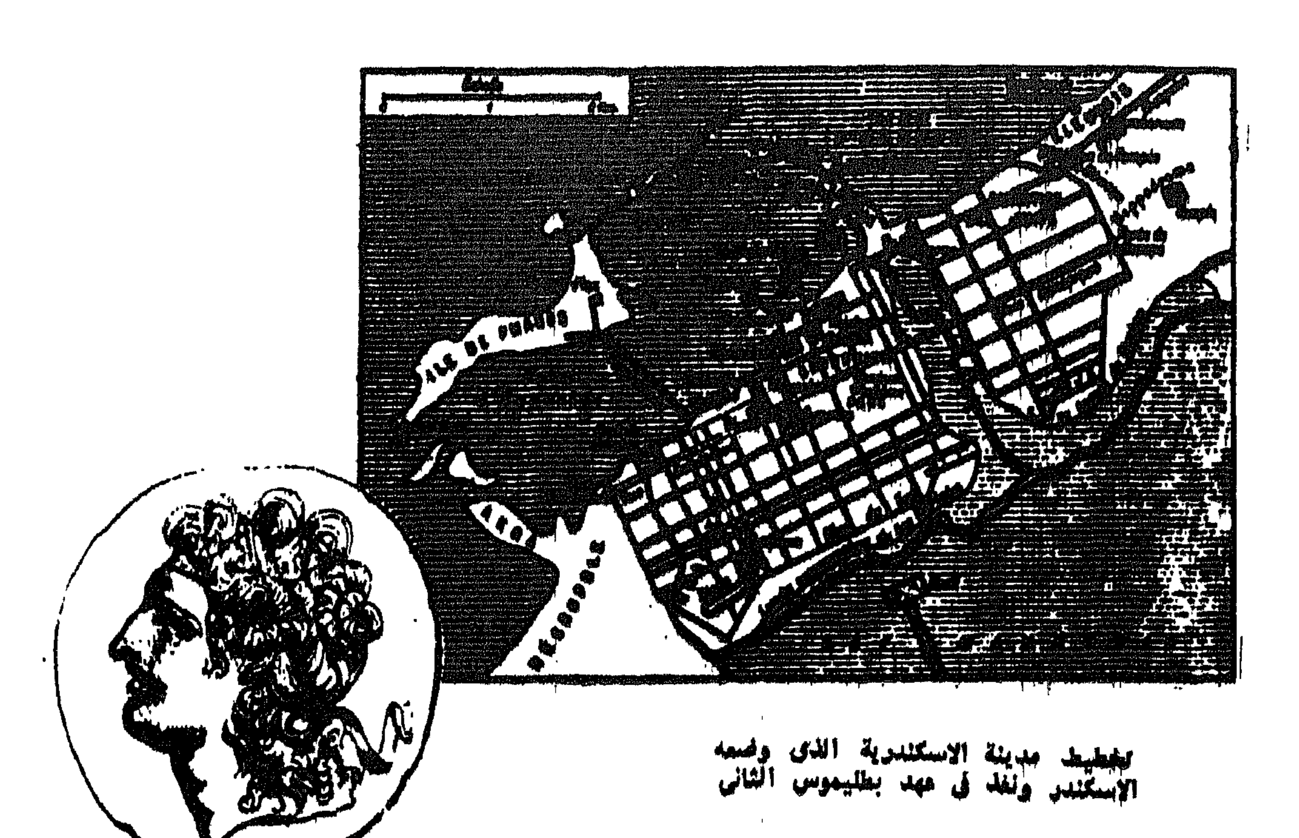
قالوا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره ، أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم ، وهذا تأويل رؤياك · وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السنتهم · منهم امتان بينهما عرض الارض ، وأمتان بينهما طول الارض ، وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج ··

وقال ذو القرنين آلهى ، انك قد نذرتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليهم بأى قوة أكابرهم ، وبأى جمع وحيلة أكاثرهم · وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم · وكيف لى أن أفقه لغاتهم وبأى سمع اسمع اقوالهم · وبأى نصر ألقذهم ، وبأى حجة أخاصمهم · وبأى عقل أعقل اليهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم · وبأى يد أسطو عليهم · وبأى رجل طئوهم وبأى طاقة احصيهم وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أؤلفهم · وليس عندى يا الهى ما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم ، وأنت الرؤوف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ، ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها ··

قالوا ـ فقال تعالى : سأشد لك عضدك فلا يفوتك شىء ، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شىء ، وأشد لك يدك فتسيطر على كل شىء ،وسأسخر لك النور والظلمة

مدينة الاسكندرية فى عهدالاسكندر واتصال موقعها بكل من الفرع الكانوبى لنهر النيل وبحيرة مريوط وأسوار المدينة





تخطيط مدينة الاسكندرية الذى وضعه الإسكندر ونفذ فى عهد بطليموس الثانى

واجعلهما جندا من جنودك .

يهديك النور أمامك ، وتحوط بك الظلمة من ورائك ..

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والح عليه رجال قومه بالمقام فلم يفعل ، وقال لابد من طاعة الله .

وسار بجنوده كما امره الله حتى بلغ مغرب الشمس فوجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى ، وقوه وباسا لا يطيقه الا الله تعالى . وراى السنة مختلفة واهواء مشتبهة ..

فلما راى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ..

ثم اخذ عليهم بالنور ، ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فغشتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فصاحوا وتحيروا وآمنوا بقوة ربه فانضموا تحت لوائه ، فجعلهم جندا واحدا ، وانطلق بهم يقودهم والظلمة تحرسهم من خلفهم والنور أمامه يقوده ويدله .

وكلما سار مسترشدا بالنور الذى يقوده ازداد عدد جنده ممن كانوا أعداءه الذين أخرجهم من الظلمة الى النور ، وصل الى الامة التى فى قطر الارض ويقال لها هاديل ، وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله حتى اذا انتهى الى بحر أو نهر ، هيأ سفنا من الواح صغار مثل النعال فيلحمها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم والجنود اذا بلغ البحار والانهار ، وفتقها ، ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل

ولما فرغ منها مضى على وجهه حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس فعمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها ، حتى اذا بلغ ما بين السدين ، ارض ياجوج وماجوج ، وهم خلق من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس ، وهم اشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش ، ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض .

وليس لله خلق ينمون نماءهم ، ولا يزدادون كزيادتهم ، فان أنت اطلعت على نمائهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملؤن الارض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها ..

فبنى ذو القرنين بين أرض مشرق الشمس وأهل ياجوج وماجوج سدا أو حاجزا كالحائط من الحديد المصهور



جنود الاسكندر يغزون بلاد فارس ومطلع الشمس

وكساه بالنحاس ، ويبلغ طول السد مائة فرسخ وارتفاعه خمسون فرسخا سد به به الممر بين الجبلين • وكانت أرض السدين آخر البلاد السبعة التي أمره الله ببلوغها •

● كما وردت قصة ذى القرنين فى « سيرة الانبياء وأخبار القدماء » التي رواها ابن عباس في مجلس معاوية عندما سأل كعب عن نزول ذى القرنين فى بلاد ما بين النهرين التي وردت الكتب السماوية واساطير القدماء - فقال كعب:

قد كان ذو القرنين قبل مسلما
ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى
أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها
فى عين ذي خلط وساط حرمد

قالوا ، وتوجه من المغرب بعدد قليل من جنده يؤازرهم عددلا يحصي من جنود الله توجه بهم نحو المشرق ، فدانت له البلاد ، فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران ، وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان ، وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ، ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد

وروى انه استولى على ذهب المجوس ، وبنى سبع مدائن فى ارض المشرق منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو سمرقند ، ومدينة بأرض أصفهان بنيت على مثال الجنة ، ومدينة بارض بابل لزوجته روسنك بنت داراالفارسي ومدينة الاسكندرية على ارض مصر التي خرج منها •

ثم انه رأى فى منامه انه أخذ بقرني الشمس ، ورأى فى منامه انه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا تحرسه عناية الله •

وعندما استتب له الملك وخضعت له الامم السبعة أمره الله بالعودة الى دومة الجندل وكانت منزله ، فاقام بها حتى مات وحمل الى آمه بالاسكندرية ودفن هناك •

وقالوا لما مات ذو القرنين عرض الملك على ابنه اسكندروس فأبي واختار النسك والعبادة •

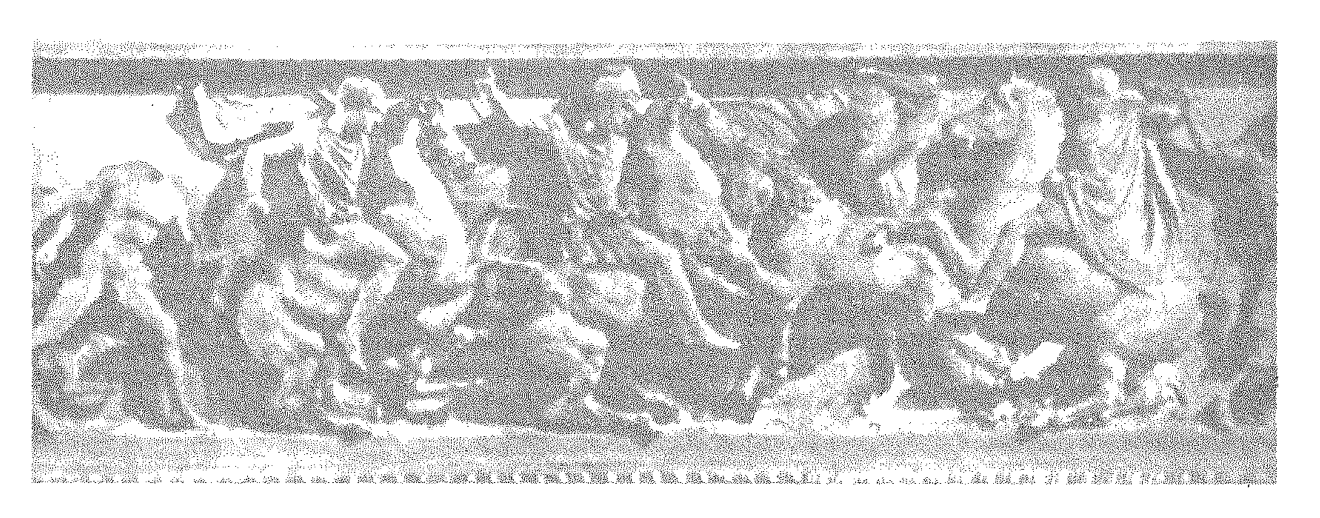
● الاسكندر الاكبر ومؤرخوا الفراعنة ●

ورد تاريخ الاسكندر الاكبر الذى خرج من مصر حاملا معه لقب ذى القرنين فى برديات بطليموس الاول وقوائم مانيتون، ووثائق كل من سترابون وكليمانئوس السكندرى ••

ويمكن تلخيص قصة حياته التي وردت فى تلك الوثائق التاريخية كما يلي :

ولد الاسكندر المقدوني فى مدينة بيلا بمقدونيا في شهر يوليو من عام ٣٥٦ ق•م • واشتهر ابوه فيليب الثاني العظيم بفتوحاته المشهورة التي اخضع بها اثينا واسبرطه وشرق البحر الابيض ، وقد اشرك ابنه الاسكندر منذ طفولته فى الاعمال العسكرية • ثم وضع خططه للزحف على بلاد الفرس لاسترداد ما استولوا عليه من املاكه على شاطىء آسيا الصغرى عندما حاولوا غزو بلاده •

ولكنه قتل عام ٣٣٦ على يد أحد النبلاء المقدونيين المدعو يوسنياس بعدما عد العدة لغزو بلاد الفرس • وخلفه ابنه



الاسكندر ليحقق أمنيات أبيه • فاكتسب بين عظماء الفاتحين اسما خالدا بما قام به من أعمال أسطورية • كانت سنه عند توليه العرش عشرين سنة •

كان أرسطو قد باشر تربيته منذ الثالثة عشر من عمره ودرس الفلسفة والادب والهندسة والرياضيات على يد مجموعة من اساتذة وحكماء الاغريق • وشب متشبعا بالحضارة المصرية التى تلقنها عن استاذه ارستوتل الذى درس مع افلاطون فى جامعات مصر القديمة ومعابدها واعتنق الديانة المصرية القديمة وعقيدة توحيد زيوس آمون قبل حضوره الى مصر •

وفى عام ٣٣٤ ق٠م زحف بجيشه نحو آسيا الصغرى فعبر البوسفور والدردنيل وهزم جيش فارس واستولى على المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغرى ، ثم التقى بالفرس مرة أخرى بقيادة دارا الثالث فى معركة افسوس ، ثم اتجه جنوبا وأخضع المدن الفينيقية واستولى على مدينة صور •

ولسبب غير معروف ـ كما ذكر المؤرخون ـ غير خططه ، فبدلا من تعقبه لدارا لغزو بلاد الفرس أمر جيوشه بالتوجه غربا نحو مصر • وكانت مصر اذ ذاك تحت حكم الفرس •

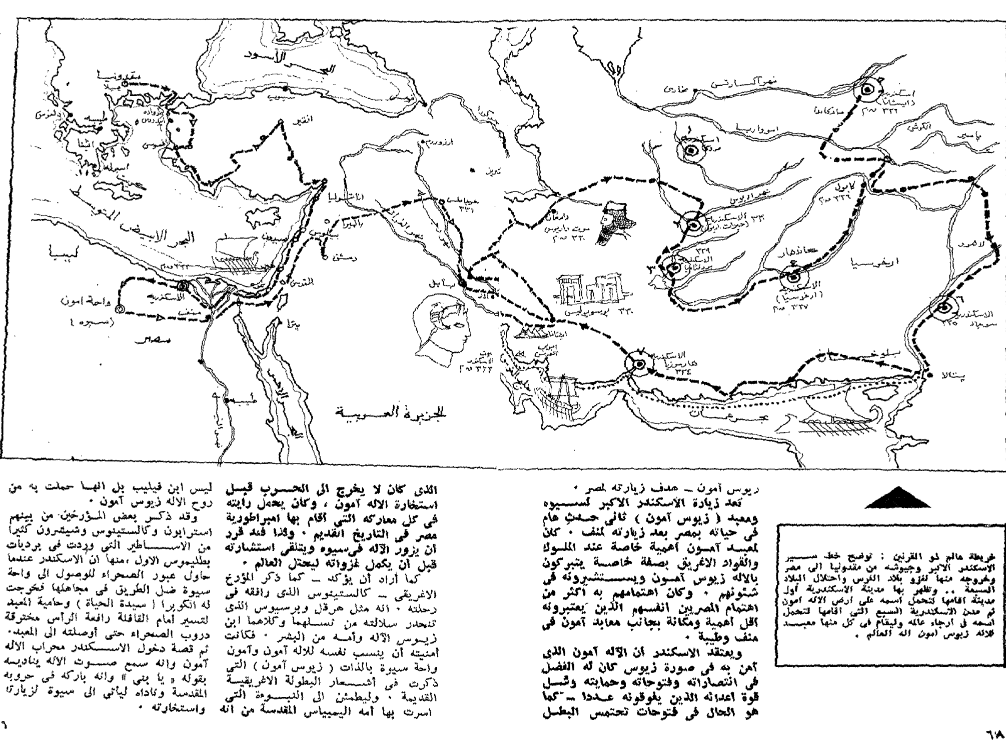
دخل مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق٠م ولم يجد أية صعوبة أو مقاومة عنددخولها فقد كان المصريون ساخطين على الفرس حتى انه لم يجد أبوابها مفتوحة فحسب بل وجد ان المصريين قد انضموا اليه لتحرير بلادهم من المستعمر الفارسى الذى كان يحارب عقائدهم ويخرب معابدهم ، بينما فوجئوا بأن الاسكندر يؤمن بعقيدة الاله زيوس آمون اله مصر وبلاده ، ويعتبر نفسه من أبناء الاله الذى لم يأت لغزو مصر بل لتحرير معابدها من نير الفرس •

فكان أول عمل قام به أن توجه بأسطوله من قناة السويس الى منف حيث اعتنق الديانة المصرية وقدم قربانا للاله آمون ، كما اعتنق كثير من قواده الديانة المصرية ، وأقام الحفلات الرياضية والموسيقية احتفالا بتتويجه ، وأحضر من بلاد الاغريق أشهر المغنيين والمغنيات ، وبدلا من فرض الجزية التى كان يقوم بها المستعمرون والغزاة ـ قدم الهدايا والمعونة السخية لاهل البلاد ، والقرابين للمعابد وكهنتها ، مما جمعه من البلاد التى قام بغزوها وهو فى طريقه الى أرض مصر ، وأمر بأصلاح ما خربه الفرس من معابد المصريين ••

ومن منف اتجه بجيشه برا نحو الجنوب حتى وصل الى الشلالات فقام بزيارة الكرنك وقدم هو وقواد جيشه القرابين للاله أمون وزار معبد تحتمس الثالث القائد البطل وسجل زيارته وتقربه الى الالهة التى نصرت تحتمس فى حروبه وغزواته على جدران المعبد وكان يعتبر تحتمس الثالث مثله الاعلى فى العسكرية والبطولة •

وعند عودته الى منف انتقل منها عن طريق فرع نهر النيل الكانوبى الذى يصب عند الاسكندرية فى بحيرة مريوط ومنها اتجه الى واحة سيوه لزيارة معبد







خريطة عالم ذو القرنين : توضيح خط سير الاسكندر الاكبر وجيوشه من مقدونيا الى مصر وخروجه منها لغزو بلاد الفرس واحتلال البلاد المسمة .. وتظهر بها مدينة الاسكندرية أول مدينة اقامها لتحمل اسمه على ارض الاله امون ثم مدن الاسكندرية السبع التي اقامها لتحمل اسمه في ارجاء عالمه وليقام في كل منها معبد للاله زيوس امون اله العالم .

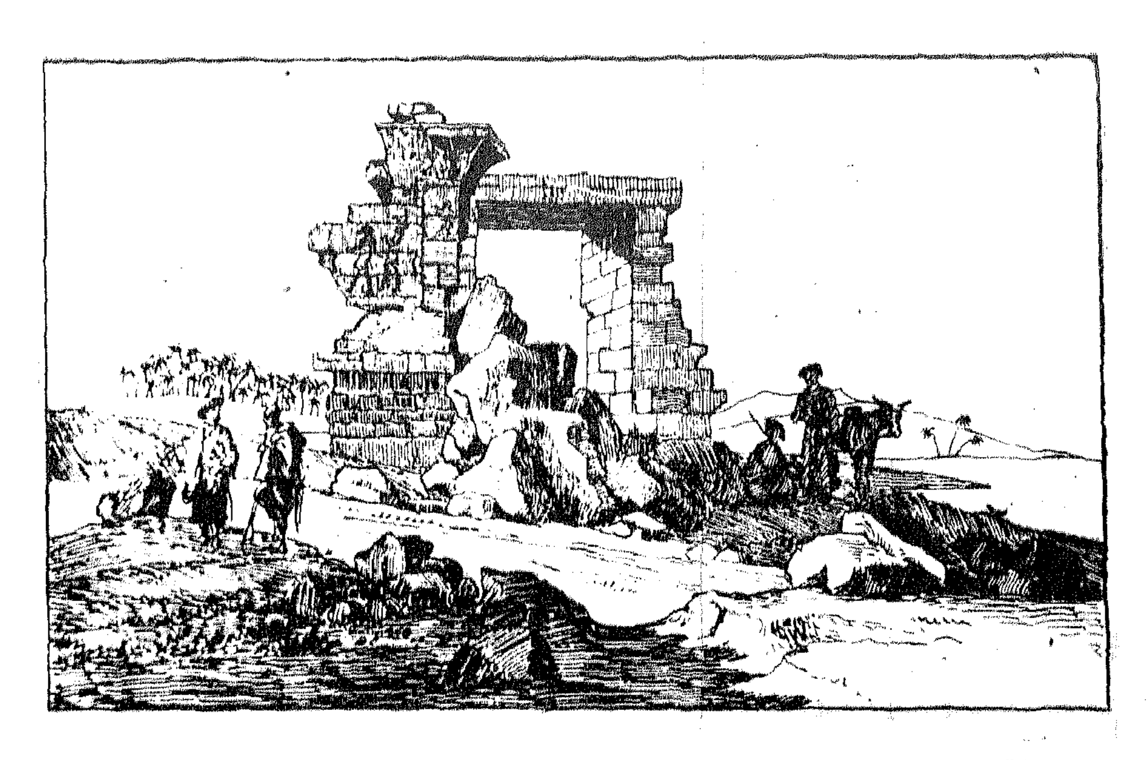
زيوس آمون ـ هدف زيارته لمصر .

تعد زيارة الاسكندر الاكبر لسيوه ومعبد (زيوس آمون) ثاني حدث هام في حياته بمصر بعد زيارته لمنف . كان لمعبد آمون اهمية خاصة عند الملوك والقواد الاغريق بصفة خاصة يتبركون بالاله زيوس آمون ويستشيرونه في شئونهم . وكان اهتمامهم به اكثر من اهتمام المصريين انفسهم الذين يعتبرونه اقل اهمية ومكانة بجانب معابد آمون في منف وطيبة .

ويعتقد الاسكندر ان الاله آمون الذي آمن به في صورة زيوس كان له الفضل في انتصاراته وفتوحاته وحمايته وشل قوة اعدائه الذين يفوقونه عددا ـ كما هو الحال في فتوحات تحتمس البطل الذي كان لا يخرج الى الحرب قبل استخارة الاله آمون ، وكان يحمل رايته في كل معاركه التي اقام بها امبراطورية مصر في التاريخ القديم . ولذا فقد قرر أن يزور الاله في سيوه ويتلقى استشارته قبل أن يكمل غزواته ليحتل العالم .

كما أراد أن يؤكد ـ كما ذكر المؤرخ الاغريقي ـ كالستينوس الذي رافقه في رحلته . انه مثل هرقل وبرسيوس الذي تنحدر سلالته من نسلهما وكلاهما ابن زيوس الاله وأمه من البشر . فكانت امنيته أن ينسب نفسه للاله آمون وآمون واحة سيوة بالذات (زيوس آمون) التي ذكرت في أشعار البطولة الاغريقية القديمة . وليطمئن الى النبوءة التي اسرت بها أمه اليمبياس المقدسة من انه ليس ابن فيليب بل الها حملت به من روح الاله زيوس آمون .

وقد ذكر بعض المؤرخين من بينهم استرابون وكالستينوس وشيشرون كثيرا من الاساطير التي وردت في برديات بطليموس الاول ،منها ان الاسكندر عندما حاول عبور الصحراء للوصول الى واحة سيوة ضل الطريق في مجاهلها فخرجت له الكوبرا (سيدة الحياة) وحامية المعبد لتسير أمام القافلة رافعة الرأس مخترقة دروب الصحراء حتى أوصلته الى المعبد. ثم قصة دخول الاسكندر محراب الاله آمون وانه سمع صوت الاله يناديه بقوله « يا بني » وانه باركه في حروبه المقدسة وناداه ليأتي الى سيوة لزيارته واستخارته .



بوابة معبد امون زيوس في سيوه ..

ويؤكد المؤرخ سترابون انه شاهد بنفسه تمثال امون المصنوع من أربعة عشر جزءا من مختلف المعادن والاحجار النفيسه وكيف كان يجيب عن أسئلة الاسكندر بحركة من يديه وايماءاته من رأسه كما سمعه يخاطب الاسكندر بقوله :

« انك ابني واني أعطيتك الشجاعة وأمرتك أن تحضر لزيارتي واني امنحك السيطرة على كل البلاد · وكل الاقطار الاجنبية تحت قدميك » ·

كانت تلك المعجزة أو الرسالة التي شاهدها وسمعها كهنة المعبد وكبار الزوار وقادة الجيش ، السبب الاساسي في مبايعة المعبد للاسكندر والمناداة به كابن روحي للالة زيوس ·

وعند عودته من سيوة أختار موقع الاسكندرية في الموقع الذي كانت تحتله قرية راقودة (راكوتيس) الشهيرة بصيد الاسماك ، وهو الموقع الذي اختاره له الاله ليقيم به معبدا للاله زيوس ومدينة تحمل اسمه ·

وبعد أن وطد حكمه في مصر زحف بجيوشه الى آسيا الصغرى ، فخرج بجيشه من مصر عام ٣٣١ فغزا بلاد الفرس وقتل ملكها ، واستمر زحفه

وأخذت فتوحاته تترى وانتصاراته تتوالى فاستولى على امبراطورية الفرس وبلاد الهند ، ووصل بجنوده حتى حدود الصين حتى تم له فتح الاقطار السبعة أو العوالم السبعة · وأقام بكل منها مدينة تحمل اسم الاسكندرية ومعبدا يحمل اسم الاله زيوس ·

وظل النصر حليفه الى أن وافاه الموت في بابل بعد عودته من الهند ولم تتعد سنه ٣٢ سنة وثمانية أشهر — مات عند غروب شمس اليوم الرابع من شهر برموده المصري الموافق ٢٨ أغسطس عام ٣٢٣ ق·م ·

● أما تاريخ الاسكندر الاكبر الذي سجله مؤرخوا الاغريق والمقدونيين القدماء وفي مقدمتهم كالستيوش الذي رافق الاسكندر طوال رحلته الى مصر ومصاحبته في معاركه الشهيرة في بلاد الشرق والتي وصلت الى الهند وحدود الصين والبحر الاسود — فقد تركزت معظمها على مراحل نشأته الاولى في مقدونيا ثم معاركه وغزواته في الشرق والتي سجلت تاريخ حياته قبل دخوله أرض مصر ·· وبعد خروجه منها ·

وكعادة مؤرخي اليونان القدماء ، الخلط بين الوقائع التاريخية والاساطير



قطع النقود التى تحمل صورة الاسكندر وخوذة القرنين بعد خروجه من مصر وخوذة راس الاسد التى خرج بها من مقدونيا .

البطولية التى تبرز الاعمال الخارقة التي يقوم بها أبطال تاريخهم • فى مقدمة الاساطير عن حياة الاسكندر اسطورة مولده وتسميته ، وهى الاسطورة التى احتفظت به أم الاسكندر والحكيم أرسطو معلمه ولم يخطر بها الاسكندر الا بعد موت أبيه فيليب الثانى •

وتحكى الاسطورة ان هيلانه أم الاسكندر وكان المقدونيون يطلقون عليها اسم (اوليمياس المقدس) كانت تغتسل فى بحيرة القصر فى ظل شجرة السندر ، فبشرها الوحى بأنها ستحمل من روح الاله وتلد غلاما يكون له شأن فى انقاذ البشرية ، وعندما ولد الغلام اسمته الكسندرس تيمنا باسم الشجرة المقدسة شجرة الوحى • وقد عمل معلمه أرسطو على تلقينه عقيدة توحيد زيوس آمون التى نقلها من مصر أثناء اقامته بها مع افلاطون •

ويقول كالستينوس ان الاسكندر كان مؤمنا بأنه من صلب الاله وانه لم يكن يقوم بأى عمل الا بوحى منه وبعد استخارته وهو ما يفسر تغيير خططه الحربية عندما خرج لمحاربة الفرس واحتلال بابل فاتجه بجيشه بعدما وصل الى القرب من الفرس واتجه كما ذكر فيما بعد الى مغرب الشمس يتلقى الوحى والرسالة من أبيه زيوس آمون فى معبد سيوة •

كما شرحت أساطير المؤرخين غزواته ومعاركه التى اخضع بها العالم القديم أو عالم مشرق الشمس الذى يمتد الى آخر المعمورة وهى بحر الهند وحدود الصين •

وتصف الاساطير انه خرج من مصر بجيش قوامه مائة الف جندى وهو يتقدم قواده حاملا تاج آمون على رأسه وراية زيوس فى يده ، فكلما دخل بلدا انضمت جنود اعدائه الى جيشه بقوة الاله حتى بلغ عدد جنود جيشه عندما وصل الى الهند الف الف وستمائة جندى جنسيتهم واحدة وهى جنسية اتباع آمون • فأمكنه السيطرة وحكم عالم مشرق الشمس وبلاده فى سبع سنوات واقام فى كل بلد مدينة تحمل اسمه أى الاسكندرية ومعبدا يحمل اسم الاله زيوس •

وتنتهى اسطورة الاسكندر كما سجلها مؤرخوا الاغريق انه لما انهى رسالته عاد الى بابل حيث أقام أعياد النصر التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا والتى اكتملت فيها أفراح زواج قواده وجنوده •• وبعد انتهاء الحفل دخل الى مقصورته بعد ان

ودع رجاله ودخل مضجعه وهو بكامل زيه العسكرى ليلقى ربه وهو فى سن الثانية والثلاثين .

وترك وصيته التى أوصى فيها ان يدفن جثمانه فى أرض مصر بجوار معبد أبيه الاله زيوس آمون .

● **ذو القرنين .**

اختلف مؤرخو الاغريق وكتاب العرب ومفسروا العقيدة فى تفسير لقب ذو القرنين ،فذكر الثعلبى فى قصص الانبياء بأنه كان له فى مقدمة رأسه ذؤبتان (حسنتان) والذؤبة تسمى قرنا .

وذكر البعض الآخر بأن جبهته كان بها بروز ظاهر يشبه القرون ، بينما وصفه كتاب الاغريق بأنه أطلق عليه اسم ذى القرنين عندما أصبح ملكا على الروم وفارس وكان يطلق عليهما قرنى الارض .

ويصفه المؤرخ أبى أسحق النيسابورى فى تاريخ الانبياء بانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه انه سيطوف المشرق والمغرب ويخضعها لحكمه ، وهما ما كان يطلق عليهما قرص الشمس ، وقال البعض الآخر انه من أهل بيت شرف وقدسية من أبيه وأمه فكان يرسم على جانبى غطاء رأسه صورة قرنين دلاله على نسبة .

والتفسير الصحيح لقصة القرنين هو ما سجله تاريخ الفراعنة فى برديات بطليموس الاول والتى نقلها المؤرخ سترابون ويتمثل فى الخوذة الحربية التى أهداها كهنة معبد سيوة عند تتويجه ـ وصنعت على شكل رأس الآله الامون الذى يرمز اليه بالكبش ، وعلى جانبى الخوذة قرنان ملتويان ليحميه الاله آمون فى معاركه ويسهل له السيطرة على أعدائه . وهى الخوذة التى ظهر بها فى معاركه الحربية كما ظهرت صورتها على قطع النقود التى حملت اسمه وصورته .

● وهكذا تتلاقى بحوث كتاب العقيدة وأساطير الاقدمين وقصص الانبياء ووثائق المؤرخين مع الكتب السماوية لتثبت ان ذو القرنين هو الاسكندر الاكبر حامل اسم ذو القرنين الذى خرج به من مصر ويحتل ذو القرنين مكانه بين انبياء الله الذين هبطوا أرض مصر ـ أرض السلام والاسلام ـ وخرجوا منها لنشر عقيدة التوحيد .



ذو القرنين وخوذة آمون ذات القرنين .

الخروج من قبضة المكان

● سالم حقى ●

أريدُ أن أعيشَ لا يَحدني مكانْ !
هناكَ .. حيثُ لا قيودْ ..
وحيثُ تستحمُّ فى فضائها النجومْ
وترسل الضياء فى الظلام للمسافر الغر .
أريدُ أن أعيش لايحدُّنى مكانْ ...
كغيمةٍ .. كنسمة .. كنجمة ..
كموجةٍ لمّا تزلِ تجيشُ فى البحار ..
وتلطم الصخورَ والسدود والشطآنْ
وترفضُ القرارْ !
كندْفةِ السحاب ...
تسيرِ أينما تسيرُ ...
أو تساقطُ المطرْ
لتولد الحياةُ من جديد ..
ويبزغَ القمرُ ...
ككلمةٍ .. تظلُّ تعبرُ الأثيرُ ..
تظلُّ تعبرُ الأثير ..
تحمل فى حروفها النذيرَ والبشيرَ ،
والخطر !
تقولُ : لا مَفَرْ !
أن يُورق الشجر
أن تحبل الأرضُ العقيمُ منذ آلاف السنين
وتُخرجَ الثمرِ .
أن يَغدق الضّرعُ الذى قد طالما جف
وأنْ يَفيض فى الوديان ..
ذَيّالكَ النَهَرْ !!



من الظواهر الفلكية المحيرة

اسرار الثقوب السوداء

● بقلم ميشيل تكلا ●

منذ نحـو عشرين الف سنة مضت ، نفذ الوقود النووى لنجم ضـخم من نجوم الكون يفوق كتلـة الشمس بعدة مرات ، ثم انفجر انفجارا رهيباوالقى بطبقاته الخارجية بعيدا ، مكونا سديم البرقـــع المعروف فلكيا . وربمـا تداعى القلب الصـغير للنجم تماما واصبح ثقبـا اسود .. !

فى قصص الخيال العلمى ، ومنــذ سنوات قليلة مضت ، جاء ذكـــر « الثقوب السوداء » لاول مرة وكانت « الثقوب السوداء » ذاتها بعيـدة كل البعد عن خيال العلماء الفلكيين . اما الآن فقد اصبحت حقيقة علميةواضحة المعالم ، لان علماء الفلك استطاعوا ان يروا الدليل على وجودها ، وقالــوا عنها انهاأشبه بفك مفترس فىالفراغ!.

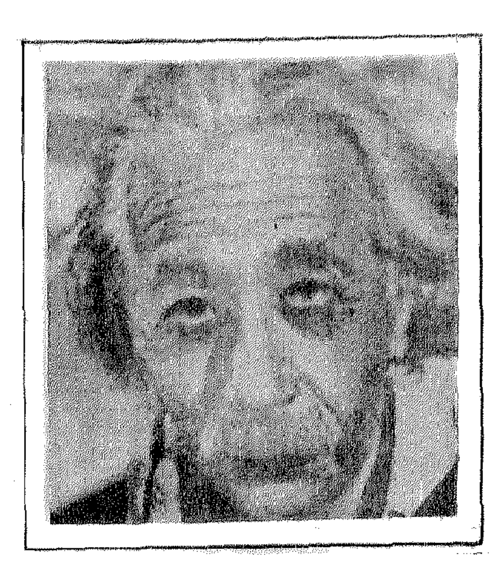
ان قصة اكتشاف الانسان للثقوب السوداء لم تبدأ فى الســبعينات ولا حتى فى هذا القرن فقد تكهن بوجودها عالم الفلك الفرنسى بيير ـ سـيمون لابلاس فى عام ١٧٩٥ . وكانت نظريته غاية فى البساطة ، فحواها « أن كل جسم فى الكون له جاذبية،مثل جاذبية الكرة الارضية التى تمكننا من البقـاء على سـطحها فى اى مكان . واذا أراد صاروخ ان يهرب من جاذبية الارض ، فلابد ان ينطلق بسرعة ٤٠٫٣٠٠ كيلو متر فى الساعة او اسرع من ذلـك .. وتمتد الاصابع الخفية لجاذبية الارض الى ملايين الكيلو مترات فى الفـراغ ، ولكن سحبها يصبح ضعيفا معالمسافة كما يفعل سحب الجاذبية لاى جسـم من الاجسام .. »

ادرك لابلاس أن بعض النجوم الهائلة قد تكون ذات جاذبية عظيمـة بحيث تصبح سرعة الافلات من سطحها اعلى من سرعة الضوء « ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية » والضوء ذاته لايســتطيع ان يفر من هذا النجم لذلك فانه يصبح غير مرئى . وفى المنطقة المحيطـة مباشرة بالنجم تظل الجاذبية قـوية بما فيه الكفاية لمنع الضوء منالهروب وعـلى ذلك فان نجما مثل هذا قـد يكون له منطقة من الفراغ حوله بحيث لا يمكن للضوء أن يفر الى باقىالكون. وتسمى هذه المنطقة اليوم بالمنطقـة السوداء . ولكن لماذا اطلق عليها ايضا كلمة الثقب ؟

ان التطورات التاليه حـدثت في سويسرا قبل الحرب العالمية الاولى . ففى مكتب تسجيل الاختراعات بمدينة برن وضع موظف فى السادسة والعشرين من عمره اللمسات النهائية لنظرية كان يجمع شملها فى أوقات فراغه . وكان اسمه البرت اينشتين، وكانت نظريته عن النسبية الخاصة ... اما نظريته الاولى عن النسبية التى نشرت فى عام ١٩٠٥ فتحدثت عن الاجسام المتحركة وكيف تبـدو للآخـرين . وبدت تكهناتـها او استنتاجاتها شاذة : لأنه كلما ارتحل جسم بسرعة ، تزداد كتلته ويقـل طوله ، ويجرى الزمن بطريقـة ابطا بالنسبة للمراقب الثابت فى مكانه... ولكن نظرية اينشتين ثبت صـحتها مرارا وتكرارا تبعا للتجارب الفيزيقية ولم يعد هناك ادنى شك فى ان جميع هذه التاثيرات تحدث بالفعـل فى السرعات العالية جدا ...

اوضحت النظرية ايضا انه لا شيء يستطيع ان يرتحل بسرعة اعلى من سرعة الضوء ؟ فللكـون سرعة طبيعية محدودة بثلاثمائة الف كيلو متـر فى الثانية . واذا كان على جسم ان يرتحل بسرعة اعلى من سرعة الضوء ليصبـر ثقبا اسود ، فالهروب هنا ممـكن . وقد تقع الاجسام فى الثقوب السوداء، ولكنها لـن تستطيع الخروج منه ثانية ـ انه الثقب الاخير او المستودع الدائم للمادة التى سقطت فيه .

وطبقا لآراء علمـاء الفلـك فى العصر الحديث فان نجوم لابلاس العمـلاقة لا يمكن ان يكـون لها وجـود فعلى لان مثل هذه النجوم الهائلة لا تتكون فى الفراغ . ولكن نظرية اينشتين الموسعة عن النسبية العامة التى توصـل اليها بعد عمل دام عشر سنوات اوضحت ان فكرة الثقب الاسود حقيقة ثابتة . فالثقوب السوداء لها وجـود بمختلف الاحجام على شرط ان تضغط المـادة ضغطا كافيا ـ وكانت هذه هى النقطة التى لم يعرفها لابلاس .



البرت اينشتين .. اوضحت نظريته ان الثقوب السوداء قد يكون لها وجود

اذا ضغطت مادة الكرة الارضـية باسرها حتى أصبحت سنتيمترين اثنين مثلا ، فان سرعة فرارها تصبح كسرعة الضوء ، ويصبح كوكبنا الارضى ثقبـا أسود صغيرا ... أما الشمس فقـد تنكمش الى قطر ستة كيلو متـرات اى تضغط من محيطها الـذى يبلغ ٤٠٠ر١٠٠٠ر... كيلو متر .

وبالرغم من أن علماء الفلك يشـكون فى ان ينكمش كوكب بحيث يتحـول الى ثقب اسود فان بعض النجـوم يحدث لها ذلك التحول ، فالنجـوم الاثقل من الشمس قد تنفجر فى نهاية حياتها انفجـارات رهيبة يطلق عليهـا اسم « سوبر نوفا » . فالاجـزاء المركزية للنجم تضغط الى الـداخل عندما يقود الانفجار طبقاتها الخارجية الى الخارج . وقد ينتهى قلب النجم ويصبح نجما نيترونيا اى كرة مـن المادة قطرها ٢٠ كيلو مترا ويصبح كثيفا بحيث أن راس دبوس من مادته قد تزن ملايين الاطنان .. أو ربمـا ينهار ويصبح ثقبا اسود ...

وطبقا لنظريته النسبية العامة فـان النجم سيستمر فى انهياره ويصـغر ويصغر حتى يتلاشى تماما ولا يحتـل مكانا فى الفراغ نهائيا ، ويصبح نقطة فى حجم الصفر ...



ولكن هذه النقطة تحتوى على مادة قلب النجم الاصلي وعلى مادة كالشمس. ويطلق العلماء على هذه النقطة كلمة « الوحدة » . وتحيط بهذه الوحدة منطقة من الفراغ تصبح فيها سرعة الهروب أعلى من سرعة الضوء ، اى ثقبا اسود ... ومن سوء الحظ ليس فى قدرة العلماء أن يروا عما اذا كانت هناك « وحدة » فى مركز ثقب اسود فى الفراغ ، لأن أى ضوء منه يحبس طبيعيا فى داخل الثقب الاسود الذى يحيط بها ... وافترض بعض علماء الرياضة وجود بعض الوحدات المرئية فى بعض الظروف غير العادية، ويغلب على ظن الكثير منهم أن هذه «الوحدات العارية » لا تحدث لأن الوحدات تبدو متدثرة بثقب اسود يحيط بها طبقا لمبدا يعرف باقتضاب باسم « الرقابة الكونية » ...

● القمر الصناعى او هورو :

بالرغم من ان علماء الرياضة حسبوا منذ عشرات السنين ان الثقوب السوداء قد توجد نظريا ، لأن من الصعب اثبات وجودها فى الكون ، وبما أنه لا يمكن رؤيتها مباشرة ، فالدليل على وجودها قد يكون غير مباشر ، ويجب ان ياتى من تاثيرات جاذبيتها . فسطح الثقب الاسود تعادل سرعة الفرار منه سرعة الضوء. وفى هذا السطح غير المرئى الذى يسمى « الافق العرضى » تصبح الجاذبية قوية ، وفى خارجه يصبح السحب ضعيفا ويتلاشى كلما زادت المسافة .. ومع ذلك فالجاذبية خارج « الافق العرضى » اقوى منها. فى أى مكان عرف حتى الآن . وقد يكون هذا هو المفتاح لمكمن الثقب الاسود .

ان اثبات وجود ثقب اسود مثل محاولة اثبات ان جريمة وقعت فى مكان ما ليس به جسم الجريمة ... وحتى اذا لم يعثر على الجثة يستطيع المخبر الذكى ذو الانف الحساسة اثبات وجودها اذا استطاع ان يثبت ان الجريمة قد ارتكبت . وهكذا يعمل الفلكيون الذين يبحثون عن الثقوب السوداء . ولكن بدلا من استخدام مجهر ، يستخدمون اجهزة تكلف مئات الملايين من الدولارات على هيئة اقمار صناعية تكتشف اشعاعات غريبة صادرة من اعماق الفراغ ..

فى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٠ وكينيا تحتفل بعيد استقلالها ، انطلق صاروخ من منصة بترول على الساحل الكينى. وحمل الصاروخ معه الى المدار أول قمر صناعى صمم خصيصا للكشف عن اشعة اكس فى الفراغ ، وهى الأشعة التى لا يستطيع علماء الفلك دراستها من الارض لأن جو الارض يمتصها باستمرار ...

واطلق على القمر الصناعى اسم « اوهورو » وهى كلمة سواحلية معناها « الحرية » . وكان القصد من ذلك اثبات الخطوة التالية فى قصة الثقب الاسود المثيرة .

استطاع القمر الصناعى « اوهورو» ان يكتشف بالفعل مصدرا لأشعة اكس فى كوكبة الدجاجة أو البجعة، وسجل المصدر تحت رقم « البجعة اكس ». ووجد الفلكيون فى المحطة الارضية ان هناك نجما قريبا من هذا المصدر ، وكشف ضوء النجم انه جزء من زوجين من النجوم . اى ان النجم له قرين غير مرئى ويدور الاثنان حول بعضهما البعض مرة كل ستة ايام .

ان النجوم المزدوجة معروفة للفلكيين ، والاثنان يدوران حول

بعضهما البعض ، وتحاول القوة الطاردة أن تبعدهما ولكن الجاذبية بينهما تحافظ على توازنهما . واذاكان أحد النجمين ضخما شديد اللمعان والآخر مجرد نجم نيتروني مضغوط، فالاخير قد يسحب غازا من الطبقات الخارجية من قرينة العملاق . وماأن يتجه الغاز نحو النجم النيتروني : يستقر على هيئة قرص يزداد اتساعا وهو يدور حول النجم الصغير . وفي مثل هذا القرص الغازي يجبر الاحتكاك كل جسيم من جسيمات الغاز على أن يفقد طاقته المدارية تدريجيا ويتجه حلزونيا نحو النجم النيتروني . وطاقة الاحتكاك تعمل أيضا على تسخين الغاز الى درجات حرارة عالية جدا – نحو مائة مليون درجة مئوية – وينفث هذا الغاز كميات غزيرة من اشعة اكس...

● القرص المتزايد الساخن

لابد أن يكون « مصدر البجعةاكس» عبارة عن قرص ساخن متزايد يحيط بالنجم غير المرئي المرافق للنجم العملاق . ولكن كان هناك اختلاف واحد هام هو أن اشعة اكس المنبعثة من اي نجم نيتروني تنبض عادة والنجم يدور – وفي الحقيقة ان النجوم النيترونية تسمى أحيانا نجوم البولسار . ولكن القمر الصناعي « اوهورو » لم يسجل اى نبضات في « مصدر اشعة اكس » ،وبدراسة العلماء لحركة النجم العملاق توصلوا الى أن رفيقه لابد أن يكون اثقل من الشمس بست مرات .

وكان في هذا الاكتشاف مفتاح السر . ذلك لأن هناك وزنا محدودا طبيعيا لنجوم النيترون ولا يمكن ان تكون اثقل من الشمس اكثر من ثلاث مرات ! . وعلى ذلك فالجسم السماوي الوحيد الذي يمكن ان يكون أضخم من نجم النيترون هو الثقب الاسود . وبعد مجادلات عنيفة بين علماء الفلك قرروا أن « مصدر اشعة اكس ! » هو القرص الذي يتزايد ويتضخم حول ثقب اسود أثقل من الشمس من ست الى عشر مرات ...

يستطيع نجم ان يدور بأمان حول نجم آخر اذا كان هذا النجم ثقبا اسود . وهناك فكرة خاطئة شائعة فحواها أن الثقب الاسود يمتص كل شيء حوله. وهذا حقيقي فقط بالنسبة لأى شيء يغامر بالوصول الى الافق العرضي . وفي الخارج فان جاذبية الثقب الاسود لها نفس الاثر كأى جاذبية جسم آخر . وما دام النجم وقرينه يدوران حول بعضهما البعض بسرعة جانبية كافية ، فسوف يستمران في دورانهما الى مالا نهاية. فكوكبنا لا يندفع نحو الشمس بل يتحرك بسرعة كافية لكي توازن قوته الطاردة قوة الشمس .

منذ أن حل العلماء لغز « مصدر اشعة اكس ! » عثر الفلكيون على ثقب **اسود آخر عن طريق قمر صناعي اطلقوا عليه اسم « مرصد اينشتين » وهو يجوب السماء الآن ويمد العلماء بسيل من الصور التي تصحح معلوماتهم عن الثقوب السوداء التي تدور حول النجوم العادية .**

ان « مصدر اشعة اكس ! » أو ثقب البجعة السوداء هو عبارة عن بقايا نجوم في مجرتنا المعروفة بالطريق اللبني ، وهي مجموعة مكونة من مائة الف مليون نجم . وما شمسنا الا نجم فيها .

والبجعة السوداء او الثقب الاسود هذا يبعد عنا بنحو ٦٠٠٠ سنة ضوئية باعتبار أن السنة الضوئية تبلغ نحو عشرة ملايين كيلو متر ، وقد تبدو

بعيدة جدا ولكنها قريبة جدا اذا نظر اليها عالم الفلك باجهزته الحساسة . ويمكن عبور مجرتنا في مائة الف سنة ضوئية يوجد بعدها في الفراغ البعيد بمرات اخرى لا يمكن الوصول اليها الا بعد ملايين من السنين الضوئية . ويعتقد علماء الفلك ان مراكز هذه النجوم الضخمة تحتوى على ثقوب سوداء شاسعة .

في الطريق الى كوكبة العذراء البعيدة عن مجرتنا بنحو ٥٠ مليون سنة ضوئية تظهر اسراب من المجرات. وتوضح التلسكوبات المعها كبقع غير واضحة ويكشف التلسكوب عن الوف منها. واضخمها والمعها يسمى ((م٨٧)) كما هو مدون فى ((كتالوج)) عالم فلك القرن الثامن عشر ((شارل مسييه)). وهذا النجم حقيقة من اضخم النجوم في المجرات التى تحتوى على ملايين النجوم ــ ولكن مركزة لامع بطريقة غير عادية ، وكان النجوم هناك ملتصقة ببعضها البعض لذلك يشتد لمعانها .

● مراكز المجرات

فى عام ١٩٧٧ استخدم فريق من علماء الفلك البريطانيين والامريكيين تلسكوب ماونت بالومار الذي يبلغ قطره خمسة امتار بكاليفورنيا لفحص مركز النجم « م٨٧ » بمعاونة جهاز الكترونى لتقوية الضوء . ووجدوا ان النجوم المركزية كانت حقا قريبة من بعضها البعض بفضل جاذبيتها ، وان شيئا غير مرئى يبذل سحبا جاذبيا قويا ليضمها جميعا .

ووجد الفلكيون أيضا ان النجوم كانت تتحرك أسرع مما كان متوقعا. وتأكدوا من ان شيئا ضخما يتحكم فيها ، والا لفرت النجوم الداخلية المركزية منذ زمن بعيد الى الاجزاء الخارجية للمجرة .

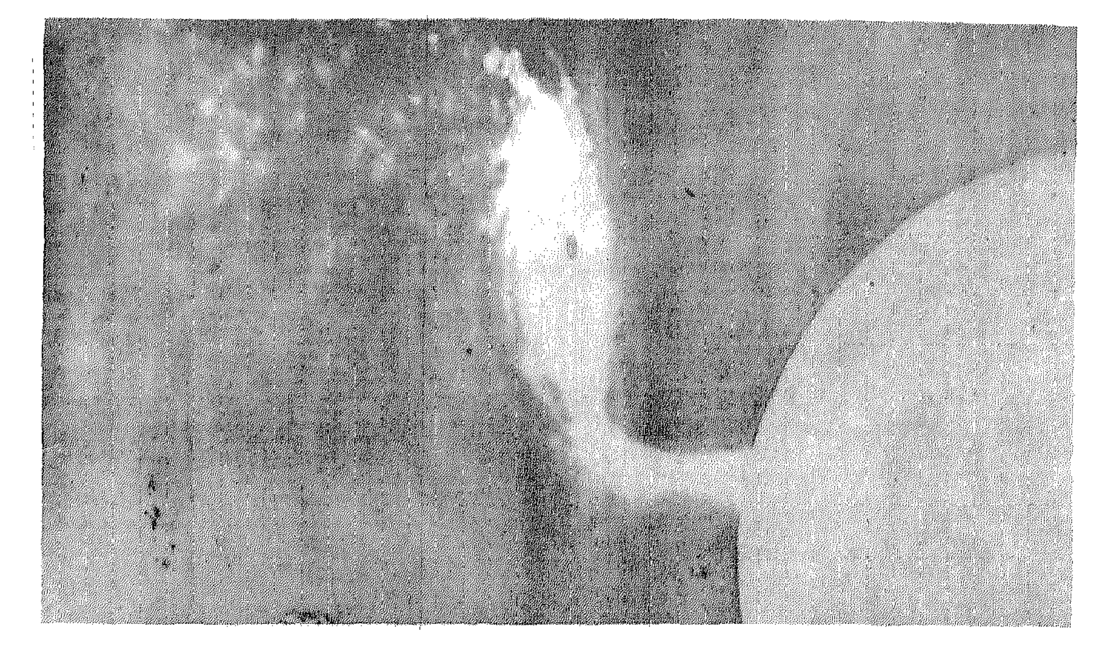
واوضحت هاتان النتيجتان ان شيئا صغيرا كثيف المادة غير مرئى لابد ان يكون في قلب النجم « م٨٧ » . والاحتمال الوحيد وجود ثقب اسود.

وتشير قوة جاذبيته على انه يحتوى على مادة تعادل المادة الموجودة فى ٥٠٠٠ مليون شمس .

ان نجوم الكواسار ربما تكون مسرحا آخر للثقوب السوداء وقوتها الطاغية. ونجوم الكواسار هي في الحقيقة مراكز المجرات النائية التي تضيء بلمعان غريب وتبدو كنقط منفردة في الصور الفلكية وتطغى على الصور المشوشة لنجوم المجرة . وقلب كواسار يضيء بمائة ضعف عن جميع نجوم المجرة ومع ذلك فهو عبارة عن جزء على مليون جزء من حجم المجرة . ويغلب على ظن علماء الفلك الآن ان نجم الكواسار هو مجرد قرص متزايد لكل غاز ساخن يحيط بثقب اسود ضخم فى مركز المجرة .

قد تكون هناك ثقوب سوداء اخرى فى الفراغ اصغر من الذرة ولكنها تحتوى على مادة توازى كتلة جبل افرست .. وقد يكون من الصعب اكتشافها فيما عدا انها قد تنفجر تلقائيا .

وبالرغم من ان هذا قد يبدو مستحيلا الا ان الثقوب السوداء الصغيرة قد تبدو غير مستقرة عندما يحسب العلماء جاذبيتها عن طريق ميكانيكا الكم ، (وهذه هى النظرية التى تحكم المادة على اصغر مستوى مثل حركة الالكترونات فى داخل الذرة .) ولعل اول انسان استطاع ان يدرك في عام ١٩٧٣ ان الثقوب السوداء يمكن ان تنفجر وذلك بعد ان قام بحسابات دقيقة ــ هو العالم ستيفن هوكنج الاستاذ بجامعة كمبردج . وبالرغم من انه مشلول تماما فقد أسهم باهم مساهمة فى فهمنا لاسرار الجاذبية بعد اينشتين .



ثقب اسود ونجم ازرق عملاق يدور كل منهما حول الاخر . والمادة من الطبقات الخارجية للنجم الازرق تنحدر بطريقة حلزونية نحو الثقب الاسود لتختفي من هذا الكون وعندما تفعل ذلك تتولد اشعاعات اكس قوية .

فى المستقبل البعيد قد يستخدم الانسان الثقوب السوداء كما يستخدم الكهرباء الان . فالقلوب المتداعية النجوم تدور بسرعة ، والثقب الاسود الذى ينشأ عن ذلك قادر على سحب اى شىء يوجد فى جواره فى اتجاه دورانه . وقد تخيل العلماء فعلا مشروعات هندسية رائعة لاستنزاف الطاقة الدوارة لثقب اسود دوار لامداد الف حضارة من حضارات الكواكب لمدة اطول من عمر الكون ذاته !

انفاق ما بين النجوم

اقترح بعض العلماء ان الثقوب السوداء قد تكون عبارة عن انفاق شقت بين النجوم يمكن احتيازها فى المستقبل وربما تكون آلات الزمن ذاته. فمركبة فضائية تدخل ثقبا أسود دوارا قدتختفي على الاثر بالنسبة للمراقبين الخارجيين . واذا استطاع ملاحوها تفادي الاصطدام بوحدتها المركزية فقد تستطيع المركبة ان ترتحل خلال النفق لكى تظهر فى مكان آخر ليس فى مجرتنا ولا حتى فى كوننا بل فى كون آخر مختلف تماما له ابعاد مختلفة ..

وطبقا لهذه النظريات فقد يستطيع المستكشفون او الرحالة أن يدخلوا ثقبا آخر فى الكون الجديد ، ويظهرون مع ذلك فى كون ثالث ، وقد ينتهى بهم المطاف بالعودة الى كوننا . فاذا فعلوا ذلك فقد يكونوا فى اى مكان فى الفراغ ، وقد يمكنهم الظهور فى اى نقطة من الزمن ، فى الماضى أو المستقبل .

ولكن البحوث الحديثة اثبتت ان هذه الانفاق ماهى الا مصايد مميتة. ففى لصف الطريق بين كوننا واى كون آخر يتحطم هيكل الفراغ والزمن تماما ..وعلى ذلك لابدان يلاقى المستكشفون مصيرا مروعا رهيبا . فالذرات التى تكون اجسامهم تنفصل فجاة وتتحول الى خليط فوضوى من الجسيمات .

ومهما يكن من وجود اشياء فى داخل الثقب الاسود فان رجال المستقبل الشجعان سوف تتاح لهم الفرصة في يوم من الايام ليتفقوا على اسرار الثقوب السوداء ، وبرغم ذلك فلن يستطيعون ارسال اى انباء عن اكتشافهم الى الكون الذى يصيبغ السمع لكل حركة ياتون بها .

ان الرحلات للثقوب السوداء قد تكون بعيدة كل البعد عن تحقيقها فى المستقبل البعيد ، ولكنها كانت في دهن العالم الفرنسي لابلاس منذ مائتي سنة مضت ، وكان يامل فى قرارة نفسه ان يصل اليها انسان عصره ، فعسى ان يحقق حلمه رواد فضاء المستقبل القريب او البعيد

فى سن الخمسين

دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى

● د • عواطف عبد الجليل ●

● ما جال بخاطرى يوما ، ان يمنحنى الله هذا القدر من ثراء العواطف النبيلة الصافية ـ صفاء القلب والنفس والروح غمرنى بها الاهل والاصدقاء ، الاساتذة الكبار والزملاء ، الاحباب ممن عرفت ومن لم أعرف من القراء • وكل هذا لاننى حصلت على درجة الدكتوراة ، بعد أن تسلل الفجر •• الى ظلمة الرأس ، واضاء خصلات الشعر شيبا ! ••

بعد أكثر من سبعة وعشرين عاما من الحصول على الماجستير ، كتب الله لى نيل درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الاولى وحقق لى أمنية طالما تراقصت أمام عينى وأنا ما زلت تلميذة فى التعليم الثانوى.

والحقيقة أن محاولة الانخراط فى سلك الدراسات العليا للحصول على الدكتوراة بدايتها منذ عام ١٩٥٥ ، ولكن لان دراستى الاساسية ، فى كلية العلوم وليس فى كلية الآداب ، فقد حالت هذه الدراسة بينى وبين تحقيق الامنية • فقد كانت دراسات الصحافة حتى بداية السبعينات تابعة لكلية الآداب • ولسبب غير مفهوم أصر أساتذة الصحافة ، أو معظمهم ، على أن تنبع الدراسات العليا فى مجال الصحافة من الدراسات الانسانية المختلفة فى كلية الآداب •

بمعنى أن تكون الدراسة ذات صلة بالفلسفة ، بالاجتماع ، بالجغرافيا ، بالتاريخ باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية •• أما أن تكون ذات صلة بالسياسة أو الاقتصاد أو العلوم ، فلا • وتساءلت أكثر من مرة : من قال أن الصحافة آداب فقط • •

عشت مع أمنيتى الكامنة فى أعماق قلبى ، أفتش عنها بين الحين والحين ، فقط لاطمئن على وجودها ، وأتأكد أن أنفاسها لم تتوقف ، وأمضى الى مشاغل العمل ، وقضايا الحياة العامة والخاصة ، ومشاكل الاطفال ، ودلال « الشغالات » الذى لا يعرف حقيقته الا الأم العاملة ، فى مرحلة طفولة أولادها ، الى أن بدأت أتخفف من الكثير من تلك المشاكل •

وفى نفس الوقت تعرضت لأكثر من أزمة فى حياتى العملية ، عشت لحظات من خيبة الامل ، لحظات يتجرع فيها الانسان كؤوس الظلم مترعة بالحنظل وقد خانه ذكاؤه ، وخذله منطقه ، فى أن يفهم لما يحدث سببا ، أو يعى له معنى •

الحياة اقوى من كل شيء ، أقوى من القهر والظلم ، اقوى من اليأس ••• ما دمت تعرف طريقك الى الله ، وما دمت تؤمن بأنك تستمد وجودك كله من ارادة الله ••

واستجمعت ما أملك من الطاقة التى أودعها الله كيان كل انسان فى هذه الارض •• ومضيت احاول تحقيق الامل الموؤود !

هنا اخترت موضوع البحث من صميم المأساة ، فقد أردت فعلا أن أعرف الحقيقة



د . عواطف عبد الجليل

حقيقة ما أراه صوابا ، وما يراه الآخرون خطأ ، فربما كنت مخطئة رغم تجارب عمر زاد على ربع قرن ، ربما انحزت لنفسي فعميت عيناى عن الحقيقة .

اخترت : « الاعلام العلمي في مصر .. دراسة مقارنة في الصحافة ، الاذاعة والتليفزيون ، مع دراسة تطبيقية على مدرسي العلوم بالتعليم الثانوى » .

وتقدمت الى كلية الاعلام الوليدة ، وبفضل الله ، واقتناع كامل من عميد الكلية في ذلك الوقت ، الاستاذ الدكتور عبد الملك عودة ، عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الآن ، ذللت كل العقبات ، وتم تسجيل البحث باشراف العميد والدكتورة جيهان رشتي رئيسة قسم الاذاعة بكلية الاعلام بجامعة القاهرة .

احتواني البحث تماما ، استمتعت بالدراسة والاطلاع والجرى وراء المراجع القديم منها والحديث .. وجدتنى فى حاجة الى دراسة تطور علوم الاعلام والاتصال خلال ربع قرن من الزمان .. وجدتني فى حاجة الى زيارات فى الخارج وفى حاجة الى دراسة بعض العلوم التى لم يسبق لى دراستها ، مثل الاحصاء .. ولم أتردد ، بل كنت سعيدة كل السعادة لاننى كنت على علم بأننى استثمر ساعات عمرى فى أكثر المشروعات الاقتصادية كسبا ، لان الرصيد الذى يدخل العقل لا يغادر أبدا ، ان لم يزد مع الايام ، فلن يقل بحال من الاحوال ! ..

سهر الليالى أسعدني ، حتى في لحظات المرض ، كان علاجي ان اهرع الى مكتبي في سنة الليل ، حيث الوذ بمعاودة قراءة نظرية اعلامية جديدة ـ شق على فهمها . أبحث عن فقرة في كتاب قديم يزيد وزنه على عشرة كيلو جرامات ، كان معلما للشعب البريطاني عندما ذهب الشباب الى الحرب العالمية الاولى ولم يكملوا تعليمهم .. وانتهت الحرب ، وعاد الشباب الى حياتهم المدنية يحملون عبء الحياة بغير زاد من العلم ..

وبعد خمس سنوات من معايشة البحث والدراسة ، تقدمت للامتحان وشاءت الظروف أن تؤجل المناقشة حوالى سنة أخرى .. لم يحزننى ذلك ، بل مضيت أستزيد من الارتواء ، النهر يتدفق أمامي ، والفكر ما زال نهما ظمآنا يتحرق الى ما تخرجه المطابع . ويالقسوة تلك المطابع الآن : وقد ضاعفت اسعار الكتاب مرة بعد مرة !

***

وأخيرا فى السادسة من مساء الاربعاء الخامس من أغسطس عام ١٩٨١ جلست تلميذة وجلة ، تردد آية الكرسى فى صمت ، تجلس امام اللجنة الموقرة من الرئيس الاستاذ الدكتور عبد الملك عودة عميد الاقتصاد والعلوم السياسية ، والاستاذة المشرفة الدكتورة جيهان أحمد رشتي رئيسة الاذاعة بكلية الاعلام والاستاذ سعد لبيب مدير التليفزيون

السابق ، والخبير الاعلامى بالمنظمات الدوليه .

كانت الهواجس تعبث بمشاعرى ..

وتهمس النفس قائلة : ولكن ماذا انت مستطيعة وانت فى تلك السن ، تحاولين البحث وانت فى الخامسة والاربعين .. وها انت وقد اشرفت على الخمسين ـ معذرة لكل الحواءات فلم يعد من الذكاء اخفاء سنوات العمر المديد ! ـ ومرة أخرى أجيب : اطلبوا العلم .. من المهد الى اللحد ، لقد أمر الله رسوله الكريم بان يطلب منه سبحانه ان يزيده علما .. ((وقل رب زدنى علما ..))

وفى غمرة هواجسى وقلقى ، دعانى رئيس اللجنة الموقرة لجنة المناقشة الى تقديم خلاصة الدراسة والبحث ، ولفرط ارتباكى نسيت أن أبدأ بالعبارة التى كتبتها بيدى «باسم الله الرحمن الرحيم» وبعد قراءة عدة سطور تذكرت ، فتوقفت لحظة وردنى على الفور رئيس لجنة المناقشة ـ قائلا : تفضلى اكملى .

طبعا ظن أننى تعثرت فى القراءة ، ولم يجل بخاطره سبب توقفى ..

بدأت المناقشة .. استمعت الى كلام طيب وثناء عاطر،اشادة بالمجهودوسعة الاطلاع بغير حدود .

ولكن .. بدأت الاعتراضات !

لم أشعر بالتحول الذىحدث فى كيانى ليس من الضرورى أن أكون على صواب ، أو ان يكون هناك اتفاق كامل فى الرأى ، ولكن من الضرورى أن أقدم دفاعى عن عملى ، ما دمت مقتنعة به ، ولكن يبدو أن تحمسى ، أو تعصبى بمعنى أدق لعملى ورأيى ، جعلنى أتشبث بكل كلمة ، واستميت فى الدفاع عن وجهة نظرى .

واحمد الله فما كادت اللجنة توجه لى بعض العتاب ،لاننى لم اقدم رأيا شخصيا فى بعض المواقف التى عرضت فيها الآراء العديدة لكبار العلماء ، كان جوابى على الفور ، اننى لم اتوسم فى شخصى ما يجعلنى اقف على قدم المساواة ، مع تلك الاسماء ، لاقدم رأيا مخالفا ، وقد خلصت الى راى مستمد من آرائهم ،وليس من حقى ان انسب مثل هذا الرأى الى نفسى ..

ومرت الساعات الثلاث ،كأنهادقائق .. كانت متعة لى وأظنها كذلك للاساتذة الاجلاء أعضاء لجنة المناقشة ، كما أخبرتنى الاستاذة المشرفة الدكتورة جيهان رشتى فيما بعد ، ولعل الحاضرين أيضا شاركوا فى تلك المتعة ، ربما لانهم شاهدوا طالبة عجوزا ، ترتسم السعادة على وجهها ، رغم ما تشعر به من رهبة ، وتمتزج عباراتها باحساس عميق بالشكر لله ولكل من مد لها يد العون ، خلال عملها الطويل فى ساحة الصراع والمبارزة بأرض الصحفيين ..

***

وبعد المداولة ، صدر الحكم ، درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الاولى ..

قد تكون أسعد لحظة عرفتها فى حياتى،لا يعادلها الا لحظة رؤيتى لوجه ابنتى لاول مرة ، ورؤيتى لوجه ولدى لاول مرة .. مع فارق أساسى وهو أن فرحة اليوم ، لم تمتزج بالالام التى تعرفها كل أم سواء فى شهور الحمل أو لحظات الوضع .. بل على العكس ، لقد كانت كل أيام العمل وليالى السهر بالنسبة لهذه الرسالة ـ متعة ورضاء ، وكانت اللحظات الاخيرة اشراقة صبح مضىء بعد ليل رقيق . رغم ما فى النفس من قلق ورهبة وتشوق لمعرفة المجهول .

***

والآن .. صديقى القارىء ، دعنى بالوقوف على الجانب العلمى البحت من هذا المقال ، وهو البحث الذى سهرت له الليالى وجبت من أجله البلدان ، وجرت على حق البيت والاولاد ..

البحث فى بساطة تناول دراسة ما تقدمه وسائل الاعلام الجماهيرية فى مصر والصحافة اليومية بوجه خاص ، والبرنامج العام فى الاذاعة ، والتليفزيون بقناتيه ـ من مادة علمية مفروض فيها أن تكون علوما مبسطة ، تحقق وظيفة العلم السياسية والاجتماعية ،على المستوى الشعبى والجماهيرى فى الدولة .

وهذه الدراسة شملت كل الاركان العلمية التى تقدمها تلك الوسائل ، باستخدام منهج تحليل المضمون ، الذى يقدم على الاسلوب الاحصائى ، أى يسلك طريق القياس الدقيق ، وليس مجرد الوصف الذى قد ينحرف لسبب او آخر وبالتالى يكون من الصعب الخروج من الدراسة بدلالات يمكن تعميقها .

هذا هو صلب البحث ، ولكن مثل هذه النتائج ، لا يمكن رؤيتها بصورة طبيعية الا اذا وضعت فى اطارها الكامل المتكامل ، بمعنى أن الزهرة التى ترى مجردة من عودها وشجيرتها ، لا تعبر عن أصلها ، والشجيرة التى لا ترى وسط عائلتها النباتية،لا تعطى المعلومات الكافية عن أصلها وفصلها ، والعائلة النباتية ، التى تقف فى مكانها الحقيقى من سلم التطور تمنحك الكثير من المعلومات ، التى ما كنت لتعرفها عن زهرتنا الاولى .

لذلك كان لابدمن استكمال الحقيقة، عن ذلك التحليل المقارن لما تقدمه وسائل الاعلام الجماهيرية فى مصر من مادة علمية كان لابد من تأصيل مفاهيم الاعلام العلمى الجماهيرى ، وبالتالى كان لابد من تناول التطور التاريخى للمعرفة العلمية، ومولد العلوم المبسطة . ثم العوامل التى أدت الى التوسع فى نشر العلوم المبسطة بالغرب ، ووقف نمو العلوم المبسطة فى العالم العربى الاسلامى ، وفيه كان المولد الشرعى للعلوم المبسطة فى أروع صورها الانسانية والسياسية والاجتماعية .

كذلك كان لابد من فصل كامل ، ربما كان أكبر فصول الرسالة ،خاص بالتجربة المصرية فى تبسيط العلوم ، وقد حاولت قدر المستطاع ، ان اقدم فى كل من هذه الدراسات، نواةللبحث، لانه لم يسبق ان تناول تلك الجوانب ، اى باحث من قبل لسبب بسيط ، وهو ان الشائع، ليس فقط على المستوى القومى ، بل على المستوى المحلى ، ان تبسيط العلوم ، مسالة مستحدثة فى مجتمعنا ، فنقول عن الغرب .. والحقيقة التى وضحت لى من الدراسة والبحث ، والتى حاولت ان أثبتها بالدليل المادى الملموس ، هى عكس ذلك تماما !

والحقيقة ، اننى سعيدة بتوفيق الله لى لاثبات الحقيقة التى عاشت فكرة فى راسى سنوات طوال ، اهتديت اليها من آيات الكتاب الكريم ، وبقى أن ادلل على صحتها بالبحث العلمى من خلال الدليل والبرهان .

***

لعلك تسأل الآن صديقى القارىء : وماذا عساك وجدت فى تحليل المادة العلمية التى تقدمها وسائل الاعلام فى مصر : الصحافة والاذاعة والتليفزيون ؟

مرة أخرى .. دعنى أصارحك يا صديقى . فالدولة تحاول دفع عربة تبسيط العلوم فى مصر .. عبر وسائل الاعلام ، وبخاصة الاذاعة والتليفزيون ، ولكن العربة متثاقلة .. متباطئة، كلما تقدمت خطوة ، تراجعت خطوات ، والسبب الرئيسى أن عملية تبسيط العلوم بصفة عامة محصورة للاسف الشديد فى أيد غير متخصصة وبالتالى فلك أن تتصور النتائج ..

كيف نضع تبسيط العلوم فى أيدى غير العلميين ..

ان العلميين انفسهم لابد لهم من دراسات مكملة ،ليصبحوا قادرين على عملية التبسيط ، بجانب الموهبة والرغبة الصادقة ،وبجانب التعاون مع تخصصات مختلفة ،مثل الفن التشكيلى والاخراج التليفزيونى ، والاخراج السينمائى ، والاسس والنظريات الاعلامية المختلفة . هذا اذا اردنا ان نستغل القدرة الرهيبة التى تملكها وسائل الاعلام الجماهيرية فى نشر ما نريده للجمهور بالعدل والقسطاس ، من زاد الفكر لمسايرة لغة العصر واسلوب العصر ومنهج العصر .. وهو الفكر العلمى .. ذلك الساحر الذى يقف وراء تقسيم العالم الى دول متقدمة تتغذى بالعلم،ودول متخلفة محرومة من غذاءالعلم .

لغتنا الجميلة لغير الناطقين بها ..

● **اللغة العربية لغة عالمية ، فهى تتمتع بانتشار انسانى جغرافى واسع ، وجموع المتكلمين بهذه اللغة يعيشون فى منطقة كبيرة من العالم تمتد من نصف افريقية الشمالى والخليج العربى الى المحيط الاطلنطى .. واللغة العربية هى لغة التعامل فى البلاد العربية بالرغم من وجود اقليات غير عربية فى هذه البلاد .. كذلك فان اللغة العربية قبل كل هذا وذاك هى لغة القرآن الكريم وهى بعد كل ما سبق تستخدم كلغة دولية فمنظمة اليونيسكو استخدمتها عام ١٩٦٩ والامم المتحدة استخدمتها عام ١٩٧٤ ، كما استخدمتها منظمات دولية اخرى ..**

واليوم بدأ العالم العربى يأخذ دوره الفعال مرة أخرى على المستوى العالمى ، كما أخذت دائرة حركته الاقتصادية والسياسية فى الاتساع بشكل ملحوظ ونتيجة لذلك برزت اللغة العربية لتأخذ دورها الفعال على الصعيد العالمى ، وبدأت تغزو الفكر العالمى لتكون أداة للتفاهم والنقل والتأثير فى ميادين الفكر المتجدد والمتطور وميادين العلم الحديث والثقافة الشاملة والعميقة ..

وتشير الى هذا المعنى مجلة « دير شبيجل » الالمانية بتقريرها : « ان اللغة العربية ـ وهى اللغة الرائدة للثقافة فى القرون الوسطى ـ قد أخذت تعيش اليوم نهضة جديدة ، ففى مطارات باريس وزيوريخ ولندن يستدعى المترجمون للاطلاع على الجوازات المكتوبة بياناتها بالعربية .. كما قامت شركة لوفتهانزا بترجمة التعليمات التى توزع على الركاب الى اللغة العربية بجانب اللغات العالمية الاخرى .

أما فى فرنسا فيلمح الرئيس السابق جيسكار ديستان الى « أن الشبان الفرنسيين الذين يتعلمون العربية يتزايدون عددا ، وكثيرون منهم يتوجهون الى مصر لتعلم اللغة العربية » .

وهناك بعض الكليات العسكرية مثل (سان سير) و (ايكس انبروفانس) و (ستراسبورج) قد اتخذت اجراءات لاعطاء اللغة العربية مكانة خاصة فى مسابقات تعيين الضباط وفى مدارس التدريب العسكرى .. كما أن الذين يجيدون العربية من الطلاب تضاف الى درجاتهم درجات اضافية » .

ومن مظاهر الاهتمام الاخرى ما أصدرته الجمعية العامة لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية فى الدورة الرابعة والاربعين التى عقدت فى الارجنتين (بيونيس آيرس) حيث وافقت تلك الجمعية على استخدام اللغة العربية كلغة رسمية فى المنظمة .

ونظرا لانفتاح العالم العربى فى الاونة الاخيرة على دول العالم وزيادة التبادل التجارى مع العالم ، اهتم كثير من الاجانب ، وخاصة الكبار منهم ، بتعلم العربية للاتصال بالعرب ..

وهكذا فأن جميع هذه الظروف تفرض **ضرورة تضافر الجهود العربية من أجل وضع خطط متكاملة للنهوض باللغة العربية والعمل على نشرها بين الشعوب الاخرى بمختلف الوسائل .**

كما يجب على المشتغلين بتعليم العربية والعمل على نشرها بين الشعوب الاخرى بمختلف الوسائل .

كما يجب على المشتغلين بتعليم العربية للاجانب أن تنسق جهودهم العلمية وبحوثهم لانجاح هذه الجهود ، اذ أنه ، وللاسف ، لم تتوصل معظم معاهد تعليم العربية للاجانب أو لغير الناطقين بها - الى تمكين الدارسين فيها مما أرادوه من تعلم العربية ..

***

ولعل الجديد فى مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، هو البحث الذى قدمه غسان خالد بادى الى كلية التربية (جامعة عين شمس) ونال به درجة الماجستير ، وهو أول بحث علمى فى هذا المجال ينال به صاحبه درجة الماجستير فى مصر وفى العالم العربى ، على حد قول الدكتور محمود الناقة .

ولقد اتجه الباحث فى رسالته من منطلق تعليم العربية للاجانب ، ولاحظ أن العمل فى المعاهد الحالية لتعليم العربية للاجانب ، لا يقوم على ضوابط علمية دقيقة ، بينما « العمل بلا علم لا يكون » كما يقول الغزالى ، ففى بعض هذه المعاهد تدرس لغة التراث للدارسين وفى بعضها الآخر تستخدم وسائل تعليمية .. كما أن هناك باحثون خارج هذه المعاهد يعملون فى المجال نفسه ، وقد وضع أحدهم خطة تدريس للعربية كخطط تدريس الفرنسية أو الانجليزية للاجانب .. وباحث آخر استغرق فى تجريب المقاييس ليتعرف على كفاءة الدارسين دون أن يقوم بتعليمهم بطريقة علمية أولا .. وهكذا خرجت تلك البحوث من أبراجها العاجية !

وبعد التقديم الذى أجراه غسان لهذه الجهود والدراسات ، فلقد اتجه الى بحث المجهودات العالمية فى مجال تعليم اللغات الاجنبية ، وحدد المعالم الرئيسية التى يمكن الاستفادة بها من تلك الاتجاهات فوضع أصول الاستفادة من الجديد دون الانصراف عن حفظ الاصيل وصونه أى انه حلل طرق تدريس اللغات الاجنبية فوجد أن فيها ما يتعلق بتعليم لغة اتصال أو صيغة اتصال ، وفيها ما يتعلق بخصائص هذه الصيغة ، ثم أشار بعد ذلك الى أن كل ما يتعلق بالصيغة وخصائصها فهو عامل فريد لا يمكن نقله عن صيغة مختلفة .

أما ما يتعلق بسيكولوجية التعلم وطرق تدريس اللغات الاجنبية فقط ، فانه يمكن نقله والاستفادة منه .. وهكذا انتهى الباحث الى دراسة خصائص اللغة العربية كلغة أجنبية ، فوجد ان فيها خصائص ومميزات تجعلها من اسهل اللغات الاجنبية تعلما لما تتميز به من مرونة ، وكونها لغة اشتقاق ، الى جانب عدم وجود مشكلات صوتية - املائية حيث أنها تحتوى الكلمات التى تكتب كما تنطق ، بينما غيرها فى اللغات العالمية يفتقر الى هذه الميزة .

وبعد ذلك توصل غسان الى المدخل التكاملى لتعليم العربية كذلك اجنبية . وهذا المدخل يعتمد على تقديم مهارات اللغة مجتمعة منذ البداية ..

أما عن خصائص الدارسين فقد تناول غسان خصائص الكبار منهم ، وأوضح اختلاف الكبار عن الصغار من الناحية السيكولوجية ، ومن ناحية القدرة على تعلم اللغات الاجنبية .. وتوصل الى نتيجة ، وهى أن البرنامج الذى يراعى طبيعة الدارس وسنه الى جانب مراعاته الاسس النفسية - العصبية لهذا الدارس

فان هذا البرنامج لا يمكنه بعـد ذلك أن يفرق بين قدرات متعلمى اللغات الاجنبية اذ ان هذه القدرات لا تختلف بفعل تعلم اللغه الاجنبيـة وانما هى تختلف بفعـل تعلم اللغة الاجنبيـــة وانما هى تختلف بفعل السن • ولهـــذا يجب علينـا أن نتعرف العملية النفسية ـ العصبية التي يتعلم بها الصغير أو الكبير حتي نتمكن من تقديم ما يناسب كل منهما •

وبعد ذلك وضع غسان الاسس العامة لســيكولوجية الكبار ، كما حدد اطار احتياجاتهم ، وأهم الشروط التى ينبغى مراعاتهـا عنـدما تخطط المناهج لهم أو عندما ندرس لهم اللغة العــربية كلغـة أجنبية •

ولم ينس غسان أن يقدمأسس تدريس مهارات اللغة من فهم واســتماع ، الى جانب القراءة والكتابة والمحادثة ، فعرض أولا الاتجاهات العالمية فى هذا المجـال ، ثم ما يتناسب مع اللغة العربية من هذه الاتجاهات ، كما اقترح الحلول المناسبة لبعض مشكلات التدريس •

وفى النهاية خلص الباحث الى وضع برنامج لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها فى المستوى الاول • وهـذا البرنامج يتألف من العناصر التالية :

١ ـ المدخل : ويراعى فيه ما يأتى :

أ ـ اعتبار اللغة العربية الفصـــحى المعاصرة لغة للبرنامج •

ب ـ الجانب الشــفهى يتقدم على الجانب الكتابى أثناء الدرس ، مع مراعاة المدخل التكاملى (تقديم مهــارات اللغة مترابطة منذ البداية) •

جـ ـ تقديم اللغة فى نصــوص ذات مواقف حيوية ، أى بشكل حوار •

د ـ أن يتعلم اللغة العربية ، وليس التعليم عنها •

هـ ـ ينبغى عدم مقارنة العــربية بلغة أخرى بحجة تسهيل تعليمها ، كما يجب تلافى الترجمة فى تعليمها •

و ـ أن تقدم الانماط الثقافية العربية بطريقة غير مقصودة •

٢ ـ الاهداف :

الهدف الرئيسى هو التمكنمن المهارات الرئيسية للاتصال باللغة العربية •وهذه المهارات هى :

أ ـ « الاستماع والفهم » : ان يفهم الدارس ما يسمعه من العربية بالسرعة العادية •

ب ـ المحــادثة : ان يتكلم الــدارس بمفردات الدرس بطــلاقة (أى بسرعة عادية ونطق سليم •

جـ ـ القراءة : أن يقرأ الدارس اللغة العربية المكتوبة بسهولة (أى مع سرعة التصرف والنطق السليم) •

د ـ الكتابة : ان يكتب الدارس املاء صحيحا وينسخ نسخا سليما •

٣ ـ المحتوى :

يجب أن يقدم المحتوى بشكل نصوص تتحــدث عن مواقف وهى تشــمل : (التحيات والمجاملات ، تبادل المعلومات الخ ••)

ويجب ألا تزيد مبادلات الحــوار عن عشر مبادلات • وتقــدم القواعد خــلال ذلك للتوضيح • أما الانماط البنيــوية فتقدم فى نصوص ثقافية موحية •

٤ ـ الوسائل :

مسجل صوتى ـ صــــور وشرائح

سينمائية ـ جهاز عرض سينمائي ٠

٥ الطريقة :

طريقـــة البرنامج هي سمعبصرية ، ويمكن تلخيص مذهبها بما يلي :

أ ـ تمكين الدارسين من قدرات أبناء العربية للتحدث بالعـــربية في المواقف الحيوية ٠

ب ـ يخضع الدارســـون للمارسة المستمرة للوصـــول الى الاداء (قـراءة العربية والتحدث بها قبل تعلم أى شيء عنها) ٠

٦ ـ التقويم :

يستمر التقـويم على مدى الدروس ، حيث يتركز العمـل فيه على المهـارات الاربع : الاســتماع والفهم ، الكـلام ، القراءة ، الكتابة ٠

ومن النتائج البارزة التى توصل اليها غسان خالد بادى أيضا ما ياتى :

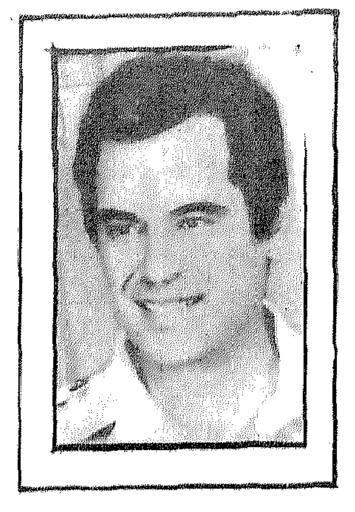
١ ـ يجب أن يخطط برنـامج تعليـم اللغة الاجنبية فى ضوء مدخل ما ٠

٢ ـ يجب أن تحدد الاهداف فى ضوء المستوى مع مراعاة خصائص الدارسين وخصائص اللغة وآراء الخبراء ٠

٣ ـ للغة العربية خصائصها الخاصة بها ، فلا يجب مقارنتها باى لغة أخرى ، كما لا يجب الاســتعانة بطرق تدريس اللغات الاجنبية لتدريسها كلغة أجنبية

٤ ـ يجب اســـتخدام قواعد اللغـة للشرح فقط ، كما يجب تقديم الانماط اللغوية فى سياق ثقافى ذى معنى بالنسبة للدارسين ٠

٥ ـ تقدم مهارات الاتصال الاربع فى



غسان خالد بادى ـ دراسة من تعليم العربية لغيـــر العـرب

المستوى الاول فى تعليم اللغة العـربية الفصحى المعاصرة كلغة للحديث والكتابة دون الاضرار بعملية الاتصال ٠

٦ ـ يجب أن يقوم بتدريس العربية للاجانب متخصصون فى مجـــال تعليم اللغات ، ومتمكنون من الثقافة العربية ٠ كما ان الطلاقة العربية وحدها لا تكفى كخاصية لتعيين مدرسى العربية للاجانب

٧ ـ الطـــريقة الســمعبصرية أكثر جدوى فى تعليم العربية للاجانب لكون هذه الطريقة لا ترجع الى لغة الدراسين كما انها لا تعتمد على الترجمة فى تبسيط عملية التعليم ٠

٨ ـ عدم تعليم اللهجة العامية ، لان علماء تعليم اللغـــات يعلمون الجـانب المكتـــوب من اللغة الاجنبية ، كمـا أن العربية الفصحى هي الصيغة اللغـــوية الاساسية التى يتصـــل بها العرب فيما بينهم ٠

وبعد ، فقد كان هـذا البحث طريقـا واسلوبا لتعلم اللغة العربية والاستفادة بثرائها ومحتواها الفنى ، نرجو أن تتبعه دراسات أكثر واشمل ليعم النفع وينتفع بها الدارســـون الاجانب ومحبو اللغـة العربية ، لغة القرآن المجيد ٠

قصة



أغنية الحب

● سعد حامد ●

● من عـادتي دائما كلما رايت فتاة جميلة او امراة حسـناء ان انقل نظراتي على الفـور من الوجه الجميل الى اصابع اليدين لارى هل تحمل دبلة ام لا — .. افعل ذلك بلا وعي حتى يطمئن قلبي !

وانا شاب في الثامنة والعشرين من العمر تخرجت في كلية الاداب ، اعمـل موظفا ، واعيش لاجتر احلامي واحزاني وادور في دائرة العمل والبيت لا اكاد اخرج منها !

ليس في حياتي جـديد .. ايامي تنقضي بين الكتب والتامـل في الحياة اعيش في عالـم خيالي خلقته لنفسي بعيدا عن الناس عالـم من الاحـلام والاوهام والرؤى .. اعيش بين الكتب والموسيقى ..

رايتها اول مرة عصر يوم مـن ايام الربيع في مترو مصر الجـديدة .. جلست امامي .. فتطلعت الى وجهها ثم نظرت فورا الى اصابع يديها كعادتي كلما رايت وجها جميلا ، فلم اجـد شيئا فاطمأن قلبي .. وشـعرت بارتياح ولما عدت ببصري الى وجههـا شعرت برجفة تهزني !

كانت في حوالي الرابعة والعشرين من العمـر ، خضراء العينين ، ذهبية الشعر ، بيضـاء ، ملفوفة القوام .. وجهها في حـلاوته كانه وجه الدنيا عندما تقبل على انسـان بكل بهجتها واشراقها !.« عينان تنمان عـن حس مرهف ، وعاطفة مضطرمة ، فيهمـا لهفة وظمأ وحزن وعالم اخر ..

والتقت عيناهـا بعيني رأيت في نظراتها وجدا وشوقا وقرات حـديثا صامتا موجها الى ..

قـالت لي بعينيها : انا وحيدة .. ليس لي احد في هذه الحياة ..

وقلت لها بعيني : وانا ايضـا ، مقطوع من شجرة .. في اشد الحاجة اليك والى حبك ليملا حياتي الموحشة.

قالت لي بعينيها ! انا احبك .. الا تؤمن بالحب من اول نظرة ؟

قلت لها بعيني : وانا اعبدك .. لقد احببتك قبل أن اراك .. لا ادرى متى التقينا ، واين ، وكيف .. لكنني احس في اعماقي انني التقيت بك مـن قبل في مكان ما .. الا تصدقين ؟

نظراتنا لا تكـاد تفترق حتى تلتقي .. اهي تحس مثلما احس ، وتشعـر مثلما اشعر ؟.. اتراها شعرت بنفس الرجفة تهزها من الاعماق كما هزتني.

لم اشعر بالزمـن او احس بوقوف المترو في المحطات واستئنافه السير .. لم احس بكل ماحولي ، ولم انتبه الى نفسي الا عندما رايتها تقوم من مكانهـا وتتجه الى باب العـربة مغادرة المترو في احدى المحطات ..

تابعتها بنظراتي حتى اختفت ..

***

عدت الى بيتي وصـورة وجهها لاتفارقني .. وقضيت ليلتي مسهدا. لايغمض لي جفن ، افكر فيهـا .. وأتخيلها زوجة لي تشاركني شـقة صغيرة من حجرتين — كالعش ..

شقة صغيرة ، وزوجة عاشقة ، هما املى مالى هذه الحياة .. متى يتحقق لي ذلك يارب ؟ على أن تكون هي .. هي

وحدها الزوجة .. أما الشقة ، فاى شقة فى اى مكان ، وفى اى حى !.. لست طماعا فأحلم بها فى الزمالك او فى مصر الجديدة .. يكفينى ان تكون فى اى حى شعبى متواضع ..

لم انس وجهها فى الايام التالية .. ظللت أذكرها اياما .. لم انسها قط .. ما اعجب هذا ! اننى كثيرا ما أرى فتيات أو نساء قد يفقنها جمالا وفتنة لكننى سرعان ما أنسى وجههن ... لكن لا ادرى لماذا الحت على صورة وجهها هذا الا لحاح ؟!

وعشت اياما ضائعا فى الطرقات ، اسير على غير هدى ، صورتها لاتكاد تبرح مخيلتى .. واجتزت شوارع مزدحمة بالناس خلال النهار .. وشوارع خالية موحشة خلال الليل وقلبى يعزف اغنية الحب ، والانتظار والامل فى لقائها .. واحلم بها وحدها دون غيرها من النساء

من يدرى ربما التقى بها يوما ما ، ويجتمع شملنا ، وتضمنا شقة صغيرة يعلن ضوؤها الخافت المتسلل من نوافذها فى الليل ان بداخلها رجلا وامرأة يتبادلان الحب . تع

رحت ابحث عنها كلما ركبت المترو وكلما وقف فى المحطة التى نزلت فيها التلفت ، ولكن ليس هناك بريق من امل

ترى هل التقى بها مرة اخرى ؟..

هل التقى بتلك المجهولة التى لم تبرح صورتها مخيلتى ، والتى تركت فى اعماقى ذكرى لاتنسى .. لماذا حدث ذلك ؟! لا ادرى !

والليالى الطويلة ، الليل والوحده وانا والسهاد الذى لا ينفع فى طرده شىء .. لا الاغنيات ولا الاقراص المهدئة ولا الروايات ودواوين الشعر .. هذه الاشياء هى كل نصيبى من متع الحياة .. لم تنفع ان تحملنى الى عالم النوم السحرى !

***

وذات يوم من أيام الخريف رأيتها فجأة ، أمامى فى المترو !..

لم أصدق عينى من شدة فرحتى .. وكالمادة وباللهفة نفسها نقلت نظراتى من الوجه الجميل الى أصابع اليدين .

ولم أصدق أيضا مارأيت .. رأيت دبلة ذهبية فى ، اطبع اليد اليمنى !

وانسابت الى نفسى مرارة موجعة !

لماذا تركتها تذهب أول مرة ؟! لماذا لم اتبعها او احاول ان اتحدث اليها او اعرف بيتها ، وقد رأيت فى عينيها نداء صامتا يدعونى الى الحب .. والتفت عينانا .. ورأيت فى أعماق عينيها نظرة متوهجة كأنها الجمر المتقد ..

هل مازالت تذكر ذلك اللقاء العابر ؟!
هل مازالت تذكر نظراتنا المتبادلة ؟!
هل مازالت تذكرنى ؟

قالت لى بعينيها ، انا لم انسك... انك تركت فى اعماقى جمرة متوهجة .. وهيهات ان انساك !..

وقلت لها بعينى : آه من الظمأ المحرق الذى يشتعل فى الصدر .. اننى منذ رأيتك وانا اعيش فى احتراق ويأس ..

تنهدت .. ورأيتها تتنهد !

ثم رأيت فى نظراتها حزنا عميقا ينعكس على سمات وجهها الجميل .. لكنها اصبحت الآن تخص رجلا آخر.. هل ضاعت الاحلام ، وتبخرت الامانى ، ومات الحب .. وهو جنين قبل ان يولد ، وتأجلت السعادة الى أجل غير مسمى !

هل ضاع كل شىء حقا ؟! ابدا لم يضع بعد كل شىء .. اننى مازلت ارى الحب فى عينيها متألقا وهاجا كضوء الشمس .. انها لم تنس لقاءنا الاول .. لم تنس نظراتنا المتبادلة .. لم تنس اى شىء .. مازال هناك امل !

كم كنت أتمنى ان احقق ذلك الحلم الذى راودنى ليلة رأيتها اول مرة ، ان تصبح زوجة لى !..

لكن ذلك لم يعد يهمنى فى هذه اللحظة .. انها تحبنى ما فى ذلك ريب .. كل شىء فيها يؤكد لى ذلك ..

ارتجافها ، نظراتها التي لا تكاد تفترق من نظراتي.. أما اللقاء بالجسد فذلك شيء رخيص لم اكن اريده أو ابحث عنه أبدا .. يكفيني أنها تبادلني لهفتي وشوقي وحبي .. ذلك حقا هو الحب العظيم .. وليس لقاء الجسد مهما مادام روحانا قد التقيا وتفاهما وتحابا!!

واقتربت محطتها ، وقلبي يخفق في صدري خفقانا موجعا .. وقامت ونظرت الى نظرة حزينة ثم مضت ، ووقف المترو ، فهبطت منه ثم مضت لا تلتفت خلفها ..

مازلت مقيدا في مكاني .. اصفاد من حديد ثقيل تغلل قدمي .. لا استطيع أن اتحرك من مكاني !!

وعاد المترو يمضي بي من جديد ، الى الوحدة والصمت والكتب واغنيات ام كلثوم ورباعيات الخيام — كل نصيبي من متع الحياة ..

وعدت مرة اخرى وحيدا .. ادور في دوامة الحياة ، تضغطني الايام بين شقيها ، كما تفعل الرحى .. وعدت من جديد أحس بالضياع وسط الزحام البشري الذي تموج به طرقات القاهرة الكبرى ، معذبا بعواطفي المشبوبة ، صارخا بتضرعاتي المختنقة التي لا يسمعها أحد ..

***

وكانت امسية باردة من امسيات الشتاء ، وكنت اشعر بالصقيع يتراكم على قلبي وجسدي، حتى خيل الي ان حياتي كلها كانت شتاءا باردا مظلما لا ضوء فيه ولا بصيص ..

ورايتها في المترو ..

كانت واقفة ، فاقتربت منها ، والتقت عينانا .. خيل الي انها شهقت شهقة خافتة لم يسمعها احد سواي ..وخيل الي انني فعلت نفس الشيء.

وهبطت ببصري الى يديها ، ولم استطع للحظات ان ارفع بصري الى وجهها بل ظللت مطرقا وانا احس بطعنة تنفذ الى صدري ، وتدميه .. توقف الزمن ، وماتت السعادة ..

كانت هي جحيمي وفردوسي .. وقد ضاع مني الفردوس الى الابد !

كانت الدبلة قد انتقلت الى اليد اليسرى ..

يا الهي .. لم يعد هناك ثمة أمل ابداً !

وعندما رفعت بصري الى وجهها رايت في عينيها حزنا دفينا يكاد يقطر دمعا .. حتى بدا لي انها لا تكاد تتماسك ، وانها توشك أن تجهش بالبكاء أمام الناس !

قالت لي بعينيها : لقد انتهى كل شيء ، ومات كل امل .. ولن نلتقي بعد ذلك .. انها ذكرى صغيرة فاحتفظ بها في اعماقك لتسترجعها في لحظات وحدتك .. هل تفعل ؟

قلت لها بعيني : صدقيني .. لن انساك حتى آخر العمر !.. ستظلين في اغلى مكان في القلب..ولن يستطيع الزمن بسنواته وشهوره وايامه أن يمحو صورتك من مخيلتي !

كانت نظراتنا تلتقي وتفترق ، في مناجاة صامتة حزينة ..

كانت شاحبة ، هزيلة ، كانها ابلت لتوها من مرض طويل ..

لم نتكلم كالعادة ، لم نتبادل كلمة واحدة ، ولكن عيوننا كانت تضج وتصرخ وتبكي — بلا دموع !

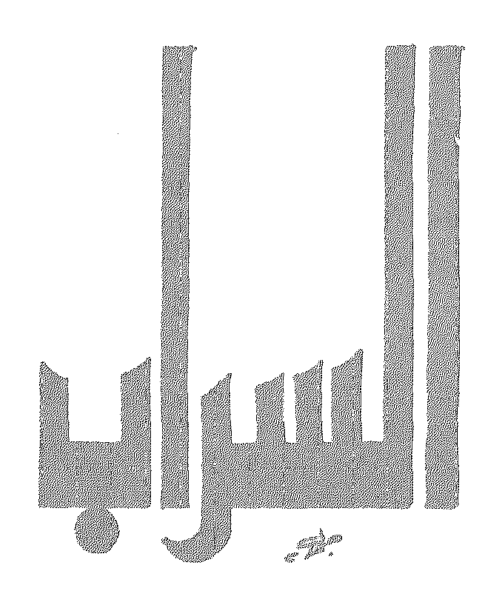
سألت نفسي في حيرة مريرة :

— اى قدر غريب قاس هو الذي قيد خطواتي في مكانها ولم يجعلني اتبعها .. لماذا لم اتبعها واعرف عنوانها وأعرف عنها كل شيء .. والتقي بها، او أتقدم فاخطبها .. لماذا ؟!

لكنني لم اسمع جوابا لسؤالي .. وليس اشقى النفس من ان تسأل ، ولا تسمع جوابا على سؤالها !

لم اشعر بالمترو وهو يمضي او وهو يقف ، حتى جاءت محطتها .. نزلت من المترو ، وودعتها بنظراتي الباكية .

وعاد المترو يمضي بي من جديد ، الى الوحدة والصمت والكتب والاغنيات ورباعيات الخيام — كل نصيبي من متع الحياة !





● د. عزت شندى موسى ●

اذكرانى بما عفا من شـــبابى
اقرأ لى الذى انطوى من كتابى
وارويالى احـداث عيش تولى
وتقضى فى غابرات الحقاب
واعيدا على قصـــة عمـرى
كيف مرت كخدعة من سراب
وصفالى الهيام والحب والشو
ق وليل اللقا وصبح الغياب
واذكرا لى الجمال فى ميعـة
العمر مضىء السنا شهى الرضاب
واعتدال القوام والمبسم الحلو
وكحل المها وحسن الكعـاب
فلكم طال بى التياعى وشوقى
لشباب قد كان غض الاهاب
قد توارى وضاع فى زحمـة
الدهر وولى فى ضيعة وانتهاب
وطوى العمر غفوة منذ جئنا
وغفونا فى رحلـــة للاياب
كلما مر مـن شـبابى يوم
فاض دمعى على مرور شبابى
واذا زاد بى سقامى وضعفى
زاد للضعف والسقام عـذابى
قل لمـــن يحتفى بعام تقضى
لهف نفسى اتحتفى بالتباب !
نحن للترب نبتدى ثم نسعى
فوق ترب، وننتهى .. للتراب؟!

مصطفى مختار

أول وزير للتربية والتعليم بمصر

● مصطفى الشهابى ●

● أدرك محمد علي باشا ، بعد أن استتب له الامر في مصر ، أهميـة التعليم ، وشعر رغم أميته أن الملك لا يشـيد الا على أساس متين من العلم ،وأن العلم الصحيح ليس ما يدرس بالشرق ـ يومئذ ـ وانما هو العلم الذى قامت به المدنية الغربية وشيدت عليه دول أوروبا صرح عظمتها وقوتهـا فاقرت لها أمم الشرق بالغلبة ووقفت أمامها صاغرة ..

وكان ما رآه من أعمـال وآثار الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) دافعا حفزه الى ادراك الفرق الجسـيم بين ما عليه مصر يومئذ من تأخر وضـعف وما عليه فرنسا من قوة وتقدم .

لذلك كله عمل على القيـام بنهضـة تعليمية بمصر ، وكانت دوافعه الى ذلك :

١ ـ امداد الجيش الذى ازمع تكوينه بما يحتاج اليه من ضـباط وأطبـاء ومهندسين .. الخ .

٢ ـ ايجـاد طبقـة من الموظفين لادارة الاعمال الحكومية .

وعلى الرغـم من انه لم يكـن لـه من المعـاونين مثل ما كان لنابليـون ، ولا حوله من المساعدين ما كان حول سـائر ملوك أوروبا الذين رفعوا شأن ممالكهم في أوروبا ،الا انه استطاع أن يحقق أغراضه الى حد كبير .

وقد شجع محمد علي على القيـام بتلك النهضة والعوامل الآتية :

أولا : حسن استعداد المصريين العقلى وقابليتهم للتعليم ، يشـهد لهم بذلك ما كان عليه أجـدادهم الفـراعنة من حضارة .

ثانيا : تبرمه بالموظفين الاجانب الذين كانوا يتقاضون مرتبات ضخمة ، يضاف اليها مرتبات التراجمة الذين يرافقونهم لجهلهم باللغة العربية ، يضاف الى ذلك جهل بعضهم بما يجب اتباعه في مصر ، ومحاولة البعض الآخر الاثراء على حساب الحكومة المصرية بطرق غير شريفة ، مما جعل محمد علي يفكر في احلال المصريين محلهم « صيانة لاموال الحكومة وفخرا لهـا » ، وكان يسر لنبـوغ المصريين ويعتبره « فألا حسنا اذ يغنى الحكـومة عن استخدام الاجانب » .

وكانت الوسائل التى لجأ اليهـا في سبيل ايجاد نهضة علمية هى :

١ ـ ترجمة الكتب الغربية في مختلف العلوم بمترجمين شرقيين وأجانب .

٢ ـ ارسال البعثات لدرس العلوم في

بلادها،حتى اذا عاد أفرادها حلوامحل الاجانب فيما تخصصـــوا فيه وترجموا والفوا ما يتفق وحاجة مصر .

***

وكانت أولى البعثات الى ايطاليا عامى ١٨١٣ ـ١٨١٦ وجدير بالذكر أن أحد أفرادها درس فن الطباعة وما اليهـا من سبك الحروف وصنع قوالبها ، ولما عاد تولى ادارة مطبعة بولاق (المطبعة الاميرية)

ثم اتجهت البعثات بعدئذ الى فرنسا وارسلت بعثة كبرى الى فرنســا سنة ١٨٢٦ من اعضائها مصطفى مختار ، الذى كان من أبنــاء قولة ، القرية اليونانية وكانت اليـونان يومئذ تابعة لتركيــا ، وهى نفس القرية التى نشأ بها محمد على وكان من قبل موظفا بديوان محمد على ، وقد اختير مصطفى مختار على الرغم من كونه عضوا ، اختير مع عضوين آخرين للاشراف على بقية الاعضــاء الذين بلغ عددهم نحو أربعين عضوا .

وسافر معهم الشيخ رفاعة الطهطاوى اماما لهم ومرجعا فى الشئون الدينية ، ولكنه أى رفاعة الذى درس اللغــة الفرنســية واكب على دراســة التاريخ والجغرافية والآداب وغيرها حتى صار نابغة عصره .

وقد اشار رفاعة فى كتابه « تخليص الابريز » بمصطفى مختار ووصفه بأنه « صاحب الرأى السديد والطالع السعيد من خلع فى حب المعالى العذار ، حضرة مصطفى مختــار افندى الدويدار » ، (والدويدار كلمة تركية معنـاها حامل الدواة أى المحبرة ، كناية عن حب العلم)

وفى فرنســا درس مصطفى مختــار « علم تدبير الامور العسكرية » ولذكائه ونبوغه كان موضــع عناية خاصــة من المسيو جومار المشرف الفرنسى على البعثة وكان يشجعه هو وباقى زمـلائه وينبههم الى عظـم ما ارســلوا من اجله والى ان الارادة القوية التى تتجلى فيهم تكفل بلوغ الغاية التى قصدتها مصر من بعثتهم .

ولم تبخل مصر على المبعوثين بما يهون الغــربة عليهم حتى بدت النعمة عليهم واعتبرهم الفرنسيون ـ كما يقول رفاعة الطهطــاوى ـ « من الموسرين » بل من



مصطفى مختار : أول وزير للتربيــة والتعليــم

الاغنياء » وبلغ من اهتمام محمد على بهم انه أرسل ثلاثة جياد الى الاعضاء الذين اختيروا للاشراف على باقى اعضاء البعثة ومنهم مصطفى مختار .

ولما علم محمد على بميل مختــار الى الموسيقى أرسل اليه ساعات دقاقة منها واحدة تصدر عنها انغام موسيقية ، كما اشترى له آلتين موسيقيتين ليشبع هوايته الخاصة .

وعاد مختار بعد أن اتم دراسـته عام ١٨٣٢ ونال رتبة بكباشى « مقدم » ولقب « بك » واشترك فى حرب الشام الاولى وكان فيها أركان حرب لابراهيم باشــا وياورا له ثم عين بعدئذ رئيســا لمجلس شورى المدارس ، الذى تحول الى « ديوان المدارس » بعد أن تقــدمت وتعـددت المدارس العالية والخصوصيةالتى أنشأها محمد على واتسع نطاقها .

واسندت ادارة ورياسة هذا الديوان الى أمير اللواء مصطفى مختار وكان هـذا الديوان أول وزارة للتربية والتعليم فى مصر .

وكان لهذا الديوان مجلس مؤلف من مصطفى مختار رئيسا ومن عدة اعضــاء

مصطفى مختار
أول وزير للتربية والتعليم في مصر

من بينهم كلوت بك ، ورفاعة الطهطاوي واعضاء آخرون .

واصبحت شئون التعليم لها ادارة خاصة بعد أن كانت تابعة لديوان الحربية ، ويرجع الفضل في ذلك الى مصطفى مختار .

والى مصطفى مختار وديوان المدارس يرجع الفضل في تنظيم التعليم بالمدارس ووضع لائحة لنشر التعليم الابتدائي قضت بانشاء خمسين مدرسة ابتدائية (وكانت تسمى مكاتب) منها أربع بالقاهرة وواحدة بالاسكندرية والباقي في مختلف انحاء القطر المصرى .. وقضت اللائحة بأن يكون بكل مدرسة بالقاهرة والاسكندرية ٢٠٠ تلميذ بكل مدرسة من مدارس الاقاليم مائة تلميذ .

وكان أكبر ما قام به مختار بك من خدمات للتعليم ، الاهتمام بالكتب التي يدرسها التلاميذ بالمدارس الابتدائية .

وعلى الرغم من أنه أرسل لتعلم الادارة الحربية والشئون العسكرية فقد نجح في عمله بديوان المدارس .

ولم يقتصر عمله على ديوان المدارس بل اسندت اليه أعمال أخرى قبل وبعد رئاسته لذلك الديوان فقد عين رئيسا للمجلس العالى الذى اسس سنة ١٨٣٤ وكان يتكون من رؤساء الدواوين والمصالح وعالمين يختارهما شيخ الازهر واعضاء آخرين ، وكما كان رئيسا لمجلس الملكية فقد اشرف على اعمال ديوان الاشغال مع ديوان المدارس .

وكان محبا للاستقلال في عمله ، ولذلك نجح في الانفصال عن ديوان الجهادية(الحربية) من الناحية الادارية فقط ، بل وسعى للانتقال بديوان المدارس من القلعة الى مكان خاص بالازبكية ، حتى تكون للتعليم شخصية مستقلة .

وكان مصطفى مختار حاد الطبع ، صلب الرأى ، ولذلك اصطدم مع محمد على ، ولولا تقدير الاخير لمواهبه ما كان ليعفو عنه .

وقد كانت جهوده أكبر موجه لسياسة التعليم في عهد محمد على وقد سار على هديه من تولوا شئون التعليم بعده .

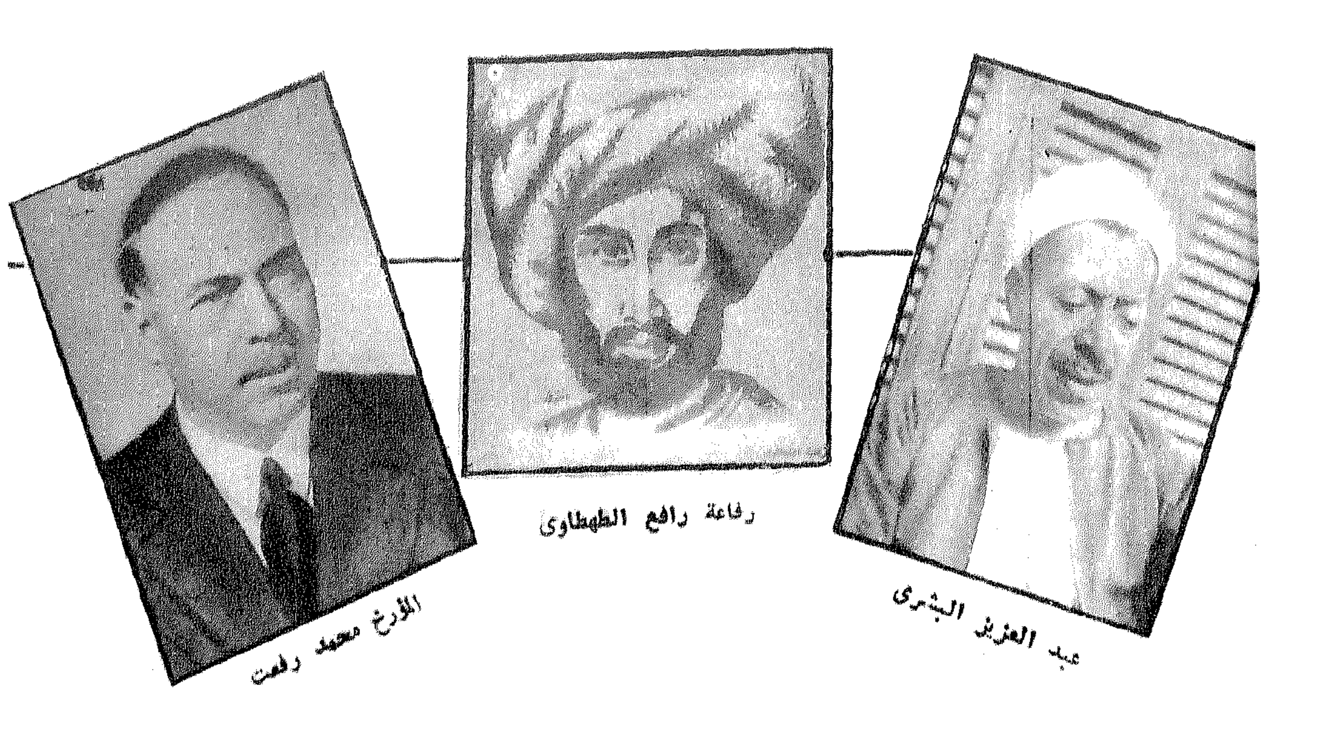
وقد مدحه الشاعر محمد شهاب الدين كبير شعراء ذلك العصر بعدة قصائد ، منها قصيدة تتضمن بيتين يصف فيهما همته قال :

عزيمة كالحسام قطعا
تمر كالسحاب اذ تسير
وهمة دونها الثريا
وهى لها في الثرى مسير

ومما يذكر بالفخر لمصطفى مختار اعتزازه بانتسابه لمصر وانفصاله عن موطنه الاصلى واندماجه في الشعب المصرى واتخاذها وطنا خالدا له ولاسرته، ولا غرابة في ذلك فان من مميزات مصر انها تدمج في كيانها العناصر والقوميات التى تتوطن بها وتصبغها على مر الزمن بصبغة القومية المصرية .

ولقد عبر مصطفى مختار عن هذا الشعور بحديث له ، ذكره بوالكونت احد المؤرخين الفرنسيين ، قال :

« اننا وان كنا في الغالب مولودين في تركيا ، لكننا اكتسبنا الجنسية المصرية بحكم التوطن ، وأنتم معشر الفرنسيين تعترفون بالجنسية الفرنسية لمن يقيم بفرنسا عشر سنوات ، اما نحن فقد جئنا مصر قبل ان نتجاوز سن الصبا ، فلسنا الآن اتراكا ، ولم يبق فينا ما يربطنا بهذا الشعب الذى لا يترك في طريقه اينما


المؤرخ محمد رفعت
رفاعة رافع الطهطاوى
عبد العزيز البشرى

سار سوى دلائل الخراب . لقد اندمجنا فى أمة أخرى أرقى وأنبــل وأذكى من التركية ، اندمجنا فى تلك الامة العربية التى سبقت أوروبا الى الحضارة وازدانت أيام عزها وسؤددها بذلك العمران الذى يتجلى للناظرين فى المــدن الزاهرة التى انشأتها والعمائر الجميلة التى اقامتها .

ولم يطل عهد مختار بديوان المدارس اذ توفى عام ١٨٣٩ ، ولم تمهله الاقدار ليظفر برتبة الباشوية التى ظفر بها ابنه مصطفى باشا مصطفى مختار الذى اوفد الى فرنسا فى بعثة سنة ١٨٤٤ ثم عاد وتقلب فى مناصب كثيرة ، كان آخــرها أن عين مديرا للغربية سنة ١٨٧٣ .

ولا يفوتنا ان نذكر أن وزارة التربية والتعليم (المعــارف يومئــذ) احتفلت احتفالا كبيرا فى شهر مارس سنة ١٩٣٧ بمرور مائة عام على تأسـيسها واقيمت حفلات بالاوبرا للموسـيقى والغنــاء والتمثيــل المدرسى ، كما اقيمت كذلك حفلة العاب رياضية بالنــادى الاهلى ـ وأخيرا احتفل بانشاء متحف التعليم .

وقد ساهم « الهلال » فى هذا الاحتفال المئوى باصدار عدد خاص فى ابريل سنة ١٩٣٧ ، عنوانه « ثقافتنا فى مائة عام »

وقد اشترك فى تحريره نخبة من كبـار رجال التعليم وأعـلام الادب والفكـر ، وفيه بحثوا رسالة وزارةالمعارف وتبعاتها ودرسوا تطور نهضتنا الثقافية فى شتى وجهــاتها ، وتحدثوا عن الرجال الذين شادوا بناءها ودعموا اركانها ، ثم ابانوا عناصر القــوة والضــعف فيها ، فكانت بحوثهم تصويرا دقيقــا لفترة من تاريخ مصر الخالدة .

ونذكر بين هؤلاء المغفــور لهم بهى الدين بركات ، محمد رفعت (المؤرخ) وعبد العزيز البشرى ، والعقاد ، وزكى مبارك ، وعبد الرحمن صدقى : والاستاذ محمد عبد الله عنان .

وقد وجه وزير المعــارف « للهــلال » تحية استهلها بقوله : « من اكبر دواعى الغبطة عندى « تحية » الهلال على ماهداه اليه شعوره الادبى من المســاهمة بهذا العدد الحافل ، فى الاحتفال بانقضــاء مائة سنة على وزارة المعارف » .

ولم يبق من آثار ذلك الاحتفال (عــدا العدد الخاص الذى اصدره الهلال) سوى لوحة تذكارية وضــعت على يمين الداخل لمبنى وزارة التربية والتعليم .

قصة

ورقتان على غصن شجرة

● بقلم اسحق باشيفيس سنجر ●
الحائز على جائزة نوبل فى الادب
● ترجمة د. سليم الاسيوطى

● كانت الغابة متسعة فسيحة مترامية الاطراف . تملؤها الاشجار من كل نوع . وقد تكاثرت اعدادها واورقت اغصانها الكثيفة حتى غدت سحابة تغطى سماءها ..

كان ذلك ابان شهر نوفمبر ، والجو يكون باردا عادة ، فى مثل هذا الوقت من السنة ، حتى انه فى بعض الاحايين يحدث ان يتساقط الثلج .. ولكن الجو فى نوفمبر من ذلك العام كان دافئا بالنسبة الى غيره ، وكانت الليالى باردة باعتدال ، قد تعصف بها الرياح ولكن ما ان تشرق الشمس فى الاصباح حتى يغدو النهار دافئا ..

ولقد يخيل للمرء انه فصل الصيف لولا ان اوراق الاشجار المتساقطة كانت تغمر ارض الغابة كلها ...

بعض هذه الاوراق كان اصفر كما الزعفران والبعض احمر قان كما النبيذ ، والبعض الاخر كالذهب النضار ، وغيره مختلط الالوان .

كانت الامطار قد اطاحت بالاوراق من اعلى اغصانها .

وعلى الرغم من أن عصارة هذه الاوراق قد جفت، الا انها ما زالت تنشر عطرها وشذاها الطيب فى كل مكان .

اما الطيور التى لا تهاجر الى الاوطان ذات المناخ اكثر دفئا ، فى الشتاء ، ولكن تبقى حيث هى ، فقد حطت على غصون الاشجار التى تعرت من أوراقها . وكان من بين هذه الطيور ، العصافير الصغيرة جدا ، ولكن على الرغم من صغرها فقد وهبتها الطبيعة قدرا كبيرا من الشجاعة وتجارب السنين المتراكمة عبر الاف « الاجيال » كانت الطيور تحجل ، وتسقسق باحثة عن الطعام الذى تحفل به الغابة فى مثل هذا الوقت من العام . لقد هلكت حشرات كثيرة ، كثيرة جدا فى الاسابيع الاخيرة ، ولكن لم ياس لموتها احد . ان مخلوقات كثيرة من مخلوقات الله ، تعلم جيد العلم ان الموت ما هو الا مظهر من مظاهر الحياة او صورة من صورها او جانب من جوانبها . فانه بمجىء الربيع سوف تعود الغابة فتزخر بالحشائش والعشب من جديد ، وتزدهر بالاوراق والنوار والازهار وتعود الطيور المهاجرة الى الديار من البلاد النائية . وتعمر اعشاشها التى كانت هجرتها ، وحتى لو كانت الريح قد اتلفت اعشاشها او بعضها او اتلفها المطر فسرعان ما تصلح من شأنها بسهولة وفى يسر ...

●●●

على قمة شجرة فقدت كل أوراقها ، بقيت ورقتان احداهما ذكر تدعى « اولى » ، والاخرى أنثى تدعى « تروفا » .. لقد تدلت « أولى » و « تروفا » ، كلتاهما ، من أملود واحد ، ولما كانتا على قمة الشجرة تماما فقد كانتا تستقبلان قدرا طيبا من أشعة الشمس ، ولسبب ما ، علمه عند الله ، يخفى على العباد — لم يعرف احد من الناس لماذا بقيتا بعد عصف الريح وهطول الامطار ، وظلتا معلقتين هكذا ، بقمة الاملود .

من عساه أن يعرف السبب الذى من اجله تسقط ورقة من على شجرة وتبقى أخرى معلقة بها ؟ ولكن « اولى » و « تروفا » كانتا تؤمنان بأن الاجابة عن هذا السؤال تكمن فى الحب العظيم الذى تضمره احداهما للاخرى .

كانت « اولى » أكبر قليلا فى الحجم من «تروفا» كما كانت فى العمر تكبرها بعدة ايام . ولكن « تروفا » كانت اجمل واكثر رقة. لم تكن الورقة تستطيع الا عمل القليل من اجل الاخرى اذا ما عصفت الريح وهطل المطر او بدأ البرد فى التساقط .. وحتى اذا ما حدث ان طيرت الريح ورقة من منبتها فى الصيف وقدم الخريف وتلاه الشتاء ، فلا امل للاخرى فى النجاة او فرصة للخلاص ... ومع ذلك فان « اولى » كانت تشجع « تروفا » وتشد من أزرها فى كل مناسبة . وفى أثناء هبوب العواصف الهوجاء وقصف الرعد ووميض البرق . كانت الريح لاتمزق الاوراق من اغصانها فحسب ، بل اغصانا كاملة من على الشجرة ...

كانت « أولى » تناشد « تروفا » : تمسكي بفرع الشجرة ، يا تروفا ! تمسكي بكل قواك !

وفي الليالي اذا ما اشتدت لفحات البرد وعصفت الرياح كانت « تروفا » تندب حظها العاثر : لقد حان أجلي ، يا « اولى » ، ولكن عليك أن تتماسكي !

وتسال « اولى » : ولماذا التمسك بالحياة أو التماسك ؟ ان حياتي بدونك لا طعم لها ولا مذاق . ولا معنى ولا أهمية : فاذا ما سقطت فلسوف أسقط معك ! »

لا ، يا « اولى » لا تفعلي بربك ، لا تفعلي ! ان الورقة اذا ما استطاعت البقاء فيجب الا تسقط ..

وتجيب « اولى » : ان الامر كله يتوقف على بقائك معي ، ففي ضوء النهار انظر اليك واسعد بحسن جمالك ، وفي ظلمة الليل انشق عبيرك الارج فلتكوني ورقة وحيدة على الشجرة . لا ، لا تسقطي ابدا !

وترد « تروفا » : ان حديثك السحر يا « اولى » بحيث يبدو لي غير صادق . انت تعلمين جيدا انى لم اعد ذات حسن وجمال ، انظري الى التجاعيد تعلو وجهي ! لقد جفت عصارتي وغاض ماء كان يترقرق في وجهي ... واني لخجل من نفسي لا اجرؤ على السفور امام الطيور . انها تنظر الى بمزيد من العطف والشفقة ، حتى لاتوهم بين الفينة والفينة انها تسخر مني وتهزأ بي لما آلت اليه صورتي من الذبول والضمور !.. لقد خسرت كل مالي في الحياة ، ولم يبق لي الا حبي لك . وكفى بالحب ذخرا !

تساءلت « أولى » : أوليس الحب عوض كاف ؟ انه أقوى وأسمى وأجمل هبات السماء .. وما دام كل منا مقيم على حب الآخر ، فسوف نظل هنا على هذا الغصن الرطب ، ولن تستطيع ريح تهب ولا عاصفة تثور ولا مطر ينهمر من أن تنال منا أو تقضي علينا . دعيني أبوح لك بسر ما يختلج في صدري ، يا « تروفا » ـ لم احببك قط في حياتي كما أهيم بك الآن ..

ـ « ولماذا ، يا « أولى » ؟ لماذا ؟ ان الصفرة تصبغ بشرتي جميعها » .

ـ « من ذا الذى يقول ان الاخضر جميل والاصفر عاطل من الجمال ؟ ان الالوان جميعها تتساوى في جمالها » .

ما ان تفوهت « أولى » بهذه الكلمات ، حتى وقع ما ظلت « تروفا » تترقبه وتخشاه طوال هذه الشهور ... هبت ريح عاتية انتزعت « أولى » من فرع غصنها المياد ، وراحت « تروفا » ترتعد وترفرف حتى بدا انها لا محالة طائرة في الهواء.. ولكنها تماسكت وتمسكت بغصنها بقوة . أبصرت « أولى » تسقط امام عينيها وتحملها الريح بعيدا فنادتها بلغة أوراق الشجر : « أولى .. عودى الى » . غابت عن الانظار . لقد اختلطت بغيرها من الاوراق المبعثرة على سطح الارض ، فبقيت « تروفا » وحيدة على الشجرة ، لا أنيس ولا جليس ..

ولما كان ضوء النهار ما زال ينشر لواءه على الغابة ، لقد نجحت « تروفا » في التذرع بالصبر على احتمال النازلة التي حلت بها ، ولكن حينما نشر الليل ظلامه على الكون ولفه البرد وهطل عليه المطر الغزير ـ غاصت « تروفا » في اليأس واستبدت بها خيبة امل ... وعلى كل حال لقد شعرت ان اللوم كله ينصب على الشجرة ، لما حل بالاوراق من محن وحل بها من كوارث وما نال الجذع بكل أغصانه من ضربات . ان الاوراق تسقط ولكن الجذع يبقى قائما وسمته نحو السماء ، ويضرب بجذوره السميكة الثابتة في أعماق الارض ، فلا الريح ولا المطر ولا البرد بقادرة على زعزعته . فهل تهتم شجرة قد تعيش الى الابد ، بما يحدث لورقة على غصن ؟

ان الجذع في نظر « تروفا » كان نمطا من آلة . فهو يغطي نفسه ، يكسوها بالاوراق ، ثم لا يلبث الا شهورا قليلة ، فيمود وينفضها عنه ... انه اذا ما أمد هذه الاوراق بالعصارة ، كما يحلو له ، لمدة قد تطول وقد تقصر ، فهو أيضا يميتها ظمأ .

ضرعت « تروفا » الى الشجرة أن ترد اليها « اولى » ومعه الصيف من جديد ، ولكن الشجرة لم تعرها سمعا صاغيا .

اعتقدت « تروفا » ان اى ليل لا يمكن ان يطول كما طال ليلها هذا ... ولا أن يظلم كما اظلم ليلها هكذا ، وصار باردا ، أيضا ، غير مالوف وغير معروف ... تحدثت الى « اولى » وهي تامل في أن تجيبها ، ولكن هذه كانت صامتة ، لم يصدر عنها ما يدل على حياتها .

قالت « تروفا » للشجرة : « ما دمت اخذت مني « اولى » فخذيني انا ايضا ».

ولكن الشجرة لم تعر ضراعتها اهتماما او التفاتا .

بعد برهة وجيزة ، غلب النعاس « تروفا » .. كان نعاسا خفيفا أقرب الى التراخي والاسترخاء منه الى النوم ، ولما استيقظت تنبهت .. ولدهشتها الشديدة ، الى أنها لم تعد على غصنها في الشجرة. لقد هبت الريح وأسقطتها وهي في سباتها ..

كان شعورها مختلف عن الشعور الذى اعتادته عندما كانت تستيقظ فوق الشجرة مع شروق الشمس ... لقد تلاشت كل مخاوفها وتبددت كل انزعاجاتها ، الان . لقد جاءتها اليقظة باحساس لم تستشعره من قبل قط . لقد تبدى لها آنذاك أنها لم تكن مجرد ورقة على شجرة ، تتهددها نزوات الريح ، ولكن ادركت أنها جزء من الكون الفسيح .. وبقوة خفية غامضة امنت « تروفا » بمعجزة الجزئيات والذرات والاليكترونات التى تكونها تلك **الطاقة الهائلة التى تمثلها والخطة الالهية التى هي جزء منها .**

انها لم تعد ضئيلة ولا ضعيفة ولا زائلة فانية. كانت « اولى » راقدة بجوارها ، فتبادلتها التحية والحب الذى لم تكونا لتشعرا به من قبل . انه حب لا يقوم على المصادفة او النزوة الطارئة ، ولكنه الحب القوى الخالد خلود الكون نفسه .. ان ما اعتادتا خشيته على توالى الايام والليالى فيما بين شهرى ابريل ونوفمبر ، بدا انه لم يكن شبح الموت كما كانتا تتوهمان .. انه التحرر والعتق والخلاص ...

وهبت نسمة من هواء رخاء ، صعدت « باولى » و « تروفا » الى الفضاء فحلقتا في نعيم لا يدرك كنهه الا من جردوا انفسهم والحقوا بالخلود ..!

معجزة

اليابان !!

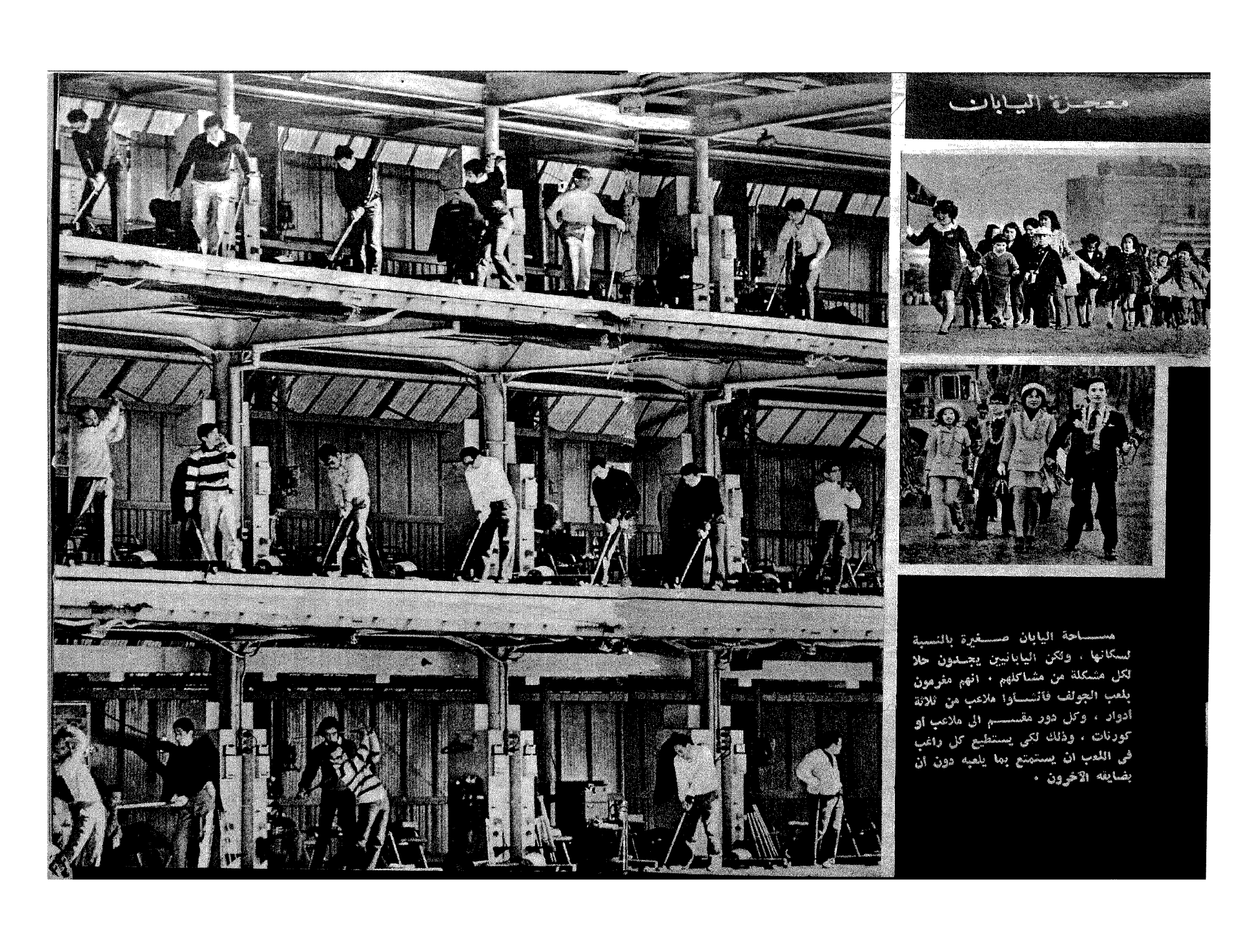
كل نجاح اليابان قائم على خمسة اسس :

- صدق اليابانى مع نفسه وأمته .
- ايمان اليابانى بانه عندما يخدم اليابان يخدم نفسه .
- اقبال اليابانى على العمل الى اقصى ما تستطيع قواه .
- العمل الجيد والمتقن وحده هو الذى له قيمة .
- النظام والنظافة جزء من عقيدة اليابانى .

اليابانى يثق فى اليابانى ويعتبر الامبراطور رمز قوة اليابان .



فتاة يابانية في كامل بهائها وزينتها ، انها ظاهرة الجمال
ويزيد في جمالها زيها الياباني وزينة شعرها الفريدة في بابها



معجزة اليابان

مساحة اليابان صغيرة بالنسبة لسكانها ، ولكن اليابانيين يجدون حلا لكل مشكلة من مشاكلهم • انهم مغرمون بلعب الجولف فانشأوا ملاعب من ثلاثة ادوار ، وكل دور مقسم الى ملاعب او كورنات ، وذلك لكى يستطيع كل راغب فى اللعب ان يستمتع بما يلعبه دون ان يضايقه الآخرون •

معجزة اليابان

كلما نتحدث عن عجيبة اليابان ، ولكننا عندما نعرف الحقائق كما ينبغي يتبين لنا اننا أمام ظاهرة هي أكثر من عجيبة ، فان أسرار قوة اليابان ونجاح اليابان تفوق كل تصور ٠ انها امبراطورية بدون أرض لان الشمس لا تغرب عن صناعات اليابان ٠ في كل بلد من بلاد الدنيا لا تنظر الا رأيت اعلانا عن أحد منتجات اليابان ٠ اضواء النيون تقول ذلك بالليل بأبلغ بيان ٠

منذ سنة ١٩٤٥ تضاعف انتاج اليابان ٣٠ مرة اول سيارة يابانية نزلت السوق كانت سنة ١٩٧١ ٠ يومها سخر كل الاوروبيين والامريكيين من سخافة السيارة اليابانية ونقصها في كل جزء من جزئيات الصناعة ٠

اليوم تغزو سيارات اليابان كل أسواق الدنيا بما في ذلك أسواق الولايات المتحدة واوروبا لقد صنعت اليابان وباعت خلال العام الماضي ٩ ملايين سيارة ٠ هناك يعقدون المؤتمرات ليحموا أنفسهم من الغزو الياباني لسوق السيارات ٠ في بعض بلاد آسيا وأمريكا اللاتينية قضت سيارات اليابان على غيرها قضاء مبرما واشترى وكلاء السيارات اليابانية معارض السيارات غير اليابانية ٠

لقد « بنى » اليابانيون رصيدا هائلا من الذهب والعملات الاخرى لم يسمع بمثله في التاريخ : ما قيمته ٣٦ بليونا من الدولارات أعجب من ذلك هو مدخرات اليابانيين أنفسهم وقد بلغت ٢٠٠ الف مليون دولار ٠ واليابانيون يستثمرون مدخراتهم في صناعات بلادهم ومنتجاتها — واليابان نتيجة لهذا الاستثمار الضخم تستطيع الدخول في اى مشروع مهما عظم شأنه ٠ والياباني له في شعبه



الياباني يصلي لمصنعه كما يصلي أى متدين آخر لعقيدته ولكل مصنع نشيده الخاص به ٠ ويوم العمل في أى مصنع ياباني يبدأ بالصلاة للمصنع والقاء النشيد جماعيا تحت اشراف واحد من العمال ٠ هذا المنظر أخذ في مصانع ماتسوشينا قرب اوزاكا ٠

معجزة اليابان

وحكومته ثقة بلا حدود ، انه يعرف ان الذين يسلم اليهم أموالهم سيتصرفون فيها أحسن تصرف . وكل اليابانيين متعاونون فيما فيه صالح بلادهم . عمال الشحن ورجال الجمارك فى الموانى يحملون المصنوعات على البواخر دون اجراءات تقريبا . البضائع تحمل ، والقائمة المقدمةمن المصنع تختم ويحال قدر منها الى ضرائب الجمارك وأخرى الى ضرائب التصدير وثالثة الى الضرائب الصناعية .. الى آخره ، وهكذا يسير كل شىء فى طريقه دون تعقيد . البضائع تصل الى الاسواق الخارجية فى أقل وقت والجمارك تحصل والضرائب تدفع والعمال لا يتوقفون عن العمل أبدا واليابان تزداد قوة يوما بعد يوم .دون شك : القرن الحادى والعشرون هو قرن اليابان .

واليابانى انسان بلا عقد ولا قيود فعقيدته الدينية سهلة واضحة . انها ديانة فضائل جماعية والبوذية على مذهب زن ، وبها يؤمن معظم اليابانيين هى فى ذاتها مقياس شرف وهى تضع الانسان أمام ضميره ولا شىء بعد ذلك واليابانى يعمل ما يرى انه الصالح للامة اليابانية كلها دون تردد لان الحكم الاول والاخير هو ضميره .

ولا يقتصر نجاح اليابانيين على ذلك التوفيق العظيم فى الصناعة والتوزيع بل انهم الآن يمدون خيوطهم فى كل اتجاه وميدان ، فان جماعات السائحين اليابانيين لا تنقطع فى مطارات الدنيا ، وهم ليسوا سواح متعة ولعب فحسب بل سواح دراسة وتعلم ، فأنت ترى الفوج السياحى من الشبان او الشابات يتقدمه رئيس منهم يحمل لافتة مكتوبة باليابانية ، والبقية تتبعه كأنها فرقة فى جيش . وهم ينزلون باريس مثلا ويحققون برنامجا ثقافيا سياحيا موضوعا باتقان ، والاوقات الحرة التى يفعل السائح اليابانى فيها ما يريد قليلة جدا . لان اليابانيين قوم جادون ، وكل شىء فى حياتهم عمل وفائدة : المتعة عمل والفرجة عمل ، ولا وقت هناك للضياع .

وليس فى الدنيا أعجب من العقلية اليابانية . فهؤلاء الناس يدهشونك حقا بتصرفاتهم ، فهم مثلا فى تنزانيا ينفذون مشروعا عمرانيا لانشاء مدينة جديدة ، وهنا العمل كله هدية من حكومة اليابان لتنزانيا . والمتخصصون اليابانيون يعملون فى الغابة وحكومتهم ترسل لهم التموين الكافى من كل نوع . وبينما هم يعملون طرق المنطقة جاء أسد وأخذ يجول خلالها ، وفى جولاته صاد بقرة وحشية وأكل منها كفايته ثم انصرف عنها لكى يعود اليها مرة أخرى على عادة السباع ، وفى الوقت الذى انصرف فيه السبع كان اليابانيون قد اسرعوا واقتطعوا من الفريسة فخذا وعادوا به الى معسكرهم وطبخوه وأكلوه . ومثل هذا التفكير لا يخطر قط الا بعقلية اليابانى العملى .

وينفق اليابانيون سبعة بلايين من الدولارات سنويا فى مساعدات علمية وتكنولوجية وانسانية لبقية أمم العالم ولا يفوقهم فى هذا الميدان الا الولايات المتحدة ، وهم بهذا يؤدون واجبهم نحو الانسانية كاملا ، ومن هذا الاعتماد الضخم استكشف اليابانيون لحساب كولومبيا والبرازيل أبعد مجاهل نهر الامزون وصعدوا حتى قمة جبل ايفرست مستكشفين باحثين عن المعادن والخامات ومدوا كرمهم حتى شمل الجامعات الامريكية فقد قدموا فى العام الماضى مليون دولار منحة لكل واحدة من ثمانية جامعات أمريكية من هارفارد الى هاواى وعندهم جمعية تسمى جمعية المتطوعين التعاونية تقدم خدماتها الفنية والتقنية لبلاد العالم الثالث ، وهذه الجمعية تقوم بتنفيذ مشروعات متعددة مثل زراعة الحدائق فى المغرب ودراسة التربة فى نيبال وتحلية المياه على شواطىء موريتانيا .

ولكن هناك أمما كثيرة لا ترحب بهذا النهم اليابانى الى العمل والاستثمار والانتاج ، ففى البرازيل واندونيسيا يسمون اليابانيين « حيوانات اقتصادية



في الصورة الاولى أعلا هذا الكلام ترى يابانية من جمعيات المعاونات الفنية للدول النامية تعلم امرأة من تنزانيا حرفة الحياكة ٠

وفى الصورة الثانية ترى معلما يعلم بنتا يابانية من المغتربات العاملات فى بلاد أخرى كيف تكتب الخط اليابانى لان اليابانيين حريصون على المحافظة على شخصية شعبهم وخصائصه الثقافية والاخلاقية ٠



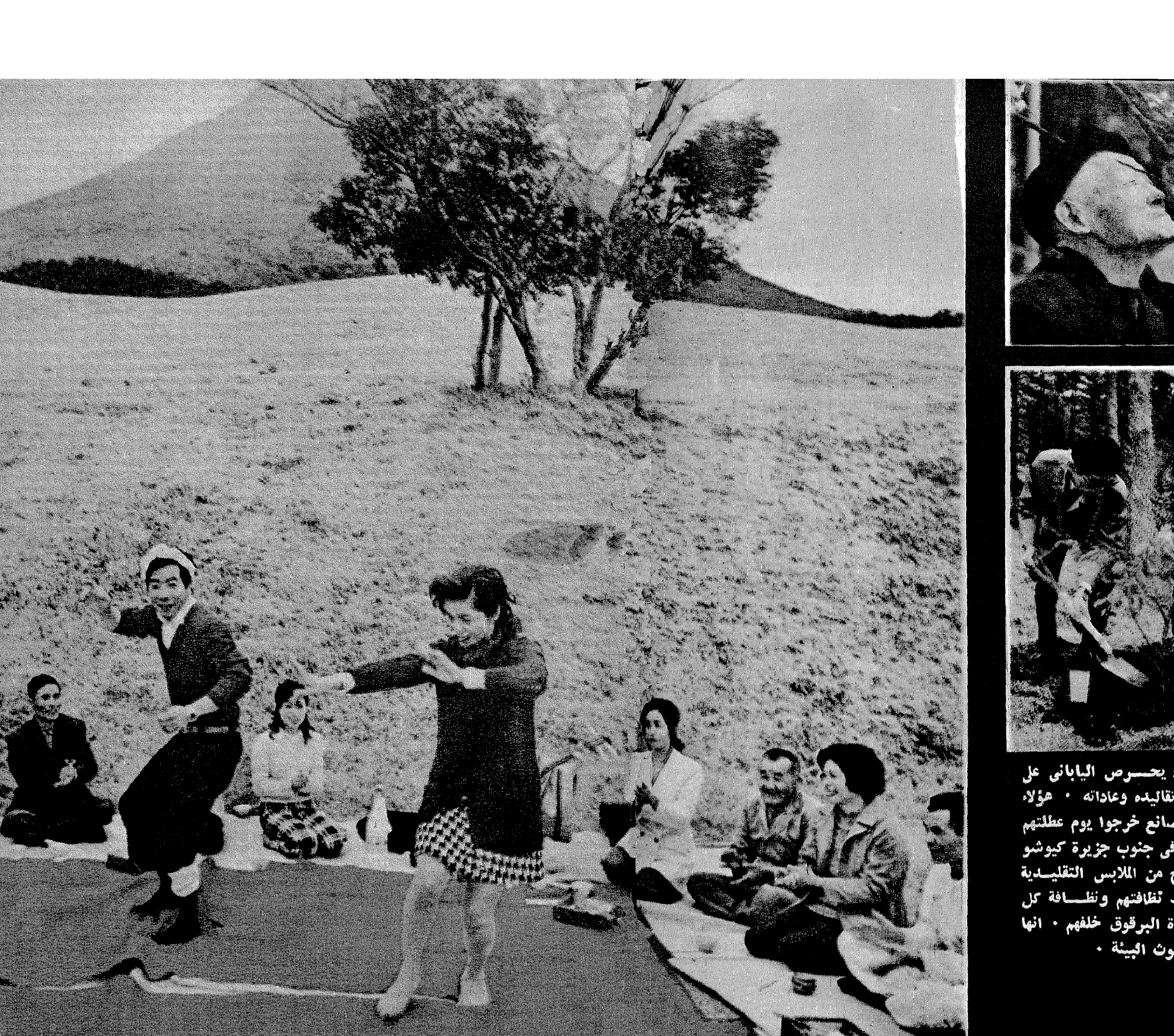
وفى بانكوك يقاطع الطلاب منتجات اليابان ويسمونهم الامريكيين الصفر ٠ وفى جزر الهاواى - وهى ولاية امريكية يكرهون اليابانيين ويخافونهم ٠

بل ان اليابانيين أنفسهم ليسوا سعداء بالنجاح الذى وصلوا اليه فى ميادين الصناعة والتكنولوجيا والمال ٠ انهم يقولون ان ذلك النجاح يقتل روح اليابان ويلوث مياه البحار والهواء وقد قال أحد رجال الصناعة آسفا : ان أشجار الكريز التى اشتهرت بلادنا بجمالها تموت الآن فى الجو الملوث الوبى، وجبل فوجى ياما الذى كان أجمل ما تقع عليه عينك وأنت فى طوكيو لايرى اليوم الا مرة فى الاسبوع فان دخان المصانع يخفيه ٠

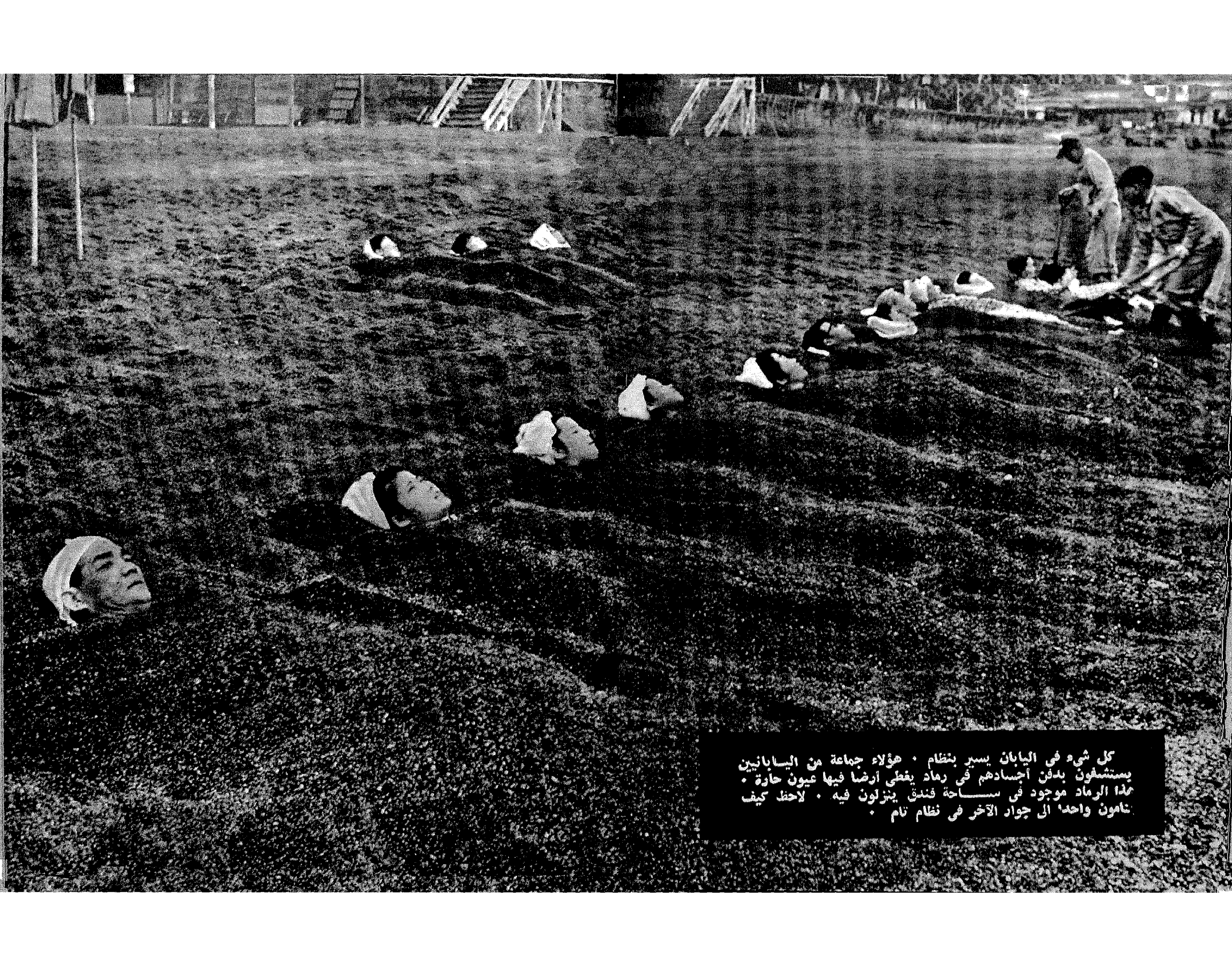
وقال صحفى يابانى كبير اننا نعمل كالمجانين كأننا فى معركة ، ولا تحسب ان الروح الحربية اختفت فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية .. انها لاتزال موجودة ، ان الذى حدث هو أن ولاء اليابانى انتقل من الامبراطور الى المصنع والمصنع ميدان اليابانى اليوم ٠ انه يعمل بنفس التفانى الذى كان يحارب به ، اننا نقاتل ولا نعمل فى مصانع !

كتب باحث يابانى يقول : الايقتصر ثمن النجاح الذى ندفعه نحن اليابانيين فى مقابل نجاحنا على مجرد تلوث البيئة وفساد الظروف الحيوية أى الايكولوجية ، فاننا نعانى قلقا نفسيا بلا نهاية ، فنحن نعتمد فى ٨٥٪ من البترول الذى نحتاج اليه على الشرق الاوسط ، وأى اضطراب أو خلخلة هناك تحطم أعصابنا ٠

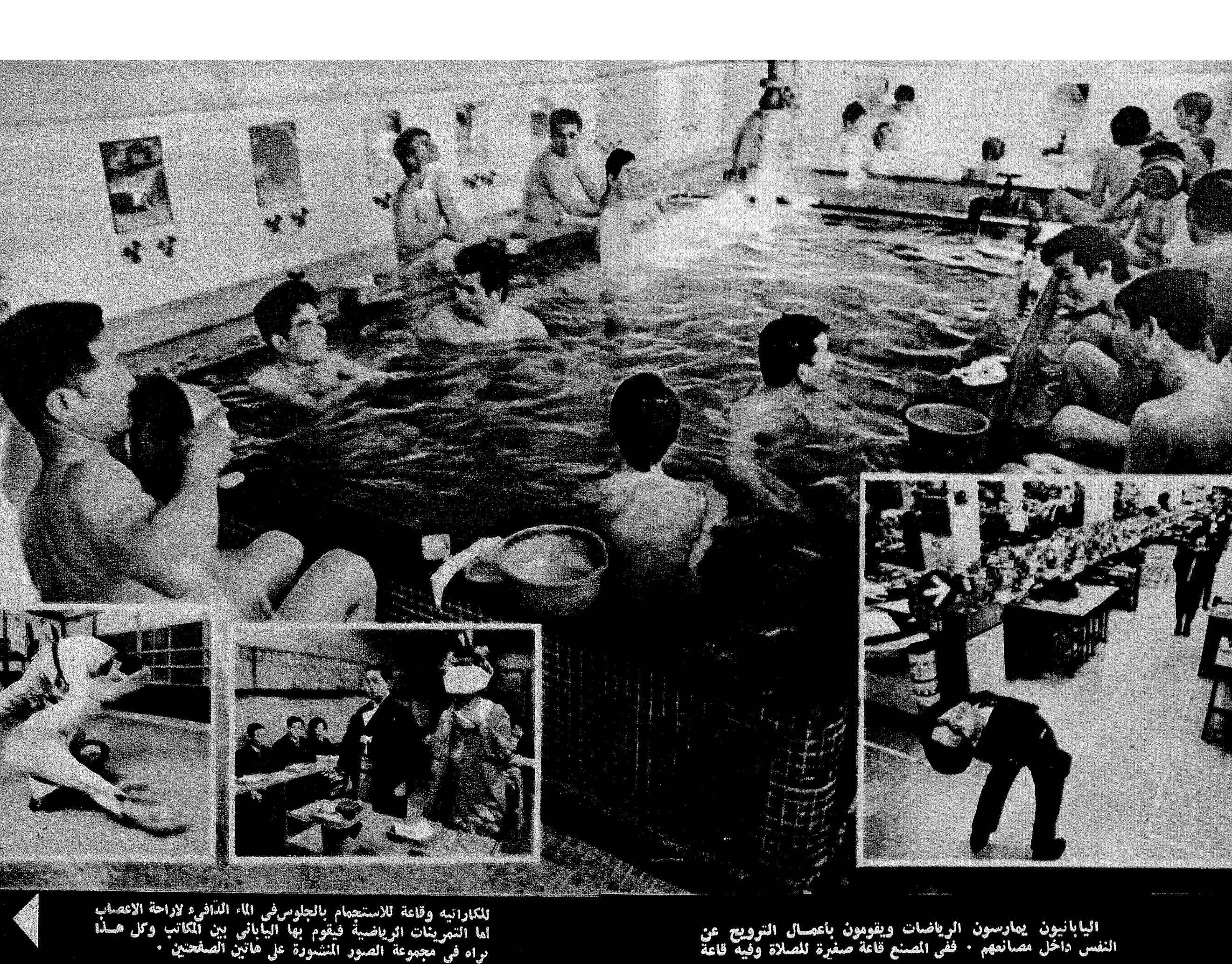
وتساءل هذا الصحفى : هل النجاح يساوى هذا الثمن الباهظ الذى ندفعه ؟ انظر الى نوع الحياة التى يحياها اليابانى اليوم ، انه يكسب كثيرا ولكنه يعيش اسوأ مما يعيشه مثيله فى البلاد المتقدمة



رغم كل شيء يحـــرص اليابانى على المحــــافظة على تقاليده وعاداته • هؤلاء عمال فى احد المصانع خرجوا يوم عطلتهم الى أحد الرياض فى جنوب جزيرة كيوشو ملابســـهم مزاج من الملابس التقليـــدية والحديثة ، لاحظ نظافتهم ونظـــافة كل ما حولهم وشجرة البرقوق خلفهم • انها تموت نتيجة لتلوث البيئة •



كل شيء في اليابان يسير بنظام . هؤلاء جماعة من اليابانيين يستشفون بدفن أجسادهم في رماد يغطي أرضا فيها عيون حارة . هذا الرماد موجود في ساحة فندق ينزلون فيه . لاحظ كيف ينامون واحدا الى جوار الآخر في نظام تام .



اليابانيون يمارسون الرياضات ويقومون بأعمـال الترويح عن
النفس داخل مصانعهم • ففى المصنع قاعة صغيرة للصلاة وفيه قاعة
للكارانيه وقاعة للاستجمام بالجلوس فى الماء الدافىء لاراحة الاعصاب
اما التمرينات الرياضية فيقوم بها اليابانى بين المكاتب وكل هـذا
نراه فى مجموعة الصور المنشورة على هاتين الصفحتين •



مدير احدى مجموعات المصانع اليابانية • انه يدير مصانعه بواسطة اجهزة الكترونية معقدة • حتى فى الطائرة تراه فى الصورة الوسطى يراجع أوراقه وهو على اتصال مستمر بكل مصانعه • وفى الصورة الكبيرة ترى أربعة من كبار رجال الاعمال اليابانيين فى جلسة مريحة كأنهم يتناولون الشاى ، والحقيقة انهم فى هذا الهدوء يناقشون أضخم المشروعات ويتخذون أخطر القرارات •



هذه الطفله اليابانية سنها أربع سنوات وهى تبدأ تعلم عـزف الكمان • الكمان صغير مصنوع لمثلها • لاحظ روح الجد والانصراف التام للعزف الذى يميز غيرها من أطفال العالم • هذا رمز على اخلاص اليابانى لعمله •

الاخرى . انه لا يستمتع بشيء لان حمى العمل مسئولية عليه ، ثم انه يعمل وامرأته تعمل وابنته وابنه يعملان . الاسرة كلها كانها خلية نحل فمتى او كيف يستمتع احد منهم بحياته ؟ ثم ان اليابانى يعمل اضعاف غيره ويتقاضى الاجر . حقا ان نصف الاجر هذا يكفى حاجاته ويزيد ، ولكن ذلك لا يمنع من القول انه مظلوم .

ولكى نفهم اليابانيين لابد ان نعرف البوذية على مذهب زن .

ان ذلك المذهب من البوذية يحض على وبالاخلاص للهدف العام الى درجة التضحية بالنفس والمال . لا تسأل عن نفسك أبدا ، فأنت عضو صغير فى جسد كبير ، فاذا صح الجسد كله عاد اليك أنت ذلك بالخير ، ولا وجود لخير يعود اليك وحدك خيره .

وهذا المذهب من البوذية ، مثله فى ذلك مثل كل مذاهب البوذيين لا تقول بوجود عالم آخر أو حياة أخرى فى كل شيء يتم فى هذه الدنيا ، ولا بعث ولا نشور ولا حساب ، الروح نفسها قد تسعد وقد لا تسعد . ولكن لا حساب ولا نشور وكهنة المعابد هم الذين يراعون سير الانسان وسلوكه .

.. قال كاتب أمريكى : وقد ذهبت الى واحد من كبار كهنة البوذية هذه وهو الكاهن زتشو أتومى راهب دير انجا كوجى وقلت له : هل صحيح انكم (أى الكهنة)مسئولون عن النجاح الذى تحققه اليابان فقال : لا .. نحن لسنا مسئولين عن ذلك النجاح . نحن ضحاياه . ونظر الى شجرة برقوق عتيقة فى حديقة المعبد وقال : هذه الشجرة عمرها ٢٠٠ سنة وهى تموت الآن بسبب التلوث ..

ثم حدثنى ذلك الكاهن عن ديانة البوذية على مذهب زن فقال انها وفدت الى اليابان فى القرن الثانى عشر حاملة معها المبدأ الذى يقول : ان اخلاص نفسك للعمل المتقن جزء من دينك وكذلك المحافظة على الجمال وتصنيف الزهور ومراسيم عمل الشاى وتقديمه ثم « التحطيب » بالعصى . كل هذه داخلة فى ديانة زن .

وقد دخلت اليابان ديانات اخرى معظمها واردة من الصين ،ولكن ديانة زن هى العنصر المعنوى المحرك للنفس اليابانية . انها ديانة الساموراى وهم الجماعة القائلة فى اليابان . كان الساموراى رجل شرف يخلص لليابان ويخلص للامبراطور ويخلص لارض اليابان وديانة زن ، والساموراى كان يملؤهم شعور الشرف الذى كانوا يتمسكون به وهم الذين أخرجوا اليابان من جمود القرن السابع‌عشر الى ديناميكية القرن العشرين .

لم يكن ايمان الساموراى بديانة زن مجرد كلام بل كان حقيقة ، ولان هذه الديانة لا تعرف الحياة الآخرة ولا تؤجل حساب الانسان الى ما بعد الموت فقد كان الساموراى يحاسبون انفسهم فى هذه الدنيا . كل شيء ينبغى أن يتم فى حياتنا هذه . اذا كنت محسنا فستنال جزاءك قبل ان تموت واذا لم تكن فليس أمامك الا أن تضع حدا لحياتك بيديك لا يمكن الحياة بغير شرف . لم يكن هناك أمام اليابانى الا أحد طريقين : طريق الشرف أو الموت . لا يوجد هناك طريق ثالث .

والشرف على هذا المفهوم يقتضى القيام بالواجب نحو المواطن اليابانى كله . لقيامه به على أحسن ما يمكن . لاتقصير ولا اهمال والنظافة جزء من القيام بهذا الواجب . كانوا يقولون : لقد خلقت



اليابانيون أهل نظام وطاعة ، وهم يثقون بعضهم في بعض ، فاذا قيل لهم البسوا الاقنعة لانها تقيكم من التلوث لبسوا الاقنعة جميعا دون تساؤل كثير أو تمرد .

اليابان نظيفة وجميلة . وأى شيء يشوب هذا الجمال وتلك النظافة فيه تقصير في حق اليابان والكاهن البوذى على مذهب زن يراقب ذلك . ان المعبد حديقة والكاهن بستاني ،لانه بستاني فهو يوجه الناس في اتجاه النظافة والجمال والخير

وهناك بعد ذلك شخصية اليابانى كمنوذج بشرى فاليابانى صلب العود دؤوب على العمل متقن لما يعمل ، لا يفكر الا فيما يعمله وكيف يعمله فى أحسن صورة . فالمرأة اليابانية تعبد زوجها عبادة ، وطوال يومها تنظف بيتها وتنسقه وتجمله وتعنى بتربية أولادها ولا تفكر فى غير ذلك أصلا .

وكذلك الزوج اليابانى يقدس بيته واسرته . حياته هي عمله ثم اسرته . وهو فى كلتا الناحيتين يعمل بغاية الاخلاص والتفانى . وليست له حياة خاصة.انما هو يتلقى توجيهه الروحى من الكاهن ويعتبر نفسه جنديا للامبراطور . الذى هو رمز اليابان .

بهذا الايمان الذى لا مثيل له عند أى شعب آخر على وجه الارض حقق اليابانى الاعاجيب ، فى القرن السابع عشر كانت اليابان بلدا مقفلا للخارج . بل كان اليابانى الذى يحاول مبارحة اليابان يعدم فى الحال ، وفى سنة ١٦٣٠ صدر مرسوم من الامبراطور يحرم بناء السفن الكبيرة التى يمكن أن تسير فى المحيط . ومن عجائب تصاريف القدر ان اليابان تنشىء اليوم نصف سفن الدنيا كلها : حوالى ١٥ مليون طن فى العام من حمولات السفن .

وفى سنة ١٨٥٤ كان الحادث الفاصل: تنبه اليابانيون عندما وجدوا السفن الاجنبية تقتحم مياه اليابان وترسو على شواطئها فوقع انقلاب مع بقاء الامبراطور تغير نظام الحكم واصدر الامبراطور أمرا بضرورة حماية مياه اليابان وشواطئها ومن ذلك الحين بدأت عملية التمدين فى اليابان بنفس الاخلاص والتفانى الذى عرف عن اليابانيين فى كل شيء .

وعرف اليابانيون كيف يسرقون اسرار الصناعة الاوروبية . الوف بعد الوف من شبابهم جعلوا يتدفقون على





المرأة اليابانية طباخة ماهرة ، وهي تتقن ما تطهو كما يتقن اليابانى صناعة الساعة أو الجهاز الالكترونى

بلاد الغرب للدراسة والتعلم ، كانت المانيا هي أول من فتح لهم الابواب لانها كانت ترى في اليابان حليفة قوية لها ضد عدوتها الابدية ، ارادت أن تنهض اليابان لكى تنشغل بها روسيا وتستطيع هي التوسع في شرق أوروبا • ونجحت المانيا في هذه السياسة واستطاعت اليابان أن توقع بروسيا هزيمة كبرى في حرب الصين ،وستظل معركة بورت آرثر سنة ١٩٠٤ علما تاريخيا بعد تاريخ نهوض اليابان ووصولها الى مستوى الدول الكبرى •

ولكن السر الاكبر وراء هذا النصر وذلك التحول العظيم هو الرجل اليابانى نفسه ، الرجل الملتزم المطيع المنظم المنفذ الذى يقدس الشرف لقد تلقى الامبراطور أمر بأن تتحول اليابان الى قوة عسكرية بحيرية كبرى فاطاع اليابانيون ونفذوا الامر • وكان اليابانى لا يفكر فى نفسه أصلا ، انه يفكر فى المجموع ، فى اليابان ، فى الامبراطور • بهذا يأمره الكاهن فى المعبد • وهو يحب العمل لان العمل فى احساسه يقرب من المثل الاعلى البوذى على مذهب زن وهو يعمل فى تؤدة وصبر ، ولا يسأم العمل قط •

وقد كان يقال ان اليابانيين مقلدون ولا زيادة • وفى وقت من الاوقات كان الاوروبيون يسخرون من اليابانيين ويقولون انهم لا يبتكرون شيئا ، انما هم يأخذون ما تصنعه أوروبا ويصنعون

مثله • ومع أن ذلك فى ذاته ليس عيبا فى عالم الصناعة ، لان المصانع الاوروبية جميعا يسرق بعضها بعضا ، فانه غير صحيح،واليابانى مبتكر ومفكر ومخترع وتسعون فى المائة مما تنتجه اليابان اليوم مبتكر لا يوجد له مثيل فى أوروبا ، لان اليابانى الذكى المخلص الدؤوب لا عمل له فى الحياة الا أن يفكر فى عمله ويعمل بيديه •

وهو فى العادة يبدأ من حيث وصل الاوروبى أو الامريكى ، ولكنه لا يلبث أن يسبقه ويتفوق عليه ، ولسنا فى حاجة الى ضرب الامثلة ، فأمامك انتاج اليابان فى كل ميدان من آلات التصوير الى القاطرات •• تأمل ذلك كله ترى بنفسك صحة ما نقول •

واليك بضعة أمثلة •

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية كان ثلثا مصانع اليابان حطاما وكان لابد من بنائها من جديد ، ولكن كيف والبلاد محتلة بالامريكيين وكل وسائل الانتاج قد تعطلت ؟

فتناول أحد الفنيين اليابانيين العاملين فى المصانع آلة تصوير أوروبية وفكها الى قطع صغيرة جدا ووضع أمامه ورقا وأدوات قياس رسم فيها أوضاع القطع كما كانت فى الاصل وارتباط بعضها ببعض ، وكيف تعمل •

... به عمل لما كانت تعمل اولا .

فجمع نفرا من زملائه وتفاهم مع اصحاب المصنع ليقوموا بتمويل العمل. ثم اخذوا يدرسون مادة كل قطعة من قطع آلة التصوير سواء أكانت معدنية أم جلدية او خشبية ، ثم صنعوا القطع وركبوها مع اختلاف يسير فى المظهر ، وحسبوا التكاليف فاذا بها ربع تكاليف الكاميرا الاوروبية ، فأخذوا ينتجونها بالجملة ، ونظرا لجودة صنعها ورخص سعرها فقد لقيت اقبالا عظيما .

وربحت الشركة ربحا عظيما فانشأت معامل تجارب وأخذت تطور ماكينة التصوير وتحسنها وتضيف اليها ، وادخلت قطعا جديدة من البلاستيك ، وابتكرت عدسات جديدة وأوضاعا جديدة للعدسات وسارت فى طريقها .. وهذه الشركة تسمى الآن « كانون » .

وفي يوم من الايام ذهب سائح امريكى سنة ١٩٤٦ الى صانع يابانى ليصلح له جهاز راديو صغير . فتناوله اليابانى ودرسه دراسة مستفيضة ، وفكه الى قطع صغيرة وفعل مافعل صاحبه مع الكاميرا، وحدث هنا أيضا ما حدث بالنسبة لآلة التصوير : تطور العمل فى الراديو والترانزيستور ثم فى أجهزة التليفزيون .. وهذه الشركة الآن تحمل اسم سونى

ونفس القصة حدثت مع رجل يابانى آخر فى موضوع الاجهزة السمعية الالكترونية ، فقد دفعه نجاح زملائه الى تجربة حظه ، فذهب الى رجل من كبار رجال الصناعة اليابانية وحصل منه على معاونة مالية وانشأ مصنعا للالكترونيات وذهب آخر الى نفس الرجل وأنشأ **بماله مصنعا للمسجلات واشرطة التسجيل وكان الرجل الراسمالى صاحب مصانع اخرى للنسيج والكيمائيات والمحركات ، فى كل واحد منها وجد صاحب راس المال هذا يابانيا يريد ان يعمل وينتج ، وشيئا فشيئا ، اتسع نطاق العمل ، واصبح الراسمالى الكبير يملك ٧٥ مصنعا** الى السيارات والقاطرات ، واسم شركة هذا الرجل «ميزوبيشى» .

وهكذا فى كل ميدان نجد اليابانى يعمل ويفكر فى اخلاص وصبر . والهدف الوحيد البعيد لهؤلاء جميعا هو خدمة اليابان وخدمة أنفسهم فى نفس الوقت، ولكل مصنع يابانى شارته ،والعاملون فيه يعتزون بمصنعهم وبشارته التى يضعونها على صدورهم وحتى على أبواب بيوتهم ، بل ان لكل مصنع نشيد خاص وصلاة خاصة ، ويبدأ اليوم بالصلاة للمصنع وانشاد نشيده كأنه دين .

وهذا الانتاج الضخم ارتفع بدخل اليابانى حتى أصبح يعيش فى أعلا مستويات الرخاء المادى ، حقا انه يتقاضى أقل من زميله الغربى مع انه ينتج أكثر وأحسن ، ولكنه هو نفسه قنوع وفيه تصوف ، وهو لايطالب بأكثر مما يأخذ حاليا ، وهنا أيضا سر من أسرار نجاح اليابان .

ولكن للنجاح ، كما لكل شيء ثمن . وثمنه أن اليابانى بدأ يفقد هدوءه النفسى وتوازنه الروحى وأصبح الآن يصاب بأمراض المدنية الغربية :الاكتئاب والحالات النفسية والانتحار .

ومن أهداف البوذية على مذهب زن الوصول الى السعادة ، والسعادة عند اليابانى هى القناعة والرضا عن النفس والقيام بالواجب ، ولكن العصر الحديث والازدهار الصناعى والمالى نقل الى اليابان صورا جديدة فاسدة من السعادة **كالاسراف فى الاستمتاع الجنسى والعبث ونوادى الليل والخمر بل المخدرات ، كل هذا الى جانب الاكتئاب النفسى واهتزاز قيم الاسرة اليابانية ، ثم تلوث البيئة الذى بلغ أقصاه فى اليابان كل هذا يسبب لليابانيين مخاوف جسيمة وضخمة ومن المفكرين اليابانيين من يشعرون بالخوف على مستقبل اليابان والجنس اليابانى بسبب النجاح الذى لايصدق الذى وصلوا اليه .**

● د . حسين مؤنس ●

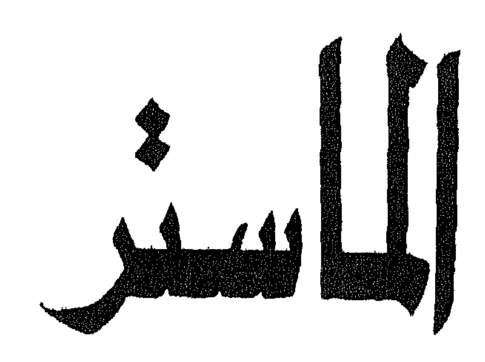
الأمل .. والنسيان

● يس الفيل ●

●●

دموع عينك ما اشتاقت لمنديلي
وأمنيـاتك ما حنت لتدليـل
وحلمك البكر ما شـوق يؤرقه
الى التوهج فى ضـمى وتقبيـل
ازحت روحك من طيشي ومن نزقي
ومن ظنوني ومن شـكي وتأويلي
وعشت فى بؤرة النسـيان راغبة
عن الحياة .. لمن ؟ بالله قولى لى :
هل استباحك يأس ، واحتوتك يد
غيرى ؟ ورمت بهذا الهجر تضليلى ؟
الكأس فوق يدى ، شتان يا أملى
ما بين مستنقع الاشواق والنيل
من ذا سواى اذا ما ريحك اندلعت
وجـردتك الليالى من اكاليـلى ؟
من ذا يقطـر فى اذنيك ما عـزفت
أوتار قلبى من اشهى المواويل ؟
ومن يضمك صدرا لا تهدهده ..
الا ترانيم قيثـارى وأرغـولى
يا حلوة الفم والعينين ، ما سبب
لديك ، يدعو الى كسر القنـاديل
اهواك طيفا ، واهوى أن اراك غدا
عطرا يضىء ، واشـواقا تغنى لى
عودى .. فان زهور الحب ذابلة
وطائر الحب مجنـون التراتيـل
انى احار .. اانت الحب يحرقنى؟
ام انت اكذوبة فى كل ابريـل ؟

●●



الماستر

سعد رضوان

● لم اكن احبها او اكرهها ، وان كان يضايقنى التصاقها الشديد بى ، ومع ذلك فلا استطيع الاستغناء عنها ، حتى انها اذا ابتعدت عنى قليلا لم اطق بعادها فابحث عنها فى كل مكان الى ان اعيدها ، واحس بها تلامسنى .

وكنت اثق فيها ثقة شديدة ، وآمن لها وأؤمن بها ـ حتى كان ذلك اليوم الذى قابلت فيه هـذا الصديق المحامى الذى حاول أن يفقدنى الثقة بها قائلا :

ـ انه لايوجـد شيء يستعصى على « الماستر » !

فقلت بدهشة : « غير معقول ! .. »

وتحدانى المحامى ، وقرر انه سيتيح لى الحصول على الماستر » ...

« الماستر » الذى افقدنى الثقة بها ، وجعلنى اراقبها فى كل لحظة مراقبة شديدة فى سخط والم وخوف ! ..

ولكن ، لأبدأ القصة من أولها ...

رفض المفتاح أن يفتح باب السيارة ، وكدت أن أكسره ، لولا أن لاحظنى منادى السيارات ، وطلب أن أنتظر حتى يبحث عن نقطة زيت لبلين القفل ، وفعلا قام الزيت بمهمته وانفتح الباب ...

ونظرت الى سلسلة المفاتيح ... كم من المفاتيح يتعين على الانسان حملها ؟! .. لا أدرى .. يقولون انه كلما زادت أهمية الشخص ، كلما زادت كمية مفاتيحه ... بل لقد سمعت أن بعض كبار القوم واثريائهم وملوكهم لديهم بدوائرهم وظيفة حامل للمفاتيح مهمته أن يحمل المفاتيح الخاصة بقصورهم ومكاتبهم وخزائنهم ويتولى حفظها وترقيمها بنحاسات تعلق بها ، ثم يمسك دفترا أو دفاتر يدون فيها حركة المفاتيح وتنقلاتها بين مختلف الايدى العاملة ...

ولما لم أكن من كبار ثراة القوم ، فلم أجد داعيا لان أعين من يقوم بهذا العمل نيابة عنى ، واكتفيت بأن أحمل مفاتيحي بنفسى رغم كثرتها وتزايدها فى الآونة الاخيرة بعد استلامى لعملى الجديد كرئيس لاحدى الخزائن ...

وأنا معتاد على حمل المفاتيح من صغرى ! ..

***

بدأت علاقتى بالمفاتيح فى المدرسة الابتدائية ، حين اشترى لى أبى قفلا لدرج مكتبى بالمدرسة صرت أحمل مفتاحه ... ثم لما كبرت قليلا أصبح المفتاح مفتاحين بعد أن اشتريت حقيبة كتب بمفتاح ... ثم أصبح لدرج مكتبى بالمنزل مفتاح ولخزانة ملابسى مفتاح ، ولحجرتى مفتاح وان كنت لم أحمل كل هذه المفاتيح المنزلية ، بل تركتها فى اقفالها بلا خوف أو تفكير فى اغلاقها ..

ثم زاد مفتاح ثالث اضطررت الى حمله حين كبرت أكثر كان مفتاح شقتنا حتى لا أدق الجرس أو أطرق الباب عند عودتى للمنزل فأقلق راحة أفراد أسرتى ..

ولما اشتغلت وانتقلت الى بلد آخر ، أصبح لى مفتاح وحيد للغرفة التى سكنت بها ...

وحين أصبحت مسئولا عن بعض الاوراق والملفات فى العمل فأعطيت أربعة مفاتيح لأدراج المكتب الاربعة ... ولكن هذه المفاتيح الاربعة تراجعت بعد فترة

وأصبحت مفتاحين فقط ، واحد لخزانة الملفات ، وواحد للمكتب المعدني الحديث الذى يفتح ويغلق بمجرد غلق الدرج الاوسط منه فيتحكم في حركة باقي الادراج ـ تقدم تكنولوجي ! ..

وبعد فترة تسلمت خزانة نقود صغيرة ذات مفتاح واحد ...

وهكذا كانت حركة المفاتيح ، تكثر وتقل ، حسب ظروف الحياة ومتطلباتها !

ولكني عندما تزوجت ، وأصبح لى بيت ، زادت المفاتيح بشكل مفاجيء ... ستة مفاتيح كبيرة للابواب الداخلية للشقة ، خلاف مفتاح صغير للباب الخارجي للعمارة ، وآخر مثله لباب الشقة ... ثم مفاتيح أخرى كثيرة لخزانة الملابس وغيرها من الخزائن المتعددة التى تزحم الدار ..

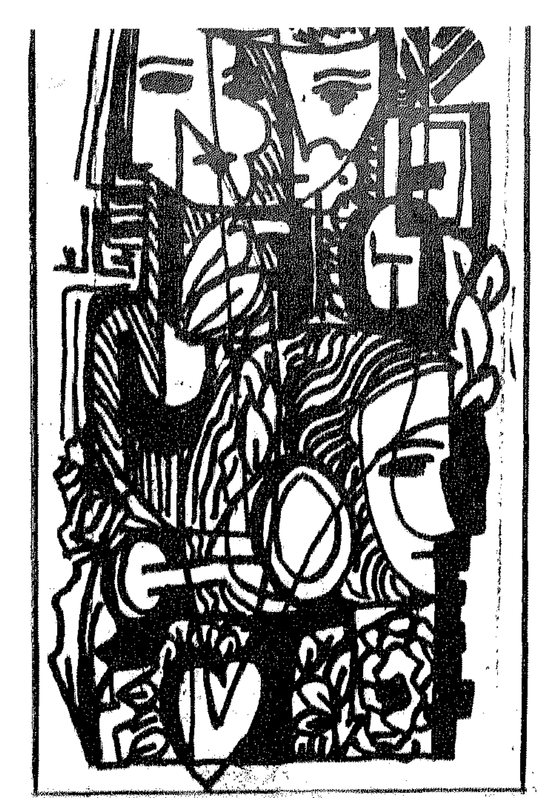
وأمر المفاتيح الداخلية يهون ، فهي لاتحمل ولا يحتاج الامر الى حملها ، فهى لاتستخدم الا لمجرد الاغلاق كحالة خوف من عبث الصغار أو ما أشبه ...

وهكذا ظلت سلسلة مفاتيحى لاتضم غير مفتاح باب العمارة ، ومفتاح باب الشقة ، ومفتاح مكتبي ، ومفتاح خزانة الملفات ، ومفتاح خزانة النقود .. ثم زادت مفتاحا آخر لحقيبة أوراق أخذت أحملها في يدى ...

ستة مفاتيح فقط لا غير تحملها سلسلة تتغير كل مدة ، لا بسبب القدم ، بل بسبب اعجابى بنوع جديد من السلاسل ، أو اهداء أحدهم سلسلة جديدة لى فى مناسبة من المناسبات . أو عيد من الاعياد ذلك أن الناس ، وأنا منهم ، حينما يهدون رجلا ، لايجدون بالسوق غير أنواع محددة من الهدايا ، احداها حلقة المفاتيح ...

ثم اشتريت سيارة ، فأصبحت المفاتيح عشرة ، فقد زادت مفتاحا لباب السيارة ومفتاحا لتشغيل محركها ، ومفتاحا لحقيبتها ، وآخر لغطاء البنزين ...

وفي هذا اليوم ، أهدتنى المؤسسة التى باعتنى السيارة حافظة صغيرة لحمل المفاتيح ، ولكنى لم أستسغ حمل هذه الحافظة التى اتضح انها لاتتسع لحمل



عشرة مفاتيح ، وان تكن ذات حجم كبير ... ولما كانت سلسلة مفاتيحى صغيرة فقد اضطررت لشراء سلسلة جديدة حلقاتها أكثر اتساعا .. وطبعا لم أهتم بالدلايات التى تحمل السلاسل التى عرضها البائع على ، فقد كان كل اهتمامى باتساع الحلقة ، وبأن تكون صغيرة حتى يسهل أن أضعها بجيبى ولا تضغط لحمى بشدة تؤلمنى ...

ولما رقيت الى رئيس خزانة ، زادت مفاتيحى مفتاحان للخزانة العامة للمؤسسة وهى الخزانة التى تصب فيها الخزائن الصغيرة ، ثم مفتاح لباب حجرة الخزانة الحديدى ، وهو أحد مفتاحين لايفتح الباب الا بهما معا ، احدهما معى ، والاخر مع المدير العام للخزائن ...

وأصبح يتعين حضورنا نحن الاثنين لفتح الباب معا ...

وكانت كثرة المفاتيح هذه ، وما تحمله من مسئولية ، شيئا مؤرقا ، جعل عقلي يلعب به الخوف عليها من ضياع أو سرقة ... حتى انى انتهيت الى زيارة محل متخصص فى بيع الاقفال لشراء قفل لدارى أكثر أمانا من القفل العادى الموجود بالباب ، خوف أن يفتحه احدهم ويسرق

مفاتيح خزانتي ! ..

والحق أن الحيرة أصابتني من كثرة الانواع والاشكال الموجودة بالمحل ... واستقر الامر على قفل له أسياخ من الحديد تنزل الارض وتشتبك بالسقف ، كما تدخل الحائط من الجانبين عرضيا ...

وأرسل المحل أحد عماله ليركب القفل .. وأصابني القلق حين رد العامل على سؤالي بأن القفل مهما كانت متانته لايعصى على لص خطير ! ..

وسألته عن الحل ، فأجاب :

ــ الواقع أنه يحسن أن تركب قفلا أو قفلان آخران ، هذا بخلاف جهاز الانذار !

ــ ولكن مافائدة ذلك مادام القفل أو الاثنان أو أكثر سيفتح ؟! ..

ــ ان اللص حينما يجد نفسه مضطرا لفتح أكثر من قفل ، ربما عدل عن السرقة كما أن فتحه لعدد كبير من الاقفال يؤخره أطول مدة ... وربما كان في التأخير خير ، فيصعد أو ينزل أحدهم ، أو يشتبه اللص في صوت فيهرب ! ...

واقتنعت بكلامه ... وتم تركيب ثلاثة أقفال على باب شقتي ، وجهاز انذار أيضا ... وزادت أعداد المفاتيح التي أحملها ، والتي وان كان التصاقها بجسدي يضايقني ، فان ابتعادها يؤرقني ! ..

وأصبحت ثقتي في احتياطاتي شديدة حتى قابلت هذا الصديق ، المحامي الذي رأى ضخامة سلسلة مفاتيحي ، فسألني عن كل هذه المفاتيح ، فلما عددتها له : هذا للسيارة .. وهذا للمكتب .. وهذه الثلاثة لباب الدار .. والخ ! ..

قال :

ــ ولكن هذا كثير .. لماذا لاتكتفي بمفتاح واحد « ماستر » !!

ولم أفهم فسألته : « مفتاح واحد ماستر ؟! »

ــ نعم مفتاح « ماستر » ... يعني مفتاح سيد أو رئيسي يفتح كل الاقفال !

ــ مفتاح واحد يفتح كل الاقفال !! ..

ــ طبعا .. كما في الفنادق ، حيث يوجد مفتاح واحد لكل الحجرات !

ــ غير معقول !

ــ وتحداني الرجل ...

المهم أنه دبر لي مقابلة مع أحد زبائنه المحترمين كما قال ، وقادني هذا الزبون الى أحد الاحياء حيث سرنا في أزقة ضيقة وشوارع نشأت في العهد القديم ... وفي احدى الغرف المظلمة تمت المقابلة بيني وبين « المعلم ماستر » كما أسماه ..

***

كان « المعلم ماستر » هذا رجلا صغير الحجم له ابتسامة خبيثة .. حك كفيه بعضها ببعض وهو يحيينا دون أن يجلس ثم قرر أنني محظوظ فان لديه مفتاح ماستر فرغ من صنعه اليوم ، وهو لايهمه لماذا اشتريه ، انما يهمه فقط أن يعجبني ، وأن يفي بالغرض ! ..

ثم أفهمني أنه في حالة الخزائن المرقمة لن يفلح الماستر قبل معرفة الارقام .. وطبعا لن تكون معرفة الارقام صعبة ــ كما قال ــ مادامت لديك أذن موسيقية تحس بتكة الرقم حين يتطابق ... وبخصوص أجهزة الانذار فهذه همها خفيف لايخرج عن كذا وكذا ...

و ... و .. طبعا اشتريت الماستر ، وبالسعر الذي حدده ...

وأثبت الماستر نجاحه في تجربته مع بعض أقفالي ...

ولكن ... أصبح نومي صعبا ، وأصبحت استيقظ لاية حركة أو صوت أسمعه ! ...

واليوم حضرابني الصغير يسألني :

ــ بابا .. هل صحيح أن هناك مفتاح يفتح كل الاقفال ؟

وقفزت أسأله : « ماذا تقول ؟ من قال لك هذا ؟! »

ــ لقد قرات في الجريدة اليوم ، أنهم قبضوا على رجل يصنع هذه المفاتيح ... كما قبضوا على كل اللصوص الذين اشتروا منه المفاتيح ماعدا واحدا لايعرف الرجل اسمه ..

وهجمت على الولد اقبله ، ثم امرت أهل البيت بالاستعداد للخروج للنزهة و .. « لالقي بشيء هام في النيل الخالد »

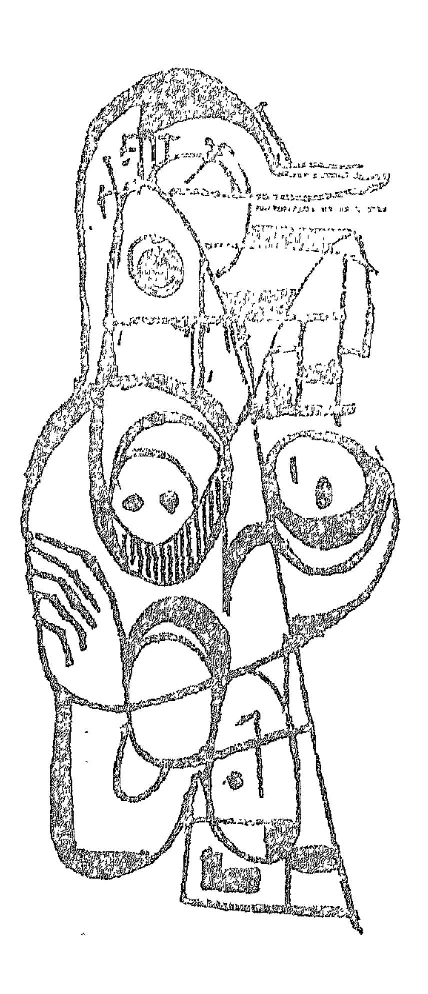
الدرب الأخير

تغربت بعدك ..
وخبرت بعدك ..
وانتي بقلبي كما كنت انت ...
اختصارا لكل النساء
ورحمة ربى ...
وضوء السماء

***

تغربت بعدك ...
تناثرت فوق الدروب الجديده
تمزقت بين القلوب الغريبه
وجربت يا حب عمرى
الكثير ...
تلاشيت شيئا فشيئا ...
اضعت الكثير ..
وعدت اخيرا للدربى الأخير ...
فأنت حقيقة عمرى الوحيده
ضمير الضمير !
وانت نهاية عمر تمزق ...
وانت مصير المصير !

***



تناثرت بعدك فى كل درب
تمزقت أكثر فى كل حين
واحببت يا حب عمرى كثيرا ...
كثيرا كثيرا
ومات الضمير ...
وما زلت انت ...
كما كنت انت !
بدايات عمري ...
نهايات عمري
وحبى الكبير ..
تناثرت بعدك فى كل درب
وعدت اخيرا
لدربى الأخير !

● اسماعيل عبد الفتاح ●
الفيوم

● بطاقة تعارف مع واحد من أدباء العالم المعاصر ●

أنتونى بيرجس

● محمود قاسم ●

● في انجلترا يظهر الآن ما يمكن تسميته بالجيل الرابع من أدباء القرن العشرين .. فاذا اعتبرنا ان هنرى جيمس وزملاءه يمثلون الجيل الاول ، وجويس ومدرسته الجيل الثانى ـ فان الجيل الثالث قد تزعمه كل من مسنو ، وآنجوس ويلسون، وايريس مردوخ ، ولورانس واريل ، ودوريس ليسنج ... أما الجيل الرابع فيتزعمه بلا منازع انتونى بيرجيس .

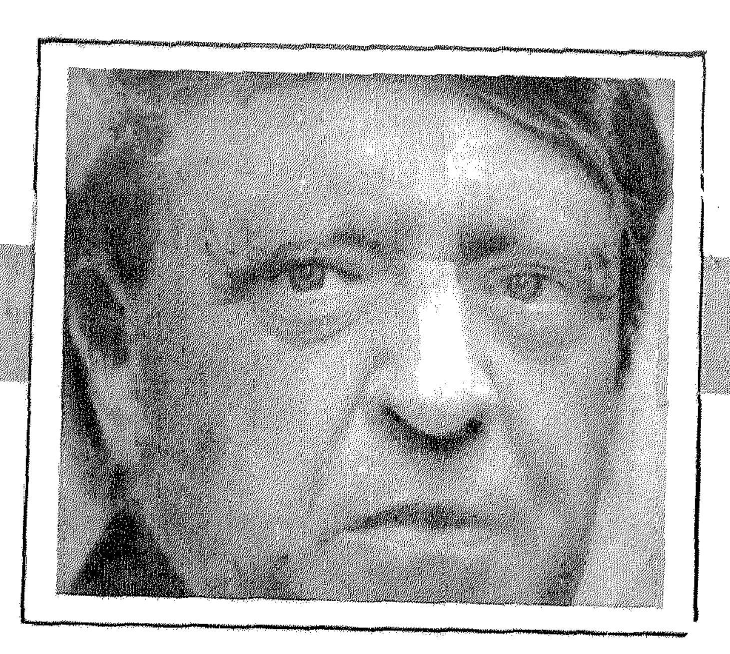
وبيرجيس يعتبر الان أنشط وأهم أدباء المملكة المتحدة على الاطلاق ، لدرجة أن النقاد يطلقون عليه « الالة الادبية » ... ورغم أنه لايعيش جزءا طويلا من السنة داخل بلاده ، ويتحدث ويكتب بطلاقة عدة لغات ـ الا أنه انجليزى من رأسه الى أخمص قدميه ! ..

واذا كانت اللغة الانجليزية فى رأيه « صعبة جدا فى كتابتها » الا أنها وسيلته الاولى فى التعبير ، فهو يكتب بها كلا من الرواية والسيناريو والتمثيلية التليفزيونية والابحاث المختلفة ... كما أنه يجيد العزف على مجموعة كبيرة من الالات الموسيقية ، لكن الرواية تظل بالنسبة له عالمه الاول فى التعبير عن داخله ...

ولد بيرجيس عام ١٩١٧ فى مدينة مانشستر بشمال انجلترا ، كان ابوه عازفا على آلة البيانو ، أما امه فكانت تعمل فى الصالات الموسيقية ، وقد توفيت وهو طفل ... وعندما تزوج ابوه امرأة أخرى كرهها الصبى ، فهى «امرأة شديدة التعصب » .. وبعد أن غادر انتونى مانشستر التحق بالجامعة ودرس الادب الانجليزى ثم عمل لسنوات فى القوات المسلحة هناك .

وفى عام ١٩٥٤ عين موظفا تربويا فى الملايو وبرنيو ... وفى تلك الفترة كتب « ثلاثية الملايو » ، ثم عاد الى انجلترا عام ١٩٥٩ بعد اصابته بمرض شديد ... ثم تزوج من امرأة ايطالية يعيش معها الان فى مونت كارلو ...

وقد جلبت له روايته «البرتقالة الالية» ـ شهرة واسعة خاصة بعد نجاحها فى السينما ... وقد اتبع فيها اسلوبا أقرب الى مافعله مواطنه الدوس هكسلى فى أعماله ، فهو يدخل فقرات طويلة لها علاقة وطيدة بالعمل الاساسى بعدة لغات أخرى ، خاصة اللغة الروسية ... وهذه الرواية من نوع « الخيال السياسى » الذى يميل بيرجيس الى كتابته .



انتونى بيرجس

ونتيجة لمعيشة بيرجيس فى مونت كارلو حيث التأثر الواضح بفرنسا وتاريخها ، فانه يختار أهم شخصية فى تاريخ البلاد ليقدمها فى رواية بعنوان « سيمفونية نابليون » . وهو يكتب هذه المرة باللغة الفرنسية ، حول علاقات نابليون العاطفية ومغامراته فى البلاد التى حاول غزوها .. مصر .. روسيا .. ايطاليا .

وهو يتتبع القائد الفرنسي الى هذه البلاد كأنه أب يراقب ابنه في مسيرته ويحاول تعديل مساره ، والتعاطف معه ، والتغاضي عن أخطائه مهما فعل ... فنابليون هو ابن الثورة الذى يريد أن ينشىء امبراطورية عظيمة فوق أطلال أوروبا الاقطاعية البالية التى عانت من الطغاة الجياع ... لكن الثورة كانت أول من حطمت نابليون واتت عليه بعد ان حقق لها الكثير . فقد مات نابليون كي يبقى للابد حلم شعوب أوروبا .

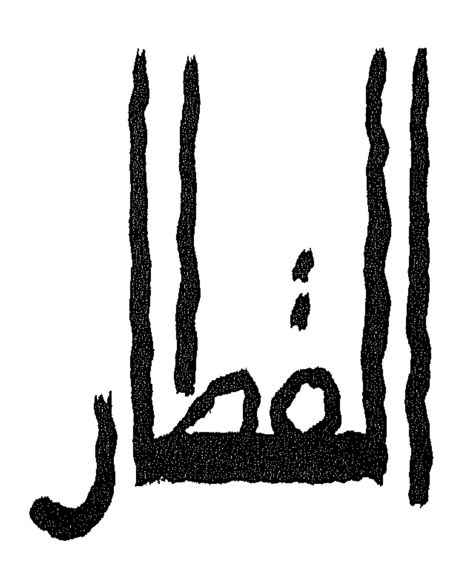
وفى العام الماضى نشر بيرجيس ثلاث روايات دفعة واحدة ، وكتابا عن ارنست هيمنجواى بعنوان «هذا اللعين هيمنجواى» .. أما رواية « روما تحت المطر » فهى تتناول حياة رولان بيرار أحد كتاب السيناريو ، وهو رجل ترمل بعد زواج دام ست وعشرين عاما . فيشعر أنه قد استرد حريته حين بشيع امرأته الى مثواها الاخير .. ثم يقرر الاستقرار فى روما .

وهناك يتعرف على مصورة فوتوغرافية ماتلبث أن تتركه لترحل الى الشرق الاوسط لتصور أحداث حرب يونيو ١٩٦٧ ، بينما يبقى بيرار وحده فى غرفة المرأة يعد السيناريو لفيلم تموله هوليوود وفى هذا السيناريو يمزج بين حياته الخاصة وأحاسيسه الذاتية وبين أبطاله الذين يصنعهم بنفسه .

أما أحدث رواياته « ١٩٨٤ ـ ٨٥ » فهى من نفس اللون الذى اشتهر به . وهو الخيال السياسى .

وقد قارن النقاد بين هذه الرواية وبين رواية بنفس الاسم للكاتب الامريكى جورج اورويل . ولكن الشخصيات هنا تختلف تماما .. فنحن أمام ديكتاتور عصرى يدعى بيف ، ربما هو صورة جديدة من بيفان زعيم العمال .. وهو يعيش فى عهد ملك يسمى شارل الثالث ، وهناك مايسمى بمملكة العمال يتزعمها « بيل » العامل الذى يود وضع كل قوانين المملكة .. وفى شوارع هذه المملكة يسود الاضطراب والفوضى ، وحوادث الاغتصابات التى ملأت روايته « البرتقالة الآلية » .

وبالرغم ان عالم بيرجيس ملىء بالعنف الا أنه يكره الطمأنينة العقيمة مثل كراهيته للحرب الخصبة .. كما أن عالمه أيضا لايخلو من موجة حب رقيقة تجاه البشرية التى عليها أن تنال يوما ما تسعى اليه ●



• عماد الدين الهنداوى

شرنوبى ، رجل طيب مسن من قريتنا - زرع النوى - اضفت عليه أميته سذاجة فى معتقداته التى كانت تصطدم فى معظم الأحيان مع معلومات اولاده المدرسية !.. وهو بسيط فى شخصه ، ورغم هذا كان مرجعا فى علم الزراعة ، حتى بالنسبة لمهندس الارشاد الزراعى،مما حدا باهل القريةفى ان يمنحوه لقبا فخريا، الحاج شرنوبى

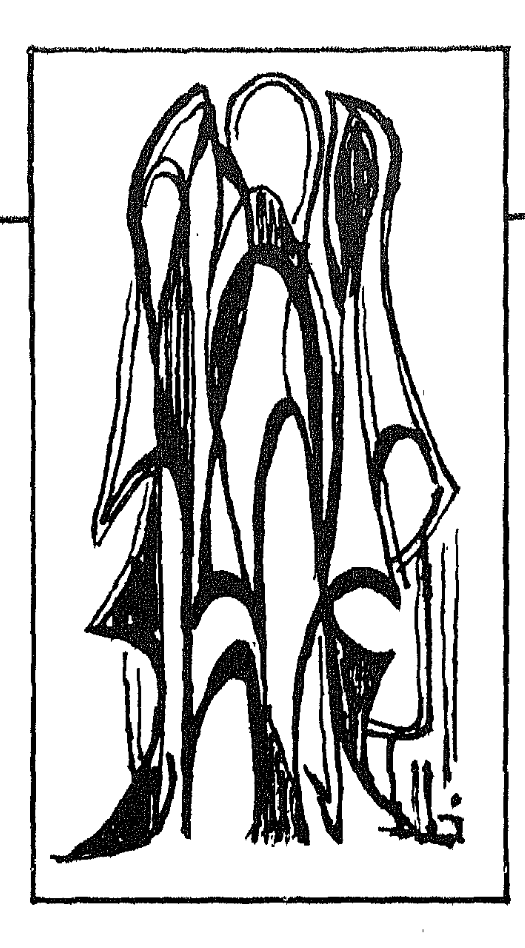
لم يكن يخرجه عن وقاره ولا استغراقه التام اثناء عمله اليومى فى حقله الا مروق القطار المجرى من امام بلدتنا ، ملقيا عليها تحيته المعتادة من الغبار المنطلق من اسفل عجلاته المسرعة التى لم تفكر مرة واحدة فى التمهل امام محطتنا المتواضعة ...

وفى كل مرة كان يشيعه شرنوبى بابتسامة عريضة من فمه المظلم او يهز راسه اعجابا لذلك المارد الفضى الذى تمنى ان يركبه ، ولو كان هذا آخر شىء يفعله فى حياته ، بدلا من قطاره « القشاش » المتثائب دائما فى سيره بل والمترنح فى اغلب الأحيان والذى كان يركبه كلما ذهب الى « البندر » وكان هذا لا يحدث الا « للشديد القوى ».

وفى عصر ذلك اليوم المشهود كان عم شرنوبى فى حقله الملاصق لشريط السكة الحديد بالقرب من المحطة ، وفى الميعاد المعتاد نصب قامته ومد بصره الى الأفق مستطلعا قطاره الجديد .. وفجأة شهق ، وارتسمت على وجهه علامات الاستفهام والتعجب واضحة جلية رغم الخطوط والغضون التى كانت تزاحمها على صفحته ... لقد رأى قطاره يزحف على القضبان مقتربا على مهل بل مترنحا لدرجة أن عجلاته لم تستطع أن تحمله الى رصيف محطة بلدته !.. لقد خمدت حركته قبل أن يصل اليها بأمتار قليلة ، وحتى صفاراته خرجت متحشرجة وربما خجلة ايضا !..

... لم يفهم شرنوبى سببا لهذا الحدث ... هل هناك « باشا » من « بتوع زمان » أو « بيه » كبير من « بتوع هذه الأيام » جاء من مصر لزيارة البلدة وحل مشاكلها ؟ .. ان هذا لم ولن يحدث مطلقا ... ثم ان الزيارة تسبقها شواهد ودلائل من الاستقبالات والاستعدادات للولائم والعزائم ، كما حدث يوم أن زار البيه مأمور المركز حضرة العمدة قريبه ...

وازداد الموقف غموضا عندما رأى عباس افندى ناظر المحطة الوقور وهو



يخرج من مكتبه مهرولا متجهـا الى القطار ، مخاطبا سائقه ، ثم عادمسرعا، وبدأ يتكلم فى التليفون بعصبية ظاهرة؛ ووصـل صياحه الى اذن شرنوبى المستطلع فى فضول ! ..

تكرر هذا المشهد اكثر من مرة ،وفى كل مرة يزداد الصياح . وتشـتد نبراته . ورغما عنه وجد قـدميه تقودانه الى حيث يقف عباس افنـدى مخاطبا السائق ... وياهول ما سمع، لقد خابت كل توقعاته !.. ان قطاره عملاقه اصابهالعطب مثل اىشىء آخر، وهو الذى كان يظنه خارقا للعاده !.. وسمع ايضا ان الركاب لابد ان يغادروا القطار لأن « التكييف » تعطل !..

ولم يفهم شىء ...

وبشهامة اخذ يساعد الركاب على النزول ، معاونا فى ذلك عباس افندى ... وكان طرف جلبابه فى فمهالخالى من الاسنان ..

نزل الجميع واصبح الرصـيف كسوق العيد ...

اقترب شرنوبى من القطار ، ووقف يتامله ... لم تكن هناك نافذة مفتوحة ... كيف كانوا يتنفسون فى هـذا الحر ؟! وبحركة متلصصة دلف الى داخله . لم يستطع ان يقاوم الاغـراء ... دفع الباب بيده التى اكسـبها العرق والتراب ملمسا لزجاطينى اللون، تماما كالوحل الذى كان يغلف اقدامه العارية .. لكن الباب لم يستجب له!.

وفى حركة يائسة جـذبه نحوه ففتح ... كاد يسقط للخلف . ثم خطـا بقدمه للداخل وقد تراخت قبضـته عن الباب ...

ازداد خوفه من هذا القطار، تذكر الأبواب التى تغلق والمقاعد التىتتحرك ظهورها تلقائيا ... وبسمل من جديد ... هل هذا قطار المفاجآت ؟ لكنـه ما لبث ان شعر بالارتياح عندما وجـد ان ظهور المقاعد متفاوتة فى الميول ، حمد الله انه لم يكسره .

الصق وجهه بزجاج احدىالنوافذ ، تفلطح انفه ، كان يحاول ان يسـمع حديث المجتمعين على الرصيف ،ولكنه لم يستطع ان يسمع شيئا رغمقربهم منه ، ورأى بعضهم يشير اليه وقـد ارتسمت ابتسامة باهتة مقتضـبة مختلطة بالعرق المنهمر على وجوههم .

وراءه المفتشون فثاروا عليه وضربوه ولم يجد مبررا لثورتهم العارمة وسبابهم !.. قاوم بشدة ، حاول الدفاع عن نفسه من وابل اللطمات والصفعات التي كانت تدوي وهي تنهال على وجهه وقفاه ...

وجد نفسه خارج العربة طريح الأرض الزلطية ، لم ينقذه من ايديهم سوى عباس افندى وفتاته التي ساعدها بينما كان الجميع على الرصيف يقهقهون عاليا ، لقد وجد الحنق المكبوت داخلهم متنفسا في جسد هذا الشيخ المسكين ... ظنوه لص حقائب !.. انهضه عباس افندى من عثرته الأرضية قائلا :

- دا الحاج شرنوبى ، رجل طيب من بلدنا ؟

ملت الفتاة اناملها تمسح وجهه ، جففت عرقه بمنديلها المعطر الذى اكتسب لونا طينيا ، ويدها الاخرى تربت على ظهره الذى زاد انحناءه فجاة.

انسحب شرنوبى منكس الراس مخلفا ميدان المعركة والمحطة وكل شيء خلفه حتى اقترب من حقله ، جلس مسندا ظهره الى جذع جميزته العتيقة مطرقا الى الأرض برأسه .. لم يكن يفكر ، فقط كان من آن لآخر يتحسس قفاه ووجهه المتورمين ويحمد الله على ان احدا من اهل بلدته لم يشاهد مأساته ، فلم يكن هذا موعدا لوصول اى قطار لمحطتهم ... ثم ان عباس افندى رجل محترم وعاقل ولن يروى لاحد عما حدث ... زاد احترام عباس افندى فى نظهره فهو الذى انقذه . لا بل انقذ سمعة السكة الحديد كلها..

كم مضى من الوقت على عم شرنوبى حين آفاق من شروده ، لا يدرى ... اختلس النظر الى المحطة ، لم يجد شيئا ، كانت هادئة ، ايمكن ان يكون كل هذا كابوسا او حلما قيلوله ؟!

لكنه عندما تحسس قفاه ووجهه ادرك الواقع المؤلم !..

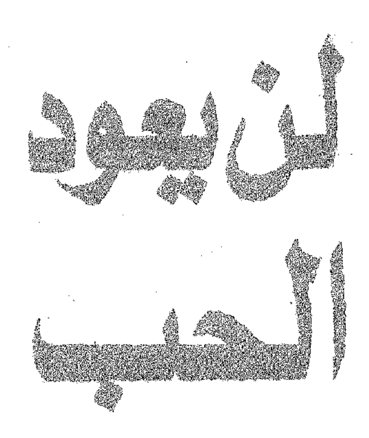
ولأول مرة لاح شبح ابتسامة حزينة على صفحة وجهه عندما فتح يده الاخرى ، كان بها خرقة قذره ربما كانت منديلا حريريا معطرا فى وقت ما !.. سرى العطر منه... استنشقه ملء صدره ثم اخرج زفرة حارة طاردا بها كل همومه .

دس المنديل داخل ملابسه بجوار قلبه الذى اتضح انه لم يهرم حتى الآن !..

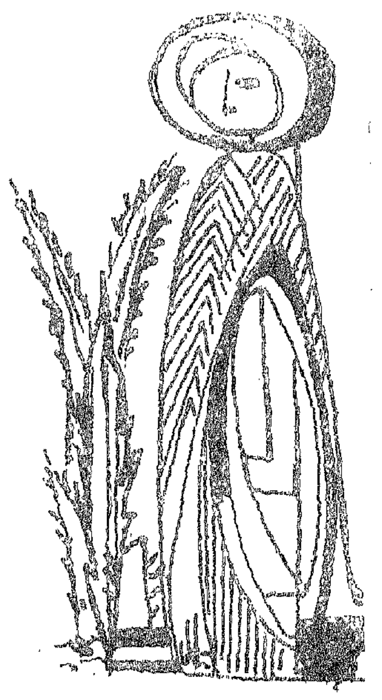
هب واقفا كان النهار مازال فيه بقية ، قبضت اصابعه الغليظة على ذراع فاسه التى عادت ترسم من جديد خطوطها الهندسية ، فقد اضاع وقتا كثيرا اليوم . وهذا من حق ارضه...

مرت عشرات القطارات على عم شرنوبى كلها فضية اللون ، تمرق كالسهام ، مثيرة الغبار وصفاراتها الحادة تشق اجواز الفضاء ... لكن انحناءة ظهره لم تكن تعتدل ابدا ، حتى وجهه لم يكن يرتفع لاعلى .. ابدا!.. قالوا عنى ؟ .. انا لص ؟! ياخسارة!

فقط كان بعد ان يمر كل قطار ويختفى تماما ، يعتدل عم شرنوبى ويدس يده فى جيبه لتخرج حاملة خرقة قذرة لم يزل يفوح منها عبر عطر ساحر ، يمسح وجهه ... ثم لا تلبث فاسة ان ترتفع فى الهواء ثانية وابتسامة باهتة بعيدة الذكرى مرتسمة على وجهه . ●



لن يعود الحب



● د ٠ احمد بديع ●

لا ٠٠ لن يعود الحب يوما مثلما قد كان قبلا
لاقى من الاحزان مالا يستطيع ٠٠ اليس طفلا
انى احبك ، لكن الحب المضيع ٠٠ ليس الا !
ليس اختيارا ان تحب ، ولا لقلبك ان سيصلى
لكن سيبقى حين تهوى ان يكون الحب مولى
فهو الذى استوهبته حين اللظى ريا وظلا
وهو الذى اعطاك جولييت وبينلوب وليلى !

***

لا ٠٠ ليس فى الحب مريد ينتقى ، جودا وبخلا
الحب حب ٠٠ لا سبيل لأن يزيد وان يقلا !
ملك يفديه المحب او ، فقد ضاع وولى ٠٠
فالنصف حب فى الهوى اكذوبة تملى وتتلى !

***

قدمت قلبى للهوى ، وهو الذى لم يستذلا
أسلمت ذاتى انما ، للحب اخلاصا ونبلا !
وجعلته فوق الحياة ٠٠ هو الخلود اذا تجلى ٠٠
لكن حبك لم يكن الا السراب ، بدا وولى !
الحب عندك زينة ، او متعة ٠٠ تبغى ، وتقلى !
ما هكذا أبغى الهوى ، ثوبا قشيبا ٠٠ ثم يبلى !
لا ٠٠ لن يعود الحب يوما ، مثلما قد كان قبلا
لاقى من الاحزان مالا يستطيع ٠٠ اليس طفلا :

نيل سيمون أديب عشق الفن وعشقه الفن

● ماري غضبان ●

● نيل سايمون ، واحد من أشهر كتاب المسرح في أمريكا ، في الثاني والثلاثين من عمره ، كتب حتى الآن ثماني عشرة مسرحية ..

بدأت تظهر موهبته في التأليف المسرحي وهو في العشرين من العمر .. ظفرت مسرحياته التي كتبها بحظ وافر من الانتشار والنجاح وكانت دائما ـ عند عرضها ـ حدثا أدبيا وفنيا تتحدث به الجماهير ..

ولنجاحها هذا ، وبفضل هذا النجاح تلفتت اليه السينما ، فاقتبس السينمائيون من مؤلفاته مسرحيات حولوها الى أفلام سينمائية ..

ومن هذه المسرحيات : « عارية القدمين في الحديقة » ـ و « الثنائي الغريب » ـ و « سجين الشارع الثاني » ـ و « أولاد الشمس » ـ و « وحجرة في فندق كاليفورنيا » ـ و « حجرة في فندق بلادزا » ـ وغيرها ..

وبقدر ما كان لهذه المسرحيات من نجاح فلقد حققت الافلام المقتبسة منها ، انتشارا جماهيريا واسعا ونجاحا كبيرا حتى أن فيلمين منهما قد حصلا على ترشيحات لجائزة الاوسكار العالمية وهما « الثنائي الغريب » ـ و « أولاد الشمس » ..

***

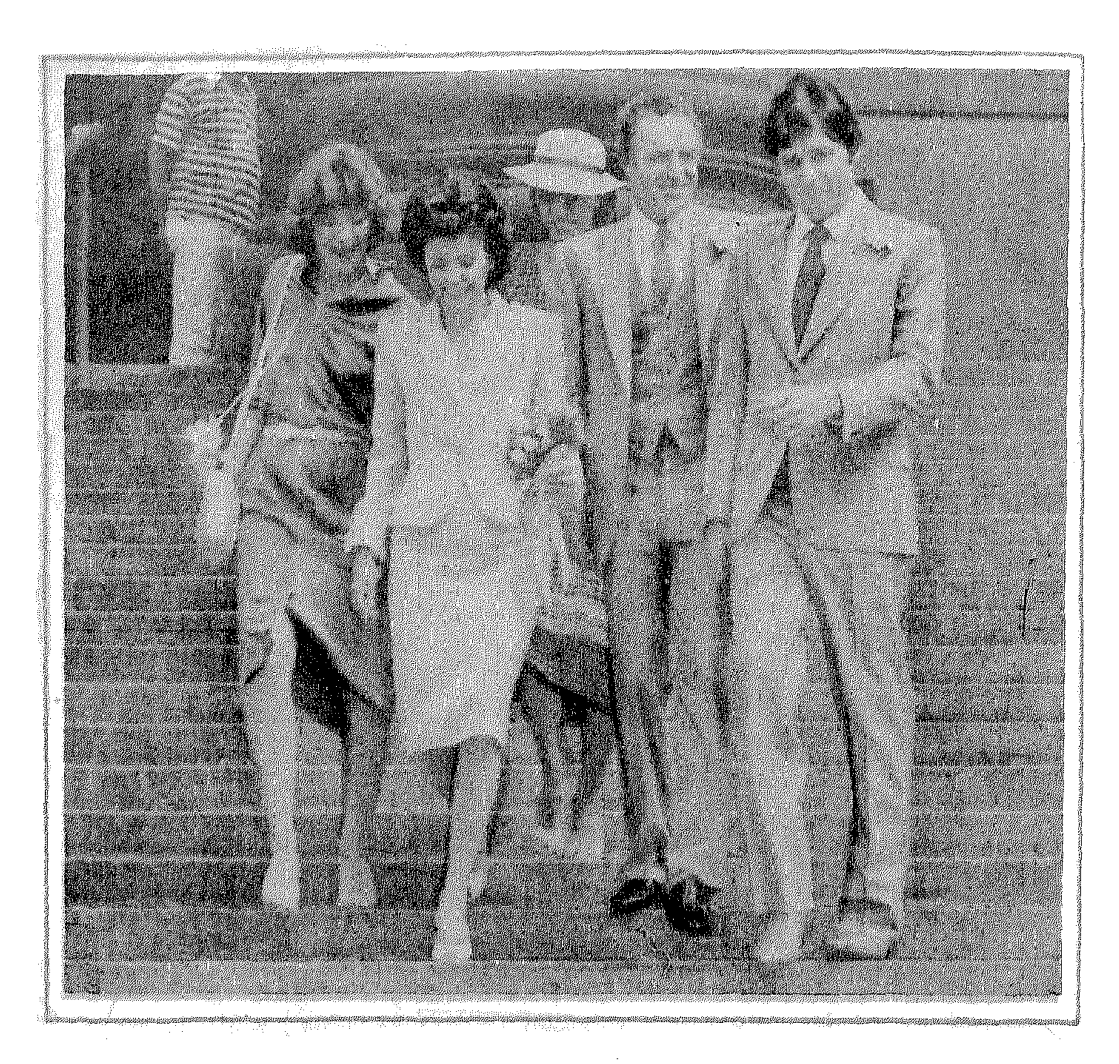
الى جانب هذه المسرحيات ، فأن نيل سيمون يتميز بقدرات عالمية في كتابة سيناريوهات الافلام الناجحة ، نذكر منها « فتاة الوداع » ـ و « جريمة قتل » ..

وهو صاحب أسلوب تميز به في كتاباته ، حيث نراه ذا طابع كوميدي اجتماعي خفيف ، وحتى في المواقف الدرامية فأنه يتألق بسخريته المرحة وبلونه الفكاهي الذي برز وتخصص فيه.

وشخصياته تبدو كلها من نوع واحد فالبطل عنده دائما كاتب أو أديب ، حتى ليخيل للقارىء أو المشاهد لاعماله أنه يكاد يكتب عن نفسه ..

وفي كتاباته سخرية لاذعة من المجتمع الأمريكي ، ولكنها سخرية من النوع الهادف الذي ينقد ويحلل ويعالج ..

وفي أحدث مسرحياته « الفصل الثاني » والتي اقتبسها المخرج الامريكي « روبرت مور » ليحولها الى فيلم سينمائي يحمل نفس الاسم .



فرحة الزواج : مشهد من الفيلم

ـ فى هذه المسرحية جسد نيل سايمون كل مراحل حياته التى عاشها .. فهى أشبه بقصة حياة ، تضمنت كل ظروفه وعلاقاته وحياته الخاصة ..

من خلال قصة حب بين أديب ماتت زوجته وأصبح فى حال سىء يحاول شقيقه وبعض المقربين اليه أن يخرجوه منها .. فيعطونه بعض العناوين ليتصل بأصحابها وينفتح على حياة جديدة ، وينشىء علاقات مع أناس جدد . وتشاء الصدفة أن يلتقى ، عبر أسلاك التليفون ـ بشابة ، كان يظنها عجوزا فاذا بها فى الحقيقة شابة جميلة ، وحينما يراها يقع الحب فى قلبه ، ويتزوجان ويعيشا معا ، الا انه على طول حياته معها تكتشف هى ويكتشف هو أيضا أنه ما زال فى قلبه حب كبير لزوجته الاولى ..

ويلعب دور البطولة فى هذا الفيلم جيمس كان فى دور الكاتب ، وتلعب البطولة النسائية الممثلة مارشاميسون ، وهما مرشحان لجوائز الاوسكار لعام ١٩٨٢ .

والفكرة التى يدور حولها الفيلم ، هى أن الماضى دائما يعيش مع الانسان ، وقد يحكم تصرفاته ويؤثر على حياته حتى لو كانت هذه الحياة تتسم بالسعادة التى غالبا ما تنسى الانسان ماضيه .

ولعل السمة الغالبة على ادب نيل سايمون هى انه ـ كما يقول ـ يكتب عن الانسان باعتباره انسانا ، ويدخل فى سرائره وعواطفه ووجدانه يحلل ويدرس ويعالج ..

العيون اليواقظ .. دلالة على قدرة العربية ومرونتها

● عزت محمد ابراهيم ●

● « العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » عنوان لكتاب صدر منذ قرن من الزمان ولا يزال له فى تاريخ الادب ذكر ، ولصاحبه فيه مكانة ومقام .. ولقد ولى زمان الكتاب وأدبر ، وبعد العهد بينه وبين قارىء اليوم ولكنه لا يزال على حاله من السهولة واليسر ، لا يعز فهمه بعد زمانه ، كما لم يعز فى زمانه ، ودلالة ذلك – وعبرته كذلك – انه كان من مقررات المطالعة فى المدارس الابتدائية فى ذلك الزمان .

وهو شعر سهل ممتنع ميسور فهمه على الخاصة والعامة على السواء ، لاتحتاج كلمة منه الى تفسير ، ولا لفظة منه الى ايضاح ، دلالة على مرونة اللغة العربية ورجاحتها واتساع مداها وقدرتها على استيعاب آداب العالم ، ليس نثرا فحسب وانما كذلك شعرا ربما ارتقى فى جودته وقوته وحسن سبكه وجميل لفظه وعبارته .. الى طبقة الاصل أو يزيد .

أما صاحبه أو بالاحرى مترجمه فهو محمد عثمان جلال ، وقد مضت على وفاته نحو مائة عام ، وترجم له على مبارك فى .. الخطط التوفيقية .. ترجمة نعرف منها أن الشاعر قد ولد بقرية « وناء » من صعيد مصر ، وكان أبوه من كتبة بيت القاضى ، وتوفى والابن لا يزال فى السابقة من عمره فألحقه جده بمدرسة قصر العينى عام تسع وأربعين ومائتين وألف هجرية ..

أما ما قبل ذلك فيذكره الشاعر نفسه قائلا : « كنت قد درست القرآن الكريم قبل دخولى تلك المدرسة ، فكان ذلك سببا من أسباب تفوقى على غالب التلاميذ ، ومن ثم أرى بأن ابتداء الاطفال بحفظ القرآن الكريم يصون اللسان عن الخطأ منذ الصغر ، ويعود الطالب معرفة القراءة والكتابة والاملاء صحيحة ..

وقد نفعه القرآن الكريم نفعا عظيما ، ولا يزال ينفع الادباء والشعراء وأرباب البيان عامة ، فان رأيت فى أديب أو شاعر سموا فى الاسلوب واقتدارا على المعنى وتمكنا من التعبير فلأنه قد اغترف من هذا المعين وارتوى بعذب نميره ..

أما هذه الاساليب المهلهلة النسج الكاذبة ، وتلك العبارات الفجة والجمل السقيمة التى لا يبين لها رأس من ذيل ، فهى للذين تنكبوا سواء السبيل وضلوا عن مناهل العربية وكتابها الاكبر .

وقد أمضى عثمان جلال فى هذه المدرسة ، بضع سنين حتى قيض الله له رفاعة الطهطاوى فزارها فوقع عليه اختياره مع تلميذ آخر ، فالحقهما بمدرسة الالسن .

ويصف عثمان جلال ما تلقاه فى هذه المدرسة وما تعلمه فيها بقوله : « كنا

ندرس اللغات الفرنسية والعربية الى أعلى مستوى ، فدرسنا العربية وعلوم البلاغة والمنطق والبديع والعروض والآداب ، ثم أخذنا ندرس علوم الجغرافيا والهندسة والحساب والطب والتاريخ مع اجادة الخط والرسم ٠٠ وحملت الينا دواوين العروض وكلفنا حفظها ، وهي لابن الفارض وابن معتوق وابن سهل ، وبانت سعاد ، والهمزية ، وما حوته خزانة الادب وحلية الكميت » ٠

لقد جمع عثمان جلال بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وكان ذلك هو سر تفوقه ونبوغه وبقاء اسمه حتى اليوم ، ولو فتشت في النابغين في عصر النهضة واحدا واحدا لوجدتهم على هذه الشاكلة ، وذاك المنوال ، ولا أريد أن أحصي واسوق الاسماء وأضرب الامثال ، فهي كثيرة حسبي منها الاشارة اليها ٠

وقد اشتغل عثمان جلال بعد ذلك بالترجمة وتقلد فيها وظائف مختلفة ، وكان يترجم بعض الكتب من اللغة الفرنسية في أوقات فراغه من عمله ، وبارك الله في أوقات فراغه تلك ، فما أجمل ما قدمت لنا وأتاحت ، وقد كان منها هذا الكتاب الذي ترجمه عن « لافونتين » شعرا ، ويقول عنه انه من أعظم كتاب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان ، على نسق كتب الصادح والباغم وفاكهة الخلفاء ، وسماه « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » ٠

ولا جرم بعد ما ذكرنا أن يكون لعثمان جلال اسلوب عربي أصيل بعد أن جمع بين الثقافتين العربية والغربية وأجادهما وتمكن منهما ، فكان له هذا الاقتدار على النقل من احداهما الى الاخرى ٠٠

وقد قدم عثمان جلال للكتاب بمقدمة عنوانها « مقدمة المترجم عن نوادر أيسوب » يشير فيها الى أصل هذه الحكايات وهي لايسوب اليوناني ، وقد أخذها عنه « لافونتين » الفرنسي ٠

ويلاحظ على هذه المقدمة سلاسة أسلوب عثمان جلال وبساطته وخلوه من السجع ، حتى لكأنه أسلوب كتابة في أيامنا هذه ، وليس أسلوبا قد مضى عليه ما يقرب من مائة عام

وفي هذه المقدمة عن « ايسوب » ونوادره ٠٠ انه كان يعمل في خدمة رجل فيلسوف وان سيده دعا أحبابه للغداء يوما عنده ، وقال لايسوب اشتر أحسن كل شيء ، فخرج الى السوق وما اشترى غير ألسنة الدواب ، كلسان الثور ، ولسان الكبش وما أشبه ٠٠

ولما حضر الضيوف كان أول لون من الطعام ووسطه وآخره اللسان ٠٠٠ فسئمت أنفسهم ، فقال سيده : ألم أقل لك تشترى أحسن كل شيء ؟ فقال أيسوب : لم أر شيئا أحسن من اللسان ، فانه رابطة العائلات ومفتاح العلوم ، وآلة الحق ٠٠ وبه تبنى المدن وتضبط ، وبه يحصل التعليم والزام الحجة والحكم في الأمم ! ٠٠

فقال له : بيدك الحق ، فاشتر لنا في الغداء أقبح كل شيء وادع ضيوفي أن يتغدوا عندي اليوم الآتي ٠

وفي ثاني يوم توجه الى السوق ، ولم يشتر غير اللسان وقال : انه لم ير في السوق أقبح منه ، لانه أبو المتناقضات ، ورأس المشاكل والدعاوى ، ومنبع الشقاق والحروب ، وان قيل عنه آلة الحق فهو آلة الغلط والة النميمة ، وبه تخرب المدن ، ولا تكون المسبة الا منه ! ٠٠

فقال أحد الضيوف : ان هذا الخادم ، ينفعك كل المنفعة ، فان في امكانه أن يقنع كل فيلسوف ! »

ويأتي بعد هذه المقدمة تقريظ للكتاب كتبه « لافونتين » وترجمه عثمان جلال في هذه الابيات :

تبسم الزمان وعن كتابي اسفرا	**وبه النسيم على محبيه سرى**
عمرى هو الروض النضير وعوده	**بسحائب الامثال أصبح اخضرا**
فيه النكات مع النوادر اينعت	**وظلام ليل الجهل منه اقمرا**
يا قوم الى قد نصحتكم به ٠٠	**والنصح اغلى ما يباع ويشترى**

فاذا ملكتم منه أية نسـخة ... نسـخت لديكم ما أهم وأكـدرا
وجلت لكم فى الحلتين عرائسـا من بيت مجد للاصـاغر لا ترى
وهى الفرا فى صـيد كل غنيمة والصيد كل الصيد فى جوف الفرا

وقد بلغت حكايات كتاب « العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » مائتى حكاية وقد وددت أن أختار منها الكثير ، ولكن لا يتسع المجال لغير القليل من قصارها فليكن منها ما يلى :

● صاحب الدجاجة ●

كان البخيـل عنده دجاجة تكفيه طـول الدهر شر الحـاجة
فى كـل يـوم مر تعطيـه العجب وهى تبيض بيضـة من الـذهب
فظـن يوما ان فيهـا كنزا ... وأنـه يـزداد منـه عـزا
فقبض على الدجـاجة المسـكين وكان فى يمينه السـكين ....
وشـقها نصـفين من غفلته ! اذا هى كالدجـاج فى حضرته
ولـم يجـد كنزا ولا لقيـه .. بـل رمة فى حجـره مرميه
فقـال : لاشـك بأن الطمعـا ضـيع للانسـان ما قد جمعا !

● الغلام والثعبان ●

حكوا ان ثعبانا تثلج فى الشـتا فمـر غلام واسـتعد لقتله
ولاه به يسعى الى الدار طائشـا وادفاه فانظر تقـبلة عقلـه
فلما أحس الوحش بالنار والدفـا وحامت سموم الموت فى الجسم كله
وفتح عينيه وحرك راسـه .. على الولد المسكين يبغى لقتلـه
اتاه ابوه عاجلا قط راسـه وداس عليه فى الحصير بنصـله
وقال : بنى احذر غبيـا لقيتـه ولا تصنع المعروف فى غير اهـله

● سيىء البخت ●

سمـعت من رجـل أودى به الزمن ولم يجد من له فى الناس يأتمن ..
وصده الحظ حتى صـار مفتقـرا على الحجارة فى الاسواق يرتكن ...
وما باع الا وكان السـوق فى رخص ولا اشـترى قط الا ان غلا الثمن
سـمعته يشـتكى يوما فقلت له تأتى الرياح بمالا تشتهى السفن !

● الثعبان والمبرد ●

حكـاية الثعبـان ذى حكـاية قد بلغت من حسـنها النهـاية
اذكـره اذ مـر وهـو آتى بمبرد لرجـل سـاعاتى ...
وكـان جـوعانا فرام يقرضـه فـلا معنفـه فهـذا غرضـه
قـال لـه المبـرد : يا ثعبـان ما تبتغى قـال : أنـا جـوعان
قـال له : كل ان يطعمـك نابـك والله قد شرفنى جنـابك ...
فانمـا تاخـذ من سـماطى ما تاخـذ الريـح من البـلاط !

ولعلك قد لمست ما فى هذا الشعر من سهولة وعذوبه ، وان اللغة التى وسعت كتاب الله لفظا وغاية حقيقة بأن تسع كل الاغراض فتعز بها وتوفيها حقها ، ولا باس علينا أن نترجم بعض الاعمال الى اللغة العربية شعرا أو نثرا ، فهذا كسب لا ينبغى أن يصرفنا عما عداه ، وان الادب العربى القديم لغنى ثرى بأمثال هذه الحكايات والاقاصيص ، ولا يحتاج الامر منا الا أن نلتفت اليه وأن نوليه مزيدا من عنايتنا .

وقد لفت نظرى لفتا قويا ان هـذه الحكايات التى ترجمت عن « لافونتين » الذى اخذها عن « ايسوب » قد ذيلت كل حكاية منها ـ على وجه التقـريب ـ بمثل عربى ابتداء التقريظ الذى ختمه بـ « كل الصيد فى جوف الفرا » ،فكان ما قام به عثمان جلال ان وجد حكايات أجنبية لامثال عربية فوفق بين هذه وتلك واقرب من ذلك واسهل أن نصنع ذلك فى أمثالنا وحكاياتنا فننشىء فيها مثل هذا الشعر ونصنع فيها مثل ذلك الصنيع .

●●

الجمال العزيز المنال

● محمد محمود عبد العال ●

مناى رأيتك بعد البعـاد
حياة تهدهد نبض الفؤاد
وتسرى بأعمـق اعمـاقه
وتنفض عنه غبـار الرقاد
وتعـزف لحنـا بدقاتـه
فيهزج فيه ارتقـاب المراد
وتشـدو كوامن اشـجانه
لاجمل فاتنة فى البـلاد
***
تناغم بعد النوى الخافقان
وفاح أريج وغني ابتسـام
وآن الرحيل لليـل طويل
حوى ألف ليل ثقيل المقام .
وهلت تباشير فجر جديد
به الضوء يهدم صرح الظلام
والقى السلاح زمان الحروب
وهش لروح الصفاء السلام
***
وعينـاك قد قالتا ما أروم
قبيل لحون شـفاه المنى
فعينـاك مؤنستا وحشتي
ومرشـدتاى بدرب العنـا
وعينـاك ملهمتاى القصـيد
بروض الخلود وافق السـنا
وعيناك يا حلـوتى ها هما
يمدان عمـرى بأحلى جنى
الا تذكرين احتفـاء الفؤاد
باول لقيا لكنز الجمـال
وانت بقـربى بسـيارة
بها يتحقق حلم الخيـال
وفوق (المتوسكل) نمضي معا
فيولد حب فريد المثـال
وتترى حكايا هـوانا المهيب
وانت الجمال العزيز المنـال
***
وتمضى حبيبةعمرى السنون
وانت الغرام الذى لا يهون
فطيفك فى خاطـرى ماثل
قصى قـريب عصى حنـون
يروى الفؤاد باشـواقه
فيلتذ من جرعات الشجون
حبيبة عمرى وان غبت دهرا
فانت بقلبى ، انى اكون !



دفاع الرافعي عن القرآن

● محمود طحان ●

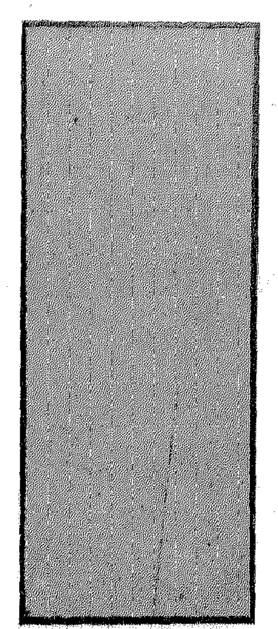
● رحم الله الرافعي ورضي عنه فلقد عاش في هذه الامة وكأنه ليس منها ، عاش غريبا ومات غريبا ، فكأنما كان رجلا من التاريخ بعث في غير زمانه ليكون تاريخا حيا ينطق بالعبر ويجمع تجارب الأجيال .

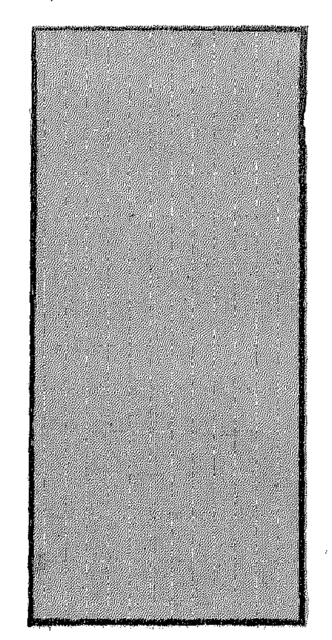
ولد في يناير عام ١٨٨٠ م في اسرة تتسم بالعلم وحب الادب جيلا بعد جيل ، تتولى ابناءها بالتهذيب والتعلم قبل دخول المدارس ، فاستمع من أبيه أول ما استمع الى تعاليم الدين الحنيف ، وحفظ شيئا من القرآن ، ووعى كثيرا من أخبار السلف ، بعد ذلك دخل المدرسة فنال الشهادة الابتدائية ، ولم يقعده عن مواصلة السير في المدارس سوى المرض الذى ذهب بسمعه وأثر في صوته ، فانقطع لتحصيل العلم في مكتبة أبيه مع وظيفة كاتب بمحكمة طنطا الشرعية ، وكان مقيما في طنطا وفيها انتقل الى المحكمة الأهلية .

ولم يكن يرى الوظيفة في حياته الا شيئا يعينه على العيش ليفرغ لنفسه ويعدها لما تهيأت له من دفاع عن لغة القرآن التي عاش في خدمتها سبعا وثلاثين سنة من عمره القصير ، وصل بها حاضرها المائل بماضيها البعيد كاتبا وشاعرا وأديبا لا ينثني ولا يلين امام طواغيت الكفر والضلال . وكان يدافع ويرد على المتهجمين على هذه اللغة والمنتقصين من مكانتها والحاقدين عليها من الوطنيين والأجانب عن ثقة وتمكن من لغة القرآن بعد استيعابها .

وكان يدفع اباطيلهم بحجج من القرآن واستشهادات من لغة العرب السليمة شعرا ونثرا حتى الجمهم ورد كيدهم في نحورهم واعلمهم بان العجز ليس في لغة القرآن وعربيته وانما العجز في ذوقهم وعجزهم عن فهم هذه اللغة ، وكان الواجب عليهم ان يعالجوا نقصهم بالاطلاع قبل ان ينصبوا عليها بجهل وقصور عن مراميها السامية .

وأوضح مثل على دفاعه عن اللغة العربية المعركة التي دارت بينه وبين الدكتور طه حسين وكتابه في الشعر الجاهلي ، وكان رد الأستاذ الرافعي ردا موضوعيا في عدة مقالات كان من ثمارها كتابه تحت راية القرآن ، والكتاب يعتبر سجلا حافلا لتلك





مصطفى صادق الرافعي

المناقشات الملتهبة وما دار منها تحت قبة البرلمان وتداوله .

وكان الرافعي يقول عن هؤلاء الأدعياء الذين يهاجمون اللغة العربية وهم أعجز الناس عن مجاراتها أو الابتكار في اساليبها ، « انما ذلك زيغ الطبع وجنون الفكر وانقلاب النفس عكسا على نشأتها حتى صارت النفس عكسا على نشأتها حتى صارت علوم الاعاجم فيهم كالدم النازل اليهم آبائهم وأجدادهم وصار دخولهم في لغة خروجا من لغة وايمانهم بشيء كفر بشيء غيره » .

ولم يقتصر انتاج الرافعي وينحصر في تلك المعركة فقط ، بل سبقه وجاء بعده انتاج غزير محكم العبارة رصين التفكير ، مما دق على بعض الناشئين فهمه بسهولة ويسر .

من هذا الانتاج شعره من بداية حياته الأدبية الى اكتمال نضجه في ديوانه النظرات باجزائه الثلاثة، وقصة حبه باجزائها الأربعة ، حديث القمر ، ورسائل الاحزان ، والسحاب الاحمر ، وأوراق الورد ...

وكتابه أعجاز القرآن الذي يعد منهجا جديدا في اعجاز القرآن واستجلاء بيانه الرائع ، وكتابه تاريخ آداب اللغة العربية باجزائه الثلاثة .

● فتح جديد لفن المقال ●

في هذا العرض السريع لمؤلفات الأستاذ الرافعي التي عجز القراء عن مجاراتها مما جعل احد أصفيائه وخلصائه المقربين يشير عليه بالكتابة في المجلات السيارة فكتب سلسلة مقالات بليغة نشرت وقتها في مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأستاذ احمد حسن الزيات . وجمعت فيما بعد في كتابه الكبير « وحي القلم » باجزائه الثلاثة.

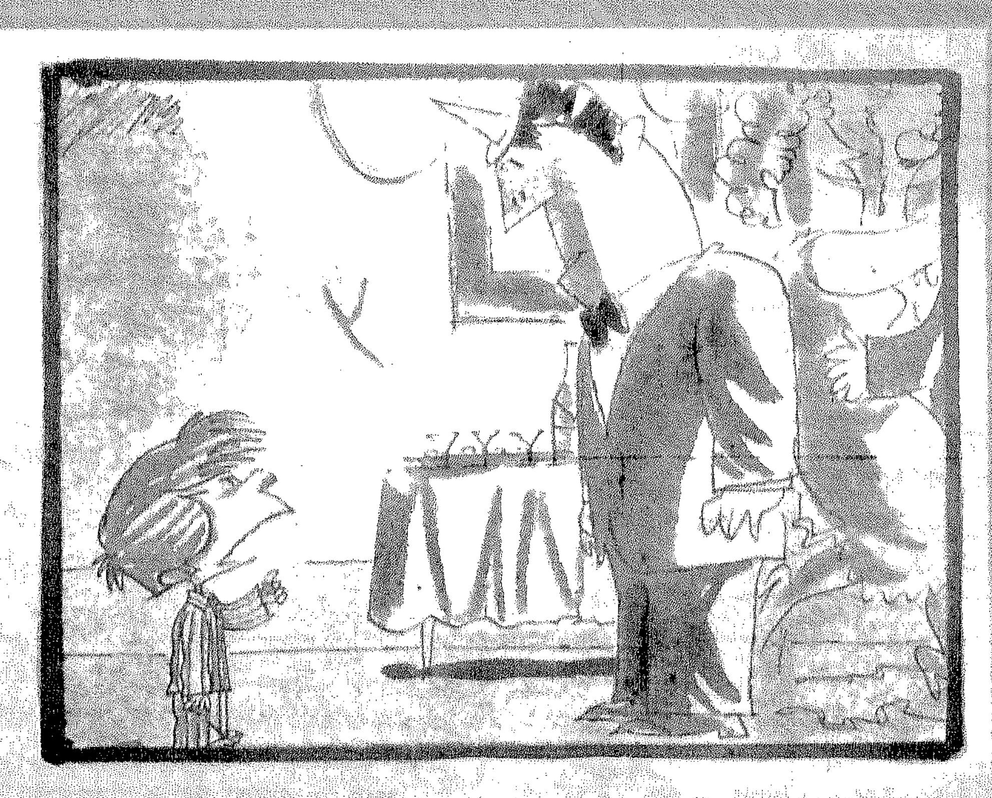
واسلوبه في هذا الكتاب فتح جديد لفن المقال في عرضه واسلوبه وموضوعاته .

وتوفي الرافعي في العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٧ مخلفا للأدب العربي في الاسلام تراثا هو بحق ثمرة جهاد وبذل وعطاء يذكر له على مر الايام، وينتفع به ويثني عليه طلاب اللغة وعشاق الادب الرفيع ..

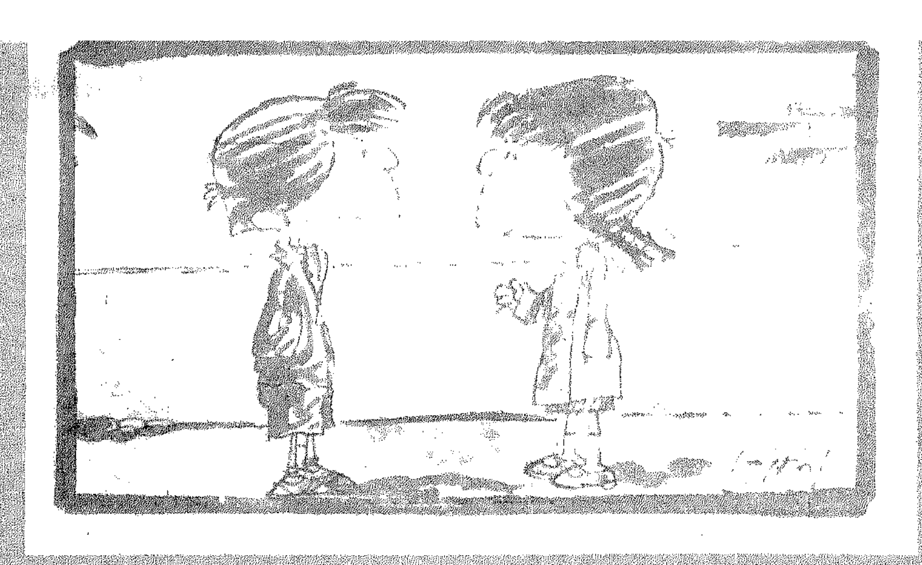
كاريكاتير جيل جديد جدا!



الولد لوالده : عجيبة ! .. بقى عاوز تضربنى علشان حتة طبق رخيص ، مع انك دايما تقوللى انى أغلى حاجة فى الدنيا عندك ! ..



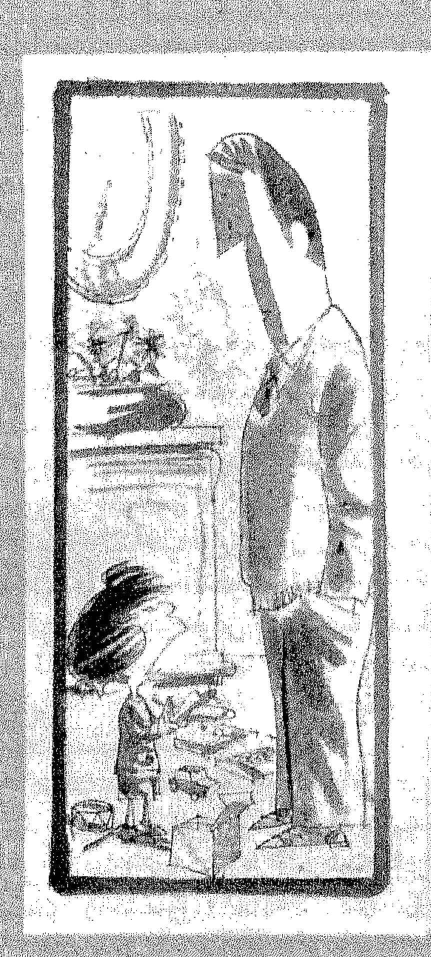
الولد لوالده : ايه يا ابنى شغل العيال ده والدوشة اللى انتم عاملينها دى ؟ .. ما تعقلوا حبه وتسكتوا خلينا نعرف ننام لنا شوية ! ..



البنت للولد : بسيطة ! .. الباروكة المتواضعة اللى مش عاجباك دى ، لازم تستحملها ١٥ سنة لغاية ما تكبر وتتجوز وتجيب لى باروكة تليق بالمقام !.



الولد للمدرس : سيادتك دايما تقول لنا عليكم بالاعمال الحرة .. ودلوقت أنا عندى مشروع يتكلف خمسين الف جنيه ، تسمح بقى تضمنى عند أى بنك يعجبك ؟!



الولد لوالده : ايه ده ؟! .. جايب لى طيارة لعبة .. فاكرنى عيل صغير؟! لا ياعم ، يفتح الله ! .. ياطيارة بحق وحقيق يا بلاش !..

قصة

الليلة فرح

● حسين عيد ●

الليلة فرح صغير . تلوى الموسيقى فى جنون . تتلون الاضواء على المسرح العريض المقام وسط الطريق . تجبر راقصة متكتلة الشحم ، جسدها الضخم على التمايل بعصبية .. دخان الحشيش يخدر الجو . ترتفع أصوات الحاضرين بلا انقطاع . تشترك معميكروفون يضخم الاصوات . يحولها الى عويل وضجيج .. بينما تجمع بعضالصبية حول ركنالمسرح ينظرون الى أفراد الفرقة ، والراقصة التى تتلوى ، يحملقون فى وجه عوض البلدى المقطب ، الشاحب ، ينصتون ـ فىالوقت ذاته ـ الى دقات الدفوف المتتالية ...

فجأة ، ينفجر عوض البلدى ـ حمال الفرقة ـ صارخا : أيها الناس .. أيها الناس .. أنتم يامن هنا ... أنصتوا الى ... استمعوا قليلا ...

يتنفس بصعوبة . يتحامل قرب الميكروفون ، تتعلق عيناه بشىء بعيد ، خفى : أيها الناس .. أنتم جميعا .. انصتوا واستمعوا ...

يتلفت الى اليمين والى اليسار بحسرة يخنقها الغضب . تدمع عيناه الضيقتان . يمصمص شفتيه الجافتين . يحك بعنف عينيه المصابتين برمد ربيعى ، كانه يود لو يقتل فيهما الرؤيا ... يضيع نداؤه شلة الصبية ، الذينيحملقون فيه بفضول يتناقلون بينهم كثيرا من الغمزات والبسمات والتعليقات الساذجة .

ترنو اليه سنية الجمل ـ صاحبة الفرقة ومديرة أعمالها ـ برثاء ملفوف بالحرج : مسكين .. عاد لحاله القديم !

يجلس عوض البلدى . يلسعه تجاهل الناس ... ينزوى . يتخبط وسط صناديق الآلات الموسيقية . يربت عليها بحنان ، كانها تفهمه . يخرج من جيبه سيجارة من نوع رخيص . يشعلها . يبصق على الارض . يمسح فمه المتقشف الجاف بظهر يده . يشد انفاسا متتالية من السيجارة ، كانه يحرق شيئا فى أعماقه .. يغمض عينيه . لان النور الشديد يؤلمهما . يحس براحة سريعة . تستكين ملامحه . يهدأ اضطرابه ، عدا ارتعاشة السيجارة بين أنامله التى ظلت تراوده من حين لحين .

من خلال اغماضة عينيه ظنه الاطفال نائما . لكن أذنيه كانتا تمتدان للامام ، تلتقطان نغمات الموسيقى الصاخبة فيهتز لها قلبه ، وتطرب لها عواطفه . وتتشكل مشاهد مختلفة فى خياله لتخلق عالما خاصا يزخر بالحياة .. أشجار نخيل متناثرة . ترعة متعرجة تمتد بلا نهاية . بيوت صغيرة متكدسة . وجوه بسيطة خشنة . تربة بنية خصبة .. انها قريته الحبيبة .

وخيط من الحنين يبعث لعنة الحاضر فى وجوده . يشعل فيه الرغبة لماض طاهر . وليلة لم يزل سوادها يؤرق ضميره . ينغصحياته وزائر المدينة يقص عليه الكثير عنالغناء وسهراته معالمواويل فى الافراح ، يحكى له أخبار الفنوالفنانين وحياة الاضواء والمال التى يعيشون فيها .

أحب عوض البلدى حديث الرفيق المعسول ، ظل منصتا له مبهورا ، فاغرا فمه ، مركزا عينيه . تلمع أمامه صورته فى الملابس الافرنجية . يرفعه تصفيق الناس الى السماء . يتبعثر المال تحت قدميه . يحبيه كالامير . أنصت للمذياع خيل اليه أن صوت المغنى صوته فاستبشر خيرا وتفاءل . سيكون زميلا لهذا المطرب وسيلقى عبد الوهاب وكبار المطربين .

ماذا ينقصه عنهم ، هو بشر مثلهم • له صوت عذب • مواويله يصفق لها أهل البلدة ، ولا يضيقون بسماعه أبدا ...

من هنا اختمرت الفكرة في ذهنه • نمت معه بمرور الايام ، فكان كلما سمع مدحا موجها لمطرب معين أحس أن المديح موجه له فيصعد الدم الى رأسه ويشعر بالخجل وينكس رأسه تواضعا •

عندما اكتمل نمو الفكرة تجسدت له في ضرورة الرحيل الى العاصمة الواسعة حيث يمكن أن يتوه فيها أى فرد ، وحيث يوجد ـ وهذا الاهم ـ الغناء والشهرة والمال ... ودع مواويله وأغانيه القروية تاركا أهله وذويه هاربا الى المستقبل المشرق •

وهبط الى القاهرة حيث يمكن أن يتوه أى فرد ، وتاه ! ..

زار كل أقاربه ومعارفه وأصحابهم • أمضى فى ضيافة كل منهم أياما ينتقل بعدها لمن يليه ... استقبلوه فى البداية بالترحاب ، ثم بدأت الابواب توصد فى وجهه ، تجاهلوه عندماعرفوا أمره • ولقى نفس الصد والنفور من أهل الفن والطرب

أيقن فجأة صعوبة طريقه عندما وجد عشرات من أمثاله تمتلىء بهم القاهرة •

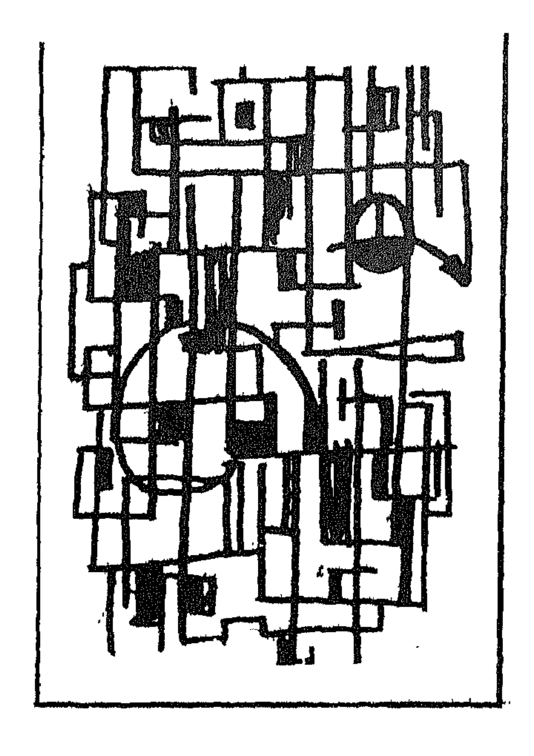
جاع • تعرى ...

عمل فى النهاية ، مناديا على الاطفال التائهين ، نظير أجر زهيد ، حتى أوقعه الحظ يوما تحت سمع وبصر السيدة سنية الجمل ، فرفعته الى فرقتها الصغيرة كمساعد لها ، يقوم على خدمة الفرقة • يحمل الآلات الموسيقية • يردد السلامات فى الافراح ...

***

يشعر بأيد تهزه بعنف • ينتبه مذعورا من اغفاءته القصيرة ... يرى أضواء الفرح تشحب • ينطفىء نورها • يخيم الهدوء على المكان • يتحرك بعض أصحاب الفرح كالاشباح • يسمع صياح ديك قريب ، اذن اقترب الفجر • والوقت وقت الرحيل ... لكن صور القرية تعود ، تلح عليه ، تمسك بخناقه • تتشكل فى خياله خطة لو تحققت ، لكفلت له العودة

تنتصب أمامه سنية الجمل ، كمارد ، هيا .. لم يبق لنا شىء !



بل بقى ياسنية ... الوداع لايامك وأفراحك ... فالفراق هو المطلب ، والطريق هو الهرب ... ولتهنأ سيدة العذاب ، ولتبحث عن « عوض » آخر ، فالقرار نهائى ، لا رجعة فيه !

يحمل الحقائب كالعادة • يصطاد سيارة أجرة ، تحملهم الى شارع محمد علي ، حيث ودع أفراد الفرقة السيدة سنية .. الا هو فانه ينام فى حجرته بالدور الارضى وسط الالات الموسيقية • وتنام هى فى الدور العلوى ...

ـ ياعوض .. لاتوقظنى غدا مبكرة !

رجاء متكرر ، تردده السيدة ، وراء كل سهرة ، لا تمل تكراره أبدا ...

يدخل حجرته • يرتمى على حشية طويلة ، ممتدة على الارض ، كجسد ميت عفى عليه الزمن • يقذف حذاءه القديم من قدميه مباشرة • على قدر مايستطيع • يسترخى على الاغطية القليلة المتسخة • تخرج يده بعضا من قطن الحشية خلال تمزق فيها • يكوره • يقذفه على طول يده بضيق شديد ...

يمر الوقت سريعا • ليشرق فجر يوم جديد ...

ينهض متثاقلا • يمشى حافى القدمين • يتحسس طريقه الى السلم وسط الظلام • تلامس يده «الدرابزين» • يصعد السلالم

ببطء ، متجنبا احداث أقل صوت • يصل حجرتها • يدفع الباب بحذر • يدخل سائرا على أطراف أصابع قدميه • تنساب بعض أشعة ضوء ، من فتحة النافذة ، تضيء وجه السيدة • يتمهل • يقف مذهولا لايدري مايفعل ••• يراها نائمة • يتردد شخيرها المعتاد • يتقاطع على وجهها شبكة كثيفة من التجاعيد • تحيط عيناها هالتان زرقاوان ، دب في شعرها المبعثر المشيب نبتت على جبهتها حبات عرق ، كأنها تعاني من أمرها •••

رآها بلا زينة • عجوز تعدت الستين • انجذبت عيناه للارض •• عجوز طيبة ، ساعتها طفرت من عينيه دمعتان ، لم يعرف أبدا •• أهما من أجلها ، أم هبة من مرض عينيه •••

يرفع وجهه ثانية • تقع نظراته على حقيبة المرأة ، بجوار سريرها • تتسمر عيناه • يشعر بجفاف حلقه ••• في الحقيبة كل حصيلة الليلة ، يتحرك مسلوب الارادة ، يفتح الحقيبة ، ينتزع مابها من جنيهات قليلة ، يغلقها متعجلا ••• يحس فجأة أنها ترقبه ، يجري مهرولا ، خائفا ، كأن شبحا يطارده • يهبط السلالم مندفعا •ويدخل حجرته • يرتدي حذاءه ، بعد أن أخفى الجنيهات في جيبه • يغادر البيت •••

تفاجئه نسمة باردة ، تنعش فكره السقيم • يمضي متطوحا كالسكران •• أنوار الفجر الباهتة تداعب أفكاره المتدفقة بغزارة •• فعلها ، أخيرا فعلها ••• سرق ليعود لقريته !

يتطلع حوله • يودع سنين الشقاء في المدينة الكبيرة ••• رأى شحاذا متكورا فوق الطوار ، بيوتا قديمة مهدمة ، حفرا ـ كالبثور ـ تنتشر على طول الطريق •• محلات مغلقة • الناس نيام ، حتى أفراد الفرقة الموسيقية نيام •• تتجاوب هذه المشاهد مع جزء من ذاته ••• هذا الشحاذ كثيرا ماتأثر معه • وهذه الاماكن عايشها •• حتى الموسيقى الصاخبة ، والاصوات المزعجة اعتاد عليها •• كيف ينفصل عنها ؟ •• كيف يعود ، وصورة العجوز الوادعة تدعوه للانتظار ••

قضى في المسير قرابة ساعتين ، بلا وجهة معلومة ، نهبا لصراع محتدم ••• ينتبه على بوادر الحركة تدب في الطريق • لقد عاد الى نفس الطريق دون أن يدري •• يتوهج بالفرحة ، وهو يرد تحية من يقابلونه : صباح الخير •• صباح جميل •• هنا يشعر باللحظة التي يعيشها • فالناس هنا اعتادوه ، أحبهم وأحبوه ••

يرجع الى البيت الهادىء • يعبر السلم متعجلا • يفتح باب غرفة السيدة • يسرع بوضع الجنيهات في الحقيبة • يغلقها • تتقلب العجوز في سريرها • تفتح عينيها المرهقتين • تعوي : عوض ••• أحدث شيء ؟!

يضطرب • يهمهم بكلمات لامعنى لها • تضطجع العجوز على سريرها • تنظر اليه طويلا • لايزال النوم يخدر أجفانها • تتثاءب : عوض •• ما الحكاية ياعوض ؟

يجلس عوض على حافة السرير • لايقدر على النظر اليها ، فكرت في السفر •• تعتدل في جلستها • تدقق النظر اليه •• تثور : بالامس أردت أن تفسد الليلة •• واليوم عدت للتفكير في السفر ••

يقاطعها غاضبا : أنا أفسد الليلة •• بانفعال : الناس لاترى •• لانسمع !

تقاطعه سنية بحسم : كلام فارغ •• أفسدت من قبل فرحا ، ألا يكفيك •• !

ثم بهدوء : هؤلاء هم مصدر رزقنا ونعمتنا ••• هل ستغيرهم ؟!

تشيح بوجهها للناحية الاخرى : والآن ••• اذهب ••• لتعد لي طعام الافطار !

لم أخبرها اذن بأمر سفره ؟ •• لعله تبرير حتى لاتشك فيه • ولمن يعود في قريته ؟! •• أيعود ليزف لهم خبر فشله ، وحكاية ضياعه ، فيغدو مضغة في الافواه ؟

تصرخ سنية : عوض ••• مابك هذا الصباح ؟

ينهض مرتبكا • يهرول ، ليعد لها طعام الافطار ، ويطرح عن نفسه التفكير في المدينة الكبيرة ، حيث الشهرة والمال ، أو في القرية •• حيث أمل العودة ، الذي لن يتحقق !

●●



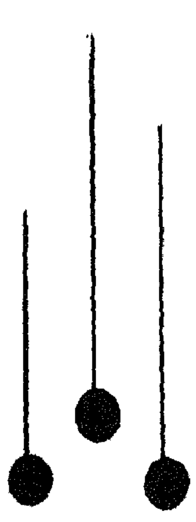
• د. محمد محمد محسن •

اراك اليوم تافل من سمائى
وتمضى خلف انواء الشتاء
وتهرب ياضياءا شد عينى
فلا ادرى اصامى ام ورائى
اراك اليوم يهجرنى ويخبو
لهيب الشوق يدنو للقائى
وانت الارض والاشياء حولى
وعمدانى وذرات البناء !

***

احسك فى دماء القلب تسرى
وفى رئتى تعبق فى هوائى
ضميرى انت هل يذوى ضميرى
وابقى فى الحياة فما رجائى !
وما جدواى ان غاضت دموعى
وغامت بسمتى او جف مائى !
ومات اللحن فى حلقى واسى
يتيما صوت ضحكى او بكائى ..

***



ا احيا دون حب يحتوينى
ويبعث فى النفس التمائى ! ..
ايذبل فى ربيع العمر روضى
وتلوى الطير ظمأى الفناء !
ودون الروح هل يبقى لعمرى
سوى طعم التبدد والفناء
فهل تمضى وتتركنى عليلا
وتهجرنى فتسلبنى دمائى ؟!

قصـــة

ميلاد حب

● عبد المنعم محمد موسى ●

لم تكن لى قبل الـــزواج اية مغامرات ... كانت كل زميلاتى يتحدثن عن الحب ، وعن حلاوة الحب،وكنت انا وحدى التى لم اجربه، وبتحديد اكثر دقة لم ارد ان اجربه !.

لست ادرى لم ؟.. لم يكن ثمـــة ما يمنعنى .. لقد نشات فى اسرة لم تتعود ان تغلق الابواب على ابنائها ، بل تركت لهم حرية الحركة . ولكننى كنت شاهد عيان على عمق العاطفـــة التى تربط بين امى وابى . ورغـــم تجاوزهما سن الشباب بكثير فلم يحدث قط ان باتا متخاصمين ... وكنـت ارقب فى لذة ــ اذا اغضب احدهما الآخر ــ محاولات الطرف المخطىء فى استرضاء رفيق العمر !

وكانت اجمل اللحظات عند امى ، حينما اسالها سؤالا يحرك ذكرياتها ، فتحيطنى بذراعها فى حنان وتاخـــذ فى حكاية ذكريات عمرها مع ابى ..وكانت دائما تؤكد لى انها لم تر والدى قبـل الزواج ، وان كل هذا الحب وكل هذه العاطفة العميقة نمت بعد الزواج ...

وهكذا استقر فى ذهنى ، لا ادرى كيف ، ان هذا الذى تمارسه زميلاتى ويتحدثن عنه ويصـــفنه بانه الحب . وبانه العشق ، وبانه الغرام الخالد ــ عبث وصغار !.. وأن الحب الحقيقى هو النموذج الذى يقدمه لى ابى امى.

وربما لهذا السبب نجـــوت من الوقوع فى اغراء تجربة الحب ، ومن صداع الهجر والصد ... وتمنيت على الله ان ياخذ بيدى فاظل هـكذا طاهرة نقية حتى اتزوج ... وعندما يئست زميلاتى من أن يجرفننى فى تيارهن ، تركونى لحالى واطلقـن على لقب « الشيخة » !

ولم اهتم كثيرا بهجرهن لى ، وان كنت قد عانيت فى البداية من شعور قاتل بالوحدة ، ولكننى كنت بمجـرد عودتى الى منزلنا ومشاهدتى اوجـــه امى الجميل وقد اضـاءه نور الحب ، ولوجه ابى الحبيب وقد غمره سـكون الطمانينة ــ تهدا نفسى وتطيب حياتى.

واستمر حالى كذلك بعد ان التحقت

بكلية البنات ربما هربا من الاختلاط بالشبان . وكنت سعيدة سعادة عجيبة لا ادرى مصدرها ، حينما انظر حولى فلا اجد الا البنات فى الكلية .. ولم اشعر طوال سنوات الدراسة الأربع بضيق او ملل لبعدى عن الشبان . كنت اشعر برضى فى النفس عميق .

وعندما تخرجت فى الجامعة وتوظفت، بدات اشعر بانوثتى تحرك العيون حولى وتجذب الاهتمام بى .. ومن المجيب اننى لم اشعر بخوف من ذلك . بل احسست اننى قوية واننى راسخة القدم فى غابة الرجال التى دخلتها بقدمى .

وفى الوظيفة ايضا عانيت من صخب الزميلات وحكاياتهن ، وان كن حرصا على السمعة فى مجتمع صغير كالمصلحة التى عملت بها - لا يحكين حكايات ضخمة كالتى اسمعها من زميلات الدراسة ، ولكنهن كن يعترفن باعجابهن بفلان او علان من زملاء العمل . ويتحدثن عن لطفه وظرفه او عن جماله « وشياكته » !

وكن يعجبن منى لاننى لم اضع عينى على زميل انصب حوله شباكى! وكان كل ذلك يبدو لى سخفا عجيبا

وما حدث لى ايام الدراسة ، حدث لى فى العمل ، انفضت الزميلات عنى وتركننى لحالى ... اما الزملاء من الرجال فقد شعرت انهم يتجنبون الخروج عن الجد عند التحدث معى . وطابت نفسى لهذه النتيجة .

ومضت الايام بطيئة رتيبة ، ثم فجاة تغير كل شىء فى حياتى ... لقد تقدم فؤاد ، صديق اخى سعد ، يطلب يدى من والدى ... وكان فؤاد يتردد على بيتنا ايام الدراسة ، فقد وكان من الطبيعى ان اراه وان يرانى. وفى احيان كثيرة كان يحضر الى منزلنا وقت تناول الشاى فكان يجلس معنا ويشاركنا مجلس الشاى ..وكنت اذا اثرت مناقشة حول موضوع ما واختلفت مع سعد فى الراى ،اخذ فؤاد دائما جانب سعد . بل كان يتحمس له ولرايه بشكل ظاهر وواضح .. وكان يدهشنى . ذلك فبعض ما كان يتحمس له لم يكن يستحق كل هذا الحماس ... هل كان يفعل ذلك ليستفزنى ام ليلفت نظرى ... لست ادرى !.. على اية حال لم تفلح هذه « المظاهرات » لا فى استفزازى ولا فى لفت نظرى .. كان شعورى نحو فؤاد غير واضح ، ولكننى لم اكن اكرهه !

وعندما سالنى والدى رايى ، لم استطيع ان اجيب او بالاحرى لم احد عندى اجابة جاهزة ، وانقذت امى الموقف بأن اقترحت ان نسال عن فؤاد ونتحرى اولا .

وجاءت التحريات فى صالح فؤاد مائة فى المائة ،فهو من اسرة مستورة، سمعتها طيبة جدا وهو شاب لا غبار عليه ، قضى فترة التمرين على المحاماه فى مكتب استاذ له بالكلية ، وقد عرض عليه استاذه بعد انتهاء فترة التمرين ان يستمر فى العمل معه بمرتب مغر ، ولكنه آثر الاستقلال والكفاح .

واستمرت الخطوبة سبعة اشهر كاملة عرفت فيها حلاوة تعرف العذراء الحب لاول مرة وان يدق بابها فى غير صخب وان يدخل قلبها بغير استئذان . وامتلات حياتى بالازهار التى ترتوى من رحيق الجوى والمحبة . واخذت استعجل الايام لاصبح « مدام فؤاد» ..

وعندما تزوجت ، تفجرت فى كيانى ينابيع بل شلالات من الحب المتقد

المتدفق .. وفى محراب الحب المقدس دعوت الله باخلاص لامزيد عليه ان احمل منه . وعندما تحرك جنينه فى احشائى كدتاجن من الفرح .وشعرت انى امتلكت فؤاد ، وانه لن يفارقنى لحظة واحدة .. مهما تغيب عنى

وبعد ان تكرر ذهابى الى المستشفى ، اخبرت الطبيب انها الولادة هذه المرة ، والادلة كافية، ولكن الطبيب هز راسه نفيا .

وازداد صراخى ، ثم دفعونى اخيرا الى غرفة الولادة ومنعوا فؤاد واهلى من مصاحبتى ، واصبحت وحيدة ملقاة على سرير واسع ولا احد حولى غير ممرضة كبيرة السن تروح وتجىء فى غير اكتراث .

كل صرخاتى المدوية لم تكن تهز فيها شعرة واحدة . وكلما سالتها متى ينتهى الامر قالت فى ضيق بل فى تبرم : بعد قليل ان شاء الله .

ومضت ساعة ثم اخرى ثم ثالثة ، وصراخى يملأ الافاق . ودخل على اكثر من طبيبة وطبيب كل منهم يامر بحقنة . ثم عقدوا مؤتمرا مصغرا وسمعتهم يتهامسون بانهم جربوا معى كل شىء لينزل الوليد دون جراحة ،ولكن طبيبى كان يرفض بشدة اجراء عملية قيصرية ، وقال فلننتظر بعض الوقت .. وبداوا يتحركون من حولى فامسكت بيد طبيبى وقلت ضارعة ارجوك يادكتور خلصنى من هذه الالام ! اريد ان استريح ..

وبدات ابكى واتضرع الى الله ان ياخذ بيدى وتساوت فى هذه اللحظة ، عندى ، الحياة والوفاة .. واحسست لحظتها ان الانسان تافه لا يملك من امره شيئا ، وان قراره ليس فى يده، وانه لا يستطيع لنفسه ضرا ولانفعا . وانتابنى احساس باننى ضائعة حتما انا ووليدى ما لم يشملنى فضل الله ورحمته . .وبدات رغم كل آلامى الهائلة اتلو ما احفظ من آيات القران ودموعى تنهمر كالسيل.

وقرر الطبيب فى النهاية أن يجرى جراحة صغيرة ، وهززت راسى موافقة. مرت اللحظات ...

وفجاة انساب منى شىء ، وصاح الأطباء فى فرح : مبروك حمد الله على السلامة ... ولد .

وتوقفت الالام التى كانت لا تطاق ولا تحتمل على الفور، وكان يدا خفية مسحتها .. خرج الوافد الى الحياة، وانتهت معه كل الالام الرهيبة التى سبقت وصحبت عملية الميلاد ...

واعادونى الى غرفتى . وعندما التقت انتابتنى لهفة لا تقاوم لرؤيته . وبمجرد ان وضعوه بجانبى واكتحلت عيناى برؤيته ، انهمرت منى الدموع فبللت وجهى وملابسى ... وفاضت نفسى بسكون وخشوع وشكر لله عميق عميق ...

ولم احس بزوجى ولا باهلى وهو يدخلون على متصايحين . كنت فى ملكوت آخر ، وشريط من الذكريات يطوف بى ... انتهى كل شىء الآن ، ومضى العذاب ـ لقد اصبحت ((اما))!

وافقت على يد زوجى تهزنى برفق ... ونظر فى عينى بكل الحب وهمس ((مبروك ياماما)) وقبلته قبلة شكر طويلة ـ فبحبه اصبحت اما .

● عبد المنعم محمد موسى ●
● مدير عام دار الكتب ●

ترنيمة ختام

أغنية .. وأمنية !

● عبد العليم القباني ●

الهى : إننى أدعوك
يا ربى بسلطانك ..
أنلنى منك حسن العفو
طوقنى باحسانك
بنبع الحكمة الصافى
بفيض الرحمة الوافى
بعفو القادر الكافى
بلطف الخالق الشافى
بما فى الكون يا ربى
من الاحسان والحسنى
بما فى البر ، مافى البحر
من آى لها معنى ..
بأنت ، ولا إله سواك
يا مولاى كن عونى
وكن لى يوم ، لا إلاك ،
فى مقدوره صونى
أنا يا رب ، بين يديك
مالى غير إيمانى
فهب لى منك حسن
العفو ، أسعدنى بغفران
وبارك أمتى يا رب
واجعل أمرها يسرا
وهيىء للسلام النصر ،
يا من يملك النصرا ،

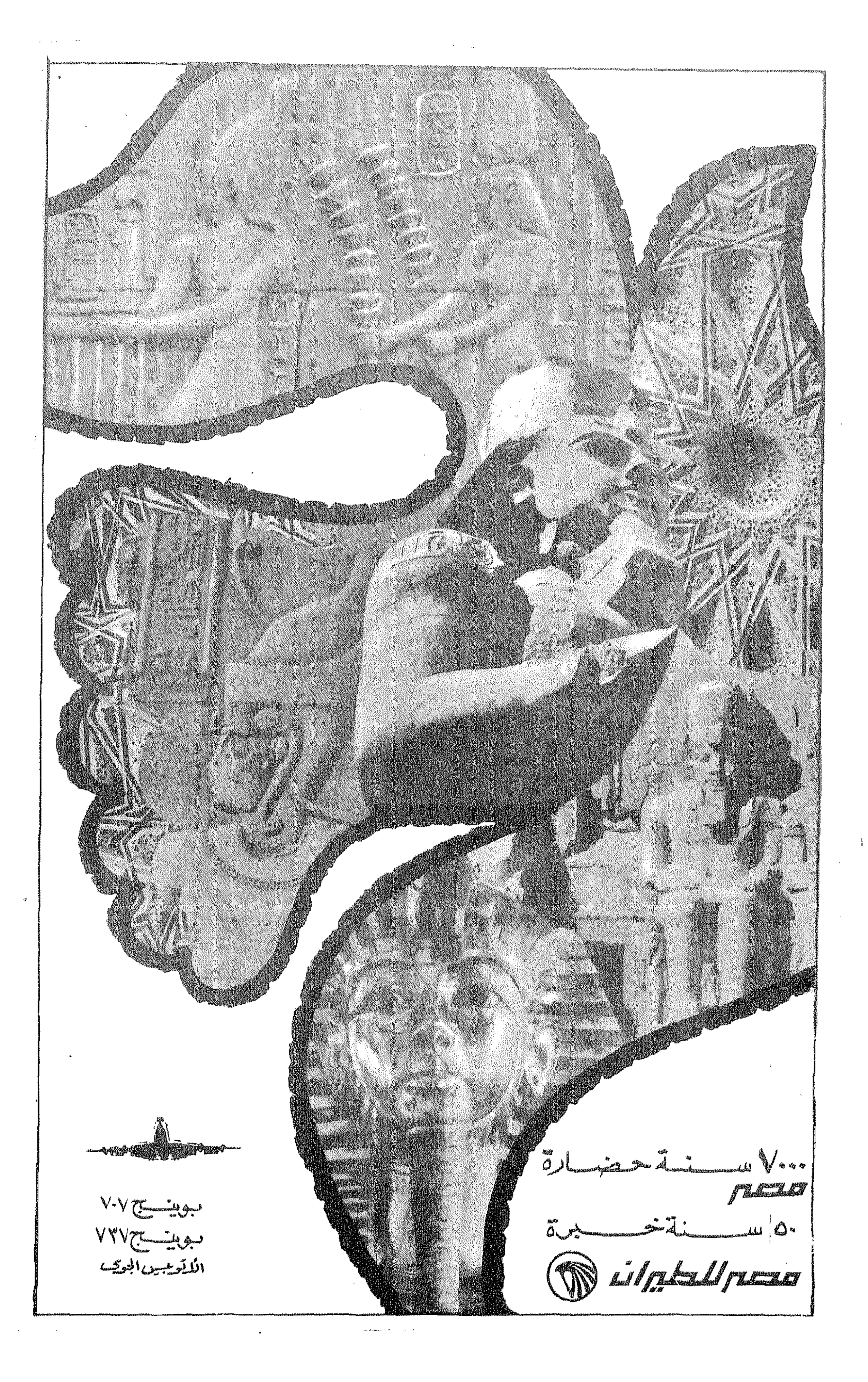
نوفمبر ١٩٨١م

الهلال

مجلة الفكر العربي

القاهرة عاصمة الألف عام

أنور السادات رسالة حياة


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

مصر ..

الإيمان والوفاء والمبادئ



هذه الصورة التي تراها فريدة في بابهافي تاريخ الامة العربية •
فان انتقال السلطة في اى بلد عربي وفي اى عصر من العصور لا يتم الا عن طريق الصراع والمؤامرات والاحقاد والضحايا •
والفريد النادر هو ان ينتقل السلطان من رئيس مضى الى الشعب والشعب يعطي نفس السلطان لمن يختاره اختيارا حرا •
وقد مهد الرئيس السادات لذلك تمهيدا هو في ذاته درس في السياسة واخلاقياتها لكل الساسة في اى بلد من بلاد العالم الثالث التي لا زالت في المراحل الاولى من مراحل طريقها الى الحياة السياسية المستقرة
وكان التمهيد الذى صنعه السادات هو اقامة المؤسسات الدستورية السليمة ثم احترام هذه المؤسسات ، وهو اهم من اقامة المؤسسات في ذاته ، لان المؤسسات والقوانين لا تكون لها قيمة الا اذا احترمها اولئك الذين يضعونها •
واكبر ضمان لاستمرار سياسة بلد واستقرار الامور فيه هو ان يختار الرئيس نائبه رجلا قويا امينا صالحا قادرا على حمل الامانة من بعده حتى يسهل على الناس بعد ذلك اختيار الخلف اذا مضى السلف •
وهذا ما فعله السادات ، جعل اختيار نائبه رجلا قويا صالحا صادقا واشركه معه في الامور اشراكا حقيقيا فعلا لكي يحمل الامانة من بعده اذا اقرت الامة اختياره عن طريق مؤسساتها الدستورية •
ولهذا فان شعب مصر آمن على وطنه مستقر في بلاده ، لانه عندما اختار من يتولى امره اختاره عن علم وبصيرة واستعمل حقه الكامل في ذلك الاختيار •
ذرية بعضها من بعض وعلى بركة الله

الهلال

فى هلال هذا الشهر



نوفمبر ١٩٨١م
المحرم ١٤٠٢هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التاسعة والثمانون أول نوفمبر سنة ١٩٨١م ٤ من المحرم ١٤٠٢ هـ .

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى عيد

● علوم وطب ●

● سينما ومسرح ●

● ادب وادباء ●

● قصـص ●

● شعر ●

من "الهـلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر مايتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر (*)

● صورة الغلاف ●

امام تمثال ابى الهول الصامت .. فى الجلال والخلود وقف انور السادات شهيد مصر الخالد فى صورة تعتبر بمعناها ومغزاها وثيقة تاريخية

الإشراف الفنى
احمد الوردجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جـ . ك تسدد بشيك مصرفى « لقسم الاشتراكات » بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط

أنور السادات

رسالة حياة

بقلم : رئيس التحرير

قادة العالم جميعا يقررون ان السادات واحد من اكبر صناع التاريخ فى القرن العشرين ، وهذا حق،فقد كانت للرجل فضائل انسانية واخلاقية وسياسية كبرى وصلت به الى هذه المكانة العالمية التى لم يصل اليها الا القليلون جدا ، فلابد أن تكون لذلك أسباب ، لان العقلية الغربية لا تلقى الكلام او تصدر الاحكام جزافا ، ولكننا نحن العرب لقلة تجاربنا فى السياسة والحياة تغيب عنا حقائق كثيرة تتعلق بالقوة الانسانية والقوة السياسية ، ومجلة الهلال تقرأ على طول العالم العربى وعرضه ، والكثيرون من القراء لم يروا الصورة الحقيقية للسادات ولا فهموا الاسباب التى ارتفعت به الى هذه المكانة العالمية بينما وسائل الدعاية عنده تقول له خلاف ذلك ، ولهذا ، ولكى تستنير بصيرة القارىء العربى ويحل فيما بين نفسه ونفسه مشكلة التناقض الواسع بين ما يرى من تقدير الدنيا العظيم للسادات وما يسمع من وسائل الدعاية حوله اكتب هذا المقال بغاية التجرد وباقصى ما يستطيعه عقل المؤرخ من الاخلاص للقلم وللقارىء العربى الذى ينتظر منا ـ نحن مفكريه وكتابه ـ ان نقول له كلمة الحق وان نعينه على تلمس سبيله فى فهم ما يجرى من حوله فى هذا العالم الواسع الملىء بالاخطار .



أول مرة اسعدني الحظ فيها بالتعرف على الرئيس الراحل أنور السادات ـ عليه رحمات الله ورضوانه ـ كانت في المؤتمر الاسلامي الذى انشىء في مصر سنة ١٩٥٥ ٠

وكان السادات قد عين سكرتيرا عاما لذلك المؤتمر ، وهى أول وظيفة عامة تولاها خارج مجلس الثورة ، وكان مجلس قيادة الثورة قد انشأ ذلك المؤتمر ليتولى شئون الدعوة الفكرية والاتصال الثقافي بالعرب والمسلمين ، فاختار السادات عددا من المتخصصين فى هذه الشئون ليعملوا معه فى امانة ذلك المؤتمر وكنت من بينهم ٠ وكان مقره فى قصر جميل في حى الزمالك يسمى بيت عمر مكرم ٠

واجتمع بنا السادات أول مرة في عصر يوم من أيام ابريل ١٩٥٥ ، وكانت تلك أول مرة أراه فيها ، وأذكر ان حديثه كله دار على القومية العربية وكيف ينبغي علينا أن نقوى أواصرها ونزيد وعى الناس بها ٠

وكانت فكرة العروبة في مصر فى ذلك الحين لا زالت غير واضحة فى أذهان الكثيرين من المصريين ، وكان المؤمنون بأن رابطة العرب بعضهم ببعض وروابطهم مع ماضيهم الطويل يمكن أن تكون قوة سياسة وحضارية كبرى لهم فى صراعهم من أجل البقاء ٠

ولهذا كان كلام السادات الينا كلاما جديدا جدا على الكثيرين منا ، وكنت أدرك معنى القومية العربية واحس قدرها بسبب اشتغالى بتاريخ العرب والاسلام واحساسى المتصل بما يمكن أن يحققه العرب لانفسهم اذا عرفوا قدر أنفسهم ومقدار القوة الكامنة فى كيانهم ، ولكن هذه الفكرة كانت غريبة عن الكثيرين الذين حضروا ذلك الاجتماع ٠

وقد أحببت السادات يومها حبا جما نظرا لما سمعت منه من كلام جميل جدا وعميق جدا عن العروبة وعناصر القوة الكامنة فى حياتها ٠ وكنت أكتب اذ ذاك كتاب « مصر ورسالتها » فتحدثت فى المجلس عن البعد العربى لتاريخ مصر فأعجبه الكلام وطلب أن أنجزه ، فانجزته ونشر ضمن سلسلة اخترنا لك ٠

ولم يكن من الغريب أن بعض أصحابنا ممن كانوا فى أمانة المؤتمر كانوا

رسالة حياة

لا يشعرون شعورا حقيقيا بقوة العروبة ومعناها ومغزاها ومعظمهم كانوا يفكرون على أسلوب المفكرين المصريين قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهو ان مصر شيء يتصل بالفرعونية والعروبة شيء آخر ، والعرب في رأيهم جيراننا في الارض ولكنهم ليسوا شركاءنا فى التاريخ والمصير ، بل كان بعضهم لا يرى معنى لاهتمام مصر بقضية فلسطين حاسبين انها قضية بعيدة عنا ولا صلة لها بحاضرنا ومستقبلنا، وكان هـذا هو التفكير الحقيقي لمعظم المصريين قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولم تتضح فى أذهان المصريين أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لنا الا بفضل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، حتى اشتراك مصر فى انشاء الجامعة العربية اعتبروه عملا فرعيا لا اهمية حقيقية له بالنسبة لحاضر مصر ومستقبلها · حتى مصطفى النحاس الذى كان من أكبر العاملين على انشاء الجامعة العربية كان يعتقد ان الشئون العربية لا تعتبر جانبا هاما من جوانب سياسته ، والوحيد ـ ربما ـ الذى كان يؤمن بالوحدة العربية فى مصر اذ ذاك كان عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية ، وهو دون شك الرجل الوحيد الذى تولى الامانة العامة للجامعة العربية عن جدارة بهذا المنصب وفهم له ، وهو كذلك الوحيد الذى كان يعمل بصدق وايمان على تحويل الوحدة العربية الى حقيقة سياسية ، أما بقية أمناء الجامعة العربية الذين جاءوا بعده فهم بين موظف تقليدى كبير يمارس عمله فى الجامعة ، وكأنه وزير فى وزارة أو ضابط متقاعد تحول الى سياسى عربى دون أن تكون له أبسط قاعدة ثقافية عربية ، أو ـ كما هو الحال اليوم ـ رجل محب للظهور والمناسب يتخذ منصب الامانة العامة للجامعة العربية على انه وسيلة لاظهار بلاغة كلامية تعجبه ولا يحس بها غيره ·

***

لهذا كان كلام السادات فى تلك الايام الينا فى القومية العربية كلاما جديدا جدا على الكثيرين منا وقد اتيحت لى الفرصة اذ ذاك الفرصة الوحيدة فى حياتى للتحدث الى السادات ، وكانت فى دار المؤتمر مكتبة عامرة بكتب الشئون العربية ، فكنت اخرج من مكتبى فى الادارة العامة للثقافة واتجه الى دار عمر مكرم لكى اقرا واجمع المادة لكتاب مصر ورسالتها ، واعمل وحدى ساعات متواصلة ، وأذكر ان أنور السادات أتى مرة حوالى الثالثة والنصف بعد الظهر ، فوجدنى أعمل ولم يجد غيرى ، فجعل يتحدث الى عن تاريخ الاسلام وعلاقات مصر بافريقية المدارية والاستوائية ، واسترسل معى فى ذلك وقام يتفرج على خرائط لدول أفريقيا الاسلامية فى السودان الغربى ، وقرأت له ما يقول المقريزى عن علاقات ملوك هـذه الدول بمصر أيام المماليك ، فطلب الى أن استنسخه له ، وحضر الامين المساعد للمؤتمر لكى يصطحبه السادات الى اجتماع هام ، فألغى الاجتماع ومضى يسمع منى ويقرأ معى حتى قاربت الساعة السابعة والنصف



مساء ، وتلك كانت المرة الوحيدة التى جلست اليه مثل هذا الوقت الطويل ، وكان حديثنا عن العروبة والاسلام •

***

وبعد ذلك بقليل في أوائل ١٩٥٦ أصدر المرحوم الاستاذ محمد فريد أبو حديد كتابه « قوميتنا العربية » وهو كتاب جيد ، وأن كان نصيب العاطفة والانشاء فيه أكبر من نصيب العلم والحقائق ، ولكن السادات ، بصفته أمينا عاما للمؤتمر ـ طلب الينا أن نعقد ندوة عن الكتاب ، ومن غريب الامر انه وجد يومها وقتا رغم مشاكل رجال الثورة جميعا فى ذلك الوقت ـ ليحضر الندوة كلها ، وقد طالت ساعات الندوة ، واشتد النقاش فيها بين فريد أبى حديد ومحمد سعيد العريان ، وكان العريان يكتب مسرعا كتابا فى نفس الموضوع ويحاول أن يثبت ان آراءه لا تقل سدادا عن آراء أبى حديد •

ثم تكلم السادات بعدها ـ ختاما للندوة ـ كلاما جميلا جدا عن العروبة ومعناها وصلة مصر بها وما تريده مصر من العرب وما يريده العرب من مصر ، وكان يتحدث فى حماس ومنطق مقنع على طريقته التى عرفناها فيما بعد أكثر من مرة ، وأذكر اننى يومها ـ ولم اشارك فى المناقشة لاننى أفضل عادة ان أتعلم على ان أتكلم ـ أذكر اننى عدت الى بيتى مسرعا ودونت كل ما سمعت من السادات عن الاتجاه العربى فى سياسة مصر واعادة بنائها ، وكتبت فى ذلك مقالة بعنوان : الثورة المصرية ومستقبل العرب ، وادرت الكلام فى المقال على ما قال السادات ، واعطيت المقال لرئيس تحرير مجلة كانت تصدر اذ ذاك تسمى « بناء الوطن » وانتظرت ان يصدر المقال فلم يصدر قط ، وبعد أكثر من عام لقيت رئيس التحرير هذا فسألته عن المقال ، فقال لى : لا نستطيع نشره لانه كان ينبغى أن تقول ان هذه آراء جمال عبد الناصر ولا أحد سواه ، فالتعليمات عندى تقول الا ننشر رأى لاحد غيره فى مثل هذه الموضوعات •

***

والحقيقة ان أحدا من رجال الثورة المصرية لم يكن له أول الامر علم حقيقى بالشئون العربية والثقافة العربية الا أنور السادات ، فقد كان قارئا متوسعا فى كتب التراث ، وكان كما عرفت من صديقى هذا الذى كان يرأس تحرير مجلة بناء الوطن انه لا يكاد يسمع عن كتاب يصدر فى تاريخ العرب أو تراثهم الحضارى الا سارع باقتنائه وقراءته ، وأول نسخة قرأتها من كتاب « العرب » لانطونى ناتينج وجدتها فى مكتبة المؤتمر الاسلامى ووجدت فيها خطوطا كثيرة

تحت سطور وخوطا الى جانب فقرات ، وفى أعلى صفحات الفصول الخاصة بسياسة بريطانيا في فلسطين وجرائمها فى هذا البلد الذي كانت منتدبة للحفاظ عليه كتب السادات مرة بعد مرة لفظ « مهم » ، وتحت اسم هربرت صموئيل أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين وكان يهوديا ـ وضع السادات خطوطا كثيرة ، وكتب فى الهامش لفظ « عجيب » وقد أعدت هذه النسخة إلى مكتبة المؤتمر ، وخطر ببالى بعد ذلك أن استعيرها واحتفظ بها وأرد للمعهد نسختى لانني أحسست ان تلك النسخة وثيقة تاريخية ـ ولكنى لم أجد النسخة بعد ذلك فى المكتبة •

***

ومن المعروف ان ثورة يوليو ١٩٥٢ هى التى ادخلت فكرة العروبة في الفكر المصرى وجعلتها ركنا من أركانه ، وهى التى ادخلت المصريين جميعا فى العروبة وقضت على اتجاهات الفكرة الفرعونية وما اليها ، واعتقد الآن ـ خلافا لما يظن الكثيرين ،أن الفضل الاكبر فى ذلك يرجع الى انور السادات ، فقد كان اكثر رجال الثورة المصرية احساسا بالعروبة ومعرفة لقدرها ، وكنت اعمل مع غيره من رجال الثورة واستمع اليهم فلا اجد عندهم الى جانب الايمان بمصر الا عاطفة اسلامية ليس فيها أى معرفة حقيقية بالعرب وقدرهم فى التاريخ وأهمية الجانب العربى من تكوين مصر ، وعندما انشأنا المركز الثقافى في الرباط سميته المركز الثقافى العربى ، فاستنكرت الوزارة الفكرة وجعلوا اسمه المركز الثقافى المصرى

***

وفى مارس ١٩٦٣ ذهبت للقاء السادات فى أمر يخص أخى المرحوم محمد نزيه ـ وكان السادات شديد العطف عليه ـ وكان أيامها رئيسا لمجلس النواب ، وقد وجدته وحده وأذكر انه كان متعبا جدا وكان على أبواب سفر الى روسيا مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان يرتاح لكلامي عن العرب والعروبة فتحدثت اليه طويلا ، ثم نهض ليمضى الى موعد له وفتح درجه وناولني كراسة ضخمة كتبها بيده فى شئون العروبة وقضاياها ، وطلب الى أن اقرأها حتى يعود ، فجلست وحدى فى غرفة رئيس المجلس الجميلة وجعلت اقرأ ذلك الدفتر المكتوب بخط السادات القوى الجميل الذى تبدو انعطافات الحروف فيه وكأنها خطوط هندسية ، فعرفت يومها ان معظم الفكر العربى لجمال عبد الناصر يرجع الى السادات ، فقد كان ايمانه بالعروبة عظيما واطلاعه على ما كتب عنها وفيها واسعا وأعتقد انه صاحب الخط العربى فى سياسة الثورة المصرية كلها ، حقا لقد كان جمال عبد الناصر هو الذى حول الثورة المصرية على المسرح العالمى الى ثورة عربية ، ولكن صاحب الفكرة الاصيلة فى ذلك كله كان أنور السادات ، ومن المعروف أن أصول السادات كانت عربية مصرية ، وهذا ظاهر من كلامه في كتاب البحث عن الذات ، ثم ان فضائل القرية المصرية كلها كما يصفها ويتحدث عنها فضائل عربية اسلامية ، وطوال أيام عبد الناصر كان السادات رسوله الى العرب



والمتحدث الى رؤسائهم ، وكانت صلاته الشخصية بهم أوثق من صــلات جمال عبد الناصر ، وقد تجلى ذلك في أيام المرحوم الملك فيصل ، فان الســادات كان من أوثق الناس به وأقربهم اليه ، لان السادات تميز بميزتين كبيرتين يحبهمــا العرب ويعتبرونهما من خصال السعادة أو السؤدد كما يقولون .

الاولى هي التعفف والزهد فيما في أيدى الناس ، ومن يقرأ كتاب « البحث عن الذات » يلمس هذه الخاصة في كل مرحلة من مراحل حياته الســياسية ، فبعد قيام ثورة ١٩٥٢ ــ وكان السادات من أكبر الممهدين لها والعــاملين على نجاحها نجد السادات يتجه الى الزهد في المراكز والسلطان ، وكأنه اعتبر ان قيام الثورة فيه تحقيق كاف لآماله في وطنه ، وبينما كان زملاؤه يتقاتلون على السلطان كان هو بعيدا عن المعركة يتأمل المتصــارعين ويتعجب من تهافتهم على المناصب ونتيجة لهذا العزوف كان الســـادات أقوى من غيره دائما ، فهو مؤمن بنفسه متعلق بمثله الاخلاقية والقــومية العليا ومن ثم فهو ليس في حاجة الى أحد ، وهو بعيد عن الحرص الذى يذل أعناق الرجال .

هذه الصفة قربته الى قلوب الواعين من اهل بعد النظــر من العــرب ، والملك فيصل بالذات كان يحمل معظم صفات السيد العربى الاصيل ، ومن هنا فقــد احب السادات ووثق فيه وقدم له كل ما كانت القضــايا العربية تتطلبه . ولم تكن الجبهة العربية في يوم من ايامها اقوى مما كانت عليه ايام هذا التحــالف العربى الاخلاقى بين انور السادات والملك فيصـــل رحمهما الله معا ، فقد كانا زاهدين وخادمين صادقين للعروبة ، وقد أراد الله اكرامهما فماتا شهيدين ، وهما يلتقيان اليوم في خلود الصديقين ، والابرار .

والصفة الثانية من صفات السادات التي أعطته القوة الحقيقيــة في وســط عواصف العالم العربى هو ايمانه بالحق والقانون والشرعية ، فالغالبية العظمى من حكام العرب على مر التاريخ لم يكن لهم هم الا تثبيت سلطانهم وتقوية مراكزهم على حساب الآخرين ، ظنا منهم انه كلما زادت السلطات المتجمعة في يدهم كلما زاد أمانهم على أنفسهم وسلطانهم ، وهذه كانت دائما ولا تزال نقطة الضــعف الكبرى في التفكير السياسى عند حكام العرب والمسلمين ، وقد فاتهم جميعا ان الانسان يزداد قوة بما يعطى لا بما يأخذ ،وكلما زاد عطاؤك زادت قوتك،وأبو بكر الصـــديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فيما أرى أقــوى من حكم أمة الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذا قوتهما الكبرى من العطاء لا من الاخذ ، **فكلاهما لم ياخذ لنفسه شيئا قط الا بقدر ما يقيم الاود ، ولهــذا فقــد تمتعا بسلطان روحي وسياسي على الناس لم تطمح الى مثله بل بعضــه ــ نفس طامح . وبسبب هذا الزهد كانا من اشد الناس تمسكا بالشرع اى القــانون ، والقانون أيد سلطانهما وجعل الطاعة لهما وكانها فرض على الناس .**

فلما جاء عثمان رضي الله عنه وطمع بعض آله فى الاموال ونظـروا الى ما فى أيدي الناس ضعف مركز الخليفة وجرؤ عليه غيره ، وكانت فى ذلك ماساته التى نعرفها اجمعين .

***

وهذا التمسك بالشرعية والقانون هو الذى أعطى السادات قوته الحقيقية داخل بلاده وخارجها ، وحتى عندما اختلف معه بعض العرب ومضـوا يحملـون عليه كانوا يشعرون فى أعماق نفوسهم ان هذا الرجل أقوى منهم أجمعين رغم ماكانت اذاعاتهم ووسائل اعلامهم تقول ، فهذا رجل يضع الدستور الدائم ويثبت اركانه ويحكم بمقتضاه ، وفى أيامه يقـوم أول مجلس شعب فى تاريخ مصر يمارس سلطاته ممارسة فعلية ويتم دورته القانونية دون حـل أو أزمات ، وهو يعيـد الحقوق ويلغى المعتقلات ويرفع هيبة القضاء ، ويكون هو نفسه أول من يحترم القانون ويخضع له ، وهو يحترم القيمة الانسانية ولا يطيق أن يرى انسـانا معوزا يذل نفسه ليعيش ، فيقيم هذه المظلة الواسعة من التأمينات الاجتماعية ، حتى طوائف مثل صيادى السمك أو المزارعين قرر لهم معاشا احساسا منه بأن الانسان اذا شاخ وضعف أصبح عرضة لاهمال الآخـرين ـ ولو كانوا أولاده ـ فلابد لهم من حد أدنى من الدخل حتى لا تذلهم الحاجة ، وليس هذا مجرد مديح وانما أنا آخذه من واقع ، فلم يكن السادات يقرر هذه المعاشـات والتأمينـات سياسة منه بل انسـانية ، وقد حكى فى بعض خطبه كيف انه رأى فى أول زيارة له لبلد من بلاد الكتلة الشرقية ـ وهو المانيا الديموقراطية ـ كيف رأى امرأة عجوزا متهالكة تكنس الشارع ، لان القاعدة فى تلك البلاد الشيوعية هى أن الشعور الانسانى لا وجود له ، وكل انسان لابد أن يعمل شيئا ليأكل حتى لو كان شيخا متهالكا ، وقد سمعت هذا الخطاب ورأيت وجه السادات كيف يتألم لهذه العجوز التى ذكرته بسيدة عجوز فى قريته ، وقال فى كلامه : ومن ذلك الحين قررت الا أدع معوزا فى بلدى يشقى فى سبيل العيش .

وهذا التمسك بالشرعية والقانون ثم الاحساس الانسـانى المرهف هو الذى أعطى السادات كما قلنا ذلك السلطان العظيم داخل بلاده وخارجهـا ، فأما فى **عالم العرب فقد كان عقلاء حكام العرب يعرفون بالفعل ان مركز هذا الرجل فى بلاده ثابت لا يتزعزع ، ودعك من مأساة اغتياله ، فتلك جرائم يرتكبها ناس حمقى فقد قتل عمر بن الخطاب على يد مملوك صغير للمغيرة بن شعبة ، وقتل على بن ابى طالب على يد خارجى متهوس ، وقد استشهد الاثنـان بالذات لانهما كانا يثقان فى انهما أمينان لانهما عادلان والعادل لا يخاف غيره ، ولهذا السبب أيضا استشهد الملك فيصل والرئيس السادات بينما زبانية الحكام والطغاة لا يصـل اليهم أحد ، لانهم لشدة خوفهم على أنفسهم يحيطون انفسهم بزبانية الحراس .**

***



وهذه الشرعية والقانونية عند السادات هى التى ضمنت له احترام الدنيا فى حياته وضمنت لبلاده الاستقرار عندما مضى الى ربه ، فأما رجال الغرب فقد وجدوا انفسهم امام سياسى هو فى الحقيقة قوة اخلاقية كبرى فى عالم سياسى لا يعرف الاخلاق ، فهو صادق فيما يقول وهو مستقيم لا يعامل الناس بكيلين أو بوجهين كما يتول ، وهو عندما رأى ان الصراع مع اسرائيل لا يؤدى الا الى الحروب ، والحروب لا يتحمل تبعتها الحكام وانما الجنود وعامة الناس ، فقد استقر رأيه على أن السلام أقوم طريق للوصول الى حل يرضاه الناس أجمعين .

***

وعندما قرر الذهاب الى القدس ، استجابة لدعوة الاسرائيليين ذهب مخلصا صادقا فى طلب السلام العادل لبلاده وللعرب أجمعين ، ولم يصدق الاسرائيليون ان رجلا يكون بهذا الصدق ، فأحاطوا مطارهم بالف وخمسمائة قناص خوفا من **أن تكون زيارة السادات حيلة للقضاء على كل زعماء اسرائيل فى المطار ، فما راعهم الا والرجل رسول سلام حقا .**

وفى الكنيسيت قال لهم بأجلى بيان وأقوى منطق ما يريد العرب منهم وما يلزمون به ، وقد ارتج العالم كله لهذه الزيارة ولخطاب السادات للعدو مواجهة ودون دوران فى حين أن غيره لا زالوا يطلبون محادثات السلام ولكن بطريقة اللف والدوران . فيجلس المتفاوضون على مناضد متباعدة ، ولا يتحدثون الا عن طريق الآخرين ، كما حدث فى مهازل محادثات جنيف ، ومن عجب أن الكثيرين من العرب لا زالوا متصورين ان مثل هذه المحادثات يمكن أن تجدى ، وما يدفعهم الى هذا التمسك الا الروس الذين يريدون ألا يتم شىء الا عن طريقهم ويا ليتهم يريدون أن يتم شىء ! اذ الواقع المرير انهم يكسبون قوتهم عن طريق ضعف الناس ويستغلون فقر الامم لزيادة أهلها فقرا ويحبون أن يظهروا للناس وكأنهم دعاة خير وسلام وما هم الا أدوات تخريب ودمار للبشر أجمعين ، وهم يحسبون انهم يخدمون وطنهم روسيا بذلك والحق انهم يمهدون لزوالها ،فان أسلوب الخداع والكذب والعدوان على حريات الناس قد ولى زمانه ، وسترى ان ما ينزلونه بالناس من الويلات فى افغانستان وبولندا وغيرهما سيكون فى النهاية قاضيا على الروس أنفسهم .

***

رحم الله انور السادات ، لقد كان رجل حق وايمان ومبادىء ورسول سلام ، ولقد كانت حياته رسالة وكلماته حكمة ، وكان سعيه للسلام نابعا عن قلب عامر بالانسانية وحب الخير حقا ، وكان استشهاده ختاما رائعا مدويا لحياة فارس مجاهد بطل بذل أقصى ما يستطيع ليؤمن غيره ونسى أمان نفسه .

● د. حسين مؤنس ●

مواقف وصور من حياة الزعيم الشهيد ... :

السادات

رب الأسرة وكبير العائلة

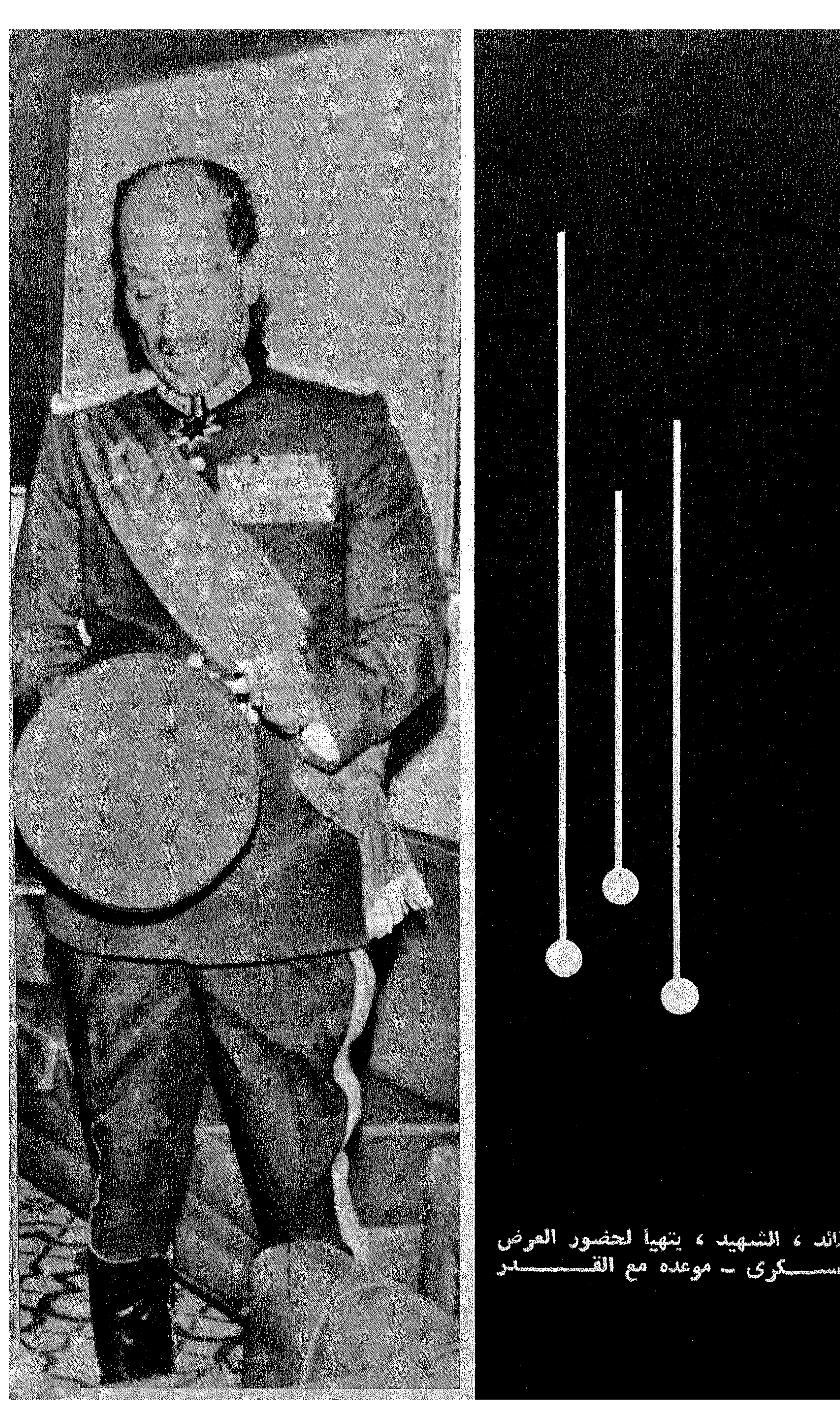
●●

محمد أنور السادات ـ مثله فى ذلك مثل كل الشخصيات الكبرى فى التاريخ ـ له جوانب كثيرة من القوة التى وصلت به الى تلك المكانة فى الدنيا كلها وفى بلده العزيز عليه مصر .

وقد تحدث الكتاب عن جوانبه السياسية وخصاله كقائد أمة خرج بأمته من الفوضى الحزبية التى كانت فيها عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد فصلها السادات فى صفحات كتابه العظيم البحث عن الذات .

وقد رأينا ان نخصص باب ((ناس وصور وحكايات))فى هذا العدد من الهلال للناحية الانسانية فى أنور السادات ، ناحيته كرب أسرة سعيدة يحب اسرته الصغيرة ويحوط زوجه وأولاده وأحفاده بالحب وناحيته الاخرى أبا للامة المصرية كلها ، فقد كان السادات فعلا كبير العائلة المصرية بالحب والعطاء والعطف والمحبة الصادقة التى تصدر عن القلب الكبير . وخلال هذه الصفحات المصورة يرى القارىء هذا الجانب الكبير من جوانب السادات فى سلسلة من الصور التى تعبر ببساطتها تعبيرا هو أبلغ من كل كلام .

●●



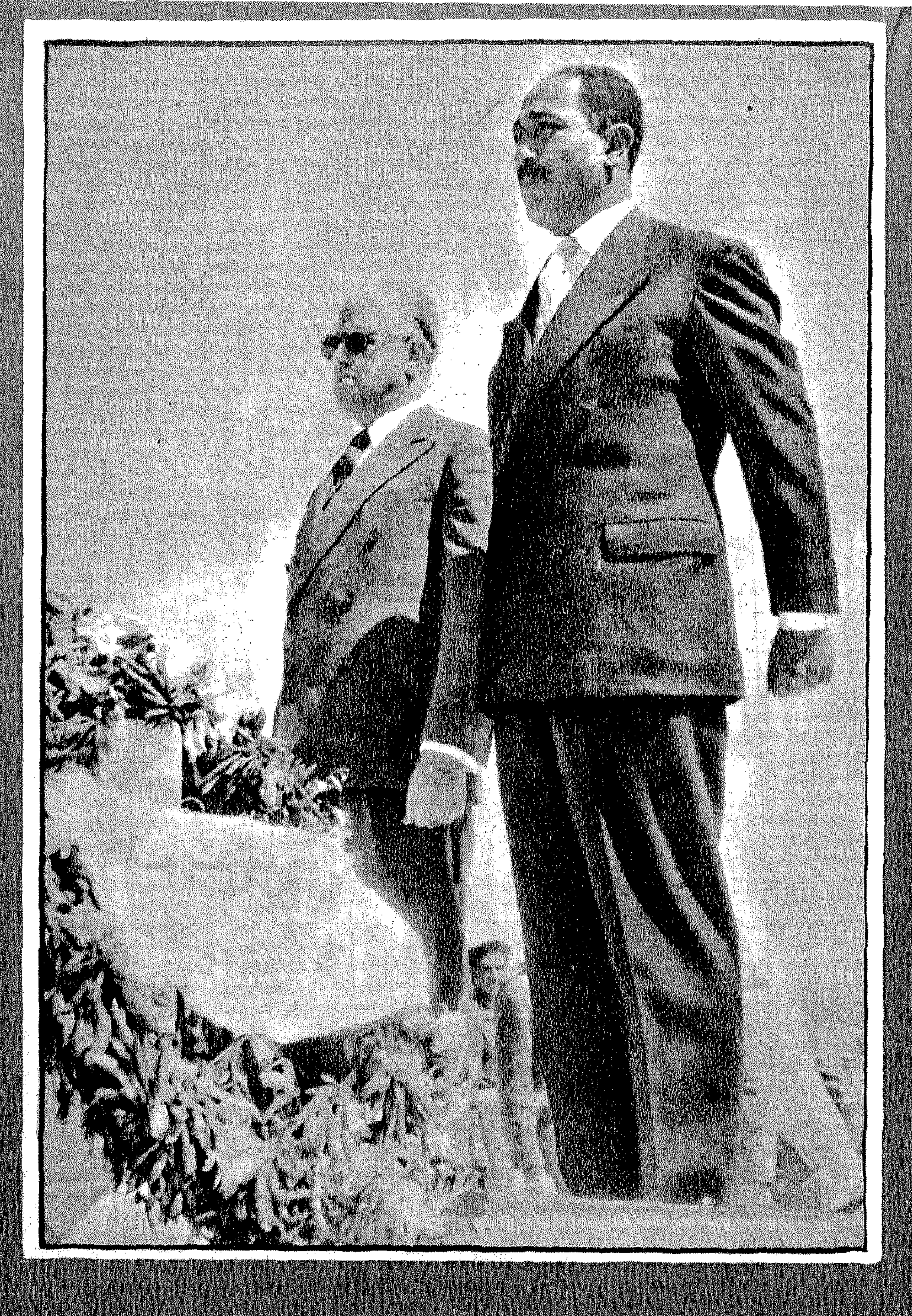
القائد ، الشهيد ، يتهيأ لحضور العرض
العسكرى - موعده مع القدر

كان مؤمنا ، صادق الدعاء ، بين يدى الله ...

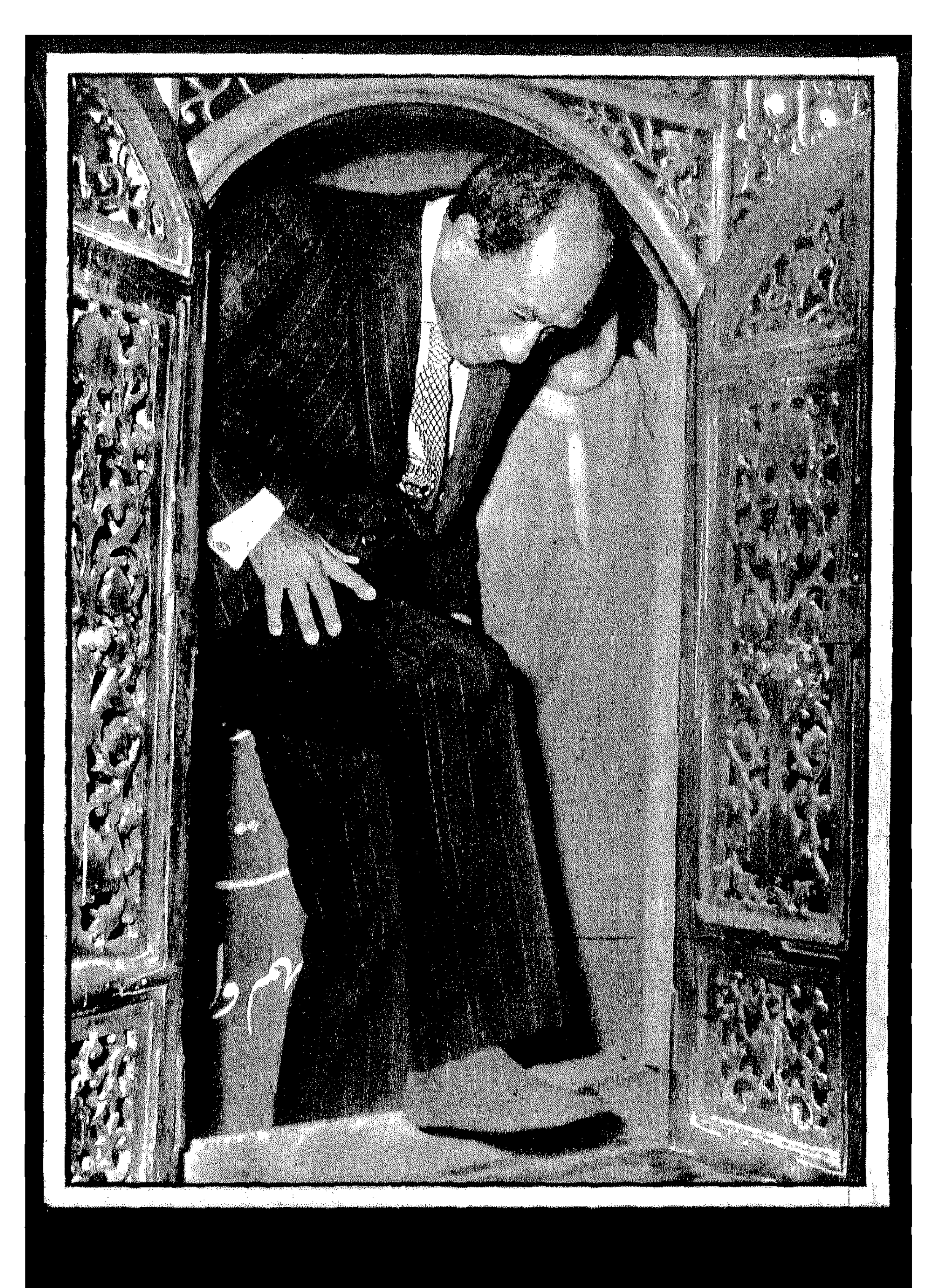




امل مصر .. الرئيس محمد حسني
مبارك ، ينعى شهيد مصر والاسلام



لقطات ثلاث من حياة الزعيم الشهيد .. : مشرفا على جريدة الجمهورية ، وبين المواطنين فى مختلف مواقع الحياة والعمل ، ومع الامين السابق للجامعة العربية ، عبد الخالق حسونة ..



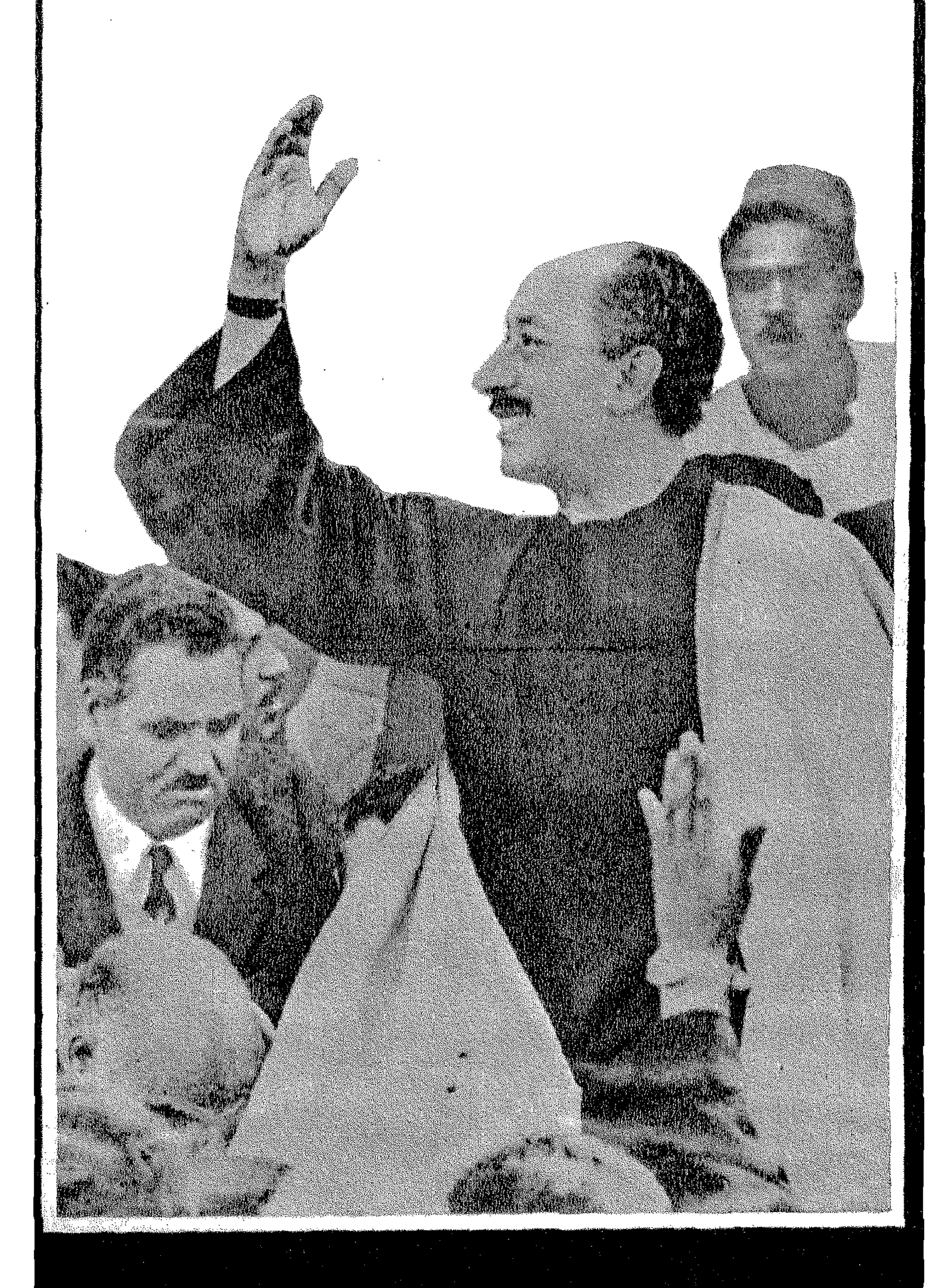
بعد ان قرأ الفاتحة ، رحمـــة وتبركا فى مسجد السيد البدوى

الزعيم المؤمن مع المصلين فى المســـجد الاقصى يوم المبادرة التى دخلت التاريخ

مع بابا الفاتيكان الراحل ..



بين جماهير الشعب الذى وقف
بجانبه وناضــــل من اجله





على طريق الوحدة الوطنية ،
الدين لله والوطن للجميع.

كان يعمل دائما من اجل ان تغطى
الخضرة والنمـــاء كل ارض مصر

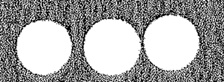


من اسعد المواقف فى حياته ، توزيع ملكية الارض على ابناء الريف

وكان عطوف القلب بسيطا متواضعا ..



القائد المؤمن يؤدى الصلاة
فى الارض المحررة سيناء



الزعيم الشهيد يرفع علم مصر خفاقا على
العريش التى خاض المعارك لتحريرها

كان عظيم المكانة والتقدير لدى زعماء العالم .. : لقاء مع الرئيس ريجـــان

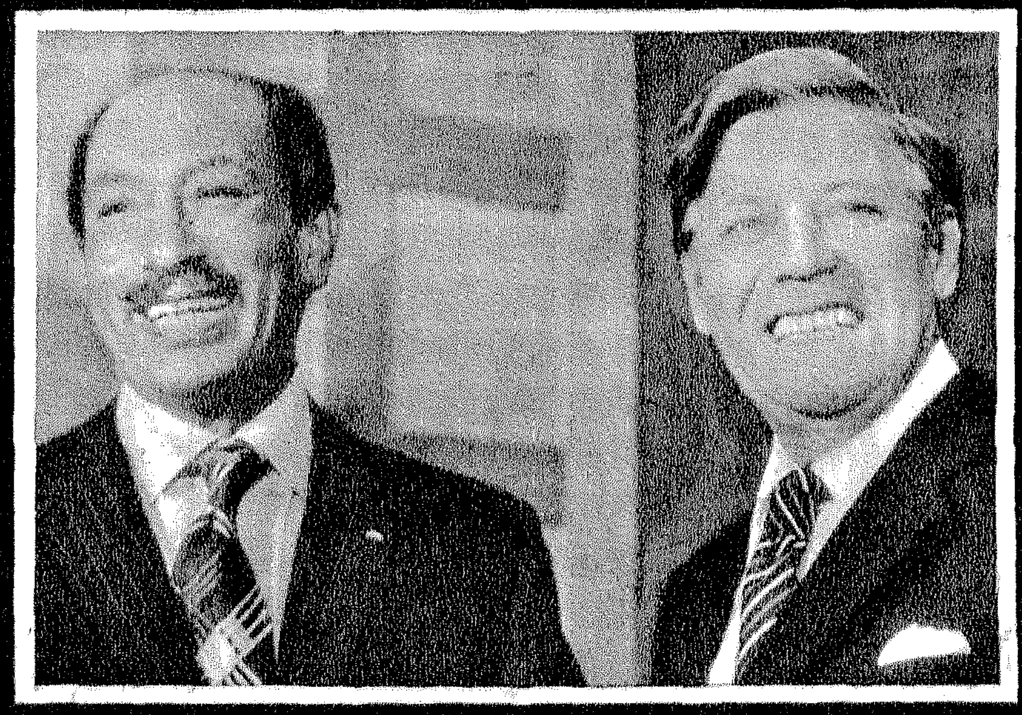
مع الرئيس ، الصديق ، زعيم السودان الشقيق جعفـر نميرى



مع المغفور له جلالة الملك فيصل : صداقة خالصة حققت للعروبة آمالا كبارا ومهدت الطريق الى النصر الكبير ...

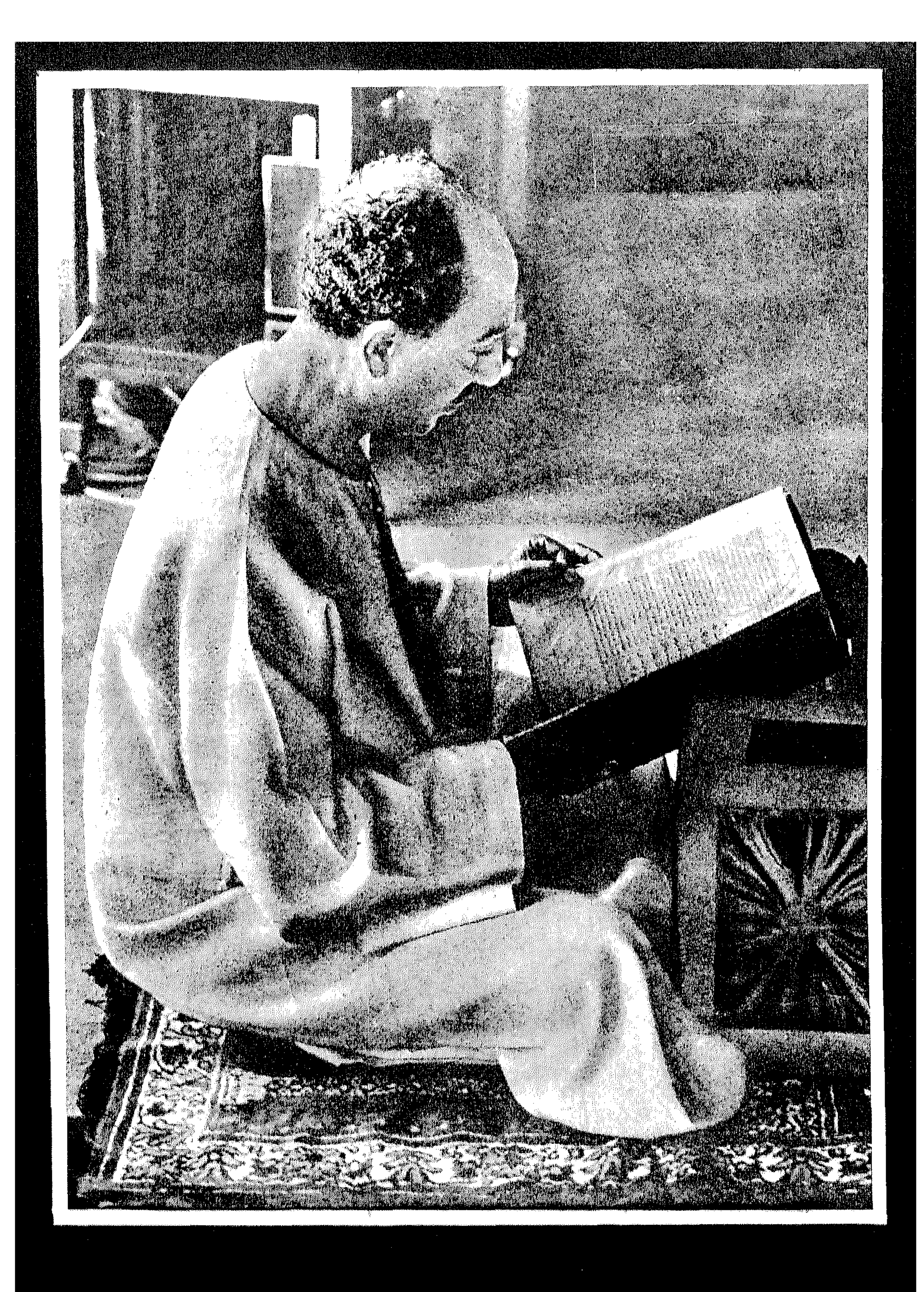
.... مع الرئيس الفرنسى
السابق جيسكار ديستان

مع مستشار المانيا الاتحادية
هيلموت شميت





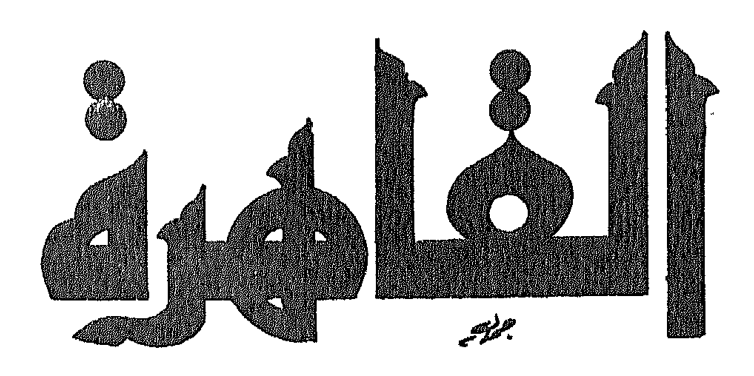
فى ظل الهرم الخالد السادات والسيدة حرمه
مع ضيف مصر الرئيس الامريكى الاسبق
كارتر والسيدة حرمه .. ..



الزعيم والانسان المؤمن فى خلوة
مع كتاب الله الكريم



الرئيس محمد حسني مبارك : أمل مصر ،
وعهد الايمان والوفاء والمبادىء ..



عاصمة الألف عام

د. محمد عبد المنعم خفاجي

قاهرة المعز الخالدة ذات الالف عام ، عاشت وتعيش شامخة سامقة مرفوعة الاعلام دائما وعلى طول عصور التاريخ .

ولما فتح الفاطميون مصر ، حرص جوهر الصقلي قائد الفتح ليلة وصوله الفسطاط فى ١٧ شعبان من عام ٣٥٨هـ - السابع من يوليو عام ٩٦٨ م على انشاء عاصمة جديدة تكون مقرا لحكم الدولة الفاطمية ، ومركزا للخلافة العلوية فى مصر ، وكان ذلك تنفيذا لمشيئة المعز الفاطمي وتوجيهه ، ووضع أساس المدينة الجديدة ، وأقيمت فيها المبانى الرائعة ، والقصور الفخمة . ولما قدم المعز من المغرب الى مصر في الخامس من رمضان عام ٣٦٢ هـ - العاشر من يونيو ٧٩٢ م أطلق على المدينة اسم القاهرة ، وتنبأ لها بانها ستقهر الدنيا ، وتعيش الى الابد .

وأقام جوهر فى المدينة الجديدة قصرا رائعا للمعز ، يعرف بالقصر الشرقي الكبير ، وكان له تسعة أبواب ، وموضعه مكان المشهد الحسيني اليوم الى نحو الجامع الاقمر . وأقام العزيز بالله الفاطمي قصرا جديدا ، غربي القصر الكبير ، ويعرف بالقصر الغربى الصغير ، ومكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد .

وما بين القصرين : الشرقي والغربي ، كان هناك فضاء واسع ، اتخذ مكانا للاستعراضات العسكرية ، وأطلق على هذا المكان : ما بين القصرين ، وكان يصل بينهما سرداب طويل تحت الارض يسير فيه الخليفة ممتطيا فرسه ، عند انتقاله من القصر الشرقى الى الغربي ، وقد وصف الرحالة القصر الشرقى بأن أرضه كانت مرصوفة أجمل رصف بالفسيفساء ، وأن أسقفه كانت مزينة بالزخارف الذهبية الجميلة وفى فنائه كانت هناك النافورات الرائعة التى يجرى منها الماء الصافى فى أنابيب من الذهب والفضة ، الى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام الجميل ، وفى حدائق القصر كانت الطيور الجميلة ، والحيوانات الغريبة . وحدث عن ستائر القصر المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب ، والمرصع بالجواهر واليواقيت .. ولا حرج (١)

وفى القصر الشرقي كان يوجد من التحف والطرائف مالا يكاد تقع عليه العين ..

وأخذت القاهرة فى الاتساع والازدهار والنماء يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .

(١) كنوز الفاطميين - د زكى محمد حسن ص ٧٤ ومابعدها .



منظر بركة الازبكية اثناء فيضان النيل

ولما زار الرحالة الفارسي المشهور ناصر خسرو القاهرة فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ما بين عامى ٤٣٩هـ و ٤٤١ هـ (١٠٤٧ ـ ١٠٤٩ م) ذكر ان حوانيت القاهرة تبلغ نحو العشرين ألفا ، وأن حاناتها وحماماتها لا يمكن حصرها ، وأن أبنيتها أعلى من الاسوار الحصينة ، وأن بيوت المدينة مبنية بناء نظيفا محكما ، وتحيط بها الحدائق والمياه (١)

وقد بني في المدينة الجديدة الجامع الرسمى الكبير للدولة ، وهو الجامع الازهر ، وبدىء في بنائه فى جمادى الاول عام ٣٥٩ هـ : ابريل ٩٧٠ م ، وتم البناء في رمضان من عام ٣٦١ هـ : يونيو ٩٧٢ م ، ولم يلبث هذا الجامع الكبير ان تحول ، الى جامعة اسلامية كبرى ، علا صيتها ، وعظمت مكانتها ، على مرور الايام ..

وقد بني في عهد العزيز بجوار الجامع دار كبيرة لجماعة من الفقهاء ، كان عددهم خمسة وثلاثين ، كانوا هم نواة هذه الجامعة الاسلامية ((الجديدة ، وكانوا يجتمعون في الجامع بعد صلاة الجمعة ، ويقراون القرآن ، الى صلاة العصر : وقد أجرى عليهم الخليفة المرتبات ، واغدق عليهم الوزير يعقوب بن كلسو الاموال والهبات . واصبح الجامع الازهر على عهد الدولة الفاطمية أعظم جامعة اسلامية في العالم الاسلامى كافة ، بل صار زينة القاهرة ، ومفتاح عظمتها وازدهارها .

وفى عهد العزيز بالله كذلك عام ٣٧٩هـ ـ ٩٨٩م أقيم جامع الحاكم ،كما أقيم بعد ذلك بنحو مائة عام جامع الجيوشى عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥ . ثم أقيم الجامع الاقمر فى شارع النحاسين عام ٥١٩هـ ـ ١١٢٥م ثم الجامع الصالح بن رزيك ، وغير ذلك من المساجد والمبانى الرائعة .

ورثت القاهرة مدينة الفسطاط ، التي أنشأها عمرو بن العاص اثر فتح مصر ، عام ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م ، والتى أسس فيها مسجده العظيم ، مسجد الفتح ، المسمى بجامع عمرو ، او تاج الجوامع ، أو المسجد العتيق ، الذى وصفه الرحالة الفارسى ناصر خسرو بأنه يقوم على اربعمائة عمود من الرخام ، وتحيط به الاسواق من جهاته الاربع ، وعليها تفتح أبوابه (٢) ، وبأنه مكان اجتماع سكان مدينة الفسطاط ، ولا يقل من فيه **من الطلاب في اى وقت عن خمسة آلاف طالب من طلاب العلم والغرباء .**

كما ورثت القاهرة مدينة العسكر التى اسسها واتخذها العباسيون عاصمة لمصر ، عام ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م ، بدلا من الفسطاط ، ومدينة القطائع التى أنشأها احمد بن طولون عام ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م واتخذها عاصمة له ، وبنى فيها قصرا مشيدا ، وجامعا ضخما ، هو المعروف بجامع ابن طولون ، الذى فرغ من بنائه عام ٢٦٥ هـ ـ ٨٧٨ م ، وقد استغرق البناء نحو العامين .

وقد تجمع فى القاهرة كل محاسن العواصم الكبرى ، وبلغت من الازدهار والحضارة مبلغا كبيرا ، وبقيت العواصم القديمة بجوارها ، **تعمل من أجل الرخاء**

(١) ناصر خسرو : سفرنامة ، ترجمة د . يحي الخشاب ، ص : ٥٠ ، ٥٨
(١) ص ٥٩ ناصر خسرو ـ سفرنامة ـ ترجمة يحي الخشاب .

والازدهار والثقافة والحضارة ، كل ما تستطيع (١)

ومن العلماء الذين زاروا القاهرة فى عهد الحاكم بالله الفاطمى ، العالم الكبير المشهور الخالد ابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ : ١٠٣٨ م) ، وهو من أشهر العلماء المسلمين فى الطبيعة والبصريات ،وكذلك عبد اللطيف البغدادى ..

وحدث عن دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله فى القاهرة عام ٤٠٠ هـ: ١٠٠٩ م،وعن خزائن الكتب والمخطوطات فيها .. ولا حرج .

ومرت الاحداث الكبيرة بالقاهرة فى آخر العصر الفاطمى ، ثم أفاقت من غيبوبتها فى عهد صلاح الدين قاهر الصليبيين ، ثم فى عهد بيبرس قاهر التتار واتسعت حركة العمران فيها،وبنيت فيها المدارس والمساجد والمؤسسات المختلفة . وكان القاضى الفاضل شيخ الادباء فى العصر الايوبى وظهر ابن الفارض الشاعر الصوفى الكبير كذلك فى العصر الايوبى ، كما ظهر البوصيرى فى **أوائل عصر المماليك ، واخذت القاهرة بعد نصر ((عين جالوت)) عام ٦٥٨ م التى هزم فيها التتار هزيمة ساحقة ، زمام زعامة العالم الاسلامى سياسيا وعلميا وأدبيا ، واحتلت مكانة بغداد ، وصارت عاصمة الدنيا ، ومركز الحضارة والسلطان والخلافة ، ومقر العلماء ، وموطن الثقافة والعلم والادب .**

وبعد نحو ثلاثة قرون هى مدة حكم المماليك فى مصر استولى الاتراك العثمانيون على مصر ، ودخلوا القاهرة ، واحتلوها وورثوا دولتها الواسعة الممتدة الاطراف وحكموا العالم الاسلامى ، وصاروا هم سادته وزعماءه ، وذلك نحو ثلاثة قرون أخرى (٩٢٢ ــ ١٢١٣ هـ : ١٥١٧ ــ ١٧٩٨ م) ، بعد هزيمة جيش الغورى فى معركة « مرج دابق » شمالى حلب ، فى ٣٠ من رجب عام ٩٢٢ هـ — ٢٩ من أغسطس عام ١٥١٦ م . وفى العهد العثمانى عاشت القاهرة فى ظلام دامس ، وتأخر مستمر .

وجاءت الحملة الفرنسية . الى مصر ، وكانت ثورة القاهرة ، الاولى فى ٢١ اكتوبر عام ١٧٩٨ م ، ثم كانت ثورة القاهرة الثانية فى ٢١ من مارس عام ١٨٠٠ م على الاحتلال الفرنسى ، الذى أرغم على الجلاء عن مصر ، ومع معاهدة العريش بين انجلترا وفرنسا ، التى وقعت فى ٢٤ من يناير عام ١٨٠٠ م ، والتى تعهد فيها الفرنسيون بالجلاء عن مصر ، فقد تشبث الفرنسيون بمواقعهم فى مصر ، حتى انتهى الامر بعقد معاهدة جديدة بين فرنسا وانجلترا فى ٢١ من يونيو عام ١٨٠١ م ، تعهد فيها الفرنسيون بالجلاء عن مصر جلاءا كاملا بعد احتلال مرير دام ثلاث سنين كاملة

***

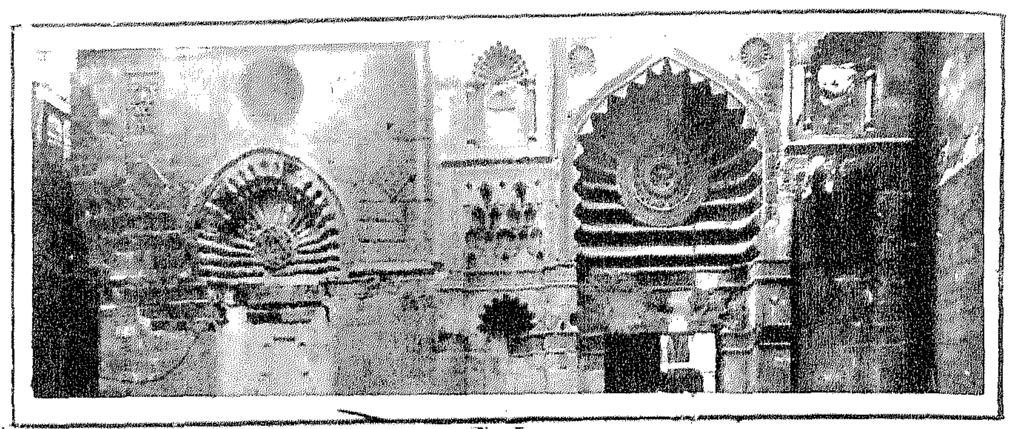
وانتقلت القاهرة الى العصر الحديث وعاشت فى ظلال أسرة محمد على ، ثم شاهدت ثورة الزعيم الوطنى احمد عرابى والحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل باشا ، ثم بقيادة محمد فريد ، ثم بزعامة سعد زغلول .. ضد الاحتلال الانجليزى

واستمرت القاهرة تؤدى دورها الحضارى العالمى ، وقامت فيها جامعة القاهرة ، والعديد من المجامع والمتاحف والمعاهد والمؤسسات الثقافية ، وذلك طيلة قرن ونصف من الزمان (١٢٢٠ — ١٣٨١ هـ : ١٨٠٥ ــ ١٩٥٢ م) .

وقامت الثورة المصرية الكبرى بقيادة جيش مصر فى ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ، حيث أطاحت بحكم أسرة محمد على ، وأعلنت الجمهورية ، وأجلت الجيش الانجليزى عن البلاد وأممت قناة السويس وقامت بالكثير من الاعمال والمنشئات الحضارية الكبرى ..

وفى ظلال الثورة استردت القاهرة زعامتها للعالمين العربى والاسلامى . وأخذت جامعاتها ومدارسها ومعاهدها ومتاحفها ودور الكتب فيها تقوم برسالتها الحضارية الكبيرة فى خدمة الفكر والثقافة والادب ، وفى خدمة المجتمع الانسانى كله . وزاد سكان القاهرة فبلغوا اليوم أكثر من تسعة ملايين ، وزادت ضواحيها

(١) راجع كتاب كنوز الفاطميين ــ د. زكى محمد حسن ، ص ٤٠ ــ ٦٦



الجامع الازهر

وكثرت أحياؤها ، واتسعت حركة العمران فيها .

ومرت على القاهرة في مختلف العصور أحداث كبرى ، وتيارات خطيرة ، ومحن كثيرة ، ورأت من الجاه والسلطان والمجد والسيادة ما لم تره مدينة أخرى .

وفي عام ١٩٦٨ م يكون قد مر على القاهرة ألف عام ، وهي اليوم يبلغ عمرها الحافل المديد ألف عام ، وثلاثة عشر عاما ، وشهران .

وما دامت الدولة ستحتفل بالعيد الالفى للازهر الشريف ، فاننا بهذه المناسبة التاريخية الكبرى ، نرجو أن يحتفل بالعيد الالفى لمدينة القاهرة في القريب باذن الله .

***

على أن هموم القاهرة الكبيرة الحضارية قد زادت بزيادة حركة العمران فيها ، وباتساع نواحيها وضواحيها ، وببلوغ عدد سكانها أكثر من تسعة ملايين من الانفس ، وحول هموم القاهرة الحضارية ومشكلاتها العمرانية ، اليوم يتحدث الينا الدكتور على عبد الجليل ، حديثا طويلا رائعا عميقا ، في كتابه الجديد الممتع « واقاهرتاه » الذى صدر هذه الايام ، والذى تكلم فيه عن حاضر القاهرة ومستقبلها وجميع مشكلاتها الحضارية العديدة ، والذى يقول في مقدمته :

« شاءت ظروفى أن أتردد على عواصم أوروبا ، وأتمتع بجمالها ونظام الحياة فيها ، وأدرس أسباب نجاحها عن قرب ، ووجدت لزاما على ان أقدم ما لدى من معرفة لخدمة بلادى، غير آبه لمنتقد ، فلا هدف لى الا أن أكون خادما لهذا البلد الذى نشأت فيه ، وأرى من واجبى أن أبذل ، ولو ذرة من الجهد ، لارفع من شأنه ، وأدله على سواء السبيل ، وأن أنقل لمواطني صورة مما يجب أن تكون عليه عاصمة حديثة لبلد كبير » .

وفي هذا الكتاب « يتحدث الدكتور عن كل مطالب القاهرة وحاجاتها ، ووسائل التجديد الحيوى فيها .. ويضع العلاج ، ويبصر بخطط التنفيذ فى غيرة شديدة ، من أجل أن تصبح القاهرة مثل عواصم العالم الكبرى ، بل سيدة العواصم جميعا .. وهو أمل نتمناه ، ونشارك الدكتور فيه أحلامه وكل مبتغاه .

وما أجمل ما يقوله الدكتور فى مطلع كتابه :

« جاءتني فكرة هذا الكتاب ، وأنا أقضى اجازتى فى احدى قرى النمسا ، ولما جلست فى أحد المقاهى ، تحيط بى الزهور ، ويسود بالمكان الهدوء الذى لا يقطعه سوى تغريد بعض الطيور على أفنان اشجار التفاح والجوز ، أخذت أفكر في بلدى ، في وطني . وتذكرت عاصمة بلادى القاهرة العزيزة ، التى أعيش فيها ، والتى تنال شهرة كبيرة بين سكان العالم المتمدين .. »

وبعد فانا نتمنى للقاهرة مزيدا من الازدهار والرخاء والنماء ، ونتمنى أن نرى الدولة قد شرعت فى الاعداد **للاحتفال بالعيد الالفى لها فى اقرب وقت وفي أسرع فرصة سانحة، والله عز وجل يحفظ على القاهرة شبابها الدائم ، وطموحها الذى يسير بها الى أكرم الغايات ويدفعها نحو اشرق الآمال .**



د. محمد عاطف كشك

● تكاثرت مشاكل البيئة الانسانية وتصاعد الاحساس بحدتها وخطورتها نتيجة سعي معظم دول العالم الى دفع عمليات التنمية بها خطوات واسعة ، واستخدامها في ذلك انماطا من الاساليب التكنولوجية التقدمية ..

واصبح من الواضح أن هذه الاساليب التكنولوجية المتقدمة بما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، تساهم بقدر كبير في تدمير وتخريب البيئة الانسانية ..

واصبح في حكم الضرورى الا نقبل أى اسلوب أو وسيلة تكنولوجية الا بعد فحصها فحصا مدققا لمعرفة ما سوف تؤدى اليه من تغيرات نافعة ، أو ضارة .

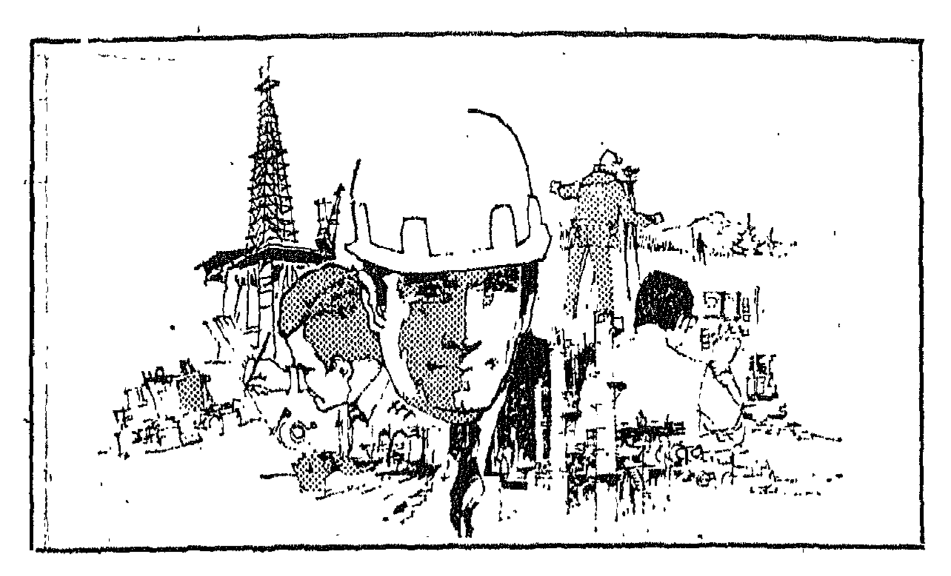
وفي هذه الدراسة نعطي أمثلة لانواع المشكلات البيئية المصاحبة للنشاطات الانسانية في عدة مجالات من مجالات التنمية ، فنرى ما فعلته التكنولوجيا بالبيئة في مجالات الصناعة والنقل والمواصلات والتوطين والاسكان .

أولا ـ الصناعة .

لا يزيد عمر الثورة الصناعية عن قرنين من الزمان . وفي هذه الفترة القصيرة نسبيا أحدثت الصناعة الحديثة في العالم تغيرات عديدة وخطيرة في كافة المجالات . فهناك اجماع عالمي على ان الدول الصناعية المتقدمة تساهم بأكبر نصيب في تلوث البيئة والضغط على الموارد الطبيعية .

اما في الدول النامية فان التلوث الناتج عن الصناعة يمثل امكانية في المستقبل أكثر مما يمثله واقعها فعلا عند هذه المرحلة من مراحل التنمية في دول العالم الثالث .

لذلك فان الدول النامية تتمتع بميزة نسبية ، وهي انها في سعيها لتنمية مجتمعاتها يمكن ان تستفيد من الاخطاء التي وقعت فيها الدول المتقدمة نتيجة الجهل أو التجاهل للمشاكل البيئية الناتجة عن الصناعة .فالدول النامية الآن يمكن أن تستفيد من المعرفة المتاحة حول المشاكل البيئية وتتخذ قرارات سليمة فيما يتعلق بمواقع المراكز الصناعية وكيفية التخلص من مخلفات الصناعة وسن التشريعات التي تهدف



الى حماية البيئة ، كذلك يجب اختيار خلق التكنولوجيا الملائمة لظروف الدول النامية واستغلال ميزتها النسبية ، وهي توفر قوة العمل الرخيصة التي يمكن أن تتيح انواعا من التكنولوجيا كثيفة العمالة وهذا يقلل كثيرا من التلوث ٠

ونوع التكنولوجيا المستخدمة يحتل أهمية خاصة عند كلامنا عن الاثر البيئي للصناعة ٠ فقد أوضح بارى كومنر في كتابه ((الدائرة المغلقة))

Barry Commoner : The Closing Cirecle.

ان زيادة السكان وزيادة الاستهلاك لا يمكن ان تكون مسئولة كلية عن الكمية الضخمة من التلوث التي حدثت في السنوات العشرين الماضية ٠٠ ففي الفترة التي زاد فيها الانتاج القومي في الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ١٢٦٪ زادت كمية التلوث فيما بين ٢٠٠ و ٢٠٠٠٪ ٠

ومثل واحد يوضح هذه النقطة : ففي عام ١٩٣٧ كانت كمية الطاقة المستخدمة لصنع سيارة واحدة عبارة عن ١٧٩ كيلو وات / ساعة ٠ لكنها وصلت الى ٨٠٧ كيلو وات / ساعة في عام ١٩٦٧ بزيادة قدرها ٣٩٥٪ ٠ كما ان كفاءة استعمال الجازولين في المحركات ما زالت منخفضة جدا فهي حوالى ١٠ ـ ٢٠٪ والباقى يخرج في شكل عوادم تلوث الهواء ٠

واذا كنا نتكلم عن الصناعة ، فاننا لا يمكن أن ترجع مساهمتها في التلوث الى زيادة استخدام الآلات أو استعمال اساليب تكنولوجية خاطئة فقط ٠ لكن الصناعة تساهم في تدهور البيئة بشكل آخر عن طريق انماط الاستهلاك التي تفرضها في المجتمع ، وكلنا يعرف نمط المجتمع الاستهلاكي المصاحب للمجتمعات الصناعية المتقدمة ٠

وفي مصادر مختلفة نجد احصاءات عديدة تشير جميعها الى الزيادة المخيفة في استهلاك سلع واجهزة مثل السيارات وأجهزة التكييف والثلاجات وماكينات الغسيل ٠٠ الخ ٠ وانتشار هذه السلع بجانب اثرها المباشر على التلوث (كما هو واضح في حالة السيارات) فانها تستهلك قدرا كبيرا من الموارد الطبيعية في تصنيعها وقدرا كبيرا جدا من الطاقة والوقود في ادارتها وصيانتها ٠

● ثانيا ـ الاعمال الهندسية الكبرى:

تعتبر الاعمال الهندسية الكبرى من الوسائل المفضلة في عملية التنمية والتي تنتج عنها فوائد عديدة اقتصادية واجتماعية ٠ وفي كثير من دول العالم مثل مشروعات تنمية وديان الانهار ومد شبكات الطرق والمواصلات ٠

وقد أثبتت التجارب العملية في أكثر من مكان ان الفوائد الضخمة لمثل هذه الاعمال قد تغطى عليها التكاليف البيئية والاجتماعية المصاحبة لها والتي غالبا ما كان يتم تجاهلها أو التقليل من شأنها ٠

وقد أمكن في السنين الاخيرة احراز تقدما ملموسا في طريق تقييم هذه المشروعات والتنبؤ بآثارها البيئية بحيث يمكن ادخال الجوانب البيئية الاجتماعية في عملية التخطيط لمثل هذه المشروعات واختيار مواقعها ٠ ومع ذلك فانه ما زال

هناك عجز خطير في طرق التقييم والتنبؤ بالآثار البيئية ، فاذا كانت معظم الآثار البيئية الاولية والتى تحدث في المدى القصير يمكن التنبؤ بها بقدر معقول من الدقة ، فان الآثار البيئية بعيدة المدى والتى يمكن أن تستمر في الحدوث حتى بعد أن تكون فترة حياة المشروع قد انتهت ، هذه الآثار ما زالت مستعصية على الفهم الصحيح ولا توجد طرق دقيقة للتنبؤ بها وتقييمها ٠٠

وهناك جهود عديدة تبذل لتطوير الطرق العلمية المناسبة لتقييم الآثار البيئية المصاحبة للمشروعات الهندسية الكبرى ٠ ودور العلماء فى هذا السبيل يتمثل فى تقرير عدة نقاط هامة مثل :

١ ـ الجزء من البيئة الذى يتأثر بالعمل الهندسى ٠

٢ ـ طبيعة التأثر ٠

٣ ـ سرعة التأثر ومداه وانتشاره ومصدره وامكانية تصحيحه أو التحكم فيه ٠

وهناك تصنيفات عديدة لانواع الاعمال الهندسية الكبرى المقصودة فى هذا المجال ٠ وهذه تشمل أنواعا عديدة مثل شبكات الطرق السريعة والشوارع ، والموانى والمطارات ،والسدود والخزانات اقامة المرافق والمصانع ، مشروعات التنمية الزراعية ، مشروعات الترفيه ، مشروعات التعدين وتصنيع المواد الخام ٠٠ الخ ٠

ويصاحب انشاء وتنفيذ هذه المشروعات عدد من التغيرات فى الخواص والعمليات البيئية الاساسية سواء فيما يتعلق بالتربة أو نوعية الماء والهواء أو الحياة النباتية والحيوانية والانسانية ٠ وبالاضافة الى الآثار البيئية للزراعة والصناعة وتنمية وديان الانهار التى ذكرت فيما سبق ، فاننا نذكر فيما يلى أهم الآثار البيئية المصاحبة لنوعين أساسيين من المشروعات الهندسة الكبرى كما وردت فى التقرير النهائى للمشروع رقم (١٠) من مشروعات برنامج الانسان والمحيط الحيوى (   ) التابع لليونسكو ٠

١ ـ الآثار البيئية لشبكات النقل والمواصلات ٠

١ ـ تأثيرات على الحياة البرية : مثل زيادة فرص الصيد والقنص وتغيير البيئة الطبيعية وغلق طرق الهجرة ٠

٢ ـ مشاكل التلوث : مثل مشاكل التخلص من المخلفات والتأثر المتراكم لتلوث الماء والهواء والتربة ٠

ب ـ الآثار البيئية للمشروعات التعدينية ٠

١ ـ تأثيرات على نوعية المياه : مثل زيادة ايونات المعادن الثقيلة ،وزيادة كمية الرواسب والعكارة والتغيرات فى نظم الصرف والتغيرات فى كمية وانواع الكائنات الدقيقة التى تعيش فى المياه ٠

٢ ـ تأثيرات على سطح الارض : مثل فقد الغطاء النباتى والتغيرات فى ثبات الطبقات الارضية التحتية والتغيرات فى المناظر ذات القيمة الجمالية ٠

٣ ـ تأثيرات على نوعية البيئة : مثل التأثير المتراكم لتلوث الهواء والماءوالتربة ومشاكل التخلص من المخلفات ٠

والقائمة السابقة ـ مثل غيرها من قوائم المشاكل البيئية المصاحبة لاى نشاط انسانى ـ هى لمجرد التوضيح فقط ، اذ لا يمكن أن تكون كاملة ٠ فهناك مشاكل بيئية كثيرة أخرى يمكن أن تصاحب مشروعات التنمية منها مشاكل قانونية كما يحدث فى حالة ما يكون المشروع هو لمجرد اثبات حق قانونى أكثر منه لتحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية ومنها مشاكل اجتماعيةمثل التناقضات التى تنشأ من استفادة مجموعة من السكان من مزايا المشروع وتحملمجموعة أخرى لتكاليفه البيئية والاجتماعية (قد يستفيد سكان القاهرة مثلا من مزايا مشروع فى منطقة معينة فى اغلاق فرص بينما هم لا يتحملون كثيرا كما تحمل سكان النوبة عندما اضطروا الى ترك أراضيهم ومنازلهم) ٠

وقد تكون المشاكل اقتصادية واجتماعية كما يحدث عندما يتسبب مشروع فى منطقة معينة من اغلاق فرص التنمية فى مناطق أخرى ، أو عندما

● إن التكنولوجيا يمكنها أيضاً أن تسهم في خلق كثير من المشاكل التي لم تكن معروفة من قبل.

يكون مفيدا لجيل وكارثة على جيل آخر من السكان •

● ثالثا ــ النقل والمواصلات •

ان الاختيار الاساسى فى عمليات النقل العام يمكن ان يكون بين وسائل النقل العام والعربات الخاصة •

وفى الدول الصناعية المتقدمة كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية ودول أوروبا الغربية واليابان ، فان الاعتماد يكاد يكون كاملا على العربات الخاصة لنقل الافراد ، وهذا الاتجاه تنشأ عنه مشاكل بيئية حادة منها تلوث الهواء بأخطاره المعروفة والحوادث المتزايدة ، والضغط الشديد على المدن •

وبعض الدول النامية تحاول أن تستورد نموذج الدول المتقدمة فى النقل والمواصلات ، رغم ان التركيز على وسائل النقل العام فى الدول النامية بجانب توفيره للموارد والطاقة وفائدته فى تقليل التلوث ، فان له أهمية فى تقليل واحدمن أهم الفروق بين الطبقات الاجتماعية

ويكفى هنا أن نناقش هذه النقطة من ناحية كفاءة استخدام الموارد المتاحة •

فان جالونا من الوقود يكفى لنقل شخص فى الاتوبيس لمسافة ١٢٥ ميلا بينما يكفى لنقله مسافة ٣٢ ميلا فقط عند استعمال السيارة الخاصة ، أى انه يمكن توفير ثلاثة أرباع كمية الوقود أو نقل أربعة أضعاف العدد من الناس لو اعطينا أولوية مطلقة لوسائل النقل العام فى الدول النامية ، وفى نفس الوقت نكون قد ساهمنا فى نقص تلوث الهواء وحل مشاكل النقل والمواصلات لعدد كبير من الناس ،وساهمنا فى توفير حاجة اساسيه لهم تساعدهم على الانتاج والاستمتاع بالحياة •

● رابعا ــ التوطين •

ان الجزء الاكبر من سكان الدول النامية ما زالوا يعيشون فى المناطق الريفية ويشتغلون بالزراعة ، وفى معظم الحالات فان المناطق الريفية فى الدول الفقيرة تعانى من مشاكل ضخمه وعديدة مثل المشاكل الصحية والغذائية ، فما زالت بعض الامراض تنتشر فى البيئات الريفية الفقيرة بشكل وبائى ، ومعظم سكان الريف يعانون من نقص التغذية وعدم تكامل الوجبات الغذائيه وخاصة ما يتعلق بنقص البروتين الحيوانى •

كما ان الجزء الاكبر من المناطق الريفية تعانى من مشاكل مياه الشرب النقية وعدم توفرها كما ونوعا ، وغياب أو عدم كفاية وسائل الصرف الصحى ، بالاضافة الى عدم توفر المسكن المناسب

كما ان نقص المرافق والخدمات الزراعية مثل النقل والتسويق والتسليف والارشاد من الملامح السائدة فى المناطق الريفية من الدول النامية ، وهذه كلها ينتج عنها ضعف مستوى الانتاج وانخفاض مستوى الدخول • والخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية تكاد تكون غائبة تماما •

وجميع هذه المشاكل البيئية التى يطلق عليها أحيانا « تلوث الفقر » تزيد وتتراكم وتتضخم نتيجة زيادة السكان التى تمثل اعباء اضافية على البيئة الريفية •

ونتيجة لسوء الظروف فى القرى وتدهور البيئة الريفية يحدث ميل شديد للهجرة الى المدن • والمدن فى الدول النامية ليست افضل كثيرا من القرى • وتسبب الهجرة من الريف الى المدن زيادة الظروف الحضريةسوءا فوق سوئها كما ان ضغط مشاكل المدن قد يتسبب بدوره فى زيادة الانفاق الحكومى فى المدن واهمال اكثر للمناطق الريفية • كما ان تركز كل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية فى المدن يسبب زيادة فى التكدس وزيادة فى التلوث وارتفاعا فى معدلات البطالة •

ومن الضرورى ان تأخذ عملية

التخطيط في اعتبارها كل هذه المشاكل ، فمع المعدلات المرتفعة للنمو السكاني تواجه الدول النامية جميعها مشاكل متفاوتة الحدة فيما يتعلق بخلق فرص جديدة للعمالة ، ومن المستبعد جدا أن تستطيع النشاطات الاقتصادية في المدن - مثل التصنيع والخدمات المرتبطة به - توفير فرص العمالة لكل قوة العمل المتاحة وبالتالي فان جزءا كبيرا من السكان والقوى العاملة سوف تدفعه الظروف الى البقاء في الريف .

ومن الضروري ليس فقط توفير فرص العمل المنتج في المناطق الريفية ، بل لابد من تحسين كل عناصر البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في الريف ، وهذا يلقي مزيدا من الاعباء على البيئة الريفية .

وتواجه الدول النامية معضلة حقيقية فالمشاكل كثيرة في الريف والمدن على السواء ، وفي احيان كثيرة يكون الاختيار هو الاهتمام بالمناطق الحضرية على حساب تنمية وتطوير القطاع الريفي لاسباب مختلفة ، والنتيجة الحتمية لمثل هذا الاختيار هو أن تظل المدن والقرى في نفس الظروف السيئة ، ويزداد التلوث وتدهور البيئة على نطاق واسع .

ومع التسليم بأن نمو المدن يمكن أن يكون مصحوبا بزيادة الرخاء الاقتصادي والاجتماعي ، كما ان المناطق الحضرية يمكن أن تؤدي وظيفة محاور أو أقطاب التنمية مساهمة بذلك في زيادة الرخاء في كافة اجزاء الوطن - مع التسليم بكل ذلك ، الا أن هناك ضرورة للتوازن الدقيق بين التنمية الحضرية والتنمية الريفية . وبين تنمية الصناعة وتنمية الزراعة . ففي حالة غياب هذا التوازن فان البناء كله يصيبه خلل شديد .

وهناك نقطة أخرى في هذا المجال لا يمكن تجاهلها ، فالمدن الكبرى في معظم الدول النامية بقطنها عدد من السكان يفوق كثيرا قدرتها على الاستيعاب Carrying Capacity وليس من المستبعد ان نجد مدينة لاتزيد قدرتها على أن تستوعب اكثر من مليوني نسمة ومع ذلك يعيش فيها - بطريقة ما - سبعة أو ثمانية ملايين (مدينة القاهرة مثل واضح لهذه الحالة) .

وفي مثل هذه الحالات يمكن ملاحظة اعراض تدهور البيئة في انتشار الامراض ونقص امداد المياه والكهرباء والصرف الصحي وتدهور الاسكان والمواصلات والمرافق زيادة على التلوث الكيماوي للماء والهواء .. الخ .

وقد وجدت بعض الدول حلا لا بديل له لمشاكل تدهور المدن عن طريق بناء مدن جديدة ومراكز جذب صناعية مخططة جيدا (المثل على ذلك أيضا هو البدء في بناء عدد من المدن والمجتمعات الجديدة في مصر لوقف الضغط والتدهور في المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية) ولكن يجب في مثل هذه الحالات مواصلة العمل في خطوط موازية حتى تنجح هذه السياسة وضمن هذه الخطوط - بل ربما كان أهمها - التخطيط الجاد لتحسين ظروف المعيشة في البيئة الريفية .

● **خامسا - الاسكان .**

ان مشكلة نقص المساكن وتدهور مستوياتها مشكلة عالمية ، لكنها في كثير من الدول النامية مشكلة خطيرة للغاية . فهناك نقص ضخم في المساكن ، والفجوة بين ما هو مطلوب وما يمكن اتاحته تزداد باستمرار كما ان ظروف السكن أبعد ما تكون عن تحقيق الحد الادنى لما يجب أن يكون عليه سكن الانسان ، بل احيانا تكون الظروف غير مناسبة حتى لسكن الحيوان . وللاسف فان هناك اعترافا بأن الحيوان لكي ينتج جيدا فلابد له من سكن مناسب .

ويتم تجاهل تأثير السكن على قدرة الانسان على الانتاج . وسواء في مدن او في ريف الدول النامية فان الحالة أبعد ما تكون عن تحقيق الرضى عنها .

وليس هنا مجال التفصيل في مشاكل الاسكان وعلاقتها بالبيئة ، لكنه قد يكون مناسبا ان نذكر عدة محاور يجب أن تؤخذ

فى الاعتبار عند التخطيط لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية :

١ - التركيز على مواد البناء المتوفرة فى البيئة والرخيصة والتى لا تمثل ضغطا على الموارد الطبيعية . وهنا يتضح دور البحث العلمى فى ايجاد البدائل المناسبة.

٢ - حتى مع توفير مواد بناء تحقق الشروط المطلوبة فان الخطوة الاولى يجب ملائمة لظروف البيئة .

ان تكون رفض تلك القيم السقيمة التى تعتبر السقف المصنوع من الالومنيوم او من الحديد والاسمنت هو دليل على التحضر او الرقى حتى فى المناطق الفقيرة. واحيانا تكون معظم هذه المواد مستوردة باسعار عالية جدا وقد لا تناسب المناخ السائد. وهذا هو مجرد مظهر من مظاهر التسليم الاعمى بمزايا التكنولوجيا المستوردة .

٣ - تطوير عملية التشييد نفسها بالعودة الى الاساليب التقليدية فى البناء ودراستها وتحليلها واختيار افضل ما فيها من عناصر وافكار . وليس ذلك دعوة الى التصلب فى الحفاظ على الاساليب التقليدية ايا كانت . بل معناه ان دراسة الاساليب التقليدية واستيعاب مميزاتها وعيوبها هى الطريق السليم لاكتشاف وابتكار اساليب جديدة تحافظ على المميزات وتتخلص من العيوب وتكون ملائمة لظروف البيئة .

٤ - ضرورة تكامل الاعتبارات البيئية والاجتماعية فى التخطيط العمرانى للمدن وغيرها من مناطق التوطن البشرى .

وفى دول كثيرة فان كل ميزانية الدولة لا تكفى لبناء مساكن جديدة للعدد المتزايد سنويا بالطريقة التى يتم بها بناء المساكن حاليا .

ويمكن ان اضرب مثلا بحجم المشكلة فى مصر والمنهج الذى يجب اتباعه عند تقييمها . وقد لا تكون الارقام المستعملة دقيقة لكنى افترضها لمجرد التوضيح واعتقد انها قريبة من الصحة . لنفرض ان الزيادة السنوية فى عدد السكان مليون نسمة ولنفرض ان كل خمسة افراد يحتاجون الى وحدة سكنية ، ولن نبالغ فى مواصفات السكن بل نكتفى بافتراض ان الوحدة السكنية المطلوبة مكونة من حجرتين وصالة ، لنفرض ان تكاليف هذه الوحدة خمسة آلاف جنيه . اذن فان المبلغ المطلوب لاقامة مساكن جديدة سنويا هو مليار من الجنيهات ، اى ألف مليون جنيه (٢٠٠ الف وحدة سكنية مضروبة فى خمسة آلاف جنيه) . وهذا الرقم بالطبع معرض للزيادة ، لاننا نأخذ فى اعتبارنا حساب المنازل التى تنهار ، ولم نحسب ما هو لازم لسكان هذه المنازل من مرافق وخدمات ، مثل مبانى المدارس والمستشفيات والمساجد والجمعيات التعاونية والطرق والاسواق وحتى تصل الى المدافن فى آخر القائمة .. وبالطبع فان امكانيات مصر - مثلها مثل اى دولة نامية ليست مشاكل المساكن الا جزء من مشاكلها - لاتستطيع ان تفى بمثل هذه المبالغ . وحتى لو افترضنا ربع هذه المبالغ فقط ، فان الامل فى الحل ضعيف للغاية . والحل بالتاكيد ليس سهلا ما لم يكن التفكير فيه يتسم بقدر كبير من الثورية الحقيقية وقدر أكبر من الخيال والابتكار .

● وبعد ، فالتكنولوجيا التى يمكن ان تساهم فى حل كثير من المشاكل وترفع بذلك معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية - هذه التكنولوجيا يمكنها ايضا ان تساهم فى خلق كثير من المشاكل التى لم تكن معروفة من قبل . وما لم نواجه كل الاساليب التكنولوجية المتقدمة بالنقد والفحص والاختيار ، وما لم نكن قادرين على بناء تكنولوجية خاصة بنا فلن نستطيع اختيار التكنولوجيا الملائمة.

وفى هذه الحالة فاننا بدلا من ان ندفع بمعدلات التنمية الى الامام فاننا نواجه بكثير من المشاكل الجديدة التى خلقتها لنا التكنولوجيا الخاطئة غير الملائمة ، وتتعثر خطى التنمية او تسير بخطوات بطيئة للغاية ، او تكون على حساب المحافظة على البيئة .

●●



وتقنين الحضارة الإسلامية

ابراهيم عوض

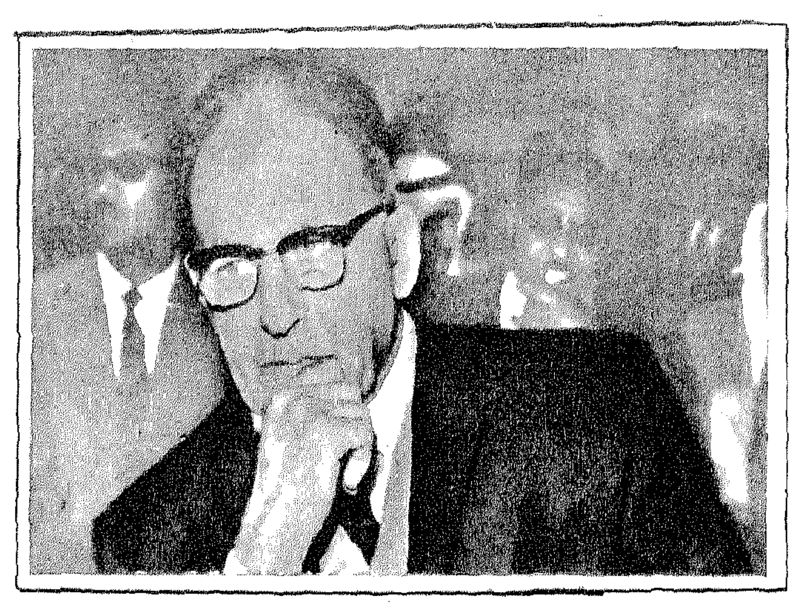
● هو امتداد لابن خلدون في البحث عن القوانين التى تحكم حركة التاريخ .
● وهو مفكر صناعته الافكار وتحليل الثقافة الى عناصرها .

ان هذا المفكر الكبير مغرم بالبحث عن القانون فهو يظل يحلل الفكرة الى عناصرها البسيطة ، ويبدأ في البحث عن القانون الذي يحكمها أو الذى يخيل اليه أنه يحكمها ..

لاشك ان هناك مفكرين مسلمين كبارا آخرين غير مالك بن نبى ، لكن الذى يميزه هو انه يفرز الخيوط عن بعضها البعض ، حتى يصل الى الخيط الاساسى الذى يمسك كل هذه الخيوط .. انه كاتب صاحى العقل وهو يتطلب من القارىء ان يكون هو الآخر صاحى العقل ، وربما كانت كتاباته مرهقة احيانا ، لكنه الارهاق اللذيذ . وليس فى هذا غرابة ، فمن الحزن ما هو حزن عذب ، وكذلك من الارهاق ما يكون لذيذا .

ان من المفهوم جدا ان نجد الفيزيائى أو الكيميائى أو البيولوجى يلاحظ ويجرب بحثا عن القانون ، بينما يكون غريبا الى حد ما أن نرى عالم اجتماع أو تاريخ مثلا يفعل ذلك ، وأشد منه غرابة أن يأتى مفكر يدرس مشكلات الحضارة — عموما فضلا عن أن تكون مشكلات حضارة معينة — فيجعل همه أن يجد الفكرة ..

وأذكر اننى انتبهت لهذه الملاحظة منذ أول القوانين التى تحكمها .. وأول



مالك بن نبي

كتاب قرأته لمالك بن نبي ، وهو الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وقد اهتممت بالرجل منذ ذلك الحين، وأصبحت حريصا على قراءة ما يقابلني من كتبه ، بل على البحث المتعمد عنها ، وبخاصة كتاب مثل « الظاهرة القرآنية » أو « مذكرات شاهد القرن » .

ان من المسميات التي يطلقونها على عصرنا هذا اسم عصر العلم ، وعصر العلم يعني عصر البحث عن القوانين واستخدام هذه القوانين سلبا وايجابا .. والاستعمار قد استطاع تطويع القوانين التي اكتشفت حتى الآن في معاركه ضدنا ، كما استطاع ان يكسب المعركة في جولات كثيرة ـ لانه يعرف القانون في الوقت الذي كنا نحن نجهله فيه ، او كنا ـ على احسن تقدير نعرفه ـ ولكننا نغفل عن استخدامه ، او تمنعنا ارادتنا الواهنة وقتئذ من ذلك ..

ولعل مالك بن نبي ـ في حدود علمي ـ هو الكاتب العربي الذي يحاول الآن أن يقنن سر الحضارة الاسلامية ومشكلات المجتمع الاسلامي ، وكذلك النشاط الاستعماري المعادي للاسلام .

يقول مثلا في كتابه « الصراع الفكري في البلاد المستعمرة : اننا نعلم ان الترسانة الاستعمارية التي تمد سلاح الصراع الفكري ، مزودة بمختلف انواع القذائف ، ولكنا نريد وصف نوع خاص منها ، يمكن أن نقول ان مكتشفه هو العالم الروسي بفلوف ، اكتشفه حينما قعد ـ على ضوء تجاربه المشهورة ـ علم النفس التجريبي الذي يهتم بدراسة رد الفعل المنعكس . فالقصة نفسها « يقصد قصة كتاب صدر له فأحدث ردود فعل معينة عند كتاب ذوى اتجاهات مختلفة» تدخل في نطاق الاسلوب العلمي الذي يتبعه الاستعمار في الصراع الفكري وتعطينا فكرة عامة أو مقدمة عن كيفية استخدام بعض قواعد علم النفس في هذا الصراع .

والطريقة في ذاتها ـ « أي طريقة محاربة الاستعمار لفكرة ما ـ « تتسم ببساطة ملحوظة حيث انها تمثل في صورتها النظرية ما يمكن أن نسميه مرآه الكف » أي المرآة التي تعكس على شيء معين بعض الايحاءات السلبية التي تحدث في النفس التي تنعكس عليها حالة الحرمان او حالة نفور ازاء الشيء الموضوع للانعكاس ..

والصورة النظرية لهذه المرآة تكون على النحو التالي :

مرآة الكف
مصباح نفسي عاكس
موضوع الانعكاس
مصباح نفسي عاكس
مصباح نفسي عاكس

وهذا التخطيط يطبق على علم النفس قاعدة نظرية بسيطة : اننا نعرف ان صورة الشيء تتغير حسب الاضواء التى تسلط عليه ، وتطبق هذه القاعدة فى فن التنوير بالخصوص فى المتاحف حيث نريد عرض بعض الاشياء فى ضوء خاص .. الخ .

ومالك بن نبى يعد امتدادا لابن خلدون المفكر المسلم العظيم ، فهو أيضا كان يبحث عن القوانين التى تحكم حركة التاريخ . ومن الطريف ان كليهما مسلم مغربى ، وان كليهما كان له نوع اتصال بالسياسة ، فاما ابن خلدون فقد تبوأ بعض المناصب السياسية . وأما ابن نبى فقد لفحه شواظها حين كان طالبا يدرس فى فرنسا الهندسة والميكانيكا وحين أصبح مفكرا يكتب ويحاضر ويذيع الافكار .

كذلك فان ابن نبى ينتبه لقيمة ابن خلدون الفكرية .. انه يعده آخر عبقرية فى المرحلة الثانية من تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهو يعدها مرحلة العقل ، ويقول : بدا العلم فى تلك الحقبة ينتشر بفضل اساتذة سطعت اسماؤهم فى جو المعرفة كالفارابى ، وابن سينا ، وابن الوفاء ، وابن رشد .. الى ابن خلدون الذى اضاءت عبقريته غروب الحضارة الاسلامية فى نهايتها ..

وفى موضع آخر يقول:أما ابن خلدون فقد تمكن من قبل من اكتشاف منطق التاريخ فى مجرى احداثه ، فكان بهذا المؤرخ الاول الذى قام بالبحث عن هذا المنطق ، اذا لم نقل انه قد قام بصياغته فعلا ..

وهذه النزعة العلمية القانونية تبدو فى كل ما كتب مالك بن نبى ، سواء تناول ظاهرة الوحى ، أو علم الاقتصاد ، او فلسفة التاريخ ، أو تعريف الثقافة . لناخذ مثلا كتاب ((الظاهرة القرآنية)) ففيه فصل بعنوان ((الحركة النبوية)) يحلل فيه معنى النبوة ، ويستخلص الخصائص التى تميزها ، والتى يمكننا ان نفرق على أساسها بين النبوةالصحيحة والنبوة المدعاة .. وهو يقدم المقاييس
المختلفة للدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالنسبة للرسول نفسه أولا ، ثم بالنسبة لنا نحن بعد ذلك ، فهذا مقياس ظاهرى ، وهو مقياس عقلى، وهذا مقياس موضوعى .. الخ . فلننظر لقد حاول المفكر المسلم فى ذلك الكتاب أن يقترب من الوحى ، بل ان يحلله بطريقة علمية اعتمد فيها على علوم النفس والتاريخ والاجتماع والبلاغة ومقارنات الاديان ، ولمحات من العلم الطبيعى .. وقفه لابد منها ...

ومالك بن نبى حين يقنن مسيرة الحضارة الاسلامية فى صعودها وهبوطها وانبعاثها ، فانه يعتمد على قوانين العلوم الطبيعية ، و — من العلوم الانسانية — على علمى النفس والاجتماع بخاصة ..

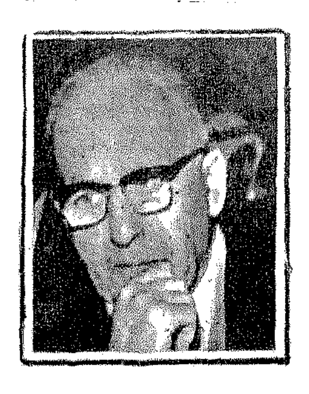
قد يستشهد بجزء من آية فيكشف عن كثير كان غامضا فيه .

***

والسخرية عنصر فعال فى كتابات مالك بن نبى ...

يقول : ((ومما لاشك فيه ان الافكار يقصد الافكار الميتة — لم تولد فى باريس أو فى لندن فى مدرجات السربون أو اكسفورد ، انما نشأت فى فارس ، وفى الجزائر ،وفى تونس ،وفى القاهرة: لقد ولدت تحت مآذن القرويين ومسجد الزيتونه ، والازهر ، طوال عصور مابعد التحضر .. وطالما انه لم يتم القضاء عليها بنظام منهجى ، فهى تمثل الفيروس الوراثى الذى ينسف الكيان الاسلامى من أعماقه بتخدير حوافزه الدفاعية ... وينبغي نقل فكر ((باستير)) وأساليبه العلمية الى المجال التربوى لاكتشاف موطن الظاهرة المرضية فىالثقافة الحديثة للعالم الاسلامى ، والا فان الافكار الميتة ستواصل عملها — فى المجال الاجتماعى والسياسى ، كما حدث فى عهود سابقة .

ومما تجدر ملاحظته ان لمالك بن نبى مصطلحاته الخاصة ، وتسمياته وأوصافه المميزة ، فمثلا يقول عمل الاستعمار لصرف عقولنا عن المفيد ، وتجميع عواطفنا واثارتها وتوجيهها نحو مالايفيد .. انه يقوم بعمل ((دمل تصفية ويصف



● امتداد لابن خلدون فى البحث عن القوانين التى تحكم صناعة التاريخ

الشخص الخرب الضمير الذى يشتريه الاستعمار بالمال لخدمة مآربه الدنيئة بان فى ضميره شقا كفتحة صندوق يسقط فيها الاستعمار فلوسه !

وهو يكثر من تشبيه الانسان ، وما يتصل به من عمليات نفسية وعقلية بالمكنة ..

على ان لنا وقفة لابد منها ، اذ ان مالك بن نبى فى غرامه بالبحث عن القانون الذى يحكم سير الحضارة الاسلامية وصياغته - ربما ينسى ان هذه القوانين غير حتمية بل ان من الممكن الا تكون صحيحة أصلا، فليس للقانون فى العلوم الانسانية - وبخاصة فى فلسفة الحضارة - هذه الحتمية التى نعرفها فى العلوم الطبيعية، ومن ثم فان من الافضل الا يجزم الدارس حتى لو كان عقلا فذا كمالك بن نبى ، بما يستنبطه من قوانين ..

وأنا رغم اعجابى الشديد بما يكتبه هذا الرجل لا أملك نفسى من نسمات من التشاؤم تهب على حين اجده يحدد المسار التاريخى لحضارتنا ماضيا ومستقبلا ، تحديدا صارما ،فأجد الامر صعبا والحيلة قليلة ، وبخاصة حين أراه مصورا الاستعمار كأنه يعرفه كل شىء ويقدر على كل شىء .. لكنى أقول ان الاستعمار هو منا نحن البشر ، وفيه ضعفنا ... صحيح انه يقول كلاما مثل هذا ، لكنى للاسف أجد موضعه فى آخر الفصل ، وكان ينبغى أن يكون هذا الكلام فى تضاعيفه وان يتكرر اكثر من مرة ..

انه اذا كان يعاب على كثير من المسلمين فى عصور التدهور احالتهم كل شىء على ارادة القدر التى كانوا يظنونها غامضة ولا يعرف من مقصدها ولا عن اسلوبها شىء ، فان مما يجب أن نحذر منه الآن أن نبالغ فى أهمية القانون فى مجال الارادة الانسانية ، والا خرجنا من حتمية الى حتمية ولا فرق حينئذ ان كانت الاولى هى حتمية الغباء والثانية حتمية الاذكياء .. فحيث يكون الايمان بالحتمية يذيع التشاؤم ويمكن أن يقع الانسان معه فى براثن اليأس ..

انحن اكتشفنا كل قوانين الكون ؟

انحن نستطيع أن نجزم بصحة كل ما اكتشفناه منها ؟

ومن ثم أرى ألا داعى للتفصيل الشديد فى ما نظن ، وقد يكون الظن صحيحا ، انه القوانين التى تحكم مسار التاريخ البشرى ، والا فلماذا تختلف حولها الآراء والنظريات - ان العلم ومعرفة القانون لعلى قدر بالغ من الاهمية ولكن ينبغى الا نغفل عن ان الارادة البشرية بطبيعتها تسمو فوق القوانين ، وحيث تكون الارادة البشرية فان من المستحيل أن نستطيع الحزم بما سيحدث على وجه الدقة ..

ومالك بن نبى نفسه لا يغيب عنه هذا بالطبع ، وهو يذكر هذا احيانا صراحة ، ولكنى أجد نفسى عادة قريبا من التشاؤم حين أقرأ ما يكتب ، ومن يدرى فربما كان ذلك لاننا تعودنا ان نقرأ عند مفكرينا المعاصرين الآخرين الكتابات المضيئة التى تبعث على التفاؤل وان لم تقم على أساس علمى .

ومع هذا فلا مانع أن نقرأ هذه الفقرة ، يقول : وهكذا نرى هذه الفكرة فكرة تحريم الخمر - قد فشلت فشلا

ذريعا فى القيام بدورها الاجتماعى داخل المجتمع الامريكى الذى اخترع اكثر الاساليب فعالية لنشر افكاره والدعاية لآلاته ، والذى يستند بوجه عام فى قراراته التشريعية على أدق الاحصائيات ثم يخضعها لادق مراقبة علمية عند التطبيق .. بينما احتفظت هذه الفكرة بقدرتها النسبية على التكيف فى المجتمع الاسلامى الذى لم تعد تتوفر لديه ـ لمواجهة انحراف طاقته الحيوية ـ سوى ادارة افراده وعزيمتهم لممارسة الضغط الاجتماعى المطلوب ..

أليس يعني هذا ان للعلم باحصاءاته وقوانينه وآلاته أمام الارادة البشرية حدودا ؟!

على انه ليس معنى هذا انني أريد الانتقاص من قيمة ما يكتب ذلك المفكر الكبير ، أبدا .. فأنا برغم ذلك أعجب به اعجابا كبيرا .. اني احس كلما قرأته ان عقلي ينشط وتتفشى فيه أفكار اشعر بها كائنات حية تتحرك داخل مخي ، ولا عجب فهذا الرجل قد جعل صناعته توضيح الافكار وتحليل الثقافة الى عناصرها .. وهو فى كل ما يكتب تقريبا يهدف الى أن تحل الفكرة فى ضمير المسلم المعاصر محل الشيء أو الشخص ، وهو دائم التقليب للفكرة ، والتوليد منها ، فالفكرة عنده فكرة متجسدة وفكرة مجردة ، وفكرة حية ، وفكرة ميتة ، وفكرة قاتلة ! .

وهذا الاهتمام بالفكرة انما هو نابع من الاسلام .. اننا نرى فعلا كيف بدا المناخ العقلي الجديد يتكون منذ بداية الوحى ، فبينما ينفتح كتاب العهد القديم منذ السطر الاول فى سفر التكوين على عالم الظاهرات المادية ، وينفتح كتاب العهد الجديد فى انجيل يوحنا على عملية التجسيد ـ ينفتح القرآن على الجانب العقلى .. : اقرأ ..

((اقرأ باسم ربك)) هذه هى الكلمة الاولى التى تفتح اليها أول ضمير اسلامى ضمير محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وينفتح لها بعده كل ضمير مسلم .

هذه هى ملامح الصحوة العقلية التى تلقانا عند مالك بن نبى فتشدنا اليه ..

ان مالك بن نبى كاتب متحمس ، ولكن حماسته تتسرب فى ثنايا الفكرة وبين السطور .. انه يود لو استطاع أن يحرك أفكار المسلمين ويدفع ارادتهم للعمل ، ولكنه يترجم هذه الحماسة الى تحليل ماضي المسلمين وحاضرهم ومحاولة رسم صورة لمستقبل نشيط رغيد ..

وفى كل ما كتب مالك ، يتبين ما أذهب اليه ، ففيه الحماسة الشديدة لكنها الحماسة العاقلة التى تحلل المشكلة وتحرك الفكر وتأخذ بيده الى خطة تنفيذية لمعالجتها .. انها حماسة لا تبكي ، ولا تستدر الدموع ، ولكنها حماسة ملجمة فيها المثالية والواقعية معا

وهذه النزعة العملية هى التى ربما تحمله لان يطيل النصوص المنقولة من الآخرين ، ولا يطنب فى توضيح الامثلة .. بل انه في أوقات كثيرة تصير الحوادث والمواقف التى يحكيها من غير أن يذكر اسماء أبطالها ، اذ لم يكن هناك داع لهذا الفضول ، فما الى اشباع الفضول قصد ، ولكن الى تفتيق العقول ، وتحريك الافكار وايقاظ الروح ..

وقد يكون مرتبطا بهذا انه لا يكثر من الاستشهاد بالآيات والاحاديث ، فقد يستشهد بجزء من آية ، ولكنه يضعه فى سياق يكشف عن كثير كان خافيا فيه وهو قد يلخص أحيانا حديثا طويلا يجعل همه ان يستنبط منه دلالاته الحضارية والنفسية والاجتماعية .. ولعله يقول لنفسه : إن القرآن الكريم موجود ،وكذلك الحديث الشريف ، وليس المهم هنا هو كثرة ترديدها ، انما المهم أن نفهمها ونتعرف على أبعادها .. وقليل مفهوم ، خير من كثير يردده المرء كما لو كان شريطا من أشرطة الحاكى ..

أو لعل السبب انّ عنده فكرة يريد أن يعرضها فى كتاب فلا يأخذ من القرآن الكريم الا ما يمس فكرته ..

● عقلية نقدية وخلاقة ●

وهذا يأخذنا الى خصيصة أخرى ، هى



● النزعة العلمية القانونية تبدو في كل ما كتب مالك بن نبي .

نه رغم قراءاته الكثيرة المتنوعة العميقة لا يغرق في بحرها .. فانه صاحب عقل نقدي .. وفضلا عن ذلك فهو عقل يجيد التحليل والتركيب والخلق ايما اجادة .

لنأخذ مثلا مشكلة الثقافة ولنفتحه على الفصل الاول ، ونقرأ الثقافة والاجتماع ، فسنجده يعرض تعريفات المدارس والفلسفات المختلفة للثقافة ، ولكنه يبين وجه القصور في كل منها ، وفي النهاية يقدم هو تعريفه من عنده يعتمد عليه في التطبيق وفي توليد الافكار الفرعية في سائر فصول الكتاب ..

وهذه الخصيصة تأخذ شكلا آخر موجودا في معظم كتبه ، اذ هي عبارة عن فكرة رئيسية واحدة بسيطة ، لكنه يفرعها الى أفكار صغرى ويقدم تطبيقاتها في المجالات المختلفة .

وبعد ذلك كله هناك عنصر في كتابة مالك بن نبي على قدر كبير من الفعالية ذلك هو عنصر السخرية .. غير ان كثيرا من الكتاب لديهم هذا العنصر ، فنحن اذن لم نلحظ شيئا ذا بال اذا اكتفينا بذكر هذا العنصر لديه ، فلابد اذن من تحديده ، ومعرفة مذاقه الخاص ..

ان سخرية العقاد مثلا ، هي سخرية الشديد الاعتزاز بنفسه المستخف الذى يريد ان يحطم الخصوم ، بينما سخرية ابن نبي هي سخرية من يريد ان يحطم الافكار .. لسان حال العقاد يقول : « لابد ان أقضي على الخصوم وعلى أفكارهم معا ، فهو يسلط عليهم منطقه الجبار ، وعقله المحاصر كفرس امرىء القيس « قيد الاوابد هيكل » !

أما مالك بن نبي فلعله يقول : فليبق المخصوم لكن مغلولي السلاح ، بادیا عوار فكرهم .. يقول : « انتهى بنا المطاف في تحديد معنى الثقافة الى نظريات عرجاء حجل ولا تستطيع المشي ، ولقد يحدث ان ينتهي المطاف الى معارك بين المدارس المختلفة تحاول فيها النظرية التي تعرج بيمينها أن تزدري قرينتها التي تعرج بيسراها ، وهكذا .. »

ويقول عن القضايا التي تضيع فيها وقتنا بينما هي لا تفيدنا شيئا بل تضرنا : ان مما يذكر من أهل بيزنطة انهم كانوا يتجادلون في جنس الملائكة هم ذكور أم اناث ؟ ونحن اذا ما تورطنا في الميتافيزيقا يمكننا ان نتجادل في جنس الاستعمار هل هو رجل أم أنثى ؟»

ولو ان هذا واقع فانني على يقين من أن الاستعمار سوف يرينا انه رجل في مرة وانثى في مرة أخرى ، ثم يتركنا في غينا هائمين .. وربما تنشأ عندنا مدرستان ، ويظهر في هذا الامر مذهبان ، وسوف يسعى الاستعمار من بعد ذلك حتى يقر في اذهان كل من الطائفتين ان كل من لا يشارك في هذا الجدال وتلك المشاجرة خائن ، وكل من لا يقول ان الاستعمار انثى أو ذكر يصبح في نظر المذهبين مرتدا خائنا ! » .

حتى التهكم تهكم على الفكرة وهو تهكم ملجم ، يفرغ حماسته في الفكرة والاسلوب الفني وفي ترجمته الذاتية الرائعة « مذكرات شاهد القرن » ..



تغزو كل الميادين في خدمة صحتك

● اقتحمت التحاليل ميدان الطب خلال السنوات الاخيرة بصفة خاصة ...

ومن دلائل اهمية التحاليل انها لا ترتبط فقط بالمراحل المرضية في حياة الانسان ، ولكنها تعتبر ايضا بمثابة المؤشر او الضوء الاخضر للتعرف على بعض الامراض المقنعة والكامنة قبل ان تستفحل خطورتها ...

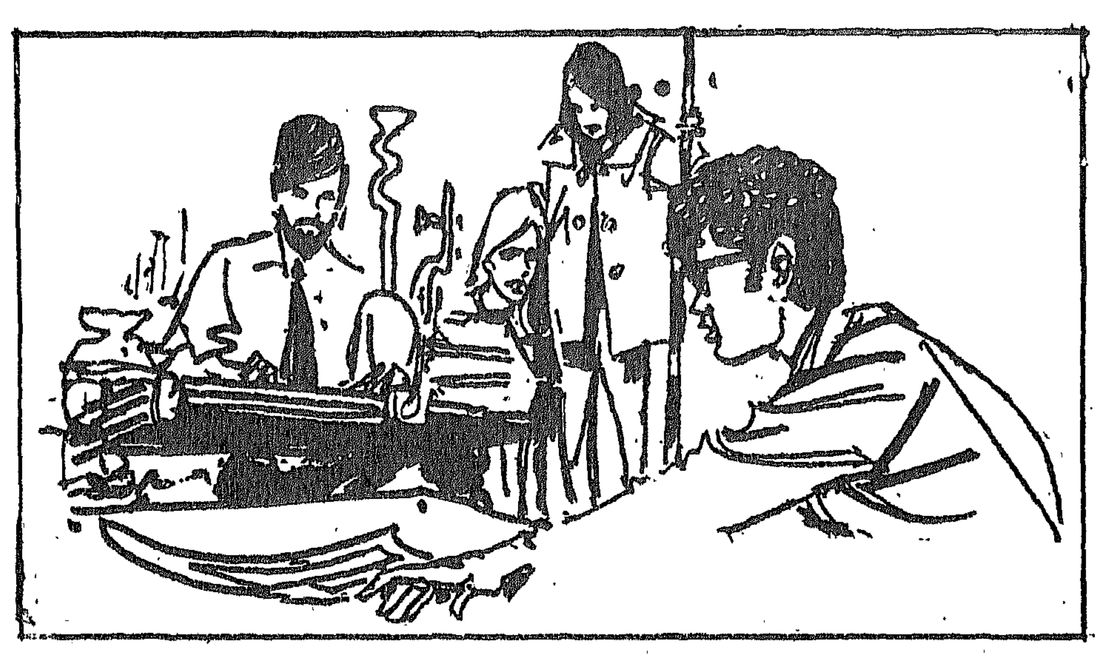
ولقد تقدمت التحاليل ايضا في مجال زرع الاعضاء ، واصبحت الآن العامل الحاسم الذي يؤكد الاطباء وفقا لنتائجه امكانية زرع الاعضاء ومدى قابلية الجسم لاستقبالها او رفضها ...

كذلك فان التحاليل تعتبر الميزان الحساس الذي يساعد الطبيب على تحديد جرعات العلاج وتقييم مدى فاعليته وفقا لتاثيره على الجسم الذي ينضح من خلال التحاليل .

تقول الدكتورة مؤمنة عبد الوهاب كامل أستاذ مساعد التحاليل وامراض الدم بطب قصر العيني :

في الماضي كان هناك اعتقاد بأن نقل الدم غير مفيد بالنسبة لهؤلاء المرضى الذين سيتم زرع كلية جديدة لهم لأنه يعرض المريض للاصابة بالفيروسات والالتهاب الكبدى الوبائى، ويعرضه لتكوين أجسام مضادة تساعد على رفض الكلى المزروعة ... لكننا قمنا باجراء بحث مشترك مع الدكتور رشاد برسوم ، على اثر نقل الدم في علاج أو تكييف مريض الفشل الكلوى الذى ستزرع له الكلى ، وتمكننا من خلاله اثبات عكس هذه النتائج السابقة اللذين يؤهلون لزرع الكلى .

لان المريض بصفة خاصة ، ياتى دائما في حالات متاخرة ... وبعض المرضى يكونوا مصابين « بالانيميا » فنحتاج لاعطائهم نقل دم ، ولكن بعد متابعة الحالة بعد عملية نقل الدم ، وجدنا أن الاجسام المضادة تختفى ، ومع



اختفاء هذه الاجسام المضادة وبعد شهرين لا تتكون أجسام جديدة ...

ولذلك فاننا بعد حقن المريض بالدم كنا نقوم باعداد مزارع للخلايا الليمفاوية حتى نتأكد من عدم حدوث رفض للكلى المعطاة والمريض المستقبل.

بعد التأكد من عدم وجود الرفض يتم اجراء عملية زرع الكلى والتى اتضح بعد اجرائها أن لدينا مرضى يستفيدون بالفعل من زرع الكلى ، ولو كانت التحاليل وعمليات نقل الدم قد اجريت لهم على الاسلوب القديم وقبل اعداد هذا البحث فانه لم يكن من المتيسر زرع الكلى لهم ..

ولكن هناك بالطبع مواصفات معينة وشروطا لابد من توافرها قبل الاقدام على عملية زرع الكلى ، فلابد من التأكد أن وظائف الكلى سليمة لدى «المتطوع» وذلك باجراء تحليل البولينا والتأكد من سلامة وظائف الكبد بنسبة ١٠٠٪ بتحليل نسبة الهيموجلوبين فى الدم ، والانزيمات الكبدية والتأكد من عدم حمل المعطى « المتبرع » لفيروس الالتهاب الكبدى ، مع اجراء تحليل البول الكامل وذلك للتأكد من عدم وجود البلهارسيا أو الاملاح ، واجراء الاشعة للتأكد من سلامة وظائف الكلى وعدم وجود حصوات بها ، أو مرض مثل بلهارسيا المثانة الذى يسبب التلكس » بالاضافة الى اجراء اشعة على الصدر والقلب .

ولكن الاهم من ذلك كله ، كما تؤكد الدكتورة مؤمنة عبد الوهاب كامل ، استاذ مساعد التحاليل وامراض الدم الا يصاب « المتطوع »بالضرر ،بمعنى الا تقل كفاءة الكلى والكبد والقلب لديه فى القيام بوظائفها بعد تبرعه بكليته للمريض ، حيث أن الانسان يستطيع الحياة ومواصلتها بكلية واحدة أو حتى ربع كلية ، بخلاف الاعضاء الاخرى .

● تجانس الخلايا يمنع الرفض ●

ولابد ايضا ان تكون كرات الدم الحمراء مطابقة لنوعية فصائل دم الشخص الذى ستزرع فيه الكلى كما يشترط ايضا تطابق تبريز الانسجة وخلوها من الاجسام المضادة

وفى حالات زرع الكلى يؤكد الاطباء ان ذوى القرابة من الدرجة الاولى للمريض هم افضل المتبرعين ، وذلك لضمان تجانس الخلايا وأيضا الدم ، ولكن ذلك ايضا يقتضى اجراء التحاليل المناسبة للتأكد من ذلك طبيا .

ومن المعروف ان اغلب امراض الكلى التى تسبب الفشل الكلوى تسرتبط احيانا بالاصابة بامراض اخرى مثل البلهارسيا الروماتيد ، والذئبه الحمراء ، وهى انواع من الامراض التى تسببها المناعة ولو ان الجهاز المناعى سليم ١٠٠٪ فان المريض فى هذه الحالة لايتعرض للاصابة ، بمعنى ان

هناك بعض الاشخاص يكون لديهم الاستعداد لتكوين اجسام مضادة ضد انفسهم وهؤلاء تجرى لهم التحاليل لاكتشاف الاجسام المضادة للروماتريد وتحليل (ال ـ اى) لاكتشاف خلايا ((ال ايه))

اما بالنسبة للاجسام المضادة ضد نواة الخلية ، فاننا نجرى للمريض تحاليل الترسيب بالعد ، وزيادة الهيموجلوبنيات فى الدم لاكتشاف وجود بعض الاجسام المضادة التى قد تتواجد على نفس الخلايا فى نفس الجسم ويمكن تحديدها باستخدام الميكروسكوب الفلورسنت حيث انها تتواجد وتتكون على الكبد او الكلى .

وهناك أيضا نتائج تثبت أن بعض فصائل الانسجة تسير فى بعض العائلات .

وفى حالة وجود التطابق بين الانسجة ، وعدم وجود اجسام مضادة يصل نجاح زرع الكلى الى نسبة ٩٠٪ مع مساعدة المريض ببعض الادوية التى تساعد على التحكم فى الطرد البطىء وفى هذه الحالة لايتعرض المريض لمضاعفات .

اما عن المضاعفات التى قد يتعرض لها المريض بعد زرع الكلى فانها تنحصر فى رفض الكلى المزروعه ((الطرد)) والاصابة بالعدوى ، لان مناعته تكون منخفضة وبذلك يصبح معرضا للاصابة بأى عدوى فى الشارع كما يتعرض البعض من هؤلاء المرضى أحيانا للاصابة بالفطريات التى تصيب الجلد عند الاصابة بأى جرح ولذلك فان صاحب الكلى المزروعة لابد وان يسير على نظام غذائى معين ، مع مراعاة عدم الاسراع الى ممارسة حياته اليومية والعادية ، وعدم الاختلاط بالناس الا بعد مرور فترة معينه حتى لايتعرض للاصابة بالعدوى .

ويلعب العامل النفسى أيضا دورا هاما فى الحفاظ على كفاءة استمرار الكلى فى اداء وظيفتها . لان نجاح زرع الكلى يؤدى الى رفع الروح المعنوية للمريض وتحسن حالته النفسية لانه يعيد اليه جميع الوظائف الفسيولوجية للجسم .

فهناك حالات استعادت فيها المرأة بعد زرع الكلى انتظام الدورة الشهرية ((الطمث)) من جديد بعد انقطاعها .

وهناك حالات من العقم تم فيهما حدوث الحمل بعد زرع الكلى .

كما ان بعض الرجال استعادوا قدرتهم الجنسية وكفاءتهم فى الاخصاب بعد فقدانها واستطاعوا الزواج والانجاب بعد اجراء عملية زرع الكلى . ولكن المريض لابد ان يحافظ على كفاءته النفسية والا يصاب بالاكتئاب بعد حدوث اى خلل فى وظائف الكلى بعد عملية زرع الكلى ، بل يبادر الى زيارة الطبيب المختص فورا ولابد من المواظبة على المتابعة الدورية مع الطبيب المعالج حتى ولو من اجل الاستشارة البسيطة لان ذلك يعطى الفرصة للطبيب لاكتشاف الخلل مبكرا بحيث يمكن التحكم فيه ومعالجة اسبابة وذلك مثل حدوث الرعشة ، او الحرارة ، او الشعور بصداع ، او الام فى المفاصل ، او وجود الزلال او الشعور بالام فى نفس منطقة الجراحة بعد عملية زرع الكلى وذلك للتدخل والتحكم فى درجة وجرعة العلاج ولاسيما الكورتيزون .

اما بالنسبة للكلى الصناعية فانها تستخدم لجميع مرضى حالات الفشل الكلوى ، ماعدا كبار السن الذين تجاوزوا سن ال ٦٠ سنة فاكثر ، لان الاوردة والشرايين لديهم تكون فى حالة لاتمكنها من التحمل .

ولكن هذا النوع من العلاج باهظ التكاليف ، ولابد للمرضى أيضا من اتباع نظام خاص للغذاء فى مثل هذه الحالات ، واجراء الغسيل مرتين او ثلاثة مرات فى الاسبوع وذلك طبقا لنسبة البولينا ، ودرجة كفاءة الكلى . علما بان المريض فى هذه الحالة يمكن


فى معمل التحاليل


د أميمة السيد سليم

ان يعود الى ممارسة حياته العادية ولكنه لا يعود الى حياته الفسيولوجية بمعنى أن الانيميا تظل ملازمه ، ولكن القلب يتحسن وكذلك الرئة وجميع وظائف الدورة الدموية .

● التحاليل تؤمن حيـــــــاتك ●

ولكن هل تقتصر أهمية التحاليل على تشخيص الامر فقط ؟

وهل تعد عاملا فعالا فى علاج المرض فقط أم انها ضرورية ايضا بالنسبة للاصحاء ؟

تقول الدكتورة أميمه السيد سليم استاذ التحاليل بطب عين شمس .. انالتحاليل ليست هامة فقط بالنسبة للشخص المريض ، ولكنها ايضا تفيد الشخص السليم فى التشخيص المبكر للعديد من الامراض .. وعلى سبيل المثال ، قبل الزواج لابد من اجـــراء التحاليل لعامـل ال « الار . اتش فى للتأكـد من مقارنته فى فصـائل دم الزوجين ، لان الاختلاف بينهما مابين موجب وسالب فى هذا العامل بالذات يؤدى الى ولادة جنين مصاب بالصفراء ومبستر علما بأنه قد امكن الان اعطاء الزوجة الحامل حقنة معينة لأنقـــاذ الجنين من هذه المضاعفات ..

وهناك أيضا بعض الامراض الوراثية الناتجة عن وجود الهيموجلــوبينات المغايرة والتى تؤدى الى الاصـــابة بالانيميا الناتجة عن تكسير الـدم ، وهذه يمكن تفاديها بالامتناع عن زواج الاقارب ، لان ذلك يـؤدى الى ولادة الطفل مشوها ، خاصة اذا توافـرت هذه الاصابة فى الوالدين معا ..

ولابد للسيدة الحامل ايضا ان تقوم باجراء التحاليل لاكتشاف وجود الزلال او الانيميا ، وتفادى تشوهات الجنين بعلاج هذه الامراض ان وجدت مبكرا وفى التوقيت المناسب ..

كما ان الشخص العادى والسـليم لابد ان يمر ايضا على معامل التحاليل قبل اجراء اى عملية جـراحية وذلك لعمل الاختبار الدورى للبول ، والبراز والدم لان وجود السكر على سـبيل المثال يصيب المريض بمضاعفات بعـد اجراء العملية الجراحية ، ولذلك فانه بمجرد اكتشاف السكر يتم علاجـه فورا قبل اجراء الجراحة وذلك لتلافى المضاعفات وحتى لايعوق التئام الجرح

وقبل الالتحاق بالوظائف ايضـــا لابد للشخص السليم ان يقوم باجراء اختبارات وتحـــاليل وظائف الكبد والكلى وكل وظائف اعضاء الجســم الاخرى ، حتى يتفادى بذلك الالتحاق بعمل قد لايناسب امكانياته الصـحية والجسمانية ..

كما ان هذه الاختبارات والتحاليل يتم اجراؤها ايضا قبل القيام بالتأمين على الحياة .

وتعتمد الفحوص الطبية الحديثة اساسا على التحاليل والاشعة لتشخيص

الامراض وابداء الرأى القاطع فى نوعيتها ثم تحديد العلاج المناسب تبعا لذلك .

والاطباء لايمكنهم الان تشخيص المرض بصفة قاطعة الا بعد اجراء التحاليل الطبية والاشعة للمريض .

وفى مجال العلاج تلعب التحاليل دوراهاما يمثل ٩٠٪ من شفاءالمريض فبناء على هذه التحاليل يمكن تحديد الجرعة التى يتعاطاها المريض من الادوية ونوعيتها ، والتعرف على نوع الميكروب ، ونوع المرض الذى يحدد به الطبيب نوع العلاج .

وهنالك ايضا متابعة تطورات المرض بالتحاليل ، كما هو الحال بالنسبة لمرض انسداد الشريان التاجى ، الذى يشخص بصفة قاطعة باجراء رسم القلب والتحاليل الطبية ، وخاصةخلال الساعات الاولى من حدوث المرض

● التحاليل .. فى قفص الاتهام !

وكثيرا مايؤكد الاطباء وبشكل قاطع ان نتائج التحاليل مضمونة جدا فى تشخيص المرض وتحديد نوعية العلاج .. اما اذا اختلفت هذه النتائج فانهم يحملون المريض المسئولية .

وتقول الدكتورة أميمة السيد سليم استاذ التحاليل بطب عين وفى العلاج ياخذ المريض جرعة من الادوية التى تساعد على سيولة الدم وعن طريق التحاليل يمكن للطبيب تحديد نسبة هذه السيولة فى الدم والتى يتم عن طريقها متابعة المرض .

فى حالات الحمى الروماتيزمية فانه لا يمكن تشخيصها بصفة قاطعة الا باجراء التحاليل الطبية ومتابعة العلاج بتكرار الاختبارات لسرعة الترسيب وغيرها من التحاليل الاخرى وذلك لبيان مدى نشاط وتقدم المرض ودرجة ايجابيته ، ولابد ان تستمر هذه التحاليل ، حيث يتوقف على نتائجها تحديد التوقيت المناسب لمغادرة الطفل للفراش وعودته للمدرسة وذلك حتى لايصاب مرة اخرى بمضاعفات المرض .

وكذلك الامر بالنسبة لاصابات الالتهاب الكبدى الوبائى ، فانه يمكن بالتحاليل التوصل الى التشخيص السليم والدقيق الان الصفراء لها عدة انواع ولا يسهل تشخيصها الا بالتحاليل الطبية وبمتابعتها للتعرف على مدى تقدم المريض نحو الشفاء .

وتوجد الان عدة تحاليل طبية جديدة لتشخيص ونوع الفيروس المؤدى الى الاصابة بهذا المرض وهو « الالتهاب الكبدى الوبائى » .

شمس: انهيمكن زرع جميع الميكروبات على عدة انواع فى « ميديا » مختلفة لزراعة عينات من الغشاء المخاطى المبطن للانف ، او البصاق ، او اللوز او الحلق ، لاكتشاف الديفتيريا مثلا، او فحص عينة من اى جرح لمعرفة اسباب عدم التئامه بسرعة والعوامل المؤدية الى اعاقة هذا الالتئام .

وبالنسبة لتحاليل الانسجة وحالات امراض الغدد الليمفاوية ، فيمكن تشخيصها بأخذ عينة منها وتحليلها لمعرفة اذا ما كان بها درن أو هودجكين او اى نوع اخر من الامراض السرطانية الليمفاوية .

ومن الجدير بالملاحظة ان بعض المرضى قد يتهمون معامل التحاليل وذلكعند الاختلاف فى نتائجالتحاليل .. والواقع ان هذا الاختلاف تقع مسئوليته احيانا على المريض ذاته ، وعلى سبيل المثال قد يحضر المريض عينة من البول الذى يريد تحليله فى وعاء زجاجى كان به شراب او مربى او غير ذلك ما قبل .. وبذلك تختلط بقايا هذه المواد مع البول فتظهر النتائج غير صحيحة وبانه سكر فى البول

● تحقيق : منى عونى ●

رسالة حب

حسني محمد ابو عزش
الأردن

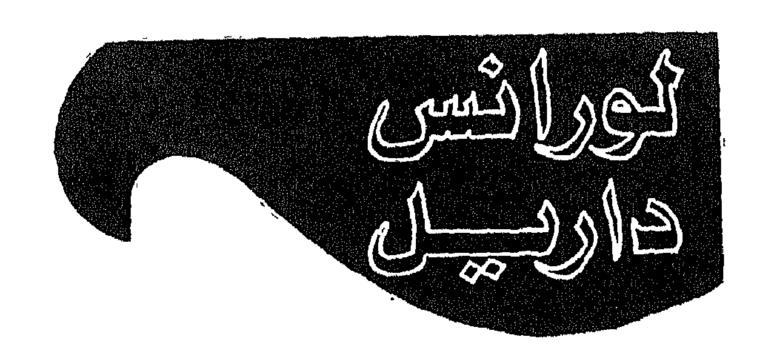
أعز الأمانى أن أحبك لك الخطى
فأغدو قريبا منك إذ أنت ماليا
فأنت كيانى لو علمت مذهبى
هبينى إذن وصلا يسر فؤاديا
لقد كنت قبل اليوم لا أعرف الهوى
خليا ، طروبا ، ناعم البال ساليا !
فعيناك لو تدرين من حور بها
تذيب الرواسى والقلوب العواتيا !

***

لقد كنت صخرا قاسيا فألنته
فحولتنى نهرا من الشوق جاريا ..
فهذا المحيا والشفاه صبابتى
وقد خففت عن منكبى الدواهيا
كلينا بجوة الحب للحب هازجا
دعينى أقول الحظ منى مواتيا !
ذرينى أتمم فرحتى وسعادتى
... يتولى متى تلدنين ، عنى شقائيا !

***

لقد كان صعبا فى الغرام قياديا
فأصبح سهلا أن أبثك ما بيا
لقد دق ناقوس الهوى فأطاح بى
وما أنذا للحب أفتح بابيا ..
سأجرع من هذا الوداد رحيقه
فقم يا حبيبى واسقنى الود صافيا ! ●●



والعودة لمصر

محمد عبدالله الشفقى

في اكتوبر من عام ١٩٧٧ عاد الروائي والشاعر البريطاني ، لورانس داريل ، الى مصر ، عاد اليها بعد غيبة طولها ٢٨ عاما · ذلك أن آخر زيارة له كانت عام ١٩٥٠ ·

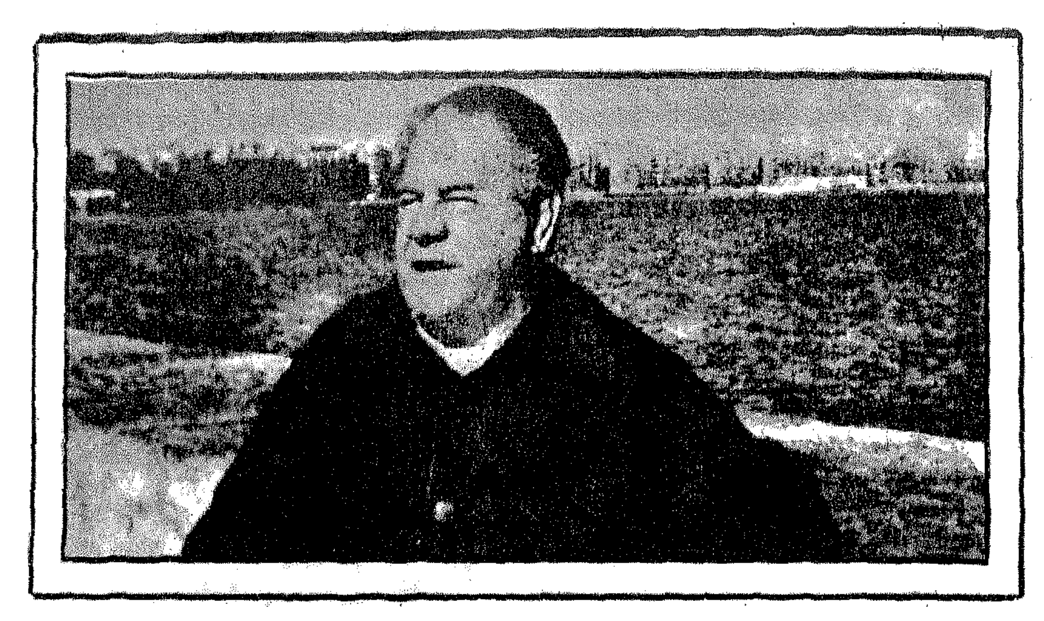
لم تكن عودة عابر سبيل يمر بالقاهرة قادما من مكان فى طريقه الى مكان آخر ·· لم تكن أيضا عودة سائح أعجبته مصر فلم يمانع فى زيارتها مرة أخرى ، وانما كانت لاسترجاع سنوات عاشها فى مصر ، وبخاصة فى الاسكندرية ، سنوات الحرب العالمية الثانية ، حين كان داريل ملحقا صحفيا بالسفارة البريطانية ، مقره الاسكندرية ·

هكذا عاش أيام الحرب العصيبة ، أيام هتلر والمحور ، أيام روميل ومونتجومرى ·· ولم يكن مجرد بريطانى من بين آلاف البريطانيين الذين تواجدوا فى مصر للعمل ، أو التدريس ، أو الاحتلال ، كان فنانا (ولا يزال) ·

عاش سنواته المصرية ضاربا فى شوارع القاهرة أو الاسكندرية ، (لم يعرف الريف آنذاك وانما عرفه عام ١٩٧٧ فقط كما اعترف فى مقال له ظهر فى شهر يونية عام ١٩٧٨) ·

عاش مستطلعا ، مستمتعا بأيامه ، متصعلكا فى دروبها ، عاقدا أواصر الالفة مع مصريين (وان كانت ألفته مع أبناء وبنات الجاليات الأخرى أكثر وأعمق ، وبخاصة الجالية اليونانية ، فاليونان هى حبه الكبير) متعرفا على بعض آدابها (وبخاصة الشعر) ، قارئا لبعض المتصوفة (جلال الدين الرومي ورائعته « المثنوى ») ،متفحصا للتاريخ الفرعوني المفضى الى التاريخ اليونانى ، محاولا رؤية تلك الحضارات ككل لا يتجزأ ، كل لا تفصله قارات ، فربما كان العالم قارة واحدة تفتتت ـ وأسفاه ـ بعد ذلك ـ (يقول فى حديث أجرى معه : ان كل شيء يبدأ بالطوفان) ·

خلال سنواته المصرية استقرت بذور «رباعية الاسكندرية» فى كيانه الابداعى لم يكتبها وهو بالثغر (وان كتبت « صومعة بروسبيرو » فى غرفة علوية ببيت بالاسكندرية (· عاد الى أوروبا وقد عقد العزم على أن يهب حياته ـ رغم الفقر النسبى ـ للكتابة · وأخذ يكتب بنشاط محموم تلك الروايات الاربع الضخمة :



لورانس داريل ـ عاش فى الاسكندرية وعاد الى مصر

جوستين
بالتازار
ماونت وليف
كليا ...

وهى الروايات التى عرفت بعد ذلك ، مجتمعة ، باسم « رباعية الاسكندرية » تكاد كل رواية أن تقف على قدميها وحدها . لكن كل رواية تفضى فى الواقع الى الرواية التى تليها ، ليتشكل من الاربعة فى النهاية « موزايك » كان فى وجدان الكاتب ووعيه منذ بدأ يكتب أولى صفحات الرباعية .

داريل يسافر أبدا .. فى المكان والزمان . ولد فى الهند .. رحل الى اليونان .. عمل فى يوغوسلافيا .. ومصر .. وقبرص .. يقيم فى الجنوب الفرنسى الآن رغم ان الجزيرة البريطانية تشكل انتماءه القومى . أثمر هذا كله روايات ، ودواوين شعر ، وكتب رحلات لعلها من بين أروع ما ظهر فى باب الرحلات فى الادب العالمى المعاصر .

وباحساس من أهميته رتب له التليفزيون البريطانى عودة الى الاماكن التى عاش فيها فترة من الزمان ، ليخرج منها برنامجا عن هذا الكاتب .. انه يعود اليها مسترجعا ماضيه ، هى « رحلة عاطفية لا .. هى « بحث عن الزمن المفقود » ، مع الاعتذار لتوماس ستيرن ، ومارسيل بروست ..

أشعر أن هدف هذه الدعوة لم يكن لعقد مقارنة بين « اليونان الامس واليوم » أو « مصر الامس واليوم » ، وانما كان محاولة للتذكر ، والاسترجاع ، الذى يفضى بالضرورة الى السؤال : ما الذى بقى منى وأنا أعود الى هذا البلد بعد غيبة طويلة ؟ وما الذى بقى من البلد بعد هذه الغيبة ؟

***

وحين عاد داريل الى مصر فى خريف ١٩٧٧ كان معه فريق التليفزيون البريطانى ، يحج الى الاماكن التى عاش فيها ، يبحث بالعدسة والميكروفون ، ويستمع الى صوت داريل ..

كان على رأس الفريق : المخرج بيتر آدم الذى سبق أن أخرج للتليفزيون البريطانى برامج مع عمالقة الادب فى العالم . تقف وراء ذلك المخرج ثقافة هائلة ودكتوراه فى الترجمة من ألمانيا . أما المصور فيدعى ديمترى ، يونانى ، يصور بابداع وعمق وشاعرية ، لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن المصور يونانيا .. ان اليونان واليونانيين يسيرون على صفحات «رباعية الاسكندرية»

يزور المخرج بيتر آدم مصر وحده فى البداية . يزور الاسكندرية وغيرها ، يعد ويستكشف الاماكن ، ويقرأ كتابات داريل .. رواياته وقصائده وكتب رحلاته .. كى تتجمع الخيوط ولا يتبدد

الوقت عندما يفد الكاتب الكبير .

ثم يصل داريل ، فى خريف ١٩٧٧ — يصل بالطائرة الى مطار القاهرة ، غير أن الاسكندرية مقصده الاول . رغم الوصول فى عتمة الليل ..

رغم الارهاق ، تنتظر الفريق سيارة تقله واجهزة التصوير والتسجيل الى الاسكندرية فورا ، وتقله الى ارض ((الرباعية)) مستخدمة الطريق الزراعى الذى يصل بين قاهرةالمعز وثغر الاسكندر معذرة اذ اقول ((الاسكندر المقدونى)) . فالاسكندرية ، عند داريل ، ذات طابع يونانى غلاب .

فى الطريق الزراعى يبدأ فى التذكر : ما أكثر ما كان يقطعه أيام الحرب العالمية الثانية .. لكنه بالامس كان مليئا باللوريات العسكرية وناقلات الذخيرة . أما اليوم فان اللوريات تحمل قطنا من دلتا مصر ..

ها هو يرى الريف ويتأمله . القرى ، فى نظره ، ((لم تتغير بالمرة)) . لكنه يدرك انه — خلال مقامه القديم — لم يتصل بالريف ، وانما كان يعرف فى مصر قاهرتها واسكندريتها ..

يصلون فى منتصف الليل الى الاسكندرية . انها هى الاخرى لم تتغير كثيرا . يقول : ((ها هى .. لم تتغير كثيرا)) .

سنلاحظ أن داريل يبحث — فى رحلته العاطفية الاسترجاعية — عن الثبات الكائن التغيير سيزعجه ويقلقه ، وكأنه كان يحتفظ بخطابات قديمة لعزيز وصور قديمة لأحبة فقدهم بعد ذلك . سنجده حين يعود من مصر ويكتب مقالا عن رحلته فى مجلة أمريكية (١) يقول انه سار فى شوارع الاسكندرية فأحس وكأنه شبح ، ان كل الاصدقاء الذين كان يعرفهم ماتوا (كلهم الا صديق شاعر — يونانى بالطبع ! اسمه تيودور موسخاناس ، فى السابعة والثمانين من عمره . يقول عنه داريل ((نجحت فى أن انبش عن صديق لى))) . التغير يزعجه لكأنه حجر يؤذى سكون السطح الهادى لبحيرة الذكرى .

يبحث عن الثبات ويسعد حين يجده .

قبل أن ينام ليل الاسكندرية الاول تهاجمه الخواطر . تقول الخواطر : الشىء الثابت فى الاسكندرية هو الريح . ما زالت تهب على المدينة بأسرها . قادمة من اليونان . مارقة من تحت باب الغرفة مارقة من خصاص النافذة . من شباك الحمام .

ومن سريره فى تلك الغرفة بفندق سيسيل أحس داريل وكأنه عاد الى جزيرة يونانية . ونام ..

يبحث عن الثبات ويسعد حين يجده . لكنه لا يجد مفرا أيضا من الاعتراف بالتغير :

هذه المرة أصبحت الاسكندرية عربية : لا تسمع أصواتا فرنسية وايطالية ويهودية وأرمنية . العربية فوق زجاجات الدواء — فوق اللافتات . الخ .. فى الماضى كانت الاسكندرية مدينة بحر أبيض متوسط . متعددة الجنسيات .

ماذا يرى أيضا من مظاهر التغير ؟

— تسرب الغبار الى المدينة . فقدت مرحها .

ماذا أيضا ؟

— لكن زوال الحجاب كشف عن الوجه المصرى ، المتعدد السمات ، الجميل .. عيون يمتزج فيها لون العسل بلون الذهب ، وبشرة مذهلة ، وتلك الامالة الرائعة للراس التى لا تجدها فى أى مكان آخر فى العالم ! ..

● معه وجها لوجه ●

يعيش داريل أيامه بالاسكندرية من جديد .. يقضى فى الثغر أياما ثم يفد الى القاهرة .. يستقر به المقام ، وبالفريق التليفزيون ، فى فندق مينا هاوس ، على مسيرة خطوات من الاهرام ومن .. الصحراء (ما أكثر ما تفتنه الصحراء ، وما أكثر ما يعتبرها أحد المفاتيح الى فهم

(١) ((نيويورك تايمز ماجازين)) . القسم السادس ١١ يونية ١٩٧٨ وقد رجعت الى هذا المقال عند الحديث عن انطباعات رحلته الاخيرة لمصر

(٢) تم نشر جزء من هذا الحديث — مترجما الى العربية فى مجلة اسبوعية ثم نشر كاملا فى مجلة شهرية ((مايو ١٩٧٩)) واذاعة البرنامج الثانى ، مساء ٩ سبتمبر ١٩٧٨ .

مصر !) .

تسعده حرية الحركة التي ينعم بها وينعم بها الفريق في مصر ، فالرسميون — على حد قوله — لم يكونوا يعترضون طريقهم أو يفرضون أنفسهم عليهم . هكذا كان الفريق يخرج في الصباح الباكر الى الاهرام والصحراء ، ويستوعب ويصور ويسجل ، بلا عوائق ..

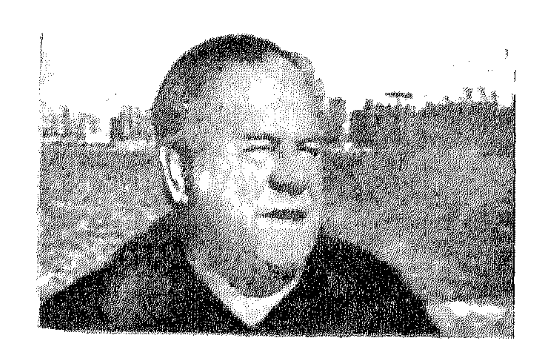
يسمح — بلا تردد كبير — باجراء حديث معه . (٢) يتم أول لقاء في مساء ٢٧ اكتوبر ١٩٧٨ في ردهة الفندق (حيث كان يجلس منتظرا) ثم في المقهى (حيث قدم كوبا من العصير) ثم في غرفته (حيث الهدوء ووصلات جهاز التسجيل) . ويتم اللقاء الثاني في أمسية أخرى من أمسيات اكتوبر حول مائدة العشاء بمطعم الفندق ، وبحضور مخرجه بيتر آدم . ولا يكون هذا اللقاء الثاني لاجراء حديث وانما « للدردشة »

هل يمكن أن يقال ان مظهره — بالنسبة لمن يلقاه لاول مرة — لا يوحي بانه أديب ؟ . ربما كان العيب فينا نحن ! .. فنحن نميل الى أن نرسم مواصفات (رومانسية في أغلب الاحيان) للاديب ، لابد — وفقا لمواصفاتنا — من أن يكون حالم النظرات .. لا بأس من أن يكون متجهم الوجه (من كثرة التأمل والتفكير والقراءة !) ، من الافضل أن يميل الى الطول والنحول .. لن ندهش اذا كان الاديب عصبيا .. ان ذلك ضريبة الارهاق والحساسية !

لورانس داريل يضرب بهذه المواصفات عرض الحائط . لو صادفته في الطريق لظننت انه بحار في اجازة ، أو صاحب يخت ، أو مصارع متقاعد ..

قصير القامة هو ، سمين ، عيناه ضيقتان ، ينطلق في لمعانها ذكاء وخبث انساني ، توحي عيناه ، وصوته ، وحركاته ، وضحكاته ، بانسان يدبر مقلبا خفيف الدم لصديق أو غريب . يصلح للقيام بدور التلميذ الذي يجلس في آخر صف ويقض مضجع المدرس في فصل يود الناظر اغلاقه بعد أن يأس من الكتابة لاولياء الامور !

لديه القدرة على أن يكون حاسما



وقاطعا ..

أوضح لمخرجه في المساء الاول ، وبكلمات وجيزة جدا لا تخرج عن جملة واحدة ، انه يرجو أن يتركوه وشأنه .

ودعاني الى غرفته لاجراء الحوار ..

لديه القدرة على أن يجامل .. أثنى على مصر ثناء عاطرا وتدفق يمدح بحماس لكن كتاباته السابقة واللاحقة على الحوار لم تكن تعكس كل هذا الثناء والحماس .

ليس أقل من غيره قدرة على الغضب الهائل .. قال ((لا بأس .. لعل له عذرا)) عن صديق له في القاهرة لم يتمكن من لقائه وفقا لموعد مضروب .. ثم استسلم للغضب بعد فترة ((وضعبت عليه نفسه)) فقال : سأعتذر عن لقائه لو حدد معي موعدا آخر !

يسأل باهتمام حقيقي عن صورة الاديب المصري المعاصر : من هو أشهر روائي ؟ كاتب قصة قصيرة ؟ شاعر ؟ ما هي الكتب المعاصرة التي تصلح للترجمة الى اللغة الانجليزية ؟

حبذا لو توافرت لديه قائمة يدفع بها الى ناشريه الاجانب — هكذا قال .

يذكر ، في الدردشة السابقة على الحوار ، أسماء عدد من الكتاب والفنانين الاصدقاء الذين يعرفهم بمصر ، يذكر الدكتور لويس عوض ، الدكتور مرسي سعد الدين ، يرد ذكر المعماري المهندس حسن فتحي « آه .. حسن فتحي ! مشوق أنا الى لقائه وسالقاه . »

يتحقق هذا اللقاء فعلا ، ويكتب عنه داريل بعد العودة الى أوروبا ، ويتضح لقاءه بحسن فتحي ترك في نفسه انطباعا من أعمق الانطباعات التي خرج بها من مصر خلال رحلة العودة الى مصر) .

في الامسية الثانية ، مع داريل والمخرج بيتر آدم هذه المرة ، وحول

مائدة العشاء فى مطعم الفندق ، تكون الدردشة حية ومتنوعة • ويبدو داريل متألقا ، ويبدو آدم متحديا •

يكون داريل قد عاد لتوه من يوم حافل ومثمر بالتقطات والانطباعات واللوحات يوم مفعم بالفن والمرح ، فلقد كانت هناك زيارة لقرية ، وفرجة على راقصة شرقية (قلدها وهو جالس الى المائدة ، من أجل عيون الفتاة التى تعمل فى المطعم ، والتى اقبلت تسأل ماذا تشربون وتأكلون • وقال لها آدم وهى تضحك : حاسبى فهذا الرجل خطير !) •

يتنهد آدم وينفخ متحدثا عن بعض متاعبه فى القاهرة (سيشكو داريل فى مقاله بالمجلة الامريكية ، سيشكو من البيروقراطية عندنا) يتحدث آدم عن الازدحام المخيف فى القاهرة ، عن الغبار على أدراج المكاتب وفوق الدواليب والملفات فى غير نظام •• يظل يعزف على هذه النغمة محتدا فيرد داريل مدافعا عن القاهرة ، فيزداد آدم حدة ، فيزداد داريل دفاعا ، الى أن أحتار انا هل دفاع داريل من قبيل المجاملة أم هو لفتح شهية آدم لمزيد من الهجوم ! ••

وأقول لآدم : كفى ، واحرى بك ان تلتمس لنا الاعذار • أحدثه عن سعينا الى أن نبنى من جديد وسط التحديات وعبء سلسلة من حروب •

وأقول له أيضا : لا تكن قاسيا ومتجنيا الى هذا الحد ، ولا تزن التحضر بميزان الازدحام والغبار والفقر •• لو كانت النظافة وحدها علامة التحضر فان جابون ، البلد الافريقى الصغير الذى كان مستعمرا من فرنسا ، أكثر تحضرا من عاصمتكم لندن ! •• فقد رأيت الاثنتين ، ورأيت كيف تلمع عاصمة جابون وكيف تعيش لندن السبعينات وسط القذارة والرثاثة • قلت له أيضا : أرجوك ، للتحضر مقاييس أخرى ، فلاح قرانا متحضر لانه يحسن استقبالك ويقدم لك أعز ما عنده ، وابن مدينتنا متحضر لانه يسعد حين تسأله عن الطريق فيشرحه لك وقد يصحبك ، بينما يتأفف الفرنسى وينظر اليك باستعلاء ويتكلم من أنفه وبينما لا يرد عليك الامريكى لانه فى عجلة أمره ، لاهثا وراء حفنة دولارات • ونحن قد نكون أكثر تحضرا لان أسرنا ليست بالتفكك الذى نراه فى الغرب وأمريكا •

تطرق الحديث الى من قابلهم آدم من الادباء العالميين وانطباعاته عنهم •• كان محتما ان يقود هذا الى السؤال : فما رأيك فى مستر داريل كمسادة لموضوعاتك ؟

أثنى عليه ، لكنه أضاف : انه لايفصح لك عن كل شىء ، انه •• انه يحكم الاقفال على أشياء ! ••

● يونانيات

قرأ كثيرون « رباعية الاسكندرية » وقالوا ان داريل لم يكن داخل اسكندرية مصر وانما داخل اسكندريه يونانية • وقالوا ان مصر تبدو بعيدة عن صفحات « الرباعية » • ولهم الحق فى بعض هذه الملاحظات • ان داريل يتحرك فيها وسط اجانب • سيقال ان « الرباعية » تعرض لفترة اجتاح فيها القاهرة والاسكندرية استعمار أجنبى وجاليات أجنبية • لكن ، الم يكن هناك مصريون ؟

الواقع ان اليونان تكاد ان تكون حب داريل الاول والاخير • فالى • اليونان نزح فى صدر شبابه ، فعشقها وأجاد لغتها • وعندما عاش فى قبرص كان هناك اليونانيون فابدع « الليمون المر »

ومن المؤكد أن مقامه فى يوغوسلافيا أعاد اليه أيضا ذكرى حوض البحر الابيض المتوسط •

وفى أول ليلة من ليالى مقامه بالاسكندرية ، فى رحلة العودة الى مصر ، يجد ان الشىء الثابت فى الاسكندرية هو الريح •• القادمة من اليونان ، بل ان اول لحظة من لحظات تواجده فى الارض المصرية ـ مطار القاهرة ـ تجعله يفتش عن كلمة يصف بها ضجة المطار ، ولا ترضيه الكلمة الانجليزية ، فيقول انه لا يجد كلمة أخرى يصف بها ما يراه اللهم الا كلمة يونانية !

وهو يضرب فى شوارع الاسكندرية هذه المرة فيحزنه انه لا يجد ((أصدقاءه)) القدامى)) ، ولكنه ينبش عن شاعر يونانى

عجوز لا يزال حيا ، فيسعده هذا .. كذلك فان مصور الفريق الوافد الى مصر مع داريل هو مصور يونانى ، ومن بين اللحظات الرائعة خلال مقامه بالاسكندرية تلك اللحظات التي يقضيها فى المكان الذى عاش فيه الشاعر اليونانى السكندري كفافي وكتب ..

ان داريل يجلس على مكتب الشاعر ، فى مواجهة عدسة التليفزيون البريطانى، ويقرأ من شعره ، ومن فوق المكتب يكتب بطاقة الى شاعر يونانى صديق ، وبطاقة أخرى الى الكاتب العالمى هنرى ميلر ، عاشق اليونان ، الذى خلد اليونان فى كتاب رحلته العظيم « مارد ماروسى » .

● **داريل يلتقى بحسن فتحي** ●

يكتب داريل « أكثر اللحظات التى قضيتها فى القاهرة ثراء هى اللحظات التى انفقتها مع ذلك الكائن غير العادى ، حسن فتحي ، فى وكره ، وكر النسر الرابض فى أعلى القلعة . منذ زمن طويل وأنا أعلم باسمه وشهرته كمعمارى . بل لقد كان لنا أصدقاء مشتركون أحدهما هو ديمترى بابا ديماس ، المصور ، الذى رتب لذلك الاصيل النادر الذى قضيناه مع ذلك العجوز الذى يشبه آله الحقول والغابات عند الرومان ، والذى يبدو شابا فى الخمسين » .

كان داريل قد قرأ كتاب حسن فتحى عن تجربة قرية الجرنة الجديدة ، والبيت الذى يبنى من الطوب اللبن ، أو ما نسميه بالطوب النىء ، « المصنوع من طمى النيل ، والذى يربط المصرى ببيئته ويقتصد تكلفة البناء الى اقل من النصف» قرأ داريل الكتاب تحت عنوان « عمارة الفقراء » وقال عنه ان اكثر من دليل معمارى ، انه سيرة ذاتية جمالية ، حافل بالعبادة المشرقة والفكرة العميقة التى تربط بين السعادة والعمارة ، بين التعمق والحياة الكريمة .

انجذب داريل أيضا الى ما اعتبره رباطا شاعريا بين ذلك الاسلوب ومصر القديمة ، فالملكة « العنيفة الشابة » ، حتشبسوت ، هامت بجمال الطين واستخداماته ، فسمحت بأن يصوروها على



الجدران وهى تصنع أول قالب من الطين .. يضيف داريل بأسلوبه اللاذع ومرحه الابدى: يخيل الى أن اللوحة كانت للدعاية ليس الا !

هزه أن يكون هدف حسن فتحى من استخدام هذه المادة هو خدمة الفقراء . بعد لقائه بالمعمارى المصرى عاد الى غرفته بالفندق فى المساء وقرأ من جديد « عمارة الفقراء » . وأخذ يدعو أن يحقق استخدام هذه المادة ما يرجوه حسن فتحى لقرى مصر . وفى المنام ـ هكذا كتب داريل ـ خيل اليه انه يرى الملكة حتشبسوت تمسك بقالب الطوب وتبتسم و .. « أقسمت ان آخذ معى الى بلدى قالبا ألجأ اليه فى كل عيد من أعياد رأس السنة متمنيا الامنيات الطيبة لفقراء مصر » .

ويذهب الى جنوب مصر . ويعثر فى قرية الجرنة على قالب طين صغير « من قوالب حسن فتحى » ويأخذه ويضعه فى حقيبته .

● **روايات فى الطريق** ●

ماذا بعد العودة الى مصر ؟ هل سيعود اليها داريل فى زوايات قادمة ؟ يبدو هذا ..

فهو يكتب هذه المرة : « اكتشفت انى خلال مقامى أيام الحرب لم أر الا الاسكندرية والقاهرة .. وكنت مشغولا جدا كملحق صحفى فلم أدون انطباعاتى وعلى الآن أن تطأ احدى قدمى فى القاهرة ذلك أنى أكتب الآن روايات جديدة عن فترة الحرب . لقد اندلعت الحرب فاحدثت ثغرة فى حياتى الابداعية وثغرة فى شخوص رواياتى . واذ تعود كتاباتى وتعود شخوص رواياتى يجب ان اشرح ما حدث لهم خلال تلك الثغرة ، خلال الحرب ، خلال ست سنوات . والجواب فى مصر » .

نجوى إلى القمر

محمد عبد الغنى حسن

الأرضُ مَلأى باللهيب المستعر
وأنتَ لاهٍ في السماءِ يا قمر !

تفحكتْ : والأرض عيون ما انثنت
عن البكاءِ ، أو دموع تنهمر

فكل ركنٍ بالبلاءِ حافل
وكل صقع بالشقاء منفطر ..

وأنتَ لا يعنيكَ منّا حادث
يطوف ، أو خطب على الأرض يمر

كأنَّ في أذنيك عنّا صَمَما
أو أنه ليسَ بعينيك نظر !

***

يأيها الساهر في عليائه
فينا عيون لم يزايلها السهر

لم تكتحل أجفانها برقدة
هادئة ، أو مضجع قد استقر

شتّان ما بينكما ... فأنتما
على النقيضين : جماد ، وبشر

لا حسٌّ فيك يرتجى .. ونحن من
إحساسنا نذوب في لمح البصر ..

سبحانَ من قسّمنا خصائصا :
دم ولحم .. وحديد وحجر ...

***

بسمتك البلهاء لا تعجبنى
فلم يطب لى الورد فيها والصدر

وكيف يحلو لى ابتسام جامد
فما له طعم بنفس أو أثر ... ؟

ما حاجتى للضوء منكَ ؟ إننى
فى عالم من الظلام المنكدر ..

فى ليلة من ليالى شوال ، وكان الجو صافيا ، والقمر زاهيا فى سماء نسلفانيا العالية الهضاب تأمل الشاعر القمر طويلا فأوحى اليه المشهد بهذه التأملات ..

مابينَ أحــلام يمر طعمهـــا وبينَ أوهـام تذيقنى الأمـــر
وبينَ ما يغشى من الهمِّ الـذى يثيرهُ ليلُ الخطـوب المكفهر ...
فكيف يكفينى بـريق باهــت منكَ ، ويغنينى شعـاع منكسر ؟

***

يأيهـا الدائبُ فى رحلتـــهِ حولَ مدار فى السماءِ مستتر
يسلمك الغربُ إلى وآد الضحى منتقلا بينَ الأصـيل والسحَر ..
محسوبة خطـاك .. لا يخطئهـا عدُّ الليـالى أو تصاريفُ القـدر
تنظل من علياكَ فى الجوِّ علـى شمِّ الجبال ، أو غـوائر الحفـره
ولستَ تدرى غمرات المشتكى ولا تحس سكرات المحتضـر
ولا أنينَ مَن أذاتتـه النـوى ولا اكتئابَ من تجـافاهُ السمر
ولستَ تدرى أننى فى رحلـة مثلك أعيـانى على الأرض السفر
خلف البنينَ النازحين .. لم أزلْ أقتحمُ البيـد عليهـم والحضـر
وأقطع الجـدب إليهـم تـارة وتارة أغـرقُ فى بحرِ المطـر ..
بين الشمال والجنوب هائمـا فلا تخيفنى مزالقُ الخطـر ... !
وأسلك الدربَ إليهـم هازئـا بكلِّ هـول فى الطريق منتظر !
فلم يعدْ لى بعد يومى طـاقة على احتمـالى لمشقات الكبر ..!

حول صنعة القصة

ماهر شفيق فريد

((المجلة الجنوبية)) ـ فصيلة أمريكية تصدر عن جامعة ولاية لويزيانا ، وقد حوى أحد أعدادها الاخيرة مقالة بقلم اشلى براون عن الناقد الانجليزى برسى لبوك (١٨٧٩ ـ ١٩٦٥) الذى يعد ـ الى جانب ا • م • فورستر ، و ف • ر • ليفيز ـ من كبار نقاد القصة ، نظرية وممارسة على السواء •

يقول كاتب المقالة : ان كتاب لبوك المسمى ((صنعة القصة)) (١٩٢١) قد غدا من كلاسيات النقد الحديث ، وكان أثره على الروائى الانجليزى جريام جرين وعلى الناقد الامريكى آلن تيت ، عميقا فى العشرينات •• ففى ١٩٤٤ قارنه تيت بكتاب ((الشعر)) لارسطو قائلا ان مهمة لبوك كانت ((أصعب بما لا يقاس))

ويمكن اعتبار هذا الكتاب نقطة البدء فى نقد القصة •• كانت أحدث رواية ناقشها لبوك فى ذلك الكتاب هى رواية ((أجنحة الحمامة)) لهنرى جيمز ، وهى حقيقة غريبة ، اذا تذكرنا انه كان معاصرا لبروست ، ان لم نقل جويس ، كانت الروائية الامريكية اديثوارتون متحمسة لبروست منذ ١٩١٤ ،ويشاركها حماسها هنرى جيمز الذى أرسلت اليه نسخة من رواية بروست ((قرب آل سوان)) فالتهمها جيمز بمزيج من حب الاستطلاع والاعجاب •• ومن المحتمل أن تكون قد أعارت الرواية للبوك وسائر أصدقائها ، لكن لبوك لا يذكر بروست فى أى موضع من كتاباته ، وعلى ذلك يحق لنا ان نستنتج ان فن الرواية بلغ قمة كماله ، فى نظره ، عند هنرى جيمز ، وانه كان على استعداد لتجاهل التحدى الذى تثيره أعمال بروست وجويس ••

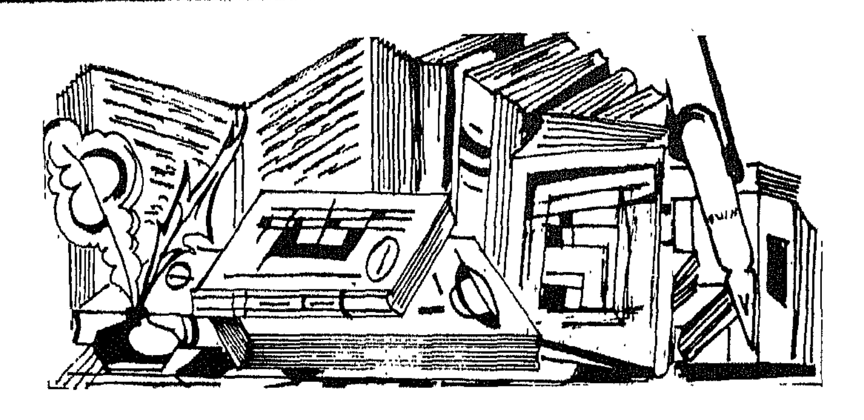
كانت رواية ((الحرب والسلام)) لتولستوى فى طليعةالاعمال التى ناقشها كتاب لبوك ' وعنده انها تنقسم الى كتابين ; أحدهما ((موكب الاجيال)) الذى يقدم ((دورة الميلاد والنمو ، فالموت والميلاد من جديد)) ، والآخر ((دراما ونابليون •

صدام تاريخى عظيم)) كصدام روسيا

وحديثا نجد ان الروائى الامريكى الجنوبى أندرولايتل ، الذى يحمل لبوك على محمل الجد ، قد وسع من مصطلحات النقد ، وجعلنا مدينين له ، بأن أوضح ما يسميه بـ ((الصورة التاريخية)) • وعلى ضوء هذا المفهوم ، تسود رواية ((الحرب والسلام)) صورة تقع ـ على حد تعبير لايتل ـ فى ((مكان ما من النكبة الدرامية ، الانقسام الذى وجدت روسيا نفسها ضحية له بعد اضفاء بطرس الاكبر للطابعالاوروبى عليها بطريقة تحكمية)).

وتسيطر هذه الصورة على كل تفاصيل الرواية :من أضخم معركة الى أدق تحليل لعواطف الشخصيات ، ولكن محور أحداثها جميعا هو انقسام المجتمع الروسى ، وتوزعه بين تقاليده والافكار الجديدة لدى لحظة تاريخية معينة •

وانما كان منهج لبوك أنجح ما يكون عند معالجته رواية ((مدام بوفارى)) لفلوبير ، ورواية ((السفراء)) لهنرى



جيمز ، وهما روايتان ((غير دراميتين في مادتهما)) ، صور أو اسقاطات لوجهة نظر واحدة .. وليس هناك ناقد قد تفوق على لبوك في معالجته روايات من هذا النمط ، وانهما لتحتلان في كتابه مكانة شبيهة بالمكانة التى تحتلها مسرحية سوفوكليس ((أوديب ملكا)) فى كتاب ((الشعر)) لارسطو ..

ويرتفع لبوك الى قمة جديدة عندما ينتقل الى رواية جيمز ((أجنحة الحمامة)) حيث يفسر نقلات وجهة النظر التى ينظر بها جيمز الى الاحداث ، وتتأكد اهمية الموضوع الانساني والقضايا المعنوية من خلال التحامها بالتكنيك .

وفى نهاية المطاف يخرج المرء من كتاب « صنعة القصة » بشعور مؤداه ان لبوك كتب ما هو أكثر من أطراحة تقنية . فكتابه ، بمعنى من المعانى ، موضوعه الشخصية التى تتلمس حريتها فى اطار نظام راسخ الدعائم . ومن هنا تزداد غرابة تجاهله لبروست ، وهو الروائى الذى يمنح شخصياته أعظم قدر من الحرية فى اطار أصرم وسط اجتماعى .

● جون هيث ستبز :

وندع « المجلة الجنوبية » الامريكية الى العدد الاخير من مجلة « أجندا » الانجليزية ، حيث نجد مقالة بقلم همفرى كلكاس عن الشاعر الانجليزى المعاصر جون هيث ستبز الذى بلغ الثانية والستين ، وعمل زمنا محاضرا فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، والمقالة تعرض لآخر ديوانين للشاعر وهما : « مزمار الحارس » و « الفأر والطائر والمقانق » ، فضلا عن العدد العاشر من مجلة « أكورياس » — (برج الدلو) ، وهو عدد مخصص لمقالات وقصائد عن الشاعر بمناسبة عيد ميلاده ..

يقول كاتب المقالة : من المؤسف ان أغلب مقالات مجلة « أكورياس » عبارة عن حكايات وذكريات ، وان المقالات الجادة فيها بالغة القصر . بديهي ان في هذه الذكريات أشياء ذات قيمة كقول هيث ستبز لهارى وب ان الانشودة الثامنة من قصيدته المسماة «أرتوريوس» أشبه بمسرحيات النو اليابانية — وهى ملحوظة فاتت الكثيرين .

ومن بين كتاب المجلة يناقش اثنان الصراع بين العناصر الكلاسية والرومانسية فى عمله . ويورد مايكل ماير ما كتبه هربرت ريد فى ١٩٤٢ عن ديوان هيث ستبز الاول ، وهو الديوان المسمى « تموز الجريح » :

((يستطيع المرء ، بطبيعة الحال ، ان ينقد القصيدة لاسرافها فى الطابع الادبي .. وكانما أخرج مهندس معمارى فجأة معبدا كاملا من طراز الباروك . انه مصنوع من مواد جديدة ، وليس بأى معنى تدليسا . ولكن كيف تراه يتناسب مع نظام تخطيط مدننا الذى يؤدى وظيفته جيدا ؟ .. هو لا يتناسب ، ولكن الخطأ كامن فى نظامنا القائم على أداء الوظيفة)) ..

ان هيث ستبز ما زال يواصل انتاجه وقد أخرج حديثا ((برلمان الطيور)) وهو منمنمات للصغار والكبار على السواء ، وها هو ذا الآن يخرج ديوان ((مزمار الحارس)) .



رؤيـــة حياتيـــة ورؤيـــة فكريـــة

د. محمد احمد العزب

● اذا قلنا ان فى ادبنا العربى المعاصر نابغين لم ينظروا ـ كغيرهم الى الادب على انه مجرد بوح وجدانى مسطح ، ولكنه امتلاك لظواهر البوح الوجدانى ، والاستقصاء العقلى ، والمنطق العلمى ـ فان اسماعيل مظهر يقف من هؤلاء فى طليعة الطليعة ، لانه واحد ممن رفضوا ان يكون الادب ثوبا بلاغيا لاينسدل على جسد الحقيقة ، فثار على ادب الزخرف اللفظى .. او ان تكون اللغة نوعا من الطقوس لاتخضع لظواهر التطور والتحور ، فثار على لغة القواعد الجامدة .. او ان يكون العلم غريبا لا يعطى وجهه للشرق فثار على احتجان العلم فى قارة ومنعه ـ كانما بقانون الهى ـ من دخول قارات !

من هنا يصح للدارس ان يرى فى مصطلح « الثورة » مدخلا حقيقيا الى عالم اسماعيل مظهر ، لان مواجهة المسلمات فى السياسة والاجتماع والفن والدين ، كانت ابرز ما يميز المسيرة الحياتية الناضجة لهذا المفكر المقاتل !

***

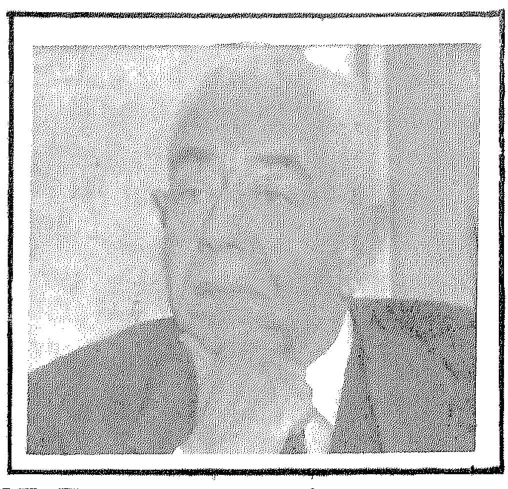
ولد اسماعيل مظهر فى ١٨ يناير سنة ١٨٩١ ببرقين دقهلية، وكان ابوه « المهندس محمد باشا مظهر » رجلا عالما فى الهندسة اسهم فى بناءالقناطر الخيرية ، واقام فنار الاسكندرية ، وحفر الرياح التوفيقي .. وكان الابن اخذ عن ابيه نزوعه الى المنهج العلمى فخلطه بما انفجر في اعماقه من ينابيع الفكر والفن فكان من ذلك كله هذا المزاج المتفرد الذى نراه فى ابداعه الذى تميز به عن ادباء المرحلة الذين عاصرهم وعاصروه ، وما زال مندفع الخطوات هذا الاتجاه حتى اخر ليل له على هذه الارض فى الثالث من فبراير من عام ١٩٦٢ .

واذا كانت فى حياة الرجل نتوءات مادية بارزة يمكن أن تكون مناطا لحوار فكرى متراحب الساحات ، فان الجدل

الحقيقي الذى ينبغي ان يشكل نقطة الارتكاز في اى تأمل اكاديمى هو الجانب الابداعى الذى تفرع فى اتجاهين متوازيين : اتجاه الثورة الاجتماعية ، واتجاه الثورة الفكرية ... وان كان الفصل الحاسم بين كل من الاتجاهين يبدو فى نهاية الامر عملا غير منهجي ، فليست هناك ثورة اجتماعية مجدبة من مضمونها الفكرى ، وليست هناك ثورة فكرية غير هادفة الى تغيير شكل العلاقات الاجتماعية من هنا أو من هناك !

وتتجسد ثورة اسماعيل مظهر الاجتماعية في دعوته الجارفة — قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢ — الى انشاء (حزب الفلاح) التى أطلقها على صفحات مجلة (العصور — ١٩٢٧) ، فقد ضمنها عديدا من المبادىء المتطورة التى تشير الى ما يملك من فكر متطور جسور ...

التسوية بين الناس فى فرص الحياة ... والغاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط وسن قوانين لتحديد مهاجرة الاجانب الى مصر ... وفرض ضرائب خاصة على الكماليات ومواد الزخرف والرفاهية ... والقضاء على حركة التبذير السارية فى أكثر مرافق الحكومة ، وقيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين ، وحل الاوقاف الاهلية ، وفرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث ، وحماية العمال والفلاحين **بقوانين تحدد اجور وساعات العمل وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء منازل صحية مريحة للعمال . وجعل التعليم مجانا بجميع درجاته ، وحتى كل من العامل والفلاح فى التعويض عند الاستغناء عنه ، وحقه فى الاعانة عند البطالة مع التامين ضد الاصابة والشيخوخة . ومن قانون للتحكيم بين اصحاب الاطيان والمؤجرين ابان اشتداد الازمات الاقتصادية أو حدوث ظروف قاهرة . وتنظيم نقابات واتحادات طائفية ومركزية للعمال والفلاحين في جميع الصناعات والدوائر الاقليمية . والمساواة بين**



اسماعيل مظهر

المرأة والرجل فى الحقوق السياسية والاجتماعية ... والغاء الرتب والنياشين ، ومنع تعدد الزوجات ... وتحريم ملكية الاراضى الزراعية على الاجانب ، وتحديد الملكية الزراعية ... وغرس روح الاخاء الشعبى بين الامم . وعدم السماح بانشاء شركات اجنبية الا فى ظروف ضيقة وفى هذه الحالة يحتفظ للمصريين بنصف اسهمها ...

وهكذا تتجدد ابعاد النظرية الاجتماعية التي كان يبشر بها اسماعيل مظهر ، وهى ان دلت على شىء فانما تدل على ان دعوته الى الاصلاح الاجتماعى لم تكن دعوة مجردة أو غائمة أو مسطحة .. ولكنها كانت دعوة ناهضة على فهم عميق لطبيعة التطور الاجتماعى ، وضرورة ربط هذا التطور بقضية انسانه الحقيقى الذى هو العامل والفلاح ..

فاذا نظرنا الى الاطار التاريخى الذى حمل فيه اسماعيل مظهر لواء هذه الدعوة المقتحمة لراعنا منه ان الرجل كان ثائرا اجتماعيا جسورا بالفعل ، ففي مثل هذه الحقبة التاريخية التى بشر فيها بمبادئه ، كان السجن والتخوين بعض ما يتعرض له زعماء الاصلاح .. وقد ناله بالفعل من ذلك اشياء ..

ولكن عزيمته لم تلن ، حتى فى اللحظات السود التى فقد فيها مايملك من عقار زراعي — وقد كان كثيرا — ظل واقفا مشدود القامة غير فاقد

لصوابه الاتجاهي ، وآثر أن يعود بكل امتلائه الفكري الى قريته (برقين) ليفلح ارضا أجرها هذه المرة من البنك العقاري ، وليرعى عدة جاموسات عجاف ، وليبني برجا للحمام ومزرعة للدواجن ، وليلتحم بفلاح الارض البسيط التحام مودة وتعاطف ومشاطرة كانما لينزل بمبادئه الى واقع التجربة المعاشة ليختبر صلابتها من هشاشتها ، وليحدد على ضوء هذا الالتحام العضوي مسار ماينشد من أصلاح وما يامل من تغيير ..

***

ومن مكابداته الاجتماعية كذلك وقوفه في وجه الانتماء الحزبي بعد ان عجم هذا الانتماء فوقف منه على جوانب فاجعة .. لقد جرد قلمه (في العصور) ليدين كل انحراف عن المثل العليا ، وليؤكد ان قضايا الحرية والحق والخير والسلام قضايا قد تتعرض لبنادق الحقد والتشويه في مرحلة من مراحل التاريخ ، ولكن انتصارها في النهاية حتمية تاريخية غير قابلة للبطش والتخريب ..

ولاتزال حتى شعاراته التي يضعها في صدر مجلته او يتغنى بها دليلا يؤكد صيحة هذه القضايا في اعماق تفكيره الاجتماعي : (اعرف نفسك بنفسك) .. (خير لي ان اكون مقيدا أطالب بحريتي من ان اكون حرا لا اساوي العبد !) .. و (ان حرية الفكر كانت بردا وسلاما على كل مايصدر عن العقل الانساني من اثار ، سواء في ذلك الدين او الادب او العلم او الفن او ايما شيء يكون للعقل اثر فيه ..)

فاذا انتقلنا الى تأمل الجانب الاخر جانب الثورة الفكرية في شخصية اسماعيل مظهر واجهتنا نفس هذه الخصومة المتدفقة ، وواجهتنا كذلك ملامح الاصالة الحقيقية في تناول القضايا وتاصيل المفاهيم ، فهو من الناحية الكمية رجل الف عن مصر القيصرية ، وعن تاريخ الفكر العربي وعن الحضارة اليونانية ، وعن النشوء والارتقاء، وعن نزعة الفكر الاوروبي في القرن التاسع عشر ، وعن التجديد العربية ، وعن اسبيورا وعن قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية ، وعن قاموس النهضة ، وعن المعاجم ، وعن دائرة المعارف ، وعن الموسوعة العربية الميسرة وعن حيتان البحار ، وعن طاغور ، وعن الاسلام وعن الشيوعية.

وهو قد ترجم أصل الانواع ، وحياة الانواع ، وحياة الروح في ضوء العلم ، ونشوء الكون ، وتاريخ العلم ومعضلات المدينة الحديثة ..

هذا من الوجهة الكمية ، ومن الوجهة النوعية نجد ان الرجل كتب بعمق وطموح معا في الادب والنقد والعلم والفلسفة والسياسة والاجتماع .. وعرف الى جوار عربيته الوائقة : الانجليزية واليونانية واللاتينية وكانت معرفته بهذه اللغات من خلال حركة تثقيف ذاتي قادها بنفسه لنفسه .

وكان داعية من دعاة التجديد التنوير في كل مجال من المجالات التي خاضها بقلبه .. ففي الادب رفض ان يكون الخلق مجرد شكل جمالي ، .. وفي النقد رفض ان تكون قداسة مسبقة لاي من الاراء ، وفي العلم رفض ان يكون كل زادنا منه ان نقرأ عنه ولا نقرأ فيه . وفي السياسة رفض ان يكون الكذب رايتها المرفوعة .. وفي الاجتماع رفض ان تكون الخرافة واجهة التفكير ..

ولم يكن رافضا بالعجز عن استيعاب حقائق الاشياء ، ولكنه كان رافضا بالبحث عن بدائل فنية وسياسية واجتماعية حتى لا يترك قضاياه معلقة هكذا في الفراغ !

فحين يتصدى مثلا لتجديد العربية يؤصل مقولاته في هذا الصدد على أسس علمية يمكن ان تكون زاوية انعطاف حادة في تاريخ الفكر العربي . واذا كان الجمود عدوه اللدود فان

التجديد يمثل بالنسبة اليه بدءالحركة وختامها جميعا ..

لقد راعه مظهر جمود اللغة العربية ازاء كثير من المسميات المستحدثة فنقب فى تاريخ هذه اللغة وفى مادتها كذلك ليستخلص لنفسهصورة حقيقية عن واقع هذه اللغة فى كل طور من اطوار تاريخينها المتعارفة ، ثم ليهتدى الى عناصر الاقتدار والفعل والمطاوعة فى اصول هذه اللغة وفى اشتقاقاتها وقياساتها ليدفع بها فى وجه التطور وفى جدل الرفض والقبول .. فكان كتابه الجسور (تجديد العربية) الذى حاول من خلاله ان يوضح موقفه من الوسائط التى نمت بها اللغة فى عصور الرواية : (العصر الجاهلى وما يليه حتى منتصف القرن الثانى فى الحاضرة ومنتصف القرن الرابع فى البادية) وان يحدد رايه فى قضايا التعريب ، والبحث ، والزيادة ، والاقتباس ،وهو كما يقول : (مبحث جديد استخلصته فى اللغة) ويامل ان يكون اساسا جديدا صالحا ينتحى فى وضع الاسماء الاصطلاحية ..

اما فى مجال التعريب فكان يرى اننا فى حاجة اليه ولكن بقصد وبقدر على ان نتقيد فى هذا التعريف بقواعد اخصها ان يكون المعرب على وزن عربى من الاوازن القياسيةاو السماعية حتى يلائم جرسه جرس الكلمات العربية فلا يحس منه المتلقى العربى نشازا عن سواء اللغة التى الفسها واستراح اليها لان القياس (يفتح على اللغة ابوابا واسعة تجعلها تفوق كل لغات الارض فى القدرة على الوضع اللغوى الاصيل) ..

وتنويها على هذه الاساسيات لم يشا اسماعيل مظهر ان يظل مجرد داعية الى التجديد او مجرد محرض عليه .. ولكنه نزل الى ارض الواقع التطبيقى فقاتل تحت شعاراته التى رفعها وحرض عليها من خلال اعماله الجمعية والمعجميه والموسوعية.

لقد شارك بجهود هائلة فى اعمال مجمع اللغة العربية ، ووضع معجم التفقه ومعجم الثدييات ، وقاموس النهضة ، وقاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية ، وشارك فى تحقيق لسان العرب ، ووضع الموسوعة العربية الميسرة .. وظل حتى اخر ارماقه على الارض يحمل عبء التغيير فى اللغة التى احبها وعانى من دوار الخلق فى اطارها الخارق الاتساعات!

هذا مثل من امثلة الرفض بالبحث عن بدائل موضوعية لما يثور عليه هذا الكاتب المقتدر الجسور ، وفى وسع الباحث ان يتأمل عديدا من الامثلة فى عديد من الاتجاهات اذا هو حاول ان يستقطب ابداع اسماعيل مظهر من الوجهة الاجتماعية والوجهة الفكرية ..

وسيكون حصاد الرحلة موائما لطموح الفعل فى هذا الصدد ، فان رجلا قاد حركة تثقيف ذاتى حتى شارف هذا الامتلاء العظيم .. وقاد حركة تغيير اجتماعى وفكرى حتى احدث كل هذا الدوى ، لا يمكن ان يكون حصاد الارتحال فى ابداعه اقل حجما من ثقافة جيل بكامله ، بكل ما يحمل هذا الجيل من ملامح الريادة والفذاذه والتاصيل !

ان رجلا قاتل من اجل حزب للطبقة الكادحة ، وباع فى سبيل آرائه كل مايملك من نشب، وحرض على مداومة الثورة من اجل ابداع جديد ، وزاوج فى خلقه الفكرى بين العلم والادب ، وعاش حياته مثالا لشموخ الرأى وجسارةالرجل ،ورأس تحرير ((العصور)) و ((المقتطف)) ، ومات فى ابهاء مجمع الخالدين .. ان رجلا فجر كل هذه القضايا ، وعايش كل هذه التحولات ، لهو اقمن قمين بان يظل فى منطقة الضوء بعيدا عن مناطق الصمت والتجاهل ورفض كل ما يحرك فى اتجاهات الحياة !

أشكال القصيدة العربية في العصور المتأخرة

د. حسين نصار

● اتبع شعراء هذه الحقبة من العصور المتأخرة ، الاشكال الشعرية التي سار عليها أسلافهم ولم يبتكروا شيئا جديدا غير بعض التفريعات . ولكنهم اكثروا من النظم في بعض هذه الاشكال حتى صارت سمة عليهم ، مثل التشطير ، والتخميس وما اليها ..

وقد أبان صفى الدين الحلي أن من هذه الاشكال ما التزم اللغة العربية الفصحى كالقصيدة ، ومنها ما التزم العامية كالزجل ، ومنها ما خلط بينهما كالموشح ...

وقد التزم بما قال الشعراء الذين ندرس حقبتهم . وهاك بيان هذه الاشكال وما تفرع عنها ، وقواعدها :

● القصيدة :

التزم الشعراء المملوكيون والعثمانيون الشكل المعروف للقصيدة العربية ، من اتباع أحد الاوزان الستة عشر ، وقافية واحدة ، وبدء بالنسيب ، وتخلص منه الى الغرض الاصيل ..

ولكن هذا الالتزام نفسه أدى الى وجود اشكال شتى للقصيدة . فقد التزم بعض الشعراء قصائد معينة احتذوها ، مما أدى الى ظهور ما سموه « المعارضة » والتزم بعضهم قصائد معينة ، ولكنهم لم يحتذوها ، وانما اقتطعوا أجزاء منها أضافوا اليها أجزاء من عندهم على ترتيب معين ، مما أدى الى ظهور ما سموه بالتشطير والتخميس .. الخ .

● المعارضة :

احتذاء الشاعر قصيدة قديمة في الوزن والقافية وحدهما ، ولا حرج عليه ان يختلف معها في الغرض الذي يستهدفه .. والمعارضة يلجأ اليها عادة الناشئون من الشعراء لتيسر عليهم الوزن والقافية ، وما ان تثبت أقدامهم حتى يعدلوا عنها .. ولكن الكبراء من شعراء هذا العصر لم يكونوا يرونها منقصة بل كانوا يتبارون فيها ويفتخرون بها ، فأقبل عليها الحلي وابن نباته ، وابن حجة ، والقيراطي ، وغيرهم .

وراجت عندهم معارضة قصائد معينة مثل لامية العرب للشنفرى الجاهلي - وبردة كعب بن زهير المخضرم ، ومقصورة ابن دريد ، ولامية العجم للحسين بن علي الطغرائي ، وبردة البوصيري ..

● التشطير :

أن يبني الشاعر قصيدته على بحر قصيدة قديمة وقافيتها ، ثم يدخلها في قصيدته على النحو التالي : يجعل من الشطر الاول في القصيدة القديمة أول أشطار قصيدته ، ثم يجعل من الشطر الثاني فيها رابع أشطار قصيدته ، ثم ينظم هو الشطرين الثاني والثالث . ويستمر على هذه الصورة في بقية القصيدة

ولم يكن التشطير أمرا هينا ، ولذلك كان أكثر ما شطروه المقطعات ، وان

● حظيت الموشحات الصوفية بأكثر رواج لها في العصر العثماني وامتازت بالتنوع في الاوزان والالتزام باللغة الفصحى.

شطروا البردتين وبعض القصائد الاخرى التى نالت من اعجابهم الغاية • وكان شيوع التشطير فى العصر العثمانى أكثر من شيوعه فى العصر المملوكي • وأمثل له بقول عثمان بن محمد بن حسين الشمسى : (١)

وأغيد لؤلؤى الجسم ذى هيف — متمم الحسن ، فيه كم أرى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته — انقض يرشف شهدا جوز الشنبا

شطرها عثمان بن أحمد الصفائي ـ فقال :

وأغيد لؤلؤى الجسم ذى هيف — بوجنة أشرقت ، منها الفؤاد صبا
البدر طرته ، والغصن قامته — متمم الحسن ، فيه كم أرى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته — قد زاد حسنا ،ومن أعلى الخدود ربا
وحين خاف اللظى فى الخد يحرقه — انقض يرشف شهدا جاوز الشنبا

● التخميس :

ان يبنى الشاعر قصيدة له على بحر قصيدة قديمة ويدخلها فيها ، وله صورتان : صورة شائعة يضع فيها الشاعر ثلاثة أشطر ينظمها ويلتزم فيها قافية الشطر الاول من القصيدة القديمة ، ثم يورد البيت الاول من القصيدة القديمة • ويسير على هذا المنوال فتسير قافية القصيدة القديمة قافية لكل خامس شطر من القصيدة الجديدة •

مثال ذلك قول ابن حجة الحموى فى تخميسه على بردة البوصيرى : (٢)

لما مزجت دمى بالدمع من الم — وهمت فى لجج الدمعين من سقمى
قالوا بعيش مضى مع جيرة العلم — (أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

ام هل شدت دات طوق شدو هائمة — أم من بروق بثغر السفح باسمة
أم عن شذا نسمة بالقرب ناسمة — (أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من أضم)

والصورة الثانية يجعل فيها الشاعر الشطر الاول من القصيدة التى خمسها شطرا أول لقصيدته ، ويعقبه بالاشطر الثلاثة التى ينظمها على قافيته ثم عجل القصيدة الاصيلة • فيفرق بذلك بين الشطرين الاصليين ، على حين وردا متتاليين فى الصورة السابقة •

قال الأدكوى فى تخميس له على أبيات من نظمه أيضا : (٣)

(اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل) — عليه بما قد كان يرجو ويأمل
وأضحى بثوب التيه والكبر يرفل — وصار يرى منك المودة تنقل
(عليه ولم تخطر عليه ببال)

وكان اقبال الشعراء المملوكيين والعثمانيين على التخميس يفوق اقبالهم على

---

(١) الجبرتى ٤ : ١٧١ ١٨٢
(٢) وبداوى ١٢٤ • ديوان البوصيرى ١٩٠ •
(٣) الجبرتى ٣ : ٣٦

التشطير وبقية الاشكال ، فخمسوا أكثر القصائد التى عارضوها والابيات التى أعجبوا بها ، بل شارك أكثر من شاعر فى تخميس أبيات معينة ..

ولكن بردة البوصيرى حافظت على سبقها ، حتى اننا نعرف ما يقرب من ١٠٠ تخميس لها ، ونعرف من أبناء العصر الحديث من فعل ذلك .

● **التسبيع :**

أن ينظم الشاعر خمسة أشطر ثم يضم اليها البيت الاول من قصيدة قديمة فتصير سبعة أشطر ، ثم ينظم خمسة أخرى يضم اليها البيت الثانى من القصيدة القديمة ، ويلتزم فى القوافى ما التزمه فى التخميس ..

وتعدى بعض الشعراء التسبيع الى التعشير . وسار فيه على النمط نفسه ، غير أن الاشطر التى نظمها كانت ثمانية ثم أضاف اليها بيت القصيدة القديمة .

وكل النماذج التى وجدتها فى هذه الاشكال كانت تدور حول بردة البوصيرى ويبدو انها من نظم صوفية قدسوا البردة ، فتبركوا بما فعلوا فيها . وأضافوا الى ذلك التزاما آخر ، فبدأ بعضهم كلا فقرة من فقرات قصيدتهم باسم الجلالة ، وبعضهم باسم النبى صلى الله عليه وسلم .

يقول محمد الخلوتى القادرى فى تسبيعه الذى التزم فيه اسم (محمد) :

محمـد جـاء بالآيات والحكـم ... مبشرا ونـذيرا جملـة الأمم
ومخبرا عن عهود الخلق فى القدم ... وموصلا خبر الأحبـاب فى الحرم
فقلت للقلب لما طـاش مـن الـم : ... (أمن تذكـر جيران بذى سـلم
مزجت دمعا جرى من مقلـة بدم)

● **التضمين :**

استعارة الشاعر قطعة من شعر أو قول قديم وادخاله فى قصـيدته . وقد أولع شعراء هذه الحقبة به ولعا شديدا ، لم يفلت منه أحدهم مهما بلغت منزلته، فقد كان موضع فخرهم .

وأصل التضمين وأكثره استعارة قطعة من الشعر . ويختلف مقـدار هـذه القطعة اختلافا كبيرا . فقد تكون جزءا من شطر ، مثل قول صدر الدين بن الادمى الذى ضمنه من معلقة امرىء القيس : (١)

احن الى تلك السـجايا وان نأت ... حنين أخى (ذكرى حبيب ومنزل)
واهدى اليها من سـلامى معطـرا ... بمسك سحيق لا (بربا القرنفل)
واذكر ليلات بكم قد تصـدمت ... (بذكرى حبيب) لا (بدارة جلجل)

أو تكون الشطر تاما كما فى رد ابن حجة على صدر الدين :

سرت نغمة منكـم الى كأنمـا ... (نسيم الصبا جاءت بربا القرنفل)
وقلت لليلى مذ بدا جنح طرسـها ... (الا أيها الليل الطويل الا انجل)
جنت ما حلا ذوقا فقلت : تقربى ... (ولا تبعدينى من جنـاك المعلل)

وقد تكون القطعة أكثر البيت مثل قول ابن نباته الذى ضمنه قول جرير :(٢)

لأنتم (خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح)

وقد تكون البيت تاما ، مثل قول ابن حجة الذى ضمنه قول المتنبى : (٣)

ولم يبق فيه للصـنيعة موضـع ... وللسيف فيه موضـوع قد تمهـدا
(ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندى)

---

(١) ربداوى ٢٢٩
(٢) ديوانه ١٢٠
(٣) ربداوى ٢٢٤

وتعدى التضمين الشعر الى غيره من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة والامثال وأقوال العرب •

● **الموشحة :**

يبدو أن كتاب « دار الطراز » الذى وضع فيه الشاعر الايوبى ابن سناء الملك قوانين الموشحات كان عاملا حاسما فى نشر الموشحات ، واقبال الشعراء على نظمها • فلا نكاد نسمع عن شاعر لم يشارك فيها •

وأكثر ما نظمت الموشحات فى الغزل والمدح والتصوف ، واختلط الغزل بالخمر ووصف الطبيعة فيها مثل اختلاطه بهما فى القصائد • ولكن الموشحات الصوفية حظيت بأكثر رواج لها فى العصر العثمانى ، وان لم تفقد نصيبها من العصر المملوكى عند الششترى والسروجي خاصة •

واحتذى الوشاحون موشحات الاندلسيين ، حتى قيل عن الحلى (١) « كان لا يكاد يسمع بموشحة نالت حظا من الشهرة الا عارضها » • ولكن ذلك لايحرم المشارقة من بعض الابتكار ، والتغيير الجزئى الذى اجروه عليها •

فقد ابتكر صفى الدين الحلى ما أسماه « الموشح المجنح » « والموشح المضمن » أما الثانى فقد عرفناه فى التضمين • وأما الموشح المجنح فسماه بذلك لاتفاق قوافى اقفاله ، واتفاق قوافى أبياته ، فهو اذن ذو قافيتين ــ قال : (٢)

عزمت ــ يا متلفى ــ على السفر ... واطول خوفى عليك ، واحذرى
يؤيسنى من لقاك قولهم ... بانه لا رجوع للقصر
تمهل ، مضينى جفاك ... تجمل ، ذبت فى هواك
يا من حكى الظبى فى تلفته ... وفاقه بالدلال والخفر
اتلفتنى بالصدود معتديا ... فذل عزى ، وعز مصطبرى
تدلل ، مهجتى فداك ... تمهل ، بعض ذا كفاك

فالتزم الراء فى جميع الابيات ، والكاف فى كل الاقفال ، واضاف الى ذلك قافية داخلية ، هى اللام ، التى التزمها فى الكلمة الاولى من أغصان الاقفال ، التى التزم أن تكون على وزن تفعل أيضا •

وصرح تاج العارفين البكري الصوفى انه نظم موشحه الآتى على غير قياس :

خالف العذال ان قالوا : افق من شراب القوم
واعص من قال : انتبه لى واستفق فاغتبط بالنوم
ليس ما قلت على ما يتفق انا وحدى اليوم
واحد الدرة قطب العالم
ملتقى البحرين معنى آدم

وكذا قال عن موشحه : (١)

سيد الأحباب !
طلعة المحبوب كل القصر
هكذا هيمت كل البشر
كيف لا تسرى بكل الصور
وهم هالات

---

(١) علوش : شعر صفى الدين الحلى ٣٣٢
(٢) ديوانه ٤٥٥ •
(١) ديوانه



وخلط بعضهم بين الموشح والدوبيت ، مثل الشهاب العزازى فى قوله : (٢)

أقسمت عليك بالأسيل القاني أن تنظر في حال الكئيب الفاني
أو تقصر عن اطالة الهجران يا من سلب المنام من أجفاني
ما أليق هذا الحسن بالاحسان

ويمضى على هذا النسق حتى ينظم سبعة ادوار ، تجمع بين سبعة أغصان وسبعة أقفال •

وقد نوع الوشاحون فى هذه الحقبة فى عدد الاغصان التى الفوا منها أبياتهم وأقفالهم ، وعدد الادوار التى ألفوا منها موشحاتهم ، تنويعا واسع النطاق • كما نوعوا فى الاوزان التى صاغوها عليها •

ويستحق التسجيل أن القليل منهم من التزم أن تكون خرجة الموشحة ماجنة مثلا قال ابن مكانى مما جاء فى ديوانه ••

واحتذى بعض الشعراء الشعبيين شعراء الفصحى وأخذ من الموشح قالبا فنيا له •

● **المسمطات :**

وتقرب المسمطة من الموشحة فى الشكل ، غير انها تلتزم الاشطار الخمسة ، على حين تتعدد الاشطار فى الموشحات تعددا بعيدا •

ولا تنافس المسمطات المخمسات أو الموشحات فى الانتشار • فهى قليلة العدد ، اقتصرت عند الحلى على وصف الصيد الذى تخلله المدح والشكر ، وعند ابن مكانس على الغزل الذى ارتبط بالخمر ووصف الطبيعة • ونظم ابن دقيق العيد مسمطته فى المدح النبوى الذى استهله بالغزل •

وهاك مثالا من مسمطة ابن دقيق العيد : (٣)

اضرت بى البلوى ، وذو الحب مبتلي يعالج داء بين جنبيه معضلا
ويثقله من وجده ما تحملا وتبعثه الشكوى فيشتاق منزلا
به يتلقى راحة المتودع

● **المزدوجة .**

قصيدة من بحر الرجز يقفى فيها كل شطرين بقافية واحدة ، قد تختلف مع قافية الشطرين السابقين واللاحقين ، وهى فى الغالب من الشعر التعليمى •

(٢) محمد زغلول ٣٠٤ فوات الوفيات ١/١٦٦
(٣) على صافي ١٤٧ •

وليست المزدوجة وليدة هذا العصر · ولكن شعراءه وعلماءه أكثروا من استخدامها لضبط العلوم المختلفة وتيسير حفظها ، وخاصة فى العهد العثمانى ·

فنظم جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الجيانى فى النحو الالفية فى ألف بيت تقريبا ، والكافية الشافية فى ٣٠٠٠ بيت ، وفى اللغة « النظم الاوجز فيما يهمز » ، وفى القراءات منظومة فى مقدار الشاطبية (١١٧٣ بيتا) · ونظم ضياء الدين أو الحسن على بن سليمان المعروف بابن الاذرعى التنبيه فى الفقه من ١٦٠٠٠ بيت ·

ونظم ابن الشهيد السيرة النبوية لابن هشام فى خمسين الف بيت · ونظم حسن بدرى الحجازى فى المنطق « الدرة السنية فى الاشكال المنطقية » · ولن تجد علما عرفوه لم ينظموا فيه ·

ونظما بن نباته مزدوجة وصف فيها الصيد والطبيعة ، ومدح الملك المنصور، وسماها « مصائد الشوارد » · قريبة الشبه بطرديات أبى نواس الرجزية ـ قال : (٢١)

اثنى شذا الروض على فضل السحب	واشتملت بالوشى ادفف الكتب
ما بين نور مسفر اللثام	وزهر يضحك فى الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر	فهى لعمرى هذه الأزاهر

● الزجل :

يمكن القول بأن الزجل هو الشكل العامى للموشح · ولهذا تتجدد أوزانه وتتعدد قوافيه ، وتتنوع أدواره ، ولا تقف عند حد ، فتتيح للزجال حرية بعيدة· والاصل فى الزجل أن يكون عامى اللغة ، ولكن الزجالين خلطوا فى أزجالهم بين اللغتين الفصيحة والعامية ·

ومن شعراء الفصحى من أنف من الزجل ، ونزه نفسه عن نظمه مثل ابن نباته · ومنهم من شارك فيه ، وأصدر منه مجموعة طيبة مثل صفى الدين الحلى· بل لقد فعل الحلى فيه ما فعله فى الموشح ، من العناية به والبحث عن المشهور منه ومعارضته ·

وعنى الصوفية بالزجل فنظموا منه الكثير لقربه من افهام العامة · والامر الغريب ان الزجل زاحم الشعر فى هذه الحقبة ، ونافسه فى مواطنه · فقد صار الزجال خلف الغبارى شاعر السلطان الاشرف ، الذى يؤرخ للاحداث ويشيد بالانتصارات ·

ونمثل للزجل بقول الزجال المصرى :

(٢١) ديوانه ٥٨٥ ·
(٢٢) محمد زغلول ٣١٤ ـ ٣١٥
(٢٣) المر : كسب ·

● اضافة الى مانشر فى ((الهلال)) اخيرا – من :

چان پول سارتر

ضمير عصره

كانت افكاره تتوهج بالثورة ..
وكلماته فيها طعم الماء ورائحة الدم !

جلال العشرى

● **وكما يرفض سارتر فى التحليل النفسى الوجودى فكرة اللاشعور يرفض معها بالتالى فكرة الرقيب ، فعنده ان الرقيب اذا كان يعمل بدقة وتمييز كما يريد له ((فرويد)) فلابد ان يكون واعيا بما يكتبه ، لابد ان يقرر ما سوف يكتبه ، وما سوف يسمح له بالمرور ، ويميز بين كل منهما ، والا كيف نفسر سماحه بالتعبير عن دوافع الجوع والعطش ، والدوافع الجنسية المشروعة ، ومنعه من التعبير عن الدوافع الاخرى ؟ ..**

يقول سارتر ان مقاومة المريض تعنى ان الرقيب يستعيد ما قد كتبه ، وتعنى كذلك ان الرقيب يدرك الهدف الذى يرمى اليه المحلل النفسى بالاسئلة التى يلقيها على المريض ، وهى تدل على وجود عملية ذهنية يقارن فيها الرقيب الطرفين احدهما بالاخر ، يقارن ما قد كتبت من ناحية بالفرض الذى افترضه المحلل النفسى ، لكن يفسر به حالة المريض من ناحية اخرى .

فاذا كان على الرقيب كما يقول سارتر ان يقوم بكل هذه العمليات ، وهو قائم بها بالضرورة ، لكى تتحقق مقاومة المريض ، فان هذا يحتم أن يكون الرقيب واعيا شاعرا بالموقف كله ، وهذا معناه الغاء فكرة اللاشعور التى تستلزم فكرة الرقيب ، والغاء فكرة الرقيب المترتبة على فكرة اللاشعور .

والسؤال الآن : اذا كان سارتر قد عمل على الغاء هاتين الفكرتين وهما دعامتا التحليل النفسى الفرويدى ، فبماذا يستبدلهما ؟ ..

انه يستبدلهما بفكرته عن خداع النفس أو سوء الطوية ، وهو كثيرا ما يعنى بها الكذب ، الا ان سارتر يفرق بين الكذب بالمعنى المعروف ، وبين الكذب بمعنى خداع النفس ... فالاول يعنى ان الكاذب يكون واعيا كل الوعى بالصدق الذى يخفيه ، وعادة ما يكون خبيثا يؤكد فى عقله الصدق ، وينفيه فى كلامه لمصلحته الشخصية . والكذب بهذا المعنى يتضمن وجود شخصين ، ويستفيد من الثنائية الوجودية بين الذات وبين الغير ، **وما هكذا خداع النفس** ، فالشخص فى حالة خداع النفس ، لا يخفى الصدق عن شخص آخر وانما هو يخفيه عن نفسه ، وفى هذه الحالة لا يكون هناك خادع ومخدوع .

ويقول سارتر فى خداع النفس :

((ان هذا الخداع قوامه توليف افكار متعارضة ، أى افكار تؤيد حكما وتنفيه فى ذات الوقت ، على ان التوليفة الناتجة عن ذلك تستفيد من

الازدواج فى الطبيعة الانسانية ، ذلك الازدواج الذى يرتبط احـــد طرفيه بالواقع ، بينما يحاول الطــــرف الآخر أن يجاوز ذلك الواقع الى ما هو مثالى » .

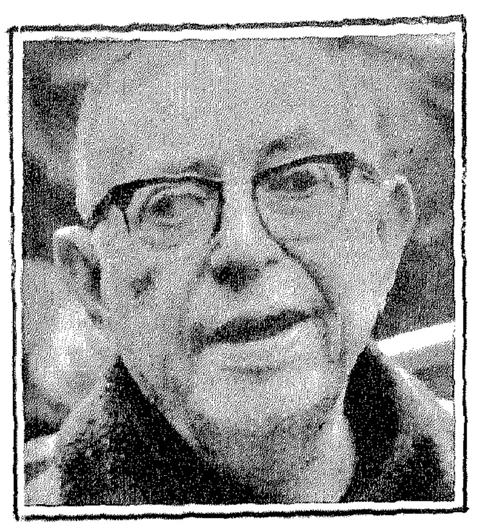
ان مبدا التحليل النفسى الوجودى هو ان الانسان عبارة عن كينونة كلية شاملة وليس تجمعا او تجميعا ، وغاية هذا التحليل هو تفسير النشــــاطية التجريبية لدى الانسان ، وبناء على هذا التحليل ، يجب رد الســـلوك الجزئى الى العلاقات الاساسية ، اى الى الكينونة ، وليس الى النـــاحية الجنسية ولا الى ارادة القوة .

وهـذا التحليل يسترشد منـــذ البداية لكى يتجه الى اســـتيعاب الكينونة ، والى اكتشاف نمط كينونة الانسان فى مواجهة العالم ،والى كشف الحرية الأولية والاختيــــار الذاتى التلقائى ، واذا ما تم تصنيف النتائج ومقارنتها ، أمكن تمهيد الطــريق للمناقشة العامة للحقيقة الانسانية ، باعتبارها الاختيار التجريبى للغـايات التى تنشدها هذه الحقيقة .

تلك هى الخطوط العـــريضة فى نظرية التحليل النفسى الوجـودى لدى سارتر ، كما أودعها كتـــابه الشهير « الوجود والعدم » وعندما ظهر هـذا الكتاب فى عام ١٩٤٣، لم يكن التحليل النفسى الوجودى قد وجد فريهد على حد تعبير العالم النفسى **بيتر ديبيسى** فى كتابه ((**علم النفس عند ســـارتر**)) وقد تلافى سارتر بنفسه هذا النقص، فطبق فى عام ١٩٤٧ نظريته على حالة **بودلير** .

وسارتر انما يذكـــر حالة **بودلير** ، ويفصل القول فيها على انها تمثـــل تماما تلك الفكرة الجديدة التى ادخلها على التحليل النفسى ، بدلا من فـكرة **اللاشعور وفكرة الرقيب** الا وهى **فكرة خداع النفس** .

ان **بودلير** كما يراه سارتر انســـان اختار أن يرى نفســــه كما لو كانت شخصا آخر ، وحياته هى قصة هــذه الهزيمة، قصة عدم قدرته على أن يرى نفسه فى عين نفسه ، ان سبب الفشل يرجع الى انه يعى ان رؤيته للاشـياء



جان بول ســارتر
الفيلسوف وضمير العصر

هى رؤية ضمن الأشياء المرئية ، انه يعرف انه لن يحصل على الاطلاق على ملكية للذاته ، انه محمل بذاته ، انه يشعر بالغثيان .

لقد اكتشف بودلير كما يقول سارتر **انه واحد ووحيد ، وان الحياة قد منحت له لا شيء،وبالتالى فقد تصور العزلة كمصير ، وهذا هو الاختيــار الاصيل الاولى الذى اتخــذه بودلير لنفسه ، ان بودلير وقد شعرانهمهجور ومنبوذ لم يستسلم للعزلة القاسية ، بل تصور انه يطلب هذه العزلة ، لقد عاش نفسه باعتباره شخصا آخر،وهو يؤكد هذه الأخروية ... فهو يشعر ويرغب فى ان يشعر بانه فريد ، فريد فى الفرح المعزول .. فريد فى الـرعب المنفى .**

ان اختيار بودلير كما يقول ســارتر هو وعيه ، وهو مشروعه الجوهرى ، لقد تشبع باختياره ، حتى لقد اصبح هذا الاختيار شفافا ، اصـــبح نور رؤيته وشعلة تفكيره ، ولكن الاختيــار الاصلى لبودلير تم فى حالة من خداع النفس أو ســوء الطوية ، وما ظهـــر فيما بعد عندما وحد بين نفسه وبين ماضيه ، وتلك كانت محاولة للافــلات من الحرية .

والنتيجة ، النتيجة ان بودلير كمـا يقول سارتر لم يقدم لمجتمعــــه شيئا سوى بعض الأشياء غير المجدية ، وظل

منغلقا فى قيعان نفسه ، مشـــغولا بأغوار ذاته ، لقد اختـــار ان يعيش لنفسه ، ومن ثم كان شـــاهدا على الحقيقة التى تذهب الى ان الاختيـار الحر الذى يصنع به الانسان نفسه هو اختيار يقوده الى مصيره ...

تلك هى نظرية سارتر فى التحليل النفسى الوجودى ، وهذا هو تطبيقـه لنظريته على الشاعر الفرنسى الشـهير شارل بودلير ، واهمية التحليل النفسى الوجودى لا تقتصر على استكمال دائرة المذهب الوجودى الذى دعا اليه سارتر وكفى ، ولكنها همزة الوصل بين عالم الأشياء وعالم الانسان ، أو بين عالم الوجود وعالم الحرية ، على اعتبـــار انه اذا كان الانسان حرية ، فالفنان حرية مطلقة ، وهذا هو سر اهتمام سارتر بالرواية وعالم الرواية ، فعنده ان الروائى مفكر فينومنولوجى ، عينه تظل مثبتة على ما تفعل ، لا على ما يجب ان نفعل ، او المفروض أن نفعله .

وهو واصف أكثر منه شـــارح ، وبالتالى فهو يشارك كما تقول **ايريس ميردوخ** فى اكتشافات الفيلســوف ، وعلى ذلك فالرواية صورة وتعليق على الوضع الانسانى ، كما انها نتاج نمطى للحقبة التى تمت اليها كتابات **نيتشه** وعلم نفس فرويد وفلسفة سارتر .

فماذا عن الرواية الوجــــودية السارترية ، او الرواية الوجودية عنـد سارتر ؟ ..

يقول سارتر .. ان كل شخصية من شخصـــياتى قد لا تاتى اى شىء على الاطلاق ، بعد أن تكون قد فعلت كل شىء ، وأنا لا أحسب حسابا لما اذا كان من الممكن تصديق العقـــــل فى ضوء افعالها السابقة ، ولكننى اهتم بالموقف وبالحرية الـكامنة فيه ، ففى روايات زولا — يتبع كل شىء اقسى قـــدرية ممكنة ، فشخصياته ذات ماض ، ولكن شخصياتى ذات مستقبل .

هكذا يحدد **سارتر** أسلوبه الفنى فى كتابة الرواية ، فهو انما يصـــدر فى الواقع عن نظرته الفلسفية الاكثر شمولا ، ولا يتبع فى رواياته الأساليب التقليدية .. مثل الاهتمام ببنـــاء الشخصية والحدث ، وهما الركيزتان الأساسيتان اللتان تقوم عليهما الرواية . واشـارته الى زولا تؤكد انه اذا كان كتاب الرواية قد ساروا على مبدأ تطور الحدث تبعـا للدوافع الداخلية للشـــــخصيات ، وللظروف البيئية المحيطة بها ، أى عملا بقانون الحرية والضرورة ، فان **سارتر** انما يختار لنفسه ولرواياته منهجـــا آخر ، ومنطلقه الفلسفى فى عدم اقامة عالمه فى الرواية على الأسس التقليدية المعروفة ، هو انه لا يؤمن بأن الانسان محكوم بالوراثة والبيئة ، بل ولا حتى بماضيه ، وانما الانسان حرية ، ومحكوم عليه بالحرية ، وبالتالى لا يمكن التنبؤ بما سيأتيه من اعمال فى اللحظـــــة التالية ، باعتباره قادرا على أن يتخلص من ماضيه ، وأن يختار طريقا جديدا فى كل لحظة .

وسارتر لا يصور التجربة الانسانية عن طريق قصة محبوكة الأطراف ، وانما ينقلها من خـــلال متواليات مشهدية لا تخضع لتطـــور الحدث فى الرواية التقليدية ، من موقف الى عقـــدة الى نهاية ، والشكل هنا انما ينبثق من ان الحياة فى نظر سارتر ليست الا مجموعة من الأحداث المنفصلة ، لا تحمل معنى ولا تؤدى الى شىء .. وهذا ما عبر عنه انطوان روكنتان بطل رواية ((الغثيان)) بقوله :

((الانسان دائما قصـاص ، يعيش محاطا بقصصه وقصص الآخرين ، يرى كل ما يحدث له من خلالهم ، ويحـاول ان يحيا حياته كما لو كان يحكيها)) .

اى أنه لا يرى وجودا للتتابع الحقيقى للتجربة البشرية ، وادراكه لهــــذه الحقيقة هو الذى يجعله يدرك استحالة ان يقص علينا قصصا محبوكة .

وتلك هى الرؤيا التى يعبر عنهــــا **سارتر** من خلال الشكل الوجـــودى للرواية ، الذى لا يتبع الشكل التقليدى

● فكرة خداع النفس عند سارتر بديلة عن فكرة اللاشعور في علم النفس

● التحليل النفسي الوجودي هو همزة الوصل بين عالم الأشياء وعالم الإنسان

لتطور الحدث ، ولا لبناء الشخصية ، فالمتواليات من التجارب التي يمر بها روكانتان كافية الآن تطور هذا المفهوم الوجودي ، اى انفصال الشخصية عن الأنا ، وعن البيئة الاجتماعية ، وعن الماضي .

واذا كانت كل ملامح رواية «الغثيان» الفكرية والفنية تؤكد شيئا واحدا وهو الحرية ، فهذا هو المحور الأساسي الذي تدور حوله روايات سارتر جميعا ، فان قضية الحرية .. ما تدل عليه وما تؤدي اليه هي السؤال الضخم الذي يطرحه سارتر في جميع قصصه ورواياته ابتداء من مجموعته القصصية «الجدار» ١٩٣٧ – ١٩٣٩ ، وروايته الفلسفية « **الغثيان** » ١٩٣٨ ، وثلاثيته الروائية « **دروب الحرية** » التي صدر منها « **سن الرشد** » و « **وقف التنفيذ** » ١٩٤٥ ، ثم « **الموت في النفس** » ١٩٤٩ واخيرا يجيء الجزء الرابع بعنوان «**الفرصة الأخيرة**» الذي وعد به سارتر ولكنه لم يكمله .

اما مجموعته القصصية « الجدار » فان كل قصة من قصصها الخمس تصور فكرة فلسفية اثيرة لدى سارتر، فالقصة الاولى وهي بعنوان « المجموعة » ، يرد بها على فكرة هيدجر بان الانسان يستطيع ان يعيش في اتجاه موته ، ومن ثم يمكن ان يؤنس هذا الموت ، والقصة الثانية بعنوان «الغرفة» تصور استحالة ان ينفذ العقل بالارادة من عالم الجنون، والقصة الثالثة بعنوان «ايروستريتوس» تحاول ان تستكشف حدود النزعة اللا انسانية ، والقصة الرابعة بعنوان « صميمية » عبارة عن دراسة لفكرة خداع النفس او سوء الطوية ، اما القصة الخامسة والأخيرة وهي « طفولة زعيم » فقصور الطريقة التي يمكن للعقل الانساني أن يهرب بها من الشعور بكونه زائدا عن الوجود ، وذلك بالاندفاع الى عالم الحقوق المريح .

***

والذي يعنينا الآن كما يقول **جون ويتمان** هو اننا نستطيع ان نتبين ثلاثة مظاهر رئيسية للوعي الوجودي في هذه القصص وهي : **الغربة التي لا تقهر ، ثم خداع النفس المفجع للانسان الذي يمارس غثيانه ، او الذي تجاوز هذا الغثيان ، واخيرا استحالة الاستحواذ الحقيقي المباشر على الزمن .**

وكل هذه المظاهر ممثلة في هذه القصص القصيرة ، فالأشياء يتم تناولها كشيء غريب في « **الجدار ، والغرفة ، وطفولة زعيم** » وخداع النفس أو سوء الطوية يصبح شيئا سخيفا مضحكا في « **ايروستريتوس ، والغرفة ، وطفولة زعيم** » وصورة تطابق الذات في القصة الأخيرة هي مظهر لمشكلة الزمن .

غير ان هذه المظاهر جميعا تظهر في رواية « **الغثيان** » بعبقرية فريدة ومتطورة ، فاذا كانت « **طفولة زعيم** » تصور حياة شخص وجودي من سن الطفولة الى تقبل خداع النفس في أول عهده بسن الرجولة ، فان « **الغثيان** » تصور شخصية « **انطوان وكانتان** » وهو شخص في حوالي الثلاثين من عمره ، يمارس عملية اكتشاف وجوده كنوع من انواع الأزمة ، وعندما تبدأ

ويمضي روكانتان يكتب حياة شخصية القصة نراه يعيش منذ فترة في ميناء الهافر التي كان يسكنها سارتر نفسه ، ثانوية من شخصيات القرن الثامن عشر هو دي رولبون ، والقصة على شكل مذكرات ، وذلك حتى يتمكن من القاء الضوء على بعض التجارب الغريبة التي اقلقته في الفترة الأخيرة ، وهو يعيش وحيدا في المدينة ، فيما عدا علاقات عابرة كونها في المقهى والمكتبة التي يتردد عليها لكتابة حياة دي رولبون .

واذا كانت رواية ((الغثيان)) رواية عن فيلسوف اصبح واعيا بفلسفة ، خاصة ان البطل قدم في الرواية كمغامر سابق تحول الى مؤرخ ، دون ان يقلل ذلك من كونه فيلسوفا ، فان ((الغثيان)) رغم هذا كله ، تظل عملا روائيا فريدا في نوعه ، وذلك بسبب طبيعتها الفلسفية والأدبية . وربما لم يكن هناك اى عمل آخر اتخذ فيه المزاج الفلسفي مثل هذا الوصف الأدبي الكامل .ويمكن بالأحرى كما يقول جون وينمان وصف رواية ((الغثيان)) بعنوان كتاب الفيلسوف الشهير ديكارت ((مقال في المنهج)) كتب في شكل روائي .. في القرن العشرين .

أما رواية ((**دروب الحرية**)) فتتكون من ثلاثة أجزاء ، أو بالأحرى من أربعة اجزاء ، هي ((**سن الرشد ، ووقف التنفيذ ، والموت في النفس ، والفرصة الأخيرة**)) وان لم يكمل سارتر الجزء الرابع ، اما **الجزء الأول** فيهتم اساسا ببحث كل الرواية عن ثمن عملية اجهاض لزوجته مارسيل ، وتقع احداث الرواية في عام ١٩٣٨ ، واما **الجزء الثاني** فهو عن ازمة ميونيخ ، وعن سقوط فرنسا تقع أحداث **الجزء** الثالث .

وتعد رواية ((**دروب الحرية**)) دراسة تفصيلية للطرق المختلفة التي يؤكد بها الناس أو ينكرون حريتهم ، خلال سعيهم الدائب من اجل امتلاك الوجود ، ومن خلال الثقة الكاملة بالذات .

فاذا كان سارتر في رواية ((**الغثيان**)) قد اظهر بطريقة تجريدية الشكل الحاوي للمشروع الانساني ، فهو يحاول في ((**دروب الحرية**)) أن يظهر لنا بطريقة تجسيدية تنوع الطرق التي يحاول بها الناس ان يحققوا الحرية . وذلك كله من خلال دراسة سارتر لانماط الوعى الرئيسية الثلاثة، وهى المثقف الذى بلا تأثير ((**ماتيو**)) والفاشل الذى يحدث تأثيرا سلبيا ((**دانيال**)) والايديولوجي الذى يحاول ان يؤثر تأثيرا ايجابيا ((**برونيه**)) ..

والرواية عبارة عن جدل يستخدم الرمزية ، والتحليل الجلي الواضح والشخصيات الشديدة الشفافية، التى تثير العقل وتهز الوجدان ، وفيما يتعلق بالعلاقات بين الشخصيات فانه لا توجد نقطة متوسطة بين بصيرة المحلل وبين ضياع الشخصية ، فنحن نشعر دوما بالتأرجح العنيف من العماء الكامل الى الحرية الكاملة ، من صمت اللاعقل الى فراغ التأمل ، ان سارتر كما تقول **ايريس ميردوخ** يقود ابطاله في ((دروب الحرية)) الى نقطة البصيرة والتحقق واليأس ، وهناك يتركهم ... قد يرجعون وقد يسقطوا ، الا انهم لا يعرفون كيف يواصلون الطريق ...

ولقد وجه الى سارتر نقد شهير على اساس ان رواياته الثلاث ((الجدار)) ، ((الغثيان)) و ((دروب الحرية)) هي مجرد تصوير لأفكاره الفلسفية ،والاتهام نفسه ينسحب بالطبع على اعماله المسرحية التي لا نتناولها الآن ، ولكن الرد الذى يمكن ان يدحض هذا النقد هو ان سارتر ليس من فلاسفة المذهب الذين تتعارض مؤلفاتهم الفلسفية مع كتاباتهم الادبية،انه لايتأمل تأملا تجريديا في الحقيقة والجمال ، كما انه لاينحرف في تيار التحصيل اللغوى ، وانما هو باعتباره فينومنولوجيا ، يحاول الاستحواذ على المواقف في تكاملها الحي المحسوس ، وباعتباره وجوديا تدفعه فلسفته في الوعى الى التفكير في الافراد

فى حدود وعيهم بانفسهم وبالآخرين .

وتفكير سارتر تفكير فلسفى بلا شك، لكنه تفكير يشكل « فلسفة حياة » بالمعنى الكامل لفلسفات الحياة ، وعندما يحاول فيلسوف ان يكتب بهذه الطريقة، فمن المؤكد انه لن يبعد كلية عن النظرة الأدبية .

وعلى أية حال ، يمكن القول كما يقول **جون ويتمان** ، بأن سارتر بدلا من أن يستخدم رواياته لتصوير أفكاره الفلسفية ، فقد استنبط أفكاره الفلسفية من استحواذه على الحقيقة التى حصل عليها خلال كتابته لرواياته، بمعنى أنه لا يوجد خط فاصل صارم بين شكل النشاط الابداعى ، حيث ان الرواية الكاملة يمكن أن تكون قطعة كاملة من الفلسفة الوجودية، او بالاحرى من الأدب الوجودى .

حقا ، انه كما كان لفلسفات الوجود فى العصر الحديث فضل جلاء الفكر الوجودى ، فقد كان سارتر أقوى من دعا الى الأدب الوجودى ، وان كتابه الشهير « **ما الادب ؟** » الذى يكشف عن اطلاع سارتر الواسع على مختلف المذاهب الأدبية ، ونقده التحليلى لها ، ليعد دعامة كبرى لهذا الادب الوجودى الجديد ، الذى يقول عنه سارتر :

« يوضح هذا الأدب فى بساطة ان الانسان ايضا قيمة ، وان المسائل التى يضعها لنفسه دائما خلقية ، وهو يبين لنا كيف انه فى كل شخص يمكن الانسان المبتكر ، فكل انسان يبتكر نفسه بابتكاره لموقفه الخاص به ، فعلى الانسان من اليوم ان يبتكر كل يوم » .

وعلى الرغم من ان سارتر يرى مجابهة الموقف بكل ما لدى الانسان من قوة وعنف ، لأن مجرد الكشف عن الموقف الأشد حلكة وظلاما ، هو فى ذاته أول درجة من درجات التحكم فيه ، فانه يرى مع ذلك ان يتصرف الكاتب بحيث تكافح شخصياته الحرة فى سبيل النجاة من المازق ، وذلك باختيارها ما يتفق والارادة الخيرة . وهذا ما عبر عنه سارتر تعبيرا رائعا قال فيه :

« فى بعض المواقف لا مكان الا لتبادل حدين احدهما الموت .. ويجب ان ينصرف الانسان بحيث يستطيع فى كل حالة ان يختار الحياة » ..

فالحرية قوة متعالية ، يحقق اصحابها وجودهم ، كما يشاركون من خلالها فى تحقيق المواقف الانسانية ، ليكون الأدب بمثابة ضمير المجتمع الحى كما كانت الفلسفة هى ضميره الحر .

وهذا هو سارتر فيلسوف الحرية واديب الحياة ، الذى استطاع بفلسفته وادبه ان يشكل صرخة احتجاج فى وجه العصر ، صرخة تهيب بعصرنا الا يكون كسالف العصور ، صرخة تعلن علينا .. الحرية ...

راجع :

● جان بول سارتر : الوجود العدم : ترجمة : د . عبد الرحمن بدوى . دار الاداب بيروت ١٩٦٦ .

● جان بول سارتر : ما الادب ؟ : ترجمة : د . محمد غنيمى هلال : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦١ .

● سارتر عاصفة على العصر : للغيطى وترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد : دار الاداب بيروت ١٩٦٥ .

● سارتر مفكرا وانسانا : بأقلام طائفة من الكتاب : دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

● الفلسفة الوجودية : د . زكريا ابراهيم : دار المعارف بمصر « اقرا » ١٦١ .

● سارتر .. ضمير عصره : مجلة الفكر المعاصر عدد ممتاز « ٢٥ » مارس ١٩٦٧ .



قط يريد أن يتكلم

عزت محمد ابراهيم

انني واحد من الناس ، لا اظن انني اختلف عنهم في شيء ، أو أمتاز عليهم بشيء ، فمثلي مثل المئات العديدة في بلدتي الذين يعملون في الوظائف الحكومية ، اذهب الى عملي في الصباح وأعود الى بيتي في الظهر ، وأجلس على المقهى عصرا ساعة أو بعض ساعة ، أؤوب بعدها الى بيتي فاجلس امام ((التليفزيون)) وقتا يطول او يقصر فاذا حانت ساعة النوم ذهبت الى فراشي لاستيقظ في صباح غدي لابدأ يوما آخر مثله مثل سابقه لا جديد فيه ! ..

فها انتم ترون انني واحد من الناس ، لا اختلف عنهم في شيء ، ولا امتاز عليهم بشيء ، فانا على شاكلتهم تماما ، قد انشبت العادة اظفارها في نفسي،فاحالتني الى آلة ، او ما يشبه الآلة .

أما اذا كان لابد من البحث عن موضع اختلاف بيني وبين الناس ، او بيني وبين السواد الاعظم منهم ، فهو حبي للانفراد والانعزال ،وايثار صحبة كتاب او صحيفة على أي من خلق الله .

وأنا أخرج من بيتي باكرا ، ولا اتناول افطاري في البيت ، وانما أمر في طريقي الى عملي على بائع فطائر ، عرف من طول شرائي لفطائره ما أريد ، فاتناول من يده الفطائر ، وأمد اليه يدي بثمنها ، وأمضي في طريقي بغير كلام .

فاذا مضيت في طريقي أحمل معي لفافة الفطائر ، يممت وجهي شطر النادي وهو ناد فخم ضخم ،مهيب البنيان فيه قاعة فسيحة ، ذات مقاعد وثيرة ، كأنما قد أعدت لاجتماع ساسة عظام يريدون أن يقرروا مصير العالم .

ولكن الذي حدث ذات صباح في النادي وأنا جالس في مكاني المعهود ، أن أقبل علي قط أسود كبير الحجم ، قد تقدمت به السن ، عرفت ذلك من رزانته وتعقله وبطء خطواته ، فهو قد حلب الدهر أشطره ، فاثقلت تجاريب الزمان خطواته ، ولو كان يشيب من بني بجلدته الشعر ، لاستحال سواد لونه الى بياض ناصع ! ..

اقبل هذا القط يخطو في تؤدة من اول القاعة الى آخرها ، حتى اقترب مني وانا امضغ طعامي ، ونظر الى نظرة ذات

دلالة معناها انه يريد أن يأكل كما آكل أنا يهنأ بالطعام كما أهنأ أنا به ، ولامر ما لم اقدر على رد طلبه ، فقد كانت نظراته حاسمة لا تقبل جدالا ، فجعلت امده له لقمة اثر لقمة ، حتى اذا شبع ، وجدت انني لم أشبع ، ومنذ ذلك الحين، اصبحت ازيد من قدر الفطائر التي اشتريها ، حتى يشبع هو واشبع انا سواء بسواء .

فاذا اكل وهنيء باكله ، قفز الى المقعد الوثير المقابل لي ، وجعل يتاملني في صمت ، كأنه يزن مقداري بعينيه ، ويرى ان كنت استحق شرف مجالسته ام لا .

وهكذا تغير المشهد في النادي في الصباح الباكر من كل يوم ، فقد زاد شيئا جديدا : أخطو أنا أول الامر حتى أقطع القاعة من أولها الى آخرها ، ثم يأتي الخادم بقدح الشاي ، ثم يصل القط يتهادى في مشيه الوئيد ، وخطواته الثابتة ، وثقته في نفسه التي لا يحدها حد ، ولا يستمر ذلك كله سوى دقائق معدودات ، ينتهي بعدها المشهد .

وكان مقدرا أن تمضي الامور على هذه الوتيرة ما تعاقب ليل ونهار الى مالا يعلم الا الله مداه ، أنا والخادم والقط ، ولا شيء سوى ذلك ، لولا أن حدث ذات صباح ما غير المشهد تغييرا طفيفا .

أما ذاك الذي حدث ، ولم أكن قط أتوقعه ، فهو أن أقبل على القاعة في ذاك الصباح الباكر واحد من خلق الله ، سمعت وقع قدميه فأنكرت ذلك انكارا شديدا ، ولم أكلف نفسي عناء التطلع اليه ، قلت في نفسي : من هذا الثقيل الذي يريد أن يعكر علي صباح يومي هذا ؟ ثم تذكرت ان القاعة فسيحة وان مقاعدها الوثيرة كثيرة متعددة ، وانه سينأى بنفسه عن مكاني ، ويتخذ لنفسه مكانا قصيا ، ولكنه — لدهشتي — كان يقصد مكاني قصدا وتطلعت اليه في دهشة قد مازجها فزع ، فاذا به واحد من زملائي في العمل يصيح في فوز وانتصار :

— ها قد وقعت ، وعرفت أين تختلي بنفسك .

وكان لابد مما ليس منه بد ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث ، وجاء ذكر واحد ممن أعرف فجعلت أسلقه بلسان حديد ، فلم أدع فيه نقيصة الا ألصقتها به ، ولم أدع له مزية الا جردتها منه ، ولم أدع شنيعة من القول والفعل الا وجعلتها من صفاته .

ألست واحدا من الناس ، أفعل ما يفعله الناس ؟

وانصرف صاحبي ، وتركني وشأني أنعم ببعض الراحة بعد عناء الكلام ، وتنفست الصعداء ، ونظرت الى القط الجالس قبالتي وأنا أحسده على هدوئه واطمئنانه وأكثر من ذلك على صمته المجبول عليه ، فهو غير مضطر الى عثرات اللسان التي قد يعض عليها بنان الندم ، حيث لا ينفع الندم ، وحيث يكون قد سبق السيف العزل .

ولم يكد صاحبي يمضي الى حال سبيله حتى وقع آخر ما يمكن أن تصور وقوعه في هذا العالم الحافل بالغرائب ، لقد احسست بجسمي ينتفض انتفاضا ،حتى كأن قد اصابتني حمى شديدة الوطأة ، عسيرة الاحتمال ، وجعلت الدنيا تدور من حولي فكأن الارض قد زلزلت زلزالها فهي من تحتي تميد ميدا شديدا ، فقد اقبل علي صاحب آخر ، ولو كان أي صاحب لهان الامر ، ولكنه كان الصاحب الذي كان مدار حديثنا منذ هنيهة .

وبغير وعي مني أو ادراك ، انتفضت من مكاني مهللا صاخبا ، افتح ذراعي

لاستقبله بالاحضان ، ولاغمر وجهه بالقبلات ، ربما كان ذلك احساسا منى بالذنب الذى اقترفته فى حقه منذ قليل وربما لان هذه هى طبيعة الناس وماجبلوا عليه .

الست واحدا من الناس ، افعل مايفعله الناس .

وجلس الصاحب ، ودعوت الخادم فأقبل وهو يستغرب أشد الاستغراب ما حدث ذياك الصباح ، ثم مضى يأتى لصاحبى بما طلب ، فاذا عاد كنت انا قد اتيت على جميع الخلال الحميدة التى حفلت بها جميع كتب الاخلاق فاضفيتها عليه ، وجعلت منها ثوبا سابغا خلعته على شخصه ، فهو الكريم المحتد ، وهو الرفيع العماد ، وهو صاحب الخلق الحميد ذو النجدة والوفاء ، وهو البلسم الشافى لجراح جميع الانام ، و .. الى مالا آخر له ..

وحانت منى التفاته الى القط ، فرأيته ينفش شعره ، ويقوس ظهره ، ويفقد ما عهدته فيه من رزانة وتعقل ، ثم رأيته — لدهشتى البالغة — يفتح فمه ويتثاءب ويبدو كما لو كان سيهم بالكلام .

وبدا لى واضحا انه سيتكلم ، وانه سيقول : أنت كاذب ، ومنافق ،وتستحق قطع لسانك ، فانك كنت تقول فيه منذ هنيهة كذا وكذا .

وأصابنى مالا سبيل الى وصفه من الخوف والفزع ، ونظرت اليه فى توسل واستجداء ، وأنا أكاد أقول : كلا ، كلا، لا تفعل ، لا تتكلم ، لن أعود لمثل ذلك أبدا .

وكانما قرأ القط اللعين افكارى ، فزمجر متوعدا ، وهب من مكانه وقد نفش شعره ، وقوس ظهره ، وبدا كمن استبد به غضب شديد ، كما لو كان يهم بالكلام .

ولابد ان وجهى اذ ذاك قد علاه الاصفرار ، وان عينى قد حال لونهما ، وان أنفاسى قد تتابعت ، شأن من قد اصابته غاشية ، او همت أن تصيبه غاشية .

ونظرت الى القط فى توسل واستجداء وعيناى تنطقان بما أريد ان اقوله : ارايت ما اصابنى ؟ الا تشفق على حالى ؟ الا ترحم انسانا قد اخطا ، وما كان خطؤه الا لانه واحد من الناس ، يفعل ما يفعله الناس ، اننى على اية حال لم أعد ارتاب فى قدرتك على الكلام ، فاهدا بالا ، واسترح نفسا ، وعد الى ما كنت عليه من رزانة وتعقل .

واستجاب القط الى توسلاتى ، وعاد الى ما كان عليه من رزانة وتعقل ، وجلس صاحبى زمنا ثم مضى الى حال سبيله .

ومنذ ذلك الحين لم أعد اهنأ بالجلوس وحدى فى النادى ، فقد اصبح يشاركنى فى الجلوس فيه بين الحين والآخر واحد او اثنان ممن أعرف من الناس ، ولكننى ومنذ أن وقعت الواقعة ، لم أخض فى حديث كذاك الحديث ، ولم أتناول انسانا أبدا — فى غيابه — بما لا أقدر على تناوله به فى حضوره .

وكيف أجسر على ذلك ، وهذا القط قابع أمامى ، كانما يحصى على كل كلمة أنطق بها ، وكانما هو على أهبة الاستعداد دائما لان ينفش شعره ، ويقوس ظهره ، ويفتح فمه كانما يريد أن يتكلم ، او كانما هو على أهبة الاستعداد دائما لكى يفقد ما قد عهدته فيه من رزانة وتعقل ، وان يهب من جلسته مزمجرا متوعدا بالويل والثبور وعظائم الامور .

وهو يديم النظر الى بعينين نفاذتين كانما تخترقان دخيلة نفسى ، فتعرفان ما تهجس به من هواجس وما يضطرب بين خباياها من وساوس . وهو لا يكف عن التطلع الى كانما يتحدث معى بعينيه، حتى بدا للناس كان شيئا خفيا يربط بينى وبينه ، واصبح حالى معه هو حال: رجل غريب الاطوار يصاحب قطا يريد ان يتكلم .

أنا و عقلى

جليلة رضا

.. هىَ فترةٌ فى العمر تأتى .. كلما — ضاقَ الفؤاد بعِبئهِ الجبّار !

فيها أرَى عَقلى .. تبلّد خاملا — متجمّدا .. كالصّخر .. كالأحجار !

وأظل أُشغله .. فيُدرك حيلتى — ويشيحُ عنى الوَجْهَ .. فى استهتار

.. فإذا لزمتُ البيتَ : أصغى باحثا — فى رَدْحة الجيران .. عن أسْرار !

ثم استقرّ لدَى النّوافذ .. كاشفا — عمّا يضم الدّربُ من أخبار !

ثم استوى ـ عِند المواقد ـ طامعا — فى أكل حَلْوى .. أو مَذاق خُضار

وإذا خرجتُ ـ وكم أسير ـ فربّما — تجرى الدّماءُ بهِ .. كشعلةِ نارِ

فإذاهُ .. يَعزف عن رؤى أشباهه — متأمّلا فى الركبِ .. وجه حمار !

وإذا أتيتُ المكتباتِ لأشترى — كتبا تضىءُ العقلَ بالأنوارِ

.. حثّ الخطى متبرّما متأففا — ومضَى إلى السّباك والنّجارِ

وإذا دَلفتُ إلى الحديقة .. غلّهُ — تحتَ الغصونِ الخضر والأشجار :

يَحسو الجمالَ وينتشى من خَمره — ويبثّ فىّ روائع الأشعارِ ..

.. ألتقى بما خطّ الجمالُ بمهجتى — فى هُوّةِ النّسيان .. دون قرار !..

***

حتى إذا جاء المَساءُ بصمته ... — ونفضتُ عنّى اليأسَ فى إصرار

ووضعتُ رأسى فوق ركن وسَادتى — لأريحَ جسمى من عَناء نهار :

مرّت مرورَ قوافل فى بيدها — ـ ومضَت مضىّ سَفائن ببحار ـ

قطط الشّوارع كلّها فى خاطرى — وكلابُ أهل الحىّ .. فى أفكارى !

***

هى فترة فى العمرِ تأتى كلّما — ضاق الفؤاد بعبئه الجبّار !

أول مصرى في اليابان

مصطفى الشهابي

ظلت اليابان تغلق ابوابها دون العالم الخارجي حتى منتصف القرن الماضي ..

وعلى الرغم من محاولات بعض الدول الاوروبية زيارتها الا انها كانت وقتذاك ترفض هذه الزيارات ..

وظلت عزلة اليابان قائمة حتى قرر الكونجرس اقامة علاقات معها سنة ١٨٤٥ وقصدت أول بعثة امريكية الى اليابان فى ذلك العام ولكن اليابان طلبت اليها العودة ، .. غير أن الامريكيين عادوا اليها عام ١٨٥٣ ثم عام ١٨٥٤ ، وقد حشدوا عددا كبيرا من السفن الحربية ، كما حملوا الكثير من المخترعات كالقاطرة البخارية وعرباتها ، وكالتلغراف ، هذا عدا الهدايا من الاسلحة الخفيفة والساعات وادوات المنزل وغيرها ..

وهال ذلك كله اليابان ، فعقد امبراطورها مع الولايات المتحدة معاهدة تعهدا فيها باقامة سلام عالمى دائم وكذلك « صداقة قلبية » مخلصة بينهما وذلك فى ٣١ مارس ١٨٥٤ .

ومنذ ذلك التاريخ خرجت اليابان من عزلتها واخذت ترسل البعثات الى مختلف الدول ، وتقتبس من كل دولة أفضل مالديها .. ولما كانت انجلترا سيدة البحار يومئذ فقد اوفدت اليها البعثات البحرية ، اما الجيش فقد اتجهت بعثاته الى المانيا عقب انتصارها الساحق على فرنسا فى عام ١٨٧٠ ــ وهكذا .

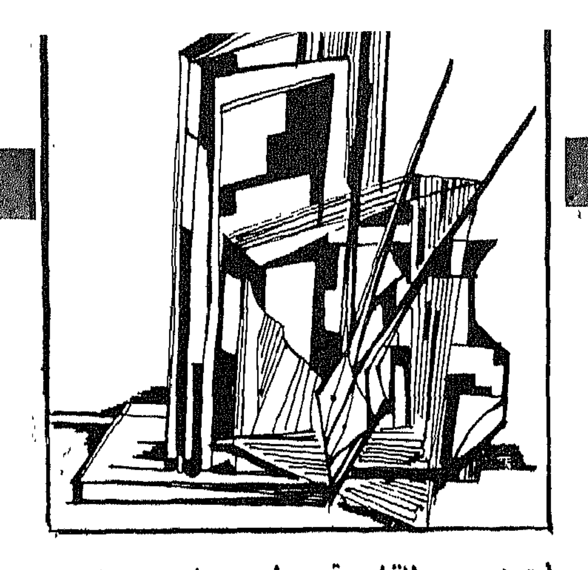
وماهى الا اعوام قلائل حتى ظهرت بوادر التقدم فى اليابانى فى جميع المجالات ، ولما كانت روسيا الد اعداء انجلترا وقتذاك فقد عقدت مع اليابان تحالفا عام ١٩٠٢ . واخذ الانجليز يمجدون اليابان ويصفونها بأنها « انجلترا الجديدة فى الشرق » لتكون حليفا لهم ضد روسيا ..

وصح ماتوقعه الانجليز فقد توترت العلاقات بين روسيا واليابان بسبب الخلاف على كوريا وبعض اجزاء فى الصين وانتهى الامر بانهزام روسيا بريا وبحريا ..

ومن الطريف ان انجلترا استغلت قناة السويس فى عرقلة وصول الاسطول الروسى فى البلطيق الى اليابان ، بان اغرقت احدى السفن فى القناة ، وتطلب انتشالها بضعة اسابيع كان الاسطول اليابانى قدحطم خلالها الاسطول الروسى فى بحر اليابان ..

واصبحت اليابان مفخرة دول الشرق ، تتحدث عنها الصحف والمجلات وتؤلف عنها الكتب ..

وكان ممن الفوا عن اليابان ولفتوا الانظار اليها المغفور له الزعيم مصطفى كامل الذى وضع كتاب ((الشمس المشرقة)) وفيه اظهر عظمة اليابان



التى بهرت العالم بتقدمها ووطنيتها وقصد بذلك ان ينظر المصريون بعين الاعتبار الى تلك الدولة التى لم تكن شيئا مذكورا يوم كانت مصر فى اغلب النصف الاول من القرن الماضى صاحبة حول وطول ، ثم صارت اليابان بفضل وطنية واخلاص ابنائها موضع اعجاب العالم ، ووثبت الى الصف الاول من الامم القوية ، كما اراد ان يبين للمصريين كيف ترقى الامم المتمسكة باهداب الوطنية ..

وطبيعى ان مؤلفا كهذا يضعه زعيم كبير لابد وان يكون موضع اهتمام المصريين بصفة عامة والصحفيين بصفة خاصة .

وكان من بين هؤلاء الصحفيين ، الصحفى المصرى على أحمد الجرجاوى صاحب جريدة الارشاد ، الذى تطلع الى زيارة اليابان ليراها عن كثب ثم يكتب عنها من جهة (١) ومن جهة اخرى ليشترك فى المؤتمر العام للاديان ، الذى تقرر عقده بعد بضعة اشهر هناك ، وكتبت عنه الصحف فى مختلف بلاد العالم ومنها تركيا ومصر .

لذلك اخذ يحض على تاليف وفد من العلماء لحضور ذلك المؤتمر ولكن دون جدوى ، ولم يجد سوى اثنين تطوعا لمرافقته عند وصوله لليابان ولكى ينفى عن نفسه الاتهام باتخاذ تلك الرحلة سبيلا لابتزاز بعض الاموال أعلن أنه لايقبل درهما واحدا على سبيل المساعدة المادية .

وفى صبيحة يوم الجمعة ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦ استقل القطار من محطة القاهرة . وكان كلما مر ببلدة تذكر أهم الحوادث التى تتصل بتاريخها . وكان أول ما طاف بذهنه عندما ابتعد عن القاهرة ورأى منارتى جامع محمد على ـ مذبحة المماليك وماجرى فيها .. وفى بنها تذكر مصرع عباس الاول والى مصر .. وفى طنطا تذكر ما قام به المنشاوى باشا من حماية الاجانب المسيحيين القاطنين بطنطا من ثورة بعض الحمقى وعند كفر الزيات تذكر غرق الامير احمد بن ابراهيم باشا ولى العهد بينما نجا شقيقه أسماعيل وذلك فى الحادث المعروف وبذلك اصبح اسماعيل وليا للعهد .

ووصل الجرجاوى الى الاسكندرية فتناول تاريخها منذ انشاها الاسكندر الاكبر وذكر المسلتين اللتين كانتا بها ونقلت احداهما الى لندن والاخرى الى نيويورك ، وتحدث عن منارتها وحضارتها فى عهد البطالمه ، ثم يستطرد حتى يصل الى عهد الاحتلال البريطانى ، ولا يفوته أن يتحدث عن امجاد العرب والاسلام فى البحر المتوسط منذ فتح معاوية جزيرة رودس . ويذكر بالحسرة تلك العصور الزاهرة التى شهدتها الاندلس . ولاينسى بلاد المغرب والاحتلال الفرنسى للجزائر ثم تونس وسياسة الطغيان التى اتبعها فيهما .

وابحرت به السفينة من الاسكندرية فى اوائل يوليو ، ولانها ايطالية فقد اتجهت الى ايطاليا ورست فى مسينا، ثم سارت الى نابلى وهناك شاهد بركان فيزوف وذكر أن المنشاوى

(١) وقد اصدر هذا الصحفى بعد عودته كتابا عنوانه الرحلة اليابانية ، لصاحبها الضعيف على احمد الجرجاوى صاحب جريدة الارشاد ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧) .

باشا ، ذهب الى تركيا عقب الثورة العرابية ، وهناك اتهم بالسعى لاعادة الخديوى اسماعيل الى عرش مصر ، ولذلك نصحه السفير الفرنسي بالذهاب الى تونس . وفي طريقة اليها عرج على نابولى وبينما هو جالس فى احد مقاهيها واذا بايطالى كان تاجرا بالاسكندرية يتقدم اليه ويعرفه بنفسه ولما علم ان محدثه هو المنشاوى باشا اجله واكبره .

وفى صباح اليوم التالي وجد المنشاوى باشا امام الفندق الذى نزل به المئات من الايطاليين ومعهم الموسيقى وكلهم جاءوا للاحتفاء به فى مكان اعد بسرعة لذلك الغرض .

وسار الجميع يتقدمهم المنشاوى الى المكان حيث تبارى الخطباء فى مدحه وتلده محافظ المدينة نيشانا .

***

ثم اقلعت الباخرة قاصدة بالرمو بصقلية التى نوه بامجادها وآثارها .

ومن صقلية اتجهت الباخرة الى تونس التى تحدث عن تاريخها القديم ودخول الاسلام فيها ثم استعمارها على يد الفرنسيين ومحاولتهم جعل كل شيء فيها فرنسيا .

واغرب مانوه به هو احتفال الفرنسيين بذكرى يوم دخولهم تونس ، والاغرب من ذلك اقامة ذلك الاحتفال بموكب عسكرى تتقدمه فرق عسكرية واعلام وموسيقى ، فى مثل ذلك اليوم من كل اسبوع .

ولو ان الفرنسيين لم يصرحوا له بزيارة باى تونس الا انه لم تفته زيارة بعض عظمائها ، وذكر فى كتابة تراجم موجزة للباى ولبعضهم .

وغادرت الباخرة تونس الى السويس حيث استقل باخرة فرنسية رست على ينبع ثم جدة فعدن التى نوه باحتلال الانجليز لها واهتمامهم بها .

ثم قصدت الباخرة الى بومباى ومنها الى كولومبو عاصمة جزيرة سيلان ثم الى سنغافورة ومنها الى هنج كونج وتحدث عن كل منهما وانتقل من الحديث عنها الى الحديث **عن حالة المسلمين بالصين ، وقدرهم** بنحو خمسين مليون .

واخيرا اتجهت الباخرة الى اليابان وهناك رست فى ميناء يوكوهاما حيث استقبله من وعداه باللقاء فى اليابان .

ومن يوكوهاما ماقصد الثلاثة الى طوكيو بالسكة الحديد وهناك نزلوا بأحد الفنادق .

ولا يفوت المؤلف ان يذكر موجزا لحياة امبراطور اليابان يومئذ « متسوهيتو » ويوضح مكانته لدى شعبه .

وفى طوكيو تقابل الجرجاوى وزميلاه مع مسلم هندى قدم على نفقة بعض الهنود المسلمين ، واتفق الجميع على استئجار منزل لاقامتهم . وعندما علم المالك اليابانى للمنزل الذى استأجروه بانهم يدينون بالاسلام وانهم سيتخذون المنزل للسكنى وللدعوة للاسلام ، طلب اليهم ان يشرحوا له قواعد الاسلام وسبب تفضيله على سائر الاديان ، فشرحوا له ذلك عن طريق مترجم وما هى الاجلسات ثلاثل حتى اعلن هذا اليابانى اسلامه وتبرع لهم بالاقامة مجانا بمنزله ، واحضر لهم خادما ملما بالانجليزية التى كانوا يتكلمون بها .

وقررت الجماعة الاتفادر العاصمة اليابانية بل اقتصروا على المنزل واباحوا الدخول لكل انسان فى مواعيد الجلسات التى كانت تعقد ليلا للحديث عن الاسلام ومبادئه .

وكانت اول جلسة قاصرة على بيان الفرض الذى جاء من اجله اعضاء الجماعة الى اليابان ، وكتبت الخطبة بالانجليزية وترجمها صاحب المنزل

الى اليابانية ، وقد شهد تلك الجلسة عدد كبير من اليابانيين .

وفى الجلسة الثانية كان الازدحام شديداً ، وفيها تناوب الاعضاء المسلمون الحديث عن القرآن والسنة الشريفة ، ثم الاجابة عن بعض استفسارات كتابية وردت للجماعة .

وتوالت الجلسات وتوالى اشهار بعض اليابانيين لاسلامهم حتى بلغوا نحو ١٢٫٠٠٠ رجل ، من بينهم عدد من التجار وذوى الحيثية . وقد اوضح المسلمون لهؤلاء انه لادامى لتغيير اسمائهم ولا اسماء عائلاتهم وان الذين لهم زوجات مسيحيات لايردن تغيير دينهن فلهن ذلك دون طلاق اما الزوجات البوذيات وغيرهن فلابد من طلاقهن او تمسكن بتلك العقائد .

وبلغ عدد الجلسات التى عقدت بمنزلهم نحو الثمان عشرة جلسة ..

وقد اورد الجرجاوى فى كتابه « الرحلة اليابانية » بعض الموضوعات التى كانت تقدم للمجتمعين للدرس والمناقشة ومن تلك الموضوعات .

١ ـ الاسلام ، كلمة عامة .
٢ ـ الاسلام دين الفطرة .
٣ ـ القرآن .
٤ ـ كيفية نزول القرآن .
٥ ـ اعجاز القران .
٦ ـ رسالة سيدنا محمد .
٧ ـ الصلاة وانواعها .
٨ ـ الاذان والامامة .
٩ ـ الزكاة والصوم والحج .

***

وبدات جلسات المؤتمر فى اول مارس سنة ١٩٠٦ ، بعدما حضر اغلب مندوبى الدول التى دعيت للحضور واستقروا فى الاماكن المعدة لسكناهم ، مع توفير كل ما يلزم لراحتهم ، عدا الطعام وذلك لعدم معرفة مايوافق كل وفد من انواع الاطعمة ..

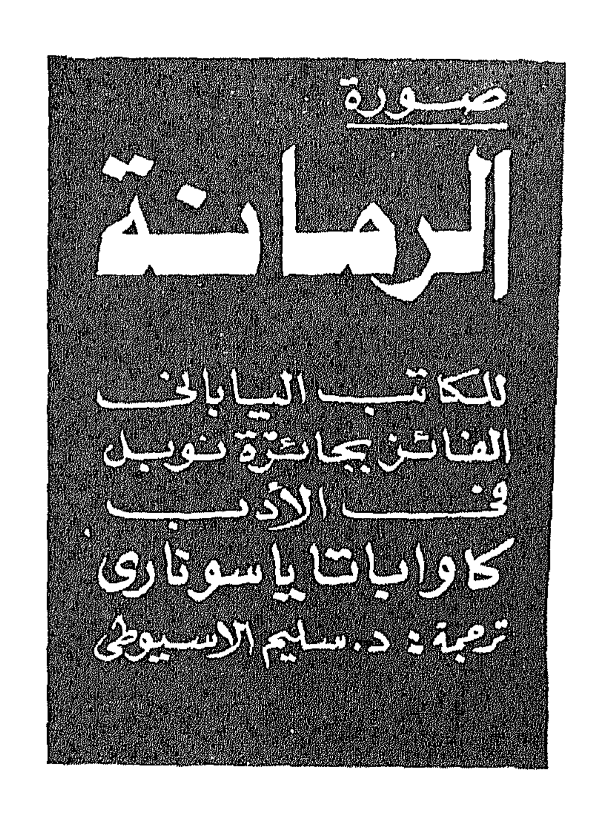
وكان اول ماعرض على الحضور بعد افتتاح الجلسة ، الغرض من المؤتمر وهو « البحث فى اصول كل دين ومذهب يريد اهله ان يعتنقه اليابانيون على شرط ان تكون الادلة التى يؤتى بها على صحة كل دين مطابقة للعقل والافلاحاجة للبحث فيه » .

واعقب ذلك قيام احد مندوبى تركيا وتحدث عن حكمة الله تعالى فى ارسال الرسل بتعاليم ومعجزات مناسبة لاحوال واطوار تلك الامم ، وذكر فيما ذكر معجزات موسى عليه السلام . ثم تحدث عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرر ان معجزته الخالدة هى القرآن ..

***

ولم يفت الجرجاوى أن يتحدث عن وطنية اليابانيين وتضحياتهم خلال حربهم مع الروس ونوه بالدور الذى قامت به النساء ، وبين مدى ما وصلت اليه من رقى ، كما تحدث عن رجال الشرطة ، ومدى تقديرهم للاجانب ، ثم تناول بعض عوائد اليابانيين ، واعيادهم واهتم بالتعليم وعناية اليابانيين به ، الى غير ذلك من مختلف الموضوعات الخاصة باليابان .

وبعدان قضى باليابان نحو اثنين وثلاثين يوما ، على حسابه الخاص قرر العودة الى مصر فاستقل باخرة صينية رست ، بعد احدى وعشرين يوما فى كلكتا بالهند ، التى ذكر جانبا من تاريخها واستعمار الانجليز لها ، ووصف تلك المدينة ، ومن كلكتاسارت السفينة حتى السويس ، وهناك غادرها المؤلف الى القاهرة واخذ فى تاليف كتابه الذى ضم كل ما ذكرناه ومنه عرفنا انه كان اول مصرى وطئت اقدامه اليابان



● الرمان من كل ما كانت تحمله في تلك الليلة ، تجردت شجرة أغصانها من أوراق ..

الاوراق تغطي الارض في شكل دائرة حول قاعدة الشجرة .

فزعت كيميكو لرؤيتها في الصباح عارية من اوراقها ، وعجبت لاكتمال الدائرة ، فلا عيب فيها ولا تشوبها شائبة ، كان لابد أن تتوقع أن تفسد الريح نظامها ..

كان باعلى الشجرة رمانة بالغة الجمال تركتها الريح تتوج هامتها ...

نادت أمها قائلة : تعالى يا أماه ، وانظرى ! ..

نظرت أمها مسرعة الى الشجرة ، ثم عادت الى المطبخ : وعلقت قائلة : « لقد غاب ذلك عن بالى ! »

لقد حمل ذلك كيميكو على التفكير في وحدتهما . ان الرمانة المعلقة في سماء الشرفة بدت وحيدة ، كأنما تسولى عنها الخلق وطواها النسيان .

فمنذ الاسبوعين أو قرابة الاسبوعين كان ابن اختها ، الفتى الخجول ، قد جاء لزيارتهما ، ولاحظ الرمان لفوره . فتسلق الشجرة على عجل ... شعرت كيميو ألها ترى وتحس الحياة تتفتح ..

نادت من الشرفة : توجد رمانة كبيرة هناك في أعلى الشجرة !

ــ « ولكنى اذا ما قطفتها لن استطيع الهبوط بها ! »

كان ذلك صدق . فان الهبوط من فوق الشجرة وهو ممسك برمانتين في يديه ، كلتيهما ، ليس بالامر الهين ...

فابتسمت كيميكو ، فقد كان عزيزا لديها .

كان أهل المنزل قد نسوا الرمانة الى أن حضر الى المنزل ، وحتى الان كانت الرمانة تتبدى ظاهرة للعيان في السماء .

كانت تبدو في الفاكهة قوة ، وفي دائرة الاوراق على سطح الارض قوة . وذهبت كيميكو واسقطت الرمانة بقضيب من اعواد البامبو .

كانت قد بلغت من النضج غايته ،حتى بدت حباتها توشك أن تشقها عنوة ... تلألأت الحبات في ضوء الشمس عندما وضعتها على الشرفة وبدا أن الشمس تخترق تلك الحبات .

وفي الدور العلوى كانت تقوم بحياكة ملابسها في الساعة العاشرة تقريبا ، وسمعت صوت كيياكتشي . وعلى الرغم من أن الباب لم يكن مغلقا فقد ظهر أنه قد سلك طريقا غير مباشر الى الحديقة وكان في صوته رنة الاستعجال .

نادت أمها قائلة : يا كيميكو ، يا كيميكو ! ان كيياكتشي ها هنا !

تركت كيميكو الابرة دون أن تسلك الخيط في سمها . ثم غرستها في وسادة الدبابيس .

ــ « كانت كيميكو لا يفتر تردد القول **بانها تتوق توقا شديدا لرؤيتك قبل رحيلك ! »**

كان كيياكتشي ذاهبا الى الحرب . «ولكننا لم نكن نستطيع الذهاب لزيارتكم بدون دعوة ، وانت لم توفق في المجىء فلم تحضر . وانه لجميل منك أن تأتى اليوم ... »

دعته الى البقاء لتناول الغداء معهما ، ولكنه كان على عجلة من امره .

ــ « حسن ، اذن فلتاخذ على الاقل رمانة . نحن لدينا شجرة رمان غرسناها بانفسنا .

ثم عادت فنادت كيميكو من جديد •
حياها بعينيه ، كما لو كان يفوق طاقته انتظارها حتى تجيء الى الدور السفلي ـ فتوقفت على الدرج •
ان شيئا ما ، شيئا دافئا بدا يتسرب الى عينيه ، وسقطت الرمانة من يده •
تبادلت كيميكو معه النظرات ، وابتسما •••
وحينما تأكدت أنها كادت تبتسم اخضل وجهها بحمرة الخجل •
ونهض كيياكتشى من على الشرفة •
ـ حافظى على نفسك ، يا كيميكو !
ـ وانت أيضا !

كان قد استدار مغادرا الدار قائلا الى اللقاء •

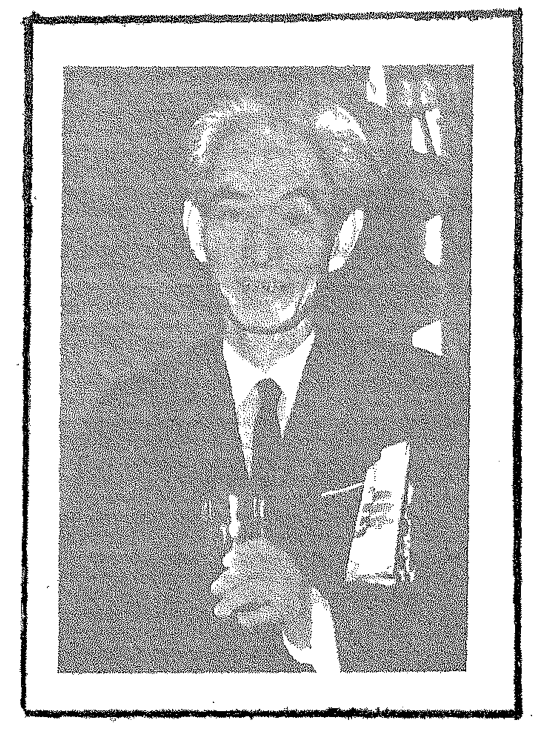
شخصت ببصرها من مكانها على السلم الى بوابة الحديقة بعد أن كان قد غادرها

قالت الام : « لقد كان على عجل •ولقد كانت رمانة جميلة حقا ! »

كان قد تركها على أرض الشرفة •

من الواضح أنه قد تركها تسقط من يده عندما استشعر ذلك الشيء الدافيء الذى احس به يتسرب الى عينيه •••فانه كان قد بدأ يفتحها • لم يكن قد قسمها باكملها الى قسمين • كانت ملقاة وقد بدت حباتها •

حملت الام الرمانة الى المطبخ وغلستها ثم اعطتها الى ابنتها كيميكو •
عبست الفتاة ، وارتدت حاسرة الى الوراء ، وحينئذ ، عاودت حمرة الخجل خديها ، ثم تناولتها بشيء من الارتباك •
يبدو أن كيياكتشى كان قد أخذ حبات قليلة من قرب حافتها •
لقد كان تصرفا غريبا من كيميكو أن لا تأكل شيئا منها ، وأمها ترمقها عن كثب، فقضمت فى الرمانة دون اكتراث • وملأت الحموضة فمها • واستشعرت لونا من السعادة الحزينة • التى تنفذ عميقة فى داخلها •
وقفت الام بدون اهتمام •
اتجهت نحو المرآة وجلست أمامها وخاطبت ابنتها قائلة : « انظرى الى شعرى ، لقد ودعت كيياكتشى بهذه الكتلة الكثيفة من الشعر • »
كان باستطاعة كيميكو أن تسمع صوت المشط اذ يعمل فى شعر أمها •



الاديب اليابانى كاواباتاسونارى

قالت أمها بحنان : « عند موت أبيك كنت أخاف أن أرجل شعرى • وحين كنت أرجله كنت انسى ماذا أنا فاعلة • ولما كنت أثوب الى رشدى كان يبدو لى أن اباك ينتظرنى حتى افرغ من تصفيفه » •

تذكرت كيميكو العادة التى كانت قد درجت عليها أمها فى أن تأكل ما كان يبقيه والدها فى طبقة •

شعرت الفتاة بأن شيئا ما يشدها ، سعادة جعلتها تود لو أنها انخرطت فى البكاء •

من المحتمل أن تكون أمها قد أعطتها الرمانة لانها لا ترغب فى أن ترميها •لهذا السبب ليس الا •لقد أصبحت لديهم عادة عدم رمى اى شيء •

احست كيميكو بالخجل أمام والدتها ، وهى وحيدة فى سعادتها الخاصة •

اعتقدت أن ما فعلته كان وداعا أفضل مما كان يمكن يعيه كيياكتشى ••• وأن باستطاعتها أن تنتظر عودته اى مدة مهما طالت •

نظرت نحو أمها وكانت أشعة الشمس تسقط على الابواب الورقية وراء المقعد الذى جلست عليه أمها أمام مرآتها •

كانت تستشعر الخوف هونا ما فى قضم الرمانة التى على ركبتها ••

في الذكرى المائة لوفاته

الهدوء .. بعد العاصفة!

ديستويفسكى
فى سنواته الأخيرة

بقلم : زينا مورينا
ترجمة : نصرى عطا الله

((يحتفل العالم كله بذكرى كاتب عظيم هو فيودور ديستويفسكى (١٨٢١ - ١٨٨١) ، صاحب القصص الخالدة ((الاخوة كارامازوف)) ، ((والابله)) . ((والجريمة والعقاب)) وغيرها ..

والفصل الذى نقدمه هنا يعرض لحياة الكاتب فى السنوات العشرة الاخيرة من حياته .

عاد ديستويفسكى الى بطرسبرج عام ١٨٧١ بصحبة ((آنا جريجوريفنا)) (زوجته) - وابنته ((لوبا)) ... .. ولقد كانت السنوات العشرة الاخيرة من حياته اكثرها سعادة واغزرها سلاما واضواؤها تنعكس على كلمات زوسيما العجوز (احد شخصيات الإخوة كارامازوف) .

((عبر معميات الحياة ، تتحول محنتنا القديمة شيئا فشيئا الى رضاء هادئ، رصين ودم الشباب الملتهب يتخلى عن مكانه للشيخوخة الهادئة المطمئنة ... انني ابارك شروق الشمس كل صباح ، وكالعهد فى الايام الخالية يجد قلبى فى ذلك فرحة ، ولكننى احب الغروب اكثر .. ان الشعاعات الممتدة والذكريات الهادئة الناضجة التى تجلبها معها

والصور الحبيبة لحياتي الطويلة المباركة وقبل كل شيء الحقائق الالهية التى تواسي وتسترضي وتغفر •• ان حياتي تقترب من النهاية • انني ارى ذلك وأسمعه •• ومع كل يوم بقى لى على هذه الارض ، أحس بحياتى الارضية تندمج فى حياة آتية ، جديدة ، لانهائية ، مجهولة •• وشعورى المسبق بها يجعل حياتى تهتز نشوة وعقلى يتوهج وقلبى يبكى فرحا •• »

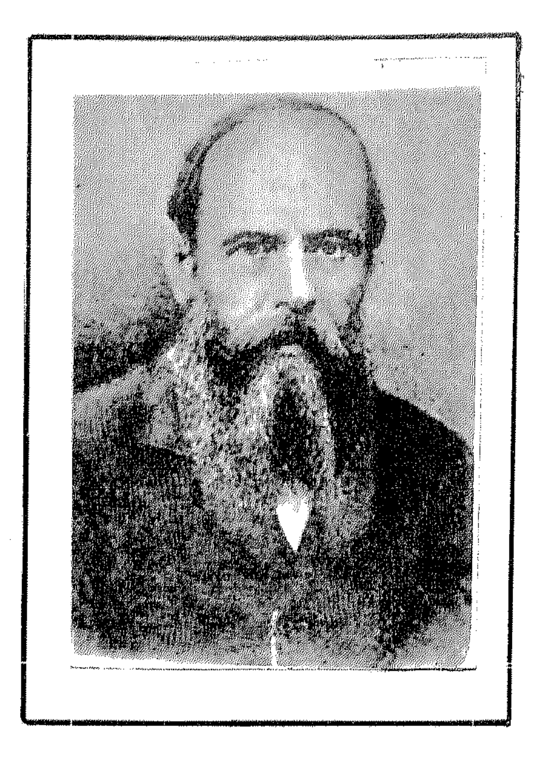
لقد تحولت الجمرات البركانية الى لهب هائل مستمر ••وكان ديستويفسكى يقضى الشتاء فى بطرسبرج ، والصيف فى ستاريا روزا (أحد المصايف أو المناطق الريفية المعتدلة) ، وكان احيانا يسافر الى الخارج ، ولكنه لم يرتد مرة واحدة وكرا من أوكار القمار ، فقد اختفى شيطان المقامرة ، وقد رزق ابنان ، (١٨٧٥ ــ ١٨٧٨) وكان الاخير مصابا بالصرع ، ومات فى سن باكره هى الثالثة من عمره •

ولقد استبد الحزن بديستويفسكى • وتكتب زوجته « آنا جريجوريفنا » فى كتاب ذكرياتها :

« كان يحب الكسى حبا غريبا •• يكاد يكون مرضا ، كما لو كان يحس نذيرا بوفاته الباكرة • وزاد من حزن زوجي ان الكسى مات متأثرا بالصرع الموروث عن والده ••

« وظاهريا كان ديستويفسكى يبدو مستسلما للغاية ، وانه قد تحمل لطمة القدر بعزم ثابت ، ولكنني كنت اخشى ان ذلك الحزن ــ الذى كان يبدو للناس انه يستطيع السيطرة عليه ، والذى كان ياكل قلبه على الدوام ــ قد يتلف صحته التى كانت ضعيفة بالفعل •• »

وبتشجيع من زوجته ، اعتكف ديستويفسكى بصحبة سولوفييف فى دير « اوتينا يوستين » ، وهناك استعاد



فيودور ديستويفسكى
مائة سنة على وفاته

الهدوء ، بعد فترة من التأملات الدفينة •

ان احزان « آنا جريجوريفنا » لوفاة ابنها لم تهدأ ،ولقد صورها ديستويفسكى فى « الاخوة كارامازوف » ان زوسيما العجوز الخبير بالقلب البشرى يستطيع أن يمنح العزاء للجميع الا الأم التى مات ولدها •• لقد حاول أن يلطف من آلامها بان يقول لها ان ابنها الآن ملاك فى ملكوت الله ، ولكن الأم كانت تبكى بحرقة اكثر •• لقد تمنت ان ترى الصغير الذى مات ولو مرة واحدة لا اكثر •• ولو من ثقب باب ، او حتى تسمع فى غرفة مجاورة وقع اقدامه الصغيرة العارية فوق ارض الغرفة ! ••

***

وكان ديستويفسكى أبا ودودا ، وعندما كان مقيما فى « ستاريا روسا » اشترى ارغنا يدويا صغيرا للاطفال ،وكان يعزف عليه فى الامسيات ، ويطوف به راقصا مع الاطفال ••

وفى الصباح بعد تناول طعام الافطار كان على الصغار أن يأتوا اليه ، ويقصون عليه كل ما شاهدوا من مناظر وواجهوا من مغامرات خلال جولتهم الباكرة ..

وتقول « أنا جريجوريفنا » فى كتاب ذكرياتها انها لم تر مطلقا شخصا آخر مثل ديستويفسكى يمتلك نفس قدرته على تهيئة نفسه للحديث مع الاطفال أو ارتياد عالمهم . أو شراء وتزيين شجرة عيد الميلاد .. وكان تهليل الاطفال لرؤية الشموع والهدايا أروع ما يحظى به من سعادة .. »

وذات حين وكانت العائلة قد سافرت الى « ستارايا روسا » وبقى دستويفسكى وحده فى بطرسبرج وكتب الى زوجته يقول ان أشواقه الى أولاده كانت عنيفة الى حد انه كان يترك مكتبه ويذهب الى الغرفة المجاورة يمر ببصره على الاسرة كأنه يقبلها !

فى تلك الآونة كان كل يوم من حياته يسير وفق خطة محكمة التنسيق ، وفى أغلب الاحيان كان يكتب خلال الليل فقط ، عندما تهدأ ضجة النهار وحركته .. وفى الصباح كان يستيقظ فى الحادية عشرة ، ويذهب ليرى أطفاله ، ثم يشرع فى القيام بجولة ..

وفى الامسيات كان يملى على زوجته ما كتبه فى الليلة السابقة ، وتحدثنا « آنا جريجوريفنا » فى ذكرياتها عن عملهما المشترك :

« كنت دائما أحب العمل مع زوجى ، وكنت فخورة بأنه فى استطاعتى مساعدته وانني كنت أول من يسمع تلك الاعمال من فم كاتبها .. وعادة كان فيودور ديستويفسكى يملى ما كتبه من مخطوطته مباشرة ، ولكن عندما يكون راضيا جدا عن احدى الفقرات أو يشك فى جودتها كان يقرأ لى الفقرة كاملة قبل أن يبدأ فى الاملاء ، وكان ذلك أقوى اثرا فى النفس من الاملاء على النهج المعتاد .. »

وقد سوى ديستويفسكى ديونه المالية المرهقة .. ولو انه قام بسداد الدين الاخير عام ١٨٨١ أى عام وفاته .

ومن عام ١٨٧٦ حتى عام ١٨٧٧ قام باصدار جريدة تحت عنوان « يومية مؤلف » ناقش فيها مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية فى عصره ..

وفى كل صفحة كان يسجل أعمق ما آمن به فى حياته : « ان كلا منا مسئول عن كل ما يحدث » ــ ومن المدهش ان طاقة ديستويفسكى المتوقدة والتى ظلت تتقد على ذاتها فى شراهه طوال حياته ، والتى لم تكن قد استنزفت اطلاقا حتى مغرب عمره ــ ظلت تمده بالقدرة على أن يرحب بكل محاولة نبيلة ، وأن يصرخ منددا بكل عمل ظالم أو يتسم بالعدوان .. حتى قسوة العقاب الذى كان يقود العجل الى المذبح ويجلس فوقه جلسة مريحة كأنه فوق مقعد وثير !

وفى « يومية مؤلف » يدلى برأيه الصريح فى الاطفال الذين يحترفون التسول .. والاحكام غير العادلة التى تصورها المحاكم .. وحقوق المرأة .. وأهمية الثقافات الاجنبية .

وهذه النشرات ذات الاكتفاء الذاتى ، التى كان هو محررها الوحيد حظيت بانتشار واسع ، وكان يتلقى مئات الخطابات من مختلف طبقات الناس ، مليئة بالامتنان القلبى من أجل مجهوداته لايقاظ ضمير الشعب ، ومن أجل هدم

تخوفه من ذكر الاشـــياء بأســمائها الحقيقية .

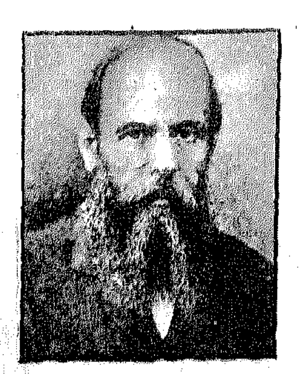
واحاطت به هالة من المجد .. كان يســتقبل كل يوم العـديد من الزوار ويســتمع الى متاعبهم ، ويحـاول أن يرشدهم الى السبيل القويم ، ولم يحدث أن صــد أحدا عن بابه ، الى حـد انه اضطلع بمواساة فتاة رسبت فى امتحان الجغرافيا ! ..

وقد اختارته أكاديمية العلوم زميلا (ولو أن هذا جاء متأخرا بعض الشيء) ، وشمله عطف القيصر ، وهذا بالقطع من ســخريات القدر .. وقد رغب القيصر الكســندر الثانى أن يلتقى أنجـاله بديستويفسكى أملا أن يؤثر اللقاء فى نمو هؤلاء الامراء تأثيرا يدفع بهم نحـو الاتجاه المرغوب ..

وفى تلك الفترة كان ديستويفســكى مستغرقا فى كتابة ((الاخوة كارمازوف)) ولذا كان يتجنب العلاقات الجديدة ولكن رغبة القيصر كانت عنده أمرا .. وكان دائما يتحــدث بحمــاس عن القيصر الكسندر الثانى الذى حقق حلم صـباه بتحرير الرقيــق ، الحلم الذى من اجله قدر عليه أن يعـانى آلاما فادحة (حكم الاعدام الذى استبدل بالنفى والاشـغال الشاقة) .

وفى هذه الفترة الاخيرة من حيــاته كتب : « شـــاب غـرير » عــام ١٨٧٥ و « الاخـوة كارامازوف » عام ١٨٨٠ ـ وبلغ أوج شهرته فى احتفالات بوشـكين التى اقيمت فى موســكو فى الثامن من ازاحة الستار عن تمثال لبوشكين .

وقد دعى دستويفسكى ليتحـدث فى الحفل ، ولم تستطع « آنا جريجوريفنا »



اصطحابه اذ ان صـحة الاطفال الواهنة ألزمتها المنزل ، ولكن ديستويفسكى كان يكتب لها كل يوم واحيـانا مرتين فى اليـوم الواحد ، عن كل ما يـدور فى الاحتفالات بموسكو ..

وقد بذل ديســتويفسكى الكثير من الوقت والعناية فى كتابة الحديث الذى كان عليه أن يلقيه .

ولما كان زواره الكثيرون فى بطرسبرج لا يتيحون له الهدوء هناك ، فقد رحل الى « ستاريا روسا » حيث اعتكف تماما مع أعمال بوشكين يستلهمها حديثه المنتظر والنصــوص المختلفة لهذا الحـــديث ومسوداته المحتفظ بها تبين انه اراد أن يعبر عن ذاته كاملة فى هذا الحديث ، ولعله كان يشـعر أن تلك كانت آخر فرصة للتعبير عن ذاته ـ ان يجمع الشرر المتناثر فى شعلة واحدة عظيمة .

وفى يوم الاحتفـــال ألقى حديثه فى صــوت هادىء النبرات ولكنه واضـح ومفعم بالعــاطفة المتعلقـة .. ولم يكن ديستويفسكى خطيبا متوهجا مثيرا ، لم يجعل الجدران تهتز أو جمهوره يبكى ، ولكن طريقة حديثه البســيطة المعبرة عن ذاتيته كانت على الدوام تجتذب سامعيه، وكان كل مستمع يحس ان ديستويفسكى كان دائما يتحادث معه ويتحدث عنه .

وهذه المرة أيضـا ـ فى احتفـــالات بوشكين ـ امسك النـاس انفاسهم وهم

يشعرون ان كل كلمة كانت تنبع من اعماق روح المتحدث الذى يعبر عما عنده بامانه .. ان هذا الرجل المتوسط الطول ذا الخدين المتوهجين والنظرة الغريبة التي تفحص الاعماق واليدين العصبيتين الحساستين والصدغين الغائرين ، والصدر الغائر ايضا ، ذى الشعر الخفيف واللحية الصغيرة غير المنسقة - هذا الرجل كانت تلتهمه نيران روحه ، وكان يعبر عما عاناه من تجارب مفعمة بالالم الصامت .

تحدث عن عبقرية بوشكين ، ورسالة روسيا ، والاخاء القادم بين الشعوب ، وواجبات الانسان « تواضع أيها الرجل ذا الكبرياء .. وأنت ، أيها الخامل قم واعمل .. »

وكان يبدو أن التصفيق لن يتوقف . واندفع شاب الى منصة الخطابة ليشكره ولكنه أغمى عليه من الانفعال - وأثر الخطيب التالى الا يتحدث ..

وقدمت جماهير المستمعين الى ديستويفسكى أكليلا هائلا من الغار .

وفى وقت متأخر من الليل وبعد انتهاء الحفل ، عاد ديستويفسكي الى مسكنه وهو منهك القوى تماما ..

انه لم يكن يعلم . ولكن ذلك الحديث كان اللحن الاخير فى سيمفونية اعماله . وكما حدث في أول يوم باشر فيه الخلق الادبى ، هكذا حدث بعد اليوم الاخير .. انه لم يجد الراحة بعد عودته الى منزله ، كانت كل أوتار روحه ما زالت ترن وكل اعصابه ترتعش .. كان هناك شىء آخر عليه أن يعمله .. بالنسبة للآخرين كان الحفل قد انتهى داخل قاعة الاجتماع ولكن بالنسبة له كان لابد ان يجد ختاما آخر يواجه به نفسه :

بعد فترة وجيزة من النوم نهض وأخذ أكليل الغار ، وذهب وحده الى حيث كان تمثال بوشكين .. كانت ليلة صافية ودافئة والشوارع قد انقطعت فيها الحركة وهدأت وأصبحت منعشة الى حد يثير الدهشة بعد يوم سعيد حافل ، ووصل الى تمثال بوشكين وبذل كل جهده ليرفع أكليل الغار ويضعه عند قدمى استاذه العظيم ، ثم انحنى أمامه انحناءه عميقة ..

***

وفى الثامن من فبراير عام ١٨٨١ كان ديستويفسكي يباشر الكتابة كعادته حتى وقت متاخر من الليل ، وكان ذهنه يحفل بكثير من المشروعات : كان عليه أن يكتب الجزء الثاني من ((الاخوة كارمازوف)) حيث يكون ((اليوشا)) هو الشخصية المحورية ، وكان يتلهف على أن يكتب كتابا عن السيد المسيح ويواصل كتابة ((يومية مؤلف)) وحدث أن سقط القلم من يده وراح يبحث عنه. واستلزم الامر أن يحرك خزانة كتب ثقيلة ،وارهقه الجهد فانفجر شريان فى رئتيه الضعيفتين اعقبه نزيف .. ولم يستطع الاطباء والاصدقاء برغم كل عجزهم ان يفعلوا شيئا له . وفي الساعة السابعة من صباح العاشر من فبراير نادى زوجته بصوت خفيض :

- آنا .. انني لا استطيع النوم ! .. لقد مرت ثلاث ساعات وانا مستيقظ ، افكر طوال الوقت ، والآن ارى بوضوح انني سوف أموت اليوم ، اشعلي شمعة

وناولينى الانجيل .

وكعادته التى ظل مواظبا عليها ، فتح العهد الجديد كيفما اتفق ، وقرأ « لتأذن ان يكون الامر كذلك فى هذه اللحظة ، اذ هكذا يليق بنا ان نستكمل كل ما هو صالح » .

ـ آنا .. هل تسمعين؟ لتأذن آنا . وهكذا ، فاننى سوف أموت ..

قال هذه الكلمات ، واغلق الكتاب المقدس ، وودع الاصدقاء والاطفال وقبل زوجته قبلة رقيقة ، وقال لها :

ـ لا تنسى يا آنا .. اننى قد أحببتك فى كل حين من أعماق قلبى ، ولم يحدث حتى بالفكر ان كنت خائنا لك ..

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من فبراير انتقل الى الخلود ..

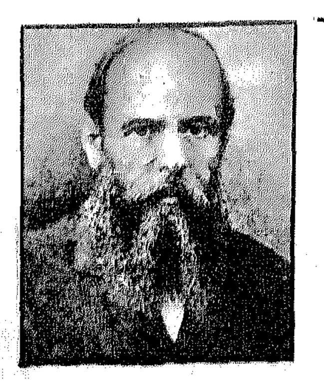
ان ديستويفسكى واحد من تلك الزمرة من الارواح العظيمة المتاججة مثل مايكل أنجلو ، وفان جوخ ، وبيتهوفن ، أولئك الذين احرقوا أنفسهم وهم يعطون النور للآخرين ..

ان ديستويفسكى ذاته هو الذى يكشف لنا عن حقيقة نفسه فعندما كان فى بواكير شبابه كتب الى أخيه قائلا :

« ان قلبى يتداح ليتسع لعظمة الحياة .. »

وفيما بعد اثر عودته من سيبيريا ـ قال :

« اننى لا أستطيع أن اقف عند منتصف الطريق ، ان الاقتصار على قول



بعض ما يجب أن يقال يتساوى مع عدم قول أى شىء ! ..

وقرب نهاية حياته اعترف لصديقه مايكوف الذى كان موضع ثقته الكاملة فى كل حين :

« اننى على خلق يستحق الاحتقار ، اننى شديد الانفعال فى كل مكان .. وفى كل شىء أذهب الى حد التطرف ، طوال حياتى كنت أذهب الى ما وراء الحد (اللائق) .

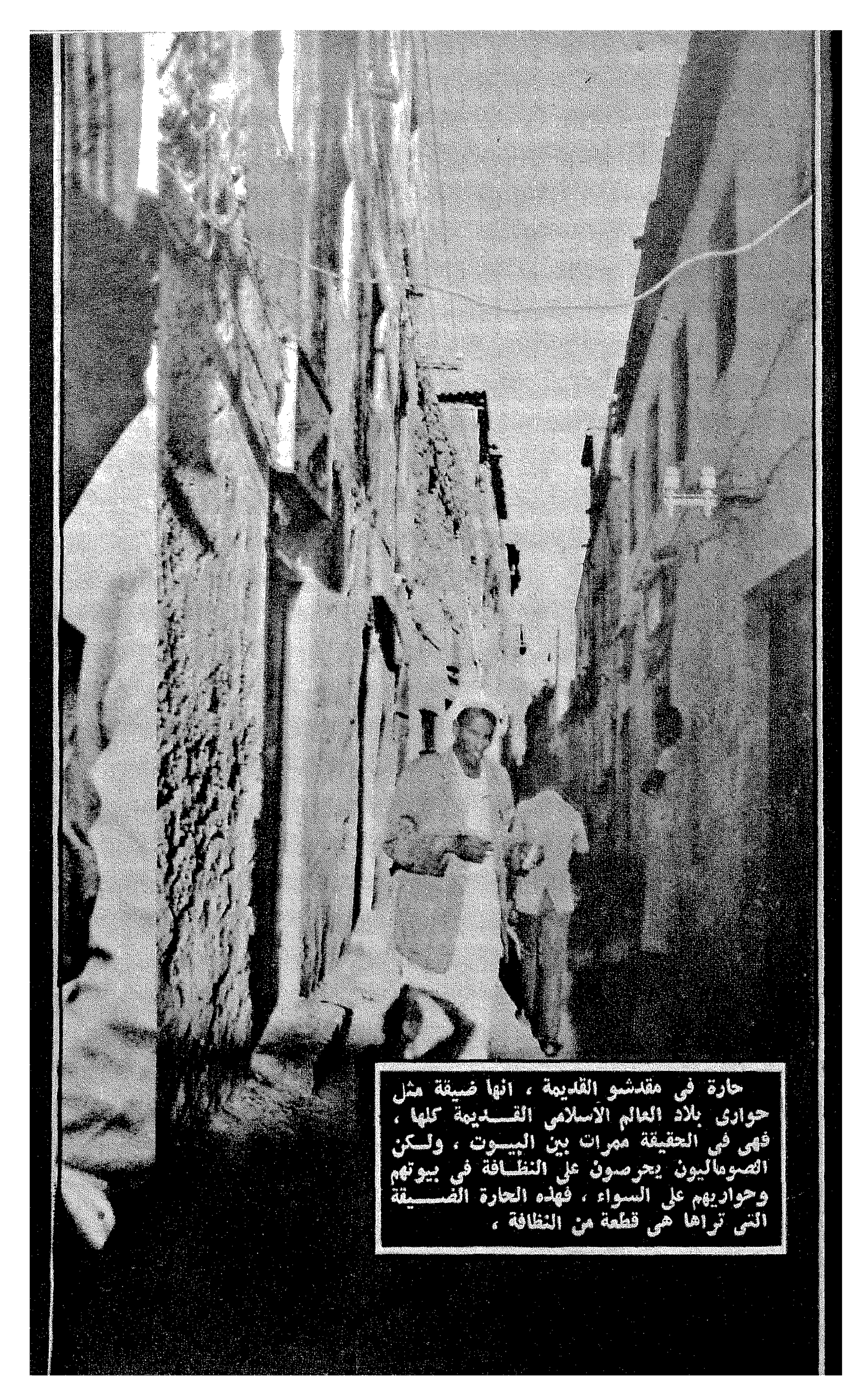
ان هذا الرجل الذى يقدم لنا نفسه كخاطىء وكائن بشرى له كل صفات البشر ، والقريب الى نفوسنا كرجل جاهد كثيرا وتالم كثيرا ـ هذا الرجل نأنس فيه رفيقا يسير الى جانبنا فى ساعات المحن ، لا نصف اله زائف ، يقف على بعد نستطيع ان نصل اليه ، فى جو بارد منقى .

وعند استعراض حياته ، نجدها شبه تكملة لسفر أيوب : الفقر ، والسجن ، والحكم بالاعدام ، والاشغال الشاقة ، والنفى .. سورة الحب وشيطان المقامرة والمرض الذى لا شفاء منه .. ان جزءا من مائة من ذلك كان يكفى لدمار روح الانسان العادى ووأد حيويته ، ولكن ديستويفسكى لم يحمل صليبه منكس الرأس ، لقد رفعه من فوق كتفيه وغرزه فى الارض واعتلاه وهكذا أصبح أكثر علوا ..



بلد الأبطال والنساء الجميلات

الصومال ، سيد القرن الافريقى وحارس البحر الاحمر ، بلد الابطال المجاهدين والنساء الجميلات ، هذا البلد يقف وحده الآن يصارع لحماية نفسه وحماية العالم العربى كله ، والروس ـ اعداء الاسلام والعرب جميعا يدفعون الاحباش ويشجعونهم على العدوان على الصومال لانهم يأملون أن يتمكنوا فى النهاية من السيطرة على القرن الافريقى والقبض على مفاتيح البحر الاحمر ، بحر العرب والمحيط الهندى ، وأمام هذا الخطر الداهم لا يجد الصومال المال أو العتاد ، ولا ندرى الى متى سيظل الصومال يقاتل وحده ، والذى نخشاه أن تكون ـ من هذه الناحية ـ فى الطريق الى افغانستان افريقية .



حارة فى مقدشو القديمة ، انها ضيقة مثل حوارى بلاد العالم الاسلامى القديمة كلها ، فهى فى الحقيقة ممرات بين البيوت ، ولكن الصوماليون يحرصون على النظافة فى بيوتهم وحواريهم على السواء ، فهذه الحارة الضيقة التى تراها هى قطعة من النظافة ،

الصومال .. بلد الابطال

والنساء الجميلات

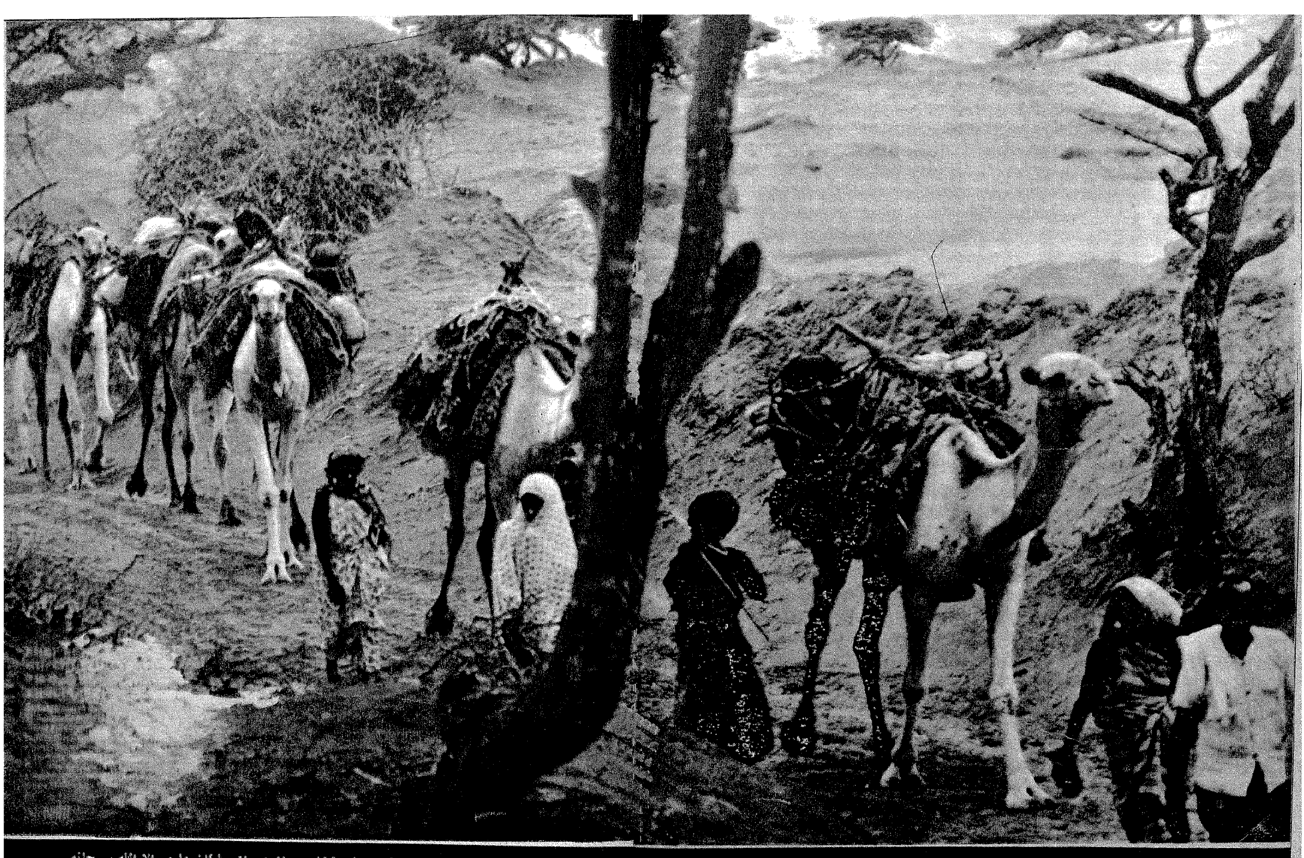
الصومال بلد عربي وعضو في الجامعة العربية ولكن أهله لا يتكلمون العربية ولغتهم أفريقية سواحلية . ان عددهم مليونان ونصف ، ثمانون في المائة منهم بدو وعشرة في المائة زراع والبقية تجار وموظفين وأصحاب حرف ، وفي الصومال نهران صغيران يصبان في المحيط الهندي . على مصب الاول منهما تقع مدينة مقدشو وهي مدينة شهيرة في تاريخ الاسلام كل الجغرافيين العرب تحدثوا عن مقدشو ، والايطاليون أثناء احتلالهم للصومات انشأوا فيها منشآت جديدة وجميلة ، ولكنهم أيضا أساءوا اليها فقد نشروا هناك أيام سلطانهم موبقات كثيرة ، والصوماليات مشهورات بالجمال ، وفي يوم من الايام كادت مقدشو أو موجاديشيو كما تقول وسائل الاعلام تتحول الى واحدة من أتعس مدن الدنيا . من حسن الحظ أن الايطاليين أثناء احتلالهم للمنطقة أنشأوا ١٢٠٠ كيلو مترا من الطرق المرصوف ، وهذا هو الموجود اليوم هناك ، والصينيون يعملون على انشاء طرق جديدة ، والروس يقولون انهم سينشئون طرقا أخرى ، والصوماليون يبذلون أقصى مافي وسعهم ولكن ما عساهم يستطيعون عمله الى جانب الصومال تقوم الحبشة التي أصبحت اليوم الحليف الرئيسي لروسيا، وروسيا تعطيها بكلتا اليدين ، ومكنتها من الاستيلاء على اقليم الاوجادين أغنى أقاليم الصومال . وكل أقليم هرر صومالي ولابد أن يعود الى الصومال ، ولكن ماذا يفعل بلد صغير صغير ومن حوله زبانية بلاد عدو تساعدهم بعض البلاد العربية مثل اليمن الجنوبية وليبيا حقا ان العالم العربي عالم مسكين وتعيس ، وتعاسته نابعة من داخله ، فهو المسئول عنها في البداية والنهاية .

في وقت من الاوقات ظن الصوماليون ان الروس حلفاء يستطيعون الاعتماد عليهم ، ولكنهم الى يومنا هذا لم يروا من الروس الا ما يراه كل من اعتمد عليهم : البقايا والنفايات وفي مقابل ذلك لابد ان تنفتح البلاد للشيوعية الماركسية ويحل كارل ماركس محل الدين ويضيع البلد كله مقابل لا شيء ، وأمامنا مأساة أفغانستان وما فعله ويفعله بها الروس وأمثال محمد تراكي وبابراك كارميل ومن اليهما ممن انخدعوا في سراب الروس . ونحن لا نلوم الروس . بل نلوم الذين يخدعون شعوبهم باسم الروس ، فهؤلاء ـ قبل الروس ـ هم سبب المصيبة .

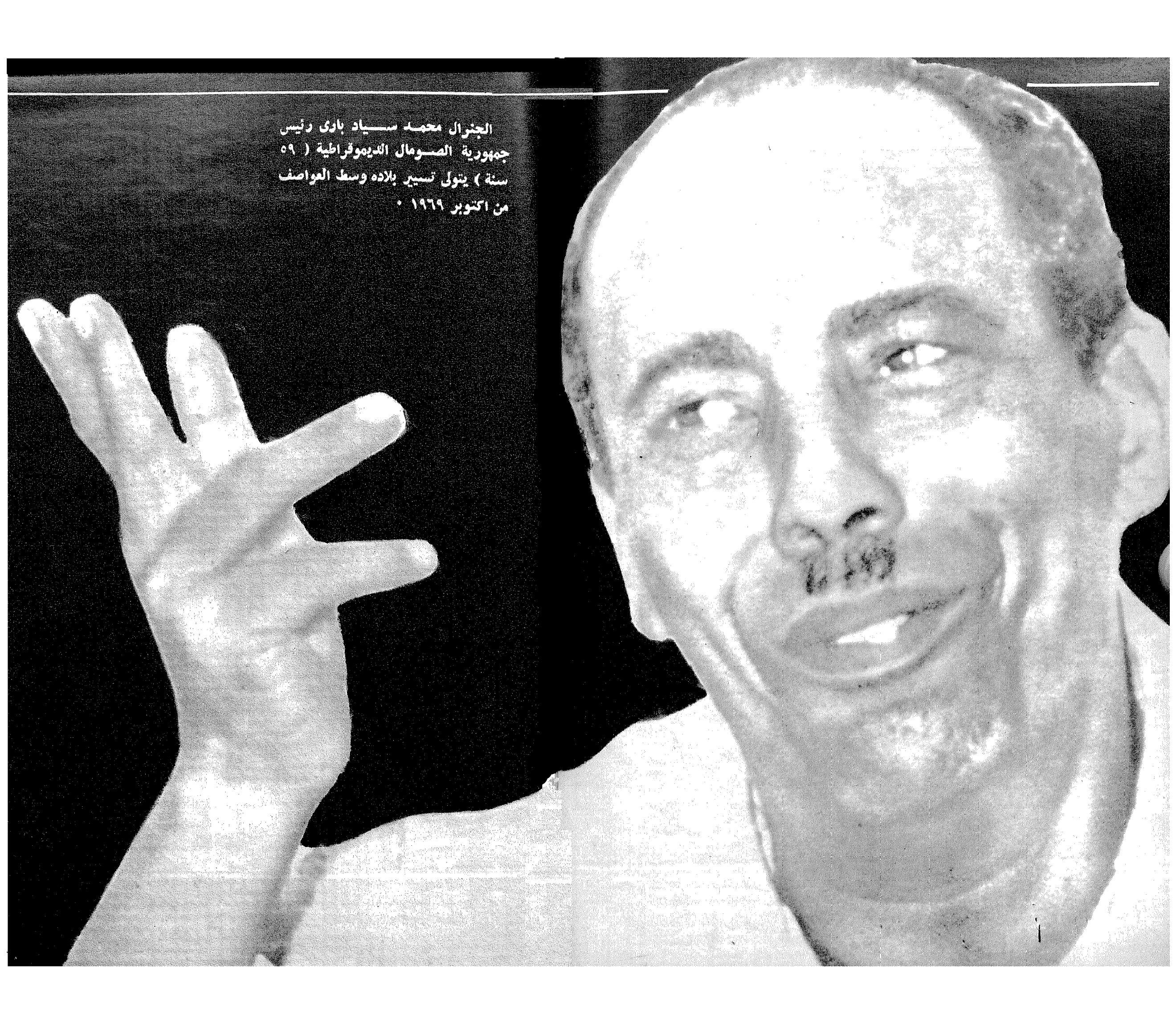
على رأس الصومال اليوم زعيم عربي باسل هو الجنرال محمد سياد باري الذي استولى على الحكم في حركة عسكرية في ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ وقد وجد نفسه منذ توليه في مواجهة الحبشة ، وخاض معها حروبا طاحنة انتصر فيها أول الامر واسترد اقليم الاوجادين ، وفي صيف ١٩٧٨ استسلمت فرق كاملة من الجيش الحبشي ، وهنا ، ومحمد سياد باري على عتبات النصر تدخل الروس وأغدقوا على الحبشة وقائدها مريم مانجستو السلاح والاموال ، وبدأت قوات الصومال تتراجع حتى ضاع الاوجادين ، ومن ناحية اخرى وقفت حركة تحرير اريتريا وقوفا تاما ،وأريتريا



تشتهر الصومال بقطعان جمالها ، والجمل الصومالى هو الجمل الافريقى ، وأصله عربى ، ولكنه هنا فى الارض الافريقية أخذ صورة اخرى ، من الصومال انتشرت الجمال فى بلاد المغرب كلها ثم فى نواحى الصحراء ، ومن المغرب دخلت الجمال بلاد افريقيا الغربية مثل السنغال ، ويحدثنا المؤرخون ان ملك بجلماسة وهى احدى مجموعات الواحات الكبرى فى جنوب المغـرب الاقصى كان يملك قطيعا من ٥٠٠٠ جمل · وهذا فيما نذكر أكبر قطيع من الجمـال سمعنا به . الجمل الصومالى يميل الى البياض وصـوفه قليل ولكنه جيد ، والصوماليون يعتمدون على الجمل فى حياتهم اعتمادا تاما ·



عدد سكان الصومال ثلاثة ملايين ونصف ، منهم مليونان ونصف من البدو الرعاة الذين يعتمدون على الجمال والماعز في حياتهم ، وهم في تنقل دائم طلبا للمرعى ، وهم على رغم قلة مواردهم يعتزون بأنفسهم وباستقلالهم اعتزازا شديدا . انهم شعب حر لم يعرف الخضوع لاحد ولا سلطان عليهم الا الله سبحانه وشعورهم العميق بالشرف والكرامة الانسانية ، ها هي جماعة منهم في رحلتهم الدائمة حاملين كل ما لديهم على ظهور جمالهم ، وحينما نزلوا ضربوا خيامهم واستمتعوا بحياة الحرية التي هي ثروتهم الكبرى .



الجنرال محمد سياد بارى رئيس جمهورية الصومال الديموقراطية (٥٩ سنة) يتولى تسيير بلاده وسط العواصف من اكتوبر ١٩٦٩ .

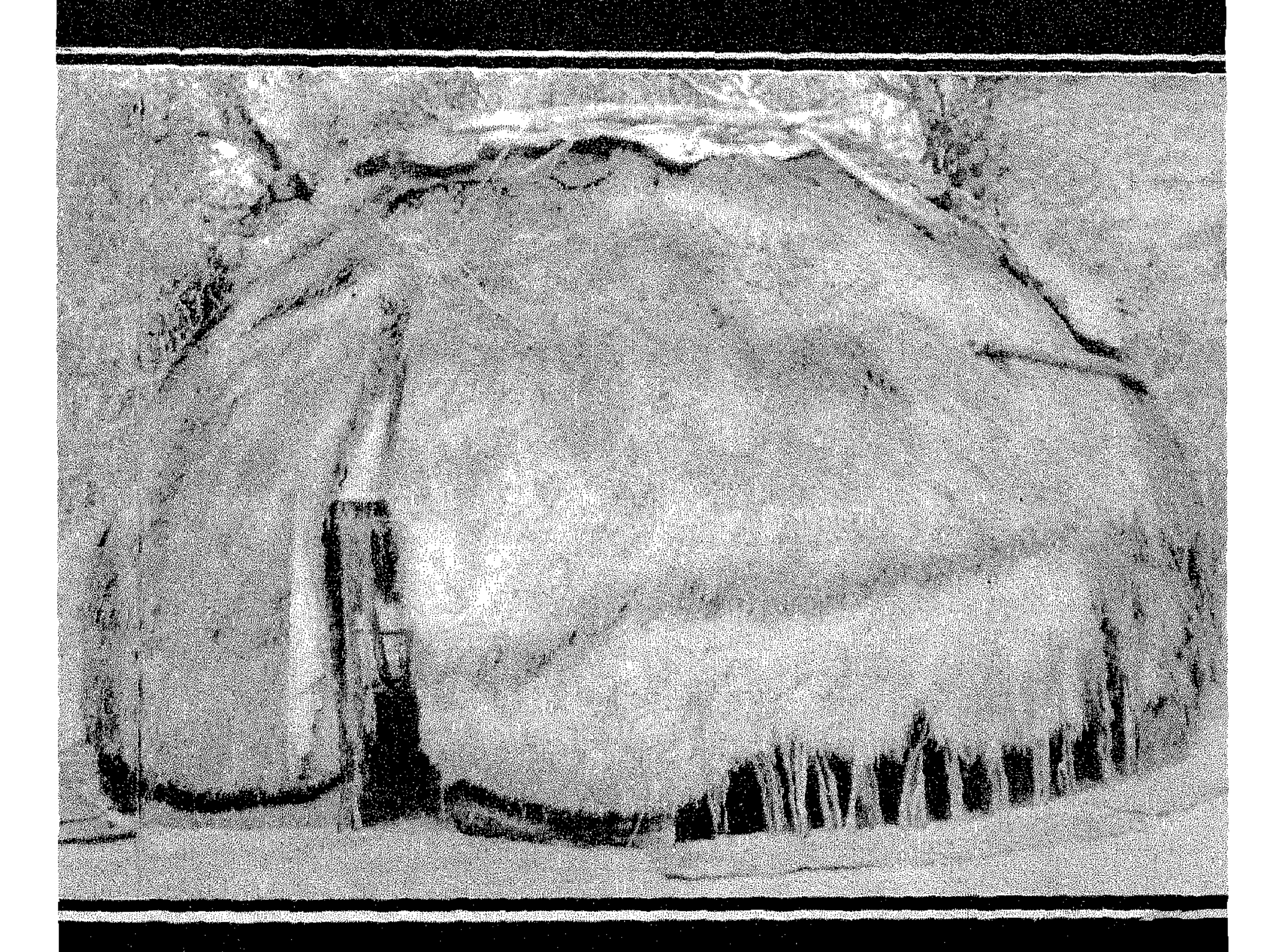


لقد تحررت المرأة الصومالية وهي تعمل في المصانع وتساهم في
النهوض ببلادها . في الصورة العليا ترى نساء صوماليات في مسيرة
نصر بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للصومال ، وفي الصورة
السفلى ترى جماعة من الصوماليات يهتفن لبلادهن في اليوم القومي
لاحظ جمال المرأة الصومالية .

الصومال .. بلد الابطال والنســاء الجميلات

●●●

في جنوب الصومال يعيش البدو في أكواخ يصنعونها من أعواد الشجر ويغطونها بجلود الماشية لان المطر يسقط في بعض الاحيان • النــاس هنا فقراء ولكنهم ســعداء لانهم أحرار ، وهم في حاجة الى كل شيء ولكنهــم لا يشكون ، وهم كذلك مقاتلون بواسل لان حريتهم هي اغلى شيء عندهم •





صبيان صوماليون فى مدرسة ابتدائية ساعد الروس فى بنائها على امل ان يلقوا فى اذهان هؤلاء الصغار بعض الافكار الشيوعية ، ولكن الصبى الصومالى يرفض كل فكر الا الاسلامى ، والاولاد هنا يحفظون القرآن ويتعلمون القراءة والكتابة ، لاحظ سعادتهم واشراقة وجوههم وجمال ملامحهم ٠

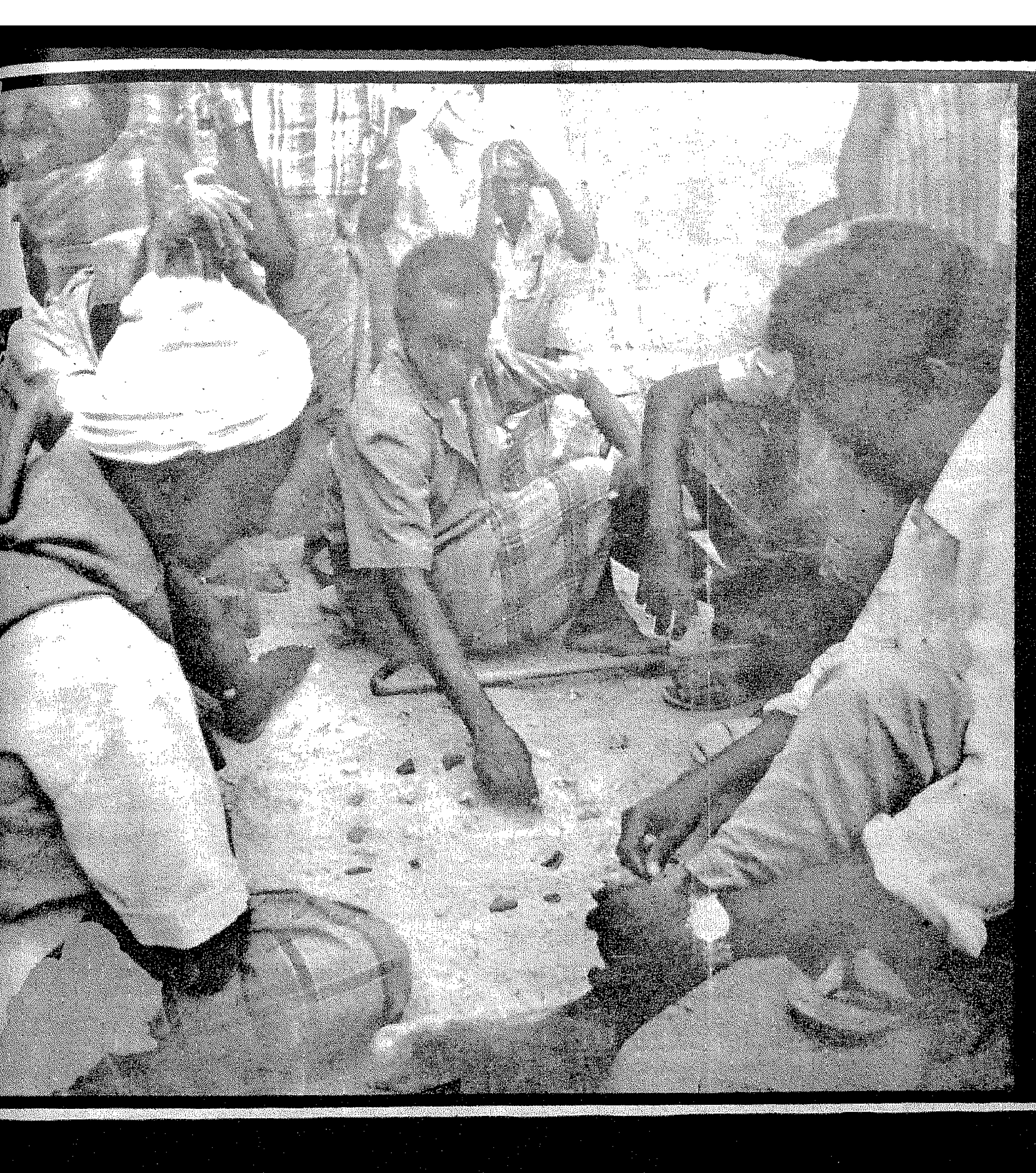
بلد عربى مجاهد آخر تحطمت آماله على صخرة الشيوعية والشيوعيين ٠

ومن حسن الحظ أتاح للصومال فى اكتوبر ١٩٧٩ الفرصة للاتصال المباشر بالغرب ، وذلك عندما هبطت طائرة المانية مختطفة مطارمقدشو وطلبت التزود بالوقود ، وقد تعاون الرئيس الصومالى مع الحكومة الالمانية على استرجاع الطائرة من المختطفين بواسطة قوة من فرق الطوارىء الالمانية ، تمكنت بمساعدة الصومال ـ من الاستيلاء على الطائرة وتخليص الرهائن دون أن يصيب أحدا منهم أذى ٠ وقد عرفت الحكومة الالمانية كيف تعبر عن شكرها للصومال على هذا الموقف ، وقال المستشار هيلموت شميت للرئيس محمد سياد بارى تليفونيا : ان المانيا لن تنسى للصومال هذا الفضل أبدا ٠

والصوماليون شعب عربى افريقى اشتهر على طول تاريخه بالشهامة والشجاعة ، فان بلدهم فقير دون شك ، ولكنهم اغنياء بعزة النفس واباء الضيم والتمسك باستقلالهم ٠ وقد خاضوا فى سبيل ذلك حروبا ضارية كسبوا بها احترام خصومهم أجمعين ٠ وفى يوم من الايام كما قلنا استرجع الصوماليون كل اقليم الاوجادين ، ولكن العالم خذلهم ولم يجدو من أى بلد عربى معاونة جديدة فخسروا ذلك الاقليم الواسع الغنى ٠ عادت الحبشة الى اغتصابه وعاونهم فى ذلك الروس ، لا حبا فى الاحباش بل كراهة فى الاسلام وأهله ، وقد قلنا على صفحات هذه المجلة أكثر من مرة أن الروس الشيوعيين ألد اعداء الاسلام على الارض وأشد الشعوب تعصبا عليه وعلى



على هاتين الصفحتين مجموعة من الصور تريك مشاهد من حياة الناس فى الصومال ، والصور تنطق بما فيها دون حاجة الى تعليق ولكننا نستلفت النظر الى الصورة الاولى على اليسار حيث نجد صبيانا صوماليين يتعلمون النجارة على يد مدرس من ألمانيا الشرقية ، والصورة تحتها لعنبرفى مستشفى حديث ساعدت المانيا الغربية فى انشائه ، وتحتها غلمان يمرحون فى ماء المطر الذى يسقط نادرا ، والصورة تحتها لفيل من الافيال التى تكثر فى آجام الصومال الجنوبية ، وتحت ذلك ترى قطيعا من الماعز هناك ثروة قومية ، والصورة الكبرى فى الوسط لميناء مقدشو وبقية الصور فى غير حاجة الى تعليق .



الصوماليون شعب عفى سليم التكوين ، وهم يقبلون على العمل حيثما وجدوه وفى اوقات الفراغ يجتمع بعضهم ببعض للتسلى بمثل هذه اللعبة البسيطة التى نراها فى الصورة ، انهم يحاولون أن يلقوا فى ذهنه بعض الآراء التى يسمونها اشتراكية ، ولكن الصومالى رجل ذكى مؤمن وهو يتمسك بعمله ودينه ووطنـه ولا شىء بعد ذلك •

الصومال.. بلد الابطال

والنساء الجميلات

أمله • ولا أدرى الى متى سيظل بعض العرب غافلين عن هذه الحقيقة •

***

ان الصومال بلد فقير لاننا نحن العرب اخوانه نريد له ان يظل فقيرا ، ولو اننا اهتممنا بالصومال اهتماماحقيقيا وادركنا أهمية الحفاظ عليه سليما قويا بالنسبة للعالم العربيوادركنا ان للصومال اولوية رئيسية بالنسبة لسلامة الوطن العربى كله فان القرن الافريقى مفتاح من مفاتيح سلامة البحرالاحمر ،وسلامةالبحر الاحمر رئيسية بالنسبة لامن اليمن والسعودية والسودان ومصر ، وهذه البلاد لو اجتمعت لاستطاعت أن تقدم للصومال فوق العون المطلوب ، فان شعب الصومال باسل ، ولكن السلاح ينقصه ونشيط عامل ولكن الامكانيات تنقصه ، ولو اننا استطعنا أن ننفذ الى دهاليز المطامع الروسية لوجدنا ان الصومال من أوائل البلاد التى يخططون للاستيلاء عليها ، لان ذلك يمكن لهم من السيطرة على المحيط الهندى ، وهذا أمل استعمارى قديم عند الروس •

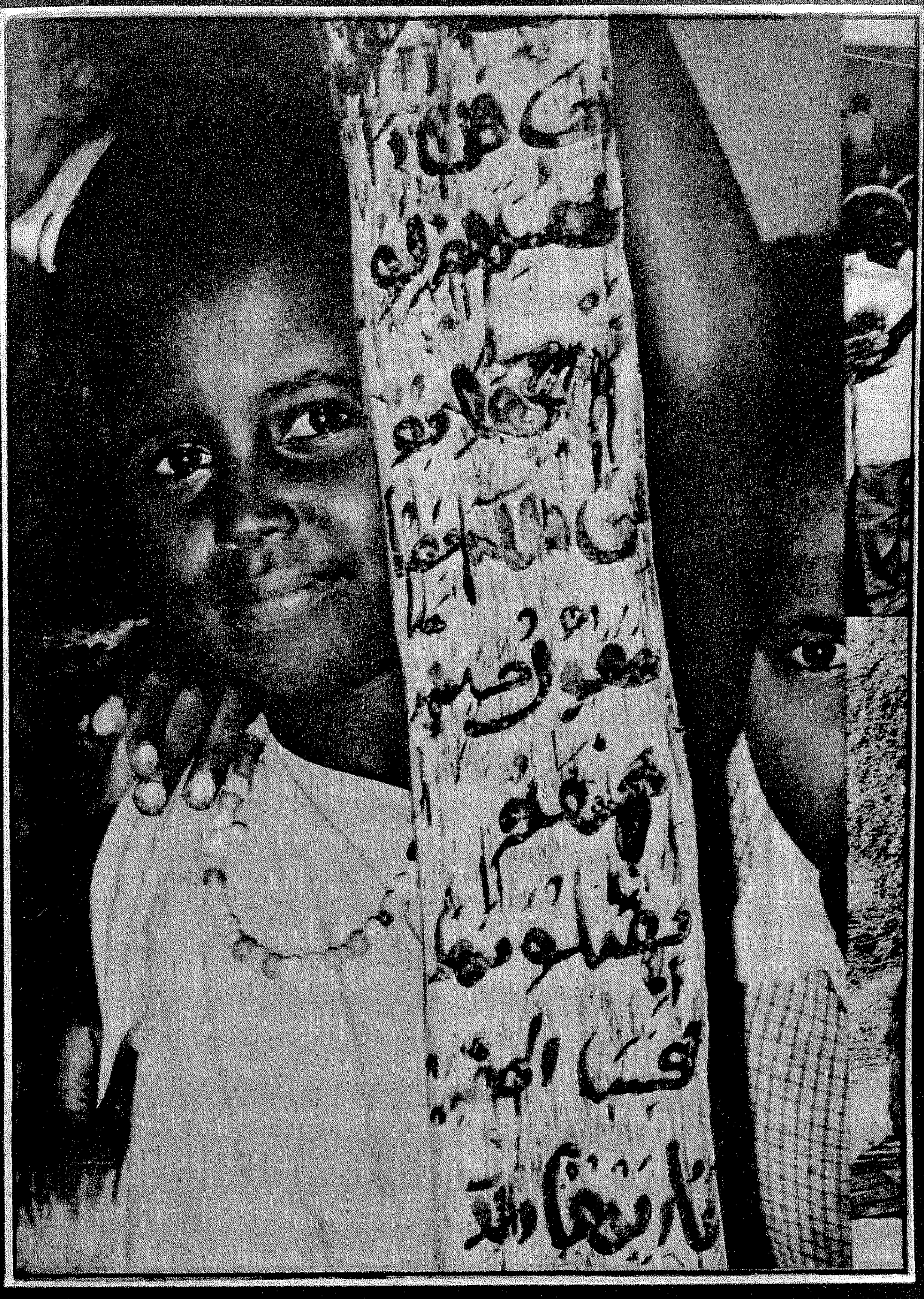
وهل يعرف العرب مثلا ان جزيرة سقطرى ، وهى جزء من الوطن الصومالى تعتبر من أعظم المواقع الاستراتيجية على خريطة الدنيا ؟ واسرائيل تخطط من زمن بعيد للاستيلاء عليه لانها لو وصلت الى ذلك لامسكت بمفاتيح البحر الاحمر ؟ وانه لمن العجيب ان العرب ، ولديهم الادارات الفنية العظيمة فى جيوشهم ، وكلها تعرف أهمية القرن الافريقى وجزيرة سقطرى غافلون عن نداءات الصومال لمعاونته على تحصين نفسه وحمايته من خصومه الطامعين فى ارضه وبلاده وعلى راسهم الروس ومن معهم الاحباش وكلاهما عدو لدود للعرب والمسلمين على السواء •

***

كان ينبغى أن يكون الصومال من أقوى البلاد الافريقية ، فان لديه الفرصة ليكون كذلك ، ولكنه محتاج لعوننا جميعا لكى يقف على رجليه ويستطيع القيام بدوره العظيم ، حقا ان بلاد افريقية المدارية كلها تعيش ظروفا قاسية من الجفاف والفقر والحاجة الى رؤوس الاموال لانقاذ أراضيه بل انقاذ مستقبله ولكن الصومال له أهمية خاصة ، وفى بعض موضوعات السياسة العربية العامة ينبغى أن ينسى العرب خصوماتهم ويتعاونوا فيما يضمن سلامتهم أجمعين، والصومال على رأس هذه الموضوعات •

***

من الاسف الشديد ان الوحيدين الذين يعرفون قدر الصومال واهميته بالنسبة للاستراتيجية العالمية • ومنذ عرف الصومال كيف يعين المانيا الاتحادية على انقاذالطائرة الالمانيةالمختطفة ورجال المانيا يقدمون العون للصومال سواء فى انشاء الطرق أو المعاهد العلمية أو المنشآت الحديثة كالمطارات ، واليابان أيضا تقدم الكثير ، لان المهم هو أن يخرج الروس والشيوعيون جميعا من القرن الافريقى ، وان يستطيع الصومال أن يقف على قدميه • وبدون الصومال القوى لا سلامة للوطن العربى فى مجموعه •



فتاة صومالية تحمل لوحا من خشب كتبت عليه آيات من القرآن الكريم . انها تحفظها ثم تمحوها وتكتب غيرها حتى تحفظ القرآن كله . الصوماليون شعب متدين متمسك بالاسلام رغم محاولات الدعاية الاشتراكية . ان الصوماليين يرفضون أى فكر مخالف للفكر الاسلامي .

المسافر
في سنبلات الزمن

هكذا كنت ..
... وما زلت سحابا وحدائق
صاعدا في سنبلات الزمن الناخر أصلاب التكاثر
هابطا تحت الجذور السالبات الارض أحلام البراءة
راحلا في الصخر تحدوني الجساره
ملقيا في قبضة النيران ذاتي
فاذا النيران في ذاتي اشتهاء ووضاءه
ناصبا عرس السماوات بقاع البحر في خصب المواسم
بانيا كل الحضارات التي فوق ضلوعي
شيدت كبرى الملاحم
مانحا للظل أرواحا نديات المعالم
ساقيا قلب البراكين بثورات المناجم
فاتحا كل المدائن
مغرقا في مد آفاق خيال الشعراء
واهبا فجر النبوءات الضياء
عائدا
واللؤلؤ المكنون في خطوى برق وانتشاء
والمجاديف تشق الصدر مني
وأنا أعلو .. واعلو فوق سني
لا ينال الزمن الفاتك مني
فهو بعضي
وأنا الكل الذي يغفل عني !
كلما جدت بلمن ولدت لي الف دن
والمفازات تناجيني .. وخيلي لم تخني
ورؤى قلبي لمجدا في تغني
في وعودي لا أمني
كل ما ألقاه يجني الخير مني
وأنا أسقيه ذاتي
وهو يسقيني التمني !

د. صابر عبد العليم

مدرس الادب والنقد
كلية اللغة العربية ــ الزقازيق

مشكلات الإسكان فى العالم
واقـــع .. وحـلـول

كانت المدينة دائما منطقة جذب وموضع اهتمام لما يحيط بها من مناطق وبقاع ، ففيها دور الحكومة ومراكز الحكم والمدارس والمعاهد والجامعات ووسائل التسلية والترفيه على اختلافها وتنوعها ، واليها يرحل طلابها مما حولها ، طلبا لما فيها ، وقضاء لما يحتاجونه فيها من مصالح .

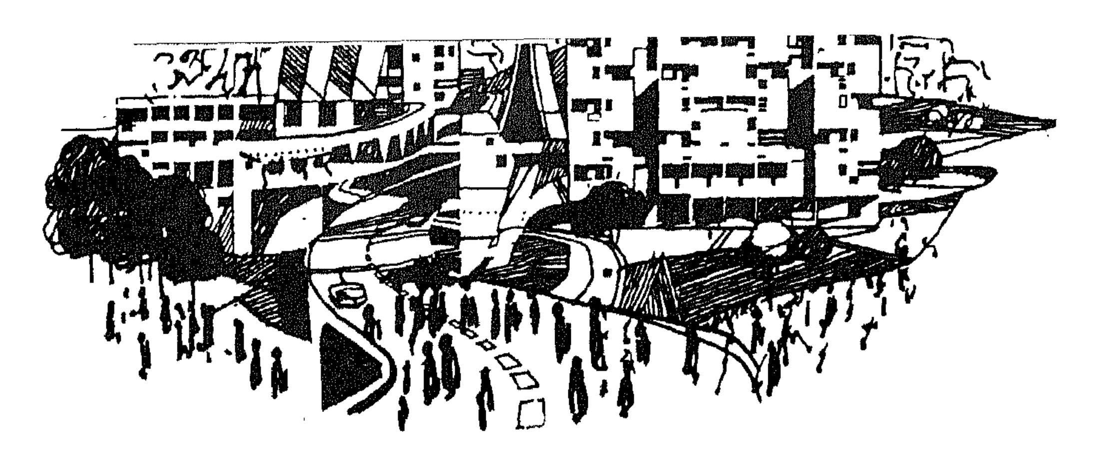
والريف موطن الخصب والنماء ، وفيه الحقول والمزارع والحدائق ، والمدينة هي المستهلك الاكبر لما ينتج فيه ، سواء كان ذلك على المستوى الفردى البسيط او كان على مستوى الدولة واداراتها والشركات الكبرى والمؤسسات الضخمة وما تحتاج اليه ...

يتجه اليها القروى ببعض ماتنتجه قريته ، يحمله فوق رأسه أو بين ذراعيه او يسوقه أمامه الى سوق المدينة ليبيعه ، وهذا هو المستوى الفردى البسيط ، ولا تخلو مدينة صغيرة أو كبيرة من سوق يحدد لها يوم من أيام الاسبوع يسمى باسم اليوم الذى تقام فيه ، فيكون «سوق الثلاثاء» أو «سوق الخميس» ، تباع فيها منتجات القرية .

فلا جديد فى أن تكون المدينة موضع جذب لما حولها من بقاع ، وهو أمر قديم عرفه الناس منذ كان فى الدنيا قرية ومدينة ، وظل الامر على هذا المنوال مابقيت الامور على حالها من البساطة ، ثم قامت الثورة الصناعية ونشأت المدن الصناعية واحتاجت الى العمال وسواعدهم فرحل الناس اليها افواجا افواجا طلبا لفرص العمل ، وتلبية للاحتياجات ، وسدا للنقص ، واكتظت المدن بمن فيها واختنقت بساكنيها ، وهنا تعقدت الامور ، وتفاقمت المشكلات ، واحتاج الامر الى الاقتراحات والدراسات والمؤتمرات ، وطلب الرأي والمشورة ، وأطلت مشكلة المدن المكتظة بالسكان برأسها ، لاتقتصر على دولة دون اخرى ، وانما كادت أن تشمل دول العالم جمعاء ، المتقدم منها وماهو فى طريق التقدم على السواء ..

وزاد الامر تعقيدا النمو السكانى الذى تضاعف معه عدد سكان العالم نتيجة للرعاية الصحية والقضاء على الاوبئة التى كانت تفتك بالجنس البشرى فتكا ذريعا بين الحين والاخر .

واكتظاظ المدن الكبرى بسكانها وضيقها بمن فيها مرده الى الهجرة الداخلية من الريف الى الحضر ، وهو امر سببه اقتصادى فى الدرجة الاولى ، فلا يحمل ساكن القرية على النزوح منها الا طلب الرزق والسعي فى سبيله ، والنزوح عنده ليس بالامر السهل لما هو معروف عنه من ارتباط بالارض والاسرة ، فاذا اراد الهجرة فكر اول مافكر فى ذوى قرباه ممن يقيمون فى المدينة ، وقد أشارت الى ذلك احدى الدراسات التى نشرت فى كندا وبينت مايكون من صلة وثيقة بين وجود بعض الاقارب فى احدى المدن ، واحتمال نزوح اقاربهم الى تلك المدينة ، وهى ظاهرة ملموسة فى كل مدن العالم ، ومنها مانلوم



فيها احيـــاء باكملها من المهـاجرين ممن تكونون قد وفدوا من منطقة واحدة وتربط بينهم صلة القـرابة والرحم ، او صـلة الانتماء الى موطن واحد ، فكان المهـاجر يريد أن يجد في ذوى قرباه الحماية التى كان يجدها فى قريته حين كان يعيش فى اسرته ، والقـرية فى الحقيقة هى أسرة واحدة كبيرة بما يكون فيها من مصاهرات وأنساب وتراحم وتواد ، على عكس المدينة التى يحس فيها الفرد بعزلة وانقطاع عن أهله .

وهى ليست ظاهرة ملموسة فى الهجرة الداخليـــة فحسب ، ولـكنها كذلك فى الهجرة الخارجية ، فان تعذر على المهاجرين اجتماعهم فى سكن واحد أو فى منطقـــة واحدة تراهم يتجمعون فى تجمعات بعينها آخر النهار فى المقـــاهى أو النوادى ، أو ينشئون لانفســـهم رابطة تجمع بينهم ، فكأن الوطن هنا ــ على كبره واتساعه ــ قد ضاق حتى أصبح بمثابة الاسرة التى يجد أبناؤها الرعاية والحماية حين يلوذ بعضهم ببعض فى نطاقها .

ومن الطريف هنـا أن نعرف أن بعض الدول تعانى من الوجه الاخر من المشكلة، أى أن مدنها تحتـاج الى الايدى العاملة التى تتوافر فى الريف حيث لايجد أهله مايغـريهم بالهجرة منـه ... مثال ذلك مايحدث فى كولومبيا التى تعمل على خلق فرص العمل فى المدن سعيا وراء جـذب المهاجرين اليها من الريف ، وعلى العكس منها مايحدث فى بيرو التى تعمل جاهدة على زيادة الاجور فى الريف للحد من هجرة أهله الى المدن .

ولكن المشـكلة بصفة عامة تتمثل فى الهجرة من الريف الى الحضر سـعيا وراء الرزق وطلبا لفرص العمل ، بالاضافة الى الزيادة الطبيعية لسكان المدن ذاتها التى لايغفلها الدارســـون والبـاحثون والتى يقدرها خبراء الامم المتحدة بنحو ٧٠٪ من الزيادة الكلية التى يدخل فى حســـبانها الهجرة من الريف . ومن مدن العالم اليوم المكتظة بسكانها والتى تعد من أكبر مدن العالم ثلاث مدن : مكسيكوسيتى ، وروما والقاهرة ... ويقدرون لمكسيكوسيتى أن تصبح أكبر مدن العالم فى نهاية هـــذا القرن ، ويقدرون لعدد سكانها أن يتجاوز الثلاثين مليون نسمة ...

***

أما روما فهى على عراقتهـا وتاريخهـا الموغل فى القدم ، فان تاريخها الحديث قريب جد قريب ، فهى لم تصبح عاصمة لايطاليا الا منذ مايزيد قليلا على المائة عام ، وقبل ذلك كانت نابولى تفوقها فى عدد السكان ، وقد وصفها الروائى الفرنسى ستندال حينذاك بقوله : « .. كل شىء هادىء فى روما كما هو الحال فى قرية صغيرة » ، وقد تضاعف عدد سكانها منذ بداية هذا القرن ، ولكنه لم يزد بأية حال على الثلاثة ملايين نسمة .

ويصور حالها اليوم « البرتو مورافيا » فى قوله : « لم تصبح روما عاصمة كبرى مثـل باريس ولنـدن ، ولم تصبح مدينة ضخمة مثل ريودى جانيرو أو القاهرة ، انها تقف على منتصف الطريق ، ولديها عيوب العاصمة والمدينة الضخمة دون المحاسن » .

***

ومن المؤكد أن نمو القاهرة وازدهارها

مشكلات الاسكان في العالم
واقع .. وحلول

واكتظاظها بالسكان يفوق بكثير ما مرت به روما في المائة سنة الاخيرة ، فقد تضاعف عدد سكانها مرات عديدة ، وانتقل مما هو أدنى من المليون الى مايصل الى عشرة ملايين ، واضعين في الاعتبار نحو مليونين من الزائرين لها في كل يوم ، أي انها على وجه التقريب قد اصبحت تضم ربع سكان مصر باجمعهم ، وهي في ذلك تشبه لندن التي كانت تضم ٢٪ من سكان بريطانيا في عهد اليزابيث الاولى ، وأصبحت اليوم تضم ٢٤٪ من سكانها !

والقاهرة مدينة عريقة ينطق كل ركن فيها بعبرة التاريخ ، ويفوح من كل بقعة فيها عطره وأريجه ، انها مدينة الحضارات التي قل أن يشاركها فيها مدينة سواها ، فهي ــ في الزمان ــ مجتمع حضارات ، كما هي ــ في المكان ــ ملتقى قارات ، وهي لذلك مهوى أفئدة الناس ومحط أنظارهم من كافة الاقطار والبلدان ... وصفها الرحالة وهاموا بها وأشادوا بحضارتها وعمرانها وتجارتها وصناعتها ومختلف نشاطات اهلها ، وهي احرى أن تكون أعز وأغلى عند أبنائها حين يلتمسون الحلول لمشكلاتها ويعملون دائبين على النهوض بها وتخليصها مما تعاني منه من مشكلات تشاركها فيها كل المدن الضخمة من كثافة السكان وما يتبعها من مشكلات الاسكان والمواصلات .

وقد شهدت القاهرة في السنوات العشر الاخيرة محاولات دائبة في طريق حل مشكلاتها تتمثل فيما يجري في داخلها وما يتم في خارجها في خطين متوازيين معا ، في الداخل انشاء المساكن واقامة الكباري والطرق العلوية التي تربط بين قلب المدينة وأطرافها ، وقد أعان ذلك كثيرا على تيسير أمور الحياة للمقيمين فيها وتخفيف المعاناة عن كاهلها ، ثم انشاء المدن القريبة منها مثل مدينة « ١٠ رمضان» و «١٥ مايو» ومدينة «السادات» وستكون بلاشك مناطق جذب لما حولها من أهل الريف الذين يقبلون على العمل فيها تشييدا وعمرانا وعملا وتجارة ، وتخفيفا عن القاهرة ذاتها التي يصبح في مقدور الكثيرين من أهلها الاقامة بها والانتقال منها الى اعمالهم صباحا والعودة اليها آخر النهار ، ولن يكون في الامر صعوبة ومشقة اذا تيسرت سبل المواصلات وزاد الاهتمام بها ، ثم انشاء المصانع في هذه المدن الجديدة فيفد اليها بطبيعة الحال الراغبون في العمل والساعون وراء لقمة العيش .

ان الامر في بساطة هو ان القاهرة قد أصبحت مكتظة بالسكان لما يتوافر فيها من فرص للعمل لا يتوافر في سواها فلو ان فرص العمل توفرت في غيرها لسعي الناس اليها كما يسعون الى القاهرة وقد كانت مصر سباقة في هذا المضمار حين انشأت المدن الصناعية في المحلة الكبرى وكفر الدوار ولاشك انها استوعبت الكثير من سكان مصر ، ووفرت لهم الخدمات ، وكادت أن تكتفي بذاتها بما فيها من عمل وما يحتاجه اهلها من خدمات التعليم والصحة والترفيه ، وان المضي في انشاء المزيد من المدن المكتفية بذاتها لهو خير حل لما تعيش فيه القاهرة ــ وغيرها من المدن الكبرى ــ من اختناقات ، وماتعاني من أزمات .

طيفك بين الزحام

محمد علي عبد العال

تنهدت قبل المجيء اليك
فحبي صلاة وفرض عليك
وان مر طيفك بين الزحام
أراني وحيدا لدى مقلتيك !

كأن الحياة سوانا هباء
وأنا خلقنا وفينا انتماء
بحثنا سويا دروب الفضاء
فكان اللقاء وضاع العناء

ولما سكنا بصدر حوانا
وذابت بقلبي وذبنا كلانا
وصرنا مزيجا جرى في دمانا
هتفنا سويا : وجدنا الامانا

تعالى فضمي بقاياك فيا
توحدت فيها فصرنا سويا
قضاء قديما عليها .. عليا
فايا تكوني فمني اليا !

فكيف انفكاك الذي تبتغينه
ومن ذا سواي الذي تعشقينه
وفي كل شيء وضعنا قرينه
فمني ومنك الذي تعرفينه ...



بذور

● للكاتب الأمريكي شروود أندرسون ●
● ترجمة : حسن حسين شكري ●

● ضحكت حينما بدأ يقص على صديقى « لى روى » قصته..
ولكنه لم يضحك،بل هز رأسه وقال : « لم يكن الامر يسيرا بهذه الدرجة ، ولو كان بهذه البساطة لما كانت هنالك قصة ! »

ومضى يروى القصة ـ قال : كانت تلك المراة القادمة من « ايوا » الى صننانا فى شيكاغو ، فى السابعة والعشرين ، غامضة ، تدرس الموسيقى وكانت تصاب بالفزع كلما اقترب رجل منها ، ولكن الرجال ظلوا يبتسمون لها ويتحدثون اليها ، ويدعونها لتتناول العشاء ولتذهب معهم الى المسرح ، ولكن لم يكن ثمة ما يغريها بالسير فى الشوارع مع رجل ، كما كانت لاتخرج بالليل قط ...

وحينما توقف رجل عند مدخل المنزل ، وحاول التحدث معها صوبت نظراتها الى الارض واسرعت الى غرفتها ! ..

ومرة اخرى حاول احد سكان المنزل، وهو كاتب فى احد محلات الملابس ان يقنعها بالجلوس معه على درجات السلم امام المنزل ، وكان رقيق العاطفة فامسك يدها ، فاخذت تصرخ . فاصابه الذعر ، ونهض واقفا ، ووضع يده على كتفها محاولا ان يشرح لها،

ولكن اهتز جسدها كله رعبا تحت لمسات اصابعه ، وصاحت« لا تلمسنى ... لا تدع يديك تلمسنى ! »

وتمادت فى الصراخ ، وتجمع المارة بالشارع ، ففزع هذا الكاتب ، واسرع الى غرفته ، واوصد بابها . واعلن فى صوت مرتجف !.. هذه خدعة!» انها تحاول اختلاق المشاكل ، لم افعل بها شيئا ... لقد حدث هذا بمحض الصدفة ... لقد لمست اصبعى ذراعها فحسب ! » .

ومن المحتمل أن صديقى« لى روى» قد حدثنى عشرات المرات عن تجربته مع هذه المراة الوافدة من ولاية أيوا. وتقيم فى غرفة بمنزل فى الحى الغربى . وبدأ الرجال هنالك يكرهونها مع أنها لم تكن تملك أن تفعل معهم شيئا سوى أن تتركهم لشانهم . ولكنها كانت بكثير من الطرق القوم بتصرفات تغريهم بالاقتراب منها، حتى اذا حدث ذلك صدتهم !..

كانت تقف فى بعض الاحيان ... عارية بالحمام وتترك الباب غير موصد تماما . وكان الرجال يمرون من امامه صاعدين أو هابطين . وفى غرفة المعيشة كانت ثمة أريكة ـ فكانت تدخل والرجال موجودون وتلقى بنفسها عليها ، أو ترقد وشفتاها فاغرتان ،

وعيناها تحملقان في السقف حتى كان يبدو أن كيانها الجسدي كله ينتظر شيئا ما. وأن الاحساس بوجودها قد ملأ ارجاء الغرفة .

وكان الرجال يقفون متظاهرين بانهم لا يرون شيئا . وكانوا يتحدثون بصوت مرتفع ، وتتملكهم الحيرة ، ويتسللون واحدا بعد الاخر في هدوء.

وذات ليلة طلب منها ان تغادر المنزل على الفور ، ولعل الكاتب ايساء قد قص ماحدث على صاحبة المنزل التى توجهت اليها قائلة « من الافضل أن ترحلي من هنا الليلة فورا »

وسمع « لى روى » صوت السيدة العجوز يهدر بهذه العبارة وهيواقفة امام غرفة تلك المرأة حتى سمعهامنفي المنزل جميعا .

***

وصديقى « لى روى » رسام شاب طويل نحيل ، كرس حياته للفكر ، تغلبت عواطف عقله على عواطف جسده .. دخله قليل ، لم يتزوج ، وربما لم تكن له حبيبة في يوم من الايام . ومع انه لم يكن عديم الرغبة الجنسية الا انها لم تكن تحتل المقام الاول في فكره .

وفي هذه الليلة ظلت المرأة الوافدة من « أيوا » تنتظر حتى ظنت ان صاحبة المنزل قد نزلت الى الطابق الارضى ، فتوجهت الى غرفة « لى روى » ، كانت الساعة تقرب من الثامنة ، وكان هو بجوار النافذة يقرأ فى كتاب . لم تطرق الباب ، بل فتحته دون أن تنطق بكلمة واحدة .. وركعت عند قدميه .

وقال « لى روى » ان قدمها الملتوية جعلتها كالطائر الجريح ، عيناها تحترقان ، وانغامها تتقطع .. وقالت له « خذنى » وهى واضعة وجهها على ركبتيه ، ترتعد بعنف ، « خذنى توا .. لابد أن يكون للاشياء بداية ، لا استطيع الانتظار ، لابد ان تاخذنى توا » انتابته الحيرة ازاء هذا الموقف لم يكن شاهد هذه المرأة حتى تلك الليلة .. كان اقل الرجال المقيمين بالمنزل مبالاة بها .. ولكن حدث شيء ما ، فقد تبعتها صاحبة المنزل حينما اسرعت الى غرفة ((لى روى)) ، وواجهته مراتان .. المرأة الوافدة من ((أيوا)) راكعة عند قدميه خائفة مرتعدة ، وصاحبة المنزل واقفة حانقة ..

وتصرف ((لى روى)) في تسرع ، وكأنما الهم امرا ، فوضع يده على كتف المرأة الراكعة عند قدميه وهزها بعنف قائلا ((تماسكى ، سافى بوعدى))

والتفت الى صاحبة المنزل مبتسما وهو يقول ((كنا مخطوبين ، وسنتزوج ولكننا كنا قد تشاجرنا فحضرت الى هنا لتكون بجوارى . انها لم تكن بخير بل كانت منفعلة ، ساخذها ونغادر المنزل ، ورجائى الاتنزعجى ، سارحل معها)) ..

وعندما غادر ((لى روى)) منزل الحى الغربى معها ، وقفت تنتحب ، ووضعت يدها في يده فقد زالت كل مخاوفها ..

وعثر لها على غرفة في منزل آخر ، ثم ذهبت معه الى احدى الحدائق ، وجلسا معا على مقعد خشبى ..

وعلى المقعد الخشبى تحدث معها « لى روى » حتى منتصف الليل ..

وراها بعد ذلك مرات عديدة ، وهو لم يعرف عنها شيئا ثم افترض انها قد عادت الى موطنها فى الغرب..

وهناك فى « أيوا » اصبحت هي مدرسة للموسيقى . لقد كانت واحدة من شقيقات اربع يشتغلن جميعا بنفس المهنة ـ ويقول « لى روى » ـ انهن جميعا على درجة من المقدرة .

مات والدهن ، ولم تكن كبراهن قد جاوزت العاشرة ، وبعد خمس سنوات أخرى ماتت أمهن ، وكان لديهن منزل وحديقة .

وبالطبع ، نعرف ما كانت عليه حياتهن هناك ، ولكن يمكن أن يتيقن المرء تماما انهن كن يتحدثن ، ويفكرن فى شئون النساء فحسب ، لم يكن لواحدة منهن حبيب ، ولم يقترب من بيتهن رجل طوال عدة سنوات . وكانت صغراهن التى وفدت الى شيكاغو هى التي تأثرت بنوعية حياتهن النسائية بشكل واضح تماما . وقد اصابها ذلك بشيء ما . فقد كانت طوال اليوم ، وكل يوم تعلم الموسيقى للفتيات ، ثم تعود الى النساء فى البيت .

وعندما أصبحت فى الخامسة والعشرين بدأت تفكر ، وتحلم بالرجال وكانت أطراف النهار وأثناء الليل تتحدث مع النساء فى شئون النساء، وأصابها القنوط من أن تجد رجلا يحبها فقصدت شيكاغو وذاك الامل فى ذهنها ..

وشرح « لى روى » موقفها ، وسلوكها الغريب فى منزل الحى الغربى بقوله « انها كانت تفكر كثيرا ، وتعمل قليلا ، فصارت قوة الحياة فى أعماقها غير متمركزة ، لم تستطع أن تحقق ما كانت ترغب فيه ، ولم تجد قوة الحياة فى أعماقها سبيلا للتعبير ، وحينما لم تستطع هذه القوة أن تعبر عن نفسها بطريقة ما سلكت مسلكا آخر ..

ومضى صديقى «لى روى» يحدثنى عن تلك المراة ، وقدرها الغريب الرهيب .

ومشينا هو وانا فى المنتزه بجانب البحيرة وبينما نحن سائرون خطرت لى فكرة فقلت له « لعلك كنت انت حبيبها - وهذا امر ممكن - فهى لم تكن متخوفة منك »

وتوقف « لى روى » وقد تملكته عاطفة جدية فارتعد صوته وقال «لقد كانت فى حاجة الى حبيب . نعم ..

وكان الرجال المقيمين فى منزل الحى الغربي على حق تماما « كانت فى حاجة الى حبيب ، وفى الوقت نفسه لم تجد الحبيب الذى كانت محتاجة اليه ، وكانت تلك الحاجة شيئا ثانويا لانها كانت تحتاج الى أن تكون محبوبة والى أن يكون ثمة من يشتاق اليها ، وأن تحب بهدوء وأناة وان ما قد يشفيها كفيل بأن يشفينا جميعا . فالمرض الذى كانت تعانيه - مرض عام ، فكلنا نريد أن نكون محبوبين ، وليس فى دنيانا خطة لايجاد من يحبوننا » .

وخفت صوت « لى روى » ، وسار بجانبى فى صمت .. تركنا البحيرة ، ومشينا تحت الاشجار كنت انظر اليه عن كثب ، كانت أحبال رقبته مشدودة فى توتر وتمتم قائلا »:

لقد رأيت ماتحت قوقعة الحياة . انني خائف ، فانا نفسي مثل تلك المراة مغطى باشياء كالنباتات المتسلقة لا استطيع أن أكون محبا ، لست رقيقا ولا صبورا بمافيه الكفاية .. انني أسدد ديونا قديمة بذور افكار وعقائد باليه غرسها موتى قفزت الى روحي ، وخنقتنى » !

ومشينا فترة طويلة ، وتحدث «لى روى» معبرا عما راود فكره .. وسمعت فى صمت عقله يعزف نفس النغمة التى يتحدث بها رجل فى الجبل ..

وتمتم « اود ان اكون شيئا جافا ميت .. (وهو ناظر الى الأوراق المتناثرة فوق العشب) - اود ان اكون ورقة شجر تذروها الريح - (ونظر الى اعلى) وتحولت عيناه الى حيث استطعنا ان نرى البحيرة على بعد بين الاشجار - وقال : اننى متعب ، اريد ان تطهر ، انارجل مغطى باشياء متسلقة زاحفة ، أود أن اكون ميتا ، تذورونى الرياح على مياه لا حدود لها . اننى فى حاجة الى التطهر اكثر من اى شيء آخر فى العالم »

●

الصمت المريح

علّليني ما شئت بالحبّ ، لكن
حاذري أن يكون حبّاً كذابا .
وأضيفي إلى حرائق خوفي
ضرماً ، فالصّعاب تجلي الصّعابا .
وتغابي عن لوعتي وشجوني
إنّ أذكى العشاق من يتغابى
وامنحي اصغريك صمتاً مريحاً
إنّ في الصمت راحة وغلابا
واستريحي بالغفو عنّي حتى
لا تسامي كما أسام العذابا
وإذا شئت فاسلكي التّسلي دربا
إن توسّمت مأملا خلاّبا
واطمئنّي .. فسوف أبقى على العهد
أميناً .. من القلى ، هيّابا ..
إنّ قلبا فتحت فيه جراحا
نازفات وليس تألو انسكابا
ليس يقوى على التراجع إلاّ
عندما يحضن التراب مآبا !..

***

.. أنا أهواك كيفما كنت ، حتى
لو تبدّيت غيهبا أو سرابا
كلّ من يعشق الحياة هياما
بالجمالات ساميات رغابا
يتساوى لديه قرب وبعد
إن تجاوز في من يحب ارتيابا !

سعيد فياض
لبنان

قصة القصة التى انتظرتها السينما عشرة اعوام

مارى غضبان

منذ صدرت قصة ((امرأة الملازم الفرنسى))عام ١٩٦٩ ،وانتشرت لتوزع اربعة ملايين نسخة بلغتها الاصلية : الانجليزية ، ثم ترجمت الى ثمانى عشرة لغة ـ منذ ذلك الوقت والسينما العالمية تحاول ان تصور هذه القصة فى فيلم ..

صحيح أن أكثرالنقاد لم يجدوا فوارق كثيرة بين موضوع هذه القصة ((امرأة الملازم الفرنسى)) ، ورواية شارلوت برونتى ـ ((مرتفعات وذريع)) التى قدمتها السينما العالمية ، والعربية ايضا اكثر من مرة .. فهى قصة الحب ، والياس ، والامل ، بين شاب من طبقة النبلاء فى العصر الفكتورى ـ النصف الاخير من القرن التاسع عشر ـ ومربية اطفال منبوذة لعلاقتها الغريبة باحد رجال البحر ..

واخيرا .. أخذت السينما الامريكية قصة جون فولنز «امرأة الملازم الفرنسي» وأعدتها للشاشة الكبيرة فيلما من اخراج البريطانى كارل رايس ميريل ستريب ، وجيرنى ايرونز ، من نجوم بريطانيا .

والقصة كلها تجرى احداثها فى الريف البريطانى ..

ولكن ما هى العقبات التى اعترضت طريق هذه القصة الى الشاشة طوال السنوات العشر الماضية ؟ ...

ان أهم العقبات هو مؤلف الرواية نفسه جون فولنز .. لانه يختلف عن كتاب القصة والرواية ، فهو يصر ويشترط أن يكون له دور فى كل مراحل تحويل أى من رواياته الى فيلم ، ابتداء من كتابة السيناريو والحوار ،الى تصوير اللقطات واحدة بعد الاخرى ..

وقبل ذلك كله يسعى لاختيار كاتب السيناريو والمخرج والممثلين أيضا ..

وقد قدمت السينما العالمية فى روايات جون فولنز فيلم ((جامع الفراشات)) اخراج وليم ويللر ولم يعجب الفيلم مؤلف الرواية .. وكانت روايته الثانية للسينما ((المجوس)) .. وقد كتب هو بنفسه سيناريو الفيلم ، ولم يعجب الفيلم النقاد ، ولم يحقق أى نجاح يذكر ! ..

الفيلم الثالث الذى صورته السينما الامريكية عن رواية جون فولنز هو هذا الفيلم ((امرأة الملازم الفرنسى)) وهنا أيضا فرض المؤلف نفسه على كل شىء ، وتابع بنفسه كل الخطوات حتى لايتعرض لفشل ثالث ..

وفى البداية رشح لاخراج هذا الفيلم فريد زينمان المخرج الحاصل على جائزة الاوسكار عن فيلم ((من الآن .. والى الابد)) ،ومن افلامه ((رجل لكل الفصول)) .. وكان ترشيحه من الشركة المنتجة ، ولكن زينمان اعتذر لان الفيلم يحتاج الى بطلة ليست موجودة ،وليس على استعداد لان يكتشف واحدة جديدة ..

ورشح بعده المخرج مايك فايكولز الذى رشح السيناريست فرانكلين شافنر، وبعد بداية العمل بين المخرج والسيناريست والمشاركة الكاملة للمؤلف ـ أصيب السيناريست بحالة عصبية دخل المستشفى للعلاج منها .. والسبب مضايقات وتدخلات مؤلف الرواية !



لنجمة ميريل استريب فى لقطة
من فيلم قصائد الغزال

فى النهاية اختاروا المخرج البريطانى كارل رايس والسيناريست هارولد بنتر ، اكثر كتاب السينما قدرة على ابراز الفوارق بين الطبقات الاجتماعية .. واختار للبطولة رايس ميريل ستريت ولم تكن قبل ذلك الا ممثلة ثانوية شاركت فى فيلم ((صائد الغزال)) وفيلم ((كرامر ضد كرامر)) وكانت تقوم فيه بدور مطلقة البطل الذى قام بدوره داستين هوفمان وحصلت عن هذا الدور على جائز الاوسكار لاحسن ممثلة للدور الثانى المساعد ..

وقد اعطاها رايس اول فرصة لبطولة مطلقة فى هذا الفيلم ((امراة الملازم الفرنسى)) .

واعتبرها النقاد نجمة ١٩٨١ ، وقفزت صورها الى أغلفة المجلات الكبرى وكان آخرها هذا الشهر غلاف مجلة ((تايم)) الامريكية .

وخلال فترة التصوير فى بريطانيا التى دامت خمسة أسابيع ، طار المؤلف من أمريكا الى مواقع التصوير أكثر من مرة ليتابع بنفسه كل لقطة ، وحركة من تعبيرات الابطال ...

***

وقال المؤلف جون فولنر

ـ وجدت البطلة ميريل ستريب لا تفارق نسخة من الكتاب تقرأ منها ، لان الانفعالات والتطورات الخاصة بالشخصية التى تمثلها ، والتى كتبتها وصورتها بقلمى ـ كانت مفيدة جدا لها .. وقد استطاعت أن تنقلها وتعبر عنها بصدق لم يحدث من قبل فى أى عمل سينمائى منقول عن رواية مكتوبة ..

وربما لم يحدث من قبل أن رضى كاتب عن أداء شخصيات روايته فى السينما ، ولكنى راض جدا .. فقد استطاعت ميريل ستريب أن تبعث الى الحياة بطلة روايتى ((سارة وداراف)) ..

وكما يحدث فى الافلام المصرية عندنا دارت مناقشات حامية مع المؤلف لوضع نهاية للفيلم غير النهاية التى جاءت فى الرواية .. ومن الطريف ان النهاية فى هذه الرواية ترضى المنتج والمخرج والمشاهد العربى ، لانها نهاية سعيدة . ولكن المخرج البريطانى كارل رايس وكاتب السيناريو رفضا النهاية السعيدة التى جاءت فى نص الرواية المكتوبة ، وأقنعوا المؤلف بأن يضع معهم نهاية مختلفة للفيلم !

وقد رشح الفيلم ومخرجه ونجومه لاكثر من جائزة من جوائز الاوسكار باعتباره احسن افلام السينما لهذا الموسم ..

وضاح اليمن
شاعر الحب والجمال

محمد حسني عبد الله

● كثيرا ما تسخو الطبيعة فى منحها على بعض الناس ، وتقتصد مع البعض الآخر فتسلبه حتى محاسن نفسه . فهذا تحبوه بالذكاء والملاحة وحلاوة الحديث ورقة الشمائل مع التوفيق بين صفاته توفيقا متناسقا متناغما .. وذاك تجرده من نعمائها حتى لا تكون هناك منقصة ظاهرة أو باطنة الا وتجتمع له جميعا !

نسوق تلك المقدمة ، فى صدد الحديث عن وضاح اليمن ، الشاعر الاسلامى الحميرى ، لأنه أحد هؤلاء المحظوظين ، الذين زفت الدنيا فى ركابهم كل المحاسن واحد هؤلاء الموهوبين الذين لا يملك الانسان الا محبتهم ، والتعلق بهم ، والتغنى بشعرهم .

كان جماله خارقا جارفا ، حتى بلغ من حسنه أنه كان يستر وجهه بقنـــاع لاخفاء مفاتنه ، حذر العين التى كان يعتقد العرب فى تأثيرها . وجمع الى ملاحة الوجه حساسية مرهفة لا تفوتها الفطنة الى مادق من أحداث الحيـــاة ، فاذكت شاعريته ، وأوقدت عواطفه ، ومكنته من قرض الشعر بغير تصنع أو تكلف .

ثم نماه فوق ذلك بيت كريم ، فخرج من بيئة عالية ، وطبقة راقية .

وكان ذلك مبعث فخره فى أكثر من موضع . ولم يكن ممن يتكسبون بالشعر ليساره . ولذلك جاء شعره قاصرا على التعبير عن أحاسيسه ، وخوالج نفســه فكان شعرا طبيعيا ، صادقا ، يمتاز بالسهولة والرصانة ، ويعبر عن واقع حياته أصدق تعبير .

ولم يعن بغير التشبيب ، ولم يلتفت الى غيره ، الا فى مناسبات قليلة وهــذا لعمرى شىء طبيعى ، فهؤلاء الذين ينسجون أيامهم من خيــوط الذهب بالجــدة والشباب ، قلما يلتفتون لغير هواتف النفس ، والميل معها حيث تميـــل فلا ينظرون الى الحياة تلك النظرة الجادة التى تكون عادة لمن وضعوا فى الحيــاة موضع المشقة والكدح ، سعيا وراء الرزق ، وأصلاح الحال . لذلك كانت أيام

شاعرنا حب ولهو ومتعة وانطلاق مع الشباب فى صفو خالص من العيش •

ولم يكن له من صنعة غير الحب وقرض الشعر ، والتغنى بالجمال ، واستهل حياته العاطفية بحب روضة ، وهى حسناء فارسية يبدو من وصفها فى شعره أنها درجت فى بيت كبير فمسكنها قصر يحرسه حراس ، ويقوم على خدمتها خدم وحشم ، ويحول بينها وبينه أخوة سبعة ، كلهم فارس فى قومه ، وفى ذلك يقول :

كيف ارجيها ومن دونها | بواب سوء يعجل الشتما
اسود هتاك لاسرار من | مر على الابواب او سلما

وهى مع ما بلغت من ثقافة وتربية عاليتين ، رهينة محبس من ذهب ، لايرقى اليه الا شاعرنا فيما ذهب اليه من شعره ، وأكبر الظن انه لم يكن يرقى اليها الا بالخيال • وأمثاله من الشعراء حقيقون بالهيمة فى اوديته ، وبلوغ ما يتعذر عليهم فى واقع الحياة بوثبات الفكر • فانظر كيف تهون الصعاب فى خياله فى هذه القصيدة الجميلة •

يا روض ، جيرانكم الباكر | فالقلب لا لاه ولا صابر !
قالت الا لا تلجن دارنا | ان ابانا رجل غائر •••
قلت فانى طالب غرة | منه وسيفى صارم باتر •• !
قالت فان القصر من دوننا | قلت فانى فوقه ظاهر •••
قالت فان البحر من دوننا | قلت فانى سابح ماهر !
قالت فحولى اخوة سبعة | قلت فانى غالب قاهر •••
قالت فليث رابض بيننا | قلت فانى اسد عاقر •• !
قالت فان الله من فوقنا | قلت فربى راحم غافر •••
قالت لقد اعييتنا حجة | فات اذا ما هجع السامر •• !
فاسقط علينا كسقوط الندى | ليلة لاناه ولا زاجر !

أبمقدور هذا الشاعر المنظرى الرافه الوادع أن يأتى كل هذه المعجزات ،

ويتغلب على كل هذه الصفات للوصول الى من أحب فلا يعوقه قصر ، ولا بحر ،

ولا ليث رابض ؟ •• كلا •• ولكنه يعالج خياله بما يعوض حرمانه ، وما يخرج الامر عن كونه تخييل سراب • آية ذلك ما تراه من تناقض لهذه المعانى السابقة فى هذه المعانى التالية فيما قال من شعر فى روضه :

قالت فزرنا ، قلت كيف ازوركم | وانا امرؤ لخروج سرك خاشى ••
قالت فكن لعمومتى سلما معا | والطف لاخوتى الذين تحاشى
فتزورنا معهم زيارة آمن | والسر يا وضاح ليس بفاشى • !

تلك هواجس نفسه ، تحدثه بأن يلطف لاخوتها ، ويسالم عمومتها لبلوغ مآربه فيجرى لسانه بهذه الهواجس فى شعره حوارا شعريا جميلا ••

وقد شاء حين اعجزه الوصول اليها ، أن يحقق أمنيته بهذه الطريقة الطبيعية

التي يلجأ اليها الناس عادة الا وهي الاصهار الى أهلها وطلبها للزواج . ولكن أشعاره في روضة كانت قد ذاعت ، فلما ذهب يطلب يدها من أبيها وأخوتها أمتنعوا عن تزويجه اياها ، لانه كان من عادة العرب أن يرفضوا زواج بناتهن ممن يشببون بهن . فلاذ من جديد بخياله ، ليخلف لنا في صدى الحرمان هذا الشعر العاطفي الرائع الذي لايقل روعة عن شعر المجنون وكثير عزه فهي تطرق خياله وتسرى اليه وتعاتبه في المنام :

عاتب في المنام احبب بعتبا ... ه الينا ، وقوله من مقال
قلت اهلا ومرحبا عدد القطـ ... ـر وسهلا بطيف هذا الخيال !
كل حب اذا استطال سيبلي ... وهوى روضة المنى غير بال !
لم يزده تقادم العهد الا ... جدة عندنا وحسن احتلال
ما ملكت الهوى ولا النفس مني ... منذ علقتهما فكيف احتيالي
ان نأت كان نأيها الموت صرفا ... او دنت لي فثم يبدو حجالي
يا ابنة المالكي يا بهجة النفس ... افي حبكم يحل القتالي !

ويخيل لكثيرين أن مثله حقيق بالثبات في حبه ، ولكن قلب الشاعر كالبحر اذا تتدافع أمواجه ، وتتطارد لججه ، كذلك قلبه ، تتطارد فيه العواطف ويحل فيه حب مكان حب .. فهذا هو الوضاح يترك روضة ثم ينسب بهند :

أيها الناعب ماذا تقول ... فكلانا سائل ومسول
لا كساك الله ما عشت ريشا ... ويخوف بت ثم ثقيل
ثم لا أنفقت في العش فرخا ... أبدا الا عليك دليل
حيث تنبى ان هندا قريب ... يبلغ الحاجات منها الرسول
ونأت هند فخبرت عنها ... ان عهد الود سوف يزول !

وفعلا زال عهد الود ، وعاد من جديد الى حب روضة فيقول لها :

والله مالي عنك منصرف ... الا اليك فاجملي الفعلا

ويقول لها في مناسبة أخرى :

يا روض حبك سل جسمي وانتحى ... في العظم حتى قد بلغت مشاشي (١)

ثم يعاوده قلب الشاعر الذي يتسع لالف حب وحب فيقول :

طرق الخيال فمرحبا الفا ... بالشاغفات قلوبنا شغفا
ولقد يقول لي الطبيب وما ... نباته من شاننا حرفا ..
اني لاحسب ان داءك ذا ... من ذي دمالج يخضب الكفا
اني انا الوضاح ان تصلي ... احس بك التشبيب والوصفا
حيث تبتي ان هندا قريب ... شطت فشف القلب ذكركها

ويحن الى روضة من جديد ، وعندما يبلغه زواجها ، يقول مصورا لنفسه وقوع ما حزم منه ، متعمدا اغاظة بعلها ، وشفاء غليل النفس :

اذا قلت يوما نوليني تبسمت | وقالت لعمر الله لو انه القصد
سموت اليها بعد مانام بعلها | وقد وسدته الكف في ليلة الصرد
اشارت بطرف العين اهلا ومرحبا | ستعطي الذي تهوى على رغم من حسد
الست ترى من حولنا من عدونا | وكل غلام شامخ الانف قد مرد ٠
فقلت لها اني امرؤ فاعلمنه | اذا مااخذت السيف لم احفل العددا

ومضى فى حياته على هذه الوتيرة لا يحفل العدد ، ويميل الى تلك ، ويشيد بحسن هذه ، حتى صادف حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، فاعجب بها اعجابا شديدا وقال :

تبلت حبابة قلبه | بالدل والشكل الانيق
مكحولة بالسحر تنثني | نشوة الخمر العتيق
هيفاء ان هي اقبلت | لاحت كطالعة الشروق
داوى هواي واطفئي | مافي الفؤاد من الحريق
وترفقي امل فقد | كلفتني مالا اطيق
في القلب منك جوى | المحب وراحة الصب الشفيق
هذا يقود برمتي | قود اليك وذا يسوق
يا قلب قد كلفتني | تعب الهوى منها فذوق

ومضت الايام وتوالت السنون وهو لا يمضي الا مع اهوائها ، ولا يذوق الا دائب عسلها ، حتى بلغ السن التى يرعوى فيها الانسان ويثوب الى رشده فقال :

مالك وضاح دائم الغزل | الست تخشى تقارب الاجل
لولا حذارى من الحقوق فقد | اصبحت من خوفها على وجل
لكنت للقلب في الهوى تبعا | ان هواه ربائب الحجل

سوى انه حين رأى من جديد الغواني الغاديات في ملاعبها نسي ما أفنى من الشباب ، فتجاوز عن وقار الشيخوخة ــ وقال :

يا مرحبا الفا والفا | بالكاسرات الى طرفا ٠٠٠
انكرن مركبي الحما ٠٠٠ | وكن لا ينكرن طرفا !
وسالتني اين الشبا ٠٠٠ | ب فقلت بان وكان خلفا
افنى شبابي فالقفى | خلف الحسان تبعن حلفا
اعطيتهن مودتي ٠٠٠ | فجزينني كذبا وخلفا
ولصائد مثل الرقى | ارسلتهن فكن شمفا
اوجعن كل منازل | وعصفن بالفيران عصفا
من كل لذات الفتى | قد نلت نائلة وعرفا
صدت الاوانس كالدمى | وسقيتهن الحب صرفا ٠٠ !

فهل بمستطاعٍ للشاعر الا أن يحيا ويموت شاعرا ؟

حادث بسيط

بقلم القصاص الصيني : لوهسون
ترجمة : عبد الحميد سليم

مضت ست سنوات منذ ان قدمت الى العاصمة من قريتي ، وطوال تلك الفترة الزمنية مرت أحداث كثيرة كانت لاتعنيني ـ شخصيا ـ في شيء .. وكانت في اكثرها تثير غضبي وتدفعني الى الاقلال من حبي للناس .وفي غمرة هذه الاحداث تذكرت حادثا بسيطا واحدا كان عميقا في مغزاه ومازلت اذكره حتى اليوم لانني كنت طرفا فيه ..

كان ذلك في يوم من أيام الشتاء في السنة السادسة بعد قيام الجمهورية وقد هبت فيه بضراوة ريح شمالية عنيفة وكان على أن أستيقظ مبكرا لاذهب الى مقر عملي ، وفي طريقي اليه لم ألتق الا بقلة من البشر ، وبعد صعوبة بالغة أفلحت في استئجار عربة « ريكشو » ، وطلبت مني سائقها أن يأخذني الى بوابة الجنوب ..

وبعد برهة خففت الريح من حدتها ، وكانت بعد توقف هبوبها قد خلفت الشوارع خالية من التراب ، وأخذ السائق يجرى بسرعة ، وما كاد يقترب من بوابة الجنوب حتى مرق شخص ما أمامه واشتبك في العربة ووقع على الارض .

ولم يكن الشخص الذى وقع الا امرأة برأسها خصلات بيضاء وملابسها مهلهلة، كانت قد اندفعت فجأة من جانب الطريق وعبرته مباشرة أمامنا .. حاول سائق عربتي أن ينحرف الى جانب ولكن سترتها البالية انفتحت ورفرفت مع الريح واشتبكت بعريش العربة ، وكان من حسن الخط ان أبطأ السائق من خطاه والا لوقعت المرأة رأسا على عقب ، ولكان من المحتمل ان تكون اصابتها خطيرة .

وبعد أن توقفنا ، كانت المرأة لا تزال راكعة على يديها ورجليها . ولم يكن في اعتقادى انها أصيبت ولم يكن هناك أحد يشهد هذا الذى حدث ، مما أثار سخطى أن السائق توقف عن السير ، وكان واضحا انه على استعداد لان يزج بنفسه فى بعض التعقيدات الخرقاء ، وربما أدى بعمله هذا الى عدم استكمال رحلتي وتأخرى عن الوصول الى مقر عملي .

قلت له مسريا : « هون عليك ، استمر ! » .

ولكن يبدو انه لم يسمعني أو أنه لم يعر قولى اهتماما لانه أنزل عريش العربة وفى رقة ساعد المرأة العجوز لتنهض على قدميها ، وامسك بذراعها وعاونها وسألها قائلا :

« هل أنت بخير ؟ »

فأجابت : « لقد اصبت » .

فما كان مني الا ان قلت : « لقد شاهدتك تقعين ولم يكن وقوعك عنيفا ،



فكيف أصبت ؟ أنت تتظاهرين .. هذا ادعاء لا يقبله أحد ، ورجل الريكشو هو وحده الذى يسبب المصاعب لنفسه ، لا توقعية فى ورطة ! »

ولكن السائق لم يتردد للحظة بعد ماقالته المرأة العجوز من أنها قد أصيبت وكان ممسكا بذراعها ـ لم يتردد فى أن يسير بجانبها خطوة خطوة فى حنو ورعاية تاركا اياى فى العربة ، ومتجها مع المرأة الى مبنى لم أتبين معالمه فى بادىء الامر ، ثم اتضح لى أنه نقطة شرطة .

وذهلت من تتابع الاحداث ، لم يكن من أحد واقفا خارج النقطة ، ولذا فقد قاد السائق المرأة الى داخلها عن طريق البوابة ..

وعندما دخلا نقطة الشرطة ، ساورنى احساس غريب لا أدرى كنهه ، وبد لى فى تلك اللحظة فجأة أن شكل السائق الاغبر الاشعث وقد استحال شكلا هائلا ..وكلما سار مبتعدا عنى كلما ازدادت ضخامته ، وأخيرا كان على أن أرفع رأسى لاتابعه ، وفى ذات الوقت أحسست بضغط جسدى وهو يكاد يخرج من نفسى كل ضآلة اختفت تحت رداء فرائى المخطط ..

وأخذت أضعف كما لو كانت حيويتى قد استنفدت وكما لو كان الدم قد تجمد فى عروقى .

جلست بلا حراك ، وعقدت الدهشة لسانى وشل تفكيرى ، حتى شاهدت ضابطا يغادر نقطة الشرطة متجها نحوى

وعندما اقترب هبطت من عربة الريشكو ، فاذا به يحيينى وينصحنى قائلا : أرجو أن تأخذ عربة ريكشو أخرى ، اذ أن سائقه لن يسوق العربة لانه سلم نفسه لنقطة الشرطة ! » .

وبدون ما تفكير دسست يدى فى جيبى وأخرجت منه حفنة ضخمة من العملات وقلت له : « أرجو أن تعطيها للفتى ! » .

وكانت الريح قد توقفت تماما عن الهبوب ولكن الطريق كان لا يزال يسوده الهدوء . استغرقت فى التفكير وأنا أسير وتتابع شريط الأحداث أمامى ، وبحثت عن تفسير لاخراجى لحفنة العملات ،ولماذا أعطيتها للضابط ؟ هل هى مكافأة للسائق ؟ وهل كان من حقى ، طبقا لسلوكى ، أن أصدر حكما على سائق عربة الريكشو ؟ .

لم يكن فى استطاعتى أن أجيب على ضميرى ، ولكنى احسست فى قرارة نفسى باجلال وتقدير لسائق عربة الريكشو !

* **يعد « لاهسون » من أحسن قصصى الصين وقد تميزت قصصه بالسخرية والتهكم ،وقد توفى سنة ١٩٣٦.**

رحالة

طلال محمد عادل



اتيت عند جنتسك
لما عرفت موعدك
يداى لا مست يدك
زرعت فى بسمتك
ملأت فيك وحدتك
وكان شعرى روضتك
●●●

وترجعين وتذهبين
رسائلا فتكتبين
قصائد ام تقرأين
.. .. وتحلمين
●●●

اتذكرين مقعدك ؟
بجانبى قد كان مجلسك
وكلمتى فى دفترك ..
وصورتى على وسادتك
وذكرياتى ، صورتك
لعل طالت رحلتك !
●●●

متى نعود والسنين ؟
ولا رحيل يستكين
اعدو اليك تعبرين
نحيا حياة العاشقين
تأتين ثم ترحلين
الى الرحيل تذكرين ؟
●●

مناجاة نثرية ..

مليكة القلب

السيد على مصطفى عمر
السودان



وتسر السكينة من حولى ..
باسرار عينيك الجميلتين
ويغوص الصمت فى ظل الصمت
فتزاورنى شجوة من همسك الوسنان

***

وتموج زهوة الشمس فى الضحى
فتغار من جدائلك الذهبيتين
ويصدح البلبل فى الدوحة ، ويخرس
اذا ما تداعت له دندنة الشفتين

***

وتختال الظباء بين المروج وتسكن
اذا ما تراءت لها خطى الساقين
وتطوف الفراشات على الزهور لتجثو
فتؤثر دون الزهور رحيق الخدين !

***

سبحان من سوى رطابة الكفين
سبحان من صور أعناب البنان
سبحان من صورك ..
وقلدك مليكة الجنان !

***

فاليك يا خليلة القلب
اشكو لوعة الحرمان !

((السيد على مصطفى عمر))
السودان



علي عبيد

● تعودت ان اتفحص وجوه المارة في الطريق ... حتى ان هذه العادة كادت تعرضني للموت !.. فبينما اتوه في احد الوجوه ، تكسون سيارة ما قد وقفت فجاة على مسافة نصف متر من ساقي الايسر ، وارتفع الدوى حتى اقتسرب من نوافد المنازل بل ومن اسطحها ! .. لحظتها افيق وادرك انه من الخطأ ان امعن النظر في وجوه الناس ! ..

لكنني سرعان ما اعود لنفس العادة في اليوم التالي مباشرة ...

في الطريق نظرني رجل في شراسة، لم اكن اعرفه . كنت فقط اتفحصه ولاول مرة ... ملأني الرعب، واسرعت الخطى، ثم وقفت انظر خلفي، فوجدته ما زال واقفا يتاملني ، فسرت باكثر سرعة حتى وصلت لبيتي واغلقت باب الغرفة ...

ووجدتني انظر لوجهي في المرآه لارى ما صنعه الرعب في قسماته الدقيقة التي تشبه الى حد بعيد قسمات وجه فتاة صغيرة ...

الغريب انني رايت ذلك الرجل في المنام . في الصباح قمت اضحك بطريقة شاذة وامام المرآه تذكرت على الفور أن ملامحي هي نفس ملامحه.

وتذكرت أيضا أن ابي مات ذات مساء حار . وانه كان ابدا لا يناديني باسمي كما يفعل الآباء ..

وتذكرت شاربه المهوش المخيف الذى طالما ملأني الرعب منه. وفمه الواسع. وشفتيه الغليظتين ، وصوته الخشن الفظ .

« تعال يا شبه امك
روح يا شبه أمك ».

ورحت في نوبة بكاء حادة . بعدها قلت لنفسي كم هي كثيرة تلك المسرات التي اجلسني الى جواره في العربة اللورى « الجبل » ، وضمني بيده اليمنى في حضنه ضمة ودودة كنت اهمس في وجه امي الذى يشبه وجهي « أبي يسوق الجبل يا امي»، وكانت تضحك في زهو . ظلت تخفيه منه حتى مات .

كنت اخجل عندما يقال لي ان وجهك « بناتي » واحيانا كنت ابكي بحرارة. واحيانا اخرى اسال نفسي اليس في مقدور الانسان ان يغير شيئا في وجهه . ويوما . ما وهداني تفكيري أن اترك شاربي ، وفعلا .. لكن بعد ثلاثة شهور ادركت انها فكرة سخيفة. فقد كان واضحا انه جعلني اقرب الى الاطفال !

****

تخيلت وانا اصفف شعري صباحا ان الاجتماع الذى سيعقد في الظهيرة يمكنني ان اهرب منه لاجلس في ميدان التحرير امارس عادتي .



لما تاكد لى انه لا مفر ، دخلت مع الموظفين فى غرفة واسعة جدا .

لم اتبين اللافتة التى الصقت ببابها الا لحظة دخولى . ذلك لاننى كنت فقط اعرف ان من هذا الباب يدخل رئيس المصلحة ..

جلست على كرسى فخيل الى ان كل الموظفين يحدقون فى وجهى بغرابه .

قمت من على الكرسى . ولان الزحام كان قد اشتد بطريقة خرافية . لذا رحت ادفع نفسى للخارج قبل ان يدخل رئيس المصلحة وينغلق الباب .

***

فى ميدان التحرير كان جلدى ينشع عرقا لزجا . لان السماء الصافية جدا كانت قد فرشت شمسها الساخنة على ارض الميدان .

رحت اجلس على مقعد من رخام رث .

رحت اجفف العرق وعينـاى السوداوان تمارسان عادتهما تعلقتا بعينين سوداوين ...

تعلقتا ...

العينان تجلسان امامى .

العينان فى جراة تتعرفان على انفى المدبب الدقيق . وعلى فمى الضيق وراسى الصغير . على الشفتين الحمراوين ..

النشع الجلدى يزداد .

تقف العينان .... اقف

تقترب .... اقترب

تبتسم ...... ابتسم

تتلامس دون تردد كتفانا النحيلتان، اصابعنا الرفيعة ..

نتلاصق .. نتوحد ..

قدمانا تجريان على اسفلت الشارع الممتد الى النهر فى فرح صبيانى عـذب

تضحك .. تسالنى هل احببت ؟

اهمس فى عينيها السوداوين لـم تعشقنى امراة قط !

تضحك فى صخب فاجر ضحكات تجعل كل رؤوس رجال الشارع تنظرنا فى استنكار

وتعود العادة تدفعنى وتلح على ان اتفحص كل وجوه رجال الشارع . فاراها وحشية . غير دقيقة وارى وجها لا يختلف كثيرا عن وجه ابى فاحط عليه ملامح امى

يقف الوجه ، اقف ..

تسالنى المراة ماذا تفعل ؟

اسالها ما رايك فى هذا الوجه ؟

تتامله قليلا وتجيب : «رجل هائل»

اسالها : ما رايك ف .. ف ..

اتردد ... تسالنى : فى ماذا ؟

انطق فى همس : ما رايك فى كل ملامح وجهى ؟

تطيل النظر لعينى التى تشبه عينيها وتضحك فى خبث انثوى فاضح « توان »

تزلزلنى الرغبة فى ان اصرخ .. اجرى ...

اجرى واصرخ صرخات احاول ان اجعلها لا تخرج من اعماقى ..

الصرخات تخرج من اعماقى .. تدوى مروعة فى الشارع الممتد الى النهر، وترسم الرعب جليا على كل القسمات الوحشية ! .





ومع الربيع قد انتظرتك .. عودى
وخرجت من صمت ـ يجفف عودى
اترقب الفجر الـذى واعـدتنى
هل ياترى تتذكـرين وعـودى
حطمت كاســاتى التى ادمت فمى
ولعنت فيـــها ملجـا لشــرودى !
وفتحت نافـذتى التى اغلقتهـــــا
مزقت ســـتر كآبة وجمود ..
فرايت طيفك مشرقا مـن خلفهـا
والدفء يسرى منـه ملء وريـدى
واخضوضر اللبلاب فـوق نوافـذ
طربت وكم ناءت مـدى بجليد ..
ورايت اغصانا تتيه بزهـــرهـــا
مثل الحســان تزينت بعقــود !
هذى عقود حـــول جيـدك انـها
تبــــدو كسور حـول مزج ورود
محبوبتى عاد الربيع فاقبـلى ..
عطرا ، وازهارا تجمل عيـدى ..
قلبى شهيد هواك يسال رحمـــة
هل فى حنانك منزل لشـــهيد ؟!

اسماعيل عقاب
مرسى مطروح

الغليان !

عاطف سعودى

● يتوقع عادة داخل ملابسه ، ينتظر فراغى من عملى .. فاذا انطلق فمن خلال ضحكة مشروخة يموء بعدها مكانه .. الاحظ عليه شروده وهو ينظر الى لاشيء من نافذة مكتبى . احسبه غافلا تماما عما حوله لولا يقظته وسرعته الواضحة فى حماية عودة آلته الموسيقية التى لا تفارقه فهو حريص عليها حرص الجفن على صفحة العين ... يخاف عليها من حوادث الاصطدام فى زحمة الاقدام العديدة التى ترتاد غرفتى بمبنى الشرطة .

كان سالم العواد بارعاً ، لسانا مرهف الحس ، يسكن فى حى المدبح بالسيدة زينب فى الاربعينات ، وكان ودودا يعرف للصداقة والاصدقاء قدرهم .. عرفته أول ما عرف حبى للموسيقى وهوايتى لها ، لكان يزورنى باستمرار فلا أمل منه ولا يمل منى . بيد انى لاحظت على وجهه علامات من الاسى والحزن لا تخطئها العين فسألته : ــ فيم حزنك ؟

قال : زوجتى !

قلت : وما يحزنك منها ؟

قال على الفور : لسانها ياسيدى !! ..

وانفجر يتدفق كشلال ، يحكى .. كأنما اخترق سؤالى « بالونا » كان مختفيا بداخله .. لسانها يا سيدى لا يقذف الا غيبا . لا يقطر الا ذما او قدحا . اعطيها فتعيبنى ... اقبل عليها فتعرض عنى وهى تعيبنى .. أعرض عنها فتعرض عنى ، وهى تعيبنى .. احاول ان احببها كما تعيبنى ، لا أستطيع !.

لان كلماتى تسقط داخل حلقى ياسيدى ..

ــ لماذا يا سالم ؟

فالمدفع الذى فى فمها يجعل كلماتى تسقط صرعى ، تتعثر فى احبال صوتى .. فان افلتت منى كلمة لا تصل الى اذنها ولا حتى الى اذنى اذ تدهمها سيارات السباب المجنونة التى تمرق فى جو الحجرة فى جميع الاتجاهات !!

نصحته أن يشكوها لابيها ، قال فى مرارة لا استطيع ، فهو جزار فى المدبح يقطع مع كل طلعة شمس مائة راس .. ولن يضيره أن يزيد هذا العدد واحدا !!

قلت له : اذن عليك بامها ..

أجابنى : ياسيدى ، امها تقف على باب المدبح .. واعرف انها بارعة فى استخدام الساطور لدرجة انها تفلق راس الضأن عجل بضربة يد واحدة !

حاولت أن احذره للاستعانة ببعض اقرباء الزوجة من الدرجة الاولى ، الثانية ، الثالثة فتأكد انهم جميعا اصحاب مهنة واحدة ، لا فائدة !

وهكذا ظللت اسمع من المشاجرات والمهاترات القائمة بين الزوجين .. وسالم الغليان يحضر اثر كل مشاجرة ودموعه يحرمها من عينه ليبددها ــ كما يقول الشاعر ــ على عوده ! ..

قلت له : هل لك اولاد منها يا سالم ؟

قال : لا ! .. نصحته بعد تردد ان يطلقها ويخلص منها .. عارضنى بشدة قائلا انه يحبها ولا يطيق فراقها لحظة واحدة رغم لسانها الاهوج !

سكت ، ونصحته خلال تلك الزيارة بالصبر وضبط النفس ، وان يحنى رأسه قليلا اذا ماهبت العاصفة .

ومضت عدة أيام بعدها لم ار سالما . . . الى ان فوجئت ذات صباح بمن جاء يخبرنى بوقوع جريمة قتل فى كلب شقته ! .. طار صوابى . طرت الى هناك ، وانا اترحم على مكالم .. حماه ، الرجل الذى يقطع مائة راس كل طلعة شمس .. حماته المرأة التى تفلق راس الضأن عجل بضربة واحدة ! .. اقارب

هكذا انتهيت يا سالم فى لحظة واحدة ! .. الزوجة الاخرون الذين لا يرحمون ! !

لابد أن شجارا جديداً حدث بينك وبين زوجتك ، استنجدت الزوجة باحد اقاربها ، حضر القريب حدثت مشادة بينك وبينه أيها الغليان ، افلتت منك كلمة لم تعجب القريب المدجج بالسلاح الابيض ، اعتبرها اهانة منك لا يغسلها الا الدم ، اجهز عليك ! ..

على أية حال لن يفلت القاتل من يدى .. لن اذعه الا فى غيابة السجن جزاءه ، مهما كلفنى الامر ..

واجبى بالنسبة لك واجبان أيها الصديق ... واجب يفرضه عملى ، وواجب تفرضه الصداقة والمحبة بيننا .

وصلت الى هناك ، طرقت الباب ... لم يجبنى احد .. نظرت اسفل قدمى لاحظت سروبا من الدم يتلوى خارجا من الداخل ... امرت بكسر الباب ، وجدت سالما زوجته وحدهما ! .. أحد الزوجين مقطوع الرقبة ملقى على الارض خلف الباب مباشرة ! . والاخر كان لدهشتى الشديدة هو سالم الغليان الذى كان واقفا ينظر الى فى ذهول وبيده سكين لا يزال الدم يقطر منها ! .

شيء من الفلسفة والمنطق وعلم النفس

حليم فريد تادرس

حول اربعة مسائل فلسفية كبرى ، يدور مقرر الفلسفة هنا ، وكل مسألة من هذه المسائل تعبر عن روح عصر من العصور ..
المسألة الاولى : ((مسألة التغير والثبات في الوجود)) وتعبر عن روح العصر اليونانى القديم .. والمسألة الثانية : ((مسألة العقل والدين)) وتعبر عن روح العصور الوسطى .. والمسألة الثالثة ق ((مسألة المعرفة الانسانية والمنهج العلمى)) وتعبر عن روح العصر الحديث (القرنين ١٧ و ١٨) .. والمسألة الرابعة ((مسألة الانسان وصراعه في عالم متناقض بحثا عن حريته)) وتعبر عن روح القرنين ١٩ و ٢٠ .. فالفلسفة ، اذن ، ليست وحيا يهبط على الفيلسوف بل هى تعبير عن ثقافة العصر .

● وسنقتصر فيما يلى على تقديم أساسيات ومحاور المسألة الاولى « مسألة التغير والثبات فى الوجود » وكانت هذه المسألة قد تحدث الفكر اليونانى خلال القرون الستة السابقة على الميلاد .. اذ بدا لهم أن الوجود به كثرة من الاشياء المتغيرة ، فكان سؤال العصر القديم هو : ما الوجود .. وما علته ؟ هل هو متغير حقا ! واذا كان متغيرا فما هو الاصل الثابت وراء هذا الوجود المتغير ؟! وتحقيقا لوضوح الرؤية ، وحتى يتبين الدارس أوجه الاختلاف بين الاتجاهات الفلسفية المختلفة التى عالجت هذه المسألة ـ نقدم المسألة على النحو التالى :

(١) هيراقليطس وبارمنيدس

حاول كل من هيراقليطس وبارمنيدس ، وهما من أوائل فلاسفة اليونان . تفسير الوجود فوصفه هيراقليطس بالتغير المستمر ، وان هذا التغير يأخذ شكل الصراع بين أضداد ، فكل ما فى الوجود يتحول الى ضده ويحتويه ، ثم وصف كل مظاهر التغير فى الوجود بأنها تحدث طبقا لنظام دقيق يحقق الانسجام بين الاضداد بفعل عقل كامن فى الوجود ..

أما بارمنيدس ، فقد وقف من هيراقليطس موقفا معاكسا ، اذ يرى أن الحواس الخادعة هى التى تظهر لنا أن الوجود فى تغير مستمر ، فى حين أن النظر العقلى للوجود يكشف لنا عن ثباته ووحدته ، فالوجود ثابت لانه مثل « كرة ملاء » وكل « ملاء » لا يقبل اضافة ولا نقصانا ، وكل مالا يقبل اضافة ولا نقصانا

● العلم الحقيقي في نظر أفلاطون هو العلم بالكلي الثابت

فهو ثابت لايجرى عليه تغير ، والوجود واحد ، لانه اما أن يكون وجود أو لا وجود ولما كان « اللاوجود » ممتنع أصلا لانه عدم ومحال ٠٠ فلا يبقى اذن الا الوجود ووحدته ، وكان هيراقليطس يصف الوجود بأنه متغير ، وبه كثرة من الاشياء المتغيرة أيضا ٠٠

● (٢) السوفسطائيون وسقراط

وقد انصرفا عن دراسة الوجود الى دراسة الانسان والطبيعة الانسانية وذلك لسببين ، أولهما ـ اختلاف الفلاسفة من قبلهم حول الوجود ، وثانيهما ـ انهيار الديموقراطية اثر هزيمة اثينا أمام اسبرطة ٠٠

وقد وقف كل منهما موقفا معاكسا تماما لموقف الآخر فأختلفت نظرة السوفسطائيون وسقراط الى المعرفة الانسانية والطبيعة الانسانية بل والحقيقة ذاتها ٠

● فبالنسبة للمعرفه الانسانية : يتصور السوفسطائيون أن مصدرها هو الاحساسات أى احساسات الفرد ، ولما كانت احساسات الفرد متغيرة تصبح الحقيقة متغيرة اذ تصبح القيم والحق والخير والجمال معانى نسبية ، ويصبح العلم عندهم هو العلم بالامور الجزئية المتغيرة ، ولهذا يقول زعيمهم «بروتاغوراس» الانسان معيار كل شيء في الوجود » فلا شيء اذن حق أو خير أو جمال على الاطلاق ٠٠ كل شيء نسبى متغير تبعا لتغير احساسات الفرد والافراد ـ وقد رفض سقراط هذا التصور السوفسطائى الذى هدم الحقيقة ، يقول سقراط ، كل متغير باطل وكل ثابت حق ، وبالتالى يرفض المعرفة التى تأتى عن طريق الاحساسات ، ويرى أن العقل هو مصدر المعرفة ، والعقل وحده هو الذى يصنع العلم بالامور الكلية والتصورات العقلية الثابتة ، والعلم بغير هذه الامور الكلية والتصورات العقلية علم باطل ٠

● وفى مجال الاخلاق : تصور السوفسطائيون الانسان يطلب ـ بفطرته ـ المنفعة الشخصية واللذات الحسية ، ومن هنا دعوا الناس الى مخالفة القانون الذى يضع قيدا على طبيعة الانسان التى تنشد المنفعة الشخصية والخير المادى ، فى حين أن سقراط يرى الانسان خيرا بفطرته وأن هذه الفطرة الخيرة هى التى تدعوه لعمل الخير ، وخير الانسان هو الخير المعنوى الذى يحقق سعادة النفس لا الخير المادى الذى يحقق مطالب شهوات البدن كما تصور السوفسطائيون وان الانسان يفعل الشر لجهله بالفضيلة ، ومن هنا وحد سقراط بين العلم والفضيلة فيقول (الفضيلة علم والرذيلة جهل) ٠

●● اتجاهان متعاكسان نحو الطبيعة الانسانية ، وقد اخذ كل من السوفسطائيين وسقراط يروج لاتجاهه ٠

ـ اعتمد السوفسطائيون على الحوار اللفظى الذى يخاطب الوجدان والاحساسات مستخدما المغالطات اللفظية ، وتشكيك الناس فى العقل ٠

ـ اما سقراط فقد اعتمد على الحوار المنطقى الذى يخاطب العقل باحثا فى عقول الناس عن المعانى الكلية والتصورات الفعلية للفضائل حتى لا تصبح

الفضيلة نسبية كما تصور السوفسطائيون اذ كان سقراط يعتقد أن الانسان يولد مزودا بالعلم بالفضيلة ، وما على الفيلسوف الا أن يساعد الانسان بطريق الحوار المنطقى على توليد المعاني الكلية للفضائل من عقل الانسان ، ولذلك يعرف منهجه في الحوار باسم « منهج التوليد » .

(٣) افلاطون وارسطو

وقد اتجها لدراسة الوجود لمعرفة حقيقته وأصله الثابت ، ومع أن أرسطو كان تلميذا لافلاطون الا انه عارضه في النقطة الاساسية من مذهبه ، وكان ارسطو يقول : « انى أحب افلاطون .. لكن حبي للحق أعظم ! » .

● فقد قسم افلاطون الوجود الى قسمين أو عالمين : فقال بعالم علوى سماه) عالم المثل (وعالم سفلى سماه (عالم المحسوسات) ، عالم المحسوسات هذا هو عالمنا الذى نعيش فيه ، ولان هذا العالم به كثرة من أشياء جزئية متغيرة ، فقد أطلق عليه أيضا اسم (عالم الاشباح الزائفة) لان كل ما فيه جزئي متغير ، وكل جزئي متغير باطل (لاحظ هنا تأثره باستاذه سقراط) ، واذا كان عالمنا المحسوس هذا هو عالم الاشباح الزائفة والباطلة كما يدعى افلاطون .. فأين هو عالم الحقائق الازلية الثابتة ؟!

يقول افلاطون انه (عالم المثل) المفارق والمستقل عن عالم المحسوسات ، هو عالم الاصول والنماذج ، عالم الوحدة والثبات ، ففى عالم المثل هذا نجد مثالا واحدا ثابتا لا يتغير لكل من الخير والجمال والعدالة ، ومثالا واحدا لكل نوع من الانواع ، ففيه مثال واحد للانسان .. ومثال واحد للحصان ، ومثال واحد للشجرة .. الخ . وهذه المثل الكلية الثابتة تدرك بالعقل لا الحواس ، وهى وان كانت مستقلة ومفارقة عن عالم المحسوسات الا أن المحسوسات الجزئية المتغيرة تشاركها وتحاكيها .

● ولكن من أين جاءت هذه المحسوسات المتغيرة ؟ يقول افلاطون انها مصنوعة صنعها اله صانع (موجود أول) من اربعة عناصر ازلية هى الهواء ، والنار والماء والتراب . محتذيا فى صنعها بالمثل الازلية أيضا .

فالعلم الحقيقى اذن فى نظر افلاطون هو العلم بالكل الثابت اى بالمثل ، فكيف يتم علمنا بالمثل ؟ يجيب أفلاطون : بطريقين ، أولهما ــ التذكر (اى تذكر المثل) وثانيهما ــ الجدل .. وكيف نتذكر المثل ؟ يقول : ان النفس الانسانية قبل أن تحل فى البدن كانت فى عالم المثل ، ومن ثم فقد أدركت المثل ، لكنها ارتكبت خطيئة فهبطت الى البدن ، ولما كان البدن ماديا وناقصا فقد نسيت المثل ، وما عليها الا أن تتذكرها ، اما الجدل ، فليس كالجدل السوفسطائى جدل لفظى او كالجدل السقراطى جدل منطقى مع الآخرين ، ولكنه جدل مع الذات ، حيث تصعد النفس من تأمل المحسوسات المتغيرة الكثيرة الى افتراض ان هناك وحدة تجمع كل نوع منها فى مثال ، يكون هو الاصل والنموذج لهذه الكثرة المتغيرة ..

تلك هى نظرية افلاطون فى الوجود والمعرفة ، وقد تصدى ارسطو لهذه النظرية بالنقد والتجريح ، وكان اعتراض أرسطو على قول أفلاطون بأن حقائق الاشياء أى مثلها توجد فى عالم مفارق ومستقل عن عالم المحسوسات ..

يقول أرسطو فى نقده لنظرية المثل الافلاطونية ، انه اذا كانت المثل تعنى حقائق الاشياء أو روح الاشياء ، فروح الاشياء يجب أن تكون حالة فيها لا مفارقة لها اذ لا يمكن فهم وجود شيء أو تفسير وجود شيء بمبدأ مستقل عنه ، ثم انه لا توجد أدنى محاكاة بين محسوسات تتصف بالتغير ، ومثل تتصف بالثبات فالمتغير لا يشبه ما هو ثابت ، ثم أن المحسوسات جزئية ، والمثل كلية ، ومن هنا فقد هدم ارسطو أهم ركن فى نظرية الوجود الافلاطونية ، فكيف تصور أرسطو الوجود وعلته بعد أن هدم التصور الافلاطونى للوجود وعلته ؟

● يقول أرسطو ان كل موجود طبيعى أو صناعى ، يتكون من « مادة » ومن

« صورة » والمادة يسميها (الهيولى) مادة أولى أزلية لا تعيين لها أى لا توصف ولا لون لها ولا طعم ولا شكل ، وقد وصفها بالتغيير المستمر وانها تنزع دائما لان تتحقق فى صورة ، أما « الصــورة » فهى المعنى الكلى الثابت الذى يعين المادة ويحدها فيصبح للشىء وجود فالانسان مثلا ما هو الا مادة اتخــذت لهـا صورة الانسان .

وقد أطلق أرسطو على المادة اسم (الوجود بالقوة) لانها وجود ممكن ، وكل ممكن يكون وجوده بالقوة أى ممكن أن يوجد وألا يوجد ، واطلق على « الصورة » اسم (الوجود بالعقل) لانها هى التى تحد الهيولى (أى المادة) فيكون للشىء وجود ، ذلك لان وجود الشىء يعنى تحول ما هو بالقوة الى الشىء بالفعل أى تحول المادة لكى تتخذ لها صورة .

●● كأن « المثال الافلاطونى » اذن هو الصورة الارسطية هبط بها أرسطو من عالم المثل وردها الى الاشياء ، فصارت الاشياء حقائق بعد أن كانت فى نظر افلاطون اشباحا تشارك مثلها وتحاكيها .

● وفى تفسير أرسطو لحركة العالم ، أثبت للعالم محركا أول ، اعتبره علة غائية لحركة العالم ، وهو محرك أول لا يتحـرك ، محـرك أول من حيث هو علة غائية لحركة العالم يتحرك العالم نحوه بحركة عشق ونزوع لكمـاله وجمـاله ، ولا يتحرك لانه صورة خالصة من المادة ومن طبيعة الصورة الثبات وعدم الحركة ، ثم وصف المحرك الاول بأنه مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل كماله .. ومن هنا فقد سلب عنه كل الصفات التى تجب للاله الحق كالعلم والقدرة والارادة والفعل والمشيئة .

● وفى مسألة قدم العالم أو حدوثه (أى خلقه من عدم) يتفق أرســطو مع افلاطون فى القول بقدم العالم أى بأنه قديم غير مخلـوق ، اذ يصـف افلاطـون حركة العالم بأنها دائرية أى أزلية لا بداية لها ولا نهاية كما يصف أصل العالم بالازلية اذ يقول بعناصر أربعة أولية أزلية وبالمثل الازلية ايضا ، ونجد ارسطو أيضا يقول بقدم العالم فالعالم قديم غير مخلوق عند أرسطو أيضا ، اذ يصـف حركة الافلاك والكواكب بأنها دائرية أى لا بداية لها ولا نهاية فهى حركة أزلية ، ويصف المحرك الاول بأنه مجرد علة غائية لحركة العالم - لا علة فاعلة لهــذه الحركة - ويسلب عن المحرك الاول كل قدرة على الفعل والخلق والارادة والعلم اذ هو مشغول عن العالم بذاته ، ثم يقول بمادة أولى أزلية وبصورة أزلية ايضا ، وان المادة قد تحركت من تلقاء نفسها لتتحقق فى صورة ..

●● تلك هى خلاصة موقف فلاسفة اليونان من مســألة التغير والثبـات عرضناها على نحو جديد يبرز الاساسيات ويقارنها ببعضــها وينبه الدارس الى المحاور الاساسية فى المسألة ، وتحقيقا لمزيد من الجلاء ووضوح الرؤية ننبه الى الآتى :

(١) السوفسطائيون كانوا يطلبون العلم بالامور الجزئية المتغيرة ، ومن هنـا كانت الحقيقة عندهم متغيره ، أما ســقراط فكان ينشــد العلم بالامور الكلية والتصورات العقلية الثابتة .

(٢) ان افلاطون فى نظرية المثل قد تأثر بالســابقين عليه ، فقد اخـذ عن هيراقليطس فكرة التغير وطبقها على عالم المثل ، ثم اخذ عن سقراط ان كل ما هو ثابت حق ، وكل متغير باطل ، ولذلك يصف عالم المثل بأنه عــالم النمـاذج والاصول والحق المطلق لانه عالم الثبات والوحدة ، ويصف عالم المحســوسات بأنه عالم الاشباح الزائفة لانه عالم التغير والكثرة .

(٣) أن الخلاف الجوهرى والاساسى بين أرسطو وافلاطون يبدو فى تصــور كل منهما للعلل الصورية أى « صورة » الشىء أى حقيقته ، فأفلاطون يتصورها

مفارقة للاشياء ومستقلة عنها في عالم مفارق ومستقل هو عالم المثل ، في حين يرفض أرسطو هذا التصور ويرى أن حقيقة الشيء أى صورته توجد حالة فيه وليست مفارقة له ويفسر ذلك في نظريته (المادة والصورة) و (القوة والعقل)

(٤) يتفق أرسطو مع أفلاطون فى القول بموجود أول (الله) ، ولكن كلا منهما قد تصور الموجود الاول على نحو مخالف ، فأفلاطون يتصوره صانعا ، أما أرسطو فيتصوره محركا أول لا يتحرك ٠٠ مشغول عن العالم بالتفكير فى ذاته وتأمل اكماله ٠٠ أي لا علاقه له بالعالم ولا يدرى عنه شيئا وليست له في العالم قدرة ولا ارادة ولا فعل ولا مشيئة ٠

(٥) تعبر نظرية المحرك الاول عن قمة البناء الميتافيزيقي (الفلسفي) عند أرسطو ، اذ فسر بها حركة العالم في مجموعه ٠٠ ذلك ان العالم متحرك متغير ، وكل متحرك يتحرك بغيره وتتعدد سلسلة الحركات المتحركات حتى نصل بالضرورة المنطقية الى محرك أول لا يتحرك ٠٠ هو علة غائية لهذه الحركة ٠٠ وما العشق والنزوع فى العالم نحو المحرك الاول الا علة فاعلة لهذه الحركة ٠

(٦) انه بدءا من سقراط أخذت النظرة تتجه الى الامور الكلية الثابتة باعتبارها هي العلم الحق ووصف ما هو متغير بالنقص ٠

ـ فالكلي الثابت عند سقراط هو العلم بالتصورات العقلية الكلية للفضائل ومن هنا كانت غايته وضع تعريفات ثابتة للفضائل ٠

والكلي الثابت عند افلاطون هو المثل الازلية ذات الصدق المطلق ٠

ـ والكلي الثابت عند أرسطو هو الصورة التي تعين المادة فيكون للشيء وجود ولذلك نجده يضع الصورة في أعلى سلسلة الموجودات ، وحسبنا انه يصف المحرك الاول بأنه صوره خالية من المادة وجعل الثبات طبيعته ، والثبات دليل الكمال المطلق ٠

● **ثانيا ـ المنطق**

وفي المنطق يتضمن المقرر للدارسين ثلاثة أبواب ، أولها ـ باب للحدود المنطقية (الالفاظ وتصنيفها) وثانيها ـ باب القضايا أى الاحكام وتصنيفها ٠٠ وثالثها ـ باب الاستدلال وهو أهم أبواب المنطق وهو العلم الموصل الى الاستدلال السليم

وفيما يلي نقدم محاور الباب الاول الاساسية وهو باب الحدود المنطقية ٠٠٠ والحد المنطقي هو ما يمكن أن نخبر به أو نخبر عنه ، وعادة تصنيف الحدود المنطقية الى :

(١) الحد الجزئي : مثل (نهر النيل ـ القاهرة) وهو الحد الذى يطلق على مسمى واحد أو شيء واحد ٠

(٢) الحد الكلي : مثل (نهر ـ مدينة ـ مدرسة ـ انسان) وهو الحد الذى يطلق على عدة مسميات أو اشياء أو أفراد تشترك في صفات واحدة ٠

(٣) الحد الجمعي (أو اسم الجمع) : مثل (قبيلة ـ جيش ـ نقابة) وهو الحد الذى يطلق على عدة أفراد ويشترط اجتماعهم ، اذ لا يمكن أن نطلقه على كل فرد من أفراده على حدة ٠

(٤) اسم العلم : مثل (محمد ، احمد ، على ، جميل ، كريم ، حليم) واذا استخدم هذا الحد كاسم علم فهو حد جزئى ، أما اذا استخدم كصفة مثل (جميل وكريم وحليم) يصبح حدا كليا لان جميع الصفات حدود كلية ٠

● والحد الكلي هو أهم الحدود المنطقية ، ولذلك عنى رجال المنطق بتصنيفه فوصفوا له خمسة تصنيفات تسمى باسم (الكليات الخمس) فمن الحدود الكلية ما يدل على أنواع مثل (انسان ـ قط ـ حصان) ومنها ما يدل على صفات مثل (حيوان ـ مفكر ـ كاتب ـ مبصر) ولكن كل صفة من هذه الصفات لها مايميزها عن الاخرى **فمنها ما يدل على صفات أساسية كالحيوانية والتفكير**

● كان أرسطو يقول: "إني أحب أفلاطون لكن حبي للحق أعظم".

بالنسبة للانسان .. وهذه صفات اساسية لانه اذا فقدها النوع او فقد احداها لفقد وجوده ، ومنها ما يدل على صفات غير اساسية اى عرضية كالكتابة والابصار بالنسبة للانسان ، وهي صفات غير اساسية لانه اذا فقدها النوع أو فقد احداها لما اثر ذلك في وجوده كانسان ومن خلال التصنيف السابق وضع ارسطو معالم تعريف الالفاظ (التعريف الشيئي) فانتهى الى نوعين من التعريف

(١) التعريف بالحد ، وينقسم الى : ـ

(أ) التعريف بالحد التام : وهو ما كان بالجنس القريب والفصل معا ، وكتعريفنا للانسان بأنه (حيوان مفكر) ، وهو أدق التعريفات لانه يحدد ماهية المعرف كاملة ، ثم انه تعريف جامع مانع ، ويجمع جميع أفراد النوع المراد تعريفه ويمنع من دخول أنواع أخرى .

(ب) التعريف بالحد الناقص . وهو ما كان بالجنس البعيد والفصل (أو الفصل فقط) كتعريفنا للانسان بأنه كائن حى مفكر (أو مفكر فقط) وهو اقل دقة من الحد التام .

(٢) التعريف بالرسم ، وينقسم الى : ـ

أ ـ تعريف بالرسم التام : وهو ما كان بالجنس القريب والخاصة كتعريفنا للانسان بانه حيوان كاتب ، وهو اقل دقة لان الخاصة صفة عرضية كما اسلفنا.

ب ـ تعريف بالرسم الناقص : وهو ما كان بالجنس البعيد والخاصة (او الخاصة فقط) كتعريفنا للانسان بانه كائن حي كاتب ، وهو اقل التعريفات الشيئية دقة لانه لا يعبر عن اى جزء من ماهية المعرف .

●● تلك هي المحاور الاساسية في الباب الاول (باب الحدود المنطقية) والذي يهمنا هنا ويهم الدارس أن يدرك تماما الفرق بين كل من الآتى :

١ ـ الحد الكلي والحد الجزئي .

٢ ـ الحد الكلي والحد الجمعي (اسم الجمع)

٣ ـ الصفات التي تعبر عن الماهية والتى لا تعبر عن الماهية

٤ ـ التعريف بالحد والتعريف بالرسم .. ولماذا يعتبر التعريف بالحد التام أدق التعريفات الشيئية في حين يعتبر التعريف بالرسم الناقص أقلها دقة .

٥ ـ الفرق بين التعريف الجامع المانع والتعريف الغير جامع الغير مانع ولاشك ان العرض السابق يبرز المطالب الخمسة السابقة .

● ثالثا علم النفس :

وفي علم النفس يتناول المقرر للدارسين ثلاثة ابواب اولها ـ المدخل الى علم النفس ، حيث نتعرف على موضوع علم النفس وميادينه ومناهج البحث فيه ، والسلوك ودوافعه والنظريات المفسرة للسلوك ، وثانيها ـ ظاهرة النمو الانساني منذ مرحلة ما قبل الميلاد (الحمل) حتى مرحلة المراهقة ، وثالثهما ـ الشخصية ومحدداتها ..

حليم فريد تادرس
موجه اول الفلسفة بمحافظة الشرقية ●

قصة

الشمس لا تغيب كثيراً

محمد خليل

● وقف خلف النافذة شارداً ، ينظر من وراء زجاجها الى سحابة كثيفة حجبت ضوء الشمس.. منذ غادر فراشه فى الصباح وهو يشعر بنفسه تتحول الى مزرعة للقلق والخوف .. فقد شكت امه — ولاول مرة — من آلام حادة ، حتى أنها لم تقو على مغادرة الفراش لتعد له فطوره وملابسه .

عيناه تجوبان الافق الغائم ، يشعر به يشاطره معاناته وعذاباته .. أحس برعشة فى جسده ، وعقد ذراعيه منكمشا . سقطت عيناه على الاتربة وقصاصات الورق تدفعها الرياح على الطريق .. فجأة هبت عاصفة شديدة شوهت ضوء النهار .. خلا الطريق تماما من الغادين والرائحين ... تصاعدت فى الجو الاتربة والغبار . ماتت الحركة وعم السكون .

عاد الى مكتبه مرتعدا ، وجلس يجيل البصر فى اوراقه . تداخلت الحروف وتشابكت . نبتت من الحروف اشواك ادمت أصابعه .. ناداه صوت زميل ليرد على الهاتف ، اضطربت دقات قلبه ، قام ببطء وتثاقل ، متوجسا ، لرفع السماعة .. اغمض عينيه ، تحولت جبهته الى اخاديد ، ارتعشت شفتاه وهو يتساءل .. ماذا ؟ .. متى ؟ كيف ؟ ..

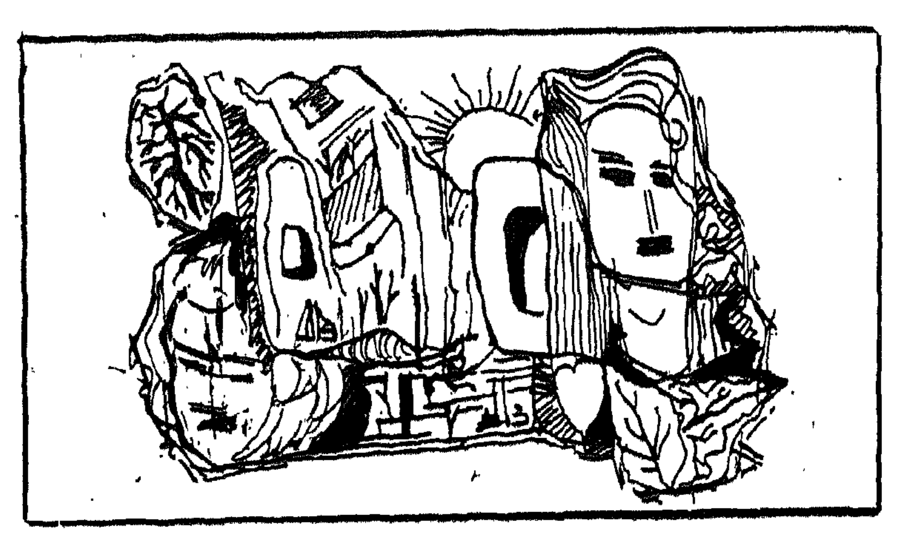
القى بالسماعة فى عصبية . ساقاه تطويان الطريق ، أعماقه مشتعلة ، سائقوا السيارات يلعنونه .. يركض كهارب امام براثن وحش ...

وجد باب الشقة مفتوحا . سبقته عيناه الى الداخل ، ابصر الجيران يلتفون حول فراشها والالم يبدو فى عيونهم .. انحنى عليها وهتف يسالها ما بها . رفعت اليه عينين شاحبتين ولم ترد .. كرر السؤال بالحاح واضطراب ، اغرورقت عيناها بالدموع ، صفقت العاصفة النوافذ والابواب ، اجهش باكيا ...

لمعت بالعبرات عيون الجيران ،زارت الرياح ، اقتلع جسده من جلسته واندفع مهرولا يتنفس الاتربة وذرات الرمال التى كست الفضاء ...

ليس هناك غيره ، اكثر الاطباء شهرة كما يرددون . يمم تجاه عيادته . جاست حدقتاه تبحثان عن الممرض بين المنتظرين الذين اكتظ بهم المكان . تقدم منه وهو يلهث ، طلب الطبيب فى كشف عاجل . دلف اليه الممرض وخرج يستبقيه حتى يفرغ الطبيب من المنتظرين . افهمه ان حالتها سيئة ، ادار له ظهره متجاهلا ما يقول ، اقتحم الغرفة فى عصبية ، أسرع الممرض وجذبه من ملابسه ، رمقه الطبيب من خلف مكتبه وهو ينفث دخان سيجاره . تقلص وجهه وهو يقول مستنكراً :

— ما هذا .. ماذا تريد ؟



اجاب في لهفة :

ـ امي يا دكتور .. ارجوك !

بان الغضـــــب في عيني الطبيب وصاح :

ـ للدخول اصـــــول ، وانتظر في الخارج !

توصل اليه .. جذبه المرض بقـوة فتمزق قميصـــه . نظر الى السماعة المعلقة على صدره . تمنى أن يمد يده ويلفها حول عنقه .. صفقت العاصفة الضلف الخارجية للنـــافذة الوحيدة فاعتمت الغرفة . جــــذب ذراعه من قبضة المرض واقترب منه يستعطفه . تحجر قلبه وقال بحسم وهو يضـــع فنجال القهوة بغضب :

ـ العيادة كما ترى ! ..

اشتعلت النار في جســـده . تحول راسه الى جمرة كبيرة ملتهبة . دفعه المرض امامه ..

شيعه صوت الطبيب يقول ببرود :

ـ اذهب واحضرها الى هنا ؟

قال والمرض ما زال يدفعه :

ـ انها لا تستطيع الحركة ..

نزل يجري في الشارع كالممسوس يدق الارض بقـــدميه ، يشق استار العاصفة بذراعيه . نظرات السائقين لا ترحمه ، يجهلون عمق ماساته . نقط تندفع نظراتهم ، لتنغرس في جسده ، تشرخه ، تهشمه كمـــا تتهشم الآنية الفخارية ..

وصل الى الشقة وانفاسه تتوقف عندشفتيه. تناقشوا في الطريقة التي يذهبون بها الى العيادة ، يدركون تماما أن أصحاب السيارات يرفضون الدخول الى الشارع والحـــــارة حرصا على سياراتهم من الحفر و « المطبات » ، اهتدوا الى أن يحملوها فوق مقعد حتى الشارع الرئيسي حيث تسير السيارات بمرونة وانسياب ...

حملوا المقعـــد بين اذرعهم وراحوا يستريحون كل بضعة امتار ويتبادلون حمله حتى وصلوا الى الطريق العام . حاولوا ايقاف سيارة ، اخفقوا مرات عديدة ، اضطربوا خشية أن يغـــادر الطبيب العيادة .. لم يكن أمامهم غير أن يواصلوا مسيرتهم بنفس الطريقة ..

في منتصف الطريق بدات الســـماء ترسل رذاذا خفيفا ، واصلوا سيرهم، ساد الرذاذ قطرات كبيرة ، امعنوا في المسير ، تحولت القطرات الى سيول جرفت معها ما علق في الجو من رمال واتربة حولتها الى مادة لزجة كثيفة .. لجاوا الى الرصيف والتصقوا باحـــد الجدران خلع احدهم معطفه ودثر به الســـيدة العليلة ، اتجهت اعينهم الى السماء باجساد مرتعة وقلوب متضرعة، طوق الابن امه بذراعه ، امتزجت انفاسه باناتها المكبوتة .. الوقت يمر وشيكا كان الرياح تدفعه ، والرعد يهدر في السماء والغيث لا يكف عن الهطول ، تبادلوا النظرات ، شـــمروا اطراف ثيابهم ، خاضوا باحذيتهم مياه الامطار التي اغرقت الطــــريق والرصف . وصلوا العيادة وملابسهم مثل قطـــع

الاسفنج المتشرب ، واجههم الطبيب على السلم منصرفا .. شاهدوا على وجهه الضيق والاستياء .. اعتذر الابن اليه وحدجه الطبيب ولم يرد . حاول أن يعلل له أسباب التاخير ، انفجر الطبيب والضجر يملأ عينيه :

– وقتى ليس رخيصا الى هذا الحد !

واندفعت الكلمات الرقيقة من السن الاجساد المرتعشة تمتص انفعال الطبيب الغاضب ... ولكنه اشاح بوجهه فى خيلاء وقال وهو يخطو :

– ورائى ما يشغلنى ، احضروها غدا ...

فاه بهذه الكلمات ومشى والمرض خلفه يحمل الحقيبة ، اعترضوا طريقه، ربتوا على ظهره وكتفيه ، استعطفوه ، انحدرت الدموع من عينى الأم المريضة، تجاهل دموعها ... وصل الى الباب الخارجى للعيادة ، ألقى نظرة على الطريق . راعه منظر الشارع والامطار التى ماتزال تنهمر غزيرة لاتكف لحظة واصوات الرعود التى ترمجر بقوة وعنف تراجع الى الوراء والغيظ يستشرى فى داخله . تأفف وقال بلهجة حادة :

– ادفعوا الكشف ، وأمرى الى الله ...

اخرج الابن كل ما فى جيوبه اكتشف ان كل ما معه لا يكمل نصف المبلغ المطلوب ، وانقذ الجيران الموقف . قدم احدهم اليه المبلغ ، التقطه المرض ، دخل غرفته وهم يحملونها خلفه ، راح يفحصها كما يفحص النجار قطعة من الخشب ، دون أن يجلس انحنى فوق المكتب .. جرت اصابعه بقلمه فى دفتر ((الروشتات)) .. نزع ((الروشتة)) وناولها اليهم وهو يلتقط حقيبته .. حملوها وغادروا العيادة ، ابصروا الطبيب يجلس فى سيارته يحاول أن يديرها . وقفوا الى جوار الحائط يترقبون توقف المطر، تعطل الموتور ، عض على شفتيه فى غيظ . راح يحاول مرات عديدة ، فشلت محاولاته ، زفر فى ضيق ، وانزل جزءا صغيرا من الزجاج وأوما الى احد المتحلقين حول المريضة وهو يقول :

– بايدك يا ريس لو سمحت ...

اقتربوا من السيارة ، تجمعوا خلفها، دفعوها والثلوج تهوى فوق رءوسهم ، حجبت الامطار الرؤية من خلف الزجاج الأمامى للسيارة ، تحركت المساحات تنظف الزجاج .

زمجر المحرك فجاة وانطلقت السيارة بعد أن نثرت المياه على ملابسهم ووجوههم ..

وعندما هدات الأمطار حملوا المقعد وواصلوا سيرهم يخوضون المياه . شاهدهم فلاح يمتطى حماره وينشر مظلته فوق رأسه . ترجل عن حماره واصر على أن تمتطيه مكانه .. نظرت اليه وتمتمت شفتاها – لأول مرة – ببضع كلمات خافتة . سار الى جوارها وقد نشر المظلة فوق راسها ...

وصلوا الى الشقة ، فشد الفلاح على ايديهم ، ركب حماره عائدا وعلامات الرضا تتخايل على صفحة وجهه الذى انتشرت فيه التجاعيد . خرج الابن لا يدرى الى أين يذهب . وقف على مدخل الحارة حائرا يدور حول نفسه . نشر ((الروشيتة)) بين اصابعه وراح يتأملها متنهدا ((يبدو ان قيمة الدواء ستكون كبيرة)) ...

تحرك ببطء وعيناه تسقطان فوق حذائه ، يحاول انتزاع قدميه من الوحل بصعوبة ، يشعر انهما مشدودتان الى صخرة ضخمة . تسللت اشعة الشمس تخترق الغيوم المعتمة ، برزت امامه صورة الفلاح .

تجسد خيال عينيه مرعوة الجيران .. ازدادت اشعة الشمس وضوحا ، احس بقدميه تضربان الوحل فى قوة وعزيمة . بدت صفحة السماء نقية صافية . والشمس تلقى سناها فوق راسه وتغمر الجدران والطريق ...

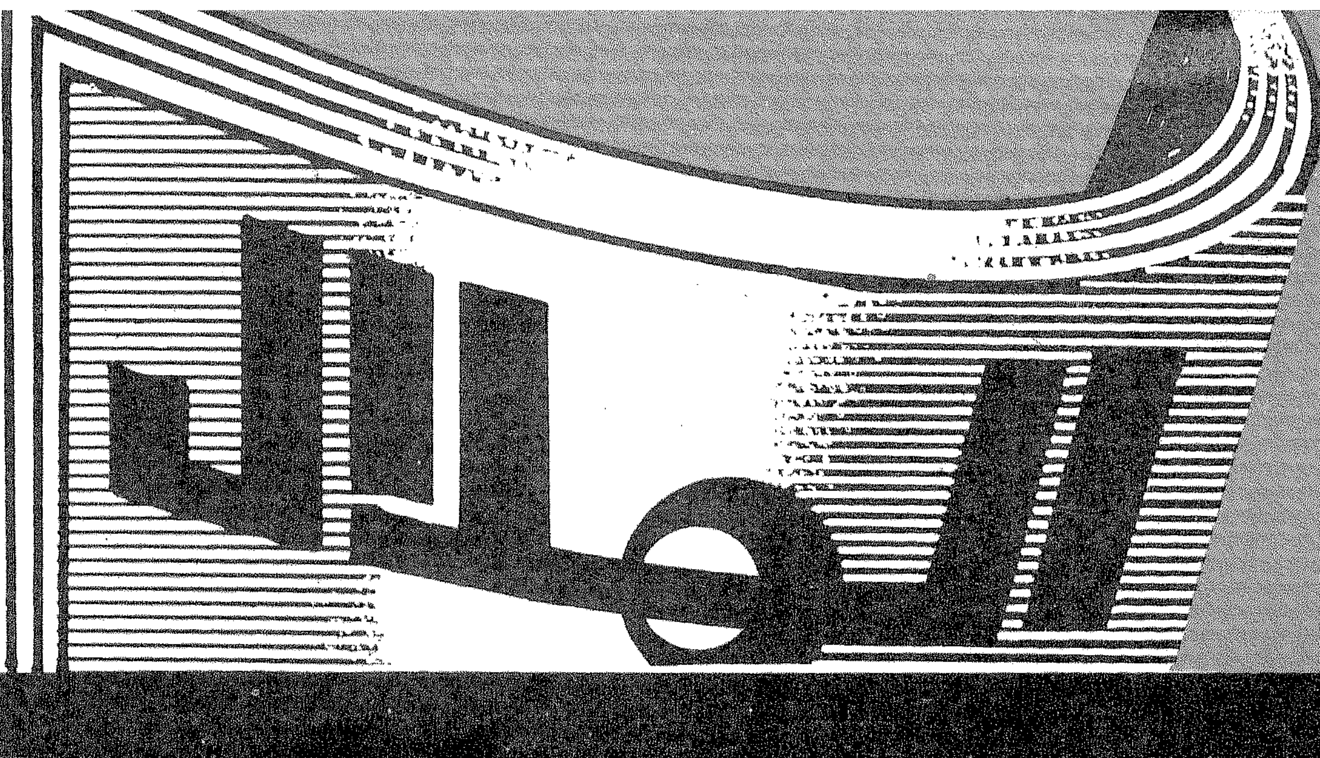
ترنيمة ختام

الوطن و الحب

وبعد الرحيل ..
اتيتك في ليلة ساحرة
لامزج فيك دمائي بضوء الشموخ
وأغزل روحي بنار الاباء
وأسكب في موقدي صوتك
((تمزق جرحي بجمر الطواف))
فمدت يداك تضمان جرحي ...
تعيدان صمتي للون الحروف
وألفيت تربك نبعا يطوف
بلحن القناديل والمعرفة
وعبر الشطوط ،
وجدتك لؤلؤة تحتسي أبحرا من ضياء
وسرت أفتش عنك
رأيت أبا الهول يشمخ فوق التلال
ويهمس أنا حضارة عصر النضوج
وأنا أصالة عصر النشور .
وبين جلال المعابد يستأثر القلب بوح الصخور
وجدتك بين شغاف العروق جوى ، قبلة للشروق
وسرت وعيناى نضاحتان بعشر يغنى عروس الوهج
وألفيت فيك رجال الشموس
وتاريخ مجد تبث صداه صلاة الرمال
طرقت الظلال
اشم عبيرك فى الانسجه
ونهرك يصدح بالكبرياء
((انا النيل لحنى جذور الزمن))
سمعتك اغنية شاهقة
سمعتك تسبيحة في السحب
فعانقت عينيك أدمنت عشقك كالكرمة الدافقة
عروس القمر ..
خلعت رداء الوهن .
لارسم منك ضياء الشموع
اشكل منك حنايا الضلوع
وانحت منك رموز الجمال العريق
ويا أنت يا قاهره ..
اتيتك فى ليلة ساحره
فارسيت نبضى على مرفئك
طرقت الشموس طرقت الظلال
وجدتك تاريخ مجد ..
تبث صداه صلاة الرمال
توحدت فى دفقة الافئده
وعانقت فيك لهيب الشموخ
واشرعت فى ضوئك المستحيل

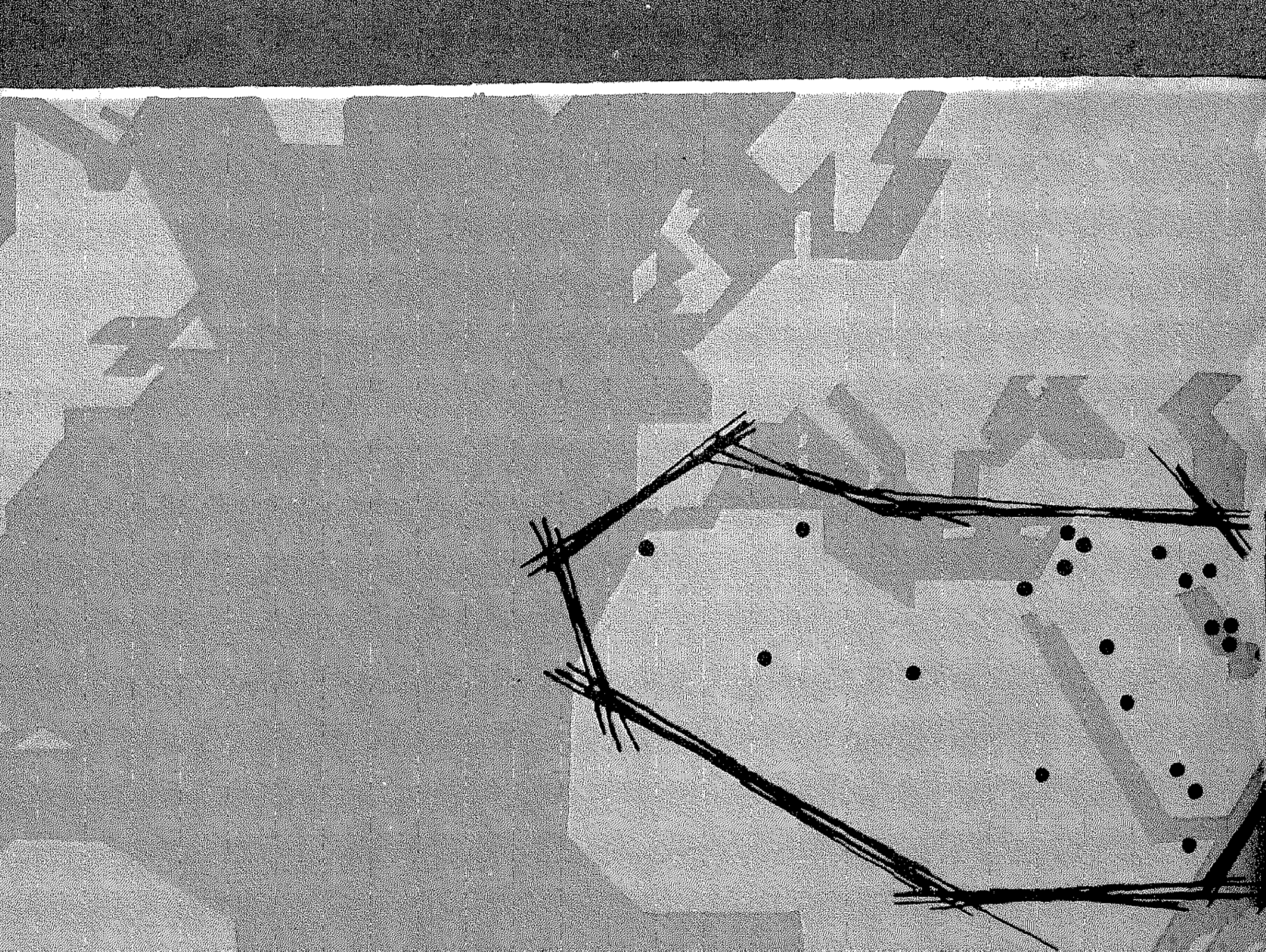


عبد الشافي داود
الكويت



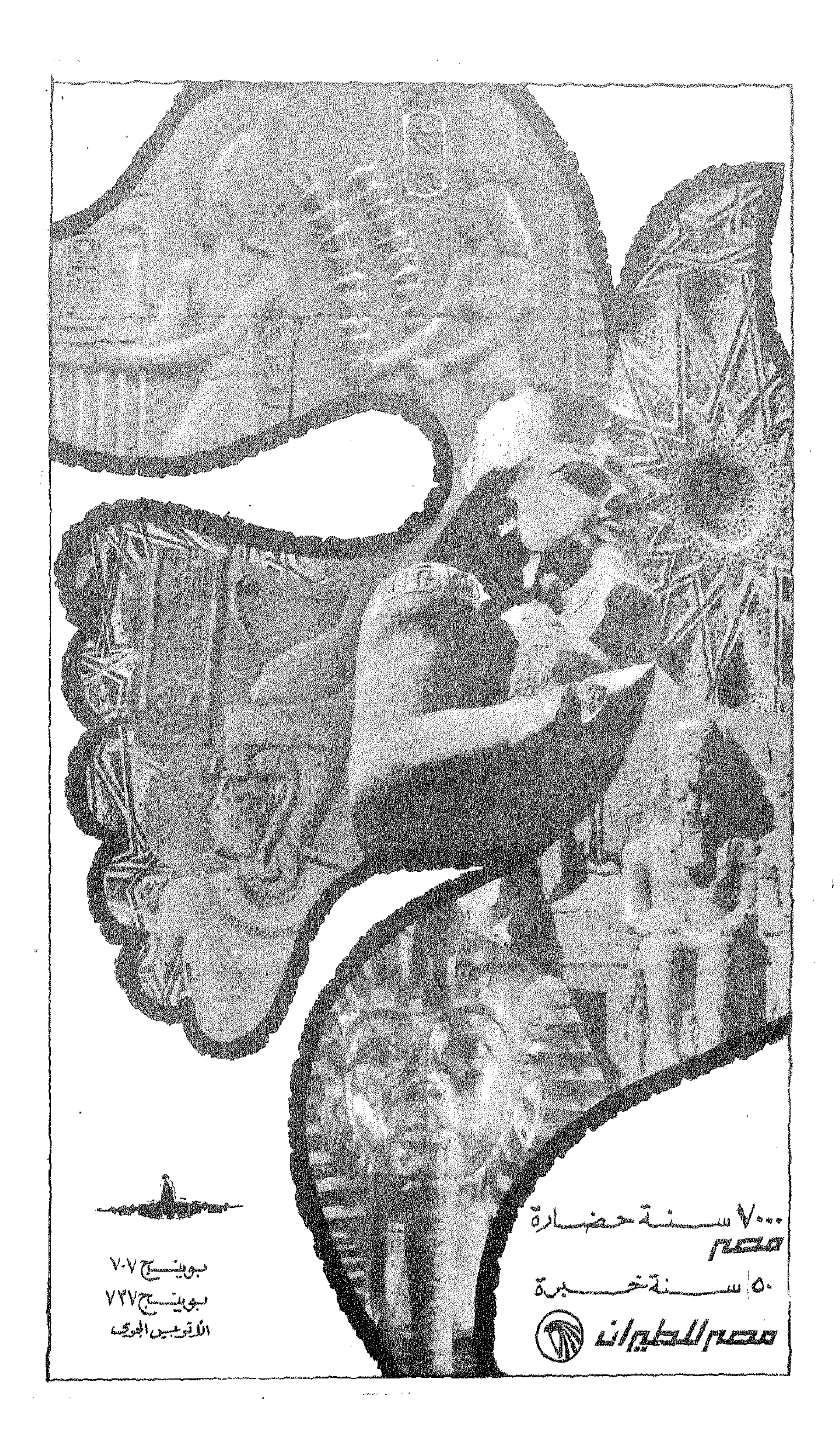
الهلال
ديسمبر ١٩٨١ م
مجلة الفكر العربي

العرب في عالم خطر



● قراءة عربية فى خريطة العالم
● نجيب محفوظ فى عالم الناطقين بالإنجليزية
● الفائز بجائزة نوبل فى الأدب هذا العام

حرب الفضاء .. "استطلاع بالألوان"



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

اتجاهات عصر جديد

رغم كل الظروف العصيبة التى تمر بعالم العرب ، فان الانسان يشعر ان رياحا جديدة تهب على عالمنا العربى ، وتبعث فى النفس روحا من التفاؤل وتوقعا للخير طال شوقنا اليه من زمن بعيد ٠

ويبدو اننا شبعنا من الدوران حول نفسنا ، وتبينا فى النهاية ان الطريق الوحيد لنجاتنا جميعا ـ نحن العرب ـ هو ان يأخذ بعضنا بعضا على ما هو عليه ، فاننا درجنا من حين طويل على أن يصر كل منا على أن يكون البقية على مثاله أو يسيروا فى طريقه أو يرددوا أفكاره ، فاذا خالفوه وأراد بعضهم أن يكون له رأيه الخاص غضبنا ونعصبنا ، وبدأت حرب الكلام ومناوشات الاذاعات وتفاهات الخلافات وهذه الدورات المفرغة السيئة التى انفقنا فيها سنوات طويلة ، وهذه السنوات كسبها الخصم الاسرائيلى واستمتع بها ، وكان يسعده أشد السعادة أن نختلف ونتدابر لكى تظهر للدنيا وكأنها الدولة الوحيدة المستقرة فى المنطقة ، ولقد حاربتنا اسرائيل حربا سيئة ، ولكن لابد أن نعترف اننا نحن اعطيناها الفرصة وعاوناها على أنفسنا لسوء الحظ ٠

●●●

والآن يبدو اننا فتحنا عيوننا ووعينا الى لعب الاعداء بنا ، فاذا نحن استثنينا بعض صحف المنطقة رأينا اليوم وكأن هدنة تستقر بين العرب ، وقد اختفت مناوشات الالفاظ والاتهامات ، وحل محل ذلك التأييد المتبادل مع اختلاف الاتجاهات ، ويكفى تأييد العرب جميعا للقيادة الجديدة فى مصر وتفاؤلها بها ووقوف العرب جميعا الى جانب السعودية فى موضوع حصولها على طائرات الانذار المبكر وهو حق لها وضرورة لنا جميعا ٠

هذه روح جديدة نرجو أن تستمر وتقوى حتى يدخل العرب العصر الجديد الذى طال بحثنا عنه ٠ طريق الاتحاد الحقيقى فى الاهداف والغايات والرؤية الواضحة لما ينفع العرب جميعا وما يضرهم ٠

الهلال

فى هلال هذا الشهر



ديسمبر ١٩٨١ م
صفـر ١٤٠٢ هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التاسعة والثمانون أول ديسمبر سنة ١٩٨١ م
٥ من صفر ١٤٠٢ هـ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها . .وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر مايتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى مايستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

الإشراف الفني
احمد الموردجي

● صورة الغلاف ●

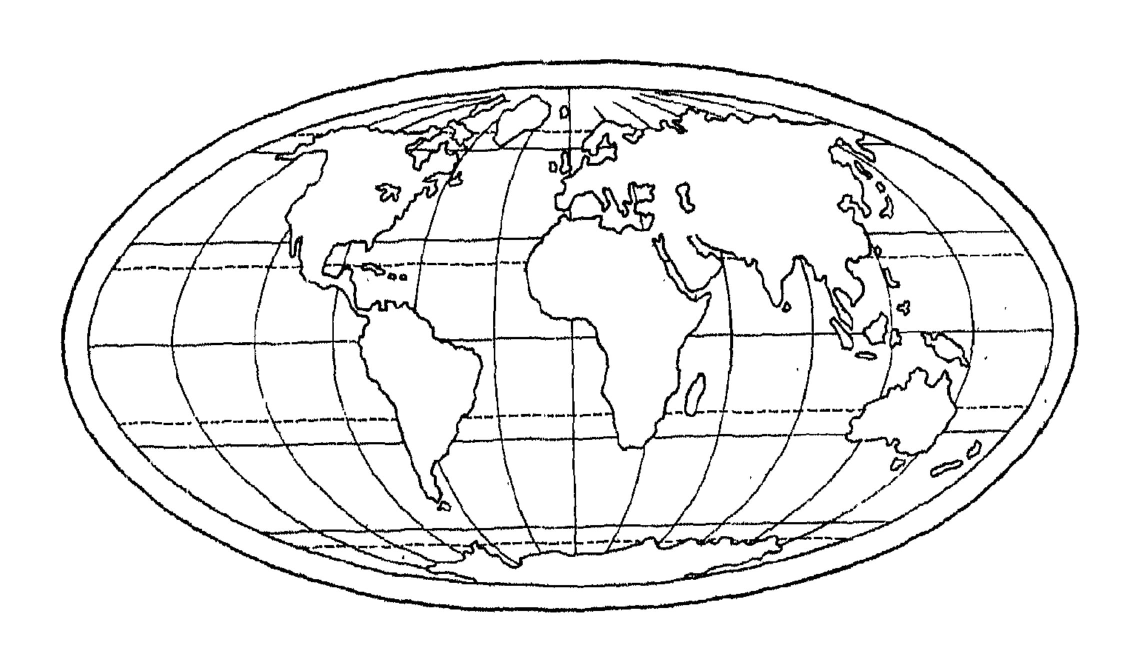
فى مقال الهلال الافتتاحي اردنا ان نلفت نظر العرب الى مكانهم على هذا الكوكب .. وخير وسيلة لذلك هى الخريطة الجغرافية ، ولهذا جعلنا خريطة العالم على الغلاف وقد بينا عليها العالم العربي لكى يعرف العربي اين هو وسط الدنيا واهلها .

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، فى الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى « لقسم الاشتراكات » بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط

قراءة عربية لخريطة العالم

بقلم : الدكتور حسين مؤنس



● نظرة واحدة على خريطة الارض ، تريك اننا ـ نحن العرب ـ اقلية صغيرة وسط جبابرة ضخام يحتلون من الارض اضعاف ما نملك نحن .. وأين نذهب نحن العرب بين الروس والانجلوسكسون والصينيين ؟

اننا اضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، فهل يجوز مع ذلك ان نزيد انفسنا ضعفا بالتحاسد والتباغض فيما بيننا ؟

وهل يجوز ان نزيد انفسنا فقرا بانفاق اموالنا فى حروب اهلية عقيم داخل وطن العرب ؟

وهل يجوز أن نعيش مراهقين نتصرف تصرف مراهقين وسط عالم من الكواسر ؟

فى قلقى المستمر على مصير العرب فى هذا العالم نظرت فى خريطة الدنيا لابحث عن العالم العربى فيها • الخريطة نفسها ابلغ من كل مقال • فقد رأيت عالمنا العربى ، وكله صحار ومعظمه أراض قاحلة ـ ضئيلا صغيرا بالنسبة لعوالم أخرى ، فأين نحن من عالم الروس ، ودولتهم وتوابعها تحتل أكثر من ربع كرة الارض ، وأين نحن من عالم الانجلو سكسون ، وهم يعمرون انجلترا والولايات المتحدة ومعظم كندا وكل استراليا ونيوزيلندا ويملكون نحو نصف الارض ، والصينيون ـ وعددهم يزيد على ألف مليون ـ يسيطرون على مساحة من الارض تبلغ ضعف مساحة العالم العربى ••

ونحن العرب ـ بكل غرورنا فى انفسنا ، وبكل تصورنا اننا شىء رئيسى على وجه الارض لا نسيطر الا على مساحة ربما كانت سدس مساحة اليابس •

واذا كان مقدار ما تسيطر عليه الشعوب من مساحة الارض اشارة الى ناحية من نواحى النجاح ، فاننا ـ بهذا القدر الضئيل الذى استطعنا امتلاكه من الارض ـ من أقل الشعوب توفيقا فى معركة الصراع على مصير هذا الكوكب •

انني أحاول هنا أن احاول كعربى ، ان أعمل حساب مكسب وخسارة أو ميزانية لمكاسبنا وخسائرنا عبر التاريخ •

***

واحب أن أقول هنا اننى اواجه الواقع كما هو ، دون خداع النفس أو خداع الغير ، لان خداع النفس جهل وخداع الناس عبط ، ولا تبقى فى النهاية الا الحقائق •

ولا مفر لنا من مواجهة الحقائق • لاننا اذا اصررنا على الهرب منها فان الآخرين سياخذون بانوفنا ويدسونها فى الواقع الحى ، وعلى ظهورنا سيعبرون فى طريقهم ليبنوا مستقبلهم •

ولن يلومهم فى هذا أحد ، فان الدنيا صراع ، وهى لمن غلب ، والباكون متسولون ، والشاكون ضعفاء يهملون ، وقافلة الدنيا تسير ، ومن يهلك يهلك ومن يعيش يعيش ، واذا كنا نحسب ان الدنيا ستحترمنا أو تصغى الينا لان لنا افواها ضخمة تصرخ فاننا لا نخدع الا انفسنا لان أى ضفدعة فى مستنقع تنعق بصوت هو أقوى من أصواتنا •

***

ويا ليت الحقيقة المرة ـ حقيقة قلة ما بيدنا من هذه الارض ـ لا تخفى وراءها حقائق أمر وأشد وأنكى •

فان عالم الروس متحد قوى محكوم حكما فعالا ، وعالم الانجلو سكسون يحكم نفسه حكما صالحا ويواجه الدنيا جبهة واحدة ، والصين كتلة بشرية متراصة لا ينفذ من بينهم سهم •

أما نحن فمهلهلون ممزقون لا يتفق اثنان منا على رأى ، ومنطقتنا نتيجة لذلك ميدان للعب بنا وبمصائرنا لكل من هب ودب ، حتى اسم العالم العربى أزالوه ووضعوا مكانه شيئا اسمه الشرق الاوسط لان وطننا العربى هذا تشاركنا فيه ـ على رغمنا ـ اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية كلها •

***

ونحن من البداية الى النهاية مسئولون عن هذه الخيبة ، فقد أعطانا الله أكبر

نعمة على عباده ، أعطانا دينا سمحا قيما وشرفنا بحمل رسالته ، وأعطانا لغة كانت كاملة بناء وتركيبا ونحوا وكتابة أيام كان غيرنا لا يملك الا لهجات محلية لا تكاد تكفى للتعبير عن حاجات اليوم ·

وتمكن أجدادنا من الاستيساع فى الارض وفتح أكبر جانب من المعمورة اذ ذاك فى أقل من قرن من الزمن ·

وتمكن غيرنا ممن حملنا اليهم رسالة الاسلام من فتح أراض واسعة لديننا وحضارتنا فى آسيا وافريقية ، أما نحن العرب فقد وقفنا بعالمنا عند ما وصل اليه أهل القرن الاول من تاريخ الاسلام ، بل خسرنا الاندلس وصقلية وجزائر البحر المتوسط ، ومعها البحر المتوسط نفسه ·

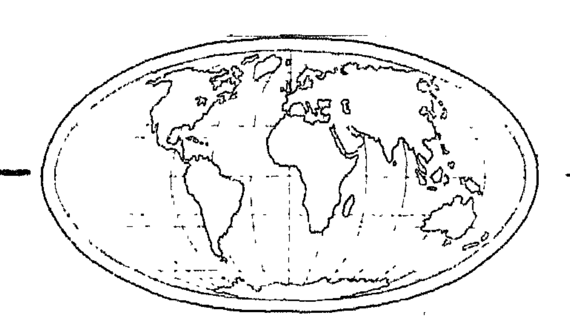
وبينما كان غيرنا يصحو وينشط كنا نحن ننام ونتدهور ولم يحاول العرب قط ، بعد القرن الهجرى الاول ، النهوض بعالمهم أو محاولة الامساك بقياده ، وهل هناك فشل هو أشد ضررا علينا نحن أهل المجموعة العربية من اننا عجزنا عن تعريب ايران ، وكانت فى أواخر العصر الاموى على وشك أن تستعرب وكانت اللغات الفارسية قد تضاءلت وانكمشت · ولكننا ـ نحن العرب ـ مضينا نتحارب فيما بيننا حتى أهلك العرب بعضهم بعضا وأصبحوا أقلية ضئيلة جدا وسط جماهير الشعب الايرانى ، فبدأوا هم يتكلمون الايرانية وتوقفت حركة التعريب
ثم جاءت الثورة العباسية فعاد معها الوف بعد ألوف من العرب من ايران ، وأصبحت مسألة تعريب ايران بعد ذلك مستحيلة · وعجز العرب عن تعريب ايران هو الذى أوقف حدود العالم العربى عند ضفة نهر دجلة ، ولولا ذلك لاصبحت هضبة ايران بلادا عربية ، ولكانت بلاد ما وراء النهر وما دخل فى الاسلام من بلاد الهند بلادا عربية ، ولاتسع نطاق العالم العربى حتى وصل الى المحيط الهادى ·

ولكننا انهزمنا فى معركة تعريب ايران ، ونحن الذين هزمنا أنفسنا · لم يهزمنا الايرانيون ولا كانت اللغة الايرانية بأقوى ولا بأصلح من اللغة العربية، ولكننا لم نكن على قدر المهمة ، أو بتعبير آخر لم نكن على مستوى التحدى ، والتاريخ كما نعلم تحديات وردود فعل لهذه التحديات فاذا كان رد الفعل قويا وايجابيا فمعنى ذلك التفوق والتقدم ومزيد من القوة ، والعكس صحيح ·

***

وأضرب لك مثلا من التاريخ يوضح ما أقول ·

فقد نزل المستعمرون الانجلوسكسون على الشاطىء الشرقى للقارة الامريكية بعد استكشافها ابتداء من يناير سنة ١٤٩٢ · كانوا قلة صغيرة لا تزيد على الوف قليلة ·



وكانت القارة الامريكية بالنسبة لهم تحديا هائلا .

كانت هناك جبال وهضاب وسهول شاسعة تمتد حتى المحيط الهادى . وكان من الممكن أن يظل المهاجرون منحصرين على الساحل الشرقي ، وكان فيه كفاية للملايين من البشر ، ولكن هذه الالوف القليلة اثبتت انها أقوى من تحديات العقبات الجغرافية الهائلة وما زال رجالها يحاولون حتى اخترقوا القارة ووصلوا الى المحيط الهادى . وبعد أن وصلوا اليه بدأوا يعمرون الساحل الغربى حتى يتحققوا ان كل القارة ستكون لهم . وبعد أن استوثقوا من أن القارة بعرضها أصبحت ملكا لهم اتجهوا الى الجنوب واشتبكوا مع الاسبان والمكسيكيين .

وانتزعوا منهم نصف بلادهم ، أما فى الشمال ـ حيث كانت كندا فان رجال الولايات المتحدة كانوا قد اتخموا فقد ملكوا من الارض مالا يستطيعون تعميره فى مائتى سنة فسكتوا عنها ثم انها كانت مستعمرة بريطانية مفتوحة لهم فلم يجدوا ما يدعو للاستيلاء عليها والدخول فى حرب طويلة مع بريطانيا بسببها .

***

ملك الامريكيون أراضى شاسعة كما ملك العرب أراضى شاسعة ، فماذا فعل الامريكيون ؟

هل تحاربوا بعضهم مع بعض كما فعل العرب فى خراسان والاندلس وكل مكان وجدوا فيه ؟

لقد استقلوا عن بريطانيا ، ولكن لينشئوا بأنفسهم دولة هى أحسن وأكثر نظاما من بريطانيا ، وبعد أن تم لهم ذلك ووسعوا بلادهم الى ذلك الحين جلسوا فيما بينهم ينظمون بيتهم ويرتبون أمورهم ، وضعوا الدستور واحترموه ، ووضعوا القانون واطاعوه ، واتجهوا بهمتهم الى تنظيم هذا الملك الشاسع والاستفادة منه . أدرك كل منهم ان هذا الملك الشاسع هو ملكه هو وان كل خير للمجموع يعود عليه شخصيا بالخير ، فمضوا جميعا يعملون بجد فى بناء وطن واحد . ولم يشغلهم ذلك عن بناء ثرواتهم الشخصية ، أى انهم لم « يضحوا » بأنفسهم فى سبيل الوطن كما يحلو لنا أن نقول ، بل خدمواوطنهم وأنفسهم فى نفس الوقت ، ولكنهم لم ينسوا مصالح الوطن قط . لم يبيعوا مصالحه قط ، لم يفعلوا ما فعلناه نحن فى الماضى ولا زلنا نفعله من التضحية بأمان الوطن ومصالحه الكبرى فى سبيل كسب شخصى أيا كان ، لان الانسان لا يكسب على حساب وطنه قط وان تصور انه يستطيع ذلك فسيجد نفسه هو الخاسر فى النهاية .

***

ومن واقعنا آتيك بأكثر من مثال وسأدع الماضى البعيد بعيدا حيث هو ، وأعطيك الامثلة من التاريخ المعاصر .

قـراءة عربيـة

لخريطة العالـم

ودعنا من موقف من درجنا ان نسميهم بجبهة الرفض ، ولننظر لهذه الجماعة في ذاتها من داخلها ، فهل هي متحدة في الرأي والوجهة من داخلها ؟ واذا كنا نقول ان مشكلة فلسطين مشكلة تعقدت وأصبح حلها مرهونا بالموقف العالمي كله ، وتعال ناخذ مشكلة صغيرة هي مشكلة الصحراء الغربية .

هذه الصحراء أرض عربية دون شك . وما دامت عربية فيستوي أن تكون بلدا قائما بذاته أو تكون جزءا من المغرب أو موريتانيا ، المهم أن تظل أرضا عربية وان يستطيع أهلها أو المسئولون عنها النهوض بها . وقد كانت هذه الصحراء تابعة لاسبانيا ، وطالما كانت تابعة لاسبانيا فان الجزائر لم تفكر فيها قط ، تركتها مستعمرة اسبانية ، ولم يكن هذا يضيرها في شيء ، ولكن عندما أرادت المملكة المغربية ضمها الى بلادها ـ وهو أمر طبيعي وليس فيه ضرر لاى بلد عربي ـ هنا قامت قائمة الجزائر وأعلنت انها لا توافق على ذلك وذهبت تساعد هذه المجموعة التي تسمى بالبوليساريو على مناوأة المغرب ..

ودخلنا في حرب عقيم لا طائل تحتها تستنزف أموال المغرب والجزائر ولا تعود بخير على الصحراء وأهل الصحراء .

سبحان الله !

كنا راضين وساكتين طالما كانت الارض في يد الاسبان .. فلما صارت في يد أخ عربي قامت قيامتنا وأعلنا الحرب ..

وماذا تريد الجزائر ؟

يقولون أن في أرض الصحراء ثروة كبيرة من الفوسفات ، وهذا حق ، ولكن هذا الفوسفات سيظل دائما حقا وملكا لأهل الصحراء نفسها سواء أكانت الارض جزءا من المغرب أو جزءا من موريتانيا أو الجزائر أو قسمة بينها جميعا .

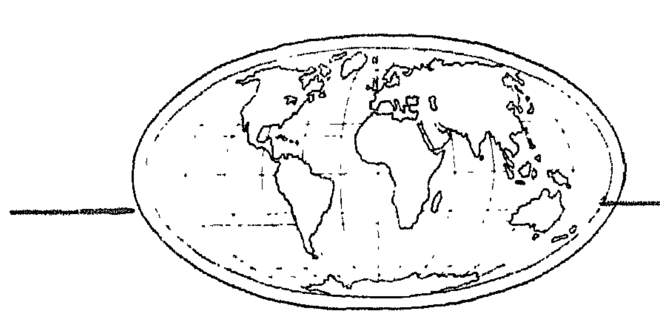
ثم ان هذا الفوسفات كله يكفي بالكاد لسد مطالب أهل الصحراء انفسهم . فلا خير فيه للمغرب ولا خير فيه لغير المغرب .. اذن .. ما الدافع الى الخلاف الدافع له هو كراهة العربي للعربي ، حقد العربي على أخيه العربي .

تكون الارض في يد الاسبان فنرضى ونسكت .

أما أن تكون في يد أخ عربي فهذا هو مالا نرضى به قط ..

دائما شيطان الغيرة والحسد بين العرب يفسد عليهم أمورهم . وقد طال حديثنا في هذا المعنى ، ولا داعي لكثرة الكلام والتكرار .

انما الذي يهمنا هو المستقبل .



الذى يهمنى هو ان نعرف كيف ننشىء أجيالا من العرب بلا تحاسد ولا غيرة ولا احقاد .

وأنا أعرف أن الغيرة والحسد والحقد فى طبع البشر ، ولا يمكن أن يخلو منها قلب بشر . ولكن الذى أقصده وأحاول أن أجد السبيل اليه هو كيف نخرج اجيالا بريئة من الغيرة القاتلة والحسد المهلك والحقد الذى يعمى العيون .

وهذه الانواع من العواطف المخربة تكاد تكون قصرا على العرب ، فأن الشعوب الاخرى تعرف هذه العواطف ولكنها لا تذهب بها الى هذا المدى الشرير . فهناك دائما حد انسانى معقول تقف عنده .

فالانجليز يتحاسدون فيما بينهم ، ولكنهم لا يسمحون للحسد بأن يتعس حياتهم ويضر وطنهم .

بل ان الانجليز والفرنسيين يتصارعون فى ميدان الاقتصاد ، ويتنافسون فى ميدان السلاح ، ولكنهم متحدون فيما بينهم على المصالح الرئيسية التى تهم بلدهم فهم معا أعضاء فى حلف الاطلسى وهما يعتبران أنفسهما مع المانيا دعامة العالم الرأسمالى فى الغرب . ومهما ترى بينهم من المناقشة والخلاف فأنهم متفقون متفاهمون على القضايا الرئيسية ، ولا يمكن الآن أن نتصور حربا ـ ولو كلامية ـ بين انجلترا وفرنسا ، أو بين فرنسا والمانيا ، فهذه مسائل قد كبروا عليها وتفتحت عيونهم على حقائقها ، ولم يعودوا يسمحون لانفسهم بالوقوع فى اخطاء الماضى الجسيمة والتورط فى حروب عقيم مكلفة لا تنشر الا الموت والدمار ولا يفيد منها أحد .

***

ونحن نريد من العرب أن يرتقوا الى هذا المستوى . نريد أن يفهموا أن أى حرب بين بعضهم وبعض لا يمكن أن تؤدى الى خير ، وان المناقشات السخيفة على ما يسمى بزعامات أو رياسات انما هى أوهام لا معنى لها اليوم ، ولقد حاول نابليون أن يجعل فرنسا زعيمة أوروبا وخاض فى هذا السبيل حروبا دامية بلا نتيجة ، بل لقد خرب فرنسا وأهلك من شبابها الملايين ، وفى حملته على الروسيا سنة ١٨١٢ أهلك مليونا من شباب فرنسا ..

وبعد ذلك حاولت انجلترا أن تكون زعيمة العالم وحاول رجالها من امثال بالمرستون وجلادستون أن يسودا بحار الدنيا ، وأنشأوا دولة استعمارية شاسعة ، فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة ان كل المستعمرات قد استقلت اليوم، وكان من الممكن أن تحصل بريطانيا على ما تريد من المواد الخام دون حروب كما تفعل اليوم .

والمهم بالنسبة للغربيين انهم يستفيدون من التجارب فى حين اننا نحن

قـــراءة عـربـيـــة
لخــريطــة العــالـــم

لا تستفيد • فها نحن غارقون فى خلافات ومناقشات لا معنى لها ، وقل لى والله ما معنى الخلاف بين يمن الجنوب ويمن الشمال ؟ معناه ان روسيا هى الكاسبة وأن اليمن كله هو الخاسر ، واليمن من أغنى بلاد العالم العربي وأهله من أصحاب المواهب ، ولكن تأمل كيف تضيع ثرواتنا وكيف نسيء اسـتخدام ذكائنا • أما كان أفضل لو اجتمع اليمنيون جميعا الى مائدة مفاوضات ، وأخذوا فيما بينهم وأعطوا ، فاذا أرادوا توحيد بلادهم وحدوها ، واذا أرادوا ان يظلوا بلدين ظلوا بلدين ولكن صديقين متعاونين على مافيه خير اليمنيين جميعا ، وما أحوج اليمن الى ثروات اليمن ومواهب اليمنيين •

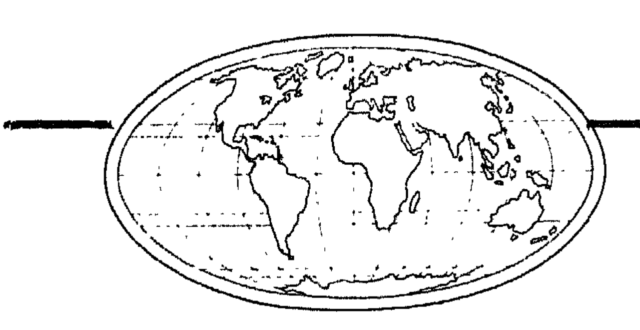
***

ومثل ذلك يقال عن الخلاف بين ليبيا وجيرانها ، وهو خـلاف لا معنى له على الاطلاق ، وما معنى أن تنفــق ليبيا أموالها ــ التى وهبها الله أياها من حيث لا تحتسب ــ فى انشاء دولة واسعة من الرمال ــ ماذا يفيد الليبيون من ضياع المال والرجال فى الرمال ؟ واذا كانوا يريدون خدمة أهل تشاد ، فان الاموال التى تنفق فى السلاح والحرب كانت كفيلة بأن تقى تشاد ــ وهى بلد فقير ، شر الجوع القاتل والظمأ الذى أصبح الآن خطـرا داهما على كل بلاد الســـاحل ، وبلاد الساحل هى بلاد افريقية المدارية العطشى ، ومعظمها بلاد عربية واسلامية : موريتانيا ومالى وفولتا والنيجر وجمهورية أفريقية الوسطى •

هنا لابد أن نذكر بالحمد ما فعلته السعودية وبلاد الخليج من تخصيص ستة بلايين من الدولارات لمعاونة هذه البلاد وانشائها صندوقا لتنظيم هذه المعاونة • هذا عمل انسانى عربى اســـلامى متحضر ونحن نعتبره مثالا لما ينبغى أن يكون عليه التفكير والعمل العربيين فى هذا الزمان الخطر الذى نعيش فيه •

هذا الكلام نريد أن نقوله للجزائر والمغرب بمناسبة هذا التطاحن بينهما على الصحراء التى كانت أسبانية ثم تركتها أسبانيا فاشـــتعلت النار بين البلدين العربيين الكبيرين • ماذا كان يحدث فى الدنيا لو أن هذين البلدين اجتمعا على مائدة التفاهم وتدارسا معا بالاشتراك مع أهل الصحراء فيما يمكن أن يعملـوا جميعا لهذه المنطقة العزيزة من الوطن العربى ؟ كان يحدث ان أهل الصـــحراء اختاروا لانفسهم الطريق الذى يريدون وقامت دولتا المغرب الكبيرتان برعايتهم فأن شاءوا أن يكونوا مستقلين فلهم ما يشاءون والمغرب والجزائر من خلفهم ، واذا أرادوا الانضمام الى هذا البلد أو ذاك فهم احرار • المهم الا تضـيع أموال العرب ودماء العرب ووقت العرب هباء •

لقد شبت بين العراق وايران حرب جاهلية عمياء لا يستطيع احد اطفاءها الى اليوم ، والعراق الذى كان مثالا من أمثلة النشاط فى العمل التقــدمى المنتج لصالح مواطنيه لا يعرف اليوم كيف يخرج من تلك الحرب • انها تكلفه بليون



دولار فى اليوم ، والسعودية وبلاد الخليج تنفق فى معاونة العراق مبالغ طائلة ، ولماذا ؟ وما هى النتيجة ؟

ونكرر نفس العبارة ونقول : أما كان الافضل لهذا البلد العربى العــزيز أن يخرج من حسابه مسألة الحرب مع ايران تماما ، ويحاول أن يتفاهم على مايريد من شط العرب ؟ سيقولون : حاولنا دون جدوى ، وهم صادقون ، ولكن هل أثبتت الحرب انها ذات جدوى ؟

وألم يكن من الممكن لاهل لبنان أن يتفاهم بعضهم مع بعض بدل هذه الحرب الاهلية المدمرة ؟ لقد اشتهر اللبنانيون فى العالم العربى كله بأنهم أهل فكــر وذكاء وطول بال ، فكيف يكونون كذلك فى مسائل التجارة والمال ولا يكونون فى مسائل تتعلق بمصير وطنهم نفسه ٠

***

هؤلاء الاخوة جميعا ينسون اننا نعيش فى عالم خطر ٠ ان العــرب أقلية فى هذه الدنيا ، وهم لا يقاسون من حيث مساحة الارض أو أعداد السكان الى غيرهم من كتل الشعوب الاخرى ، واذا كان الصينيون ـ وهم ألف مليون ـ استطاعوا توحيد بلادهم ومواجهة العالم صفا واحدا فكيف نعجز نحن العرب عن أن نفعل مثل ذلك ؟ وكيف يتصور بعضنا ان روسيا يمكن أن تعينه على أن يصبح بلدا قويا ؟

ألم يسأل نفسه مرة : وماذا تفيد روسيا من أن تصبح سوريا أو ليبيا بلدا قويا ؟

الحقيقة الواضحة هى ان روســـيا وأمريكا وبلاد غرب أوروبا كلها تريد أن يكون العرب شعبا ضعيفا حتى تعبث به وتفيد منه وتستغل ثرواته ٠ وهذه هى الحقيقة ، وكل ما يعقد من أحلاف ومعاهدات بين أى بلد عربى وأى بلد غــربى لا يمكن ان يؤدى الى نفع البلد العربى ، بل لابد أن يؤدى أولا الى نفــع البلــد الغربى أو الشيوعى أولا ، ومن المستبعد جدا أن يكون فيه خير للبلد العربى ٠

***

هذه كلها حقائق تتكشف أمام البصر اذا نحن تاملنا الخريطة ، والخــرائط تتكلم بمنطق واضح بليغ ، فتناول ايها العربى خريطة العالم وحاول أن تقرأها قراءة جديدة ، فلابد أن تخرج من تلك القراءة بخوف على مصير العرب فى عالم خطر هم فيه أقلية يكاد الغير يتخطفها ٠٠ ولا نجاة لنا الا بأن نجلس معا ونرسم حاضرنا ومستقبلنا معا حتى لا يفكر أحد فى العبث بنا أو حتى لا يتخطفنا الناس أو نضيع بين الاقدام ٠

● د ٠ حسين مؤنس ●

نجيب محفوظ فى عالم الناطقين بالإنجليزية ..

مع جون فاولز..



● محمد عبد الله الشفقى ●

● وجون فاولز John Fowles هو الروائى البريطانى المعاصر الذى ذاع صيته فى العالم المتكلم بالانجليزية ، وان ألمح هو الى ان الولايات الامريكية تفهمه أكثر مما يفهمه مسقط راسه ـ بريطانيا .. وهو لا يزال عاكفا على الفن الروائى الذى أخلص له ووهب له حياته وهو يعيش الآن حياة أقرب الى العزلة منها الى الاختلاط بأقرانه من الادباء مقيما فى بلدة « لايم ريجيس » Lyme Regis التى تعانق البحر جنوب الجزيرة البريطانية ، على مسافة غير بعيدة من المكان الذى عاش فيه روائى انجلترا العظيم توماس هاردى العزوف أيضا عن المجتمع الصاخب ، والذى يعترف فاولز بتأثره الكبير به ، وبانه يكتب الرواية وظل هاردى ساقط عليه ! ..

يجب الا يكون جون فاولز غريبا علينا فهو يعرفنا ويعرف شيئا عن أدبنا الحديث ، يعرف على الاقل نجيب محفوظ .. فجون فاولز هو الذى كتب ـ بحب وفهم وتقدير ـ مقدمة الترجمة الانجليزية التى قامت بها الدكتورة فاطمة موسى لرواية نجيب محفوظ « ميرامار » ، وهى الترجمة التى قامت باصدارها دار النشر البريطانية الشهيرة « هاينمان » بالتعاون مع الجامعة الامريكية بالقاهرة ، عام ١٩٧٨ .

ولد جون فاولز فى ايسيكس Essex انجلترا ، عام ١٩٢٦ ، تلقى تعليمه قبل الجامعى فى مدارس خاصة ، ثم دخل اكسفورد ليتخصص فى الادب الفرنسى . وقيض له بعد ذلك أن يعمل بالتدريس، فمارسه فى فرنسا ، وفى اليونان . ثم تفرغ للكتابة .

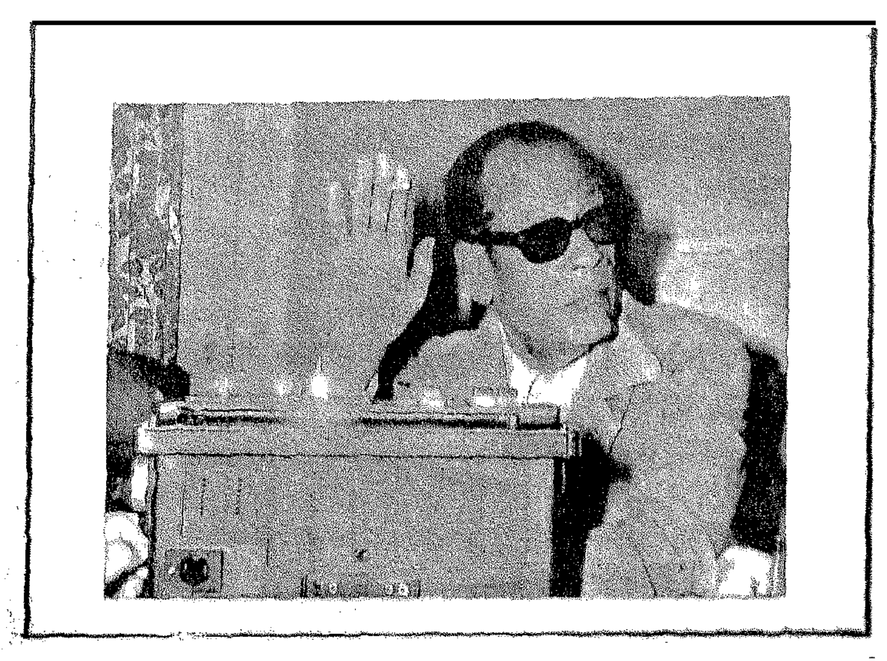
تقف وراءه مجموعة الروايات التالية:

● مقتنى التحف The collector أو « جامع الفراشات » ان شئت ، ذلك أن بطل الرواية شغوف بجمع الفراشات النادرة وتحنيطها (١٩٥٨) .

● الساحر The Magus وظهرت عام ١٩٦٦

● عشيقة النقيب البحرى الفرنسى (١٩٦٩) .

● **اما احدث رواياته فهى دانييل مارتين** Daniel Martin **(١٩٧٧) التى تتمحور حول البطل دان ، الاديب ، كاتب السيناريو ، والمراة التى احبها : جان ، التى كانت زميلة فى قاعة الدرس باكسفورد ، ثم ترملت بعد موت زوجها استاذ الفلسفة واللاهوت .**



نجيب محفوظ : روائى عظيم فى نظر جون فاولز

وتقف وراء فاولز أيضامجموعة قصص قصيرة ـ طويلة أو روايات قصـــيرة ان شئت ، تحت عنوان « البرج الابنوسى »

فأين تقع مصر وسـط هذا الحشــد الابداعى الذى فاض به قلم فاولز ؟

ان مصر تطالعنا فى عملين من اعمـاله هما :

١ ـ مقدمة فاولز للترجمة الانجليزية لـ « ميرامار » .

٢ ـ أحدث روايات فاولز « دانييـل مارتين » .

فاولز يقدم « ميرامار »

كتب فاولز مقدمة الترجمة الانجليزية لـ « ميرامار » التى تقع أحـداثها فى الاســكندرية . كان طبيعيـا ـ وهو البريطانى ـ أن يتذكر الاسكندرية كما رسمها مواطنوه من الادباء ، اسـكندرية شيكسبير « أنطـونيو وكليوباترا » ـ واســكندرية أ . م . فورستر ، التى سجلها ووثقها فى كتـاب يعد دليـلا الى الثغر ـ واســـكندرية لورانس داريل باسم « رباعية الاسكندرية » .

والى جانب البريطـانيين تذكر فاولز أيضا اسكندرية أبدعتها فرشاة شــاعر يونانى سكندرى هو قنسطنطين كفافى . وهو يدرك أن قائمة الكتاب طويلة ، وأن الاسماء التى أوردها هى على سـبيل المثال لا الحصر . يقول عنهم انهم تركوا رســما للمكان لا يمحى من مخيلتنـا ، الرسم يصور اسكندرية « نهاية القرن » اسكندرية يرين عليها الفشـــل ، لكنه فشل خصب ، فكأنه ضرب من الانتصار

فما الذى كان ينقص صورة الاسكندرية كان ينقصها ما ينقص بلدا يتحدث عنه اجانب من الخارج ، يتحـدثون ويقفون عند فترة زمنية ولا يواكبون الاحداث .

يقول فاولز « ظللنا (يقصد الاجانب) نفتقر الى نظرة الى الاسكندرية من الداخل من خلال منظار مصر الحديثة نفسها » . و « ويجىء نجيب محفوظ ليصـــلحنا وليغير صورة الاسكندرية التى كنا نراها بعيون أوروبية » .

ويذكر للقــارىء الاجنبى أن نجيب محفــوظ ابرز روائى فى بلده . يقف وراءه انتاج غزير . ومع ذلك ليس اسمه مألوفا فى الغرب ما السبب ؟يقول فاولز: ليس السبب ـ بالتأكيد ـ انه لا يستحق القراءة ! وليس السبب أيضا انغلاقنا .

السبب أن الرحلة الى الادب العربى هى رحلة طويلة .. رغم أن رحلة الطائرة بين لندن والقاهرة قصيرة ! وفيما يتعلق

بالآداب المعاصرة في العالم يعترف فاولز بأن « معرفتنا بالادب العربي أقلها » •

من أجل هذا يظل الذهن العربي — على حد قوله — لغزا أمام الغربيين • وهو يزداد الغازا مع انتقاله الى الحضر وما يصاحب هذا من تعقد • ومن المؤسف ان كثيرا من الكتاب الانجليز ركزوا على الجانب البدوى (يذكر ت • أ • لورانس مؤلف « أعمدة الحكمة السبعة ») فلم نحصل على صورة واضحة للمسلم المتعلم في القرن العشرين • بماذا يحس ؟ وفيم يفكر ؟

ويشير الى احدى العقبات فى طريق الرحلة الى الادب العربى : اللغة العربية ووجود لغتين فصحى وعامية ، مع اختلاف اللهجات العامية باختلاف الدول العربية • ويتصل بمشكلة اللغة ثراء اللغة العربية ورنينها الذى يصعب على المترجم نقله والا بدا وكأنه اختار أسلوبا انجليا •

هناك اذن « ستار حديدى » من اللغة — على حد قول فاولز — يحول دون تعرفنا بشكل مباشر ، على التغيرات الكثيرة التى طرأت على مصر فى هذا القرن • ومن أجل هذا يرحب بترجمة « ميرامار » ، ذلك انه بجانب قيمتها كرواية فانها تساعد الاجنبى على التعرف على ما طرأ فى مصر من تحولات • فرغم ان الاسكندرية هى أرضية الرواية فان الرواية عن مصر وعن الصراعات — العامة والشخصية — التى نشبت خلال الثورات المتعاقبة فى الستين سنة الاخيرة •

ويعرض فاولز ، أمام القارىء الاجنبى ، الخلفية السياسية والتاريخية لـ « ميرامار » يتحدث عن سعد زغلول « الروح المحركة وراء القومية المصرية الحديثة » • ويعرض لكفاح سعد زغلول والوفد فى مواجهة الاستعمار • ثم يعرض لما حدث من التضحية بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية لخدمة ملاك الارض • ثم يصل الى ثورة ٥٢ « تلك الثورة التى نرى آثارها فى كل صفحة من صفحات « ميرامار » •

وسنجد ان فلاحى مصر يستحوذون على اهتمام جون فاولز ، وسنجد ان اهتمامه بهم لا ينحصر فى « ميرامار » ، حيث البطلة الريفية زهرة ، وانما يمتد الى روايته «دانييل مارتين» التى سنصل اليها حالا •

يهتم فاولز بقضية الفلاحين فيقول انه ليس عبثا أن الشخصيات المتعلمة فى رواية « ميرامار » تدور حول محور هو الفلاحة زهرة ، فالفلاحون ، هم قلب مصر ، وهم أس كل مشاكلها المتعلقة بالتقدم الاجتماعى والهوية القومية » و « ان استغلالهم الذى استمر لدهور ليطارد كل ضمير مصرى ، مثلما أن التزامهم — العنيد — بالتقاليد يصيب باليأس كل متحرر مصرى » • لكن فاولز يجد فى عنادهم مزية ، فعنادهم جعلهم لا يتغيرون وانما يصمدون أمام الوافدين الى وادي النيل من الخارج ، الوافدين بدعوى « تغيير العالم » •

ثم يسارع الى القول بأن شخصية الفلاحة زهرة ، فى « ميرامار » ، مصممة على تحرير نفسها • وهذا ما يجذب الرجال من حولها اليها ، أو يجعلهم ينفرون منها • وزهرة هى مصر نفسها »

والمتتبع لادب جون فاولز سيجد افتتانه بموضوع المرأة ذات الارادة ، المرأة التى تريد التحرر والانعتاق وتأكيد الذات • ينسحب هذا على بطلة « مقتنى التحف » مثلما ينسحب على بطة «عشيقة النقيب البحرى الفرنسى » ، كذلك فان جين في « دانييل مارتين » صلبة عنيدة قوية الشخصية • هكذا ينجذب فاولز الى زهرة الفلاحة ، أو مصر ، التى تريد أن تتحرر وتحقق ذاتها •

وفاولز قد صادف فى واقع الحياة مصرية أخرى ذكرته بهذا الطراز من المرأة • كان ذلك فى القاهرة ، عام ١٩٧٢ ،

حيث مكث فاولز فترة . وفي البيت الذي عاش فيه فاولز كانت هنـــاك المربية ـ الخادمة وهيبة . يقول لنا فاولز :

للذين يظنون ان مشــــكلة ((زهرة)) وأحزانها تبدو مبالغا فيها وميلودرامية ، أقول انى أقمت ببيت بالقاهرة عام ١٩٧٢ كانت به خادمة أحوالها تشبه أحـوال زهرة . هي أيضا كانت تحاول أن تعلم نفسها بنفسها على غير رغبة الاهل الذين كانوا يعيشون على راتبها .وقبل شهر من لقائي بها ضربها أخوها في عرض الطريق لانها رفضـــت الزواج بعجوز أراد لهـا أبوها أن تتزوجه قسرا .. من أجل ماله.

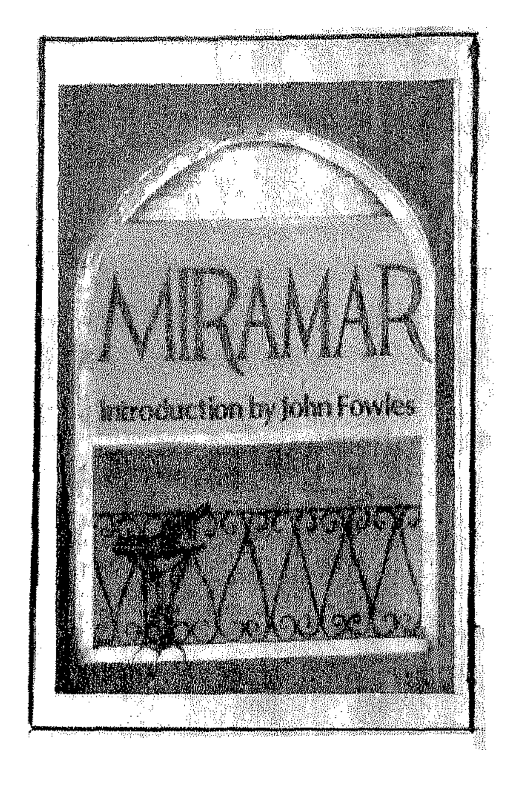
ويحكى فاولز لفتاتنا المصرية ((وهيبة)) خلاصة روايته ((عشيقة النقيب البحرى الفرنسى)) ، عن الخادمة التى أرادت أن تتحرر وتتحدى الظروف . هنا صاحت وهيبة ((أوه ، انها حكايتى ! انها أنا !))

ويقول فاولز ((لانى أعتبر هذا من أكبر صور المديح المؤثرة التى صـــادفتنى فى حياتى !)) .

ويبقى عن مصر ، فى مقـــدمة فاولز لـ ((ميرامار)) ، ما قاله عن أدبها اجمالا .. انه يثنى على ((ميرامار)) التى هى من ابداع روائى عظيم ، مضيفا ((وان عملا بهذه الخاصية ليفسر لنا لماذا نظر العرب الى مصر ، منذ أمد ، على انها زعيمة العالم العربى فى مضمار الادب)) .

مصر فى أحدث رواياته

اشتهر عن فاولز ضخامة رواياته من حيث الحجـــم ومن حيث الرقعـة التى تغطيها . ووراء الضخامة رغبة فاولز فى العودة بالرواية الى شـــكلها القـــديم . الرواية التى تكاد تكـون كلاسـيكية ، الرواية ذات السرد والايقـــاع المتثاقل ، وذات النسيج المتشـــابك فى رحابه . ينسحب هذا على كل رواياته ، باستثناء ((مقتنى التحف)) البالغة التركيز . وهو لا يجد فى ذلك غضاضة ، رافعا حاجبيـه فى دهشة واســتنكار ازاء موجة الرواية



غلاف الترجمة الانجليزية لميرامار

الجديدة ، واللارواية ، وتيـــار الرمزية والعبثية .. الخ ..

تحتـــل أحدث رواياته ((دانييـــل مارتين)) ٦٢٩ صفحة من القطـع الكبير (انما أشير هنا الى طبعة

Little, Brown and Company Boston 1977

وتحتل مصر أكثر من مائة صـــفحة من هذه الرواية ، بدءا بفصـــل بعنـــوان ((أهرامات وسجون)) وانتهاء بفصـــل ((النزوح)) أو ان شئت : ((الاقلاع)) أو ((التحليق)) أو ((الهجرة)) (ماالعمل وعنوان الفصل يوحى بكل هذه المعـــانى التى تنسحب على ما يدور فى فصـــول الرواية ؟) وبفصل ((النزوح)) يغـــادر البطل دان وصاحبته جين مصر الى سورية ليتفرجا على آثارها القديمة وبخاصة قلعة شهدت صفحة من صـــفحات الحـــروب الصليبية .

وسبب الوفـــود الى مصر أن بطـــل الرواية ، دان ، يعد ســيناريو فيلم عن كتشنر ، وها هو يزور مصر للمرة الثانية

يستلهم أماكن الاحداث ، والمناطق التى عاش فيها كتشنر وعمل ، كما يختار أماكن تصلح للتصوير عند تنفيذ الفيلم • وهو قد أقنع صاحبته جين بالمجىء معه رغم ترددها الشديد •وجين كانت زميلته القديمة بأكسفورد، تزوج أختها وتزوجت هى بأستاذ فى اللاهوت والفلسفة • ثم يكتشف كل طرف (من الاطراف الاربعة) فشل زيجته ، ويكتشف دان انه انما يحب جين وينتحر زوج جين وتترمل هى ولا تفكر فى الزواج ، لكن دان يشدها الى هذه الرحلة ، رحلة نسيان ومحاولة بدء حياة جديدة ، رحلة يقدم فيها نفسه من جديد ويعترف فيها بحبه •

اللافت للنظر فى الصفحات المصرية ان مصر ليست مجرد ((ديكور)) يزج به روائى اجنبى فى روايته ، ليست توابل لتطعيم القصة ،اى قصة ، بالمثير ،وليست نقلا لمعلومات سياحية يدس بها فى رواية بوليسية أو رواية جيب غرامية •

ان البطل والبطلة يهبطان فى القاهرة بالطائرة ولا يقضيان فيها سوى أيام جد معدودة ، ليبدأ رحلتهما الى الجنوب ، مع النهر ، وكأنهما فى اتجاه المنابع ، فى رحلة البحث عن الحقيقة والاصول • وقد اختارا أن يقيما فى فندق عائم يتجول بهما ــ على صفحة النيل ــ وسط جنوب مصر • وتتعانق أحداث الرواية مع الرحلة المصرية ، مع النيل بصفة خاصة، وما يحف بالنيل من حياة (الطير ، الارض الخضراء والرمل ، والفلاحون ، آثار الفراعنة) •

لا تقع أحداث كثيرة خلال الرحلة (لا يهم) • انهما يتفرجان على ما يقدمه النيل وما يقدمه الفراعنة ،يزوران جزيرة كتشنر (ثلاث مرات !) ، يتعرفان فى الباخرة على عالم مصغر يضم الامريكى والاوروبى والشرقى والروسى والفرنسى كما تضعهما الصدفة أمام عالم آثار المانى هام بحضارة مصر حبا وتعمق أسرار

القدماء• لا تقع أحداث كثيرة خلال الرحلة لكنها ((تقع)) فى الذهن فالبطل والبطلة فى حوار متصل ، حوار عن مصر حوار عن الحضارة وعن الفقر (فقر الفلاحين) وعن كتشنر • والحوار مستمر أيضا حول قصتهما • هو حوار ذكى أقرب الى لعبة شطرنج يحسب كل طرف فيها حساباته • والرحلة تؤثر على هذا الحوار وعلى مسار تفكيرهما ، ويزداد ادراكها لحبه لكنها تخشى الغد • ويزداد ادراكه لحبه لها لكنه عاجز احيانا امام ابوابها الموصدة • بيد انهما يغادران مصر وقد عادا الى اقترابهما القديم الذى صاحبهما أيام التلمذة فى اكسفورد • ثم سنعرف بعد الرحلة الى قلاع سورية القديمة انهما فى الطريق الى العيش تحت سقف واحد

كيف وجد دان وجين نهر النيل ؟

بعد عشاء الليلة الاولى فى القاهرة ، ولما يمض على وصولهما الى مصر سوى ساعات معدودات ، يتمشيان على الكورنيش ، على مقربة من كوبرى قصر النيل فيما يبدو ، ويتأملان مياه النهر ، وانعكاس الجزيرة بأضوائها عليه •ويشد أنظارهما مركب رسى عند الشاطىء ورجال يتحلقون مصباح جاز بداخله • ويقول لها ((انه نهر رائع • ليل نهار • سترين)) ويستطرد ((أما الفلوكة فحلم)) ثم يعودان الى الفندق ، وسيتجه كل منهما الى غرفته لكن جين تقول له قبل أن تنام ليلتها الاولى بالقاهرة : ((كنت أفكر وأنا أنظر الى الفلوكة : ان رؤيتها وحدها سبب كاف للمجىء الى مصر)) •

وفى الليلة الثانية يطل دان ــ والساعة تشير الى الواحدة صباحا ــ يطل على النيل من شرفته بالفندق «حملق فى الصمت الاسود الذى يرين على النيل النيل الذى لا ينتهى • الذى لا يهمه شىء الذى هو كالزمن نفسه)) •

ويخصص فاولز فصلا يختار له عنوان ((النيل)) حيث تبدأ رحلة المركب التى

استمرت لستة أيام ، كل يوم يفضى الى الآخر ، فى تواصـــل ، وبهـــدوء ، واستمرارية كالنهر . ويقـــول دان عن نفســـه انه سرعان ما أحب النهـــر من جديد (هذه هى زيارته الثانية) ، النهر وما يحف به من مناظر .

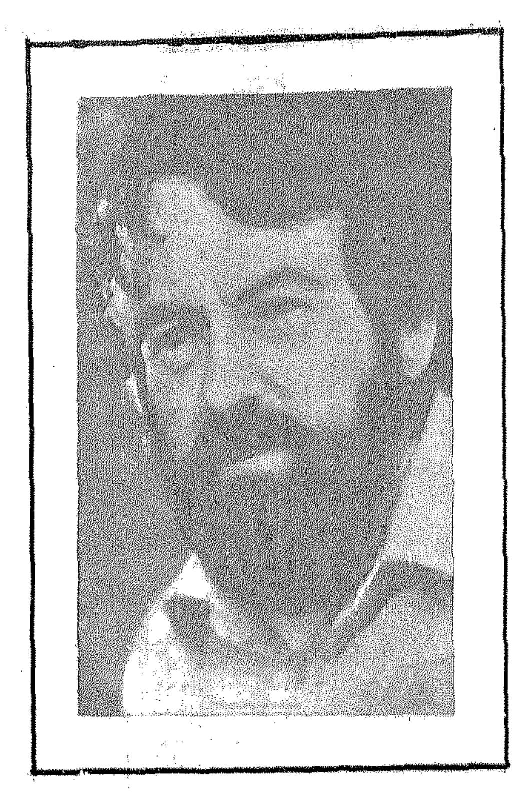
والمركب يتوغل مع النيل جنـــوبا . فيخيل لدان انه لا يتوغل فى افريقيـــة وحسب ، وانما يتوغل فى الزمن الماضى أيضا . ساعده على ذلك أسلوب الفلاحين فى الحياة ، والآثار على الشاطىء .

وبدا له النهر متحركا وثابتا ، متغيرا يتحرك امام الغير ، ويثبت أمام الذهن . ذكره بأنه لا جديد تحت الشمس . وبدا له النيل موحيا بالصور والرموز . لا غرو فالنهر ـ على حد قوله ـ « شـأنه شـأن الانجيل ، قصـــيدة عظيمة ، زاخـرة بالاستعارات التى لا يعروها البلى » .

وبدا له أن فى النيـــل « ســـحرا » ميتافيزيقيا الى جانب ســـحره المادى الواضح . انه يطهر ويبسط ، ويضـــع الحياة كلها داخل منظور . ان ذكـــرى مئات الاجيال التى انتمت الى النيـــل ، والاجناس التى لا حصر لها ـ ذكرى كل ما اختفى الى الابد تحت طيـــات طميه ، يجعل الانســــان يفيق ، ويجعله يحس بضآلته ، ويحيل الفرد الى ما هو أصغر من أدق حبة رمل فى تلك الصـــحراء اللانهائية التى تحتضـــن خط الافق وراء الوادى المزروع » .

وفى رحلة النهر يمرون بفلاحات يملأن الجرار أو يغسلن الثيـــاب أو يرتوين . ويحسدون الفلاحات ـ رغم الفقر والمرض ـ على بساطة هذه الحياة وسط الخضرة والزرقة والخصب الدائم . وازاء هـــذه اللوحات بدت مدنيـــة القـــرن العشرين أحيـــانا ـ بتعقيدها البالغ ـ « وكأنها سحابة ثقيلة ، وعبث » .

وتفتش جين عن صفة للنهر ، وتنتهى الى وصفه بالحكمة .



جون فاولز : ومصر فى مرآته

كذلك يرمز النهر للســلام . فالمؤلف يفاجئنا بفصل بعنوان « النهر بينهما » متحدثا عن شجار دموى نشب بين قريتين على جانبى النهر ،وشيخ يقول ان الشجار سيستمر ولن يوجد السلام الا فى النهر الذى بينهما . ويصبح النهر رمزا لسلام مقيم يتوســـط صراعات لا تنتهى ولا تنطفىء .

ويقودهما النهر الى « جزيرة كتشنر » فى اسوان . فكيف وجداها ؟ يقول دان انها كانت يوما حديقة نباتية صـــارمة كما أرادها كتشنر ، لكنها الآن تنمو على سجيتها فيزداد سحرها . انها تحمل الآن « بساطة العمارة الاسلامية فى أجمل صورها » و « وهى (الحمراء) مؤلفة من خضرة ومـاء وظـل » وهى ، بين كل ما عرف من أراض صغيرة فى العالم « من أجملها وأعظمها تحضرا » . ومن فنـــدق كاتاراكت القديم يشـــترى دان بطـــاقة

بريدية تحمل صورة لجزيرة كتشنر ، وعلى البطاقة يكتب لصديقته المثلة جينى ، المقيمة فى أمريكا ، يكتب ليصف لها المكان « ٠٠ وقعت فى غرامه مرة أخرى • الماء ، الصمت ، أوراق الشجر ، السلام ، أشياء خارج هذا الزمان ــ الزمان ــ أجمل حقا من أن يتحول الى فيلم » •

والذى سيقرأ رواية « دانييل مارتين» سيجد عناقا بين الجزيرة وأحداث الرواية ، اذ يزورها دان وصاحبته ثلاث مرات فى أقل من أسبوع ، ويدور بينهما حوار يمس صميم حياتهما ، وحياة كتشنر ، وهذا البلد الذى وفدا اليه •

وفى موضع آخر يصف المؤلف الجزيرة على لسان دان ، مشيرا الى « سلامها الخيالى ، طيرها ، مائها » • و « ان لها شخصية تكاد تكون انسانية ، نسائية على نحو ما ، تختلف ــ بشكل مؤثر ــ عن الرجل الذى تحمل اسمه (كتشنر) »

نهر النيل • جزيرة كتشنر • والطير أيضا •

فكاتبنا مولع بالطير • يتحدث عنه فى معظم رواياته ، ولا بأس من بعض المعلومات الدقيقة التى تبدو وكأنها بقلم عالم فى مختبره • خلال الرحلة النيلية يرى دان الطير من كل صنف ، فيبدو له الطير صورة ــ بدائية ــ لفلاحى مصر : ان الطير يعيش ويتحرك من خلال حياة قوامها البساطة •

وحين يلتقى بالخبير الالمانى يحدثه الخبير عن نوع من الطيور المصرية ثم يقول له : ((هل تعلم أن المصريين وضعوا الطير فى مكانة سامقة ؟ اذ سمحوا له بأن يرمز الى أهم كلمة فى أى لغة • الا وهى الروح ــ النفس ؟)) •

كان طبيعيا أن يلتقى دان وجين بأعمال الفراعنة •

لكن يبدو أن جون فاولز يقف موقف المتحفظ ازاء أعمالهم • انه ، فى هذه الرواية وفى كتابات أخرى ، يومىء الى عدم ايمانه بالخلود أو عودة الروح أو وجود حياة أخرى • ومن أجل هذا أشفق على اعتقاد المصريين القدماء بالبعث وقال انهم لم يصدقوا أن الموت نهاية كل شىء فبنوا الاهرامات ورتبوا لحياة أخرى فى محاولة لرفض فكرة الموت الذى يعقبه عدم (وهى الفكرة التى يؤمن بها فاولز، والتى عرض لها بشكل بارز فى كتاب أفكاره المسمى « أريستوس » •

كذلك فان دان رأى فى الفراعنة وآلهتهم « أول بورجوازيين فى العالم »

ويبدو الفراعنة لدان ((مفتونين بالتكرار ، تكرار الآثار)) •

ولعل جون فاولز ، وشخصيته دان ، قد أسقطا أفكارهما على شخصية مصرية تقول لجين ، وهى تستعد لجولة سياحية لرؤية آثار القاهرة ((٠٠ لكن اعتقد انه لابد أن ترينها مرة)) • ومع ذلك تعجب جين بما رأته فى سقارة • تتحدث لصاحبها عن رسوم الطير والحيوان قائلة ــ ((يا للرقة ، لكأن عصر النهضة ظهر هنا قبل ظهوره الفعلى بثلاثة آلاف عام !))

أما رحلة دان وجين الى ابى سمبل فقد اعتبراها رحلة مرهقة فاشلة ، وندم دان على انه قام بهذه الرحلة ، وأحنقته فكرة نقل أبو سمبل من مكانه الاصلى الى مكان آخر ، وذلك الحشد من الحديد والاعمدة الذى يسند البناء الفرعونى من الداخل• وتحنقه أيضا فكرة رفع معبد فيلة ،وكان قد زاره وجين قبل رفعه فأسعدهما أن يرياه لكن أحزنهما أن يستعد البناء للرحلة الى مكان آخر •

ويقف دان وقفة عند الفنان الفرعونى فيعيب على الفراعنة أنهم « تحكموا فى الفن ، بدلا من أن يدعوا الفن يتحكم فيهم » •

لكن دان يقول عن الفنان الفرعونى شيئا لا ينسى !

يلفت نظره ان الفنانين الذين أبدعوا الاعمال الفنية الفرعونية مجهولون • ان النحات الذى صنع رأس الفرعونى ليس معروفا • ولكنه ترك هذا المجد ••

ويخجله هذا ••

ها هو يعد سيناريو لفيلم ((كتشنر)) ويريد كتابة اسمه بالخط العريض • وذلك تطفل على كتشنر ! •• الا يحسن به ان يحذو حذو الفنان الفرعونى الذى يختفى وراء العمل ولا يفرض نفسه او اسمه ؟ الا يحسن به ان يكون اول كاتب سيناريو يطلب عدم كتابة اسمه على الفيلم ؟!

لعل الوقت قد حان لننتقل الى الانسان المصرى كما صورته رواية جون فاولز •

ان الاهتمام الذى أبداه جون فاولز بالفلاحين فى مقدمته لـ ((ميرامار)) قائم أيضا فى روايته ((دانييل مارتين)) • ان جين تشترى ، فى أول يوم لها بالقاهرة كتابا عن فلاحى مصر فيهولها حال الفلاحين خلال مساحة زمنية قوامها خمسة آلاف عام • تتحدث عن الحرمان • التجاهل • الاستغلال • تقول انه حتى دراستهم أنثربولوجيا لم تبدأ الا مؤخرا •

وفى الرحلة الى أبيدوس يستقلون سيارات أجرة قديمة والسيارات تمرق وسط صبية يمدون أيديهم ونسوة فى ملابس كالحداد ، مما جعلهم لم يستمتعوا - كما يجب - بروعة النقوش والآثار فى أبيدوس •

وراوا ان حال الفلاح لم يتغير الا مؤخرا • يقول الاثري الالماني لجين ((اعتدنا ان ننفق كل وقتنا نتعقب الماضى بينما الماضى لا يزال يحيا من حولنا (يقصد فلاحى مصر) لكن الوضع يتغير الآن ••)) ويحدثها عن تتابع العهود وتغيرها ، واندثار المومياوات ، ويبقى شيء : النهر والارض • وهذا هو كل ما يهم الفلاحين و ((وانى لاعجب بهم رغم كل اخطائهم • انهم أناس شجعان))

بعد صورة المصرى فلاحا هناك صورة المصرى الذى لا يضن بالعطاء • يحكى البروفيسير الالمانى لدان وجين عن زوجته الانجليزية التى كانت طبيبة وماتت ، كيف كانت تفحص الفقيرات بالمجان فيحضرن لها عقودا يظنن انها قديمة وثمينة • يكتشف زوجها الخبير انها ليست كذلك ، ومع هذا يكفى أنهن يردن أن يعطين ••

ويتجسد العطاء أيضا فى شخص تلميذة مصرية يلتقى بها البطل والبطلة فى رحلة مدرسية على أرض جزيرة كتشنر • الرحلة لبنات وصبية مدرسة ثانوية بأسوان • والتلميذة المصرية تعرف الانجليزية أكثر من رفاقها ورفيقاتها ، لانها قضت ثلاثة شهور فى لندن مع أمها وأختها المريضة • انها تطلب من تراسله فى انجلترا ، وتسعد باستجابة جين الفورية (التى تخرج ورقة وقلما وتدون الاسم والعنوان والرغبات) • وفجاة ، وبدون سابق انذار ، تخلع التلميذة المصرية عقدها الذى تلبسه ، كهدية لجين • تعترض جين لكن البنت تصر ، وتعبر بيدها تعبير من يريد أن يقول انه لا مفر • انه قدر • وتهتز جين لهذه المشاعر ! ••

وهناك صورة المصرى البسيط مؤمنا • فبعد الرحلة الى جزيرة كتشنر يعودون بالمركب الشراعى • ويؤذن المؤذن للصلاة فيطلب صاحب المركب من دان ان يمسك بالدفة • وينصرف الرجل وصبيه الى الصلاة والكعبة قبلتهما ، يصليان فوق خشب المركب الشراعى • ((ويجلس جين ودان فى صمت فى مؤخر المركب وقد ران عليهما احساس بالحرج ، كذلك الاحساس الذى ينتاب كل المثقفين حين يجلون أنفسهم - وجها لوجه - امام ايمان بلا تعقيد !))

واعجب العجب أن العربية لغتنا الجميلة ليس لها حتى الآن

دائرة معارف عصرية!

● اسماعيل شوق ●

● في القرن الميلادى الاول ، وضع كاتب رومانى أول مؤلف علمي يمكن أن يطلق عليه اسم ((موسوعة)) أو ((دائرة معارف)) ٠

الكاتب هو ((بليني الاكبر)) المتوفى عام ٧٩ للميلاد عن ستة وخمسين عاما وضع فيها عدة كتب لم يبق منها الا موسوعته التى سماها ((التاريخ الطبيعى))

وفرغ بلينى ، قبل وفاته بعامين ، من تلك الموسوعة التى وقعت في سبعة وثلاثين كتابا ، ورجع فيها الى اربعمائة وخمسين مؤلفا لكتاب سابقين ، ذرتها رياح الايام ولم يبق منها الا ما حفظته موسوعة بليني ، منسوبا اغلبه الى مصادره، معزوا الى مؤلفيه ٠

وفي المقدمة التي شغلت الكتاب الاول بأكمله ، حدد بلينى هدف الموسوعة ، فقرر أنه الدراسة الجادة للامور والاشياء التى تنفع الناس ٠ وندد بمعاصريه من الادباء المتشدقين بالالفاظ الفخمة والعبارات الرنانة ، وسخر من أصحاب الخرافات والاساطير ، وأنحي باللوم على الغاوين ، الذين هم على أوهامهم عاكفون ، وبها فى كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ٠٠٠ هذا رأيه ٠٠٠

***

وأحاط بلينى فى موسوعته بالمعارف التى وصل اليها العارفون لوقته ، من علوم الكون والفلك ، والعلوم الطبيعية والتاريخية والجغرافية ، وذكر كثيرا من المدن التى اندثر منها ما اندثر وأصبحنا لا نعلم عنها الا ماجاء فى تلك الموسوعة ٠ كما تناول علوم الحيوان بادئا بالانسان فسائر الثدييات فالزواحف فالاسماك وغيرها من الاحياء المائية ، ثم الطيور والحشرات ، ثم تناول أنواع النباتات وأساليب الزراعة ، كما تناول فروع الطب والعلاج وأنواع الادوية والعقاقير ، ثم تناول نفيس المعادن وخسيسها ، والكريم من الاحجار وغير الكريم ، مفصلا ذلك كله فى عشرين الف مادة ضمتها موسوعته ٠

وبقيت لموسوعة بلينى مكانتها على مدى ستة عشر قرنا من الزمان ، ولم يكن معهد علمي ولا دير فى ربوع أوروبا يخلو خلالها من نسخة مخطوطة منها ٠ ولم يكد

ينقضي ثمانون عاما على اختراع جوتنبرج حتى كانت مجلداتها السبعة والثلاثون قد طبعت ثلاثا وأربعين طبعة .

***

هذه لمحة عاجلة لأمر جلل فى تاريخ الفكر الانسانى وقع منذ تسعة عشر قرنا ، نقابلها بلمحة أخرى من عصرنا الحالى ...

فى أوروبا دول صغيرة يقل أبناء الواحدة منها عن عدد أبناء مدينة واحدة من كبار المدن ، ولكل دولة من تلك الدول لغتها الخاصـــة التى لا يتكلم بها غير ابنائها .. ولها مع ذلك موسوعاتها ، بل لبعضها أكثر من موسوعة .

وقد اخترنا ستا من هذه الدول ، هى :

الدولة	تعدادها (مليون)	عدد موسوعاتها
هولاندة	١٢	٦
المجر	٩	٢
الدنمارك	٥	٣
النرويج	٤ر٥	٤
ليتوانيا	٣	١
استونيا	١ر٥	١
المجموع	٣٥	١٧

ست دول يقل تعدادها مجتمعة عن تعداد مصر ، كأنها الجزر المتنائية التى تعزلها عن العالم لغاتها المتفردة الخاصة ، وكلها لغات حديثة لم تتحدد معالمها ولم تتأصل قواعدها الا فى القرنين الفارطين ، ولها مع ذلك سبع عشرة موسوعة ...

والعربية ، اللغة التى يتكلمها خمسة اضعاف أبناء تلك الدول مجتمعة ...

اللغة التي نزل بها الكتاب الكريم الذى يهتدى بهديه خمس العالمين ...

اللغة ذات التراث العريق الوثيق الذى يرجع الى ستة عشر قرنا ...

اللغة التى تبينت قواعد نثرها وضوابط نظمها منذ زمن بعيد ...

اللغة التى حفظت ثقافات العالم القديم فامسكتها أنْ تزول ، واضـــافت اليها اضافات اصيلة رائعة واسلمتها الى العالم الحديث ، ولولاها لانفرط عقد المعارف والعلوم ...

اللغة التى ظلت لغة العلم والحضارة على مدى سبعة قرون متواليات ...

ـ هذه اللغة ، ليس لها حتى اليوم دائرة معارف عصرية !

أليس هذا أمرا جديرا بالدراسة والتحليل والتعليل ؟

***

ولو أن آباءنا الاولين كانوا قد قصروا قدما في التاليف الموســـوعى لكان لنا مانتلمسه من واهي الاعذار عن هذا التقاصر والنكول . بيد أن الآباء والاجداد قد جبوا ذرائع أعذارنا بما وضعوه من موسوعات جليلة الغايات سديدة المناهج ، لم ينسجوا فيها على منوال سابق ، بل كان منها ذو النهج الفريد .

ومن يرجع الى مجلدات « تاريخ الادب العربى » لكارل بروكلمان يجد معرضا عجبا لموسوعات عربية وضع بعضها منذ أكثر من ألف عام ، ووضع بعضها الآخر في عصور حالكة غشيت امة العرب ، فلم يكن بعد الزمن ولا صروف الدهر بمانعة

من استيعاب علوم القدامى والمعاصرين ، وانصهارها في بوتقة الفكر العربي واللغة العربية ، ثم تصنيفها في موسوعات منوعة الطرائق والاساليب ، منها العام ومنها الخاص ،ومنها ما التزم الاحاطة بالموضوعات ومنها ما التزم ترتيب حروف الهجاء.

ويذهب العجب بنا كل مذهب حين نتصفح أيا من تلك الموســـوعات ونتخيل الاحوال المعايشة التى وضعت فيها ، والظروف التى كان بعضها كفيلا بأن يثنى أشد العزائم مضاء واقداما ... كل هذا وأولو العزم ماضون لايبغون من أحد جزاء ولا شكورا .

فمن كان سيجزى ابن قتيبة عن عناء أيام وسهر ليال قضاها فى وضع « عيون الاخبار »أو « المعارف » أو « الشعر والشعراء » ، وغيرها من الشوامخ فى القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) ؟

وفى القرن الرابع ، بكم جازى العتبى ـ وزير السامانيين ـ الخوارزمى عن كتاب « مفاتيح العلوم » ؟

ومن كان ، فى ذلك القرن المبارك ، يســـتطيع أن يجزى أبا نصر الفارابى عن موسوعته « احصاء العلوم » ؟ .. تلك الموسوعة التى أحاط فيها بعلوم السابقين والمعاصرين ، تعريفا وتبويبا وترتيبا ، حتى لم يجد علماء الغرب بدا من نقلها نقلا الى اللغة اللاتينية ، فى عدة ترجمات بدأت منذ القرن الثانى عشر للميلاد ؟

وفى أواخر القرن الرابع أيضا ، وفى ظروف شائكة ، وفى أحوال غير مواتية ، دون « اخوان الصفا وخلان الوفا » رسائلهم ... وخشيتهم من العقاب أرجح لديهم من حسن الثواب ، حتى لقد تكتموا أسماءهم فلا نكاد نعرفها الا رجما بالظن والتخمين .

وانا الآن لنعجب ونتساءل : لمن وضع ياقوت الحموى (توفى عام ١٢٢٨ م) « معجم البلدان » و « معجم الادباء » ؟

ولمن كتب الدميرى (ت ١٤٠٥ م) « حياة الحيوان الكبرى » ؟
ولمن كتب القلقشندى (ت ١٤١٨ م) « صبح الاعشى » ؟

ولمن كتب السيوطى (ت ١٥٠٥) « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » و « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » ، وغيرهما ... وكلها موسوعات أشاد بقيمتها العارفون من كل جنس ولون .

***

وانا لنغمط حق هؤلاء الاعلام من الاكبار ، ولا نقدر هذه الاعمال الشامخة حق قدرها الا اذا استرجعنا صور العصور التى أنجزوا فيها خوالد انجازاتهم ، وتخيلنا ماكان يكتنفها من عوامل العسر والتثبيط والتعويق .

فلم تكن المراجع ميسورة لهم يسرها لنا اليوم .
ولم يكونوا يعرفون عن العمل الجماعى ما نعرفه اليوم .
ولم يكونوا يعرفون الا الاقلام الفجة والقراطيس الخشنة .

ولم يكونوا يعرفون الآلات الكاتبة ولا أجهزة التسجيل أو التصوير ولا مراكز المعلومات .
ولم يكونوا يعرفون غير الشموع والقناديل والمشكاوات .

ولم يكونوا يعرفون النظارات الطبية ولا العدسات المكبرة ٠
ولم تكن لديهم دور النشر ولا المطابع ولا مؤسسات التوزيع التي تتولى عنهم نشر آثارهم وتعفيهم من كل مايشغلهم عن طلب العلم ثم الافتنان فى التأليف والتصنيف وبذل أقصى الجهد فى الاحكام والتجويد ٠

***

ان هذا العرض السريع لبعض الامور التى تيسرت لنا من بعد عسر خليق بأن يثقل ضمائرنا ويزيدنا شعورا بفداحة التبعة التى نكلنا عن حمل أمانتها ، وانقطاعنا عن المضى خطوا فى طريق سلكه آباؤنا الاولون عدوا منذ مئات السنين ٠

وقد تكون وطأة الشعور بالتقصير هى التى دفعت في العصر الحديث أفـرادا نابهين من أبناء العربية الى وضع موسوعات عربية ، فنشر بطرس البستانى ستة من مجلدات موسوعته بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٣،ثم واصل فريق من آل البستاني العمل من بعده حتى بلغت دائرة معارف البستاني أحد عشر مجلدا ٠

وفى عام ١٩٣٨ ظهرت « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدى فى عشرين مجلدا ٠ وفى عام ١٩٥٠ صدرت بالقاهرة «دائرة المعارف الحديثة» للاستاذ أحمد عطية الله فى مجلد واحد ٠ وهو لايزال يواصل الجهد فى اصدار الموسوعات المتخصصة ، أطال الله بقاءه وبارك جهوده ٠

وفى لبنان صدرت « الموسوعة العربية » عام ١٩٥٥ فى مجلد واحد ٠
وفى عام ١٩٥٨ أصدرت دار الشعب « دائرة معارف الشعب » ، وكانت تتبع النهج الموضوعي وتضع فهارس هجائية مفصلة فى آخر كل مجلد ٠
وفى القاهرة أيضا صدرت « الموسوعة العربية الميسرة » عام ١٩٦٥ فى مجلد واحد ، ثم صدرت « الموسوعة الثقافية » عام ١٩٧٢ فى مجلد واحد كذلك ٠

***

ومع تقديرنا لهذه الجهود والاشادة بفضل من بذلوها ، لانزال نتساءل :
هل واحدة من هذه هى دائرة المعارف التى تتفق مع مكانة العربية فى الاعوام الاخيرة من القرن العشرين ؟

وحين يدهمنا القرن الحادى والعشرون ، هل يمكن لضمائر الباقين أن تطمئن ، ولنفوس الراحلين حين ترجع الى ربها أن ترضى ، وهزيم صيحة الابناء يشق أجواز الفضاء :
ماذا ترك لنا آباؤنا من زاد ثقافى نواجه به عصرا لا مكان ولا مكانة فيه لمن لايعلمون ؟
وبعد ٠٠٠
فان السؤال الآن ، اكثر من سؤال ٠٠٠

- **ماهى الاسباب التى عوقت حتى اليوم ظهور « دائرة المعارف العربية » التى تناسب ماضى أعرق لغة حية ، وحاضر أبنائها ، ومستقبلهم المرجو المرموق ؟**

- **كيف يكون البدء ؟**
- **ما الذى تقترحه لمنهج التنفيذ ؟**

ان الباب مفتوح لكل اجابة ملتزمة بالموضوعية والوضوح والسداد ٠٠٠
ولأفضل الاجابات جوائز قيمة ٠٠٠

الفائز بجائزة نوبل هذا العام في الادب

الياس كانيتى

في خلال السنوات الخمس الاخيرة حصل ثلاثة من الادباء اليهود على جوائز نوبل للادب ٠٠ فبعد صول بيللو الكاتب الامريكى الذى حصل على الجائزة عام ١٩٧٧ ، ثم اسحاق باشفيس سنجر الكاتب الامريكى الذي حصل عليها عام ١٩٧٨ ـ ها هو الياس كانيتى الأديب البلغاري يحصل عليها لهذا العام ١٩٨١ ٠٠

والياس كانيتى هو أحد الاسماء البارزة الآن فى عالم الادب٠٠وقدقدم مجموعة من الكتب الادبية والروايات الرائعة التى ينتمى اكثرها الى ما يسمى بأدب الرحلات ٠٠ ولذا فكثيرا ما يقال فى الصحف ان الياس كانيتى أشبه بسائق القطار الذى يقود قاطرته متحديا كل الظروف كى يتمكن من الوصول الى هدفه ٠

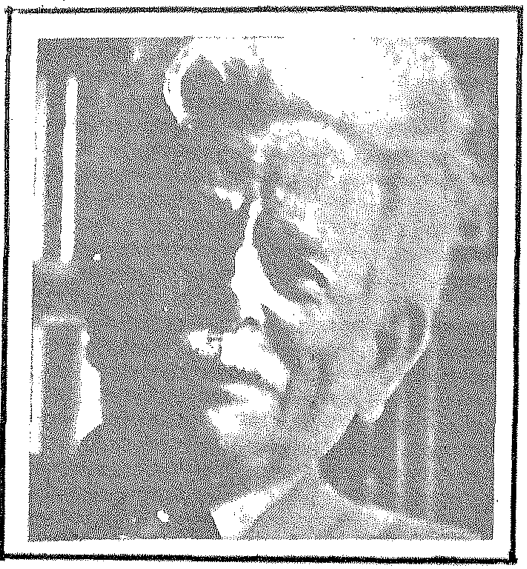
ولد الياس كانيتى فى بلغاريا عام ١٩٠٦ فى عائلة من اليهود السفارديين وهى عائلة تتحدث لغة اليهود الاسبان خلال القرن الخامس عشر الميلادى وقد رحلت الاسرة الى لندن وهو فى السادسة من عمره حيث تعلم اللغة الانجليزية والفرنسية ، ثم رحلت الاسرة بعد ذلك الى النمسا واستقرت هناك منذ ذلك الحين ، حيث درس هناك اللغة الالمانية التى بدأ الابوان يستخدمانها فى محادثات الحياة اليومية ٠٠ وبالنسبة له هو شخصيا فقد أصبحت هذه اللغة أفضل اللغات التى يمكنه أن يعبر بها عما يجيش فى صدره ويكتب بها ٠٠

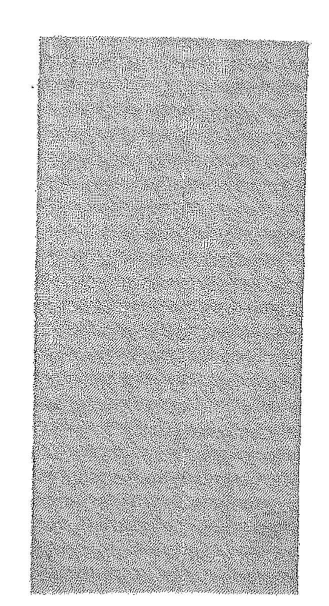
وفى النمسا ، تمكن الياس من أن يتعلم خلال مرحلة مبكرة من حياته كل أمور البروتوكولات ونظم الحياة الديبلوماسية ، وأن يبرز بوضوح شغفه بنظام الحياه هناك ٠٠

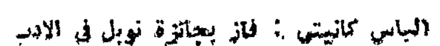
***

وفي الكتاب الذى نشره الياس حول حياته الخاصة بعنوان ((قصة شباب)) وترجم الى اللغة الفرنسية فى العام الماضى ، يقول انه كان شغوفا جدا بوالديه ٠٠ : ((كان أبى موسيقيا يعشق البيانو ٠٠ أما أمى فكانت تغنى على ألحان شوبيرت التى يعزفها أبى ٠٠ كم كنت محظوظا أن أولد بين شابين عاشقين !))

يقول كانيتى انه كان شغوفا ابان فترة مبكرة من حياته بموسيقى







الياس كانيتي : فاز بجائزة نوبل في الادب

الفالس وأجواء الاوبرات الرائعة ..

كما انه إرتبط بالاديب اليهودى الفرنسي البرت كوهين الذى شغف مثله بالموسيقى ..

وقد وجد نفسه فى أول علاقته بالكتابة يجمع بين أسلوب سرفانتس وشخصية دون كيشوت ، وبين شخصيات كافكا ، الذى يعتبره أحد الادباء الذين يعتبرون بحق شواهد عصرهم ..

***

ومن أهم الأعمال الأدبية التي قدمها كانيتي « التراكم والقوة » الذى يتناول فيه موضوعات اجتماعية وانثربولوجية وتاريخية ممزوجة فى اطار دينى مقارن ، وذلك من خلال التركيز على الامراض المختلفة التى أصابت الامراء الذين حكموا أوروبا ردحا طويلا من الزمن ..

وقد ركز كانيتى فى كتاباته على معاداة العنصرية ، وهو يؤكد فى كتابه « قصة شباب » على الشخصيات التى تأثر بها وعاش معها داخل النمسا .. كما أكد على حبه للكتابة ، وعلاقته الخاصة بأدب كافكا ، ثم رحلته عبر العديد من البلدان ..

وكانيتى يعيش الآن فى المملكة المتحدة منذ سنوات طويلة ، ومن أهم الكتب التى قدمها « فى داخل أوروبا » حول عديد من الشخصيات التى أعجب بها مثل سيجموند فرويد ، وفرانز كافكا ، وأنطون جوليا ..

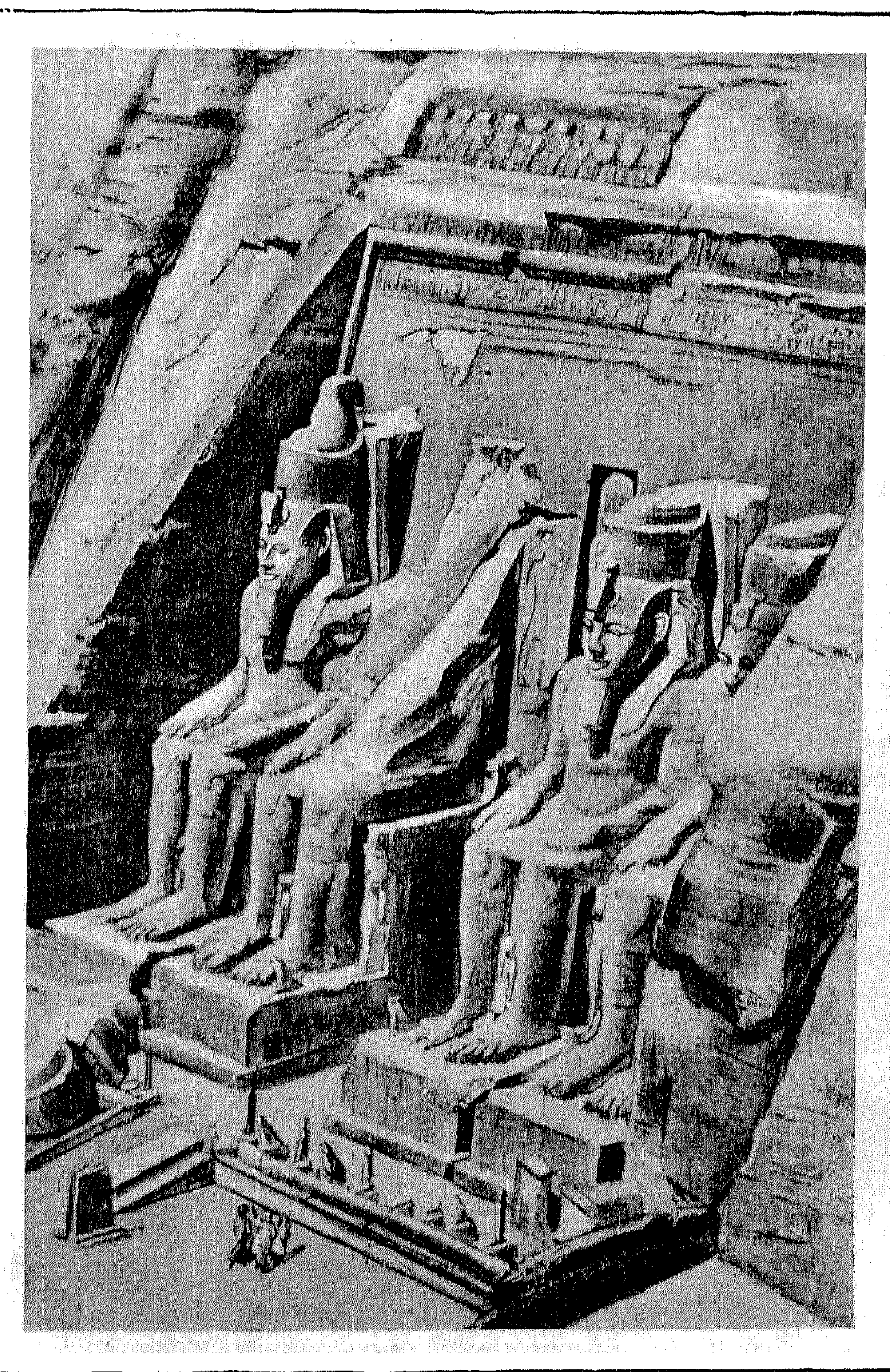
وأحدث اعماله التى صدرت فى شهر فبراير الماضى هو كتاب « أصوات مراكش » وفيه يتحدث عن رحلته الى بلاد المغرب العربى خلال عام ١٩٥٤ وعن مشاهداته هناك ، مضيفا تلك الرحلة بأسلوب اقرب الى المونولوج الداخلى منه الى أسلوب المشاهدات العابرة ..

وعندما يتحدث الادباء حول أسلوب كانيتى وكتاباته ، فانهم يضعونه فى نفس المقعد الذى جلس عليه الكاتب توماس مان، فى ذلك العالم الخاص جدا ، الوجدانى ، الملىء بالانفعالات ، والاجواء الموبوءة ، والقلق ، والبحث عن الخلاص .. لكن اين الخلاص .. قد يأتى يوما ، وقد لا يأتى . لكننا لا نتوقف عن البحث عنه ! ..

محمود قاسم

حضارة مصر..

ومهندسو الفراعنه



د. سيد كريم

● **العمارة مرآة الحضارة .. والمصري القديم أول من شق طريق الحضارة وخطا فيه الخطوات الاولى .. فأول تجربة للانسان في بناء الحضارة كانت على ضفاف النيل ، فسجل المهندس المصري القديم تلك الحضارة على صفحات جدران العمارة التي ارتفعت على شواطئه وتجمعت في معرض طوله الف كيلو متر من شلالات اسوان الجرانيتية الى شواطيء البحر الابيض المتوسط الرملية ..**

وعلى مدى سبعة آلاف عام تمتد من عهد ما قبل الاسرات أو ما قبل التاريخ الى نهاية العصور الفرعونية، بقيت آثارهم الخالدة التي قاومت الزمن كتسجيل لتلك الحضارة الخالدة والحفاظ على اسرار مقوماتها ..

اطلق العالم القديم على العمارة اسم « أم الفنون » .. وأطلق عليها الفراعنة « فن الخلود » .. فقد عرف المصريون معنى الخلود ، عرفوه فأحبوه وقدسوه وعملوا له .. عرفوا ان الكون خالد ، وعرفوا ان بلدهم خالد وآمنوا بأن الانسان له روح خالدة فسعوا نحو الخلود ليحدد لهم معالم الطريق ، فاكتشفوا علوم المعرفة النظرية منها والتطبيقية ، فعرفوا كيف يستخدمونها ليمهدوا أرضا صلبة يقيمون فوقها عمارتهم التي يقوم فنها على أساس علمي راسخ ومتطور كما هو الحال في مقومات علوم المعرفة بأنواعها كالطب والكيمياء والفلك والرياضيات والزراعة والصناعة ومختلف علوم المجتمع وفنونه ، وما حققه كل منها من انجاز واعجاز ..

وبهذا تميزت شخصية العمارة المصرية بتطورها المستمر الذى لازم نهضتها فلم تتوقف عند قالب أو طابع معين بل سارت طوال تاريخها في سباق مع الزمن لم تتخلف عنه ، فعاشت أطول مدة عاشتها أى حضارة معمارية أخرى ..

لقد وصف تاريخ العمارة دور العمارة الفرعونية في رسم أول « خط للسماء » رسمته يد الانسان ، بأنه بدأ بالخطوط الهندسية الافقية ومسطحاتها المستوية التي بدأت بالظهور فوق سطح الارض وعبر عنها بالمصاطب ..

وارتفعت بالمصاطب عن سطح الارض في طبقات متراصة فوق بعضها البعض لتصنع الاهرامات المدرجة التي عبروا عنها بسلم الصعود الى السماء ،وانتقلت **منها الى الاشكال الهرمية الرياضية التكوين . ثم ارتفع الهرم بقاعدته عن سطح الارض لتظهر معابد الشمس ، ثم تعلو فوق قوائم لتشق طريقها نحو السماء وتناطح السحاب فتظهر المسلات الرشيقة بقممها الهرمية .. ثم انتقلت من الجدران الصماء والحوائط العالية الى الدعائم والقوائم والاعمدة التي تحمل الاعتاب ((والكمرات)) والاسقف لتصنع أسس الهياكل الانشائية بتعدد نظريات تكوينها التي تغيرت ابعادها ونسبها تبعا لتغير مواد البناء ونظريات انشائها فحددت أشكال الوحدات التي شكلت طراز العمارة الفرعونية ومراحل تطور معالمها عبر تاريخها الطويل .**

لقد قدمت العمارة المصرية للعمارة العالمية أول وحدة في تكنولوجيا البناء . وهو قالب الطوب (توبى) .

فقالب الطوب هو أول ابتكار وانجاز حضاري في فن البناء وعلم الانشاء . ابتكره المهندس المصري من ٨ آلاف سنة وحدد شكله وأبعاده التي يحتفظ بها العالم الى اليوم .. وليس هناك من ينكر دور قالب الطوب في تشكيل الطرز المعمارية القديمة منها والحديثة في ناحية من نواحيها التكوينية .

ومع ابتكار قالب الطوب قدم المهندس المصري جميع نظرياته الانشائية التي تناولتها جميع الطرز المعمارية سواء في بناء الاعتاب أو العقود أو القباء أو القباب بمختلف أشكالها الهندسية والرياضية التكوين .

حضـــارة مصــــر

ومهندسو الفراعنه

ومع استعمال الطوب فى البنـاء قدم المصرى لمهنـــدسى العـــالم طرق بياض الحوائط وطلائها وكســـوتها بمختلف البلاطات الطبيعية والصناعية ٠

وما ينطبق على الطوب كوحدة للبنـاء ينطبق على الحجر بأنواعه واســتعمالاته ونظريات انشائه ٠

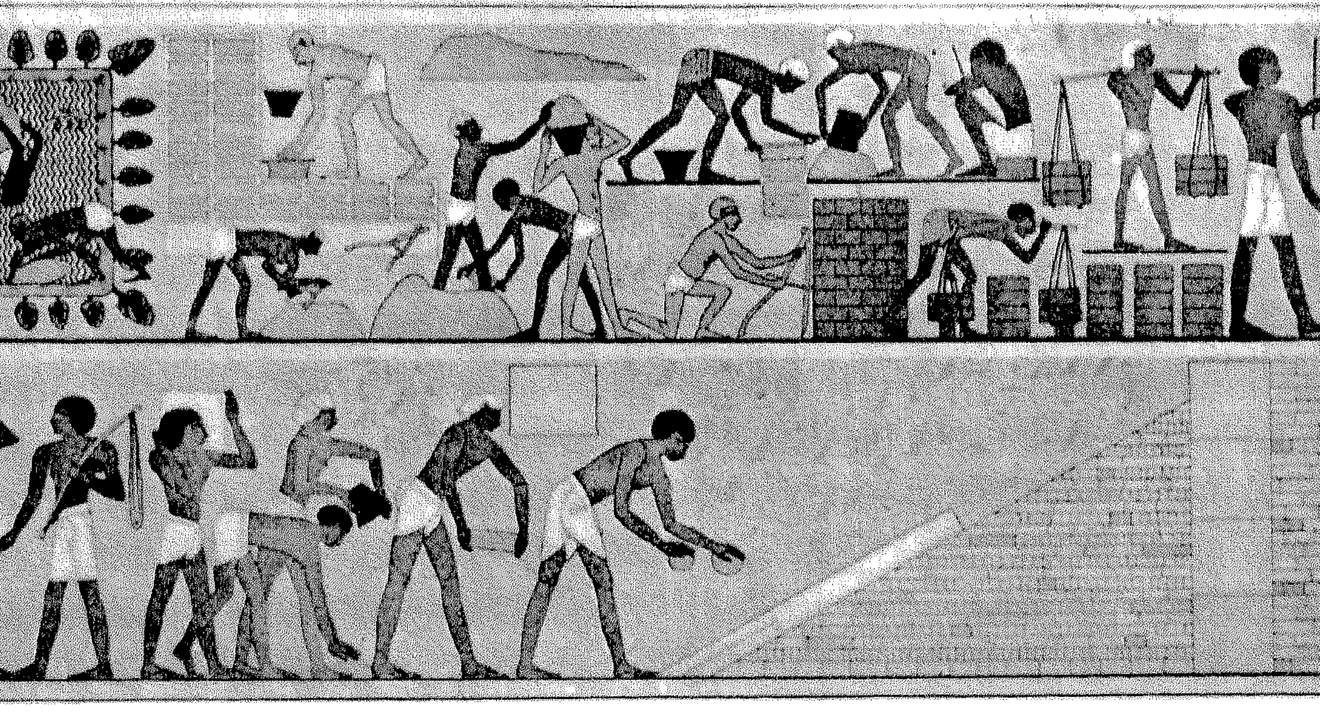
وعرف المهندســـــون المصريون كيف يتعاملون مع أقسى الاحجار صــلابة وهو حجر الجرانيت ، صــنعوا منه أضــخم الاعمدة والمســلات والتماثيل التى يبلغ وزن بعضـــها مئات الاطنان ولم يجـدوا صعوبة فى معالجتها ونحتها وصــقلها ونقلها مئات الكيلو مترات بوســـائلهم العلمية المجهولة لعلماء اليوم ٠

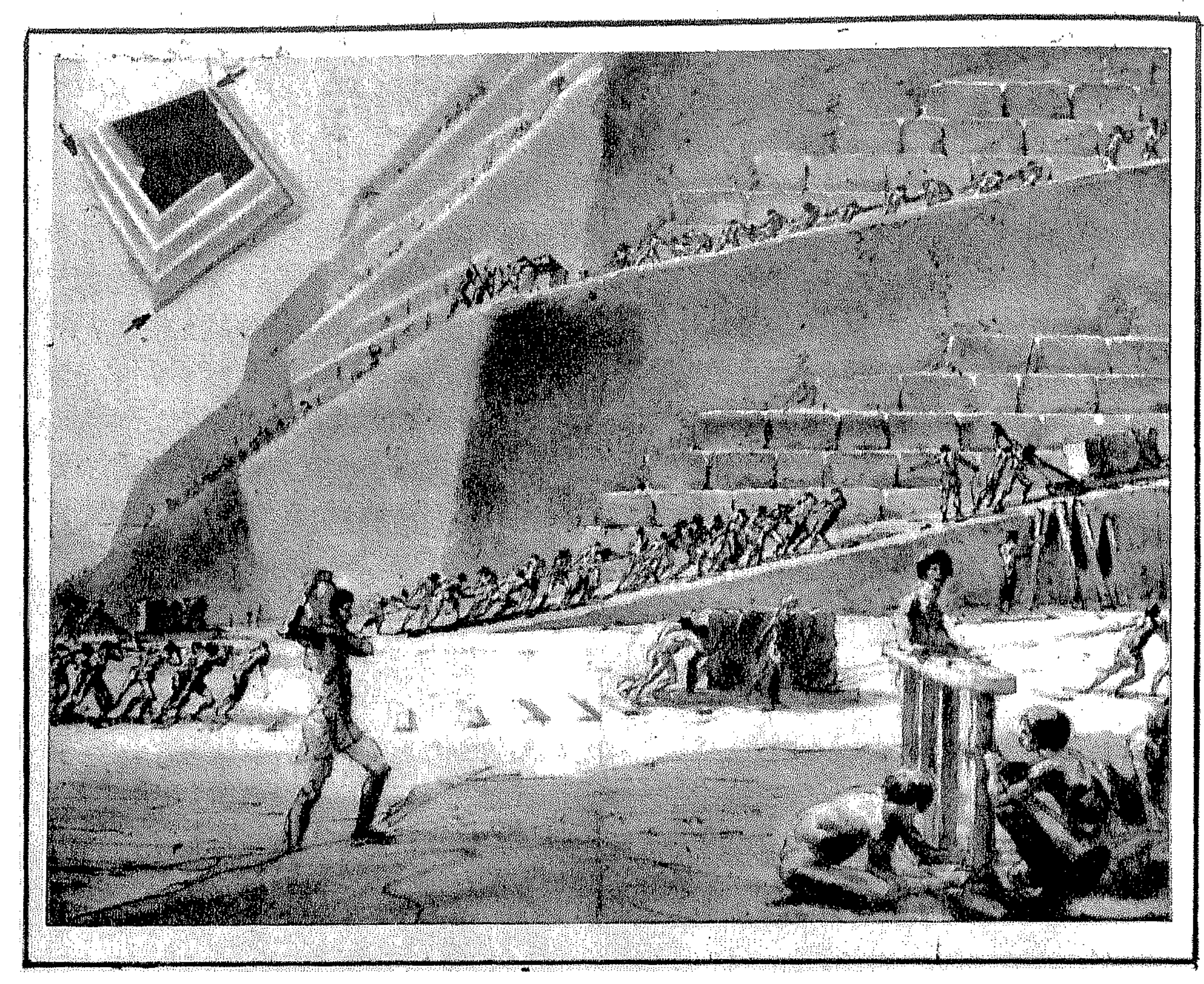
والمهندس المصرى أول من صـــنع « الاعمدة » دعامة جميع الطرز المعمارية **فى العالم ٠٠ صنعها من جذوع النخيــل والاخشاب وحزم البوص والطوب والحجر والجرانيت ـ شكلها ورسم تيجانها ـ تلك الاعمدة وتيجانها التى ارتبطت بأشكالها قواعد العمارة الاربعـــة وهى الدوريكى والايونى والكورنثى والمركب التى نسبها عالم العمارة وتاريخه الى الاغريق ، بينما جميعها وبفن اكثر تطورا لا تزال قائمة وشامخة فى العديد من آثارنا ٠**

فان كانت تكنولوجيا العمارة الفرعونية قد وضعت اساس نظرية الانشــاء المجهز بابتكار « قالب الطـــوب » أول وحدة جاهزة ومصنعة فى علم البناء ، فلا يجب أن ننسى ان بحوثهم العلمية مهــدت لهم السبق فى وضع أسس نظريات المساكن الجاهزة والانشاء ســـابق التجهيز فى تخطيط المدن ، فقد طبقوا تلك النظريات فى بناء مدن باكملها ٠ لقد كانت فكــرة تلك المبانى السابقة التنفيذ اكثر واقعية مما يقــوم به مهندسو العالم وخبراؤهم اليوم ٠

ومن اقدم امثلتها التى ظهرت متطورة فنيا واقتصاديا مدينة « خنت كاوس »

بناء الاهرامات يمثل قمة الفن المصرى فى مجـــالات الانشـــاء والهندسة المعمارية ٠٠





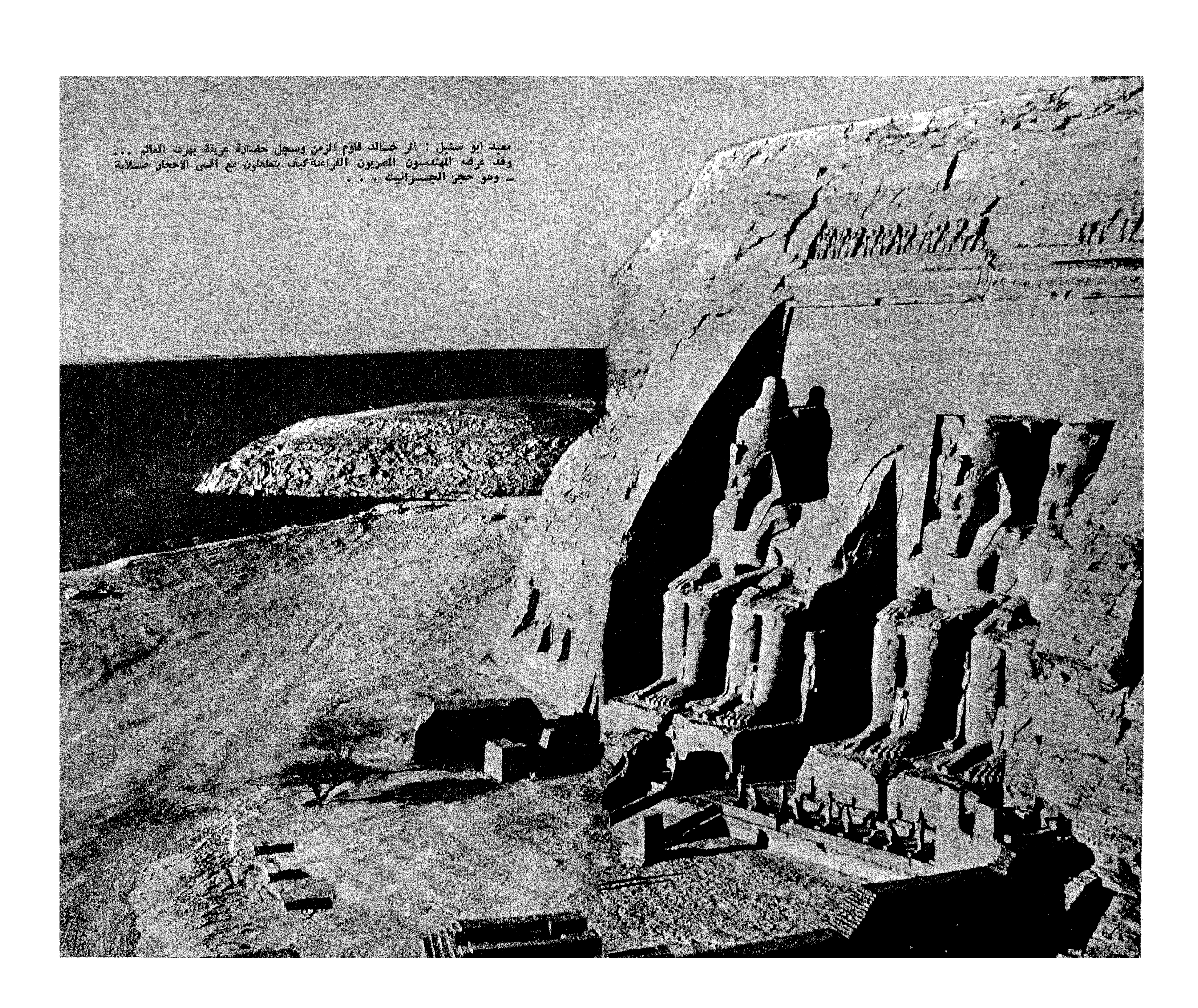
تجلت فنون العمارة الفرعونية في بناء الاهرامات باجلى وأروع صورها

احدى المدن التى بنيت في الاسرة الرابعة ٢٥٦٥ ق٠م التى بنيت لتؤوى عمال بناة الأهرام ومعابدها الجنائزية ٠ كانت فكرة اقامتها بنظرية المساكن الجاهزة للعمل على سرعة اقامتها وتجهيزها ، ثم سهولة فكها بعد الانتهاء من القيام بغرضها ، ثم اهدائها للعمال والفنيين الذين قاموا ببناء الاهرامات ، لينقلوا مساكنهم الى المدن والقرى التى أتوا منها للعمل فى خدمة الاله ٠

قام المهندسون بتحقيق نظرية المساكن السابقة التجهيز بوضع تصميمات المساكن الموحدة المساقط والابعاد والتفاصيل ، كما أعدت نماذج ثابتة وموحدة لجميع أبواب ونوافذ المسكن كذلك الوحدات الجاهزة لاعتاب الفتحات وكمرات الاسقف وبلاطات الارضيات ومجارى المياه والافران وقطع الاثاث وغيرها من مختلف التفاصيل يتعاون العمال على تركيبها وفكها ونقلها بالتعاون والمجهود الذاتى ٠٠

هناك أمثلة أخرى أكثر تطورا وتقدما فى علم المساكن الجاهزة وانتاج الجملة، ظهرت فى مدينة اخناتون بتل العمارنة ، ظهرت فى تنفيذ مشروعات تعمير حى الموظفين ومساكن العمال التى حققت تشييد المدينة فى عامين فقط كما وصفت فى التاريخ ٠ فظهرت بجانب السابقة لجميع اجزاء المبنى ووحدات انشائه نماذج وحدات سابقة التجهيز للاعمدة ودرجات السلالم والمطابخ والوحدات الزخرفية للكرانيش والارضيات ولوحات النقوش والنافورات ، مما أعطى للمدينة طابعا متناسقا خلد اسمها فى تخطيط المدن ٠

يجب الا ننسى ان أول مدينة فى عالم البشرية كانت « أون » القديمة عاصمة مصر الاولى التى وصفها المؤرخ مانيتون بأنها ولدت مع مولد الزمان ، ونسب بناءها الى « الالهه الذين نزلوا بها من السماء حاملين شعلة المعرفة والعلوم المقدسة الى الارض التى اختارها الاله عام ٩٥٠٠ق٠م » ٠



معبد ابو سنبل : أثر خـالد قاوم الزمن وسجل حضارة عريقة بهرت العالم ...
وقد عرف المهندسون المصريون الفراعنة كيف يتعاملون مع أقسى الاحجار صلابة
ـ وهو حجر الجـرانيت . . .

حضارة مصر

ومهندسو الفراعنه

وهكذا كلما تعمق الباحثون في دراسة حضارة مصر على ضوء البحوث التكنولوجية تمخضت لهم حفريات آثارها عن مفاجآت علمية جديدة تؤكد قول أميل لودفيج في وصفه لحضارة الفراعنة بأن ((لا جديد تحت الشمس)) !

مهندسو الفراعنة

١ ـ كانوفر ـ ٢٨٥٠ ق٠م

أول مهندسى العالم القديم كله ، أطلق عليه اسم الأب الروحي لمهندسى مصر الفرعونية • مهندس الملك خاسخموى آخر ملوك الاسرة الثانية • جمع بين فنون العمارة وعلوم الانشاء وتخطيط المدن • فكان أول من وضع نظريات العمارة بالحجر ، وأول من استعمل الطوب كوحدة فى علم البناء ، فوضع الكثير من نظريات تطبيق انشائه ـ وكان أول من استعمل الحجر فى كسوة الحوائط المبنية بالطوب فى « عمارة الحياة » • التى طبقها فى بناء القصور الملكية والمبانى العامة وساهم بقسط كبير فى تخطيط مدينة منف القديمة وبناء أسوارها • فوضع أول نظريات متقدمة لاستعمال العروق الخشبية والكتل والحصير فى صناعة الاسقف • كما كان له الفضل فى تصميم « عمارة الخلود » أو مقابر الملوك على شكل المصاطب المركبة كما كان له الفضل أيضا فى تنشئة ابنه المهندس « ايمحوتب » الذى يعتبره مؤرخو العمارة أعظم مهندسى مصر القديمة •

٢ ـ ايمحوتب ٢٧٩٠ ق٠م

مهندس الملك زوسر ـ الأسرة الثالثة ـ أكمل رسالة والده كانوفر ونظرياته المعمارية والانشائية فى استعمال الحجر فى فن العمارة وعلم الانشاء • فقام بثورة معمارية كبيرة عندما استعمل الحجر على نطاق واسع فى بناء قبر الملك زوسر ومجموعة هرمه ومنشآته الجنائزية ، فأقام أول مقبرة ملكية على شكل هرم مدرج يرتفع ستين مترا ، مكون من ست مصاطب ـ وهى التى اطلق عليها اسم درجات سلم الصعود الى عرش « الاله »

ويعتبر ذلك الهرم بداية عصر الاهرامات الذى امتد الى بداية الاسرة الثالثة عشرة ، عندما بلغ عدد الاهرامات التى اقيمت فوق أرض مصر ٣٧ هرما تفنن المهندسون المصريون من تلاميذ ايمحوتب واحفاده فى وضع تصميماتها وابتكار طرق انشائها •

وأحاط ايمحوتب مقبرة الملك زوسر بسور من الحجر الجيرى الابيض به ثلاث عشرة بوابة رمزية وبوابة واحدة حقيقية ويضم السور مجموعة من المبانى الجنائزية وقاعة العرش والاحتفالات ومعبدى الوادى وقصرى الجنوب والشمال •

نشأ ايمحوتب فى مدينة الجبلين بالقرب من الاقصر والتحق بجامعة معبد « أون » حيث درس علوم الفلك والرياضيات والطب واللاهوت •كما أنشأ معهدا خاصا لتدريس العلوم المقدسة وارتباطها بعلوم الحياة •

ويحمل ايمحوتب القابا ملكية تدل على انه كان مهندسا ومسجلا للحوليات واديبا وموسيقيا وطبيبا وأمينا لاختام الوجه القبلى والوزير الاول لدى الملك • كما أن هناك ما يشير الى انه تولى مركز الكاهن الاكبر لمعبد ((أون)) فى أواخر أيامه •

ذكر المؤرخ مانيتون عند حديثه عن ((زوسر)) : ((فى عهده عاش ايمحوتب ابن كانوفر الذى يعتقد اليونانيون انه اسكليبيوس اله الطب عندهم بسبب مهارته فى الطب الذى تحول بفضله الى نوع من المعجزات))

ولم ينس المصريون ايمحوتب بعد وفاته فقد ظل اسمه يتردد فى كتابات الدولة الوسطى ويذكرون باعجاب معجزات أعماله فى مختلف الفنون والعلوم ويتناقلون اقواله وحكمه ، ويردد المغنون

اشعاره وأغانيه ، وفي أيام الاسرة ٢٦ أي بعد موته بالفي سنة قام الناس بتأليهه وأطلقوا عليه اسم ايمحوتب بن بتاح . وبنوا له المعابد في جهات كثيرة من البلاد سواء في منف التي خلدت أعماله ودفن بها أو في الصعيد وبلاد النوبة أو في الواحات البحريه . ويرجع بعض مؤرخي العقيدة قيام الناس بتقديس ايمحوتب لعدة قرون بعد وفاته وحتى أواخر الاسر الفرعونية - الى دوره في نشر عقيدة توحيد الاله « رع » رب الارباب التي نقلها من أون لتصبح عقيدة الدولة في منف ، متخذا من الهرم رمزا للاله الواحد وهي العقيدة التي اعتنقها كثير من ملوك عصر الاهرامات ابتداء من الاسرة الثالثة بل وعصر الرعامسة حيث كان الملوك والامراء يضيفون الى اسمائهم وألقابهم الملكية اسم « رع » .

وفي العصر المتأخر اعتبر المصريون والاغريق ايمحوتب ابنا للاله بتاح رب الفن والصناعة ونائبا عن تحوت رب المعرفة المقدسة والكتابة والقلم ، ولذا فقد اعتبره المتعلمون والكتاب على رأس الحكمة ومن رعاة المثقفين . فكان الكاتب المصرى عندما يكتب موضوعا هاما يتمتم باسمه لاستجلاب الوحي والتبرك باسمه .

كما ينسب بعض الباحثين الى ايمحوتب وضع موسوعة تحوت (هرمس) وأجزائها الاثنين والاربعين التي وصفها المؤرخون القدماء بأنها كانت تحوى اسرار المعرفة المقدسة في مختلف العلوم والفنون والادب من طب وفلك وهندسة ورياضيات وزراعة وصناعة بجانب مختلف علوم حياة المجتمع ومقدسات اسرار الوجود .

وهي المعرفة التي أشار اليها كثير من مهندسي الفراعنة وعلمائهم في فنون العمارة والطب والفلك حتى السحر ، عندما نسبوا خبرتهم ودرايتهم بأسرار المهنة بتوصلهم الى الاطلاع على كتب تحوت المقدسة .

تلك الموسوعة التي كانت حلم البروفسور امرى الذى قضى عشرات السنين في البحث عن مقبرة ايمحوتب ووافاه الاجل قبل أن يصل الى مدخلها .

وكاتم الاسرار والناطق بالحق وهو ما فسره البعض بانه ابن الملك سنفرو نفسه .

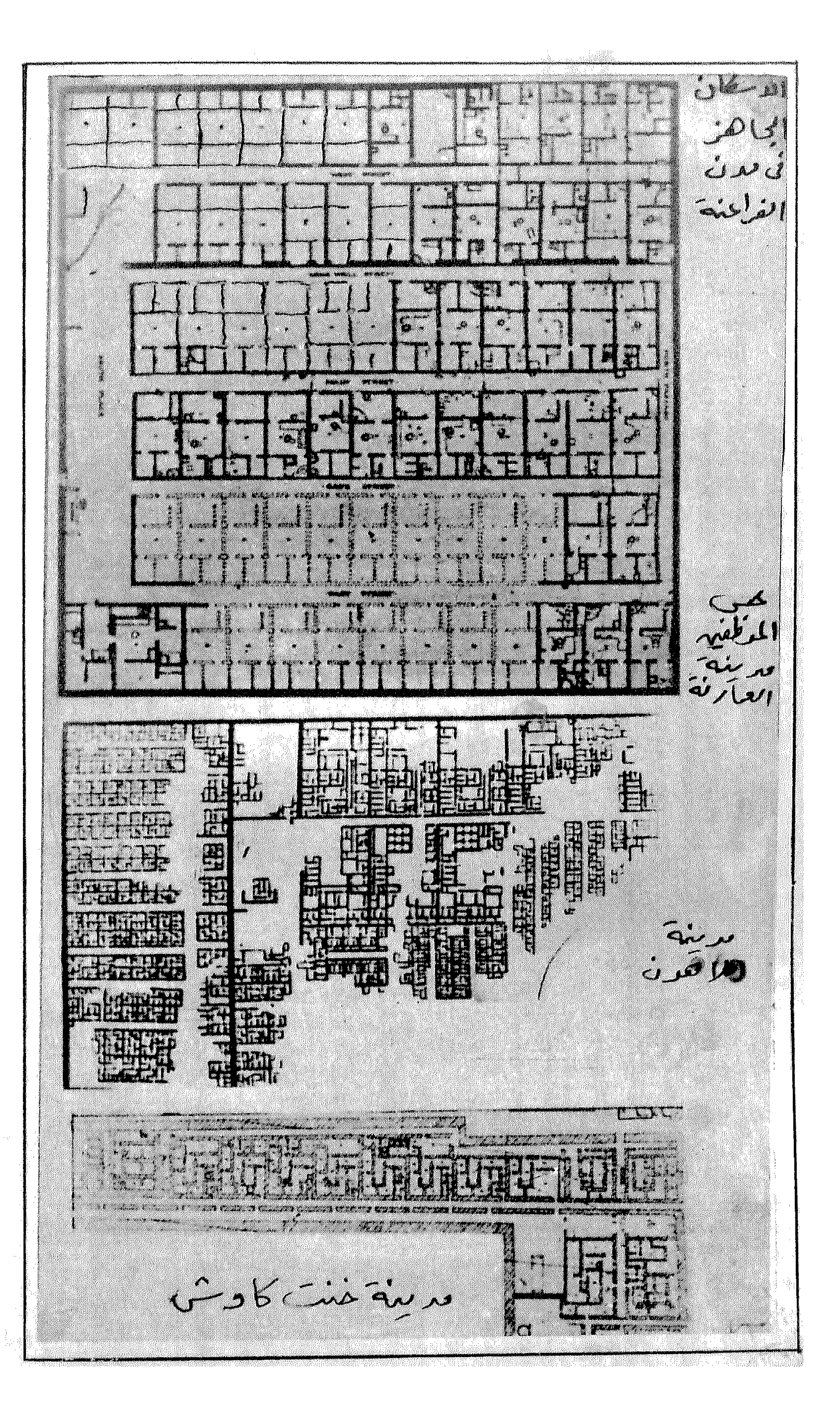
من أهم الاعمال التي قام بها اهرامات ومنشآت منطقة ميدوم في مقدمتها هرم ميدوم ذو الثماني درجات الذى بدأه في عهد الملك حوفي آخر ملوك الاسرة الثالثة وأكمله في عهد الملك سنفرو .

كما قام بخدمة الملك سنفرو ما يقرب من العشرين عاما بني خلالها هرمين اولهما الهرم المنحني بدهشور ومعبده الجنائزى ، والهرم الثاني يبعد حوالي كيلو مترين شمال الاول ويعتبر أول هرم كامل في تاريخ العمارة المصرية .

وقام بتصميم وانشاء معبد الوادى والمعبد الجنائزى للملك .

٣ - رع حوتب ٢٦٨٥ ق.م

من أشهر مهندسي الدولة القديمة . اشتهر باسم مهندس ميدوم حيث اكتشفت مقبرته التي وجد بها تمثاله المشهور مع زوجته الاميرة «نفرت». وهو من الحجر الجيرى الملون ويعتبر قمة في فنون الاسرة الرابعة ، ومحفوظ بالمتحف المصرى . ويتميز تمثال رع حوتب وزوجته المهندسة الاميرة نفرت بما يتمثل في وجهيهما من حيوية فائقة ، ونقاء الوانهما ، والعينان مرصعتان كأنهما طبيعيتان تضفيان على الوجه حيوية وقوة رغم ان خوفو قد أصدر قرارا ملكيا بتحريم اقامة التماثيل في مقابر الافراد وان تقتصر تلك الطقوس على تماثيل **الملوك والآلهة وكبار الكهنة من انصاف الآلهة ، الا انه من المرجح انه قد سمح باقامة تمثالي رع حتب وزوجته لاعمالهما العظيمة في اقامة الاهرامات والمعابد لتخليد الاله - اسوة بما قام به اجداده باقامة تماثيل ايمحوتب الذى اقام لها**



الإسكان الجماعي
في مدن
الفراعنة
حي
الموظفين
مدينة
العمارنة
مدينة
اللاهون
مدينة خنت كاوش

الشعب محرابا ومعبدا جنائزيا واعتبر من انصاف الالهة المبجلين باعتراف المعبد اختلف المؤرخون وعلماء الآثار فى تحديد أصل رع حتب من النقوش والبرديات التى وجدت بميدوم حيث تركزت أعماله فذكر البعض انه من عامة الشعب وينحدر من أصل كانوفر وايمحوتب وان أعماله العظيمة قربته من الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعــة ، وانه نال لقب الامارة بزواجه من الاميرة نفرتوهى ابنة سنفرو وحرس حتب أم خوفو والاميرة نفرت هى التى قامت بتصميم مقبرة حرس حتب المشهورة وقصورها بسقارة ٠

من بين الالقاب التى منحها سـنفرو لمهندسه رع حتب تقديرا لاعماله « الابن المخلص ومدير اعمال القصر والمشرف على المنشآت الملكية »

٤ ـ حم ايون ٢٦٥٦ ق٠م

أعظم مهندسى بنـاء الاهـرامات حيث قام ببناء الهرم الاكبر أول عجائب الدنيا السبع ٠ هو ابن عم الملـك خـوفو وابن الامير نفر ماعت ٠ تلقى علومه فى جامعة أون وأصبح أحد كبار كهنتهـا قبـل ان يعهد اليه بناء الهرم الاكبر ومجمـوعته الجنائزية ومقابر الامراء ٠

درس علـوم الفلك والرياضـيات والغيبيات ، وهى العلوم التى انعكست على تصميم الهـرم الاكبر وفسرت الكثير مما اكتنفه من غموض وأسرار ٠

لقد وصـفت احـدى البرديات التى وجدت بمقبرة حم ايون «انه كان مقربا الى الاله وحافظا لكتاب تحوت ومطلعـا على أسرار الوجود ومؤتمنا على مقدسات المعبد وكانت له القوة الخارقة فى رفع أضخم أحجار البناء الى أعلى الارتفــاعات بغير مجهود أو مساعدة »

ينطبـق ذلك الوصف الذى تعـود الكتاب الى اسناده الى اعمال السحر ـ على الكتل الجرانيتية التى تغطى سقف غرفة الملك بالهرم الاكبر التى يبلغ وزن بعضها حوالى ٧٠ طنا ، نقلت من محاجر اسوان الى الجيزة ثم سحبت من شاطىء النيـل الى هضبة الاهرام ورفعت لتحتل مكانها فى جسم الهرم ٠

لقد أصبحت تلك البرديات وغيرها من برديات السـحر موضــع دراسة علماء التكنولوجيــا الحديثة بعد ما ثبت فنيا وعلميا خطأ جميع النظريات التى ذكرها المؤرخــون والباحثـون فى الماضى من استعمال الزحـافات أو مختلف الروافع والمنحدرات والقــوى البشرية فى نقل تلك الاحجار وطريقة بناء الاهرامات ٠

لقد فتحت تلك البرديات المجـال أمام معاهد البحوث لكشف أسرار الحضـارة المصرية القديمة وتفسـير ما اكتنفهـا من غموض وألغاز بترجمة كلمة سـحر الى تكنولوجيا ، وما يكون معادلاتها من قوى وعناصر ومقومات تلقى ضـوءا على علوم المعرفة عند الفراعنة ٠

٥ ـ سنجم ايب ٢٥٥٠ ق٠م

مهنـــدس الملك اوسركاف مـؤسس الاسرة الخامسة ٠ لم يطل حكم اوسركاف عن سبع سنوات قام سنجم ايب خلالها ببناء هرمه فى سقارة ومعبده الجنائزى الذى اتمه خلال حكم ابنه الملك ساحو رع خلال حكم ساحورع بدأ فى انشاء الجبانة الملكية فى أبو صير ، وهناك بنى هـرمه المشهور بطابعه الانشائى الفريد فى نوعه وملحق به معبد الوادى والطريق الصاعد والمعبد الجنائزى ٠ وسـجل على جدران المعبد الحملات العسـكرية ضد الليبيين والرحلات التجارية الى سوريا وشواطىء فينيقيا وبلاد بونت ٠وأقام نصبا تذكاريا فى محاجر الديوريت غرب أبو سمبل ٠

٦ ـ مرى ـ رع ـ مريبتــــاح عنخ ٢٤٠٢ ق٠م

مهنـــدس الملك بيبى الاول ـ الاسرة السادسة ـ من أشهر أعماله الهرم الذى شيده للملك فى سقارة الجنوبية وتعتبر نقوش ذلك الهرم من أروع ما خلفه ذلك العصر ٠ وقد نقش على جـدران مقبرته تدرجه فى عمله الوظيفى ابتداء من منشىء

ومهندسو الفراعنه

عال الى مدير المنشئين ، ثم منشيء ملكى ، ثم المهنـــدس الاول بالقصر ، ثم كبير المهندسين ، ثم رئيسا للانشاءات الملكية حتى وصـل الى درجة المشرف الملكى على المنزلين أى « مصر العليا والسفلى » .

« ونظرا لما قام به من أعمـال عظيمة تسر عين الملك فقد قربه اليه ومنحه لقب الصديق الاوحد وقلده وســـام الجدارة ويعتبر من أعلى المراتب وأرقى الالقـــاب الشريفة » .

٧ ـ أرتى سن ـ ٢٠٧٠ ق٠م

أعظم مهنـــدسى الدولة الوســطى . مهندس الملك منتوحوتب الثانى مؤسس الاسرة الحادية عشرة الذى وحد البــلاد تحت زعامته بعد أن هزم ملوك اهناسيا وجعل طيبة عاصمة لملكه . ويعتبر حكمه بداية عصر الدولة الوسطى .

قام المهندس « أرتى سن » الذى بدأت علاقته بمنتوحوتب خلال حرب التحرير حيث ساهم فى اقامة المنشآت العسكرية والحصون ـ قام بثورة فنيـة ونهضـــة معمارية كتبت صفحة جديدة وخالدة فى تاريخ العمارة المصرية بعد انقضاء مرحلة طويلة من مراحل أحد عصور الاضمحلال التى بدأت فى أعقاب الاسرة الســابعة . فكان لارتى سن الفضل فى وضع أسس طراز عمارة الدولة الوسطى التى مهدت الطريق أمام النهضة المعمارية التى ظهرت فى الدولة الحديثة وعصر الامبراطورية.

بدأت أعمال « أرتى ســـن » بتخطيط وتعمير مدينة طيبة التى أصبحت عاصمة للبلاد فأقام بها مجمـوعة من المنشـآت والمبانى الدينية التى كانت نواة اقامة معبد الكرنك العظيم الذى ساهم فى بنائه جميع مهندسى مصر العظام فى مختلف العصور طوال الفى عام .

ومن أعمال « أرتى ســن » الخــالدة اقامة المعبد الجنـائزى للملك منتوحوتب بالدير البحرى واختيار موقعه الرائع . وهو أول معبد مكون من مدرجات مفتوحة تطل ساحات أعمدتها على الوادى ، بينما يتوسط ساحته الكبرى هرم تحيـط به قاعة الاعمــدة الكبرى بأعمــدتها المائة والاربعين ويظهر الجبـل خلف المعبــد كصرح عظيم يعتبر جزءا مكملا لتصميم المعبد ويرتبط به ارتباطا فنياً رائعا .

وتقع اطلال المعبد جنوب معبـد الملكة حتشبسوت المعروف الذى شيده **المهندس سنموت ـ فرغم شهرة معبد حتشبسوت العالمية الذى أصبح أكثر أهميــة لكثرة ما بقى من مبـانيه ونقوشـــه الهـامة فان الذى يعنى بفحص المعبدين سـيدرك بلا شك ان معبد منتوحوتب أفخم وأعظم من معبد حتشبســـوت الذى بنى بعده بستمائة سنة .**

شيد « أرتى سن » للملك منتوحوتب مقبرة بالمعبد الجنائزى بالدير البحرى كما اقام بجوار المعبد مقبرة لشـــهداء الحرب الذين ماتوا فى معــارك حروب توحيد البلاد وأمر الملك أن يدفنوا بجواره

وأقام « أرتى سن » مقبرة لنفسه فى نفس المكان وجد بداخلهـا لوحة تمثلـه وزوجته وأولاده نقشت عليها ألقابه الملكية وما قام به من أعمال جليلة طوال عمله فى خدمة الملك طوال خمسين سنة .

٨ ـ امنمحعت عنخ ـ ١٩٩٠ ق٠م

ثانى مهنـــدسى الدولة الوســـطى المشـــهورين ـ مهندس الملك امنمحعت الاول مؤسس الاسرة الثانية عشرة نقـل عاصمة البلاد من طيبة الى عاصمة جديدة بالقرب من منف اطلق عليها اسم (اثت تاوى) أى (القابضة على الارضين) وقام المهندس « امنمحعت عنخ » بالاشراف على تخطيطها واقامة منشـآتها الرئيســية والقصر الملكى ، كما قام بتشـــييد هرم الملك ومقبرته بمنطقة اللشت .

وتقديرا للاعمال الجليلة التى قام بها مهنـــدس الملك قربه الملك اليه وأشركه فى ادارة حكـم البـــلاد والاشراف على مشروعـات التعمير فى وجهى الـوادى ، ومنحه مجموعة من الالقاب الملكية من بينها لقب صديق الملك الامين وموضـــع ثقته



المهندس رع حتب وزوجته المهندســة الاميرة نفرت ، من اشهر مهندسى الدولة القديمة الذين تركوا بصماتهم واضحة على فن المعمار الفرعونى .

المقدسة ، كما سمح له أن يحمل اسم الملك نفسه لتكون له حقوق مقدساته الملكية من اقامة التماثيل لنفسه ونقش اسمه على أعماله الخالدة . وقد استن كثير من ملوك الاسرة الثانية عشرة نفس التقليد فكرموا مهندسيهم بأن أطلقوا على كل منهم اسم الملك وأطلق على بعضهم لقب الامارة — كما هو الحال فى اسماء عدد كبير من مهندسى الدولة الوسطى والدولة الحديثة الذين سجل التاريخ اسماءهم الملكية فقط فالتبس على بعض المؤرخين حقيقتهم ، فذكروا اسماء الملوك على انهم أصحاب تصميم وتشييد تلك المنشآت ، وتجاهلهم تخليد اسماء بناتها ومنشئيها . أو بناة الحضارة المصرية .

٩ — سنوسرت عنخ ١٩٦٥ ق.م

مهندس الملك سنوسرت الاول ثانى ملوك الاسرة الثانية عشرة . سار على منوال أبيه فكرم مهندسه الاول ومستشاره فى الحكم بأن خلع عليه اسمه فعرف باسم « سنوسرت عنخ » . ونظرا لتقرب الملك لكهنة معبد أون والعودة الى توحيد الاله أتوم رع الذى كان يرمز له بالاهرامات التى توقف بناؤها فى عهد الاضمحلال ، حاول والده الملك امنمحعت بالعودة اليها واحيائها ببناء هرمه باللشت ، فقد كلف مهندسه سنوسرت عنخ بالمساهمة فى تعمير معبد اون ومنشآته وبناء محراب للاله باسم الملك .

وتوج أعماله باقامة مسلته المشهورة أمام المحراب والتى يبلغ ارتفاعها ٢٤ مترا ، احتفالا بعيد السد .

واشتهر سنوسرت عنخ بأنه يجمع بين العمارة وفنون النحت والتصوير ولذا فقد قام بنحت مجموعة من التماثيل للملك والمعبودات ، وأقام كثيرا منها فى معبد أون ، كما قام بترميم وزخرفة كثير من قاعاته وهياكله هدية من الملك لاله المعبد وكهنته .

١٠ — مردى ١٩٥٠ ق.م

ثانى مهندسى الملك سنوسرت الاول ، وامتدت أعماله لتغطى حقبة طويلة من حكم أبنه الملك امنمحعت الثانى . بينما تركزت أعمال سنوسرت عنخ فى مشروعات مبانى أون الدينية والتذكارية بجانب مبانى الحياة التى تشمل القصر الملكى والمبانى العامة والسكنية فقد تركزت اعمال مردى فى انشاء مجموعة سنوسرت الهرمية فى اللشت والمدافن الملكية فيما عدا مقبرة الملك التى شيدها سنوسرت عنخ بنفسه

وقد عثر للمهندس مردى على لوحة فى حفريات اللشت نقش عليها ((أمرنى الملك ان ابنى له مكانا أبديا يكون اسمه أعظم من روستاو (جبانة أهرام الجيزة) وأفخم من أى مكان فى المنطقة المقدسة العظيمة)) .

كما وجدت له لوحة أخرى فى حفريات دهشور سجل عليها انه قام باقامة مبنى خالد يقاوم الزمن ويعيش أبد الدهر بناء على أمر سيده ابن الالهة)) مما يرجح انه مهندس هرم امنمحعت الثانى بدهشور والمماثل فى طريقة انشائه وفن بنائه لهرم والده الملك سنوسرت الاول .

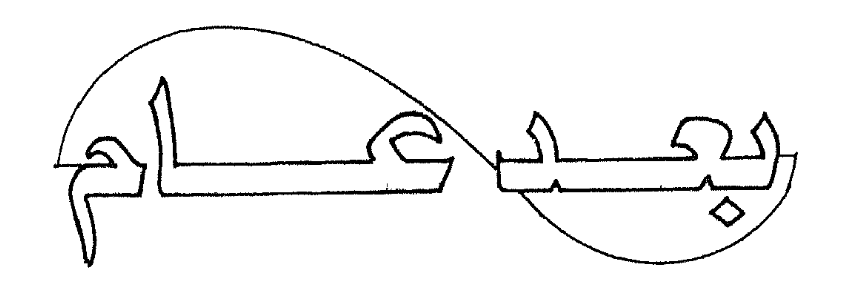
١١ — انتف ١٨٤٠ ق.م

مهندس الملك امنمحعت الثالث — ساهم فى منشآت مشروعات الرى الكبرى من بناء السدود والقناطر والجسور حول بحيرة قارون التى تحولت الى أعظم منطقة زراعية بعد تجفيف ٣٠ ألف فدان وتنظيم ريها وزراعتها .

وفى مقدمة أعماله الانشائية العظيمة اقامة هرم هوارة والمعبد الشرقى ذى الألف حجرة الذى أطلق عليه «هيرودوت» اسم « اللابرانت المصرى » تشبيها بقصر اللابرانت الكريتى الشهير .

وقد اجمع كتاب الرومان والاغريق الذين رآوه انه كان منقطع النظير ، وانه كان يفوق المعابد المصرية جميعها من حيث عظمته ومساحته ونقوشه وتماثيله وعدد غرفه التى لا تحصى ، وكانت اموال قارون الاسطورية تحتل جزءا من خزائنه السرية .

● للبحث بقية ●



مبارك المغربي السوداني
الخرطوم

تولى العام يا دنياى لم تعطف ولم تسال !
ولم تر كيف حال الحال منذ لقائنا الاول !
ومازودتنا ـ حتى القليل ـ لعامنا المقبل !
لانك لم تكن تدرى
بما قد جد من امرى !
وان هواك ـ يا لهواك ـ أضحى غاية المامل !

***

تولى العام والايام تعصف بالمنى عصفا !
فأمسى قربنا بعدا وأصبح أمننا خوفا !
كتمت هواك لكن حال من يهواك لا يخفى !
فوا هم الذى يهوى
ومن لايعرف السلوى
ومن لا زال بعد الجور يرجو اللين والعطف !

***

صفاؤك يانبيل النفس اذكى حر وجدانى !
وسحرك ـ ياعداك السحر ـ اشجانى واورانى !
وهجرك ـ يا سقاك الحب ـ زاد لهيب نيرانى !
ولكنى على العهد
بلا رد .. بلا وعد
فما ترجوه من قلب صبا من حب انسان

***

تولى العام لم ار وجهك الزاهى اناجيه
وقلبى ـ يالهذا القلب مشغول بما فيه !
وعندى من حديث الحب مارقت حواشيه !
فمن يشجيه الهامى
ومن يصغى لانغامى
وانك بكل ماتحويه فى دل وفى تيه !!

عميد الأدب العربي في ذكراه

طه حسين.. وأدب المسرح..

● جلال العشرى ●

ما مر في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندى من أنبائهم طرف
أبو العلاء المعرى

هذا البيت الشعرى الذى أنشده أبوالعلاء ، والذى ردده من بعده مجدد ذكراه ، طه حسين ، بمقدار ماينطبق على شاعرنا القديم ، ينطبق على عميد أدبنا الحديث ... وفرق مابين الاثنين هو أن الانباء التى كانت عند شاعر المعرة ، لم تكن شيئا بالقياس الى الانباء التى صارت عند أديب عزبة الكيلو ، التى لاتبعد عن مدينة مغاغة الا بكيلومتر واحد !

فكما اتصل الادب العربى القديم بالثقافات الاجنبية القديمة عند **طه حسين** اتصل الادب العربى الحديث عنده أيضا بالثقافات الاجنبية الحديثة ، وكما كان أول عمل تولاه في الجامعة المصرية هو أستاذ التاريخ القديم ، اليونانى والرومانى فقد بقى فى هذا المنصب الى أن أصبح أستاذا لتاريخ الادب العربى فى كلية الاداب ، ومن خلال هذا المنصب الاخير بسط **طه حسين** اشعاعاته فى الفكر والثقافة ، فى الآداب والفنون فى التاريخ والحضارة ، حتى كان بحق عميدا لادبنا العربى الحديث ...

ولم تكن قفزة فى الظلام ، تلك التى قام بها طه حسين ، عندما عقد العزم على أن يخوض معركة العبور الى ثقافة الغرب ، فيغزو هذه الثقافة فى منابعها ، ويستوعب أروع مافيها وأنفع ، ليعود الى دياره مناديا بسياسة الانفتاح الثقافى على آداب الغرب وفنونه ، احياء لأدبنا العربى القديم فى ضوء مناهج البحث الاكاديمية ، وتطعيما لأدبنا العربى الحديث بالثقافات الأجنبية المعاصرة .

وكانت نقلة كبيرة وخطيرة التى انتقل اليها أدبنا العربى ، وحمل لواءها طه حسين فاذا كانت آثار محمد عبده وقاسم أمين والمويلحى وعبد الله نديم والبارودى وحافظ وشوقى ومطران ، تمثل نهاية عصر ، فقد جاءت كتابات شباب الادب من الجيل الناشىء فى أوائل القرن ، من طه حسين وكذلك العقاد والمازنى وهيكل وسلامة موسى ممثلة لبداية عصر جديد .

ويكفى أن نطل اطلالة عابرة على فنون الادب فى ذلك الحين ، لندرك مدى ماكان فى هذه النقلة من عمق وخطورة ، فحتى



د . طه حسين : اشعاعات مضيئة في الفكر والثقافة

طوالع هذا القرن ، كان أدبنا العربي ينقسم الى شعر ونثر ، وكان الشعر قديما يحاول التجديد ، وكان النثر كتبا يسيرة وفصولا تنشر في الصحف ، بعضها يمس السياسة ، والبعض الآخر يمس الحياة اليومية ، والبعض الاخير يحاول التعرض لشئون الاجتماع ، أما القليل فهو ماكان يفرغ للأدب الخالص •

وكان عندنا تمثيل نستعير قصصه من اوروبا ولا نكاد نجيد عرضه على النظارة ولعلنا كما يقول طه حسين كنا نسيء الى فن التمثيل أكثر مما كنا نحسن اليه ، ذلك لأننا كنا نشهده للهو وقطع الوقت ، ولا نرقى به الى مرتبة الادب الرفيع • وصحيح أن البعض حاول أن يحدث في الادب فنا جديدا ، حاول المويلحي أن يبدع في فن القصة ولكنه أنشأ المقامة الطويلة ، وحاول حافظ أن يتحدث الى سطيح ولكنه لم يصنع شيئا ، وحاول شوقي أن يقلد الشعراء التمثيليين الاوروبيين فكتب الشعر ، ولكنه على حد تعبير طه حسين « غني فاحسن الغناء ، ولكنه لم يمثل الا قليلا » ، بمعنى أنه لم يكتب مسرحا وانما كتب شعرا •

ولهذا كله ، ألحت الحاجة الى تجديد أدبنا العربي ، وتطعيمه بفنون الادب التمثيلي ، فالثقافة العربية في عصور ازدهارها لم تعرف العزلة ولم تعترف بالانغلاق ، ولم تكد تخرج من نطاق شبه الجزيرة حتى انطلقت الى أفق الثقافة العالمية في ذلك الحين ، الى أن أصبحت هي نفسها لغة الثقافة العالمية في العصور الوسطى ، فاذا أرادت أن تعود من جديد لغة للثقافة العالمية ، فلابد لها من أن تستأنف ذلك الحوار الثقافي بينها وبين ثقافات العالم ، وبالذات بينها وبين الثقافة اليونانية ، على اعتبار أن هذه الثقافة هي أهم الثقافات الاوروبية الحديثة جميعا •

ومن هنا كان اقتناع **طه حسين** بضرورة العودة الى الينبوع ، لأننا لن نستطيع أن نفهم المحدثين الا في ضوء القدامى ، لن نفهم شعر كورني وراسين الا اذا قرأنا **هزيود وهوميروس** ، ولن نفهم مسرح **موليير وجيرودو واندريه جيد** ، الا اذا

طه حسين .. وأدب المسرح

طالعنا مسرح **أسخيلوس وسوفوكليس ويوربيديس**، بل لن نفهم فلسفة **أوجست كونت** الوضعية الا اذا رجعنا الى أصول فلسفة **أرسطو** .

وهكذا جاءت يونانيات طه حسين ، أو كتبه اليونانية الثلاثة : « صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان » ١٩٢٠ و « نظام الاثنين » ١٩٢١ و « قادة الفكر » ١٩٢٥ ، وهي كما هو واضح من عناوينها تغطي ثلاثة ميادين ، لايمكن عزل الواحد منها عن الاثنين الاخرين ، الا وهي الادب والسياسة وتاريخ الحضارة .

أما الكتاب الاخير فيعبر عن فلسفة طه حسين في تاريخ الحضارة ، وكيف أن قيادة المجتمعات كانت أولا في أيدي الشعراء ، ثم انتقلت الى أيدي الفلاسفة ، الى أن وصلت الى أيدي الحكام المفكرين ، على أن القائد شاعرا كان أو فيلسوفا أو حاكما مفكرا ، لم يكن نسيج وحده ولا فريد عصره ، بمقدار ماكان تعبيرا عن بيئته وافرازا لواقع مجتمعه ، وهذا هو أساس اختياره لمن اختارهم من القادة .. **هوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو والاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر** .

وأما الكتاب الثاني فهو ترجمة دقيقة كاملة ، لنص من أهم نصوص التاريخ اليوناني القديم ، يقدم مفهوما واضحا لمعنى الديمقراطية ونشأتها وتطورها باعتبارها دعامة من أهم الدعامات في الحياة السياسية القديمة والحديثة على السواء

وأخيرا يجيء الكتاب الاول الذي عرف بعد ذلك باسم « **من الادب التمثيلي** » ترجمة لمسرحيات عميد الدراما الاغريقية .. **سوفوكليس** ، وهي .. .. **الكترا ، واياس ، وأنتيجونا ، وأويد يبيوس ملكا ، وأويد يبيوس في كولونا ، وفيلوكتيتس** ، وهي المسرحيات التي أقامت مجد المسرح الاغريقي ، وأثرت تأثيرها البالغ في مسرح عصر النهضة بل وفي المسرح الاوروبي الحديث .

وكان هذا كله بمثابة القاعدة النظرية والتطبيقية للانتقال الى المسرح الاوروبي الحديث على اعتبار أن هذا المسرح لا يمكن فهمه أو تذوقه إلا بالعودة الى ينبوعه الاصيل في الدراما الاغريقية ، وتأسيسا على ذلك قام **طه حسين** بترجمة **بعض** روائع المسرح الفرنسي، فترجم ((**أندروماك**)) لراسين ، و « **زاديج** » لفولتير و « **أوديب وتيسوس وبرومثيوس غير محكم الاغلال** » لاندريه جيد .

***

ولم تقف جهود طه حسين عند هذا الحد ، من ترجمة روائع المسرحين الاغريقي القديم والفرنسي الحديث ، بل تصدى للتعريف بأعمال مسرحية كثيرة ، فرنسية أو مترجمة الى الفرنسية ، وهي الاعمال التي أتيحت له فرصة حضورها في المسرح ، أو مطالعتها في الالسنراسيون وهي التي ضمنها كتاب « صوت باريس » وأعيد نشرها في كتاب بعنوان « من أدب التمثيل الغربي » وفي كتاب **آخر بعنوان « من هناك » .**

أما الكتاب الاول فقد عرض فيه **طه حسين** بالتلخيص والتحليل لمسرحيات ((**برسيفونيه**)) لاندريه جيد، و((**سميراميس**)) لبول فاليري . و « **فوز الشعب** » لجول رومان و «**الطائر الحديث** » لستان برنار، وغيرها من المسرحيات الفرنسية ، بالاضافة

الى مسرحيات أخرى مترجمة الى الفرنسية مثل « **كارل وأنا** » للكاتب الالمانى ليونارد فرانك ، و « **العرق الذهبي** » للكاتب الايطالى بيراندللو و « **الدائرة** » للكاتب الانجليزى سومرست موم ٠

وأما الكتاب الاخر فقد عرض فيه **طه حسين** لمسرحيات أخرى كثيرة أهمها ماكان **لادمون جيرو ، وادوارد بورديه ، وبول هرفيو ، وليوبولد مارشان ، وجاك ديفال وبول نيفوا ، وفرانسوا دى كوديل ،** وقد يبدو لنا أن بعض هذه الاسماء غير لامعة فى سماء المسرح الفرنسى ، وأن مسرحيات أصحابها بالتالى لايمكن أن تكون من روائع هذا المسرح ، والواقع أن **طه حسين** بمقدار ماكان حريصا على تقديم روائع المسرح الفرنسى ، كان حريصا فى ذات الوقت على تقديم أعمال أخرى أقل فى المستوى ؛ ليقيم عليها الدرس بالنسبة لمن يحاول كتابة **المسرح فى أدبنا العربى الحديث ٠٠ « ولعلك تسألنى لماذا اخترت هذه القصةالتى لا تخلومن ضعف وعيب، ولى على هذا السؤال جوابان : اولهما أن من الخير ألا نلخص جياد القصص وآيات التمثيل ، بل قد يكون فىاختيار القصص المتوسطة مايمكننا من النقد ويمكننا كذلك من تثقيف الشباب فى هذا الفن الذى لم تستقر به الديار عندنا بعد » ٠٠**

وكان **طه حسين** فى هذا كله ، يشعر بأهمية هذا الدور وضرورته ، أهميةادخال الادب التمثيلى فى ثقافتنا العربية وضرورة تربية الذوق العربى على استطعام مثل هذا الفن من فنون التعبير : « فليس لنا أدب تمثيلىعربىمصرى ، أو غيرمصرى نستطيع أن نعتمد عليه ، ونطمئن اليه ونكتفى به ، وليس لنا أدباء يعنون بترجمة الادب الاجنبى أو نقله الى لغتنا ، وانما أقصى ما نصل اليه ، أن نلخص ونحلل ونتكلف هذه الصورة المقاربة التى قد تعطى القارىء فكرة عن بعض الادب الاجنبى »٠

***

وكم كان عميد أدبنا العربى يشعر بالسخط والالم ، لخلو العربية من هذا الادب المجيد أدب التمثيل ، سواء على



نجيب الريحانى

صعيد الخلق والابداع أو على صعيد النقل والترجمة ، وهو ماعبر عنه بقوله : « وكم كنت أحب أن تقوم الترجمة مقام التلخيص ، بعد أن حرمنا الكتابة والانشاء وكم كنت أحب وقد حرمنا الترجمة أيضا أن ينهض بتلخيص الآداب المختلفة قوم يحسنونها ويتقنون لغاتها اتقانا ، ويلخصونها من أصولها تلخيصا مباشرا ، لا من تراجمها تلخيصا بالواسطة ان صح هذا التعبير » ٠

من هنا كان حرص طه حسين وقد تولى الاشراف على الادارة الثقافية بجامعةالدول العربية أن ينجز من خلال صفوة من الادباء المترجمين ، ترجمة الاعمال الكاملة لعملاقى الشعر التمثيلى على كلا طرفى بحر المانش شكسبير الانجليزى وراسين الفرنسى ، حتى تكون روائع هذين الشاعرين فى متناول القلة الكاتبة والكثرة القارئة ، وهى الروائع الكلاسيكية التى تجىء من حيث القيمة الادبية والتطور التاريخى ، بعد الروائع الاغريقية ، وذلك كله تمهيدا لتذوق الاعمال الحديثة والمعاصرة ٠

وبالفعل صدرت مسرحيات شكسبير فى ثمانية مجلدات تسبقها دراسة وافية

طه حسين .. وأدب المسرح

لحياة وآثار شكسبير في كتاب بعنوان « التعريف بشكسبير » عهد بتأليفه الى عملاق أدبنا العربي عباس محمود العقاد • كما صدرت بعدها مسرحيات راسين في أربعة مجلدات تضم اثنتيعشرة مسرحية ، منها احدى عشرة مأساة وملهاة واحدة •

ومع هذا كله ، لم ينقطع **طه حسين** عن التصدى لروائع المسرح الفرنسى الحديث بالعرض والنقد والتقييم ، بلغته المشرقة وأسلوبه الساحر وتذوقه الرفيع ، منطلقا من الشعور بالمسئولية الثقافية والواجب القومى بازاء هذهالروائع ، فهاهو فيكتابه « ألوان » يتحدث عن المرأة فى أعمال **فولتير** ، كما يناقش قضية الالتزام من خلال تناوله لكتاب « **ما الادب ؟** » **لجان بول سارتر** ومكانة مؤلفات سارتر الادبية والدرامية من خلال فلسفته الوجودية بعامة ، ومبدأ الالتزام بوجه خاص، وكذلك يتناول بالنقد والتقييم رواية « **الوباء** » **لالبير كامى** بحيث ينتهى الى تفضيل مسرحيتى « **كاليجولا** » و « **سوء تفاهم** » على هذه الرواية •

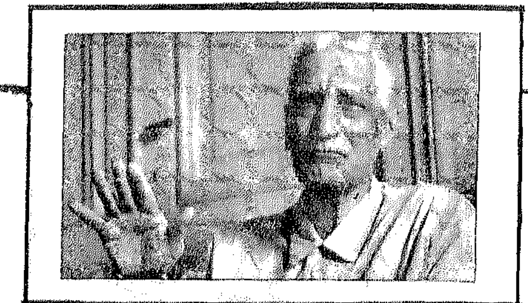
وهاهو أيضا فى كتابه « **فصول فى الادب والنقد**» يتناول بالافاضة مسرحيتين موضوعهما واحد ، أو يوشك أن يكون واحدا ، وعنوانهما واحد أو يوشك أن يكون كذلك ، ومذهب الكاتبين فيهما واحد ، وهما « **ارتجال فرسايل** » لموليير و « **ارتجال باريس** » **لجان جيرودو** وتكمن أهمية هذا التناول فى محاولة **طه حسين** أن يضع أسسا للادب المقارن بعامة والادب المسرحى المقارن بنوع خاص ، وهو ماكان يعد حدثا منهجيا جديدا فى تلك الايام •

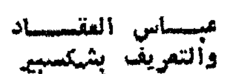
وفى هذا الكتاب نجد عرضا وافيا يلتقى فيه النقد والتقييم لمسرحية **جان جيرودو** الشهيرة « انترميزو » التى ترجم **طه حسين** عنوانها بعنوان « **بين بين** » •

وكأنما كان هذا كله تمهيدا لاستزراع الادب التمثيلى فى أدبنا العربى ، والالحاح على ضرورة الاهتمام بهذا اللون من الآداب الذى لم تخل منه الآداب القديمة ولا خلت منه الاداب الحية • هذا اذا كنا نريد لأدبنا أن يكون حيا هو الآخر ، متنوع القوالب متعدد الاساليب ، يمضى فى كل اتجاه ، ولا يكتفى بالسباحة فى قناة واحدة احدى ضفتيها الشعر والضفة الاخرى هى النثر

لهذا كانت حفاوة طه حسين بالغة ، باستقبال أول عمل ناضج فى أدبنا المسرحى وهو « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، الذى يعد البداية الحقيقية لأدبنا التمثيلى بمقدار ما تعد رواية « زينب » للدكتور هيكل البداية الحقيقية لأدبنا الروائى •

على أن حفاوة **طه حسين** بمسرحية « **أهل الكهف** » لم تحل دون نقدها ذلك النقد العنيف ، الذى فرق فيه الناقد العميد أو العميد الناقد بين الادب المسرحى حين يكتب ليقرأ ، وبين هذا الادب حين يكتب ليمثل ويقدم لجمهور النظارة ، فعنده أن أدب المسرح لايحقق هدفه ولا يتحقق اكتماله مالم يكن صالحا للأداء التمثيلى ، وما لم يقدم فوق المسرح ، ومن ثم راح يعيب على مسرحية ((**أهل الكهف**)) **مايعوق صلاحيتها للاداء التمثيلى ، فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب حتى نسى أن للنظارة حقوقا يجب أن**





عبـــاس العقـــاد
والتعريف بشكسبير

تراعي ، فاطال على حد تعبيره في بعض المواضع وكان يجب أن يوجز ، وفصل في بعض المواضـــع وكان يجب أن يجمل ، وتعمق في بعض المواضـع ، وكان يجب ان يكتفي بالاشارة ، وعند طه حسين أن « هذا العيب عظيم الخطر لانه يجعل القصة خليقة أن تقرأ لا أن تمثل »

***

واذا كان طه حسين قد رحب بمسرحية ((أهل الكهف)) فها هو يرحب بمسرحية « براسكا أو مشكلة الحكم » ترحيبا أكبر لأنه اذا كانت « أهل الكهف » هي البداية الحقيقيــة لأدبنــا المسرحي ، وكانت قد مضت في الاتجاه التراجيدي ، وهو أحد شطري عمود التأليف المسرحي ، فقـــد جاءت « براسكا أو مشكلة الحكم » افتتاحا للاتجاه الآخر ، وهو الاتجاه الكوميدى ، وهذا ماعبر عنه طه حسين في كلامه عن هـــذه المسرحية لتوفيق الحكيم بقوله : « وحسبه على كل حال أنه قد أضاف الى آثاره القيمة أثرا جديدا ، وصـــل فيه أسباب أدبنا المصرى الحديث بأســـباب الكوميديا اليونانية ، وليس هذا بالشيء القليل » .

واذا كان طه حسين قد اهتم بالاعمال المسرحية المطبــوعة في كتب ، فقد اهتم بالمثل بالاعمال المسرحية المعروضــة فوق المسرح ، فاهتمامه بالادب التمثيلي لم يحل بينه وبين الاهتمام بالفن التمثيلي ، حتى يكتمل على يديه شطرا المعادلة المسرحية ، وهذا مانجده بشكل واضح في شهريات مجلة « الكاتب المصرى » حيث كان العميد يوالى بنفسه حضـــور المسرح ، وتغطية عروضه والاشادة بجهود الممثلين ، وحق الدولة على رعاية الفن المسرحي .



توفيق الحكيم : وحفاوة
العميـــد باهـــل الكهف

فهاهو يعرض لمسرحية « سلاح اليوم » لفنــان الـكوميديا المصرى الاول نجيب الريحاني ، فيقول عن هذا الفنان بعد أن يعرض للمسرحية : « والاستاذ الريحاني معلم يعرض دروسه الاجتماعية والخلقية على المصريين منذ اكثر من ربع قرن ،وهو في الوقت نفسه صاحب فكاهة رائعة حلوة مرة في وقت واحـد ، يسلي المصريين عن همومهم وأحزانهم العامة والخاصة منـذ أكثـر من ربع قرن أيضـــا ، فليعـرف المصريون له ذلك وليقدروه قدره » .

ولا يكتفي العميد بهـذا بل نراه يحث الدولة على الاهتمام بفن المسرح ، باعتباره من الفنون الرفيعة ، الجديرة بكل عناية ورعاية حتى على المستوى الجامعي ، فهو يقول ماكان يعد صرخة جريئـة في ذلك الحين ، وربما الى الآن : « وانه لمن المؤلم حقا أن ينفق الاستاذ الريحاني حياته كلها معلما للمصريين ومسليا لهم عن الهمـوم والاحزان ، وأن يؤثر المصريون أنفســهم بدروسه وفكاهته دون أن يجد من الدولة عناية أو تشجيعا ، والغـريب أن الدولة تفكر في انشاء جامعة شعبية ، ولتعذرني الدولة اذا قلت أن مسرح الاستاذ الريحاني هو خير قسم من أقسام هـــذه الجامعة الشعبية » .

وتلك هي عظمة طه حسين العميد بحق لحركتنا المسرحية الحديثة ، رحابة الافق وحســاسية الوجــدان ، ويقظة الوعى ، وحيوية الشعور بضرورة التجديد ، وأهمية الانفتاح على آداب الغرب وفنون العصر ، ومن أكثرها اهميـــة أدب التمثيل وفن المسرح .

●●

شاعر همه الحاضر والمستقبل ..

رتسوس شاعر اليونان

● ماهر شفيق فريد ●

● **حوى احد الاعداد الاخيرة من مجلة ((مقالات عن اللغة والادب)) الامريكية التى تصدر عن جامعة الينوى الجنوبية مقالات عن موضوعات متباينة : الشاعر الميتافيزيقي الانجليزى أندرو مارفل ... اثر ت . س . أليوت على ارنست همنجواى .. فاتحة ((حكايات كانتربرى)) لابى الشعر الانجليزى تشوسر ، ومقاله عن شاعر يونانى حديث سنتوقف عندها هنا ...**

فتحت عنوان « الماضي الكلاسيكي في مونولوجات يانيس رتسوس الدرامية)) كتب الناقد اليونانى كوستاس ميرسايديس ، أستاذ الادب الانجليزى بكلية ولاية وست تشستر ، بنسلفانيا ، يقول : على حين نجد الماضي ماثلا فى كل ادب تقريبا ، فانه لا يؤكد ذاته بقوة متغلغلة تفوق ما نجده في الادب اليونانى الحديث . ففى فترة التطور الكبرى التى طرأت على هذا الادب منذ ١٩٣٠ الى وقتنا الحاضر ، خلق أغلب شعراء اليونان الكبار شعرا مشربا بالماضى الكلاسى والهلنستى الى الحد الذى لا يمكن معه تقييم اعمالهم تقييما جديا دون رجوع الى ذلك الماضى .

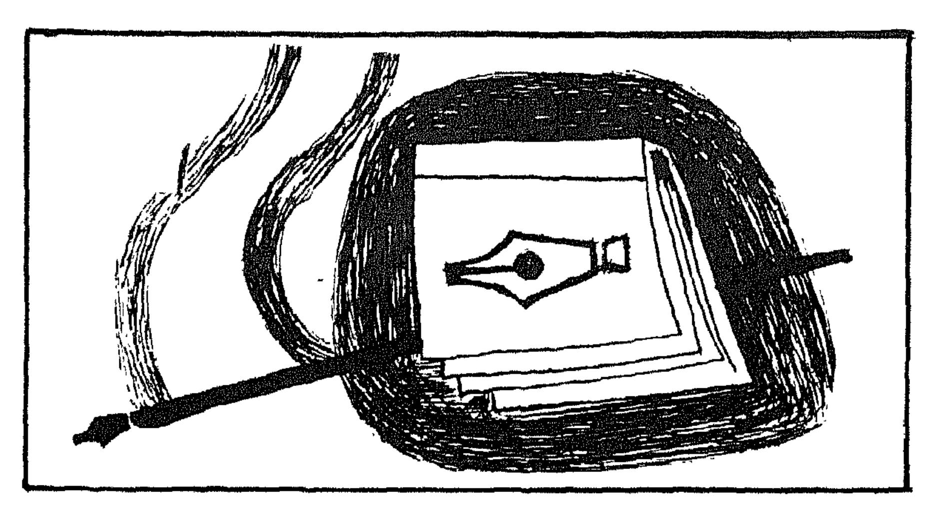
والشاعر اليونانى رتسوس (الذى ترجم بعض قصائده الى العربية الدكتور نعيم عطية) ـ ينظر الى الانسان الحديث على انه حصيلة لامكانات ماضيه . ولئن لاحت هذه الامكانات مختفية في الحاضر، لقد كان واجب الانسان الحديث اذن هو ان يفجر فى ذاته مرة أخرى ذلك المنبع البطولى لعنصره كي يجعله مؤثرا فى المستقبل . وكما انه لابد للانسان الحديث فى أعمال رتسوس من ان يرفض الثقل الساحق لاساطير الماضى التى تذله وتضائل من قامته، فكذلك ينبغي أن يكون له رأي في تقرير مستقبله ، وألا يكتفى ـ مثل الشاعر جورج سفيرس ـ بتحمله

ان رتسوس يرفض نظرة سفيرس. الارستقراطية المتشائمة ، وهى نظرة تعكس توترا كبيرا في الشعر المكتوب منذ الحرب العالمية الثانية ، وترى فى الماضى معيارًا للعظمة ، وزن الانسان الحديث بازائه فوجد ناقصا ... انه ـ بعبارة أخرى ـ يرفض اعتقاد سفيرس المضمر بأنه لا سبيل للتفكير فى المستقبل لانه ليس للإنسان الحديث مستقبل ...

ان اهتمام يانيس رتسوس الباقي انما هو بالحاضر ومعناه للمستقبل . وعلى ذلك فانه ينظر الى الماضى على انه وسيلة لمعالجة مشكلات العصر بحياد تاريخى ، وعبء ينبغى التغلب عليه في آن واحد .

ان الهوية التاريخية لشعب من الشعوب ـ يؤكد رتسوس ـ توجد فى عقله المعاصر . وعلى الانسان الحديث ان يرتاد جوانب ماضيه كما لو كان حاضرا ـ أى متزامنا مع الحاضر ـ وليس كما لو كان ظلا منذرا بالشؤم .

ان الحدث المعاصر يزداد حدة حين يرد



الى أحداث فى الماضى ، مشربا اياهـا بالعصرية . وعلى الانسان الحديث بحسب هذه النظرة ـ اما ان يكيف الماضى مع كشوف الحاضر ويكتشف الزمن على انه كل واحد ، وبذلك يحـرر ذاته من عبء ماضيه الاسطورى ، أو ان يظل الى الابد عبدا للزمن ولغيره من البشر .

كتب رتسوس سلسلة كلاسيكية من أحد عشر مونولوجا دراميا عنـواناتها . البيت الميت / تحت ظل الجبل / اجاكس فيلوكتيتس / أجاممنون / خروسوتيمس هيلين / اسمين / برسفونى / أورست / عودة افجينيا ... وفى هذه الاعمال يبدأ رتسوس بأن يجرد الاساطير الكلاسية من قدمها . ففى قصـيدة « فيلوكتيتس » يخبرنا بأن مهادالقصيدة هو جزيرةلمنوس « ربما » . ونفس هذا الافتقار الى التحدد يتجلى فى قصيدته الدرامية «دمارميلوس» أن هذه القصيدة القائمة على مذبحة سكان مدينة ميلوس ، على أيدى حلفائهم الاثينيين كما وصفها المؤرخ ثوكيدا يديز فى كتابه « حروب البلوبونيز » ، تصـور ثلاث عجائز فقدن حسهن بالزمن يعشـن مع ذكرياتهن فى ميلوس معاصرة ، متوحـدة ومعزولة .

وفى قصـيدة « البيت الميت » ، اذ يستعيد الشاعر الماضى الاسـطورى من خلال ارتباطاته بأحداث وموضوعات ليس موقعها من الزمن فى حد ذاته بالامر المؤكد يترك قارئه معلقا فى الزمن ، لا يدرى ان كان ما يصف قد وقع قبل ميلاد المسيح أم هو من نبت الامس القريب .

● لرمنتوف :

ومن شعر اليونان فى القرن العشرين ننتقل الى الرواية الروسية في القـرن التاسع عشر ، حيث نطوف بأحد الاعداد الاخيرة من مجلة « منبر دراسات اللغات الحديثة » الاسكتلندية ، التى تصدر عن جامعة سانت أندروز . بهذا العدد مقالات عن الفيلسوف الاسكتلندى ديفيد هيوم ، والشاعر ادوين ميور فى نقده للشـاعر الالمانى هولدرلين ، ورواية « الفلاح محدث النعمة » للاديب الفـرنسى ماريفو . ثم هناك مقالة عنوانها « عناصر شيطانية فى خلق بتشورين في رواية لرمنتوف » بطل من زماننا .. بقلم هيدى فالتى .

ولرمنتوف ـ كما هو معلـوم ـ روائى وشاعر روسى من القرن التاسـع عشر صور فى روايته « بطل من زماننا » (التى نقلها الى العربية المرحوم سامى الدروبى) نموذجا « هاملتيا » حديثا لبطـل روسى معذب يعكس أزمات الضمير الحديث .

تقول كاتبة المقالة : منذ ظهرت رواية لرمنتوف لاول مرة عـام ١٨٤٠ والبعض يرميها بالرومانسية ، بينما يرميها اخرون بالاسراف فى الواقعية الاجتمـاعية . ونتيجة لذلك غفل النقاد الى حد كبير عن القيمة الادبية لاسـتخدام الرواية عنصر الشـيطنة الاسـطورى . . .

●

أفكار للمناقشة من أجل ..

إحياء التراث العربى

● عبد المنعم محمد عمر ●

● التراث ، هو ما خلفته حضارة امة من الامم منذ بداية وجودها وصراعها في سبيل التطور والارتقاء فى سلم المدنية .. فهو الانتاج الحضارى الذى انبعث من خصائص ومميزات هذه الامة المتأثرة بالبيئة التى نشأت فيها ، وبما مر بها من تجارب واحداث طبعتها بطابع خاص ، فكونت لها ثقافتها وخلقت لها مميزاتها التى ميزتها عن غيرها من الامم ، كما كونت لها انماط عاداتها وتقاليدها واخلاقها التى تمتاز بها .

والتخطيط لاحياء التراث بهذا المعنى الواسع الذى ذكرناه يحتاج الى تضافر لفيف كبير من الباحثين بحيث يتناول كل واحد منهم الناحية التى يتخصص فيها ، ولذلك فسيكون بحثنا فى هذا المقال مقصورا على التخطيط لاحياء التراث العربى المحفوظ في المخطوطات، وذلك لانها هى الوعاء الذى احتفظت فيه الحضارة الاسلامية العربية بتفكير علمائها ، وانتاج ادبائها وحكمائها ، وشعر شعرائها ، وما ألفه غيرهم من قادة الفكر فى جميع انواع العلوم والفنون والمعارف منذ بزوغ النهضة العلمية الثقافية فى فجر الاسلام .

ولهذا التراث العظيم المحفوظ فى تلك المخطوطات نواح علمية وروحية وأدبية وفنية وثقافية متعددة نذكر منها :

١ ــ التراث من الانتاج الفكرى العلمى وهو الذى كان له اثره فى خلق العلوم التى استعان بها المسلمون على بناء الحضارة وهو الذى ساعد على التغلب على المصاعب والاخطار التى اعترضت سبيلهم فى هذه الحياة ، ومكنتهم من التغلب على البيئة الطبيعية التى عاشوا فيها والسيطرة عليها ، فقد درسوا الارض وما عليها من حيوان ونبات وجماد وماء وغازات ، وما تحتها من مختلف المعادن والثروات ،ومايحيط بها من هواء ، وما فوقها من سماء بما فيها من شمس وقمر وكواكب وافلاك ، ثم درس الانسان العربى نفسه من جميع النواحي ...

٢ ـ وتراث الانتاج الفكري الروحي والادبي هو الذى سما بالانسان وارتقى به جيلا بعد جيل ، وهو الذى يميز كل أمة عن الأخرى ، لان الشعوب تعبر به عن القيم الروحيه والثقافية وفلسفة العادات والتقاليد الموروثة .

وتعتبر اللغة اهم عناصر هذا الانتاج، لانها هى الوسيلة التى اتخذها الانسان للتفاهم مع غيره ، وللتعبير عن انتاجه الفكرى ، وعما يجيش فى صدره من معان وافكار وآراء ، وهى الوسيلة التى استعان بها لحفظ انتاجه الفكرى ، ونقله عبر الأجيال والعصور عن طريق الحفظ فى الصدور ، وعن طريق التدوين والتسجيل بالكتابة فوق الحجارة ، وعلى مبانى المعابد والهياكل والتماثيل ، ثم على المخطوطات التى حفظها لنا ورق البردى والرق والجلد المدبوغ والورق،وغير ذلك مما حفظه لنا التراث الذى تعتز به كل امة من امم العالم .

٣ ـ والتراث الفنى هو ذلك الانتاج الذى خلفته الاجيال المتعاقبة من ابناء الشعب على مدى تاريخه منذ بدايته حتى عصرنا هذا ، لتعبر به عن نفسها بواسطة الفنون المختلفة ، مثل الرسم والنقش والتصوير ، والنحت ، وانواع الخط ، والتذهيب ، والفولكلور ، والموسيقى ، وغير ذلك من الفنون التى لا يسهل حصرها ، ولم يكتف الانسان بانتاجها ولكنه دون لها أوصافا ،وسجل عنها أفكارا ، وهذا النوع من التراث هو وسابقه من اهم المميزات التى تميز أمة عن غيرها من الأمم الأخرى .

● احياء التراث واثره فى نهضة الشعوب ●

اذا اجمعت امة من الامم على ان تنهض بنفسها ، فان أول ما تلجأ اليه هو البحث فى منبع اصالتها ، الضارب فى أعماق تاريخها لتستخرج من تراثها ما يفيد فى تجديد شبابها ، وما يصلح ان تتخذ منه دعامة لنهضتها ، لان هذا التراث هو الجذور التى اذا احسن تعهدها ورعايتها فى الارض التى خلقت فيها فانها تنمو نموا قويا ، وسرعان ما تزدهر ، وبذلك تجتاز الأمة محنتها ، وتتغلب على ما يصادفها من عوائق ، والتاريخ مملوء بالنهضات التى اعتمدت فيها الشعوب على تراثها لخلق يقظة فكرية تسمو بها .

وقد ضربت الأجيال الاولى من المسلمين اروع الامثلة ، فى خلق الحضارة الاسلامية وبنت ذلك على التعاليم والروح الجديدة السامية التى اتى بها الدين الاسلامى ، ذلك انهم ادركوا ، منذ الوهلة الاولى فى حياتهم الجديدة ، ان الدين الاسلامى وما يحوى من تعاليم سامية هو الذى وحد صفوفهم ، وخلق منهم لأول مرة فى التاريخ امة واحدة ، متاهبة للسير صفا واحدا ، وقلبا متحدا نحو هدف سام واحد ، ولها حكومة مركزية موحدة تقودهم نحو هدفهم ، وان هذا الدين هو الذى اخرجهم من رعى الغنم والابل فى وديان وواحات شبه الجزيرة العربية الى ملك متسع الاطراف وجاه عريض ، ولذلك فانهم اقبلوا على دراسته ، واتخاذ كل الوسائل للمحافظة عليه ، مما ادى الى نهضة ثقافية علمية الغرض منها هو المحافظة على الدين الاسلامى ، والعمل على نشره وبيان اصوله وتعاليمه .

وكانت اولى وسائلهم هى الاستعانة بالتراث الجاهلى ، وقد جلس علماء الصحابة والتابعين ، بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى يعلمون الناس أمور دينهم ، فيفسرون لهم القرآن الكريم ويستنبطون منه الأحكام الشرعية ، معتمدين فى ذلك على معرفتهم بالسنة النبوية ، وعلى علمهم باللغة العربية والشعر الجاهلى ، ولذلك « كانوا يحضون الناس على رواية الشعر الذى هو حكمة العرب فى جاهليتها واسلامها ، وديوانها الذى أقامته مقام الكتاب لما تقدم من مآثرها وايامها ، فكانوا يتناشدونه فى مجالسهم ، ويتذاكرونه فى محافلهم (١) ».

وكان هؤلاء الرواد الأوائل يحفظون الحديث الشريف حفظهم للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، كما يحفظون الشعر



(١) ابو بكر محمد بن حسن الزبيدى : مقدمة كتاب طبقات النحويين واللغويين .

الجاهلي ، متاثرين في ذلك بالعادات والتقاليد الموروثة عن الجاهلية في حفظ التراث وانتقاله من جيل الى جيل ، وهكذا نمت شجرة العلوم الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية ، وظلت تلك العلوم والآداب والمعارف تنتقل طوال عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية من صدر علماء الصحابة الى صدور تابعيهم حتى تطورت النهضة الحضارية الاسلامية الاولى الى الاعتماد ، بجانب الحفظ في الصدور ، على التدوين .

وفي اواخر الدولة الأموية بدات ترجمة العلوم والآداب التي ورثهما المسلمون عن تراث حضارات الأمم القديمة دون تشجيع من الخلفاء الامويين ، ولكن العباسيين نهجوا منهجا آخر ، فقد اقبلوا هم واولادهم ووزراؤهم ، واقتدى بهم كبار الموظفين والاغنياء ، على دراسة العلوم **والمعارف عند الشعوب القديمة وعلى تشجيع ترجمتها الى اللغة العربية ، واقبلوا على ذلك اقبالهم على تشجيع دراسة العلوم الدينية الاسلامية والتاريخية وعلوم وآداب اللغة العربية، فكانت هذه هي النهضة العلمية الثقافية الثانية التي اعتمد فيها المسلمون على تراث الامم القديمة في بناء صرح الحضارة الاسلامية ، اذ التقت وتعاونت الثقافات والعلوم القديمة بالعلوم والثقافة العربية الاسلامية ، وبذلك انفتحت آفاق واسعة للبحث والتاليف والترجمة امام المسلمين وامام من كان تحت حكمهم من النصارى النساطرة ومن اليهود ، وبدات ثمار هذا اللقاء تؤتي أكلها ، فازدهرت الحضارة الاسلامية ازدهارا عظيما ، وتضخم الانتاج الفكري ، وانتشرت الكتب المخطوطة في شتى العلوم والفنون والمعارف عند المسلمين « واقبل العرب على اقتناء الكتب المخطوطة اقبالا منقطع النظير يشبه الى حد كبير شغف الناس في عصرنا هذا باقتناء السيارات والثلاجات واجهزة التليفزيون ! ..**

« واصبحت الكتب عند العرب هي مطلب كل من يستطيع تحمل نفقات الحصول عليها ، واقبل الناس على اقتنائها بلهفة متزايدة لم يعرف لها التاريخ من قبل مثيلا ، ونمى العشب في الأرض الطيبة ففي عام ٨٩١ م يحصى مسافر عدد دور الكتب في بغداد باكثر من مائة ، وبدات كل مدينة تبنى لها دارا للكتب يستطيع عمرو او زيد من الناس استعارة ما يشاء منها (١) » .

ويقدر الخبراء ان عدد ما بقي من مخطوطات التراث العربي المبعثرة في شتى انحاء العالم بمليونين من المجلدات، وانه يوجد منها في مكتبات اسطنبول وحدها وفي متاحفها الوطنية ما يزيد على ثلث هذه الكمية من المخطوطات . . .

● التراث العربي واثره في الحضارة الانسانية ●

نكتفي في هذا الموضوع بذكر النواحي الآتية :

اولا : كان لترجمة تراث الحضارة العربية في أسمى مستوياتها الى اللغة اللاتينية والى غيرها من لغات الشعوب الاوروبية ، كان لذلك أكبر الاثر في احياء عصر النهضة الاوروبية ، واخراج تلك الشعوب من ظلمات القرون الوسطى وهذا هو الاساس في بناء الحضارة الانسانية المعاصرة .

ثانيا : كان اساس النهضة الروحية والتعليمية التي شملت جميع نواحي المجتمع في البلاد العربية في العصور الحديثة هو الاعتماد على احياء تراث السلف في ازهى عصوره ، فقد اعتمد على ذلك المصلحون من امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب .

(١) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٥ - ٣٨٦

ثالثا : الاستعانة باحياء التراث العربى تساعد على حل المشاكل المدنية التى تواجه الشعوب العربية نتيجة للحضارة المادية التى وفدت عليها من الغرب والشرق وبخاصة فى المجالات الآتية :

١ — محاربة التيارات الشرسة الوافدة من الشرق والغرب بفرض محاولة القضاء على الاسلام وعلى اللغة العربية وعلى القيم الانسانية فى المجتمع الاسلامى .

٢ — حل مشاكل المدنية المعاصرة التى خلفتها الحضارة المادية الاوروبية فى العصر الحديث وذلك بالاستعانة بالتراث الدينى وبخاصة فى الفقه لتنظيم مشاكل الحياة بما يتفق مع مبادىء الدين الاسلامى مثل تنظيم أعمال البنوك ، وشركات التامين وتنظيم النسل ، والسفور والحجاب وتنظيم العلاقات مع الدول الاخرى غير الاسلامية .

رابعا : تطوير النهضة الفكرية الحديثة فى العالم العربى والاسلامى والاستعانة بالتراث فى انجاز الكثير من المشروعات الثقافية والعلمية التى يتطلبها التقدم الحضارى مثل :

١ — اصدار دائرة معارف اسلامية يكتبها المسلمون .

٢ — اصدار دائرة معارف للآثار الاسلامية .

٣ — كتابة المعاجم المختلفة لجميع العلوم والفنون وبخاصة ما يحوى المصطلحات العلمية منها .

٤ — كتابة تاريخ العلوم والفنون الاسلامية كل منها على حدة مما يبين مدى ما أسهم به المسلمين فى بناء الحضارة الانسانية .

● التخطيط لاحياء التراث العربى ●

اذا أجمع المسلمون أمرهم على احياء التراث العربى الذى لا يزال قسم كبير منه حبيسا فى المخطوطات المبعثرة فى شتى مكتبات العالم ومتاحفه وفى حيازة الهيئات والافراد ، فلابد من التعاون . بين جميع البلاد العربية والاسلامية تعاونا مبنيا على التخطيط العلمى المدروس دراسة يقوم بها المختصون لوضع المنهج الصحيح واقتراح الوسائل التكنولوجية الحديثة ثم توفير الاموال اللازمة للتنفيذ ، وأهم عناصر التخطيط هى :

اولا : جمع مخطوطات التراث العربى .

يتضح مما ذكرناه ان المنهج السليم للتخطيط لاحياء التراث العربى يجب ان يسير وفق خطوات تبدأ بالعمل على تجميع مخطوطات هذا التراث المبعثرة فى أرجاء العالم على ان نبدأ على النحو التالى :

١ — يعنى كل بلد عربى بتجميع ما يملك من هذه المخطوطات ، فيبدأ بتسجيلها سواء فى ذلك ما كان فى المكتبات او المتاحف أو المساجد او فى بعض المنشآت أو عند بعض الافراد . وقد سبق لدار الكتب المصرية ان أعدت مشروع قانون يضمن تحقيق ذلك ، كما يضمن لحائزى هذه المخطوطات حقوقهم . وعرض المشروع على « مجلس الأمة » ووافقت عليه لجنة الخدمات (انظر ملحق الجلسة الخامسة عشر بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٦٨) — وأوصت باصداره ، ولكنه لم يصدر.

٢ — المخطوطات التى لا تزال موجودة فى اماكن لا تستطيع صيانتها بالطرق العلمية الحديثة ولا تستطيع تيسير عرضها لانتفاع العلماء والباحثين بها — يحسن نقلها الى المكتبة القومية أو الى أقرب مكتبة تكفل كل ذلك ...

٣ — تسربت غالبية مخطوطات التراث العربى من بلادها الى مختلف ارجاء العالم ، للظروف التى شرحناها من قبل ، وثلث مجموع الموجود منها فى العالم كله محفوظ فى تركيا ، وليست هناك وسيلة لاسترداد هذا التراث ، وبعض تلك البلاد لا تجد الوسيلة الكافية للمحافظة عليه والمرجو أن تضع البلاد

العربية خطـــة لتصوير هذا التراث بالوسائل التقنية الحديثة وفق خطـــة مدروسة ، علما بأن جميع الجهود التى سبق بذلها فى هذا السبيل لم توفق الا لجمع مصورات جزء صغير من تلك المخطوطات .

٤ ـ يمكن ان تنشىء احدى الدول العربية ، او ان تتعاون كلها على انشاء مركز ثقافى فى اسطنبول يعنى بدراسة مخطوطات التراث العربى المحفوظ هناك وترتيب تصويرها وفق حاجة العلمـاء والباحثين اليها .

٥ ـ نرجو ان نوجه النظر الى ان الكتب العربية المطبوعة . وكـــذلك الجرائد والدوريات التى صـــدرت فى الأقطار العربية فى بداية نهضتهـا الحـديثة ، هى أهم مراجع دراسة نشأة هذه النهضة . وكذلك دراسة تطور العلوم والفنون فى هذه البـــلاد منذ فجر تاريخها المعـــاصر ، ولذلك ينطبق عليها كل ما نقترحه من اجـل مخطوطات التراث العربى .

ثانيا : المحافظة على مخطـــوطات التراث بالطرق العلمية .

١ ـ أن المحافظة على كل ما نستطيع جمعه من مخطوطات التراث وترميمها ، وقتـــل الحشرات التى قد تصيبها ، وكذلك ترميم الجـــرائد والدوريات القديمة ، ان ذلك أصبح علما تجريبيا له قواعده ، ويحسن الاعداد لدراسة كل ذلك والتدريب على تنفيذه ، ويحسن ان توفد البعثـــات اللازمة للمشتغلين بذلك من ابنائنا ، علمـــا بأن قانون تسجيل المخطوطات السابق ذكره يلزم دار الكتب القـــومية بترميم وصيانة ما يمتلكه الحائزون الآخرون .

وقد سبق أن انشأت دار الـكتب فى الستينات قسما لهـــذا الغرض واستقدمت له خبيرا ، وأوفـدت بعض الشبان للتدريب فى الخارج ، وحبـــذا لو حذت المكتبات الجامعية التى تمتلك المخطوطات حذو دار الكتب القومية . .

٢ ـ للمحافظة على المخطوطات التى نمتلكها ينبغى ان نصورها بالوســائل العلمية الحديثة التى تطورت تطـــورا كبيرا فى الحقبة الاخـيرة ، فيمكن ان تصور بالميكروفيلم ، او ان تصور على الورق مباشرة وغير ذلك ، ولكل طريقة ميزاتها ومضارها ، فالميكروفيلم يحتاج الى بذل عناية خاصة والى دقة عنـد حفظه . وتستطيع كل مكتبة ان تقرر انجح الوســـائل وأرخصها بالنسبة لظروفها .

٣ ـ عند التصـــوير بالميكروفيلم يحسن ان تحفظ صورة فى المكتبة التى تملك المخطوطات وترسل الصورة الثانية الى المكتبة القـــومية ، وبذلك تتحقق المزايا الآتية :

(أ) الاحتياط ضد الـكوارث أو الحوادث غير المنتظرة .

(ب) ضمان جمع مخطوطات التراث فى مكان متوسط لمساعدة الباحثين من ارجاء الجمهورية .

(جـ) اذا اتبعت هـذه القاعـدة فى الاقطار العربية الاخرى تستطيع المكتبات القومية ان تتبادل اعارة المصورات بما يضمن توسيع وتيسير سبل الاستفادة منها .

٤ ـ يحسن ان تساعد الدول الغنية الدول التى لا تستطيع ان تملك الوسائل الحديثة بوحـــدات متنقلة لتصوير مخطوطات التراث ، وقـد قامت دار الكتب المصرية بتصوير بعض المخطوطات من اليمن الشمالية .

ثالثا : الوســـائل الببليوغرافيـة للتعريف بالتراث .

ان التعريف بمخطـوطات التراث ، واماكن وجودها شرط أســاسى لازم لجميع العلماء والباحثين حتى يقصـــد كل واحد منهم المكان الذى يجد فيه المخطوط الذى يحتاج اليه لاتمام بحوثه ونحن ننصح من التجارب باتباع ما يأتى :

١ ـ تقوم كل مكتبة عند تسجيل مخطوطاتها على النحـو الذى ذكرناه ، بارسال نسخة من كل بطاقة تنجزها الى المكتبة القومية ، وبذلك تجمع هذه

المكتبة اصول فهرس مجمع للمخطوطات الموجودة في بلادها .

٢ - تقوم كل مكتبة قومية عربية بنشر فهرس كلما تجمعت لديها المواد الكافية لاصداره .

٣ - يقتضي الامر وضع سياسة مدروسة للتنفيذ ، ووضع قواعد موحدة يلتزم باتباعها المكتبات فى القطر الواحد ، وفى البلاد العربية الاخرى وبخاصة في النواحي التالية :

(ا) هل تقتصر الفهارس التي تصدر على ذكر بعض المعلومات الضرورية لوصف المخطوط والتعريف به ، وذلك تيسيرا لانجاز هذا المشروع الضخم ، واسوة بالفهارس التى اصدرتها دار الكتب المصرية عن المخطوطات التى اقتنتها بين سنة ١٩٣٦ - سنة ١٩٥٢ ؟

(ب) ام هل يكون الفهرس شاملا للمعلومات الوصفية الوافية عن كل مخطوط مثل المعلومات الواردة فى فهرس مخطوطات مصطلح الحديث الذى اصدرته دار الكتب سنة ١٩٥٦ ؟

(ج) او هل يحسن وضع قواعد تكون وسطا بين الايجاز والاطناب ؟

(د) ضرورة الاتفاق على قواعد ترتيب اسماء المؤلفين العرب في الفهرس حتى تصدر فهارس المؤلفين وفق قواعد موحدة .

٤ - العناية بجمع نسخ من فهارس اكثر المكتبات التى تقتنى مخطوطات عربية فى مكان مخصص لذلك فى المكتبة القومية وفى بعض المكتبات الجامعية حتى يستطيع العلماء والباحثون معرفة المكان الذى يوجد فيه نسخ كتاب معين أو جزء من ذلك الكتاب . وقد سبق أن جمعت دار الكتب المصرية عددا كبيرا من فهارس المكتبات الاخرى فى حجرة خاصة يسرت للباحثين الاستعانة بها كما اصدرت فهرسا يعرف بما جمعته منها .

٥ - العناية بترجمة ونشر المراجع الببليوغرافية الهامة التى تصدر عن التراث العربى الموزع فى أرجاء العالم ، وقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بترجمة ونشر ستة اجزاء من كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، وكذلك نشرت هيئة الكتاب في مصر مجلدين من ترجمة مؤلف فؤاد سزكين ونحن نرجو لكل من يعمل فى هذا الميدان التوفيق في اتمام ما يبدأ بعمله فى فترة زمنية مناسبة .

٦ - ينبغى أن تنصرف جميع الجهود لتيسير اطلاع الباحثين على المصورات وان يكون الاطلاع على المخطوط نفسه في حدود ضيقة جدا عندما يريد الباحث او المحقق وصف المخطوط ، ولذلك نرجو العناية بما يأتى :

(ا) لصعوبة الاستفادة من الميكروفيلم يجب أن تيسر كل الصعوبات بحيث يحصل المحقق او الباحث على مصورة مكتوبة على الورق دون ارهاق مادى ، ويمكن تيسير ارسال المصورة الى مكتبة عامة أو جامعية قريبة من الباحث عن طريق الاعارة ثم استردادها بعد الانتهاء منها .

(ب) العناية بتوزيع ما ينشر من فهارس المخطوطات على المكتبات العامة والمكتبات الجامعية فى جميع ارجاء البلاد ، وبذلك نيسر لهذه المكتبات ان تصبح مركز بحث علمى للتراث ، ولا يحتاج المحقق أو الباحث الى كثرة النزوح الى المكتبة القومية بالقاهرة أو الى عواصم البلاد العربية .

٧ - الاستعانة بالمجلات العلمية والادبية لنشر اخبار ما نعثر عليه من المخطوطات الجديدة او من مصورات لنفائس المخطوطات ، او للاعلام عن الفهارس المختلفة التى تنشر ويحسن تخصيص باب في تلك المجلات لذلك . وحبذا لو أمكن تخصيص مجلة لموضوعات التراث العربى واحيائه .

٨ - يجب أن يكون بين دار الكتب القومية والمكتبات والهيئات الاخرى المهتمة بالتراث العربى خارج الجمهورية صلات تبادل وتعاون وثيق فى المعلومات ، وعن المطبوعات على اختلاف انواعها، وان

يكون كل ما تجمعه من تلك المعلومات ميسراً للجامعات في مصر والمكتبات الاخرى التي تهتم بمخطوطات التراث مثل مكتبة الاسكندرية ومكتبة الجامع الازهر .

٩ ـ المرجو أن تعنى المكتبات المصرية التي تملك مجموعات من أوائل الكتب العربية المطبوعة او من أوائل الدوريات والجرائد العربية . المرجو أن تعنى بارسال بطاقات تفهرس لما تقتنيه منها الى دار الكتب القومية حتى تستطيع هذه الدار اصدار الفهارس المجمعة لما هو موجود في مصر من هذه المطبوعات النادرة استكمالا لجهودها السابقة في التعريف بهذين النوعين من التراث .

رابعا : التراث من الدوريات والجرائد وصيانته .

هذا النوع من التراث من اهم انواع الوثائق التي لا غنى عنها لدراسة تاريخنا الحديث والمعاصر من جميع نواحيه ، وهو من أكثرها حاجة الى العناية بحفظه ، فهو مطبوع على نوع من الورق سريع التلف ، وليس من اليسير الاحتفاظ به امدا طويلا ، وتيسير البحث فيه صعب من عدة نواح ، فليس من السهل نقله من مكان لآخر ، كما ان تصوير احدى مجاميعه على الورق ليس امرا سهلا .

واهم ما ننصح به لهذا التراث :

١ ـ ضرورة استكمال مجاميع الجرائد والدوريات المخرومة ويمكن استكمال ذلك عن طريق التبادل مع المكتبات بالاعداد الزائدة عند كل منها مما يصلح لغيرها .

٢ ـ ضرورة تصوير هذه المجاميع بالميكروفيلم للاحتفاظ بها في المكتبة .

٣ ـ تيسير الاطلاع على الاصول تحت رقابة مشددة للمحافظة عليها .

٤ ـ تيسير تصوير بعض المقالات على الورق مساعدة للباحثين .

خامسا : احياء تراث وثائق التاريخ القومي الحديث والمعاصر .

الوثائق هي المنبع الذي يمكن ان تؤدي دراسته الى فهم تاريخنا القومي واعادة بحثه وكتابته على أساس علمي صحيح ، ويمكن ان تغني مؤرخينا عن الاعتماد على اساتذتهم الغربيين الذين يكتبون دائما مستعينين بوثائق منحازة ضد العرب والمسلمين . والعناية بجمع هذه الوثائق وتنظيمها وتيسير بحثها ليست حتى الآن كافية .

وسنحاول ان نوجز الكلام في هذه النواحي نظرا لان عناصر هذا الموضوع تحتاج الى دراسة مطولة :

١ ـ الحاجة ماسة لرسم الخطط الكفيلة بجمع وثائق تاريخنا القومي الحديث والمعاصر من أماكن وجوده في الجهات الحكومية المختلفة ، وكذلك ما هو موجود لدى الافراد من وثائق ومذكرات . واهم هذه الجهات هي : دار المحفوظات بالقلعة ، دار الوثائق القومية ، رياسة مجلس الوزراء ، ارشيفات الوزارات والمصالح الحكومية وبخاصة وزارة الخارجية ووزارة الاوقاف والمحكمة الشرعية العليا ، وملفات القضايا السياسية التي اعتبرتها السلطات البريطانية جنائية ابتداء من ثورة مصر بقيادة عرابي وثورة مصر سنة ١٩١٩ وما بعدها .

٢ ـ تزخر ارشيفات كثير من البلاد الاوروبية والامريكية وكثير من مكتباتها بالوثائق التي توضح علاقاتها بالبلاد العربية والاسلامية . وتملك تركيا مجموعات ضخمة من الوثائق المكتوبة باللغة العربية وباللغة التركية القديمة ، وهذه كلها وثائق تجب دراستها من وجهة النظر العربية لاعادة كتابة تاريخنا القومي ، ولذلك فان الحاجة ماسة لجمع اكثر مايمكن جمعه من صور هذه الوثائق او ما نشر منها .

٣ ـ ضرورة العناية بترميم وصيانة وتنظيم كل ما نستطيع جمعه من داخل البلاد ومن خارجها ثم فهرسة ما نجمع ثم نشره تيسيرا للبحث العلمي .

٤ ـ اقامة بناء ، وفق أحدث النظم ، لحفظ وتنظيم الوثائق الموجودة

حاليا ويتسع لما نستطيع جمعه من الداخل والخارج ولما يستجد منها فى المستقبل ، كما يوفر الاماكن الصالحة للدارسين وللمراجع الهامة التى يحتاجون اليها ، وضرورة تزويد هذه الدار بما يلزمها من آلات التصوير والاستنساخ الحديثة ، ويحسن ان يكون هذا المبنى بجوار مبنى دار الكتب القومية .

٥ ــ العناية بتوفير المترجمين الذين ينهضون بترجمة الوثائق المكتوبة بلغات لا يتيسر لكثير من الباحثين معرفتها مثل الوثائق المكتوبة باللغة التركية القديمة .

٦ ــ نشر مجموعات الوثائق التى زالت سريتها بعد الفترة المقرر فيها هذه السرية ، ويكون النشر فى فترات منتظمة وكذلك نشر ما يمكن ترجمته من الوثائق الاجنبية .

٧ ــ نشر الفهارس التى تعرف لما يمكن جمعه من الوثائق أو صورها .

٨ ــ وضع الخطة اللازمة للنهوض بمستوى حفظ الوثائق فى ارشيفات الوزارات والمصالح الحكومية .

سادسا : احياء تراث البرديات العربية وصيانته .

التراث البردى نوع من أهم أنواع مخطوطات التراث العربى ، لانه اصل من الاصول اللازمة لدراسة تاريخ مصر الاسلامية . ويوجد منها مجموعات كبيرة بدار الكتب القومية . وقد اختار المستشرق جروهمان مجموعة منها وكتب عنها للدار بحثا فى عشرة مجلدات باللغة الانجليزية ، ونشرت الدار ترجمة عربية لأغلب هذه المجلدات ، ولكن جروهمان لم يعن بتسجيل هذه المجموعة ولا بفهرستها ، ولذلك انتدبت الدار الدكتور عبد العزيز الدالى احد الخبراء المصريين فى الستينات وقام بتسجيل قسم كبير منها تسجيلا علميا ، وفهرس لكل ما سجل فهرسة وصفية دقيقة وفق القواعد التى اقرتها الدار بالاتفاق مع هذا الخبير .

ويوجد فى كثير من المكتبات الاوروبية مجموعات من اوراق البردى العربية مثل مجموعة الارشيدون رينر المحفوظة فى المكتبة الاهلية بفيينا ، واغلب تلك المجموعات لم يستكمل تسجيلها ولا فهرستها ، ونحن نستطيع ان نحيى هذا التراث وبخاصة الموجود منه فى مصر حتى يمكن ان نخدم دراسة التاريخ الاسلامى ، وذلك على الوجه التالى :

١ ــ تسجيل وفهرسة المجاميع التى نمتلكها استكمالا للجهود التى بدات بها دار الكتب القومية ، وكذلك المساعدة فى تسجيل وفهرسة بعض المجموعات المحفوظة خارج مصر .

٢ ــ تصوير المجموعات التى نملكها بالوسائل الحديثة ، وكذلك اخذ نسخ مصورة بالميكروفيلم مما يحتفظ به غيرنا وبخاصة ممن نساعدهم فى تسجيل وفهرسة ما يملكون .

٣ ــ تيسير دراسة هذه المجموعات بكافة الوسائل وبخاصة باستنساخ صور على الورق منها وتكبير هذه المصورات عند اللزوم .

٤ ــ التشجيع المجزى على نشر هذه الدراسات المضنية على غرار ما فعلت دار الكتب القومية مع المستشرق جروهمان ، فقد قامت بنشر هذه الدراسات على نفقتها ، وكافات الباحث عن كل جزء مكافاة مالية مجزية .

● الخاتمة ●

واخيرا ... فان وضع الخطة الاستراتيجية لاحياء التراث العربى تستلزم دراسة الكثير من الموضوعات الهامة ، ولكل منها ميادينه الفسيحة ، وقد حاولنا جهد الطاقة ان نوضح معالم الطريق ، آملين ان يكون فى هذا البحث ما يساعد على رسم السياسة والتخطيط لاحياء التراث العربى تخطيطا يقوم على العلم الحديث والتطور التكنولوجى المعاصر .

● عبد المنعم محمد عمر ●
المدير العام لدار الكتب والوثائق المصرية ووكيل وزارة الثقافة السابق ، ورئيس لجنة احياء التراث بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية

عودة العمر

● ابراهيم صبرى ●

كشفَ الوجْدُ عن القلب القنَاعْ
ووشَى بالورد عِطْر منه ضاع

فليقل مَن شاءَ ما يحلو له
لم يَعُدْ فى الأمر سر لا يُذاعْ !

حبنا جاوَزَ أرضا ... وسَما
كيفَ لا ينطق بالشدو فما ؟ !

لم تبيعى الوُدَّ ـ وُدِّى ـ حينما
لم يَعُدْ فى الناس شىء لا يُباعْ !

قد شرَّينت الحبُّ بالكون جميعَا
ومنحت القلبَ خلْدا وربيعَا

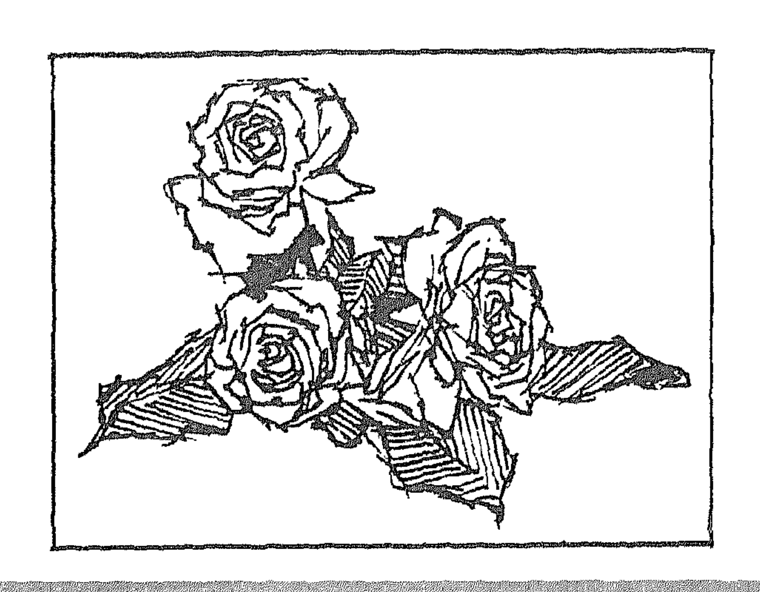
كيف لا يضحى لكِ الدهرَ مطيعا
نظرة منكِ .. هىَ الأمر المطاعْ !

***

فانظرى يا بَهجةَ الدنيا إليَّا
تَشهدى عرْسَ المنى فى مقلتَيا

والهَوى .. والعُود للحن تهيَّا
راقصَ الايقاع مشبُوبَ اليراعْ !

عادَ لى العمْرَ الذى أدبَر عنِّى
عاد غَضْا باسمَ الثغر يُغَنِّى



حاملا ما خيلتــه ضيّــع منّى
أترى شيء - وعندى الحبّ - ضاع ؟

لم يَضِع من عمــرى الماضى ثوانٍ
إنّــه ارتدّ فتيــا فى كيــانى

إننى أحيــاه فى عمــق الزمــان
عبقــرىّ الســحر موصول المتاع !

كل شىء فى الدنيــا ملك يــدينا
كل شىء ... طــالما أنتِ لديّــا

والمُنى ... كل المُنى .. تجبى إليّــا
قبــل أن يرتــدّ من طــرف شعاع !

هــذه الأفــلاك .. والأقمــار ملكى
هــذه الجنّــات - دون الخلق - أيكى

والبحــار السّبع يطويهــن فلكى
حالمــا أرجى من الفــلك الشراع !

فاســبحى فى أبحــر الغيب معى
حيــث لا تاريــخ يمضى أو يعى

حيث نحيــا أبــدا فى المطلــع
نملك الفجــر الذى يأبى الوداع !

سكينة السادات تكتب من الهند

قريباً من قلعة الصمت ذات الطيور الآكلة للبشر!

قريبا من قلعة الصمت .. ذات الطيور الآكلة للبشر !

كنت قد أتممت زيارتي لاندونيسيا وسنغافورة وتايلاند ونيودلهي ، وكانت مدينة بومباي الهندية آخر المطاف .. وكانت تلك هي زيارتي الثالثة للهند والثانية لمدينة بومباي التي يعتبرها الهنود كبرى المدن الصناعية في الهند ، والتي تمول الهند بثلث ايراداتها من مختلف بنود الصناعة والزراعة والتجارة بما فيها صناعة السينما التي أصبحت صناعة هامة في الهند ، والتي أصبحت تدر عليهم دخلا محترما بالعملة الصعبة .

مكثت أسبوعا كاملا في مدينة بومباي وحدها فقد كنت قد وصلت يوم الثلاثاء وكانت الطائرة المصرية لا تهبط بومباي في طريقها الى القاهرة الا مرة كل أسبوع ومن ثم فقد توفر لدى الوقت لتفقد معالم بومباى على مهل .

كنت قد عدت من جولة شاقة حول بومباى شاهدت فيها ستوديوهات السينما الهندية ، وقابلت أشهر فنانى وفنانات الهند ، قابلتني عند مدخل الفندق فتاة هندية بالغة الجمال ترتدى السارى الهندى الابيض اللون فبدت فيه كالملاك الجميل .. اصطحبتني الى غرفتي فعملها في الفندق هو مرافقه الضيوف والسهر على راحتهم .

وبدأت أتحدث معها عن المرأة الهندية وتقاليد الاسرة واكتساح الفتاة الهندية لمجالات العمل المختلفة ، حتى وصل معدل النساء العاملات في بومباى الى أكثر من الثلث ..

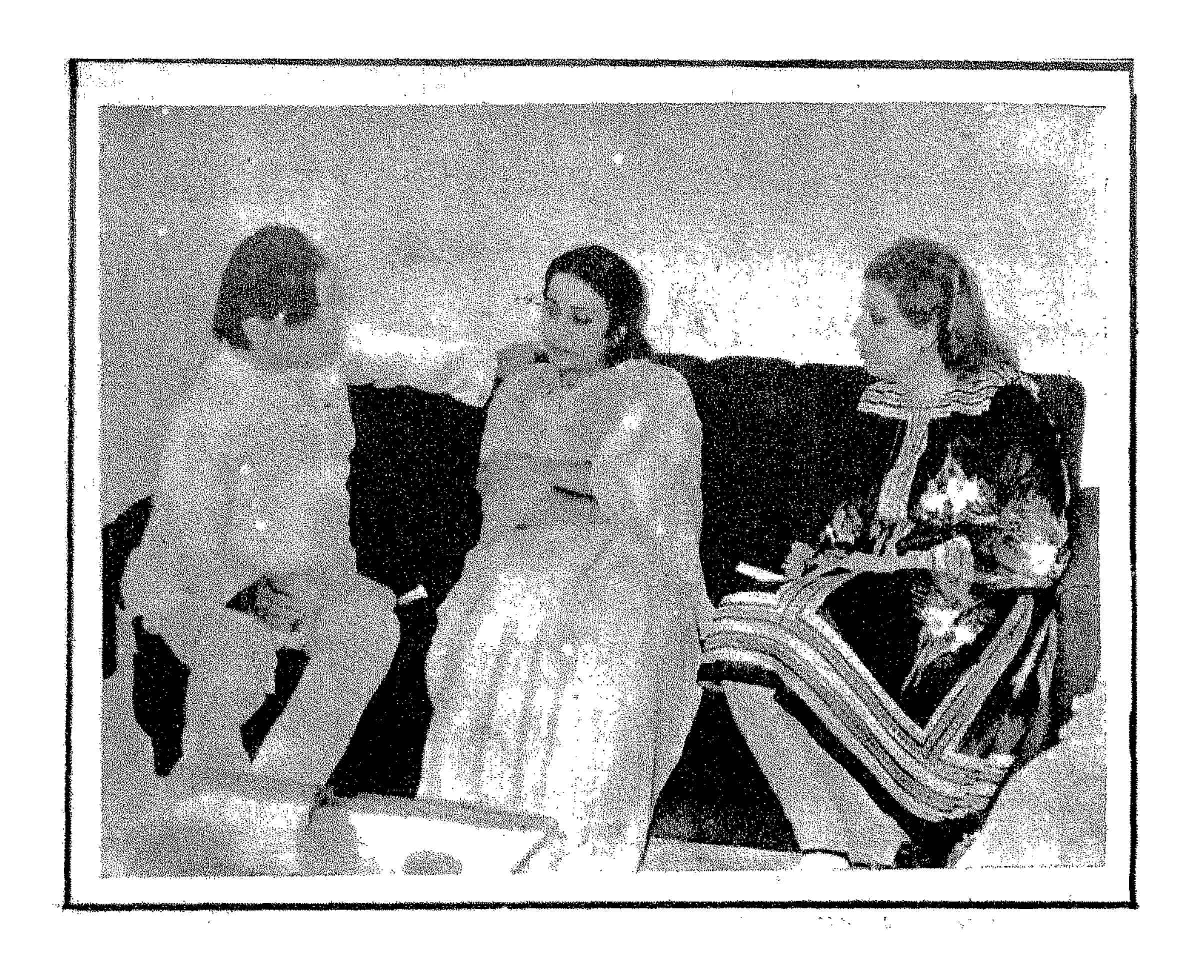
وانثنينا الى الحديث عن الديانة الهندوكية عندما قالت لى الآنسة نيلوفا بليموريا ..

أستطيع أن أحدثك عن الديانة الهندوكية كنظرية وكدراسة ، ولكنى أنا شخصيا لست هندوكية ..

واستطردت نيلوفا الجميلة :

اننى من طائفة البارسي ، اننا نعبد الشمس والنار ونؤمن بأنهما أطهر مافي الوجود . ولدينا معابدنا الخاصة هنا في بومباى .. ربما تحبين أن تشاهديها ولكن للاسف يجب أن تريها من الخارج لانه محظور على غير البارسي أن يدخلها !

استولى الموضوع على اهتمامي ، وقمت رغم اجهادى الشديد باخطار مرافقي برغبتي في رؤية معابد البارسي ، وشراء كتاب بالانجليزية عن طائفة البارسي وتاريخها وتقاليدها وحياتها في الهند .



الزميلة سكينة السادات تتحدث مع الحاج عبد الرحمن انتوراى حاكم ولاية مهراجتي الهندية المسلم وحرمه السيدة نرجس .. ان أهم مشروعاته حل مشاكل الاسكان في الولاية ..

وتم ترتيب الزيارة التى لم تكن سوى رحلة قصيرة بالسيارة صعدنا فيها الى أعلى قمة جبل الآلهة المطل على مدينة بومباى • أخذت السيارة تدور وتدور وهى تصعد بنا فى شوارع معبدة ضيقة ذكرتنى بجبل لبنان رغم اختلاف الطبيعة بين البلدين ، حتى وصلنا فى النهاية الى أعلى الجبل وهناك أطللت على قبة وارفة من الحدائق ذات المروج الخضراء العالية الاشجار ، وفى وسط الحدائق رأيت بناء قديما له أسوار عالية وباب حديدى كبير مغلق يشبه أبواب القلاع الرومانية القديمة • وأشارت نيلوفا الى الباب الحديدى والبناء الشاهق قائلة ..

هذه هى قلعة الصمت .. والاصوات التى تسمعينها الآن - (وكنت أسمع أصواتا غليظة لطيور غريبة) هى أصوات الطيور الجارحة التى تأكل لحوم الموتى بعد أن توضع فى أماكنها المخصصة بقلعة الصمت !

دهشت وسألتها عن تفاصيل الموضوع فقالت :

ان البارسى لا يدفنون موتاهم فى التراب • ان ما يحدث تماما هو انه عندما يشك فى موت أحد البارسى فان أعضاء أسرته يهرعون الى « الداستور » وهذا هو اسم كاهن معبد النار ، ويحضرونه قريبا من المحتضر لتلاوة الصلوات .. ثم يأتى « الداستور » معه بأحد الكلاب المدربة فى المعبد ، مهمة هذا الكلب أن يتشمم جسم المحتضر فاذا كان قلبه لا زال نابضا بالروح فان الكلب يجثم على صدره ، وتبدأ اجراءات محاولة انقاذه .. أما اذا تشممه الكلب وانصرف عنه فهذا يعنى انه قد أصبح جثة هامدة !

***

واستطردت نيلوفا :

وبعد أن يوقن « الداستور » وأهل

الميت من انه قد توفى فانهم يقيمون صلاة قصيرة على الجثة ، ثم يجتمع أعضاء اسرة الميت ويتوجهون جميعا الى المعبد حيث يقيمون اقامة كاملة حول جثة الميت لمدة أربعة أيام ، تقام فيها الصلوات والطقوس التى تسهل « مأمورية انتقال روحه الى العالم الآخر » ثم يقام الاحتفال النهائى فى أصيل اليوم الرابع وذلك بأن توضع الجثة فى « قلعة الصمت » • وهى عبارة **عن مبنى شاهق يحتوى على مدرجات أسمنتية مائلة تصب فى أنابيب الى مياه المحيط الهندى •والجثة توضع فى العراء بدون ثياب ، وفى خلال نصف ساعة على الاكثر تكون الطيور الجارحة** Valtures **قد نهشت لحمها وعظامها الرفيعة ، ثم تتسرب الدماء فى الانابيب الى المحيط ، وتنتهى مراسم دفن الميت بعد أن تنتهى الطيور من أكل آخر قطعة من لحمه !**

كدت أصاب بالاغماء وأنا أستمع الى أصوات تلك الطيور التى ربما كانت فى تلك اللحظة تأكل ميتا جديدا • وتعجبت نيلوفا عندما لاحظت تغير حالى ، وقالت :

ــ أيتها السيدة •• لماذا تغير حالك عندما سمعت هذه الحكاية ؟ أليس من الانظف والاحسن ألا تترك الجثة فى التراب حتى تتعفن ثم تأكلها الديدان ؟

ان الميت قد مات وانتهى أمره ، وجثته شىء فان ، أما روحه فانها باقية فى السماء • ونحن البارسى عندما نطعم الطيور بجثث أمواتنا فاننا نبعث فى كائن حى جديد طاقة وغذاء يقيم أوده ، وفى نفس الوقت فان قطعة منه تصير جزءا لا يتجزأ من كيان طائر حى كلما طار وحلق تحل البركات على روح الميت! •• ان هذه هى معتقداتنا • وفى النهاية وفى كل الاحوال تصعد الروح الى السماء ويفنى الجسد !

***

فى طريقنا الى الفندق بعد هذه الزيارة العجيبة مررت بمكتبة بومباى الوطنية ، وطلبت مجموعة من الكتب عن طائفة البارسى •وطلبت من نيلوفا أن تأتينى فى اليوم التالى حتى أكون قد قرأت شيئا عن عبدة النار ، وحتى تعطينى صورة واقعية لحياة البارسى الآن •

وقضيت تلك الليلة أقرأ فى مؤلف للكاتبة الانجليزية اليزابيث بيرد عن عبدة النار • وفى اليوم التالى جاءتنى نيلوفا واستأنفنا حديثنا ومن قراءتى وما قالته نيلوفا علمت الكثير عن طائفة البارسى •

ان عددهم الآن لا يزيد على مائة ألف نسمة • وهم لا يتزايدون كثيرا لان لهم أحكاما قاسية فى مسألة الانتماء الى طائفتهم • ان البارسى لا يستطيع أن يتبنى طفلا ويجعله منتميا لطائفته بعد أن يكبر ،كما أنهم لا يسمحون لاى انسان له ديانة أخرى أن يدخل ديانتهم •

ان البارسى يجب أن يكون من أم وأب من نفس الطائفة ولا يسمح لأية فتاة بارسية بالزواج من رجل غير بارسى والا فانها يجب أن تتبع ديانة زوجها •

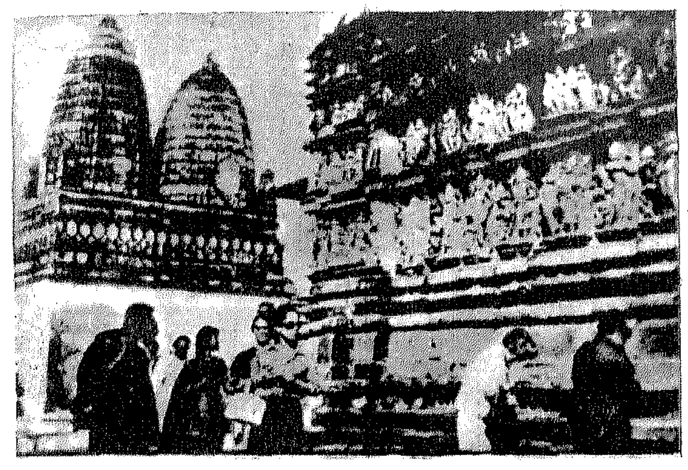
انهم يقيمون الصلوات باللغة الفارسية وهم فى الاصل من ايران حيث نشأت تلك الديانة فى القرن السادس عشر الميلادى • وعندما اضطهدهم الفرس فى ايران هربوا بالقوارب الى شواطىء الهند وحلوا بولاية مهراجتى ــ (٤٥ مليون نسمة) ــ وعاصمتها بومباى ، واستوطنوا بها حتى الآن •

وعندما نزلوا الى بومباى (فى القرن الثامن عشر) اشترط عليهم حاكم الولاية ألا يضموا اليهم أى مسلم أو هندوكى أو مسيحى • وتعهدوا بذلك ووفوا بالعهد •

ان البارسى يعبدون النار والشمس كمصادر للحياة ، والنار مشتعلة دائما فى معابدهم ليل نهار ، وهم يغذونها بخشب الصندل • والشعلة لا تنطفىء أبدا ••• ويسمون اله النار ((اورامازدا)) وصلاتهم اسمها « زندآشستا » • وفى الصباح يتجهون بالصلاة الى المشرق حيث تشرق الشمس وفى المساء يتجهون الى الغرب لوداع الشمس •

نيلوفا الجميلة : الفتاة التي تتبع طائفة البارس : عبدة الشمس والنار .. ترى هل سيكون مصير جسدها الجميل أن يترك للطيور الجارحة لتأكله بعد أن تموت ؟.





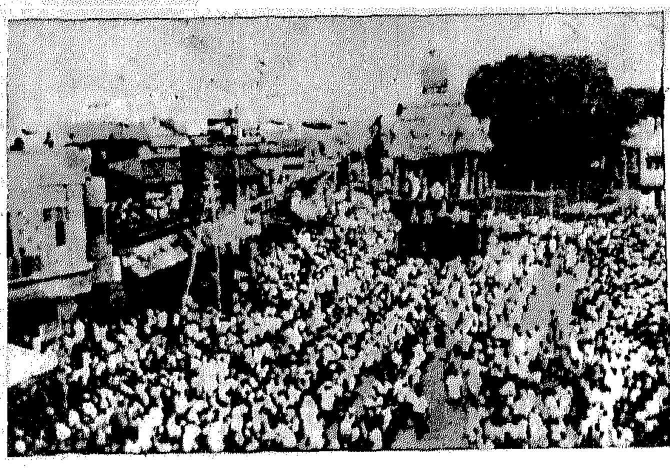
اهم ما يدهش الزائر للهند : المعابد الجميلة والتماثيل التى تمثل مختلف الآلهة حيث تتجلى روعة الفن والمعمار وبعضها موشى بالذهب والفضة ..



الرقص الشعبي الهندي يعبر احيانا عن التعبد لاحد الالهة عندهم ، واحيانا اخري يصور موقفا اجتماعيا سعيدا او حزينا، فهم يرقصون في الافراح والاحزان وعند العبادة .



الاسرة الهندية تميل بصفة عامة الى الاحتفال بمختلف المناسبات المحلية والدولية . وهذه أسرة تجتمع للاحتفال بيوم راس السنة الميلادية ..



يجتمع اهل الهند فى الميادين والساحات بالالاف .فى الاعياد القومية والمناسبات السياسية.

أما نبيهم فقد كان اسمه « زوراستا » أى النجمة الذهبيــــة ، وهو مولود فى أذربيجان واسمها بالفارسية أرض النار. ويقولون أن الفرس القدامى قد تنبـأوا بمولد النبى زوراستا وفى مخطـوطاتهم القديمة ، كتب انهم عندما يرون نجمة ذهبيــة فى الشرق فان ذلـك يعنى مولد نبى جديد ، وهؤلاء الناس لهم كتــاب مقدس يحمل تعاليم نبيهم زوراستا واسمه « زنداقستا » • وعندما كان زوراســتا شابا اضطهده الفرس وسـجنوه وطلب ملك الفرس ان يرى شيئا من معجـزاته حتى يعتقـه من السّجن ، فأتى اليه بحصان مريض ويقولون أن زوراســـتا استطاع أن يشفيه بل وطلب من حراسه أن يلقوا به الى النار ، وعندما ألقـوا به الى النار ساعة كاملة حفظته النار وخرج سليما معافى •

***

ومما علمته من نفر آخر من البارسى فى بومباى انهم قوم أغنياء جدا وأشهرهم رجل الصناعة الهندى المعروف « تاتا » الذى يقولون ان مصانعه تنتج بلا مبالغة من الابرة الى الصاروخ ، وقد أقام هـذا الرجـل مدارس خاصــة ومســتشفيات خاصة للبارسى وهو يرعاهم جميعا حتى انه من المعروف أن أحدا من طائفةالبارسى لا يقوم بالاعمال اليدوية البسيطة ، بل انهم جميعا على درجة عالية من الثقـافة والعلم واليسر المالى •

وقد حصل كل البـارسى بالطبـع على الجنسية الهندية وهم يقيمون صـلواتهم بحرية تامة ، ويقال أن زوج السـيدة انديرا غاندى الراحــل والد ابنيهــا سانجاى (الذى مات منذ ثلاثة أعوام فى حادث طائرة) وراجيف عضـــو البرلمان الهندى الآن ـ كان والدهمــا من طائفـة البارسى أيضا •

ومن طريف ما أذكر فى هذا الصــدد اننى كنت أشعل عودا من الكبريت أثناء حديثى مع احد زعماء البارسى فى بومباى وهو عضو بالبرلمان أيضــا ـ آسف اذ نسيت اسمه ـ عندما رأيته وقد انزعج عندما نفخت عود الكبريت لكى ينطفىء •

وعندما سألته قال أن مافعلته يعتبرونه حراما ومخالفا للدين • اذ انه لا يجب أن تطفأ النار بتلك الكيفية • وعندما سألته عن المدخنين من طائفـة البـارسى وكيف يشعلون السجائر قال ان التدخين محرم على كل طائفة البارسى !

وعندما يموت رجل من البارسى فانه غير مصرح لامـرأته بأن تتزوج الا بعـد مرور أربع ســـنوات من وفاته ، واذا ما تزوجت من رجل من غير الطائفة فانه لا يصح أن يبقى أولادها معها بل تتولاهم الطائفة حتى ينشـــأوا فى « جو دينى نقى » ..

ولا يمكن لأى كاهن وهو ما يســـمى بالداستور أن يمارس عمله الا اذا كان والده داستورا • وفى سن الثامنة يلبس الطفل البارسى الصدرة « والكاســتى » أى الصديرى والحزام ، ومعنى ذلك انه قد انضـــم رســميا للطائفة ، ويمكن للداستور أن يكون طبيبا أو مهندسا أو محاميا أو تاجرا أو صاحب أى مهنة الى جوار عمله ككاهن فى معبد النار •

بذلت كل المســاعى لكى يســمح لى بدخول معبد النــار فلم أصــل الا الى التصريح بأن أدخل الى حديقــة المعبـد الذى يقع على مساحة ميل مربع فوق أعلى واجمل بقعة فى بومباى • ويبلـغ عمـر المعبد ١٥٠ عاما ، ومن الخارج شـاهدت وهج النار المقدسة التى لا تنطفىء والتى عبق خشب الصندل الذى يلقى بهـا جو المعبد كله بأريج عاطر •

●

هذه صورة عجيبة من الصــور التى لا تزال باقية فى أواخر القرن العشرين وعندما صافحتنى نيلوفا البارسـية وهى تترك غرفتى بالفندق وسألتنى عن رأيى فيما رأيت وسمعت وقرأت قلت لها .. باختصار شديد .. اننى اشـهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله •

● ●

أحمد أمين والثقافة

علاء الدين وحيد

اذا كان العقاد قد اهتم بالفن التشكيلي ، وطه حسين قد احتفل بالفن التمثيلي ،فانه قد احتفل بالموسيقي فنا ودعامة لرسالة السلام في العالم

● **أقسى ما كان يجد الرواد من الادباء والمفكرين ، خاصة أصحاب الاتجاهات الاصلاحية الاجتماعية ، مثل الاديب الكبير أحمد أمين في قيامهم بمسئولياتهم — هو تأخر الحياة العقلية ، بما تحمل من تفشى الجهل وغلبة الامية وجمود المفاهيم التى تنتشر بين جماهير الناس والخزعبلات والخرافات والاوهام .**

ولذا كانت الثقافة هي قضية القضايا التي تتصل بكل المجالات .. التى تستوعب تنفس الانسان المصرى .. ومع قلة التعليم والزاد الثقافي ، تزداد وطأة الانسحاق ، في الليل والنهار أمام مفاهيم الجن والعفاريت والحسد والسحر وغيرها !

يقول أحمد أمين .. فاذا ارتقى العقل في الامة بنت أعمالها على قانون السبب والمسبب ، وفهمت ان الله خلق هذا الكون وجعله يسير على قوانين محكمة منظمة ، من أراد المسبب يجب أن يقوم بالاسباب ، فيصبح علم الطب مكان طب البركة .. وقوانين الزراعة مكان الزراعة بالبركة .. وتؤسس التجارة على قوانين الاقتصاد مكان التجارة اعتمادا على الحظ والبخت .. وكلما قوى العلم والمعرفة في أمة قتلت الخرافات والاوهام ((فيض الخاطر)) ج ٦ — ط ١٠ — ص ٢٥٣) .

ومن هنا كان مفكرنا عنيفا فى هجومه على ما سماه بالجرائم العقلية وهى كما يقول ، كل عمل يرتكب ضد العقل ، وكل سلوك ضد الصدق وضد الحق . وهي التي تعبث بالعقول وتسمم الافكار. فالاعتقاد فى الفأل والزار والطالع ، وتفسير الظواهر الطبيعية بغير حقيقتها مثل الفيضان وكسوف القمر وخسوف الشمس .. والتماس صحة المريض ، ونجاح المسعى عند الدجالين أو على أبواب أضرحة الاموات — هي التي تصيب فكر الناس بالشلل وعاطفتهم بالجمود ،وتقعد بهمتهم ، عن الطموح والتقدم ..

يكتب أديبنا الكبير : ((والامم الجاهلة لا تحس خطر الجرائم العقلية ، بل لا تحسها أطلاقا ، بل هى تمنح المجرمين العقليين كثيرا من الاحترام .. ان شئت فانظر ماذا يلقى هذا الدجال من توقير واحترام ، أو أنظر كم من آلاف الناس يهوون تقبيلا لايدى سارقى النذور ، وكيف يبجل بعض السياسيين الذين يضللون العقول أو يحجرون على التفكير.

((ومن أهم الفروق بين أمة منحطة وأمة راقية ، كثرة الجرائم العقلية فى الاولى وقلتها فى الثانية .. ومن أهم علامات الامة الراقية سيرها على مقتضى العقل فى تربية ابنائها وفي فلاحتها وصناعتها وكل مرافق الحياة فيها .

((وأهم ما يجب أن يعنى به المصلحون خلق ((الضمير العقلى)) فى الامة واشاعته



احمد امين : مفاهيم ثقافية متقدمة جدا.

وتقوية سلطانه ، واعنى بالضمير العقلى تنبيه الشعور باستهجان كل ما يرتكب ضد العقل واحتقار فاعليه ، كما يحتقر السارق والقاتل ،والشعور بالاستحسان ممن يأتى بالفضائل العقلية ، كالدعوة الى محاربة التخريف والتدجيل ونحوهما

« ان أكثرنا - الى اليوم - يقفون من الجرائم العقلية موقف عدم الاكتراث ، وهذا هو فى نفسه جريمة عقلية .

« لست أدرى كيف نتحمس لحماية أعراضنا ولا نتحمس لحماية عقلنا ، وكلاهما يجب أن يكون عزيزا علينا ! - « فيض الخاطر » - ج - ٧ - ص ٣٥٦ - ٣٥٧) .

وقد عمد أحمد أمين فى كثير من كتاباته الى تأصيل معنى وماهية وقيمة الثقافة فى حياة الشعوب .. وناقش ما يحط بمفهوم الثقافة فى البيئات الجاهلة ، والعوائق التى تمنع انتشارها والفارق الكبير بين المتعلم والمثقف وبين لونين من التحصيل او القراءة .وماذا تضيف الثقافة الحقيقية الى صاحبها .

يقول مفكرنا فى احدى مقالاته « ثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ،ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت اليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال فيض الخاطر ج١ - ص ٢٠٨ » .

●●●

وكان أحمد أمين يدرك ان الثقافة اليوم لم تعد سهلة المحتوى أو الاستيعاب أو التأثير كثقافة زمان .. فالتعقيد الذى جرى فى تكوين الاشياء جعل البسيط مركبا ، والمدنية الصناعية دخلتها عناصر لم تعرفها قبلا الاجواء الزراعية ، لذا فان التربية احدى ملامح الثقافة اصبحت هى الاخرى شديدة التعقيد - علما من العلوم

لقد ناضل اديبنا الكبير فى سبيل أن تنفث الثقافة الحديثة من روحها فى التربية لينصلح حال الكثير من الاوضاع الجامدة فى البلاد ، وكان يصف العقلية التى وراءها فى تلك الايام بأنها « لا تنفع للحياة وانما تنفع للصوامع ، ولا تنفع للجهاد وانما تنفع للفناء ، ولا تنفع لمن أرادوا ان يتبوأوا مكانا فى الحياة ، وانما تنفع من أرادوا أن يتبوأوا مكانا فى القبور - « فيض الخاطر » ج١ - ط ٣ - ص ١٦٣) .

فهو يريد أن تحمل تربية اليوم ، ما يعكس الايمان باستمرارية وحتمية التقدم ، وان اليوم أحسن من الامس والغد احسن من اليوم .. ولذا كانت مفاهيمه التى بثها فى دعوته ، تحمل نظرة تقدمية ، مثل « لو انصف الناس لقوموا الناس بمقدار كفاحهم لا بمقدار

فشلهم ونجاحهم ـ ((فيض الخاطر)) ج١ ـ ط٣ ـ ص ١٦٥) .

وقوله : ((تربية الارادة وقوتها وتعويدها مقاومة الاغراء ، سر النجاح وسر الاستقامة وحصن حصين من الزلل .. ومن ربى ارادته أمكن اصلاحه، وأمكن توجيهه ، ومن فقد ارادته فلا أمل مطلقا فى تقويمه الا أن يبدأ من جديد ، فيعالج نفسه كما يعالج المريض ويصبر على العلاج المر حتى يشفى من الداء ـ ((فيض الخاطر)) ج٩ ـ ط٣ ـ ص ٢٨٤)) .

●●●

ان التربية هى أحد اهداف الثقافة الاولى ، ومن هنا انطلق كاتبنا الكبير أحمد أمين فى تأصيلها . وكانت الهموم التى يستشعرها تحيط به وبالشعب ، من احتلال انجليزى ـ فى تلك الايام ، وتسلط حكام . وبيروقراطية موظفين ، وجهل وفساد تربية .. تدفعه دفعا الى أن يجعل فكره النابض بحب بلده ، سلاحا فى ميدان النضال ضد كل ما يفسد على الوطن اموره ، فى سبيل حريته وعمله ودينه . لذا كانت المجالات التى تحرك فيها قلم أحمد أمين متعددة ، وهو يطمع فى أن يغطيها جميعا بما يتناسب مع الهدف الذى يسعى اليه ..

ونذكر له هنا اهتمامه بتغيير المفاهيم البالية فى الجوانب الخاصة والعامة ، حتى يتم تمهيد الارض غير المعبدة للبناء

وكان من أهم الموضوعات التى ناقشها كاتبنا ، ما يتصل بالسعادة التى تتشكل عند الكثيرين من أميين ، وغير أميين ، فى نوال كل ما تشتهيه النفس بلا جهد ولا ثمن وعيش مثل تنابلة السلطان . فيقول أديبنا الكبير : ((والسعادة انما هى فى السعى للغرض أكثر منها فى الغرض ، والطريق الى الغاية هو السعادة لا الغاية ، وانما يسعد الانسان باستخدام قواه وملكاته لبلوغ غايته ، فاذا بلغها تفتحت له غايات جديدة ، وبذل فيها جهودا جديدة وظهر فى اثناء الطريق صعوبات استخرجت أقصى الجهد فى التغلب عليها فشعر بلذة الجهد ولذة الغلبة ولذة اعتداده بشخصيته واستخدامه ملكاته واستكماله نفسه أكثر من لذته بالغاية نفسها ـ ((فيض الخاطر ج٣ ـ ط١ ـ ص ٩٤)) .

ولا ينسى الدارس فى هذا المجال أيضا ان المفكر الكبير أحمد أمين قد جعل أو أراد أن يجعل الثقافة غذاء يوميا بمختلف عناصره يتنفس طوال الاربع وعشرين ساعة ، ويتناوله الجميع ، وليست الثقافة وقفا على أصحاب الجباه العالية ..

وهكذا انعكست الثقافة على أشياء ، تبدو بعيدة تماما عن مجالها ،مثل النظافة .. فمن مسئولية الثقافة فى رأى أحمد أمين ، الدعوة الى النظافة ، المادية والروحية ، وتأصيلها فى الارض العربية فهو يقول بالنسبة الى الاولى ((خير وسيلة للتقريب بين طبقات الامة ، فلا يأنف بعد مثقف ان يجلس مع غير المثقفين ، ولا متعلم ان يجالس غير المتعلمين ، وفى هذا الاختلاط نشر للثقافة ودعوة للآداب العامة ، وغلبة للعنصر المهذب ـ ((فيض الخاطر ج١ ـ ص ٦٨)) .

واذا كان استيعاب أحمد أمين لمفهوم الثقافة يصل الى هذا الحد من التغلغل فى الخدمات الجماهيرية وحياة الناس . فهو يتجاوز فى مجال النظافة ابعد مما عرضنا ، ينتقل من العام الى الخاص ، لتصبح النظافة جوهرا روحيا كما كانت جوهرا ماديا . لان الفكر والمثل والادب والفن ، تعنى الموضوعية والصدق والخير والطهر والبراءة . وهى جميعا عناصر تدخل فى تركيب النظافة نفسها .

يقول أحمد أمين : ((لو التزم كل العلماء والادباء نظافة نظرياتهم ، ونظافة كتاباتهم مهما اختلفت فى النوع والقيمة لانهارت الارستقراطية العلمية والادبية أيضا ، ولكان الكل سواء فى الاحترام ـ ((فيض الخاطر ج١ ـ ص ٦٩)) .

تعنى الثقافة بشمول نظرتها ورؤيتها المتحررة من الوصاية ، أيا كان لونها فى محيط الاسرة أو المجتمع أو نظام الحكم ـ حرية الموقف وحرية الاتجاه .. ولذا كانت الحرية هى جوهر الثقافة والتزامها وما أكثر ما نادى المثقف أحمد أمين

بالحرية ، حتى فى أبعد المظان التى نظن اننا نجدها فيها ..

والحرية التى ينادى بها اديبنا ، لم تكن - فى حينها - دعوة الى حرية الوطن المحتل فحسب ، بل كانت قبلا دعوة الى حرية المواطن أيضا . فالانسان غير الحر المثقل بنفسية العبد ، لا يفيده رفع المئات من شعارات النضال فى سبيل الحرية ، ما دام لم يستطع أن يخلص نفسه من الاستعباد الداخلى الذى يجعله رقيقا سواء للحاكم المستبد أو للقيم البالية . ولذا فمهمة الثقافة الاولى ، هى ان تحرر المفاهيم وتفجر الطاقات وتستجمع الشتات ، وقبل هذا كله تقدس الحرية .

فلا غرابة اذن ان يدعو أحمد أمين فى مقالاته الثقافية الى أن يكون الانسان سيدا لا عبدا ، ويقول : العبد لا يفهم الا القوة المادية المرموز لها بالعصا ، والسيد يخضع لقوة المعانى وقوة الضمير المرموز اليها بالاشارة » .

وقد أصاب من قال : ان رقى الامة فى الموسيقى وتذوقها الصوت الجميل والغناء الجميل يجعلها تعشق الحرية وتأنف الضيم وتأبى المذلة !

ورؤية أحمد امين الشاملة جعلته من روادنا الذين التفتوا منذ وقت مبكر الى ان الثقافة كل متكامل يجمع بين التربية والفكر والادب والفن وغيرها . واذا كان عباس محمود العقاد قد اهتم بالفن التشكيلى ، وطه حسين بالفن التمثيلى ، فقد احتفل احمد امين بالفن الموسيقى . وكتب عنه كثيرا ، وأبان أثره فى الشعوب والافراد ، وخاصة الانسان المصرى والعربى وكالعهد به لا يقيم حدا فاصلا بين جانب وجانب ، فكل عنصر مرتبط بالآخر ومتداخل فيه .

يكتب يوما : « حياة كل فرد موسيقى تصدر من أوتار مختلفة وآلات متعددة ، فاذا تناسقت وتناغمت ، انتجت صوتا جميلا وكانت السعادة ، وان تنافرت وتخالفت انتجت صوتا قبيحا وكان الشقاء ! » .

ان عناصر الحياة ثلاثة : عنصر مادى يخدم الابدان ، وعنصر عقلى يخدم التفكير ، وعنصر روحى يحيى النفس . وجمال الموسيقى فى تعادلها وتناسقها . فلما طغى عنصر المادة فى المدنية الحديثة على العنصرين الآخرين أفسد الحياة - « فيض الخاطر ج١ - ص ٣٠ ، ٣٢ » .

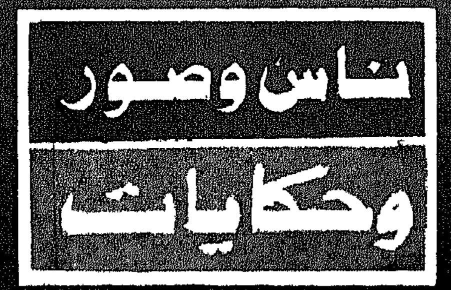
● ● ●

ومما يذكر لاحمد أمين فى هذا الباب دعوته المشهورة الى ان يكون الادب والفن فى خدمة السلام .. والتاريخ الفكرى يذكر له مقالته المعروفة وهى : « غيروا مناهج الفن والتاريخ يتحقق لكم السلام » ! . وهى التى يقول فيها : « واليوم أدعو الى استخدام الفن فى خدمة السلام ، فبدلا من اثارة الموسيقى لعواطف الحرب ، تثار لعواطف السلم . وكذا الادب والتصوير وهى نظرية لم تجرب الى اليوم . فالدعوة السياسية للسلم لا تفيد الا اذا دعمت بالفنون . ولو أراد العالم السلم الحقيقى لامكنه ذلك بشىء واحد ، هو تغيير برامج التعليم وتغيير المناهج فى التاريخ والفن .. فبدل اشعال النار فى نفوس الطلبة وحكاية الانتصارات والانكسارات فى الحروب وتعويد الاطفال الفرح بالمدافع فى العيد والفرح بالمفرقعات - تحكى الأعمال العظيمة التى عملت لنشر المدنية وحمايتها ، وكذلك الادب والفنون ، وتاسيس **العلاقات** بين الامم على **أساس انسانى لا على أساس قومى - « فيض الخاطر ج٩ - ١٢٧ - ١٢٨ » .**

ولم تقف دعوة احمد امين عند هذا الحد ، بل اخذت تطالب اليونسكو بامرين ، البناء دون الهدم ، وانماء العواطف الانسانية لا القومية حتى يفضل البشر السلام على الحرب !

هذه بعض آراء اديبنا الكبير احمد امين فى بعض جوانب الثقافة .. وهى كما نرى مفاهيم متقدمة . لم يتحقق الكثير منها ، حتى بعد وفاته باكثر من ربع قرن!

● ●

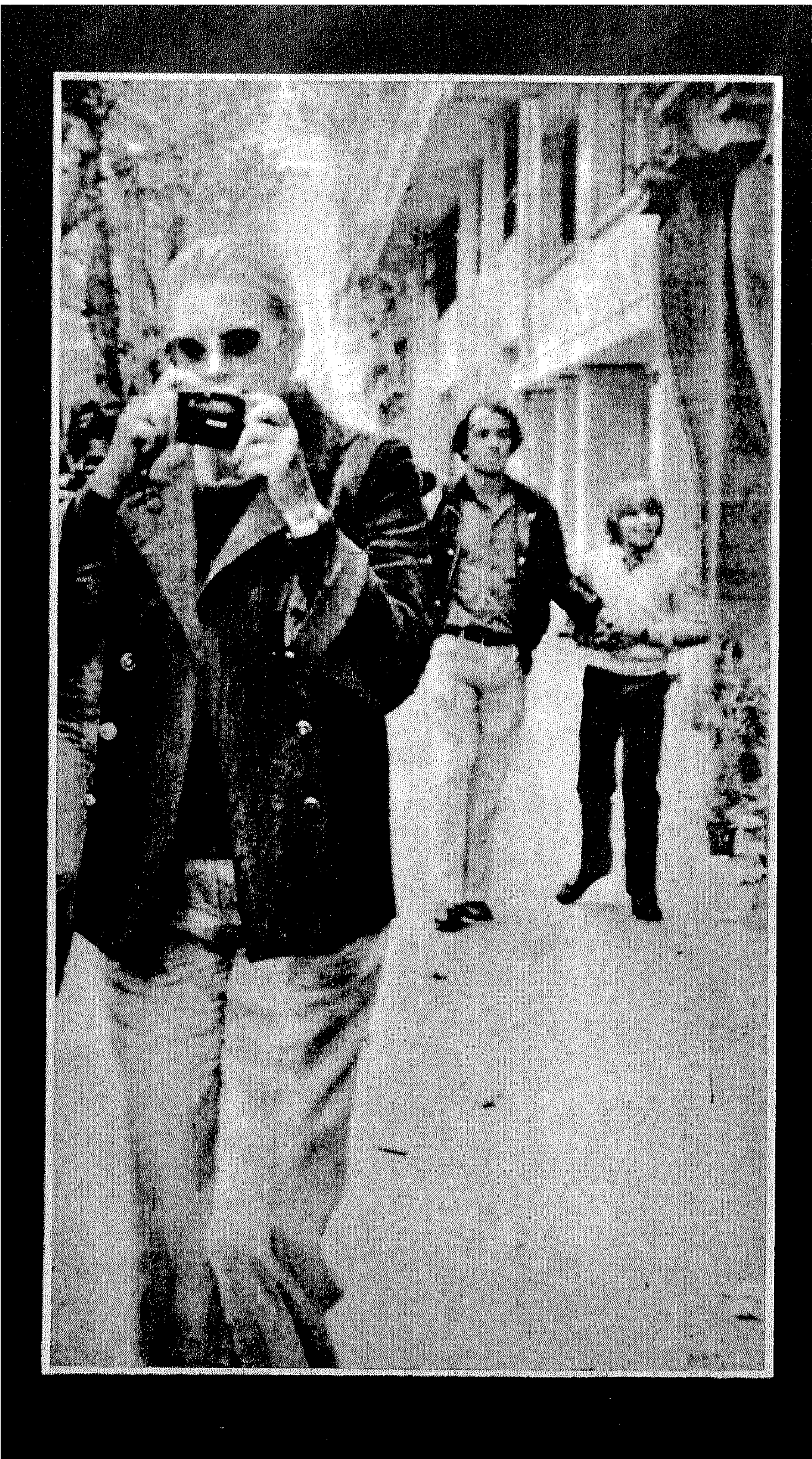


الأميرة... مصوّرة...

●●●

حاولت الاميرة جريس أو جراسيا اميرة موناكو ان تتخلص من المصورين فلم تستطع ، فهم على باب بيتها يعسكرون ، ولا تخطو خطوة الا كانوا فى أعقابها يصورونها ، وقد ضاقت بهم ذرعا ، فقررت ان تتحول هى الى مصورة ، وكلما رات صحفيا يحاول التقاط صورة لها سارعت هى بالتقاط صورة له ، فيضيع عليه الهدف الذى يسعى اليه •

●●●

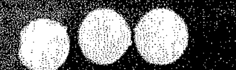


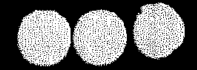
أقوى أصوات موسيقية فى الدنيا ...

هى أصوات أبواق الرعاة فى جبال سويسرا والمانيا، انها أصوات هادئة عميقة غليظة ولذلك فهى تسافر

أبواق خشبية طويلة كهذه التى تراها فى الصورة ، واذا كنت من السعداء الذين تتاح لهم فرصة السير فى جبال الالب أو الفوج أو الغابة السوداء ، فأنك ستسمع أثناء سيرك أصوات هذه الابواق التى ينفخونها لينبهوا للخطر أو ليجمعوا قطعان الاغنام أو يبلغوا رسالات من قرية لقرية • فى العصور الوسطى كانت هناك لغة لهذه الابواق ، فهى التى تنقل الرسائل والاخبار بين القرى والمدن •

•••



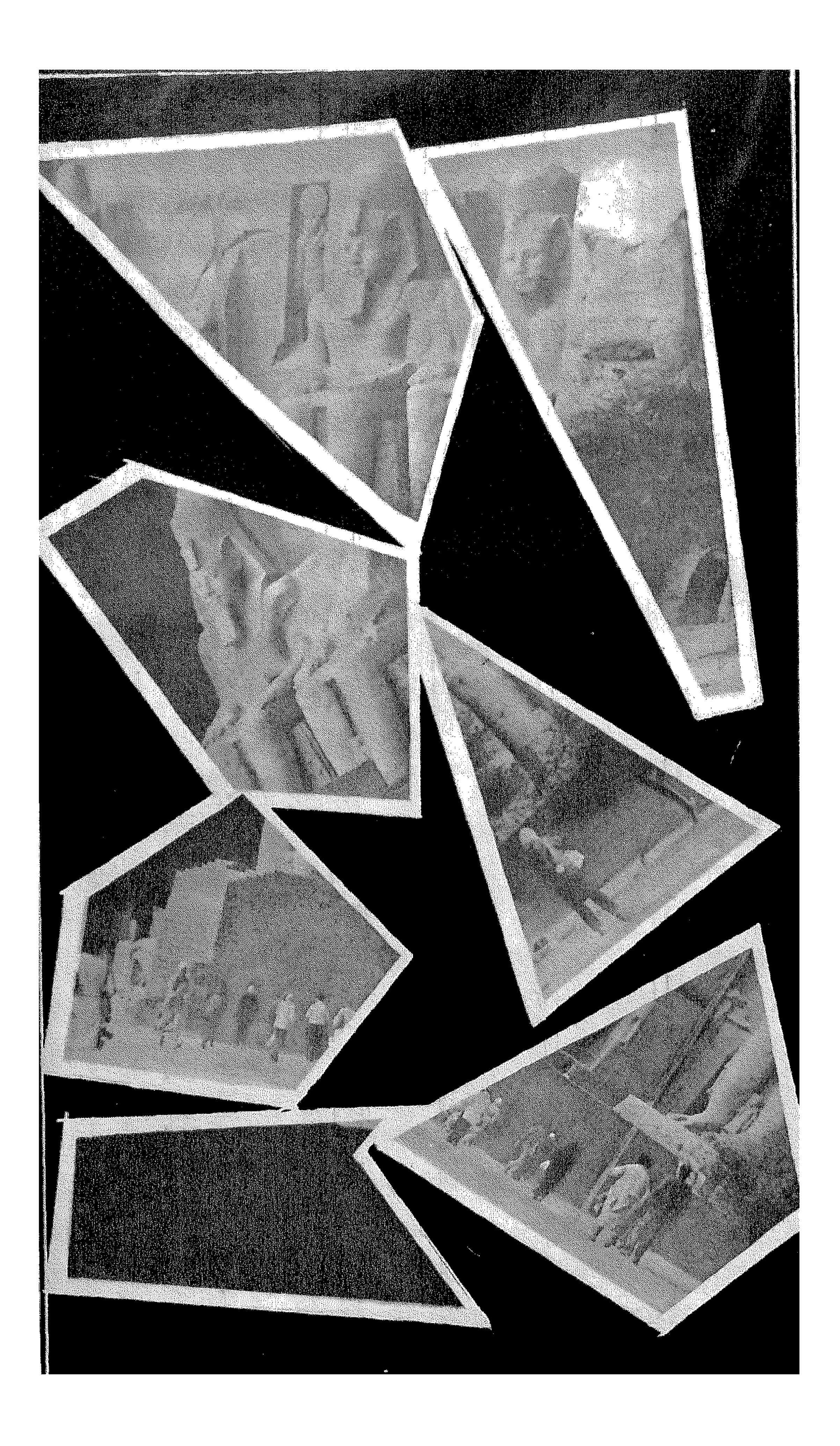


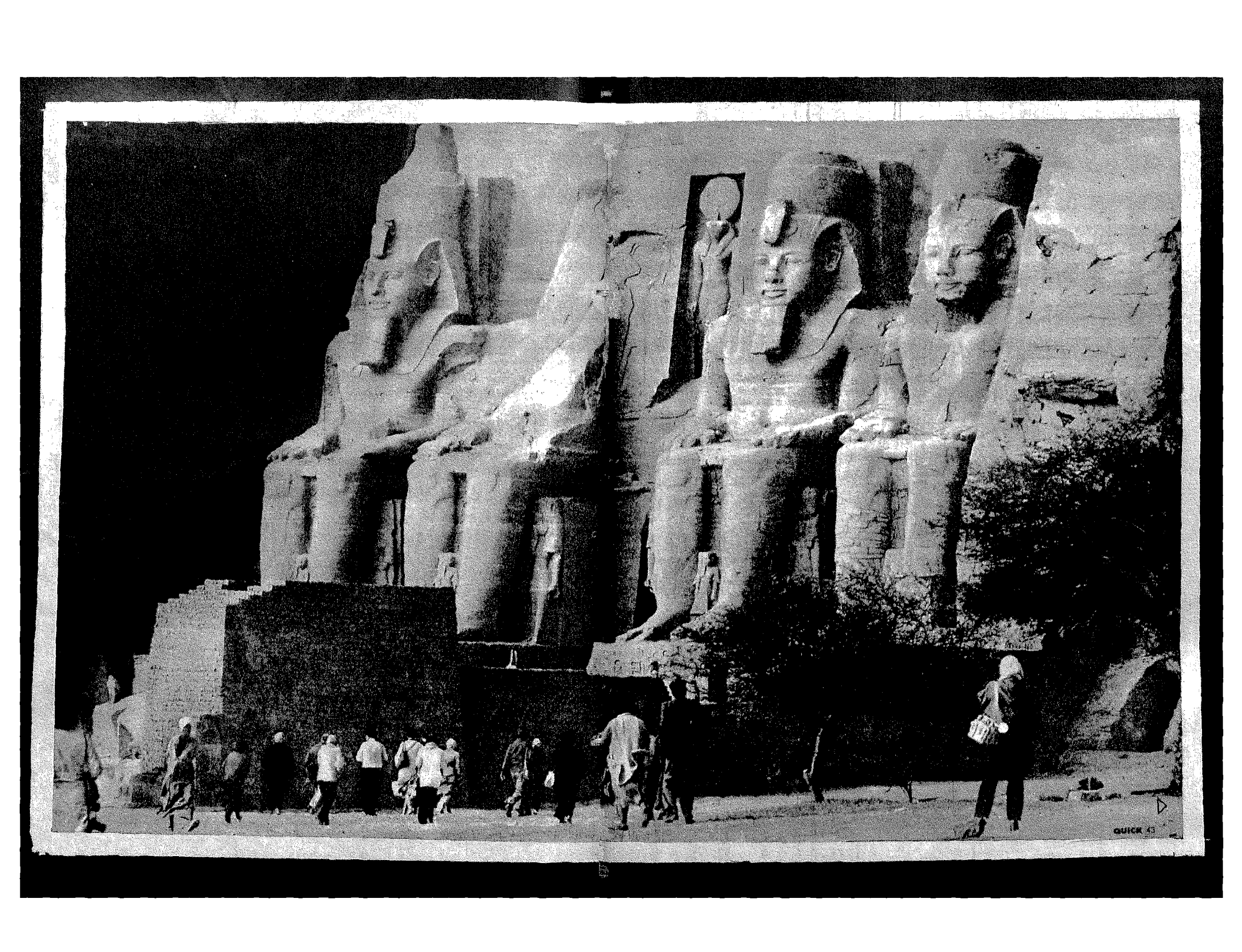
مجموعة أبو سنبل في خطر

●●●

ليس أبو الهول وحده فى خطر ، بل ان مجموعة ابى سمبل التى تعتبر من عجائب الدنيا فى خطر أيضا . فبعد نقلهـا من مكانها وانقاذها من الغرق فى مياه السد العالى تعرضت للرياح السافية التى تأكل الحجر أكلا ، وفى يوم واحد محت الرياح المحملة بالرمال وجه تمثال ، لان معظم هذه التماثيل منحوتة فى الحجر الجيرى ، وهو حجر رخو لا يتحمـل الرطوبة أو الرمال أو الرياح ، ومع ذلك فقد عاشت هذه التماثيل مئات السنين ، ولكن جاء الوقت الذى أصبحت فيه عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، ولابد من أن نجد وسيلة للمحافظة عليها لانها ثروة كبرى . أما أبو الهول فهم يحاولون انقاذه من الرطوبة وأما تماثيل أبى سنبل فيحاولون انقاذها من الرياح والرمال .

●●●





صفحات من تاريخها المعاصر

أفغانستان الثائرة

● مصطفى الشهابي ●

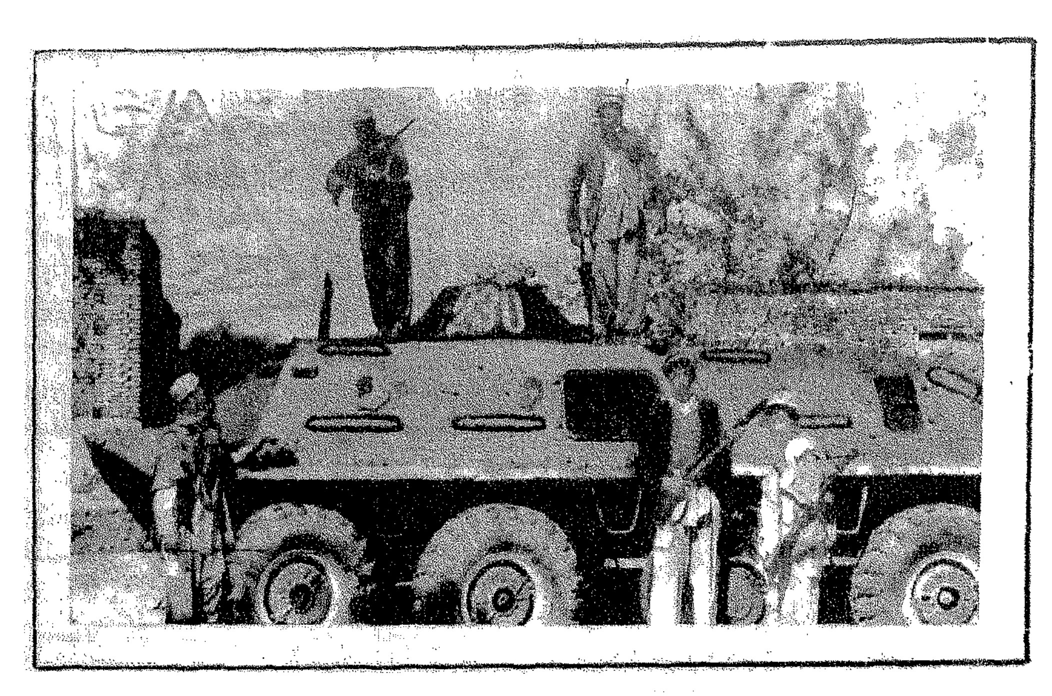
● على الرغم من أن انباء المعارك فى افغانستان لم تعد تظهر فى الصحف كعناوين رئيسية بسبب طغيان الاحداث العالمية ، الا أن ذلك لا يقلل من الدور الذى يقوم به الثوار ، ضد القوات الحكومية والقوات السوفييتية ، اذ ازداد عنفا وضراوة خلال الفترات الاخيرة ، واتسع نطاق الثورة حتى شمل مناطق كثيرة،ولم تعد الحكومة العميلة تسيطر الا على المدن الرئيسية التى يحتشد بها الجنود السوفييت ..

وبعد أن كان عدد القوات الافغانية ٩٠ الف جندى ، أصبح عددهم اليوم لا يتجاوز ٣٠ الف جندى فقط ، اذ فر الكثيرون من الخدمة العسكرية الموجهة ضد بلادهم ، كما انضم عدد آخر الى الثائرين لتحرير بلادهم .

والموقف اليوم يشبه الى حد كبير ماحدث عام ١٨٣٨ عندما حاول الانجليز استعمار أفغانستان لوقوعها بين روسيا والهند ، ورغبة أميرها ، وقتئذ ((دست محمد)) فى محالفة الروس خوفا من الانجليز سادة الهند يومئذ . لذلك أرسل الانجليز حملة الى افغانستان تمكنت من القبض على أميرها وارساله الى الهند حيث القى به فى غياهب السجن ، ثم تحولت الرغبة فى التخلص من الامير الى رغبة فى الاستعمار .ولكن الامور لم تسر على هوى الانجليز ، اذ اغتيل قائد جيش الاحتلال وصفوة من ضباطه واستعصى على الانجليز أن يسيطروا على الموقف ،ولذلك اضطروا الى الانسحاب من كابول الى الهند بكل قواتهم ، ولكن تلك القوات لم يقدر لها الوصول الى الهند ، اذ اغتيلت عن بكرة أبيها فى المفاوز الجبلية بحيث لم ينج منها الا فرد واحد سنة ١٨٤٢ .

ورات الحكومة الانجليزية أن تنتقم لهزيمتها ، فأرسلت حملتين كبيرتين مجهزتين أحسن تجهيز ، واستطاعت احتلال كابول مرة ثانية . وبدأت سلسلة من الثورات ، مما دفع بالانجليز الى الالتجاء الى مواجهة الحقيقة الصارخة ، وهى ان هذا الشعب لا يمكن اخضاعه ، ولذلك لجأت الى سياسة الملاينة والمهادنة فأعادت الامير ((دست محمد)) الى عرشه على أن يكون مواليا لهم . وقد كان عند حسن ظنهم اذ ظلت علاقته بهم طيبة بعد جلائهم .

وظل الحال كذلك حتى توفى الامير سنة ١٨٦٣ بعد ان بويع لابنه ((شير على)) بالامارة ولكن ((شير على)) اراد أن يتحالف مع الروس خوفا من احتلال انجليزى جديد ، واحس الانجليز بهذا الاتجاه ، فارسلوا بعثة للتفاهم معه ، ولكنه رفض مقابلتها ، لذلك احتلت انجلترا افغانستان مرة اخرى سنة ١٨٧٨



الثوار الافغان : نضال لتحرير بلادهم من الغزاة ...

وفر ((شير علي)) الى تركستان حيث توفي سنة ١٨٧٩ ، وتولى الامارة بعده ابنه ((يعقوب)) الذي اعترف به الانجليز اميرا ، مقابل أن يكون لانجلترا معتمد سياسي يقيم في كابول وان تعدل الحدود بين الهند وافغانستان ، باضافة ((ممر خيبر)) (المدخل الرئيسي للهند) الى الهند وسيطر النفوذ الانجليزي على كابول ولكن الشعب الافغاني رفض تلك السيطرة فثار وقتل المعتمد (السفير) الانجليزي وأفراد حاشيته ..

وطبعا غضب الانجليز وارسلوا حملة احتلت كابول وارغمت الامير ((يعقوب)) على التنازل عن العرش ، ونصب مكانه عبد الرحمن خان حفيد ((دست محمد)) في يوليو سنة ١٨٨٠ ولكن الافغانيين ظلوا يكافحون الانجليز كفاحا مريرا ، ساعدتهم فيه طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة ، فانتصروا في كثير من الاحيان انتصارات رائعة .

وحدث اثناء ذلك أن خرج على الامير عبد الرحمن عمه أيوب خان ، وتقدم الانجليز لمساعدة الامير واضطر الثائر الى الفرار الى ايران ، وبذلك استتب الامر للامير عبد الرحمن .

وقد تقاضى الانجليز منه ثمن هذا التأييد بأن تعهد لهم بأن يترك لهم تدبير سياسة البلاد الخارجية وتعهدوا من جانبهم بأن يدفعوا للامير مساعدة مالية سنوية .

وفي أول اكتوبر سنة ١٩٠١ توفي عبد الرحمن خان ونودي بابنه حبيب الله خان أميرا على البلاد ، وقد استطاع الانجليز أن يحصلوا منه على توكيد للتعهد الذي وقعه والده بترك السياسة الخارجية لانجلترا سنة ١٩٠٥ ، وفي مقابل ذلك قبلت انجلترا أن يلقب نفسه ملكا وتولى ابنه ((أمان الله)) بعده في فبراير ١٩١٩ .

وقد رأى أمان الله أن يثير العصبية الدينية بين الجماهير ، فجمع وجوه قومه في الساحة العامة بكابول في اليوم السابع من مايو سنة ١٩١٩ وأعلن اليهم أن بلاده لن ترتبط منذ ذلك اليوم بالمعاهدة المبرمة مع انجلترا ..

بذلك تحررت افغانستان سياسيا وماليا واستطاعت أن تنظم شئونها وأن تعقد معاهدات الصداقة بينها وبين بعض الدول الاوروبية والشرقية وان تتبادل لاول مرة الممثلين السياسيين مع عدة دول .

***

وفي عام ١٩٢٧ قام امان الله برحلته الكبرى التي زار فيها عددا كبيرا من الدول ومنها مصر ، وقد قوبل فيها جميعا بالترحيب والتقدير وبعد أن أكمل طوافه

بأوروبا نزل ضيفا فى تركيا على ((كمال اتاتورك)) .

ومما لاشك فيه انه تاثر بالتغييرات التى ادخلها اتاتورك فى تركيا وبالاصلاحات التى ادخلها رضا شاه بهلوى بعد توليه عرش ايران ، كما تاثر واعجب بنزع المراة للحجاب فى تركيا وايران ، ولذلك طافت معه الملكة زوجته سافرة الوجه .

واندلعت نار الثورة سريعا وبدأت فى مقاطعة شمالى العاصمة بزعامة ((**حبيب الله**)) المعروف باسم ((**باجه سقا**)) ــ ابن السقاء ــ فلما أصدر الملك أوامره للجيش باخماد تلك الثورة ، رفض الجيش ان يحارب أبناء وطنه ، ولذلك اضطر الملك الى التنازل عن العرش لاخيه «عناية الله» والفرار الى الهند ، وانتهى به المطاف الى الاقامة فى ايطاليا ، ولم يدم ملك الاخير الا بضعة أيام .

نجح ((**باجه سقا**)) فى القفز الى عرش افغانستان ، وسرعان ما امر باغلاق كل المفوضيات الافغانية فى الخارج واعادة كل اصلاحات أو تغييرات « أمان الله » وكذا اعادة طلاب البعثات فى الخارج .

هنا ظهر ((**نادر شاه**)) الذى قام بقيادة الجيوش الافغانية ضد الانجليز فى سنة ١٩١٩ ، وكان قد اعتزل السياسة وأقام فى جنوب فرنسا لخلاف بينه وبين الملك أمان الله ، بسبب تطرف الاخير فى ادخال الاصلاحات وعدم مراعاة ظروف البيئة الافغانية ، فعاد سريعا الى افغانستان ليقود حركة النضال ضد « باجه سقا » واستطاع بمعونة بعض القبائل أن ينتصر على قوات « باجة سقا » وأن يدخل كابول ظافرا فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ بعد القبض على باجه سقا ،الذى اعدم رميا بالرصاص رصاصة من كل قبيلة . ثم جمع جمعية وطنية نادت به ملكا فى نفس الشهر .

***

وأخذ الملك الجديد يعاود الاصلاح فى هدوء وترو ، وأعاد امتيازات رجال الدين الى ما كانت عليه ، كما ألغى القوانين المدنية التى سنها « أمان الله » ، والغى السفور كذلك ، لا رجعية منه ولكن تمشيا مع رغبة الجماهير فى المحافظة على التقاليد ، وأنشأ أيضا جامعة كابول

ومضى « نادر شاه » يخطو ببلاده نحو الاستقرار ، حتى اغتيل فى نوفمبر سنة ١٩٣٣ فنودى بابنه « محمد ظاهر شاه » ملكا .

وفى عهده التزمت افغانستان سياسة الحياد وعدم التأثر بجارتيها روسيا وانجلترا ، ورضيت كل منهما من افغانستان بهذا الموقف .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) اعلنت افغانستان الحياد ، ولم يكن لدى الحلفاء ما يدعوهم الى اكتساح تلك البلاد كما حدث فى ايران .

وفى أواخر عهد((ظاهر شاه))كثر انتقاد الناس لحكمه بسبب طغيان اتباعه واراد أن يمتص غضب الشعب فأعاد بعض مظاهر الحرية وبذلك استطاعت الاحزاب السياسية أن تعقد الاجتماعات وتنظم المظاهرات .

وقام « محمد داود » رئيس الوزراء السابق ، ابن عم الملك وزوج شقيقته بتأييد تلك القلاقل وخاصة الحركات اليسارية ، وتزعمها ، وتنبه الملك لذلك فاخرجه من الاسرة المالكة ومنعه من امتيازاتها وحرم عليه العمل السياسي قانونيا ولكنه لم يمنعه من مزاولة السياسة عمليا ، فاسس تنظيما سريا من الشيوعيين ، وضم اليه أفرادا من رجال الجيش وكان له بين كبار ضباطه اصدقاء حميمون .

وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٣ قام الجنرال« محمد داود » بانقلاب عسكرى ضد الملك« ظاهر شاه »أثناء وجوده فى ايطاليا للاستشفاء ، وأعلن قيام الحكم الجمهورى ونصب نفسه رئيسا للجمهورية ، واحتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع

والشئون الخارجية ، كل ذلك بتاييد من الشيوعيين . لذلك أدخلهم فى الوزارات والدوائر الحكومية ، وبدأوا يزاولون نشاطهم الحزبى علنا . وللتخلص من محمد داود أخذ الشيوعيون فى افساد الادارة الحكومية وفى تشويه سمعته ، ولكنه تنبه لمؤامرتهم فثار عليهم وقتل بعضهم وسجن البعض الآخر ، كما فر فريق منهم خارج البلاد .

وخلال هذه الاحداث قام الجناح العسكرى لحزب الشعب الشيوعى (جماعة خلق أو الجماهير) بقيادة ((**نور محمد تراقى**)) ،((**حفيظ الله أمين**)) وكذا حزب الراية بقيادة ((**بابراك كارميل**)) ، قاما بالاستيلاء على دفة الحكم وأصبح ((نور تراقى)) رئيسا للدولة ، بعد اغتيال ((محمد داود)) وافراد اسرته، فى ابريل سنة ١٩٧٨ .

وقد ارتبط تراقى عسكريا بالروس بعد ارتباطه بهم عقائديا ، وأكثر من ذلك جلب المستشارين العسكريين من روسيا، وبهذا أصبح زمام أمر الجيش بيد الروس كما ارتبط بالروس اقتصاديا فحرم شراء السلع الا من الدول الشيوعية ،واخذ المدرسون يزرعون فى نفوس الطلاب حب زعماء الكريملين وماركس ولينين .

وزاد الطين بلة هدم كثير من الجوامع والمساجد وحذف مادة الدين من المدارس، كما منع الموظفون من تأدية صلاة الظهر فى مكاتبهم .. الخ .

وأمام هذه التحديات أعلن الشعب الافغانى ثورته وجهاده المقدس ضد اعداء الدين والوطن ، وبدأت الاشتباكات الدامية بين الشعب وبين جلاديه ، وعلى الرغم من أن الشيوعيين استعملوا جميع وسائل القهر من قنابل وطائرات ونابالم، فقد واصل الشعب ثورته .

ولما وجد الروس ان ((تراقى)) اضعف من أن يقاوم هذا المد الاسلامى الجارف ، دبروا له انقلابا دمويا على يد اقرب الناس اليه وهو ((حفيظ الله امين)) فقتله هو وبعض وزرائه وحل مكانه .

ولكن الشعب الافغانى واصل مقاومته وتدخل الروس تدخلا سافرا فقادوا انقلابا جديدا على ((حفيظ الله)) ، الذى قتل ونصب ((كارميل)) مكانه فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩ .

ولم يكن كارميل أسعد حظا من سابقيه اذ استمرت الثورة وازدادت ضراوة وشملت جميع أرجاء أفغانستان، ومضى الثوار يحققون كل يوم نصرا جديدا ، وقد تمكنوا من تحرير مناطق كثيرة من سيطرة الشيوعيين ، كل ذلك بفضل حبهم للحرية والاستقلال وايمانهم بعدالة قضيتهم وكراهيتهم للشيوعية المعارضة للمبادىء الاسلامية .

وقد سجل الافغانيون بطولات رائعة واستطاعوا الحصول على غنائم من الاسلحة الروسية التى يقاتلون بها الروس . واذا كان الافغانيون قد فقدوا نحو مليون شهيد ، دفن الروس بعضهم أحياء ، وشرد منهم ثلاثة ملايين ، الا أن خسائر الروس تجاوزت أكثر من عشرة آلاف جندى وضابط ، بعضهم من الرتب الكبيرة .

وقد اتخذ الثوار الافغان علما جديدا عبارة عن قطعة قماش خضراء فى وسطها سيفان يحتضنان كتاب الله تعالى وفوقه عبارة ((الله أكبر)) .

وان قوما هذا شعارهم فى محاربة الطغيان والبغى لجديرون بالنصر فى النهاية ، ولا ينقصهم اليوم الا أن تمد لهم الدول المسلمة يد المعونة بالمال والسلاح حتى يكون نصرهم قريبا ،وجدير بالذكر ان مصر كانت ـ ولا تزال ـ تمد يد العون الادبى والسياسى والمالى واخيرا العون الحربى بمختلف الاسلحة والعتاد

حقق الله آمال الشعب الافغانى وآمال المسلمين جميعا فى نصر مبين قريب ..

الحيـاة فى "المجتمعات العميقـة"

عالم ماتحت البحار

● ميشـيل تـكلا ●

على عمق كيلـو مترين ونصـف الكيلو متر ، فى ((جالاباجوس)) اكتشف علماء معهد((وودزهول)) لعلوم المحيطات هيئة جديدة من النظـام لم يسبق ان عثر عليها انسان .. فقـاع البحر العميق المغطى بفصوص وكـرات كونتها الحمم البركانية وبعثرتها بنظام رتيب حول أعمدة من البـازلت ، كأنها قوائم لمبنى اسطورى قديم طعمها النشاط البركانى بقطع من الزجاج وكذلك حول مداخن كتلك التى تحـدثها التفجيرات الذرية تحت سطح الارض لاصـطياد الغـازات الطبيعيـة ـ وللت هـذه التكوينات الغريبة سحبا من المياه المعدنية الدافئة الغنيـة بالكبريت والشـعب المرجانية تركزت على هيئة مسـتودعات مزدحمة بكرات ثلجية من الكبريتيد .

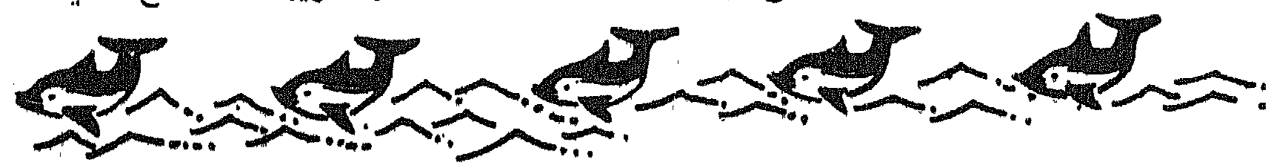
● المحيط يتحدى قدرة الانسان .

يتحدى عمق المحيط قدرة الانسـان العلمية والتكنولوجية تماما كالفضـاء . فتحت سـطح الماء وعلى عمق ميل واحد تصبح الدنيا عالما غامضا كأى كوكب آخر فى المجمـوعة الشمسية . وان كان من السهل الهبوط اليه عما يستطيع الانسان أن يصعد الى كوكب أو قمـر بعيـد .

وبالوسائل العلمية التى لا تزال بدائية ، كان علماء المحيطات الاوائل يعرفون القليل عن قاع المحيط العميق . ولكن التقـدم الثابت عبر السنين مكنهم من رسم خريطة دقيقة لقاع البحر على أعمـاق بعيـدة ، والحصول على نتائج مذهلة مشرقة . فقد كان يظن لوقت طويل ان قاع البحر يتكون من سهول شاسعة لا يسبر غورها تجرى من رف قارى الى رف قارى آخـر ، ثم ما لبثت ان وضـحت الصـورة وان المحيطـات تخفى طوبوغرافية مختلفـة اختلافا كبيرا عن اليابسة وان كانت أكثر عظمة وجلالا !

لقد وضحت صورة قاع المحيط بعـد ادخال اجهزة صدى الصـوت . ففى منتصف القرن الحالى تم اكتشـاف ٥٧ عمقا للخندق اليابانى فى المحيط وعمقـا لخندق هاواى أو سـهل كيب فيردى العميق .. كما قامت أجهزة صـوتية بفحص جوانب هذه الخنادق والسهول . وركبت كاميرات أعمـاق البحـار التى لا تزال تضـيف معـرفة جديدة لقاع البحر .

وبرزت ظاهرة غريبة عند مسح المحيط



فحواها ان المناظر الطبيعية المختفية تحت الماء توجد على نطاق واسع . فخندق ماريانا بالمحيط الباسيفيكي من أروع أعماق المحيطات يغوص الى ١١,٠٥١ ميلا (٣٦,٢٤٠ قدما) في قشرة الارض ، ولكن قاع المحيط له جباله أيضا . فسلسلة جبال وسط المحيط الاطلنطي تعد من السلاسل المشذبة تشذيبا رائعا وبالرغم من أن تيارات المحيط تؤثر في هذه الجبال وتنخرها حاملة معها ذرات كاشطة فهي لا تتعرض لعوامل الاجواء العنيفة أو التآكل أو التحلل الطبيعي أو الكيميائي للتربة والصخور ..

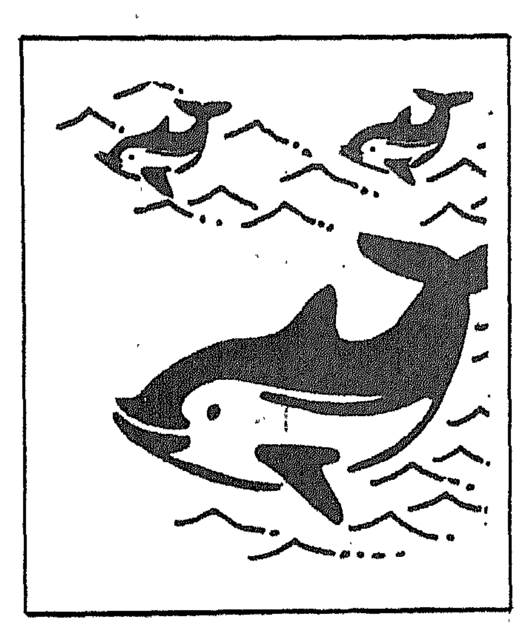
● **قاع البحر الكاذب**

بمزيد من المعلومات عن طوبوغرافية البحر العميق ، يدرس علماء المحيطات حاليا ماء البحر ذاته ، وعلى الاخص ما يطرأ عليه من تغيرات مع ازدياد العمق فمجال سرعة الصوت للماء يتغير باستمرار استجابته للاختلافات في الحرارة والملوحة والكثافة والتيارات .وهذا معناه أن وقت الارتحال لاندفاع الصوت من مصدر الى جهاز الاستقبال سوف يعتريه تأثير . فاذا أمكن اكتشاف هذا التأثير عرفت صفات الماء في قطاع رأسي . وفي هذا العام أجريت مجموعة من التجارب في المحيط الاطلنطي تضمنت مجموعة من مصادر الصوت واجهزة الاستقبال .

● **رواسب الانهار والمحيطات**

ان الاختبارات التي اجريت على رواسب قاع البحر عبارة عن مجال بحث رئيسي آخر .

على عمق خمس كيلو مترات تبعا لاختلاف المركبات الكيميائية لكربونات الكلسيوم تذوب في ماء البحر ، وتعرف هذه العملية ((بتعويض الكلسيوم)) مما يؤدي الى تغطية قاع البحر بطين ناعم أبيض اللون ، كما وجدت مناطق أخرى من قاع البحر العميق مغطاة بطين احمر اللون يحتوي على سليكات الالومنيوم المائية وقد اشتقت اساسا من الغبار البركاني وزجاج خفيف مضاف اليه غبار جوي وذرات أخرى .



قاع البحر : مليء بعجائب المخلوقات

وفي المحيط الاطلنطي توجد مساحات عظيمة قد لا يكون العمق عظيما بما فيه الكفاية لكي يحدث تعويضا للكلسيوم ويمكن معرفة قدر كبير من ماضي هذه المناطق وتاريخها وذلك باختبار الهياكل الدقيقة بأصنافها العديدة المتنوعة .

ان هيكل مركبات قاع البحر من الامور التي لا يهتم بها عالم الاحياء البحري فحسب بل المهندسون الذين لابد ان يكونوا على دراية واسعة بتركيباتها وخواصها الميكانيكية ليحددوا صلاحية الاجهزة التي تغوص الى القاع .. وبما أن محتوى الرواسب يلعب دورا هاما في معرفة ما بها من معادن لذلك كان لابد من تطوير الاجهزة والمعدات للحصول على أعمدة رأسية من هذه الرواسب .

● **وسائد الحمم**

ان بعض المناظر الطبيعية المثيرة تحت الماء توجد على طول اطراف الاقراص التكتونية (أي المتعلقة بنشوء أديم الارض والقرى المؤدية اليه والاشكال الناشئة عن ذلك) .. فعندما تتحرك هذه الاقراص منفصلة بعضها عن بعض



تحدث الصدوع التى تسمح للحمم المنصهرة بالتدفق نحو الخارج والانتشار فوق قاع المحيط • وما أن يبردها ماء البحر حتى تتخذ هذه الحمم أشكالا غريبة وعلاوة على ذلك يتسرب ماء البحر الى الشقوق حيث تسخنه الصور البركانية وتجبره على الاندفاع بعد أن يكون قد أصبح غنيا بالمعادن المذابة من خلال الثقوب •

فى عام ١٩٧٧ انزل مثقاب الى عمق كيلو مترين ونصف الكيلو متر فى صدع جالاباجوس بهدف العثور على شقوق نشطة وتكوين ارتباط بين هذه الشقوق وحركة الاقراص التكتونية • وفى الحال تم اكتشاف مخلوقات مذهلة فى الاعماق• وحدث اكتشاف اعظم بعد ذلك فى عام ١٩٧٩ عندما قامت بعثة من العلماء بجلب ما أطلقوا عليه ((مجموعة جديدة من المفاجآت العلمية •))

بدأ العمل فى نتوء شرق المحيط الباسيفيكى عند درجة ٢١ شمالا حيث أملت احدى النظريات العلمية بوجود شقوق كثيرة يجب القاء الضوء عليها • ووجد بعد وقت قليل انه لم يكن هناك شقوق فقط بل مجسار من الماء اللبنى المترسب فى الصدع كما انبعث دخان فى سحب كثيفة لماء ابيض وأسود اللون بلغت درجة حرارته ٤٠٠ درجة مئوية ، وبجانب ذلك كانت مستعمرات حيوانية تشبه تلك الموجودة فى الصدع ذاته تتكور وتلحتم فى عناقيد حول الموقع ••

ان معرفة العلماء لهذه الظاهرة الغريبة لا تزال ضعيفة يغلب عليها التأمل والتفكير العميق ، مما جعلهم يواصلون البحث فى صدوع جالاباجوس ومنطقة نتوء شرقى الباسيفيكى للحصول على نموذج متطور لهذه الظاهرة يمكن فهمه وتحليله علميا •• ولابد من متابعة تطور الشقوق من خلال دورة الماء فى هذه المناطق التى تكثر فيها الضلوع الافقية والحلقات والكرات والاعمدة الطويلة التى عندما هشمت وجدت فارغة تماما •

لقد كان يظن لسنوات عديدة ان الحياة تنعدم تحت الضغوط الهائلة للاعماق الباردة المظلمة للبحر على مسافة ٥٠٠ متر • ولكن بالتدريج عبر السنين امكن جمع مخلوقات من أعماق أعظم وأعظم فى عام ١٩٥٠ خلال البحوث التى قامت بها السفينة الدنماركية جالاثيا التى ادهشت العالم عند استخراجها لرخويات وديدان وهيئات الحياة البحرية الاخرى من عمق ٢٠٠ر١٠ متر من خندق الفيليبين • وكان لا يزال من المشكوك فيه وجود الاسماك عند هذه الاعماق •

●حيوانات ونباتات قاع البحر

توجد فى أعماق المحيطات حيوانات ونباتات تعيش على القاع بطريقة متناثرة متباعدة • ومع ذلك فهناك احيانا تركيزات هائلة للاعداد الصغيرة من مجتمعات البكتريا • وتقوم البكتريا من جانبها مع الحرارة والضغط بتحويل بقايا المواد العضوية الى غاز الميثان الذى يتحول بدوره فى نهاية الامر الى بترول ومن الممكن استخراج البيكتريا من قاع البحر لذلك اعدت معامل صغيرة تهبط الى القاع حيث تجرى بداخلها تجارب مثل قياس نسبة الاكسجين الذى تستهلكه حيوانات ونباتات القاع وتحديدها • وعلى مرور الوقت استطاع العلماء أن يجمعوا معلومات غزيرة عن الرخويات والديدان والقشريات واللاحشويات (أى الحيوانات البحرية اللافقارية ذات تجويف بطنى يقوم مقام القناة الهضمية كسمك المرجان والسمك الهلامى) والقنفديات (وهى طائفة من الحيوانات البحرية تشمل نجم البحر والقنفد البحرى) التى تسكن الاعماق •

وعلى ذلك كان اهتمام المجتمع العلمى منصبا على ما عادت به السفينة ((الفين)) من مجموعة هائلة من حيوان ونبات صدع

جالاباجوس مع انباء عن مخلوقات كان وجودها حتى وقت قريب مشكوكا فيه وان طعامها كان من أعظم الاكتشافات فى عالم ما تحت البحار .

ركبت كاميرات على السفينة ((الفن)) وفى غاطس والتقطت صورا كل عشر ثوان وسجلت وجود حيوانات صدفية غريبة بيضاء اللون تعيش على تصفية البكتريا وغيرها من الاعضاء الدقيقة بنفس الطريقة تقريبا التى تستخدم فيها الحيوانات الرخوية خياشيمها المغطاة بمادة مخاطية لالتقاط المواد الغذائية . وكان من الواضح بعد ذلك أن الشقوق النشطة بها مستعمرات كاملة من الحيوانات الرخوية ، اما الشقوق غير النشطة فقد كانت محاطة باصداف فارغة .

أما الاكتشاف الاخير المذهل فقد عثر عليه قريبا من الشقوق . وكان عبارة عن دودة ضخمة تعرف علميا باسم « بوجو نوفورا » . وهي من أنواع الديدان الطويلة غير العادية لا أحشاء لها تمتص جزيئات الطعام والاكسجين عن طريق حزمة من مجسات دموية حمراء تندفع من خلال نهاية الانبوبة التى يبلغ طولها نحو متر أو اكثر وتعد من اكبر الاعضاء فى فصيلتها التى سجلت حتى الآن .

وبجانب ذلك تم اكتشاف نوع من الكابوريا القصيرة . ومعظم انواع « الكابوريا » لها عيون مركبة بقرنيات سداسية الشكل . ولكن هذا النوع لم يتمتع بهذه الميزة . فعيونها مختصرة ولا يزال العلماء فى حيرة عن الطريقة التى تحس بما يجاورها من اشياء وعلى الاخص فى ظلام العمق . ومع ذلك فهذا النوع من سرطان البحر اذا واجه شيئا عمد الى طرق هجومية وكأنه يرى خصومه !

● اسئلة بغير اجابة

هناك سلسلة من الاسئلة بغير اجابة لكثير من الاشياء التى اكتشفها الباحثون ولعل ابرزها هو غذاء هذه المخلوقات . فحيوانات ونباتات البحر العميق قد اعتبرت دائما متناثرة متباعدة لانها تعتمد على الغذاء الذى يهطل عليها من الذرات العضوية التى تخلقها عملية التمثيل الضوئى لملايين غير معدودة من العوالق التى تسبح على سطح المحيط . وهذه الذرات غير كافية لتسد حاجة مخلوقات المجتمعات التى تسكن مناطق الشقوق فى الاعماق . لذلك اقترح العلماء أن الحل موجود فى عملية تعرف باسم التمثيل الكيميائى . فتوليف المركبات العضوية عن طريق البكتريا باستخدام المواد الكيميائية مثل كبريتيد الايدروجين معروف فعلا .

وبالرغم من انه ليس فى أى مكان آخر على الكرة الارضية قد عرفت مجتمعات ضخمة مماثلة تعيش على عمليات تعتمد اعتمادا كليا على ضوء الشمس ، فان التحليل الكيميائى لماء الشقوق صدق على هذه النظرية عندما عثر على كميات كبيرة من كبريتيد الايدروجين ، وان مليارا لكل لتر من هذه الحيوانات الدقيقة قد تم قياسه ، وبينها الكثير القادر على استخدام كبريتيد الايدروجين .

تؤكد التجارب التى اجريت على مجموعة من الاحياء المجهرية ان البكتريا هى منتجات أولية . فحيوانات الشقوق تعيش بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على طعام البكتريا الناتج من كبريتيد الايدروجين وثانى اكسيد الكربون والاكسجين المذاب فى ماء الشقوق .
لقد فتحت بحوث أعماق المحيطات بابا جديدا وجاءت ببعد جديد فى فهمنا وتقديرنا لانواع الحياة فى المجتمعات العميقة .. لقد رأى العلماء قدرا يسيرا من الحياة الموجودة فى أبعد الاعماق والاجزاء الدامسة الظلام فى المحيطات ، ولكن أصبح من الواضح أن مخلوقات المحيطات العميقة على درجة كبيرة من الغرابة مثل الوديان التى تعيش فيها .



لسلامة الصغار والكبار
من خطر

الإلتهاب السحائى

● الالتهاب السحائى والحمى الشوكية من الامراض التى تثير الذعر والرعب احيانا بين كثير من الامهات فهى أمراض تواجهنا صغارا وكبارا ، ولكننا لانعرف عنها شيئا وبالتالى فنحن لاندرك مدى خطورتها واساليب وطرق الوقاية منها .

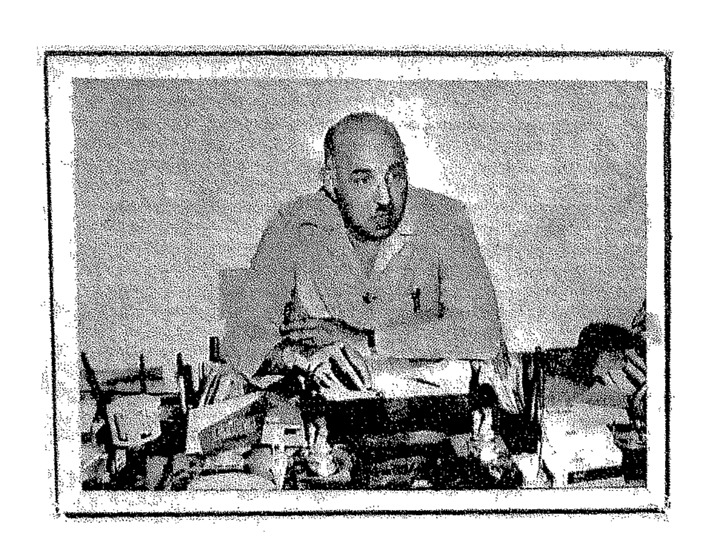
وفى لقاء مع الدكتور على العيادى أستاذ الامراض الباطنية بكلية طب قصر العينى ، كان الحديث حول أمراض الالتهاب السحائى والحمى الشوكية ..

فى البداية سالت الدكتور العيادى عن الفرق بين الالتهاب السحائى والحمى الشوكية ؟

يقول الدكتور العيادى : الالتهاب السحائى هو التهاب الاغشية المخية بانواع مختلفة من الميكروبات البكتيرية مثل العنقودية والسبحية او الدرقية او الفيروسات ... اما الحمى الشوكية المخية والتى نسمع عنها بكثرة هذه الايام فهى نوع خاص من الالتهاب السحائى المخى يسببه ميكروب خاص يسمى ((مينر جوسوس)) وهذا يعنى ان الحمى المخية الشوكية هى نوع من مشتقات الالتهاب السحائى ، ويمكن اكتشافه عن طريق أخذ عينة من سائل النخاع فى العمود الفقرى للانسان المصاب ...

وتكمن خطورة ميكروب الحمى الشوكية او الالتهاب السحائى فى آن من خصائص هذا الميكروب انه يستقر فى اغشية المخ فقط . وهـذا هو مكمن الخطر ... أما ميكروبات الحميات الاخرى مثل التيفود فانها تستقر فى الامعاء ... وفيروسات الانفلونزا تستقر فى الاغشية الخاصة بالانف وهكذا ... ومن هنا فاننا كاطباء نعتبر أن الاصابة بالحمى الشوكية او الالتهاب السحائى من اخطر الامراض عالميا ... ولذلك يجب على كل اب او ام أن ياخذوا فكرة واضحة وكافية عن طبيعة هذا المرض للوقاية منه من ناحية ، وكذلك معرفة وسائل العلاج منه باسرع مايمكن من ناحية اخرى نظرا لآثاره الجسيمة غير القابلة للشفاء .

وسال الدكتور على العيادى : ماهى



د. علي العيادي : كيف نواجه خطرالالتهاب السحائي ؟

مصادر العدوى ... وهل يمكن الوقاية من الالتهاب السحائي أو الحمى الشوكية ؟

ويجيب : مصادر العدوى في هذا المرض هم المرضى حاملو الميكروب وهؤلاء هم أهم مصادر العدوى حيث يوجد الميكروب في الانف والبلعوم ، وتنتقل العدوى عن طريق الرذاذ والمخالطة مع حامل الميكروب ... ويساعد أكثر على انتشار هذا المرض الازدحام الشديد ، وقلة التهوية خاصة في الفصول المدرسية ، وعنابر النوم ، وفي المدارس الداخلية ، والمخيمات ... ومما يساعد أيضا على انتشار هذا المرض أن حامل الميكروب قد لايصاب بالمرض ويظل مجرد حامل للميكروب ، وبذلك فان الميكروب « كامن » لديه ينشره دون أن تظهر عليه الاعراض ، ولذلك فنحن ننصح دائما بارتياد الاماكن جيدة التهوية وغير المزدحمة ، وخاصة في الموسم الخاص بالمرض وهو نهاية الشتاء وأوائل الربيع ، وهي الفترة التي نسمع فيها عن انتشار هذا المرض بكثرة في العالم كله .

● طرق الوقاية ... ●

ولكن ، ماهي طرق الوقاية من هذا المرض ؟ ..

يقول الدكتور العيادي : في الواقع وكما سبق أن قلت ، فان التهوية وعدم الازدحام هما أهم وسائل الوقاية من هذا المرض ... كذلك استعمال المضادات الواقية التي تزيل الميكروب من الانف والبلعوم ... وقد كانت مستحضرات السلفا تفي بالغرض، ولكنها فقدت قدرتها على ذلك ، بسبب ظهور أنواع جديدة من الميكروبات لاتتأثر بمستحضرات السلفا ... ويستعمل الآن مضاد حيوي يسمى « ريفامبسين » ولكنه غالي الثمن ، ويمكن استعماله كوقاية ضدالمرض فيالتجمعات الخاصة فقط مثل المدارس أو المخيمات .

ويستطرد الدكتور العيادي :

كذلك هناك تطعيم بالفاكسين ويعطي مناعة ضد نوعين من هذا الميكروب « ايه » و « سي » لمدة ثلاث سنوات بنسبة مائة في المائة ، مما يقلل كثيرا من احتمال وجود حاملي الميكروب ، ولكنهذا التطعيم باهظ الثمن أيضا ، ويصعب استعماله على نطاق واسع ، ولكنه يمكن أن يعطى للاشخاص الأكثر تعرضا للوباء في التجمعات والزحام .

● أعراض الحمى الشوكية ●

وكثيرا مايحدث خلط بين أعراض

الانفلونزا والحمى الشوكية ، مما يؤدى الى تأخر العلاج ، وبالتالى يؤدى الى نهاية وخيمة ... ومن هنا يصبح من الضرورى معرفة أعراض الحمى الشوكية حتى يمكن تدارك الامر فى وقت مناسب ...

ويقول الدكتور العيادى : ان اى عرض لأى مرض يجب أن تاخذه الأم بجدية ، لأن أعراض كثير من الامراض متشابهة ، وفى حالة الالتهاب السحائى والحمى الشوكية ، فان أعراضه تنحصر فى ارتفاع شديد فى درجة الحرارة وصداع شديد ، والتهاب فى الاغشية المخاطية ... وهذه أعراض الانفلونزا أيضا ، ولكن يزيد عليها أن الإلتهاب السحائي او الحمى الشوكية يصاحبهما تصلب فى فقرات العنق وآلام مبرحة تمنع الشخص من تحريك الرقبة أو الراس ، ومع انتشار الميكروب بالدم يستقر فى النهاية بالاغشية المخية ويسبب المرض المعروف بالحمى المخية الشوكية ... وتظهر هذه الاعراض على المريض بعد فترة حضانة تتراوح بين يومين وسبعة أيام ، يبدا بعدها المريض الشكوى من هذه الاعراض ...

ونسأل الدكتور علي العيادى : كيف يمكن السيطرة على هذا المرض قبل وبعد ظهوره ؟

ويجيب : فى حالة ظهور أعراض المرض على أى شخص ، فينبغى عزله فورا مع وضع المخالطين له بمستشفى ، ومعالجته بالمضاد الحيوى حتى يشفى ، ووضعه تحت الملاحظة لمدة سبعة أيام « فترة الحضانة » ويمكن اعطاء المخالطين للمريض كبسولتين من « الريفامبسين » يوميا لمدة خمسة أيام ...

● الشفاء ممكن بشرط ... ●

ونسأل الدكتور العيادى : هل الشفاء التام من الحمى الشوكية أو الالتهاب السحائي ممكن ؟ ...

ويقول الدكتور العيادى :

فى الواقع اذا أمكن علاج المريض بعد ظهور الاعراض مباشرة فان الشفاء التام يتم فى حوالى ٩٠٪ من الحالات ... ولكن اذا تأخر العلاج بعض الشىء فهنا تكمن الخطورة ، فقد يترك المرض آثارا جانبية مثل الشلل أو التهابات النخاع والاعصاب أو التهاب فى الاعصاب المخية ، وكلها عاهات مستديمة لا علاج لها ، بل وقد يؤدى تأخير العلاج الى الوفاة .

واخيرا ، يؤكد الدكتور على العيادي فى نهاية حديثه ان هذا المرض يصيب الكبار والاطفال معا من سن ستة اشهر أى بعد فترة الحضانة الطبيعية التى يحصل عليها الطفل من امه ، والاعراض والعلاج والنتيجة واحدة عند الصغار والكبار ...

والنصيحة التى يقدمها الدكتور على العيادى لكل أم : ـ هى عدم الاهمال عند ظهور أى عرض من أعراض اى مرض على طفلها ، فالاعراض الاولية لابسط الامراض هى ذاتها نفس الاعراض التى تصاحب اعنف واخطر الامراض ، واستعمال المسكنات من نوفالجين واسبرين ينبغى أن يتم فى حدود ضيقة حتى لاتطمس معالم اى مرض ... ●

اعداد : سهير الجارحي

أندلسية

في القطار ...

أحمد السمره

وتجذبني بعينيها اختيالا ... فتوقظ للهوى الطاغي صباه

حُميّا لا تجود بها دنان ... وأحجية تحدث من تراه

كِلانا ودّ لو يجري حديثا ... ولكن من يبادر مبتداه ؟

همَمتُ به فأرجفني حياء ... وهمّت ، فاستقامت لي مناه

فقلت لها وقد أثرى فراغي ... عبير جوارها ونَدى شذاه

قطار الليل يسرع في سُراه ... ليبلغ في الضحى الأسى مداه

فقالت وهي باسمة المحيّا ... لأن الشوق ما يحدو سُراه

***

فقلت لها ترى من أين ؟ قالت ... وروح الزهو يستهدي سناه

أنا من موطن أنمى الدراري ... ووشّح بالشموس مدى سماه

وانضرت السماء به فأوحت ... إلى الفنان أرفع ما جناه

يطوف به الفنون على فنون ... ويحتشد الثراء على ثراه !

وتستندي الجبال به سحابا ... فيحبوها السقاية من لماه

بأكناف العروبة فاض نهرا ... ترقرق للظماء ندى قِراه

وفي لدد الملاحم كان هولا ... تعانقت السيوف على نداه

فلا تعجب لزهوى فهو زهو ... يصعده الفخار لمستواه

أنا من أرض أندلس ولكن ... جدودي العرب والتاريخ جاه

شوامخ ركز الإشراق فيهم ... مآثره وأضفى من علاه

شوامخ ركز الإشراق فيهم مآثره ... وأضفى من علاه

فإن أدنى بهم في العصر خسر ... فقد شمخت بفجرهم الجباه

فقلت لها وقد غامت عيوني ... ليعرب أنتمي فأنا فتاه

أزف إلى مشارفه نهاري ... وأبذل كل غال في فداه

فقالت لي إذن أبناء عم ... تلاقوا في هوى الماضي وتاهوا

باقة من العرفان فى وداع...
سيد النغم
رياض السنباطى

● فوميل لبيب ●

"مات رياض السنباطى ، هرم الموسيقى ، وسيد النغم . والفنان الذى حظى بالتكريم على المستويين العالمى ، والمصرى ... فعالميا فاز بجائزة الموسيقى الدولية التى يتسابق عليها حفنة من عباقرة العالم .. ومصريا فاز بدرجة الدكتوراه الفخرية قدمها اليه الرئيس الراحل انور السادات فى عيد الفن ... وليس فى العالم العربى من المحيط الى الخليج من لم يتمايل طربا لالحان السنباطى التى حملتها الى الاسماع خالدة الفن أم كلثوم ..

الى حارس موسيقى العرب ، من اختطفه الموت وهو مستمر فى تدفقه وعطائه .. نضع هذه الباقة من العرفان على قبره .."



رياض السنباطى : عمر من النغم الاصيل

وهو فى سفر الموسيقيين من الخالدين .. لأنه .. !

● أول من حافظ على التراث العربى التقليدى الاصيل .

● اضاف اليه اضافات جمالية كثيرة اخذ عنها الملحنون الذين جاءوا من بعده .

● ادخل كثيرا من الآلات الغربية دون ادنى تشويه للمسار اللحنى الذى ابتكره بعبقريته العربية التى جعلت الحانه تتردد فى جميع انحاء الوطن فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار .

● يؤثر القيم الفنية على كل ما عداها ويسهم اسهاما حقيقيا فى الموسيقى العربية ...

● ويرتفع فوق كل ما هو شخصى .

ولانه كذلك رشحه صالح المهدى رئيس مجمع الموسيقى العربية التابع للجامعة العربية لجائزة اليونسكو الدولية منذ سنوات ... ووجه العجب ان صالح المهدى رشحه هو بدلا منه ..

وقد درس المجتمعون فى اليونسكو موسيقى المتقدمين للجائزة الدولية ... درسوا موسيقى ليتارو ازفيدوا البرازيلى ، وخرينكوفوف الروسى ، وادوارد الفانى ، وجودمان عازف الكلارينت الامريكى .ورياض السنباطى، وقالوا ان السنباطى يستحق الجائزة حقيقة ، لانه استطاع بالموسيقى التى قدمها التأثير على منطقة لها تاريخ حضارى ...

وكان الاحتفال بتسليم الجائزة لرياض السنباطى يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٧ .

وقد دق التليفون فى بيت رياض السنباطى وتلقى دعوة بالذهاب الى مسرح سيد درويش بمدينة الفنون لتسلم شهادة الدكتوراه الفخرية من يد الرئيس الراحل انور السادات ...

وبعد دقائق تسلم خطابا من هيئة الجوائز الدولية تدعوه الى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا حيث يتسلم جائزته ــ ٥٠٠٠ دولار ــ ليلة ٨ أكتوبر .

يضحك السنباطى ويقول :

ــ يقول المثل العامى الفقى لما يسعد يجى له ختمتين فى ليلة واحدة .

واختار السنباطى ان يتسلم الجائزة من الرئيس الراحل السادات ...

واعتذر بخطاب رقيق عن السفر الى تشيكوسلوفاكيا ...

وفى يوم ٨ ديسمبر عام ١٩٧٧ قامت جمعية المؤلفين والملحنين بتكريم السنباطى .. الدكتور ، الفائز عالميا !

***

منذ ٧١ عاما ...

والمكان بلدة فارسكور من اعمال

باقة من العرفان في وداع
سيد النغم رياض السنباطي

الدقهليـــــة ، حيث الارض الزراعية مغمورة بالمياه تغوص فيها شتلات الارز، والفـــلاحين عائدون الى دورهم في اطراف البلدة ، والتجار الصـــــغار يتجمعون على المقاهى ، والنساء يطللن من النوافذ ويتناقلن خبر ذاك الاصيل .. المغنواتى خلف ولد ...

والمغنواتى هو السنباطى الكبير الذى كان يغنى فى الافراح فى فارسكور ...

ويبلغ السنباطى الكبير المنصورة ، ويتقن الادوار القديمة والقصائد ، ويقلد عبد الحى حلمى ، والصفتى . ثم يعلو صيته وتضيق فارسكور بطموحه فينتقل الى المنصورة نهائيـــــا ويحظى بلقب « بلبل المنصورة » ، ولكنه يفاجأ بمرض فى عينى صبيه رياض . ويهلع ويأخذ ضناه الى الطبيب الذى يقول له :

ــ ابنك يعانى من العين العصبية ، هنا لا شفـــــاء لها الا بان تاخذه الى الريف حيث يستطيع ان يتامل خضرة الحقول ، وينظر فى افق أزرق وسماء صافية ..

وذهب الأب مع ابنه ، وفى الريف اتيح له أن يسمع ابنه يدندن باغنية « نام الحمام والقمرى » ــ فساله :

ــ متى بدات الغناء يا رياض ؟

فقال الصغير :

ــ منذ عرفت معنى ما تغنيه ...

فقال الأب :

ــ سوف « نسرح » معا .. ســـــوف نغنى معا !

وبدأ الســـنباطى الكبير يتجـول مع السنباطى الصغير ...

وفى تلك الاثناء كانت فنانة تصعد الى سماء الطـــرب على مهل ، تجوب القرى والدساكر والكفور مع ابيهـــــا الشيخ وشـقيقها المعمم ، اســـمها ام كلثوم ، وهي من مسقط رأس غير بعيد عن مسقط رأس رياض . وهـــو يسمع عنها ويتمنى لو يراها .. وهى تسمع عن السنباطى الكبير وولده ، وتتمنى لو تراهما ...

وفى محطة درين التى يقف عليهمـــا قطار تئن عرباته فوق قضبان هزيلة ــ التفتيا ...

الوقت فجر ــ والمرئيـات تلتف فى ضبابه ، والمطر يهطل رذاذا كأنه ينذر بأفواه القرب ــ كما يقولون :

وهى تحتمى بجبة ابيها ، وهو يحتمى بشـــدة ابيه ... السنباطى الكبير والشيخ ابراهيم يتصافحان ، وام كلثوم ورياض يتعارفان ..

كان رياض أصغر منهـــا . وكانت تشفق عليه من هزاله ... واقبل القطار بصفير كأنه سعال ، فاســتقلاه ... وجلسا متجاورين ، يقطعـــان الوقت بالحديث ، ولكن النوم غلبهما ، بينما استانف الكبار الحديث ..

وافترقا عند محطة المنصورة ... ولم يكن احد يدرى .. لا عـــراف ، ولا قارىء طالع ، ان الصغيرين فى قطار الدلتا سوف تصفق لهمـا الدنيا حين يلتقيان مرة ثانية !

***

من ينابيع كثيرة وغزيرة نهل رياض السنباطى فى ريق العمر ...

يقول رياض السنباطى :

ــ تاثرت بابى الـذى كان اول من علمنى العود ، وقد كان عوادا مشهورا. وعلمنى عشرات من الادوار القديمة التى اعتبرها كنزا مدفونا فى اعماقى ..

ثم يقول :

ــ والتقيت بالشيخ سيد درويش . كنت احفظ له ادواره . ولهذا ما ان رايته حتى احببته جدا . وســمعنى وكان يقول لابى . يا محمـد اترك لى رياض وانا اتولاه . فيقول له أبى « كيف اترك رياض يذهب الى الاسكندرية معك،



انه ساعدى الايمن » . ولكن سيد درويش ما كان يزور المنصورة الا واصاحبه . يأخذنى الى محل حلوانى مشهور فى المنصورة ، وكان يطلب لى قطع « البسطة » بينما يطلب لنفسه شرابا ، فيشرب وآكل . ويصيح بى « غن يا رياض » فأغنى له ، فاذا جاء أبى ليعود بى الى البيت قال له : يجب الا يبقى رياض فى المنصورة يا محمد .. رياض موهوب ومكانه فى القاهرة .

ويقفز رياض السنباطى اعواما فيقول :

ـ بعد الدراسة أدركت عظمة سيد درويش ، فهو الذى نقل الموسيقى من دائرتها المحدودة الى دوائر الانغام الفسيحة .. وهو الذى يتبحر فى خلق المعانى اللحنية الحلوة وتصورها تصور الفنان المتمكن الاصيل ، وتاريخه يشهد له بما اتاه من الحان خالدة للآن لم تمت ، وللآن نرددها ، وللآن يعيش عليها عشرات المطربين ، فاذا هزتنا الحماسة ، واشتقنا الى اغنية وطنية فاننا نردد « بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى » ـ احدى روائع سيد درويش ...

ثم يقول رياض السنباطى :

ـ ولكن سيد درويش لم يلق التكريم اللائق به وهو حى ... ولعل هذا كان عزائى وانا ابلغ السبعين فارى من حولى يكرمون وانا فى عزلة .. قابلت الشيخ سيد مرة فى الاسكندرية . كنت مع ابى نصطاف ، وكان الشيخ سيد واقفا على باب مسرح الهمبرا ، والساعة الثامنة مساء ، وعلى وجهه حزن لا يخفيه ..

وساله ابى فى مشاركة وجدانية صادقة : ما بك يا شيخ سيد .. فقال : اقمت حفلة لاغنى فيها ولم يبع شباك التذاكر اكثر من ثلاث تذاكر ! ...

صمت ابى لحظة بينما استطرد سيد درويش قائلا : « ولهذا الغيت الحفلة ، ووقفت هنا وقدماى لا تقويان على حملى الى البيت ! ..

وواساه ابى ، وقال له : شاعر الحى لا يطرب .. وظللنا معه نضحكه ونضاحكه حتى نسى حزنه ...

***

من ينابيع الصبا تلك الموشحات .

يقول رياض السنباطى :

ـ دعنى اشرح لك حكاية الموسيقى العربية من البداية ! ومن البداية اقول لك ان من الخطأ أن نقول انها الموسيقى الشرقية لان الموسيقى الشرقية فيها ايرانية وتركية وهندية واندونيسية .. ولكل موسيقى منها خصائصها كما ان للموسيقى العربية أطرها ومميزاتها . واول من عزف العود اسحق الموصلى . تمضى اعوام ثقيلة من الكساد الموسيقى حتى يجىء عبده الحامولى فى أواخر القرن الماضى ومعه المظ ، فيقدمان فنا جديدا . ومع جمال ما كان يغنيه مطربو عصر الحامولى وما بعده ، الشيخ المنيلاوى وابو العلا محمد ـ الا ان الدائرة الفنية التى يعيش فيها اللحن كانت ضيقة .. كان اللحن مقفولا ، ولكنه كان جميلا ، والذى وسع الدائرة كما قلت هو الشيخ سيد درويش ...

ثم يقول :

ـ جئت اذن الى القاهرة ... هيا نعود الى خيط الحديث الاول ـ سمعت روائع ابو العلا محمد : « غيرى على السلوان قادر » ، و « افديه ان حفظ الهوى او ضيعا » ..

سمعت عبد الحى حلمى وغيره من المطربين الذين رحلوا ، وكنت اجد لذة فى الاستمتاع بطابعهم المحدود .

وحين جئت الى القاهرة وجدت محمد القصبجى احسن عواد فى مصر ، وكان فضلا عن هذا ملحنا ممتازا ، لكنى وقد جئت الى القاهرة برضا

باقة من العرفان في وداع
سيد النغم رياض السنباطي

غير مكتمل من ابى ، اودت أن اخوض ساحة الفن باسلحتها الحقيقية فقررت ان التحق بمعهد الموسيقى . وتقدمت الى امتحان الاصوات واستمعت الى لجنة فيها مصطفى رضا وحسن انور وحافظ خيرى . ونجحت ... وقررت لى اللجنة جائزة قدرها ٣٠ جنيها تسلمتها على ستة اقساط ..

ويضحك السنباطى ويقول :

ــ كان الجنيه أبرك من مائة الآن !

ــ ولكن اللجنة حينما استمعت الى عزفى على العود تهامست طويلاً . ثم قال لى مصطفى رضا نحن قبلناك فى المعهد .. فنهضت من على مقعدى وانا أقول شكرا . فقال : « ولكننا لن نقبلك تلميذا » .. فوجمت لثوان ، سألت نفسى فيها ماذا اذن ؟ وجاءنى جواب مصطفى رضا مذهلا . قال لى : « سوف نعينك مدرسا للعود ! » .

***

لعله اول تلميذ فى العالم يمتحن ليدخل تلميذا ، فينجح ليمين أستاذا !

قبل السنباطى اربعة جنيهات راتبا شهريا وقبل يديه شكرا للسماء التى ترعاه ! وانخرط فى مناخ الموسيقى بروح مشرئبة الى كل نغمة واردة ، ونفس تلتهم وتستلهم كل نغمة شاردة . اشتهر عنه اخلاصه الشديد للتعليم .. ومن أساطين من تعلموا على يديه الفنان فريد الاطرش الذى قال له السنباطى بعد أيام :

ــ انت موهوب .. وليس عندى ما اقدمه لك ! .

ويقول رياض السنباطى :

ــ بعد سبعة عشر عاما من لقائنا الأول فى درين التقيت بالفنانة أم كلثوم مرة اخرى . كان صيتها قد طبق الآفاق فى القاهرة حين بدات عملى كمدرس للعود ، وكنت أتابع الحانها واحسد الذين يلحنون لها . وكانت تتحرك فى اعماقى ملكة التلحين تعبيرا عن عواطف جياشة يعيشها الشباب فى مثل سنى .. وقد تقدمت بانتاجى لشركة اوديون فمهدت الى بمطربين ومطربات ناشئين وناشئات ، وكنت على موعد مع القدر لأن الفنانة ام كلثوم استمعت الى بعض هذه الالحان ، فطلبت ان الحن لها . وهكذا بدات انصع صفحات عمرى ..

انني تعاونت مع مطربة العرب الاولى على مدى اربعين عاما ، قدمت لها فيها عشرات من القصائد والاغانى الطويلة ... سلوا قلبى ، وولد الهدى ، ونهج البردة ، وسلوا كؤوس الطلا ، ومصر تتحدث عن نفسها ، ومصر التى فى خاطرى وفى دمى ، والاطلال ، ورباعيات الخيام ــ وهذه لها قصة !

ــ تربع السنباطى فوق كنبة الصالون ، وقال وقد استهواه الحديث ولذ له تداعى الذكريات :

ــ نحن ابناء جيل يحترم الشعر . ويعتبره الصديق الاول للموسيقى ، او التوام ... كنت أحب محمدعبدالوهاب وهو يغنى دور أحمد شوقى : يا جارة الوادى ، وعلموه كيف يجفو ــ فاخترت من ديوان شوقى قصيدة سلوا قلبى ..

واحبت أم كلثوم سلوا قلبى لأنها تجمع بين الغزل والوطنية والتصوف ، ولكنها كانت تغنيها فى الاسكندرية ذات مرة وعندما وصلت الى البيت الذى تغنى فيه : وما نيل المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ــ هبت الجماهير بالتصفيق المتواصل ، واهتزت قاعة المسرح بالهتافات الوطنية . وفى الصباح احتجت السفارة البريطانية على الاغنية التى يمكن ان تحرك الجماهير الى الثورة .

ويقول رياض السنباطى :

ــ ولكن ام كلثوم لم تكترث لما قالته السفارة . وظلت تردد القصيدة لعدة اشهر بعد الحفلة الاولى ، وعندما غنت الاطلال حطى بيت « اعطنى حريتى



اطلق يديا » بالتصفيق الملتهب ...
.. كانت أيامهما مراكز القوى تكبل الايدى الكثيرة . ولم يصل الامر هذه المرة الى الاحتجاج ، وكان همهمة غاضبة تجاهلتها أم كلثوم التى كانت تحب الاطلال وتدندن بها ...

قلت : ورباعيات الخيام ؟

فضحك السنباطى وقال :

ـ نسيتها ! مع اننى اعتقد انها القصيدة التى جعلتنى احب الشعر . كان ديوان احمد رامي هدية منه الى . وكنت اعتز بهذا الديوان واقرا فيه كثيرا .. واعجبتنى ابيات :

اطفىء لظى القلب ببرد الشراب
فانما الايام .. مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال
فخذ حظك منه قبل فوت الشباب !

ولحنت هذه الابيات ، وحملتها الى أم كلثوم فسمعتها كلاما وقالت : الله . من اين لك هذا ؟ فقلت من رباعيات الخيام ؟ فقالت : عندى .. هات يا احسان ديوان رامى ... وجلسنا الى الرباعيات نقرأ ، وطلبنا أحمد رامى فأقبل وشاركنا فى الأختيار ، وقام بعملية الربط بين الرباعيات .. ثم طلبت اليه أم كلثوم أن يغير ببرد الشراب بعد اطفىء لظى القلب، فواتاه شيطان الشعر على الفور وقال : ونجعلها اطفىء لظى القلب بشهد الرضاب » ـ وهكذا قدمنا ما اعتبرته الجماهير قمة فى الغناء قصيدة ولحنا وأداء ! ..

***

وكانت أم كلثوم حياته الفنية ...
وباغانيها يؤرخ حياته ، ابنته راوية ولدت مع « سلوا كؤوس الطلا » ... ابنته رفيعة ولدت فى « كيف مرت على هواك القلوب » .. ابنته ميرفت ولدت مع « جددت حبك ليه »» وقد استقبل ابنه محمد نور الدنيا مع « سهران لوحدى » .. اما احمد فهو الذى كتبت شهادة ميلاده مع « ولد الهدى » ...

فاذا ابتعد السنباطى عن أم كلثوم ، فانه قلما يعطى لغيرها ، اذ ذاك يغنى هو ... لأن رياض يدخل في عداد المطربين الاصلاء .. تميزهم دقة الحس وروعة الاداء .. ويقول السنباطى بتواضع :

ـ ولكننى لم أعتن بنفسي كمطرب ، فالمطرب له مواصفات غير موجودة فى وان كنت اعطى نفسى درجة جيدة فى الغناء . فانا أخاف الجمهور . ولهذا اتوارى ، واغنى امام ميكروفون فى ستوديو مغلق .

ثم يقول :

ـ لى قصائد كثيرة غنيتها بنفسى .. ومن احبها الى قلبى قصيدة اشواق للشاعر مصطفى عبد الرحمن التى يقول فيها :

ايها الناعم فى حلم الخيال
تذكر العهد وماضى الصفحات
لا رات عيناك شكى وضلالى
وحنينى ولهيب الذكريات
حينما يعرضها الماضى لعينى
صورا تجلو الذى ضيعت منى
من ليال بهوانا مشرقات

***

قال رياض السنباطى :

ـ تسالنى ماذا أعمل الآن .. اقول لك الحن لمن يستحق ... تسالنى ماذا كنت اعمل قبل قعدة البيت اقول لك اننى كنت مدرس علم النغمات فى الكونسرفتوار . كان تلاميذى من بنات وبنين ، وقد نجح من البنات عفاف راضى ، ونجح من البنين غازى على . ثم فوجئت بهم يحيلوننى الى المعاش .

وسالته :

ـ لماذا اخترت العزلة ؟ لماذا فضلت الوحدة ؟ لماذا لا تسعى بين الناس

باقة من العرفان في وداع سيد النغم رياض السنباطي

ولك بينهم رصيد حب واعجاب واعـزاز ومودة !

فقال : انا اعتقـــــادي ان عزلتي كسب ، فانا اقضي وقتي مع نفسي ، واستغله في الخلق والابتكار .. واقرأ الشعر القديم والحـديث . انا لست في عزلة .. انا مع نفسي ومع كتاب . انا مع خاطرة او لحن ، واحيانا ارى التليفزيون ، واتحاشى ان اسمع الغناء لأنني أحزن على المستوى الذى وصلنا اليه ، ارى تمثيلية هادفة ، او اتابع خبرا سياسيا من الاخبار المثيرة التي تمتلىء بها حياتنا .

ثم استطرد قائلا :

ـ والحقيقة التي لا احب أن اخفيها هى انني لا احب المجتمع ولا آمن له . انا لا احبه خوفا من عواقب الاندماج فيه حتى لو قلت ان المجتمع يحبني . انا لا أحب الاقدام على شيء أندم عليه بعد فعلــه ، لا يهم أن أكـون من ابدعه المجتمع حتى انطوى على نفسه ، فانني اسمع من الناس الاهوال . ويكفى أن آخذ العظة من غيرى ..

ثم قال : هل تتصور انني فكرت في الا اذهب لتسـلم جائزة الدكتـوراه الفخرية . ولم يحثني على الذهاب الا ما قراته من ان الرئيس انور السادات هو الذى سوف يسلمني الشهادة بيده.

وقال : وتستطيع ان تقول ان بعض عزلتي تصوف لا اعلنه .

ومثلما يقرأ رياض السنباطي شعر المبدعين من مصر يقرأ للملهمين من كل بلد عربى ..

يقـــول : قرات دواوين عبد الله الفيصل وقـدمت « ثورة الشك » ، و « ليته يعرف الملل » ، الاولى كمـا تعرف غنتها السيدة ام كلثوم ، والثانية غنتها نازك .

ويقول : أعجبني شعر ابو القـاسم الشابي .. هذا الشاعر الحماسي الذى اختطفه الموت في ريعان الشباب ، قدم ملحمة وطنية مطلعها :

اذا الشعب يوما اراد الحيـاة
فلابد أن يستجيب القـــدر
ولابد لليـــــــل أن ينجلي
ولابد للقيـــــد ان ينكسر

وقد لحنتها وغنتها سعاد محمد .

ثم بحسرة يقول : ولكن اين الطرب بعد أم كلثوم ، لقد انقضى سامره وانتهى عهده ، طرب هذه الايام تشنجات من المطربة وتهليل من الجمهور . وهذا في اعتقادي هستيريا ، اما جمهور أم كلثوم فشيء آخر ، كنت اسـمع أم كلثـوم واسمع في نفس الوقت جمهـورها ، واقول لأم كلثوم آه .. واقول للجمهور الله . لانه يتمتع بحس ذكي فيعرف اين يصفق ، ويحترم الجملة اللحنيـة فلا يقاطعها ، وهو يصـدر احكاما على اللحن من اول مرة ســــــماع ..

***

وكان رياض السنباطى مع عزوفه عن الناس شديد الصدق ، شديد المصارحة وهو يقـــول لك رايه فيك حتى لو اغضبك ، لانه يعتقد ان صدق الاحساس وهو يلحن يجب أن ينسجم مع صـدق الشخصية وهو يتصرف في الحياة .. فكيف للمنافق المزيف المشاعر ان يكون صادقا في لحن ؟

السنباطى الصـادق هو الذى يبلغ عنان السماء اذا لحن الشعر الصوفى ، واثرى حياتنا بالقصائد التي تبقى لنـا جسورا الى المعاني السامية ، ووشائج تربطنــا بالله .. كم هى قدسية ساعة تقضيها مع ام كلثـوم وهى تغني ولد الهـــدى ، او نهج البردة . او القلب يعشق كل جميــل .. لو كان ما ابدعه السنباطى في طول الحياة وعرضها هذه الباقات الروحانية للفن لينال الجوائز ، ويدخل في عداد الخالدين .. ويبقى في السماء جيلا بعد جيل ...

ابنتاى

د. عزت شندى موسى

نمت زهرتان ببستانيه ... فداؤهما العين والعافيه !
اورويهما بنمير الحياة ... ولو جف من هيكلى مائيه
اذا خير القلب من يصطفى ؟ ... تحير .. ايهما الغاليه
فطورا يهيم باولاهما ... وطورا يتيم بالثانيه
فهذى ترابط فى مهجتى ... وتلك تقيم باحشائيه !

***

ارى فيهما ما يسر الفؤاد ... ويبعث بالبشر فى ذاتيه
تملكتا من قيادى الزمام ... وكل شعورى واحساسيه
فليست كمثلهما فى الجمال ... ظباء الحواضر والباديه
وارجو لكلتيهما فى الحياة ... اعز طلابى وآماليه

***

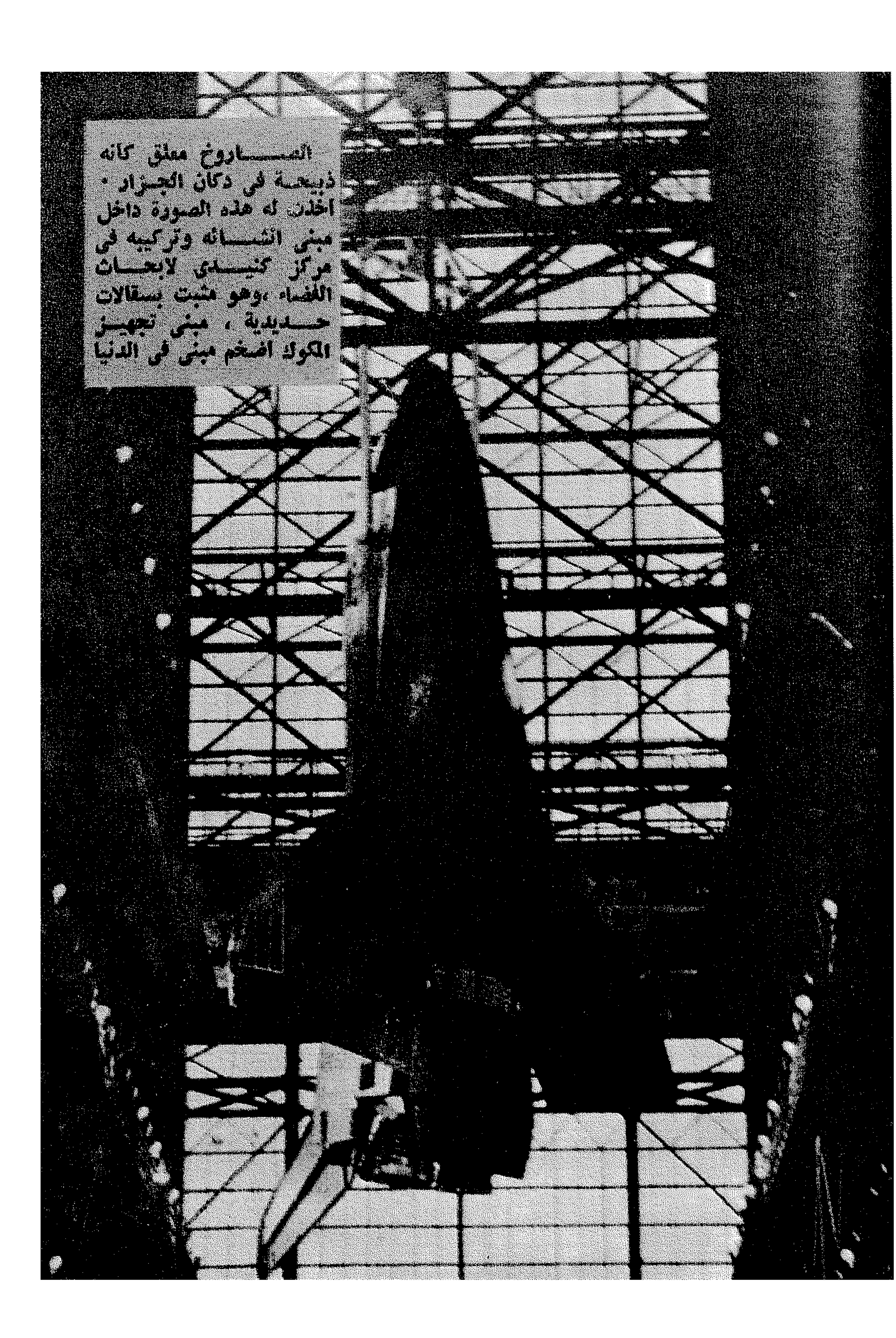
تعاودنى - حينما تسهران - ... ليال من العيشة الخاليه
واذكر من امسيات العناء ... سقامى فى حقبتى الماضيه
فاشفق من مضنيات الدروس ... على النضرة الحلوة الناديه
وتذبل فى الكد احداهما ... فاذوى وتعتل اوصاليه
واحرم نفسى رحيق الحياة ... واعطى لها الجرعة الشافيه
وتشفى الحبيبة من دائها ... فاشفى وابرا من دائيه !

***

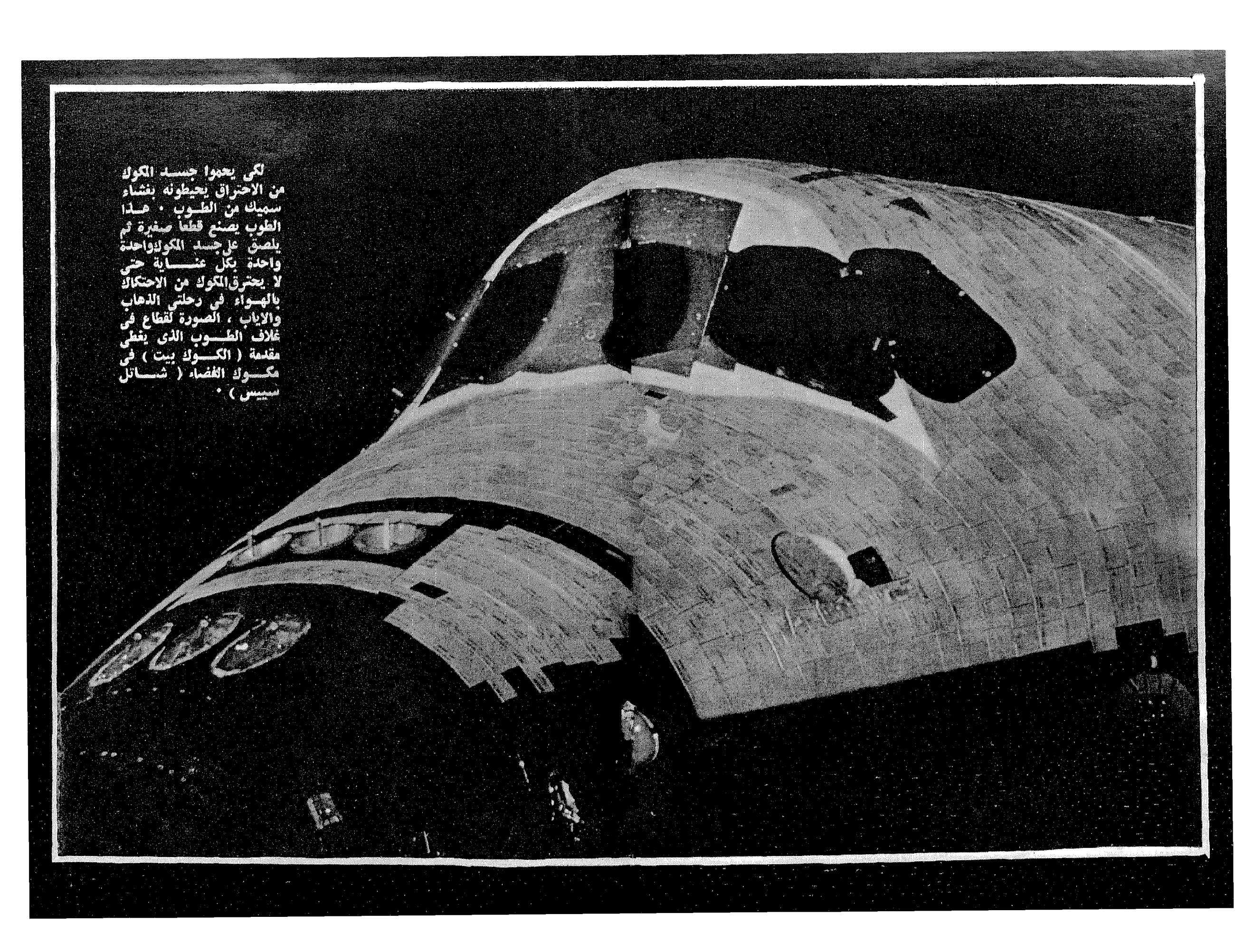
عشقت جمال العذارى فتيا ... وضيعت فى الحب اياميه
ورحت ابث الحسان غرامى ... واشدو لهن باشعاريه
وبددت ما بين هند وليلى ... امانى الشباب واحلاميه
فلا تلك رقت لشكوى الغرام ... ولا هذه قدرت ما بيه
وكان نصيبى صد وهجر ... وتيه يهدم بنيانيه
الى ان تلمست فى زهرتى ... متاع فؤادى ووجدانيه
وطاب لنفسى معنى الجمال ... وروح الدلال بافلاذيه



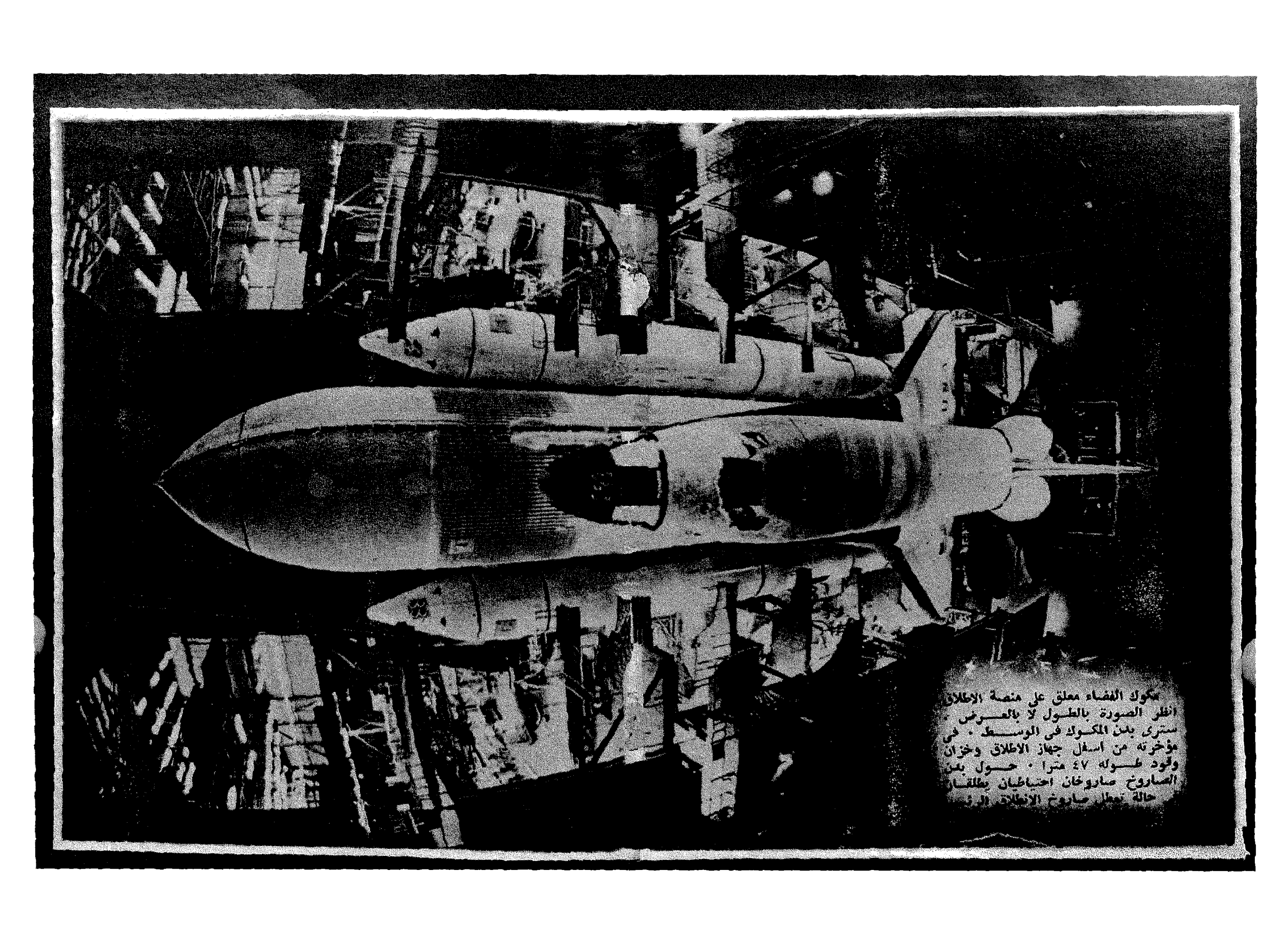
بعد رحلات الفضاء والوصول الى القمر ووضع المعامل الفضائية فى مواضع فى الفضاء للدراسة والمراقبة بدأت محاولات الذهاب الى الفضاء والعودة منه ، أو ما يسمى بمكوك الفضاء ، وهذه هى الخطوة الاولى نحو انشاء خط طيران منتظم الى الفضاء ، ومن المؤكد اننا سنشهد هذا قبل سنة ٢٠٠٠ ، وقبل أن نتناول ذلك الموضوع في استطلاعنا المصور لهذا العدد نحب أن نذكر ان عملية مكوك الفضاء أصعب مرات كثيرة من الوصول الى القمر والعودة منه ، فان رحلات الوصول الى القمر انفقت عليها بلايين ، ولا يمكن انفاق هذه المبالغ على كل مكوك فضاء ، فليست هناك كل الضمانات ووسائل التأمين التى عملت لرحلات القمر . وأى مكوك سيذهب معرض للهلاك خصوصا خلال الدقائق الست الاولى من الاطلاق ، فمن الممكن جدا أن يحترق المكوك فى ثوان معدودة . ومكوك الفضاء ان هو الا واحدة من الوسائل التى يلجأون اليها للسيطرة على الفضاء . ومن الفضاء يمكن السيطرة على الارض ، ومن يسبق الى ذلك فله المستقبل كله .



الصاروخ معلق كأنه ذبيحة في دكان الجزار . أخذت له هذه الصورة داخل مبنى انشائه وتركيبه في مركز كنيدي لابحاث الفضاء ،وهو مثبت بسقالات حديدية ، مبنى تجهيز الكوك اضخم مبنى في الدنيا



لكى يحموا جسد المكوك من الاحتراق يحيطونه بغشاء سميك من الطوب . هذا الطوب يصنع قطعا صغيرة ثم يلصق على جسد المكوك واحدة واحدة بكل عناية حتى لا يحترق المكوك من الاحتكاك بالهواء في رحلتى الذهاب والاياب ، الصورة لقطاع فى غلاف الطوب الذى يغطى مقدمة (الكوك بيت) فى مكوك الفضاء (شاتل سبيس) .



مكوك الفضاء معلق على منصة الاطلاق
انظر الصورة بالطول لا بالعرض .
سترى بدن المكوك فى الوسط . فى
مؤخرته من أسفل جهاز الاطلاق وخزان
وقود طوله ٤٧ مترا . حول بدن
الصاروخ صاروخان احتياطيان يطلقان
حالة تعطل صاروخ الانطلاق

حرب الفضاء

مكوك الفضاء ليس مجرد قصص خيال علمي (ساينس فيكشن) انه حقيقة .. هناك اليوم في الولايات المتحدة والمانيا وانجلترا مصانع ومراكز أبحاث تعمل عملا جادا لتصنيع المكوك واجزائه. والقطع الهائلة التي يتكون منها هذا العملاق الطائر تصنع الآن في مصانع ومراكز هائلة في محطة الفضاء الكبرى في كانيا فيرال في ولاية فلوريدا واماكن اخرى في امريكا ، وهناك محركات ومراكز أبحاث في المانيا وانجلترا تنتج اجزاء من هذه الطائرات الصاروخية الضخمة التي سيبدأ اطلاقها الى الفضاء بصورة منتظمة في القريب ..

ويعرف المهندسون وعلماء الفضاء الذين يقومون بالتجريب والانتاج ان أخطر مراحل المكوك هي الدقائق الست الاولى ، دقائق الانطلاق والصعود في الجو في وضع رأسي والاستقرار فيه ، لان الذي يطلق هذه المركبة الهائلة هو جهاز اطلاق ذو قوة بعيدة يعتمد على صاروخين هائلين ..

وفي المكوك خزان وقود ارتفاعه ٤٧ مترا فاذا حدث اي خطأ في الاطلاق واشتعل مخزن الوقود فان المكوك كله سيتحول الى رماد في ثوان معدودة !

وهذا الاحتمال وارد جدا ، والى الآن يقولون ان امكانية حدوث هذه الكارثة تصل الى ٣٠ في المائة في كل حالة اطلاق

ولا يطمئن الطيارون الى نجاح عملية الاطلاق الا اذا وصل الصاروخ الى ارتفاع ٦٠ مترا في الجو ، وابتعد عن محطة الاطلاق وصاروخيها الرهيبين . لان اشتعال صاروخي الاطلاق يحتاج الى ١٠٠ طن من الوقود السائل و ٦٠٠ طن من حوامض حارقة و ٥٠٠ طن من المواد المتفجرة ..

ولا يوجد في غرفة القيادة (الكوك - بيت) جهاز الاطلاق الذي يقذف بالطيارين الى ارتفاع كبير لينجوا من الموت بواسطة باراشوت . لان هذا الجهاز حتى لو وجد فانه لن ينفع في شيء،لان حرارة الانفجار اذاحدثت فانها تصل الى درجات تحرق كل شيء حولها الى مساحة قطرها ٣٠٠ متر .

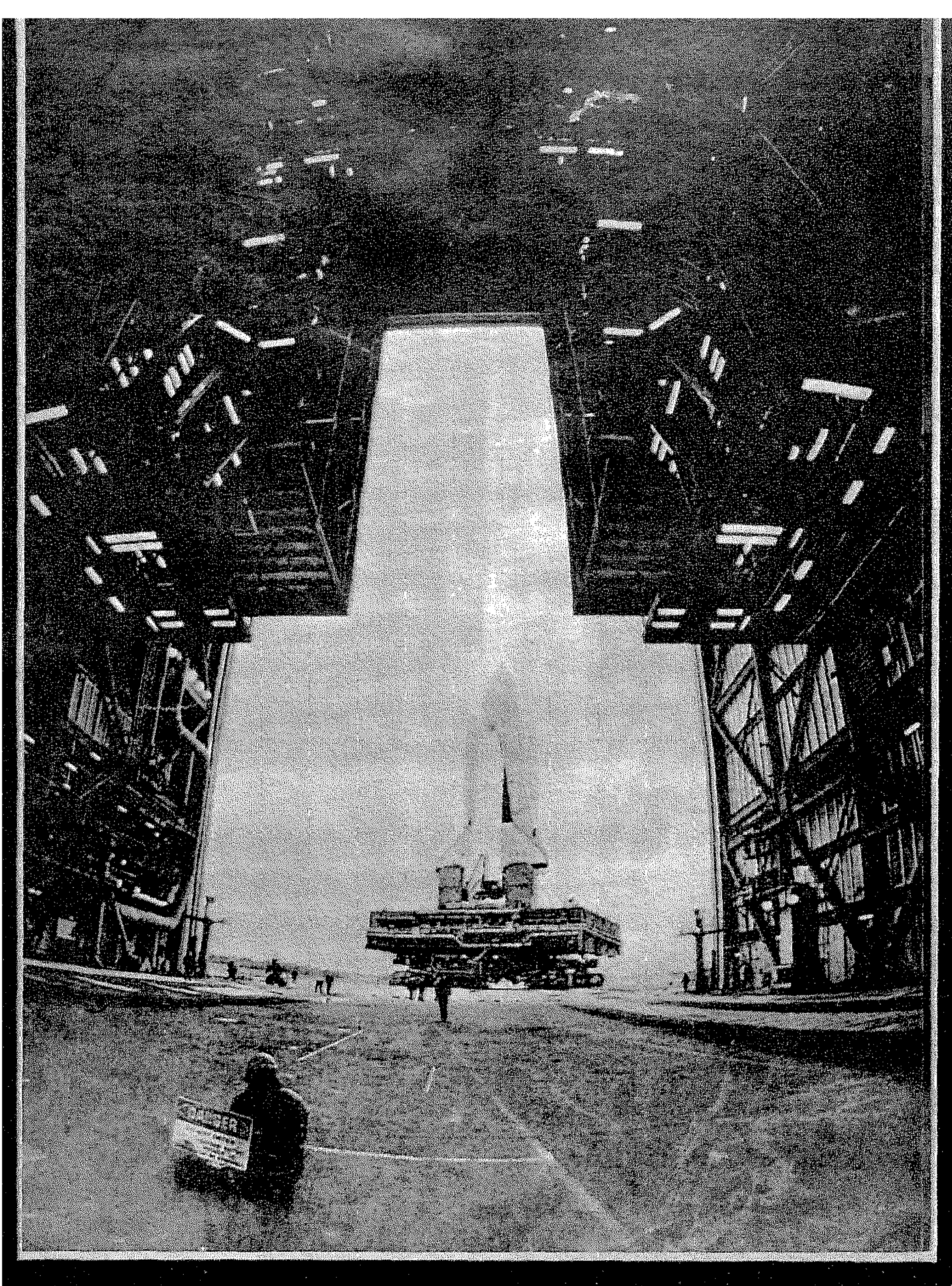
ان خطر اطلاق المكوك في الفضاء يزيد أضعافا على خطر اطلاق مركبات الفضاء العادية ، لان احتياطات الامان التي تتخذ في حالات هذه المركبات تتكلف البلايين ، ولا يمكن اتخاذها في اطلاق كل مكوك فضاء . فاذا كانت احتياطات الامان في حالات مركبات الفضاء تصل الى ٩٩٫٩٩٩ فان ذلك لا يمكن عمله في حالات اطلاق المواكيك ...

ثم ان المكوك يعتبر طائرة ، وهو لهذا يحمل معه الوقود اللازم معه ، في حين ان مركبة الفضاء لا تحمل اى وقود ، فهي اذا انطلقت وصارت في الفضاء تسير بقوة الاندفاع ، وفي الفضاء تسير بمحركات صغيرة ، وحتى عندما تهبط على سطح القمر فانها تحتاج الى صاروخ اطلاق واحد ووقود قليل لكي تنطلق في رحلة العودة ، لان مركبة القمر عندما تترك القمر تنطلق بجزء قليل من جسدها ، والباقي يظل على سطح القمر ، أما المكوك فهو طائرة وفيه ناس كثيرون، ولابد أن يحمل معه كميات ضخمة من الوقود ومن الاوكسوجين للناس ، والاوكسوجين مادة مشتعلة . ومعنى ذلك ان مكوك الفضاء كتلة قابلة للاشتعال منطلقة في الفضاء ،ومن الممكن أن تنفجر ويحترق كل من فيها في لحظات .

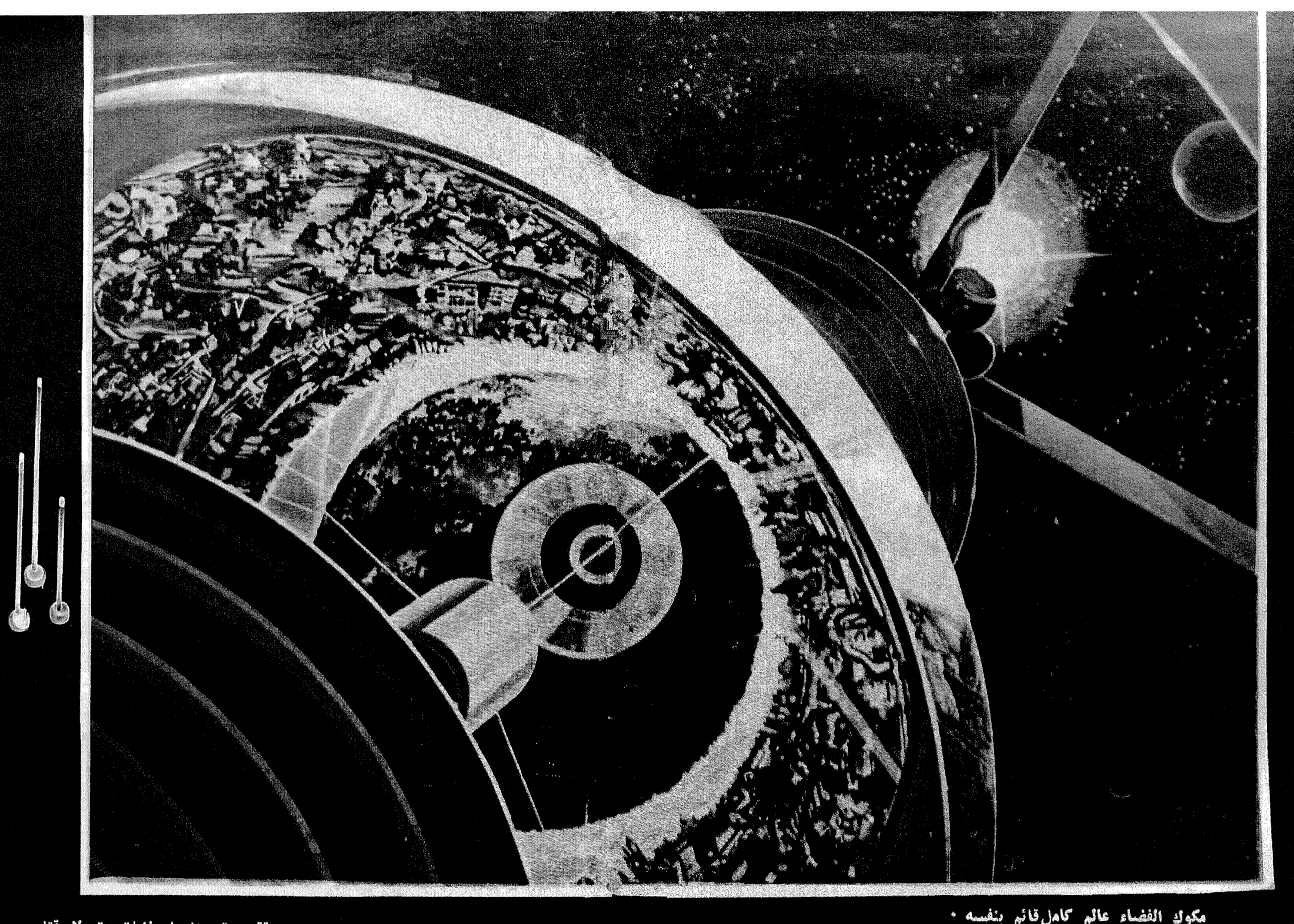
***

ويكفي أن يذكر الانسان ان مكوك

التتمة على صفحتى ١١٢ - ١١٥

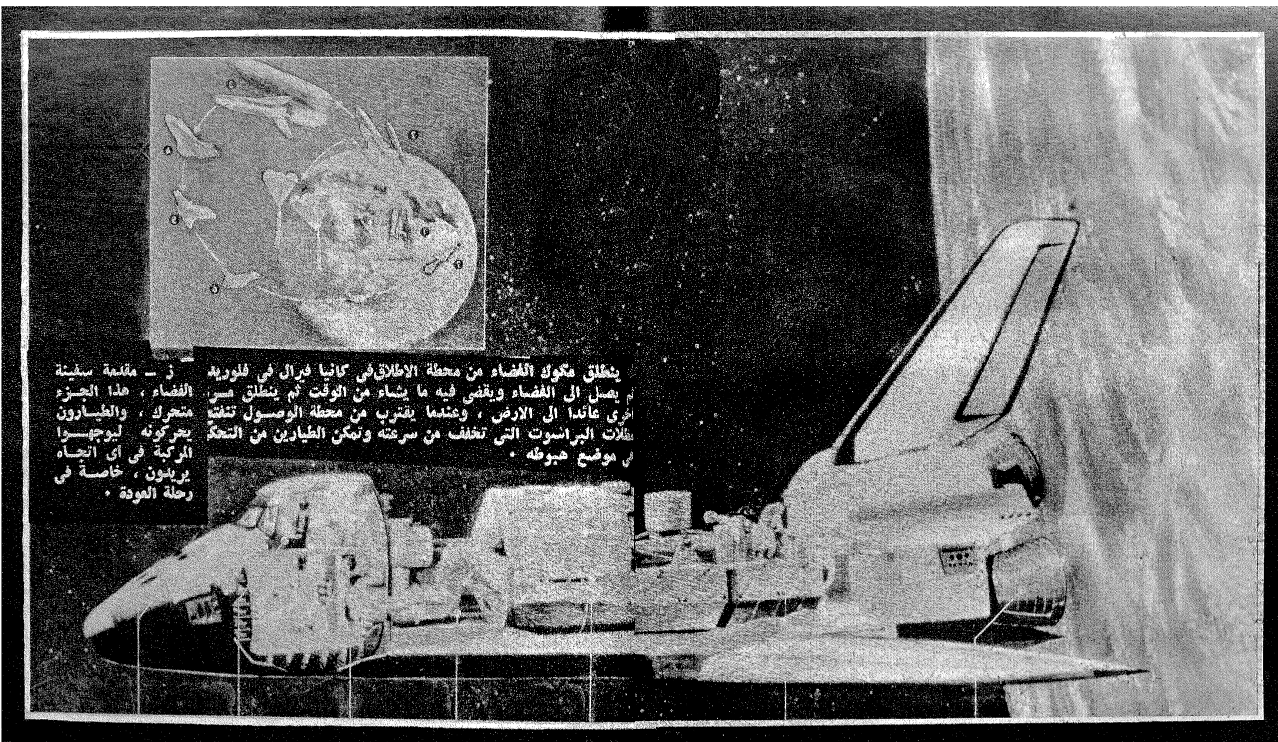


على سيارة ناقلة ضخمة ينقلون المكوك من قاعة البناء والتجهيز الى منصة الاطلاق • بدن المكوك محاط بثلاثة محركات كل منها في هيئة مكوك • واحد منها يظل على منصة الاطلاق والاثنان الآخران ينطلقان معه بصفة جهازين احتياطيين •



مكوك الفضاء عالم كامل قائم بنفسه .

لان الرحلة الى الفضاء والبقاء فيه بعض الوقت ثم العودة تستغرق وقتا قد يصل الى ثلاثة او اربعة شهور ، فان المكوك يصل أولا الى بعد ٣٠٠ كيلو متر فى الفضاء وينتظر هناك معلقا فى عالم بلا جاذبية ثم يعود ، لهذا ينشئ العلماء داخل المكوك عالما كاملا صناعيا فهناك حديقة وحقل واشجار غابات حتى لا يقتل الملل المسافرين ،فى الصورة ترى الحديقة والمرج والغابة والمسافر يرى ذلك من نافذة داخل المكوك ويشعر انه لم يغادر الارض ويعيش حياة طبيعية طوال الرحلة .



ينطلق مكوك الفضاء من محطة الاطلاق فى كانيا فيرال فى فلوريد
ثم يصل الى الفضاء ويقضى فيه ما يشاء من الوقت ثم ينطلق مر
اخرى عائدا الى الارض ، وعندما يقترب من محطة الوصول تنفت
مظلات البراشوت التى تخفف من سرعته وتمكن الطيارين من التحكم
فى موضع هبوطه .

ز ـ مقدمة سفينة الفضاء ، هذا الجزء متحرك ، والطيارون يحركونه ليوجهوا المركبة فى اى اتجاه يريدون ، خاصة فى رحلة العودة .

اجزاء المكوك :

أ ـ فى مؤخرة المكوك ترى ثلاثة موتورات للاطلاق ، موتور اساسى وموتوران احتياطيان .

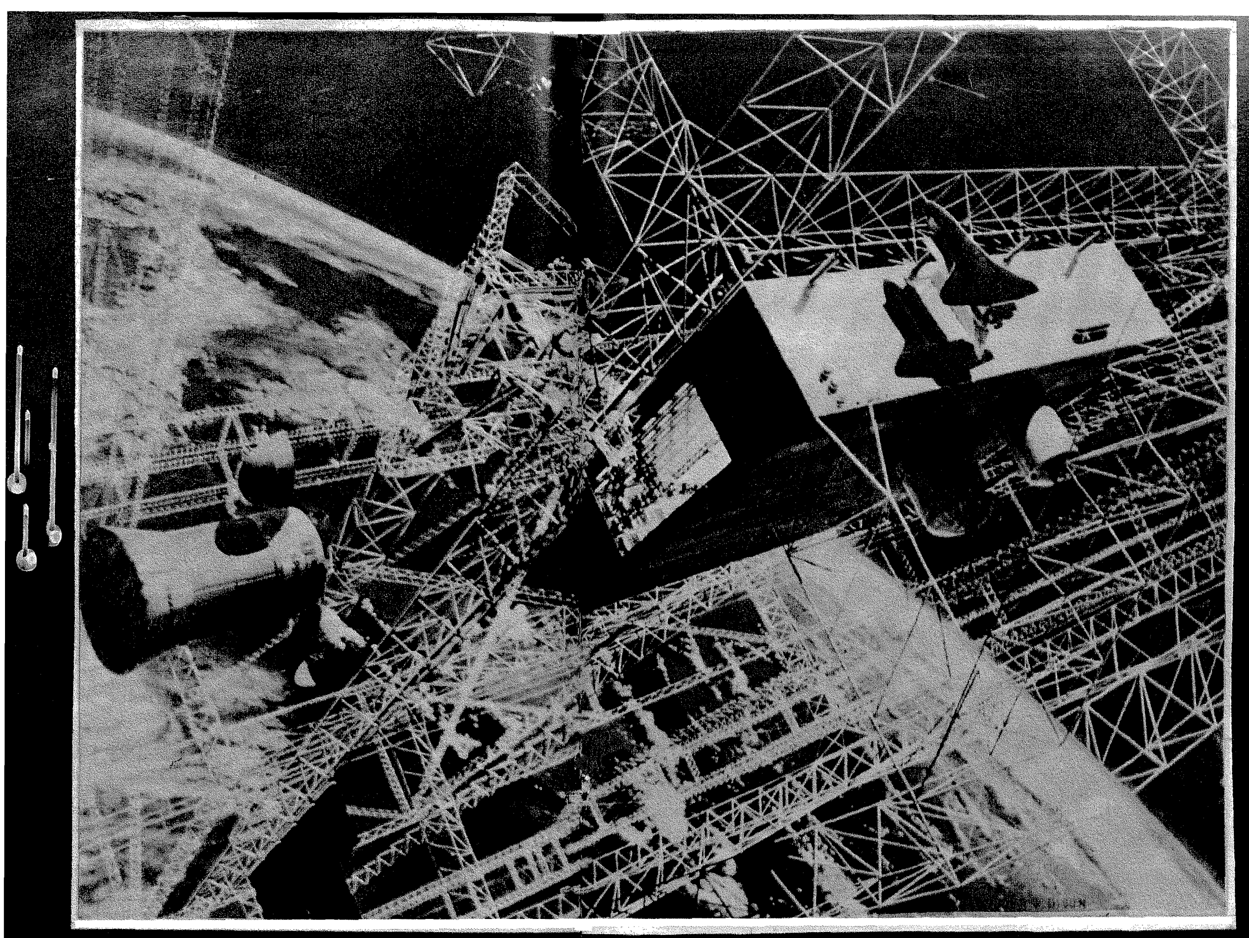
ب ـ مخزن لادوات وانشاء واصلاح وتركيب طوله ١٨ مترا وعرضه ٦٫٦ متر . للمرة الاولى فى التاريخ سيحاول رجال الفضاء انشاء محطة فضاء ليتركوها هناك بصفة معمل ومحطة تجارب .

جـ ـ معمل الفضاء المركب فى بدن المكوك انه معمل كامل سيعمل فيه علماء وباحثون فى الطبيعة والكيمياء والاحياء ، هذا الجزء من المكوك صنع فى المانيا ويعمل فيه علماء من الالمان .

د ـ نفق يؤدى من مقدمة المكوك الى المعمل والمخزن فى الخلف . فى الفضاء يستطيع الطيارون الانتقال من المقدمة الى المؤخرة اما عن طريق هذا النفق او يخرجون الى الفضاء ويسيرون فيه الى الجزء الخلفى .

هـ ـ غرفة استراحة الطيارين . هنا ينامون بالتناوب فى أسرة معلقة بسقف المكوك . هنا ايضا ياكلون ويشربون فى وقت الفراغ .

و ـ غرفة الطيارين أو الكوك بيت . هنا يجلس الطيارون ومساعدوهم وامامهم ومن حولهم الاجهزة المعقدة ومفاتيحها والازرة التى يديرونها بها .



سيعمل مكوك الفضاء على انشاء محطة شمسية هائلة فى الفضـــاء ٠ هذه المحطة ستختزن الطاقة الشمسية ثم ترسلها الى الارض لكي يستخدمها الناس ٠ وهم يقدرون ان مقدار الطاقة الشمسية التى يمكن اختزانها فى هذه المحطة فى يوم يكفى الارض ومن عليها لمدة عام ٠ وهذه المحطة تبنى فى الفضاء جزءا جزءا ٠ ومكوكات الفضاء هى التى تحمل مواد البنـــاء وأدواته شيئا فشيئا ٠ والصورة تبين التركيبات الهامة لانشاء هذه المحطة٠

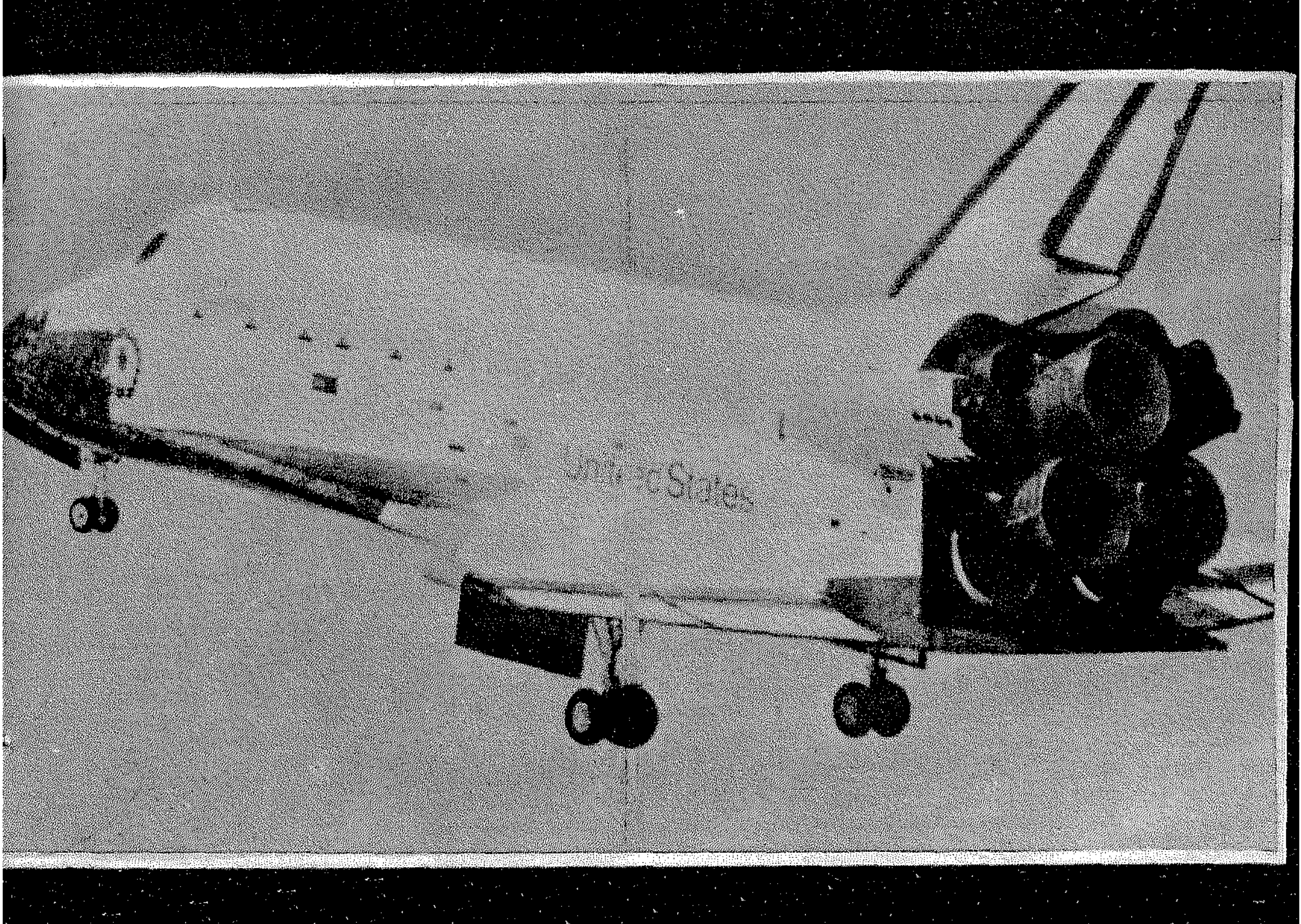
الفضاء يزن ٢٥ طائرة جامبو من النوع العملاق • وهو ينطلق الى الفضاء ويدور دورة فيه ، وقد يظل فى الفضاء من يوم الى ٦ أيام ثم يعود ، واثناء هذه المدة يشاهد الركاب الفضاء والكون من نوافذ المركبة ويعيشون حياة سواح ويلتقطون صورا •

وفى نفس الوقت يقوم الطيارون بتجارب واختبارات والعلماء يجتهدون فى الرصد والدراسة والتصوير والقياسات والتسجيلات • وبعد ذلك كله يأخذ المكوك فى رحلة العودة ، فتنطلق صواريخه القاذفة من جديد ويعود الى جو الارض ويخترقه متعرضا لدرجات حرارة كبيرة ، ثم يقترب من سطح الارض ، وهو لا يستطيع أن يهبط فى الماء مثل مركبة الفضاء ، بل ينبغى أن يهبط هبوط طائرة على مدرج طويل ويسير على عجل اضعاف عجلات الجامبو العملاقة حتى يصل الى درجة السكون وتنتهى الرحلة بسلام •

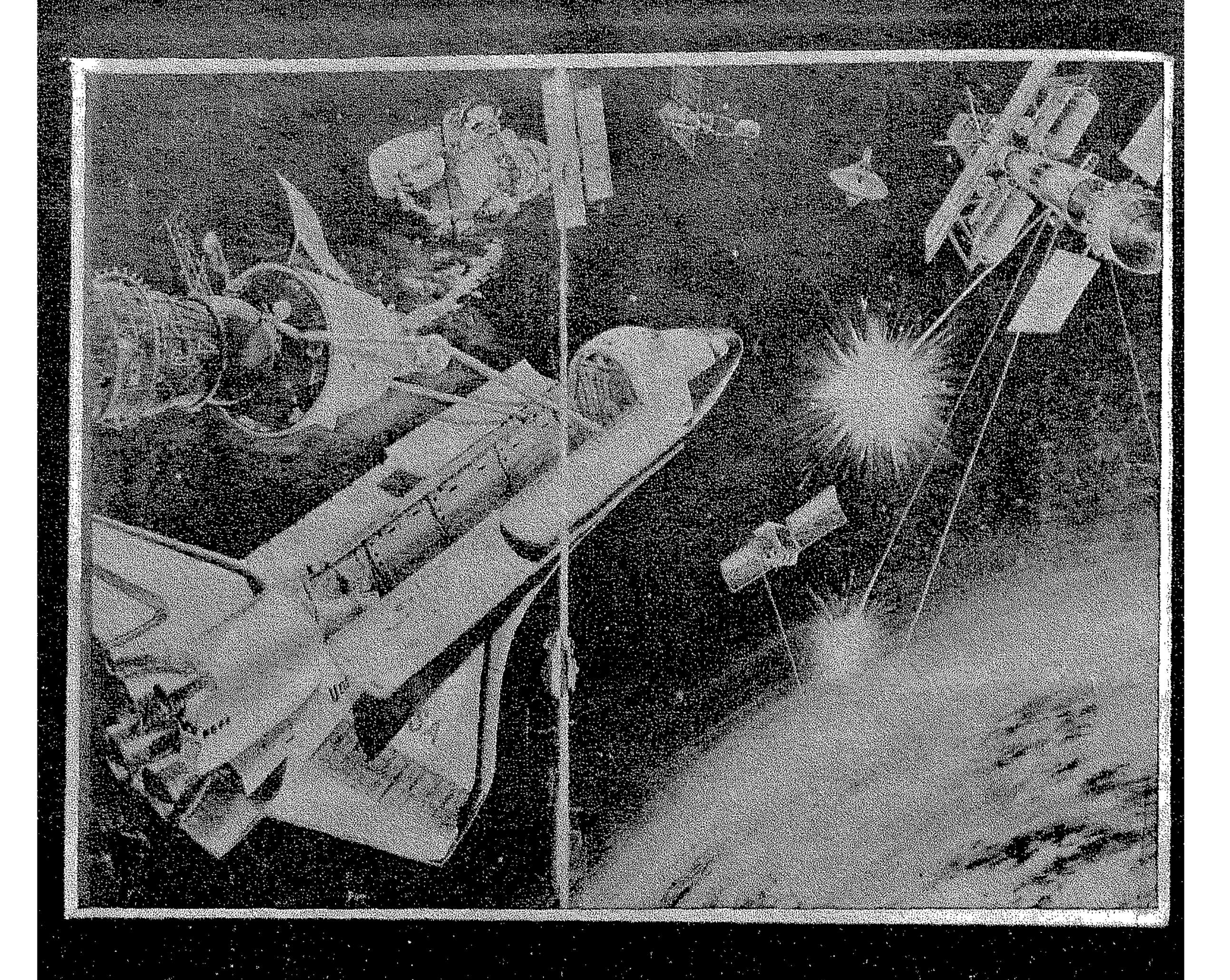
***

ثم ان الاجهزة المركبة فى المكوك هى اجهزة طائرة جيت (اى صاروخية) من النوع الثقيل مضاعفة عشرات المرات ، فهناك كل اجهزة المراقبة والاسراع والابطاء وقياس الضغط والحرارة ، وهناك اجهزة قياس الوقود والاوكسوجين والماء والطعام ، وهناك طاقم المكوك من طيارين ومساعدين فنيين من كل نوع ومضيفين ومضيفات •

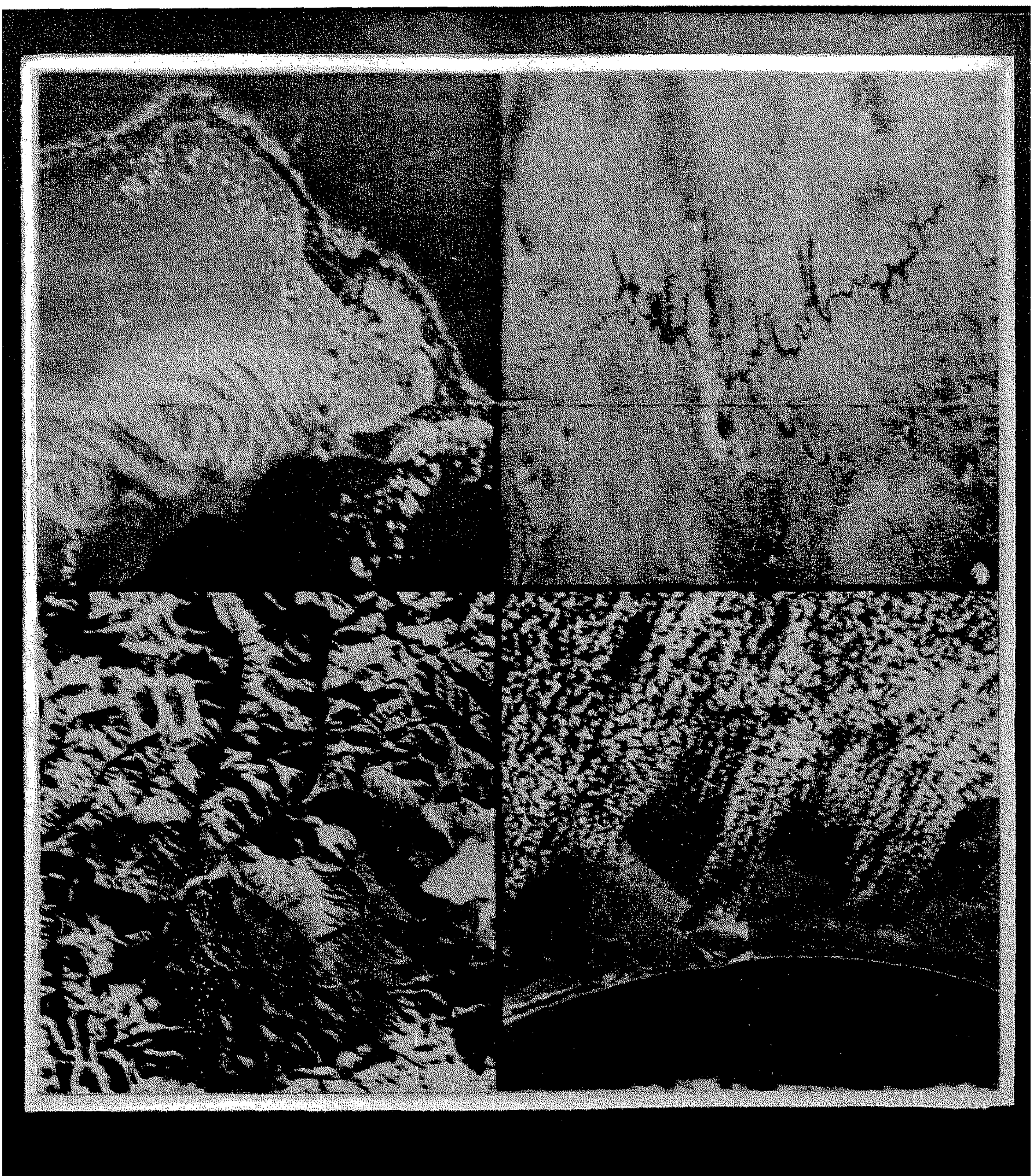
اى اننا فى الحقيقة امام عالم ضخم



وذهب العلماء والفضائيون الى ابعد من ذلك فقد اعتمدوا على دراساتهم وتجاربهم عن مكوك الفضاء لكى يضعوا تصميمات طائرات مكوكية تذهب الى القمر وتحط على سطحه ثم تعود الى الارض • والصورة تبين احدى هذه الطائرات المكوكية القمرية • مقدمة الطائرة وبدنها عاديان ولكن مؤخرتها جهاز الانطلاق الضخم ومخزن الوقود •



حرب الفضاء التنافس شديد بين القوتين العظميين على سيادة الفضاء ، وقد بدأ الروس باحتلال الفضاء بوضع معامل ومحطات فضائية (سكاى لاب) يعيش ويعمل فيها علماء وفنيون يراقبون ، او تذهب مراكب الفضاء الى المعمل الفضائى وتلتحم به وتؤدى مهمتها وتعود . والآن يريد الامريكيون احتلال الفضاء على نطاق اوسع ، فهم لا يكتفون بوضع معامل ومحطات تجارب فى الفضاء بل سيضعون مركبات جرارة ، فاذا وصل المكوك الى الفضاء جرته المركبة الجرارة الى الموضع الذى ينتظر فيه ويتوقع الامريكيون ان يحاول الروس من محطاتهم الفضائية تحطيم المركبات الامريكية باشعة الليزر مثلا ، ولهذا فقد سلحوا المركبات الجرارة بمدافع ليزر ، فاذا بدا الروس بمهاجمة مركبة الفضاء الامريكية اسرعت المركبة الجرارة رقم ((١)) بشد المركبة الى النطاق الدفاعى لمحطة الفضاء الامريكية رقم ((٢)) وتستقر المركبة الفضائية فى منطقة الحماية الآمنة ، رقم ((٣)) لاطلاق صواريخها عائدة الى الارض رقم((٤)) وفى الصورة ترى مركبة فضاء امريكية استطاعت محطة الفضاء الروسية تحطيمها بالاشعة رقم ((٥)) وترى قطع من المركبة المحطمة اما ضائعة فى الفضاء او ساقطة الى الارض .



استطاع المصورون فى رحلة تجربة قام بها مكوك فضائى أن يلتقطوا صورا غاية فى الطرافة والدقة لاجزاء من كوكبنا . فى الصورة الاولى على اليسار صورة لجبال الهملايا وارتفاعها ٨٠٠٠ متر ، والى اليمين أعلى صورة لسواحل ولاية تكساس الامريكية على البحر الكاريبى فيما بين ولاية بالاتيوس وبورت مانسفيلد ، والى اليسار أسفل صورة مجموعة جزر البهاماس ، والى اليمين أسفل صورة لبحر بويل فى كندا حيث تتلاقى مياه بحار كثيرة .

طائر ، يصل الى الفضاء ويمكث فيه أياما ويعود ، وكل ذلك يتطلب اجهزة ضخمة ، ويكفي أن تعلم ان التيار الكهربائي الذى تولده المولدات الكهربائية فى المكوك يكفى لكل احتياجات مدينة نيويورك كلها ليومين ! كل هذا يحمله المكوك معه !

ومن المعروف بالنسبة للطائرات ان الطيارين بعد أن تنطلق الطائرة وتحلق فى الجو اذا لاحظوا أى عطل استطاعوا العودة الى الارض ، أما مكوك الفضاء فلا يستطيع ، فهو اذا انطلق فلابد أن يكمل رحلته ويعود الى الارض أو يحترق أو يضيع فى الفضاء ٠ وهذا فى ذاته خطر جسيم معناه ان المسافر فى مكوك الفضاء اما أن يقوم برحلته أو يحترق أو يضيع فى الفضاء ٠

ان مقدمة مكوك الفضاء تحاط بطبقة سميكة من الطوب المقاوم للاحتراق ٠ وهذا الطوب يلصق واحدة واحدة على المقدمة طبقتين الواحدة فوق الاخرى ، وبقية جسد المكوك يغطى بطبقة واحدة ، لان المكوك اذا انطلق فى الجو احتك بالهواء واحدث حرارة هائلة لا يتحملها الا ذلك الطوب ٠ وذلك الطوب نفسه هو الذى يحمى بدن المكوك فى رحلة العودة ، فاذا تطاير وضاع احترق المكوك كله ٠

ونظرا الى أن الرحلة تستغرق نحو اسبوعين فلابد ان تهيأ للمسافرين وسائل الحياة المعقولة حتى لا يقتلهم الضيق ٠ فهناك مساحات فيها اشجار وحدائق صناعية تقع عليها عين المسافرين وهناك محطة ارسال تليفزيونى وموسيقى اى أننا فى الحقيقة أمام مدينة هائلة طائرة ، يستطيع القارىء أن يتصور الاخطار التى يمكن أن تتعرض لها ٠

والسؤال بعد ذلك : لماذا هذا كله ؟ لماذا هذه التجارب والتكاليف كلها والاخطار التى لا تصدق ؟

الجواب ان المعركة الكبرى فى أيامنا هذه هى معركة الفضاء ٠

فان الفضاء عالم هائل حافل بالامكانيات الضخمة من كل نوع ٠ فهناك مصادر جديدة لا نعرفها للطاقة ، وهناك عوالم سابحة فى الفضاء من الممكن أن تسكن ومن الممكن ان يكون فيها موارد للحياة والقوة تزيد اضعافا على ما عندنا ٠ ومن يسيطر على الفضاء فى منطقة الارض فقد يسيطر على المستقبل كله ٠

وقد تحدث عالم أمريكى فى ذلك الموضوع فقال ٠ ان من يسيطر على الفضاء ويستطيع أن يضع فيه محطات تحكم ومراقبة سيستطيع قطعا أن يحكم الأرض ويسيطر عليها ٠ ولهذا يجتهد الروس فى وضع مركبات الفضاء وتحويلها الى مراكز عمل ودراسة دائمة لكى يصلوا الى التحكم فى الارض ٠

والارض كوكب صغير جدا فى هذا الكون ، واذا تمكن الروس من الوصول الى كوكب آخر ولو كان صغيرا ووضع أجهزة تحكم فيه أصبحت الارض كلها تحت تصرفهم ٠

وهناك فى الفضاء امكانات وطاقات من المواد الخامة الغازية وغير الغازية ما يزيد اضعافا على ما عندنا فى الارض ، ومعنى ذلك ان الامريكيين ــ ومعهم اليوم الاوروبيين ــ لا يعبثون عندما ينفقون الاموال الطائلة ويقومون بالجهود العظيمة فى سبيل التحكم فى الفضاء والارض معا ان هؤلاء الناس لا يهزلون، بل يعرفون ما هم صانعون ٠ انهم واثقون من أن السيطرة على الفضاء ستحدث انقلابا يزيد أضعافا على ما حدث عندما اكتشف الاوروبيون ــ لا يعبثون عندما ينفقون موازين القوى على سطح الارض ٠

لهذا تهتم هيئة الامم بالموضوع ولديها منظمة خاصة بالفضاء لانها لا تريد أن تسيطر دولة واحدة على الفضاء وتتحكم فى الارض وما فيها وما حولها ٠

ومكوك الفضاء رغم تكاليفه ومخاطره لا يقاس الى ما يمكن أن يعود على الامريكيين وحلفائهم من عناصر القوة اذا هم سبقوا الروس الى السيطرة على الفضاء

« د ٠ ح ٠ م ٠ »

بعد العاصفة

قصة

● فوزى عبد القادر الميلادى ●

لقد عاد المركب للتو ، لا بل انها ستعود بعد قليل ، لا بل ستعود بعد ساعتين عند الغروب تماما بعد ان هدات العاصفة !..

ويتناقل الناس هذه الاحاديث فتدب الحركة في ذلك الحي الذى خيم عليه السكون والحزن قرابة اسبوع .. بعض الناس يقولون انها حقيقة ، وان سفينة اجنبية قد شاهدت المركب وهو يقترب عائدا الى الشاطىء ، وبعضهم يقولون انها اشاعة ... وان احدا لم يسمع عن المركب منذ مغادرتها الميناء تحمل عشرة من الصيادين وزادهم ومعدات الصيد ذات صباح مشرق تلبدت بعده السماء بالغيوم وهبت الريح عاصفة ، وجلس الصيادون الاخرون في منازلهم ينتظرون سكون الريح وهدوء العاصفة ليعودوا الى البحر من جديد وقلوبهم وجلة من اجل زملائهم الذين لا يزالون في البحر وقد حاصرتهم العاصفة من كل مكان !..

واقبل فتى صياد يدعى «جمعة» على المعلم «محروس» شيخ الصيادين وهو يجلس وحيدا فى ركن من اركان المقهى البلدى الذى يمتلكه فى اطراف الحى ، يهمس فى اذنه بما تناقله سكان الحى من احاديث وكان المعلم « محروس » فى ذلك الوقت ينفث دخان النارجيلة ، وبدا شارد الفكر وقد اكتسى وجهه مسحة من الحزن ..

وسقطت النارجيلة من يد المعلم « محروس » وانتصب واقفا ، واخذ يتفرس فى وجه «جمعة» .. وساله هل انت متاكد من هذا الكلام .. لقد سمعناه من قبل مرارا !

ويرد « جمعة » فى هدوء : متاكد يامعلم ! .. ستعود المركب الليلة . نعم ستعود هكذا يقول الصيادون جميعا . وقد اخبرنى سيد اسماعيل وبركة ان سفينة ايطالية شاهدت المركب على مقربة من الشاطىء ! ..

ويفرح المعلم محروس : ولماذا لم تنتشل تلك السفينة الصيادين ؟.. ان ما يشغل بالى هو هذه الارواح الطاهرة واسرهم ، اما المركب والصيد فكل شىء يعوض ..

وفى هذه اللحظة يقبل على المقهى المعلم ابراهيم صاحب المركب ، ويتبعه عدد من قدامى الصيادين وفى اعقابهم يحضر الشيخ عبد الجليل مأذون الحى والاسطى زكى صاحب صالون الحلاقة ، والصديق الحميم للمعلم محروس ، والحاج فهمى صاحب المكتبة المجاورة للمقهى .

ويجلس الجميع فى شبه ندوة يتدارسون أمر المركب الغائبة . ويصفق المعلم محروس يطلب لقادته اكواب الشاى للجميع ، لكنهم يردون فى صوت واحد : لا لن نشرب شيئا حتى تعود المركب ونشرب شرباته الورد ونقيم الزينات ..

ويصمت المعلم محروس ، ويصمت الجميع برهة ثم لا يلبثون أن يعودوا الى الحديث ويهمس المعلم محروس فى اذن المعلم ابراهيم صاحب المركب : هل أبلغت السواحل ؟ .. ويرد المعلم ابراهيم فيما يشبه الهمس أيضا : نعم السواحل ، وادارة الميناء وادارة الامن ، والمستشفى ... ان قلبى ينفطر من اجل اسر الصيادين .. من كان يتنبا بان العاصفة تهب فى غير موعدها هكذا فجاة .. لكنه قدرهم .. ان شاء الله سيعودون بالسلامة .. واذا قدر الله واصاب أحدهم مكروه فانا كفيل بكل شىء .. لدى سبع مراكب أخرى وثلاث عمارات ..

وتنحدر الدموع على وجنتى المعلم زكى ، ثم لا يلبث ان ينخرط فى البكاء .. لا اريد المراكب ولا السمك ولا العمارات !.. اريد فقط ان ارى الصيادين امامى احياء ولو للحظة واحدة ثم افارق الحياة بعد ذلك ! .. لقد ارسلت من ايام معونة لكل اسرة وتقبلوا واجمين ، وانا اعلم ان المال لا يغنى عن الرجال . لكن ما باليد حيلة ..

ويمتلىء المقهى بالرجال ،ويضيق بهم على سعته، فيقف البعض امام الباب ويقف البعض الاخر فى الطريق ، وعيونهم معلقة بكل من ياتى من ناحية الشاطىء علّه يحمل اليهم الخبر اليقين ..

أما نساء الحى فقد غادر بعضهن الديار واتجهن الى الشاطىء يجلسن على الرمال يرقبن الافق بنظرات شاردة .. ليس من بينهن الا من لها قريب او صهر او جار مسافر فى تلك الرحلة المشئومة .. لكن من يدرى ، لعلها تكون خيرا وبركة ويعود الرجال ومعهم الصيد الوفير ..

وتغرب الشمس ولا تظهر بارقة أمل عند الافق.. فتاخذ النسوة فى مغادرة الشاطىء فرادى وجماعات وما ان تشتد ظلمة الليل حتى لا يبقى على الشاطىء سوى واحدة .. كانت فتاة فارعة الطول ترتدى ملابس سوداء ، تجلس تبكى احيانا ، ثم لا تلبث ان ترفع رأسها وتمسح دموعها وتعود تتطلع الى الافق من جديد .

ويقترب من الفتاة شبح تعرف فيه المعلم ابراهيم صاحب المركب . ويتفرس المعلم ابراهيم فى وجه الفتاة يصرخ : عايدة ! .. أانت ما زلت هنا ! .. ان الجو بارد ، وانت ترتدين ملابس خفيفة !.. يحسن بك أن تعودى الان الى المنزل ، ومن يدرى لعل الصباح ياتى بالفرج ..

وتقف عايدة منتصبة القامة ، تنقل بصرها بين المعلم ابراهيم والبحر الغارق في الظلمة عنــــد الافق .. ثم تنظر الى الرمال تحت اقدامها ، وتقول في صوت تخنقه العبرات :

ولن اعود .. ولن أعيش بعد ذلك في الحياة!.. انه ليس فقط اخي ، انه اخي ، وابي ، وامي ، ونور حياتي !.. انه كل شيء لي في هذه الدنيا .. ماذا تساوي الدنيا بعد احمد ..انها لا تساوي شيئا . لن أستطيع العيش بعده يوما واحدا !..

وتمسح دموعها بيديها وتستطرد : انني ساظل في مكاني هنا حتى يعود .. او ادفن في هـــــذه الرمال !..

ويجذبها المعلم ابراهيم من يدها في رفق وحنان وهو يتمتم : لا حول ولا قوة الا بالله ، أنت معذورة يا ابنتي .. لكن عودي الى المنزل . تعالي الى منزلنا ان زوجتي وابنتي سترحبان بك ضيفة علينا ..

وتتسمر الفتاة في مكانها . فيعود المعلم ابراهيم لجذبها من يدها ثانية وهو يقول : أنت ابنتي ، وأنت وأخوك أمانة في عنقي ، أنا مسئول عنكما أمام الله وليس أمام الحكومة ..

وتشاهد عايدة في يد المعلم ورقة مالية كبيرة فتنتفض صارخة : ضع نقودك يا معلم في جيبك.. ان أموال العالم لا تستطيع أن تعوضني عن أخي أحمد . وأنا لست في حاجة أن تعوضني لن آكل ولن اشرب حتى يعود ، او الحق انا به !..

وتصمت برهة ثم تقول : لكنني لن ارفض امرك بالعودة الى المنزل الليلة .. ساعود الى المنزل ، وساجلس ساهرة بجوار صورته ، اناجيهـــــا واتحدث اليها حتى يطلع الصباح .. وعندما تشرق الشمس ساعود هنا الى الشاطيء .. انا مؤمنة بالله وبالقدر خيره وشره ، لكنني ضعيفــــة ، قست علي الظروف من قبل ، وها هي تزداد قسوة ، وانا لا استطيع التحمل ... اذا رحل احمد عن هـــــذا العالم فخير لي انا ايضا ان ارحل .. لن استطيع العيش وحيدة وقد فقدت كل شيء !..

ودار في ذهن المعلم ابراهيم هذا الخاطر : هل يصارحها بما اتفق عليـــه مع ابنه ممدوح على أن يخطبها في القريب العاجل ، وانه كان قد ألمح الى أحمد بذلك قبل سفره الاخير ، واتفقا على أرجاء الحديث في الموضوع حتى يعود من رحلته تلك .. ولكن سرعان ما استبعد ذلك الخاطر ، فليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عن الخطبة والافراح .. ومن يدري فقد يعود سالما وتصبح الفرحـــة فرحتين .

***

وبعد قليل شاهد سكان الحي المعـــلم ابراهيم يصحب عايدة حتى باب منزلها القريب من منزله ، وقبل أن تغلق عايدة وراءها باب المنزل قال لهـــا المعلم في حزم لكن في رقة : الزمي غدا دارك ، ولا تغادريها حتى آمر عليك أنا بنفسي أو أبعث اليك رسولا من طرفي .. أنت مثل ابنتي تماما ويجب أن تحترمي كلامي . فاهمة ..

واومات عايدة براسها دلالة الموافقة ، فتركهــا المعلم ابراهيم وقد ارتاح باله من جانبهـــا بعض الشيء ، لكن حديث عايدة زاد من قلقه ومن الله.. ان كل صياد ما زال غائبا ترك وراءه شخصا او اشخاصا اعزاء . وقد يكون حالهم اسوا من حال عايدة ، لكنهم ما زالوا يكتمون ما في صدورهم ..

وبعد الفجر بقليل سمعت عايدة طرقا خفيفا على الباب ما لبث أن تحول الى طرق عنيف ، فعمدت الى ارتداء « روب » صوفي كان قد اشتراه لها احمد قبل سفره ، وفتحت الباب واطلت براســها وهي تتساءل في استحياء من يكون الطارق في هـــذا الوقت المبكر من الصباح ..

وعلى الباب فوجئت بممدوح ابن المعلم ابراهيم يقف قبالتها ، ومن ورائه سعيد . زميل أخيها في المركب .. ودون أن تشعر وجدت نفسها تندفع نحو سعيد وتهزه وتسال أين أحمد .. خبرني ، أين أحمد ؟ هل عادت المركب ؟.. لماذا لا تجيب ؟!

ورد عليها ممدوح في هدوء : لقد عاد أحمد .. لكنه مريض ..

ولم تتمالك نفسها فصرخت .. هل معنى ذلك أنه مات ، خبرني ، ما بالك تقف صامتا هكذا .. وجاءها الرد من سعيد هـــذه المرة : لا أبدا ، انه في المستشفى القريب الكائن على الشاطيء .. من الممكن أن تحضري الان معنا لتلتقي به وتطمئني عليــــه بنفسك ..

وفي الطريق الى المستشفى عرفت عايدة من سعيد كل شيء .. المركب لم تعد ، لقد غرقت بعــد ان انقلبت بفعل العاصفة . وقد انتشلت احدى السفن الكبرى بعض الرجال ، بعضهم كان سليما معافى ، وبعضهم فارق الحياة على ظهر السفينة ، والباقون ما زالوا تحت العلاج . وقد نقل اخوها احمد الى المستشفى فور وصول السفينة لعلاجه من الحمى وحالته مطمئنة ..

ولم تنبس عايدة ببنت شفة ، لكنها رفعت راسها الى السماء في ابتهال صامت ، ولاحظت ان سكان الحي قد استيقظوا مبكرين ، لكنهم كانوا واجمين .. حتى الذين عاد ذووهم سالمين ..

كانت عادة اهل الحي أن يقيموا الزينات ويوزعوا « الشربات » عندما يعود الرجال سالمين بعــــد العاصفة ، كما كان من عادتهم ان ينطلق الصراخ والعويل من دورهم اذا فقدت احدى مراكب الصيد .. ولكن هذه المرة لم تكن هناك زينات ولا عويل .. لقد كتم الجميع فيما يبدو مشــــاعرهم في صدورهم .

وفي المستشفى أمام سرير أبيض ضيق وقفت عايدة تتأمل اخاها وقد مد ذراعه للطبيب يعطيـــه حقنة في الوريد وجبهته مغطاة بلفافة من الثلج وفي فمه « ترمومتر » صغير ..

وسالت الطبيب : هـــل حالته خطيرة ؟ هـــل سيعيش ؟..

ورد الطبيب في هدوء : ان الاعمار بيد الله .. وانا لا أستطيع أن أعد بشيء ..

وبعد ان تفرس في وجه المريض وأمسك بمعصمه يعد نبضات قلبه ونظر الى الترمومتر ، أردف قائلا: لقد فحصت صدره منذ قليل ، وكل ما استطيع أن أقوله ان حالته تتحسن ..

واشار اليها ممدوح وسعيد انه قد حان الوقت لينصرف الجميع لان وقت الزيارة محدد .

وعلى سلم المستشفى اخرجت عايدة منديلا تجفف به دموعها ، وقالت : ان الطبيب لا يريد ان يطمئنني هل معنى ذلك ان حالته خطيرة ..

وسارع ممدوح بالرد : لا ابدا ، فقط هـــذه عادة الاطباء يتحفظون دائما ، وقد قال لك ان حالته تتحسن .. اطمئني ، سيعود باذن الله قريبا الى المنزل ، واردف في صوت خفيض وستكون الفرحة فرحتين .

وهنا اطرقت عايدة براسها الى الارض وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة قانيـــة زادتها فتنة وجمالا .

روجر سيمون

نجم جديد في عالم كتاب الجريمة

● ماري غضبان ●

*** القصص البوليسي لون من الوان فنون الادب ، برع فيه كتاب كثيرون وانتجوا قصصا وروايات سجلت في الرواج ارقاما قياسية ، ولمعت في هذا الميدان اسماء كثيرة على المستوى العالمي**

من ابرز هذه الاسماء اللامعة الكاتبة الشهيرة اجاثا كريستي التي تميزت بكتاباتها في هذا الميدان والتي لاقت مؤلفاتها رواجا عظيما في كل بلاد العالم واسرعت السينما لتقتبس من هذه المؤلفات افلاما حققت هي الاخرى نجاحا عالميا واسعا ..

من هؤلاء المؤلفين أيضا ايان فيلمنج الذي كتب سلسلة «جيمس بوند» التي يعرفها الجميع بعد ان حولها السينمائيون الى أفلام ناجحة ..

ومن هؤلاء ايضا الكاتب الامريكي « روجر سيمون » ، الذي يأخذ تقريبا ـ نفس طريق «أيان فيلمنج» في مغامراته البوليسية من خلال شخصية واحدة « موزيس واين »

والكاتب روجر سيمون من مواليد نيويورك ، ظهرت موهبته الادبية وعمره خمسة عشر عاما ..

ولم تكن امنية أسرته أن يصبح كاتبا ـ ففي رأيهم ان الادب صنعة لاتعين على الحياة فكانت أمنيتهم ان يصبح طبيبا مثل ابيه ، او محاميا .. لكنه آثر ان يسير في طريق هوايته الادبية حتى أصبح رئيس تحرير مجلة ادبية ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الدراما في جامعة «ييل» حيث درس فن كتابة المسرحيات والسيناريو ، وحصل على الماجستير بعد خمس سنوات من الدراسة .

وتشاء الظروف ان يتعرف على زميلة له في الدراسة ، كانت هي الاخرى



لقطة من احدث الافلام التى كتب قصتهـا روجر سيمون

كاتبة واسمها ((دايان اسيمو)) - وهى التى اوحت له بفكرة اول قصة كتبها وهى ((الوارث))

وقد اقتبستها السينما ايضاالتحولها الى فيلم تحت اســــم جنيفير فى ذاكرتى .

بعدها كتب قصـة ((الديك البرى المتوحش)) والقصتان ذواتا خطواحد سارعليه منذ البداية وهو اسلوب الاثارة والجريمة ..

***

وكانت احدث الاعمال الادبية لروجر سيمون رواية ((الضخم الثابت)) ،التى تعتبر حلقة فى سلسلةرواياته البوليسية ولو انه اتجه فيهاالىالاسلوبالكوميدى الهادف ، المعالج لبعض الظـــــواهر الاجتماعية السلبية الموجودة فى المجتمع والتى تحدث فى الحياة كل يوم .

وكالعادة ، اسرعت السينما لتأخذ هذه الرواية الاخرى وتحولها الى فيلم سينمائى

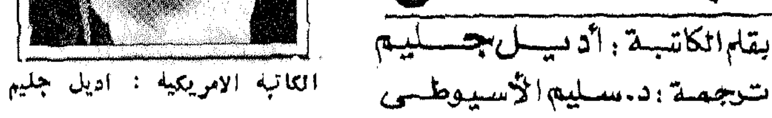
والرواية تدور حـول رجل بوليسى مخضرم ، واحدى المدرسات ، يكلفان بنقل ثمانية اطفالمشاغبين من المدينة الى قرية بجوار واشنطن .. ليصلحوا هناك من افكارهم وعقلياتهم ..

اخرج الفيلم المخرج ((اوزسكوت)) وهو مخرج مسرحى ، يخرج لاول مرة فى السينما ..

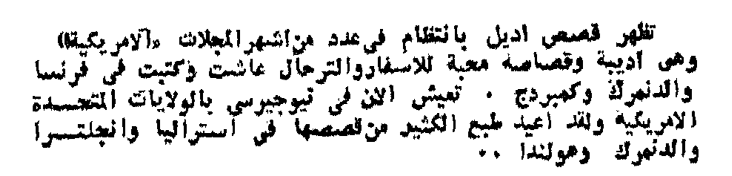
قام بالبطولة الممثل ريتشارد برابور وشاركته الممثلة سيسلى تيسون التى تكاد تكون متخصصـــــة فى الادوار الانسانية ، فهى تقدم فى ادوارها نماذج حية لما يدور فى الحياة من ظـــواهر مريضة ... وكان ابرز هذه الادوار دور الام فى الحلقات التليفزيونية ((جذور)) التى هزت ضمير العالم ونالت جائزة ((ايمى)) وهى جائزة تمنح لاحسن ممثل تليفزيونى ..

القيمة الأدبية في الأدب القصصي

بقلم الكاتبة : أديل جليم
ترجمة : د. سليم الأسيوطي



الكاتبه الامريكيه : اديل جليم



تظهر قصص اديل بانتظام في عدد من اشهر المجلات «الامريكية» وهي اديبة وقصاصة محبة للاسفار والترحال عاشت وكتبت في فرنسا والدنمرك وكمبردج . تعيش الان في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الامريكية ولقد اعيد طبع الكثير من قصصها في استراليا وانجلترا والدنمرك وهولندا ..

● اذا ما سئلت عما يجب ان تكون عليه القيمة الاساسية للادب القصصي ، ففي اعتقادي اني لن اتردد في الاجابة بان القصص الادبي يوجد ويعيش ويحتفظ ببقائه ليقدم لنا صورة عما يفكر فيه الناس ، ويظنونه بانفسهم ويحسون به في حياتهم... وحينما ينجح الكاتب في ان يجعل شعور شخصياته بحياتهم يلمس الحقيقة العميقة لعواطف قرائه عن حياتهم الخاصة ، تتاح للقصة فرصة طيبة للبقاء والاستمرار لاداء دورها على اكمل وجه ...

ان الالتزام العاطفي في نظري يعيش في صميم القصة . فاذا ما ذكر لي صديق انه قد عاد لتوه من رحلة في الصين او من تسلق قمة جبل ، يكون حريا بي ، آنئذ ، ان اساله : كيف كان شعورك وانت هناك ؟ ولا اساله : كيف كان الحال يبدو هناك؟»

واذا ما قالت لك احدى معارفك « لقد ماتت زوجة ابي » ، فان هذا الخبر ناقص ومبتسر ، لا قيمة له ولا اهمية ، ويبقى كذلك حتى تتبين كيف كان شعورها عن زوجة ابيها..

ولنضرب مثلا آخر : زوجة شابة تعيش واقع الحياة تصرخ قائلة : اني حامل .. هنا نحن لانستطيع معرفة الحبكة ولا الصور الذهنية ولا المعاني التي سوف تتداعى من هذه العبارة ، الى ان نعرف ما هو شعورها هي فيما يتعلق بهذا الاحتمال ... الحمل من عدمه ...

في رواية الكاتب الفرنسي الاشهر فلوبير « مدام بوفاري » تبدأ العلاقة العاطفية بين البطلة ، « اما » وعشيقها « ليون » عندما يناقشان تورطهما العاطفي فيما يقرآنه ... ويقول « ليون » : يبدو لي ان الكتب التي لا تلمس شغاف القلب لهي ، أبعد كثيرا عن احتمال نشرها ... فلقد تلقيت ذات يوم رسالة من ناشر يرفض لي عملا كنت قد بعثت به اليه ، جاء فيها : « هذه قصة تتسم بعمق التفكير ... الى الحد الذي يضيع عنده احساس الناس ويتبدد بالادلة والبراهين التي يحتمها ذلك التفكير ... » ان قصة من مثل هذه يجب ان « تشعرك » بنجاحك»

ولم تلق هذه القصة قبولا لدى اي ناشر ، واني لواثقة ان هذه الرسالة التي رفضت القصة تنطبق تمام الانطباق على غالبية قصصي غير المنشورة .وربما على القصص الاخرى التي على هذا الغرار ...

● **قبضة قصصية على القارىء**

كيف يحكم الكاتب قبضته القصصية

على قارئه ؟ انه ليتحتم على الكاتب القصصي ، مبكرا في عمله ان يقدم سلسلة من العلاقات العاطفية.. فان التيارات العاطفية وهي حقيقة في نظري ، كالتيارات الكهربية يجب ان تجري على النحو التالي : بين الكاتب وشخوصه ، بين شخصية واخرى ، ثم بين الشخصيات والقارىء مؤثرة ومتاثرة .

ويبدأ الكاتب هذه السلسلة من العواطف بالاهتمام اهتماما حقيقيا بشخوصه والغوص بنفسه في الكيان الذاتي لكل شخصية ، والتحرك خلال القصة متتبعا خطوات هذه الشخصية او تلك ...

والمؤلف الذي يشفق على شخصية ويرق لها ، لا يحاول استخدام هذه الشخصية الا بكل عناية وعن معرفة وعلم ليفيد منها فائدة مباشرة . لان الشخصيات في القصة لا تعيش لتقيم الدليل على صحة فكرة ما ، أو عدالة قضية ، ولكن ليكون لها كرامتها الشخصية وتجاربها الذاتية .

ان الجزء الاكبر من قصصي يدور حول ناس يسهل على ان اشعر شعورهم واهتم لهم . انهم رجال ودودون ونساء حليمات ، الجميع منغمسون في حياتهم ، حبهم وعملهم واسرهم ... وعلى هذا النمط كتبت قصة ((الهاوى)) وهي قصة لص متأنق مراهق ، ليس في حاجة الى السرقة ، بل لاكثر من ذلك، انه لا يرغب في السرقة ولا يريد الاشياء التي يستولى عليها ، فان فعلته في الغالب الاغلب تكون عملا بطوليا لاختبار ذاته واشباعا لغروره ، وشفاء لنفسه من حقده على الاغنياء وما تحتويه بيوتهم من الخيرات ...

انى في واقع الحياة ، لا اتعاطف كثيرا مع المراهقين المجرمين ، ولكن ما ان اقتحم هذا المجرم المراهق حياتي ، حتى وقفت بجانبه اذود عنه . وهذه بعض سطور من قصته :

في حي البلدة التي يقطنها ، لا توجد اشجار ، كان الذين يعيشون فيه لا يستحقونها ... كان السلم ينثني عند منبسط الدرج فلم يكن ليرى المسافة كلها الى القمة ، وكان الجزء المختبىء يخيفه ... هل كانت الصراعات شريرة سواء بسواء مثل تلك التي في أسرته ؟ ... كانت السرقة عنده مثل الاكل ، وكانت دوافعها تعصف به من آن لآخر ولكن لم يكن بمقدوره المقاومة لفترة طويلة من الزمن ...

ولكن العاطفة التي خبرتها شخصية واحدة منفردة « الجريمة أو الخوف، او الحسد » ذات تأثير على القارىء اقل من تلك التي تتبادلها شخصيتان او اكثر . ففي مشهد قوى يضم شخصيتين ، يضع القارىء نفسه في الصورة بوصفه شخصية او اخرى في القصة ، بل يذهب الى ما هو ابعد من ذلك بان يتناوب هويته العاطفية بين حين وآخر مع هذه الشخصية أو تلك .

ان قصتي « شعاب القلب » تدور حول شخصية « كريس » ، زوجة الاب الشابة لابنة زوجها المراهقة التي تناصبها العداء ان ماتريده «كريس» اكثر ماتريد هو اقامة علاقات حميمة مع « جيزى » ، ابنة زوجها. ولكن الظروف ترغمها على منع «جيزى» من الخروج في سيارة ، في ليلة عاصفة خطرة برفقة فتى كان قد دعاها مؤخرا للنزهة :

سالت جيزى : لماذا تهتمين بما افعل ؟

اجابت كريس: ((انى اهتم لسلامتك بلغت اجابة كريس الصياح او كادت ، فقد اعتقدت : ان هذه هي المعركة الاولى التي تنشب بيننا ، وان كل ما افعله بجانب الصواب .. سالت جيزى : هل تعلمين كم ظللت اترقب ذلك اليوم ؟ هل تعلمين ماذا يكون حالك وانت تنتظرين شخصا تتوقين اليه ، سوف ياتي ساعيا الى حبك ؟))

فكرت كريس : نعم انى اعرف ذلك وبعد اليوم يتحتم على ان انتظر وقتا اطول لان كل علاقاتنا سوف تسوء أكثر ولكن كريس على خطأ ، والسبب

الوحيد الذي يؤيد خطـــأها هو ان الحرب بينهما تؤكد لجيزي ان كريس تهتم لها . لقد سقط القنــاع الذي يخفي صراعهما العاطفي ،فوضح أخيرا أن كلا منهما بدأ يتفهم الآخر .

ان العواطف التي تكشــف عنهـا الافعال والاقوال فيما بين شخصيات القصة تزود الكاتب بالطاقة التي توقد نيران قصص الخيــال الادبي . فاذا قصرت عن اداء وظيفتها غدت خبيـة الطاقة وشيكة ، وسرعان مانشــعر ان القصة قد فقدت أهم مقوماتهـا ودب فيها الضـعف والوهن . ومن ثم وعلى حين غرة ، تفقد الشخصيات اهتمامها بعضها ببعض ويكف القارىء لفــوره عن الاهتمام اهتماما كافيا بالشخصيات وهنا تجيء المتاعب ..

ان الشخصيات القصصية يمكن أن تبقى على حالة ثابتة دائمة من التقلب العاطفي ، والتحول من حب بعضهم البعض الى كراهية احدهم للآخــر ، والقارىء يشارك هؤلاء مشــــاعرهم ويتفق معهم حينا ، وأولئك حينــا آخر والقارىء ينفعل حقا أكثـــر بالتحولات التي تجري من العــواطف الايجابية الى العواطف السلبية ،اكثر مما ينفعل بسلسلة الاحداث التي تشكلها عقدة الاثر الادبي ...

ان العقدة والعاطفة وحدة متكامـلة وثيقة العرى ، لا يمكن ان تنفصــل احداهما عن الاخرى . والشــخوص تسلك وتتصرف بدافع مما تشعر به وهم — هؤلاء الشخوص — يعبــرون عن مشاعرهم واحاسيسهم من خلال ما يجرى بينهم من حوار ومحادثات ، وما يأتونه من أفعال ، وكذلك بالاشياء التي يحيطون انفسهم بها ..

ان الكتابة عن العواطف والـروابط العاطفية يمكن ان تزيد القصص عمقا، وان تزوده بطاقة كبيرة من الاحساس بالمجتمع ، وبتجربة الحياة العامة .

● من واقــــع القارىء الى التاثير الخيالي ●

من الطبيعي ان يكون الهدف الاسمى لكل قصاص هو ان نحلق بالقارىء في فلك الشخصيات حتى يشعر القارىء انه اصبح عضوا في المجتمع الانساني للقصة ، فحينئذ نحكم عليها بانـها قصة ناجحة ...

فان القصة يجب ان تتدرج بنا من حياة القارىء الى الموقف القصــصي بثقة وايمان ، مع الحفاظ على الصلة بالحياة اليومية بينما هي تقـــوى التجربة . ان الآباء والمراهقين مـن الابناء يختلفون مــع بعضهم البعض ويلحقون الضرر بعضهم ببعض ،فالى اى حد ابعد من هذا يمكن ان تتطور الامور ؟ وحينما يكون هناك زوج الام او زوجة الاب والمراهق ، هم الذين يواجهون بعضهم البعض ، هل تظـل القصة تبدو عالمية في اثرها وتاثيرها العاطفي ؟

قد يحدث أن غلاما من عرض الطريق يحطم نافذة ويقتحم منزلا جميـلا في ضاحية .

ومعظم القراء لم يرتكبوا شيئا مـن هذا القبيل في حياتهم . وحتى معظم المراهقين من القراء لم يفعلوه ، ولـو انهم يرهقون آباءهم بمشكلات مـن مثل هذه الناشبة بين كريس وجيزي ولكننا جميعا نشعر بالغيرة من هؤلاء الذين يملكون متاعا اكثر مما نملك ، وتخامرنا الريب والشكوك في قيمتنا الذاتية ونفتقد الشعور بالاهميـــــة الشخصية،ونحتدم غيظا لعالم لا يبدو مصغيا الى مطالبنا او مهتما لها . فاذا ما كانت قصة من مثل هــذه تـؤثر الاثر المرجو بصورة او باخرى ،فانها سوف تنجح لان الشــخصية فيـها يشعر بحياته كما يشعر اى واحــد منا بحياته ، لبعض الوقت .

حاول ان تخلق شخصيات تشــعر شعورا عميقا نحو بعضـها البعض ، **يهتمون لبعضهم البعض ، شخوصــا ذوى عواطف قوية ، انسانية عالميـة جديرة بما نمنحها من ثقة ، نحـن القراء وما نبادلها من عواطف ، ونحن نقرأ قصتهم ، وامنح شخوصــك للعواطف الامينة الصادقة . وبعـدها اطمئن ، واعتمد على ان عواطفهــم ستهديك الى حيث يجب ان تتجـه بقصتك — مباشرة الى قلب القارىء.**





يافاتنتى

فــريد قـرنى

غاية الابـداع .. يا فـاتنتى
باختيار اللون يزهو ناعمـا
باندفاق الظل يغفو سارحـا
اذ يناغى همسها الساجى دمى
باختصـار الفـن فى معزوفة
بارتعاش الشوق يهمى موجـه
باعتزاز النفس يطفى شامخـا
اتمـلاها .. فتطفى لوعتى
بهيام العود يهفو مانسـا
فتتوه العين من جـولتها
بالسنا الأحمر يغـوى ورده
فيصيب الهـدف المرمى اذا
باندلاق العطر تياه الشـذى
يحمل الروح على اجنحـة
باجتياح العقل فى تهويمـة
اتلقى بانبهار نبضـها
بالقوام الحلو يهتز صـبا
فخـذيها من محـب مدنف
باقة حسناء من شـعر الهـوى

برؤاك الخلب الســاحـرة
عند شـط الجفن او فى الشفة
فى انكسار النظـرة الناعسـة
وتهـدى دائما ... ثائرتى
عبر وقع البسـمة النافثـة
فى انسياب الخصلة الماجنـة
فى ثبات الخطـوة المغريـة
وتغذى بالهـوى عاطفتى
فى دلال المشـية الرائعـة
فى مجانى الروضة اليانعـة
بالخدود الحلوة الناعمـة
سـعر الوجـد اليها لهفتى
من ثيـاب الفتنة الفاخـرة
من مطايا الرغبة الجائعـة
تكتسى بالفكـرة الغامضـة
ويزيد السر فيهمـا حـيرتى
فى انسجام الموجـة اللاهيـة
ساهر المقلة .. مضنى المهجـة
حلوة مثلك .. يا .. ياحلوتى !

قصة



احمد على رجب

بكر ((الحاج عبد اللطيف)) في الذهاب الى المصرف .. وصل الى هناك في تمام الساعة السابعة صباحا ، وكان ترتيبه الثالث في الحضور .. وعلى الرغم من انه وزميليه كانوا يعلمون ان المصرف لن يفتح أبوابه للعمل قبل الثامنة، الا انهم جاءوا مبكرين اذ ليس لديهم ما يفعلونه يوم العشرين من كل شهر سوى أن يتوجهوا الى صرف المعاش ..

((والحاج عبد اللطيف)) ، على غير عادته ، يريد أن ينسلم معاشه وينصرف مبكرا .. ففي البيت مفاجاة تنتظره .. حقا انه لا يعرف كنه هذه المفاجاة ، لكن .. كل مافي الامر ، هو انه بعد أن أدى صلاة الفجر ، واستيقظت زوجته لتصنع له كوب الشاى المعتاد ، لاحظ أن معاملتها له تتسم بكثير من الرقة ..

فبعد أن كانت ، في مثل هذا اليوم ، تجمع له هموم الدنيا ، وتحزمها ، وتضعها كلها فوق رأسه .. شاكية من ضآلة مبلغ المعاش ، متبرمة من ارتفاع الاسعار .. اذا بها فجأة تتودد الى زوجها وتقول في وداعة لم يألفها من قبل :

— لا تتأخر وقتا طويلا في الخارج ((يا حاج)) فعندى لك مفاجاة ! .

ولم يقل ((الحاج)) سوى ((ان شاء الله)) .. لكنه حاول أن ينفذ بثاقب بصره الى تلك المفاجاة ..

وتساءل : أتكون قد وافقت على شراء جلباب الصلاة الابيض ؟ فالجلباب القديم قد استهلك ، ولم يعد الرفى أو الترقيع يجدى في اصلاحه ..

وتذكر يوم أن طلب منها شراء ذلك الجلباب ، عبست .. وقالت انها لا تستطيع تدبير مبلغ سبعة جنيهات . ثم خيرت ((الحاج)) بين شراء الجلباب وتطبيق خطة التقشف في الوجبات طيلة أسبوعين كاملين ، وبين الصبر عدة أشهر حتى تنصلح الاحوال ! ..

ولم يتلكأ الرجل دقيقة ، واختار الصبر ، فلم تعد لمعدته قدرة على هضم الباذنجان المحشو بالثوم ، أو البصارة أو الكشرى ، وسائر تلك الاطعمة الكفيلة باشعال حريق في جوفه ! .. وحتى اذا استطاعت زجاجة مرطبات اطفاء هذا الحريق ، فلن توافق زوجته أبدا على منحه ثمن تلك الزجاجة !

ليذهب الجلباب الابيض الى غير رجعة .. وليكتف بما لديه من جلابيب صوفية



كان قد اشتراها أيام كان الصوف رخيصا كالتراب .. ليتحمل حرارة الجو ومثلها معها ، خير له من تحمل شظف الطعام !

●●●

وكان لابد أن يتحدث الزملاء الثلاثة في أي أمر .. واختار « الحاج » حديثا عن النظام .. ولفت نظر زميليه الى ذلك الرجل الذي يأتي دائما متأخرا ، ثم يستجدي عطف الآخرين مدعيا الاصابة بالشلل ، ثم يكون هو أول من يتسلم وينطلق الى الخارج كفرس جموح ! ..

واستفسر الزميلان من « الحاج » عن سر هذا التغير .. فقد كان عهدهما به أنه طيب متسامح ، وكان شعاره الذي يردده دائما هو : ان القيامة لن تقوم اذا ما تسلم أحد معاشه قبل الآخر .. لكن « الحاج » لم يشأ أن يكشف عن السبب الحقيقي ، وانما علل حدوث هذا التشدد من جانبه بقوله : لقد آن الاوان ليسود النظام .

ثم تغيرت دفة الحديث ، فاتجهت نحو الزيادة المزمع صرفها لارباب المعاشات .. وكان «الحاج» قد حسب الزيادة المرتقبة وعرف أن معاشه قد أصبح ثلاثة وثلاثين جنيها وبضعة قروش .. ومع هذا فهو راض قانع ، يعتبر هذا المبلغ نعمة كبرى من الله يستحق عليها الشكر والثناء .. لكن الشيء الذي يؤلمه .. هو انه يسلم المبلغ بتمامه وكماله الى زوجته ، ثم لا يرى ولا يلمس النقود الا في مثل هذا اليوم من الشهر التالي ! ..

●●●

وقد سبق أن دارت مفاوضات بين « الحاج » وزوجته .. طلب هو منها أن تخصص له مصروفا شهريا يستمتع بانفاقه مع أصدقائه أثناء نزهتهم اليومية بعد صلاة العصر ، حيث يعرج الاصدقاء على بائع شراب « التمر هندي » ، أو على بائع الذرة المشوية ، ويوجهون الدعوة الى « الحاج » كي يشاركهم طعامهم أو شرابهم .. لكنه دائما يعتذر متعللا بسوء الصحة وكسل المعدة !

وفي الحقيقة كان الرجل يتمنى أن يروي ظمأه بكوب من الشراب ، أو يستمتع بحبات الذرة الساخنة ، لكن زوجته رفضت فكرة المصروف هذه .. ثم جاءت بأكواز من الذرة الخضراء وشوتها في المنزل ، وقدمتها اليه ، فلم يتناول منها سوى حبات قليلة ! .. وغضبت المرأة وصاحت :

ـ هذه هي الذرة المشوية التي ملأت الدنيا صراخا من أجلها .. لماذا لا تأكلها اذن ؟

وحاول « الحاج » أن يشرح لزوجته كيف أن الذرة المشوية ، أو شراب « التمر هندي » ليسا هما بيت القصيد .. وانما الاستمتاع بالصحبة والانفاق هما اللذان يضفيان على الاشياء نكهة خاصة ومذاقا لذيذا . لكن المرأة نظرت الى زوجها نظرة من يرتاب في سلامة عقله ..

●●●

وانضم الى الصف عشرات قبل أن يصل الزميل الذي يدعي الاصابة بالشلل ، وما أن حضر حتى تقدم من الواقف عند أول الطابور ، ورفع يدا رتعشة محييا اياه .. ثم قال :

ـ صـ .. صـ .. صباح .. الخير ! .

وعندئذ تجهم وجه « الحاج » وصاح في الرجل :

ـ اذا أردت الخير لنفسك وللناس

"قلتقف في مكانك ، هناك عند نهاية الصف ! ..

واشتدت اهتزازات يدى الرجل ، ودار بعينيه لعله يجد نصيرا .. لكنه لم ير الا وجوها مقطبة ، فانسحب الى الخلف ..

وقال الواقف خلف « الحاج » :

ـ أتدرون كم يبلغ معاش هذا الرجل؟ ستون جنيها ! .. انه ينصرف من هنا مباشرة الى « الحاتى » ، يلتهم نصف كيلو من « الكباب » ! .. لقد رأيته بعينى راسى ، كما اعترف هو لى بذلك !

وسرح « الحاج » مع أفكاره .. تذكر تلك الوجبة اليتيمة التى لم تتكرر فى حياته ذات الاعوام السبعين .. يوم أن دلف الى أشهر محل « للكباب » فى المنصورة ، فأكل وشرب وتلذذ ، ودفع نظير ذلك كله ستة قروش ! ..

انه الآن لا يكاد يهنأ بطعام أو شراب . فما تكاد زوجته تطهو وجبة يدخل اللحم فى نطاقها ، حتى يكون أحفاده قد عادوا من مدارسهم الى داره ، ينتظرون عودة آبائهم وأمهاتهم من العمل ، فيتخاطفون الطعام قبل أن يتم نضجه . وحتى عندما تبكر زوجته فى الطهو ،وتدس له قطعتين من اللحم بين طيات رغيف ، وتحاول أن تشغل حفيدها الذى لم يبلغ بعد سن المدرسة ـ فان ذلك العفريت لا يلبث حتى يكتشف غياب جده ، فيسعى وراءه ويضبطه متلبسا بالمضغ .. ويدعى « الحاج » انه كان يبتلع ريقه ، لكن الصغير يطلب منه أن يفتح فمه ، ولا يدرى الرجل ساعتئذ ما اذا كان ذلك الموقف يتطلب الضحك أو البكاء !

ومنذ يومين همس « الحاج » فى أذن زوجته :

ـ لو اشتريت لنا ذكرا من البط السمين لنذبحه فى العيد ؟!

ـ ذكر بط ؟! أتدرى ما ثمنه ؟؟

وتقوقع « الحاج » دافنا رأسه بين ركبتيه دلالة من لا يريد أن يرى أو يسمع وها هو ذا يتساءل الآن : ترى هل رق قلب زوجته فوافقت على شراء الذكر المنشود ؟

●●●

ولم يكن التعليق على قصة مدعى الشلل قد انتهى بعد .. وقال الواقف أمام الحاج :

ـ ما قابلني هذا الرجل الا ورأيته يحرك شدقيه ! .. وفى الشهر الماضى كان جيبه ممتلئا بالملبن المحشو باللوز !

وصاح « الحاج » فى عجب :

ـ ملبن ؟! والله لقد نسيت أن هناك شيئا اسمه ملبن !

وضحك رفاق الطابور .. بينما راح « الحاج » يستأنف حديثه مع نفسه

« ما الذى يمنعنى من شراء علبة من هذا الملبن ؟ اهو خوفى من زوجتى التى ستقيم الدنيا وتقعدها ؟ لكن .. حتى اذا اشتريت هذه العلبة دون أن اخبرها ، فاننى لن استطيع التهام كل محتوياتها دفعة واحدة .. فاين أخفى الباقى ؟ هناك فوق الصوان علبة الطربوش القديم .. لكن الوصول اليها يتطلب مهارة قرد .. وحفيدى لا يكف عن الحركة .. وحتى اذا نجحت فى اخفاء الملبن ، فكيف تطاوعنى نفسى على التهامه دون أن ينال حفيدى الصغير شيئا ؟ »

واحس « الحاج » بشوق جارف لرؤية الصغير .. واحس بانه على الرغم من شيطنته وشقاوته فانه هو الذى يجعل للحياة طعما شهيا ، ويحرك ما فيها من جمود ..

وحانت من « الحاج » التفاتة الى الرجل مدعى الشلل .. كان يقف سليما معافى يلوك الملبن فى هدوء .. وقفزت الى راس « الحاج » كلمة « مفاجاة » فابتسم .. لقد زهد تماما فى الجلباب الابيض ، وفى المصروف الشهرى ، وفى ذكر البط .. وتمنى أن توافق زوجته على شراء علبة ملبن .. أو أى شىء آخر يثير فرح حفيده الطفل .. فيفرح هو الآخر .. وتمتزج الفرحتان ! ..

لا تغضبى

عبدالله السيد شرف

لا تغضبى ..
ان قلت انى قد نسيت .. فكذبى !
ان الزمان معذبى
واخاف ان يعديك حظى ـ فاهربى !

***

لا تغضبى .. ان قلت انى قد نسيت !
من قبل حبك ما هويت !
اقسمت لا ارضى بعادك ما حييت !
لكننى .. اخشى عليك مصائبى !

***

لا تغضبى كى لا تحطمنى الهموم
انت الهناء ، وانت فى عمرى نعيم
يا بسمة تجلو شقائى والغيوم
يا جنتى ، ومعزتى ، لا تغضبى

***

لا تغضبى فهواك نور اى نور
يا فجر ايامى وآيات السرور ..
قلبى يراك له السعادة والحبور
فلتسخرى ان قلت انى قد نسيت ، وكذبى !

***

لا تغضبى .. فاليأس حطم مركبى
ولتسمعى همس الفؤاد وجاوبى
فالقلب يهتف ان رآك بجانبى
فلتحفظى عهدى .. فحبك غالبى !





● عزت محمد ابراهيم ●

● شغلت المشكلة الحضارية كثيرا من الفلاسفة والمفكرين فبحث فيها ((جوستاف ((لوبون)) و ((وول ديورانت)) ، و ((ارنولد توينبى)) وغيرهم .

والخلاف طويل متشعب في الحضارات واشكالها والوانها ، فمن قائل بالحضارات المغلقة التي تدور حول نفسها ولاتتصل بغيرها فلاتنتفع مما سبقها ولا تنفع مايلحق بها..ومن قائل بأن اساس الحضارات ولبها وجوهرها ينبغى ان يكون اخلاقيا قبل كل شيء .

ولعل ذلكهو اقرب الاراء الىالعقل والمنطق ، واقربه كذلك من شواهد التاريخ ودلالاته .

والحضارة اذا لم تكن اخلاقية اللحمة والسداة ، فليست بحضارة وان بدت في رونق وازدهار ،وظهرت فى بريق بخطف الابصار .

هل كان من الممكن ان تزدهر حضارة اليونان وان تؤتى اكلها فى العلم والفن والسياسة لو لم يظهر من بين مفكريها من ينادى بالمثل العليا ويعلى من شأن الاخلاق السامية الرفيعة ؟

هل كان من الممكن ان تمضى هذه الحضارة فى طريقها المرسوم لو لم يظهر فيها امثال سقراط وافلاطون وارسطو وجماعة الرواقيين من دعاة الاخلاق والمثل ؟ أغلب الظن ان الاجابة تكون نفيا ، وربما نفيا قاطعا .

فقد ظهر سقراط ابان الحاجة اليه : حين احال السوفسطائيون كل شيء الى مذهب المنفعة والمغالطة ، واصبحت المنافع السريعة ، والمآرب العاجلة هي مقياس كل شيء فى حياتهم ، واصبح للمادة وحدها المكان المرموق، والقدح المعلى . وخطف هذا البريق عيون الكثيرين فانقادوا اليه انقياد الاعمى لايرى ولايبصر ، ولايختار من يعتمد عليه فى اتقاء الزلل والسقوط (٥)

ارتفع صوت سقراط ينحى على هذه الفئة باللائمة ، ويتهمها بالانحلال والسقوط والتردى فالصقت به هو تهمة افساد الناس واضاعة الاخلاق فكانها قد رمته بدائها وانسلت ..

واذا كان هؤلاء السوفسطائيون قد نجحوا في القضاء على سقراط ،فانهم لم ينجحوا في القضاء على رسالته ومبادئه ومثله فبعثها من بعده افلاطون .

ومهما يوجه الى افلاطون من نقد فى نظرية الصور او المثل التى يحلق فى آفاق خيالها، فلا مفر من الاقرار له بفضل ما وضع من اسس اخلاقية حالت بين حضارة اليونان وبين السقوط والتردى ، وحفظتها سليمة من الانحلال لكى التسلمها من بعد ذلك الحضارة الاوروبية فتبنى عليها اسسها وبنيانها .

●●●

وأتى ارسطو بعد افلاطون يؤكد ماقدمه للحضارة احيانا او يخالفه فى ارائه احيانا اخرى ، ويزيد على ذلك كله اخلاقا عملية لاتحلق فى سماء خيال، ولا تضطرب فى متاهات نظريات واحلام لا سبيل الى تحقيقها فىعالم الحقيقة والواقع ، فتجنب ما تورط فيه استاذه ووضع اسسا اخلاقية لسياسة الدولة فى كتابه الذى وجهه الى ابنه ((نيقوماخوس)) وسماه

« الاخلاق الى نيقوماخوس » ، وفيه جاء بنظريته الاخلاقية التي تقــول ان الفضيلة وسط بين طرفين ، وقد يكون هذا التعريف للفضيلة تعريفا هزيلا كما يقول « البرت شفيتزر »، ولكن لا علينا من ذلك ، فان ارسطو يطالب الدولة في كتابه هذا ان تبني سياستها على اساس من السلوك الفاضل « ان السلوك الفاضل الشريف هو الغاية التي تهدف اليها الجماعة السياسية » .

والنقد الذي يوجه الى افلاطون وارسطو كثير اقربه ان اهتمامهما كله كان موجها الى اليونانيين فحسب ، وما عداهم فهم برابرة همجيون لااعتبار لهم عندهما ، ولاتقدير لهم في ميزان فلسفتهما ، وافلاطون مثلا يطالب بالا تهدم البيوت وتخرب الديار في الحروب التي تنشأ بين المدن اليونانية ، اما التي تنشأ بينها وبين غيرها فكل شيء فيها مباح .

وجرد ارسطو شطرا كبيرا من الشعب اليوناني من كرامته وعنده انه « لا يستطيع ان يمارس الفضيلة من يحيا حياة الصناع او يعمل باجر» ولكن المهم هنا ان الحضارة اليونانية قد وجدت من يهتم باخلاقياتها ويرسم لها الخطوط التي تسير وفقا لها ، قد يكون فيها مواضع للنقد ، ولكن فيها ايضا مواضع للاعتبار والتقدير .

واذا كانت الاخلاق عند افلاطون وارسطو قد انحصرت في هذا المعنى الضيق ، فان افاقها قد اتسعت في الفلسفة الرواقية على ايدي الرواقيين المتاخرين الذين قالوا باخلاق انسانية شاملة عامة ، لا تخص اليونانيين وحدهم وانما تشمل الناس اجمعين .

وكان من اقطاب هذه الفلسفة « انايوس سنكا » الذي وصلت الينا بعض رسائله وكان منها « في الصفح» و« في النعم» و« في هدوء النفس »» ومن عناوينها يتبين اتجاهه الاخلاقي عامة .

●●●

وفرق شاسع بين اخلاقيات ارسطو واخلاقيات «سنكا» ، فاذا كان ارسطو يحرم الفضيلة على الصناع او العاملين باجر اويراهم اقل من ان ينهضوا بها ، فان « سنكا » يقول : « الفضيلة ليست محرمة على احد ، بل لكل ان يبلغها ، فانها تتسع الجميع وتدعو لدخول الاحرار والموالي والعبيد والملوك المنفيين ، والفضيلة لا تنظر الى المنشأ ولا الثروة ، وكل ما يهمها هو الانسان » ..

انها نظرة انسانية تتوسع في المعاني التي جاءت بها فلسفة اليونان فتسمو بها الى آفاق رحبة فسيحة .

والانسان عند « سنكا » محل التقدير والاعتبار بغير نظر الى اصله ومنبته ، او الى وضعه ومقامه بين الاحرار والعبيد :

« لا انسان انبل من غيره ، حتى لو كانت طبيعته الروحية خلقت افضل ، وكان اقدر على تحصيل علم ارفع ».

« كل فرد حتى لو لم يكن ثمة ما يزكيه ، فان على ان اقدره ، لانه يحمل اسم انسان » .

« على كل انسان ان يعمل قدر الامكان في سبيل سعادة الاكثرية ، فان لم يتيسر فليعمل في سبيل سعادة الاقلية ، وان لم يتيسر ففي سبيل سعادة جيرانه ، وان لم يتيسر فلنفسه » .

اما الرقيق الذين جردهم ارسطو في فلسفته من ابسط حقوق الانسان، فانهم عند «سنكا » يلقون تقدير الانسان لاخيه الانسان بغير نظر الى حرية الحر وعبودية المستبعد :

«في معاملة الرقيق ينبغي الا نراعي الى اي مدى نستطيع انعمل دون ان يلحقنا عقاب ، بل نراعي ما تقضي به طبيعة الحق والعدالة ، وكلاهما يامرنا بان نعامل حتى المسجونين والرقيق بالرفق والحسنى ، وعلى الرغم من ان كل شيء مباح في معاملة الرقيق ، فان هناك مع ذلك بمقتضى الحق العام لكل كائن حي «امورا» لايجوز ارتكابها في معاملة الانسان لانه من نفس طبيعتك » ..

قصـــــة

رجل البيت..

● سعـــد رضـــوان ●

وصل الى سمعى صوتها وهى تزعق فادركت ان خلافا جديدا دب بينه وبينها، وكانت فرصتى .. وعادتى ان انتهز مثل هذه المناسبات لاتجه الى شقة جارتى الحلوة واتدخل فى الصلح بينها وبينه ! ..

وهكذا اندفعت اطرق بابها وقد رسمت على وجهى تعبيرا يدل على انشغالى .. وسالتها :

ـ ماذا حدث يا ايمان ؟

فصرخت : كما ترى . لم اعد اطيق الحياة معه !

ـ اهدئى واخبرينى بما حدث ..

ـ لم يحدث شىء .. انه لا يفعل اى شىء ! . ان وجوده فى البيت لاتعابى .. هذا ما حدث !

ـ لم افهم !

ـ انا اعمل وهو يعمل .. وعبء البيت كله فــــوق راسى .. ولكنه يرفض ان يغسل طبقا اكل فيه ! .. يوحل قدميه فى الشارع ثم يدخل البيت ويدوس بحذائه فوق السجاجيد النظيفة ، ويرفض ان يخلع حذاءه بجوار الباب فقاطعتها : يا ايمان هذه اشياء عادية نفعلها كلنا ولا تستدعى مثل هــــذه الثورة منك .

ـ ليست عادية .. انك تطبخ طعامك وتغسل صحون بيتك ، وملابســــك وتكويها ..

ـ نعم ولكن ليس كل الرجال مثلى !

ـ نعم رايتك تمسح ارض مطبخك من نافذة مطبخى المواجهة !

ـ فعلا انا امسح واطبخ واغســـل واكوى .. ولكن لانى اعيش وحــدى ولم اتزوج بعد بسبب ظروفى الخاصة

ـ وما هى ظروفه التى تمنعه مـــن ان يفعل مثلك .. هل لانى معه اقــوم انا بكل شىء ، ولا يمــــد هو يده الى شىء .. حتى مرتبـــــه يحتفظ به لنفسه ولا يدفع مليما فى البيت !

وكان هو حتى هذه اللحظة جالســا مسترخيا على كرسى ذى مساند غـير مهتم بكلامها او بتدخلى .. ولكنـــه حين وصل الموضوع الى ذكر مرتبه ، رد عليها ببساطة :

ـ انت تعرفين ان مرتبى بســـيط واننى اصرف منه على احتياجــاتى ولا يفيض منه شىء ، فهو ليس بالمرتب الضخم مثل مرتبـــك انت .. فانت اشتغلت خمسة عشر عاما قبــل ان اشتغل انا ..

ـ اسامع ؟!

فقلت مهدئا : لاداعى لكل هـــذا .. اعتقد ان كل شىء يمكن حله بالتراضى وزعقت ايمان : اى تــراض ! .. اننى اتحمل عبء البيت خمس عشرة سنة .. لم اعد اطيق .. لماذا اصرف انا كل نقودى ، وهو لا شىء . لماذا اخـــرج من عملى الى السوق لاشترى كل مـــا يحتاجه البيت ، حتى الخبز ، وهـــو يرفض ان يشترى شيئا حتى ولو كان زرارا لقميصه ؟ .. انه يلقى بالقميص الى ويطلب ان اركب لــه الــــزرار الناقص ! ..

وصرخ هو : « اسكتى .. انا لم اعد اطيق العيش فى هذا البيت ؟

ـ وما الذى يجبرك على العيش فيه

ـ انت !

ـ انا

ـ انا !؟ انا لا اجبر احدا عـلى ان يتقبل حياتى !

ـ ولكنى لا استطيع ان اتركك !

ـ لماذا ؟ .. اننى اعتمد على نفسى واعمل ، واكسب ، وادير البيت وحدى، واصرف عليه وحدى ، ولا احتاج لان يساعدنى احد !

ـ حاضر .. سانتهز اول فرصـة لاترك لك هذا البيت !و قام لينـدفع خارجا وانا الاحقه قائلا :

ـ لا داعى لهذا الغضب يا ايمن .. انتما لا يمكنكما الاستغناء عن بعضكما

ولكنه لم يلتفت الى ، بل اندفع مبتعدا خارجا ..

وعدت اليها فقالت : ارايت ؟!

فنظرت اليها بشفقة ، وسكتنا لحظة ،

ـ انا احبه ، ولا يهمنى كل ما يفعله معى .. وانا اعرف انى سيدة الدار ، ولا اكره الاعمال المنزلية ، ولا اتعب منها ولوبقيت طول النهار فى المطبخ وتوضيب وتنظيف المنزل فلن احس بالتعب .. ثم انه يصغرنى بعشرة اعوام و ..

ـ اذن لم تثورين ؟..

ـ كنت اريده ان يكون اكثر نظاما، وان يعتمد على نفسه اكثر منى ويحس بالمسئولية ، ويحس بانه رجل هـذا البيت بدلا من هذا الاستهتار ، وعـدم الاهتمام بشىء .. يسهر كما يشاء له السهر ، وياتى ليوقظنى بعد منتصف الليل طالبا العشاء ..

ـ انه شاب صغير وسيعلمه الزمن ..

ـ اعرف انه صغير وانا كبيرة ويجب ان اتحمله ، ولكن ..

ليس هناك لكن . انى اعرض عليك نفسى و .

ـ ماذا تقول ؟

ـ اقول اننى اريدك .

ـ تريدنى ؟!

وصحت فيها : « اسـمعينى الى النهاية !.. » ثم اندفعت فى الكلام :

« انا اقول انى احبك ، وانى اعجبت بك منذ سكنت فى الشقة المواجهة لشقتك واعتقد اننى انا الشخص الذى يلائمك صحيح اننى اكبر منك بعدة سنين ، ولكنى لست عجوزا وعقليتك تتفـق مع عقليتى ، ومركزى معقول و ..

وبدا عليها الاندهاش ، وهى تنظر الى فى حيرة ، ثم وضح انهـا تـريد ان تتكلم ، ولكنها قالت شيئا غير مسموع وخرج منها صوت غير واضح ولا مفهوم ثم ابتلعت ريقها ، وانتابتها رعشة ،وهى تقول بهدوء وابتسام : « لقد فاجاتنى !»

الحقيقة هذه الامور تحتاج لتفكير ..

ـ اى تفكير ، انى اعرض عليك الزواج واظن اننا قد بلغنا سنا لا تسمح بضياع الوقت فى التفكير ..

ـ وايمن .. ماذا افعل به ؟! ..

ـ لا شىء . اتركى له الشقة ، وتعالى عيشى فى شقتى !

ـ انه مسكين لا يستطيع ان يعيش بدونى . لا يمكنه سلق بيضـة او صنع كوب شاى .. لا ، حرام ان اتركه !

ـ لا تتركيه ، و .. وعيشى معى !

ـ كيف ؟!

ـ ـيمكنه ان يعيش بالشقة ،ويمكنك ان تراعيه وسنبحث له عن زوجـة تناسبه فى السن والعقلية و ..

ـ لا اتصور !

ـ اسمعى .. لا ترفضى ارجوك . انا اعلم انك ربيت ايمن وتعبت فى تربيتـه حتى اصبح رجلا .

ـ انا ربيت اخى ايمن ، فانا اختـه وامه ، وكل شىء له ، وهو كل شىء لى .. لا تنظر الى ثورتى ضده ، فانى اثور عليه واتشاجر كما تتشـاجر الام التى ترى تصرفات خاطئة من ابنها لا اكثر. ولكنه اخى الذى عاشرته عمرى واحس انه ..

ـ لن يحدث ضرر لاخيك ..ساتزوجك ويعيش معنا ان اراد ! .

وصمتت ، فاصابنى القلق .. ثم سالتها بعد فترة : « هيه . ما رايك ؟»

فاجابت بدلال :

ـ هذا الكلام لا يقال لى .. انتظـر حتى يعود اخى ايمن واطلبنى منـه اذ انه رجل البيت ! .

قصة الكتابة العربية

في أوائل هذا العام اصدر المغفور له الدكتور ابراهيم جمعة طبعة ثالثة لكتابه ((قصة الكتابة العربية))، والذى يعد من اهم المصادر التى تناولت قصة الخط الذى يكتب به الناطقون بالضاد فى كل مكان ; والذين من حقهم ان يتبينوا كيف اصبح للعرب الحجازيين خط يكتبون به بعد ان كانوا امة لا تعرف الكتابة ولا تدرك التدوين وكيف تميز خط هؤلاء وبعدت الشقة بينه وبين الخط الذى استعير منه . . . وكيف تعددت صوره وعراه النقط والشكل ...

وكيف صاحب هذا الخط، الاسلام يخدم اغراضه ،وكيف حل فى الاقطار التى دخلت فى دين الله أفواجا محل الخطوط التى كانت مستعملة فيها من قبل ، واصبح الوسيلة لكتابة اللغة المحلية ، كما حدث فى بلاد الفرس (ايران وتركيا حتى أوائل العشرينات من هذا القرن)

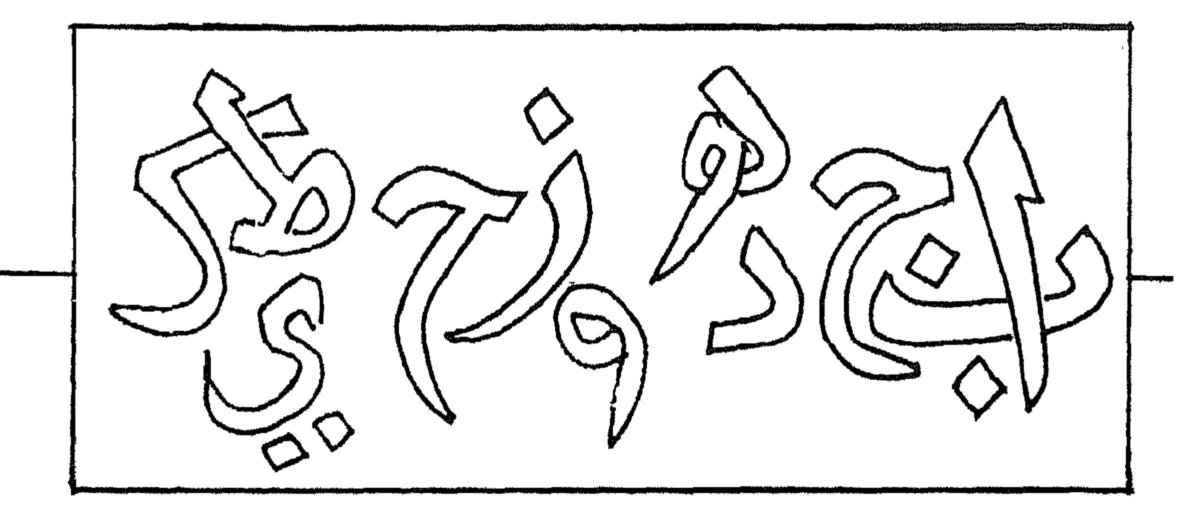
وكيف جود هذا الخط وأرتقت اشكاله حتى غدت فى بعض المواطن فنونا اسلامية رفيعة . . . ثم كيف تقلص ظله فى بعض الجهات بزوال سلطان العرب السياسى منها ، وكيف وقع النزاع بينه منذ القدم وبين الحروف اللاتينية ، وهو النزاع الذى تتجدد معركته بين الحين والحين ولكنه التجدد الخطر الذى يخشى من عواقبه .. .

***

والحق أن قصة الخط العربى ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الاسلامية وانتشارها والتمكين لها ، وبالفن الاسلامى الذى نشأ للمسلمين . وهم يجهدون فى اعلاء كلمة الله وتدعيم كيانهم الاجتماعى والسياسى والفنى — فهى قصة الكتابة فى مسيرتها لخدمة الاسلام فى ذيوعه، وما لبثت ان اصبحت مظهرا جميلا من مظاهره : يدخل لجماله وسموه فى دائرة الفن الاسلامى .

والكتاب لا غنى عنه بصفة خاصة لطلبة اقسام الوثائق والمكتبات فى الجامعات العربية . وهذه الطبعة الاخيرة تمتاز عما سبقها بالتوسع فى مادة الكتاب وزيادة توضيحها بالاشكال والرسوم لتكون مرجعا عاما فى هذا الموضوع ..

ومنذ بضعة اشهر اصدر الطبعة الثانية لكتابه ((جامعة الاسكندرية فى العصر الاغريقى الرومانى، والنقل عنها وتاثر العقل العربى بعلومها)) وكانت الطبعة الاولى قد صدرت عام ١٩٤٤ لمناسبة انشاء جامعة الاسكندرية الحالية ، وكانت الغاية من صدوره هى التذكرة بأن تلك المدينة الخالدة « الاسكندرية » مدينة علم واطلاع وبحث منذ عصور قديمة، وان الجامعة الجديدة — ثانية جامعات مصر فى العصر الحديث ، ليست الا صورة مبعوثة لجامعة الاسكندرية القديمة التى ازدهرت فى العصر الاغريقى والرومانى وادرك الفتح العربى اواخرها فى القرن السابع الميلادى ، وافاد منها النساطرة واليعاقبة والسريان ثم العرب .



وقد كان العرب بحق وصدق حفظة على تراث الاسكندريين ، ظل في أيديهم وصدورهم وعقولهم زمنا طويلا ، أودعوه مراكز العلم والدراسة والبحث في المدن التي قدر لها ان تحتفظ بكنوز العلم اليوناني واللاتيني طيلة العصور الوسطى الاسلامية ، لتكون هذه الكنوز المعين الذي لا ينضب والمورد العذب الذي استقى منه الاوروبيون وهم يجوبون الشرقين الادنى والاوسط ، بحثا عن تراث الاقدمين : يضيئون به الطريق أمام أوروبا وهي تنهض نهضتها الحديثة ، وتشعل مصابيح العلم ، وتعيد الصورة التي كان قد عفى عليها الزمن ، لتقوم للعالم قائمة كبرى بعد قرون من الغفوة والسبات .

والكتاب يلم المامة وفية بمكتبة الاسكندرية متحفا ومكتبة وجامعة ويجدر بنا ان ننوه بالفصل الذي تناول دحض تلك الاكذوبة التي تذهب الى القول بان العرب احرقوا مكتبة الاسكندرية عند فتحهم للمدينة ، ويلي ذلك الفصل فصل آخر عن اشهر الاعلام الذين تفخر بهم الاسكندرية وجامعتها القديمة كاقليدس ابو الهندسة وما نيتون المؤرخ ، وثيوكريتس الشاعر واراتوستنيز الجغرافي الذي قاس محيط الارض وجالينوس الطبيب .

***

وللدكتور جمعة عدة مؤلفات غير هذين الكتابين المشار اليهما منها كتاب « مصر الخالدة » وفيه تناول امجاد مصر على ممر العصور وكتاب « العملاق الجديد » ويتناول القومية العربية واصولها ومقوماتها واهدافها ؛ وكتاب « ايديولوجية القومية العربية » وفيه يبين ما يجب أن تقوم عليه القومية العربية وما يجب أن تحققه ... الخ

وكان ختام اعماله تلك الخريطة التاريخية للعالم العربي وقد وضعها بالانجليزية ، وقد قام بطبعها ونشرها معهد المستشرقين بهولندا ، ويضاف اليها « الاطلس التاريخي للدولة السعودية » . وهو عمل رائع حقا .

والدكتور جمعة من خريجي مدرسة المعلمين العليا قسم الاداب ، وقد اشتغل بالتدريس بالمدارس الاميرية الابتدائية والثانوية ثم حصل على دبلوم معهد الآثار الاسلامية سنة ١٩٣٨ وعلى الدكتوراه في الآثار الاسلامية سنة ١٩٤٣ ثم تقلد بعض الوظائف الادارية والفنية في وزارة التربية والتعليم ، واختارته بعد ذلك جامعة بغداد استاذا للتاريخ الاسلامي سنة ١٩٦٥ ثم انتقل الى جامعة بنغازي بليبيا فجامعة الجزائر عام ١٩٦٩ واخيرا انتدبته « دارة الملك عبد العزيز » بالرياض حيث عمل استاذا وباحثا غير متفرغ بها ، حتى وافته المنية في منتصف عام ١٩٨١ . رحمه الله واسكنه فسيح جناته . ●

أذكركم بهذا الشاعر:

إمام العبد

قبل أن يسقط من ذاكرة التاريخ

عبد الله أحمد عبد الله

لى غرام بالحديث عن مجموعة من الادباء والفنانين الذين اشعر انهم لم ياخذوا حقهم فى حياتهم ولا بعد مماتهم أرانى منتظما فى سلكهم ، ومن هذا المنطلق ـ كما يقولون هذه الايام ! ـ احاول انصافهم وتذكير الناس بعطائهم وقيمتهم .

من هؤلاء الذين اخشى ان تسقط اسماؤهم من ذاكرة التاريخ ، الشاعر الظريف المسامرة محمد امام العبد .

هو ابن لوالدين من الرقيق ، أنجباه وهما فى خدمة أمراء من سكان « القصر العالى » حيث تهيأت حياة فيها الرخاء والنعمة وتيسر له الحصول على قسط من التعليم ، فحفظ جانبا من القرآن الكريم وأجاد الانشاء البدائى وعرف قواعد النحو وشتاتا من شعر الاقدمين .

واذ لم يستكمل الدراسة المنتظمة فقد عوض ذلك بالقراءة والتقرب من حلقات الادب وندوات السمر ، فتزود وتزود ، وتفتحت واعيته على آفاق من المعرفة ، التقطها بذكائه وقدرته على الاستيعاب ، ولم يلبث أن برز شاعرا جديرا شعره بالاصغاء والاهتمام .

ورحل عنه الوالدان فتركاه وحيدا فى الحياة بلا ميراث ولا صناعة يجيدها ، فلم يكن أمامه الا ان ياكل خبزه بشق قلمه . ولا يعدم مدعيا ثريا يستكتبه ما ينشره باسمه ، أو جمعية تقصده فى قصيدة لخدمة اغراضها مقابل أجر متواضع ، أو يمدح أو يهجو ليعيش .. وهذا هو الجانب « الصناعى » فى شاعرية الاستاذ محمد امام العبد ..

أما جانب الالهام والوحى والفطرة فى سائر شعره ، فهو يشير الى شاعرية دفاقة غزيرة العطاء والمستوى الذى كفل له مكانا ومكانة بين سادة الشعر فى عصره : شوقى ، وحافظ ، ومطران وأضرابهم ..

واذا كان محمد امام العبد ،عبدا أسود أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ، فقد كان بهذه الصورة هدفا لقفشات ودعابات الصحب ، واذ لا حيلة له فى تغيير واقعه

وسوداء كالليل البهيم عشقتها
لأجمع بين الحظ واللون في عيني
إذا ضمتنا ليل تبتسم ثغرها
فلولا سناه بت في جنح ليلين!

امام العبد

« اللوني » فقد تحول الى متعصب للونه فخور به ، بل ومبرر له :

نسبوني الى العبيد مجازا ...
بعد فضلي واستشهدوا بسوادي !
ضاع قدري ، فقمت أندب حظي
فسوادي ، على ثوب حداد !

ولقد ظلت مرارة الحظ الاسود عالقة بلسان وشعر امام العبد ، فقد كان يتصور انه ضائع لا يلقى كفاء موهبته ، وأن مكانه غير المكان وان حظه غير ماكان ! وتأمل معنى قوله :

لبست لاجله ثوب الحداد
ودرت مع الزمان بغير زاد
فما دار أقمت بها دياري
ولا بلد اقمت به بلادي !

وهو حتى عندما يطرق حديث الهوى والحب ، يشيد بسواده ، ويدير حوله حوارا بينه وبين ملهمته :

همت بالوصال فقالت عجبا
أيها الشاعر ما هذا الهيام ؟
لم ينل منا الرضى حر وما
رام منا سيد هذا المرام !
انت عبد والهوى ابناني
ان وصل العبد في الحب حرام!
قلت يا هذى انا عبد الهوى
والهوى يحكم ما بين الانام ..
فارحمي صبا تلظى قلبه
انما الدنيا حياة وغرام !

واذا ما كنت عبدا اسودا
فاعلمي أني فتى حر الكلام !

وقد كانت لامام العبد ملهمة . حسناء بيضاء ، كانت تلقاه متلصصة متنكرة على حذر . تعطف عليه وتقدر موهبته ، ويطربها شعره وتستعذب فكاهته ..

واذ عرض عليها قلبه ذائبا في شعره أوهمته انها تستجيب له لكن قلبها لم يخفق الا بتقديره والاعجاب به . وكانت معذورة بلا شك ، فهي فاكهة شهية يحوم حولها رجال أثرياء فيهم الوسيم والجميل وأنفرهم جمالا لم يصل الى دمامة هذا الاسود الفحمي الغليظ الشفتين الافطس الانف - وطبعا اللهم لا اعتراض ! - وهو يصور هذه العلاقة التي كان يعرف حدودها لكنه بأوهام هواه يتجاوزها فيحب مغرقا في الحب من جانبه وحده ، واذ تداعبه باشارة الى سواده يقول :

كتمت فاقصاني ، وبحت فلامني
فهاج غرامي بين سري واعلاني !
وما كان كوني قبل حبك اسودا
ولكن لهيب الشوق احرق جسماني!

وأنعم واكرم بهذا « السواد الاعظم » الذي ينضح هذه المعاني والاخيلة ، ما أسعد فن الشعر اذ يحظى من شاعر اسود اللون بمثل قوله في ملهمته البيضاء « مستثمرا » لونه في دعم غزله :

ورب جميل زارني متكتما
مخافة لاح يعذل العبد في الحب!

وقبلني عشرا ، وقـال تذللا
سوادك في عيني وحبك في قلبي!

ونتجاوز عن (الكذب) الذى انزلق اليه خيال الشاعر حين قال (وقبلني عشرا) و (قال تذللا) . فلا أتصور الحسناء البيضاء تتحمل – أو تطيق – عشر قبلات من زميلنا البائس الدميم !

وهو فاجر في كذبه اذ ينسب الى الحبيبة التذلل اليه.. هنا اظن مقتضيات الوزن وحدها دفعته الى هذه الشطرة :
« وقبلني عشرا وقال تذللا » . لكن حسبنا منه ابداعه هذه الصورة على بعضها !

وتعمق حلاوة الخيال في قوله في معشوقة أخرى سوداء مثله :

وسوداء كالليل البهيم عشقتها
لاجمع بين الخط واللون في عيني
اذا ضمنا ليل تبسم ثغرها
فلولا سناه بت في جنح ليلين !

ولا معدى لنا من تقرير واقرار أن لونه ودمامته كانا ينبوعا ثرا لابداعه الفني من أي جانب طرقهما .. على أن همه الاكبر كان في بؤسه وعدم وجود مورد ثابت له من أى عمل .

أزمة امام العبد كانت في حظه الضائع في الحياة . وما كان له أن يسرف في الندب على عدم وجود مورد رزق له . فلماذا لم يمتهن مهنة أو يتعلم حرفة يأكل من ورائها ، لكنه حين استوى أديبا كان قد تعدى مرحلة التعليم دراسة أو صناعة ، وكان يعيش كيفما كان – نعم – ولكنه كان يعيش !

مكانته الادبية بين أقران عصره كانت ملحوظة فلسنا معه ان شكا من تجاهل أحد لوزنه الادبى ، لكننا نغفر له ونفهم شكواه من الزمن لانه فعلا كان جديرا بمزيد من التقدير من المسئولين في عصره ولأن القائل الابيات الآتية كان حقا قمينا أن تتيسر له الحياة على نحو أفضل :

تكاد عيوني تقرأ الغيب في الدجى
وتسمع اذني فيه ما تضمر النمل !
وما أنا من قوم تهون نفوسهم
عليهم اذا خانهم الصحب والاهل
فلي من مضائي رفقة وعشيرة
فلا سيد ينأى ولا صاحب يسلو
فيا حظ لا تسعد ويا خل لا تزر
ويا دهر لا تعدل ، ويا عيش لا تحلو
فما هاجني سخط ولا كفني رضى
ولا ساءني ظلم ولا سرني عدل !
وما قتلتني الحادثات وانما
حياة الفتى في غير موضعه قتل !

الله .. ما أروع ، وما أبدع !

على أنه لابد من الاشارة الى أن طابع العصر – عصر امام العبد والى عهد قريب جدا – كان شكوى الادباء من الزمان . بل كان هذا الموضوع مادة شبه ثابتة في دواوين الشعراء وكأنما يتنافسون ويستعرضون عضلات وحيهم وهم (يبدعون) في تصوير بؤسهم وتنكر الزمان لهم .

وفي هذا الصدد يبدع محمد امام العبد في قوله :

سئمت من الحياة بلا حياة
وضقت من الرشاد بلا رشاد !
وكيف يهيم بالدنيا اديب
تزمل بالسواد على السواد !
اذا أكل الطعام فمن تراب
وان شرب المياه فمن مداد !
خلقنا للهموم بلا دليل
وهمنا بالحياة بلا اعتقاد !
ولو علم الزمان بنا قديما
لما مال الزمان الى العناد !

نسبوني إلى العبيد مجازا
بعد فضلي واستشهدوا بسوادي!
ضاع قدري، فقمت أندب حظي
فسوادي على ثوب حداد!

صورة قاتمة استمد الشاعر سوادها من سواده !

على أن حياته كانت مرحا متواصلا . كانت نكتة وابتسامة وتشنيعة ومعابثة وخمرا يعب منها متوهما أنه يغرق فيها أحزانه :

هاتها يا اجمل الناس ابتساما
وصن السر كما صنت الغراما .. !
واسقنيها في الدجى ممزوجة
لارى في الكأس حلا وحراما
خمرة تحسبها العين لظى
ويراها القلب بردا وسلاما !

ولان مفهوم الشعر حتى عصر امام العبد وربما الى اليوم ، وربما الى ما بعد - ان أعذب الشعر اكذبه ، فبهذا المقياس يروح الشعراء في مجالي الفخر والحماس يمعنون في الكذب والاوهام وادعاء الشجاعة والنجدة والندى ، الخ ..

وبمقياس الفخر « الشعرى » وبرنة حماس عنترة الاسود مثله ، وسائر الفرسان الشعراء السود ، راح امام العبد يقول بنغمة القدامى :

ولما التقينا والاسنة شرع
ونادى المنادى لانجاة من الحتف !
عطفت على سيف المنية فانجلت
صفوف وكان الصف الصق بالصف
فرحت وفي وجهي وجوه عبوسة
وعدت واشلاء الفوارس من خلفي
فلم ار قلبا غير قلبي بجانبي
ولم أر سيفا غير سيفي في كفي
وقسم سيفي القوم قسمة عادل
فأرضي الثرى بالنصف والطير بالنصف !

ويروى الرواة أنه قبل أن يتم هذه القصيدة سقطت عليه قطة يطاردها كلب وفوجيء بنباح ونونوة ، وفزع في الظلام فغادر غرفته عدوا لا يكاد يستجمع أنفاسه ! .. وهو الذي عاد من خياله بأشلاء الفوارس من خلفه ، وقسم سيفه أعداءه قسمة عادل !

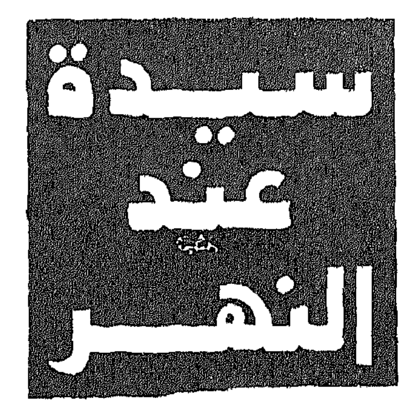
والشاعر الزجال الظريف الضاحك امام العبد يتألق - لا أعرف كيف ! - في الصور الآتية الحزينة ، وهو الذي اشتهر ظريفا وابن نكتة ربما بأضعاف شهرته شاعرا .

ودليلي هذه الابيات صور بها امام العبد حالة شاب إفترسه مرض السل والعياذ بالله :

عشق الموت مكرها في شبابه
رب موت تحار في أسبابه !
قبل أن يدفنوه في الرمس ميتا
دفنته الايام في جلبابه ...
فاذا رمت أن تراه بعين
لا ترى غير انه في ثيابه !
كيف تقوى كفاه في موقف الـ
عرض اذا كلفوه حمل كتابه ؟
أيها الموت لا عدمتك خلا
طالما انقذ الفتى من عذابه !

هذا هو الشاعر امام العبد ، أذكر به وبفنه .. ولا تزال في حياته وابداعه ونكتته الساخرة اللاذعة جوانب استرعى اليها اهتمامات الباحثين والدارسين .

قصـــة



● حسين عبيد ●

« اذا زرت مدينة ما ، فاحـرص الا يخدعك وجهها المألوف.. بل ابحث ـ بين الاحراش ـ عن وجهها الحقيقى ، المجهول ! »

من مذكرات رحالة مصرى قديم

لقطة من بعيد :

يمتد الطريق الواسع ، الجديد .. يتلوى ، ينحنى موازيا للنهر .. تلهب أرضه شمس اغسطس الحارقة تندفع عليها السيارات مسرعة ، تتناثر على جانبه عمارات شاهقة ، تتخللها بعض البيوت القديمة .. بينما يلتهم النهر ـ على الجانب الاخر ـ اشعة الشمس النارية ، لتستكين وادعة بين جنباته، خلال مسيرته الهادئة ، الوادعة .

الاقتراب من النهر :

تخوض سيدة فى ماء النهر بساقها اليمنى ، تملأ الكوز ماء بيدها اليسرى تعتدل تصب الماء على جسم طفلتها العارى تدلكه بالصابون ..

تصرخ فى وجـــه ابنتها : اعتدلى يا شقية !

لابد دوما من الشجار .. بلسانـك تكسب مكانك .. حتى هذا الجزء من ضفة النهر ، رغم تكرار الحضور اليه يوميا للغسيل والاغتسال .. تتعمـد بعض الجارات احتلالـه .. فلتعتدلى

ـ اذن ـ يابنيه ، حتى ننهى عملنا ، ونرتاح !

تجذب شعر الطفلة ، تغرقه برغوة الصابونة : اغمضى عينيك !..

تسقط نظراتها تلقائيا على الاجسام البشرية المزروعة حـولها ، فتيـات وسيدات ـ من الجيران ـ يغسـلن اوعية واطباق الطعام فى ماء النهـر ـ يتحركن بنشاط ، يستفدن من وفرة الماء فحنفية الحى الحكومية بعيدة ، ومن لديها الوقت والجهد لتحمل الماء الى حجـرتها ؟! .. رحـم الله ايام السقا فى الايام الغابرة ، كما تحكيها امى المريضة ..

تربت على شعر الطفلـة : اخفضى راسك ..

تخوض السيدة فى الماء ثانية، تسرع بملء الكوز ، تفرغه على شعر الطفلة، تحك راسها بشدة يتطاير رذاذ المـاء يغمر ملابسها التى ابتل اسـفلها .. تشعر بنظرات شاب ، يصطاد السمك بقربها ، تلسعهـا .. لاتهتم .. يجب أن ينتهى استحمام نعمات ومحمود ، على عجل ، كما انتهى غسيل وشطف الملابس المتسخة منذ فترة ، فاليوم لى والايام الاخرى للاخرين !

تكرر ملء الكوز عدة مرات ، تدلك جسم الطفلة اثناء صب الماء لتزيل بقايا الصابون العالقة به بقسوة ..

ـ محمود . اعطنى الجلباب الجاف .. الجلباب ياولد !.

تتناول الجلباب من محمود، تجفف به الصغيرة .. وانت يا حبيبـــة ، تحتاجين الى مريلتين وحذاء للمدرسة .. واخـوك يحتاج جلبابا ، من ايـن اشتريهم ؟! من اين ؟!

ـ انت ياولد تعال بجوارى ..

تجذب هذا « المحمود » ناحيتها ، تجرده من جلبابه الصغير ..

وعلى الام المريضة ـ قعيدة الحصيرة المهترئة ـ الدور للاستحمام لكن الوقت بالكاد يكفى تنظيف الحجرة والطبـخ

ـ اغمض عينيك ، واجلس فى الماء!

ترفع سيدة الطفل بين يديها تغطسه فى الماء عدة مرات تزيل رغاوى الصابون المنتشرة على جسمه توقفه فوق الاحجار فى مكان بعيد عن الماء جفف نفسك ، والبس جلبابك ..

تخرج من الماء بحرص يطالعها عرى ولدها وهو يستره بالجلباب .. ما اشد نحافة جسمه لعل شقاوته الزائدة هى السبب .. فاذا كان الامر كذلك فما السر اذا فى نحافة اخته الهادئة؟!

تحمل وعاء الغسيل الممتلىء فوق راسها تضبط ذلك الشاب نفسه يحملق فيها ـ تلفظ ناجذيها بعنف تمسك طفلها بيدها : تعالى يانعمات ، سنعود ..

تمشى بين الاعشاب الشيطانية ، تتخطى اكوام القاذورات ، تضع وعاء الغسيل على سور النهر تعبره مع نعمات .. يتحرر الطفل من يدها ـ يقفز من فوق السور الى الارض ـ يجرى الى سيارة مهجورة فوق الطوار يركبها ترفع سيدة وعاء الغسيل ثانية على راسها ، تبحث عن نعمات تجدها تلهو مع اخيها فى السيارة القديمة.

ـ نعمات .. احضرى هذا الولد ، لنعبر الطريق ..

تنتظر على حافة الطوار يغمرها العرق تلسع سخونة الطوار قدميها الحافيتين .. تتنفس بصعوبة تكاد تلهث ترقبا فواج السيارات تتكاثر .. تتدافع تتصارع تزعق ابواقها تهدر تتحين الفرصة بينها لتعبر .. يجب ان اسرع .. دائما كثور الساقية .. ماذا يكون غداء اليوم ؟! يجب أن اعد اى لقمة ، فلو عاد ابو الاولاد ولم يجد طعامه تكون المصيبة .. يجب ان...

نعمات .. وسط القيظ اللافح ؟!

تقبض على يد الطفل بعصبية .. يضايقها التصاق جلبابها بجسدها : امسكى جلبابى .. الان ..

تنطلق سيدة بحملها ، تعبر الطريق بيدها صغيرها . بجلبابها تتشبث



والعمل فى بيوت الاخرين ..

ـ البسى بسرعة يانعمات !.

تمتد يدها المدربه بالماء والصابون تضربه على ظهره بقوة : اثبت فى مكانك .. لاتتحرك حتى انتهى ..

تغمر شعره بالصابون ، تحكه بشدة تمشيط الشعر هماخر بعد الاستحمام .. وبقليل من الكيروسين فى مفرق الشعر تتم نظافته .. وامام باب البيت فى ضوء الشمس هو المكان المنتظر !

يحاول الصغير ان يتملص من يدها تنتعش تكاد تقع، تتماسك تغرز ساقيها بين الاحجار تحس الطين الناعم يتخلل اصابع قدميها .. هل قدر لى ان اموت غرقا .. منذ شهرين ـ فى نفس المكان ـ انزلقت قدم شاب يصطاد السمك سقط فى النهر تخبط بين مياهه .. ابتلعه الماء مات غرقا !

فهل ساموت هنا ؟!

تزدرد لعابها تحكم قبضتها على الطفل : استغفر الله . ربنا ينجينا !



يازهرة تزهو..

● حسيني عشرة ●

يا زهرة تزهو على الأغصــان
وتضوعت في داخلي وكيـــاني
آه لها .. بل الف آه بعـــدها
واقولها من حسنها الفتـــان
ايد الطبيعة ابدعت في رسمها
حتى بدت في اروع الألوان ؟ !
فجذورها البيضاء تضحك للثرى
وتشق ارض الروح والريحان
ويحوطها جند من الشـوك الذى
يحمى حماها من محب جـــانى

***

لما سجاها الليل لم تخف الدجى
فلها انجلاء الفلك بالمعـــان
فالبدر يرسم ظلها بضـــيائه
فبدت بسطح النهر غصن البان
والنجم يرعى قدها وجمـــالها
بحلاوة الأقدار والأزمـــان
فبدى الندى يحنو على اعطافهـا
قطراته مـن سلســـل ريان

***

حتى اذا انفلق الصباح بنـــوره
وسناه يغمر عودها الفينـــان
تاتي البلابل تنتشي مـن حولهـا
تشـــدو الغرام باعذب الألحان
فاذا الحمام يحـوم صوب عبيرها
ويميل عصفور عــلى كروان
والنحل يرقص في حمى اكمامهـا
كي يجتني شهد الرضاب الداني

***

وانا ادور مدارهم يا زهـــرتي
فانا محب والهـــوى اذكاني
فصلي حياتي بالحياة .. وعطري
دربي .. بود حالم وحنـــان
يا واحتي . يا من سبتهى غربتي
يا بسمتي الغراء .. يا عنواني
اني محب يفتديك بروحـــه
فخذى عطائي .. واقبلي قرباني

قصة

قبل الرحيل

● شوقي فرج ●

استقام العود واسترق الخصر واستبان .. اهتز النهدان في الصدر واشرأب العنق في شموخ وكبرياء وهو يحمل وجهاً خمرياً يتوسطه أنف دقيق وشفتان رقيقتان في لون الشفق ، وابتسامة كشفت عن صفين من العاج الابيض ، بينما يتوج الرأس شعر أسود طويل ينساب كشلالات فيوحى للناظر اليه كأنه يسبح في لجج الليل .

ـ وداعاً طفلة الامس !

لم تعد طفلة الامس القريب . نضجت وتفتحت كزهرة الربيع قبل القطاف .. فتحت عيني منذ وعيت الحياة فوجدتها بجانبي .. نجري ، نمرح ونلعب .. لا نفترق الا عند غروب الشمس .. أما الآن وقد شملها ذلك النضج دوني وتباعدت بيننا المسافات ، ولم تعد كسابق عهدها معي ، رغم اننا نكاد نكون فيعمر واحد .. كانت في الخامسة عشرة من عمرها بينما انا في الرابعة عشرة ، غير ان النمو عادة يكون اكثر نضجاً عند الفتاة منه عند الفتى .

وصلتي بعفاف صلة جوار .. نقطن بيتاً واحداً . تعيش مع جدتها الكفيفة بعد موت امها يتكفلهما الاب الذي آثر الزواج بأخرى ويزورهما على فترات متقاربة .. وبيتنا كانت له شهرة عريضة في الحي كله . ومن ذا الذي لا يعرف بيت « محمد باشا » الذي يقال انه كان أحد مماليك مصر وانه قد ذبح في القلعة لانه أعلن العصيان على السلطان برقوق اتعس سلاطين ذلك العهد ..

والبيت له باب كبير كأبواب القلاع الحربية ، وقد تراصت فوق واجهته أسنان مدببة كتلك التي على باب المتولي ، يزينه برج أخضر تسمع من خلاله زقزقة العصافير وهديل الحمام .. به مشربيات ودهاليز رهيبة وآبار مياه ، ومعظم ساكنيه يقطنون الحجرات ، وكانت حجرتنا ملاصقة لحجرة عفاف ..

قبل النضج كانت عفاف لي وحدي .. نلعب ونمرح .. نصعد نحو البرج الاخضر ، واذا ما تعرض لها أحد الصبية تصديت له .. الآن تغير كل شيء .. لقد تكاثر محبوها وراحت عبارات الغزل تلاحقها وكنت أرى العيون تلتهمها فازداد هلعاً عليها .. حتى الشيخ عبد العزيز الوقور سمعته مرة يقول عندما رآها : ربي أعطاك عيناً ساحرة !

وفي الستينات تعرضت مصر لغزو ثلاثي غادر على مدينة بورسعيد . وعندما كانت تشن الغارات وتطلق صفارة الانذار ، يهرول سكان البيت الى « الخندق » . أما عفاف فلا تبرح مكانها وتظل بجانب جدتها رغم تحذير السكان لها بأن البيت لا يحتمل تلك الهزات وقد ينهار في أي لحظة .. وبدافع من خوفي عليها آثرت البقاء بجانبها ، وكان ذلك دون ارادة أمي . وأغلب الظن أن عفاف قد اكبرتني وقتها وربما عرفت بمكنون قلبي ..

وأردت أن أفعل شيئاً لاخلع ثوب الطفولة عني .. ذهبت الى معسكر الحرس الوطني وقدمت نفسي لاذود عن الوطن .. وهناك أحسست بنظرات الاستخفاف من البعض ، ولكن الضابط المختص باستقبال الوافدين صرفني بطريقة أثلجت صدري ، أخذ اسمي وعنواني ثم شد على يدي قائلاً : « سوف نرسل اليك فنحن بحاجة لامثالك » .

وعندما اشتدت الغارات جاء والد عفاف الذي أخبرها بأنه سيأخذها هي وجدتها لتعيشا معه في مدينة حلوان خوفاً عليهما من ذلك البيت المتداعي .. وعشت فترةمنطوياً على نفسي . كيف أعيش دونها ؟! لقد مست مني وتراً حساساً في موقع قاتل . كانت توأم روحي ، عزيزة على نفسي ، قريبة من قلبي .

وقبيل يوم رحيلها ، وفي مساء ذلك اليوم ، أطلقت صفارة الانذار وأطفئت الانوار ، وكنت كعادتي بجانبها .. وقررت أن أبوح لها باحساسي بعدما تأكدت أنني أحبها حباً ملك كل مشاعري الصبية ، ولكن شجاعتي خانتني فتلعثمت قائلاً :

ـ خلاص مش حشوفك تاني ؟ .

فاجابتني بصوتها الدافيء :

ـ أنا عارفة انك بتعزني .. وأنا كمان باعزك .

ساعتها لم اتمالك نفسي فأجهشت بالبكاء مرتمياً فوق صدرها ، فاحاطتني بذراعيها ، ثم رحنا في قبلات طويلة ، حتى انتهت الغارة .

***

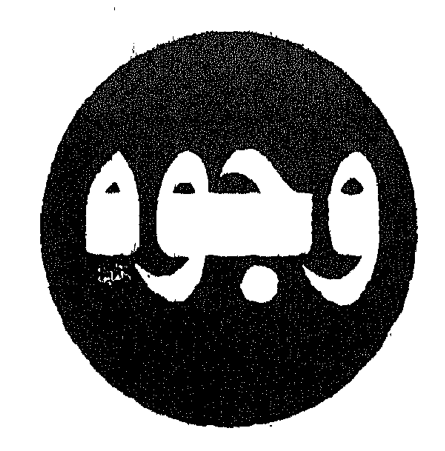
وفي صباح اليوم التالي وقف سكان البيت يودعون عفاف ، بينما انزويت انا في ركن بجانب أمي .. وعندما رأتني عفاف أومأت برأسها وقد ازداد بريق عينيها ، ثم مضت في طريقها حتى غابت عن عيني .

اغرورقت عيني بالدموع ، ولم أدر الا وأمي تشهق وتخبط صدرها بيدها قائلة :

ـ انت بتحبها يا واد ؟!

اجبتها وأنا أجهش بالبكاء :

ـ قوي .. قوي يا أمي !



● نبيله العطار ●

● ربما انقضت ساعة كاملة وهى واقفة امام الباب المغلق ولكن الامر فى ذلك اليوم لم ينته ابدا .. والى الان لا تعرف ماذا حدث بالضبط الباب لايزال مغلقا .. فى غمرة ذهولها لاتكاد تصدق ما حدث .. انه اخوها الوحيد ، امل والدين بلغا سن الكبر، وشقيقاته كلهن يضعن فيه امالهن .. انه فى غرفة العمليات يصارع الموت.

لقد اصطدمت سيارته الخاصة بسيارة نقل فتحطمت سيارته ونقلوه الى المستشفى بين الحياة والموت ..

وتجد نفسها اول من يتلقى الصدمة واول من يهرع الى المستشفى .. تجرى فى اروقة المستشفى تبحث عنه وعلى وجهها يرتسم الذعر ، والهلع .

ــ اين اخى ؟ اين اخى ؟

وجدته ملقى على سرير باحدى الغرف ، وجهه مليء بالدم ، وبقايا الزجاج المسحوق ، والدم النازف من فمه وانفه يغرق ملابسه .. تصرخ : اين مدير المستشفى ؟ اين الاطباء ؟ اين الممرضات ؟ كيف تتركونه هكذا ! دون علاج او اسعاف ؟ أن دمه يتدفق كالنهر ! ..

اخى .. اخى .. الا يوجد احد هنا ؟

فى الليل يتردد صوت حنان اخته وهى تلف وتدور بين الاروقة والحجرات فى كل اتجاه .. الرغبة فى انقاذه تحركها فتجرى لاهثة ..

فى التليفون .. الطبيب يتحدث هادىء الاعصاب مبتسما .. تندفع اليه صائحة : أرجوك .. اخى مصاب فى حادث سيارة ــ وحالته خطيرة ــ ارجوك ، قم بواجبك افعل اى شيء ، والآن فوراً ..

وبهدوءشديد يرميها بنظرة مستغربة كانه يقول : لماذا انت منفعله هكذا ؟ اهدئى ! ..

ويترك سماعة التليفون ، ويتحرك صوب الحجرة التى يرقد فيها المصاب ولكن ببطء مثير ايضا يصدر بعض الاوامر ويدفع لابسو الثياب البيضاء سرير اخيها الى غرفة العمليات .. واغلقوا الباب ..

فى اذنيها تدوى صرخات الم .. تغلقها بيديها كى لاتسمع .الصرخات تعلو وتعلو ..

لا تكاد تعى شيئا مما حولها سوى وقع اقدام على الدرج .. انهم اقبلوا يتوافدون جميعا خلفها ابوه الشيخ وامه ، وخطيبته . شقيقاته وازواجهن .. وبجانبها أبوها يتساءل والهلع فى عينيه والاسى يكسو وجهه وتيقظت . مشاعرها ، وأدركت ابعاد الكارثه ..

حنان ، اخته يتنازعها عاملان ،فلقد وقع بينها وبين أخيها شجار بالامس وكانت هذا الصباح غاضبة منه اما الان فانها نسيت غضبها تماما وحل محله حنان غامر وحب لاتدرى كيف

تفجر من اعماقها واســـتحال الى مناجاة ، شاركها فيها جميع من حولها .. على الشفاه لايتردد سوى الدعاء يارب .. يارب ..

***

وبسرعة استعادت كل الذكريـات .. فمنذ شهر مضى وهو يصر عـلى ان يتم زفافه اليوم من خطيبته التي عاش معها قصة حب لم تنته بعد ..

اليوم في الصباح وقف صائحا في وجه امه :

ــ الليله ليلة زفافي ، لاوقت للكلام او التاجيل .. فلقد حددت الوعـــد وانتهى الامر !

ــ يا ابني اسمع كلامي ولا تجعـل قلبي يغضب عليك ..

ــ ماذا تريدين ؟ انني محتاج لامراة وهذه هي المراة التي احببتها ..

وفي صمت مطبق تتامله امـه في ذهول ولكنه يستدير مندفعا ويصفق الباب وراءه بشدة ويهرول مسرعا الى سيارته ..

***

وحدث ما حدث ..

وعلى غير انتظار التفتت فطالعها وجه ابيه الحزين المكلوم دموعه تجرى على خديه ونشيجه يختلط بدعائه ..

وغـير بعيد منه كانت امـه تجلس واضعه كفيها على وجهها ودموعهـا تسح على ملابسها ، انـه ولدهمـا الوحيد ، واملهما في دنياهما .. ان كل شيء له المحلات العقارات ، الاموال كل ثروتهما له ..

رباه .. ما قيمة كل هذا بدونه ؟.

وتستدير حنـان ، فتجد خطيبته تقف وراءها منهارة تماما والحـزن يكسو ملامحها بمسحة من جمـال مرتاع .. انها تحـاول ان تبـدو متماسكة ولكنها كانت تتمـزق في داخلها ، فالليلة ليلة الزفاف ، حلم كل فتاة ..

دون ان تدري لمت في خاطـرها صورتها وهي ترتدي ثوب العـرس الابيض المزين بالدانتيل ولكنه القدر.

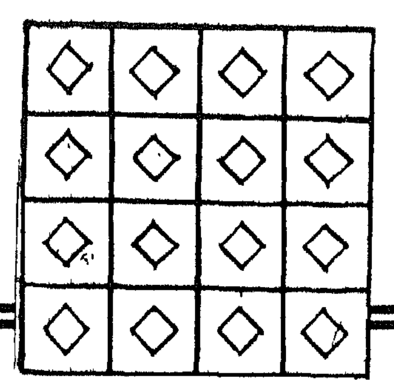
واقبلت اخته سهام تواسي اباهـا وامها ، وعلى وجهها حزن حقيقي .. وزوجها حسن من خلفها يتبعها ، على وجهه قناع من الحزن المصطنع لـم يفلح في اخفاء فرحته انه معـروف بجشعه للمال ، وتنطلق دفعات الكلام من فمه صادقة او كالصـدق كمن اكتشـف المعجزة ، كمن حقق اكثر المستحيلات استحالة في شرحـه وحماسه يندمج في الحديث كانه هو الذى قام بكل شيء وحده .. هو الذى اسعفه هو الذى استدعى الطبيب .. واشار باجراء العملية ، يندمج تمامـا حتى ينسى ماذا يقول ..

ترمقه حنان بنظرات فاحصـة فيشيح عنها .. وربما عرته بنظرتهـا وكشفت عن حقيقة مشاعره.. فليكن تتكشف ساعات الهلع والتعب . الباب لايزال مغلقا تدور بين الوجوه تتاملها.

في الوجوه لحظة توهـج انسـانية نادرة ، لا نراهـا الا في وجـوه المحتضرين لحظة تعانق الحياه والموت.

غير بعيد من الباب المغلق وقفت الاخت الصغرى منال وزوجها عباس على وجهيهما احاسـيس متباينة .. فمنال كانت لاتكف عن البكاء .. اجل فهي اقرب شقيقاته الى قلبه .. امـا عباس فبرغم انه كان اقل جشعا من حسن الا انه كان يمني نفسه بنصيب الاسد في ثروة حميـه .. بدا لها ان وجهه لا يحمل اى معنى من المعاني ، يبدو لا مباليا سلبيا جامدا . وجاءت وجوه وراحت وجوه ومر وقت لاتدرى ماطولـه .. ويفتح الطبيب الباب ، وتلتمع عيناه ببريق مضيء وعلى وجهه ابتسامه مكدودة ولكنها بثت الامـل في القـلوب فاشرقت وجـوه .. وكسـت خيبة الامـل وجوها ..

●





اولا : لغز شعرى : من هو ؟

اســم الذى تيمنى اوله ناظــره ...
ان فــاتنى اولــه فان « لى » آخره !

ثانيا : اضافة مربعات

فى هذا الشكل ستة عشر مربعا ، فى اربعة اعمدة او ســطور افقيــة ، والمطلوب اضافة أربعة مربعات أخرى بحيث يكون مجمــوع عدد المربعــات الافقية أو الرأسية خمسة مربعات فى كل عمود أو سطر .

ثالثا : حاول :

١ ـ أن تطبق (تثنى) ورقة من مجلة او جريدة اكثر من ثمانى مــرات (ثنيات) .

٢ ـ أن تقطع ورقة ممزقة فى موضعين الى ثلاثة اجزاء دفعة واحدة .

٣ ـ ان تمس أصابعك أطراف حذائك اذا ثنيت جسمك وكانت ســاقاك وعقبا قدميك ملتصقة بالحائط .

رابعا : اختبر ذكاءك :

١ ـ ما الذى يدور حول الغرفة ولا يتحرك ؟

٢ ـ ما الشىء الذى تطلبه فاذا حضر لا تشعر بحضوره ؟

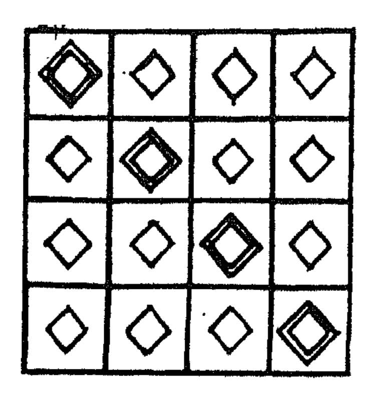
٣ ـ لماذا يقولون : ان شعر المدخن لا يشيب ولا يعضه كلب ولا يدخل بيته لص ؟

٤ ـ يقطع « حسن » فى كل يوم مسافة تعادل المسافة بين القاهرة وطنطا ان لم تزد عليها ، وهو لا يركب قطارا أو سيارة او اية وسيلة من وســائل المواصلات المعروفة ، أو أى نوع من الدواب ولا يسير على قدميه ، كيف يقطع هذه المسافة ؟

٥ ـ شخصان وقعا فى حفرة ، احدهما اتسخ وجهه والآخر لم يتســخ وجهه ، فمن منهما يغسل وجهه اولا ؟

خامسا : اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ اشهر جغرافيى العــرب ، ولد فى الاندلس سنة ١١٠٠ ودعاه ملك صقلية ليقيم فى بلاطه ، رسم أول خريطة لمنابع النيل ومن مؤلفاته « نزهة



عن نفسك

المشتاق في اختراق الآفاق » .

٢ ـ قائد من أبطال الفتوحات الاسلامية ، عهد اليه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف الى العراق لتحريرها من الفرس ، قتل في واقعة الجسر عام ١٣ هجرية .

٣ ـ أديب عباسي معروف ، درس في البصرة وبغداد والم بالعلوم المعروفة في عصره ، صاحب روح مرحة وقلم رشيق ، من مؤلفاته « البخلاء » و « البيان والتبيين » .

٤ ـ ولد بالاناضول سنة ١١٧٩ من أصل رومي ، رحل الى ايران ثم الى العراق ثم قضى بقية أيامه في بلاد الشام ، وهو صاحب « معجم البلدان » و « معجم الادباء » .

٥ ـ أكبر سلاطين المرابطين ، ولد عام ١٠١٩ ، واليه يعود تاسيس مدينة مراكش ، انتصر على ملوك الفرنجة بالأندلس .

● الاجابات ●

اولا : لغز شعرى : على
ثانيا : اضافة مربعات

ثالثا : حاول ـ هذه المحاولات كلها مستحيلة !
رابعا : اختبر ذكاءك :
١ ـ الحائط
٢ ـ النوم
٣ ـ لانه يموت قبل المشيب ، كما انه يضعف فيتوكا على عصى ومن ثم تخافه الكلاب ، وأخيرا يسعل طول الليل فيظنه اى لص يقظا .
٤ ـ بالاسانسير أو المصعد لانه عامل المصعد باحدى العمارات الشاهقة
٥ ـ الذى لم يتسخ وجهه لانه عندما يرى وجه زميله يظن ان وجهه قد اتسخ أيضا ، بينما الآخر يظن أن وجهه نظيف كوجه زميله !
خامسا : اختبر معلوماتك :
١ ـ الادريسى
٢ ـ ابو عبيدة الثقفى
٣ ـ الجاحظ
٤ ـ ياقوت الحموى
٥ ـ يوسف بن تاشفين .

نزلات البرد

د. سيد الجميلى

مع أواخر فصل الخريف وبداية الشتاء ، تزداد شكوى الرئتين من الالتهابات المتنوعة نتيجة التغير الفصلى من الهجير الملتهب الى النسائم الباردة ، ولما كان جسم الانسان سرعان ما يؤقلم نفسه ويكيفها لما تحيط به من ظروف ، فانه كذلك يبدى قلقا حيال هذه التغيرات المناخية المفاجئة فى صورة اكلينيكية مرضية تبدو على هيئة نزلات شعبية حادة أو تحت حادة أو مزمنة .

ويعتقد الكثيرون من الاطباء أن نزلة البرد تنتقل من شخص الى شخص عبر الرذاذ المتناثر من فم المريض وخلال بصقات لعابه ،ولا تقتصر عدواه على جنس دون جنس انما الرجال والاناث على حد سواء عرضة لهذه الاصابة ، بيد أن الاطفال أكثر عرضة للعدوى من الكبار وأقل مقاومة ، وقد تستمر الحالة بضعة أسابيع دون ظهور أعراض ثابتة واضحة

وأهم هذه الاعراض حرقان الزور وجفاف الحلق واحتقان الانف وانسداده ثم سيولته بعد ذلك مع تبلد حاستى التذوق والشم وبعد مرور ثمانية واربعين ساعة من ظهور هذه الاعراض تحتقن العينان ويخشن الصوت مع سعال جاف .

وقد تصحب ذلك بعض الاعراض العامة كالخمول والكسل والشعور بالهبوط ، مع أوجاع منتشرة بالعظام والمفاصل والظهر ، وقد ترتفع درجة الحرارة فى بعض الاحيان .

وعلاج نزلات البرد لا يكون الا بالراحة التامة فى الفراش ذهنيا وبدنيا مع المسكنات البسيطة المناسبة كأقراص الاسبرين والنوفالجين .

غذاء الشتاء

يتطلب الشتاء اعطاء جسم الانسان البالغ ٢٨٥٠ سعرا حراريا غذائيا فى خلال الاربع وعشرين ساعة ، وأنسب الاغذية ملاءمة لفصل الشتاء هى تلك التى ترفع حرارة الجسم بامداده بالوحدات الحرارية مثل أنواع الزبد والكريمة ومطبوخات اللبن ، ثم اللحوم الدسمة ولحوم البط والاوز .

وعسل النحل ، والعسل الاسود ، والمربى ، والارز ، والخبز ، والمكرونة ، والخضروات الدرنية هى انسب الخضروات لفصل الشتاء مثل البطاطس واللوبيا والفاصوليا والعدس . والموز من الفواكه الشحمية التى تتميز باحتوائها على السعرات الحرارية العالية مثله مثل الفواكه المجففة كالمشمش والزبيب والتين .

وبالمناسبة فواكه الياميش كالجوز واللوز والبندق تعتبر جميعا من أعلى واغنى الفواكة بالسعرات الحرارية أيضا

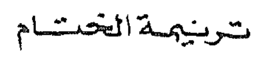
التهاب العضلات الروماتيزمى

قد تحدث الاوجاع الروماتيزمية فى أنحاء مختلفة من العضلات الجسدية وتختلف ظواهرها وأعراضها باختلاف نوعية الجزء المصاب به ان كانت فقرات العنق (الرقبة) أو الفقرات الظهرية أو القطنية أو الحوضية ، حسب موقعها ودرجة الاصابة بها ، وكذلك حسب مقاومة الجسم ومناعته الطبيعية .

وتتوغل الالتهابات الروماتيزمية أحيانا خلال النسيج الضام بالجسم فتبلغ الشكوى من المتاعب ذروتها فى غضون أسابيع أو أشهر قلائل .

ولابد للتحقق من التشخيص من عمل رسم كهربائى للعضلات لمعرفة درجة القصور بها ، واستبعاد أن يكون التعب العضلى نتيجة أى من أمراض العضلات العصبية الاخرى .

كذلك لابد من عمل سرعة ترسيب للدم ، وطبقا لهذه النتائج تتوجه دفة العلاج ولكنه فى اغلب الاحيان يكون بمسكنات الالم ومزيلات القلق مثل الاسبرين والنوفالجين والجرعات القليلة من الكورتيزون والعلاج الطبيعى مع استئصال السبب المباشر .



صلاة... وداع...

مصطفى عوض الله بشارة
الخرطوم .. السودان

هبْ من لدُنك رحمة
وهُدى يعظمُ أجرنا
ألهمنا فضلَ المتقين
زادا .. يبدّدُ .. همَّنا
تدعو ويعلو الابتهال
يارب، واشرحْ صدرنا ..

***

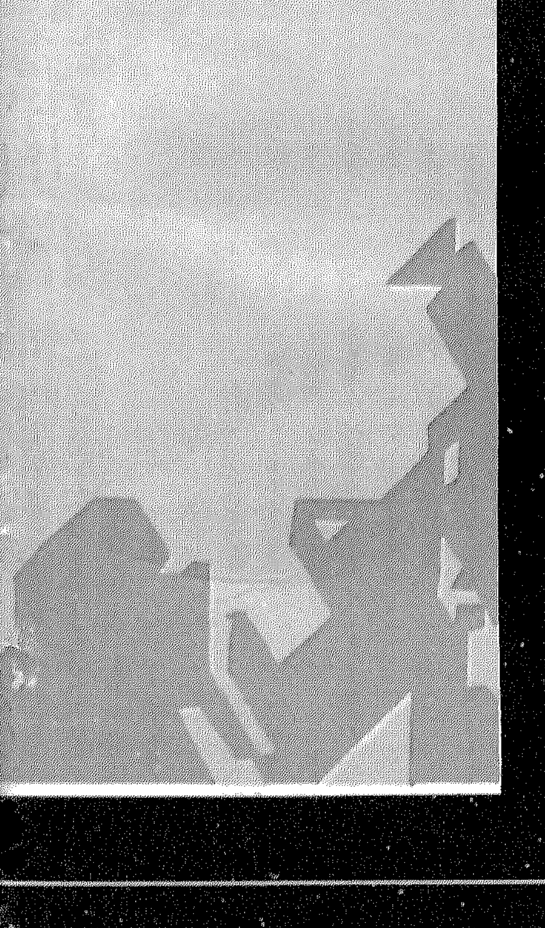
تسمو نفوس العابدين
بهدَاك والكلم المبين
وبما حوتْ آياته
للصابرين .. المتقين:
الباذلين حياتهم
زُلفى لربِّ العالمينْ
الخاشعين ، المؤمنين ،
الزاهدين ، الساجدين

***

قلبي يهيمُ بنوره
لله حبّي والمآبْ
يشدو التقاة بحمده
والليل مسودُ الإهاب
وهو الحليمُ ، وحلمه
يسعُ الوجودَ بلا حسابْ
جلَّ المهيمن منْ يكافىءُ
في الثواب ، وفي العقاب

الهلال

مجلة الفكر العربي



١٨٩٢ ـ ١٩٨١

بين العدد الأول من الهلال والأخير منه

٨٩ عامًا

من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة

ومازالت مجلة "الهلال" عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة

الهلال : كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر

الهلال : يقدم لك في كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة

الهلال : يقدم لك العلم .. والعلم سلاح العصر

ثمن العدد في البلاد العربية • سوريا ٣٠٠ ق.س الكويت ٣٥٠ فلسًا لبنان ٢٥٠ ق.ل
العراق ٤٠٠ فلس الأردن ٢٥٠ فلسًا السعودية ٤½ ريال